أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م



AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

العدد (٦٨٩) محرم ١٤٤٤ هـ - أغسطس/ سبتمبر ٢٠٢٢م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

كيف نُواجِه الإلحادَ؟

- المحرَّم شهرُ التّجديد
- في ذِكرى الهجرة






مجلة الوعى الإسلامى


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com


موقع مجلة الوعي الإسلامي



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الإلحاد وخطره على المجتمع

لا يمكن للإيمان أن يكون صحيحا إلا إن كان عن يقين من غير شك، وجزم من غير تردد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ (الحجرات:١٥)، وما زال بعض المتربصين بالإسلام يحاولون إثارة الشكوك لدى جيل الشباب والفتيات ويترصدون ضعاف الإيمان والعلم حتى يوقعوهم في شراكهم، مستخدمين لأجل غايتهم الآثمة أساليب كثيرة منها المحاورة المباشرة وغير المباشرة، ومنها نشر المقالات والكتب والروايات الشيقة التي تحمل بين طياتها سموم الإلحاد، ومنها أيضا إنشاء المجموعات والمنتديات الحوارية، وبث البرامج الوثائقية أو الأفلام الموجهة للأطفال والتي تحمل في زواياها أصولا كفرية أو نظريات إلحادية بطرق غير مباشرة، حالهم بذلك كحال من يدس السم بالعسل، وغير ذلك من الأساليب التي لا يمكن حصرها في هذه العجالة.

لقد تأثر -للأسف الشديد- بعض شبابنا وأطفالنا بهذه الدعوة الآثمة المدمرة، وبدأ الشك يتسلل إلى نفوسهم، وربما يكون مرد ذلك إلى بعض الأسباب، ومنها: عدم التنشئة المتينة على الإيمان الراسخ بعقيدة التوحيد، والانبهار بالحضارة الغربية وتقدمها في العديد من المجالات، وتصوير المشككين لهذه الحضارة أنها نتيجة للفكر الإلحادي المنتشر في بلادهم. ولو نظر هؤلاء المساكين نظرة متأنية لوجدوا بأن الإسلام الحق لا يعيق التقدم العلمي النافع، بل إنه يدعو إليه ويحث أتباعه على تحصيله، كما أن الإلحاد والكفر والشرك ليس سببا ألبتة للتقدم والتطور والرقي.

إن حب الشهوات والتحرر من قيود الدين والأخلاق هما أقوى أسباب الانحراف نحو هذا الفكر الهدام، فيزين الشيطان لهؤلاء الأحداث أنهم إذا ألحدوا عاشوا حياتهم كما يحلو لهم، حيث لا رقيب ولا محاسب ولا رادع ولا مانع، يفعلون هذا في بيئة قد عشش فيها الشيطان وأزلامه ونشروا فيها شهوات مؤقتة توقع بهؤلاء التائهين وتستدرجهم من حيث لا يعلمون إلى سعادة مفترضة غير حقيقية، وإلا فلا سعادة للقلب ولا أنس له إلا بإيمانه بربه وذكره له وعبادته وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرعد:٢٧-٢٨).

إن غلو الشباب في عقولهم، وظنهم أنه يمكنهم أن يدركوا بها كل شيء هو سبب أساسي من أسباب انحرافهم إلى الإلحاد، وما علموا بأن عقل الإنسان له حدود وأن علمه له حدود، كما أن البصر له حدود معينة والسمع له حدود معينة لا يمكنهما تجاوزها فكذلك العقل له حد لا يمكنه تجاوزه.

ولعل البحث في أسباب الإلحاد قد يطول، ولكن السبب الأساسي وراءه يكمن في قلة العلم والثقافة؛ فينبغي أن نزرع في نفوس أبنائنا وبناتنا أن ديننا هو سبب سعادتنا في هذه الدنيا، وسبب فوزنا في الآخرة، كما أن التمرد عليه والانسلاخ منه هو الضلال والشقاء والخيبة والخسران، كما ينبغي أن نسد أبواب الشبهات والشهوات فإنها فتن فتاكة بالنشء، كما ينبغي أن نتوقف عن الاسترسال مع الشكوك والوساوس، وأن نرجع إلى أهل العلم الربانيين فنسألهم سؤال مسترشد باحث عن الحق طالب للعلاج.

هذا، ونثمن الدور الرائد الذي تقوم به المؤسسات الدينية في بلدنا الكويت، خصوصا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالتعاون مع المراكز المعنية بمكافحة هذه الظاهرة المقيتة، وذلك من خلال المحاضرات الجماهيرية والندوات الخاصة بالشباب والطلاب المبتعثين إلى الخارج، ومن خلال خطب الجمعة ووسائل الإعلام.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٨٩/ محرم ١٤٤٤ هـ
العام التاسع والخمسون
أغسطس - سبتمبر ٢٠٢٢م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





الأخذ بالأسباب

في الهجرة تكرست معاني التخطيط بأرقى صوره إذ كان الأخذ بالأسباب واعتماد التخطيط منهجاً واعداً مدرسةً لن يعقبها إلا توفيق الله تعالى ومدده ونصره، فالتوكل أخذ بالأسباب، وهو أيضًا إعداد وعمل وتضحية، ومعية الله بعد ذلك وقبل ذلك، وهكذا كانت القدرة الإلهية والمعية الربانية حاضرة في كافة تفاصيل الرحلة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩) ، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (التوبة : ٤٠).

وهكذا تسير حياة المؤمنين بين التوكل على الله "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما" والأخذ بالأسباب، فإذا أهملنا الاعتماد على الله، وظننا أن قوتنا كفيلة بضمان تفوقنا خبنا وخسرنا، وإذا أهملنا الأخذ بالأسباب، وجلسنا في بيوتنا ندعو الله أن ينصرنا ويزلزل الأرض من تحت أعدائنا.. فلن نزداد إلا خسرانا.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



د. عبدالناصر سلامة
باحث في الدراسات الإسلامية

دلائل الإيمان بالله من خلال سورتي الحديد والتين

لا جرم أن العقيدة تمثل أهم أساس في صرح الإسلام العظيم، كما يعد الإيمان بالله تعالى وتوحيده أعظم ركن من أركانها، وقد نزل القرآن الكريم أول ما نزل من أجل تقرير هذا الأمر وتثبيته في نفوس الناس وإقامة الدلائل والحجج الدامغة عليه، وهو ما يظهر بجلاء في عدد كثير من السور والآيات، سواء في مكي القرآن أو مدنيه، ومن ذلك ما جاء في سورة التين والآيات التسع الأولى من سورة الحديد؛ إذ اشتركت هذه الآيات في بيان الأسس الثلاثة التي تقوم عليها أدلة الإيمان بالله عز وجل وتوحيده؛ وهي: الكون والفطرة وبعثة الرسل. فإن كل ما ورد في القرآن من الأدلة على وجود الله تعالى وربوبيته ووحدانيته إنما مداره على هذه الأصول الثلاثة.

الآيات الكونية

ونقصد بالآيات الكونية ما أودعه الله تعالى في الكون من مخلوقات عجيبة وظواهر ثابتة أو متغيرة تربط بين هذه المخلوقات وتحكم بقاءها وسيرورتها في نظام من

التناسق والتكامل والإبداع المتقن الذي يستحيل معه أن يكون هذا الوجود وليد الصدفة. ولذلك فقد قام منهج القرآن في الإرشاد إلى الله تعالى على الدعوة إلى النظر والتأمل والتفكر في هذا الدليل الكوني العقلي من خلال بسط آياته ومظاهره في السماء والأرض والجبال والإنسان والحيوان وغير ذلك من المخلوقات، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية:١٧-٢٠)، ونحو هذا من الآيات.

وقد افتتحت سورة الحديد بالإشارة إلى هذا الدليل الكوني ولفت الأنظار إليه بعد أن مهدت له بالدعوة إلى تسبيح الله تعالى وتقديسه وتنزيهه عن صفات النقص والعيب كنتيجة منتظرة من ذلك التأمل والنظر في هذا الدليل؛ إذ من شأن آثار الصنعة البادية في المخلوقات تنبيه الرائي إلى تسبيح خالقها،[١] قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ (الحديد:١-٦). فقد اشتملت هذه الآيات من سورة الحديد على ذكر خلق الله تعالى للسماوات والأرض والأنفس وما يعتري هذه الكائنات من الظواهر والحالات، وذكر تصرفه الكامل في الكون بما لا يدع للعقل المنصف مجالا للشك في أن هناك إلها قادرا عليما وراء هذا الخلق والتدبير، وأن هذا الإله، وإن كان باطنا بذاته لا تدركه الأبصار ولا تراه، ظاهر بمخلوقاته التي تدل على وجوده، وتنطق بوحدانيته، كما هو معنى قوله تعالى هنا: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.

وفي السياق نفسه، نجد سورة التين ترشد الناس إلى هذا الأصل من أصول الاستدلال على وجود الله ووحدانيته وتمام قدرته، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين:٤). فقد نبهت هذه الآية الناس إلى النظر في خلقتهم كيف جعلها الله تعالى في أحسن الأشكال وأبدع الهيئات وأجمل الصفات، حتى قال بعض الحكماء: «إن كل شيء في العالم الكبير له نظير في العالم الصغير، الذي هو بدن الإنسان، ولذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وقال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١)»[٢]. قال القرطبي: «فهو العالم الصغير مع العالم الكبير مخلوق محدث لصانع واحد؛ لا إله إلا هو»[٣].

يقول الدكتور ماريت ستانلي كونجدن[٤]: «إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته»[٥].

الفطرة الإنسانية

يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٣٠)، ويقول النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه»[٦]. يقرر هذان النصان الشرعيان حقيقة لا مفر منها؛ وهي أن معرفة الله تعالى والإيمان به كما دعا إلى ذلك الإسلام هما شيء جبل عليه الإنسان وأودع في كنهه وقرارة نفسه؛ ويدل على ذلك أن هذا الإنسان إذا حلت به الملمات، وطوقته الشدائد من كل الجهات فزع إلى الله تعالى بالدعاء وترك ما سواه من المعبودات، كما قال تعالى في ذلك: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الأنعام:٤٠-٤١). وفي

هذا المعنى يقول العالم الكيميائي الأميركي كريسي موريسون: «إن كون الإنسان في كل مكان ومنذ بدء الخليقة حتى الآن قد شعر بحافز يحفزه إلى أن يستنجد بمن هو أسمى منه وأقوى وأعظم، يدل على أن الدين فطري فيه. ويجب أن يقر العلم بذلك»[٧]. والحقيقة أن الإنسان لو لم يكن يستجيب للشيطان ولداعية الهوى الذي في نفسه لما احتاج إلى دليل آخر على الإيمان بالله سوى فطرته.

وقد لفتت الآيات من سورة الحديد النظر إلى هذا الدليل النفسي الخفي، مبينة أنه من أدعا الدلائل إلى الإيمان بالله عز وجل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الحديد:٨). يقول العلامة ابن عاشور في تفسير الميثاق المذكور في الآية: «فالميثاق المأخوذ عليهم هو ميثاق من الله، أي ما يماثل الميثاق من إيداع الإيمان بوجود الله وبوحدانيته في الفطرة البشرية فكأنه ميثاق قد أخذ على كل واحد من الناس في الأزل وشرط التكوين، فهو ناموس فطري. وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ (الأعراف:١٧٢). فضمير ﴿أَخَذَ﴾ عائد إلى اسم الجلالة في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، والمعنى: أن النفوس لو خلت من العناد وعن التمويه والتضليل كانت منساقة إلى إدراك وجود الصانع ووحدانيته»[٨]. وهذا التفسير الذي ذكره ابن عاشور للميثاق هو تفسير الإمام مجاهد، وهو الذي اختاره الإمام الطبري[٩].

وقد أشارت سورة التين إلى هذا الدليل أيضا ونبهت إليه؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، فقد تقدم ذكر هذه الآية آنفا في الدليل الكوني، حيث حمل الجمهور معناها على الخلقة الظاهرة للإنسان وتكوينه الجسدي والحسي، بينما ذهب ابن عاشور مذهبا بديعا في تأويلها فرجح أن يكون معناها ما خلق الله عليه الإنسان من الفطرة السليمة التي يهتدي بها صاحبها إلى معرفة بارئه ومعرفة الخير إذا هو سلم من أسباب الانحراف التي تحيط به وتغشى على تفكيره وتشوش على فطرته، فقال رحمه الله تعالى: «والذي نأخذه من هذه الآية أن الإنسان مخلوق على حالة الفطرة الإنسانية التي فطر الله النوع ليتصف بآثارها.. بحيث لو جانبته التلقينات الضالة والعوائد الذميمة والطبائع المنحرفة والتفكير الضار، أو لو تسلطت عليه تسلطا ما فاستطاع دفعها عنه بدلائل الحق والصواب، لجرى في جميع شؤونه على الاستقامة، ولما صدرت منه إلا الأفعال الصالحة.. ويفسر هذا المعنى قول النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه..»[١٠].

وبهذا يتضح أن الفطرة إنما هي شعلة إيمانية أودعت في ذات الإنسان كي تضيء له الطريق إلى الله تعالى، إلا أن هذه الشعلة قد يخبو نورها جراء ما يعتري القلب من الشهوات والشبهات، فيحتاج المرء حينئذ لمن يوقد هذا النور في قلبه من جديد ويبدد عنه ما تراكم عليه من الظلمات، ولأجل هذا بعثت الرسل وأيدت بالآيات والمعجزات الباهرات.

بعثة الرسل

تعد بعثة الرسل من أقوى الدلائل على وجود الله عز وجل ووحدانيته، وذلك لما جعل الله معهم من المعجزات والآيات الدالة على صدقهم فيما يخبرون به مما لا يمكن أن يكون اختراعا منهم أو افتراء، ولذلك فقد جعلهم الله حجة قاطعة على من بعثوا إليهم من الأمم، فقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ (النساء:١٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء:١٥). فكل عذر بعد هؤلاء الرسل مقطوع، وكل عذاب بعدهم غير مردود ولا مدفوع؛ وذلك لأن تكذيبهم والكفر بهم مع وضوح وجلاء ما جاءوا به من الأدلة لا تفسير له إلا كونه عنادا ومكابرة عن الخضوع لله تعالى والانقياد له، وما كان كذلك فالنار أولى به، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر:٦٠).

وقد أشارت الآيات في سورة الحديد إلى هذا المعنى وإلى هذا الدليل الذي يمكن أن نسميه أيضا دليل الوحي، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ (الحديد:٨)، يقول العلامة ابن عاشور في تفسير الآية: «والمعنى: ماذا يمنعكم من الإيمان وقد بين لكم الرسول من آيات القرآن ما فيه بلاغ وحجة على أن الإيمان بالله حق فلا عذر لكم في عدم الإيمان بالله فقد جاءتكم بينات حقيته فتعين أن إصراركم على عدم الإيمان مكابرة وعناد»[11]. ويصدق هذا المعنى أيضا قوله ﷺ في الحديث وقد سأل الصحابة الكرام: «أي الخلق أعجب إيمانا؟» قالوا: الملائكة. قال: «وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم تبارك وتعالى». قالوا: النبيون. قال: «وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟». قالوا: فنحن. قال: «وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟» (الحديث)[12]، فهذا الجواب النبوي الأخير فيه بيان واضح أن بعثة الرسل قد بلغت المنتهى في الدلالة على الله تعالى لمن أراد الإيمان به، حتى إن دليلهم بالنسبة إلى الناس كاد أن يساوي ما عند الملائكة والأنبياء من الدليل على وجود الله تعالى ووحدانيته، مما يؤكد أنه ليس بعد دليلهم إلا العناد والمكابرة.

وعلى غرار سورة الحديد فقد تضمنت سورة التين التنبيه إلى هذا الدليل الجلي أيضا، وذلك في قوله تعالى في مستهل السورة: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ (التين:١-٣)، فقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن القسم بهذه البقاع المباركة التي هي: بيت المقدس وطور سيناء والبلد الأمين مكة المكرمة إنما هو قسم بالرسالات التي انبثقت منها، وهي رسالات عيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام[13]. وذهب بعضهم إلى أن ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ إشارة إلى رسالتي نوح وإبراهيم عليهما السلام[14]، فاجتمع بذلك التنبيه على رسالات أولي العزم من الرسل. وهذا التنبيه القصد منه التشنيع على الكفار في تركهم اتباع الرسل وتوبيخهم على ذلك كما سيتبين فيما يلي.

فإننا إذا علمنا أن الآيات من مستهل سورة الحديد قد اشتملت على ذكر الأسس الثلاثة للإيمان بالله عز وجل وتوحيده، وهي: الكون والفطرة وبعثة الرسل، تبين لنا سر إيراد هذا السؤال الإلهي للكفار خلالها وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ﴾ (الحديد:٨)؛ فإن معنى هذا السؤال التوبيخ والإنكار على الكفار تركهم الإيمان بالله مع تضافر الأدلة الجلية والخفية على ذلك واجتماعها. ويؤكد هذا قوله في آخر الآية ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين لموجب ما، فهذا هو الموجب لإيمانكم[15]، فقد حصل ما يقتضي أن تؤمنوا من السبب الظاهر والسبب الخفي المرتكز في الجبلة[16].

وكذلك أمكننا أن نفهم سر إيراده سبحانه وتعالى مثل ذلك الاستفهام التوبيخي الإنكاري في آخر سورة التين وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ (التين:٧)، أي: فأي شيء يجعلك تكذب بالله ودينه أيها الإنسان بعد كل هذه الحجج والبراهين!

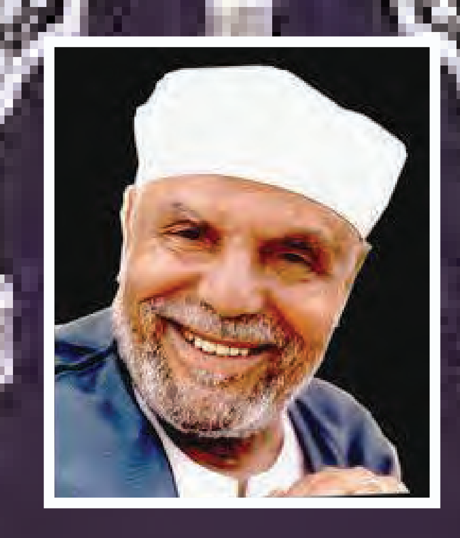
والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١ - البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ج١٠، ص:١٠٠.
٢ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٢، ص:٥٠٥.
٣ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج٢، ص:٥٠٦.
٤ - عضو الجمعية الأميركية الطبيعية.
٥ - روح الدين الإسلامي، لعفيف عبدالفتاح طباره، ص:٧٣.
٦ - صحيح البخاري، برقم:١٣٥٨.
٧ - روح الدين الإسلامي، لعفيف عبدالفتاح طباره، ص:٨٥.
٨ - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٧، ص:٣٧٠.
٩ - تفسير ابن كثير، ج٨، ص:١١.
١٠ - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٣٠، ص:٤٢٥.
١١ - التحرير والتنوير، ج٣٠، ص:٣٧٠.
١٢ - أخرجه البزار في مسنده، برقم:١٦٧١. وهو حديث حسن أورده الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم:٣٢١٥.
١٣ - تفسير ابن كثير، ج٨، ص:٤٣٤.
١٤ - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٣٠، ص:٤٢٢.
١٥ - البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ج١٠، ص:١٠٢.
١٦ - التحرير والتنوير، ج٢٧، ص:٣٧٠.

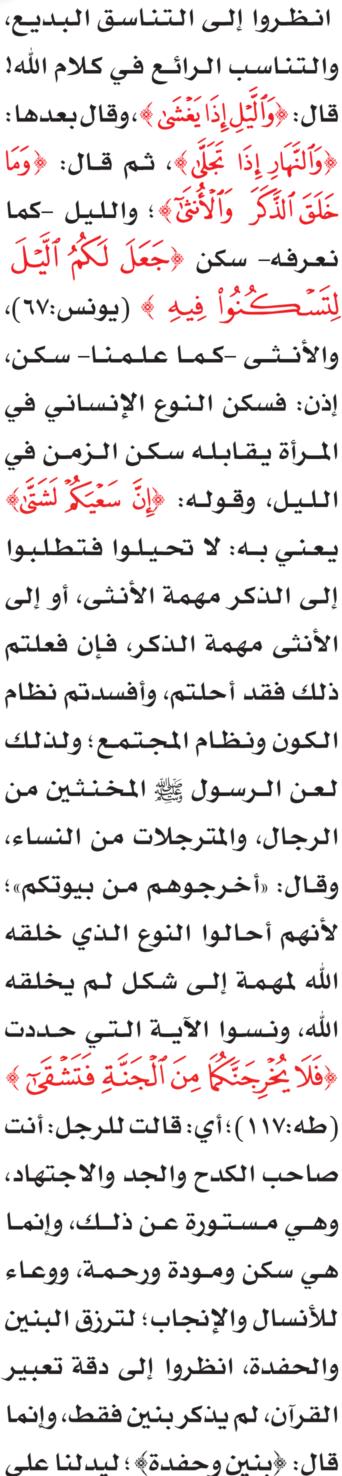
حكمة العقل (٢)

المحاضرة السادسة



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلةُ الشَّيخ محمَّد متولِّي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.

وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تَّحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفى سنة (١٤١٩هـ).



انظروا إلى التناسق البديع، والتناسب الرائع في كلام الله! قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، وقال بعدها: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾؛ والليل -كما نعرفه- سكن ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ (يونس:٦٧)، والأنثى -كما علمنا- سكن، إذن: فسكن النوع الإنساني في المرأة يقابله سكن الزمن في الليل، وقوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ يعني به: لا تحيلوا فتطلبوا إلى الذكر مهمة الأنثى، أو إلى الأنثى مهمة الذكر، فإن فعلتم ذلك فقد أحلتم، وأفسدتم نظام الكون ونظام المجتمع؛ ولذلك لعن الرسول ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم»؛ لأنهم أحالوا النوع الذي خلقه الله لمهمة إلى شكل لم يخلقه الله، ونسوا الآية التي حددت ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ (طه:١١٧)؛ أي: قالت للرجل: أنت صاحب الكدح والجد والاجتهاد، وهي مستورة عن ذلك، وإنما هي سكن ومودة ورحمة، ووعاء للأنسال والإنجاب؛ لترزق البنين والحفدة، انظروا إلى دقة تعبير القرآن، لم يذكر بنين فقط، وإنما قال: ﴿بنين وحفدة﴾؛ ليدلنا على أن الظاهرة الخلقية الأصيلة أن تمزج أجيال المجتمع، ومعنى مزج أجيال المجتمع: أن يلتقي الجد والأب والابن في مكان واحد؛ لأن الحياة الانفصالية التي أخذناها عن الغرب حين يكبر الرجل ويتزوج ينفصل عن أبيه وأمه، ويكون خلية أسرية مستقلة، فيها فساد للمجتمع؛ لأن الوالد يكون مشغولا عن ابنه بالضرب في الأرض والكسب والجد والاجتهاد، ولكنه لو كان يعيش مع جده، فالجد قد فرغ من مهمة الكفاح، وجلس في البيت بوقاره وورعه وحلاوة سمعه وطيب سلوكه، فهو دائما حين يسمع الصلاة يقول: هات يا بني المصلى[٦]، هات الفوطة لأتوضأ. ويقوم إلى الصلاة، ويظل مسبحا، ويذكر الله بالخير، ويبدأ شيئا باسم الله، وينتهي من شيء بالحمد؛ لأنه فرغ لمهمة العبادة، فحين يأتي الوليد الصغير الذي سماه القرآن حفيدا -وأبوه في الخارج يكدح- يلقنه جده في البيت المثل العليا في الأخلاق والاستقامة، وكذلك تفعل جدته، ولو انفصل عن هذا لهدرت القيم ولم يجد من يلقنه ذلك.

الجد إنسان هادئ الطبع رضي

النفس؛ لأن شيئا لا يشغله من الضرب في الحياة، فهو يمثل صفات الحنان مع الحفيد، ويأخذه على رجله ويداعبه ويلاعبه؛ لأن أمه في شغل، وأباه في شغل، فلو ترك الولد هكذا في جيل واحد لكان منشأ على لون واحد من ألوان الحياة، ولكنه حين تمتزج الأجيال؛ أجيال الجد والأب والحفيد، تلتقي كلها فتنطبع في ذهن الولد صورة عادة بقيمها، وصورة حركة في الحياة يراها بأبيه، وصورة في الاستقامة والاعتدال يراها في جده، وصورة في الورع يراها في جدته، كل ذلك يطبع فيه صورا ملونة عدة من الحياة، فيخرج وعنده ذخيرة صالحة من القيم والموازين والمقاييس.

حين ننظر إلى القرآن نجد أنه قد حدد المهمة، وما دامت المرأة للسكن والرجل للكدح فيجب أن تكون مهمة اختيار الرجل للمرأة والمرأة للرجل دقيقة؛ حتى لا ترضى المرأة ووليها الزواج إلا لرجل له شهامة، يجد في الحياة ويجتهد، لا لرجل مائع عالة، ولكن كيف يضمن ذلك؟! يضمن إذا كان دينه سليما؛ لأن دينه سيوجهه إلى منهج الخير دائما، ولذلك يقول الرسول: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه»[٧]؛ لأن الدين سيمشيه على المنهج الحق المستقيم، فلن يتعب امرأته فيقول لها: اخرجي لتشاركيني تعب الحياة ونصبها. بل يقول: أشقى أنا في الخارج وآتي بالرزق، وأنت تجلسين. نقول له: لها مهمة أساسية أصيلة، وأنت لك مهمة أساسية أصيلة، فلا يكن عندك خلل في رجولتك، ودعها في مهمتها، واكدح في الأرض في مهمتك. فإذا كان له دين يكون الدين قد عصمه من كل انحراف والتواء، هذه نصيحة لولي المرأة «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» لأن استقامته في دينه -وإن كان ذا دخل قليل- ستأتي له بالبركة، ولن يبدد ماله في شر أو محرم، إذن: فالحصيلة -مهما كانت قليلة- توجه إلى البيت.

النصيحة السابقة كانت لولي أمر المرأة، وهذه نصيحة أخرى للرجل، يقول الرسول ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»[٨]؛ أي: أيها الرجل، إن مقاييس نكاحك لأي امرأة ستقاس بالمقاييس الآتية: مرة تنظر إلى مالها، فأنت رجل خائر الرجولة، تريد امرأة لتنفق عليك، وإذا كنت كذلك فأنت لا تستحق وصف الرجولة. ومرة تنظر إلى جمالها، لا تنظر إلى الجمال فحسب؛ لأنك تكون قد أرضيت عاطفتك فقط، وعمر العاطفة قليل بالنسبة إلى الحياة الزوجية، ويبقى النظام العقلي؛ النظام الخلقي والأساسي. ومرة تنظر إلى حسبها، فتقول: إن قومها ذوو جاه، يأخذون بيدي، ويرفعونني إلى أعلى المناصب. نقول له: أنت تريد أن تكون عالة على غيرك، ولا تعتمد على همتك ورجولتك. ومرة تنظر إلى دينها، «فاظفر بذات الدين، تربت يداك»، فصاحبة الدين سيكون فيها الخير كله.

روي أن رجلا جاء إلى الحسن



يجب أن تكون مهمة اختيار الرجل للمرأة والمرأة للرجل دقيقة

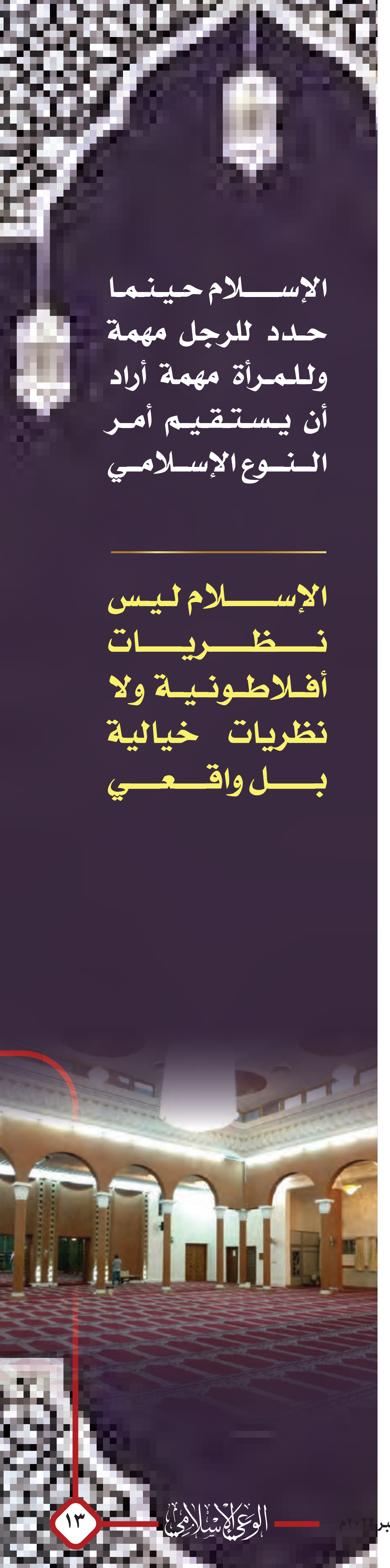
الخير كله في صاحبة الدين

البصري، وقال له: إن لي بنتا أحبها، وقد خطبها كثير، فمن تشير علي أن أزوجها له؟ قال: زوجها رجلا يخاف الله، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها[٩]. إنه منطق واضح وسليم؛ إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها، لكن إنسانا يقول: أمهمة الرجل والمرأة لا تجعلهما يشتركان في أمور؟! بل يشتركان في أمور تتعلق بالإنسان بوصفه جنس إنسان، فما هذه الأمور؟! المرأة لها كل حقوقها، لها أولا حرية التملك فلها أن تتملك وتتصرف فيما تملك، ولها حق أن يحافظ على دمها وعرضها، ولها فكر ورأي يجب ألا نهمله، بل يجب أن نستشيرها إن كانت صاحبة فكر ورأي، ولا نجد في ذلك غضاضة، فرسول الله ﷺ -وهو من هو عقلا ورجاحة فكر وتلقيا من الله- يستمع لنصيحة أم سلمة رضي الله عنها، رسول الله بجلالة قدره يستمع لرأي أم سلمة، وأم سلمة المرأة تستطيع أن تقول رأيا يخلص المسلمين من فتنة ومحنة وأزمة، وذلك في الموقف الذي كان سبب نزول الآية الكريمة: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ (البقرة:١٩٠)، وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ اشتاق هو وصحابته إلى البيت الحرام، وأرادوا أن يعتمروا، فجاؤوا في ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة، وأرادوا أن يؤدوا العمرة، فلما ذهبوا وكانوا في مكان اسمه الحديبية، وقفت أمامهم قريش وقالت: لا يمكن أن يدخل محمد وأصحابه مكة. وقامت مفاوضات بين الطرفين، ورضي رسول الله بعدها أن يرجع هذا العام على أن يأتي في العام القادم، وتخلى لهم مكة ثلاثة أيام في شهر ذي القعدة، وكان الرسول ﷺ قد بشر أصحابه بأنهم سيدخلون المسجد الحرام محلقين ومقصرين، وشاع ذلك الخبر، وفرح به المسلمون وسعدوا، ثم فوجئوا بمفاوضات رسول الله ورجوعه على بعد نحو عشرين كيلومترا من مكة، وحزن الصحابة، وغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال للنبي ﷺ: ألست رسول الله؟ ألست على الحق؟ فرد عليه سيدنا أبو بكر قائلا: الزم غرزك يا عمر؛ إنه لرسول الله.

وقد أظهرت هذه الواقعة موقفا لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وهو موقف يعبر عن الحنان والرحمة والمشورة اللينة الهينة، فحينما دخل عليها رسول الله وقال لها: هلك المسلمون يا أم سلمة، أمرتهم فلم يمتثلوا. انظروا إلى مهمة الزوجة عندما يعود إليها زوجها مهموما، هنا تتجلى وظيفتها في السكن، قالت أم سلمة: اعذرهم يا رسول الله؛ إنهم مكروبون، كانت نفوسهم مشتاقة لأن يدخلوا بيت الله الحرام محلقين ومقصرين، ثم حرموا منها وهم على بعد أميال منها، اعمد إلى ما أمرك الله فافعله، ولا تكلم أحدا، فإن رأوك فعلت، علموا أن ذلك عزيمة. وأخذ رسول الله بنصيحة أم سلمة، وصنع ما أمره به الله، وتبعه المسلمون كلهم. انظروا إلى أم سلمة رضي الله عنها بوقارها ورجاحة عقلها وحسن رأيها وتلطفها في الحديث مع رسول الله في ذلك الوقت الذي هو فيه بغيظ، موقف المرأة موقف التلطيف والحنان الذي يتلفت ليصل إلى الرجل، فيذهب عنه الغضب ويطمئنه. وانتهت العاصفة بهدوء. هل المرأة ناقصة التفكير؟! لا؛ لها أن تشير.

انظروا إلى الحق حين يعرض لنا امرأة كافرة، وهي ملكة سبأ بلقيس، حينما أرسل إليها سليمان كتابا: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ (النمل:٣٠-٣١)، جمعت بلقيس قومها وقالت: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ (النمل:٣٢)، يعني: تستشير وتشاور في الأمر، فقالوا لها: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ (النمل:٣٣)؛ أي: نحن ليس لنا في الرأي؛ إنما الرأي السياسي لك، نحن أولو قوة؛ إن أمرت بالحرب نحارب، وإن قلت: لا تحاربوا. فلن نحارب، أما المشورة فهي رأي سياسي لا نعرف فيه، ﴿أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾، إنك تستطيعين أن تقدري المسألة السياسية بأبعادها كلها، ونحن إنما نأتمر فنحارب، أو نأتمر فلا نحارب، كل واحد عرف موقعه وموضعه، الرأي له قول، والقوة لها قول. ففكرت تفكيرا وقالت: أنا أريد أن أختبر سليمان صاحب الكتاب، هو ملك مستبد يحاول أن يأخذ خير بلادنا ويستذلنا؛ ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾ (النمل:٣٤)، أريد أن أجربه وأمتحنه؛ سأرسل إليه هدية، وهدية ملكة سبأ يجب أن تكون من

أفخر الهدايا وأثمن الأشياء، فإن قبلها وفرح بها فإنه من أهل الدنيا ويريد خيرنا، وإن لم يفرح بها فإنه رسول يريد منهج الخير لا المال. فلما وصلت الهدية إلى سليمان كان موقفه أن قال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝٣٦ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٣٧﴾ (النمل:٣٦-٣٧)، فعرفت أنه ليس من الجبارين والطامعين في الملك والمال، إنما صاحب منهج خيري سماوي يريد أن يطبقه، فذهبت إليه مسلمة. تلك امرأة كانت كافرة ومع ذلك لها رأي، إذن: فالمرأة بوصفها إنسانا لها أن تعتقد وتشير، ولها رأيها وحقوقها وتصرفاتها، ولكن في حدود نوعيتها، فإذا أدت المرأة مهمتها وأدى الرجل مهمته استقام أمر الكون، كل واحد في مهمته يحسنها ويجيدها، فلننظر ما مهمة الرجل، وما مهمة المرأة؛ حتى نقول للمرأة ولجمهور النساء وللرجال النسائيين الذين يغرون المرأة ليجعلوها تتمرد على موقعها من الكون، وعلى وظيفتها الأساسية، ويزينون لها أن تكون كالرجل كادحة عاملة، وأن تخرج في الشارع عارية مبتذلة متبرجة فاتنة: نريد أن نعرف مع من مهمة المرأة، ومع من مهمة الرجل؛ لنعرف من المفضل في المهمة، مهمة الرجل أن يكدح؛ إما أن يكون زارعا مثلا، فعمله في التراب مع الجماد والنبات والحيوان، وإما أن يكون منتج صنعة، فإنه ينتج أشياء جامدة، فصنعته كلها مع الجمادات والحيوانات والنباتات، لكن مهمة المرأة مع سيد هذا الكون، وهو الإنسان، جعلها الله وعاء لأشرف هذا الكون كله، عملها أن تحمل ذلك الإنسان وترعاه جنينا في أحشائها، وتحتضنه رضيعا، وتأخذه في المرحلة التي يكون فيها لينا بحنانها، فمعاملتها مع أشرف شيء في الوجود، وهو الإنسان، ومعاملة الرجل مع أدنى الأجناس، حينما قسمنا الأجناس جعلناها على جماد ونبات وحيوان وإنسان. مهمة الرجل مع الجماد والنبات والحيوان، كفاحه كله في الأرض، ولكن مهمة المرأة مع ذلك الإنسان، وهذه أشرف مهمة. فالمرأة التي تتأبى عن هذه المهمة تكون قد تمردت على سيادة أرادها الله لها، وعلى صدفة يريد الله للجوهرة أن تكون فيها، فإن أرادت أن تتبذل فقد جعلت نفسها مشاعا لكل الناس، والرجل الذي يقبل ذلك لا مروءة له؛ لأنه ما يضن ببيضته أن تكون في متناول أعين الناس وأيديهم. إن الإسلام حينما حدد للرجل مهمة وللمرأة مهمة أراد أن يستقيم أمر النوع الإسلامي. لقائل أن يقول: إذا اضطرت المرأة لتعيش ولم يكن لها عائل فما موقف الإسلام من ذلك؟! الإسلام ليس نظريات أفلاطونية ولا نظريات خيالية، بل واقعي، وذلك قد يقع في الكون، امرأة لا عائل لها، أيقف الإسلام منها مكتوف اليدين؟ لا؛ إن الإسلام يضع للضرورة حلولها، ولكن يضعها بشروطها، ويجعل للضرورة قدرها، يعرض لنا القرآن قصة من القصص في مسألة موسى حينما ذهب إلى مدين، قص الله في



ذلك ما نأخذ منه عبرة، يجب أن نقرأ قصص القرآن لا على أنها تسلية أو قتل للوقت أو فيلم، ولكن يجب أن نأخذ اللفتة من القصة القرآنية على أن فيها دروسا وعظات وعبرا نأخذها لتكون دستور حياتنا، يقول الله في أمر موسى حينما خرج من مصر خائفا يترقب: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ ﴾ (القصص:٢٣)، ماء مدين: يعني العين أو البئر التي يسقون منها أنعامهم، ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ ﴾ يعني: طائفة كبيرة تسقي ماشيتها من الماء، ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾؛ أي: بعيدا منهم ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾، ومعنى تذودان: تمنعان ماشيتهما أن تذهب لتستقي. لماذا تمنعان الماشية؟ بل لماذا خرجتا بها إن أرادتا المنع؟! هما لا تخرجان بالماشية إلا للري عند الماء، فكيف تأتيان الماء وبعد ذلك تمنعان الماشية أن ترد الماء؟! إنها مسألة لغة، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾(القصص:٢٣)، أي: ما قصتكما، جئتما لتسقى الماشية، فلماذا تمنعانها أن تشرب؟! وجاء الجواب وفيه الحل الشافي لقضية الكون الاجتماعية هذه: ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ (القصص:٢٣)، إذن: هناك رعاء؛ أي: رجال يسقون ماشيتهم، وهاتان فتاتان خرجتا لتسقيا، أتزدحمان مع الرجال لتسقيا؟ لا، انتظرتا حتى يسقي الرعاء الرجال ويخلو الماء لهما، فتذهبان فتسقيان فترجعان، دون احتكاك بالرجل، فقد أخذتا الضرورة بقدرها، ولكن ما العلة في خروجهما ما دامتا تحتاطان هذا الاحتياط لئلا تحتكا بالرجال؟! قالتا: ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾؛ أي: العلة في خروجنا أن أبانا شيخ كبير ضعيف عاجز لا يقوى على السقي، أخرجتهما الضرورة، فلنأخذ من القصة أن الضرورة أخرجت الفتاتين، ولكنها أخذت بقدرها، فليس معنى أن الضرورة أخرجت الفتاتين لتنسيا نوع أنوثتهما وتلتحما بالرجال وتزدحما على الماء معهم، بل الضرورة تكون بقدرها، فلتنتظرا حتى يصدر الرعاء، ويخلو الماء لهما، وتذهبا، فتسقيا الماشية، فتعودا سليمتين، فالضرورة التي أخرجت معها حجاب ومانع تبع لها، هذا الحجاب المانع هو أن الضرورة أخذت بقدرها، ولكن ليس معنى ذلك أن الضرورة حين تلجئ المرأة إلى أن تخرج للعمل تنسيها أنها أنثى، فلتعمل، ولتكن في حجاب وحشمة ووقار؛ لتؤدي مهمتها التي ألجأتها الضرورة إليها دون احتكاك مع أحد واختلاف مع أحد، فقول الله: ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ يشير إلى أن الفتاة لا تخرج لعمل إلا عند الضرورة حين لا تجد عائلا، وحين تخرج لعمل ألجأتها الضرورة إليه يجب ألا تنسى أنها أنثى، وتستطيع الأنثى الحرة العفيفة المؤمنة المنفذة منهج ربها أن تكون مع الناس وهي في حجاب عن الناس، بمعنى أنها لا تحتك بهم، ولا تبدي مفاتنها وزينتها وعورتها، فتكون في حجاب وهي في قلب المجتمع، ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ كلمات تؤتي مبادئ؛ الفتاة لا تخرج إلا لضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، فهل يقف المجتمع مكتوف الأيدي إذا رأى فتاة خرجت لعمل، لضرورة ألجأتها؟! لا؛ إن للمجتمع الإسلامي مروءته وشهامته ورجولته؛ بحيث إذا رأى فتاة أحوجها الضيق أو أحوجتها الضرورة والحاجة إلى المجتمع فيجب ألا يقف مكتوف الأيدي، بل يجب أن يبادر المجتمع القريب من قرابتها؛ أي: المجتمع الإيماني البعيد؛ ليعرف الضرورة التي ألجأتها لتخرج، ويحاول جاهدا أن يعينها على قضاء حاجتها بسرعة حتى ترتد إلى خدرها وخبائها، وهذا الموقف من المجتمع يمثله الله في فعل موسى ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾، هذه مهمة المجتمع، سقى لهما؛ أي: حمل عنهما المهمة؛ لترجعا بسرعة، فأعانهما على حاجتهما، وعلى إبقاء الضرورة على قدرها، وفي بقية القصة الأخيرة مبدأ مستفاد، لما ذهبت الفتاتان إلى أبيهما قصت إحداهما القصة، فأرسلها إلى موسى، فقالت له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ (القصص:٢٥)، وانظروا إلى دقة التعبير في قول القرآن: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ (القصص:٢٥)، يعني: تنظر نظرة أدب واستحياء، هنا يظهر موقف الفتاة وموقف الأب؛ موسى سقى لهما وأدى مهمة اجتماعية يجب أن يلتفت إليها المجتمع، وبعد ذلك قالت إحدى الفتاتين لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ (القصص:٢٦)، كأن الفتاة

نفسها التي ألجأتها الضرورة إلى أن تخرج حينما وجدت فرصة تتحمل عنها هذه الضرورة سارعت إليها، لو أنها أحبت الخروج لما قالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ﴾، ولكنها طلبت ذلك، فكأنها لا تعشق هذه المهمة ولا تحبها ولا تحب أن تخرج، فحينما وجدت فتى يستطيع أن يقوم بالمهمة قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾، انظروا إلى ذكاء الرجل وفطنته، نحن لا نحرم على المرأة ما نحله للرجل، الرجل مثلا له أن يختار من يشاء من الفتيات، ولا يجوز أن نحرم الفتاة من عاطفتها، ربما تكون عاطفتها في إنسان رأت فيه مقاييس الرجل الكفء، لا ينبغي أن نردها، ولكن ينبغي أن نناقشها، فإن اقتنعنا برأيها فمرحبا به، وإن لم نقتنع عدلنا عنه، إن الفتاة قالت ذلك لأبيها، فظن أبوها -ولو من بعيد- أن البنت ربما أعجبت بموسى لقوته وعظمته، وقالت هذا يصلح لي، فلمحت لأبيها بقولها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ﴾، ولا مانع من هذا، انظروا إلى ذكاء الرجل، لم يجئ بالإيجار، ولم يقل: إني أريد أن أستأجرك. ولكنه التفت بذكاء ولباقة، وعرف أنه أهل لأن يكون زوجا لابنته، فقال له: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ (القصص:٢٧)، شيء من عظمة النبوة وجلالها، فكأن الرجل على غير ما تعودنا، الرجل عادة هو الذي يذهب إلى الأب ويلح عليه في الخطبة، ولكن لو وجد الإيمان الحق ووجد الإنسان فتى يصلح بالمقاييس الإيمانية أن يكون زوجا لابنته فما المانع أن يدعوه ليتزوج ابنته؟ لا مانع ما دامت المقاييس إيمانية، يقول شعيب: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾، فحقق أمر العاطفة إن كان المراد العاطفة، وأمر الاستئجار إن كان المراد استئجارا، بكلمة واحدة حقق المرادين معا، تلك هي مهمة المجتمع قد وضحت، ومهمة الفتاة حين تلجئها الضرورة قد وضحت، وكذلك مهمة الأب، ومهمة المجتمع في فرد قريب أو بعيد، بالله أجيبوني: لو أن مجتمعا انطبع بهذا الطابع الإيماني، فالتزم الرجل مهمته في الضرب في الحياة، والتزمت المرأة مهمتها في سكنها في البيت، ورعايتها للزوج، وحنانها، وإنجاب الأولاد، وطبعهم على طباع الحق والخير، وتدبير مال زوجها كما يقول الرسول ﷺ: «والمرأة راعية في بيت زوجها»[١٠] كما أن الرجل راع، حين ذلك يكون كل إنسان قد أدى مهمته في الحياة، وحين يؤدي كل إنسان دوره تستقيم أمور الحياة خير استقامة، ولن يضل العالم والإنسانية إلا إذا حاول إنسان أن يأخذ عملا في غير مجاله وتخصصه، وفي ذلك يكون الفساد، ومن العجيب أن أعداء الإسلام لم يجدوا غير المرأة ليجعلوا منها رأس حربة ينفذون منها إلى قلب المجتمع الإسلامي، فيفتنون شبابه ويميعون رجولته، ولو أن المسلمين عرفوا إسلامهم بحق لتنبهوا على ذلك كله، وردوا كيد أعداء الإسلام إلى نحورهم، ولو أن المرأة المؤمنة المسلمة عرفت أن أعداء الإسلام يريدون أن تكون امرأة المسلمين سكينا في يدهم يطعنون بها الإسلام لتأبت المرأة المؤمنة أن تكون سكينا في يد العدو، فلا تستمع إلى إغراء الأزياء، ولا تلتفت إلى زخارف البهجات، ولا نمو الحضارات، وتحرص على أن تكون امرأة مؤمنة سكنا لزوجها وحاضنة لأبنائها؛ لتخرج رجالا هم أسود في الوغى، عمال عند الضرورة، يقول الشاعر:

قم ابن الأمهات على أساس
ولا تبن الحصون ولا القلاعا
فهن يلدن للقصب المذاكي
وهن يلدن للغاب السباعا[١١]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش

١- البحتة: الصرف، والخالص من كل شيء. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٣٦/٤).
٢- أحال الرجل: تحول من شيء إلى شيء. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٦٦/٢٨).
٣- افتكر: تأمل. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٤٥/١٣).
٤- اللب: اللازم للأمر، المقيم به. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٨٦/٤).
٥- رواه البخاري، رقم: (٣).
٦- المصلى: ما يتخذ من فراش ونحوه ليصلى عليه، انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر (١٣١٧/٢).
٧- رواه الترمذي، رقم: (١٠٨٥)، وقال: حديث حسن غريب.
٨- رواه البخاري، رقم: (٥٠٩٠)، ومسلم، رقم: (١٤٦٦).
٩- انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، للتميمي (٢٣٧/٥).
١٠- رواه البخاري، رقم: (٨٩٣). ومسلم، رقم: (١٨٢٩)، واللفظ للبخاري.
١١- لم أقف عليه ولم أجده فيما توفر لي من مصادر، وينسب لأحمد شوقي.



محمد ثابت توفيق
باحث وأديب

كيف نتفهم ونترجم حقيقة النصرة؟

جدد مسؤول هندي مؤخرا بتصريحاته ما يعتبره مسلمو العالم أفرادا وحكومات مسيئة للرسول محمد ﷺ، فقد قام المرجع الإعلامي في الحزب الحاكم بنيودلهي بتوجيه عبارات تعبر عن جهل بحقائق تاريخية أو رغبة في تزييفها، ومن جانبهم فقد واجه مئات الملايين من المسلمين في العالم التصريحات بالاستنكار الشديد سواء الفردي أو الدبلوماسي، لكن للأسف لم تفلح جميعها في جعل رئيس الوزراء الهندي يعتذر مما دفع بمظاهرات للمسلمين في مناطق من الهند.

تجسد جمل الفقرة الماضية ملخصا للحدث دون تعرض لحقير الكلمات التي رآها مسلمون وغير مسلمين تتعرض للرسول المصطفى ﷺ، وأغفلنا بالطبع أسماء المسؤول المفترض الذي أراد أن يقرن اسمه بالرسول العظيم فحاول الافتراء عليه، كذلك لم ترفع الفقرة قدر مسؤول آخر، فهما معا أقل بكثير من أن يذكرا أو يقرنا، ولو في نهاية الذيل من كلمات فيها ذكر المصطفى العظيم.

يرفع مسلمون في مقابل محاولة الهجوم على الرسول العظيم شعارا يرونه مناسبا لرد «المحاولة» وأحيانا يعلون به؛ فيسلمون بأنه يدحرها والشعار كلماته قليلة ومعانيه يراها البعض كريمة نبيلة ألا وهو: «إلا رسول اللّه».

لا يعرف طرف من المسلمين للأسف المرير قبل الشديد معاني دقيقة قبل عظيمة عن دينهم ورسولهم ﷺ، ولذلك فإنه بداية لمن الأخطاء التي يرتكبونها أن يردوا على مسؤول أو رسام أو روائي «مفترضين»، أو حتى محتال حاول التعرض للرسول العظيم بتسمية ما يفعله، وإن ناصرته دول غربية أو نامية هنا وهنالك على خارطة العالم، سواء في الدنمارك أو هولندا أو فرنسا أو الهند أو غيرها، بل يجب أن نعرف بدقة أن تسمية ما يفعله مغمورون في مجالاتهم وتخصصاتهم بـ«الإساءة» للرسول العظيم في حد ذاتها إساءة منا كمسلمين لأنفسنا قبل أولاء المعدومي الإنسانية والبشرية قبل التخصص أو النبل أو ذرة من أخلاق.

لا يدرك مدقق منصف لمجريات ديننا الحنيف ثم لعصرنا المفتقد للمنطق والنزاهة قبل العدالة إلا قليلا: كيف يمكن لمسلمين أن يقروا بأن «نكرة» في عالم السياسة أو الفن أو الإبداع أو الأدب أو ما شابه يمكن أن «يتعرض»؛ مجرد أن يتعرض لمقام الرسول العظيم؟!

ولو كان ذياك النكرة مسلم أسما أو وثني أو ملحد أو غير ذلك، ونثبت هنا أنه «نكرة» لأنه لو لم يكن «نكرة» لأبدع



في مجال عمله الاحترافي، أو هوايته الأثيرة لديه أو أيا كان من ملكاته مثل عشرات الملايين غيره، ولكفاه هذا وذاك عن التعرض لمتوفى غادر حياتنا الدنيا من وجهة نظر الذين لا يعرفون حقيقة ومقام وعظمة المصطفى، ولكننا من أسف مرير نقف أمام محاولات طائشة لمتهورين في عالم لا يعرفون احترام حقوق الذين غادروه وأحسنوا إليه، وعلى رأسهم الرسول العظيم الذي أتبعه آلاف الملايين من أحسنوا لعالمنا قديما وحديثا وفي عصرنا رغبة في نيل رضا ربهم أولا.

أما فيما يخص المسلمين فكان يجب أن يعرفوا أولا أن مقام رسولهم العظيم أعلى وأسمى وأعز وأكرم وأنبل من أن يتعرض له «إنسان» في أي زمان ومكان، فقد رفع الله مكانة رسوله وميزها حتى لا يتطاول إليها أو يدانيها أو يقاربها فكيف بمتعرض لها، والآيات الحكيمة في هذا الشأن كثيرة نكتفي منها بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ (الأحزاب٤٥-٤٦)؛ وكان الأصوب والأفضل والأدق أن نقول عن أولاء «يحاولون الإساءة» أو «يحاولون التعرض» لنبينا وللمصطفى، إذ إننا بذلك نقر برفعة مكانته وعدم مطاولة بشر لها أيا من كان وكان ما قال أو حاول فعله!

فإذا جئنا إلى شعار «إلا رسول الله» احترنا إذ ندقق فيه، فإنه يبدأ باستثناء يحصر أننا قد نتقبل كمسلمين كل شيء إلا «محاولة» التعرض لرسول الله ﷺ، وكأننا أمة مغلوبة اليوم تماما على أمرها، توافق على انتهاك خصوصيات عقيدتها وحياتها أولا اللهم إلا ما يخص رسولها العظيم، ومن جانب آخر يقر الشعار على النقيض وعكس الواقع العملي تماما بأننا مفطورون على السلبية وعدم امتلاك أدوات الدفاع عن أنفسنا في عالم اليوم، لذا نتقبل ببساطة وربما مرونة أن تهرق معنوياتنا، نثور فحسب عند محاولة التعرض لرسولنا العظيم.

لعل في ذلك الشعار ترجمة تلقائية أقرب للصرخة أو العامية، وربما اختصار لرؤية وما يحبه «بعض» الكسالى من المسلمين، أو الذين يتقبلون أن يحييوا في سلبية ويفيقوا كل أمد زمني، ربما كل عدة سنوات على حملة لما يسمونه نصرة الرسول العظيم، وفي الحقيقة فنحن نحتاج لنصرة أنفسنا ودعمها لا الرسول ﷺ فإن الله وحده تكفل بنصرته في محياه وبعد ارتقاء روحه الطاهرة النبيلة إليه.

لماذا يرفع مسلمون في العالم شعار «إلا رسول الله»؟! فإن قالوا بأن للشعار معان أخرى قلنا: فلماذا إذن تتذكرون الرسول العظيم وسنته وبيان عظمة ورائق ورونق هديه وما جاء به من كتاب في أوقات تعرضه لـ«محاولة» النيل منه؟

بمعنى أصح: لماذا لا يعمد المسلمون في العالم لبيان حقيقية راقي دينهم؟ ومن أهمه سنة نبيهم العظيم في كل وقت وحين، ما أمكنهم، بحسب قدراتهم ومهاراتهم الاحترافية وغيرها، ولماذا يتعمدون فعل هذا في الملمات فحسب وعند محاولة اجتراء البعض على هديه وسيرته المشرفة؟ فلماذا لا نكون سفراء لديننا ما أمكننا، فنستخدم خدما وعمالا لبيوتاتنا وأشغالنا وسياراتنا مسلمين من أمثالنا بدلا من إدخال منازلنا وكشف عوراتنا وخصوصياتنا على غير أبناء ديننا أو أخوتنا في الدين؟ ثم نثور من بعد ونطالب بطردهم لما يحاول أحد المغمورين من أبناء معتقدهم أو إخوتهم فيه الإساءة لرسولنا لعظيم، ولماذا لا نكون قدوة حسنة لأولاء الخدم والعمال البسطاء عند استقدامهم للعمل لدينا إن أقررنا استقدامهم أصلا؟ هذا قبل وبعد أن نأتي بهم دون أن يفهموا سببا وجيها لذلك ثم نطردهم فنوغر أنفسهم أكثر ضدنا.

كان الراحل الشيخ «محمد متولي الشعراوي» يأمل أن يكون دبلوماسيو الدول الإسلامية سفراء لديننا في العالم، فصرنا نرانا وطرف من شبابنا وعائلتنا في الدول الغربية أو حتى العربية والإسلامية مثال غير جيد للأسف للإسلام والمسلمين، بل نفتن الغربيين وغيرهم في دينهم؛ بما يجعلنا في مرمى نيران انتقادات تصل لحد استسهال محاولة التعرض لثوابتنا العزيزة، فإن كانت المبالغة في إقرار هذا تقودنا لباب «جلد الذات»، فكم من مسلمين نجحوا في نقل تعاليم ديننا عمليا؟ إلا أن السؤال المرير عن عددهم ونسبتهم يبقى مشهرا يحتاج منا لمراجعة وتبيان لأنفسنا وضمائرنا قبل غيرنا!

إننا بحاجة كعرب ومسلمين لمراجعة أنفسنا فيما نتحمل من مهمة إيصال وتبليغ ديننا ناصعا نقيا كما أنزله الله وكلفنا بنقله للعالم، لا كما تثور أنفسنا من حين لآخر أمام محاولة إساءة هنا أو انتقاص هناك، فتكون الأخيرة هي القاعدة لدينا فننسى مهمتنا الأصيلة، وهكذا نتخلى عن دورنا الرئيسي ونستقبح من الآخرين محاولة التعرض لعقيدتنا بعد أن نكون تمادينا في التقصير في حق أنفسنا قبلهم، وفي حق تفهم مهمتنا الرئيسية في العالم وأهمية حفاظنا على ديننا ما استطعنا في حركتنا وسكناتنا، وإننا لنمثل قرابة ربع سكان الأرض كلها اليوم!



د. آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي

كيف نواجه الإلحاد في عالمنا العربي؟

إن المتأمل اليوم في أوساط الشباب المسلم قد يتفاجأ من ظاهرة بدأت تنتشر وتزداد توسعا يوما بعد يوم بشكل خطير، ألا وهي ظاهرة الإلحاد. والإلحاد يعني عدم الإيمان بالخالق وعدم الاعتراف بوجود الله وبقدراته، والإتيان بنظريات بديلة عن وجود الله الخالق، كنظرية دارون التي تعتمد الطبيعة بديلا عن الخالق، وكأن الطبيعة خلقت كل شيء وكل المخلوقات والكائنات ضمن نظرية التطور! وهي نظرية تدرس في الكتب الأجنبية في الولايات المتحدة وكندا وغيرها، وتصلنا الكتب إلى البلاد العربية في المدارس الأجنبية.

ما أسباب الإلحاد؟ يتبادر إلى الذهن تساؤل مشروع لابد منه وهو ما سبب الإلحاد الذي بدأ ينتشر في عالمنا العربي اليوم؟ بالحقيقة للإلحاد أسباب كثيرة متعددة ومنها:

١- التهرب من التكاليف الشرعية:

وهذا ما اعترف به العديد من الملحدين الذين تابوا وهداهم الله على طريق الحق كدكتور مصطفى محمود الذي انتقل من الإلحاد إلى الإيمان الشديد بالله، بل ونشر ما يقارب من ٤٠٠ حلقة تلفزيونية ببرنامجه الشهير العلم والإيمان الذي عرض لسنوات طويلة في حلقات تلفزيونية لإقناع الناس بوجود الله وعظمته في خلقه، وهو أن الملحد يختار هذا الطريق لأنه الأسهل إلى النفس ويقاوم وجود خالق ليريح نفسه من أية تكاليف شرعية كالصلاة والصيام والحج والزكاة وافعل ولا تفعل ومسموح ومنهي عنه.. وهكذا فيجد أن أسهل طريق هو عدم الاعتراف بالخالق من أجل راحته النفسية من تلك العبادات والأحكام والتكاليف التي يتطلبها الدين السماوي.

٢- اتباع الأهواء الشهوات:

وأيضا يعترف الملحدون التائبون أن ادعاء اللادينية إنما الغرض الأساسي منه هو اتباع الشهوات والأهواء، حيث ادعاؤك أن لا إله خالق ولا وجود للإله معناه أن تفعل ما تريد من شهوات كأن تزني أو تسرق أو تقتل أو تشرب الخمر وتتعاطى المخدرات وتمارس الفواحش والجنس واللواط والشذوذ وتشهد الزور وتكذب وتحارب الأخلاق وترتكب كل أنواع الشهوات والكبائر دون أية تأنيب للضمير أو محاسبة للنفس أو حساب لوجود خالق يراك ويعلم ما تفعل! ودون خوف من آخرة أو حساب وعقاب، فهو يزيح هذه الأفكار من عقله ولا يفكر بها.

٣- التكبر والفوقية:

فغالبا من يرفض فكرة وجود الخالق هو بالحقيقة شخص متكبر متعجرف لا يقبل أن يخضع لأحد حتى وإن كان الخالق الرازق، لا يريد أحد فوقه مسيطرا عليه، معتقدا أنه هو السيد وهو القادر والمتحكم خاصة إن كان في موقع قيادة وسلطة ويأمر وينهى، كما كان كفار قريش من أسياد القوم يرفضون فكرة الإيمان بالله تعالى لأنهم يعتقدون أن الإيمان بالخالق الواحد سوف ينزع منهم سلطاتهم وينازعهم الملك والسيطرة، فهم لا يرغبون بالاعتراف بوجود الله رغم إيماني الداخلي بوجود الله الخالق، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ (الزمر:٣٨).

ومشكلة هؤلاء أنهم لا يدركون كم هم صغار أمام قدرة الله تعالى وعظمة الخالق الواحد عزوجل!

٤- قلة التعرض للمعلومات الدينية:

وهنا يرفض الملحد التعرض لأية معلومات دينية فهو يرفض سماع الخطب والمواعظ أو اقتراب من المسجد أو من المصلحين أو الدعاة أو ممن يمثلون الدين، وهو غير مستعد للدخول في أية نقاشات مقنعة حول معتقداته؛ بل متمسك بما يدور في ذهنه من أفكار خبيثة يحثه عليها شياطين الإنس والجن.

٥- رفاق السوء:

إن أحد أهم الأسباب الرئيسية للإلحاد بين الشباب المسلم هم رفاق السوء، فكما يقال: الصاحب ساحب، فكثير من رفاق السوء ينقلون أفكارهم الخبيثة إلى رفاقهم بقصد أو بدون قصد، فمع كثرة تداولهم لتلك الأفكار أمام رفاقهم ومناقشتها وإعطاء الحجج لأفكارهم، مع قوة أساليبهم المقنعة ومع ضعف حجج من يقابلهم؛ يجعل الطرف الآخر الأضعف يعتقد بمعتقداتهم، وهنا يكمن مربط الفرس حيث تضعف نفوس ضعاف الإيمان وقليلو المعلومات الدينية ويتشربون تلك الأفكار الهدامة ويقتنعون بها أو يقنعون أنفسهم بها!

٦- وسائل الإعلام ووسائل التواصل:

لاشك أن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ووسائل التواصل الاجتماعي اليوم بتنوعها تبث الكثير من الأفكار الإلحادية من جهات تعمل على نشر الإلحاد بين صفوف الأطفال والشباب المسلم من خلال برامجها وأفكارها وصورها وفيديوهاتها وألعابها الالكترونية، فهذه ليست صدفة وليست أمرا عشوائيا، بل هي برامج مخطط لها ومدروسة جيدا ومقصودة، تحركها أيد خفية شيطانية ماسونية أو صهيونية أو بوذية أو لادينية كلها هدفها تخريب الشباب المسلم ومحاربة الإسلام وإبعاد الشباب عن دينهم واستغلال طاقة الشباب في أمور أخرى اتباعا للشهوات وحزب الشياطين.

٧- ضعف التربية الدينية «من الأسرة»:

وهذا الضعف إنما هو صادر عن تقصير الوالدين في التربية الدينية للأبناء، فهم لا يتحدثون مع أبنائهم عن أي شكل من أشكال الدين او الاقناع بوجود الله تعالى أو بوجود الخالق للكون، أو بتعليم أبنائهم أمور الدين وتربية الوازع الذاتي بأن الله يراهم ويراقبهم ويرزقهم وهو القادر على كل شيء وواهب الحياة لهم وكل النعم التي لا تعد ولا تحصى، والقادر على تغيير وتصريف أمور حياتهم، وقد يكون السبب أن الوالدين أنفسهما لا يؤمنان بالله الخالق الواحد القهار، وفاقد الشيء لا يعطيه.

٨- قصور مؤسسات التعليم في التربية الدينية:

إن فتور الدور التربوي اليوم للمدارس بل ومحاربة إدارات بعض تلك المدارس والجامعات لأي شكل من أشكال التدين الإسلامي ومحاربة مظاهر الدين كمنع إقامة الصلاة أو لبس الحجاب الشرعي للفتيات في بعض تلك المؤسسات التعليمية وغير ذلك؛ إنما هو نتيجة ضعف الوازع الديني لدى مسؤولي تلك المدارس والجامعات واتباعهم للأهواء معتقدين ومدعين أن التدين ما هو إلا ظاهرة للتخلف والرجعية، ويبثون في ذهن الطلبة أن الدين إنما يمثل الرجعية ويحارب التقدم والتطور، وأن التطور إنما هو في اتباع الموضة والأهواء والشهوات والأفكار الأجنبية الغريبة عن ثقافتنا وهويتنا الإسلامية، ويسعون بكل الطرق إلى بث أفكارهم اللادينية والعلمانية وانتهاء بالإلحاد الذي يفتح لهم المجال في ممارسة كل شهواتهم وأفكارهم الضالة للأسف.

كيف نواجه الإلحاد؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت:٤٠) فالآية الكريمة واضحة المعالم أن الذين يكفرون ويلحدون بدلائل وآيات وجود الله في الكون فإن الله يعلم

بهم وقادر عليهم وهو يبصرهم ويسمعهم ويمهلهم لنهاية حياتهم رحمة منه، والله تعالى في الآية الكريمة يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب وأسلوب الإقناع العقلي؛ بمعنى أنه يدعوك لأن تقارن يا إنسان بين من سيكون مصيره النار في النهاية نتيجة إصراره وعناده واتباعه للشهوات والحياة الدنيا، وبين من يأتي آمنا مرتاحا سعيدا في النهاية لأنه اتبع الهدى وآمن بوجود الله تعالى من خلال الآيات الكثيرة الموجودة في الكون وأطاع الله فيما أمر ونهى. وما حياة الإنسان إلا أيام قليلة وتنتهي فلم لا يطيع الإنسان العاقل الله الخالق ليعيش الحياة الأبدية في الآخرة بسعادة ونعيم دائم لا يزول بدلا من الجحيم الدائم والعياذ بالله منه.

أولا: دعوة الملحدين إلى التفكر في الكون

إن من أعظم الدلائل على وجود الله تعالى هو ذلك الكون العظيم والدقة المتناهية الموجودة به والنظام الموحد الذي يسير عليه، فمثلا خلق الله تعالى للتزاوج بين الكائنات واستمرار التناسل الذكر والأنثى لأجل هذا التزاوج، وكل المخلوقات في الكون بتنوعها وحتى الأسماك في البحار وحتى الأزهار في النباتات لابد لها من ذكر وأنثى من أجل التكاثر، فإذن كيف بكون عظيم مليء بالمخلوقات التي لا تعد ولا تحصى أن يكون يسير بنفس النظام صدفة دون تنسيق موحد من خالق عظيم؟!

آيات الله عظيمة في الكون التي تدل عليه كالسماء والأرض والجبال والأنهار والمحيطات والأشجار والحيوانات بتنوعها والشمس والقمر والكواكب والمجرات، وكل ما تكتشفه وكالات الفضاء من عظمة هذا الكون وحجمه الهائل الذي لا يمكن لعقل بشري أن يتخيله مع دقته المتناهية وروعته وجماله، فهل هذا الكون بلا خالق؟!

قيل لأعرابية يوما كيف اهتديت إلى الإيمان بالله ووجود الخالق للكون، فأجابت بعفويتها وبساطتها: «سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج، والبعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟!»

ثانيا: دعوته للتفكر في نفسه وخلق الإنسان

الله تعالى دعا الإنسان بآيات كثيرة للتفكر في مخلوقاته والسموات والأرض بل والتفكر في خلق الإنسان ذاته كم من أجهزة بداخل جسم الإنسان (تنفسية وهضمية ودموية وتناسلية وبولية وعصبية وعضلية وعظمية وخلوية.. فكم من تخصص في الطب! ولا يستطيع طبيب واحد أن يتخصص في كل تخصصات الطب بل إن ذلك يستحيل، فما أعظم خلق الله تعالى للإنسان!) قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١)، وكم يكون الإنسان ضعيفا حينما يصاب بمرض فإن كل قواه تخور، ويصبح لا ملجأ له إلا للخالق لينجيه من آلامه وشعوره بدنو أجله ويصبح مستعدا لأن يدفع مال الدنيا وكل ما يملك من أجل شفاءه أو شفاء من يحب، وعندها يعترف بوجود الخالق لأنه يرى دقة خلقه ويدرك في قرارة نفسه أنه لابد من خالق ورازق ومهيمن لهذا الكون.



ثالثا: استخدام أسلوب الحوار والإقناع العقلي

إن من يدعون الإلحاد اليوم يعتقدون أنفسهم أنهم الأكثر فهما وتقدما وعلما، وأن المؤمنين بالله

هم الأكثر تخلفا، ولذلك علينا أن نستخدم معهم الإقناع العقلي من خلال الأدلة والبراهين العقلية المثبتة لوجود الله تعالى والتي كان يستخدمها علماؤنا كالأئمة الأربعة الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي. فمثلا ورد عن الأمام أبو حنيفة أنه كان سيلتقي مع ملحد من أجل إقناعه بوجود الله تعالى، فتأخر عليه أبو حنيفة بقصد، وعندما أتى سأله ذلك الشخص الملحد عن سبب تأخيره عن الموعد، فأجاب أنه لم يجد وسيلة نقل تنقله عبر النهر، فكان ينتظر أن تأتي الأخشاب وحدها وتتجمع وحدها وتأتي المسامير وأدوات الربط وتدق نفسها في الأخشاب وتستمر بالعمل لوحدها حتى تنهي له قاربا قويا يأتي فيه ولكن ذلك لم يحدث وبقي ينتظر طويلا، فأجابه الملحد: أمجنون أنت؟! كيف للخشب والمسامير وأدوات الربط أن تأتي وحدها وتجتمع وحدها وتعمل لك قاربا أمينا متقنا؟ فأجابه الإمام أبو حنيفة إذا انتهى نقاشنا إذا أنت على مستوى قارب صغير لم تقتنع بأنه يمكن أن يكون قد صنع نفسه بنفسه ووجدت أن هذا ضرب من الجنون وأنه يستحيل عقلا، فكيف بكون عظيم ممتلئ بالمخلوقات كالنباتات والحيوانات والأنهار والغابات والشمس والقمر والنجوم والبحار والبشر وغيرها فكيف أن تكون قد نشأت بلا خالق؟! فلو قلت لك إن هذه الغسالة أو هذا التلفزيون أو الموبايل تجمعت أجزاؤه وتقنيته وتشكل على هيئته فهل تصدق؟ لا أحد يصدق ذلك فكيف تصدق أن الكون الفسيح بلا خالق؟! إذا أنت لم تقتنع بقطعة صغيرة فكيف بسماوات وأرض وجبال!

رابعا: جلسات الحوار وإعادة التأهيل

إن هذا الجيل اليوم يحتاج لجلسات كثيرة مخططة ومنظمة ومدروسة من أجل إعادة تأهيل أفكاره وتعريفه بالله تعالى وبقدراته وبأهمية وجود الله في الكون، قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢). فالله هو واحد في الكون ولو كان غيره معه لفسد الكون لأنه لابد وأن يتناحرا ويتقاتلا على السلطة كما نرى في واقعنا بين الحكام والرؤساء. فمن رحمة الله بنا أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا شريكا في الملك.

ومن دلائل وجود الله تعالى الخالق والتي يذكرها الإمام محمد متولي الشعراوي في دروسه أنه لم يأت إلى اليوم منذ أن خلق الله الكون قبل ملايين السنين إله آخر غير الله تعالى يقول إنه هو الخالق للكون، ولو ادعى بشر ذلك كفرعون الذي ادعى الألوهية فإن كلامه غير مقنع لأنه إنسان كأي إنسان قدراته محدودة جدا لا تصل إلى أن يخلق سموات وأرضا وجبالا، بل لم يستطع حتى إنقاذ نفسه من الغرق والموت المحقق بيد الله تعالى. وهذه الجلسات تبدأ من الوالدين ومن المعلمين بالمدرسة والمربين الذين هم حول الطفل أو الشاب، ولابد للوالدين أن يعلموا أولادهم منذ الصغر على وجود الله تعالى ويزرعوا فيهم الوازع الداخلي بالخوف من الله تعالى ومراقبته ومحبته وإعطائهم دلائل وجود الله تعالى في الكون وفي كل لحظات حياتهم. ويبقى دور الأسرة كبير جدا في التربية على الدين والإيمان بالله وتشريب أطفالهم هذه الأفكار منذ نعومة أظفارهم لا الانتظار حتى يكبروا لأنه يكون قد فات الأوان لأن الإنسان معتقداته تنشأ وتتكون منذ الصغر وقبل الرشد.

خامسا: توظيف وسائل وقنوات التواصل

وفي زماننا هذا لابد من توظيف جميع قنوات التواصل الاجتماعي من فيسبوك وتويتر وواتساب وتلغرام وانستغرام وغيرها والقنوات الفضائية التلفزيونية والصحف والمجلات من أجل تعريف الناس بالخالق العظيم واستخدام الأدلة والبراهين الكونية وما أكثرها من أجل إقناع الناس وجيل الشباب خاصة بوجود الله وأهمية وجود الله فهو رحمة لنا ورزقا وإكراما وفضلا، وتشجيعهم على التفكر بالكون الواسع وتذكيرهم باليوم الآخر والجنة والنار، وتعريفهم ببعض قصص سيرة الرسول ﷺ والصحابة الكرام وكيفية إسلامهم وانتقالهم من الضلال إلى الهداية والرشد، ونشر قصص حديثة للحدين أسلموا وكيفية دخول غير المسلمين في الإسلام، فهناك الكثير من القصص المؤثرة الدافعة للإيمان بالله تعالى.

الطيب حسين
دار الإعلام العربية



تفكيك الإلحاد

يخاصم الإلحاد العقل والمنطق، ويتنافى مع السلامة الروحية والنفسية للإنسان السوي.. وباستعراض أسسه يتبين تهافت الحجج التي يقوم عليها، لكنه يظل آفة تهدد المجتمعات، ما يدفع في الأخير إلى ضرورة تفنيد وتفكيك أسبابه المزعومة وسبل مواجهته، خصوصا في زمن طغيان المادة، وتراجع القيم.. وهذا ما نتعرض له من خلال عدد من المتخصصين عبر الصفحات التالية.

بداية، يوضح المهندس فاضل سليمان، مدير مؤسسة جسور للتعريف بالإسلام، أن الإلحاد لغة يعني الانحراف، مشيرا إلى أن معظم ما نراه حولنا ليس إنكارا لوجود الخالق وإنما هو كراهية للإله، حتى إن القرآن الكريم عندما تكلم، تكلم عمن يكرهون الله: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (الزخرف:٧٨)، مضيفا أنه إذا تمعنا في مواقف هؤلاء فسنجد أن لديهم مشكلة مع صفات الله وليس مع الله نفسه.

الأسباب وسبل المواجهة

وأوضح سليمان أنه على سبيل المثال هم يتساءلون كيف يوجد كل هذا الشر في الدنيا ولا يتدخل الله لإنهائه؟ لكنهم لا يصرحون بأنهم يكرهون الإله وإنما يصرحون بأنهم ينكرون وجوده، لأنه لا أحد يحب أن يوصف بأنه كاره، لذا هم يقولون بالإنكار لا الكره، مع أنهم كارهون في الحقيقة.

وذكر أن الإلحاد اضطراب عقلي له أسباب مختلفة، حتى إنها تختلف من دولة لأخرى، لكن هناك ٣ أبواب رئيسية تتفرع منها هذه الأسباب، وهي نفسية مثل الصدمات، وفلسفية عقائدية والتي تتجلى في وجود أسئلة مثل: لماذا كل هذا الشر في العالم؟ وأخيرا تربوية.

وعن مواجهة الإلحاد، أكد أن منها التربية منذ الصغر على منهج أو أفكار معينة، أو مبادئ منضبطة، تجعل هذا الشخص عندما يكبر ويتعرض لأسباب الإلحاد لا يقع فيه، بتقديم المفاهيم العقلية والدينية المراد توصيلها له في مرحلة مبكرة من عمره عبر تبني وسائل فاعلة، وأيضا بتجنب بعض الأخطاء التي تؤدي إلى الإلحاد، مثل تنشئة الإنسان المعصوم من الخطأ، وممارسة الكذب على الأطفال بهدف التحفيز على أداء أعمال محمودة، كالتصريح له بأنه سيعيش بلا مشاكل حال حفظ القرآن، أو حال التزامه بالصلاة، ثم يحدث

أن يواجه مشاكل في حياته لاحقا، فيجد أن هذه الأعمال الصالحة التي عملها لا تخفي المشاكل من حياته رغم أنه عمل ما عليه، فيرى أن الصلاة والقرآن لا يعملان، لذا من المهم أن تكون التنشئة بأنه لا توجد حياة خالية من المشاكل.

وقال سليمان إن من أسباب الإلحاد أيضا التعلق بالمدرس الملحد، وكذلك فقدان الأب أو فساد العلاقة به، وهنا يجب أن يكون هناك أب بديل يقوم بدور الأب.

وأضاف أن من الأسباب كذلك الدعاية السلبية للإسلام، مثل أنه ظلم المرأة أو ظلم الشواذ جنسيا، لأنه لا أحد يحب أن يكون جزءا من منظومة ظالمة، موضحا أنه يجب هنا تصحيح المفاهيم لهؤلاء، وبيان قدر المرأة في الإسلام، ولماذا يحارب الشذوذ الجنسي باعتباره مدمرا للمجتمعات، لكن لا ينسب الظلم أبدا للإسلام الذي جاء لإزاحة الظلم.

وكشف أن من أسباب الإلحاد أيضا الافتتان بالعلم التجريبي، إذ يجعل هذا بعض الناس يظنون أن هناك تضاربا بين الدين والعلم، وأنه يجب من أجل تصديق أي شيء أن تتم تجربته العملية، وهنا يجب تصحيح هذه المفاهيم، كذلك التأكيد على أن الدين لا يناقض العلم، بل نحن عندما كنا متمسكين بديننا كنا سادة الدنيا كلها، وعندما تركناه تخلفنا.

وذكر سليمان أن هناك مسألة أخرى مهمة تسببت في وجود الإلحاد، وهو أن منتجات الحضارة الغربية اختزلت الإنسان في ثالوث الإنتاج والاستهلاك وإرضاء

فاضل سليمان: ٣ أبواب رئيسية للإلحاد.. نفسية وفلسفية وتربوية

الشهوات، موضحا أن هذه الطبيعة الاختزالية أدت إلى عدم وجود مكان للروحانيات، مشددا على أنه يلزم هنا إعادة تصحيح المفاهيم، والإجابة على الأسئلة الفلسفية والوجودية بشكل صحيح، لأن الحضارة المادية هي منتج للعقل المادي، فلا تعطي أي اعتبار للأخلاق، فالمسألة عندها مصالح وليست أخلاقا، والإجابات على الأسئلة الوجودية من أنا؟ لماذا أنا هنا؟ ما هي الأدوات التي أمتلكها؟ ما هي مهمتي في الدنيا؟ ماذا أتوقع بعد ذلك؟ كلها إجابات مادية.

وتابع مدير مؤسسة جسور للتعريف بالإسلام، أن الحضارة المادية لا تملك إجابات على هذه الأسئلة، الدين فقط هو الذي يمتلك الإجابة.

وقال إن من الأسباب كذلك اختلال صورة رجل الدين، لافتا إلى أنه من المهم هنا تعليم الشخص أن الرسول ﷺ هو القدوة، ورجل الدين نسأله في الدين، لكن قدوتنا هو الرسول ﷺ.

وأضاف سليمان أنه مما يطرح مستندا على الأسباب الفلسفية، سؤال البعض: لماذا لم يخلق الله الناس كلهم ويجعلهم لا يخطئون؟ موضحا أن خلق الناس على هذا النحو ينزع قيمة الاختيار والحرية

من الإنسان، ويجعله مثل الحمار المطيع النافع، فما الفرق إذن بين الحمار والإنسان؟

وأكد أنه لمواجهة كل هذا، يلزم التنشئة على الوعي الديني، وترسيخ حتمية وجود خالق للكون، ولماذا الإسلام هو الدين الصحيح، وتحبيب الناس في الله سبحانه وتعالى، وتعريف الأطفال بمداخل الشيطان ووسائله، وبالفرق بين كلام الله وكلام الشيطان، مشددا على أن المواجهة يجب أن تبدأ مبكرا جدا.

الإنسانوية!

بدوره، قال الباحث عمرو عبدالعزيز إنه لا ريب أن القارئ إن كان متابعا للأحداث الكبرى المتنوعة في عالمنا العربي والإسلامي، قد مرت به خلال الأشهر الماضية العديد من جدالات كحكم الله في من مات على غير دين الإسلام إن كان صاحب عمل إنساني نبيل، ووجوب تجديد الفقه وتغيير القوانين لملاءمة عصر تمكين المرأة، وضرورة التسامح مع الآخر والاختلاف الإنساني بقبول آرائه المعادية للدين، أو توجهاته الجنسية المخالفة للطبيعة، مقابل نذر لا يذكر من أحاديث تجحد وجود الله جهرا، وهذا النذر محصور في مجالس خاصة، لا كالخطابات الأولى، الشائعة بين العامة والخاصة.

وذكر: «لا أظن الإلحاد الصريح، أي تكذيب وجود خالق للكون، أقرب للمسلمين المعاصرين وألصق بدقائق حياتهم، من سبل الإلحاد ومنتوجاته التي هي أفدح من التكذيب الفاجر وأخفى دسا: مثل الإنسانوية، أي تحكيم أهواء

الإنسان المادية والمعنوية معيارا للحق والباطل، وتقديم حق العبد على حق الرب العدل، وتفضيل ولاية الإنسان حسن أم خبث على ولاية خالقه الولي الناصر، والنسبوية، أي تكذيب كل حق بالمشاغبة واختيار ضلال التيه بدلا من هدى الاستقامة، والنسوية، أي اتخاذ تخبيب النساء على أوليائهن دينا، وتذكيرهن وتأنيث الرجال مذهبا، واللوطية، أي الائتمام بقوم لوط نقيبا، ومزاحمتهم في الفحش عملا ونظرا».

وأكمل: «يحلق خطر آخر بالمسلمين، هو مفتاح إيلاج كل ما سبق في قلوب أولادنا، ألا وهو الانفصال بين الأجيال، حتى وجد الأب الثلاثيني الذي يلقى عنتا في توجيه ابنه المراهق! لم يعد الكثير من أسس بناء أجيالنا، والأجيال السابقة علينا نافعا للتعامل مع الأجيال الحديثة، إذ اختلفت الدنيا اختلافا عظيما، وصرنا إما لا نفهم تعقيد الخطر، أو لا ندرك الثقوب المستحدثة في جدران منازلنا».

وتابع الباحث: «ولنأخذ يسر الوصول إلى المواد الإباحية مثلا: إذ كان الوصول إليها في العقد الأول من الألفية متعذرا لأسباب عدة، إذ كان يلزم الاشتراك في مواقع بثها بمقدار مالي متجدد، ولم يكن المال قديما بذات الانتشار بين أيدي المراهقين في صورة الفيزا العابرة للحدود، لصعوبة تحويل الأموال قديما من بلد إلى آخر، ثم إنك حتى إن اجتزت كل تلك العوائق، فالمادة الإباحية عمادها عرض العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة».

د. سامية: الإنسان عقل وروح فتجب إعادة النظر في طغيان المادة على الجانب الروحاني

وأكمل: «أما في الأجيال الحديثة، فالإباحية متاحة مجانا، وبأنواع شاذة قبيحة، وتيسر الوصول إليها لضعف رقابة الأهل عامة، واعتماد كثير من الأمهات على إلهاء أولادهن منذ الرضاعة بالهواتف، وعدم قبولهن إلغاء الإنترنت من المنزل أو تقييده، إضافة لاعتقاد الكثير منهن أن الأولاد والفتيات لن يفكروا في المواقع الإباحية، ولن يعرفوها، حتى إن بعض الأهل يظنون أن الحال كما كان في الماضي: مواقع إباحية صعبة المنال، تعرض مادة أفحش شذوذها محصور في الأفعال، لا في أطراف العلاقة!».

وأضاف: «لابد من أن يستفيق الأهل، ويطلعوا على مستحدثات مسالك الشيطان، وأن يبذلوا جهدا عظيما لحماية أولادهم من السيل المنهمر، والفتن الجسيمة. وأول الجهد بعد فقه الشرع والعلم بالمستحدثات، هو حسن التعامل مع الأبناء، بلا إفراط التقاليد القديمة المخالفة للشرع، كالقائلين بوجوب البغي وعدم المصاحبة، ولا تفريط مناهج التربية الغربية، التي تدلل الطفل حتى تجعله وثنا يعبد. لابد من مزيج الحزم والمصاحبة، ولا أحسن من المنهاج النبوي في تربية الأبناء، ومصادره الشرع والفقه. فهذا دور الأسرة».

وأكمل الباحث: «أما أصحاب النفوذ الشرعي أو الفكري أو السياسي، ألباء أمتنا، فواجب عليهم التعمق في معرفة تلك المذاهب الخبيثة، حتى لا نجد شيخا فقيها، أو سياسيا مسلما، يخرج على الناس بدعاوى الإنسانوية باسم الإنسانية، وفتاوى النسوية باسم حقوق المرأة، وضلالات الجندرية باسم التنوع والاختلاف. يجب أن يتزودوا بسلاح المعرفة أولا، ثم يتخذوا قرارا بمواجهة تلك الأفكار الضالة بلا إبطاء وتململ، فالهيمنة الثقافية الغربية تواجه تحديات متنوعة، أولها وأخطرها من الداخل الغربي نفسه، وتلك فرصة للعالم كله، نحن كمسلمين أولى بها من غيرنا، بدلا من أن يتصدر مجابهة تلك المذاهب الخبيثة كل من اليمينيين الأميركيين، أو الوثنيين الصينيين، أو الصليبيين الروس. إن الحق الذي معنا بهذا الدين أقدر من مجموع أفكار البشر أجمعين، وهذه نهزة إن لم نصبها ونتخذها سلما لاعتلاء منبر الهيمنة الثقافية، وصدارة المدافعين عن الفطر والدين في هذا الزمان، حتى يصبح الإسلام صراحة منار الهدى الإنساني، فلا نلومن إلا أنفسنا!».

وختم بقوله: «علو الإسلام في زماننا هذا ضرورة إنسانية عامة، لا مشروع إصلاح داخلي خاص».

غياب الوعي الديني

في هذا السياق، قال الدكتور عبدالمنعم فؤاد أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، إن غياب الوعي الديني في المجتمع، يعد سببا أساسيا للإلحاد، فثقافة قال

اللّه وقال الرسول، وثقافة الصواب والخطأ، وثقافة الحلال والحرام، كلها ثقافات بدأت تبتعد الآن عن الساحة، لكن لو نحن حافظنا على هويتنا الإسلامية ووعينا الشباب، وضمنا مناهجنا مفاهيمنا الدينية لما وقع الشباب في براثن الإلحاد، كما أن هناك أسبابا أسرية منها غياب الأب عن التوجيه الأسري، وغياب الأم كذلك، رغم أن الأسرة مسؤولة، أضف إلى ذلك الإعلام حينما يظهر بعض الملحدين على منصاته، ويتيح لهم طرح أفكار تقع في عقول الشباب الذين ليس عندهم وعي ديني، فقد يتأثرون بذلك، فالإعلام والأسرة والمدرسة والمناهج الدراسية كلها تعد عوامل أساسية من عوامل الإلحاد.

وأكمل أن الذي يقوم بالوعي هو الإعلام وعلماء الدين والأساتذة في المدارس والجامعات، مع وضع مناهج محصنة لأبنائنا من الأفكار الضالة والمنحرفة، فالجميع يشترك في هذه المنظومة للحفاظ على عقول أبنائنا من الإلحاد، وهناك أمر آخر مهم وهو القدوة، خصوصا مع شيوع النماذج المتقدمة في الغرب على الصعيد العلمي وعلى أكثر من صعيد، ما يحدو بالبعض للاقتداء بهم، والقدوة أمر حرص عليه الإسلام، حيث يقول اللّه تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ (الأحزاب:٢١)، والرسول وجهنا كل التوجيهات السليمة، لدرجة دعا إلى العلم وإلى التعلم والبحث، وإلى حسن الأدب والحوار، بل دعانا إلى عدم

عبدالمنعم فؤاد: الإعلام والأسرة والمدرسة والمناهج أهم العوامل

ترك نصيبنا في الرياضة، فالمشكلة في المسلمين عدم إظهار قدواتهم، فالعالم الإسلامي أثبت تاريخيا أن له قدوات فإن كان هناك تقدم في الغرب فإنه تقدم على حسابنا نحن وعلى ما كنا عليه، علماء المسلمين أثبتوا أن الحضارة الإسلامية لها اليد الطولى في انتشار العلم وفي التقدم في أوروبا وفي عصر التنوير، وما جرى في الأندلس وفتح الجامعات الإسلامية هناك يؤكد ذلك، لدرجة أن الغرب كان يأتي بأبنائه كي يتعلموا في مدارس المسلمين وفي معاهد المسلمين، القدوات التي نفخر بها من أمثال ابن سينا والفارابي وابن الهيثم، وأول من فكر في علم الطيران كان عباس بن فرناس، أكبر المجلدات الإسلامية موجودة في مكتبات الغرب حتى في العصر الحديث، تراثنا فيه القدوة وفيه الأسوة وفيه الخير كله بعلومنا وبعلمائنا.

وذكر فؤاد أن أول آية نزلت في القرآن كانت آية اقرأ، والقراءة تعني البحث والاطلاع والنظر، والنبي ﷺ تلا علينا قول اللّه في أكثر من آية: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (الزمر:٩)، وقال ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (العنكبوت:٢٠)، فلا تقدم لأمة الإسلام إلا بالعلم: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ (المجادلة:١١).

تربية ومتابعة

بدورها، قالت الدكتورة سامية خضر صالح، أستاذة علم الاجتماع بكلية التربية جامعة عين شمس، إن هناك عدة عوامل مرتبطة بشكل وثيق بالإلحاد، منها الأسرة والتربية والتعليم، وأيضا الأصدقاء الذين يعدون أحد العوامل المهمة جدا في هذا الصدد، حيث تبتدئ تتسرب المفاهيم المضادة للإيمان، وهنا يجب على كل ضلع ممارسة دور معين في التصدي لهذا الأمر، بدءا من الأسرة بمتابعة أحوال أبنائها وما يتعرضون له، والموضوعات التي تشغلهم، مرورا بالجهات التعليمية التي يجب أن تضع ضمن خططها التصدي لما يهدد الطلاب والتلاميذ، نهاية بالحكومة بمنع المحتويات الوافدة مثل الأعمال الفنية التي لا تتفق مع الدين والتي تعارض الإيمان.

وأضافت خضر أن طغيان الحضارة الغربية في جوانب كثيرة من حياتنا يجعل مفاهيم المادة وإنكار الخالق تتسرب للنشء أو للذين لا يمتلكون ما يدافعون به عن هذا المد الجارف من الأفكار والمفاهيم، وهنا يجب ربط العلم بالإيمان، مؤكدة أن العالم بحاجة إلى إعادة النظر في طغيان المادة على الجانب الروحاني، لأن الإنسان عقل وروح.



محمد عبدالعليم
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

الإلحاد.. أسبابه.. سبل مجابهته

قضية شائكة تتعلق بأصل الاعتقاد والفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، ألا وهي قضية الإلحاد وإنكار الألوهية، وقد بدأت هذه الظاهرة في الظهور في أوائل القرن الثامن عشر فيما عرف بعصر التنوير مع انتشار الفكر الحر والشكوكي، حيث مال أصحاب هذا الفكر لتسمية أنفسهم بالملحدين، كما عرف هذا العصر بعصر التنوير، وشهدت الثورة الفرنسية أول حركة سياسية كبرى في التاريخ للدفاع عن حرية وسيادة العقل البشري، فضلا عن تيار من الإلحاد لم يسبق له مثيل كما يرى كثير من الملحدين أن الإلحاد نظرة أكثر صحة من الألوهية، وبالتالي فإن عبء الإثبات لا يقع على عاتق الملحد لدحض وجود الله بل على المؤمن بالله لتقديم مبررات للإيمان به، حسب قولهم[1].

أما عن أسباب الإلحاد فهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- الأهواء البشرية والشهوات مثل الشهوة الجنسية وشهوة المال وحب الظهور، والعجب أن هذا ما يجد فيه الملحد بغيته وهدفه فيجني المال والشهرة ويستهوي من النساء ما يوافق هواه بمبدأ خالف تعرف.

٢- الاغترار بنعم الله تعالى عليهم والتي ما كانت إلا ليستدرجهم الله تعالى بها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف:١٨٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف:١٨٧)، الله الذي يعطيه لهم فقد مكنهم الله تعالى من بعض الاكتشافات العلمية ففسروها على أنها نتاج بحثهم وبعدهم عن فكرة الألوهية.

٣- انبهار أبناء الأمة الإسلامية والعربية بالحضارة الغربية الحديثة، حيث ينبهر الشباب المسلم بما وصلت إليه الحضارة الغربية الحديثة من المخترعات والاكتشافات العلمية والتكنولوجية الحديثة وأصحابها، فينساقون خلف أفكارهم غير باحثين عن أصل هذا أو تأصيله في الشريعة، خصوصا أن المغلوب يقلد الغالب وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن»[2].

٤- الخلل النفسي المتمثل في العجز عن الملاءمة بين ممارسة التدين في مراتبه العالية والتعامل مع مخرجات الحضارة المادية الشهوانية

المعاصرة، وبسبب عدم فهم مراتب الأعمال وما يتيحه الإسلام من إمكانات للتعامل مع ضعف النفس البشرية، فإن الكثيرين يختارون التضحية بالتدين عبر رفض المنظومة الدينية بأكملها، لتسلم لهم تلبية الشهوات المتاحة بيسر كبير في هذا العصر.

٥- عجز وقصور الخطاب الديني، فالقصور في نظام الوعظ والدعوة، وعجز التيار المتدين عن الاحتضان الروحي العملي للشباب، والاكتفاء -في أحيان كثيرة- بدروس علمية جافة أو مواعظ ينقصها التجديد والإبداع، وجمود الدرس العقدي، تكرار نفس الموضوعات دون قدرة على تجديد نفسه ليواكب المستجدات العقدية المتسارعة، والشبهات الإلحادية التي تتساقط على رؤوس شبابنا، دون أن تكون لهم حيلة في دفعها.

ولن نسهب في الحديث عن هذه الفكرة، إلا أننا سنعرض بعض الوسائل لمجابهتها محاولة لحماية الشباب المسلم والعربي من مثل تلك الأفكار الهدامة، وإن من أهم هذه الوسائل التي نستعين بها:

١ - اليقين بالله، وهو من قواعد اليقين في وجود الله تعالى، وفهم هذا الدليل وإدراك أبعاده وآثاره النفسية يساعد المؤمنين على مواجهة شبهات الإلحاد، وإليكم شيء من البيان العلمي حول هذا الدليل، ونبدأ الكلام بموقف تاريخي حكي عن الإمام الرازي؛ حيث سار يوما وخلفه جموع من تلامذته ومريديه، فلقيتهم عجوز في الطريق، وسألت من هذا؟ قالوا لها: أما عرفته؟ هذا الذي أقام ألف دليل على وجود الله تعالى، فقالت: لو لم يكن في قلبه ألف شك ما احتاج لألف دليل، فلما بلغته (الرازي) كلمتها، قال: اللهم إيمانا كإيمان العجائز[٣]. وقد أورد ابن حجر في كتابه «لسان الميزان» كلمة وهو بصدد ذكر مناقب الرازي أنه قال: «من التزم دين العجائز فهو الفائز»[٤]، والإيمان المقصود هنا هو الإيمان بالفطرة الذي لا يعرف الشك ولم تتسلل إليه الشبهات، وذلك لأن الله تعالى حين خلق الخلق وأخذ من ظهورهم ذريتهم أشهدهم له بالربوبية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف:١٧٢)، وفي تفسير هذا أن الله يقول للنبي ﷺ واذكر -أيها النبي- إذ استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم، وقررهم بتوحيده بما أودعه في فطرهم من أنه ربهم وخالقهم ومليكهم، فأقروا له بذلك، خشية أن ينكروا يوم القيامة، فلا يقروا بشيء فيه، ويزعموا أن حجة الله ما قامت عليهم، ولا عندهم علم بها، بل كانوا عنها غافلين.

٢- فتح الباب لدراسة التوحيد، خصوصا توحيد الألوهية ومعرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله ومعرفة صفات الله تعالى وأسمائه، علم الذات والصفات، نحتاج أن نفرد مساحات لفقه التوحيد وأسماء الله وصفاته وأفعاله وعلاقته بقلوبنا وسلوكنا والأثر الواقعي المرجو من دراسة مسائل التوحيد والإيمان، إلى جانب الإجابات التي يقدمها القرآن للأسئلة الكبرى حول الإنسان والوجود والحياة، وذلك على حساب مساحات هائلة بذلناها في مسائل كلامية جدلية غير مرتبطة بالواقع ولا تقدم ولا تؤخر، كما أن دراسة هذا العلم على وجه الخصوص تعرف الدارس كيف يفكر في الذات الإلهية وتعلمه أن العقل البشري قاصر عن فهم أفعال الله وتحدد له سقف التفكير وأنه عند بلوغ هذا السقف يكون الإيمان، وفي هذا الصدد على الحكومات أن تفتح المراكز الدينية أمام الشباب ليتعلموا هذه العلوم حتى وإن لم يتعلموا دقائق هذا العلم فيجب تعلم المسائل المجملة دون التطرق إلى المسائل الفرعية والأخلاقية التي تشتت العقل والفكر بل وخلق جو عام مهيأ لاستقبال هذه الفكرة فيستغلها المروجون لبث سمومهم في العقول.

٣- دور المدارس والتعليم، حيث تبين المناهج القدوة الحسنة التي يجب الاقتداء بها وتوضح وترسخ للدين والعقيدة الصحيحة حتى يشب الأطفال على أساس صحيح لا يقبل الأفكار الهدامة، فعلى قدر ما يزرع في الصغر يكون الثبات في الكبر مع الأخذ في الاعتبار أن الإلحاد ليس مشكلة ديانة بعينها ولا يهدم أسس دين واحد، ولكنه خطر يداهم كل الديانات السماوية، ولذلك وجب التكاتف والتعاون لمواجهة هذا الخطر.

ومن الدراسات التي تشكلت لمواجهة الإلحاد الدراسة التي هدفت إلى تعريف دور معلمي التربية الإسلامية في تحصين طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة من الإلحاد من وجهة نظر المشرفين التربويين، ومديري المدارس، والطلاب، والكشف عما إذا كانت هناك فروق بين متوسطات استجابات أفراد عينة

الدراسة حول دور معلمي التربية الإسلامية في تحصين طلاب المرحلة الثانوية من الإلحاد تعزى لاختلاف فئات عينة الدراسة. لتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي، وتمثلت الأداة في استبانة تضمنت ٣٤ دورا لتحصين الطلاب من الإلحاد، عممت على كامل مجتمع الدراسة من المشرفين التربويين، مديري المدارس، وطلاب المرحلة الثانوية. ولتحليل بيانات الدراسة تم استخدام التكرارات، والنسب المئوية، والمتوسطات النسبية لتحديد دور معلم التربية الإسلامية في تحصين الطلاب من الإلحاد، واختبار تحليل التباين الأحادي للتعرف على مدى وجود فروق في الاستجابات تعزى لمتغير فئات العينة. وتوصلت الدراسة إلى أن دور معلمي التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية في تحصين الطلاب من الإلحاد من وجهة نظر المشرفين التربويين كان متوسطا، ومن وجهة نظر مديري المدارس كان متوسطا، بينما كان من وجهة نظر الطلاب كبيرا، ولم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة تعزى لمتغير الفئة. وبناء على نتائج الدراسة كان من أبرز توصياتها تفعيل أدوار معلمي التربية الإسلامية في تحصين الطلاب من الإلحاد التي ظهرت بدرجة متوسطة من خلال مناشط مختلفة كالندوات، والقراءات التوعوية، والدورات التدريبية. ومن مقترحات الدراسة إجراء دراسة عن الاحتياجات التدريبية لمعلمي التربية الإسلامية في مجال تحصين الطلاب من الأفكار والشبهات الالحادية[٥].

وفي هذا الصدد، كشف وزير التربية والتعليم السابق بالكويت محمد الفارس أن مناهج التربية الإسلامية تبدأ بمجال العقيدة، وفيها جميع ما يتعلق بعقيدة المسلم، والدفاع عنها، والرد على الشبهات والأفكار المنحرفة عقلا ونقلا، كالإلحاد والتطرف، وهما طرفا النقيض، وعقيدتنا السمحة هي الوسط بينهما، فلا غلو ولا جفاء. وبين الفارس أن الوزارة لم تسجل أي حالة اضطراب هوية عقائدية (الإلحاد) في أي مدارس التعليم العام، وفي حال ظهور أي بادرة بوجود ذلك الفكر فإن الوزارة لن تتأنى في التعاون والتنسيق مع الوزارات الأخرى، وبالخصوص وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بوأد ذلك الفكر والقضاء عليه. وبين الفارس أن لدى الوزارة برنامج تعزيز القيم الخاص لطلبتها ومعلميها، وهو برنامج يعنى ببيان القيم الإسلامية والعادات الكريمة وتعزيزها عن طريق برامج إذاعية مدرسية مبرمجة ومحاضرات توعوية للمتعلمين والمتعلمات[٦].

٤- دور الأسرة في مواجهة الإلحاد.



وبما أن الأسرة هي نواة المجتمع وحصن أفراده الأول، فهي ليست بمنأى عن الأخطار التي تهدد حياة المجتمع والتي من أخطرها الفكر الإلحادي، فكلما زادت التحديات زادت المسؤوليات فتتحمل الأسرة مسؤوليتها فتقوم بالدور الوقائي بدلا من أن تنتظر وقوع المشكلة عملا بقول المولى عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦).

ومن الوقاية، وقاية العقل؛ لأنه أساس ومناط التكليف الشرعي، ومن هذه الطرق تربية الطفل على الإسلام الوسطي السمح، وتعد الوسطية في كل الأمور أهم مزايا المنهج الإسلامي وتوجيه طاقات الأمة لتحقق التوازن بين الفرد والجماعة، وبين الدين والدنيا وبين العقل والقوة وبين المثالية والواقعية وبين الروحانية والمادية وغيرها، إن من أهداف التربية: إيجاد الفرد الصالح، وإن جنوح الفرد يمينا أو يسارا بالغلو والتطرف، أو اللامبالاة والتهاون، لهو مؤشر خطير يوجب صحوة كل من يضطلع بمسؤولية التربية بالمجتمع لبحث أسباب هذا التطرف وسبل علاجه للجيل الحاضر، وإعداد العدة لوقاية الجيل الجديد من استفحال تلك الظواهر فيه من الأسرة خط الدفاع الوقائي الأول في حماية النشء من الانحرافات العقدية الفكرية المعاصرة، وتشتركان في بيان دور الأسرة التربوي ومدى تأثيره في سلامة معتقد الأبناء. وتتميز الدراسة الحالية بإبراز الدور الوقائي للأسرة المسلمة من خلال

توجيهات الكتاب والسنة، وتحويله إلى استراتيجيات وقائية تربوية عملية تساعد الأسرة في حماية عقيدة الطفل من فكر الإلحاد وما شابهها من أفكار تؤثر على سلامة فطرته ومعتقده وفي إبراز دور الأسرة وأهميته في هذا الباب نذكر الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما ينتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها»، ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (الروم:٣٠)[٧].

٥- دعم الخطاب الديني وأسلوبه ومرتكزاته: وذلك بإنتاج خطاب ديني برهاني يعتمد على ترسيخ عقيدة الربوبية، وإظهار نعم الله على خلقه، كما ينبغي أن يعتمد منتجا علميا مؤسسيا أكاديميا، بحيث ينتقل من التلقي المعرفي إلى الإنتاج، وذلك لدعم رؤيتنا في نقد ما نراه داعيا للإلحاد، ولا نغفل في هذا السياق عن التذكير بضرورة قراءة الفلسفة المعاصرة وفهم سياقات الاستدلال الإلحادي والإيماني، للخلوص إلى أسلوب الفريقين، وفي إطار تجديد الخطاب الديني قام الأزهر الشريف بإنشاء «مرصد الأزهر» في عام ٢٠١٥م، ويتكون المرصد من ١٢ وحدة، تعمل بـ ١٢ لغة هي «العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية، الألمانية، الصينية، التركية، اللغات الإفريقية، الإيطالية، الأوردية، الفارسية، العبرية». ويعمل بهذه الوحدات حوالي ٨٠ باحثا وباحثة من خريجي أقسام اللغات الأجنبية في جامعة الأزهر، وقد تم إنشاء المرصد للقيام بمجموعة من الأهداف على رأسها: رصد الفكر المتطرف وتفنيده وبيان فساده، وسد جميع النوافذ التي تتسلل من خلالها التنظيمات المتطرفة والجماعات الإرهابية إلى عقول الشباب[٨].

جهود بعض الدول في مواجهة مشكلة الإلحاد

تقوم بعض الدول بالاطلاع بمسؤوليتها الكبيرة في مجابهة الإلحاد الذي لا يقل ضررا وفتكا بالمجتمع من الإرهاب، فكما يفتك الإرهاب بالأرواح يفتك الإلحاد بالعقول، فكان لزاما على أولي الأمر سن وتشريع القوانين التي تجرم الإلحاد وازدراء الأديان، وفي هذا السياق قامت اللجنة الدينية في مجلس النواب المصري سنة ٢٠١٨ بوضع مشروع قانون لتجريم الإلحاد وحصلت على توقيع ٥٧ نائبا، وإن هذا القانون سيكون الغرض منه الردع لكل من ينكر الأديان. وحول تعارض مشروع القانون المقترح مع مبدأ حرية الاعتقاد الذي نص عليه الدستور، أوضح المجلس أنه لا تعارض بينهما، والإشكالية هناك تحديات تواجه الدولة المصرية منها التطرف وأيضا التسيب، وتواجه الدولة التطرف بكل حسم وحزم، أما الجانب الآخر الأشد خطرا فهو الإلحاد الممول، وهو جزء من مخطط خارجي، استغلالا للظروف الاقتصادية، وتحارب به الدولة المصرية لإفساد فكر الشباب وإبعادهم عن الأخلاق والتدين، فكان لابد من مواجهة الظاهرة، بكل الطرق القانونية، لأن المستهدف هنا هم الشباب القوة الضاربة للدولة والمجتمع ككل، كما أنه لا تعارض بين مشروع القانون وما تقدم به الأزهر من مشروع قانون مماثل حول ازدراء الأديان، فالازدراء يقر بالدين ولكن يقاوم رموزه، ولذا عقوبتها موجودة بالفعل، أما ظاهرة الإلحاد فهي إنكار للدين أو الإله أو هما معا، وهي ليست خاصة بدين دون سواه، وإنما تشمل جميع الأديان.

وختاما، نخشى على مسلمين لم يبق لهم إلا بقايا إسلام أصابه الوهن وتراكمت عليه الفتن ولا نخشى على الإسلام، والذي قال عنه الشيخ بكر أبو زيد في كتابه حراسة الفضيلة «اعلم -ثبت الله قلبك- أن الإسلام لا يموت لكنه يمر بفترات تمحيص ينجو فيها أهل الصدق ويسقط فيها مرضى القلوب في أوحال الانتكاسة. واعلم أن شريعة السماء تسير غير آبهة بأسماء المتخاذلين تسقط أسماء وتعلوا أسماء قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ (محمد:٣٨)، وها نحن نرى بأم أعيننا علمانيين ومشركين ولا دينيين يفرون للإسلام ويأخذون الكتاب بقوة وإن كانوا بلسان غير عربي».

الهوامش

١- موقع ويكيبيديا.
٢- صحيح البخاري، ٣٤٥٦.
٣- مقال للدكتور أحمد زايد، مجلة المحجة، عدد ٤٦٩.
٤- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، ٣١٩/٦.
٥- دكتور عوض علي بن يحيى، مجلة كلية التربية، أسيوط، ٣٨/٠٣/٧٤/١٢٣/٢٠٢٢
٦- مجلة الكويت تايمز، مقال مناهج التربية تحارب الفكر الإلحادي.
٧- صحيح البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨، وابن حبان ١٢٩.
٨- موقع اليوم السابع



د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف

القرآن الكريم في مواجهة الإلحاد

سأل الأصمعي أعرابيا: بم عرفت ربك؟ فقال البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، ألا تدل على اللطيف الخبير[1].

كلمة خرجت من الفطرة السليمة تدل على أثر النظر الصحيح للكون في إثبات وجود الله تعالى وقدرته المطلقة.

لكن صوت الفطرة يغيب أحيانا فتنتكس من الإيمان إلى الإلحاد

ونحاول في هذه السطور أن نطلع على منهج القرآن الكريم في بناء اليقين، ذلك أن أدلة القرآن واضحة، صريحة، حاسمة. تأتي بالحجة الضخمة، في العبارة القصيرة، التي يفهمها العامي، وتمتلئ نفس العالم، الذي يدرك مغزاها، إعجابا منها، وعجبا من قوتها ودقتها ووضوحها، وكلاهما (العامي والعالم) لا يملك الا أن يقول: صحيح!

نبهنا الحق سبحانه وتعالى إلى أن الدليل على وجوده سبحانه قائم في أنفسنا فقال جل جلاله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١)، فنحن نشعر -من أعماق قلوبنا- بأنه سبحانه وتعالى موجود، نلجأ إليه في الشدائد والملمات، بفطرتنا المؤمنة، بغريزة التدين فينا، ونرى الأدلة عليه فينا، وفي العالم من حولنا، فالعقل الباطن يؤمن بوجوده سبحانه بالحدس، والعقل الواعي يؤمن بوجوده بالدليل.

فكيف لعمري يجحد الجاحدون ربهم

تبارك اسمه، والجاحد هو الدليل على وجوده سبحانه وتعالى؟!(٢)، فإذا كان الجاحد لا يدعي أنه أوجد نفسه ولا أوجده أحد من الخلق فمن أوجده غير رب الأرض والسماوات؟!

ويعتمد بناء اليقين على النظر والحث على التفكر، والدعوة إلى النظر والتفكر في الملكوت تجدها مبثوثة في آيات القرآن الكريم ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية:١٧-٢٠)، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ (ق:٦-١١)، ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:٢٠)، ولاشك في أن أنظار الغافلين لا توصلهم لشيء من العلم والحكمة، فهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩)، النظرة التي تعود على صاحبها باليقين هي نظرة أولي الأبصار الذين أمرهم الله تعالى بالاعتبار: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (الحشر:٢).

وسنة الله تعالى مع أنبيائه بناء اليقين من خلال إطلاعهم على الملك والملكوت ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام:٧٥)، أطلع الله تعالى خليله إبراهيم، عليه السلام، على العجائب والآيات الدالة على قدرة الحق سبحانه وعظمته، وهذه الدلائل تراها في كل ما حولك وأينما نظرت كما قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

وعندما يرسخ اليقين في قلب الخليل عليه السلام ينتقل منه إلى قلوب من يدعوهم إلى الله تعالى ويتمكن من إقامة الحجة على الجاحدين لوجود الله وقد ذكر الله تعالى مثالا لذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨)، من خلال تأمل الخليل في الكون ومعرفته بربه سبحانه وتعالى طلب من هذا المتمرد على ربه سبحانه المدعي كبرا وبطرا ما لا يقدر عليه طلب منه الخليل أن يأتي بالشمس من المغرب بهذه الجملة القليلة الكلمات بهت الذي كفر وانتصر اليقين على الكبر والإلحاد.

وفي آيات الكتاب العزيز ما يخاطب العقول البريئة من الهوى ويبني اليقين في النفوس من مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ (النبأ:٦-١٦).

يمكن لكل من يعاني من وسوسات شياطين الإنس والجن أن يواجهها بالتفكر في الأرض التي هيأها الله تعالى للحياة وأقدر سبحانه الإنسان على تهيئة هذه الأرض أيضا بما أعطاه من منح ربانية استصلح بها الصحراء وردم أجزاء من البحار وأقام الجسور والأنفاق واستنبت النباتات في غير بيئتها الطبيعية كل ذلك من فضل الله تعالى عليه وليس بقوته الذاتية فكم عجز الإنسان -رغم ما وصل إليه من تقدم علمي- عن علاج مشكلات، ولنأخذ مثلا الكائنات الدقيقة كالميكروبات والفيروسات وقف أمامها حائرا يجتهد في فهم سلوكها وكيف يقضي عليها قبل أن تقضي عليه.

ولينظر إلى الجبال الضخمة التي تثبت الأرض من وضعها في مكانها ورفعها كل هذه المسافات والثنائية الموجودة في الخلق ليتعاون أفراده ويتكاملوا، وهذه السماء التي رفع الله تعالى سقفها كما قال جل جلاله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (لقمان:١٠)، هذا

السقف الضخم الشاسع المساحة لا ترى فيه من شقوق ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ (الملك:٣-٤)، وهذا السراج الذي يضيء العالم من دون أن يخبو ضوؤه يمد الكون بالضوء والحرارة من أعطاه كل هذه الطاقة لكي يقوم بدوره وكيف عمل كل هذه الملايين من السنين بلا توقف ولا تأخر عن موعد الشروق.

ولكل صاحب عقل سليم باحث عن الحقيقة هل هيأت هذه الأرض نفسها أو هيأها أحد من الخلق ثم تركها لنا من دون أن يدعي ملكيتها ويضع القانون الذي يحفظها ويحفظ من عليها، يخاطب الله تعالى أولي الأبصار فيقول سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (الحج:٥-٦)، هذه الأرض التي تراها ميتة يرسل الله سبحانه وتعالى عليها المطر فتجدها تمور بالحركة والحياة تنبت البذور وتنمو السوق والأوراق والأزهار وتخرج الثمار تسر الناظرين وتطعم المحتاجين، تأمل كيف كانت وكيف أصبحت، الفرق بين الصورتين هو الفرق بين الحياة والموت من أخرج الحياة من الموت إلا الله سبحانه وتعالى؟

وهذا الانضباط الذي تسير به حركة الكون من أعظم الأدلة على قيومية الله تعالى على الخلق ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ (يس:٣٨-٤٠)، ملايين الأجرام السماوية تسبح في الفضاء وتتحرك من دون أن يصطدم بعضها ببعض يدرك ذلك كل من تابع حركتها، من يسيرها بأمره ويحركها بقدرته ويضبط المسافات بينها إلا الله سبحانه وتعالى؟

إن الأفكار تهجم على العقل المسلم يوحي بها شياطين الإنس والجن هدفها زلزلة الإيمان داخل القلوب، وقد أشار النبي ﷺ إلى شيء من ذلك كما جاء في صحيح مسلم: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته». وعند أبي داود: «فإذا قالوا ذلك، فقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ من الشيطان»، وعند أحمد: «فليقل آمنت بالله»، ينصرف شياطين الجن بالاستعاذة أما شياطين الإنس فلا يزالون يحيطون من حولهم بشباكهم ليخرجوهم من الإيمان إلى الشك والاضطراب، ولا يزالون يمكرون مكر الليل والنهار حتى يخرجوهم إلى الكفر والعياذ بالله، يطرحون الأسئلة التي يعجز البعض عن الإجابة عليها ويحرجون في الوقت ذاته من سؤال أهل العلم لكن الله تعالى يفتح لنا آفاق المعرفة واليقين عن طريق طرح الأسئلة عندما يذكر جل جلاله سؤال الخليل عليه السلام وما دار بينه وبين الحق سبحانه من حوار: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (البقرة:٢٦٠).

كلما تقدم العلم ازدادت الأدلة على وجود الله تعالى وخلقه للكون وضوحا، والباحث عن الحقيقة بصدق وتجرد سيصل إليها، أما الذي يرى الحق واضحا ثم يكابر ويجادل بالباطل بل يغمض عينه دون النور فإنه يضر نفسه ولا يضر النور.

إن اعتماد المنهج القرآني في بناء اليقين أعظم حصن ضد الإلحاد الذي يدعي أهله كذبا وزورا أنهم تبنوا الإلحاد منهجا للحياة بعد فكر ودراسة بينما تقود الدراسة المنصفة والفكر السليم في النفس والكون إلى الإيمان بالله تعالى ربا وخالقا ومدبرا، إن التأمل في أنفسنا وفي الكون من حولنا وفي أحداث التاريخ القريب والبعيد يجعلنا نوقن بعدل الله تعالى ورحمته وحكمته في قضائه وقدره فلا نحتار في تفسير الأقدار التي لا ترضينا بعد أن نقرأ في كتاب الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦)، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (النساء:١٩)، فإذا كنا لا نعلم هل الخير فيما نحبه ونتمناه أو فيما نكرهه فكيف نعترض على قضاء الله وقدره؟

الهوامش

١- لوامع الأنوار البهية، للسفاريني الحنبلي، (١/٢٧٢).

٢- تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، بتصرف يسير.

عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية



مواجهة الفكر الإلحادي بترسيخ العقيدة الإسلامية

لا تتوقف محاولات التشكيك في الدين الإسلامي والتأثير على عقائد الناس وإخراجهم من طريق الحق والهداية الذي أنزله الله تعالى في كتابه الكريم إلى الباطل والضلال. ولا يقتصر تنفيذ هذه المحاولات على المسلمين المتواجدين في البلدان غير الإسلامية، إنما وصل الأمر إلى بلدان العالم الإسلامي، في ظل حالة الانفتاح والعولمة التي نشهدها في العصر الحالي، وتنامي استخدامات الإنترنت والتكنولوجيا الحديثة بما تحمله من وسائل سهلت عملية انتقال المعلومات والأفكار والبرامج بما فيها من أمور جيدة وسيئة.

ومن هذه السلبيات التي بدأت تنتشر بصور مختلفة وبشكل كبير بث الأفكار الإلحادية في المجتمعات الإسلامية ومحاولة التشكيك في عقائد المسلمين خصوصا في أوساط الشباب من خلال اتباع وسائل مختلفة لإشاعة هذه الأفكار وجعلها مادة للتداول والنقاش في المجالس والمنتديات باعتبارها أفكارًا يمكن القبول بها وتبادل وجهات النظر بشأنها.

ولا يخفى أن موجات الإلحاد التي بدأت تظهر في بلدان العالم الإسلامي أصبح لها مواقع تتبنى هذه الأفكار وتحاول نشرها واستقطاب الشباب إليها بوسائل وأساليب مختلفة مباشرة أو غير مباشرة من خلال طرح فكرة أو نشر معلومة أو ترويج قصة في مقطع فيديو أو برنامج معين حتى يكون صداها أكبر وتأثيرها أكثر خصوصا مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبح تأثيرها كبيرا جدا.

ومثلما أن التكنولوجيا الحديثة والإنترنت باتت إحدى الوسائل المستخدمة لنشر الإلحاد بين المسلمين فإنه يجب أيضا استخدام الوسائل نفسها لترسيخ الدين الصحيح ونشر العقيدة الإسلامية في أرجاء العالم والرد على الشبهات المثارة والتصدي لكل قول أو عمل حتى لا نجعل مجالا لتسرب هذه الشبهات والشكوك والأباطيل في أوساط الشباب المسلم.

ورغم أن فكرة إلحاد شخص مسلم نشأ في بيئة مسلمة وبين مسلمين قد تبدو صعبة نوعا ما إلا أنه كما هو معروف فإن الايمان يزيد وينقص واحتمالات تأثير الأفكار الإلحادية واردة على أي شخص، لذلك يجب علينا مواجهة الفكر الإلحادي والتصدي له بترسيخ الدين الإسلامي والعقيدة الصحيحة في نفوس وعقول المسلمين ليكون الدين الصحيح حائط صد أمام أي تأثيرات خارجية تشكك في العقيدة مهما كانت الوسائل المتبعة مقنعة ومؤثرة، فطالما كانت العقيدة الإسلامية راسخة فلن يؤثر فيها أي تشكيك وتحريف وتضليل، فطريق الحق والهداية واضح، والإلحاد هو ميل عن هذا الطريق والبعد عن الاستقامة، يقول الله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (يونس:٣٢).



د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

الإلحاد.. الخطر الهادئ

الإلحاد ذلك الخطر الهادئ الذي يتسلل وينتشر بيننا تحت مرأى وسمع الجميع، علم بذلك من علم أو جهل به من غفل، وذلك من خلال مناهجنا التعليمية ووسائلنا الإعلامية وغالبية المنابر والوسائل الثقافية، ومواقع وصفحات التواصل الاجتماعي، مستهدفا المسلم في أغلى ما يمتلك، وهو عقيدة التوحيد الخالص، بهدف كفره بها وخروجه من الإسلام الذي ارتضاه الله لنا دينا قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة:٣)، هذه أكبر نعم الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه. ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (الأنعام:١١٥).

حرب على الإسلام

الإلحاد هو وسيلة من وسائل الحرب الدائرة ضد الإسلام وأهله منذ بعثة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة:٢١٧).

وهذا الإلحاد أسسه ويرعاه اليهود ومن تبعهم من ملل الكفر من النصارى والمشركين والوثنيين، فمنذ أن بعث الله نبيه ﷺ واليهود يناصبونه العداء حسدا وحقدا رغم علمهم بصدق بعثته ونبوته ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٨٩)، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره قول ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يقول: يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب، يعني بذلك أهل الكتاب، فلما بعث محمد ﷺ ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه. لقد مثلت بعثة النبي ﷺ العربي الخاتم، صدمة لليهود أورثتهم حزنا وحقدا وحسدا يتوارثونها جيلا بعد جيل، فهم لا يألون جهدا في الحرب على الإسلام والمسلمين، وهذا ديدنهم، فقد وصفهم الله في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٦٢)، يسارعون في جميع معاصي الله، لا يتحاشون من شيء منها، لا من كفر ولا من غيره، لأن الله تعالى ذكره عم في وصفهم بما وصفهم به من أنهم يسارعون في الإثم والعدوان، من غير أن يخص بذلك إثما دون إثم، يراودهم الأمل في إخراج المسلمين من دينهم ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ (النساء:٨٩)، هم يودون لكم الضلالة لتستووا أنتم وإياهم فيها، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم، وقد تحالف النصارى مع اليهود متناسين ما بينهم من عداء لا لشيء إلا لهدم الإسلام وإخراج أهله منه، فهم لا يرضون بغير ذلك منا، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة:١٢٠).

وعلى ما للإلحاد من تعاريف أو مفاهيم متعددة إلا أن الأصل في الإلحاد هو إنكار وجود الله سبحانه وتعالى وهو هدم مباشر لعقيدة الإيمان بالله التي هي الأصل في عقيدة المسلم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة:٥).

وفي السنة النبوية المطهرة نجد حديث جبريل عليه السلام الطويل، وهو من الأحاديث العظيمة التي بين النبي ﷺ فيها أصول الدين، عندما جاء جبريل إلى النبي ﷺ على هيئة رجل يسأله ويستفتيه عن بعض المسائل المهمة، والحديث رواه عبدالله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت (جزء من الحديث، مسلم).

ولذا نستطيع القول إن الإلحاد هو حرب على الإسلام وهدم لعقيدة المسلمين والمسلم الذي يلحد هو الخاسر الوحيد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٢١٧).

فلا وزن لإلحاد أتباع الملل الأخرى لأنها ملل وضعية محرفة متناقضة هي في ذاتها تحارب الإسلام وتسعى لمحوه والقضاء عليه، وهي كفر لا يضر أتباعها إن بقوا عليها أو ألحدوا فالكفر كله ملة واحدة قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥).

ما قبل الإلحاد

من جوانب خطورة الإلحاد أنه لا تتم الدعوة إليه مباشرة، ولكن الدعوة للإلحاد تعتمد على التراكمية الهادئة للنظريات والمناهج التي تؤسس للإلحاد من خلال المناهج التعليمية في العلوم الإنسانية والطبيعية، فضلا عن الروافد الأخرى المغذية له من خلال الأفلام والمسلسلات وما ينشر عبر المنابر الإعلامية والثقافية والفضاء غير المحدود للمواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي، كل هذه العوامل تحتل في هدوء اللاوعي وفي هدوء أيضا تشكل الوعي مترقبة اللحظة الفارقة التي يعلن فيها الإلحاد عن تمكنه من عقيدة المسلم، والتي تسبقها فترات من الصراع قد تطول أو تقصر بحسب قوة العقيدة أو ضعفها في النفوس، وكذلك الدوائر القريبة التي يعيش فيها المقدم على الإلحاد، من حيث العيش في أسرة ومجتمع متدين، أو غير متدين، وهذا ما يفسر لنا هول المفاجأة عندما يعلن شخص ما عن إلحاده، وهذا ما نطلق عليه مرحلة ما قبل الإلحاد.

وهي المرحلة التي يتعرض فيها الشباب لمجموعة من الهجمات الفكرية تكون توطئة وتهيئة للخروج من الإسلام واعتناق الإلحاد وهي ترتكز على:

أولا: إحياء ونشر أفكار رموز تيار النهضة العلمية الحديثة التي بدأت في الشرق الإسلامي والتي تسببت في سريان الإلحاد في نفوس المسلمين ممن تتلمذوا على أساتذة غربيين يؤمنون بتأثير الفكر الغربي المادي الوجودي.

ثانيا: الفكر الاستشراقي الذي كان قوامه الهجوم على الإسلام، وإضعاف ثقة أهله به وصد انتشاره في الأرض، ولقد نجح كثير من رجالات هذه المبادئ الإلحادية في تضليل الكثيرين من شباب الإسلام وتشكيكهم في دينهم، لأن الشباب هو محور القضية التي يفتل ذروتها أولئك المغرضون. ويتبين ذلك في أمرين خطيرين هما:

(أ): فشل أولئك الملحدين في محو العقيدة واقتلاعها من النفوس، فأبوا إلى الجانب الفكري والأخلاقي، وما أرحب ميداني هذين الأمرين في نفوس الشباب.

(ب): تجسيد بعض الآراء والأفكار الخبيثة في صورة واقعية ملموسة الغرض من إلقائها وزرعها في أذهان الشباب هو الكذب والافتراء، وذلك من مثل ما يعبرون عنه بالكبت، أي إن الشريعة الإسلامية في نظرهم كبت لحرية الفرد والجماعة عن ممارسة ما يحبه الإنسان ويألفه بوحي من فطرته الإنسانية، وفي هذا الفكر الغوغائي يجد الشاب المسلم متنفسا يلتذ بالحديث عنه، فيتفرع إلى الجدل العقيم، والاستهزاء بالشعائر الدينية وجر الرفاق والزملاء إلى الانزلاق[1].

ثالثا: شيوع وانتشار النظريات المؤسسة للإلحاد وتدريسها في المدارس والجامعات: مثل الشيوعية، والعلمانية، والوجودية، وإحياء فكر المدارس الباطنية والكلامية مثل «المعتزلة والجهمية والقدرية والإسماعيلية والقرمطية...» ونسبتها للإسلام تحت مسمى الفلسفة الإسلامية. وإحياء تراثهم بدعوى أنه منتج فكري إسلامي، وتدريس أفكار الملحدين في علم الاجتماع مثل دور كايم وعلم النفس مثل فرويد، وعلم الأحياء مثل دارون صاحب نظرية النشوء والارتقاء، وغيرها من النظريات والأفكار التي قد تنتهي بكثير من دارسيها إلى الإلحاد.

رابعا: ضعف التربية العقدية عند بعض جماعات الفكر الإسلامي وتمييع العقيدة في نفوسهم بدعوى التعايش والوسطية وفقه الواقع، مما يجعلهم فريسة سهلة للإلحاد وهناك مثال لأحد دعاة الإلحاد المعاصرين كان عضوا تنظيميا في إحداها قبل أن يلحد.

خامسا: دعاوى التقارب الإنساني والتعاون المشترك بين الإنسانية، والتي تنظر إلى الدين باعتباره من عوامل الصراع بين البشر، لذا يرون تنحيته والاتفاق على مبادئ إنسانية عامة يلتزم بها الجميع وتكون بديلا للدين.

أسباب الإلحاد المعاصر

من خلال الدراسات التي أجريت على ظاهرة الإلحاد تم التوصل



إلى الكثير من الأسباب التي يرجع انتشار الإلحاد بين المسلمين ولا سيما الشباب منهم إلى هذه الأسباب ومنها:

أولا: التبعية والتقليد للغرب: في الوقت الذي تخلف فيه المسلمون عن ركب الحضارة، كان الغرب يحقق طفرات هائلة في التقدم الحضاري شاملة لكل العلوم والميادين، مما أحدث صدمة بين جموع المسلمين جعلتهم يعتقدون أن الأخذ بأسباب الحضارة الغربية هو السبيل للتقدم والنهوض ومنها تنحية الدين عن الحياة باعتباره من أسباب التخلف والتأخر، وهذا الأمر من أهم الأسباب في انتشار الإلحاد. ففي الحديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» (البخاري).

ثانيا: الرغبة في إشباع الشهوات والملذات الدنيوية واستحلال الحرام، بعيدا عن تعاليم الشريعة المبينة للحلال والحرام، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ (مريم:٥٩).

ثالثا: ضعف مسؤولية الآباء عن الأبناء وهذا ينتج عنه سوء التربية والتنشئة فلا يلتفت الآباء والأمهات إلى تربية الأبناء تربية دينية سليمة في حين أنهم يبذلون قصارى جهدهم من أجل تعليم أبنائهم العديد من العلوم واللغات، وفي الحديث: «والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم» (متفق عليه).

رابعا: عدم القدرة على مواجهة الشبهات، سواء التي تلقى على الشباب مباشرة أو التي تبث بين السطور المقروءة أو الكلمات المسموعة.

خامسا: قرناء السوء، خصوصا عندما يكون من بينهم ملحد يشوش على أصحابه أمور دينهم.

سادسا: الأمراض النفسية، وأخطرها الاكتئاب واضطرابات الشخصية.

سابعا: الحرب الإعلامية على الإسلام والتنفير من الملتزمين وإلصاق التهم بهم وفي مقدمتها الإرهاب.

ثامنا: الجمود الدعوي وضعف الدعاة وعدم قدرتهم على مخاطبة الشباب ومناقشة قضاياهم ومشكلاتهم.

مواجهة الإلحاد

إن الاستعلاء الفكري سمة من سمات الإسلام لله، فمهما رأى المسلم كفرا يتبجح ويتحدى، كان عليه أن يتصدى له وينازله، فصاحب الحق يجادل أحيانا ليقمع لا ليقنع قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨)، وقد عد الله تعالى أمثال هذه الحجج من أجل النعم التي ينصر الله بها أئمة الدين ويرفع بها درجتهم قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ (الأنعام:٨٣)[٢].

وعلى هذا يمكن مواجهة الإلحاد من خلال

- التربية العقدية السليمة، وهي عملية مستمرة ومتكاملة بين الأسرة والمؤسسات التعليمية والدعوية لا تقف عند حد مرحلة عمرية محددة.
- رصد وتحليل الشبهات التي يبثها الملحدون وتفكيكها والرد عليها وتحصين الشباب ضدها.
- احتواء الشباب والاهتمام بمشكلاتهم وإتاحة الفرصة للتعبير عن آرائهم وتصحيح الخاطئ منها.
- إعداد جيل من الدعاة ليكونوا مناظرين مؤهلين للرد على الشكوك والشبهات التي تثار حول الإسلام.
- تدريس مواد مقارنة الأديان والمذاهب الفكرية.
- تنقية المناهج الدراسية في كل المراحل من النظريات والآراء المتضمنة للإلحاد.
- التوعية الإعلامية بخطورة الإلحاد دينيا واجتماعيا وسياسيا.
- إصدار التشريعات والقوانين التي تجرم الطعن في الدين والأنبياء.
- تجفيف وإغلاق المنابع الإلحادية سواء في وسائل الإعلام أو عبر صفحات التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية.

الهوامش

١- محمد بن سعد الدبل: الإلحاد والغزو الفكري (بتصرف من الباحث) https://www.alukah.net/sharia/0/37819.

٢- جعفر شيخ إدريس: الفيزياء ووجود الخالق، مجلة البيان، السعودية،١٤٢٢هـ، ص:١٥.



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

ثقافة الأسئلة تقطع طريق الإلحاد

تمر الأمم والمجتمعات بفترات مختلفة من النهوض والتراجع، والتقدم والتأخر؛ وكل فترة من هذه لها طبيعتها وأسئلتها وأدواؤها. والملاحظ أنه في فترات التراجع تكثر الأمراض الحضارية، سواء تلك الأمراض المتصلة بشأن الفكر وصحته وقدرته على الإسهام في تشكيل الوعي تشكيلا صحيحا، أو الأمراض المتصلة بالنسيج الاجتماعي وتماسكه ونجاحه في العبور إلى مرفأ السكينة والطمأنينة والتكافل والتراحم.

والإلحاد يمكن أن نعتبره من هذه الأمراض التي نراها تنتشر في مجتمعاتنا في فترات التراجع؛ حيث غياب الوعي، وتشتت الشباب، وانحسار قدرة الخطاب الديني على الحضور والفاعلية، لاسيما إذا أضفنا لذلك حالة الانفتاح الفضائي غير المسبوقة، والتي يتزايد تأثيرها مع ضعف المناعة الذاتية الفكرية.

صوت عال

ومن المهم أن نشير ابتداء إلى أن الإلحاد، لاسيما في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، قد لا يكون منتشرا كثيرا، ولله الحمد، لكنه -وللأسف- أصبح صوته عاليا ومسموعا، مع سهولة المنابر الإعلامية والفضاءات المفتوحة.. حتى ليخيل للبعض أن أعداد الملحدين من الكثرة بمكان؛ وما هو إلا علو الصوت وليس الأعداد الكثيرة.

إن صوت الفطرة ما زال، بحمد لله، راسخا في ضميرنا ووعينا الجمعي؛ وما تم بناؤه وتشييده من صروح الإيمان عبر قرون وأجيال لا يمكن محوه أو إضعافه في لحظات حرجة أو تحت تأثير أصوات صاخبة.

نعم، عرفت مجتمعاتنا بعض من يجاهرون بالإلحاد قديما، حتى في أوج تألقنا الحضاري، لكنها ظلت أصواتا نشازا، لا تتجاوز عدد أصابع اليد[1].. والآن يراد لهذه الأصوات النشاز أن تتحول لظاهرة، وأن تستحوذ على عقول شباب وجد

نفسه في موقف لا يحسد عليه؛ من تزاحم الأفكار، وسهولة المغريات، وبريق الشبهات، وضغط الأزمات، وقلة الناصح، وأحيانا انعدام الرفيق والمربي!

غياب الأرقام

فمن الملاحظات المهمة التي ينبغي أن نتوقف عندها في رصد ظاهرة الإلحاد -إن جاز وصفها بالظاهرة- هي غياب الإحصاءات الدقيقة عن وجود الملحدين، وعن طبيعة انتشارهم، ومعدل هذا الانتشار. ولعل هذا راجع إلى حرص الكثيرين منهم على إخفاء حقيقة معتقدهم وأفكارهم؛ نتيجة الضغط الاجتماعي الذي سيواجهونه إن هم أعلنوا عن ذلك.. وإلى أن بعضهم قد يكون غير راغب في «التبشير» بالإلحاد، وإنما يكتفي بموقفه الشخصي، لا أكثر.

ومع هذا الغياب للرصد الحقيقي للإلحاد؛ نكون أمام صعوبة كبيرة في تحليل «الظاهرة»، ورصد تمايزات وجودها الثقافي والاجتماعي.. وبالتالي ينعكس هذا على رؤية الأسباب والعلاج بدقة. كما أننا نعاني -حينئذ- من فريقين: من يهولون الظاهرة ويضخمون وجودها، لحاجة في أنفسهم.. ومن يهونون منها، وربما يقعون في حالة إنكار لما طرأ على مجتمعاتنا من تغيرات، وما تواجهه من تحديات!

يقول د. محمد صالحين، أستاذ الفكر الإسلامي بكلية دار العلوم بجامعة المنيا: « نعم أرى أن الإلحاد يمثل ظاهرة متفشية في عصرنا هذا، ولا يستطيع أحد إنكارها بالكلية، غير أن المختلف فيه هو نسبة استشرائها، وهذه لا يمكننا حصرها بدقة؛ لسببين؛ الأول: عدم امتلاكنا في العالم العربي وسائل تداول المعلومات، ولا شفافيتها. الثاني: استخفاء معظم من جرهم تيار الإلحاد، بإلحادهم؛ لأسباب كثيرة، لا تخفى على فطنة القارئ المثقف. وعليه؛ سيكون من الصعوبة أن نرصد بدقة نسبة مئوية لاطراد هذه الظاهرة، أو نموها. وأنوه هنا عن أن الإحصائيات الواردة من مؤسسات أجنبية بصدد رصد ظاهرة الإلحاد، غير موثوقة؛ لأنها تميل إلى التهويل والتضخيم في أغلب الأحايين»[٢].

وللأسف، فهذا التهويل الذي يمارسه البعض عن عمد؛ يكون لترسيخ هذا الوجود، وإعطائه مكاسب اجتماعية وقانونية، وتمرير مفاهيم مغلوطة عن مجتمعاتنا، وإحداث تطبيع نفسي مع هكذا أفكار خاطئة ونشاز.. ومثل هذا يمارس على مستويات أخرى؛ كالتعامل مع أفكار منحرفة عقائديا مثل البهائية، أو سلوكيا مثل الشواذ (المثليين).

فهو منهج متشابه، يراد به اختراق مجتمعاتنا، وتذويب هويتها الإسلامية. وربما يتم هذا تحت شعار قبول الآخر، واحترام حق الاختلاف، وغير ذلك من شعارات ومفاهيم توظف في غير سياقها!

الشباب أكثر عرضة

ولعلنا لا نحتاج إلى إحصاءات دقيقة حتى نخلص إلى أن الشباب هم الأكثر عرضة واستهدافا لحملات ترويج الإلحاد، والأكثر وقوعا فيه. فطبيعة مرحلة الشباب يغلب عليها القلق النفسي والفكري، وحب استكشاف الأفكار المغايرة، والدخول في السجالات والمجادلات، وعدم الخوف من مخالفة السائد والمألوف، بل أحيانا الحرص على هذه المخالفة.. فإذا حدث هذا مع عدم ترسخ الهوية بالشكل الكافي، لاسيما في المسائل الفكرية التي تحتاج إلى الدراسة والتعمق؛ كان من السهل الوقوع في براثن الإلحاد!

ومما يسهل أيضا وقوع الشباب في ذلك، ما يمر به من أزمات اجتماعية ونفسية[٣]، وما قد يواجهه مبكرا من قسوة الظروف؛ فيظن أن الحياة لا عدل فيها ولا رحمة، ولا هدف لها ولا غاية؛ بل تسير على غير نظام، وتمضي إلى غير وجهة! ويظن أن الحديث عن الله خرافة، وعن الدار الآخرة سفسطة، وعن حكمة الله وعدله نوع من تخدير المشاعر والتلاعب بها!

حتى إن بعضهم ليتساءل: أين العدل الإلهي مما يقع في عالمنا من كوارث ومآس؟! جاهلا بحكمة الله تعالى في جعل الدنيا دار عمل واختبار، للمؤمن وللكافر، وجعل الآخرة دار ثواب وعقاب؛ وأن العدل لا يشترط تحققه في الدنيا، دار العمل؛ وإنما العدل يكون في دار الجزاء. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء:٤٧).

كما أن الله تعالى ترك الدنيا ليتدافع الناس فيها؛ ولو شاء سبحانه لجعلها

على نظام واحد لا ظلم فيه ولا غبش.. لكن، لو حصل هذا، لانتفى معنى الابتلاء، الذي هو قانون كبير من قوانين هذه الحياة الدنيا: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:٤).

فهذه المعاني قد تغيب عن الشباب، لفرط براءته وسذاجته؛ فيريد الأمور أن تنضبط كالساعة، وأن تستقيم على العدل والميزان.. فيقع في شرك الأفكار المغلوطة، والشبهات البراقة؛ ويتخذ من محنته النفسية والاجتماعية منطلقا لاعتناق أفكار، وتسفيه معتقدات!

السؤال والحوار

ولهذا، فإن في استراتيجيات مواجهة الإلحاد علينا أن نحترم ثقافة السؤال التي تكون موجودة لدى الشباب أكثر من غيرهم، وألا نسفه أي سؤال مهما كان ساذجا أو مغالطا.. وإنما نتعامل معه:

- بأخلاقية: فنحترم السؤال من حيث كونه سؤالا؛ أي بغض النظر عن صوابه ومنطقيته.
- وجدية: فنأخذ السؤال على محمل الجد، ولا ننظر إليه باعتباره لوثة أصابت السائل تزول عما قريب.. وإنما نبحث في الإجابة، ولا بأس أن نعطي لأنفسنا مزيدا من الوقت والبحث لتكون الإجابة مقنعة.
- وعقلانية: فلا نجيب إجابة عاطفية، أو خارج السياق.. وإنما نواجه الحجة بالحجة، وندحض الشبهة بالدليل الواضح الذي لا لبس فيه.

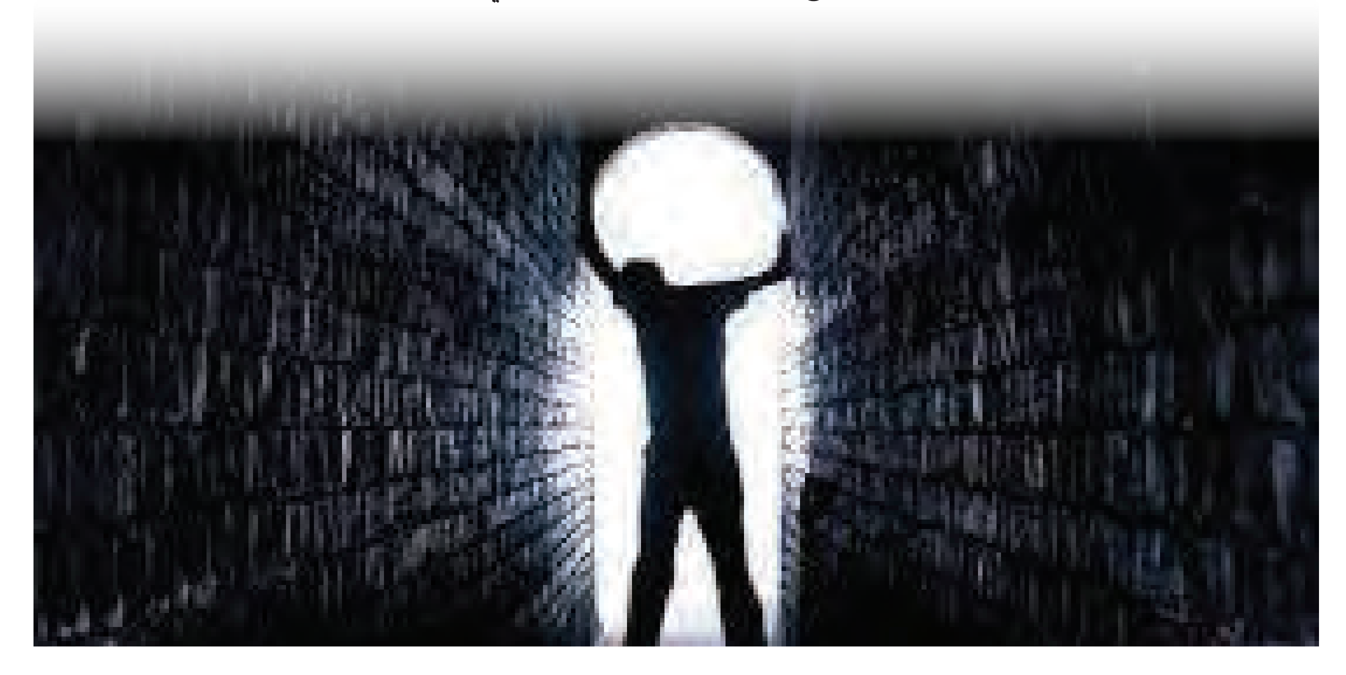
عندئذ، نقطع الطريق أمام الشبهات ومحاولات التشكيك؛ ويجد الشباب ما تطمئن به نفسه، ويقتنع به عقله، ويسكن إليه خاطره.. ليعود أشد إيمانا، وأقوى حجة من ذي قبل.

إذن، علينا أن نفتح أبواب الحوار مع الشباب، ولا نصادر على أفكارهم وتساؤلاتهم مهما بدت لنا ساذجة ومضحكة وغير منطقية.. وأن نرسخ ثقافة الأسئلة والحوار في مناهجنا التربوية والأسرية، التي للأسف يغلب عليها التلقين.. مما يجعلنا نرى ضيق الصدور من تساؤلات الشباب!

إن الإسلام لا يضيق ذرعا بأي سؤال؛ وقد أورد القرآن الكريم أسئلة الكفار وشبهاتهم ورد عليها، حتى تلك التي تسيء إلى الله سبحانه وتعالى! لأن شعار الإسلام الذي يميزه ويجعله ذا أفق مفتوح على المعرفة والتعقل والتفكر، هو: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (البقرة:١١١). فلا حرج على مناقشة أي قضية، المهم ما نستند إليه من أدلة وبراهين.

الدين في المناهج

ومن المؤكد أن تغذية الشباب بجرعات عميقة متنوعة من الثقافة الدينية، لاسيما في مناهج التعليم، تسهم كثيرا في تحصينهم فكريا أمام ما يواجهون من شبهات أو تساؤلات. فبعض هذه الشبهات لا تستقر في أدمغة الشباب بسبب صوابيتها،



بقدر ما هو الخواء الفكري الذي تقابله أي شبهة فتستقر فيه، أو يواجهه أي سؤال فيعجز عن إجابته! وللأسف، فبعض مناهجنا التعليمية تجعل مادة الدين مادة هامشية، ليست ضمن مواد الدراسة الأساسية، ولا تعطيها حظها من ساعات الدراسة؛ فضلا عن أن طريقة تدريسها ليست بالمؤهلة لبناء ذهنية فكرية سليمة تستطيع التعاطي مع الأفكار والمذاهب المعاصرة.

وهنا، أستطيع أن أقول ومن خلال تجربتي الخاصة: إن كتابين قرأتهما في المرحلة الثانوية كان لهما بفضل اللّه تعالى دور كبير في ألا تراودني الشكوك التي ينشغل بها الشباب عادة في هذه السن، حول الخالق سبحانه وحول الخلق والوجود.. وهما «الأدلة المادية على وجود اللّه» للشيخ محمد متولي الشعراوي، و«تعريف عام بدين الإسلام» للشيخ علي الطنطاوي، رحمهما اللّه تعالى رحمة واسعة. وهذان الكتاب مثال جيد على كيفية تقديم حقائق الإسلام بلغة ميسورة مقنعة؛ تخاطب الفكر، وتحترم العقل، وتستعين بالعلم؛ لاسيما فيما يتصل بالأسئلة الوجودية الكبرى. ولعلنا نستفيد من هذين الكتابين في مراحل التعليم المختلفة[4].

تجديد الخطاب الديني

وهذه النقطة الأخيرة تقودنا إلى نقطة أعم وهي ضرورة تجديد الخطاب الديني؛ بحيث يلتفت للقضايا المعاصرة، والشبهات المستحدثة، والأسئلة الحيوية.. ويقدم محتواه عن هذه القضايا وغيرها بلغة سهلة مفهومة لدى عموم الشرائح، ولا يظن أنه يخاطب طوال الوقت طلبة وباحثين! فكل شريحة يجب أن يكون خطابها ولغتها مناسبين لها، خصوصا ونحن في زمن سيولة المعرفة واللغة الميسرة.

وإذا كانت بعض الكتابات تحمل الخطاب الديني جزءا كبيرا من انتشار معدلات الإلحاد؛ بسبب ما تقوله عن انشغال هذا الخطاب بقضايا هامشية، أو عن عدم عقلانيته في الطرح والتناول.. فإنني أرى أن هذه الكتابات تبالغ كثيرا فيما تذهب إليه، بل وبعضها ينطلق أساسا من موقف غير جيد من الخطاب الديني عموما.. ومع هذا، فأنا لا أعفي الخطاب الديني من المسؤولية، وأطالبه بدور أكبر في مواجهة الإلحاد، وبتطوير مضامينه وآلياته التي تمكنه من أن يصل لشرائح أكبر.

التفكير باب للإيمان

تبقى نقطة أخيرة، وهي أن البعض يظن أن التفكير أو إعمال العقل يؤدي إلى الشك أو الإلحاد؛ وهذا خطأ كبير، ويسلب الإسلام أكبر خصائصه، وهي أنه دين يدعو للتعقل والتدبر، ويجعل «التفكير فريضة إسلامية» كما هو عنوان أحد كتب الأستاذ العقاد، رحمه اللّه.

إن التفكير الحر السليم ما كان له إلا أن يكون بابا للإيمان، لاسيما إذا كنا بصدد الحديث عن الإسلام الذي أمرنا في أولى آياته بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (العلق:١-٥).

غاية ما هنالك أن ننبه إلى أمر مهم في هذا الصدد، وهو أن نقرأ أولا في الإسلام، وفي المتفق عليه.. قبل أن نقرأ في الأديان والمذاهب الأخرى، أو نقرأ في المختلف فيه.. فمن يقرأ الشبهات قبل أن يتمكن ربما تقع منه شبهة موقع الرضا، أو لا يستطيع دفعها؛ فيكون فريسة لا صيادا.

إن الإلحاد -ظاهرة كان أو لا- لما ينبغي أن تحتشد الطاقات لمواجهته، وأن نعمل على إزالة أسبابه؛ التي هي أسباب متعددة كما أشرنا، بل ونستبق ذلك بترسيخ ثقافة الأسئلة والحوار، تربويا وتعليميا.. فهذا مما يحفظ لنا فلذات أكبادنا وأوطاننا، ويمنعنا أن نقع في مخططات التشكيك والتذويب، ويقطع الطريق أمام الإلحاد.

الهوامش

١- مثل بشار بن برد. راجع تحليلا لحياته وزندقته في: تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص:٢٠١ وما بعدها.

٢- من حوار أجريته مع د. صالحين، منشور على موقع «إسلام أون لاين».

٣- لعل هذا ما قصده الشيخ الغزالي بقوله: «العقل المتفتح الذكي لا يستسيغ الإلحاد! والإلحاد في الحقيقة مرض نفسي وليس يقظة فكرية»؛ انظر له: مستقبل الإسلام خارج أرضه، كيف نفكر فيه؟ ص:٢٠٠.

٤- ظل كتاب الشيخ الشعراوي، لسنوات، يدرس بالمرحلة الثانوية في مصر.



أحمد عبدالمنعم عيد
كاتب وباحث

الإلحاد .. نشأته وتطوره

أصـل الإلحـاد فـي اللـغة مـن الميل والعدول عن القصد، والجور عنه، وقد سمي اللحد لحدا لأنه يكون مائلا في شق منه.

ويقال: ألحد أي مال عن القصد، وترك القصد فيما أمر به، ومارى، وجادل، ويطلق على الشرك بالله.

وقد أطلق المسلمون قديما على هذا الاعتقاد مصطلح الزندقة، ويسمى من يعتقد ذلك الاعتقاد زنديقا.

والإلحاد في أسماء الله -تعالى- يكون بتحريفها والاشتقاق منها، مثل العزى من العزيز واللات من الله.

والإلحاد له تاريخ طويل وأشكال متعددة فلم يبدأ بإنكار الإله مرة واحدة، وإنما بدأ بالاعتراف بالإله مع الانتقاص منه، أو القول بتعدده، فمثلا في الهند كان الإلحاد عبارة عن إنكار الخالق قبل الخلق، فهم لا ينكرون وجود خالق وإنما ينكرون وجوده قبل الخلق، وذهبوا إلى تعدد الآلهة حتى بلغت الآلهة عندهم قرابة الثلاثة آلاف.

وفي اليونان ظهر أبيقور[١] الذي بدأ يطرح أسئلة مفادها أن الإله غير كامل لا في قدرة ولا إرادة ولا صفاء ويتصف هذا الإله في نظره بالخبث لأنه يستطيع أن يمنع الشر ولا يمنعه، وهذا التفكير الأخرق حمله على القول بوجود إلهين إله للخير وإله للشر، ونفس القول قال به زرادشت: إله النور وإله الظلمة. والملاحظ أنهم قديما ألحدوا في الكلام عن الإله وفي وصفه لكنهم في الغالب لم ينكروا وجوده بأي شكل من الأشكال. وفي العصر الحديث ومع بدية النهضة العلمية وما نتج عنها من نظريات كالجاذبية عند نيوتن وما تلاها من ثورة صناعية أضف إلى ذلك ما أحدثته الكنيسة بظلمها واستبدادها وأيضا التعاليم التي تخاصم العقل وتتعارض مع أدنى درجات التفكير جعل الإلحاد يظهر وبقوة وأصبح له في ذلك الوقت من ينظر له ويدافع عنه.

وبرز ذلك مع ظهور نظرية الجاذبية عند نيوتن والقوانين التي وضعها ومعارضة الكنيسة لهذه النظرية بالرغم من أن نيوتن كان مؤمنا بوجود الإله ولم ينكر وجوده، لكن مع تعنت الكنيسة، وقولها إن الأشياء لا تعمل بذاتها، وأنه لا إرادة للإنسان، وإنكارها لفعل العبد، وخلق التصادم بين الله الفاعل الحقيقي والوسائط التي هي أصلا من خلق الله -تعالى- هذا التعنت من الكنيسة دفع الناس وأنصار نظرية الجاذبية إلى أن يواجهوه بتعنت أشد نكاية في الكنيسة، فأنكروا وجود الإله، وكلما اجتهدت الكنيسة في محاربة النظرية أو كل نتاج عقلي كان في المقابل تشدد أشد من أعداء الكنيسة، وهؤلاء ينقسمون إلى فريقين.

الأول: المؤمنون أو الربوبيون، وهؤلاء يقولون بوجود الإله، ولكنهم ينكرون الوحي على اعتبار أنه محرف ومملوء بالخرافات، وهذا المذهب لم يقل به أصحابه من باب إيمانهم وإنما من باب أن الانتقال من فكرة وجود الإله إلى عدمه لا يمكن أن يتم إلا على مراحل حتى يقبله الناس.

كما أن أصحاب هذا المذهب قالوا بوجود الإله لكن سلبوا منه كل تأثير فهم يقولون بأنه خلق الكون ثم تركه يعمل وفق قوانين الطبيعة المسيرة له، أي خلق الخلق ثم استقال.

وممن يتزعم هذا المذهب فولتير[٢] وبوب فالإله عندهم أشبه بصانع ساعة صنعها ثم تركها تعمل مع نفسها دون تدخل منه.

الثاني: وهو مذهب المنكرين لوجود إله بالكلية والذي أوصلهم لذلك المذهب الأول، فإله لا تأثير له لا في فعل أو إيقافه أو تغييره أو تحويله هو والعدم سواء، ونتاج هذا الاعتقاد ولد عند أتباع المذهب الثاني فكرة إله الطبيعة.

ومع وقوع الثورة الفرنسية بدأ المذهب الثاني في الانتشار، خاصة مع إمعان الكنيسة في رفضها لأي فكرة وتجريمها لصاحبها، ولكل مناصر لها، ومحاربتهم والتضييق عليهم، ناهيك عن استعباد عامة الناس، والتواطؤ مع الحكام المستبدين لتحقيق منافع القساوسة والباباوات مما دعا الناس إلى المناداة بالانتقام من الفريقين وترديد شعار ميرابو «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس»[٣].

ساعد على ظهور الإلحاد أكثر وأكثر ظهور نظرية التطور التي قال بها داروين[٤]، والتي دونها في كتابه أصل الأنواع.

كل ما قال به الفلاسفة قبل نظرية التطور من إنكار للإله أو تأثيره عند من يعتقد بوجوده كان مجرد فلسفة يعرفها المنكرون للإله، وتأثيره عند من يعتقد بوجوده كان مجرد فلسفة يعرفها المشتغلون بها، إلى أن جاء داروين بنظريته التي تحدث فيها عن فرضية أن الطبيعة هي التي وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع بإضافة أعضاء أو صفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع



الظروف الطارئة، وقد أدى ذلك إلى تحسن نوعي مستمر نتج عنه أنواع جديدة كالقردة ونوع أرقى وهو الإنسان أما البعض الآخر فقد حرمته الطبيعة من ذلك فتعثر وسقط[٥].

فالنظرية مع ظهورها عززت مبدأ أن الطبيعة هي الإله وأنها هي التي تهب[٦] وتعطي وتمنع، وبالرغم من أنها نظرية لا تقف على قدمين كما قال عالم الأحياء أجاسيز[٧]: «إن الأفكار الداروينية مجرد خرافة علمية وأنها سوف تنسى بسرعة»، إلا أن علماء الحداثة في أوروبا استغلوها وعظموها لأجل تغذية إنكار الإله ونكاية في الكنيسة.

وفي سبيل ذلك عاملوا كل منتقد لها بالتشويه والطعن في أهليته العقلية والعلمية مثل أغاسيز الذي شوه وتم الطعن في إرثه العلمي لا لشيء إلا لأنه انتقد الداروينية وأثبت أنها لا تقف على قدمين ولا تثبت على مائدة البحث المنصف المجرد.

ويعترف التطويريون بعدم صحة هذه النظرية وأنهم ما آمنوا بها إلا لأن البديل عنها هو الاعتراف بوجود إله، يقول السير أرثر كيث[٨]: «إن نظرية النشوء ما زالت حتى الآن بدون براهين وستظل كذلك والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق».

فكانت النظرية مما غذى الإلحاد وساعد على انتشاره خاصة ما لاقته هذه النظرية من تمجيد ورفع لصاحبها فوق قدر أي عالم سابق أو لاحق له، وكذلك الحرب التي تشن على أي منتقد لها، وكذلك رعايتها من قبل الأنظمة، وتقريرها في المناهج العلمية مما يهيئ الناشئة لقبول فكرة الإلحاد.

ومما ساعد على فكرة الإلحاد بجوار نظرية التطور الثورة الصناعية والعلمية التي واكبت ظهور النظرية فكانت مبعث إعجاب بالعقل البشري الذي أصبح يطوع الطبيعة، فتولد لدى الكثير أن العقل إله وحده يكفي للاختراع والابتكار، وكذلك وضع القوانين التي تسير الناس وتنظم حياتهم بعيدا عن الدين والوحي.

وتبني الاتحاد السوفيتي لفكرة اللادين وفرضها على البلدان التي تحت حكمه.

السؤال: ما الذي جعل الإلحاد يظهر في بلاد اتسمت بالإيمان، وتعيش في ظل وحي لم يتبدل، ولم يتغير بحذف أو إضافة، ودين يساعد على العدل، ويدعو للعلم، ويفتح المجال للعقل ليفكر، ويتأمل، ويتدبر، بل جعل كل ذلك فريضة دينية أوجب على الجميع القيام بها وذم تاركها؟

السبب هو حالة الانهزامية التي يعيشها أبناء الشرق أمام الحضارة المادية الغربية، ومن طبائع الأشياء أن المنتصر أو الطرف الأقوى يفرض ثقافته أو على الأقل يؤثر في المفتونين به.

أضف إلى ذلك حالة الأمية الدينية التي تصيب البعض، أو ضعف الثقافة الدينية عند البعض، مما يجعلهم مهيئين لقبول هذه الأفكار حتى ولو جزئيا.

إن الناس بحاجة إلى مراكز ترصد التغيرات الفكرية والمذاهب الوافدة ومراجعتها وإعداد الدراسات النقدية لهذه الأفكار والمذاهب وتبسيطها للناس مع تيسير حصول الناس عليها وقاية وحفظا لهم.

مع ضرورة إعداد الداعية الملم بهذه الأفكار والذي لديه القدرة على الرد والتفنيد لأي شبهة تزرع بذرة الشك في نفس المسلم.

الهوامش

١- أبيقور هو فيلسوف يوناني قديم عاش في الفترة بين ٣٤١-٢٧٠ قبل الميلاد.

٢- فرنسوا ماري أرورويه وشهرته فولتير كاتب وفيلسوف فرنسي ولد ٢١ نوفمبر ١٦٩٤م، ومات ٣٠ مايو ١٧٧٥م.

٣- الكونت دي ميرابو واسمه أونورويه جابريل ريكويتي ولد ٩ مارس عام ١٧٤٩م ومات ٢ أبريل ١٧٩١م.

٤- تشارلز روبرت داروين ولد في إنجلترا ١٢ فبراير ١٨٠٩م، وتوفي ١٩ أبريل ١٨٨٢م.

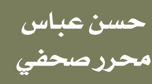
٥- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي ١٧٩.

٦- المصدر السابق ١٨٥ عن كتاب مذهب النشوء والارتقاء ٢٣.

٧- جان لويس أغاسز عالم أحياء وجيولوجيا أميركي ولد ٢٨ مايو ١٨٠٧م ومات ١٤ ديسمبر ١٨٧٣م.

٨- السير أرثر كيث أحد علماء التشريح والأنثربولوجيا بريطاني الجنسية ولد ١٨٦٦م ومات ١٩٥٥م.





حسن عباس
محرر صحفي

«الرجوع إلى الفطرة»

الإلحـاد ليس ظاهـرة جـديـدة، فهو موجودة منذ زمن قديم جدا، حتى قبل بعثة النبي محمد ﷺ، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية:٢٤).

ما هو الإلحاد؟

وقبل أن نصنف الإلحاد، علينا أولا أن نعرفه.. فالإلحاد في المعنى الدارج هو: الكفر بكل الالهة وعدم الاعتراف بوجود إله والاعتماد على السببية والعلم في كل شيء وعدم الاعتراف بوجود روح أو خوارق للطبيعة، ويتناقض هذا الفكر مع فكرة الإيمان بالله أو الألوهية.

أما الإلحـاد لغويا فهو: الميل والعدول عن الشيء، أي إنـه مـال عنه أو بعد عنه.

وتتراوح الحجج الإلحادية بين الحجج الفلسفية إلى الاجتماعية والتاريخية، حيث إن المبررات لعدم الإيمان بوجود إله تشمل الحجج وأن هناك نقصا في الأدلة التجريبية.

والانتماء للإلحاد ليس مثل الانتماء للدين، إذ لا يستطيع أحد أن يخرجك من «ملة الإلحاد» لأسباب معينة، كعدم تطابق مواقفك مع تصورات وشروط محددة، بينما في الدين هناك شروط قد تخرجك من الملة إن لم تلتزم بها، ولذلك قد تجد شخصا يعرف نفسه بـأنـه ملحد لمجـرد أنـه يعيش حالة شعورية معينة.

ويمكن تصنيف الإلحاد إلى ثلاثة أقسام:

الصنف الأول:

وهو الذي يقع في الإلحـاد عن جهل، كـونـه اتجـه إلـى هـذا الـنـحـو بسبب صدمة نفسية حدثت لـه، أو موقف عاطفي مـر بـه، أو ربمـا كـان متأثرا ببعض الشبهات العلمية أو الدينية دون بحث عن الحقيقة أو دون إيجاد من يصحح له معتقداته ويجيب عن تساؤلاته، خصوصا في سن المراهقة.

وهـذا النوع من الملحدين هو أقرب فرصة للرجوع إلى الدين بمجرد زوال شبهاته أو إفاقته على حقيقة الأمر واتضاح أن مسألة الكفر والإيمان جد وليست بهزل.

الصنف الثاني:

وهذا الصنف تعايش إلى حد كبير مع إلحاده، وذلك لعدة أسباب؛ كأن يتعامل مع الوضع وكأنه أمر مسلم به ويستمر في ذلك لكسب مال أو نيل شهوة معينة متحررا من ضوابط الحلال والحرام، وإمـا يستمر في ذلـك من بـاب العناد كعناد إبليس حين رأى الحق وأصر على

الباطل، وإما خوفا من سخرية الناس منه إذا عاد إلى الحق والدين.
وهذا الصنف يمكن القول إنه من الذين يصدقون كذباتهم الخاصة، باحثين عن أي تبريرات لأقوالهم وأعمالهم التي يقومون بها مقتنعين بها رغم أنها مخالفة للفطرة السليمة والعقل والمنطق، يشبهون في ذلك فرعون الذي صدق كذبته أنه رب الناس: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ (النازعات:٢٤)، مستمرا على كفره متماديا في غيه.

الصنف الثالث:

هو صنف يشبه الصنف السابق في ميله واختياره للإلحاد، لكنه يعيش حياته في صراع بين نفسه وضميره من ناحية، وبين شهواته وفساد عقله من ناحية أخرى، هذا الصراع يبلغ من العمق والألم ما لا ينفع معه مسكنات التأقلم مع الإلحاد، حيث لا يرى الشخص نفسه في صفوف الإنسانية البشرية والفطرة السليمة التي فطره الله عليها والتي يعاني في حياته بمخالفتها ويرى نفسه أنه يحيد عن الإنسانية إلى الحيوانية.
وهذا الصنف قد علق في المنتصف ما بين الصنف الأول والثاني، فلا هو بالذي رجع إلى الحق حين يتبين له، ولا هو بالذي استطاع أن يخالف فطرته كإنسان تسوقه الأخلاق وينازعه الضمير.. وما أكثر من يوشك على الانتحار من هذا الصنف مبررا بأن في إنهاء حياته إنهاء للصراع الذي يعيش داخله.

هل الإلحاد مشكلة نفسية؟

دوافع الإلحاد لا تقتصر على الدافع العلمي فحسب؛ وإنما أحيانا تخالطها دوافع نفسية واجتماعية وسياسية، وهذه الدوافع المتنوعة ليست طابعا خاصا بظاهرة الإلحاد في العالم العربي خاصة، وإنما هي طبيعة الظاهرة بشكل عام.
كشفت دراسة بعنوان «النمط النفسي للملحد» شملت ٣٢٠ ملحدا من الذكور الأميركيين، أن نصف من تبنوا الإلحاد كخيار فقدوا أحد والديهم قبل سن العشرين، وأن عددا كبيرا منهم عانى كثيرا في طفولته وصباه، ما دفع أحد الباحثين المشاركين في الدراسة إلى التوصية بضرورة دراسة ظروف نشأة وتربية الملحدين عند رصد ظاهرة الإلحاد.. ويمكن تطبيق تلك التوصية على ملاحدة أو لا أدريين أو حتى ربوبيين كبار مثل آرثر شوبنهاور، وبرتنارد راسل، وجان بول سارتر، وفولتير، وبارون دي هولباخ، الذين عانوا جميعا من ظروف أسرية صعبة اختل فيها التوازن الأسري بشكل كبير فارتد ذلك عند هؤلاء لا إلى صورة الأسرة فحسب؛ وإنما إلى مفهوم الإله كذلك.
ويؤكد ستيفن هوكينغ على أن علماء الفلك ينفرون «غريزيا» من فكرة أن يكون للزمان بداية أو نهاية، ما يجعل ساحات العلم ميدانا للتحيزات النفسية والاختيارات الأيديولوجية مثلها مثل أي ميدان في المجال العام تماما، كالسياسة والاقتصاد والاجتماع.

الخروج من الظلمات

بعدما أوضحنا أصناف الإلحاد ودوافعه وآثاره المدمرة للنفس والمجتمع، نأتي إلى ما يدفع الإنسان للرجوع إلى الفطرة التي فطره الله عليها، والنصائح التي يمكن أن تساهم في تصحيح أفكار الفرد والعودة به إلى رشده:
- البحث عن المصادر الدينية التي يمكن أن تساعد الفرد في الإجابة على تساؤلاته، وتصحيح المفاهيم المغلوطة حول العلاقة بين الدين والعلوم الطبيعية وغيرها، وردع الشبهات التي لطالما راودته ولم يجد من العامة من يجيب عليها.
- الخلوة بالنفس والتفكر والتمعن في الخلق الذي يوصل إلى معرفة الخالق، فالنفس أمارة بالسوء، ويجب مواجهتها بين كل حين، والاختلاء يساعد على جعل الفرد صريحا مع نفسه حتى يتبين له الطريق الصحيح.
- التوقف عن مطالعة ما يشجع على الإلحاد كالكتب التي تثير الشبهات، فأحيانا ما يكون قلب المرء ضعيفا ينجذب إلى أتفه الحجج، ويجب التوقف عن التحري والبحث في مثل هذه الأمور؛ لأنها تساهم في الانخراط داخل مستنقع تلك الأفكار.
- لا مانع من زيارة الطبيب النفسي لحل المشكلات النفسية التي تواجه الملحد، حيث يمكنه إيجاد من يستمع له وتفنيد التناقضات المتواجدة لديه، فيتغلب بذلك على مشكلاته النفسية والتناقضات التي بداخله، ويحصل أيضا على فرصة للتفكير وترتيب أفكاره.

والقرآن الكريم أعظم كتاب يعالج به الإلحاد، وهو ممتلئ بأقوى الحجج والبراهين العقلية والعلمية والفطرية وأبلغ الكلمات والعبارات التي تدحض شبهات الملحدين، فجاءت خواتيم الآيات: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد:٣)، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ (الروم:٢٢)، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ (يونس:٦٧)، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (الرعد:٤)، وكلها آيات تحوي في طياتها إعمال العقل والفكر.. ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.

ولاء أيمن شبيطة
كاتبة وباحثة



صور «جيمس ويب».. والإلحاد

صورة باهرة، كُلفتها عشرات المليارات من الدولارات، ليست من إبداع أمهر رسامي الكون أو أذكى مصممي الجرافيك، غير أنها نتاج عشرات السنوات من أبحاث علماء الفيزياء والفضاء، التقطها مُقرِّب (تليسكوب) جيمس ويب، تظهر سلسلة لا نهائية من المجرات، يمكن تمييز الأبعد منها.

أثارت صور «جيمس ويب» موجة جديدة من الصراع الدائرة رحاه اليوم في عالمنا العربي والإسلامي بين ما يمثله الدين الإسلامي، وما تثمره نبتة شيطانية متسلقة، بذورها كأنها رؤوس الشياطين، حملها إبليس معه عندما سلك طريق الغواية، يستفزز بها من استطاع، ويجلب بها على الناس بخيله ورجله على مر الزمان، فتنمو بحسب ما يهيأ ويتاح لها من ظروف وأدوات و«مطايا»..

إنها الإلحاد، الذي باتت أغصانه في الآونة الأخيرة تتفرع وتتمدد لتصل بالمستظل بها إلى أصل الجحيم.

صور «جيمس» والإلحاد

بعد ظهور صور «جيمس ويب» تكالب الملحدون على منصات التواصل والفضائيات، ليحاولوا إثبات معتقدهم ونيل طابع المصادقة على صحة مذهبهم ويتحدثون عن هذه الاكتشافات التي صُورت وكأنهم هم الذين خلقوها مع أنهم ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (الحج:٧٣)، وليس مجرة وكوكبا أو حتى نجما! فهل هل هذا يعني أن تلك الصور تعتبر دليلا محايدا، بمعنى آخر: هل يمكن أن يحاجج المؤمنون بها الملحدين على قدرة الله ويجادل الملحدون بها المؤمنين على إنكار الله؟ الجواب بالتأكيد هو نفي حياديتها:

❖ لأن الإنسان بمقتضى عهد الإيمان ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (الأعراف:١٧٢)، ينطلق وفق مرجعية دينية، مؤمنا بأنه خُلق بعقل يمتلك منظومة من القواعد الدلالية لا يستطيع الانسلاخ منها أو تجاوزها، تساعده على تمييز الحق من الباطل والاهتداء إليه واستيعابه بشكل مجمل، وذلك لكي تقام عليه الحجة يوم القيامة فلا يجد عذرا للكفر والإلحاد، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم:٣٠).

❖ كما أن المسلم -إن سلم عقله وقلبه وفطرته- إذا رأى آية من آيات الله؛ كونية كانت أو غير ذلك، قال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (آل عمران:١٩١)، ويستدل بها على قدرة الله سبحانه وتعالى، ويتذكر قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات:٤٧)، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء:٣٢)، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت:٣٧).

❖ لكن رغم أن فطرة الإنسان هي محبة الحق والانجذاب إليه، فإن لديه أيضا قابلية للسقوط في وحل الانحراف والزيغ والضلال والغفلة والنسيان بفعل عوامل مختلفة؛ قال رسول الله ﷺ ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني في يومي هذا: كل مال نحلته عبدا حلٌ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهم، وَأَمَرَتْهُمْ أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا»[١]، فيصدف عن تلك الآيات عندما يراها ويلحد فيها ويصبح كالأعمى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس:١٠١).

وباء ينتشر

وخلافنا مع الإلحاد (أحد أمراض عصرنا الحالي وأدوائه)، واختلافنا معه، ونصبنا العداء له، ونهوضنا لمكافحته.. جميعها تكشف ظهوره وانتشاره، وأنه لم يعد محدودا مستترا، وأنه أصبح وباء يضرب يمنة ويسرة، خصوصا بعد أن تبناه بعضهم وعبّد دربه ليخرج وينفث رياحه العقيم لتتناوح أمتنا الإسلامية، خالعين عليه أوصافا براقة، ومقيمين له -باسم الحرية- صالونات أدبية ومنصات فكرية وأندية ثقافية، داعين له علانية في سماوات مفتوحة؛ حتى ذاع صيته، ولاكته الألسن.. ولكي نبسط الحديث عنه ينبغي أن نؤصل له أولا.

ثمرات الإلحاد الأولى

والإلحاد مشكلة نفسية اشترك في صنعها وتهيئة المناخ لظهورها الممارسات السلطوية والموروثات الأسطورية. كما أنه ظاهرة أوروبية صرفة ظهرت ثمراتها الأولى في القرنين الـ١٧ والـ١٨ الميلادي، عندما ألحد رجال الكنيسة في كلام الله بالتحريف والتغيير الذي أوقعوه في الإنجيل، إذ «أدخلوا في دينهم كثيرا من الخرافات والخزعبلات، وجعلوها عقائد (...) ومزجوا الحقائق العلمية الثابتة بالخرافات الدينية الرائجة، بل واحتكروا هذه العلوم والنظريات، فصارت هناك علوم كنسية وأخرى دنيوية. وعندما بدأ عصر النهضة الأوروبية وتوصل بعض العلماء إلى حقائق جديدة تخالف ما عند الكنيسة من خرافات، هب الرهبان والقساوسة ينكرون ذلك، ويتهمون من يعتقد بذلك بالكفر والزندقة ويوعزون إلى السلطات الحاكمة بقتلهم وحرقهم بالنار»[٢].

بل مكر الليل والنهار

والمنظرون للإلحاد لا يفتأون يمكرون بالإسلام وأهله ليل نهار، يحيكون مخططاتهم ليلا وينفثون أفكارهم نهارا عبر التسلل إلى مفاصل حيوية في الدول الإسلامية ودوائر صنع القرار فيها، وتعزيز وجودهم بها، وتكثيفه، والتأسيس لنظريات ومناهج، بشكل هادئ، لكن متراكم، تُعبِّد الطريق لهذا الفكر المنحرف وتُطبِّع له ومع معتنقيه، من خلال خطط مدروسة بعناية فائقة، وبث أفكار ثانوية مكثفة (وليست رئيسية)، في مسلسلات وأفلام وبرامج، ترْسَخ في لا وعي المتلقي وتحتله رويدا رويدا.. فإذا ما تهيأت الظروف والأجواء فإنهم يدعون إلى كل ما سبق في وضح النهار عبر هجمات فكرية وإلقاء شبهات ونشر أفكار استشراقية وممارسة أسلوب الصدمات من خلال نقد المقدسات وإحياء أفكار هدامة تحت مسمى فلسفات إسلامية والدعوة إلى «الإنسانوية».

الهوامش

١ – صحيح مسلم.

٢ – العلمانية والإلحاد، طريق الإسلام.

عبدالله الظفيري
صحافي وباحث



تقوية العقيدة لمواجهة الشبهات

لم يعد الحديث عن الإلحاد يتم بالكتمان وبصورة خفية، بعدما بدأت أصوات الملحدين تعلو وترتفع، مع انتشار الأفكار الإلحادية في المجتمعات الإسلامية لأسباب ومبررات مختلفة، لكنها توجب التحرك لمواجهة مخاطر تفشي هذا الفكر الذي بات يستقطب فئات مختلفة من المجتمع خصوصا الشباب الذين يعتبرون الأكثر عرضة وتأثرا لاسيما في ظل سهولة انتقال الأفكار والمعلومات نتيجة طفرة التكنولوجيا الحديثة وتحول العالم إلى قرية صغيرة، وتنامي استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي التي باتت تمثل الوسيلة الأكبر تأثيرا في بث ونشر الأفكار والتي قد تأتي بأشكال مختلفة تلامس قلوب وعقول البعض ما يجعلها مادة مقبولة للنقاش وتبادل الآراء بشأنها في المنتديات والمجالس المختلفة.

وتشكل مرحلة المراهقة إحدى أكثر المراحل قابلية لاستقبال الفكر الإلحادي لاسيما أن الإنسان في هذه المرحلة يمر بالكثير من التقلبات المزاجية والتغيرات النفسية والسلوكية والرغبة في التمرد والتحرر من القيود واستقلالية الرأي والفكر التي قد تكون متقبلة لأي شيء بما فيها المساس بالدين والعقيدة لاسيما إذا كان الشخص ضعيفا في الدين ولا يملك من المعرفة الدينية إلا القليل، فعندها يكون من السهل انقياده إلى الإلحاد وتبنى الأفكار الهدامة والترويج للشبهات ونشر الأباطيل حول الدين الإسلامي. وكلما كان الإنسان حريصا على غرس القيم والأخلاق الحميدة وتعليم أبنائه مبادئ الدين الصحيح والعلوم الشرعية التي توفر لهم الحصانة أمام الأفكار الضالة، فإنه يجعل منهم أشخاصا مهيئين نفسيا وقادرين على رد أية شبهات تثار بشأن الدين.

ولعل هذه أولى الخطوات التي يجب اتباعها لمواجهة الإلحاد وهي بتحصين النفس بالعلوم الشرعية وتعاليم الدين الصحيح واكتساب العلم والمعرفة والتسلح بكل أسباب القوة الدينية لمواجهة أية أفكار من شأنها التشكيك وإثارة الشبهات حول الدين الإسلامي.

كذلك يجب رصد الأفكار الإلحادية ومواقع بثها والترويج لها والعمل على التصدى لها من قبل المتخصصين في مجالات العلوم الشرعية والعلمية حتى لا تترك الساحة لمن يروجون الأباطيل والشبهات خصوصا مع تغير وسائل وأدوات نشر هذه الأفكار نتيجة انتشار الإنترنت والتقنيات الحديثة التي جعلت من الصعوبة السيطرة على تدفق المعلومات والبيانات إنما يجب العمل على التصدى لها بذات الوسائل المستخدمة، ليكون التأثير أكثر نفعا وفائدة. كذلك يجب تبني برامج ترسخ الإيمان وتقوي العقيدة وتتضمن إجابة عن كل الشبهات التي يلجأ إلى إثارتها ناشري الأفكار الإلحادية حتى تكون ثمة مواكبة مع تغيرات العصر وحالة الانفتاح والتطور الذي يشهده.





جاسم الجاسم
صحافي وباحث

الكرم.. صفة الأنبياء وأخلاق الإسلام

جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الكثير من الآيات والأحاديث التي تناولت موضوع الكرم وأهميته وفضله باعتباره أحد أفضل مكارم الأخلاق. فمن تحلى بالكرم نال المكانة العالية والمنزلة الرفيعة واتبع منهج الإسلام الصحيح الذي يدعو إلى الجود والعطاء وينبذ البخل والشح.

والكرم ليس فقط صفة جميلة يحب الإنسان أن يوصف بها إنما هو خلق عظيم من أخلاق الإسلام، وصفة من صفات الأنبياء، واسم من أسماء الله الحسنى، فهو الجواد الكريم الذي «يحب الجود والكرم ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها».

ومما جاء في القرآن الكريم من آيات تبين كرم الأنبياء قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الذاريات:٢٤-٢٧).

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٢٧٣-٢٧٤). وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١).

وجاءت الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن الكرم وفضله، فقد كان رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في الكرم والبذل والعطاء، والنموذج الذي علينا اتباع نهجه وسيرته في الإحسان والجود ومساعدة الآخرين، فعن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا».

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه. قال: «... فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر».

علاء عبدالفتاح

مكتب الشهيد مسيرة عرفان بالجميل

في ذكرى الغزو الصدامي

مكتب تكريم الشهداء بدولة الكويت من المكاتب الفريدة على مستوى العالم فبالإضافة إلى رعايته أسر شهداء الوطن يرعى أسر شهداء خمس عشرة جنسية ممن اعتبروا الكويت وطنا لهم، فذادوا عنها بأرواحهم وقت الغزو الصدامي الغاشم قبل اثنين وثلاثين عاما، وبالتحديد في أغسطس من عام ١٩٩٠م وما تلاه من أشهر قليلة حتى التحرير المبارك.

ورعاية أسر الشهداء تأتي عبر هذا المكتب الكائن بالقرب من معرض الكتب الدولي بـ «مشرف» برعاية من سمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه.

«الوعي الإسلامي» مشاركة منها في استذكار الدروس والعبر من ذكرى الغزو وإحياء منها لمسيرة الأبطال الذين قاوموا واستبسلوا في المقاومة، زارت مكتب الشهيد والتقت مع بعض من ذوي الشهداء كما حاورت المدير العام للمكتب صلاح العوفان الذي تحدث عن مهمة المكتب في الرعايات الصحية والسكنية والاجتماعية والقانونية والتربوية لأسرة كل شهيد



محرر الوعي محاورا مدير مكتب الشهيد صلاح العوفان



تكريم أميري

أنشئ مكتب الشهيد بمرسوم أميري رقم ٣٨ لسنة ١٩٩١ بتاريخ ١٩٩١/٦/١٩م، تقديراً من سمو أمير البلاد الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح -طيب الله ثراه- للأعمال البطولية التي قام بها شهداء الكويت الأبرار بمشاركتهم في الحروب العربية، وشهداء الكويت الذين دافعوا عن أرضهم ولا ننسى أن سمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح -طيب الله ثراه- عظم مفهوم الشهادة وقيمة المواطنة بإصداره المرسوم رقم ٣٢٥ بتاريخ ٢٠١١/٨/٢٥م بتعديل بعض أحكام المرسوم رقم ١٩٩١/٣٨ في شأن تكريم الشهداء ورعاية ذويهم.

منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، بمن فيهم شهداء الواجب في قوة الإطفاء أو الشرطة أو الحرس الوطني وغيرهم.

تصل إلى المبنى البالغ خمسة أدوار فينتابك شعور عجيب بالرهبة وتتذكر بيت الشعر العربي للمعري

«خفف الوطء ما أظن أديم الـ ...
أرض إلا من هذه الأجساد»

أجساد طاهرة لم يخش أصحابها رحمات الله عليهم جميعا مما يخشاه البشر.. اشتركوا في فرق

صلاح العوفان: شعارنا «الكويت الوجود الثابت ونحن الوجود العابر»

مقاومة العدو المغتصب معرضين أنفسهم لأهوال كان أهونها فراق الحياة التي لا يشفق فيها الإنسان على أخيه الإنسان فيعذبه عذابا شديدا ليدلي بمعلومة أو يكشف عن رفاق المقاومة.

قاعة المتحف بالدور الأرضي تساعدك على أن تعيش أجواء فترة الغزو الصدامي عبر ثلاث شاشات بينهم مجسمات لبيت القرين والمباني الشهيرة بالكويت مع نماذج لطائرة وبعض المعدات القتالية وصور عديدة تعبر عما حدث آنذاك.

ثمة شاشة تعرض ما حدث قبل الغزو وثانية لما حدث أثناء الغزو من مقاومة ودفع ثمن باهظ للنصر أو الشهادة وأخرى لما بعد اندحار الغزاة وظهور بطولة التحرير.. العلاقات العامة والإعلام بمكتب الشهيد يذللون كل صعاب أمام زيارتك، يصحبونك ويرشدونك إلى قاعات المبنى وفيها قاعة للسينما مجهزة بأحدث التقنيات لعرض ما تم تصويره من بطولات.



ولأن الأيام أيام ذكرى لحدث جلل فقد استدعت إدارة المكتب بعض الأسر للاطمئنان عليها والتعرف عن قرب أكثر لمتطلباتهم.

وهنا تلتقي «الوعي الإسلامي» بالتربوية غيداء العامر أخت الشهيدة وفاء العامر (مواليد مايو ١٩٦٧م) التي ارتقت في السادس من فبراير ١٩٩١م بعد أن قضت ثلاثة أسابيع في أسر القوات الغاصبة انتهت بإعدامها شنقا وإلقاء جثتها أمام بيت العائلة بمنطقة العديلية وهناك كانت غيداء الفتاة ابنة الـ١٧ ربيعا مع أخيها وإحدى قريباتها فقط.. مشهد لا بد مؤلم وحدث لا بد جلل أن ترى الأخت أختها في تلك الصورة. تقول العامر: وفاء تاج على رأسي أمشي به وكل من يقابلني ويعلم أني أختها تتغير معاملته ونظرته إلى الأفضل، مشاعري في هذه اللحظة وأنا أتذكرها مشاعر مختلطة ما بين الحزن لفراقها والفخر بها، فقد ضحت بنفسها كي تعود الكويت.

وتحكي العامر مستذكرة تلك الأيام: كانت وفاء تخرج بالنهار كي لا تلفت الأنظار إليها وتتنقل من بيت إلى بيت للمداراة وتقوم بإيصال الشحنات المتفجرة بنفسها إلى أماكن تجمع العدو الغاشم، وقد نجحت في أكثر من عملية أبرزها تفجير ملتقى قادة كبار في الدور الثاني عشر بفندق شهير. ما جعل استخبارات العدو تكثف البحث عنها وعن مجموعتها.

وعن دورها مع وفاء تقول غيداء: كنت في قمة السعادة وأنا أساعد وفاء في كتابة أسماء الفرقة ٢٥ على بعض الملصقات تمهيدا لتحرير قادم، وقد أذن الله بالتحرير، ولكن غابت أجساد الأبطال عنا وإن بقوا أحياء في القلوب وأحياء عند ربهم يرزقون برحمته سبحانه.

أسامة البلهان: الدولة ترعى كل أفراد أسرة الشهيد رعاية لا نجدها في أرقى المجتمعات

نستوقف أسامة البلهان ابن الشهيد عبدالحميد البلهان قبل أن يغادر المبنى ونسأله عن دور مكتب الشهيد معه فيقول: بعد التحرير عملت في المكتب ولمست بنفسي ما يقدمونه من أنشطة وخدمات حقيقية ومؤثرة، فبخلاف الدورات النفسية المتخصصة لأرامل الشهداء كانت هناك مساندة اجتماعية وبرامج ترفيهية وتثقيفية وتوعوية.. الأبناء يتلقون رعاية خاصة راقية لدعمهم دراسيا في مراحل الدراسة والأمهات أيضا والآباء.. الحقيقة كل فرد من أفراد أسرة الشهيد تكرمه الدولة وترعاه رعاية لا نجدها في أرقى المجتمعات فقط هنا في الكويت.

ونعرف أن والده الشهيد عبدالحميد عبدالرحمن البلهان كان نائبا لمدير مركز حسين مكي جمعة لمكافحة السرطان، وقد رفض إعطاء القوات الغازية أي معلومات عن المقاومة كما رفض تسليمها الأجهزة الطبية فاقتادوه وعذبوه ببشاعة ثم رموه أمام



منزله في منطقة الرميثية وأطلقوا عليه -رحمه الله- الرصاص.

ويستقبل مدير عام مكتب الشهيد صلاح العوفان «الوعي الإسلامي» في مكتبه بالترحاب موضحا أن شعار مكتب الشهيد اليوم مأخوذ من أقوال الأمير الراحل الشيخ جابر الكويت طيب الله ثراه وهي: «الكويت الوجود الثابت ونحن الوجود العابر»، ويقول: الأبطال الذين ضحوا بأرواحهم طبقوا هذه المقولة بأدق التفاصيل لتكون الكويت ثابتة وهم العابرون. ويلفت العوفان إلى أن مظاهر الاحتفال بذكرى الشهيد هذا العام تتضمن شاشات عرض عملاقة في المجمعات التجارية و على أبراج الكويت وستقام جداريات على خطوط الطرق السريعة بمشاركة عشرة من طلبة كلية العمارة، وأيضا جاءت الموافقة على إنشاء جدارية كبيرة للشهداء بمطار الكويت الجديد.

كما تطلق بتوجيهات من القيادة السياسية ومعالي وزير شؤون الديوان الأميري رئيس مكتب أمناء مكتب الشهيد أسماء الشهداء على حدائق المناطق وتكون صورهم بالداخل مع نبذة عنه وعن البطولات التي قدمها مستخدمين تكنولوجيا الـ (كيو آر) للتيسير على من يريد الاطلاع بكبسة زر من هاتفه المحمول.

وتقام احتفالية بعد توقف عامين في فبراير ٢٠٢٣م مع دورات في «أكاديمية المبدعين ٣» بعد تخرج أبناء الشهداء وذلك في بداية أكتوبر المقبل لصقل مواهبهم وتأهيلهم لسوق العمل.

ونسأل العوفان عن رعاية أسر شهداء من ١٥ جنسية فيرد: هذا المكتب غير مسبوق بالعالم فمن يعيش على أرض الكويت يصبح من أهل البلد، فما بالك بمن يضحي من أجل الكويت! بالتأكيد هو أحب البلد فضحى من أجلها، وهذا فخر. ولذلك نرعى أسر من قام بهذا الفعل النبيل وقت الغزو وبعده ومثلما نقدم للأسرة الكويتية نقدم لأسرته.

ويستطرد العوفان موضحا أن بالمكتب أقسام رعاية مختلفة منها قسم تربوي يتعامل مع المدارس مباشرة ويتابع درجات الطلبة ويقدم دروس تقوية ومكافآت وقسم للرعاية الصحية يهتم بالأرامل كبيرات السن وييسر لهم مراجعات ومستلزمات طبية وثمة رعايات نفسية من قبل موجهين نفسيين وأسبوعيا يتصلون بالأسر للاطمئنان.

وأخيرا نسأل مدير عام مكتب الشهيد صلاح العوفان: هل يعني كلامك أنه يمكن لأي فرد من أسرة شهيد أن يرفع سماعة التليفون ويطلب من المكتب مساعدة ما وقت احتياجه لها؟

فيؤكد: طبعا والمكان مفتوح فترتين صباحية ومسائية لأسر هؤلاء الأبطال الذين غابوا ليحضر الوطن.

غيداء العامر تحكي عن بطولة أختها الشهيدة وفاء



نادر أبو الفتوح
صحافي وباحث دراسات إسلامية

د. نبيل السمالوطي عميد كلية الدراسات الإنسانية الأسبق بجامعة الأزهر في حوار مع «الوعي الإسلامي»:

حفظ القرآن ضمانة لإعداد جيل متميز



أكد الدكتور نبيل السمالوطي عميد كلية الدراسات الإنسانية الأسبق بجامعة الأزهر بالقاهرة، أن الأطفال حفظة القرآن الكريم هم الأكثر تميزا عن غيرهم في اللغة العربية، وأن تفوقهم في حفظ القرآن يكون دافعا لهم للتميز في الدراسة ومجالات العمل، وأن تحفيظ القرآن ليس الهدف منه إعداد داعية أو قارئ للقرآن فقط، لكن ينبغي أن تهتم الأسر بتحفيظ الأبناء القرآن الكريم لبناء إنسان لديه القيم والأخلاق الحسنة وأشار السمالوطي في حواره مع «الوعي الإسلامي» إلى أن حفظ القرآن في سنوات الطفولة الأولى يهيئ الطفل للتميز، لأن القرآن ينعكس على سلوكيات الطفل طوال مسيرة حياته، بجانب تميزه المؤكد في اللغة العربية، ويكون ذلك دافعا لمزيد من التميز في الدراسة والعمل والحياة، كما أن الاهتمام بتحفيظ الأطفال القرآن الكريم يؤدي لإعداد جيل متميز من الدعاة والقراء أصحاب الأصوات الحسنة، وإن مسابقات القرآن الكريم التي تعقد في العالم الإسلامي ومنها مسابقة الكويت العالمية لحفظ القرآن تؤدي رسالة عظيمة في رعاية الحفظة المتميزين وتشجيعهم.. وإلى نص الحوار:

• حفظ القرآن الكريم مبكرا له تأثيرات إيجابية كبيرة، كيف يمكن تنمية مهارة الحفظ لدى الأطفال والناشئة؟

- المؤكد أن حفظ القرآن الكريم في سنوات الطفولة الأولى يشكل وجدان الأطفال والناشئة، ويؤدي لترسيخ القيم والأخلاق لديهم في هذه المرحلة العمرية، وبالفعل الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر، لأن بناء الإنسان يتشكل في مرحلة الطفولة، وحفظ القرآن الكريم يعد ضمانة لبناء إنسان لديه منظومة القيم والأخلاق التي تحملها معاني القرآن الكريم، إضافة إلى أن الأطفال حفظة القرآن الكريم يكون لديهم قدرات خاصة في التحصيل الدراسي، كما أنهم أكثر تميزا من غيرهم في اللغة العربية، بجانب أن مجرد حفظ القرآن يعطي دافعا للطفل ليكون متفوقا دائما في الدراسة والعمل والحياة.

• وبماذا تنصح الأسر للتعامل مع الأطفال في هذه الفترة لتشجيعهم على حفظ القرآن؟

- الأسرة التي تريد أن تبني إنسانا لديه طموح ويتمتع بالقيم والأخلاق والرحمة والتسامح، عليها أن تحفظه ما تيسر من القرآن الكريم، والقضية هنا تتمثل في حفظ ومدارسة القرآن، وليس شرطا حفظ القرآن الكريم كاملا، لأن هناك قدرات خاصة لدى الأطفال، فالبعض قد يحفظ القرآن كاملا قبل أن يتعدى سن العاشرة، والبعض الآخر قد لا يستطيع ذلك، لكن الأمر الذي نركز عليه أن يحفظ الطفل القرآن بالقدر الذي يستطيع، ومجرد الاستمرار في الحفظ من خلال الأسرة أو محفظ القرآن الذي لديه دراية بالتفسير والمعاني والقراءات، فهذا أمر جيد للغاية، لأنه يكسب الطفل الكثير من المعاني التي تساعده في المستقبل وتجعله يتعامل

مـع الـواقـع والحـيـاة، وينبغي على الأسـر أن تشجع الأطفال بالطريقة التي تراها مناسبة، وأن يتم توجيه قدرات الأطفال للمجالات التي تبني الشخصية وترسخ القيم والأخـلاق، وأن يـكـون حفظ الـقـرآن بـالـتـوازي مع الاجتهاد في الدراسة وممارسة الرياضة وغير ذلك من الأنشطة التي تكسب الطفل مهارات جديدة.

● البعض يـرى أن حفظ القرآن يرتبط بالتعليم الديني فقط بـهـدف إعـداد داعـيـة أو قـارئ، كيف نصحح هذه المفاهيم؟

- حفظ الـقـرآن الـكـريـم فـي المقام الأول الهدف منه بناء إنسان وترسيخ منظومة الـقـيـم، بـهـدف أن تنعكس أخـلاق الـقـرآن عـلـى الأطـفـال في مسيرة حياتهم، وهذا أمر في منتهى الأهمية، ونجد دائما أن حفظة القرآن متفوقون في وظائفهم فنجد الطبيب الماهر يحفظ القرآن، والمهندس المبدع يحفظ الـقـرآن، والـحـرفـي المتميز يحفظ القرآن وهكذا في كل المهن، والمؤكد أيضا أن حفظ القرآن الكريم في الصغر يؤدي لبناء جيل من الأئمة والدعاة وقراء القرآن المتميزين، لأننا نريد داعية تربى ونشأ على مائدة الـقـرآن، ونريد مفسرا للقرآن تعلم على يد كبار المقرئين المفسرين واطلع على الكتب والمراجع، هذا جانب آخر ومهم للغاية في مجال تحفيظ القرآن للأطفال، كما أن أصحاب الأصوات الحسـنـة مـن قـراء الـقـرآن الكريم نجدهم حفظوا الـقـرآن الـكـريـم في سنوات الطفولة الأولـى، واجتهدوا بعد ذلك لتطوير قدراتهم وأصبحت حياتهم مع القرآن، يسمعون عمالقة الـتـلاوة ويسعون ليكونوا على نفس الطريق.

● وكيف ترى دور مسابقات القرآن في اكـتـشـاف المـواهـب وتنمية قدرات الحفظة؟

الأطـفـال حفظة الـقـرآن الأكـثـر تـمـيـزا فـي اللـغـة العـربـيـة والتمتع بـالأخـلاق الحسنة

- مسابقات القرآن الكريم دائما ما تكون نقطة انـطـلاق المتميزين من الحفظة وأصحاب الأصوات الحسنة، وينبغي التوسع في تنظيم مسابقات القرآن على مستوى المدارس ومراكز الشباب والجامعات، لتكون هذه هي المستويات الأولى لتصعيد المتميزين، وبالفعل هناك مسابقات للقرآن في العديد من الـدول الإسـلامـيـة، وتعد مسابقة الكويت العالمية لحفظ القرآن الكريم واحدة من أكبر تلك المسابقات التي تشجع الحفظة من مختلف دول العالم الإسلامي.

● وما هي النصائح التي توجهها لحفظة القرآن الكريم؟

- أقول لحفظة القرآن الكريم لابد أن تنعكس أخلاق القرآن على تعاملاتكم مع الـنـاس، لأن صفات أهـل القرآن الـرحـمـة والـتـسـامـح وصـلـة الأرحـام والتعامل بالحسنى، كما ينبغي أن يؤدي حافظ القرآن دوره في المجتمع، وأن يضرب النموذج والمثل الأعلى في إتقان العمل والحفاظ على الطاعات، ويجب على حافظ القرآن أن يكون

مـسـابـقـة الـكـويـت العالمية لحفظ القرآن رائـدة فـي اكـتـشـاف المـواهـب ورعـايـة الحـفـظـة مـن أبـنـاء الـعـالـم الإسـلامـي

قـدوة لغيره ويسعى دائـمـا لخدمة الناس، ونحذر من التعالي والتباهي بحفظ الـقـرآن، فهذه نعمة من اللّٰه عز وجل تتطلب التواضع والإخلاص، وينبغي أن يكون حافظ الـقـرآن هو الطرف الذي يتسامح ويعفو ويتمسك بالفضيلة، حـتـى يـرى الـنـاس منه أخـلاق الـقـرآن، وعليه أن يـدرك أن التوافق بين الأفعال والأقوال واجب، وأن التناقض بين الأفعال والأقـوال يعد تدينا مظهريا مرفوضا.

● وكيف يمكن إعداد جيل متميز من حفظة القرآن والقراء أصحاب الأصوات الحسنة؟

- العناية بالمتميزين من حفظة وقراء القرآن مسؤولية المؤسسات الدينية والجهات القائمة على تحفيظ القرآن الكريم، وينبغي تقديم النماذج المتميزة ودعمهم ومنحهم الفرصة للقراءة في المـنـاسـبـات الـعـامـة واعـتـمـادهـم في وسائل الإعلام، بجانب دعمهم ماديا ومعنويا وتـوفـيـر كـل الـوسـائـل التي تمكنهم مـن الاسـتـمـرار فـي مسيرة حفظ ومدارسة القرآن الكريم، وأن تقوم الجهات التعليمية بالاستفادة منهم في تحفيظ الأطفال والشباب، والمؤكد أن المتميزين في هذا العصر يتمتعون بقدرات الجيل القديم من عمالقة الـقـراء، بـل ولديهم وسائل تـواصـل جـديـدة تـسـاعـدهـم على الانـتـشـار، لكن عليهم أن يجتهدوا ويكونوا أصحاب رسالة، وأن يخلصوا في رسالتهم لخدمة كتاب اللّٰه، وأن تـكـون لـكـل واحـد منهم شخصيته المـتـفـردة، لأن تقليد المـشـاهـيـر من القراء يفقدهم الكثير، وينبغي أن يتم إيفادهم لقراءة القرآن في المساجد والمراكز الإسلامية في الغرب، لأن هؤلاء هم سفراء بلادهم، والأقليات الإسلامية في الـخـارج تحتاج قـراء الـعـالـم الإسـلامـي لإحـيـاء الليالي والمناسبات الدينية.

جعفر بن أشرف المليباري
محاضر في كلية وادي الرحمة - الهند



المحرم شهر التجديد والتذكير

تمر بنا الأيام والأعوام بسرعة فائقة لا يمكن لأحد تمهيلها، خصوصا في هذا العصر الحديث الذي يدعى عصر الإنترنت والتكنولوجيا. والجميع يسعون دائما وراء أشغالهم الدنيوية ويبذلون قصارى جهدهم من أجل تحقيق أحلامهم الدنيوية أو المؤقتة وينسون ما يجب فعله من العبادات والطاعات التي من أجلها فقط خلقنا الله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦). واليوم لا ينظر الناس إلى أعمالهم الأخروية ولا يحاسبون أنفسهم كأنهم أصبحوا غارقين في بحار هموم الدنيا وغمومها التي كلها فانية ومؤقتة. ومن المؤسف أن ينسى الإنسان سعادته الأبدية وأن يهرول وراء شهواته الزائلة التي لذتها مزيفة وكاذبة ليس لها عمر طويل. لكن ماذا سنفعل به إذا أكلت الغفلة عقله واتخذت الأرضة بيتا في رأسه؟ ثمة أمر مهم يجب علينا ذكره أن الله قد جعل لنا الأيام والأشهر والأعوام والليل والنهار لنعلم عدد السنين والحساب وليتمكن الإنسان من تجديد نفسه وتخطيط مستقبله الزاهر وتجديد حياته القادمة وأن يحاسب نفسه وأن يرتب أموره حسب التوقيت.

هيا بنا نستعد لاستقبال العام الهجري الجديد بحفاوة عظيمة لأنه شهر الله المبارك وأول شهور السنة الهجرية وأحد الأشهر الحرم التي قال الله فيها: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:٣٦). وقد بين لنا رسول الله ﷺ ما هي تلك الأشهر، حيث روي عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض: السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم؛ ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» (أخرجه البخاري في صحيحه:٤٦٦٤؛ ومسلم في صحيحه:١٦٧٩).

ومن المعلوم لدى الجميع أن المحرم هو بداية العام الهجري؛ أي يدخل الإنسان فيه إلى حقبة جديدة من الزمن. وبذلك عليه القيام بتخطيط جديد لأيامه القادمة بشكل أفضل وعليه أيضا الحصول على إنجازات ومواهب جديدة وأن يرسم الأهداف والطموحات في أوراق خطته الجديدة مع استمرار محاولاته الحارة لتحقيقها بشكل أجدر. ولا يجوز له أن يترك أوراق الخطة فارغة وخالية. وعليه التأكد بأن خطته أصبحت كافية لما سيفعله في المستقبل. هل تفكر أيها القارئ العزيز- لماذا أقول عن شهر المحرم أنه شهر التخطيط؟ نعم! إنه بداية العام فعلينا أن نخطط الأمور منذ البداية وألا تكون الأمور خاوية على عروشها. أجل! هذا أفضل فرصة لنا لتجديد أنفسنا وحياتنا وتطوير موهوباتنا وصقل مهاراتنا وقدرتنا على الإبداعات وتشخيص إيماننا وأعمالنا وأن نظفر بأوقاتنا الثمينة وأن نغتنم كل فرصة تظهر أمامنا في الأيام القادمة

وأن ننجي أنفسنا من تضييع الوقت. هكذا شأن بداية كل شهر وأسبوع ويوم وساعة وبداية أي مشروع وأعمال. ربما يحتاج التخطيط إلى بذل كثير من الأوقات لكنك تربح كثيرا في مسيرتك إلى المستقبل.

ومما لا بد من التنبه إليه أن الجيل الجديد قد سيطرت عليهم مكائد الشبكة ووسائل التواصل الاجتماعي وقد أكلت الألعاب الإلكترونية عقولهم وأفكارهم حتى أصبحت مشاعرهم غائبة عن العالم الواقعي وأصبحت حياتهم كلها متعلقة بما يشاهدونه في العالم الرقمي، وظنوا أن العالم الرقمي هو العالم الواقعي. في الحقيقة، إنهم لا يعرفون أنهم يقتلون أوقاتهم أمام شاشات الهواتف الذكية واللابتوب وأصبحت عيونهم مغروسة على الشاشات وأصبحت الهواتف ملصقة على أكفهم بل أصبحت عضوا من أعضاء الجسد. ومعظمهم غافلون عن المستقبل وليس لديهم أي خطط لحياتهم وهم مولعون بهواتفهم في زاوية من زوايا البيوت والشوارع كأنهم أوراق ساقطة تلعب بها الرياح بقدميها كما يفعل اللاعبون بكرة القدم.

ومما لا بد من توضيحه أن لشهر الله المحرم فوائد كثيرة وفضائل عديدة، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم» (رواه مسلم: ١٩٨٢)، وإضافة الشهر إلى الله (شهر الله) إضافة التعظيم. أتعرف أيها القراء ما الحكمة في تسمية المحرم شهر الله والشهور كلها لله؟ يحتمل أن يقال: إنه لما كان من الأشهر الحرم التي حرم الله فيها القتال، وكان أول شهور السنة أضيف إليه إضافة تخصيص ولم يصح إضافة شهر من الشهور إلى الله تعالى إلا شهر الله المحرم. وفيه يوم عاشوراء أي العاشر من شهر المحرم الذي يكفر صيامه ذنوب سنة ماضية لقول النبي ﷺ: «صيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» (رواه مسلم: ١١٦٢). وقد تحدث بعض المؤرخين عن العديد من الأحداث التي وقعت في العاشر من المحرم، وهو المسمى بيوم عاشوراء، ومنها أن الله تعالى نجى سيدنا نوح، عليه السلام، ومن آمن معه من الطوفان في عاشوراء. ولما كان سيدنا نوح، عليه السلام، يصنع الفلك كما جاء الأمر من الله كان قومه يمرون من أمامه ويسخرون منه إلى أن جاء الأمر بأن يركب في الفلك مع الذين آمنوا معه لينقذهم من الطوفان كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود:٣٦-٣٧).

وكذلك وقعت في يوم عاشوراء نجاة موسى من فرعون. كان فرعون متكبرا في الأرض وطاغيا وهو الذي نادى في قومه أنا ربكم الأعلى، وكفر بالله سبحانه وتعالى، ونكل ببني إسرائيل وقام بتعذيبهم. لما جمع سيدنا موسى، عليه السلام، قومه للخروج، تبعهم فرعون، فجاء الوحي في ذلك اليوم العظيم لموسى، عليه السلام، أن يضرب البحر بعصاه، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الشعراء:٦٣).

وكذا تاب الله على آدم، عليه السلام، في هذا الشهر كما قال الله عز وجل: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة:٣٧).

ومن الجدير بالذكر أن الأمور كلها يدبرها الله الخالق القهار، وبذلك علينا أن نتوكل عليه إذا عزمنا الأمر كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩). وعلينا أيضا أن نسأله التوفيق وأن ندعوه بالخير والبركة لأنه يستجب الدعاء كما قال في كتابه المبين: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠). وثمة أمر مهم لا بد من توضيحه أنه إذا لم نتمكن من تنفيذ خططنا بشكل جيد فعلينا الصبر والاستمرار في المحاولات وألا نقنط من روح الله ورحمته كما قال في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣)، وقال: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧).

وختاما: لا بد أن ننقذ الجيل الجديد من مكائد الألعاب الإلكترونية وأن نقوم بتثقيفهم وتهذيبهم وتزكيتهم وإرشادهم إلى الصحيح وأن نضيء لهم الطرق والسبل من أجل مستقبلهم الزاهر. ومما لا شك فيه أن شهر الله المحرم أفضل فرصة لتخطيط مشاريعنا في المستقبل وترتيب أهدافنا وأحلامنا. وإذا عزمنا الأمر فعلينا التوكل على الله وأن ندعوه للتوفيق والنجاح، وأن نعيش مطيعين لله عز وجل وأن نسلم لإرادته لأن إرادة الله فوق إرادة الجميع.



د. سعيد عبيدي
دكتوراه في الفكر الإسلامي

فضل الأشهر الحرم

لقد حرص السلف الصالح أشد الحرص على الأوقات خصوصا تلك التي حباها الله تعالى بمزيد فضل عن غيرها، والتي تكون فيها الأعمال والقربات من صلاة وصيام وذكر وقيام وعمرة ونحوها مضاعفة الأجر والثواب، ومن هذه الأوقات الأشهر الحرم التي ذكرها تعالى في القرآن الكريم، وبينها لنا رسول الله ﷺ أحسن تبيين.

يقول سبحانه في التنزيل الحكيم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ (التوبة:٣٦). والأشهر الحرم المذكورة في الآية بينها رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع بقوله: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»[١]؛ فهي إذن ثلاثة متتابعة وواحد فرد، وإنما قال ﷺ: ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان؛ «لأن قبيلة ربيعة كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبا، وكانت مضر تحرم رجبا نفسه، ولهذا قال النبي ﷺ: «الذي بين جمادى وشعبان» تأكيدا وبيانا، وليرفع ما وقع في اسمه من الاختلال، ليبين صحة قول هذه القبيلة في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان، لا كما تظن قبيلة ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم، فبين ﷺ أنه رجب مضر لا رجب ربيعة»[٢].

وقد اختلف العلماء في أي الأشهر الحرم أفضل؛ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «قال الحسن وغيره: أفضلها شهر الله المحرم، ورجحه طائفة من المتأخرين، وروى وهب بن جرير عن قرة بن خالد عن الحسن، قال: إن الله افتتح السنة بشهر حرام وختمها بشهر حرام، فليس شهر في السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم، وكان يسمى شهر الله الأصم من شدة تحريمه». وخرج النسائي من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ أي الليل خير وأي الأشهر أفضل؟» فقال: «خير الليل جوفه، وأفضل الأشهر شهر الله الذي تدعونه المحرم»، وإطلاق النبي ﷺ في هذا الحديث أفضل الأشهر، محمول على ما بعد رمضان»[٣].

وقد استدل من قال بأن شهر المحرم هو أفضل الأشهر الحرم بكون النبي ﷺ أسماه بـ «شهر الله الحرام»، وإضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله، «فالله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته، كما نسب محمدا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه إلى عبوديته، ونسب إليه بيته وناقته. وقد قيل في معنى إضافة هذا الشهر إلى الله عزوجل: إنه إشارة إلى أن تحريمه من الله عزوجل وليس لأحد تبديله، كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه صفرا، فأشار إلى شهر الله الذي حرمه فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره»[٤].

والأشهر الحرم السالفة الذكر تضاعف فيها الحسنات كما تضاعف فيها السيئات، لذلك نهى تعالى عن الظلم فيها؛ فقال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ (التوبة:٣٦)؛ يقول قتادة: «إن العمل الصالح والأجر أعظم في الأشهر الحرم، والذنب والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما

يشاء، وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل»[٥]، ويقول القرطبي في تفسير هذه الآية: «لا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب، لأن الله سبحانه إذا عظم شيئا من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيئ كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح، فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام، ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال»[٦].

لذا فإن واجبنا نحو الأشهر -بناء على ما ورد في الكتاب والسنة النبوية الشريفة- هو «استشعار حرمة هذه الأوقات والحذر من ظلم النفس فيها باجتراح السيئات واقتراف الآثام والخطايا في أي لون من ألوانها امتثالا لأمر الله تعالى، فالذنب في كل زمان ومكان سوء وشؤم وظلم للنفس؛ لأنه اجتراء على الله تعالى المحسن بالنعم السابغة والآلاء الجميلة، لكنه في الشهر الحرام أشد سوءا وأعظم شؤما وأفدح ظلما؛ لأنه يجمع بين الاجتراء والاستخفاف وبين امتهان حرمة ما حرمه الله وعظمه واصطفاه»[٧].

ومن فضل الله تعالى ومنته على عباده في الأشهر الحرم أن قدر في بعض أيامها شعيرة عظيمة؛ هي شعيرة الحج، «فعندما جعل الله تعالى البيت الحرام مكانا آمنا، جعل له زمانا آمنا، هو تلك الأشهر الحرم، فخصت هذه الأشهر بالحرمة لحاجة الناس إلى حج بيت الله، فيأتون للحج من كل حدب وصوب، فجعل الله هذه الأشهر الحرم سياجا يحمي به الناس من بعضهم؛ حتى يؤدوا مناسكهم بأمن واطمئنان، ويعودوا كذلك إلى بلادهم آمنين، فكانت ثلاثة أشهر متتالية، وفي وسطها تقع أيام الحج، فمقام الحاج بمكة وأداء حجه يكون في أمن وأمان، وكذلك حال مجيئه إلى الحج، وحال عودته إلى أهله»[٨].

ومن فضل هذه الأشهر الحرم كذلك أنها تشتمل على الليالي العشر التي أقسم الله تعالى بها، وتسمى عشر ذي الحجة، كما تشتمل هذه الأشهر على يوم عرفة، وهو أفضل أيام العشر، ويوم التضحية؛ يقول سبحانه: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ (الفجر:١-٥).

والعمل الصالح في هذه الأيام أفضل من العمل الصالح فيما سواها من باقي أيام السنة؛ فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عمل أزكى عند الله عزوجل ولا أعظم أجرا من خير يعمله في عشر الأضحى، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله عزوجل، قال: ولا الجهاد في سبيل الله عزوجل، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»[٩].

في الختام يمكن أن نقول بأن الله تعالى أكرمنا بأوقات وأيام ليست كغيرها، إذ يضاعف فيها سبحانه الأجر والثواب ويفتح فيها باب التوبة والمغفرة، لذا كان التعرض إليها وتحريها من أحسن الطرق لنيل الخيرات والمسرات؛ يقول ﷺ: «إن لربكم عزوجل في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبدا»[١٠]، وهذا دليل واضح على اغتنام الأيام الفاضلة والساعات المباركة، والحث على استباق الخيرات وتحين الفرص فيها، ولعل الأشهر الحرم من هذه الأوقات بنص القرآن الكريم وهدي سيد الأولين والآخرين.

الهوامش

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأضاحي، رقم الحديث: ٥٢٣٠.

٢- انظر: خالد بدير، واجبنا نحو الأشهر الحرم، نقلا عن مصطفى حكماوي، الأصفياء، دار الأئمة للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص: ١١٢.

٣- عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تفسير ابن رجب، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م، ج.١، ص: ٥٢٦.

٤- زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص: ٨١-٨٢.

٥- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، ج.١، ص: ١٤٨.

٦- أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤، ج.٤، ص: ٢٣٤.

٧- انظر: علي الحاروني، الأشهر الحرم، الرابط: www.alielharony.com/7orem_elashoh_0023/pdf.

٨- محمد بن عبدالله السبيل، ذكريات في المسجد الحرام، مجلة الدارة، العدد ٣، السنة ٢٩، ١٤٢٤، الرياض، ص: ٢٠٧-٢٠٨.

٩- انظر: صحيح البخاري (٩٦٩)، سنن الترمذي (٧٥٧)، سنن أبي داود، (٢٤٣٨)، الترغيب والترهيب للألباني، (١١٤٨).

١٠ - انظر: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ج.١، ص: ٢٥٠، رقم الحديث: ٧٢٠.



محمد البولاني
باحث دراسات إسلامية



مقاصد الهجرة النبوية عند الطاهر بن عاشور

الهجرة سنة من سنن الله الكونية لازمت رسل الله عليهم السلام، فقد عارضهم أقوامهم وكذبوهم بعد أن أقاموا الحجة عليهم، وخيروهم بين الرجوع إلى عقائدهم الفاسدة أو الطرد من الوطن والديار، كما حكاه الله تعالى عنهم في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (إبراهيم: ١٣)، فقد هاجر إبراهيم ولوط وموسى وغيرهم من الرسل والأنبياء عليهم السلام، وهو ما تفطن له ورقة بن نوفل لما أخبره النبي ﷺ بخبر نزول الوحي عليه في غار حراء، بقوله: «يا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك».[١]

وقد خرج الرسول ﷺ تحت عناية ربه عز وجل لأسمى غاية يفارق المرء لأجلها وطنه ألا وهي حفظ الدين، والذب عن العقيدة، ونبذ الشرك وأهله، والبحث عن أرض طيبة لغرس دين التوحيد وجعل دعوته حدثا مشاهدا مطبقا متحدثا به، بعد أن كانت دعوة مسموعة مضيق عليها أذى المشركين وعناد المخالفين.

وتعتبر الهجرة النبوية حدثا عظيما غير مجرى التاريخ في العالم، حيث تم تأسيس المجتمع الإسلامي المنظم، وبدأت دعوة الإصلاح إلى كل الآفاق لإخراج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم.

وقد اشتمل هذا الحدث العظيم على فوائد جليلة، ودلائل باهرة، وحكم بالغة كان لها الأثر الكبير في التمكين لدين الإسلام، وحمل رسالته العالمية إلى ما فيه هداية للبشرية وتحقيق سعادتها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: الآية ١٠٧).

وقد استفاد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور إمام علم المقاصد الشرعية وأبرز مجدديه في هذا العصر من نزعته المقاصدية المتمثلة في استحضار مقاصد الشريعة -في تدبر وفهم أحداث ووقائع السيرة النبوية ظاهرا وباطنا، واستفادة مدلولاتها وبيان غاياتها وأهدافها- في استنباط مجموعة من المقاصد والحكم الباهرة المفيدة التي أرادها الله تعالى لرسوله ﷺ مما اشتمل عليها حادث الهجرة النبوية، والتي يسترشد بها المسلم ويعتبر بمدلولاتها، وهي كالآتي:

الحكمة الأولى: صرفه ألباب قريش وحذاقهم عن أن يفكروا في قطع دابر أمر الإسلام قبل أن يكثر أتباعه وينتدب له أنصاره، وتشتيته رأيهم في صده عن الخروج حتى مكنه الله منه، وفي ذلك اليأس تهيئة لهم نحو الدخول في الإسلام.

الحكمة الثانية: أن هيأ له أن تكون هجرته إلى يثرب، ولم يكن ذلك في باله أول وهلة، ففي الصحيح عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب»[٢]، فكان من تيسير الله أن ساق إليه النفر الستة الأولين من الأوس الذين أسلموا من أهل يثرب، فإن موقع المدينة كان وسطا من أرض العرب، فكان بلوغ دعوة الإسلام إلى بلاد العرب بانتشار شعاعي،

وهذا أيسر عموما مما لو كانت دار الهجرة اليمامة أو هجر في الطرف الشرقي الشمالي من بلاد العرب.

الحكمة الثالثة: إن أهل يثرب كانوا أقرب قبائل العرب لقبول شريعة الإسلام، فإنهم وإن كانوا قبل الإسلام مشركين، يعبدون مناة وغيرها، إلا أنهم لشدة مخالطتهم لليهود -وهم أهل كتاب- كانت آذانهم قد اعتادت معاني التوحيد والشرائع، فكانت نفوسهم مرتاضة إلى ذلك.

الحكمة الرابعة: إن الله جعل للمسلمين من أهمية موقع المدينة من بلاد العرب سلطانا على أعدائهم من قريش أهل مكة؛ فإن قريشا كانوا تجارا، وكانت لهم رحلة في الشتاء إلى اليمن للتجارة، وأخرى في الصيف إلى الشام، سن لهم ذلك هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ، وذلك هو المسمى بالإيلاف، وكان مرورهم إلى الشام على طريق المدينة من بطن عالج، فلما صارت المدينة دار إسلام، وثبتت العداوة بين أهلها وبين قريش، صارت قريش ترهب المرور على المدينة، فانقطعت تجارتهم إلى الشام، وهي أهم تجارتهم.

الحكمة الخامسة: انتقال الإسلام من طور إلى طور أكمل منه، هو الذي كان مقدمة كماله المعلن عليه يوم حجة الوداع بقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ (المائدة:٣).

فقد مضت مدة إقامة رسول الله ﷺ بمكة والإسلام حينئذ في طور كان فيه دينا مقتصرا على إصلاح العقيدة، وتهذيب نفوس أتباعه، وتطهير أخلاقهم في خويصتهم ومجتمعهم، ودعوة المشركين إلى الإيمان بالله ورسله وما جاؤوا به، وتشهير فظائع أهل الشرك وضلالهم وسخافة رأيهم، وذلك طور ابتدأ الله به الإسلام لينشأ منشأ سائر الكائنات من طفولة إلى شباب إلى كهولة ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ (الفرقان: ٣٢)، ولتهيئة قلوب المسلمين إلى تلقي الشرائع وانتظام الجماعة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة تطور الإسلام إلى طوره الأشد، فصار دينا وجامعة، وشريعة وحكومة.

الحكمة السادسة: استقلال الإسلام وأمنه، وإعلان العبادة، فشرع الأذان، وأقيمت الجمعة، ونحو ذلك.

الحكمة السابعة: تنظيم الجماعة في الإسلام من أول الهجرة بابتناء المساجد وإقامة الأئمة والقضاء، ومشروعية المواساة بين المسلمين بالزكاة والصدقات، وتنظيم قوانين العائلة من شرع تصحيح عقود الزواج، وحقوق الزوجين والقرابة والمصاهرة، وبالاستخلاف في تدبير الأمور وإقامة الأحكام في مغيب الرسول أو في البعد عنه، وابتداء التشريع العام في أحكام المعاملات والجنايات.

الحكمة الثامنة: تنظيم الدفاع عن الدين والأمة بالتهيؤ لمقاومة المشركين من أهل مكة وأحلافهم إذا نووا ذلك، وهم بوشك أن ينووه، إذ هم من قبل قد ناوءوه.

الحكمة التاسعة: إيجاد مال للمسلمين لإقامة مصالحهم، وعدة لنوائبهم مجتمعا من الزكاة والأوقاف، ثم من المغانم والأنفال.

الحكمة العاشرة: مخاطبة ملوك الأرض، ورؤساء الأمم بالدعوة إلى الدخول في دين الإسلام، والاستظلال بالراية الإسلامية.[٣]

الهوامش

١- صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: (٣).

٢- صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٦٢٢)، وصحيح مسلم: كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، رقم: (٢٢٧٢).

٣- ينظر السيرة النبوية -قصة المولد-، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق الدكتور نجم الدين خلف الله، دار سحنون -تونس-، ودار السلام -القاهرة-، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م. (ص: ١١٥-١١٧)، وجمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمع وتوثيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، (ص: ٦٤٢-٦٤٥)، والمجلة الزيتونية، المجلد الثالث، الجزء الثالث، محرم ١٣٥٨هـ- مارس ١٩٣٩م، تونس، (ص: ٩٦-٩٧).

د. خالد برادة
باحث في الدراسات الإسلامية



الهجرة النبوية والمؤاخاة الإيمانية

كانت الهجرة النبوية إيذانا ببداية مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد كانت نقلة نوعية غيرت مجرى التاريخ، وهي إعلان عن انتصار المسلم لعقيدته، ونصرته لدينه، وذوده عن مقدساته، فقد هاجر الصحب الكرام مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، يحدوهم الأمل في إعزاز دين الله، ونصرة نبيه ﷺ، ولم ينل المهاجرون شرف ذلك فحسب، بل تعداهم إلى الأنصار، الذين بلغوا شأوا بليغا في النصرة والإيواء والإيثار.

لقد فتحت المدينة ذراعيها النبي ﷺ في استقبال مهيب، وتنورت بطلعته الشريفة البهية؛ وانتاب أهل المدينة البهجة والحبور بمقدم النبي ﷺ إليهم -مهاجرا إلى الله تعالى- في مشهد لم يعرف التاريخ له مثيلا، وإليك قول البراء بن عازب: «قدم النبي ﷺ المدينة فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ»[١]؛ وعن أنس رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ لعبت الحبشة بحرابهم فرحا لقدومه»[٢]؛ وهذا أجمل ترحيب برسول الله ﷺ، يفصح عن الحب الفياض لخير خلق الله كلهم.

إن الأنصار نصروا الله في دينه، ونصروا رسوله ﷺ في دعوته، فسماهم الأنصار، فقد روى البخاري في صحيحه عن غيلان بن جرير قال: «قلت لأنس: أرأيتم اسم الأنصار كنتم تسمون به أم سماكم الله؟ قال: بل سمانا الله»[٣]، فهذه تسمية من الله لهم، وهي من أشرف الأسماء، وليس ذلك إلا تخليدا لمواقفهم وإشادة بفضائل أعمالهم، وتشريفا لتاريخهم؛ وإن الإيمان يمس شغاف القلوب بذكر الأنصار، ذلك أن «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»[٤].

وإذا كانت الهجرة النبوية نقطة انطلاق في إرساء بواعث البناء الجديد للمجتمع المسلم، باعتبار أن الهجرة نقطة تحول في تاريخ الإنسانية، غيرت مجراه، وسددت خطاه، فإن ذلك كان في حاجة إلى إتمام المسير، ففرسان الهجرة لا ينبغي لهم أن يترجلوا، بل ينبغي أن يتابعوا المسير في هجرتهم إلى الله تعالى، ومن ثم كان لابد من إرساء القواعد للمجتمع الجديد، وكان أول ما فكر فيه النبي ﷺ هو تنفيذ فكرة الأخوة الإيمانية الجامعة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ (الأنفال:٧٢).

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «ذكر الله تعالى أصناف المؤمنين، وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لنصر الله ورسوله، وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك.. وإلى أنصار وهم



المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء بعضهم أولى ببعض، أي كل منهما أحق بالآخر من كل أحد»[٥].

وتتجلى أهمية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في أنها وطدت عرى الوحدة الإسلامية، فقد كانت خالصة من شوائب تحكيم الفوارق الاجتماعية، ذلك أنها لم تحتكم إلى معايير محددة ولا إلى ضوابط معينة، كالسن أو القبيلة أو النسب أو القرابة، فهي من أقوى الوشائج التي تظهر فيها عواطف الأخوة الصادقة.

وكان خلق الإيثار من ثمرات المؤاخاة في المدينة، والإيثار هو تقديم الغير على النفس، وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في ذلك، ولا غرو فهم أهل نجدة ومروءة، فاستحقوا بذلك ثناء الله عليهم في قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر:٩).

ويكفي أن نورد مثالا يعتبر نموذجا فذا في الإيثار، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما قدم عبدالرحمن بن عوف آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق، فربح شيئا من أقط أو سمن، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال النبي ﷺ: مهيم يا عبدالرحمن؟ قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار. قال فما سقت فيها؟ فقال: وزن نواة من ذهب. فقال النبي ﷺ: أولم ولو بشاة»[٦].

إن الإسلام يربي الناس على العزة والكرامة، ويحرك في وجدانهم صوت التربية النبوية، ومفادها ألا يعيش الناس اتكاليين على غيرهم، وعالة عليهم باسم الإسلام، فما كان من عبدالرحمن بن عوف إلا أن دعا لأخيه بالبركة وتقدم له بالشكر الجزيل على هذا الإيثار النبيل، ثم قال له دلني على السوق، وفي هذا درس بليغ، يعلمنا مبدأ التحرك الإيجابي والأخذ بنواميس الحياة، أخذا بالأسباب، وتوكلا على الله، ويا لموقف المهاجرين لما قابلوا إيثار الأنصار بالتقدير، ونأوا بأنفسهم عن التطلع إلى ما في أيدي إخوانهم، وهذه من ثمرات التربية الإيمانية التي عملت فيهم عملها.

لقد بلغ الأنصار في الإيثار مبلغا عز نظيره، حتى خشي المهاجرون أن يذهب إخوانهم الأنصار بالأجر كله، وفي ذلك يروي الإمام أحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: «قالت المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلا من كثير، ولا أحسن مواساة في قليل، قد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ، فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: فقال رسول الله ﷺ: كلا ما أثنيتم عليهم به، ودعوتم الله عز وجل لهم»[٧].

إن المؤاخاة من أقوى الوشائج بين المؤمنين، ولقد كان الإيثار رمزا للأخوة الإيمانية ونبراسا لها، وإن الأخوة تذيب الفوارق الاجتماعية وتجعل المتآخين يدا واحدة، وهي تمثل أهم دعائم البناء للدولة الإسلامية، وكانت المدينة المنورة موقعا لانطلاق ذلك، ومعقلا للإسلام والمسلمين.

وقد أظهرت المؤاخاة مبدأ المساواة في المجتمع الإسلامي، ومرونة الإسلام وانفتاحه في الظرف المناسب على أشد أشكال العلاقات الاجتماعية، مساواة وعدلا، فالمؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار من المظاهر القوية التي تؤكد مدى عدالة الإسلام الإنسانية.

وستبقى الهجرة النبوية صورة مشرقة وهاجة تستضيء الأمة بنورها، وكم هي في حاجة إلى استحضارها واحتذائها، فتحيي فيها روح النصرة لهذا الدين، حتى تصحح مسيرتها الحضارية في كل مجالات الحياة.

الهوامش

١ - صحيح البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، رقم ٣٩٢٥.

٢ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في النهي عن الغناء، رقم ٤٩٢٣.

٣ - صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب الأنصار، رقم ٣٧٧٦.

٤ - صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان، رقم ٣٧٨٤.

٥ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٢م، ص:٩٥.

٦ - صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار، رقم ٣٧٨١.

٧ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٣، ص:٢٠٤.

محمد ياسر منصور
باحث دراسات إسلامية



في ذكرى الهجرة

الهجرة طريق الأنبياء

إن الهجرة في مفهومها اللغوي هي: ترك بلد إلى آخر؛ لأنها اسم من فعل هجر: أي قطع الصلة. والهجرة النبوية: مصطلح يدل على الحادثة التي تمثل خروج الرسول محمد ﷺ من مكة المكرمة مع صاحبه أبي بكر الصديق قاصدين المدينة المنورة (يثرب). تمت تلك الهجرة في تمام السنة الثالثة عشرة من البعثة المحمدية الموافقة لسنة ٦٢٢ ميلادية.

والهجرة من الموطن الأصلي الذي كان مهدا للنشأة الأولى وموضع الذكريات والعلاقات الاجتماعية صعبة على الإنسان، مثيرة للشجون والأحزان. وهذا الشعور هو الذي انتاب رسول الله ﷺ حين خروجه من مكة، إذ التفت إليها وقال: «إنك أحب بلاد الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت».. فهو مكره على الخروج. ولكن ما يخفف عليه ﷺ هو أن الهجرة طريق الأنبياء ونهج أولي العزم منهم، فكلهم أكرهوا على ترك أوطانهم وغادروها حفاظا على دينهم ودعوتهم. بدأها نوح، عليه السلام، لما حق على أهلها المكذبين عذاب الله، وهاجر إبراهيم، عليه السلام، من بلاد الرافدين إلى مصر، وإلى الجزيرة العربية، وهاجر موسى، عليه السلام، من مصر إلى مدين، ثم إلى سيناء والشام. وهاجر عيسى، عليه السلام، من بيت لحم إلى بيت المقدس. وكانت الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة المنورة لأمر قضاه الله وقدره، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف:٣٥).

الهجرة إجراء ظرفي

قضى رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة يدعو قومه إلى الدين الجديد معتمدا اللين والحكمة والإقناع. ساعيا إلى لفت أنظارهم وتنبيه عقولهم وتحريك سواكنهم حتى يقلعوا عن معتقداتهم الفاسدة وعاداتهم السيئة عملا بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥). فما آمن منهم إلا القليل. واشتد المشركون في إيذائهم وعدوانهم، وبالغوا في العنف والإيذاء، والسخرية والعناد، فكانوا ينكرون على النبي ﷺ أنه نبي مرسل، ويقولون: إنه شاعر، وإنه ساحر.

واشتط المشركون في الإيذاء والعدوان، فأذن النبي ﷺ إلى أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرتين.. فرارا من إيذاء المشركين وعتوهم المرير وطغيانهم الظالم.

ولجأت قريش إلى المساومة والإغراء، حتى قالوا لعمه أبي طالب: إن كان يريد ملكا ملكناه.. وإن كان يريد مالا جعلناه أغنى الناس. ولما عرض أبو طالب ذلك على ابن أخيه قال له: «والله يا عماه.. لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر.. ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»[1].

تأكدت قريش من إصرار محمد ﷺ ومضيه قدما في نشر دعوته، فتدارس شيوخها الأمر، وتعاهدوا على مقاطعة بني هاشم وبني عبدالمطلب، ورسول الله محمد ﷺ وأصحابه في شعاب مكة. ودام الحصار الجائر والمقاطعة الظالمة ثلاث سنوات إلى السنة العاشرة من البعثة.. أضرت بهم وبمكتسباتهم.

خرج رسول الله ﷺ من المحنة قويا عزيزا ناصره عدد من سادة قريش وفكوا عنه وعن أصحابه الحصار، لكن الأحداث تتوالى: إذ يتوفى عمه أبو طالب، وتلحق به زوجته الوفية خديجة في وقت وجيز، وكان ذلك في العام العاشر من البعثة المحمدية. تألم سيدنا محمد ﷺ لفراقهما ولهوانه على الناس بعدهما فسمي ذلك العام «عام الحزن»، وكان فيه «الإسراء والمعراج» مكافأة للرسول الأعظم، وتخفيفا من آلامه وأحزانه.

شددت قريش التضييق على المسلمين، وخرجت بموقف يقضي بقتل محمد ﷺ وباشتراك القبائل في ذلك حتى يذهب دمه هدرا ولا تطالب قبيلته بدمه، وبذلك تستريح مكة ومن فيها منه ومن دعوته المزعجة.

أخبر القرآن العظيم سيدنا محمد ﷺ بإبطال خطة قريش فقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠).

وصدق الله العظيم.. لقد أنقذ رسوله وأبطل مكر الكافرين ومنعهم من إطفاء نوره وقطع طريقه.

الإذن بالهجرة

جاء جبريل، عليه السلام، يعلم رسول الله ﷺ بما عزمت عليه قريش من الاغتيال وبموعده.. موصيا إياه بالهجرة، وبعدم المبيت في فراشه.

ذهب رسول الله ﷺ إلى صاحبه الصديق أبي بكر وقال له:

«إني قد أذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحبة.. بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال ﷺ: نعم»[٢]. وتم تجهيز راحلتين وتسليمهما للدليل الذي سيمضي بهما إلى المدينة وهو عبدالله ابن أريقط وكان مشركا. وتم تكليف علي بن أبي طالب بالنوم في فراش النبي ﷺ والالتحاف ببرده، وهو ما أوهم الشبان المترصدين برسول الله ﷺ بأنه هو النائم فأخذوا ينتظرون خروجه. وها هو رسول الله ﷺ يخرج من بين فرسان قريش المتربصين به شرا.. المتعطشين إلى إراقة دمه وإزهاق روحه، شامخا ثابتا تاليا أول سورة «يس».. إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس:٩).

وفي غار ثور على بعد من مكة اختبأ النبي ﷺ والصديق رضي الله عنه.. ومرت بهما جموع الكفرة الملاحقون لهما من فرسان قريش، واقتربوا من مدخل الغار.. حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: «لو نظر أحدهم أسفل قدميه لأبصرنا»، فيقول له رسول الله ﷺ: «لا تحزن.. إن الله معنا»[٣]. وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهم بالزاد وبما كان يدور في مكة من أخبار، حتى تمت ليال ثلاث تابع بعدها النبي ﷺ وصاحبه سيره إلى المدينة، فوصلها والناس يرتقبون مجيئه من أيام، فاستقبلوه بالأهازيج والغناء بكل بهجة وسرور، وهكذا تمت الهجرة إلى المدينة بسلام، وانتهت المرحلة الأولى من الدعوة إلى الله والإسلام، وتخلص المسلمون ممن كان يؤذيهم ويشتد عليهم في الإيذاء والسخرية، ونجى الله تعالى نبيه ممن كان يكيد له الأمر بالقتل.. وساد الإسلام في بيئة جديدة، وحالة مؤمنة تختلف في أحكامها وآدابها عن بيئة مكة.

الهجرة عهد جديد

لقد كانت الهجرة النبوية حدثا مهما ولحظة تاريخية مشهورة هي عهد جديد في حياة الدعوة الإسلامية. بها ظهر الإسلام وقوي واتسعت رقعة بلاده وتنوعت أجناسه، وتثاقفت حضاراته فاستبدل بذلك الأقلية كثرة، والخوف أمنا، والضعف قوة، والكفر إيمانا، والحيرة يقينا. فأنعم بالهجرة بدءا لعهد العزة والعلاء لكل من آمن بالله والرسول وصدقه الله والرسول في إيمانه وتقواه.

وهنيئا لمن آمن بالله وأحب رسوله وصدقها الحب والإيمان والولاء والخضوع.

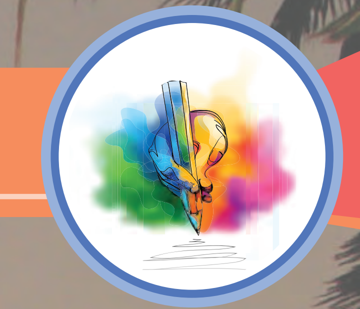
الهوامش

١- محمد رسول الله، محمد رضا، ص:٩١.

٢- صحيح البخاري.

٣- رواه أحمد في مسنده.


ياسر محمد عبدالسلام
كاتب وباحث



الهجرة النبوية انتصار بكل المقاييس

يستقبل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها عاما هجريا جديدا في حياتهم، يرجون نفعه ويأملون خيره، ويودعون عاما من عمر دنياهم ذاقوا حلوه ومره.

وهكذا الحياة تمضي بأيامها ولياليها، وإن في تاريخ الأمم والجماعات أعمالا ظاهرة تؤيدها قوة السماء، وتلحظها عناية الله، وتحفظها ملائكة الرعاية والرحمة، وفي مقدمة هذه الأعمال «حادث الهجرة»، إذ فيه نرى الحق الأعزل يخلص كريما من بين مخالب الباطل الباطش، ونرى النبوة الحليمة الراشدة تعلو على السفاهة الكافرة الحمقاء، وليس ذلك كله عمل الإنسان ولكنه في بدئه ومختتمه تدبير الرحمن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠).

لقد كانت هجرة النبي صلوات الله وسلامه عليه فتحا جديدا في تاريخ الإنسانية، وتحولا واضحا في وضع الجماعة البشرية، ونصرا ملحوظا للدعوة الإسلامية.

فماذا في الهجرة النبوية من معان كما في باب الانتصار تجعل منها المثل الأعلى؟

يقول الله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٤٠)، لقد كان الرسول ﷺ في أصعب ظروفه، وكان الباطل في أحسن أحواله، ومع ذلك هزم الله الباطل وكيف؟

لم يكن للحق عدة ولا جيش ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾، ومع ذلك جاء النصر ولم يكن الحق في الموضع الاستراتيجي الملائم ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾، ومع ذلك لم يمكن الله الباطل من الحق وهو منه على مرمى حجر، وفي الوقت الذي يفقد سلاحه المادي.. يملك في اللحظة ذاتها إيمانه بالله وهو عدة النصر الأولى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، لقد سخر الله تعالى ليلة الهجرة النبوية الشريفة من كل ما اصطلح عليه البشر من فنون الحرب، وجاء نصره سبحانه في غيابها على نحو ما يجعل من الهجرة مجلى القوة كما يجب أن تكون. ففي الوقت الذي عز فيه النصير وقل فيه السلاح يجيء النصر الذي يهز الضمائر الجامدة لتصحو على الحقائق الجديدة، وعلى رأس هذه الحقائق ما أشارت إليه الآية الكريمة التي نزلت على الرسول ﷺ وهو في الطريق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص:٨٥)، أي إلى مكة.

وهل كان في الإمكان تصور عودته ﷺ منتصرا؟ لقد كان قصاراه في مرأى العين أن ينجو بنفسه من الخطر المحدق به أما أن يأخذ الوعد بالعود الحميد هو ومعه صاحبه... ولا بارقة هناك من أمل، فذلك هو التأييد الإلهي الذي يجعل من هذا الحدث العظيم نجم هدى في بيداء الحياة ومن إشراقه يبزغ الصبح المبين. حقا... سنة الحق تعالى في خلقه، ومن سنن الله في خلقه أن ينصر سبحانه من ينصره ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠).

أغنى الصباح عن المصباح

ماذا قدم الرسول ﷺ والذين آمنوا معه من تضحيات استنزلوا بها نصر الله والفتح ليلة الهجرة؟ حتى إذا تطلعت أمتنا في ظلمة البأس إلى بشائر النصر على أعدائها وجدت في الهجرة دليل علمها السائر بها إلى مثله سنة منه تعالى لا تتخلف.

إن نور الهجرة المضيء ليغني أمتنا عن استرداد أسباب النصر والهزيمة من خارج نفوسها، لقد بدأ ﷺ بإعداد المجاهد المسلم الواقف بإيمانه في

الصف الإسلامي هذا الصف الفولاذي الذي لا يقبل الاختراق أبدا.

دعائم النصر

إن دعائم النصر التي رفع الرسول ﷺ سمكها فسواها تتلخص في:
أن تكون صفة المسلم مسلمة مثله، بمعنى أن يتجلى بكل صفة نبيلة جاء بها دينه، وإلا فلو اتصف الكافر بالفضيلة وتخلى عنها المسلم، لانتصر الكافر وهزم المسلم، وقد كان المسلم تطبيقا عمليا لمبادئ الإسلام على صعوبة الموقف من حوله، وتربص الباطل به، ومن هذه المبادئ الإخلاص، لقد كانت الهجرة المباركة إكراه رجل آمن في سربه ممتد الجذور في مكانه على إهدار مصالحه وتضحية أمواله والنجاة بشخصه فحسب وإشعاره وهو يصفي مركزه بأنه مستباح منهوب- وقد يهلك في أوائل الطريق أو نهايته وبأنه ليسير نحو مستقبل مبهم لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان، ولو كان الأمر مغامرة فرد بنفسه لقيل: مغامر طياش.

فكيف وهو ينطلق في طول البلاد وعرضها يحمل أهله وولده وكيف وهو بذلك يرضي الضمير وصفاء الوجه، إنهم كما يقول ابن الجوزي: «رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم، بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم، بل أحلى، وهممهم الثريا، بل أعلى، إن عرفوا تنكروا وإن رئيت لهم كرامة أنكروا، فالناس في غفلاتهم وهو في قطع فلاتهم، تحبهم بقاع الأرض وتفرح بهم أملاك السماء».

الفدائية

إن العلم وحده غرور وشيطنة والفن وحده لهو ومجون والحب وحده هيام وخيال، إذن فلا تتم القدرة إلا بالاتباع، وإن كان فيه الضياع، امتثالا لقول الله عز وجل: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:٣١)، وعلى هذه الفدائية رباهم الرسول الأعظم ﷺ فصاغ الجندي المثال كمسبوك بحقائق الإسلام لا ينفصل عنها، وهو إذ يدافع عن نفسه فإنما وفي اللحظة نفسها يدافع عنها.
هذا هو الرجل الإيماني الذي لا ينثني لأنه الحق، ولا ينحرف لأنه العدل، ولا يخاف لأنه البأس، ولا يضعف لأنه القوة، ولا يحيف لأنه الإنصاف، ولو تعلق به أهل الأرض جميعا لمشى بهم مطمئنا لأنه في نفسه كقطعة من نظام السماء الذي يجذب الأرض في فضائها، وهذا هو الرجل الذي يتعرف به الناس من معاني الاصطلاحات النفسية القوية، كالشهامة والنجدة والصدق، والإخلاص والإيثار، وقد كان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه واحدا من هذه النماذج حيث بات في فراش النبي الأمين ﷺ.

الأمانة

ومن مبادئ الهجرة «الأمانة» التي تتجلى في تكليف علي بن أبي طالب رضي الله عنه برد الودائع إلى أصحابها من المشركين الذين لم يكونوا ليستأمنوا عليها أحدا سوى محمد بن عبدالله ﷺ، والدعامة الثانية أن تكون الوسيلة مسلمة بمعنى أن يتسلح الحق بما يناسبه في الشرف من كل وسيلة تحمي سمعته، وإلا فإن تقصير الحق في إعداد الوسائل الحقة لن يصل به إلى بر الأمان.
وقد اتخذ النبي ﷺ كل وسيلة ممكنة وحقة، حيث كتم الأمر حتى عن أقرب المقربين إليه، وذهب إلى أبي بكر الصديق على غير عادته في وقدة الحر وأعد الراحلة التي بقيت زمنا طويلا تعلف بما يمكنها من قطع الرحلة بنجاح، ووزع الأدوار وحدد المواقع، واتخذ الدليل وهيأ الزاد، وبقى بمكة حتى اطمأن على خروج أتباعه وعندما عاد من بيت أبي بكر إلى استعدادهما للخروج حاصر المشركون البيت فأعانه القدر الأعلى على الخروج بحفنة من تراب كانت هي أثقل عليهم من جبل أحد.
الدعامة الثالثة: طاعة الشرع التكويني، فكما تجب طاعة أوامر الشرع الحكيم، فكذلك تجب طاعة الشرع التكويني ومن قواعده: «الصبر طريق النصر، الثبات سبيل النجاح، التخاذل سبب الذل»، ولما تعامل الرسول ﷺ والمسلمون مع القوم بطاعة أوامر الله الشرعية وأوامره التكوينية، كان لابد أن ينتصروا، وما النصر إلا من عند الله.
الدعامة الرابعة: من القوة إلى الفعل، لا ينتصر الحق ما بقي في القلوب أمنيات، وفي النفوس أحلاما ولابد أن ينتقل من طور القوة إلى طور الفعل ليستأهل العون والتأييد.
وختاما: هكذا كان المسلمون بقيادة محمد بن عبدالله ﷺ، فلقد صبروا وتحملوا الأذى، بل وتخلوا عن أموالهم وأولادهم وأهليهم، فلما أسلموا كيانهم لله استحقوا نصر الله تعالى.
فلنهاجر بقلوبنا إلى الخير والسلام والحب والنقاء، والرسول المصطفى ﷺ هو الذي يقول «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإن استنفرتم فانفروا» (رواه الترمذي)، وهو الذي قال: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (رواه البخاري)، وملاك الأمر فيما نحتاج إليه من هجرة هو النية الخالصة والرغبة الصادقة في إرضاء الله تعالى والانتهاء عما حرمه، ويوم نفعل ذلك نكون قد هاجرنا وكتبنا عند الله من المهاجرين.



د. محمد حسن بدرالدين
باحث في الدراسات الإسلامية

الهجرة تخليص للإنسان من أسر الطغيان وقيود المكان

تتحول الهجرة في المجال النبوي والرسالي إلى قطيعة فاصلة بين الظلم والعدل، وبين النور والظلمات وبين نشر كلمات الله في الإنسان والمجتمع والأرض، وبين الإخلاد إلى الأرض والخضوع للظلم. قال تعالى موضحا هذا المنهج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾ ۞وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾﴾ (النساء:٩٧-١٠٠).

روى المفسرون في سبب نزول الآيات السابقة روايات. منها ما أخرجه البخاري عن ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ. يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل. فأنزل الله تلك الآيات. ومنها ما أخرجه الطبراني

عن ابن عباس قال: كان قوم بمكة قد أسلموا، فلما هاجر رسول الله كرهوا أن يهاجروا، خوفا على أموالهم ونفورا من مفارقة أوطانهم، فأنزل الله الآيات. ومنها ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يخفون الإسلام. فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر. فأصيب بعضهم.[1]

اعتمد المسلمون عامة مصطلح الهجرة، وفي كتب السيرة والتاريخ نجد استخدام مصطلح الخروج تبعا لما ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال:٣٠). ولكن يظل المعنى الحقيقي لهذا الخروج متعلقا بمبدأ الإيمان ومفارقة الأذى حتى يأتي نصر الله.

بيعة العقبة والتمهيد للهجرة

لم ين الرسول جهدا في البحث عن مقر آمن له وللدعوة وللمؤمنين. في شوال من السنة العاشرة من النبوة، سار إلى الطائف يدعو سادتها إلى الإسلام فأغلظوا له القول وأطردوه. وفي موسم الحج سنة (١١) من النبوة (٦٢٠م) وجد الرسول آذانا صاغية لدعوته من قبل سبعة أنفار من يثرب. أسلموا على يديه ووعدوه بإبلاغ قومهم وموعدهم الموسم القادم.

وفي السنة (١٢) من النبوة (٦٢١م)، حضر (١٢) شخصا من الأوس والخزرج وبايعوا الرسول في عقبة منى. تلك هي بيعة العقبة الأولى.

وإثر البيعة، شرع بعض الصحابة يهاجرون إلى يثرب. وأرسل الرسول عليه الصلاة والسلام الشاب مصعب بن عمير إلى يثرب. وفي بضعة أشهر، انتشر الإسلام في كل أرجاء المدينة وأقيمت الصلاة.

وفي السنة (١٣) من النبوة (٦٢٢م) وقعت بيعة العقبة الثانية: «ورجع مصعب بن عمير إلى مكة في العام القابل. وخرج عدد من المسلمين من الأنصار مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله العقبة. فلما فرغوا من الحج ومضى ثلث الليل، اجتمعوا في الشعب عند العقبة، وهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان. وجاء رسول الله ومعه عمه العباس ابن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه. وتكلم رسول الله وتلا القرآن. ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فبايعوه واستوثقوا منه ألا يدعهم ويرجع إلى قومه. فوعد بذلك رسول الله فقال: أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».[2]

إثر ذلك، أمر رسول الله المسلمين في مكة بالهجرة إلى يثرب.

الرحلة من الغار إلى قباء

يقع غار ثور في الجهة الشمالية من جبل ثور جنوب مكة وهو على بعد نحو ٤ كلم في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام.

إثر اتفاق العقبة، بدأ الاستعداد للهجرة النبوية، فقد اتفق الرسول مع أبي بكر أن يترافقا في الهجرة. جهز أبو بكر راحلتين وما يلزم في سرية تامة، وفي الليلة التي تفطن فيها الرسول إلى تآمر قريش على اغتياله، تسلل من المنزل متسلقا الحائط الخلفي وتوجه إلى منزل أبي بكر. ويوم (١٢) سبتمبر سنة ٦٢٢م، توجها معا إلى غار ثور. وفيه مكث النبي وصاحبه ثلاثة أيام. وقد سلك النبي وصاحبه طريقا غير طريق القوافل المعتادة، أخذا بالأسباب مع التوكل على الله.

ومن الغار إلى قباء، استغرقت الرحلة ثمانية أيام في طريق طويل وصعب. وفي قباء: بنى الرسول أول مسجد في الإسلام. وأقام في قباء أربع ليال ابتداء من يوم الإثنين آخر أيام الرحلة النبوية حتى ليلة الجمعة. وغادرها متجها إلى المدينة ليقيم في ديار بني النجار أخواله. ثم نزل في منزل أبي أيوب الأنصاري لمدة ستة أشهر.

لقد قرر الخليفة عمر بن الخطاب أن يكون رأس السنة الهجرية في الأول من محرم. وكان ذلك في عام ٦٢٢م. قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠).

لقد شاع خبر هجرة الرسول رفقة صاحبه فكان قدومهما منتظرا. وعند خروجه من قباء، رافقه

جمع غفير. ولم يسلك الرسول ثنية الوداع لأنها الطريق الموصلة إلى الشام ولا تمر بقباء. لقد سلك الطريق المكية التي يسلكها المسافرون بين المدينتين.

روى الإمام أحمد وأبو داود عن أنس أنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة بحرابها فرحا بقدومه. وروى البيهقي ورزين عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن: طلع البدر علينا - من ثنيات الوداع».[٣]

إن ما ذكره الشامي عن وصول النبي إلى يثرب أقرب إلى الواقع والمنطق: «وركب رسول الله ﷺ ناقته القصواء والناس معه عن يمينه وعن شماله وخلفه منهم الماشي والراكب. فخرج رسول الله ﷺ من قباء يريد المدينة. فتلقاه الناس فخرجوا في الطرق وعلى الأباعر وصار الخدم والصبيان يقولون: الله أكبر، جاءنا رسول الله جاء محمد. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم. فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟».[٤]

القصواء في المربد

هل نعجب أن يدعو كل قوم الرسول لينزل عندهم؟ قد كان الرسول الكريم على معرفة دقيقة بيثرب ومناخها الموبوء وجوها المسموم بالضغائن والأحقاد. وكان يبدو منطقيا أن ينزل عند بني النجار أخواله، ولكنه أراد أن يكون مستقلا. ومن حكمته أنه كان يجيب كل قوم بنفس الجواب: إنها مأمورة فخلوا سبيلها أو: خلوا سبيلها فإنها مأمورة.

أخيرا، بركت القصواء في مربد (مكان يجفف فيه التمر) لغلامين يتيمين من بني النجار. واشترى الرسول المربد وأمر ببناء مسجد هناك. وكان أقرب منزل للمربد هو منزل أبي أيوب الأنصاري. ودعا أبو أيوب الرسول ضيفا عنده فقبل إلى أن تم بناء المسجد وحجرة لسكنى الرسول وزوجته سودة.

وفي النهاية، فقد نزل الرسول في دار بني مالك بن النجار إلا أنه امتلك أرض المربد وبنى فيها المسجد وبيوته. واختلف الرواة في المدة: اعتبرها الدولابي شهرا، وجعلها ابن النجار سبعة أشهر وقال ابن هشام: من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الثانية. ولعلها لم تتجاوز ثلاثة أو أربعة أشهر.

تغيير اسم يثرب إلى المدينة

وردت كلمة المدينة في القرآن (١٤) مرة. أما اسم يثرب ورد مرة واحدة في الأحزاب (١٣). روى البخاري ومسلم: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة».[٥]

نص الرواية يدل على أن الرسول ﷺ قال هذا وهو في مكة. ولم يستعمل اسم المدينة للدلالة على يثرب: «عن سعيد بن المسيب عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرتين، فإما أن تكون هجر أو تكون يثرب».[٦]

إيواء المهاجرين

بدأت التحضيرات للهجرة من مكة إثر بيعة العقبة بأمر من الرسول عليه الصلاة والسلام. ومن أوائل المهاجرين قبل الرسول: أبو سلمة ابن عبدالأسد وزوجته، صهيب بن سنان الرومي، عمر بن الخطاب، عياش بن أبي ربيعة، بلال بن رباح، سعد بن أبي وقاص، عمار بن ياسر. ومن هؤلاء الأوائل من حمل معه ما استطاع من المال. ومنهم من اعترض سبيله وافتكت أمواله ومنهم من لا يملك شيئا يحمله. وهي نفس الحالة للمهاجرين بعد الرسول. فكيف استقر أولئك المهاجرون؟ هل كانت توجد في المدينة منازل للكراء؟ وماذا فعل من لا يملك قوت يومه؟

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩).

من المؤمنين في مكة والمدينة من عملوا بالقرآن وطبقوا الإسلام وهو في خطواته الأولى. فهذه الآية نزلت تذكر ما فعله الأنصار مع المهاجرين: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. وبذلك وقوا أنفسهم من الشح والأنانية والعصبية القبلية. وهي تحليل

نفساني دقيق: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾: لم يفعل الأنصار ما فعلوا مع المهاجرين تظاهرا ورياء كما فعل كرماء العرب مثل حاتم الطائي. وإنما فعلوه عن محبة وقناعة ابتغاء وجه الله.

بهجرة الرسول وبوعده للأوس والخزرج أنه لن يعود إلى مكة، تأكد المهاجرون والأنصار أنها الثورة الهادئة التي ستغير كل شيء. لقد أيقنوا أنه مشروع حضاري جديد سيقطع مع كل السلبيات السائدة في المجتمعات آنذاك. وهذا ما فهمه الكثيرون في الجزيرة العربية وخارجها. وهذا ما سيجعل عدد المهاجرين إلى المدينة يتضخم من السنة الأولى إلى السنة السابعة للهجرة.

ولإيواء المهاجرين قامت القيم العربية في إقراء الضيف وشعور الأوس والخزرج بالمسؤولية ووفائهم بالعهد بالدور الأكبر في التغيير والدور الأساسي في إيواء المهاجرين: «ونزل حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة، وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو ابن عوف بقباء. ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحصين، ومسطح بن أثاثة وسويبط بن سعد ابن حريملة وطليب بن عمير وخباب على عبدالله بن سلمة بقباء. ونزل عبدالرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع. ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة ابن أبي رهم على منذر بن محمد ابن الجلاح. ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ».[٧]

حدث هذا قبل هجرة الرسول صلوات الله عليه، فما بالنا عندما يحل بينهم الرسول؟

الإخاء في الله تعالى

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:١٠).

يروى أن الرسول ﷺ، قال للمهاجرين والأنصار: «تآخوا في الله أخوين أخوين». لم يزد الرسول، بحكمته، على أن وضع الجوار العربي في نسقه الإسلامي. والجوار هو أن يعلن أحد سادة القبيلة أنه أجار فلانا، كما حصل لأبي بكر مع ابن الدغنة. وكان الجوار منة من السيد تجعل المجار في حصانة لا يجرؤ عليه أحد. فالمجار، مهما كانت قيمته الاجتماعية يصبح ذليلا. ويمكن للسيد أن يلغي جواره متى شاء. والجوار للأنانية والفخر والتظاهر والسيادة، أما الإخاء فهو لله.

وفي قوله: «تآخوا في الله» تغيير للمصطلح وتجديد في المفهوم. الأخوة في الله عقد بين شخصين ينبني على المساواة والثقة والأمانة بين المتآخين ولا دخل للمصلحة الشخصية فيه لأن ذلك من باب الطمع والاستغلال.

فعندما نقرأ مثلا: «كان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين، وعبدالرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع أخوين»، نفهم أن الأنصاري سيعين المهاجر قدر استطاعته. وبمؤاخاته بين الأوس والخزرج وبينهم وبين المهاجرين، طبق الرسول القرآن. وتلك هي عبقرية التغيير.

كشفت الهجرة طبيعة القيادة الحكيمة للرسول عليه الصلاة والسلام كمسؤول ديني ومدني واجتماعي. فقد كانت القيم الدينية والمدنية والاجتماعية بارزة في كل القرارات والتنظيمات التي ابتدعها في زمن لم تكن تعرف فيه قيم المواطنة والعدالة والمساواة، لما كان يسود فيه من استبداد وظلم وتناحر قبلي وتفاخر بالأنساب.

الهوامش

١- طنطاوي، محمد سيد (ت:٢٠١٠م) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، ط١، القاهرة، يناير ١٩٩٧م. ج٣، ص٢٧٤.

٢- الندوي، أبو الحسن، السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط١٢، دمشق، ١٤٢٥هـ. ص٢٣٢.

٣- الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٣م. ج٣، ص٢٧١.

٤- المرجع نفسه. ج٣، ص٢٧١.

٥- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) الجامع المسند الصحيح= صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ.. ج٣، ص٢٠.

٦- ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٥هـ -١٩٧٦م. ج٢، ص٢٢٣.

٧- ابن كثير، السيرة النبوية. ج٢، ص٢٢٤. المرجع السابق.

عصام محمد فهيم جمعة
ماجستير في الشريعة والقانون



أداء الأمانة

من الأمور التي يحثنا عليها ديننا أداء الأمانة لما فيها من الأجر الكبير والثواب الجزيل، وما لها من الآثار الإيجابية على الفرد والمجتمع. وفي المقابل، نهانا، بل حرم علينا ديننا الخيانة لما فيها من الإثم الكبير، والآثار السلبية التي تعود على الفرد والمجتمع.

لقد علمتنا الهجرة النبوية درسا عظيما في أداء الأمانة مع الناس جميعا حتى لو كانوا من الأعداء، اقتداء بالنبي ﷺ الذي ضرب أروع الأمثلة في هذا الخلق الرائع، ولا خير فينا إن لم نعقل هذا الدرس ونعيه ونطبقه على أرض الواقع، فما أحوجنا لهذا الخلق في زماننا هذا.

النبي والدعوة إلى الأمانة

كان رسول الله ﷺ قبل البعثة يلقب بين قومه بالصادق الأمين وشهد له أعداؤه قبل أصدقائه على ذلك، فعن عبدالله بن عباس، رضى الله عنهما، قال: أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك عن محمد ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، قال هرقل وهذه صفة نبي[1] وكذلك إن المشركين رغم تكذيبهم لرسول الله ومحاربتهم له ومحاولة قتله، لم يجدوا فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقا فكانوا لا يضعون حوائجهم ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده ﷺ، وهذا يدل على أن كفرهم وعنادهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ وخوفا على زعامتهم وطغيانهم[2] وصدق الله العظيم إذ قال:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام:٣٣).

ويصف ابن هشام في سيرته ما حدث عند الهجرة فيقول: «فلما رأى رسول الله مكانهم -أي الكفار على الباب- قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه، وأخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي عنده للناس، وكان رسول الله ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته، حتى أدى عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس ثم لحق برسول الله في المدينة»[3].

لقد غرس رسول الله ﷺ في نفوس أصحابه وأتباعه حب الأمانة وكره الخيانة في أحلك الظروف حتى مع الأعداء الذين تآمروا على قتله وقاموا بتكذيبه، فما كان للصادق الأمين أن يخون الأمانة أو ينشغل عن ردها إلى أصحابها في أصعب الأوقات.

مفهوم الأمانة في القرآن والسنة

إن أكثر الناس يقصرون الأمانة في أضيق معانيها وهو حفظ الودائع مع أن حقيقتها في دين الله أضخم وأثقل، لذا فقد ذكرت في القرآن كصفة من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ (المؤمنون:٨)، قال القرطبي في تفسير الأمانة والعهد بأنه يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولا وفعلا[4].

وقد أمرنا الله جميعا بأداء الأمانات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ (النساء:٥٨)، والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس، وهذا ما اختاره الإمام الطبري، وممن قال بأن الآية عامة: البراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وأبي ابن كعب، قالوا: الأمانة في كل شيء في الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم والكيل والوزن، وأجمعوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابها: الأبرار منهم والفجار[5].

وفي حديث حذيفة أن النبي ﷺ قال: «وترسل الأمانة على جانبي الصراط»[6]. يقول الإمام النووي في شرح مسلم: «وإرسال الأمانة والرحم على جانبي الصرط لتطالب كل من يمر على الصراط بحقهما، فالأمانة حمل ثقيل أشفقت السماوات والأرض من حمله، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:٧٢).

قال ابن عباس: إن الأمانة هي الفرائض، عرضها الله على السماوات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية، ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي في عاقبة أمره.

وقال قتادة: الأمانة الدين والفرائض

والحدود. وقال ابن مسعود: هي في أمانات: الأموال كالودائع وغيرها[٧].
فكن أمينا مع الله بأداء ما افترض عليك بأمانة وإتقان.
وكن أمينا مع النبي ﷺ بطاعته والعمل بسنته.
وكن أمينا مع نفسك واعرف حقها من الإصلاح والتقوى والمجاهدة والمحاسبة.
وكن أمينا مع الناس؛ احفظ أموالهم ولا تأكلها بالباطل ولو خالفوك، ولو كانوا غير مسلمين، وأصدق النصيحة وأخلص المشورة، قال النبي ﷺ: «المستشار مؤتمن»[٨].
ولا تخن جليسك ولا تفش سره فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، فقد قال النبي ﷺ: «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس، مجلس يسفك فيه دم حرام، أو مجلس يستحل فيه فرج حرام، ومجلس يستحل فيه مال من غير حق»[٩].
كن أمينا في البيع والشراء والتجارة قال النبي ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[١٠].

من معاني الأمانة

١- من معاني الأمانة وضع كل شيء في المكان الجدير به واللائق له فلا يسند منصب إلا لصاحبه المستحق له، ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها، واعتبار الولايات والأعمال العامة أمانات مسؤولة من وجوه كثيرة. فعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[١١].
٢- من معاني الأمانة أن نصطفي للأعمال أحسن الناس قياما بها فإذا ملنا عنه إلى غيره لهوى، أو رشوة أو قرابه، فقد ارتكبنا بتنحية القادر خيانة، قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[١٢].
وقد أرشدت السنة إلى أن تولية من لا يستحق من مظاهر الفساد الذي سوف يقع آخر الزمان وهو ضياع للأمانة، فقد جاء رجل يسأل رسول الله: متي تقوم الساعة؟ فقال له: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة»[١٣].
٣- ومن معاني الأمانة أن يحرص الموظف على أداء واجبه كاملا في العمل الذي يناط به، وأن يستنفد جهده في إبلاغه تمام الإحسان، إنها من أعظم الأمانة أن يخلص الرجل لعمله وأن يعنى بإجادته، وأن يسهر على حقوق الناس التي وضعت بين يديه، فإن التزم ذلك فهو عند الله من المجاهدين، قال النبي ﷺ: «العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته»[١٤].
أما استهانة الفرد بما كلف به وإن كان بسيطا، فهو ضياع للأمانة حذر منه النبي ﷺ حيث قال: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة»[١٥]، أي ليس أعظم خيانة ولا أسوأ عاقبة من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها، ولذلك كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لا ينام بالليل ولا بالنهار فلما سئل عن ذلك قال: «إذا نمت بالنهار أضعت حق الرعية وإذا نمت بالليل أضعت حق ربي».
٤- ومن الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته فإن التشبع من المال العام جريمة قال رسول الله ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»[١٦].
٥- ومن معاني الأمانة أن تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك وإلى المواهب التي خصك الله بها وإلى أموالك وأولادك فتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك فيجب أن تسخرها في قرباته، وأن تستخدمها في مرضاته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ (الأنفال:٢٧-٢٨).
وللعلاقات الزوجية في نظر الإسلام قداسة فما يضمه البيت من شؤون العشرة بين الرجل وامرأته يجب أن يطوى فلا يطلع عليها أحد مهما قرب، والسفهاء من العامة يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهلهم من أمور حرمها الله، فقد أخبر رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة [١٧] عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[١٨].
وعلى هذا تكون الأمانة شاملة لكل نواحي حياتنا وكل عمل يقوم به الإنسان فيه الخير والمنفعة للفرد والمجتمع وفي كل ما يعود على البشرية بالخير والسعادة.

الهوامش

١ - رواه البخاري.
٢ - فقه السيرة، البوطي، ص:١٩٣.
٣ - سيرة ابن هشام: ج٢، ص:٨٦.
٤ - تفسير القرطبي: ج١٢، ص:١٠٠.
٥ - تفسير الطبري، ج٥، ص:٢٢١ وما بعدها.
٦ - رواه مسلم.
٧ - تفسير ابن كثير، ج٦، ص:٤٨٨.
٨ - رواه الترمذي وصححه الألباني.
٩ - رواه أحمد وضعفه الألباني.
١٠ - رواه الترمذي.
١١ - رواه مسلم.
١٢ - رواه الحاكم.
١٣ - رواه البخاري.
١٤ - رواه مسلم.
١٥ - رواه مسلم.
١٦ - رواه أبو داود.
١٧ - أي أعظم خيانة الأمانة.
١٨ - رواه مسلم.



أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر

قراءة نقدية في إبداعات الوعي القصصية

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.



«رسول الأذكار»

رغم اختيار القاص محمد جمال المغربي لعنوان قصته الصريح والمباشر: «رسول الأذكار»، فإنه حمل بعض التشويق للقارئ ما يدفعه إلى التطلع إلى معرفة هذا الرسول، لكن بلا شك كشف العنوان كثيرا من الغموض الذي يحتاجه الفن القصصي، فكما يقول نجيب محفوظ: «إن الأدب الواضح المباشر الذي يعطي القارئ كل شيء بطريقة بسيطة ومباشرة يعطل ملكة الخيال لدى القارئ، ولا يمنحه الفرصة للتفكير والتحليل، والأدب بطبيعته رمزي، حتى الواقعي منه يجب أن يتصف بمستوى من الرمزية والغموض، بشرط ألا يصل لحد الإبهام والتعتيم وإرهاق ذهن القارئ»[1].

ومع ذلك فالكاتب في بنائه السردي ظهر منه الوعي بمجال قصته، وذلك باختياره الراوي المشارك وسرد القصة بضمير السرد «أنا»، فاستطاع الراوي أن يخبر عن نفسه بصدق في الدوافع والأهداف والخواطر والمشاعر والأحاسيس، مما يجعله قريبا من القارئ وأكثر واقعية من الراوي العليم الذي يعلم الحكاية سابقا.

وكذلك اختياره البداية بالحدث مباشرة دون الاعتماد على المقدمات الكلاسيكية القديمة، وتدور الحكاية عن فتاة تعاني آلاما في رقبتها، الأمر الذي شخصه الطبيب باحتمالية ورم خبيث، ولا نعرف الكثير عن هذه الفتاة بداية، لكن مع الحدث الثاني وهي تستقل سيارة أجرة -عبر عنها الكاتب بالتاكسي- يظهر منها الكرم والجود بالصدقة تعاطفا مع حال السائق، وفي تلك الليلة تبدأ رحلتها مع رؤيا لشيخ مُسن -عبر عنه الكاتب بالعجوز- رأت هذا الشيخ يردد: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل:٦٢)، فكانت هذه الرؤيا إشارة لتوجهها إلى الله بالدعاء وكشف ما ألم بها من مرض، يتزامن مع ذلك علمها من أمها بوصول طبيب من ألمانيا متخصص، لتعتزم زيارته، لتتكرر معها الرؤيا، فمرة يقول لها الشيخ: «حوقلي»، ومرة يصلي على النبي مرات عديدة، وهي تتابع مع الطبيب الجديد الذي هان معه المرض واستبشرت به خيرا، وأتى الشيخ في المنام مرة أخرى معه امرأة جميلة محتشمة، عرفت منه أنها هي، وسمعتها تردد الاستغفار، فاستنبطت أنها رسالة للبس الحجاب، فلبسته، وبعدها زارت الطبيب الذي اكتشف استجابة المرض للعلاج مع استعجابه لهذه الاستجابة السريعة رغم صعوبتها، ليسألها: هل جربت علاجا جديدا؟ فتجيبه عن علاج «الاستغفار» والطبيب هو «رسول الأذكار».

ونرى الكاتب مال إلى المباشرة في سرده كما في العنوان، فإننا نذكره بأن القص الأدبي وإن رام منه قيمة جليلة، فهو فن الخداع، والتضليل، والإغواء، أن تلعب بأعصاب القارئ، تُوقِعه في لغز يعجز أن يجد له حلا ويلهث وراء الأحداث من أجله، حتى إذا انكشف أخذته الدهشة. هذا ما نطمح إليه في أعماله القادمة بإذن الله.

«يكتفى بهذا القدر»

في قصة «يكتفى بهذا القدر» للقاص أحمد راشد البطل، نجد التكثيف



حاضرا بشدة ما يدل على وعي الكاتب بالفن الذي يمارسه، فالقصة القصيرة قائمة على التركيز والتكثيف، التركيز أساس في الموضوع، وفي الحادثة، وفي طريقة سردها، أو في الموقف وطريقة تصويره.

ويبلغ التركيز حدّ أنه لا تستخدم لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها، أو يمكن أن يستبدل بها غيرها، فكل لفظة تكون مُوحية، ويكون لها دورها، تماما كما هو الشأن في الشعر، فهو ابن اللحظة الآنية التي تومض كالبرق، والقصة مثله، تومض في لحظة فتقتنصها الصورة الحكائية لتديم حضورها وتبسطها أمام العين كي تتأملها.

تتنامى وتتصاعد، تتقاطع وتتباعد، تفترق وتتواصل، دون أن يلحق أي خلل بانسجامها وتآلفها وارتباطها، بكل ما تتيحه عناصر السرد واستراتيجيات القص من إمكانات.

«يغلق التلفاز، يرقد منزويا بأحد الأركان، تتثاقل جفونه، يحاول أن ينسج أحلامه الوردية، وسعادته الأبدية، ولكنه لا يستطيع، تعترض تلك الإنذارات المؤكدة التي بثتها وكالات الأنباء وآثار القصف في المدن المجاورة موجاته المتردية..» هكذا شحن الكاتب الكلمات لتعبر عن الحدث دون ترهل في بناء الجُمل، وفي اختياره الفعل المضارع تصوير حي للحدث وكأنك تشاهده في اللحظة الآنية، ويمتاز التصوير البلاغي عند الكاتب ويتناسق مع التكثيف الحاضر للمشهد، فتجد الصورة البلاغية حاضرة بالتشبيه غير منفصلة عن الأحداث، «تتعلق حبيبته بأستار ذاكرته، فيظل متمسكا بها، يسحبها إلى بساتينه المزهرة وشطآن قلبه العامرة، ينهل منها كما يشاء، يرقصان مع الفراشات، وأسراب الحمام التي أظلتهما، وهدلت لهما لحن السعادة، تتلاشى منه شيئا فشيئا، ينفلت العقد، تطير هي، ويسقط هو فزعا، على موجة القصف التي يتوقعها ويخشاها الجميع».. وتمضي الأحداث وسط القصف والدمار والأشلاء وعناء التفكير الذي يسيطر على بطل القصة ومع محاولته إنقاذ طفلة صغيرة من الموت فقدت أمها، ثم تعرضه هو للقصف مع مرور الحدث، ودون أن يصرح الكاتب باستشهاده، نجده يرسم لنا لوحة شفافة رقراقة لتعانق الأرواح في السماء وهو يسأل الطفلة عن اسمها، فتجيبه: «شهباء»، ليتحلى النص -إضافة إلى التصوير والتكثيف- بالترميز، فالشهباء لقب لمدينة حلب السورية سُمِّيت بذلك لبياض حجارتها.

«وجه في الحرم»

تأتي قصة «وجه في الحرم» للقاص محمد ثابت توفيق، متماشية مع أجواء الحج وروحانياته، يطالعنا الراوي المشارك على اللحظة الآنية وهو في طواف الوداع بعد فراغه من فريضة الحج، ليثير استغرابه شخص غريب، «في طواف الوداع لمحته من جديد... هذا الوجه رأيته مرارا وتكرارا خلال رحلة الحج؛ نظرت إلى ملامحه أكثر حتى لكأني أريد الاحتفاظ بها في ذاكرتي إلى أطول وقت ممكن» يستدعي ذاكرته في تذكر مواقف حضوره قبل ذلك بدءا بالانطلاق من الطائرة مرورا بالحرم المكي والحرم المدني في الروضة الشريفة وكذلك رآه على عرفات، لكن كل مرة تختلف تفاصيل وجهه وتقاسيم جسمه، بين نحافة وامتلاء وطول وقصر وشباب وشيخوخة ولحية كثيفة أو قصيرة أو من دون، لا شك أن الكاتب أثار فضول القارئ لمعرفة سر هذا الرجل المتكرر الكثير الظهور والمتغير كذلك في أشكاله ليعيش حالة استغراب البطل نفسها ويتماهى معه في إحساسه بالفضول لكشف هذا اللغز، وهذا اللغز هو مكمن حبكة القصة ونقطة تنويرها، الذي ينكشف مع الأسف انكشافا باهتا بمعالجة هشة من الناحية الفنية حينما يسأل البطل الرجل عن سر ذلك، فيجيبه بابتسامة مشيرا إلى المصلين والطائفين حول الكعبة، كي ينظر هل يراه فيهم، وهل يراه في الخلف، ليرى جميع الحجاج الرجال كانوا يشبهونه إلى حد كبير ليقول له: «أنت تراني منذ بداية أدائك للفريضة في الوجوه من حولك لا لعيب في عينيك يا أخي الفاضل؛ بل لأننا جميعا بالفعل إخوة في هذا الدين العظيم.. وهنا نخرج من الدنيا ونرجو الله قبولنا فنصير جميعا بلباس واحد وملامح تبدو أحيانا للعين واحدة.. لأننا فحسب نرجو رحمة الله!».

إن ما أثاره الكاتب من حالة غريبة لا يمكن أن يتقبلها إنسان إلا باستغراب مماثل ولا يستطيع فك شيفرتها بتلك السهولة، وما أراد أن يبثه الكاتب من ذلك المعنى من التشابه والانصباغ بصبغة التعبد بعيدا عن شغل الدنيا وتغيرها، ووحدة العبادة والإخاء الحاصل من التردد على النسك نفسه، كان باستطاعته أن يغزله من خلال المنولوج داخل البطل نفسه دون التعرض للسؤال والجواب بل كان سيخرج من الداخل عن طريق الاستنتاج المنطقي للحالة التي يستشعرها، لا شك أن الفكرة جيدة لكن المعالجة لم تكن بهذا القدر، بالإضافة للتكرار الذي حدث في بعض الأحيان ما يصيب القصة بالتفكك.

ومع ذلك يبقى المعنى الذي أراده الكاتب جميلا وقدرته على السرد واضحة تجعلنا نطمح في جبر النقص مع قصصه القادمة.

الهوامش

١- صفحات من مذكرات نجيب محفوظ، رجاء النقاش، ص:٦٠، دار الشروق.

محمد الدسوقي
مدير تحرير بجريدة «الأهرام»



دور اللغة العربية في النهوض الحضاري

يكفي اللغة العربية شرفا ورفعة بين لغات العالم أنها لغة القرآن الكريم، رسالة الله تعالى الخاتمة إلى البشرية كلها، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (سورة يوسف: ٢).

والإحاطة بعلوم اللغة العربية، وإتقان قواعدها أعظم ضمان لتحقيق السلامة اللغوية والأسلوبية، والفهم الصحيح، والوعي الدقيق العميق بمدلولات النصوص، خاصة الدينية، والتزام سمو الكلمة، ووقار العبارة، ونبل الهدف، والارتقاء بالذوق الرفيع، وحماية قيم المجتمع وأخلاقه الفاضلة.

وقد أحسنت الأمم المتحدة إذ خصصت يوما دوليا للغة العربية، يتشارك فيه العرب والمسلمون والعالم كله الاحتفال بهذه اللغة السامية، ويقفون على مكانتها الكبرى بين لغات العالم، ويتعرفون على الكثير من أسرارها ووظائفها ودورها في تحقيق التقدم والنهوض الحضاري في مختلف بقاع الأرض على مر العصور.

وإذا كانت لغتنا العربية واجهت، ولاتزال، الكثير من التحديات والمؤامرات - قديما وحديثا - بهدف صرف الناس عنها، وتحجيم دورها، فإن واجب أهلها أن يعملوا بقوة على سرعة التصالح معها ونشرها، وتعظيم دورها لتكون لغة الحياة بحق، خاصة في المجالات العلمية والتعليمية والإعلامية والثقافية، بالإضافة إلى الأنشطة الدعوية، والمعاملات الرسمية المختلفة.

ولابد من إنهاء انقطاع البعض عن اللغة العربية بسبب الإغراق في استخدام «اللهجات العامية» المنتشرة في الوطن العربي، أو استخدام لغات أجنبية بدلا منها، أو المزاوجة بين العربية ولغة أجنبية في الخطاب الشفاهي وربما المكتوب، خاصة بعد تجدد الدعوة إلى إحلال «العامية» محل العربية «الفصحى» في الكتابة؛ فذلك من شأنه إفشاء «اللحن» على الألسنة، وتعميق حالة الانقطاع عن اللغة العربية عند بعض أبنائها.

إن الأمم الراشدة تسعى دائما لتقوية علاقتها بلغتها، وتعمل على تطويرها وتوسيع مجالات استخدامها؛ فذلك دليل سمو مكانتها، وعلو شأنها بين دول العالم.

ولا يمارى عاقل في أن اللغة العربية كانت ركنا أصيلا في انطلاق «عصر التنوير» في أوروبا الذي نهل كثيرا من التراث العربي الإسلامي المكتوب باللغة العربية. ولا ينازع منصف في أنها أصبحت إحدى أهم لغات العلم والمعرفة في جميع المجالات.

فقد كانت اللغة العربية، ولاتزال، شاهد صدق وعدل على إنجازات علماء الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، ودورهم بالغ الأثر والأهمية في تأسيس الكثير من المفاهيم والنظريات والعلوم والتقنيات التي قامت عليها النهضة الأوروبية الحديثة، ومهدت الطريق لكل الإنجازات الحضارية التي تجنى أوروبا ثمارها

اليوم.
وواجبنا أن نبرز للعالم دور اللغة العربية في نقل التراث العلمي للحضارة الإسلامية للعالم من خلال إنجازات علمائها الأفذاذ، أمثال: الكندي، والفارابي، والهمداني، والرازي، والبتاني، والبيروني، والقزويني، وابن سينا، وابن الهيثم، والزهراوي، وغيرهم، فهؤلاء العلماء ظلوا أكثر من ثمانية قرون يشعون على العالم بلغتهم العربية علما وأدبا وحضارة أسهمت فيما بلغته الإنسانية اليوم من تقدم في جميع المجالات.

إن التصالح مع اللغة العربية ييسر الإفادة من وظائفها، باعتبارها أبرز أركان عملية التفكير، ووعاء المعرفة، وبوابة التعلم والثقافة والتقدم، فضلا عن كونها أهم وسائل التواصل والتخاطب، والتعبير عن الأفكار والعواطف والمشاعر والأحاسيس، وتسجيل التراث وحمايته، ودعم الحضارة بما يخدم البشرية كلها في مختلف المجالات.

وستظل حاجتنا دائمة إلى اللغة العربية، لنعبر بها عن مقاصدنا وأحوالنا، وندون بها أخبارنا ومعارفنا وخبراتنا، ونتواصل بها شفاهة وكتابة؛ فهي سبيلنا إلى العلم والمعرفة والتقدم.

وعلينا أن نتذكر دائما أن وسائل الإعلام، المقروءة والمسموعة والمرئية، مرت بيوم كان تسرب خطأ هجائي أو لغوي أو أسلوبي إلى موادها يزعج علماء اللغة العربية، والأدباء، والمثقفين، والقراء الغيورين على اللغة، فضلا عن الإعلاميين أنفسهم. وما ذلك إلا لإدراكهم أهميتها، وضرورة الحفاظ على قواعدها نطقا وكتابة.

ويخطئ بعضنا حين يقر، عن عمد أو استسهال أو جهل، ذلك السيل من الأخطاء اللغوية «الشائعة» التي تطل علينا عبر وسائل التواصل، مستندين إلى فكرة «غريبة» مفادها أن «الخطأ الشائع أفضل من الصواب المهجور».

إن شيوع الخطأ اللغوي لا يجعله أصلا في اللسان العربي، وليس مبررا للأخذ به أو ترويجه، فعلينا اختيار الصواب السهل، بدلا من تكريس الأخطاء.

ويجب أن تستهدف العناية باللغة العربية فتح الباب واسعا أمام الناس جميعا لتعلم لغتنا العربية، والتعرف على قواعدها وخصائصها وميزاتها، خاصة بعد أن انطلقت إلى آفاق عالمية؛ لتصبح بحق واحدة من أهم اللغات العالمية، كما اتسعت لعلوم ومعارف إنسانية تجعلها قادرة على المشاركة بقوة في كل جديد نافع للبشرية؛ فعلى مدى قرون عديدة أثبتت اللغة العربية قدرتها الكبيرة على التطور والنمو، واستيعاب المستجدات في مختلف العلوم والفنون والمعارف.

ولا تزال الحاجة ماسة إلى إبراز مزايا اللغة العربية وخصائصها في زمن تعرضت فيه، وحدها بين لغات العالم، لكل ما ينصب عليها من معاول الهدم، ويحيط بها من دسائس الراصدين لها، لأنها قوام فكرة وثقافة ودور علمي وعلاقة تاريخية، لا لأنها لغة كلام وكفى.

وقد عني كثيرون من المفكرين العرب والمسلمين والعلماء والأدباء بإبراز سمات اللغة العربية، وبيان خصائصها، ومن أهمها أنها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات، وأنها لغة بليغة، وأقدم كثيرا من اللغات الحديثة، وتمثل مفرداتها ثروة كبيرة في أصول الكلمات.

وتسهم خاصية «الاشتقاق» في تعزيز قدرة اللغة العربية على استيعاب مستجدات العصر في مختلف الميادين، ومواكبة الإنجازات العلمية الحديثة، والتعبير عنها بألفاظ دالة وواضحة، وتتمتع اللغة العربية بفصاحة النطق.

ويجمل البعض العلماء خصائص اللغة العربية وسماتها ومزاياها في دقة قواعدها النحوية، وغزارة مفرداتها، وخصب مناهجها في الاشتقاق، وقياسية أوزانها، واختصاص كثير من هذه الأوزان بالدلالة على معان معينة، وسعة صدرها حيال التعريب والمجاز والكناية والنقل، وشدة حرصها على جمال الأسلوب، وبلاغة العبارة، وتوخيها الوصول إلى الغرض من أقرب الطرق، وأكثرها مناسبة لمقتضيات الأحوال.

وفهم القواعد الأساسية للغة العربية ضروري لكل مسلم مهما كان تخصصه، فهو ضروري للدعاة والخطباء؛ ليستطيعوا الوصول إلى عقول وقلوب سامعيهم، والتأثير فيهم بلغتهم الصحيحة، وبيانهم الواضح؛ فيحملونهم بذلك على الاستجابة لهم، والإفادة من وعظهم وإرشادهم.

وهو أيضا ضروري للمخاطب بأنشطة الدعوة الإسلامية حتى يحسن فهم أحكام الدين، ويدرك ما عليه من واجبات تجاه خالقه سبحانه وتعالى، وتجاه دينه ونفسه ومجتمعه والناس أجمعين.

كما أنه ضروري لطالب العلم كي يحسن القراءة والفهم والتحصيل العلمي، وضروري لأصحاب المهن، كالإعلاميين والصحافيين والمترجمين والأطباء والمهندسين والاقتصاديين وغيرهم، ليحسنوا كتابة بحوثهم وتقاريرهم ورسائلهم بلغة سليمة مفهومة، بحيث

تعود بالنفع والفائدة على الجميع. وهو ضروري أيضا للعاملين في مجالات الخدمة العامة، ليتمكنوا من التحدث والكتابة بلغة سليمة.

ولا يجوز أن نغفل حقيقة أن روعة الدراسة التي حظيت بها علوم اللغة العربية من علمائنا ومفكرينا كانت الأسس التي اعتمد عليها دارسو اللغات الإنسانية قديما وحديثا.

وعلى الرغم من القلق الذي يبديه كثيرون على واقع اللغة العربية ومستقبلها، لا يخفي آخرون تفاؤلهم بما حققته اللغة العربية من ازدهار في السنوات الأخيرة، حيث وسعت مضامين شتى من العلوم والآداب، ونفذت إلى أسلوب ميسر مبسط، من شأنه أن يساعدها على الانتشار في جميع الألسنة، واستولت منذ فترة طويلة على أكبر ساحة لغوية شعبية في العصر الحالي، وهي ساحة الصحف، كما أخذت أيضا تستولي على ساحة الإذاعة، وكلماتها المسموعة والمرئية.

ولاشك في أن الإذاعات وسيلة مهمة من وسائل نشر العربية الفصحى في عصرنا؛ لكثرة الملايين المستمعة لها يوميا إذ تستطيع أن تحمل الكلام توا إلى جميع أرجاء العالم، ولهذا ينبغي أن تتضاعف الجهود في مختلف الإذاعات؛ لتبلغ بالفصحى المعاصرة الغاية المأمولة لها من الذيوع على جميع الألسنة.

وعلى المستوى الدولي أصبحت العربية واحدة من اللغات الست المستخدمة في الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية التابعة لها، كما لم يعد النقل منها أو إليها يمثل عقبة في سبيل توصيل الأفكار، وتبادل وجهات النظر.

وفي كثير من الجامعات الغربية توجد الآن مراكز متخصصة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الأمر الذي يعكس رغبة العالم في تعلمها، كما يؤكد القيمة الثقافية والحضارية التي تحملها لغة القرآن، سواء في ماضيها العريق، أو في مستقبلها المشرق.

لغتنا قادرة على المشاركة في تحقيق التقدم العالمي

ولا شك في أن النهوض باللغة العربية يساعد على سهولة الاتصال بين الأفراد، والتقارب بين الشعوب، كما أنه يدفع الفكر العربي والإسلامي ليساهم بفاعلية أكبر في حركة التقدم العالمي، ويثبت جدارته في الريادة والسبق.

كما أن تكنولوجيا الاتصال والمعلومات تستطيع أن تقوم بدور فعال في نشر اللغة العربية والارتقاء بها في كل أنحاء العالم.

وينبغي أن تشمل العناية بمستقبل اللغة العربية تعاون المجامع اللغوية والحضارية والجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية في وضع المعاجم العربية الحديثة لكل الأعمار، لتيسير معرفة معاني الألفاظ ودلالاتها، وطرق استخدامها، بالإضافة إلى ملاحقة منجزات العلم الحديث، والتطورات التكنولوجية بالمصطلحات العربية الدقيقة.

كما ينبغي أن يمتد هذا التعاون لإعداد مناهج جديدة وبرامج متطورة؛ لتسهيل تعليم اللغة العربية لأبنائها من ناحية، ولغير الناطقين بها من ناحية أخرى، وما أعظم أن تستمد تلك المناهج أسسها ومضامينها وأهدافها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

«العربية» كانت ركنا أصيلا في «عصر التنوير» بأوروبا

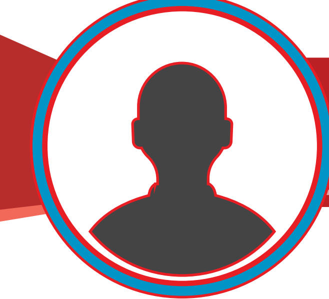
ولابد من التصدي لمحاولات النيل من اللغة العربية، والعمل على إظهار الوجه المشرق لها، من خلال النماذج العلمية والأدبية والبلاغية الرفيعة المستوى، وبذل الجهود المخلصة في سبيل تقريب الفجوة القائمة بين اللغة العربية الفصحى واللهجات العامية، ومواجهة محاولات البعض ترويج «الأخطاء الشائعة» وإدراجها ضمن مفردات اللغة وأصولها.

ولسنا نتهم أحدا حين نؤكد أن أبناء اللغات الأخرى لا يتوقع منهم أي سعي لنشر لغتنا العربية، وتوسيع دائرة مستخدميها تحدثا وقراءة وكتابة وفهما على حساب لغاتهم، في الوقت الذي نجد فيه بين أبناء العربية من يناصر اللغات الأجنبية على حساب لغته الأم.

إن هناك حاجة ملحة في هذه الآونة إلى توافق عربي إسلامي لتنشيط العمل الجماعي بهدف رسم مستقبل أفضل للغتنا العربية، وتنميتها في ضوء المستجدات العصرية، وحمايتها من معاول الهدم المسلطة عليها.

وينبغي الاستمرار في إعداد المعلمين الجدد الأكفاء، لتعليم الأجيال الجديدة من أبناء اللغة العربية، وغير الناطقين بها في الوقت نفسه.

ومن الأهمية بمكان التصدي بفكر ووعي سديدين لكل محاولات النيل من اللغة العربية، أو السخرية من المعنيين بها، وكشف أغراض تلك المحاولات، وبيان زيف دعواها، حتى لا ينخدع فيها أحد، أو يتأثر بما تروجه من مزاعم كاذبة ومراوغات حاقدة.



حسن متولي عبيد
كاتب وشاعر

من وحي المولد

شرف المقام عن البيان معوق ... كيف السبيل إذا استهام مشوق

إن لاذ بالصمت المحبون انبرت ... أشواقهم تجتاحهم. تتدفق

أو أفصحوا عجزوا عن الوصف الذي ... يشفيهمو مهما أجادوا نمقوا

فهمو حيارى بين إفصاح على ... خجل وصمت بالصبابة يخنق

ميلاد أحمد أم مخاض ولادة الـ ... إحسان في أبهى المعاني يخلق

عفت المكارم بعد طول جفائها ... تبلى المكارم كالثياب وتخلق

فأعدت فيها الروح بعد سباتها ... وهفا بها صوب الحياة تشوق

ورفعت للتوحيد سامق راية ... فغدت بآفاق الوضاءة تخفق

ونزعت خوف الحائرين بنعمة الـ ... إيمان قر مسهد ومؤرق

وأضأت سبل السالكين إلى العلا ... درست بشرك ثم عادت تطرق

وجمعت أعراب الفلاة فأصبحوا ... قمم الأنام بهم أضاء المشرق

وترفقت أكبادهم فتفطرت ... أسفا على سفه به قد أغرقوا

وتوزعوا في الناس رسل هداية ... للحق في ظلم الجهالة تشرق

وغدوت للإخلاق خير مثالها ... سعد الذين بما سننت تخلقوا

آثرت عيش البائسين زهادة ... لو شئت نلت به الأطايب تغدق

وضممت أفذاذ الرجال بساحة ... فغدت بأنفاس الأزاهر تعبق

سلمان والفاروق خير أخوة ... وبلال والصديق غصن مونق

من لي بمن في النازلات فوارس ... وإذا ادلهمَّ الخطب نار تحرق

وإذا أناخ الليل في ساحاتهم ... غمر العيون من الخشوع ترقرق

ميلاد خير الرسل خير تحية ... من طيب غرسك بالأباطح يورق

قد غادر الصدر الفؤاد إذا انبرت ... تسري إليك على الهيام الأينق

فالحب ميثاق وأوجب ذمة ... قد عز بعدك من يحب ويصدق



معروف عبد الرحيم
كاتب قصصي

ما السر يا أبت؟

كعادته كل صباح، يرافقني أبي إلى المدرسة، حتى إذا ما أصل إليها، انغمس في فضائها الرحب، بعد أن أسلم على باب الجنة وأقبل رأسه، متجها نحو الفصل بخطى ثابتة ورؤى ثاقبة...

وكل صباح كنت أرى على صفحات وجه أبي، ملامح الرضا والارتياح، ويشع من ثناياه نور رباني جميل، وأجده نشيطا، واثقا من نفسه، سريع الحركة- رغم عمره الذي جاوز الخمسين سنة بقليل- وكان دوما يقترح حوارا نافعا خفيفا، نستهلكه مدة السير نحو المدرسة...

إلا أن شيئا غريبا طرأ اليوم، فلا نور يرى على وجهه ولا ابتسامة تزين خديه، ورأيته بطيء الحركة، خائفا فزعا، حتى إنه لم يكد يعبر ممر الراجلين إلا بمشقة النفس، وبعدما التفت مرات ومرات يمينا وشمالا، ولأول مرة لازم صمتا مخيفا: فلم ينبس ببنت شفة طيلة الطريق، بالرغم من أنني كنت أستدرجه للكلام دون جدوى...

ترى ما السبب؟

غيم على قلبي حزن عميق، وتناثرت أفكاري وتشعبت بشكل دقيق، تتساءل: هل من تحقيق؟ يفضي إلى معرفة سر هذا التغير المفاجئ والطارئ، على سلوك أبي ذي المبادئ؟

اقترحت مخيلتي عدة احتمالات ربما تكون سببا لما ألم بأبي من هم وغم وهو المبتسم المحتشم، بيد أنني بعد فحصها وجدتها تافهة على أن تؤثر في شخصيته القوية، ويقينه الصلب، وقلبه الطيب، فما رأيناه إلا حبيبا ولبيبا وأريبا.

اقتربنا من باب المدرسة، وأخير نظر الأب الحنون نحو ابنه الذي كاد أن يختطفه الجنون، مبتسما ابتسامة تخبئ من خلفها حزنا عميقا، وكأنه يعتذر لي عن شيء ما! ولسان حاله يقول:

«ما كان علي أن أحرمك من تلك البهجة التي كنت تعيشها كل صباح!»

بادلت أبي بابتسامة أفضل وأجمل، وارتميت على يديه الطيبتين أقبلهما بقوة، ثم قفزت أشده من عنقه كي أقترب من رأسه، أقبله هو الآخر بحماس طريف...

تنهد أبي وشعر بارتياح مؤقت جراء تقبيلي يده ورأسه، وكأنه أخذ دواء يداوي صداع الرأس، ورد لي القبلة قبلتين والتحية تحيتين، مودعا إياي ومتمتما:

- إن شاء الله عز وجل، نلتقي بني في المساء، فاليوم لدي عمل كثير، لن أستطيع العودة للغداء.

إن شاء الله أبت... في أمان الله وحفظه وذمته

آمين... آمين.. آمين... ما أجمله من دعاء... بل هو الدعاء الذي أحتاجه!

تشكلت عشرات علامات الاستفهام والتعجب في مدونة مخيلتي أستغرب هذا الجواب الذي لم يفتح لي إلا



أبواب السراب...

رجع أبي يريد أخذ سيارة أجرة تقله لمقر العمل، فتعقبته بنظراتي وأنا واقف أمام المدرسة، فلاحظت نفس الملاحظات السابقة: حذر شديد، وجهد جهيد وفكر شريد... وحينما أراد ركوب ممر الراجلين للضفة الأخرى من الطريق، التفت مرات ومرات يمينا وشمالا وكأنه يخاف أن تبتلعه السيارات... لم أعد أحزن لحزن أبي بل أصبحت الآن أعيش الحزن نفسه دون معرفة سر ذلك.

استدرت متجها نحو باب مدرستي، مطأطأ الرأس فهرولت نحو فصلي وأنا أتدافع مع دموع تريد الانفلات من عيوني.

هادنت نفسي وداهنتها ولاطفتها طيلة حصص الدرس، على أن أجد راحة من تساؤلاتها الكثيرة وحيرتها الكبيرة، التي كادت توقعني في وسواس شيطاني بغيض.

دق جرس الخروج فتنفست الصعداء، وكم كنت سعيدا حينما علمت أنني لا أدرس مساء هذا اليوم، ولكنني عدت لحزني من جديد لما علمت أن ساعات أخرى تنتظرني على أحر من الجمر، كي تذيقني مرارة الانتظار... انتظار رجوع أبي من العمل كي أطمئن عليه وأسأله السؤال البديهي الطبيعي: «ما سر هذا يا أبت؟»

مرت الثواني كأنها ساعات طوال والدقائق كأنها أيام معدودات والساعات كأنها شهور إن لم أقل سنين... وأخير دق جرس المنزل، فعرفت أنه أبي لأن رنة الجرس عند قدومه، تكون خفيفة وقصيرة لا يريد إزعاج آذاننا... فوثبت باتجاه الباب، كأنني فهد من فهود الغاب وفتحت الباب فإذا هو أبي بالتمام والكمال... ارتميت نحوه معانقا وأنا أقبله ورادا عليه السلام... ثم خاطبني قائلا:

- كيف حالك يا أسامة؟ هل درست جيدا؟

- أنا بخير أبي...الأهم أن تكون أنت بكل خير يا أحن أب في العالم.

ولما جلس أبي على أريكته أحضرت له كوب ماء وساعدته في إزالة حذائه ثم جلست بجانبه أستمد الحنان منه وأترقب الفرصة لطرح سؤالي البديهي...

أحضرت أمي الشاي واجتمعت الأسرة بأكملها حول المائدة، وبعدما انتهى أبي من شرب كأسه فاجأته بالسؤال:

- أرجوك أبي.. قل لي ما سر ذلك؟

- ماذا تقصد يا أسامة؟ أفصح...

- أما ترى يا أبت أنك اليوم كنت على غير عادتك... صمت مخيف وفزع غريب وارتباك واضح وهم وغم ألم بك... حتى إنك لم تكلمني طيلة الطريق التي كنا نتشاركها أنا وإياك كل صباح ببهجة وسرور...

- صدقت بني... كل ملاحظاتك كانت صائبة.

- وما سر ذلك؟ لابد أن يكون هناك سر اختبأ من خلفه كل ذلك!

- فعلا، بني، هناك سر عظيم خطير... جعلني أفزع وأخاف من احتمال وقوع شر مستطير... والسر يا بني هو أنني لأول مرة لم أكن في ذمة الله...!

زادني هذا الجواب غموضا وإبهاما فاستفسرت عن ذلك:

- وهل كنت ميتا يا أبت -لا قدر الله- حتى تقول أنك كل الأيام السابقة كنت في ذمة الله؟!

ضحك أبي حتى أبان عن أسنانه البيضاء الجميلة قائلا:

- بل على العكس كنت حيا وفي ذمة الله، بمعنى في أمان الله وعهده وحفظه، وكنت دوما على يقين من ذلك، فكنت أعرف أن لا حظ لسارق في جيبي ولا لمعتد على حق من حقوقي، ولن يعترض طريقي شقي.

قاطعته بسؤالي وأنا أطأطئ رأسي تأدبا معه:

-... ولكن كيف؟

- لأنني كنت دوما أصلي الفجر في جماعة باستمرار... حتى أتى ذلك اليوم الذي لم أستيقظ فيه لصلاة الفجر وذلك لأنني أطلت السهر ليلا... ففزعت لذلك الأمر الخطير وذلك الطارئ الكبير...أما قرأت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم».

- تملكتني دهشة مفعمة بفرحة شديدة ونظرت لأبي معجبا بهذا اليقين الصلب ومجلا لجمال هذا القلب، وقلت له مبتسما:

- يا للمصادفة العجيبة! فقد كان درس اليوم في العبادات صلاة الفجر» وإنك حقا يا أبي باب من أبواب الجنة!

فأجابني والابتسامة المعهودة تعود من جديد على محياه معلنة توبة جديدة:

سأدعو الله لك -ابني البار- أن تدخل الجنة عبر ذاك الباب!



د. سعيد أصيل
دكتوراه في الأدب والنقد

امتحان عسير

لم تعد تتذكر مما حدث شيئا.. كل ما تستحضره أنها حين فتحت عينيها بدت لها الوجوه المحيطة بالسرير مجرد أشباح لم تميز منها أحدا.

عاودها الألم، وهي تحاول أن تداريه أمامهم. تتشبث بجلد كبير معهود لديها، طالما أسندت به ممرات حياتها القاسية وشقوق تمردها عليها وعنادها.

اعتصر الحزن قلبها مدة طويلة، وهي تكابر حتى لا تسقط في حافة الانهيار الكامل الذي ظلت تقاومه بكل ما أوتيت من قوة.. كما ظلت تكره نظرات الشفقة المتسللة من عيون الناس والأهل. وحده كان يفهمها جيدا ويصغي إلى همساتها الهادئة التي قضم المرض انسيابها الجميل..كانت تلك المشاعر الفياضة تزرع فيه ثقة وصبرا في مقارعة هموم الحياة، لاسيما حين يعود مساء مثخنا بجراح الحاقدين ووشوشات الحساد والمحبطين لما ناله من حظوة وتميز في العمل، كان يكشف تهاون الآخرين وغشهم وعدم جديتهم.

كانت ابتساماتها المشرقة تمسح عنه هم اليوم وشؤم الناس فينسى ذلك كله، ويلج الدار فتبادره بأطيب الكلام وبشوقها الذي طال. تأخذ عنه حقيبته ومعطفه.. يدخل الحمام فيجد الماء ساخنا ينتظره، ثم يلتفان حول المائدة التي أعدتها بإتقان وبلمسة فنية جمالية رائعة، تفردت بها عن كثير من مثيلاتها. تقدم إليه اللقمة الأولى بيدها فيرد عليها بالأخرى ممزوجة ببسمة رضا وعينين تشعان محبة وصدقا لا حد لهما.

انتبه إلى دموع تسقط، عبر خديه باردة، على السرير. مسحها بعد ما أحنى رأسه ليداريها عنها وعن الحاضرين المحيطين بها.

قال بصوت هادئ حزين:

- حمدا لله على سلامتك...

تنظر إليه بعينين متعبتين، لا تستطيع فتح إلا جزء منهما. تتحرك شفتاها فيخرج منهما صوت خافتٌ لا يكاد يستبينه أحد، لكنه، وحده، يفهم ما تريد قوله. يضع يده على يدها مربتا فتحاول تحريكها لكنها لا تقوى. يهمس في أذنها بهدوء وبكلام لا يستطيع أحد سماعه، فتنبعث منها ابتسامة خفيفة... تطلب منهم الممرضة مغادرة الغرفة لأن مكوثهم غير مناسب لها. يتأخر قليلا إلى أن يغادروا فيقبل جبينها ويلحق بهم.

قاومت الورم مدة طويلة إلى أن غلبها وهزم عنادها، فكان لا بد مما خشيت حصوله وجاهدت ألا يقع. أقنعها الطبيب بضرورة الاستسلام، فأقنعته أنها لن تستسلم ولكن ستسلم الأمر للذي بيده كل شيء، وستقدم جسدها، ولم لا روحها، إذا كان ذلك يرضيه عنها. تعجب الطبيب، وهو يمسك المشرح، من هذا الجسد المتمدد الذي تزداد صاحبته جلدا لم يعهده، من قبل، في أمثالها ممن خضعوا للمصير ذاته. واستغرب معاونوه هذا الإيمان الطافح الذي تفضحه نظراتها الناضرة.

كانت تتابع كل ما يقومون به وما يفعلونه بذلك الجسد المرهق الصامد، رغم أن المخدر كان يفعل مفعوله ببطء شديد، إلى أن غابت عن الوعي.

في صباح اليوم التالي زارها صحبة ابنتيهما. تسارعتا إلى الباب وفتحتاه بخفة. نبههما إلى ضرورة الهدوء الذي يتطلبه المكان وإلى عدم إزعاج أمهما، فقد تكون نائمة.

لم تكن نائمة، فقد استيقظت باكرا وشرعت تحيي ذكريات تتملى بها وتسد بها منافذ الألم الذي يعاودها بين الحين والآخر.

قبلت ابنتيها قبلات حارة.. حاولتا الارتماء في حضنها لولا أنه منعهما حتى لا تؤثران على موضع الجراحة.. سلم، بدوره، بعينين تخفيان دمعات الشوق والسهاد والأرق.. قبل جبينها، وتحلق الثلاثة حولها. أطلقت تنهيدة عميقة، وهي تتأمل وجوههم، وكأنها تتضرع إلى مولاها كي يمهلها حتى لا تعيش ابنتاها في حرمان تعرف صعوبة تجاوزه



لاعتيادهما عليها وللحب الذي يحملونه، جميعا، بين جوانحهم، ولهول ما ينتظرهما في معمعان حياة مضطربة لا تعرفان عنها شيئا. حاولت طي تلك الصفحة الحزينة، وأعادت النظر إليهم، مبتسمة تدفع أنات ليلها الذي طال وشوقها الذي ازدادت درجات حرارته.

بكت البنتان، وهما تسألانها:

- متى تعودين معنا إلى البيت ياأمي؟

- بعد أيام قلائل ويأذن لي الطبيب بالمغادرة، ثم أنتقل لنتابع ما بدأناه معا من أشغال وألعاب.. أليس كذلك؟

- نعم يا أمي.. بيتنا حزين بدونك!

- عليكما أن تبعثا فيه الحركة كما تفعلان دائما.

- من الصعب علينا، يا أمي، لأنك أنت منبع تلك الحركة!.

طأطأت رأسها في محاولة لإخفاء دموعها، ثم رفعته ناظرة إلى الأعلى تدعو، بقلب متضرع، لها ولهما، وبلم الشمل مرة أخرى، وهم يؤمنون.

اعتزل أقصى الغرفة وهو يتابع حركاتها البطيئة ونظراتها المنكسرة، يجول بفكره في الآفاق الرحبة، وهو يعتصر ألما.. يهذي في حوار ساكن كيف يستطيع أن يعيش بدونها، وكيف يمكن أن يشع الدفء في البيت بدون موقد هي جمرته الملتهبة الدافئة المدفئة.

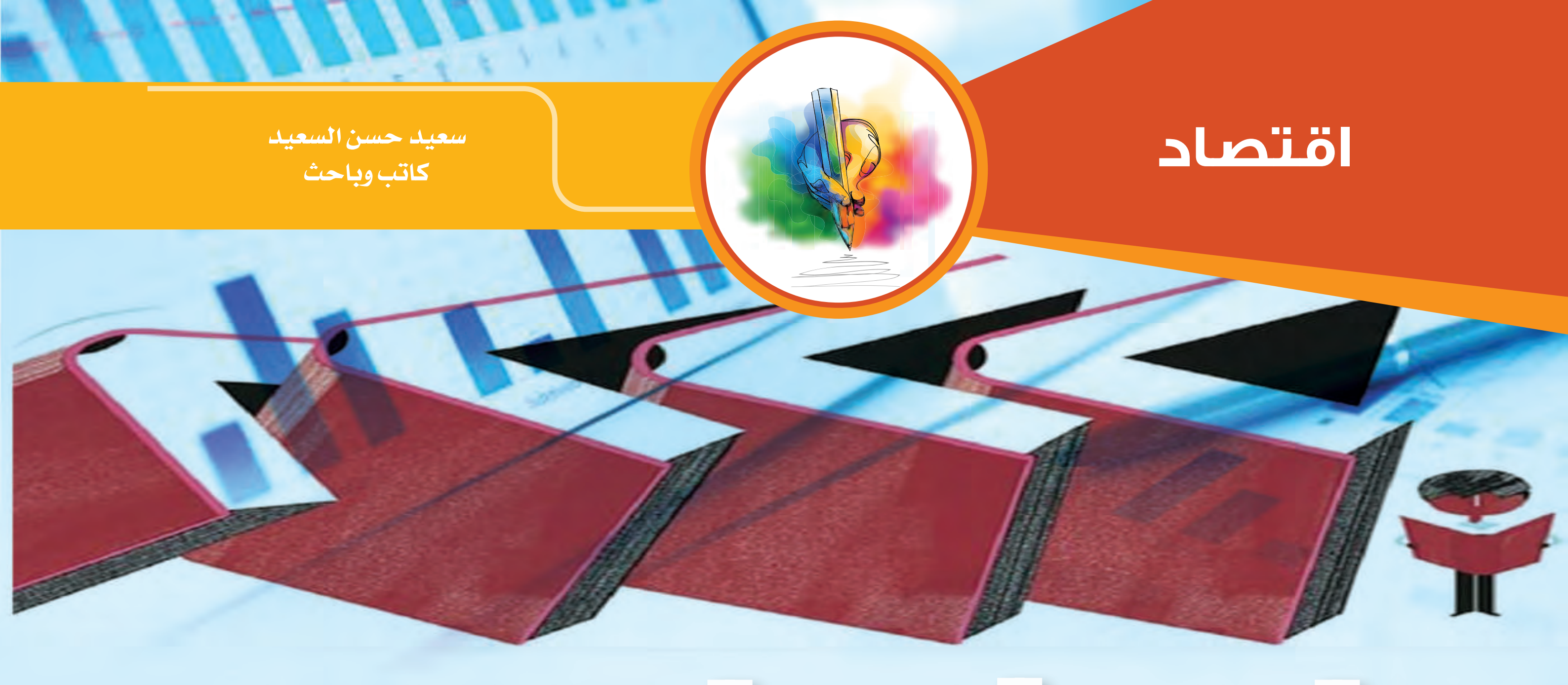
في هذه الأثناء دخل الطبيب. حياهم جميعا، وتوجه نحوه قائلا:

- كل الأمور تمر في أحسن الظروف، ويبدو أن هذه المرأة مباركة؛ فالتحاليل كلها جاءت تبشر بسرعة انطفاء الأورام، وبداية التئام الجرح، وقد تصطحبونها معكم إلى البيت غدا أو بعد غد بحول الله.

وبصوت واحد قالوا جميعا، ودموع الفرحة تسبقهم:

الحمد لله.. الحمد لله...

سعيد حسن السعيد
كاتب وباحث



عقد الهبة في القانون الكويتي

- إن عقد الهبة من العقود التي تقوم على نية التبرع وقوامها اتجاه إرادة المتصرف وقت إبرام العقد إلى التجرد من ملكية الشيء الموهوب، وذلك ما أوجبه القانون لانعقاد الهبة وإعمال اثرها بأن توثق في محرر رسمي، والمحرر الرسمي بالمعنى المقصود هو ما يقوم كاتب العدل بتوثيقه طبقا للقواعد المقررة في توثيق المحررات الرسمية المنصوص عليها في قانون التوثيق، وعلى ذلك فإن المحرر العرفي لا يعتد به القانون في إعمال أثر الهبة ولا يكسبه صفة الرسمية التي يتطلبها القانون لانعقاد الهبة إذ لا يسوغ القول بنشوء عرف مخالف للقاعدة القانونية الواردة بنص القانون، وقد فرض شكلا معينا لانعقاد عقد الهبة لا ينعقد إلا بتمامه، وذلك بتوثيقه في محرر رسمي على النحو المتقدم.

- وتنص المادة ١/٥٢٥ من القانون المدني الكويتي على:

«لا تنعقد الهبة إلا إذا اقترنت بقبض الموهوب او وثقت في محرر رسمي».

- وعلى ذلك لا يكون للمحرر العرفي أثر في انعقاد وإتمام عقد الهبة في الحالة التي يشترط فيها الرسمية.

- فالرسمية في الهبة ركن في العقد لا يتم إلا بتوافرها بحيث إذا تخلف هذا الركن كانت الهبة باطلة ولا تنتج أثرا سواء بالنسبة لطرفيها أو للغير ويجوز لكل ذي مصلحة أن يطعن على هذا التصرف إذا لم يكن عقد الهبة موثقا ولم يقترن بقبض الموهوب.

- وفي الهبة صور منها هبة المشاع كما لو كان الواهب يمتلك جزءًا من عقار يجوز أن يهب هذا الجزء المشاع.

- وقد تناول القانون المدني الكويتي في المادة ٥٢٨ «هبة المشاع القابل للقسمة وغير القابل على السواء».

وفي الفقه الإسلامي اختلاف تجاه هبة المشاع، فعند الحنفية تجوز هبة المشاع فيما لا يقسم ويكتفى بالقبض القاصر للضرورة، ولكن لا تصح الهبة فيما يقسم إلا محوزة مقسومة. وعند مالك والشافعي وأحمد فإن ذلك جائز، ولذلك آثر المشرع أن ينص صراحة على جواز هبة المشاع ولو كان الموهوب قابلا للقسمة أخذا برأي الأئمة الثلاثة، وهذا ما ورد بالمذكرة التفسيرية لنص المادة ٥٢٨ من القانون المدني الكويتي.

إن عقد الهبة يترتب عليه آثار نحو التزامات من جانب الواهب والموهوب له، وقد تعرض المواد ٥٣٠ - ٥٣٣ من القانون المدني الكويتي لالتزامات الواهب، فتنص المادة ٥٣٠ على التزام الواهب بتسليم الموهوب، ويقع ذلك إذا تمت الهبة بمحرر رسمي، وتسري عندئذ الأحكام المتعلقة بتسليم المبيع، فيلتزم الواهب بتسليم المال الموهوب في الزمان والمكان المعينين، وبالحالة التى كان عليها وقت الهبة، وبالمقدار المعين في العقد. فإن تغيرت حالته أو وجد فيه نقص لم يكن الواهب مسؤولا إلا عن فعله العمد أو خطئه الجسيم.

وتعرض المواد ٥٣٤ - ٥٣٦ من القانون المدني الكويتي، وحسبما ورد بمذكرته التفسيرية لالتزامات الموهوب له، وهى التزامات محتملة لا تكون إلا إذا اقترنت الهبة بتكليف، فيكون التكليف التزاما في ذمة الموهوب له، وهو ما تقضى به المادة ٥٣٤، فيجوز للواهب -ولورثته من بعده- المطالبة بتنفيذه، سواء كان التكليف مشترطا لمصلحة الواهب أو لمصلحة الغير. وللغير المشترط له التكليف أن يطالب أيضا بالتنفيذ لانه المستفيد وله حق مباشر قبل الموهوب.

إن للهبة أحكاما منها عدم جواز الرجوع في الهبة، باستثناء حالات أجاز المشرع الرجوع فيها، ومنها جحود الموهوب له للواهب.. ونتناول ذلك في العدد القادم بإذن الله.



عمرو طه
قاص مصري

إذا حُرم ما يحب وإذا حُمّل ما يكره، هنا تتفاضل النفوس
مصطفى محمود

لابد أنه في غاية الجهل، فهو يجيب على كل سؤال يُطرح عليه!
فولتير

السيرة الحسنة كشجرة الزيتون، لا تنمو سريعًا، ولكنها تعيش طويلًا
شكسبير

يحتاج الإنسان سنتين ليتعلم الكلام.. وخمسين عامًا ليتعلم الصَمت
ارنست همنجواي

تبدأ الحُرية حين ينتهي الجهل، لأن مَنح الحرية لجاهل كمَنح سلاح لمجنون
فيكتور هوجو

ما نفع القلب شيء مثل عُزلة، يدخل بها ميدان فكره
ابن عطاء الله السكندري

إن العالم ملكٌ للمتفائلين، والمتشائمون ليسوا سوى مشاهدين
فرانسوا جيزو

د. محمد عباس محمد عرابي
باحث تربوي



تربية الأطفال على الحب

إن تربية الأطفال لا تتم بدون الحب، فالأطفال الذين يجدون من أفراد الأسرة الحب والاهتمام ينجذبون نحوهم، ويصغون إليهم ويستجيبون لنصائحهم، كما أن شعور الأطفال بحب وقبول الذين يعيشون في وسطهم، ويحيطون بهم، ويتعاملون معهم يعد من الأمور المهمة والضرورية لنموهم النفسي والانفعالي والفكري، وتعد عاطفة الحب من أهم العواطف الرئيسة في حياة الأطفال؛ لذا من الأهمية بمكان تربية الأطفال على الحب فهي من أهم دعائم وأساسيات التربية، وهي من أهم عناصر النضج الوجداني.

والطفل منذ ولادته وهو في أمس الحاجة إلى الشعور بالحب أي يشعر أنه محل حب من يحيط به من أفراد الأسرة، وأن يبادلهم الشعور بالحب، وللأسرة دور كبير في ذلك؛ لذا كان هذا المقال للوقوف على السبل والطرق التي يجب على الأسرة اتباعها لتربية الأطفال على الحب، وفيما يلي بيان ذلك:

بداية يمكن القول: إن أسلوب التربية الذي تتبعه بعض الأسر في تربية الأطفال، والذي يقوم على مشاعر الخوف وعدم الحب والحرمان من العطف له دور كبير في إحداث العديد من الآثار السلبية في تكوين الطفل النفسي.

وهناك العديد من التطبيقات العملية التي يمكن للأسرة اتباعها لتربية الأطفال على الحب، ومن أبرز هذه التطبيقات ما يلي:

١- اللعب مع الأطفال وتشجيعهم على المهارات المختلفة: خاصة وأن اللعب مع الأطفال نهج نبوي شريف، فقد كان الرسول ﷺ يلعب مع الأطفال ففي الحديث الحسن الذي أخرجه الطبراني (٢٦٦٢) عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ، وهو يمشي على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين (رضي الله عنهما) وهو يقول: «نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما».

٢- تنفيذ احتفالات صغيرة: يتحدث فيها الأطفال؛ ويمكن استغلالها في تقوية معنويات الطفل الخجول بتقديمه بكلمات إطراء يشعر الطفل أنه مهم وناجح ومميز؛ فيتعلم الطفل الكلام المنظم ويتدرب عليه بنهم وحب.

٣- القيام بالرحلات الترفيهية والعلمية: فهي تعد من أبرز العوامل التي تعمل على تقوية الحب بين الطفل وأفراد الأسرة بما تترك في النفس من ذكريات وأشياء يحبها الأطفال.

٤- أوقات المرض: حيث يجب استغلال أوقات مرض الأطفال بالسؤال عنهم، وعيادتهم، والتخفيف عنهم وتصبيرهم.

٥- تدريب الأطفال على الإيثار: فالإيثار صفة تدعم الحب وتربط القلوب، وتعود الأطفال على إرضاء من حولهم، كما يجب مدارسة بعض قصص الكرم والإيثار معهم

٦- معالجة أخطائهم بحكمة: بعيدا عن المواجهة حتى لا نخسر موقفا، أو نجرح شعورا، ولا نجعل من الموقف كارثة، وإن نصحنا ننصح برفق.

جلسات تناول الطعام: يستطيع الوالدان من خلالها تربية أطفالهم على الحب من خلال القيام بالآتي:

❖ سرد بعض اللطائف والطرائف التي تثير جوا من المرح والبهجة والسعادة على المائدة من السيرة النبوية أو من مذكرات طفولة الوالدين.

❖ تقديم قطع من الطعام اللذيذ للطفل، والسؤال المباشر له: هل أعجبك هذا الطعام؟ أو هل تريد مزيدا من هذا النوع؟

ومن التطبيقات العملية لتمكين الأسرة من تربية الأطفال على الحب أيضا: الابتسامة، والتشجيع بالهدية، والاندماج مع الأطفال في تنفيذ الأنشطة التربوية الهادفة، وحينما تطبق هذه التطبيقات بشكلها الصحيح تساهم وبشكل كبير في: إزالة الحواجز وتقريب الفواصل بين الطفل والأسرة، وتقي الأطفال من شر الوقوع في الشرور، وتجعل الأطفال مستعدين لقبول نصح وإرشاد وتوجيهات الأسرة.

وختاما يجب ألا يقترن حب الأسرة للأطفال بأي مصالح تطلب من هؤلاء الأطفال، وألا يتحول هذا الحب إلى دلال مفرط يحرم الأطفال الاستقلالية والاعتماد على الذات، بل يجب أن يكون هذا الحب منح أحاسيس ومشاعر من القلب الكبير إلى قلوب الأطفال بدون أي شروط أو قيود.

المراجع:

١- بثينة العراقي، خطوات في تربية الأولاد والبنات، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.

٢- عاطف أبو العيد، كيف نربي أبناءنا بالحب؟، القاهرة، جنا للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

٣- عبدالرحمن الدوسري، أصول ودلالات في تربية البنات، الرياض، دار ابن الجزيرة للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ.

٤- عزت عوض خليفة، تربية الأولاد كيف نجعلها متعة؟ القاهرة، دار الذخائر، ١٤٢٣هـ.

٥- عدنان باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.

٦- محمد بن سعد آل زعير، الغرس المبارك (يا أبت، ارحم طفولتي ومراهقتي)، الرياض، مؤسسة الجريسي للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

مها علي أيوب، نظرات في تربية البنين والبنات، الرياض، بيت الأفكار الدولية، ١٤٣٤هـ.

٧- ناصر العمر وآخرون: ندوة ماذا يريد الأبناء من الآباء، الرياض، مؤسسة دار المسلم.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٧١)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الجعبري)

١- إبراهيم الجعبري (ت: ٦٨٧هـ):

هو إبراهيم بن معضاد بن شداد الجعبري الشاذلي، شاعر صوفي، له مشاركة في أشياء من العلم والطب.

من مصنفاته: (ديوان شعر) كبير، توفي في السادس من شهر المحرم[١].

٢- تاج الدين الجعبري (ت: ٧٠٦هـ):

هو تاج الدين أبو الفضل صالح بن ثامر بن حامد الجعبري، فرضي شافعي.

ولد سنة (٧٢٥هـ)، ولي القضاء في بعلبك، وناب بدمشق، واستسقى بالناس، وخطب بالجامع الأموي.

من مصنفاته: (نظم اللآلي) قصيدة لامية في الفرائض، تعرف بالجعبرية، توفي في شهر ربيع الأول[٢].



٣- تقي الدين وبرهان الدين الجعبري (ت: ٧٣٢هـ):

هو تقي الدين أبو العباس إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري الشافعي، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية.
ولد بقلعة جعبر (على الفرات، بين بالس والرقة) سنة: (٦٤٠هـ)، وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل في فلسطين إلى أن مات.
يقال له (شيخ الخليل) وقد يعرف بابن السراج، وكنيته في بغداد (تقي الدين) وفي غيرها (برهان الدين).
من مصنفاته: (نزهة البررة في القراءات العشرة)، و(موعد الكرام) في المولد، وموجز في (علوم الحديث)، و(حديقة الزهر في عدد آي السور)، و(خميلة أرباب المقاصد) في رسم المصحف، و(عقود الجمان في تجويد القرآن)، توفي بالخليل في فلسطين[٣].

٤- محمد الجعبري (ت: ٧٨١هـ):

هو محمد بن سليمان الجعبري المقدسي الشافعي.
من مصنفاته: (النجومات الزاهرة في السبع المتواترة)[٤].

٥- غرس الدين الجعبري (ت: ٩٠٦هـ):

هو غرس الدين أبو سعيد، خليل بن عبدالقادر بن عمر الخليلي الجعبري، من فقهاء الشافعية.
ولد سنة: (٨٦٩هـ)، وتعلم وتوفي في بلد الخليل بفلسطين، أخذ عن علماء القدس والقاهرة ودمشق.
من مصنفاته: (معجم) في أسماء شيوخه، توفي بالخليل[٥].

٦- كريم الدين الجعبري (ت: ٩٣٣هـ):

هو كريم الدين عبدالكريم بن عبدالقادر ابن عمر الجعبري، مقرئ.
قدم دمشق سنة: (٩٣٢ هـ)، من مصنفاته: (شرح الشاطبية) في القراءات[٦].

المتفق والمفترق في اسم (المنذري)

١- أبو محمد المنذري (ت: ٣٢٩هـ):

هو أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي، لغوي، من أهل هراة.
من مصنفاته: (نظم الجمان)، و(مفاخر المقال في المصادر والأفعال)، و(الشامل) كلها في علوم العربية[٧].

٢- زكي الدين المنذري (ت: ٦٥٦هـ):

هو زكي الدين أبو محمد، عبد العظيم ابن عبدالقوي بن عبدالله، المنذري، عالم بالحديث والعربية، من الحفاظ المؤرخين.
ولد بالقاهرة سنة (٥٨١هـ)، أصله من الشام، تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وانقطع بها نحو عشرين سنة، عاكفًا على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث.
من مصنفاته: (الترغيب والترهيب)، و(التكملة لوفيات النقلة)، و(مختصر صحيح مسلم)، و(مختصر سنن أبي داود)، توفي بالقاهرة[٨].

٣- علي المنذري (ت: ١٣٤٤هـ):

هو علي بن محمد بن علي المنذري، فقيه، متكلم.
تولى القضاء بزنجبار، من تصانيفه: (نور التوحيد)، و(اختصار الأديان)، و(الصراط المستقيم)[٩].

الهوامش

١- انظر: الأعلام الشرقية (٤٧/٣) ومعجم المؤلفين (٢٢٣/٧).
٢- انظر: هدية العارفين (٥٨٦/١) والأعلام للزركلي (٣٠/٤) ومعجم المؤلفين (٢٦٤/٥).
٣- انظر: الأعلام للزركلي (٧١/٦).
٤- انظر: شذرات الذهب (١٩٣/٨) ومعجم المؤلفين (٣١٧/٥).
٥- انظر: الضوء اللامع (١٨٩/٣) والأعلام للزركلي (٣١٩/٢).
٦- انظر: معجم المؤلفين (٤٩/١٠).
٧- انظر: شذرات الذهب (٩٧/٦) والأعلام للزركلي (٥٥/١) ومعجم المؤلفين (٦٩/١).
٨- انظر: الأعلام للزركلي (١٩٠/٣) ومعجم المؤلفين (٤/٥).
٩- انظر: معجم المؤلفين (١١٤/١).

إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي



وزير الديوان الملكي

أحمد بن سودة

■ من أسرة اشتهرت بعلمائها وفقهائها ومحدثيها، وهم رواد المنابر الشهيرة بالعاصمة العلمية المغربية فاس.. وكان صحافيا لامعا وعمل مديرا للديوان الملكي ومستشارا للملك لمدة تتجاوز ربع قرن.

■ خطيب مفوه؛ مرتجلا لا قارئا.. وصف برجل الدين الذي ارتدى القبعة السياسية من أجل بناء دولة الاستقلال، وبالوطني الغيور، والصحفي البارع، والمحلل السياسي المحنك، والشاعر المبدع.. وعرف بثقافته العربية الواسعة.

■ يتمتع بشخصية إشعاعية؛ فطباعه وخصائصه وتربيته الدينية ومبادئه الإنسانية، جعلته، وعلى مدى عقود من الزمان، يلعب دورا وطنيا وسياسيا وإعلاميا عظيما.. لذا تجده يتقن اختيار كلماته بعناية شديدة ثم يطلقها مدوية كأنها تتدفق لهبا.. كما أنه يجيد تحسس خطاه فتراه يبتعد بمقدار ويقترب بمقدار، ويدلي برأيه صريحا.. لكن بالنهاية تجده رهن الإشارة في الملمات ومواسم الرياح الهوجاء.

■ من الرعيل الأول في المغرب، ومن مؤسسي التعليم الحر فيه، إذ أسس أول مدرسة حرة في فاس، وهو أحد أكبر رموز الحركة الدينية والوطنية والسياسية والثقافية، ومن المجاهدين الأولين الذين خبروا السجون والمعتقلات في كفاح المغرب الوطني ضد الحماية الفرنسية، وهو الشخصية الأكثر شهرة في عهد الحسن الثاني.. إنه وزير الديوان الملكي المستشار أحمد بن سودة.

النشأة والتعليم

■ ولد أحمد بن يحيى بن سودة يوم الخميس ٢٠ ديسمبر ١٩٢٠م، في مدينة فاس لأسرة اشتهرت بعلمائها وفقهائها ومحدثيها، إذ كانوا رواد المنابر الشهيرة في العاصمة العلمية المغربية فاس.

■ ورث التعلق بالعلماء والجمع بين الثقافة والإعلام والدين والسياسة عن والده، الذي يتحدر من قبيلة «مرة» من قريش.. أجداده هاجروا من مكة إلى اليمن إلى دمشق ثم إلى الأندلس (في عهد الأمويين)، واستقروا في غرناطة ومنها دخلوا المغرب، حيث استوطن أكثرهم مدينة فاس.. أما أمه فتتحدر من بيت توارث العلم والصلاح والتقوى ينتمي لبيت الحسين حفيد رسول الله ﷺ.

■ في كتاتيب فاس تابع بن سودة دراسته الأولى، فتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب والقرآن، ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الخضراء، وعندما أنهى دراسته الابتدائية التحق بجامعة القرويين.

المشوار العملي

■ بدأ بن سودة حياته العملية باكرا؛ فزاول نشاطه الأدبي منذ أن كان طالبا فأسس جمعية النبوغ والعبقرية، كما شارك أيضا في العمل الوطني، فالتحق بالحركة القومية، ثم بحزب الشورى والاستقلال، ثم بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وشارك في عدة مؤتمرات للدفاع عن استقلال المغرب، وفي عام ١٩٤٧م أصدر جريدة الرأي العام.

■ تكوين بن سودة العلمي سمح له بتبوؤ مناصب عليا بعد حصول المغرب على استقلاله؛ فاستوزر عدة مرات خلال خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن المنصرم، كما شغل عامل إقليم الرباط، ثم عمل مديرا للإذاعة والتلفزة، ثم سفيرا للمغرب في لبنان (مرتين)، ثم مديرا للديوان الملكي، ومستشارا للملك.

«قمة بمن حضر»

■ خلال الثمانينيات أصبح المغرب قبلة للقمم العربية، وبحكم خبرته العالية بأمور الوطن العربي، أوكل إليه الملك الراحل الحسن الثاني مهام دقيقة، من بينها تليين مواقف الذين كانوا يتمنعون عن الحضور، وهو صاحب العبارة الشهيرة «قمة عربية بمن حضر».

تغني بن سودة بدار مولده

■ دار الفقيه سيدي يحيى (والده، الذي رزئ بفقدان أولاده واحدا تلو الآخر) في فاس هي الدار التي فتح بن سودة عينيه على حيطانها وفضائها وزواياها وغرفها وأناسها

والمترددين عليها.. تلك الدار لم تكن بالنسبة إليه مجرد دار ولد وتربى بين جدرانها وغرفها، بل كانت جزءا لا يتجزأ من شخصيته ووجوده، ففيها بدأ وعيه بالتشكل: «هي دار تعج بالذكريات.. ففيها تربى الكثير من جدودي وأعمامي.. يزورها أفراد العائلة من كل مكان.. مدخلها عبارة عن غرفة استقبال مفتوحة للزوار (...) تضرب له المواعيد ويقصده الأعيان والزوار والعلماء، وبه تدور الأحاديث والندوات، وتحل المشاكل ويتبادل الحاضرون شجون الحياة وشؤونها».

■لم تكن الدار التي يتغنى بها بن سودة من تلك الدور الفخمة التي تعرف ببذخ معمارها وسعة يد أهلها، بل: «كانت دارا متواضعة، لكنها مرموقة (...) تعرف بأسرتها ومكانتهم في مجتمع يجل العلم والصلاح قبل أن يصنف المال والثروة عنوانا للجاه والأثرة والتميز الاجتماعي».

■ وعندما بدأ بن سودة يكبر رويدا رويدا: «وجدت عمي محمد خطيبا بمسجد سيدي أحمد الشاوي وعمي العابد خطيبا بالحرم الإدريسي، وعمي عمر خطيبا بمسجد الرصيف، ومحمد خطيبا بمسجد الأندلس، وعمي عبدالرحمن يخطب بالتناوب بمسجد بني جنود، وعمي العربي خطيبا بمسجد باريز.. كما كان بالقرويين عدة علماء سوديون يقومون بالتعليم والوعظ والإرشاد.. ففي هذه الدار التي كان يجتمع فيها كل هؤلاء ولدت ونشأت وبدأ وعيي يتشكل».

منجزات إحسانية

■ أنشأ بن سودة، رفقة شقيقه محمد، جمعية الزاوية الخضراء للتربية والثقافة بهدف احتضان ٥ آلاف طفل يتيم وفقير ومهمش في جملة من المدن المغربية.

■ لم يكتف بن سودة بتأسيس مكتبة ثقافية في فاس، بل جعلها وقفا علميا وثقافيا بعد تزويدها بأمهات المصنفات العلمية والدينية والثقافية.. فقد كانت تحوي نحو: ٦٥٩ مخطوطا، و١٠١٥ مطبوعا حجريا، و١٧٤٤٨ كتابا، و١٨٩٣ مجلة (٢٩٦ عنوانا)، و٣٩ أطلسا و٧٥ ملفا من الوثائق التاريخية (١٧٠ عنوانا) و٣٠ جريدة.. وما زالت المكتبة تفتح أبوابها في وجه العلماء والأساتذة والباحثين والطلاب وعموم القراء.

■ من أعماله التي حرص أن تظل سرية ومحجوبة إصلاحه وترميمه للعديد من المساجد من ماله الخاص. كما دعم عددا من الطلبة المعوزين في جامعة القرويين بفاس والجامعات الأخرى، وذلك بمنح سرية لا يعلم المستفيدون منها مصدرها.

ثقة الأسرة المالكة ببن سودة

■ تكوينه الثقافي والسياسي وقبلهما الديني، أهله لتولي مناصب مرموقة في المغرب، أبرزها الديوان الملكي، ما مكنه من الاقتراب أكثر من الأسرة المالكة.. وعندما توترت الأجواء بين سفير المغرب بلبنان والصحافة اللبنانية، لم يجد الملك محمد الخامس بدا من إرسال بن سودة خلفا لسفير المغرب في لبنان آنذاك لتلطيف الأجواء ورسم صورة ألمعية للمغرب، وكان بن سودة عند حسن ظن الملك، إذ استطاع بحنكته وذكائه أن ينسج خطوطا ويمد جسور تواصل مع الجميع.

■ومثلما اعتمد عليه محمد الخامس ووثق به وبقدراته، كان أيضا علبة أسرار الملك الحسن الثاني، الذي ائتمنه على أسرار الدولة ومواقفها، وكثيرا ما أوفده في مهمات سرية إلى رؤساء دول عربية، بحكم صداقات بن سودة العربية، وما يحظى به من ثقة، وما يربطه من صلات، لاسيما مع الكويت.

إسهاماته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور أحمد بن سودة مشاركتان مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءتا تحت عناوني: «طهر بلاد القدس (قصيدة)» (ع:٣٩): «القضية الزمزمية (مناجاة)» (ع:٤٨).

وفاة بن سودة.. وتعزية ملكية

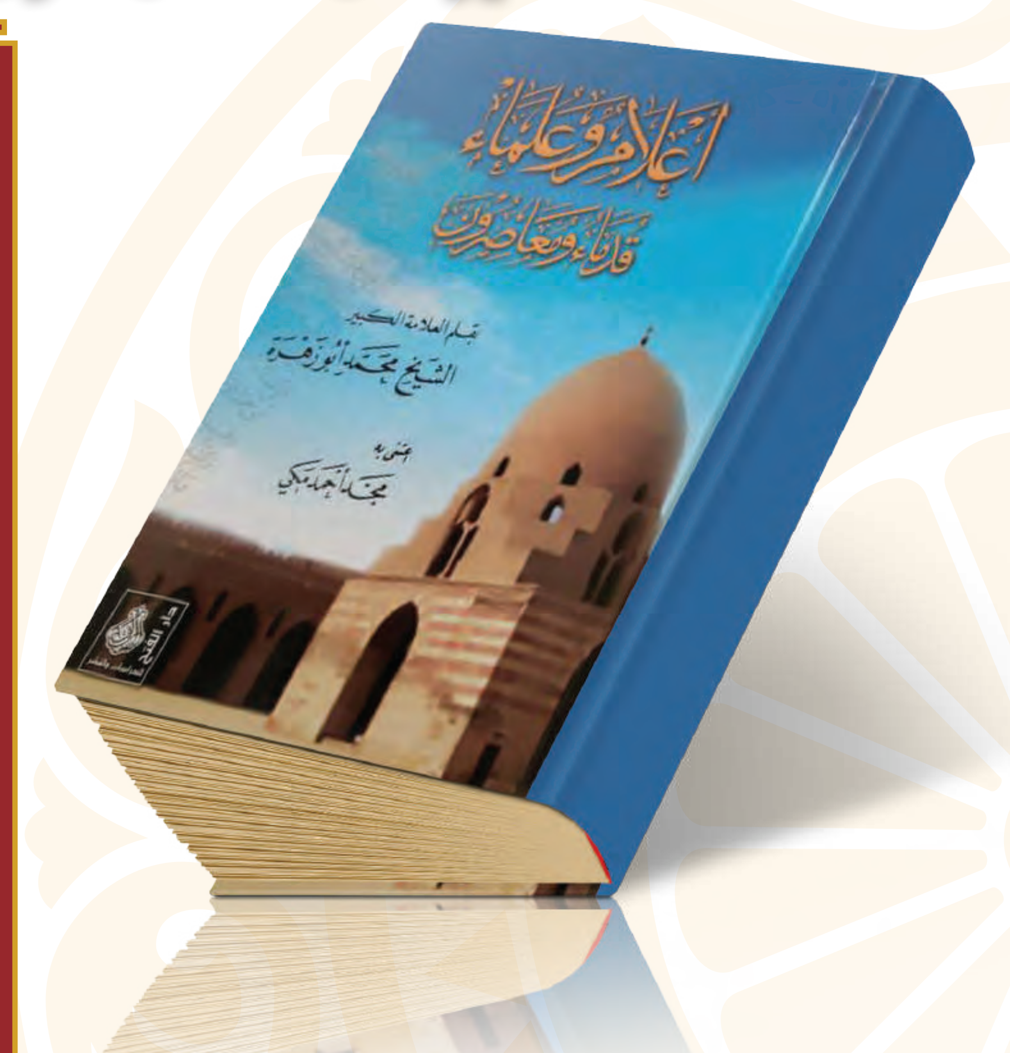
■ أقعد المرض والشيخوخة بن سودة لسنوات قبل أن يترك المغرب عام ٢٠٠٨م إلى دار البقاء، وحرص ملك المغرب محمد السادس على أن يكون تواري بن سودة مقرونا بتكريم لائق، فنعاه الديوان الملكي، وأبرق الملك إلى أفراد أسرته معبرا عن حزنه وعن: «فداحة الرزء في فقدان أحد رجالات الوطنية الرواد الذين أبلوا البلاء الحسن في الكفاح الوطني ومعركة التحرير، وبناء المغرب الحر»، مؤكدا أن «المغرب إذا كان قد فقد بوفاته واحدا من رعيل المواطنة الصادقة، فإننا نستشعر بكل تقدير أعماله الجليلة كواحد من الأساتذة والفقهاء الذين نهلنا من معين معرفتهم، وعلومهم».

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٩٦)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

أعلام وعلماء قدماء ومعاصرون

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية الإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.



ويأتي كتاب: «أعلام وعلماء قدماء ومعاصرون» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

كتاب عطر من آثار العلامة الشيخ محمد أبو زهرة، جمع فيه تراجم لبعض الأعلام المتقدمين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وبعض العلماء المعاصرين.

وقد جمع محمد أبو زهرة هذه التراجم ورتبها في مجموعات أربع، الأولى: تراجم الفقهاء، والثانية: تراجم المحدثين، والثالثة: تراجم المفسرين، والرابعة: تراجم الوعاظ والمتكلمين والمؤرخين، ثم ختمها بتراجم جماعة من معاصريه من العلماء الذين عرفهم أبو زهرة واتصل بهم.

التعريف بالكاتب

هو الشيخ العلامة محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف، بأبي زهرة، ولد بالمحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في: (٦ ذو القعدة،١٣١٦ هـ، الموافق: / ٢٩ مارس، ١٨٩٨م، وتوفي سنة: ١٣٩٤هـ، الموافق: ١٩٧٤م): عالم ومفكر وباحث وكاتب مصري من كبار علماء الشريعة الإسلامية والقانون في القرن العشرين.

في بداية حياته العلمية دفعت به أسرته إلى أحد الكتاتيب فحفظه

القرآن الكريم، وأجاد تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي بمدينة طنطا، وكان إحدى منارات العلم في مصر، وكان يطلق عليه الأزهر الثاني؛ وانتقل الشيخ أبوزهرة بعد ثلاث سنوات من الدراسة بالجامع الأحمدي إلى مدرسة القضاء الشرعي سنة: (١٣٣٥هـ/١٩١٦م) بعد اجتيازه اختبارا دقيقا كان هو أول المتقدمين فيه على الرغم من صغر سنه عنهم وقصر المدة التي قضاها في الدراسة والتعليم، وكانت المدرسة التي أنشأها محمد عاطف بركات تعد خريجيها لتولي مناصب القضاء الشرعي في المحاكم المصرية، ومكث أبو زهرة في المدرسة ثماني سنوات يواصل حياته الدراسية حتى تخرج فيها سنة: (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، حاصلا على عالمية القضاء الشرعي، ثم اتجه إلى دار العلوم لينال معادلتها سنة: (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، فاجتمع له تخصصان قويان لا بد منهما لمن يريد التمكن من علوم الإسلام.

وبعد تخرجه عمل في ميدان التعليم ودرس العربية في المدارس الثانوية، ثم محاضرا في جامعات عدة وكليات، ثم تولى عدة مناصب؛ فترأس قسم الشريعة، وشغل منصب الوكالة فيها، وأحيل إلى التقاعد سنة: (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)، وبعد صدور قانون تطوير الأزهر اختير الشيخ أبو زهرة عضوا في مجمع البحوث الإسلامية سنة: (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، وهو المجمع الذي أنشئ بديلا عن هيئة كبار العلماء، وإلى جانب هذا كان الشيخ من مؤسسي معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، وكان يلقي فيه محاضراته في الشريعة الإسلامية دون أجر، وكان هذا المعهد قد أنشئ لمن فاتته الدراسة في الكليات التي تعنى بالدراسات العربية والشرعية، فالتحق به عدد كبير من خريجي الجامعات الراغبين في مثل هذه الدراسات.

وفاته

صباح يوم الجمعة (١٢/ ٤/ ١٩٧٤م) شرع في إكمال تفسير سورة النمل حتى أذان الظهر، وأثناء نزول فضيلته حاملا القلم والمصحف مفتوحا على آخر ما وصل إليه في التفسير والورق الذي كتب فيه التفسير تعثر وسقط ساجدا على المصحف وعلى أوراق التفسير، ثم فاضت روحه إلى بارئها أثناء أذان المغرب. رحمه الله تعالى وغفر له.

مؤلفات الشيخ محمد أبو زهرة

ألف الشيخ محمد أبو زهرة عدة مؤلفات، حيث تناول: الملكية، ونظرية العقد، والوقف وأحكامه، والوصية وقوانينها، والتركات والتزاماتها، والأحوال الشخصية في مؤلفات مستقلة. وتناول ثمانية من أئمة الإسلام وأعلامه الكبار بالترجمة المفصلة التي تظهر جهودهم في الفقه الإسلامي في وضوح وجلاء، وهم: أبوحنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وزيد بن علي، وجعفر الصادق، وابن حزم، وابن تيمية. وقد أفرد لكل واحد منهم كتابا مستقلا.

وإلى جانب الفقه وقضاياه كان لأبي زهرة جهود طيبة في التفسير والسيرة؛ فكان يفسر القرآن في أعداد مجلة «لواء الإسلام»، وأصدر كتابا جامعا بعنوان: «المعجزة الكبرى»، تناول فيه قضايا نزول القرآن وجمعه وتدوينه وقراءته ورسم حروفه وترجمته إلى اللغات الأخرى. وختم حياته بكتابه «خاتم النبيين» تناول فيه سيرة نبي الإسلام ﷺ، معتمدا فيه على أوثق المصادر التاريخية، وكتب السنة المعتمدة، وقد طبعت هذه السيرة في ثلاثة مجلدات.

وقد بلغت مؤلفاته العلمية أكثر من ثلاثين مؤلفا، نذكر منها: العقوبة في الفقه الإسلامي.. الجريمة في الفقه الإسلامي، الأحوال الشخصية، أبو حنيفة، حياته وعصره، آراؤه وفقهه.. مالك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه.. الشافعي، حياته وعصره، آراؤه وفقهه.. ابن حنبل، حياته وعصره، آراؤه وفقهه.. الإمام زيد، حياته وعصره، آراؤه وفقهه.. ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه.. ابن حزم، حياته وعصره، آراؤه وفقهه.. الإمام الصادق، حياته وعصره، آراؤه وفقهه.. أحكام التركات والمواريث.. علم أصول الفقه.. محاضرات في الوقف.. محاضرات في عقد الزواج وآثاره.. الدعوة إلى الإسلام.. مقارنات الأديان.. محاضرات في النصرانية.. تنظيم الإسلام للمجتمع.. في المجتمع الإسلامي.. الولاية على النفس.. الملكية ونظرية العقد.. الخطابة (أصولها - تاريخها في أزهى عصورها عند العرب)... وغيرها.

المحتوى العام لكتاب أعلام وعلماء قدماء ومعاصرون

جمع محمد أبو زهرة هذه التراجم ورتبها في مجموعات أربع:

المجموعة الأولى: تراجم الفقهاء.

المجموعة الثانية: تراجم المحدثين.

المجموعة الثالثة: تراجم المفسرين.

المجموعة الرابعة: تراجم الوعاظ والمتكلمين والمؤرخين، ثم ختمها بتراجم جماعة من معاصريه من العلماء الذين عرفهم أبو زهرة واتصل بهم.

نسخة «مجلة الوعي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة كاملة من هذا الكتاب العطر، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بتراجم الرجال.

المصادر

أعلام وعلماء قدماء ومعاصرون.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

موقع مكتبة نور، التعريف بكتاب أعلام وعلماء قدماء ومعاصرون.

إعداد / تركي محمد النصر

التوكل نظام الإيمان

الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان، وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر، ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده؛ إلا لم يكله الله إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب.

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص:١٣٨).

الناس ثلاث طبقات

الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات: طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ويبطرهم اللين.

(إحياء التراث في ما جاء في عدد السبع والثلاث، ص:٣٠)

الجود والكرم

❖ قيل لأحد الحكماء: من أجود الناس؟ قال: من جاد من قلة، وصان نفسه عن المذلة.

❖ وقيل: أكمل الخصال ثلاث: وقار بلا مهابة، وسماح بلا طلب مكافأة، وحلم بغير ذل.

❖ وقيل: لقد انتهى الجود في الجاهلية إلى ثلاثة نفر: حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي، وهرم بن سنان المري، وكعب بن مامة الأيادي.

(أخبار العرب ١٣/١).

أنفع الناس وأضرهم

أنفع الناس لك رجل مكنك من نفسه حتى تزرع فيه خيرا أو تصنع إليه معروفا، فإنه نعم العون لك على منفعتك وكمالك. فانتفاعك به في الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر.

وأضر الناس عليك من مكن نفسه منك حتى تعصي الله فيه، فإنه عون لك على مضرتك ونقصك.

(الفوائد لابن القيم، ص: ٢٤٨).

الصديق والعدو

قال أبو حيان النحوي رحمه الله: «ينبغي للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق، وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ منه والتحرز، وليكن التحرز من صديقه أشد من التحرز من عدوه، وأن يعتقد أن إحسان شخص إلى آخر وتودده إنما هو لغرض قام له فيه يتعلق به، يبعثه على ذلك، لا لذات ذلك الشخص».

(نفح الطيب للتلمساني، ٥٦٥/٢).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

أجوبة مسكتة

❖ صلى رجل صلاة خفيفة، فقال له آخر: ما هذه الصلاة؟!.
فقال: صلاة لا رياء فيها.
❖ قيل لرجل امض معنا إلى السلطان، والبس ثيابك.
فقال: هذه ثيابي التي أناجي فيها ربي.
❖ اغتاب الأعمش رجلا من أصحابه، فطل الرجل، فقال له بعض أصحابه: قل له ما قلته حتى لا تكون غيبة.
فقال الأعمش: بل قل له أنت ما قلته حتى لا تكون نميمة.
❖ مر طائر في حلقة عبدالله بن عباس رضي الله عنه فصاح، فقال من فيها خير خير.
فقال ابن عباس رضي الله عنه: لا خير ولا شر.
❖ قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: فلان لا يعرف الشر!.
فقال عمر رضي الله عنه: هو أجدر أن يقع فيه.
(الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت/٣٢٢هـ)

لطيفة

رأى رجل من بني إسرائيل مجنونا يركب فرسا، فقال له: إني أريد أن أتزوج، فكيف أتزوج؟
فقال المجنون: النساء ثلاث: واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لك وعليك.
أما الأولى: فهي البكر؛ فقلبها وحبها لك، ولا تألف غيرك.
وأما الثانية: فالمتزوجة ذات ولد؛ تأكل مالك وتبكي على الزوج الأول.
وأما الثالثة: فالمتزوجة التي لا ولد لها؛ فإن كنت خيرا من الأول فهي لك، وإلا فهي عليك.
فقال الرجل: تتكلم كلام الحكماء، وتعمل عمل المجانين.
فقال له: يا هذا، أرادوا أن يجعلوني قاضيا، فجعلت نفسي هكذا حتى نجوت.
(الصبابات فيما وجد على ظهور الكتب من الكتابات، ص/: ١٢١)

من روائع الحكم

قال بعض الحكماء: من طلب أربعا بغير أربع لم يجد:
❖ من طلب علما بغير عمل بقي بلا علم.
❖ ومن طلب أخا بلا عيب بقي بلا أخ.
❖ ومن طلب طعاما بلا شبهة بقي بلا طعام.
❖ ومن طلب طاعة بغير رياء بقي بلا طاعة.
(الصبابات فيما وجد على ظهور الكتب من الكتابات، ص:١٢٠)

أنواع الهجر

ذكر الله تعالى في القرآن: الهجر الجميل، والصفح الجميل، والصبر الجميل، وقد قيل:
١. إن الهجر الجميل هو: هجر بلا أذى.
٢. والصفح الجميل: صفح بلا معاتبة.
٣. والصبر الجميل: صبر بغير شكوى إلى مخلوق.
(العبودية لابن تيمية ص: ٦٩)

بين الانقباض والانبساط

ينبغي أن تحب المسلم لإسلامه، وتبغضه لمعصيته، فتكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال، فأما ما يجري منه مجرى الهفوة التي يعلم أنه نادم عليها، فالأولى حينئذ الإغماض والستر، فإذا أصر على المعصية، فلابد من إظهار أثر البغض بالإعراض عنه والتباعد، وتغليظ القول له على حسب غلظ المعصية وخفتها.
(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، ص: ٤٢)



إعداد: التحرير

الإبراهيمية آخر تقاليع مضاهاة الإسلام

تعرضت دعوات الحق والتوحيد والخير والهدى التي حمل وزر نشرها والدعوة إليها المختارون من بني آدم من عند المولى تبارك وتعالى، واضطلع بعظيم وشرف مسؤوليتها الأنبياء والمرسلون والدعاة الصالحون على مدار التاريخ الإنساني لحملات التشويه والتكذيب والتشكيك والتفكيك والتعويق.. بهدف ثني أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام عن أداء مهمتهم الرسالية المنوطة بهم من عند الله تعالى لهداية البشرية الضالة، بل تعرض أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام أنفسهم للتكذيب والتفسيق والتنكير والحرب.. كما تعرضوا لمحاولات القتل والتصفية الجسدية، بل القتل نفسه، وقد أخبرنا المولى تبارك وتعالى عن ذلك في كتابه العزيز وهو يعدد بعض مساوئ وصفات بني إسرائيل الذميمة فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧).

والملاحظ على أعداء الخير والهدى ابتكارهم لكل أساليب المناوءة والعناد والمضاهاة من أجل كبح جماح الدعوة إلى الله، ووضعوا لذلك كل ما يملكون من مكر وخبث وخداع.. لعرقلة مسار الدعوة إلى الله، ومن بين مخططات أعداء الحق والخير والهدى ابتكار دعوات شركية وتضليلية بارعة في المكر والدهاء، ومن بينها الدعوة إلى الديانة الإبراهيمية التي يروج لها الإعلام الجديد، على اعتبار أن نبي الله إبراهيم هو أبو الأنبياء ودعوته أصل كل الدعوات، متجاوزين الانحراف والضلال الذي ران وشاب الديانات التي جاءت من بعده، والتي بسبب تصحيح انحرافاتها ومحو ضلالاتها جاءت الرسالة الإسلامية الهادية والخاتمة.

والهدف الرئيس من هذه الدعوة الإبراهيمية الجديدة القديمة هو محاصرة الإسلام الذي بدأ ينتشر بقوة في شتى أنحاء المعمورة، والتلبيس على المسلمين الجدد، وتشكيك بعض ضعاف الإيمان، واستحلال قداسة المقدسات الإسلامية، على اعتبار أن الديانة الإبراهيمية عودة إلى عصور ما قبل الخلاف مع اليهودية والمسيحية، وبالتالي فهي ديانة إنسانية جامعة وموحدة وناسخة للخلاف بين أتباع الديانات، وهو عين ما تدعو إليه منابر التعايش الإنساني المشترك المشبوهة، وقنوات التواصل الحضاري الكونية الجامعة.

وهذه الدعوة مردود عليها بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:١٣٥-١٤١)، ولا أدل ولا أقوى من حجة القرآن البالغة للفصل في هذه المسألة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

د. أحمد محمود عيساوي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







الرهان الخاسر

أكبر غلطة يقع فيها الآباء أن يراهنوا على أولادهم، ليحققوا لهم ما فشلوا فيه، فالذي فشل أن يكون طبيبا، يتمنى أن يكون ابنه طبيبا، حتى لو كان كارها لمهنة الطب، والذي فشل أن يكون مهندسا، يسعى ليلتحق ابنه بكلية الهندسة، حتى لو كانت ميوله لا تتفق مع دراسة الهندسة، وهكذا يحول الأب ولده إلى فرس رهان في سباق مجنون، بغرض التفاخر بين الناس، وإشباع رغبات مكبوتة.

وتكون النتيجة أننا نضع أبناءنا في طريق ليس طريقهم، ونحرمهم من تنمية مواهبهم، والدراسة التي يحبونها، والعمل الذي يبدعون فيه.

وعلى الرغم من وصول الآباء إلى أمانيهم، وحصول الأبناء على الشهادات والوظائف المرجوة، إلا أنهم -وبلا شك- قد خسروا الرهان.

د. يحيى سنبل



العلم العلم

ليس هناك أعظم من العلم قدرا ومنزلة بعد الإيمان بالله تعالى، ومن ثم فلم يساوي القرآن الكريم بين من يعلمون وغيرهم ممن لا يعلمون ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٩) ولو تأملت قليلا لعلمت أن يوسف الصديق عليه السلام لما نزلت النازلة بالبلاد وكادت المجاعة أن تعصف بها لم يفلح في دفعها إلا بالعلم، فبرز يوسف السجين ظلما بقوانين الفرعون ليعلن عن نفسه ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٥٥) لم ينفع يوسف عصبيته أو عشيرته، ولم يشفع له جماله الطاغي، ومانفعه في الخلاص من محنته وشدته سوى علمه وتخصصه الدقيق وإحاطته بكل ما يتعلق بعلم الرؤى وتأويل الأحاديث، ولما توعد سليمان عليه السلام الهدهد على غيابه عن مملكته بقوله ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل:٢١) بل يصل اهتمام الإسلام بالعلم شأوا أن جعل الصيد الذي يصطاده الكلب المعلم يتمايز في الحكم عما يصطاده غير المعلم من سائر الكلاب التي تدب على الأرض. قال القرطبي «في الآية دليل على أن العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل، لأن الكلب إذا علم يكون له فضيلة على سائر الكلاب، فالإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على سائر الناس، كما قال علي رضي الله عنه: «لكل شيء قيمة وقيمة المرء مايحسنه» الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٧١/٤ ليكون العلم والعلماء حجر الزاوية في بناء الأوطان وعلو شأوها، والقرآن يقدمهم ويأخذ برؤيتهم كما قال تعالى ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ:٦) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص:٨٠)، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة:١١) وقرن سبحانه شهادتهم بشهادة الملائكة على وحدانية تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران:١٨) ليكون العلماء على اختلاف تخصصاتهم هم حياة هذه الأمة وسر نهضتها كما قال الشاعر:

«تحيا بكم كل أرض تنزلون بها — كأنكم في بقاع الأرض أمطار
وتشتهي العين فيكم منظرا حسنا — كأنكم في عيون الناس أزهار
ونوركم يهتدي السائر لرؤيته — كأنكم في ظلام الليل أقمار»

د. علي مدني رضوان الخطيب



من مفاخرنا الوطنية

سطر الشعب الكويتي العديد من المواقف المشرفة الرافضة للاحتلال، فقد ظل يعمل ليل نهار لخدمة قضيته وتحرير أرضه من الغزاة وعودة شرعيته، وقاوم بكل ما أوتي من قوة، وكان إيمانه بربه ويقينه بعدالة قضيته هو سلاحه، فراح يقاوم المحتلين ببسالة ويتصدى لهم، ويرفض التعاون معهم، ويقدم الغالي والنفيس لكل ما يخدم قضيته، وقف موقفا قل أن يقفه شعب قبله في مواجهة المحتلين، والتصدي والرفض التام لهم، والتعاون فيما بين أفراده والتماسك ووحدة الموقف، فاستحق أن يسجل له التاريخ الموقف بأحرف من نور، واستحق كل التقدير والثناء من العالم أجمع ومن قيادته الشرعية، الأمر الذي عبر عنه سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح رحمه الله في كلمته الموجهة إلى شعبه بتاريخ ١٩٩٠/٨/٥م بقوله: «إذا كان العدوان قد تمكن من احتلال أرضنا فإنه لن يتمكن أبدا من الاستيلاء على إرادتنا، عزيمتنا وإرادتنا هما عزيمة وإرادة آبائنا وأجدادنا الذين واجهوا أعتى التحديات، فلم تلن لهم قناة، ولم يخضعوا لأي عدوان، وكويت اليوم هي كويت الأمس أرض العزة والكرامة، بلد الرجال ومنبت الأبطال، ولم تحن رأسها للغزاة، ولا خفضت جبينها للمعتدين، ويشهد التاريخ أن الكويت مرت بمحن كثيرة وآلام جسيمة وتعرضت لاعتداءات وغزوات متعددة على مر الزمن، ولكن بصمود الكويتيين وعزيمتهم وإيمانهم بقيت الكويت حرة أبية مرفوعة الراية عزيزة الجانب طاهرة التراب شامخة الكرامة».

وتجلت مظاهر الدفاع عن الوطن من خلال الجنود المجهولين الذين تطوعوا لتسيير قطاع الخدمات العامة طوال أشهر المحنة، ولم يكن هؤلاء المتطوعون من الباحثين عن المجد والشهرة ولم يخطر في بالهم أي مطمع دنيوي البتة، وانحصر مطمعهم في رضا الله وتخليص الوطن من محنته بجلاء المحتلين واستقلاله وعودة شرعيته، لذا كانوا يمارسون مهامهم بمنأى عن الأضواء دون إحساس بمنة، فتراهم يسهرون الليل يكابدون المعاناة القمعية من عصابات السلطة المحتلة دون ملل أو خشية، وبفضل همة المرابطين وتضحياتهم عاشت الكويت المقاومة دون أن تغيب عنها الخدمات العامة والحيوية، فعملية إيصال المياه وتشغيل الكهرباء تولاها المهندسون والتقنيون والإداريون الكويتيون والعمالة الوافدة العاملون في وزارة الكهرباء والماء، كما قام شباب وشابات كل في منطقته بعمليات النظافة، وغيرهم من قام بتوزيع الأموال والغذاء، ليضعوا نواة اللجان الشعبية في كل منطقة تضم فرق عمل من الجنسين ومن جميع أطياف المجتمع وبجميع الأعمار.

وهكذا تمكنت اللجان الشعبية من تسيير الخدمات الحياتية اليومية أثناء الغزو البائد لاستمرار العيش بكرامة، ولولا تعاون أهل الكويت الطيبين وكل من عاش على أرضها أثناء الغزو الغاشم لما عادت الكويت لوضعها الطبيعي بسرعة وتعافت وأصبحت بلد الإنسانية.

خالد صالح المسافر
كاتب صحافي كويتي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

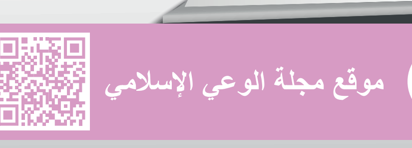
العدد (٦٩٠) صفر ١٤٤٤هـ - سبتمبر ٢٠٢٢م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

الإدارَةُ الرَّشِيدَة



- التَّعْلِيمُ فِي الكِبَر
- الحُقُوقُ الزَّوجِيَّة فِي الاسْلَام


موقع مجلة الوعي الإسلامي

alwaeiq8@gmail.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعى الإسلامى



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الإدارة الحكيمة ضرورة مجتمعية

يرجع علماء الإدارة المسلمون البذور الأولى لعلم الإدارة ومنهجيته إلى قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف:٣٢). فمفهوم هذا العلم ارتبط ارتباطا وثيقا بالمنهج الإسلامي القويم؛ حيث أدرك جميع العلماء والباحثين أن أحكام الدين الإسلامي تتمتع بالإدارة بمسمياتها المختلفة في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والسياسة الشرعية وغيرها.

فوظيفة التنظيم؛ التي تكلم عنها علماء الإدارة كجزء من وظائف الإدارة، تتمثل برسم مجتمع يتكون في أساسياته من رئيس ومرؤوسين، وبهذه المعادلة البسيطة يمكن أن نلحظ معنى قوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف:٣٢)، حيث يمكّن هذا النظام الرئيس من تسخير المرؤوسين من أجل تسيير عملية الإنتاج بمختلف أنواعها، سواء الإنتاج الفكري، أو التجاري، أو الصناعي، أو الزراعي. ومن دون تنظيم إداري يحتوي على رئيس ومرؤوسين وطريقة إدارة لا يتصور تعاون الناس بعضهم مع بعض.

لقد توسع القول لدى علماء الشريعة الإسلامية في مسألة الإدارة والتنظيم الإداري، وإن صيغ هذا التوسع بألفاظ مختلفة تدل بعمومها وخصوصها على مسألة واحدة وهي حسن التنظيم والترتيب الذي لا يكون إلا في إطار منظومة متكاملة تحتوي عناصرها الأركان الأساسية للعملية الإدارية. وقد توصل علماء الإدارة إلى تعريف شامل لهذه العملية بقولهم: هي العملية التي تتمتع بمقومات العلم والإيمان التي تمكن القادة والأتباع من أداء وظائفهم المنوطة بهم على أكمل وجه لإعمار الأرض.

فمفهوم الإدارة في الإسلام مفهوم قديم بدأ مع انطلاقة الدعوة الإسلامية بترتيب البيت المسلم من الداخل، ثم تنظيم خروج المسلمين إلى الحبشة وغيرها من بلدان الهجرة الأولى، ثم تبلورت في المدينة المنورة لتصبح على هيئة منظومة محكمة تدير دولة الإسلام الأولى، فالإدارة الإسلامية كانت وما زالت تتمتع بخصائص ذاتية فريدة، ومن أهمها: السير وفق منهجية مباحة للوصول إلى النتيجة المرجوة، فالغاية في الإدارة الإسلامية لا تبرر الوسيلة. كما أن السعي لتحقيق أهداف مشروعة تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية من أهم خصائصها. ولعل السمة الأبرز التي تميز الإدارة الإسلامية أنها تسعى لتقديم النفع لجميع الناس، دون التمييز بينهم على أساس العرق، أو الدين، أو اللون، ونحوها، فضلا عن أنها تحقق الرقابة الذاتية النابعة من مخافة الله، حيث إن الإخلاص والإتقان والأمانة جميعها نابعة من العقيدة الصافية التي ربى الإسلام أتباعه عليها.

وهذا الجمع الفريد بين المراقبة الذاتية النابعة من صفاء العقيدة، وحسن التنظيم وإتقان العمل؛ لا شك سينتج منظومة إدارية ناجحة بكل المقاييس. ويتوج هذا كله في إلقاء هذه المسؤولية على المدير الناجح الذي طور نفسه وتماشى مع الأدوات الحديثة التي تخدم هذه المنظومة الراسخة.

وختاما؛ إنه من الواجب على المؤسسات الأكاديمية المعنية في البلاد العربية والإسلامية أن تقوم بإبراز محورية القيادة الإسلامية، وإبراز المرونة التي تتمتع بها شريعتنا الغراء، وإظهار الحقيقة الراسخة التي لا تقبل النقاش، وهي أن الإسلام منهج متكامل يجمع بين صفاء العلم وكمال الروح وإتقان العمل، وفق منظومة مرنة قادرة على إدارة المجتمع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

مجلة كويتية جامعة

الوعي الإسلامي

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٩٠/ صفر ١٤٤٤ هـ
العام التاسع والخمسون
سبتمبر ٢٠٢٢م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





الإدارة بالتغافل

المتغافل هو الذي يتكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه تكرّمًا وترفعًا عن سفاسف الأمر، فهو يعلم بما يحدث من أخطاء، ولكنه يتغافل، لا لضعف فيه، بل من ضبط نفسه، وغلبة الحلم والصبر منه، قال بعض الحكماء: «وجدت أكثر الأمور لا تجوز إلاّ بالتغافل».

وما أحوج الناس في أيامنا هذه التي تكثر فيها الضغوط الحياتية وتزيد فيها الأعباء اليومية إلى هذا الخلق، فيتعامل به الأب مع أبنائه، والأزواج مع بعضهم، فيتغاضى كل منهما لصاحبه عن الهفوات والزلات التي تقع عن غير قصد، أيضا من عوامل النجاح في المؤسسات أن يتعامل المدير مع مرؤوسيه بخلق التغافل، فلا يترصد الأخطاء على الموظفين، ويعمل على ضبط هفواتهم، ومحاسبتهم على ما قد يصدر منهم من أي خلل بشكل عفوي، لأن هذا يوجد بيئة غير صحية للعمل ويؤثر على كفاءة العاملين.

والدعوة للتغافل ليست دعوة للغفلة والإهمال والتسيب والتقصير وإنما هي دعوة للسماحة، واللين، وغض الطرف، ونسيان الزلات وحسن الظن بالآخرين، وعدم تحميل الأمور أكثر ممّا تحتمل، وعدم تضخيم الأخطاء وإبقاء باب الأعذار مفتوحًا، وهذا ما يجب أن نتعامل به مع جميع الناس فضلاً عن أقرب الناس إلينا.

ليس الغبي بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابي

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. حمدي طنطاوي محمد
باحث أكاديمي

المحكم والمتشابه

المحكم: ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه: ما خفي علمه على غير الراسخين في العلم[1].

المحكم: أصل من أصول التفسير، لا يقوى المخالف على الطعن فيه، ولما كان المتشابه مقصود بالطعن والتشكيك من قبل كل من خالف الإسلام، وجب حينئذ الرجوع إلى المحكم، ليعلم كل من أتعب نفسه بالتفكير والتدبير والرجوع إلى المراجع وسؤال من يظنه على علم أن طعنه مردود عليه، وأنه غير نافذ إلا في صدره، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (سورة آل عمران:٧).

ولهذا ظهرت مؤلفات أهل السنة ترد على هؤلاء المتشككين في كتاب الله، كـ«تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة، و«دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب» لمحمد الأمين الشنقيطي.

ومن المتشابه: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ (سورة يس: ١٢)، وقوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (سورة الحجر: ٩) ونحوهما مما أضاف الله فيه الشيء إلى نفسه بصفة الجمع، فهذه شبهة أخذها النصارى، وادعوا أن الإسلام يقر تعدد الآلهة. والرد عليها من خلال محكم الآيات في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (سورة البقرة:١٦٣). وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ (سورة المائدة:٧٣) أي كفروا بقولهم: إن الله ثالث ثلاثة.

قال الواحدي: «حقيقة الواحد في وصف الباري سبحانه واحد لا قسيم له في ذاته ولا بعض له في وجوده، بخلاف الجملة التي يطلق عليها لفظ الواحد مجازا، كقوله: دار واحدة، وشخص واحد، وعبر بعض أصحابنا عن التوحيد فقال: هو نفي الشريك والقسيم والشبيه، فالله واحد في أفعاله، لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات، وواحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها»[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (سورة الشورى:٥٢) وقوله: لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (سورة القصص:٥٦)، فمن نظر في الآيتين ظن أن في الآيتين تعارض فأثبت في الأولى ونفى في الثاني، فأما الإثبات فمقصوده النصح والإرشاد، وأما النفي فمقصوده عدم القدرة على خلق الهداية فيمن أحب.

قال الزمخشري: «﴿لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم، لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره، ولكن الله يدخل في الإسلام من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه، وأن الألطاف تنفع فيه، فيقرن به ألطافه حتى تدعوه إلى القبول، وهو أعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون».

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾ (سورة النساء:١٧١)، قالت النصارى: إن «من» هنا للتبعيض، وقد أخبر أن المسيح روح منه، وهو المسمى روح القدس، وهو صفة الله القديمة، يعني حياته، وهي أحد الأقانيم القديمة الثلاثة[3].

والرد على هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ (سورة الزخرف:٥٩). أي: ما عيسى بن مريم إلا عبد كسائر العبيد، أنعمنا عليه بالنبوة، فهو رفيع المنزلة على المكانة، ولكنه لا يستحق أن يكون معبودا لكونه عبدا من عباده تعالى، ولم يكن إلها أو ابن إله كما زعمت النصارى[4].

ومن المتشابه قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (سورة الفتح:٢) فالذنب الذي أضيف إليه هنا ﷺ ليس ذنبا ارتكبه هو، وإنما ذنبا ارتكبه قومه في حقه ﷺ، فأضيف إليه من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، والمصدر قد يضاف إلى فاعله كما في قوله تعال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة المائدة:٣٩)، وقد يضاف إلى مفعوله كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ (الشورى:٤١).

وعليه تكون إضافة المصدر هنا من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، لا إلى فاعله، مصداقا لما جاء من قوله تعالى في محكم آياته: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ (سورة يس:٣-٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (سورة الزمر:٦٥) فهناك من حمل الآية على الطعن في أنبياء الله، ورميهم بالنقيصة والتقصير، والآية من قبيل افتراض المستحيل وافتراض المستحيل ليس فرعا عن تصوره، فهذه الآية

وغيرها من قبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ (سورة الزخرف:٨١)، ولو نظر هذا القائل لقوله تعالى في محكم آياته: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ (سورة الزمر:٦٤) لما قال هذا القول.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال:٦٧).

فالظاهر من الآية وقد قال به البعض أن هذا عتاب للنبي ﷺ بأخذه الفداء من أسرى بدر قبل أن يستحر القتل، وهذا القول عار عن الصحة لأن لفظ نبي في الآية نكرة، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، ثم هي تقرير لشرع من قبلنا وقد أعقبها الله تعالى بقوله في محكم آياته: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٦٩﴾ (سورة الأنفال:٦٨-٦٩)، وعليه يكون المعنى محمول على الامتنان والتفضل على عباده بما أحل لهم ما يحله على الأمم من قبلهم، وبطل المعنى الظاهر وهو الحمل على العتاب.

ومنه قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (سورة التوبة:٤٣) فالمتبادر إلى الذهن أن الآية تحمل على العتاب واللوم على النبي ﷺ بسبب إذنه لبعض أولي الطول والغنى عن التخلف عن الخروج إلى تبوك، والنبي ﷺ لم يخالف أمرا ولا نهيا حتى يعاتب عليه، وحمل الآية على الخبر أولى من حمله على الدعاء، وبالنظر إلى قوله تعالى في محكم آياته: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦ لَوْ خَرَجُوا۟



فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧﴾ (سورة التوبة، ٤٦-٤٧)، يتبين المراد وهو صرف المعنى الظاهر لدلالة الآيات على المعنى الباطن، وهو حمل الآية على الخبر لا على الإنشاء.

مما ذكر يتبين لنا أن الدارس لتفسير آية من المتشابهات في كتاب الله لا بد أن يردها إلى محكم كلام الله، وإلا ضل الطريق، وينبغي علينا أن لا نسلم لشبهات المخالفين، وأن نطلب علم التفسير وخاصة تفسير المتشابهات؛ لنتحصن به من كل شبهة وردت علينا.

الهوامش

١- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي، (ص: ٣٨)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

٢- التفسير البسيط للواحدي، (١/٤٩ -٥٠)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

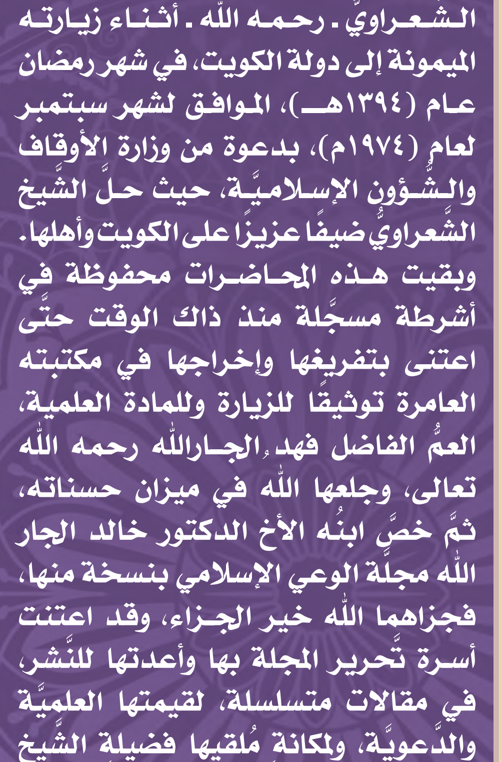
٣- انظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية للطوفي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (ص: ١٩٥)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (٩/ ٨٢٣).

إعداد
التحرير

التربية الإسلامية

محاضرة (٧-١)❖



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها. وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على مقدار ما أنعم، علم بالقلم، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير من علم عن الله، وآخر من أعلم به، وبعد:

فالتقائي إياكم حضرات الإخوان ليس عاديا؛ لأني ألتقي النخبة المختارة الممتازة التي اختارها الله؛ لتصوغ عقول النشء، وتربي ملكاتهم؛ حتى يبلغوا حد الكمال المهيأ لهم.

التربية معناها إيصال المربى إلى مرتبة الكمال التي هيئ لها، وهي حيثية إيماننا بألوهية الله، فنحن آمنا بالله معبودا؛ لأننا آمنا به ربا، ولذلك يقول الحق سبحانه حين يطلب إلينا أن نوجه الحمد لصاحب النعمة: (الحمد لله)، وحيثية ذلك أنه رب العالمين، فالتربية مأخوذة من حيثية إيماننا بالله، لكن تربية المخلوق للمخلوق هي تربية من خلق لمن خلق، وتربية الله للخلق هي تربية من خلق لمن خلق، فالفارق كبير جدا بين التربية التي أخذها خليفة الله والتربية التي كانت لله، وإذا كانت التربية تعني إيصال المربى إلى الكمال الذي هيئ له فلابد أن يعرف المربي ملكات المربى؛ حتى لا يربي ملكة على حساب ملكة، فيحصل التمزق في المربى، والقلق النفسي بين ملكاته، والتضارب بين مقوماته، والإنسان كل مركب من جزئين أساسيين، لكنه -مع كونه كلا مركبا- جزئي أيضا، يعيش مع كلي من جنسه، فما الفرق بين الكل في الإنسان والجزئية فيه؟! الكل يطلق على شيء في أجزاء كل جزء له حقيقة منفصلة عن حقيقة الجزء الآخر، فمثلا: الكرسي الذي أجلس عليه كل؛ لأنه مكون من أجزاء، وأجزاؤه الخشب والمسمار والجلد والطلاء الذي طلي به، كل جزء من هذه الأجزاء له مقوم خاص يختلف عن المقوم الآخر، فإذا اجتمعت هذه الأجزاء وجد ذلك الكل، لذلك لا يصح لي أن أقول: الخشب كرسي؛ لأنه جزء فقط، ولا المسمار كرسي، ولا الجلد كرسي، ولا الطلاء كرسي، لكن مجموع ذلك هو الكرسي، وذلك معنى الكل، كذلك الإنسان كل؛ أجزاؤه الأساسية: الروح والمادة، والروح ليست من الأشياء التي تنفصل، ولها عناصر؛ لأنها من أمر الله، وذلك سر استأثر الله به، لكن المادة -وهي الجزء- مركبة من عناصر وأجزاء، هذه العناصر والأجزاء حينما تندمج معها الروح توجد فيها حياة، وحين توجد الحياة يوجد لذلك الإنسان ملكات نفسية وأجهزة عدة؛ فله عقل وبطن وعواطف وغرائز ووجدانات ومشاعر وأحاسيس، كل ذلك أثر لوجود الملكات المتعددة فيه، فالذي يقنن للإنسان على أنه بطن فقط



يكون قد قنن فيه لملكة دون ملكة، وذلك هو المذهب المادي الاقتصادي، والتي تقنن للإنسان على أنه عقل فقط هي المدرسة العقلية، والذي يقنن للإنسان على أنه عاطفة فقط ذلك أمر الأدباء والفنانين، والذي يقنن للإنسان على أنه غرائز فقط ذاك أمر البويهميين. إذن: فلا يمكن لإنسان أن يضع قانون التربية لذلك الكل إلا إذا عرف حقيقة أجزائه المكونة له؛ حتى لا يقنن لملكة على حساب أخرى، إنما يقنن للملكات كلها؛ حتى يسير الإنسان في مستوى مستقيم متعاضد لا متعاند.

وحينما نجد الإنسان كلا نجده جزئيا، والجزئي هو أصل الكلي، والكلي شيء مكون من جزئيات، كل جزئية من حقيقة الجزئية الأخرى، فالإنسان كلي جزئياته زيد ومحمد وبكر وعلي، وهم لا يختلفون في شيء من حقيقة تكوين الإنسان على أنه ناطق، فمن المعقول أن أقول: زيد إنسان، ومحمد إنسان، وبكر إنسان، وعلي إنسان، لكني لم أستطع قبل ذلك أن أقول في الجزء الخشب: إنه كرسي، ولا المسمار كرسي، وهذا هو الفارق بين الكل والكلي.

التربية الإسلامية حينما تضع منهجها إنما تضعه عن الله الذي خلق الإنسان، وما دام الله هو الذي خلق الإنسان وصنعه فصاحب الصنعة التي صنعها أعلم بها، وهو الذي يقنن لها، أما أن يخلق رب وبعد ذلك يأتي إنسان ليقنن لما خلق الله فذلك استحالة في عرف العقل، فإذا كان الحق هو الذي خلق فالحق هو الذي قنن أيضا، وحتى يعلم الإنسان حظه من التربية بوصفه كلا، وحظه من التربية بوصفه جزئيا لكلي يجب أن نفرق بين التربية المادية والتربية القيمية المعنوية؛ فالتربية المادية تتعلق بالإنسان؛ منشأ، واجتماعا لعناصر تكوينه، وحملا من المرأة، فإرضاعا له، وحضانة وتربية لجسمه، حتى يبلغ المستوى الذي يهيئه له كماله الإنساني. هذه المسألة وضع الإسلام لها أصولا، وهذه الأصول لا تولد مع الوليد؛ لكنها تسبقه؛ لأنها تعرضت إلى النوعين اللذين ينشأ عنهما ذلك الإنسان قبل أن يوجد، فالنظرة الإسلامية قد احتاطت جدا للوليد حتى قبل أن يوجد؛ إيمانا منها بأن للموروثات من النوعين؛ الذكورة والأنوثة، أثرا في تكوين ذلك الإنسان الذي لما يولد، فجاء الإسلام وبدأ مهمة التربية من اختيار النوعين؛ الذكورة والأنوثة ليلتقيا؛ لإيجاد إنسان، وإنجاب فرد جديد، قالت النظرية الإسلامية بالتكافؤ بين النوعين، وليس معنى التكافؤ -في النظرة الحمقى كما يريدها كثير من الماديين- أن يكون في الغنى، إنما التكافؤ في جواهر الأشياء، لا في أعراضها؛ تكافؤ نفسي وصحي وخلقي وقيمي. والإسلام يضع هذه المسألة نصب أعينه قبل أن يبدأ في تربية الوليد؛ لأنه يريد أن يضمن للوليد وعاء صالحا ينتج منه ذلك الولد، هذا الوعاء الصالح سيحمل قانون الوراثة في نوعيه؛ أي: في أبويه صفات، هذه الصفات هي التي ستكون محور التربية فيما بعد، لذلك يقول الرسول ﷺ: «تخيروا لنطفكم»[1]، تعظنا السنة بعد أن وعظنا القرآن أن نتجنب القريبات حين نتزوج؛ لأن أمر النسل يؤول إلى ضعف، وإذا



التربية الإسلامية حينما تضع منهجها إنما تضعه عن الله الذي خلق الإنسان

جاء الإسلام وبدأ مهمة التربية من اختيار النوعين؛ الذكورة والأنوثة ليلتقيا؛ لإيجاد إنسان، وإنجاب فرد جديد

اغترب فإنه يؤول إلى قوة، لذلك يقول الرسول ﷺ: «اغتربوا؛ لا تضووا[٢]»[٣]، وفي العلم التجريبي الحديث أجريت التجارب في عالم النبات على أن يكون النوعان بعيدين، وحصلت نتيجة سارة؛ آتت من الذرة في أميركا أضعاف ما كانت تؤتيه قبل تفرق الذكورة والأنوثة، التجربة التي أجريت يسمونها تربية الهجين؛ أي: كلما ابتعد الجنسان؛ الذكورة والأنوثة، كانت الحصيلة أقوى، فهنا تلمح بوساطة العلم التجريبي أن القرآن حينما حرم الزواج من الأمهات والبنات والقريبات من الأدنى إنما حرص على أن يوجد النسل القوي، لذلك يقول الرسول: «اغتربوا؛ لا تضووا»[٤]؛ أي: لا تهزلوا، ولذلك شاع على ألسنة الشعراء في العرب:

أنصح من كان بعيد الهم
تزويج أولاد بنات العم
فليس ينجو من ضوى وسقم[٥].

ويقال في وصف الشجاع:

فتى لم تلده بنت عم قريبة
فيضوى وقد يضوى سليل الأقارب[٦]

حين يوجهنا القرآن والسنة إلى هذا يكون قد لحظ أول شيء في التربية؛ أن يكون الوليد الذي يؤمل عطاؤه من الله قويا في خصائصه؛ لأنه لن يجمع خاصية جنس واحد أو نوع واحد كالذي يكون بالزواج من قريبة، وحين يتزوج الإنسان من بعيدة يأخذ الوليد خصائص القوة من هنا، وخصائص القوة من هنا، وينشأ قويا.

وبعد ذلك ينطلق الإسلام انطلاقة -وإن كانت هينة- لها تأثير قوي في نفسية الوليد بعد أن يوجد، فقد تدخل التشريع حتى في إطلاق الاسم على الوليد، فالرسول ﷺ يقول: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»[٧]. ويضع تجربة تطبيقية، فينفر من الأسماء التي لها معنى لا تسر له النفس، فمثلا: سار مرة في طريق، وكان ذلك الطريق بين جبلين، فسأل عن اسم الجبلين، فقيل: ذلك مخز وهذا فاضح. فلم يسر رسول الله ﷺ بين الجبلين؛ المخزي والفاضح. وأراد رسول الله مرة أن تحلب له لقحة[٨]، فانتدب صحابيا ليحلبها، فقال: من يحلب هذه اللقحة؟! فقال رجل: أنا. قال: ما اسمك: قال: مرة. قال: اجلس. ثم انتدب آخر، فقال: ما اسمك: قال: اسمي حرب. قال: اجلس، ثم انتدب ثالثا: فقال ما اسمك؟! قال: اسمي يعيش. قال احلب[٩]. هذا يدل على أن من حق الوليد أن يحسن أبواه اسمه.

وبعد ذلك تأتي مسألة الرضاعة، فيقرر القرآن الحق الذي يجب أن يكون للوليد في رضاعه، فقال: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة:٢٣٣)، ودلت الدراسات النفسية والطبية على أن ذلك الزمن هو الزمن الضروري حتى يغذى الطفل من لبن أمه هذه المدة، وبعد ذلك يحرص على أن تكون الأم هي المرضعة، ولو كان بعد الانفصال، وعلى الأب أن يدفع لها أجرتها في الرضاع.

وبعد ذلك ينتقل من الرضاع إلى مرتبة الحضانة، فيعطي الطفل لمن يناسب عمر تكوينه، فيجعل الحق للأم؛ لأن الطفل في صغره ليس محتاجا إلى العقل الحازم الجازم؛ لكنه محتاج إلى الحنان والعاطفة الرقيقة التي تناسب طبيعة تكوين الأم. وبعد ذلك يسير الإسلام في منهجه نحو التربية التي لا يمكن أن يصلح لها فرد واحد ولا جهة واحدة، فللمادة من يقوم عليها، وللعقل من يقوم عليه، وللعواطف من يقوم عليها، وللعلم والمعرفة من يقوم عليه، والوليد لا يحضر إلى المعلم إلا بعد مدة طويلة، هذه المدة الطويلة ليس معناها أنه ليس أهلا للتربية ولا موضعا لها، لكنه أهل للتربية في موضع لا يحسن فيه إلا الأم والأب والقرابة المحيطة به؛ لأن الحقائق التي تكون في نفس الطفل ليست من نفوس المعلمين فحسب، لكنها توجد وقت أن تتفتح أذنه لتسمع، وعينه لترى، وحين يرى تصرفات البيئات حوله تنطبع في نفسه مقومات، وإن كان انطباعا بطيئا، ولذلك يحرص الإسلام على أن ينمي في الناس عاطفة نحو أبنائهم في الصغر؛ حتى لا يصاب بشذوذ أو انحراف أو عقد أو مركب نقص، وأنتم تعلمون أن الصلاة كانت قرة للرسول ﷺ، وأنه كان يقف بين يدي ربه إلى أن تتورم قدماه، لكنه حين يكون في الصلاة ويسمع بكاء طفل يسرع في صلاته؛ تلك تربية للعاطفة بالنسبة إلى الطفل الصغير الذي لا يعرف أسباب ما يوجعه أو يؤلمه؛ حتى يسرع الإنسان في علاج هذه الحالة، فالرسول ينفلت من الصلاة؛ حتى يقوم بهذه المهمة التربوية الأساسية.

يتجه الإسلام إلى ناحية قوية، وهي ناحية المربي حين يفاضل بين المربين؛ من يعطف على هذا ولا يعطف على ذاك، يحب هذا ولا يحب ذاك، في تلك الأثناء تتربى عند الذي يأخذ الحق الأقل عقدة مركب النقص، وحين تتربى عنده هذه العقدة يستشعر أنه ليس إنسانا سويا، كذلك الإنسان الذي يحب أكثر. ولذلك يعرض القرآن في بعض لفتاته التي عرضها لنا في القصص لفتة في سورة يوسف، يقول: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ (يوسف:٨)، إذن: فإيثار فرد بالحب عن الآخر ينشئ في نفس الآخرين عقدة قد تؤدي إلى أن يكون السلوك غير منطبق على المبدأ الخلقي، ولذلك حينما أحس إخوة يوسف بأن يوسف وأخاه أحب إلى أبيهم منهم فكروا في أن يزيحوا مالك المحبة من طريقهم، وقالوا: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، ولو أنهم فهموا بعض الفهم لعرفوا أنهم جاؤوا بحيثية امتياز ذلك الصغير بالحب؛ لأنهم عصبة وأشداء،

وهو صغير يعطف عليه، فلا تقيسوا العطف والحب هنا على العطف والحب عليكم؛ لأنكم اجتزتم المرحلة التي يقودكم فيها العطف والحب، وهو في المرحلة التي ينفع فيها العطف والحب، فالإنسان منا يحب صغيره قطعا؛ لأنه يعتقد أن ذلك الصغير بالنسبة إلى إخوته أقصرهم عمرا معه، فيشعر أنه في حالة من العوز إلى شيء كثير من الحب، فلو أن الكبار فهموا تلك العلة لما جعلوها عيبا في الأب، ولا أخذوها سبب حقد على ذلك الابن، ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾، أنتم قلتم: نحن عصبة؛ أي: جماعة أشداء أقوياء، فأنتم لستم في حاجة إلى ذلك الحنان والحب. وقد كان من أمرهم أن قالوا: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾ (يوسف:٩). وبعد ذلك نلحظ ظاهرة نفسية تبين لنا مدى عنصر الخير حين نفكر في الشر، ومدى عنصر الشر حين نفكر في الشر، هؤلاء أسباط وأبناء نبوة، وصحيح أن الانفعال البشري جعلهم يفكرون في إيذاء يوسف، ولكن انظروا: أسار الإيذاء في خطه الأعلى من الشر أم في خطه الأدنى؟! الاقتراح الأول الذي جاء بعد الانفعال من ظاهرة حب أبيه له أكثر منهم كان قتل يوسف، وتلك قمة الشر، لكن بعد أن هدأت ثورة الانفعال قالوا: ﴿أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ (يوسف:٩)، إذن: تنازلوا عن فكرة القتل، وقالوا: اطرحوه أرضا. ذلك أخف من القتل، ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ (يوسف:٩). وبعد ذلك هدأت انفعالات الشر، فحين جاؤوا للتنفيذ قال قائل: ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ (يوسف:١٠). إذن: فالتفكير في إيذائه صاحَبَه التفكير في نجاته أيضا. هذا يدلنا على أن الخير حين نفكر في الشر لا يصعد الشر، ولكنه يتنازل في الشر، فبعد أن فكروا في القتل فكروا في إلقائه في الأرض، ثم فكروا في إلقائه في جب ليلتقطه بعض السيارة. فقد خفت المسألة، يقول أحدهم: إن أخوة يوسف كانوا كذا وكذا، يفكرون في الشر. نقول له: فكروا في الشر على ظاهرة أغيار البشر وانفعال الخلق، ولكن هل وصلوا في الشر مبلغا أعلى مما فكروا فيه أولا أم تدنوا في الشر؟! تدنوا في الشر، وتلك طبيعة تدل على طبيعة الخير في نفوسهم، والذي يدلنا على أن العقدة التي تتركب في الإنسان من أي لون من ألوان الانفعال الخاص بالعاطفة تتركز فيه، وتسيطر على كل تصرفاته، حتى بعد أن يكبر عقله، انظروا إليهم بعد أن ذهبوا إلى أخيهم وقد صار عزيزا لمصر، وبيده خزائن الأرض، ذهبوا ليطلبوا القوت، واحتال يوسف ليبقي أخاه عنده، فقالوا: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ (يوسف:٧٧)، لم يزل الأصل موجودا، وهو الانفعال.

> الطفل في صغره ليس محتاجا إلى العقل الحازم الجازم؛ لكنه محتاج إلى الحنان والعاطفة الرقيقة التي تناسب طبيعة تكوين الأم

> إيثار فرد بالحب عن الآخر ينشئ في نفس الآخرين عقدة قد تؤدي إلى أن يكون السلوك غير منطبق على المبدأ الخلقي

الهوامش

١- رواه ابن ماجه، رقم: (١٩٦٨).

٢- لا تضووا: لا تأتوا بأولاد ضاوين؛ أي: ضعفاء نحفاء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١٠٦/٣).

٣- أورده سراج الدين الشافعي المصري، رقم: (٥).

٤- سبق تخريجه.

٥- لم أقف عليه ولم أجده فيما توفر لي من مصادر. انظر: تفسير الشعراوي - خواطر، للشعراوي (٢٠٩٥/٤).

٦- انظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب، لمحمد علي السراج (٢٤١/١). ولم أقف على قائله.

٧- رواه أبو داود، رقم: (٤٩٤٨).

٨- اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٩٣/٧).

٩- لم أقف عليه ولم أجده فيما توفر لي من مصادر.

❖ محاضرة الشيخ محمد متولي الشعراوي في جمعية المعلمين بالدسمة بتاريخ (١٩٧٤/١٠/٢٧م).



د. علاء الدين حسن
أديب وكاتب سوري

قبسات مشـــرقات

حفظت بك الأخلاق بعد ضياعها
وتسامقت في روضها الأشجار
وبعثت للثقلين بعثة سيد
صدقت به وبدينه الأخبار
أصغت إليك الجن وانبهرت بما
تتلو، وعم قلوبها استبشار
أنشأت مدرسة النبوة فاستقى
من علمها ويقينها الأبرار
هي للعلوم قديمها وحديثها
ولمنهج الدين الحنيف منار
لله درك مرشدا ومعلما
شرفت بـه وبعلمه الآثار
ما نال منك منافق أو جاحد
بل منه نالت ذلة وصغار[1]

اتفق الحكماء والبلغاء على أن محمدا ﷺ هو الأنموذج التام للحياة البشرية، فقد امتاز -عليه الصلاة والسلام- بأخلاق غاية في الجمال، امتاز بالأمانة وصدق الحديث، وكان الناس يودعون عنده أماناتهم، لم يشرب الخمر، ولم يأكل مما ذبح على النصب، وما حضر أي احتفاء للأوثان، وكان يأكل من نتيجة عمله؛ لأن أباه ما ترك له من الثروة إلا القليل، وكانت التجارة عملا له في شبابه.

وكان أول ما بدئ به من الوحي: الرؤيا الصادقة، وبينما كان يتعبد في غار حراء، جاءه الوحي في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان في السنة الأربعين من ميلاده.

وبدأت الدعوة سرا ولمدة ثلاث سنين؛ أخذا بأسباب الحيطة... ومما كان سببا في نجاح الدعوة على يدي رسول الله ﷺ ما امتاز به جمال الخلق، وقد أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، أدبه ربه عز وجل على أن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، وقال له: ﴿فَٱصْبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥). أي: فاصبر على أذى قومك، كما صبر أهل القوة والثبات من الأنبياء والرسل على الشدائد إزاء تكذيب أقوامهم لهم.

وكان -عليه الصلاة والسلام- حلو المنطق، خافض الطرف، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا بغليظ، ولا بصياح ولا بعياب، لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، يحب أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجور فيقطعه، ويبدأ من لقيه بالسلام.

وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأنه أجود الناس كفا، وأرحبهم



صدرا، وأصدقهم لهجة، وأوفاهم ذمة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه.

وكان -عليه الصلاة والسلام- متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، ليس بالجافي ولا المهين، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يساوي بين الناس في النظر إليهم والاستماع لهم، كان كثير الصمت، إذا تكلم بكلمة رددها ثلاثا، لم يكن يسرد سردا، وكان فصلا في كلامه، يفهمه كل أحد.

وكان ﷺ رحيما بالصبيان، ويطلب منهم أن يستبقوا إليه فيستبقون، ويقفون على ظهره فيقبلهم ويلتزمهم، وكان يدخل في الصلاة فإذا أراد أن يطيلها وسمع بكاء صبي تجوز في صلاته خشية شدة وجد أمه من بكائه.

وكان ﷺ أشجع الناس، وأسخاهم، وأجودهم، ما سئل شيئا فقال: لا، ولا يبيت في بيته دينار ولا درهم..

وكان -عليه الصلاة والسلام- من أحلم الناس، وأشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئا عرف ذلك في وجهه، وكان أشد الناس تواضعا، يجيب من دعاه من غني أو فقير، أو حر أو عبد.

وكان ﷺ أرحم الناس؛ يميل الإناء للهرة، وما يرفعه عنها حتى ترتوي؛ رحمة بها.

وكان أعف الناس، وأشدهم إكراما لأصحابه، لا يمد رجليه بينهم، ويوسع عليهم إذا ضاق المكان، ولم تكن ركبتاه تتقدم ركبة جليسه، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا له، وإن أمر تبادروا لأمره، كان يتفقد أصحابه ويسأل عنهم، فمن مرض عاده، ومن غاب دعا له، ومن مات استرجع فيه، وخصه بالدعاء، ومن تخوف أن يكون قد وجد في نفسه شيئا، انطلق إليه حتى يأتيه في منزله.

❖ وكان -عليه الصلاة والسلام- يخرج إلى بساتين أصحابه، ويأكل ضيافتهم، ويتألف أهل الشرف، ويكرم أهل الفضل، ولا يطوي بشره عن أحد، ولا يجفو أحدا، ويقبل معذرة المعتذر إليه، الضعيف عنده والقوي في الحق سواء، لا يدع أحدا يمشي خلفه، ويقول: (خلوا ظهري للملائكة)[٢].

وكان -عليه الصلاة والسلام- يخدم من خدمه، ولا يرتفع عنهم في مأكل ولا ملبس.

خدمه أنس بن مالك رضي الله عنه نحوا من عشر سنين، فما صحبه في حضر ولا سفر ليخدمه إلا كانت خدمة الرسول ﷺ له، أكثر من خدمة أنس له، ما قال له: أف، قط، ولا قال لشيء فعله: لم فعلت كذا؟ ولا لشيء لم يفعله: ألا فعلت كذا؟!

وكان ﷺ يكره أن يتميز على الناس؛ ولا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل أحد من جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم ﷺ حتى يقوم الذي جلس إليه، إلا أن يستعجله أمر، فيستأذنه، ولا يقابل أحدا بما يكره، ولا يجزي السيئة بمثلها، بل يعفو ويصفح.

كان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرا لفقره، ولا يهاب ملكا لملكه.

يعظم النعمة وإن قلت، ولا يذم منها شيئا، ما عاب طعاما قط؛ إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يحفظ جاره، ويكرم ضيفه، وكان أكثر الناس تبسما، وأحسنهم بشرا، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم، فيكون أبعد الناس منه.

كان يصلح نعله، ويرقع ثوبه، ويركب الفرس، ويمسح وجه فرسه بطرف ردائه.

كان يحب الفأل ويكره التشاؤم، إذا جاءه ما يحب، قال: (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات)، وإذا جاءه ما يكره، قال: (الحمد لله على كل حال)[٣]. وإذا رفع الطعام من بين يديه قال: (الحمد لله الذي أطعمنا، وسقانا، وجعلنا مسلمين)[٤].

كان يكثر الذكر، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة. ويستغفر في المجلس الواحد مئة مرة.

تنام عيناه ولا ينام قلبه؛ انتظارا للوحي، وإذا استيقظ قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[٥].

ولم يكن يتأنق في مأكل، آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض فلم يقبلها، واختار الآخرة.

كان يأكل ما وجد، ولا يرد ما حضر، ولا يتكلف، ولا يتورع عن مطعم حلال؛ إن وجد تمرا دون خبز أكله، وإن وجد حلوا أو عسلا أكله.

وكان لا يأكل متكئا، لم يشبع من خبز بر ثلاثا تباعا، حتى لقي الله -عز وجل- إيثارا على نفسه، لا فقرا ولا بخلا، ويجيب الوليمة، ويقبل الهدايا ويكافئ عليها، كان يحب القرع، والذراع من الشاة، وقال: (كلوا الزيت، وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة)[٦].

وكان ﷺ يحب الحلواء بالعسل، ويشرب قاعدا، ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه.

وكان يتطيب بالمسك، ويكتحل وهو صائم، ويحب التيمن في ترجله، وتنعله، وفي شأنه كله، ويمزح ولا يقول إلا حقا.

استسقى للناس، فمطروا أسبوعا. حن الجذع إليه. سبح الحصا في كفه، وكذلك الطعام. شكى إليه البعير كثرة العمل، وقلة العلف. نبع الماء بين أصابعه فشرب القوم وتوضؤوا، وهم ألف وأربعمئة.

وكان ﷺ؛ يجبر قلوب أصحابه رضي الله عنهم، عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لما فتح حنينا، قسم الغنائم، فأعطى من تألفت قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام ﷺ، فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالا، فهداكم الله بي؟ وعالة، فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين، فجمعكم الله بي؟).

ويقولون: الله ورسوله أمن. فقال: (ألا تجيبوني؟). فقالوا: الله ورسوله أمن، فقال: (أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا، وكان من الأمر كذا وكذا). (ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ الأنصار شعار والناس دثار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا؛ لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[٧].

❖ احتبس الوحي عنه ﷺ فترة من الزمن، فتربص المتربصون، فأنزل الله تعالى سورة (الضحى) التي أظهرت محبة الله تعالى لنبيه ﷺ، وآنسته هذه السورة، ومسحت آلامه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ (الضحى: ٣-٤).

ورسول الله ﷺ يعلم أن الآخرة خير له من الأولى، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[٨].

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ (الضحى: ٤-٥). والرضى هي غايه ما يطلبه المرء، وهي تحكي مكانة المعطي ومكانة المعطى له، فهي بمعناها ومدلولها عطاء لا حد لنعيمه، والله تعالى أعطى لنبيه -عليه الصلاة والسلام- مكانا عليا فوق السموات العلى، وختم به رسالاته، وجعل أمته أفضل الأمم، وجعل الكتاب المنزل إليه أفضل الكتب، وجعل شرعه خير الشرائع. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ (الفرقان: ١٠).

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ (الضحى: ٩-١٠).

وهذه الآيات توصل لمعنى الحياة الرشيدة والتي من أسسها التكافل والتراحم، وهي نداء لكل من أنعم الله عليه بالجاه، وآواه بعد يتم، وأغناه بعد فقر، ورفع شأنه بعد ذل؛ أن يشكر نعمة الله، فلا ينهر السائل، ولا يقهر اليتيم، ولكن يحسن إليه، ويتلطف به، ولا يكن على الضعفاء جبارا، ولا متكبرا.

أخيرا: نقف مع بعض مما قاله أهل العلم والحكمة عن رسول الله ﷺ: قال المهاتما غاندي: لقد اكتسب الإسلام مكانته عبر رسول هذا الدين، وصدقه في الوعد، وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته، وأمانته، مع ثقته بربه ورسالته.

وقال الأمير تشارلز: يمكن للإسلام أن يعلمنا اليوم طريقة للفهم؛ ذلك أننا نجد في جوهر

الإسـلام محافظته على نظرة متكاملة إلى الكون، فهو يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، وبين الدين والعلوم، وبين العقل والمادة.

وقال المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي: لقد كرس محمد ﷺ حياته لتحقيق رسالته في كفالة مظهري: الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم، وتم ذلك فعلا.. وتدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، وانتشر في العالم.

وقال البروفيسور يوشيودي كوزان مدير مرصد طوكيو: أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسـول الله محمد ﷺ دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود.

وقال الفيلسوف الفرنسي المعروف كارديفو: إن محمدا ﷺ هو النبي المؤمن الملهم، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العالية التي كان عليها.

❖ ولم يسلم هذا الرسول الأعظم -عليه الصلاة والسلام- من تطاول الظالمين الذين يؤذون أنفسهم ظانين بأنهم يؤذون رسول الله ﷺ، وإذا كان البعض من أهل الحقد قد تجرأ لينال من شخص رسول الله، عبر رسومات مسيئة بدعوى حرية الرأي، فإن هؤلاء إنما يعبرون عن قبح سرائرهم، وهي ليست حرية رأي، وإنما هي مساس بنبي أرسله الله رحمة للعالمين، وقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧). ويقول عز وجل: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(التوبة: ٦١).

ولن تقلل هذه الإساءات من شأن رسول الله ﷺ؛ بل تزيدنا محبة وتوقيرا لهذا الرسول العظيم؛ الذي قال عن جوهر رسالته: (إنما أنا رحمة مهداة)[٩]. وقال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١٠].

تقول الأديبة المصرية الأستاذة وفاء أنور: لو عرفوك حقا - يا رسول الله- لو قرأوا شيئا من القرآن وهو يصف حسن خلقك وأمانتك ورحمتك التي تجاوزت نطاق البشر؛ لتمتد حتى إلى الجمادات، لو عرفوك حقا؛ ما نطقت ألسنتهم بالسوء عنك، لقد تطاولوا على أنفسهم يوم سولت لهم أنفسهم أن يتحدثوا عنك بسوء.. إنهم جاهلون، متبعون لأهوائهم، وصدورهم لم تعمر بالإيمان، وقد نسوا أن الشرائع كافة جاءت داعية لحسن الخلق، ولم تدع إلى السب والشتم.

وتتابع الكاتبة الصحفية وفاء أنور، تتابع كلماتها الذهبية عن هذا النبي العظيم؛ فتقول: يوم آذوك يا سيدي! وجرحوا قدمك الشريف، لم تدع عليهم؛ بل دعوت لهم؛ فإنهم لا يعلمون. ولو أنك بيننا الآن لقلت: هونوا على أنفسكم، أنا الذي بعثت رحمة للعالمين، لا تهزني كلماتهم ولو قيلت بكل اللغات، أنا عند رب الكون أعظم، وفي كل قلب أسكن منذ أن خلق الله الكون..

إن قلوبنا - على قلة حيلتها- تحترق اليوم حزنا وألما إزاء ما يحصل، ولكنني - يا حبيبي يا رسول الله- أعلم أن الله حين يريد لإنسان أن ينتصر، يتيح له لسان حقود، وها نحن صلينا عليك، والتقينا حول سيرتك العطرة، ومكارم أخلاقك[١١].

❖ وبعد: فقد أزال رسول الله ﷺ المعتقدات الباطلة التي تهدم الحياة، ولا يمكننا إنكار أن محمدا عليه الصلاة والسلام هو المرشد القائد إلى طريق النجاة.

الهوامش

١ - للأديب عبد الرحمن عشماوي.
٢ - أخرجه ابن ماجه، رقم: (٢٤٦).
٣ - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٦٦٦٣).
٤ - مشكاة المصابيح: (٤/١٥٣).
٥ - أخرجه البخاري، رقم: (٧٣٩٤).
٦ - أخرجه الترمذي، رقم: (١٨٥٢).
٧ - أخرجه البخاري، رقم: (٤٣٣٠) ومسلم، رقم: (١٠٦١).
٨ - أخرجه البخاري، رقم: (٤٧٧٩).
٩ - مشكاة المصابيح، رقم: (٥٧٣٧).
١٠ - أخرجه الحاكم، رقم: (٤٢٢١).
١١- صحيفة الجمهورية- القاهرة ـ ٢٠٢٠/١٠/٢٥م.

عثمان إسماعيل محمد حسين
كاتب وباحث تربوي



نحو عام دراسي مثمر

ما إن تهل وتحل علينا البشائر بقدوم العام الدراسي الجديد إلا وتهب رياح تغير الأجواء على الحياة المجتمعية عامة والأسرية خاصة، فعلى صعيد الحياة المجتمعية نلحظ حركات البشر في الأسواق والشوارع حيث لا تهدأ ذهابا وإيابا، بحثا وسؤالا، حيرة وتفضيلا، مفاضلة واستقرارا، تلبية لرغبات ومتطلبات الأبناء من مستلزمات عامهم الدراسي الجديد من ملابس وأدوات دراسية مع اختلاف أنواعها واستخداماتها مما نلحظ معه رواجا وحركة دائبة وسط مناخ مفعم بالفرحة والتفاؤل، حيث الأمل يحدو الجميع، داعين الله عزوجل أن يكون عاما ختامه مسك، وحصاده الثمار اليانعة، ولذة ثماره التفوق والتميز.

وعلى مستوى الأسرة تختلط المشاعر وتمتزج وتختلف بين الأبناء، فمنهم من تسيطر عليه حالة الحزن والأسى من تلك الإجازة التي مضت سريعا ويتمنى لو أنها تستمر -حتى ولو قليلا- ليهنأ بمزيد من اللهو والسعادة وصنوف المرح، ومنهم من يفرح بقدوم الدراسة للقاء الأصدقاء ومواصلة رحلة التعليم لتحقيق ما يصبو إليه من أحلام وآمال، لكن الجميع في نهاية الأمر لا يملكون إلا الاستسلام للواقع حيث يأخذهم الاستعداد العقلي والنفسي لخوض غمار عام دراسي يلزمه التخطيط الجيد والتنظيم المتقن والاستثمار المفيد، على أن هذا كله قاسم مشترك بين الأبناء بطموحاتهم وإرادتهم من ناحية، والوالدين ملبين الرغبات والدعم والتشجيع المستمرين ابتغاء التوفيق وتحقيق الأمل المنتظر والحلم المرتقب من ناحية أخرى.

ومن أجل أن يكون العام الدراسي مثمرا كانت تلك التوجيهات والإرشادات لفلذات أكبادنا -على سبيل المثال لا الحصر- سبيلا للنهاية السعيدة وحصادا لثمار النجاح والتفوق بمشيئة الله تعالى.

- أن يتحلى أبناؤنا -كما تعودوا وتعودنا منهم- بفضيلة التقوى ويزيدوا ويستزيدوا منها وبها خلقا والتزاما وممارسة سلوكية وذلك لأنها مفتاح ما ينبغي أن يتمتعوا به من قيم ومبادئ وفضائل حلية لآدميتهم وصونا لهم في حياتهم العملية.. وليدركوا أن تقوى الله عزوجل هي الطريق إلى الإخلاص في ما هم مكلفون به من أعمال ومهام ومسؤولية، وهي التحلي بالأمانة في أداء ما يسند إليهم، وهي الإتقان في التحصيل وتقديس العلم واحترام العلماء، فلتكن «التقوى» شعارهم الذي يضعونه دائما نصب أعينهم وفي وجدانهم أملا في الظفر برضا الله تعالى والفوز بتوفيقه عزوجل.

- التزام أبنائنا -كعادتهم وطبيعتهم وفطرتهم- بالحرص والمداومة على استمرار علاقتهم بالله عزوجل عبادة وصلاة وقرآنا لتتجدد نفوسهم بروح الإيمان وعظمته ويظفرون بثقتهم بالله عزوجل أملا ورغبة في التوفيق جزاء ما سعوا وما يسعون من كد وتعب في الطريق الذي قدره الله لهم سيرا وتطلعا.

- قيام الوالدين بدورهما الإيجابي والفعال بكل أمانة وإتقان، وذلك ببث الثقة في نفوس الأبناء وتشجيعهم معنويا وماديا والأخذ بأيديهم والإعلاء من شأنهم ورفع قدرهم والفخر بهم بين الحين والآخر وتجنب سياسة المقارنة بينهم وبين أقرانهم سواء في محيط العائلة أو المجتمع خيفة تسرب الإحباط واليأس إلى نفوسهم لا قدر الله.

- محاولة الوالدين منح التهيئة النفسية والوجدانية والعقلية بأن تأخذ مساحتها وسط مناخ أسري تسوده البشاشة والتفاؤل لعام دراسي يرسم صورة المستقبل والحياة وإثبات الذات والدعوة إلى حب العلم والإقبال عليه بشغف شديد ومسؤولية أشد، وإدراك الأبناء بأن ما هم مقبلون عليه «أمانة» مؤتمنون عليها وأن يكونوا على قدر وتحمل تلك الأمانة أداء ونتيجة.

- على الوالدين توفير وتهيئة المناخ الأسري المناسب قدر الإمكان من الهدوء والاستقرار وإضفاء كل ما يبعث على المودة والألفة والحب والتفاؤل بين الجميع وتجنب كل ما يعكر صفو ذلك المناخ مما يهيئ النجاح والتميز للعملية التعليمية مذاكرة ودراسة وتحصيلا.

- ومن الأهمية البالغة أن يدرك أبناؤنا الطلاب الهدف والغاية مما هم مقبلون عليه غاية وقيمة وهدفا وآثارا ومستقبلا يتمنونه جميعا بصورته الفضلى والمثلى مما يستلزم



معه التخطيط والإرادة والتصميم وتجنب المخاطر السلبية للقرارات العشوائية المدمرة.

- أن يضع أبناؤنا الطلاب نصب أعينهم هدفا محددا مأمول تحقيقه ليمارسوا من أجله رحلة الطموح والتركيز الذي به يتحقق ذلك الهدف والبعد عن عالم التحير وعواقب التردد متيقنين تماما بأن التوفيق بيد الله عزوجل وأن ليس للإنسان إلا ما سعى.

- أن يجتهد أبناؤنا الطلاب في استغلال عنصر الوقت والسيطرة عليه تجنبا لضياعه وإهداره، فلا مانع من تقسيم اليوم والأسبوع والشهر بخطة دراسية تحصيلية زمنية حسب ما يتراءى لكل منهم بكل تنظيم جيد وتخطيط متقن.

- العمل بكل إرادة وتصميم مهما كانت الظروف والعوائق والعوارض الحياتية على تحصيل الدروس أولا بأول والبعد عن سياسة التسويف والتواكل التي ربما تسبب الخلل والاضطراب والارتباك في نظام اليوم والكم المعرفي المراد تحصيله مما يجعل من الصعوبة المعالجة والتقويم.

- أن يخصص أبناؤنا يوما أسبوعيا وليكن نهاية الأسبوع للخروج من عوالم المذاكرة والتحصيل والإرهاق العقلي إلى عوالم التغيير والتجديد والترفيه والترويح عن النفس وإراحة العقل من أنماط التفكير والاستيعاب المختلفة تهيئة واستعدادا لما هو آت.

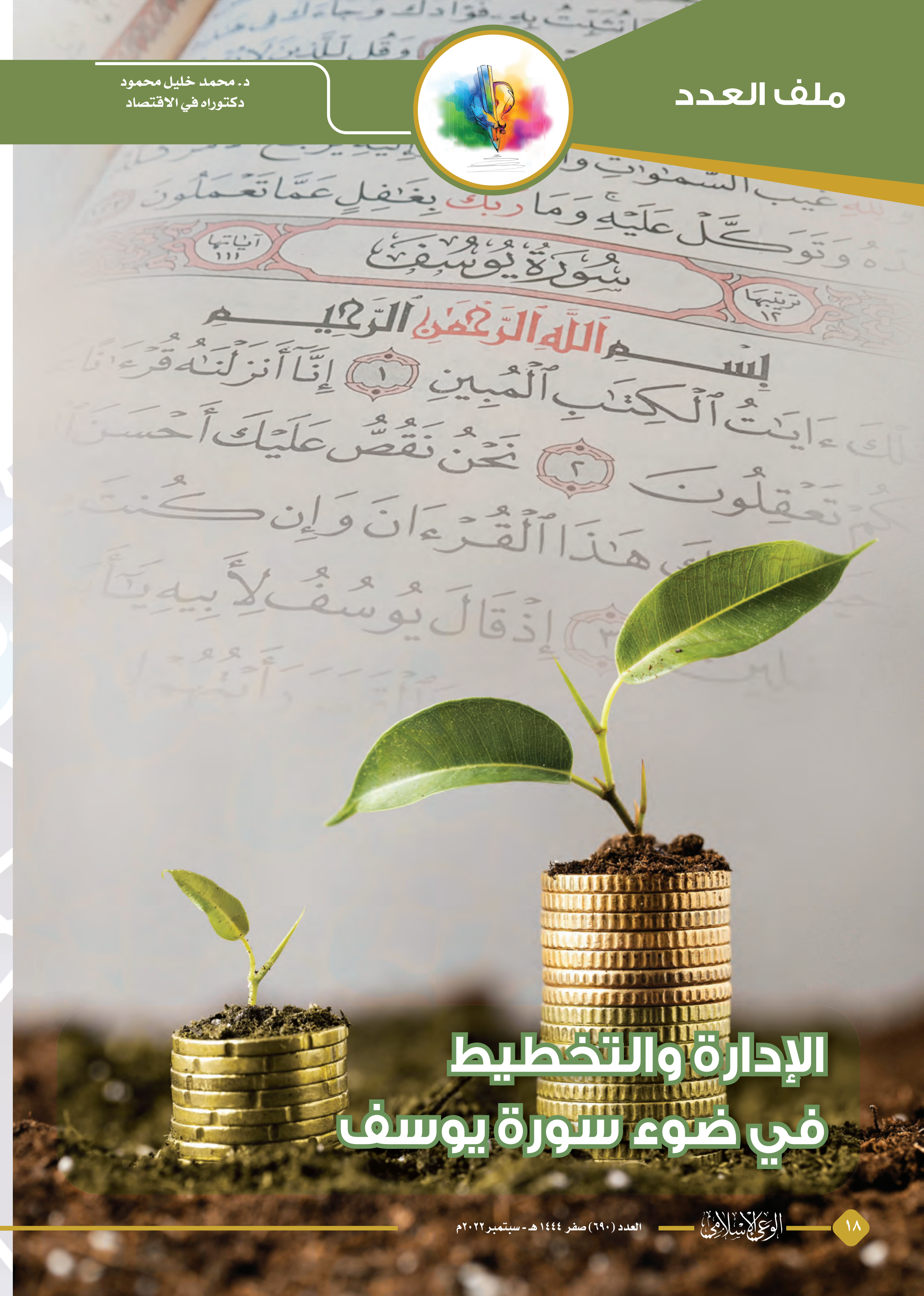
- الاهتمام بمشاركة أبنائنا الطلاب في الأنشطة المدرسية المختلفة كل حسب ميوله وقدراته وأهوائه وهواياته، وذلك لكشف كوامن الإبداع التي تحتاج إلى من يكشف عن هويتها ويظهرها ويستثمرها في شخصه وفيمن حوله تنمية للمواهب وبناء للقدرات.

- أن يتعود الطلاب التحصيل والاستيعاب والمذاكرة من مصدر واحد فقط للجدية والإتقان وعدم التشتت، بينما يكثرون من المصادر المتعددة والمتنوعة للتدريبات والتطبيقات والاختبارات، وذلك تأكيدا لقياس مدى التحصيل والاستيعاب ومدى الإلمام الكامل لتثبيت المعلومة المعرفية.

- تجنب الوالدين قسوة الضغوط المعنوية على الأبناء ومطالبتهم مرارا وتكرارا بالتفوق جبرا وقسرا تجنبا لعواقب التوتر والقلق وآثارهما السلبية، وليدرك الوالدان ما يسمى بالفروق الفردية بين الطلاب وأن مستوى الذكاء متفاوت وكذلك تختلف قدرة التحصيل من طالب لآخر.. فالتريث والتؤدة والهدوء من الوالدين علاقة ونصيحة وحوارا وإقناعا.

إن العام الدراسي مرحلة زمنية في حياة الأسرة تحمل بين طياتها مسؤوليات جسام تستلزم الخبرة والحنكة التربوية من الوالدين بكل هدوء وتريث والحرص من الأبناء على ما هم فيه وما هم مقبلون عليه بكل بشاشة وتفاؤل حتى يجد الطموح مساحته وهويته عندهم ليتحقق من خلاله الهدف وتتضح به ثمار الغاية والمقصد ويعيش الجميع السعادة كما يريدون.. ويتحقق الأمل والحلم مثلما تمنوا ويتمنون إن شاء الله.

د. محمد خليل محمود
دكتوراه في الاقتصاد



الإدارة والتخطيط في ضوء سورة يوسف

لقصص القرآن أهداف سامية، ومقاصد عالية، وخصائص فريدة، وحكم متعددة، فهي تمتاز بسمو الغاية، وشرف المقصد، وصدق الكلمة والموضوع، وتحري الحقيقة، بحيث لا تشوبها شائبة من الوهم أو الخيال، أو مخالفة الواقع. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ (آل عمران:٦٢).

وقد امتاز القص القرآني بتفرده الشكلي والمضموني وتنوعه من حيث المحتوى، لأن القرآن الكريم خطاب موجه للبشرية كافة، والأسلوب القصصي أكثر الأساليب التي تتعلق بها النفس البشرية، فهو يمثل خلاصة لتجارب إنسانية سابقة، إضافة لما يحمله هذا الأسلوب من قدرة تصويرية توسع من أفق الخيال. ويتمثل هذا النمط بشكل أساسي في قصة سيدنا يوسف (عليه السلام)، حيث إنها تكاد أن تتفرد بخاصية التكامل، كقصة مكتملة العناصر من أحداث، وشخصيات ومكان وزمان، ويسيطر أسلوب الحوار والسرد عليها. وهذه القصة المكتملة التي تكاد تنفرد بها سورة يوسف من عنوان السورة كعتبة أولى تواجه المتلقي إلى بداية السورة كعرض أولي لتهيئة الذهن لهذا النوع الفريد من القصص القرآني: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ (يوسف:١-٣) فوُصفت القصة بأنها أحسن القصص، فقد انحصر موضوع السورة في قصة واحدة [١].

قال القرطبي: «وذكر الله أقاصيص الأنبياء وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر، ولا على معارضة غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل»[٢].

يوسف عليه السلام رجل الدولة

لقد كانت رؤيا ملك مصر في منامه رؤيا غريبة ومخيفة، قصها القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ۝٤٣ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ۝٤٤﴾ (يوسف:٤٣-٤٤). فقد رأى الملك كأنه واقف على شاطئ نهر النيل، وقد امتدت على شاطئيه مساحات واسعة من الخضرة.. تخترقها جداول الماء صافية، فبينما هو كذلك.. يمد بصره هنا وهناك.. رأى سبع بقرات شهب سمان، تخرج من النيل، وهي ترعى في مراعيها.. وفجأة رأى الملك مياه النيل قد نضبت، وبدا في قاعه الوحل، لتخرج منه سبع بقرات نحيفات عجاف، لها أنياب وأضراس كالوحوش، فلحقت بالبقرات السمان، وانقلبت عليها وافترستها ثم أكلت لحومها. ثم رأى عودا من القمح يتطاول بسنابله السبع إلى السماء، سنابل يانعة.. حبوبها ممتلئة، كأنها ضفيرة مجدولة من الذهب، تحيط بها أوراق خضراء.. سعد الملك بما رأى، لكن سعادته لم تكتمل، حين رأى بجانب هذا العود عودا آخر.. يحمل سبع سنابل قد جفت أوراقها.. حباتها سوداء فارغة، كان الملك في دهشة مما رأى، فما لبث في دهشته طويلا.. حتى هبت ريح جافة، فالتفت أوراق الساق الجافة حول أوراق الساق الخضراء، فاحترقت جميع السنابل! وعاد الملك يستعيد ما رأى، وقد استفاق من نومه[٣]، وعرض هذه الرؤيا على كبار مستشاريه والمقربين منه، إلا أنهم عجزوا عن تفسيرها، وأشار عليه أحد العاملين في القصر بالرجوع إلى أحد الخبراء في هذا الشأن، وهو يقصد بذلك سيدنا يوسف (عليه السلام)، وهنا لا يتردد الملك في استشارة أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٤٦ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝٤٧ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۝٤٨ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾ (يوسف:٤٦-٤٩).

وحين اقتنع الملك بقدرات سيدنا

يوسف (عليه السلام)، فوض إليه السلطات التي يستحقها، وأعطاه صلاحيات بلا حدود، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف:٥٤)، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ (يوسف:٥٥). وهناك الكثير من الدلائل التي يمكن استخلاصها من هذه الآيات، منها: أن مصر كانت مقبلة على ظروف بالغة التباين والتعاقب من حيث الرخاء والكساد، حيث ستشهد المنطقة رخاء ورواجا لسبع سنوات متصلة بلا توقف، يعقبها سبع سنوات أخرى من القحط الشديد وبشكل متواصل، وكلتا الفترتين فيهما البلاء العظيم. ويعقب الفترتين السابقتين عام من الرخاء الوفير والخير العميم، حيث يغاث الناس وتكثر المياه، ويزداد الإنتاج، ويتحقق عنه خير كثر يفيض عن حاجة السكان فيعصرون هذا الفائض من الحبوب والمحاصيل الزيتية والفواكه ونحوها.

ويُطلق على هذه الحالة في المفاهيم الاقتصادية الحديثة (الدورات الاقتصادية) التي تعني حدوث تقلبات شديدة وحادة في النمو تتراوح بين الرواج تارة، والكساد تارة أخرى، مع عودة الرخاء بعد ذلك، وهكذا مما يسبب آثارا اقتصادية سلبية ما لم تعد العدة لذلك[٤].

إدارة الأزمة بنجاح

بعد أن استطاع سيدنا يوسف (عليه السلام) تقديم التفسير الصحيح للأزمة، تم تشخيص الحالة بدقة متناهية، وجرى تقديم الحلول المناسبة لها، بالقدر الذي يحقق اجتياز هذه الأزمة على خير وجه، وذلك من خلال برنامج محكم صارم، يلزم تنفيذه بأقصى درجات الالتزام.

إن نبي الله يوسف (عليه السلام): الذي مر بمرحلة العبودية والسجن، ينتقل فورا إلى مرحلة «رجل الدولة» مرشحا نفسه، ليكون المسؤول الأول عن خزائن الأرض في مصر، لأنه القادر (الحفيظ العليم) على ذلك الذي يملك بما يؤهله لتولي هذه المسؤولية الخطيرة، إنه مسلح باستيعاب علوم دقيقة كثيرة ألهمه الله تعالى إياها تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف:٢٢)، وهي علوم تقوم عليها وزارات كثيرة اليوم.

وعندما عبر للملك الرؤيا، أراد أن يحقق تأويلها ليخرج الناس من الجوع، وهو يضع نفسه (عليه السلام) في الموقف الصعب مع الثقة الكاملة في أن يتحمل المسؤولية بعون الله تعالى في إنقاذ مصر من خطر داهم، فقال: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، على أن يكون له الإشراف المباشر على ما يمكن أن يوازي اليوم وزارات التخطيط، والتموين، والزراعة، والمالية، والاقتصاد، والعمل، والثروة الحيوانية.

ومن المعلوم أن التعامل مع مرحلة «الوفرة» الأولى يحتاج إلى جهد لا يقل عن الجهود المبذولة في مرحلة «الندرة»، ففي المرحلة الأولى أشار القرآن الكريم بإجمال شديد إلى المعالم الرئيسية لخطة يوسف: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف:٤٧). إنها الخطة السبعية الأولى في مرحلة الوفرة، التي توجب وضع خطة زراعية، وتحقق أكبر مردود، ثم بناء المستودعات والمخازن بشروطها التي تسمح بالحفاظ على المزروعات، مع التقسيم الإداري والنظام المحاسبي الدقيق لهذه المرحلة، ومع ضرورة حماية البلاد أمنيا في الداخل، ومن الخارج.

التخطيط الاقتصادي

تتجلى عبقرية سيدنا يوسف (عليه السلام) التخطيطية التي تبلغ حد الإعجاز لاستمدادها من الوحي الإلهي -بالنسبة لظروفه وظروف عصره- ما تؤكده الدراسات الجيوهيدرولوجية في حدوث جفاف للنيل من واقع دراسات صخور الفيوم، الذي استمر لفترة ١٢ عاما، حيث انقطع فيها الماء من النيل أكثر من نصف هذه المدة تماما. ويحكي التاريخ خطة سيدنا يوسف في علاج ذلك. فعندما ولي سيدنا يوسف (عليه السلام) خزان مصر، قام -بوحي من إيمانه- بإنجاز مشروعه العظيم بشق قناة النيل منخفض الفيوم عبر فم الهوارة (اللاهون) وذلك لتخزين مياه النيل في ذلك المنخفض العظيم، كما أعاد شق بحر يوسف، ليروي المنطقة الوسطى في زمن الجفاف. وقد أصبحت منطقة

هـوارة والـلاهـون صمـام الحياة لأرض مـصـر، وتم إنجـاز هـذه الأعـمـال، ومـن ثم تخزين المياه، وبعد ذلك خزن المحاصيل في فترة الأعوام السبعة من مواسم الخير، حتى حـل الجـفـاف، وانـتـشـرت المجـاعـات، فـجـاء الـنـاس مـن كل مكان طلبا للطعام.

أما فيما يتعلق بالشق الثاني من الخطة الخمس عشرية، فقد تم فيها تـوزيـع الـغـلال، والقمح من المستودعات التي سبق تشييدها في سنين الـرخـاء السبع، وبهذا تمكن سيدنا يوسف (عليه السلام) من إنقاذ شعب مصر من المجاعة.

ومـن مـراحـل الـخـطـة الخـمـس عشرية وتنظيماتها، والنجاح في تطبيقها، تطورت مفاهيم سيدنا يوسف (عليه الـسـلام) الميدانية، فأنشأ علم التخطيط للعلاقات الإنسانية مع الشعوب، والقبائل المجاورة[٥].

دروس مستفادة

لـقـد صـور الـقـرآن الـكـريم لنا الخطة الاقتصادية الطويلة الأجل التي طبقها سيدنا يوسف (عليه السلام)، وهي أول خطة اقتصادية طويلة الأجل في تاريخ الإنسانية. وعندما يُذكر التخطيط والأشخاص المخططون، فإن أول ما يتبادر إلى الذهـن أن سيدنا يوسـف (عليه السلام) قد أنقذ مصر وما حولها من أزمة غذائية طاحنة، فقد ألهمه الله، فخطط لها أحسن تخطيط لمدة خمسة عشر عاما، أقام فيها اقتصاد مصر، حتى نجت مصر من المجاعة وخرجت من الأزمة.

ولـذا فـإن المخطط الـذي وضعه سيدنا يوسف (عليه السلام)، كان قائما على المنهج العلمي في مجال التخطيط، الـذي جعله يستفيد أقصى استفادة من الموارد المتاحة وقت الرخاء فيدخرها لوقت الشدة، دون الاعتماد على المجتمع الدولي والـتـراخـي في مواجهـة المشكلة، وبذلك يستدل على أن أي مجتمع من المجتمعات يستطيع التغلب على مشاكله بالاعتماد على موارده الذاتية بالإدارة السليمة والتخطيط الجيد. ومن ثم نجد أن كثيرا من الـدول في التاريخ المعاصر تأخذ بمنهج التخطيط العلمي القائم على تحديد أهداف مستقبلية، وإعداد بـرامـج زمنية ضمن خطة طويلة الأجل، يجري تقسيمها إلى فترات أدنى، مع تحريكها عاما بعد آخر، أو فـتـرة بعد أخـرى حتى يستمر العمل التخطيطي والإعداد الكافي لمتطلبات المستقبل.

المراجع

١- زينـب عـلـي عـبـيـد، القصص القرآني وتشكلاته: قصة يوسف عليه السلام أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل (العراق)، ص:٣.

٢- الـقـرطـبـي، الجـامـع لأحكـام القرآن.

٣- أنبياء عاشوا في مصر: فتحي فوزي عبدالمعطي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص:٩٣.

٤- محمد أحمد جاد المولى، قصص القـرآن، المكتبة الأموية (دمشق)، ص:٩٤-٩٥.

٥- د. عبدالحليم عويس، مفاهيم التخطيط الاقتصادي من وحي سورة يوسف، دراسة غير منشورة، ص:٤.

د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول



فقه الإدارة الدينية

تعد الإدارة أحد مكونات الحضارة الإسلامية، وأحد منتجات الفكر الإسلامي والإنساني، وإن كانت الإدارة في جوهرها تعني التنظيم والترتيب واستغلال الموارد والكفاءات لتحقيق الأهداف؛ فالفكر الإسلامي جاء ليحافظ على تلك المكتسبات من الفكر الإنساني والحضارات الأخرى، ويضيف عليها صبغته التي تميزه عن غيره من الأفكار والفلسفات.

ولعل معيار التجديد في الفكر الإداري في الإسلام انطلق من الشمولية، التي تجعل الإدارة أحد أهم الأدوات والأدوار التي يصبغ بها الفرد والمجتمع والدولة في الإسلام؛ لتنتقل الإدارة من الدولة والمؤسسة إلى الفرد والمجتمع في آن واحد، وبهذا كان شمول مفهوم الإدارة أحد أنماط التجديد في الفكر الإداري في الإسلام.

وللمولعين بالمدخل التعريفي للإدارة في الإسلام، فهناك نصوص كثيرة أشارت إلى مفهوم الإدارة، بل هناك كتب قديمة استعملت المصطلح، منها كتاب« التراتيب الإدارية» وهو بعنوانه الأصيل: (التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية)، لمؤلفه، العالم المغربي الفاسي، محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى سنة: ١٣٨٢هـ).

ومن أهم المصطلحات التي تناولت مفهوم الإدارة في الإسلام، مصطلح (التدبير)، و(التنظيم)، و(القيادة)، وبهذا، فإن مصطلح الإدارة مصطلح حادث باستعماله، لكنه قديم بمفهومه، الذي استعمل بمصطلحات أخرى، وإن لم يكن بمصطلح الإدارة.

ونحن هنا نتناول مفهوم (الإدارة الدينية) لندلل على أن الإدارة في الفكر الإسلامي لم تنحصر في بعض الجوانب التي تلتصق بعلم الإدارة،

مثل السياسة والاقتصاد والحروب والعلاقات الدولية والاستثمار والتجارة وإدارة المؤسسات والوزارات، بل كانت الإدارة حاضرة بقوة حتى في الشأن الديني المحض؛ مثل الصلاة والزكاة والحج والصيام، ناهيك عن القضاء والمواريث وشؤون الزوجية والأسرة وغير ذلك.

وقد جعل العلماء من أهم وظائف ولاة الأمور أن يحفظ على الناس دينهم، كما قال الماوردي في «درر السلوك في سياسة الملوك» (ص٩١): «فالسعيد من الملوك من وقى الدين بملكه ولم يق الملك بدينه، وأحيى السنة بعدله ولم يمتها بجوره، وحرس الرعية بتدبيره ليكون لقواعد ملكه موطدا، ولأساس دولته مشيدا. ولأمر اللّٰه تعالى في عباده ممتثلا».

وبيان معالم الإدارة الدينية ما يلي:

أولا- الإدارة الدينية للصلاة:

الصلاة من أجل العبادات في الإسلام، وهي تقوم على تحقيق العبودية للّٰه تعالى، ولهذا كانت من الأحكام غير المعللة، ولا تظهر فيها مصلحة العبد الدنيوية، وإن كانت فيها من المصالح الدنيوية تبعا لا أصالة، فالصلاة صلة بين العبد وربه، وهي من مقاصد الشريعة، فإقامة الصلاة مقصودة من الشارع، وهي في الوقت ذاته مما يسمى عند الفقهاء (المقاصد الوسائل)، فهي وإن كانت مقصدا، فهي وسيلة لمقصد أعظم، وهو (حفظ الدين)، ولهذا حرص الرسول ﷺ أن تكون هناك إدارة للصلاة، ومن أهم معالم إدارة الصلاة ما يلي:

١- تعيين الإمام:

فليس كل أحد له أن يقوم بوظيفة إمامة الناس في الصلاة، بل لابد من توافر معايير فيمن يقوم بتلك الوظيفة، ومن أهمها:

أن يكون مسلما، لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ (المدثر: ٤٢-٤٣).

عاقلا غير مجنون؛ فالعقل مناط التكليف، بالغا لا صبيا، لحديث: «والصبي حتى يحتلم»، ذكرا لا أنثى، لحديث: «لا تؤمن امرأة رجلا»، قادرا على القراءة، سالما من الأعذار، لأنه إمام يقتدي به غيره، ولأنه ضامن لغيره، قادرا على القيام بأركان الصلاة وشروطها، سالما من فقد شرط من شروط الصلاة».

وهذه هي المعايير الأساسية، وهناك معايير تكميلية لإدارة الصلاة، وهي معايير الأفضلية، وفيها أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: يؤم القوم أقرؤهم لكتاب اللّٰه، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنا، ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه»

وتلك المعايير هي معايير وظيفية، تضاهي تلك الشروط التي يجب توافرها اليوم في كثير من الوظائف، وهو يدل على سبق الإسلام في المعايير الإدارية.

وقد جرت العادة في جعل الإمامة وظيفة تقوم بها الدولة؛ من باب تيسير أداء شعيرة الصلاة؛ صيانة لها من العبث والفوضى، وأجاز الفقهاء أخذ الرزق عليها من بيت مال المسلمين بلا خلاف بينهم، هذا بخلاف أخذ الأجرة، فهي محل خلاف.

ومما يدل على مفهوم إدارة الصلاة؛ أن الأصل في إمامة الناس موكولة إلى الإمام أو من ينوب عنه، قال الكتاني في التراتيب الإدارية (ج ١، ص ٩٣): «ولاية الصلاة أصل في نفسها، فإن النبي ﷺ كان إذا بعث أميرا جعل الصلاة إليه».

٢- تعيين المؤذن:

ومن إدارة الصلاة وجوب من يؤذن للصلاة؛ ليعلم المسلمين بدخول الوقت، ولهذا ظهر عدة مؤذنين في العهد النبوي، منهم بلال بن رباح، وابن أم مكتوم، واختص بأذان الإمساك في رمضان، وأذن أبو محذورة للرسول في المسجد الحرام بعد فتح مكة.

وقد اشترطت الشريعة فيمن يقوم بوظيفة الأذان بعض المعايير الإدارية أيضا، من أهمها: أن يكون مسلما، ذكرا، عاقلا، بالغا، وهذه هي المعايير الأساسية، وهناك معايير تكميلية، من أهمها أن يؤذن على طهارة، وأن يكون عدلا أمينا، وأن يكون صاحب صوت حسن؛ لحديث: «فقم مع بلال، فألق عليه ما رأيت؛ فإنه أندى منك صوتا». رواه أبو داود والترمذي، وأن يكون عالما بأوقات الصلاة، وأن يكون مقيما لا مسافرا.

ويستحب اليوم أن يكون الأذان وظيفة تقدرها الدولة وتراعي فيمن يتقدم لهذه الوظيفة مثل هذه الشروط التي ذكرها الفقهاء، أو يزاد عليها؛ بما يحقق إدارة الأذان.



هذه الوظيفة بعض الشرائط، من أهمها: أن يكون مسلما بالغا عاقلا عدلا عالما بحال وظيفته التي وكلت إليه. وقد نمت وظيفة الزكاة في عصرنا، حتى أصبح لها هيئات خاصة بها، مثل «بيت الزكاة» بالكويت، والهيئة العامة للزكاة والدخل، بالسعودية، وصندوق الزكاة والصدقات بالبحرين، وصندوق الزكاة بقطر وغير ذلك من مؤسسات الزكاة في العالم الإسلامي، كما تفوض الدول الجمعيات والمؤسسات الخيرية المرخص لها بجمع الزكاة من الناس.

ثالثا- الإدارة الدينية للصيام:

الصيام من الشؤون العظيمة في الإسلام، ولهذا نص الفقهاء على بعض التراتيب الإدارية التي تتعلق بالصيام، ومن أهمها:

تحديد بداية الصيام، وتحديد نهايته: لماورد في صحيح البخاري عن النبي ﷺ من قوله: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غبي عليكم؛ فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما». ومنها ما أخرجه الدارقطني من حديث الحسين بن الحارث الجدلي قال: إن أمير مكة - الحارث بن حاطب - قال: عهد إلينا رسول الله ﷺ أن ننسك للرؤية، فإن لم نره وشهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما»، وعند النسائي من حديث النبي ﷺ: «لا تصوموا قبل رمضان، صوموا للرؤية وأفطروا للرؤية، فإن حالت دونه غياية فأكملوا ثلاثين».

ومن إدارة الصيام تعزير من أفطر في نهار رمضان، «فعن الزهري في رجل أفطر في رمضان، فقال: إذا كان فاسقا من الفساق: نكل نكالا موجعا،

ثانيا- الإدارة الدينية للزكاة:

وإدارة الزكاة كانت تتبع بيت مال المسلمين، وجامع الزكاة أو ما يعرف بـ» العامل» من أقدم الوظائف التي عرفت في تاريخ الدولة الإسلامية، فقد أخرج مسلم «أن رسول الله ﷺ كان يولي العمال لقبض الزكاة، وورد في الصحيحين أن النبي ﷺ استعمل عمر على قبض الزكاة.

والعاملون على الزكاة وظائف عدة، من أهمها: «الساعي، والحاشر، والعريف، والكاتب، والقاسم، والحاسب والخازن وحافظ المال، والعداد، والكيال، والوزان، والراعي لمواشي الصدقة، والحمال، وكل من يحتاج إليه في شأن الصدقة، حتى إذا لم تقع الكفاية بساع واحد، أو كاتب واحد، أو حاسب واحد، أو حاشر أو نحوه زيد في العدد بقدر الحاجة» «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٢٩/ ٢٢٧ فما بعدها).

وقد اشترطت الشريعة فيمن يتولى

٣- عامل المسجد:

ومن إدارة الصلاة تعيين من يقوم بالعناية بالمسجد من النظافة والعناية بالمباني والأجهزة وغيرها، وقد كانت امرأة من فقراء المدينة تسمى (أم محجن) تقوم بهذه الوظيفة، وتنظف المسجد، ففقدها النبي ﷺ، فسأل عنها، فقالوا: ماتت. فقال: أفلا كنتم آذنتموني. فقال النبي: دلوني على قبرها. فدلوه، فصلى عليها. رواه مسلم. ومن ذلك القيام بإضاءة المساجد وأماكن الوضوء وغيرها،

ذكر ابن حجر في الإصابة (ج ١، ص ١٨٤): «أن تميم الداري وفد مع مولى له يقال له «فتح» إلى مسجد رسول الله ﷺ وأنه أسرج فيه بالقنديل والزيت، وكانوا لا يسرجون قبل ذلك إلا بسعف النخل، فقال رسول الله ﷺ: «من أسرج مسجدنا؟»، فقال تميم: غلامي هذا، فقال: «ما اسمه؟» قال: فتح، فقال النبي ﷺ: «بل اسمه سراج».

ويكفر أيضا - وإن كان فعل ذلك انتحالا لدين غير الإسلام، عرضت عليه التوبة» «المحلى بالآثار» (١٢/ ٣٨١):

وقال الإمام ابن تيمية - رحمه الله- في (الفتاوى الكبرى، ٢/٤٧٣): «إذا أفطر في رمضان مستحلا لذلك، وهو عالم بتحريمه؛ استحلالا له؛ وجب قتله، وإن كان فاسقا؛ عوقب عن فطره في رمضان، بحسب ما يراه الإمام، وإن كان جاهلا؛ عرف بذلك».

وفي «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٦/ ٣٠٣): «من أفطر في رمضان جحودا واستهزاء حبس للاستتابة وإلا قتل؛ لأنه كافر مرتد. ومن أفطر في رمضان كسلا وتهاونا لم يزل عنه وصف الإسلام ولا يقتل بإجماع الفقهاء بل يعاقب بالحبس، ويمنع من الطعام والشراب نهارا ليحصل له صورة الصيام، وربما حمله ذلك على أن ينويه فيحصل له حينئذ حقيقته.

ونص الماوردي على أنه يحبس مدة صيام شهر رمضان»

رابعا- الإدارة الدينية للحج:

عرفت إدارة الحج في تاريخ الإسلام منذ بواكيره، وكانت تعرف بـ» تسيير الحجيج»، وهناك «إمارة إقامة الحج»، وهو مما ذكر في كتب الأحكام السلطانية.

وإمارة الحج الأصل أن يقوم بها الحاكم، أو يعين بدلا منه من يقوم بها، وهي من الإمارات الخاصة، وأصبحت اليوم تلك وظيفة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والإرشاد في الدول الإسلامية.

وقد حصل الحج في زمن النبي ﷺ ثلاث مرات؛ المرة الأولى في العام الثامن من الهجرة عام فتح مكة، فأناب النبي ﷺ الصحابي الجليل عتاب بن أسيد أميره على مكة، وفي العام التاسع من الهجرة أناب أبا بكر الصديق أميرا على الحج، وفي العام العاشر من الهجرة تولى النبي صلى اللهن عليه وسلم إمارة الحج بنفسه.

وقد كانت وظيفة الحج قديما أوسع دلالة من وظائف الحج اليوم الذي اقتصر فيه على إقامة الشعيرة، وقد كان النبي ﷺ قد أبقى من وظائف الحج في الجاهلية السقاية والعمارة، كما أخرج أصحاب السنن في خطبة حج الوداع قول النبي ﷺ: «ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي، إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت».

جاء في كتب الأحكام السلطانية بتصرف: «هذه الولاية على الحج ضربان: أحدهما: أن تكون على تسيير الحجيج. والثاني: على إقامة الحج، فأما تسيير الحجيج فهو ولاية سياسة وزعامة وتدبير. والشروط المعتبرة في المولى أن يكون مطاعا ذا رأي وشجاعة وهيبة وهداية. والذي عليه في حقوق هذه الولاية عشرة أشياء:

(١) جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى لا يتفرقوا.

(٢) ترتيبهم في السير والنزول، وتقسيمهم إلى مجموعات لكل منها رئيس، حتى يعرف كل فريق منهم جماعته إذا سار، ويألف مكانه إذا نزل، فلا يتنازعون فيه، ولا يضلون عنه.

(٣) يرفق بهم في السير حتى لا يعجز عنه ضعيفهم، ولا يضل عنه منقطعهم.

(٤) أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها، ويتجنب أجدبها وأوعرها

(٥) أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت، والمراعي إذا قلت.

(٦) أن يحرسهم إذا نزلوا، ويحوطهم إذا رحلوا.

(٧) أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير.

(٨) أن يصلح بين المتشاجرين، ويتوسط بين المتنازعين.

(٩) أن يؤدب خائنهم، ولا يتجاوز التعزير.

(١٠) أن يراعي اتساع الوقت حتى يؤمن فوات الحج عليهم. راجع: «الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء» (ص١٠٨)، و«الأحكام السلطانية للماوردي» (ص١٧٢).

وعلى الجملة، فكما أن الإدارة تدخل في شؤون الدنيا؛ فالناس أحوج إليها في شؤون الدين، وإن كان الفقهاء والعلماء قد ذكروا منها شذرات، وألمحوا إليها بإشارات، فقد اتسعت الإدارة الدينية في عصرنا؛ مع اتساع حياة الناس، وأصبحت لها وظائف وأقسام وأئمة وأعلام، وإدارات ووزارات، وتلك من المحامد والمحاسن، وكلما كانت العناية بالإدارات الدينية؛ كان المجتمع لولاة الأمور أطوع، ولتحقيق الأمن أنجع، ولدرء الفتنة أسرع، فيحصل بذلك الأمن الفكري والمجتمعي، ويسد على الغلاة تطرفهم، ويدفع الناس إلى الانصراف عنهم، فيسود الاعتدال في المجتمعات؛ فالدين للناس حافظ، ولشرهم دافع، ولا يتحقق ذلك إلا بالتراتيب الإدارية للشؤون الدينية.

السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية



حسن الإدارة.. من الحضارة!

النجاحات المتراكمة التي أحرزتها الحضارة المعاصرة، بل والحضارات السابقة أيضا، تدل على أن خلف هذه النجاحات عملا منظما، وجهدا حثيثا، وخبرات متنوعة، واستفادة قصوى مما هو متاح، وتوظيفا جيدا للإمكانات.. أي بإيجاز: أن هناك فنا إداريا وراء منظومات النجاح هذه.

فالإدارة هي التي تراكم الخبرات والجهود، وتستفيد جيدا مما هو متاح وممكن.. أما عدم الإدارة فيعني العكس؛ حيث تتشتت الجهود، ويضيع الممكن والمتاح، وينعدم التراكم والاطراد.

ضرورة للنجاح

ولهذا تصبح الإدارة ضرورة لا ترفا؛ بحيث لا يمكن أن يستغني عنها أي عمل يراد له النجاح والاستمرارية والفاعلية؛ لأن الإدارة –والإدارة الجيدة فحسب– هي التي تتيح الاستفادة مما



هو موجود من إمكانات وطاقات، وتعظم نتائجها؛ بحيث نحصل على أقصى فائدة منها.. وتتيح أيضا تراكم الخبرات؛ فلا تتشتت الجهود، ولا نظل ندور في حلقة مفرغة، كلما تم إنجاز شوط بدأنا من الصفر من جديد.

كما أن الإدارة تجعل من النجاح واقعا لا مجرد حلم، وحقيقة لا أمنية فحسب؛ وذلك بما تضعه من تصور متكامل في البداية، وبما تنجزه من مراحل وأشواط.. وحتى لو لم يتحقق الهدف النهائي بالشكل المطلوب، فمن المؤكد أن خطوات كبيرة ستقطع باتجاهه.

وإذا كانت آراء الباحثين قد تعددت حول تعريف «الإدارة»؛ فإن استيعاب مفهوم الإدارة يتطلب تجزئته إلى مكوناته الأساسية؛ لذلك يمكن القول بأن «الإدارة» هي: «تفكير وأسلوب عمل منظم يعتمد الجهد المشترك لعدد من الأفراد (الجماعات) من أجل تحقيق غايات (أهداف) المنظمة». ويلاحظ أن هذا المفهوم يتألف من ثلاثة عناصر أساسية هي: العنصر البشري - عنصر الأداء الذي يتضمن أسلوب العمل - عنصر الهدف[1].

الإدارة العلمية

هل الإدارة فن أم علم؟ هذه القضية ليست بجديدة ولم ينقض الجدل بشأنها بعد. وقد أثبت فريدريك تيلور أن أفضل وسائل الإدارة يكمن في الأسلوب العلمي الصحيح الذي يستند إلى القوانين واللوائح والمفاهيم الموضوعة بدقة. وأوضح تيلور أن الإنتاج يخضع للقوانين التي تبتعد تماما عن الأحكام البشرية، وأن مهمة «الإدارة العلمية» تكمن في كشف النقاب عن تلك القوانين، ومعرفة أفضل طريقة لصنع الأشياء.

وقسم تيلور العمل إلى أجزاء صغيرة، ثم قياسها والبحث عن أفضل من يمكنه القيام بها، وإعادة دمجها مرة أخرى بشكل فعال، حتى تعمل بصورة أكثر كفاءة. وكان تيلور حريصا على ألا يكون هناك جهد مهدر، فوضع ما يسمى بـ«دراسة الحركة والوقت»[2].

إدارة الذات والآخرين

والإدارة هي فن التعامل مع الذات ومع الآخرين.. التعامل مع الذات: من حيث إدارة الوقت والجهد؛ بالتنظيم وعدم الهدر، وباكتساب المزيد من



الخبرات والمهارات، وبالتدريب المستمر، وبالتقويم والمحاسبة..
وأيضا التعامل مع الآخرين: من حيث إدارة الخبرات بشكل متكامل؛ كل فيما يحسنه ويجيده.. وإدارة التنافس؛ فلا يحصل تحاسد أو تدابر يعود بالسلب على العمل.. وإدارة الطاقات نحو الأهداف المقررة؛ فلا يكون الجهد مبعثرا، أو باتجاه أهداف ليست ضمن الخطة.

فريق عمل.. لا فردية

والإدارة الفعالة الناجحة، كما أشرنا، تعني إدراك أهمية العمل كفريق، وضرورة ذلك، وليس الاستناد إلى الجهود الفردية مهما كانت مؤثرة ومنتجة.. فالآمال والأهداف المرجوة، وكذا التحديات والعقبات الكثيرة، كل ذلك يتطلب العمل كفريق..
ولا شك أن نجاح العمل عبر «فريق»، يحتاج إلى مهارات كثيرة من الإدارة القائمة على العمل، بجانب مهارات مطلوبة من أعضاء الفريق.. وكلما كانت الإدارة بصيرة بذلك ومدركة للواجب عليها، استطاعت أن تساعد فريق العمل على التوافق والتناغم والتكامل.

خطة.. لا عشوائية

الإدارة الناجحة تنطلق من تصور محدد للإمكانات المتاحة بدقة، وللأهداف المرجوة بواقعية؛ فلا تغفل عما لديها من إمكانات وطاقات، ولا تبالغ فيما ترجوه من أهداف وطموحات.
لأن إغفال الطاقات أو عدم تقديرها كما ينبغي، يبطئ سير العمل ويجعل النتائج دون المطلوب؛ كما أن المبالغة في الأهداف تحمل النفس أكثر مما ينبغي، ولربما يؤدي ذلك عند الإخفاق إلى «جلد الذات» واليأس والضجر.

الإدارة بالأهداف

و«الإدارة بالأهداف» تعني التأكد من أنه بمقدورك رؤية الأشياء المهمة.
وقد أشار بيتر دراكر إلى أن المديرين يقعون فيما أطلق عليه «فخ الأنشطة»؛ حيث إنهم ينغمسون في مهامهم اليومية بدرجة يتناسون معها الأسباب والأهداف الكامنة وراء ممارسة هذه المهام؛ فالإدارة بالأهداف تهدف إلى التركيز ليس على الأنشطة، وإنما على النتائج. وهذا هو السبب وراء تسميتها في بعض الأحيان بـ«الإدارة بالنتائج».
ومن العناصر الأساسية للإدارة بالأهداف أنه يتعين على كل المديرين -سواء في مناصب عليا أو مناصب أقل أهمية- أن يتفهموا جيدا أهداف عملهم والاتفاق عليها؛ فعندما يدرك كل فرد الأهداف الخاصة بعمله، ويتم العمل على تحقيقها بصورة متوازية، ومراقبة التقدم المحرز وقياسه، وإدخال بعض التعديلات -إن لزم الأمر- فإن المؤسسة حينئذ تكون قادرة على تحقيق أفضل النتائج الممكنة من خلال الموارد المحدودة[٣].

أهداف.. لا ارتجالية

ووجود أهداف واضحة ومحددة يعني عدم العشوائية أو الارتجالية. وليس أضر على العمل من هذين الأمرين؛ فبالعشوائية أو الارتجالية يكون المرء على غير بصيرة، ويكون أيضا عرضة لرد الفعل وليس صاحب فعل ومبادرة.

وينبغي أن تكون هذه الأهداف:

- محددة: فالأهداف المبهمة العامة لن تحقق النتائج المرجوة.
- يمكن قياسها: أي أهداف ملموسة يمكن إحصاؤها.
- قابلة للتحقق: ليست يسيرة أو مستحيلة التحقق.
- واقعية: بتواجد المصادر المتاحة.
- لها وقت محدد: تحديد موعد نهائي لإنجازها[٤].

وهناك أمر آخر مهم، مع العمل على الانطلاق من أهداف محددة، وهو تقسيم هذه الأهداف إلى عدة مراحل، وبحيث تكون الأهداف تصاعدية، تبدأ من الأصغر إلى الأكبر. فهذا التقسيم على عدة مراحل يجعل المرء يشعر بالإنجاز كلما قطع مرحلة أو شوطا، فيتشجع على بذل المزيد، وعلى متابعة المسير؛ كما يساعده ذلك في تقييم نفسه عند كل مرحلة، من خلال الإجابة على هذا التساؤل: هل حققت هذه المرحلة أهدافها أم لا؟ وما السبب؟ (إذا كانت الإجابة بالنفي).

التصميم.. رغم الإخفاق

ثمة نقطة أخرى، وهي أن الإدارة الفعالة تكون صاحبة عزم وتصميم شديدين، لمواصلة ما تريده من أهداف وإنجازات؛ رغم ما قد يصيبها من إخفاق في بعض المراحل أو الأهداف. فلا تستسلم لعقبات ولا ترضى بالدون؛ وإنما تتحلى بالصبر والمصابرة، وبالعزم والتصميم على مواصلة خطتها، وتبحث عن أسباب الإخفاق وتعالجها، وتعمل تفكيرها العميق في كيفية اتخاذ طرق جديدة نحو الأهداف؛ فلا تجمد على طرق بعينها، وإنما تتحلى بالمرونة في الوسائل.

متفرقات إدارية

الإدارة تستلزم أيضا جملة من القيم والسلوكيات نشير إليها بإيجاز، وهي:

- تعلم ثقافة الاختلاف، وإدراك أن تعدد الآراء أمر طبيعي وينبغي ألا يكون مدعاة للشقاق.
- تركيز النقاش على الفكرة والمضمون لا على القائل؛ حتى نتجنب شخصنة الحوار، والدخول في صراعات النفوس بدلا من بحث الآراء واختبار وجهات النظر.
- ترك مساحة من الحرية للأفراد؛ أي تحلي الخطة بالمرونة في بعض الجوانب.. حتى يمكن استيعاب المستجدات، وتعويد الأفراد على المبادرة والابتكار.. وبما يعني أيضا التخفف من «المركزية» التي يمكن أن تؤدي إلى التصلب والجمود.
- اعتماد سياسة التحفيز المعنوي والمادي؛ فالنفس تميل إلى الثواب والمكافأة، وتتشجع أكثر تحت هذا التأثير.
- للتحفيز أساليب متعددة؛ منها: الإطراء، المكافأة، الارتقاء في السلم الوظيفي، إقامة دورات للتنمية الذاتية ورفع الكفاءة بشكل دوري، إعطاء الموظف مساحة من الحرية، إشراك الموظفين في صياغة أهداف الشركة وفي صنع بعض القرارات، التفويض الفعال لإنجاز عمل ما، مساعدة المرؤوسين في تحقيق أحلامهم العلمية، مراعاة اللمسات الإنسانية[٥].
- الإدارة تحتاج إلى تحلي الأفراد بمهارات الاتصال الناجح؛ وأهمها: استوعب محدثك، استمع أكثر مما تتكلم، احرص على الابتسامة، انظر إلى العين عند الحديث، فرق بين الخطأ والمخطئ، التحدث بإيجابية، التحلي بالمرونة وتقبل وجهات النظر المختلفة والبحث عن الحق(٦).
- من متطلبات الإدارة الأساسية التقويم والمحاسبة، والعدل في ذلك دون تفرقة أو قسوة.. فأي عمل ناجح لا بد له من «وقفة محاسبية» تنظر فيما تحقق من نتائج وما لم يتحقق، وتدرس أسباب التقصير بعناية، ثم تحدد المسؤوليات في ذلك بتجرد وشفافية.

مؤشر حضاري

إذا كان الإنسان مدنيا بطبعه، يحب أن يأنس إلى غيره من بني جنسه ويتعاون معهم؛ وكان ذلك علامة على التمدن والتحضر.. فإن مما تتطلبه «الحضارة» أيضا اعتماد «الإدارة» كأسلوب عمل وإنجاز؛ بما يعنيه هذا من الانتقال من الفردية إلى الجماعية، ومن العشوائية إلى التخطيط، ومن الارتجالية إلى الأهداف، ومن التبسيط المخل أو الخيال المسرف إلى المزج بين المثالية والواقعية، ومن الهدر إلى التوفير..

فالإدارة، كما يمكن أن نوجز القول، هي إحدى العلامات أو المؤشرات على ما نتحلى به من قيم وسلوك حضاريين، وعلى ما بلغناه من أشواط باتجاه الفاعلية والإنتاجية.. ولهذا كان حسن الإدارة، من الحضارة!

الهوامش

١- الإدارة، د. صلاح عبدالقادر النعيمي، ص:٢١-٢٢.

٢- ٥٠ فكرة يجب أن تعرفها عن الإدارة، إدوارد رسل ويلينج، ترجمة: نهى محمد، ص:١٥٢.

٣- المصدر نفسه، ص:١٢٨.

٤- المصدر نفسه، ص:١٣١.

٥- سحر القيادة، د. إبراهيم الفقي، ص:٣٨، وما بعدها.

٦- المصدر نفسه، ص:٧٦، وما بعدها.

ولاء أيمن كامل
مستشارة تحكيم دولي



حُسن الإدارة: الرسول ﷺ نموذجا

لا عـزل فـي الـفكـر الإسـلامـي ولا انفصال بين جوانبه المعرفية والأخلاقية والتطبيقية، بل هناك مزج بينها، سهل له عسير متخبط على غيره من النظم والأفكار والفلسفات، كما أن تعاليم الشرع وتوجيهاته؛ عبر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، غطت نواحي الحياة كلها، ومن ضمنها الفكر الإداري، في تناغم وتـواؤم وشمولية وتكامل، سواء على مستوى الـذات (الـفـرد والأسـرة)، أو الغير (القبيلة والعشيرة والتجارة والحكم). والإسـلام ينظر إلى الإدارة على أنها عملية متكاملة بشريا وماديا ومعنويا، كما يعدها توجيها عمليا لحياة الإنسان بمختلف أبعادها وأنماطها. ويوجه الشرع الحنيف المسلم إلى «إدارة» حياته وفق متطلبات الشارع وتوجيهاته حتى يصل إلى مبتغاه (رضـوان الله)، وينجح فيما أُوكل إليه من خلافة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البـقـرة:٣٠)، وحُـمِّل من أمـانـة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:٧٢).. عـبـر مـعـرفـة الإنـسـان الـهـدف من خلقه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الـذاريـات:٥٦)، ثم التخطيط لسلك الطريق الذي يصل به إلـى غـايـتـه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣)، ثم العمل على تنفيذ ذلك التخطيط بجد ودأب وإصرار على الوصول إلى مبتغاه: ﴿ٱتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

(الأعراف:٣).. فكيف «يُحسن» المسلم «إدارة» ذلك التخطيط بفكر منظم حتى يصل إلى بغيته دنيا وآخرة كما وصى لقمان ابنه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧)؟

الإجابة المثلى هي التأسي برسل الله وأنبيائه، لا سيما خير خلق الله كلهم محمد ﷺ، وإدارة ذاتنا أو غيرنا وفق ما سلكه وانتهجه صلوات الله وسلامه عليه في حياته، لكن قبل إلقاء نظرة عابرة على إدارتهم لدعوتهم ومسلكهم في نشرها وتبليغها، ينبغي التعرف على مفهوم كلمة «الإدارة».

الإدارة لغة واصطلاحا

الإدارة على وزن «إفعالة» من الدور والدوران بمعنى: الطواف حول الشيء أو التحرك من شيء والعود ثانية إليه، يقال: دار الشيء يدور دورا ودورانا، إذا طاف حول الشيء أو تحرك وعاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه[1]، وزيدت الهمزة فيها للتعدية.

ومعنى الإدارة: لف الشيء حول نفسه كالدائرة التي يرجع آخرها من حيث بدأ أولها، يقال: أدار العمامة حول رأسه أي لفها[2].

أما كلمة «الإدارة» في الاصطلاح الحديث فقد وردت عدة تعريفات لها منذ أن بدأت الكتابات العلمية حولها، وليس هناك كثير فائدة في سرد قائمة طويلة لمثل هذه التعريفات، والأجدى هو الإشارة إلى أكثرها قبولا واستعمالا من قبل الباحثين والممارسين لذلك الفن، وقد عرفها فريديريك تايلور[3] بأنها: «المعرفة الصحيحة لما يراد من الأفراد أن يؤدوه، ثم التأكد من أنهم يؤدونه بأحسن طريقة وأرخصها»، وعرفتها ماري باركر فوليت[4] بأنها: «فن تحقيق الأشياء من خلال الآخرين»، وعلى الرغم من بساطة هذا التعريف فإنه ركز على جوهر الإدارة.

الإدارة في الإسلام

وردت مادة «الإدارة» في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة:٢٨٢)، وفي قوله: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ (الأحزاب:١٩).. وعلى كثرة كتب الأولين وتنوعها فإن كلمة «إدارة» لم ترد فيها بلفظها، بينما اللفظ الذي استخدموه للتعبير عن معناها ومدلولها هو «التدبير»، الذي هو أعم وأشمل وأبلغ منها، وقد ورد في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة:٥).

أما في السنة النبوية المطهرة فقد وردت مادة «إدارة» في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يدير الرجل أمر خمسين امرأة» (رواه الطبراني).. وعن جابر بن عبدالله قال ﷺ: «إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم حتى يدخلون الجنة» (صحيح مسلم).

والفكر الإداري الإسلامي أحد روافد الشرع الحنيف، إذ إنه يستند إلى مصادر التشريع (القرآن والسنة والقياس والإجماع)، ويتصف بالاعتدال، والواقعية، وعدم المغالاة والتطرف في جميع نواحي الحياة الدينية والدنيوية، ولا يستغرق في المادية الإدارية، ولا يتطرف نحو «الإنسانوية»، بل يعمل على تحقيق التوازن والانسجام والتوافق بين مصالح الفرد والجماعة؛ فلا فردية مجردة، ولا جماعية مطلقة، فالمصالح متكافئة؛ بحيث لا تطغى بعضها على بعض، ولكن يكمل بعضها بعضا.

والفكر الإداري الإسلامي يرتكز إلى القيم الإنسانية الراقية، التي كانت تسود المجتمع الإسلامي الأول، ولكي نفهم ذلك جيدا ينبغي إلقاء الضوء على الممارسات والتنظيمات الإدارية في فترة الرسالة؛ فترة النشوء والتكوين.

إدارة الدعوة فترة النشوء والتكوين

الرسول ﷺ نموذجا

كيف أحسن الرسول ﷺ إدارة الدعوة الإسلامية في مكة قبل هجرته إلى المدينة؟

هدف الرسول ﷺ الأول هو نشر الدعوة، لكن ما تحمله رسالته يخالف معتقدات أهل مكة، لذا «أدار» خطته في تبليغ الرسالة عبر منهج متدرج وفق مرحلتين، جعل لكل منهما طبيعتها «الإدارية» الخاصة بها:

■ سرية مستخفية، وبشكل فردي؛ فعرضها على أهل ثقته (من أهله وأصدقائه) أولا، ليهيئ لها البيئة المناسبة التي تحيا وتنمو فيها، لكن هذه السرية لم تكن موقفا سلبيا لا حراك فيه، بل كانت تحركا ديناميكيا له دوافعه وآثاره الإيجابية التي أشّرت بوضوح إلى حسن «إدارته»

ﷺ للدعوة؛ إذ كان الموقف حينها موقف: التأسيس، وتخيُّر الأشخاص (بعناية شديدة ودراية سابقة، إذ إنهم سيمثلون اللبنات الأولى لبناء المجتمع الإسلامي)، والتربية والإعداد (ليكونوا عونا في نشر الدعوة).

كما كان اختياره لـ«دار» الأرقم بن أبي الأرقم (التي جعلها مركزا لإدارة دعوته ومحضنا للمؤمنين برسالته ومأوى يبتعد من خلالها بهم عن أذى المشركين)، يؤشر بوضوح أيضا إلى «حسن إدارته» للدعوة.. تلك الدار التي يصعب على مشركي قريش توقعها لأنها:

١- قريبة من الصفا، وهو ما يبعد الشك عنها؛ إذ لا يمكن أن يخطر ببال مشركي قريش أن محمدا ﷺ يجتمع بأصحابه مقابل دار ندوتهم.

٢- دارٌ لأحد أبناء «بني مخزوم»[٥]، ما يجعل مشركي قريش يستبعدون فكرة اجتماع محمد وأصحابه فيها، إذ إن «بني مخزوم» هم من يحملون لواء التنافس مع «بني هاشم».

٣- أن الأرقم كان إسلامه غير معروف وعمره وقتذاك لم يتجاوز السابعة عشرة، ويوم تفكر قريش بالبحث عن محمد وأصحابه فلن تبحث عنه في بيت شاب صغير لا يعرف عنه أنه اتبع الدين الجديد، بل ستتجه أنظارهم صوب بيوت كبار الصحابة أو بيت الرسول ﷺ نفسه.

.. صباحٌ ليس كأي صباح

■ وبعد ثلاث سنوات من الدعوة سرا، جاء الأمر الإلهي: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤)؛ وقف النبي ﷺ عند الصفا (موضع اجتماع زعماء قريش وكبرائها) وبدأ في «إدارة» المرحلة الثانية من دعوته الوليدة، التي امتدت جذورها في الأرض، بينما جذعها لم تصل فروعه إلى السماء، ونادى بأعلى صوته على رؤوس الأشهاد معلنا الجهر بالدعوة: «واصباحاه»[٦]، معلنا أن هذا الصباح ليس كأي صباح، وخرج إلى الأسواق ينادي: «أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا»، وكان يتبعه عمه أبو لهب يُكذّبه[٧].

في هذه المرحلة ازداد «حسن إدارته» ﷺ للدعوة وضوحا؛ فالجهر بالدعوة هو تدشين العمل على تغيير جذري في بنية التنظيمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة في مكة، وإبدال كامل لكل معتقدات قريش وموروثاتها الدينية والتعبدية، وهو ما يحتاج إلى «إدارة» واعية لا تعطلها العراقيل عن بلوغ هدفها، وإلى تصبير الأتباع على ما لا يصبرون عليه من الضيم يقع عليهم أو على من يلوذ بهم، وضبط نفوسهم لعدم الاصطدام مع مشركي مكة: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (النساء:٧٧)، إذ إن معارضة قريش للدعوة كانت في غالبها على الوظائف الإدارية (الوفادة والرفادة والسقاية والزعامة والسيادة)، وليس أدل على ذلك من قول أبي جهل: «تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؛ أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء.. متى ندرك مثل ذلك؟! والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه»[٨].

وبعد سنتين من الجهر بالدعوة، كان عدد المسلمين يزداد يوما بعد يوم، وظهر الإيمان، وفشا أمر الإسلام، فضاقت مكة ذرعا بالنبي وأصحابه، وارتفعت وتيرة أذى قريش بمن آمنوا، ووكلوا أمرهم لقبائلهم تعذب من تعذب وتحبس من تحبس، فكان الرجل يعذبه أولو قرباه ويسجنونه ليردوه عن دينه إن استطاعوا.. عندها حمل النبي ﷺ عليهم حملة شديدة موجعة أوقعت الشقاق والخلاف بينهم، حملة ليست بسيف أو برمح أو بقوس، وإنما بإجراء «إداري» كبير، كشف بوضوح دقة تخطيط النبي وحسن إدارته لدعوته، إذ أمر من يستطيع من أتباعه بالهجرة إلى الحبشة.

لماذا الحبشة؟

نعلم أن رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم:٣ و٤)، لذا فنحن نؤمن بأن اختياره ﷺ للحبشة وتوجيه أصحابه (ومنهم آل بيت الدعوة الذين سيقع عليهم ما يقع على عامة أتباع الدعوة) بالهجرة إليها لم يكن قرارا «إداريا» خبط عشواء، بل هو قرار وراءه ما وراءه، وسنحاول في هذه الأسطر تحليل ذلك التوجيه النبوي:

١- توفير الحماية للمستضعفين من أتباعه بإبعادهم عن أذى مشركي قريش.

٢- علْمُ الرسول ﷺ بخلو أرض الحبشة من القبائل العربية؛ ما سيغلق باب فكرة تحالف قريش معها، وتكوين قوة ضد المسلمين.

٣- خلخل الأمر بالهجرة الصف المكي وأحدث شرخا بين بيوتهم وبطونهم، إذ أصبحوا وكرام أبنائهم يلقون متاعهم ويفرون بمعتقدهم منهم، وهو ما هز

هذه البيئة القبلية هزا، واستشعروا خطره على سيادتهم وسمعتهم، ما جعلهم يسارعون إلى إرسال الوفود إلى ملك الحبشة (النجاشي) لمحاولة رد هؤلاء المهاجرين، لكن الرسول ﷺ بـ «حسن إدارته» كان قد سبقهم تخطيطا ورؤية ودراسة وسياسة: «إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه»[٩].

٤- أخرج النبي ﷺ بتوجيهه «الإداري» الدعوة من نطاق مكة المحلي إلى النطاق الإقليمي لجزيرة العرب، فقد أخذت القبائل خارج مكة تتساءل وتحاول أن تتعرف على ذلك الدين الجديد الذي يدفع أصحابه إلى ترك أهلهم ومتاعهم والهجرة، ما سيسهل أمر عرض الدين عليه خلال وفادته على مكة أثناء المواسم، وتوفير فرصة إيجاد ظهير دعوي.

٥- كانت الحبشة ذاك الزمان مملكة كبيرة مستقرة سياسيا وجغرافيا، ولها إرادتها السياسية المستقلة، ولها تعاملاتها السياسية والاقتصادية مع الممالك والإمارات المجاورة، وهو ما يعني وجود سفراء ووفود لتلك الممالك والإمارات بها.. وقبول الحبشة لهؤلاء النفر المهاجرين يعني قبولها لكيانهم الجديد الناشئ والاعتراف به والإقرار بالوجود الإسلامي في البلاد واعتبار الإسلام دينا رسميا مسموحا بممارسته في حرية واحترام، وهو ما سيؤدي حتما لانتشار خبر هؤلاء اللاجئين وخبر دينهم بين وفود تلك الدول ومبعوثيها إلى الحبشة، وهو ما يعني الحديث عن الدين الجديد في أماكن لم يصل إليها بعد المسلمون، وهو ما سيمهد لنشر الدين فيها لاحقا.

إدارة الدعوة في يثرب قبل الهجرة

كان ﷺ يدرس القبائل دراسة متأنية فاحصة أثناء عرض الإسلام عليهم للتعرف عليهم ومعرفة عددهم ومدى قدرتهم على مجابهة قريش والخروج على سلطانها، وعندما عرض له ﷺ نفر من الخزرج (الذين يجاورون اليهود في يثرب) دعاهم، وكان أهل يثرب يسمعون من اليهود أنه قد أظلهم زمان نبي، فلما سمع هؤلاء النفر منه ﷺ قالوا: «لا يسبقكم إليه يهود»، ثم قالوا لرسول الله ﷺ: «إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك»[١٠]، وبعدها بعام قدم اثنا عشر رجلا من أهل يثرب فبايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى وسميت أيضا بـ«بيعة النساء»: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ﴾ (الممتحنة:١٢).

وبذلك بدأت مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية، فبعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه وأمره أن يعلمهم القرآن، وكان يسمى «المقرئ» (كما يشير ابن اسحق ت:١٥١هـ)[١١]، أو كما قال ابن سعد (ت:٢٣٠هـ) إن الأنصار هم من كتبوا إلى النبي: «ابعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن»[١٢].

وإلى جانب مهمة نشر الدعوة وتعليم من آمن بها الإسلام، كان مصعب رضي الله عنه مكلفا بمهمة الاطلاع على أحوال يثرب ومن يسكن بها وما يجاورها عن قرب، والتعرف على طبيعة أهلها وحقيقة شعورهم تجاه الدعوة ورسولها، وإعطاء صورة صادقة عن هذا البلد الذي توجهت إليه أنظار الرسول ﷺ؛ ليكون منطلقا للدولة الإسلامية، وليخرج الرسول بتقدير صحيح ويتصرف على أساسه بسرعة ودقة، وحتى لا يتكرر الموقف الذي واجهه ﷺ في الطائف[١٣].

لقد كان إيفاد الرسول لمصعب، وتكليف بإمامة أهلها في الصلاة يشيران إلى أن هناك توجها جديدا في «إدارة» الرسول للدعوة، وتعزيزا للكيان جديد، وتدشينا لتنظيم «إداري» جديد أساسه دين الإسلام بمفاهيم مختلفة بعيدة عن القبلية وأعراف الجاهلية.

الهوامش

١- لسان العرب، ج٤، ص:٤٣٨.
٢- المعجم الوسيط، ج١، ص:٣٠٢.
٣- مهندس ميكانيك أميركي يعد أبا لعلم الإدارة، وأحد قادة الفكر في حركة الكفاءة (ويكيبيديا).
٤- رائدة في المجالات النظرية والتنظيمية ومستشارة شخصية للرئيس الأميركي ثيودور روزفلت في إدارة المنظمات الطوعية (ويكيبيديا).
٥- ابن هشام، السيرة، م١، ص:٢٥٣.
٦- السير والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، تركيا، ١٤٠١هـ/١٩٨٦م.
٧- الطبقات، ابن سعد، ج١، ص:٢٠٠.
٨- سنن النسائي، شرح: السيوطي، ط١، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ج٦، ص:٣.
٩- السلسلة الصحيحة، ص:٣١٩٠.
١٠- السيرة، ابن هشام، م١، ص:٤٢٨ و٤٢٩.
١١- السيرة، ابن هشام، م١، ص:٤٣٠.
١٢- الطبقات، ابن سعد، ج١، ص:٢٢٠.
١٣- النظم الإسلامية، إبراهيم حمد العدوي، ص:١٠٧.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية



من هدي السلف في الإدارة الرشيدة

يعد النجاح رغبة إنسانية مشروعة يسعى لها كل الناس مهما اختلفت مللهم ونحلهم، وقد رسم الإسلام طريقا للفلاح سلكه أبناؤه، وتركوا لنا تراثا زاخرا بالإنجازات الحضارية ومنارات في سبيل تحقيق هذه الإنجازات.

وفي هذه السطور نستعرض بعضا من وصاياهم التي تناولت مختلف المجالات، ونختار منها ما يتعلق بالناحية الإدارية وقيمة هذه الوصايا أنها خرجت من معين القرآن والسنة ومن عقل أناس حققوا إنجازات ضخمة في كل المجالات، وكان تفوقهم الحضاري ظاهرا لكل منصف، ولم يكن هذا التفوق مرده إلى الانتصارات العسكرية التي حققوها بكل إيمان وصبر، لكن مرد ذلك إلى ما تعلموه من مواريث الوحي، وما تحملوه من عبء أمانة نشر الخير والحق بين الناس.

المحاسبة: ومن بين ما أثر عن الفاروق رضي الله عنه في أهمية المتابعة والتدقيق على سير العمل قوله: «أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم، وأمرته بالعدل، أقضيت ما علي؟ قالوا: نعم، قال: لا، حتى أنظر في عمله، أعمل ما أمرته أم لا»[1].

إن مفهوم العدل يتسع ليشمل حسن اختيار الموظف وتتبع طريقة أدائه، وتقويمها بحسب مؤشرات الرشد والجودة معا، وغياب محاسبة المسؤول يؤدي إلى استهتاره بالعمل، ومن ثم ضياع الأمانة.

وتقويم الموظفين يقوم على الإنصاف بين حق الموظف وحق العمل وحق من يتعامل معه من الجمهور، فإذا كان للجمهور حق الشكوى من الموظف فإن على المدير الناجح أن يتحقق منها أداء الأمانة العمل وإقامة للعدل، وقد كان هذا دأب سلفنا الصالح، شكا أهل الكوفة عمار رضي الله عنه إلى الفاروق رضي الله عنه: حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه، فقال عمر رضي الله عنه: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق عمار رضي الله عنه: «أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أخرم (أنقص) عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد (أطيل) في الأوليين وأخف في الأخريين»، قال: «ذاك الظن بك يا أبا إسحاق»، فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا[2].

وقف الفاروق رضي الله عنه موقف القاضي العادل بين الشاكي والمشكو عليه، واعتبر الشكوى خبرا يحتمل الصدق والكذب، وحقق رضي الله عنه في هذه الشكوى إذ استمع لأطرافها، ولم يكتف رضي الله عنه بذلك، بل سأل بقية الأطراف سؤال المستقصي للحق.

المبادرة: ومن وصايا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عماله ما أرسله إلى ابي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما بعد، فإن القوة في العمل أن لا تؤخر عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال، فلم تدروا بأيها تأخذون، فأضعتم، وإن الأعمال مؤداة إلى الأمير ما أدى الأمير إلى الله عز وجل، فإذا رتع الأمير رتعوا»[٣]

وفي الكتاب نلحظ:

١- التنبيه على مراعاة قيمة الزمن الذي يذهب ولا يعود، وبتضييعه يفقد الإنسان رأس ماله الذي لا يعوض، ولا يمكن لمن يضيعون أوقاتهم أن يتقدموا في طريق الدين او الدنيا خطوة واحدة، رأى رجل عمر بن عبدالعزيز وقد أصابه الجهد من كثرة العمل، فقال له: يا أمير المؤمنين، لو تروحت وركبت. قال: كيف لي بعمل ذلك اليوم؟ قلت: يكون في اليوم الذي يليه؟ قال: حسبي عمل يوم في يومه، فكيف بعمل يومين في يوم.

وقال سيبويه: «سوف: كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد، ألا ترى أنك تقول: سوفته، إذا قلت له: سوف أفعل، ويقال: فلان يقتات السوف، أي يعيش بالأماني»[٤]، ومن عاش بالأماني هلك.

٢- التسويف يؤدي إلى الفتور وقتل الإرادة والإحباط، بينما إنجاز العمل يدفع إلى مزيد من الإنجاز.

٣- إن إحساس الموظف بالمسؤولية يدفعه إلى إنجاز عمل كل يوم في وقته، قياما بأمانة الوظيفة، وحتى لا يؤخر مصالح الناس، وحتى لا تتراكم عليه الأعمال ويقل معدل الإنجاز، وإذا تراكمت الأعمال عجز عن القيام بها أو قدم ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم، ودخلت الشفاعة السيئة التي هي سبب للفساد وضياع الحقوق.

٤- إن إنجاز العمل في وقته دليل على حب الموظف لعمله مما يعينه على بذل الجهد.

٥- إن المسارعة في إنجاز أعمال اليوم وعدم تأجيلها للغد لون من ألوان المسارعة إلى الخيرات والمسارعة إلى الخيرات، تفتح أبواب الخير المغلقة، قال الله تعالى عن زكريا عليه السلام وزوجه، وسبب منحهما الولد، بعد أن بلغ زكريا عليه السلام الكبر، ووهن عظمه، واشتعل رأسه شيبا، وكانت امرأته عاقرا: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء:٩٠)

ومع قيمة هذه الحكمة العمرية التي تواطأت عليها الثقافة الإنسانية على اختلاف لغاتها، إلا أنك تجد من يمعن في الكسل والتسويف ليسير مع القائل: «لا تعمل غدا ما يمكنك تأجيله لبعد غد» وشأن المسلم أن يسابق ويسارع ويسير مع التوجيه القرآني ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ (البقرة: ١٤٨) ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ (البقرة: ٦٣) ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ (مريم: ١٢) أن نحسن من كفائتنا في أداء الأعمال مع مرور الأيام، فإذا استطعنا في بداية طريقنا العملي أن ننجز عشرة أعمال مثلا خلال الوقت المقدر للعمل علينا أن ننجز أكثر من ذلك وفي زمن أقل وبطريقة أفضل وبدون أخطاء.

ويرشد الفاروق أبا موسى

الأشعري أن يقوم بما يجب عليه نحو الله عزوجل حتى يقوم الناس بما يجب عليهم نحوه، فإنه إن قصر فيما يجب عليه نحو الله تعالى قصر الناس فيما يجب عليهم نحوه، فأعين الناس معلقة بتصرفات قوادهم، إن رأوهم قدوة حسنة اتبعوهم، وإن رأوا مخالفة بين القول والفعل قصروا وضيعوا ما أؤتمنوا عليه، وإن نظرة على وصية الصديق لأحد قواده تعطينا بعضا من عوامل نجاح القائد، أوصى الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان وصية نقتطف منها ما يلي:

المشورة والإنصاف: إذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة؛ فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها، ولا تسرع إليها[٥].

ومن خلال هذه الوصية الجليلة نجد أن:

١-المشورة ضرورة لا يستغني عنها أحد، ولكي تؤتي ثمارها لابد أن تختار من تستشيره ثم تخبره بكل جوانب الموضوع، حتى يتمكن من التفكير الصحيح وتقديم الرأي السديد، فإذا أخفى المستشير أمرا على من يستشيره لعدم ثقته به، فلن يحصل على مشورة دقيقة، وخير له أن يختار من يأتمنه على نفسه وسره.

٢-مخالطة المرؤسين حتى يتمكن القائد من معرفتهم، أما الانعزال والتقوقع وقصر لقاء المرؤسين على عدد منهم، فهذا مما يعزل القيادي عن محيطه، ويؤدي إلى أن تصل إليه الصورة مشوهة أو ناقصة، ومن ثم تصدر القرارات أبعد ما تكون عن الواقع.

٣- يوجه الصديق رضي الله عنه إلى أهمية الرقابة المستمرة التي ترد المستهتر والغافل إلى جادة الصواب حين يكتشف خطؤه، وتوقع عليه العقوبة الملائمة دون إفراط ولا تفريط، لكي يعود إلى جادة الصواب، ولكي يرتدع غيره على أن تكون العقوبة بعد تحقيق عادل، فإذا ثبت الخطأ عوقب المخطأ بلا تهاون ولا إسراف.

٤- ويوجه الصديق أيضا إلى إدارة العمل بنظام المناوبة العادلة، فشعور الموظف أنه يتحمل عبء أكبر مما يتحمله زملاؤه يجعله يهمل في عمله أو ينوء بحمله مما يعود بالضرر عليه وعلى المؤسسة التي يعمل بها.

ويبقى التواصل بين الأجيال وتراكم الخبرات طالما نظر الأبناء لآباء والأجداد بإنصاف وتقدير لما بلغوه من مجد وسؤدد وطالما بقي التراحم والتلاحم ويبقى تراثنا مليء بالحكم والتجارب الناجحة التي تحتاج منا إلى تنقيب ودرس وتدبر لكي تعود إلينا أمجادنا.

الهوامش

١- رواه عبد الرزاق في المصنف والبيهقي في السنن الكبرى وشعب الإيمان وابن عساكر في تاريخ دمشق.
٢- صحيح البخاري.
٣- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام.
٤- لسان العرب، مادة: (سوف).
٥- الكامل في التاريخ.

عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية



إدارة الوقت

تنقضي الكثير من أوقات حياتنا من دون أن يتم استثمارها أو استغلالها بشكل صحيح، والسبب أن الكثير من الناس يعيشون تحت وهم كبير بأنهم مشغولون، بينما الحقيقة أن غالبية الوقت يمضي في أمور لا طائل ولا فائدة منها.

وعندما تشاهد طبيعة الأعمال التي ينشغل بها الناس وتضيع فيها الكثير من أوقات أعمارهم تجدها لا تستحق كل هذا الوقت، أو أن بالإمكان إنجازها بساعات عمل أقل من خلال التنظيم والاستغلال الصحيح لهذا الوقت.

الكثير من الساعات في حياتنا اليومية تهدر وتضيع بتوهم الانشغال الدائم وعدم وجود وقت فراغ، بينما يمكن استغلال كل الوقت عن طريق التنظيم الجيد وحسن الإدارة والتخطيط السليم.

ولعل أول دروس حسن الإدارة الواجب تعلمها: هي كيفية استثمار أوقات الفراغ واستغلال كل لحظة بما ينفع ويفيد في الدنيا والآخرة، فالعبرة ليست بكثرة الأعمال ولا الانشغال المستمر إنما بحجم الإنتاج والفوائد المتحققة من وراء كل عمل ومشروع.

وينبغي على الإنسان أن ينظم أمور حياته ويستفيد من ساعات يومه، ولا يترك الأوقات مفتوحة بلا تنظيم وتخطيط وإدارة صحيحة.

وعملية تنظيم الوقت واستغلال الفراغ وحسن الإدارة من الأمور التي أولاها الدين الإسلامي أهمية كبيرة، باعتبار أنها من مقومات النجاح في الأعمال التي تؤدي إلى عمارة الأرض والتطور والحضاري، وهي أحد أسباب خلق الله تعالى للإنسان، فتعمير الأرض أحد الأمور التي كلفنا بها الله تعالى بالإضافة إلى تكليفنا في عبادته، وهذا أحد أسباب خلقه لنا أيضا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

وتجسد سيرة رسولنا الكريم محمد ﷺ النموذج الأول في الإدارة وحسن التنظيم واستغلال القدرات والاستفادة من الطاقات لتحقيق الأهداف والوصول الى الغايات. وتحفل السيرة النبوية الشريفة بالكثير من الأحاديث التي تبين أهمية وقت الفراغ وضرورة استغلاله بما ينفع، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ». صحيح البخاري: (٦٤١٢).

وكلما أدار الإنسان حياته بدقة ونظام واستثمر أوقات فراغه بشكل سليم، فإنه يستطيع القيام بالكثير من الأعمال الصالحة التي تنفعه في الدنيا والآخرة.





تحقيق - نادر أبو الفتوح
كاتب صحافي

الإسلام ووسائل العصر

تقدم الأفراد والأمم والمجتمعات يرتبط بشكل أساسي بحسن الإدارة واستغلال القدرات المتاحة والتخطيط الجيد، ومنهج الإسلام في تحقيق الرفاهية والسعادة يتمثل في العمل والاجتهاد، والسعي بكل جهد لتحقيق الآمال والطموحات، وكثيرة تلك النصوص في الشريعة الإسلامية التي تحث على حسن الإدارة، لكونه سبيل التغلب على كل المعوقات، وذلك بجانب الحث على الأخذ بالأسباب، والاستفادة من أدوات العصر الحديثة، وبذل الجهد والتوكل على الله عز وجل.

علماء شريعة إسلامية من جانبهم أكدوا في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» أن الإسلام يحترم العلم والتخصص، ويحث على تطوير القدرات والأخذ بوسائل العصر الحديثة في التنمية البشرية والإدارة، لتحقيق مصلحة الفرد والمجتمع، كما أكدوا أن دعوة الإسلام لمواجهة التسيب والإهمال والتفريط تحمل معاني التأكيد على حسن الإدارة، باعتبار ذلك قضية محورية في تحقيق المصلحة العليا للمجتمع.

وشددوا على ضرورة الالتزام بالشفافية والنزاهة من جانب القائمين على الإدارة في كل المجالات عند تقييم العاملين، مؤكدين أن الإسلام وضع حقوقا وواجبات لكل من العامل وصاحب العمل أو القائم على الإدارة، كما طالبوا بمراعاة الجوانب الإنسانية والتعامل باللين وتشجيع العاملين.

التخطيط الجيد

في البداية يقول أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة الدكتور محمد نجيب عوضين في حديثه مع «الوعي الإسلامي»، إن الشريعة الإسلامية تحث على التخطيط الجيد وحسن الإدارة، وذلك على مستوى الفرد والمجتمع، كما أن الإسلام يحترم التخصص، والحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤٣)، وهذا يؤكد أن حسن الإدارة يتمثل في احترام التخصص والدفع بالمتميزين في الصفوف الأولى كل في مجاله، وأن يتم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، كذلك ضرورة أن تكون هناك رؤية مستقبلية للعمل، وفقا للواقع والمتطلبات والاحتياجات، وهذه مسؤولية القائمين على الإدارة؛ عن عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، أن النبي الكريم ﷺ قال في الحديث الشريف: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه)، وهذا الحديث الشريف يحمل معاني كثيرة فيما يخص إدارة العمل، وحسن التعامل مع العاملين والتوظيف الأمثل للقدرات، وأن هذه مسؤولية كبرى ينبغي القيام بها على الوجه الأمثل.

> **علماء شريعة: العدل والمساواة وقواعد الإدارة الناجحة حملتها تعاليم الإسلام**

ويضيف الدكتور عوضين أن دعوة الإسلام لمواجهة الإهمال والتسيب والفساد والشائعات والرشوة والمحسوبية وغيرها من الظواهر السلبية، كل ذلك يؤكد على قيمة وأهمية حسن الإدارة ودورها في التقدم والرقي، لأن هذه الظواهر السلبية تعد من الأمور التي تهدد

المجتمعات، وتؤدي إلى ضياع الحقوق، ولذلك ينبغي أن تتم مواجهة كل هذه الظواهر السلبية والقضاء عليها، وإعلاء المصلحة العامة، والمؤكد أن تشجيع العاملين هو أساس الإدارة الناجحة، كما يعد نقطة انطلاق للرقي والتقدم.

العدالة والمساواة

من جانبه، يؤكد أستاذ الفقه بجامعة الأزهر بالقاهرة الدكتور علوي أمين خليل في حديثه مع «الوعي الإسلامي»، أن حسن الإدارة منهج إسلامي، وأن مبادئ وقواعد الإدارة الناجحة حملتها لنا تعاليم الشريعة الإسلامية، فالعدل والمساواة من أهم تعاليم الإسلام، والإدارة الناجحة تتحقق بتطبيق العدالة بين الجميع والمساواة وعدم الظلم، والحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨)، فعندما تقوم الإدارة بتطبيق العدل والمساواة بين الجميع، فإن ذلك ينعكس بالإيجاب على العمل، ويكون هناك تنافس شريف بين العاملين للوصول إلى أعلى درجات الإنجاز، أما في حال وجود عدم مساواة فإن ذلك يؤدي للإهمال والتسيب والتراخي في العمل، وكل ذلك يؤدي لتعطيل الأعمال وعدم الإتقان، ولذلك ننصح بتطبيق أعلى درجات الشفافية والنزاهة من جانب الإدارة في أي موقع، لأن ذلك في النهاية يؤدي لنجاح وتميز منظومة العمل.

حقوق وواجبات

من جانبه، أكد رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر الشيخ عبدالحميد الأطرش في حديثه مع «الوعي الإسلامي»، أن الشريعة الإسلامية جعلت حقوقا وواجبات لكل من العامل وصاحب العمل أو الإدارة التي تدير منظومة العمل، والمؤكد أن الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية في هذا المجال يعد السبيل الذي يحقق إدارة ناجحة وأداء متميزا لكل فريق العمل، وما يتعلق بواجبات العامل يتمثل في الالتزام بالضوابط والقرارات التي تضعها الإدارة، والسعي بكل جهد لتنفيذ الأعمال على أكمل وجه، وذلك حتى يحصل على الرزق الحلال، ويؤدي واجباته على أكمل وجه، وله أن يحصل على حقوقه المادية وفقا لما هو متفق عليه طالما أدى العمل المكلف به، وفيما يخص الإدارة فإن الشفافية والنزاهة والعدالة بين العاملين وتقديم الكفاءات، أهم ما يجب أن تلتزم به للوصول إلى النجاح والتميز، والعدل أساس الإدارة الناجحة، وهناك جوانب إنسانية تتعلق بالرحمة والتسامح والتعامل باللين والرفق وتشجيع العاملين، وكلها أساليب أثبتت الدراسات العلمية في مجال الإدارة أنها سبيل للرقي، وكل هذه الضوابط والقواعد حملتها لنا الشريعة الإسلامية.

الشريعة الإسلامية تحث على التخطيط الجيد وتقديم الكفاءات للرقي والتقدم

الاستفادة من الوسائل الحديثة

ويضيف الشيخ الأطرش أن الإسلام يحث على الاستفادة من وسائل العصر الحديثة لتحقيق مصلحة الإنسان وتسهيل الأعمال، هذا بجانب دعوة الإسلام للعلم والتعلم، وهذه الدعوة تشمل كل علم نافع، ومن أهم العلوم حاليا علم إدارة الموارد البشرية، والمؤكد أن التنمية البشرية وتطوير القدرات من أهم سبل الرقي والتقدم، ولذلك لابد أن تقوم إدارة العمل بالسعي لتدريب الكوادر البشرية على أنظمة العمل الحديثة، سواء تلك التي ترتبط بوسائل التواصل الحديثة والإنترنت، أو ما يتعلق بتعلم اللغات الأجنبية، واستخدام برامج جديدة لقضاء حوائج المترددين على مكان العمل في سهولة ويسر، لأن إنجاز الأعمال على الوجه الأمثل في أجواء من الشفافية والعدالة والعطاء والإخلاص، كل ذلك يعد تجسيدا لمعاني الإدارة الناجحة.



القاهرة - إسلام لطفي
دار الإعلام العربية



الإدارة الرشيدة

كل الناس يمارسون الإدارة في حياتهم اليومية صور مختلفة، إلا أن «الإدارة الرشيدة» تحتاج إلى مزايا لا يملكها كل الناس، فبالإضافة إلى كونها موهبة، فهي أيضا علم يدرس ويصقل الخبرات.. وفي هذا الصدد تحدث عدد من الخبراء لـ «الوعي الإسلامي»، عن حسن الإدارة، وما تحققه من إنجازات رغم قلة الموارد، وتعظيم الاستفادة منها سواء على مستوى الفرد أو المجتمع.

ويؤكد الدكتور عبدالغني هندي، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، أن الرسول ﷺ أرسى نموذجا فريدا للإدارة بالتعاون مع الصحابة، واستمر هذا النموذج عبر التاريخ الإسلامي لأكثر من ٨٠٠ عام.

عبدالغني هندي: الرسول أرسى نموذجا فريدا للإدارة

وأشار إلى أن هناك أمورا عديدة اعتمدت عليها الإدارة في الإسلام، منها: الإخلاص في العمل، وتنظيم العلاقة بين العبد وربه، وبين الناس وبعضهم البعض، فأصبحت النتيجة والمردود دنيوي أخروي وليس دنيوي فقط.

وأضاف د. هندي: في البناء الحضاري الذي شيده المسلمون في الـ ٨٠٠ عام الأولى من عصر الإسلام، هو العمل المستمد من



الإخلاص، خاصة أن الرسول ﷺ قال: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها» والمعنى هنا هو التشجيع على العمل، إذ إن المسلمين كانوا يقومون بأداء العمل قربة لله عزوجل، وتعد إحدى الركائز الهامة في الإسلام وهي الركيزة الإيمانية.

وأضاف أن الأمر الثاني الذي اعتمدت عليه الإدارة هو «تنظيم الوقت»، وهو الركن الموجود في كافة الأعمال التي تتعلق بالإسلام،

علاء الناظر: الشفافية والمساءلة والتمكين أولى عناصر الإدارة الرشيدة

بداية من الفرائض وأركان الإسلام، نهاية إلى الأعمال المتعلقة بالإدارة. أما الأمر الثالث، فهو الاستشارة، فالإدارة قامت على ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى:٣٨)، قبل القرار، ثم وضع خطة لتنفيذ القرار، وظل هذا الأمر مستمرا منذ عصر الرسول ﷺ عبر العصور التالية.

وأشار إلى الأمر الرابع، وهو «المراقبة»، بداية من مراقبة الله عزوجل إلى إنشاء جهاز «المحاسبة»، ويتعلق بمحاسبة المسؤولين، ومدى تنفيذ إنجازات، إضافة إلى التنظيم من خلال الحفاظ على البيئة، حتى في وقت الحروب، ففي الحديث الذي رواه البخاري عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا»، فنرى هنا الأدب النبوي في الحرب، بمنع قتل النساء والأطفال وكبار السن إلى غير ذلك من الآداب التي أوردها الحديث.

إبراهيم البيومي: تقسيم الأعمال المؤسسية لضمان الفعالية والكفاءة

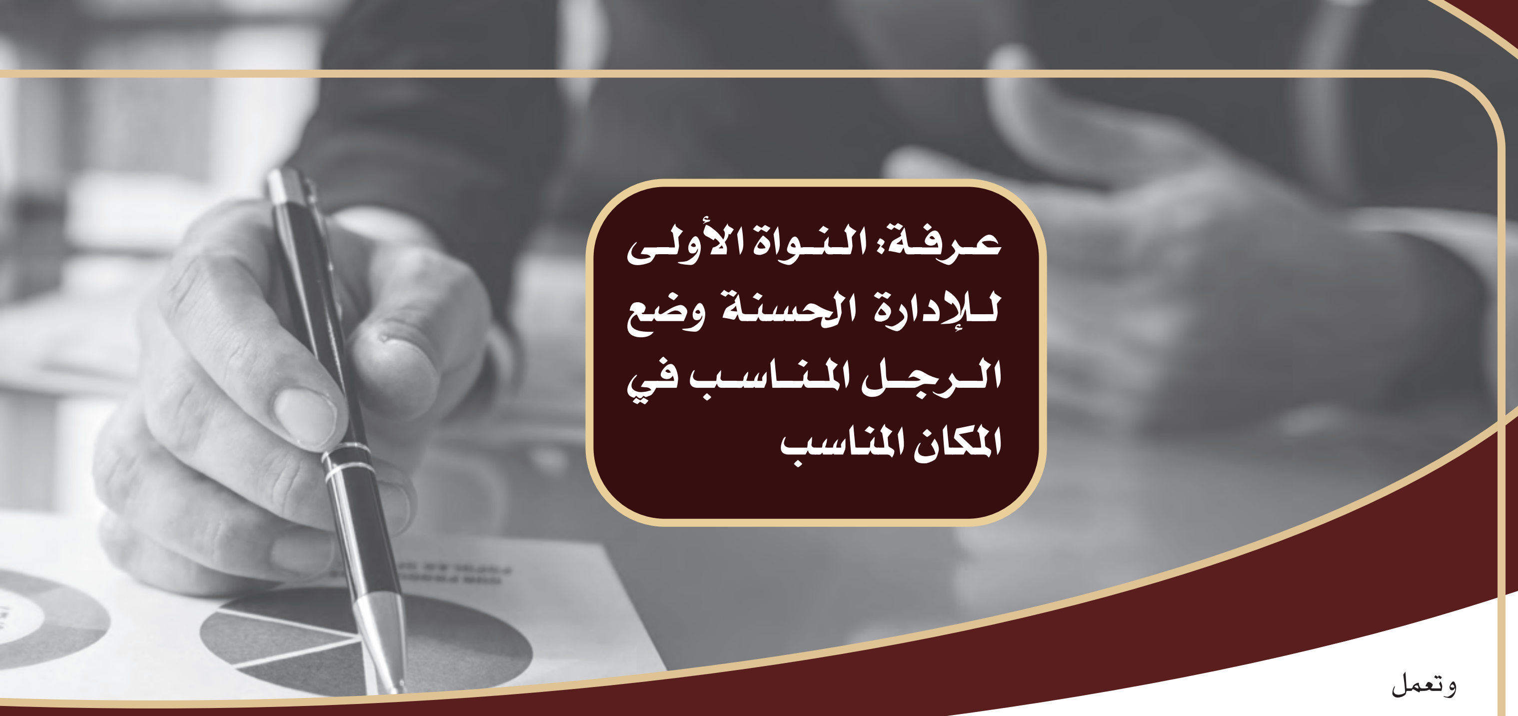
وتابع أن النظام الاقتصادي في الإسلام كان نظاما دقيقا، فكان هناك نظام للموازين والمحاسبة، وإدارة شؤون الدولة في بيت المال، فضلا عن وجود تداول للحكم بشكل بسيط عبر العصور المختلفة.

وشدد عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، على ضرورة استعادة القيم الرئيسة التي تتعلق بالمنظومة القيمية الإسلامية، وإعادة منظومة القيم الأخلاقية التي أتي بها رسول الله ﷺ، والتي تعد الشيء الوحيد الصالح لإدارة العلاقات الإنسانية من منظور أخلاقي لا يتعلق بالمصلحة، الأمر الذي يعكس الخير على البشرية.

تشريعات وقوانين

وقال د. إبراهيم البيومي، مستشار علم الاجتماع والرأي العام، إن الإدارة الفعالة تعتمد على عناصر كثيرة، منها وجود أنظمة واضحة تحدد التخصصات داخل كل وحدة إدارية من أعلى المستويات إلى أدناها، ومن الحكومة إلى الشركة إمدادا بالمستشفيات وخلافه.

مضيفا: لابد من وجود وصف وظيفي وتخصصات وتقسيم الأعمال داخل المؤسسات والهيئات، حتى نضمن لها العنصر الأول من عناصر الفعالية والكفاءة، والفلسفة العامة للقانون تنص على وضوح التشريعات والقوانين التي تحكم هذا القطاع،



عرفة: النواة الأولى للإدارة الحسنة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب

وتعمل على تطويره وضمان أدائه بالتنسيق مع باقي القطاعات الأخرى.

أضاف البيومي: من المهم وجود أجهزة رقابية ومحاسبية داخل كل وحدة إدارية وخارجها، وهذا العنصر يحدده القانون وتحدد خصائصه اللوائح، ويقوم عليها إناث عالية الكفاءة ولديها تدريبات حديثة ومستمرة في التطوير والتحديث.

أيضا من الأمور التي تساعد في حسن الإدارة، استيعاب المتغيرات الجديدة في الواقع، فيجب أن تضع المؤسسات والوحدات الإدارية في اعتبارها أن تستوعب المتغيرات والمستجدات أولا بأول، وأن ترفع من قدرتها على هذا الاستيعاب، وهذا العنصر يسمي «القدرة على التكيف»، فيجب أن يكون في صميم التكوين الإداري قواعد التسيير، الأمر الذي يكفل التحديات والمتغيرات الجديدة والتعامل معها أول بأول وفق قواعد واضحة ومعايير مرنة، تمكن القائمين على الوحدات الإدارية التعامل بكفاءة.

وأوضح أن تكاتف وسائل الإعلام والتوعية والثقافة العامة في المجتمع مع الجهاز الإداري والوحدات الإدارية، العنصر الخامس، وهي تقوم بنشر الوعي العام في المجتمع للتعاون مع هذه الوحدات الإدارية، إلى جانب معرفة الأنظمة واللوائح التي تنظم هذه الوحدات بأهمية حقوق المواطنين تجاه هذه الوحدات وواجباتها أيضا، وهذا العنصر بمثابة «عامل التماسك» العام الذي يضم العناصر السابق ذكرها ويكون كفيلا بتيسير أداء الإدارة وترشيدها وصولا إلى تحقيق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها.

الشفافية والحوكمة

وفي سياق متصل، قال الدكتور علاء الناظر، أستاذ الإدارة العامة والمحلية، إن الإدارة الرشيدة تعني الحوكمة، التي تعتمد على مجموعة من المبادئ

مختار مرزوق: إسناد المناصب إلى غير الأكفاء فساد إداري ومجتمعي

منها الشفافية والمساءلة، والمحاسبة، والعدالة، والتمكين.

وأضاف أن الشفافية في الإدارة تبدأ من اختيار الموظف الكفء بناء على الكفاءة وليس الواسطة والمحسوبية، ثم بعد ذلك تدريبه على العمل، ثم المتابعة.

وتأتي المساءلة بعد ذلك، فإذا أخطأ هذا الموظف يتم محاسبته، ومن ثم العدالة في سرعة المحاسبة، وهو أمر يساعد في القضاء على الفساد والمحسوبية، حسبما ذكر الناظر.

لجان مراجعة، لمكافأة الموظف الذي أحسن في عمله، ومعاقبة المقصر، ويصل بنا هذا الأمر إلى جودة العمل.

التمكين، وهو إعطاء الموظف صلاحيات كافية للخروج بأعلى القدرات والنتائج الممكنة، حتى يبدع ويبتكر في عمله، ويتم ذلك من خلال الترقية من مستوى لمستوى أعلى، وهو أمر يساهم في المستويات الإدارية، حتى نصل في نهاية المطاف للخروج بتقرير الحسام الختامي بشفافية ووضوح دون أي خطأ.



الإدارات العليا والرؤية الاستراتيجية

أما أستاذ الإدارة العامة والمحلية، حمدي عرفة، أكد أن حسن الإدارة سواء في المؤسسات أو الهيئات أو الدول، يبدأ من الموارد المادية وهي التجهيزات والإمكانيات ومواقع العمل، وتدريب الموظفين بصفة عامة، ويليه الموارد البشرية، وهي اختيار الكفاءات ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب وخلافه.

وأضاف عرفه، أن علم الإدارة الحكومية لا يدرس بشكل واسع في الدول العربية، خاصة أن نسبة تدريسه لا تتعدى الـ ٥ في المئة، مشيرا إلى أن حسن إدارة المؤسسات، لابد وأن يكون بسن تشريعات خاصة بالمؤسسات، ولوائح، واختيار الموظفين وتدريبهم، بالإضافة إلى توفير التكنولوجيا، والمشاركة مع المجتمع المدني، سواء إذا كان قطاعا خاصا إلى آخره.

وشدد على ضرورة وجود الرؤية الاستراتيجية، وتعني أن تكون الرؤية واضحة، فضلا عن مشاركة العاملين بكافة الوحدات الإدارية العليا والوسطى والدنيا، من خلال الاقتراحات والشكاوى في اتخاذ القرار، وهو أمر نفتقده كثيرا في الدول العربية، كون أن القرار يأتي من الإدارة العليا.

وأضاف أن نجاح المؤسسات يأتي من استقلالها، حيث لا تلعب السياسة وتوجهات الدولة في الإدارة، حتى نضمن نجاح تلك المؤسسات، بالإضافة إلى وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، من أول الوزراء إلى الموظفين.

وطالب بضرورة إدخال التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي داخل الوحدات الإدارية، علاوة على التدريب المستمر للموظفين، وهيكلة نظام العمل، وعمل شراكات مع المؤسسات والإدارات الأخرى، بالإضافة إلى وجود عامل تسويقي قوي، وتواصل مجتمعي، خاصة أن هذه العوامل تعد من نجاح الإدارة بشكل عام.

اختيار الكفء

وأخيرا ذكر الدكتور مختار مرزوق، عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر السابق، أن حسن الإدارة يأتي من القرآن والسنة، حيث كان الرسول ﷺ، يضع الشخص المناسب في المكان المناسب، مثلما ولي أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، بيت مال المسلمين لقوته وصلابته.

وأكد مرزوق، أن الرسول ﷺ، قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله عزوجل يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه، وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفى له، وإن لم يعطه منها لم يف له».

وهذا الحديث يؤكد أن البيعة وتولي المناصب أمر هام أولت به الشريعة الإسلامية، حيث قال الله سبحانه وتعالى في سورة القصص: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦)، ويشير هذا النص القرآني إلى ما يجب على الإنسان حينما يختار لأي منصب ديني ودنيوي، القوي الأمين لأي منصب، حسب المنصب الذي يتولاه الإنسان.

وتابع مرزوق: أما الأمر الآخر، فهو التحذير من المخالفة، وإسناد المناصب إلى غير الأكفاء، وما يترتب على ذلك من فساد إداري ومجتمعي.

أ. د أحمد يحيى علي
أستاذ الأدب والنقد
بجامعة عين شمس

الأسطورة والفن وحضارة الإنسان



ترتبط حياة الإنسان على الأرض ببعدين رئيسين: ذهني/وجداني، وجسدي يتصل بمكون عضلي، وهذا الثاني يعتمد في عمله وفيما يتم إنجازه بواسطته من أفعال على إشارات يتلقاها من الأول؛ انسجاما مع خصوصية الإنسان؛ بوصفه كائنا حيا يتميز عن غيره من الكائنات الحية الأخرى ويرتقي، وفي ضوء مسير الإنسان في الزمان وفي المكان على الأرض ظهرت مفردات، كان لها حضور واضح ملموس يتصل اتصالا وثيقا بطبيعة العلاقة بين هذين البعدين سالفي الذكر وتوزيع الأدوار الحاصل فيما بينهما؛ فالبعد الذهني الوجداني يؤدي دور الفاعل الموجه، والبعد الجسدي ومتعلقاته من لسان وجوارح: السمع، البصر، الشم، التذوق، اللمس تقع موقع المستقبل المتلقي تعليمات هذا الفاعل؛ ومن ثم يمكن القول: إن مفردات مثل: الثقافة، والفنون، والحضارة تعد ناتجا من نواتج هذه العلاقة بين البعدين ومخرجا من مخرجاتها.

وقد شهدت بداية رحلة الإنسان على الأرض ما يصح أن نسميه بعلاقة متوترة، مبعثها حالة الغموض التي اكتنفت علاقة الإنسان الأول بالكون من حوله وما يقع فيه من حوادث؛ فلجأ إلى محاولة إدراكها وإيجاد تفسيرات لها بطريقة تقوم على تصورات تفتقد إلى ما عرفته البشرية بعد ذلك من نظريات ومفاهيم تتصل بمرحلة تتأسس على التجريب والمشاهدة ووضع فروض يتم اختبار صحتها وفق إجراءات محددة؛ هنا يبدو جليا مصطلح الأسطورة الذي اعتمد في تبلوره على مرحلة في الإدراك ميزت الإنسان الأول وحياته على الأرض[١]؛ إن الرؤى التي تم وضعها في تلك المرحلة الأولى من حياة الأسرة البشرية لظواهر الكون الواقعة في مرمى إدراك ذاك الإنسان الأول تشكل ناتجا من نواتج العلاقة الجامعة بين هذين المكونين الأثيرين لديه: فكره وشعوره من ناحية ومكونه الجسدي ومتعلقاته من لسان وجوارح وغيرها من ناحية أخرى؛ إن هذه الرؤى كانت وثيقة الصلة بتصور خرافي يتجاوز منطقه المشاهد إلى منطقه الغيبي، ومن هذه الثانية ظهر ذلك المفهوم (الأسطورة)، وكان يسمى في التراث اليوناني القديم (ميثوس)، وفي الإنجليزية (Legend)، وصار له حقل معرفي متخصص تحت مسمى (الميثولوجيا)، ويعد هذا المفهوم انعكاسا للطبيعة المميزة لمنطقة العقل والشعور لدى ذاك الإنسان في طور حياته الأول، ليس ذلك فحسب، بل إن الوعي الإنساني وربطه بين المشاهد والغيبي قد شجع على ولادة ذلك الحقل الرفيع في نسق الفكر الإنساني؛ ألا وهو حقل الفلسفة، الذي يجعل من هذين الطرفين: المشاهد/ الفيزيقي، وما وراء المشاهد/ الميتافيزيقي مجالا محوريا في نشاطه.

الأسطورة: اللفظ ومرونة المدلول

وإذا نظرنا إلى هذا المفهوم المستمر في حضوره بين أفراد الجنس البشري نجد أنه كما هو معلوم قد ارتبط بمعان، مثل: الخرافة، الخيال، اللامعقول، الغيبي؛ إذ إن الحالة الإنسانية في تلك الحقبة من عمرها على الأرض كانت تفتقر إلى قيمتين رئيستين ظهرا وتمددا أفقيا ورأسيا بعد ذلك: قيمة الدين وقيمة العلم؛ ومن ثم فإن المنجز الذي تمخض عن حالة الإدراك المهيمنة على وعي الإنسان الأول يعد ابنا قد خرج من رحم الأسطورة التي يبدو أنها لم تغادر فضاء الحياة للأسرة البشرية على مدار رحلتها في الزمان وامتدادها الأفقي في المكان؛ فإذا كانت في ظهورها الأول قد أخذت منحى عقديا يعكس خوف الإنسان ورغبته في استرضاء ما ظنه قوى خفية مسئولة عما يجري حوله من حوادث فوجد أن لزاما عليه الخضوع لها كما هداه إلى ذلك مكونه الفكري والوجداني بقرابين ورقصات وأماكن يذهب إليها يمارس فيها طقوسا يتغيا من ورائها الوصول إلى حالة رضا وسكون نفسيين؛ فإنها - أي الأسطورة - في مراحل لاحقة قد تخلصت بدرجة كبيرة جدا من هذه النزعة ذات الصبغة العقائدية، مع انتشار الرسل الموحى إليهم من قبل الله الواحد الأحد، وترسيخ العلم بنظرياته لأقدامه على الأرض.

وبالوقوف أمام القرآن الكريم، نجد أن لفظة أسطورة تأتي في سياقات تضفي على مدلولها طابعا سلبيا، ينطوي على ذم المنجز الفعلي المتصل بها؛ فإذا ما تم نعته أو وضعه في هذا القالب؛ أي الأسطورة فإن ذلك يعني موقفا يقوم على الرفض والإنكار، والانصراف: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٣١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(سورة الفرقان: ٥)



إن اللفظة في حركتها داخل فضاء التداول تسير في مسار محدد، منطلقه الأول وعي تكون بناء على تفاعل مع الحاصل في العالم نجم عنه محاولة تفسير يعكس رغبة الذات الإنسانية في الانتقال من مرحلة النظر السلبي إلى مرحلة الوصف والتحليل وإصدار الأحكام؛ فكانت الأسطورة وليدة هذه العملية في الفكر؛ فالتسطير هاهنا إذا كان يحيل إلى فعل اليد بنقوش فوق جدران معابد أضحى فيما بعد تدوينا وتسجيلا بالقلم، لكنه يشير ويحيل إلى مجمل منظومة الإدراك لدى الإنسان التي تعتمد على هذه المعادلة الأثيرة؛ (معادلة ٢+٥)؛ أي العقل والقلب، ومعهما الجوارح الخمسة كما قلنا آنفا.

وهذه اللفظة (أسطورة) في مسيرها وفي صحبتها للأسرة الإنسانية عبر الزمن ستتخلص بدرجة كبيرة من قيد أحادية الدلالة التي جعلتها مرهونة بما هو شعائري تعبدي فحسب؛ فاتصالها بما هو غيبي أو بما هو كامن غير مرئي عموما سيفتح فضاء مدلولها؛ ليجعلها إشارة إلى مسألة الخيال بصفة عامة [٢].

إن التأريخ لهذه المفردة (الخيال) يأخذنا بداية إلى الأسطورة وتجليها وبداية ظهورها؛ لذا فإن ثنائية (الحقيقة في مقابل الخيال) تعكس مشكلة البحث فيها يسير في مسار أفقي باتجاه حقول معرفية اصطنعها الإنسان في أطوار لاحقة؛ مثل: الفلسفة، والأحياء، والجغرافيا، وعلم الاجتماع، والفيزياء، وغيرها من الحقول التي جعلت من الافتراض ومن المعطى الموجود المعلوم بالحواس منطلقا للبحث فيما وراءه؛ أي في علله وأصوله؛ أي إن مسألة الوجود في مقابل العدم المترتبة على هذه العملية البحثية تمثل درجة من درجات يقف عليها مستخدم هذه الكلمة (الخيال)؛ بوصفها حكما يصدره إزاء قضية أو موضوع ما، هذا الحكم يمكن تفريعه فرعين:

- الأول: المجاز الذي يسير في نسق مواز على الضد من المألوف المتعارف عليه لدى شرائح الجماعة البشرية على تدرجها في الفكر وفي الإدراك، هذا التدرج الذي يتم رصده في طبقتين: طبقة النخبة المستنيرة، وطبقة قليلي العلم والمعرفة.
- الثاني: الكذب المرتبط بمنطلقات دينية أخلاقية وثيقة الصلة بالمعتقد وبقيم المجتمع وحزمة الثابت المتجذر فيه من قيم يتم نقلها جيلا بعد جيل[٣].

وإننا إذا نظرنا إلى الحضارة التي صنعتها يد الإنسان وقد اتخذت أشكالا متنوعة كيفا، وهي كثيرة من ناحية الكم؛ بحكم حياة الإنسان الممتدة في الزمان والشاغلة لمساحات مكانية كبيرة جدا على كوكب الأرض نجد أنها تحمل في طياتها ظلا للأسطورة وما علق بها من معان على مدار رحلتها العمرية الطويلة؛ فالفنون بأنواعها المختلفة المصنوعة من اللغة ومن غير اللغة بمثابة موجود، الخيال هو المهيمن والمؤثر في مسألة حضوره، حتى إذا ما نظرنا إلى ما أخرجته يد الإنسان من مخترعات في حقبة ما سمي بالثورة الصناعية وما تلاها حتى أيامنا هذه كانت في البدء أفكارا مجردة، سمتها الخيال الذي هو ضد الحقيقة المعلومة المدركة بالحواس، ثم أضحت شيئا مذكورا بعد ذلك في دنيا الناس.

إن كلمة حضارة ومكوناتها التي يمكن تقسيمها قسمين: فكري مجرد

يتفرع إلى فرعين (علوم وفنون)، ومادي حسي مصنوع من عناصر يتم استقدامها من الطبيعة المحيطة، هذه الكلمة؛ أي الحضارة قد خرجت من الجذر اللغوي حضر، والحضور ضد الغياب، لكنه في الوقت ذاته مولود قد خرج من صلبه؛ ليس أدل على ذلك من أن ما كان يظنه الإنسان وهما أو خرافة، أو لنقل أسطورة في الماضي صار في مضارع لاحق شيئا مألوفا لا مكان في العلاقة به وفي التعامل معه لمفردات مثل الغرابة أو الدهشة أو عدم القبول وعدم التصديق.

من هنا يتبين أن مفهوم الأسطورة يكتسب بعدا مرنا يمكن نعته بالحركي القائم على التوسع وعدم الجمود؛ إنه لم يقف متجمدا عند رؤية إدراكية ذات صبغة عقائدية تعتمد على الخضوع والاسترضاء، بل تمدد أفقيا ليحتفظ بمعنى عام يتمثل في مطلق الخيال أو الخرافة، الذي من عباءته خرجت الفنون قديمها وحديثها[٤]، ومنه خرجت منجزات تعكس ما وصل إليه الإنسان من نضج وتطور وحداثة؛ فما ينتمي إلى الفيزيقي المادي الملموس أصله إذا الخرافة أو الوهم أو الخيال أو العدم الذي هو ضد الوجود؛ إن هذه المفردات الأخيرة جميعها تمثل ملصقات دلالية لحقت بالأسطورة في سفرها المستمر عبر الزمن بين أبناء الأسرة البشرية؛ الأمر الذي يعني أن التطور الذي لحق بهذه اللفظة/الأسطورة لم يقتصر فقط على الترادف إذا ما نظرنا إلى كلمات؛ مثل: الخيال، المجاز، الوهم، الغيبي الذي في حكم العدم، بل إنه امتد ليصل إلى حافة التضاد؛ فنجد أن حضارة الإنسان واتصالها بالمنجزات/المخترعات التي هي على مقياس وعي الإنسان القديم بإطلاق الكلمة، أو وعي السابقين منذ أربعة قرون مثلا في عداد الأوهام صار حقيقة ويقينا يعيش معه الإنسان ويقيم حياته وفقا لآلية عمله[٥].

إذن يمكن القول: إن الدال (الأسطورة) المعنى والأداء يتجلى في محددات دلالية عدة:

- الأسطورة: طور في الإدراك يعكس المراحل الأولى في عمر الإنسان على الأرض وما تحمله من خصوصية في الفكر وفي الممارسة.
- الأسطورة: كذب خيال ومجاز، في مرحلة الدين والشرائع، وفي مرحلة ترسيخ العلم ونظرياته لأقدامه في واقع الجماعة الإنسانية على امتداده.
- الأسطورة وثيقة الصلة بافتراضات في مرحلة الاختبار قبل أن يتأكد بالتجريب وبالدليل وجودها.
- الأسطورة وثيقة الصلة بالمنجز الحضاري الإنساني في شقه الذهني والوجداني المجرد (حقل العلم وحقل الفن بأنماطه اللغوية وغير اللغوية).
- الأسطورة وثيقة الصلة بالمنجز الحضاري الإنساني في شقه المادي المصنوع من مكونات الطبيعة المحيطة بالإنسان جانب المخترعات التي أحدثت طفرة وتغيرا نوعيا في نمط حياة الإنسان على الأرض وطريقته في الفكر وفي السلوك، وفرضت تقسيما داخله إلى طبقات قد لا يخلو من نزعة عنصرية ليست مبرأة من تجبر وتنمر؛ فهناك شعوب متقدمة (دول عالم أول)، وغيرها دونها يأتي في مرتبة ثانية، وثالثة/دول عالم ثالث.
- الأسطورة نسق يتفرع فرعين؛ الأول يتصل بما هو شعائري جذوره تعود إلى وعي الإنسان الأول إزاء العالم من حوله في مرحلة غياب المنقول من نصوص السماء (الدين والشرائع)، الثاني: فلسفي يرتبط بحركة أو لنقل: بآلية تكوين المعرفة من خلال الربط بين المشاهد/المعلول/المفعول، والعلة التي تقف وراءه، ولا يمكن الوصول إليها بالحواس، لكن يمكن الوصول إلى عتبة إدراك واقتناع بوجودها بالعقل؛ الأمر الذي يبرر علة احتمال الدال رأى أكثر من معنى؛ الأول: الرؤية المرتبطة بحاسة الإبصار؛ أي رأى بمعنى أبصر، الثاني: الرؤية المؤسسة على الإدراك الذهني؛ أي الرؤية المرتبطة بالعقل، حينها يكون الفعل رأى بمعنى عرف وعلم. ويكون لمنطوق سقراط لتلميذه عندما قال له: «تكلم حتى أراك» وجاهته؛ إنه يقصد بالطبع رأى بمعنى علم وعرف.
- الأسطورة إذا لفظ يمكن بقدر من التوسع وصفه بأنه من ألفاظ الأضداد؛ فهي تحمل المعنى وضده بالنظر إلى طبيعتها الحركية المرنة مع اقترانها برحلة العنصر البشري عبر الزمن.

الهوامش

١- انظر: كارين أرمسترونج، تاريخ الأسطورة، ترجمة: د. وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الطبعة الأولى، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، من (ص: ٩-١٥).

٢- انظر: فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية، (٢٠٠١م)، من (ص: ٢٤-٣٢).

٣- انظر: د. علي صبيح التميمي، أنثروبولوجيا الأسطورة والدين، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، طبعة (٢٠١٦م)، (ص: ٥٥).

٤- انظر: د. عز الدين إسماعيل، الفن والإنسان، دار القلم، دمشق، طبعة (١٩٧٤م)، من (ص: ٣٤-٣٩).

٥- انظر: د.أحمد يحيى علي، بين التعبير الإنساني والمحاكاة، مجلة الرافد الإلكتروني، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، فبراير (٢٠٢٢م).

أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر



كتب الرحالة والجغرافيين وأهميتها في كتابة التاريخ

حفل التاريخ الإسلامي برحالين عظام أثروا الحركة الفكرية والثقافية، وكان لهم دور بارز في إمدادنا بمعلومات ثرية عن العالم الإسلامي وغير الإسلامي في ذلك الوقت.

فاليعقوبي قام برحلات إلى أرمينية وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب، وألف لنا كتاب «البلدان»، ووضع الإصطخري كتابه «مسالك الممالك»، وللمسعودي كتابه الشهير «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، ولشمس الدين المقدسي «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، وابن حوقل ألف في القرن الرابع الهجري كتابه «المسالك والممالك»، والبيروني الذي عاش في القرن الخامس الهجري ألف كتاب «الآثار الباقية عن القرون الخالية»، وكتاب «تحقيق ما للهند من مقولة مرذولة في العقل أو معقولة»، والبكري الذي عاش الربع الأخير من القرن الخامس له كتاب «المغرب في ذكر أفريقية والمغرب»، ومرجعه الشهير «معجم ما استعجم»، وفي القرن السادس الهجري ألف الإدريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وفي القرن السابع كتب ابن جبير رحلته المشهورة، وكتب ياقوت الحموي «معجم البلدان»، وفي القرن الثامن يطلع علينا الرحالة الذائع الصيت ابن بطوطة ويكتب رحلته التي نسبت لاسمه «رحلة ابن بطوطة»، واسمها الأصلي «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

وهذه المصادر تشكل أهمية كبيرة لدى الباحث التاريخي، فسيجد فيها معلومات مهمة عن هذه البلاد وعاداتها وسياستها، فعلى سبيل المثال: فإن تاريخ نشوء الدولة العثمانية سجل بعد النشأة بكثير، والمعلومات التاريخية عن هذه الحقبة قليلة للغاية، ومع ذلك نجد في «رحلة ابن بطوطة» معلومات مهمة، فقد زارها في عهد أورخان بن عثمان، ثاني أمراء الدولة العثمانية، وفي حين أن المؤرخين العثمانيين يذكرون أن عثمان لم يكن لقبه حال حياته إلا (بك) أي: أمير، ولم يلقب بسلطان أو خان إلا بعد وفاته[1]، وهكذا كان لقب ابنه أورخان، ومن بعده مراد الأول، ولم يظهر لقب السلطان إلا بعد هؤلاء الثلاثة، فإن ابن بطوطة في رحلته ذكر أورخان وأباه بالسلطان، ووصفه بأنه أكبر ملوك التركمان وأكثرهم مالا وبلادا وعسكرا، له من الحصون ما يقارب مئة حصن[2]. وهذا يدل على أنهم وإن لم يلقبوا بذلك فلا شك أن مهامهم هي مهام السلطان، وربما لم يتلقبوا بذلك تواضعا أو تدرجا في المناصب ما دعا إلى إطلاق ابن بطوطة

اللقب عليهم.

كما أنه رأى قبر عثمان في بورصة، التي اتخذها ابنه أورخان عاصمة له[٣]، وقبره كائن إلى اليوم في حي «طوبخانه».

كما أنه رأى نظام الأخية وهي روابط تربط كل طائفة من الحرفيين، بمنزلة النقابات في زماننا المعاصر، وكان لكل طائفة رئيس، ولها نظام وهيئة، وقوانين وأعراف، كما كان ينضم لكل طائفة أحد مشايخ الصوفية في المنطقة ليؤسسوا جميعا رابطة تجمع روابط الأخوة الإسلامية بين أفراد كل حرفة، وأعجب بهم ابن بطوطة وتحدث عنهم ونقل إلينا أفعالهم في رحلته[٤].

ولا يخفى على الباحثين أهمية هذه المعلومات الصغيرة في تاريخ ناشئ كثير منه غير موثق نلمح فيه النسج الشعبي الأسطوري المضطرب، بخلاف الاتهامات التي توجه من حين لآخر لهم. فهذه شهادة معاصر رأى بنفسه ولم يسمع من غيره.

وعلى الباحث أو المؤرخ أن يدرس بعناية الرحلة التي تغطي العصر الذي يكتب فيه أو القطر الذي يؤرخ عنه، بل عليه أن يداوم على مطالعة مثل هذه الكتب ليصل بسهولة إلى مظانه التي يبحث عنها.

وهناك الكثير من الرحالة الأجانب الذين جابوا منطقتنا العربية من القرن السابع عشر إلى أوائل العشرينيات، والواقع أنه لا يمكننا تفريغ مضمون رحلات هؤلاء الأجانب من مضمونها السياسي والاستعماري، فإذا كان سلفنا المسلم لا يقصد من رحلته إلا العلم خالصا لوجه الله، فإن رحالة العصر الحديث ومكتشفيه من الأوروبيين -وإن كانوا قد أدوا للعلم الجغرافي والتاريخي فائدة غير منكورة-لهم أغراضهم السياسية والاستعمارية، وتبعيتهم لجمعيات لا تخفي دورها الاستعماري قد شوهت جهدهم العلمي، وكان لزاما على الباحث أن يتحرز فيما ينقله عنهم في بعض الأحيان، خاصة في مجال تفسيرهم للأحداث ووصفهم للمعتقدات، وعلى الرغم من علمهم الذي لا ينكر فقد يجهلون العادات والتقاليد المحلية فيفسرونها تفسيرا خاطئا، وقد يكون هذا التفسير مغرضا أيضا. مثال ذلك:

الرحالة الأوروبي الذي جاب غرب أفريقيا «منجو بارك»، وكانت إحدى رحلاته سنة: (١٧٩٥م) تحت عنوان: «ملك الوولي» (The King of wooli).

فهو يقول: «كانت المدينة (Medina) هي عاصمة مملكة وولي (Wooli) والمدينة كلمة عربية تعني بالإنجليزية city ولم يكن الاسم شائعا بين الزنوج، ويحتمل أن يكون المسلمون هم الذين أدخلوه».

لاحظ هنا إصرار «منجو» على الفصل بين الزنوج والمسلمين، إنه يتحدث عنهم كعنصرين مختلفين، وكأنما لا زنوج مسلمون، ولا مسلمون زنوج، ثم لاحظ قوله: إن الاسم غير شائع بين الزنوج، كيف ذلك مع أنها عاصمة مملكة؟ أما كون اسم (المدينة) من أصل عربي وأنه أتى في ركاب المسلمين، فهذا أمر لا يدعو للظن أو الشك، ثم يستمر مانجو بارك، قائلا:

«لقد حططت رحالي في المدينة، وهي واسعة، ويحيط بها سور من الطين مرتفع، وذهبت بعد الظهيرة لتقديم الاحترام للسلطة (الملك)، ولأسأله السماح لي بالمرور عبر بلاده إلى بوندو (Bondou)، ولقد ألقيت التحية على الملك باحترام وأخبرته عن أسباب زيارتي، وقد أجابني الملك قائلا: أنا لا أعطيك فقط حق المرور بل سأقدم لك بركاتي وتمنياتي بالسلامة، وعندئذ شرع واحد من المرافقين لي في الغناء أو بالأحرى في الزئير، فقد كان صوته قويا غير جميل، وقد كانت أغنيته بالكلمات العربية، وعند كل مقطع من الأغنية كان الملك نفسه وكل المحيطين به يضربون بأيديهم على جباههم، ويرددون بخضوع وتأثر شديد: آمين.. آمين».

من الواضح أن الرجل يدعو الله، ومن الواضح أن الملك ومن حوله يؤمنون على الدعاء، ومن الواضح أن الكلمات العربية خاصة كلمات الدعاء مفهومة من الملك، ومن الواضح أن الملك مسلم، وبالرغم من كل هذا فإن منجو بارك يعلق قائلا: «إن الملك لم يكن بالتأكيد مسلما»، ولم يذكر لنا منجو بارك مصدر تأكيده هذا، ويستمر قائلا: «وربما فعل الملك ذلك لأن نفسه خيرة وطيبة»[٥]!

تعليل غريب، والغرض واضح، لقد أحال منجو بارك تمنياته بألا تكون هذه المناطق على الإسلام، إلى تقرير خالف به الواقع.

هذا مجرد مثل يجعل الباحث يخضع كتب الرحالة الأوروبيين للنقد أو التقويم قبل الأخذ عنها.

الهوامش

١- «تاريخ الدولة العثمانية» يلماز أوزتونا (ص: ٩١).

٢- رحلة ابن بطوطة (٢/ ١٩٧) أكاديمية المملكة المغربية- الرباط (١٤١٧هـ).

٣- رحلة ابن بطوطة (٢/ ١٩٨).

٤- رحلة ابن بطوطة (٢/ ١٦٣)، وانظر: كتابنا «عثمان بن أرطغرل» (ص: ١٦٣-١٦٥)، دار مبدعون للنشر والتوزيع، (١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م).

٥- Park. Mungo: Travels in the interior districts of Africa, 5th ed London, 1807. PP20-25.

نقلا عن: المدخل إلى علم التاريخ، د. عبد الرحمن الشيخ، (ص: ١٠٤، ١٠٥).

د. محمود أحمد هدية
باحث ومحاضر في الحضارة الإسلامية



طريقة ابن عبد الوارث

تعليم المكفوفين في الحضارة الأندلسية

أولت المجتمعات القديمة اهتماما كبيرا لأولي الكمال البدني والأسوياء صحيا، لتطلب طبيعة الحياة اعتماد الفرد على قوته البدنية في أداء الأعمال المتعلقة بالزراعة والبناء والحرف المختلفة. وتربية المعاقين بصريا في المجتمعات القديمة مرت بحالة بؤس وشقاء، حيث خرج المكفوفون إلى الشوارع والأسواق طلبا للإحسان حتى أصبح التسول مهنة لهم يعيشون منها.

لذا كان للديانات السماوية تأثير كبير في الاتجاه نحو المكفوفين، فنادى رجال الدين من المسيحيين القدامى برعاية المعوقين والمرضى، وعند ظهور الديانة المسيحية، التي دعت إلى رعاية الإنسان والاهتمام به بصورة عامة، تغيرت معاملة المجتمعات للمكفوفين، وأصبحت أكثر إنسانية، وإن ظلت مدة طويلة تتسم بالطابع السلبي. بينما في العصور الوسطى اتسم وضع المكفوفين بالرحمة والشفقة التي تدعو إليها المسيحية ووضعوا في ملاجئ خاصة ملحقة بالأديرة والكنائس، فكانوا يطعمون وينامون فيها، ومع ذلك فقد كانت أوروبا المسيحية في العصور الوسطى لا تعمل على رعايتهم -في بعض الأوقات- بزعم أن كف البصر عقوبة إلهية، وما دامت هذه رغبة الإله فيجب عدم رعاية المكفوفين[٢].

وبمجيء الإسلام بمبادئه وقيمه السامية وأسسه التربوية، انطلق المجتمع الإسلامي ليضع أسسا ومبادئ لحياة جديدة للبشرية كافة، لذلك فإن المعوقين والضعفاء والمرضى أعطوا حقوقا تساندهم في حياتهم وتشعرهم بكرامتهم، ومن هذا المنطلق أكد الإسلام على مبدأ العدالة والمساواة وجعله من العقائد الأساسية التي يجب أن يدين بها المسلم فيقول الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (الزمر:٩)، كما أوجب الإسلام على ضرورة العلم والتعليم باعتباره فريضة إلهية وضرورة إنسانية، فالعلم النافع هو الأساس في بناء الإنسان الصالح، واعتبر الإسلام أن الإنفاق على العلم وطلبه أحد وجوه البر والمعروف، فتسابق كل من يستطيع إلى توفير مقوماته مع السعي في طلبه كي يتيح فرص التعليم للآخرين، كما أعطى

المجتمع لطلاب العلم كل الرعاية والتقدير، وهذا ما يعتبر تحقيقا لتكافؤ الفرص التعليمية في الإسلام. ونبع اهتمام المجتمع الأندلسي بالعلم بوجه عام من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باعتبارهما الأصلين اللذين قامت عليهما العلوم الدينية، كما كان للقدوة الحسنة من الصحابة والتابعين أثرها في نفوس الأندلسيين، في ترسيخ محبتهم للعلم والرغبة في نشره، فلو أحد منهم يطلب العلم لا لكي يحصل على عائد مادي أو جاه اجتماعي بل بباعث من نفسه متفرغا له، وباذلا الغالي في سبيله[٣].

وما كان لهذا النظام التعليمي أن يتجذر في المجتمع الأندلسي لولا المناخ العام الذي حقق فرصا من المساواة في المجالات الحياتية المختلفة، والتي نبعت في الأساس من إرادة المجتمع الذي سعى لتحقيق العدالة الاجتماعية رغبة في نمائه، ومن هذا المنطلق هدف مبدأ تكافؤ الفرص للتساوي في الحقوق والحريات، وفتح آفاقا رحبة للرغبة في تقليص التفاوت، وتقليص العدم كعدم المساواة وعدم الحرية وعدم الكفاية أملا في تساوي الشروط والأحوال وإتاحة الفرصة لغير القادرين من غير الأسوياء من المعاقين، خصوصا مكفوفي البصر، ليتمكنوا من تعويض ما فقدوه بأن يتحصلوا على فرصة تعليمية تمكنهم من المشاركة في المجتمع أو الحصول على وضع اجتماعي أفضل.

تعليم المكفوفين في الأندلس

فتح الإسلام مجالا رحبا لذوي الاحتياجات الخاصة للمشاركة في بناء المجتمع؛ ليندمجوا فيه ويقدموا ما يستطيعون فعله، وفق إمكاناتهم البدنية، وقدراتهم الحسية والحركية؛ واعتبر التعليم وأموره من بين أكثر الأنشطة الملائمة لهؤلاء، فلم يقتصر تلقي التعليم على الأسوياء من أبناء المجتمع الأندلسي، ولكن امتدت فرص التعليم لأولئك الراغبين والطامحين من المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة في تلقي تعليمهم وتعويض ما فقدوه من حواس أو أطراف بأن يبرزوا في المجال العلمي، وأحيطت تلك المشاركة بمباركة فئات المجتمع بكافة طوائفه، فضلا عن رعاية هؤلاء والعناية بهم من قبل السلطة عن طريق إنشاء المعاهد التعليمية التي تهتم بهم وتؤهلهم للمشاركة الفعالة في المجتمع، بمنحهم حقوقهم كاملة، وإفساح فرص العمل والمشاركة أمامهم، وتأمين الحياة الكريمة لهم، وعدم إهمالهم وتركهم عرضة لنبذ المجتمع، وتذخر كتب التراجم والسير والمناقب لعدد من أولئك الذي عملوا كمعلمين أو مؤدبين سواء للخاصة أو العامة من أبناء الأندلس ممن دفعتهم الإعاقة إلى التعلم رغبة في تحسين أوضاعهم، خصوصا من كف بصرهم، فتشير المصادر التاريخية لعدد من كبير ممن امتهنوا مهن التعليم أو استطاعوا التدرج في مستوياته، فنجد علي بن يوسف بن محمد، فبعد أن كف بصره نظير عمله في التجارة تفرغ لطلب العلم، حتى نبغ في النحو، ومن ثم بدأ في تدريسه وفي الإقراء فجمع مالا كبيرا «كان في صباه نجارا فلما أضر أقبل على العلم... وأقرأ العربية والقراءات»[٤]، كما نجد أن محمد سليمان الأنصاري كان مكفوف البصر، عمل مؤدبا للنحو[٥]، فضلا عن محمد بن بهلول، من أهل بطليوس، والذي كان ضرير البصر، إلا أنه كان متقدما في الآداب حسن القيام بها، مشاركا في النحو، أدب العديد من فئات المجتمع، حيث أدب في يناشتة للعامة، وبأقليش لبعض ولد خدمة السلطان[٦]، بالإضافة إلى محمد بن أحمد الأموي، سكن بمالقة، والذي كان ضريرا وعمل مقرئا متصدرا ببلده[٧]، وأيضا محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص النفزي، من أهل شاطبة، كان ضريرا، وعرف عنه أنه من أهل المعرفة بالقراءات وطرقها، تصدر ببلده للإقراء[٨]، بالإضافة إلى أحمد بن صالح المخزومي، من أهل قرطبة فكان «مكفوف البصر نفعه الله، ومن أهل الذكاء والمعرفة بالقراءات والحديث»[٩].

والفرص المتكافئة للمعاقين في الأندلس لم تقتصر على الحصول على قدر من الاستفادة التعليمية، ولكن لابد أن يحاط ذلك بمجموعة من المقومات بوجود معلمين مهيئين وطرق تدريسية متنوعة تناسب كل طالب ومدى احتياجه، والذي يشمل ذوي الاحتياجات الخاصة بكافة إعاقاتهم واحتياجاتهم، والذين قد تختلف مطالبهم واحتياجاتهم نظرا لنوع الإعاقة التي يعانون منها، لذلك سعى المجتمع الأندلسي للوقوف على احتياجاتهم وتوفير كل ما يلزم لاستغلال إمكاناتهم وقدراتهم، فلم يتوقف دعم المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة عند التشجيع على طلب العلم وتوفير فرص مناسبة



لهم، ولكن ينسب إلى الأندلس في هذا الإطار ابتكار طريقة لتعليم مكفوفي البصر باستخدام بعض الأدوات سبقت المعروفة حديثا بطريقة «برايل»، تلك الطريقة التي أسس لها لويس برايل الذي ولد عام ١٨٠٩م، وسميت طريقة برايل بهذا الاسم نسبة إليه والذي نشأ في قرية صغيرة قرب باريس، وعندما كان عمره ثلاث سنوات أصيب في واحدة من عينيه، وبعد فترة فقد البصر في عينه الأخرى، وقد اقتبس لويس برايل طريقة الكتابة المعروفة باسمه من ضابط بالجيش الفرنسي يدعى شارلز باربير، الذي قام بتصميم نظام للقراءة يتمكن بواسطته أفراد الجيش من تبادل التعليمات والأوامر المكتوبة في الظلام، ولدى معرفة برايل بهذه الطريقة صمم طريقته التي أصبحت نظاما عالميا متبعا في القراءة والكتابة لفاقدي البصر، بعد رغبته في أن يتعلم الموسيقى فابتدع الطريقة التي سميت باسمه لمعرفة النوتة الموسيقية، ثم عمم استخدامها للقراءة والكتابة في العالم أجمع. والوحدة في هذه الطريقة عبارة عن ست نقط بارزة في شكل منظم، وتبعا لعدد النقط واختلاف موقعها أمكن تمييز حروف الأغنية المختلفة، الأحرف الثلاثة الألف له نقطة واحدة، والباء نقطتان رأسيتان وهكذا.

أو تلك الطريقة التي ابتكرها العالم زين الدين علي بن أحمد الآمدي الضرير (٧١٤هـ)، حيث يرجع إليه الفضل في ابتداع الكتابة البارزة كما يشير إلى ذلك الزركلي[١١]، كونه لغويا وفقيها حنبليا ووراقا وعالما في علوم اللغة العربية، وأصيب بالعمى في بداية عمره، كان أستاذا في المدرسة المستنصرية ببغداد، وله فيها غرفة خاصة به، ترجم له الصفدي في كتاب «نكت الهميان في نكت العميان» ووصفه بقوله: «كان شيخا مليحا مهيبا ثقة صدوقا، كبير القدر والسن، أضر في أوائل عمره، وكان آي عظيمة في تعبير الرؤيا، مع مزايا أخرى عجيبة، تدل كلها على عبقريته وشدة فطنته وذكائه»[١٢]، وكان يمس الكتاب أولا ثم يشرح ما فيه، وعن طريقته فقد استخدمها في توضيح ومعرفة أثمان الكتب التي يشتريها أو يبيعها، بأن يأخذ بقطعة من الورق الخفيف ويقوم بفتلها بطريقة رقيقة ثم يصنع منها حرفا أو أكثر من حروف الهجاء ليحدد بها سعر الكتاب بحساب الجمل التي شكلها الحروف ثم يقوم بلصقها على طرف جلد الكتاب من الداخل ثم يلصق ورقة رقيقة فوقه لتظل ثابتة، وحتى لو ساوره الشك في تحديد أو معرفة ثمن أي كتاب أو اختلط عليه الأمر لمس بطرف أصابعه الموضع

الذي علمه فيعرف على الفور الثمن الذي حدده لكل كتاب يعرضه للبيع في مكتبته من دون أي ظلم يرتكبه في حق نفسه أو حق الشاري. وفي هذا الإطار، يذكر لنا الصفدي عنه بقوله: «ويعرف أثمان جميع كتبه التي اقتناها بالشراء وذلك أنه كان إذا اشترى كتابا بشيء معلوم أخذ قطعة ورق خفيفة وفتل منها فتيلة لطيفة وصنعها حرفا أو أكثر من حروف الهجاء لعدد ثمن الكتاب بحساب الجمل ثم يلصق ذلك على طرف جلد الكتاب من داخل ويلصق فوقه ورقة بقدره لتتأبد فإذا شذ عن ذهنه كمية ثمن كتاب ما من كتبه مس الموضع الذي علمه في ذلك الكتاب بيده فيعرف ثمنه من تنبيت العدد الملصق فيه»[١٣].

غير أن الأندلس عرفت هذا النظام في تعليم المكفوفين بفترة طويلة تعود إلى القرن الرابع الهجري، والتي ذكرها ابن حزم الأندلسي المتوفى في ٣٨٤هـ، حيث ذكر طريقة مبتكرة سبقت غيرها حتى طريقة الآمدي سالفة الذكر والتي تعود إلى القرن الثامن الهجري، تناولها أثناء حديثه عن طريقة ذكرها والده عن محمد بن عبدالوارث والذي كان يعلم مولودا له أعمى، والذي استخدم أشكالا بارزة مصنوعة من القير[١٤] على هيئة حروف الكتاب وألمس ابنه الأعمى الأكمه إياها مفردة حتى وقف على صورها بعقله وحسه ثم ألمسه تراكبها وقيام الأشياء منها حتى تشكل الخط، ثم انتقل به إلى كيفية استبانة الكتاب والقراءة بنفسه فانتهى من تعليمه الحروف ثم الكلمات ثم الجمل إلى أن وصل به للقراءة، وإذا كانت هذه الطريقة في تعليم الأعمى قد نجحت لحد أنها رفعت عنه غصة عظيمة ولم يستعص عليها إلا إدراكه للألوان[١٥]، وهو ما ذكره لنا ابن حزم في «التقريب لحد المنطق والمدخل اليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية» حيث يقول: وأعلم أنه ليس على المرء أكثر من نصر الحق وتبيينه ثم ليس عليه أن يصور للحواس أو في النفوس ما لا سبيل إلى تصويره ولا ما لا صورة له أصلا كمن أثبت أن الواحد الأول لا جوهر ولا عرض ولا جسم ولا في زمان ولا في مكان ولا حامل ولا محمول فأراد الخصم منه أن يشكل له ذلك فهذا لا يلزم؛ وهذا كأعمى كلف بصيرا أن يصور له الألوان فهذا ما لا سبيل إليه، وهذا تكليف فاسد لا تنقص في العجز عنه على التكليف. وأما ما دام ذلك ممكنا فواجب على المكلف بيانه بأقصى ما يقدر عليه. ولقد أخبرني مؤدبي أحمد بن محمد بن عبدالوارث، رحمه الله، أن أباه صور لمولود كان له أعمى ولد أكمه حروف الهجاء أجراما من قير ثم ألمسه إياها حتى وقف على صورها بعقلة وحسه، ثم ألمسه تراكبها وقيام الأشياء منها حتى تشكل الخط وكيف يستبان الكتاب ويقرأ في نفسه ورفع بذلك عنه غصة عظيمة. وأما الألوان فلا سبيل إلى ذلك فيها وليس إلا بما قام به البرهان وإن لم يتشكل في النفس أصلا[١٦].

لذا يعتبر محمد بن عبدالوارث هو السابق والمتفرد في هذا العمل، بابتكار طريقة لتعليم المكفوفين باستخدام بعض الأشكال والحروف البارزة، ليتيح لمولوده القراءة والكتابة والتعرف على الحروف والكلمات، وهو ما يجعله أول عالم مسلم يهتدي لتلك الطريقة ويسبق الآمدي في القرن الثامن الهجري.

الهوامش

١ – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ)، ترجمة (١٠٩٢٧).

٢ – ماهر محمود الهواري، شخصية الكفيف، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، السعودية، ع٥١، ١٩٨١م، ص٧٦.

٣ – المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت– لبنان، ١٩٦٨م، ج١، ص:٢٢٠–٢٢١.

٤ – السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان–صيدا، ج٢، ص:٢١٣.

٥ – ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، ص:٤٢٣.

٦ – المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حقق وعلق عليه: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م، ج٤، ص:١٥٨.

٧ – المراكشي، الذيل، ج٤، ص:٨٦.

٨ – المراكشي، الذيل، ج٤، ص:٥٢٨.

٩ – المراكشي، الذيل، ج١، ص:٣١٥.

١٠ – ماهر محمود الهواري: شخصية الكفيف، ص:٧٦.

١١ – الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م، ج٤، ص:٢٥٧.

١٢ – الصفدي: نكث الهميان في نكت العميان، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص:١٨٩.

١٣ – الصفدي: نكث الهميان في نكت العميان، ص:١٩٠.

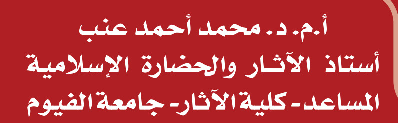
١٤ – القير والقار: لغتان وهو صعد يذاب فيستخرج منه القار وهو شيء أسود تطلى به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل ومنه ضرب تحشى به الخلاخيل والأسورة، وقيرت السفينة طليتها بالقار، وقيل: هو الزفت. ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص:١٢٤.

١٥ – محمد أحمد الشافعي: الكناشة الأندلسية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ع٢، مدريد، ١٧، المجلد الثاني، ص:٣٤.

١٦ – ابن حزم: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة – بيروت الطبعة الأولى، ١٩٠٠م، ص:١٩٢.



أ.م.د. محمد أحمد عنب
أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية
المساعد - كلية الآثار - جامعة الفيوم



الفراهيدي وملامح من إبداع الحضارة الإسلامية



لقد برز في تاريخ الحضارة الإسلامية علماء أعلام تركوا بصمات عظيمة في صرح الحضارة الإنسانية بفضل ما قدموه من إبداعات واكتشافات غيرت مجرى التاريخ في شتى المجالات؛ ويعتبر العالم المسلم الخليل بن أحمد الفراهيدي أحد أشهر العلماء الموسوعين في تاريخ الحضارة الإسلامية؛ فقد كان واسع الثقافة والاطلاع غزير العلم والمعرفة، وهو علامة فارقة في تاريخ اللغة العربية؛ إذ يعتبر المؤسس والرائد الأول لعلم العروض والقافية والنحو وعلم الصوتيات في اللغة.

ترجمة حياة العالم المسلم الخليل ابن أحمد الفراهيدي؛ هو الكامل أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ابن عمر بن تميم الفراهيدي أو الفرهودي الأزدي اليحمدي المنتسب إلى بطن فرهود من قبيلة الأزد العمانية، ولد عام: (١٠٠هـ/٧١٨-٧١٩م) في عمّان الأردن بشبه الجزيرة العربية، ثم رحل مع والده إلى البصرة والتي كانت يومئذ معقلا للعلوم والمعرفة وموئلا للعلماء، فاغترف الفراهيدي المعرفة والعلوم من معينها الذي لاينضب؛ فأخذ اللغة عن أستاذ القراء واللغويين أبي عمرو بن العلاء التميمي (ت: ١٥٤هـ/٧٧٠م)، والنحو عن عيسى بن عمر الثقفي (ت: ١٤٩هـ/٧٦٦م) وأخذ الحديث عن المحدث عاصم بن سليمان الأحول، والتفسير عن عبد الله ابن كثير وغيرهم، وقد أثرت هذه النشأة على شخصيته وحبه لعلوم اللغة، وقد ورد عنه هذه الأبيات:

العلم يذكي عقولا حين يصحبها
وقد يزيدها طول التجاريب
وذو التأدب في الجهال مغترب
يرى ويسمع ألوان الأعاجيب

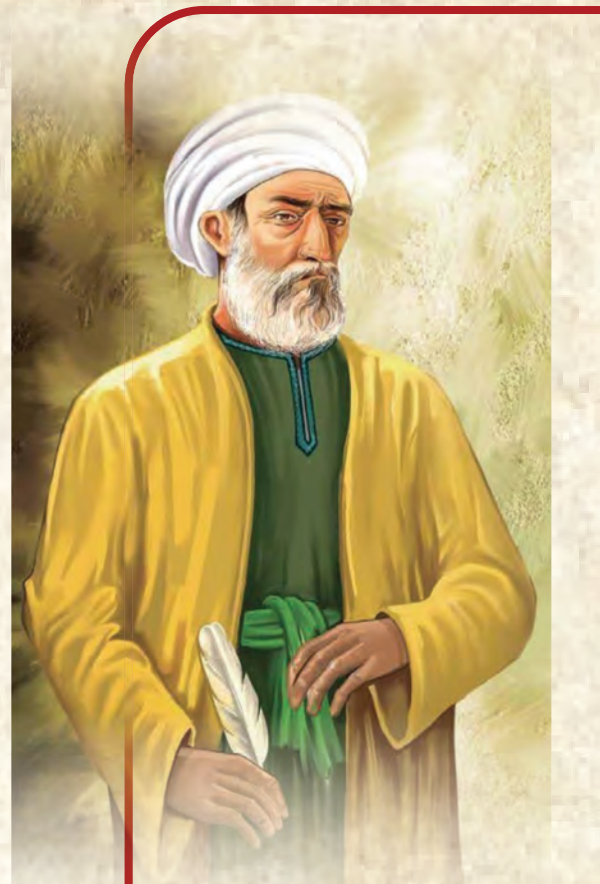
وسرعان ما أصبح الفراهيدي عالما معروفا في حقول كثيرة من المعرفة كاللغة والنحو والشريعة والرياضيات والموسيقى والشعر، وصار شيخ المدرسة البصرية وتتلمذ على يديه علماء بارزون كثيرون لعل أشهرهم عمرو بن بشر المعروف بسيبويه (ت: ١٨٠هـ) وعبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي (ت: ٢١٦هـ)

والنضر بن شميل (ت: ٢٠٣هـ) وغيرهم[١].

الفراهيدي صاحب أول معجم لغوي؛ ينسب إلى الفراهيدي ابتكار فكرة المعاجم اللغوية بوضعه كتابه الشهير بـ (العين)؛ والذي يعتبر النواة الأولى للمعاجم المتخصصة، وهو أول معجم حاول فيه الفراهيدي تدوين كلام العرب، ولم يقتصر على سرد الألفاظ واستخلاصها ولكنه بين الدخيل منها والمعرب والمستعمل والمهمل والضعيف والغريب والعالي من الكلام وغير ذلك، واتبع الفراهيدي في تصنيف هذا الكتاب منهجا رياضيا؛ حيث تميز الفراهيدي بعقلية رياضية فذة، فاتبع منهجا جديدا عرف بالاستقراء الرياضي وإيجاد البذور الأولى لنظرية المجموعات، وقد مكنته عقليته من استخدام نظرية التباديل والتوافيق في تأسيس الدوائر العروضية، فقام برد الكلام إلى جذورها؛ وهو بذلك يعتبر أول من وضع فكرة الجزر؛ وهو أن كل كلمة في اللغة العربية لابد أن ترد إلى ثلاثة أحرف أساسية، واستطاع الفراهيدي من خلال هذه العملية الحسابية أن يحصر جميع كلمات اللغة العربية متدرجة من الكلمات ذات الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية، وهذه الطريقة تعرف بنظام التقليبات وهي أن يتم تقليب الكلمة على كافة الوجوه الممكنة لها؛ فالكلمة الثنائية لها وجهان والثلاثية لها ستة أوجه والرباعية لها أربعة وعشرون وجها والخماسية لها مئة وعشرون وجها وهكذا، ويتميز كتاب العين بحسن النظام والترتيب المبني على وعي الفراهيدي ومعرفته بلغة العرب، فأصبح المعجم يضم ثروة لغوية علمية هائلة، وقد أحدث هذا المعجم ثورة علمية كبيرة بما أثاره وحواه من مواد علمية وبما ابتعه من طريقه ومنهج في إحصاء واستقصاء كلام العرب، ومنذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا وحركة تصنيف المعاجم تدين للخليل بن أحمد بالسبق والريادة.

ويعتبر معجم العين مرجعا مهما للأنثروبولوجيا الاجتماعية؛ حيث يلقي الضوء على مصطلحات الحياة الإجتماعية والثقافية في الجزيرة العربية، كما أنه يلقي الضوء على الأمراض التي كانت موجودة آنذاك كالبرص واستطلاق البطن والعشي في العين والجذام وغيرها، ولذلك يعتبره المؤرخون من أقدم المعاجم الطبية التي تحصر وتصنف الكثير من الأمراض وأسمائها وصفاتها[٢].

الفراهيدي، مؤسس علم العروض، يعتبر الفراهيدي أول من وضع أسس علم العروض، ويعرف علم العروض بأنه: (مجموعة القواعد الدالة على الميزان الدقيق الذي يعرف به صحيح أوزان الشعر العربي من فاسدها)، وسمي بذلك لأن الشعر يعرض فيه مفصلا، كما قيل إن الفراهيدي سمى هذا العلم كذلك تبركا



بمكة المكرمة إذ إن العروض من أسمائها، وقد كتب هذا العلم في مكة، ويهدف علم العروض إلى معرفة نوع البحر الذي ينتمي إليه البيت الشعري، ويعرف البحر بأنه الإيقاع الموسيقي للشعر، ويقابل هذا المفهوم مصطلح الأوزان الشعرية.

وعن سبب تأليف الفراهيدي لعلم العروض؛ فيروي المؤرخون أنه كان يحج بيت الله الحرام ذات مرة، وكان أحد صانعي الأواني النحاسية يعمل دكانا تحت الغرفة التي ينزل فيها، وأراد الخليل أن يخلو للنوم وقت القيلولة فأخذ الرجل في طرق النحاس بدقات منتظمة فأقلقه ومنع عنه النوم إلا أن إيقاع المطرقة ذات الضربات الإيقاعية المنتظمة وهي تهوي على السندان قد استهوت الفراهيدي لانتظامها بطريقة مطردة فأخذ يضم الدقات إلى

بعضها في مجموعات مكنته أن يؤلف منها جملا موسيقية خرج منها بالتفعيلات التي كانت أساسا لبحور الشعر المختلفة[٣].

وقد حصر الفراهيدي بحور الشعر في خمسة عشر بحرا، ثم أضاف تلميذه الأخفش البحر السادس عشر وهو البحر المتدارك، فأصبح للشعر ستة عشر وزنا، يسمى الوزن الواحد منها بحرا، وأصبحت طريقة الفراهيدي ومنهجه في تقطيع الشعر العربي من الطرائق المعترف بها، وبقيت تتمتع بمكانتها العروضية العلمية حتى وقتنا الحاضر، وأصبحت الأساس في العروض الفارسي والأردي والتركي.

الفراهيدي؛ مؤسس علم الصوتيات، يعتبر الفراهيدي أول من درس علم أصوات العربية دراسة علمية منهجية مبنية على الاستقصاء الدقيق والاستقراء الواسع؛ وعلم الصوتيات Phonetics هو أحد فروع علم اللغويات linguistics، ويعنى بالجهاز الصوتي ومخارج أصوات الكلام الإنساني وتبويبها، فهو يركز على دراسة الأصوات الكلامية وكيفية إصدار الأصوات، وقد استطاع الفراهيدي أن يحدد مخارج الحروف، ورسم صفاتها المختلفة من الجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، والاستعلاء، والإطباق، والانفتاح، والإذلاق، وحدد أن عملية الكلام وإصدار الأصوات تنشأ من خلال تفاعل مجموعة من أعضاء الجسم، بدء



من الشفاه واللسان والأسنان وانتهاء بالحنجرة والحبال الصوتية.

فالفراهيدي هو أول من استطاع أن يفلسف كيفية إنتاج الصوت الإنساني؛ ولم يهتم فقط بكيفية نطق الحرف وإنما بمخرج الحرف وأن لكل حرف مخرج وله صفة، فالمخرج هو مكان الخروج، أي المكان الذي يحدث فيه انقطاع وتوقف الهواء إما توقفا كاملا أو توقفا محدودا، وقد وجد الخليل ضالته في التقسيم الصوتي ليتخذ منه معيارا وأساسا يبني عليه ترتيب مادته الأدبية في معجمه العين، ورأى أن يكون ترتيب الكلمات في المعجم على مخارج الحروف ومواقعها من الجهاز الصوتي بادئا بحرف العين وبه سماه، وعلى ضوء هذا العمل الجليل استطاع أن يقدم للدراسات اللغوية مادة صوتية غزيرة[٤].

الفراهيدي والكتابة العربية

كان للفراهيدي دورا كبيرا في تطوير الكتابة العربية وتأسيس علم النحو الذي تطور على يد تلميذه سيبويه، فالكتابة العربية قبل تطورها كانت عبارة عن أحرف لا يوجد فيها نقاط ولا يوجد فيها أي ضبط، وكان على القارئ أن يفهم المعنى من سياق الكلام، ولذا كان لابد من وجود ضوابط كتابية تستطيع أن تجعل اللغة العربية ميسرة للعربي وغير العربي، ويعتبر أبي الأسود الدؤلي (ت: ٦٩هـ) أول من فكر في ضبط الإعراب، وجاء من

بعده تلميذه نصر بن عاصم الليثي (ت: ٨٩هـ) واخترع النقاط التي تميز الحروف بعضها عن بعض وسمي هذا إعجام الحروف، واستطاع الفراهيدي بعقليته العلمية الفذة بعد وجد أن هناك لبس كبير بشكل النقاط الكثيرة، ووضع الشكل النهائي للكتابة العربية ممثلة في الضمة والفتحة والكسرة والشدة والسكون والهمزة وبهذه التعديلات والإضافات التي أدخلها الفراهيدي على الكتابة العربية تيسرت القراءة، فهو الذي وضع صورة مكتملة للكتابة العربية.

وللفراهيدي جهود كبيرة في وضع قواعد وأصول النحو العربي ومصطلحاته من خلال الآراء التي نقلها عنه تلميذه النجيب سيبويه في كتابه الشهير المسمى بـ (الكتاب)، والجدير بالذكر أن علم النحو يشمل علم الصرف، والبلاغة وفروعهما، وما يتبعهما، وكان من أسباب وضعه لعلم النحو هو الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والتحريف، وضبط قراءته بالصورة التي نزل بها، ويرى المؤرخون أن الفراهيدي بجهوده المتميزة، كان المعبر الذي انتقل به النحو العربي إلى مرحلة لها سماتها وخصائصها، وكان أثره في جميع النحاة من بعده كبيرا، ولذا فيقول عنه المستشرق الألماني الشهير كارل بروكلمان: (إن الخليل هو المؤسس الحقيقي لعلم النحو العربي الذي وضعه سيبويه في كتابه بعد أن تلقاه عنه).

إنتاجه العلمي ومؤلفاته: كانت للفراهيدي العديد من المؤلفات المتنوعة في الكثير من المجالات ففي اللغة والشعر: كتاب العين وكتاب العروض وكتاب النقط والمصاحف، وفي الموسيقى كتاب الإيقاع وكتاب النغم، وكتاب المعمي في فن الألغاز.

قالوا عنه: أشاد العلماء بعلمه ونبوغه وعبقريته، وأخذوا يلهجون بالثناء عليه وأعجب به المستشرقون وأشادوا بفضله على اللغة العربية ونبوغه في خدمة اللسان العربي، ويجمع المؤرخون أن الله وهبه ذكاء خارقا وفطنة كانت مضربا للمثل في عصره فضلا عن زهده وتدينه، فيقول عنه شيخ الإسلام سفيان الثوري: (من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد)، وقد أشاد به عبد الله بن المقفع صاحب كتاب كليلة ودمنة بقوله: (إن الخليل كان عقله أكبر من علمه)، ويقول عنه السيوطي في كتابه المزهر في علوم اللغة: (أوحد العصر وقريع الدهر، وجهبذ الأمة، وأستاذ أهل الفطنة، الذي لم ير نظيره، ولا عرف في الدنيا عديله)، وقال عنه الإمام الذهبي أنه: (كان إماما كبير القدر في لسان العرب خيرا متواضعا فيه زهد وتعفف ورعا قانعا متواضعا كبير الشأن وكان متقشفا متعبدا)[٥]، ولا يوجد في علم العربية من يستحق تعبير (أول من) مثل الخليل؛ فهو أول من وضع معجما للغة العربية، وهو أول من وضع علم العروض والقافية، وأول من وضع صورة مكتملة ناضجة للكتابة العربية نسير عليها حتى الآن.

وأخيرا، لقد مثل الفراهيدي مرحلة مهمة ومتميزة في تاريخ الفكر العربي والإسلامي، فأسدى للعربية بفكره وعلمه جهودا بارزة، واستطاع بعقله الفذ، ومواهبه المتعددة أن يحفر اسمه بارزا بأحرف من نور في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية التي تدين له بما أسس فيها من علوم ومعارف وبغزارة إنتاجه العلمي والأدبي ومؤلفاته المتنوعة؛ فرحم الله الفراهيدي الإمام العالم الموسوعي.

الهوامش

١- ابن خلكان، وفيات الاعيان، القاهرة، (١٩٦٩م، ج٢، ص: ٢٤٨).

٢- عليان بن محمد الحازمي، العلل والأمراض في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، (ع٢٢، ٢٠٠٣م، ص: ٥٨٢-٦٢١).

٣- جاد السيد عبد اللطيف، نظرات حول حياة الخليل بن أحمد الفراهيدي الإجتماعية والعلمية، مجلة العلوم الإسلامية واللغة العربية، (ع٢، ٢٠١٦م، ص: ٢٣٩-٢٥٤).

٤- التواتي ابن تواتي، الخليل بن أحمد الفراهيدي منظرا نحويا وعنايته بالقراءات وتوجيهها النحوي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، (مج١، ع١، ٢٠٠٥م، ص: ١٤٨-١٨٨).

٥- نذير طيار، عبقرية الفراهيدي في ميزان الرياضات المعاصرة، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، (مج١٦، ع٢، ٢٠٢٠م، ص: ٩٧-١٠٨).

حسن عباس
محرر صحفي



«خير قائد»

الإدارة هي فن قيادة الآخرين، وفقه التعامل مع الغير، والإدارة الناجحة يلزمها قائد على دراية تامة بكل الأمور حوله.. ولا تتوقف على العمل فقط، لكنها تتشعب في كل نواحي الحياة.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة لنقتبس من حياته فنون الإدارة على وجه الخصوص في قيادة الآخرين على الأسس التي رسخها الإسلام، وفي الرفق والتعاون والمؤاخاة، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة:٢).

ونرى ذلك من خلال مواقفه ﷺ مع أهله وأصحابه، فكل موقف فعله النبي ﷺ كان يرسخ مبدأ جديدا في كيفية إنجاز وإدارة الأعمال بنجاح وتميز وإنصاف دون إهدار حقوق الغير، ودون انتقاص من قدر الآخرين أو التقليل من المهام الموكولة لهم، وكان يقسم المهام كل حسب قدرته وطاقته وإمكاناته، فكان له ﷺ أكبر الأثر في توجيه صحابته وتحفيزهم على العمل بكفاءة.

وكانت حياة الرسول ﷺ ومراحل سيرته المختلفة تسير وفق إدارة مبنية على معرفة الواقع وتوقع المستقبل والتشاور والأخذ بالرأي الأنسب، وما كانت حياته منذ بداية الدعوة وحتى وفاته إلا وفق إدارة محددة وخطط مدروسة، فقد كان ﷺ رأس المجتمع المسلم منذ بداياته الأولى في مكة المكرمة، وحين قامت دولة الإسلام في المدينة كان ﷺ يدير شؤونها بنفسه ويرأس الدولة ومسؤولياتها الدنيوية ويسوس أمورها المختلفة ويكلف غيره من الصحابة بمسؤوليات محددة وبطريقة منظمة.

ونحن نلاحظ التخطيط المسبق في كل غزوة وحادثة من حوادث السيرة مثل غزوة بدر وغزوة الأحزاب، وخيبر، وفتح مكة وغيرها من الوقائع والسرايا المختلفة في السيرة النبوية.

ومن أكبر الشواهد على ذلك أنه ﷺ خطط لتحصين المدينة وحفر الخندق وقام بتخطيطه ورسمه بنفسه على الأرض بعد التعاون وأخذ رأي الصحابة من حوله، وحدد مواقع الحفر ومسير الخندق وأدار العمل مع الصحابة فيه يدا بيد لتقوية دفاعات المدينة ضد أعدائها، كما أنه خطط لحشد كل الطاقات العسكرية البشرية لصد هجمات الأحزاب وأدارها بنفسه.

كما أن الرسول ﷺ حينما بايعه الأنصار بيعة العقبة الثانية طلب منهم أن يخرجوا له نقباء من بينهم ليكونوا مسؤولين عن الآخرين لتلقي الأوامر ومتابعة التنفيذ كل فيما يخصه، وهذا عمل إداري دقيق، كما أنه ﷺ كان حريصا على الترتيب والتنظيم باستمرار وكانت أوامره في هذا الجانب قوية وواضحة، في أمور العبادة والجهاد وما يترتب على ذلك من أمور أخرى.

ومن ضمن الإدارة النبوية للجوانب العسكرية كان الرسول ﷺ يبعث الجيوش والسرايا المختلفة ويكلف أحد الصحابة بإمارتها وقيادتها، وكان يتخذ الاحتياطات المختلفة حتى لا يشعر

منصب الإمارة والقيادة والمسؤولية، فنرى كيفية تخطيطه واحتياطه في غزوة مؤتة، فقد استخلف رسول الله ﷺ على جيش مؤتة زيد بن حارثة، ثم قال: «فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلا فليجعلوه عليهم»، وبالفعل فبعد أن استشهد ثلاثتهم اختار الصحابة خالدا بن الوليد، ولعل تصرف الصحابة في اختيار خالد أكبر دليل على نجاح الرسول ﷺ في تربية أصحابه على النظام والمسؤولية وألا يتركوا أماكن المسؤولية شاغرة دون قيادة.

وعرفت الإدارة في عهد الرسول ﷺ تقسيم العمل واستخدم الأدوات التي تساعده على ذلك، حيث جعل لكل واحد من الصحابة عملا معينا يقوم به، فكان يعتمد على ذلك:

- أولا في «التخطيط»: حيث كان يعتمد على الترتيب والمرونة ووضع الخطط وإيجاد البدائل، والنظر إلى المستقبل، نستشعر ذلك في قوله لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»[1]، وهذا ينطبق على الأمور الحياتية عموما بدءا من البيت الصغير وحتى الدولة الكبيرة. وكذلك قوله ﷺ للأعرابي الذي ترك ناقته عند باب المسجد دون أن يعقلها: «اعقلها وتوكل»[2]، وهذا درس للإداري المسلم بأن يحتاط ويخطط ويأخذ بالأسباب، ثم يربط ذلك كله بالتوكل على الله.

- ثانيا «التنظيم»: وهو في تحديد الهيكل الذي تنتظم فيه علاقات السلطة والمسؤولية، فقد قال الله عز وجل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ (الزخرف:٣٢). وهذا مثال واضح غاية في التنظيم، ويعتبر هذا الكيان متغيرا لابد من إعادته ليتلاءم دائما مع المتغيرات الداخلية والخارجية.

- ثالثا «التوجيه»: وهو القدرة على إرشاد الصحابة وتوجيههم مع إيجاد روح التعاون والود والانتماء للعمل، والإسلام اعتنى بهذه النقطة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩). وهذا توجيه أعلى للقائد والحاكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة:٢٣٧). وهذا توجيه عام للمحكومين والعامة.

- رابعا «الشورى»: كما قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:٣٨)، فكان رسول الله ﷺ يستشير صحابته في أمور فاصلة، ويأخذ بالرأي الأسلم بكل تواضع ورحابة صدر.

- خامسا «حسن التعامل مع الكفاءات»: فكان الرسول ﷺ يجيد مهارة اكتشاف المواهب في أصحابه، وصقلها بالتجربة والممارسة العملية، وكان يحسن استغلال الطاقات، وتوزيع المسؤوليات بين أصحابه، كل فيما يحسنه، مع إعطائهم الصلاحيات اللازمة للعمل، وعدم إسناد كل المهمات لرجل واحد فيؤدي إلى فشله وانقطاعه عن العمل.

- سادسا «الرقابة»: وهي عملية مقارنة الأعمال السابق تخطيطها مع المنفذ فعلا واتخاذ الإجراءات التصحيحية لعلاج الانحرافات إن وجدت، فبعد التطبيق الكامل يأتي دور التأكد من أن تنفيذ الأهداف المطلوب تحقيقها في العملية الإدارية تسير سيرا صحيحا حسب الخطة والتنظيم والتوجيه.

ونجد هذه الرقابة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:١٠٥)، ومن السنة النبوية حديث جبريل عليه السلام: «... فأخبرني عن الإحسان؟ فقال ﷺ: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...»، وهذا من أعظم أنواع الرقابة الذاتية وهنا يتفاضل الناس فليس فقط بمقدار ما يحملونه من علوم الإدارة بل أيضا بمقدار ما يجيدونه من فنونها وأساليب تطبيقها.

ويتضح لنا أن إدارة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين تظل القدوة والمثل الحسن الذي نتعلم منه شؤون الإدارة وتسيير أمورنا وأعمالنا من أصغر بيت وصولا لأكبر مؤسسة.

المصادر

١- أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، (١٠٠٦/٣)، رقم: (٢٥٩١).



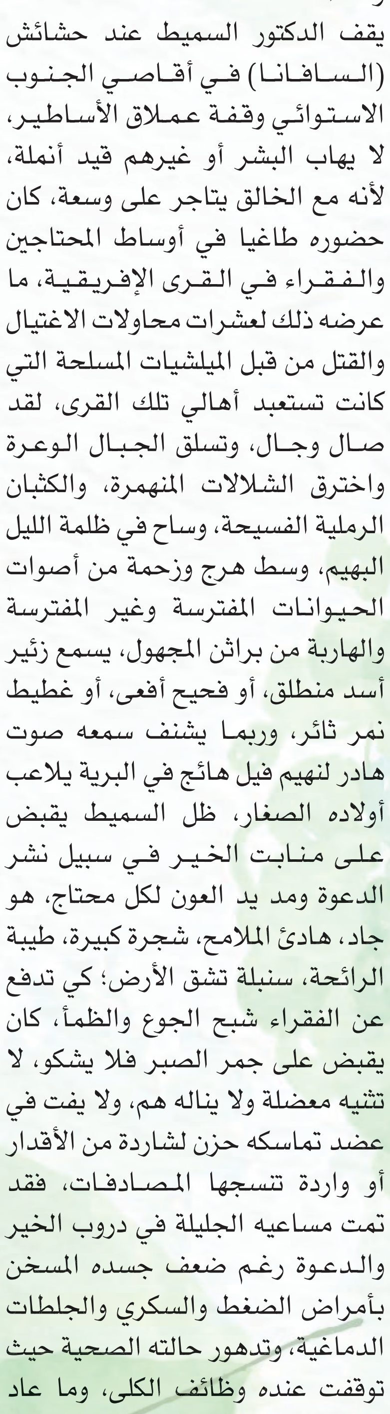
أيمن عبد السميع حسن
عضو اتحاد كتاب مصر

السميط..
سيرة عطرة في قلب التاريخ



**في تذكر أيقونة العمل الإغاثي وخادم الدعوة في القارة السمراء..
الدكتور عبد الرحمن حمود السميط..(١٩٤٧- ٢٠١٣ م)**

عاش الدكتور عبد الرحمن حمود السميط (١٩٤٧- ٢٠١٣م) جوادا بوقته وماله وأسرته في سبيل الله، حياته رسالة، فهو رجل عظيم في الخير، طلق حياة الغني والرفاهية -في دولة الكويت- ونبذ عيشة الرغد والراحة، وآثر أن يخرج إلى أدغال إفريقية، وينتقل بين بلادها الفقيرة، لا يبالي على أي فرش ينام، أو أي طعام يأكل، فيبقى على ذلك ما يقارب ثلاثين عاما، حتى تجاوز من أسلم على يديه أحد عشر مليون شخص، هو خامة نادرة من الأحجار الكريمة، كالياقوت، والعقيق، واللؤلؤ والمرجان، فإذا هو الحب كله، والعطف كله، هو بذل وتضحية وصبر وفداء..



يقف الدكتور السميط عند حشائش (السافانا) في أقاصي الجنوب الاستوائي وقفة عملاق الأساطير، لا يهاب البشر أو غيرهم قيد أنملة، لأنه مع الخالق يتاجر على وسعة، كان حضوره طاغيا في أوساط المحتاجين والفقراء في القرى الإفريقية، ما عرضه ذلك لعشرات محاولات الاغتيال والقتل من قبل الميلشيات المسلحة التي كانت تستعبد أهالي تلك القرى، لقد صال وجال، وتسلق الجبال الوعرة واخترق الشلالات المنهمرة، والكثبان الرملية الفسيحة، وساح في ظلمة الليل البهيم، وسط هرج وزحمة من أصوات الحيوانات المفترسة وغير المفترسة والهاربة من براثن المجهول، يسمع زئير أسد منطلق، أو فحيح أفعى، أو غطيط نمر ثائر، وربما يشنف سمعه صوت هادر لنهيم فيل هائج في البرية يلاعب أولاده الصغار، ظل السميط يقبض على منابت الخير في سبيل نشر الدعوة ومد يد العون لكل محتاج، هو جاد، هادئ الملامح، شجرة كبيرة، طيبة الرائحة، سنبلة تشق الأرض؛ كي تدفع عن الفقراء شبح الجوع والظمأ، كان يقبض على جمر الصبر فلا يشكو، لا تثنيه معضلة ولا يناله هم، ولا يفت في عضد تماسكه حزن لشاردة من الأقدار أو واردة تسجها المصادفات، فقد تمت مساعيه الجليلة في دروب الخير والدعوة رغم ضعف جسده المسخن بأمراض الضغط والسكري والجلطات الدماغية، وتدهور حالته الصحية حيث توقفت عنده وظائف الكلى، وما عاد بقادر على المشي، تلاشت صورته كما ضوء المحاق، فتشت عنه في سراديب جبل (كليمنجارو) وفي صحارى (كالهاري) وفي قصاع الأطعمة الفخارية المهجورة، هنا، تحنط الزمن وتوقف، وثبتت الصورة الحية، لقد رحل هذا النبع النابض الحي، الذي حمل قصعة الحياة على رأسه، رحل وترجل بعد أن ختم اسمه على فضاءات ملايين القلوب الموجوعة، وسد الفراغات الهائلة التي خلفها الفقر والجهل معا، عرف سر السعادة فنالها، كان لا يتورع أن يزحف مئات الأميال والكيلومترات متنقلا بين أصقاع الأرض، شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، تارة في الريف وأخرى في الحضر، حتى وصل إلى - كما ذكرنا آنفا- إلى أحراش إفريقية وأهوالها؛ تذوق الموت مرات عديدة، ما بين لدغة عقرب أو ثعبان، أو طلقا ناريا من كاره يخشى وجوده هنا تحديدا، هي أقدر مكتوبة، فكأن المولى أوجده هنا بقدر مكتوب عليه؛ ليحمل السلام والغوث للفقراء، بيد فيها رغيف، ويد فيها مصباح نور وكتاب، هي آياته النورانية التي تربى عليها وحفظها واستقرت في قلبه وكيانه أيضا، فسلاح الحسم في معركته ضد الفقر والجهل لم يصدأ عنده أبدا، لم يهادن أحد ولم يفر من ميدان المعركة.

كان يرقد بين ذراعيه أطفال أفارقة عرايا مرضى يعالجهم، وجد الموت يتربص بهم بعد أن عز عليهم حتى الفتات، بيد ظل يحمل درعين، درع الزكاة ودرع الطبيب، وبأخرى يمتشق المشاريع الخيرية هنا وهناك، كان سيفا

فاتحا يضوي ببريق الأم لكل مكلوم أو مجروح، نراه يحنو على الجميع كالأم الرؤوم على أبنائها الضعفاء؛ لتحميهم من تلك الليلة الشاتية الماطرة، وتحمل السميط ضريبة ذلك علالا وأهوالا لا حصر لها، عاش في غابات إفريقية وقراها بين الأفاعي والعصابات والكائنات المفترسة الكاسرة من الحيوانات والبشر، وتلقي تهديدات واضحة من عصابات مسلحة لها مآرب كثيرة، تفشل تلك المآرب جراء ما يفعله هذا الإنسان وينفذه بنجاح لا نظير له. وبمرور وقت ليس بالطويل صنع معجزات عجز عنها القادة الفاتحون، نراه من بعيد، يأتي مبتسما وقد دب الشيب في لحيته، يتحرك بين الحشائش والآجام الكثيفة الشائكة، لا يلوي حذرا، وكأنه شيخ حارة متمرس، يعرف بواطن وخبايا ودهاليز الأماكن، لا يجهل أدق تفاصيلها، ودروبها الثعبانية، تولد ذلك لشغفه الحاضر دائما كي يحضن أحبابه ومريديه، هم يهللون ويكبرون لقدومه، فرحين به وليس بأشيائه وهداياه، يرونه كشعاع الشمس الدافئ في صباح شتوي جميل، يأتيهم فاردا جناحيه، يضوع المسك من أردانه، كأنه يحيا ليساعد فقط، ويكتب بمداد حله وترحاله لينشر الإسلام السمح الوسطي، ويصنع معاقل العلم ويشق روافد ومصارف الخير، فقد حفر (٩٥٠٠) بئرا، وأنشأ (٨٦٠) مدرسة، كما رافق ذلك بناء (٥٧٠٠) مسجدا، أيضا، أسس عبر رحلته القاسية (٢٠٤) مركزا اسلاميا.. ظل السميط كالصرح الشامخ رغم مرور الأزمنة التي مرت عليه ولم تغير في نهج رسالته -التي عاهد الله فيها- قيد أنملة حتى لقى خالقه سنة (٢٠١٣م).

كان يرتدي جلبابه الأبيض البسيط، وعقاله الذي مازال يقبض على غترة تلوح للواقفين، تحضنهم وتوزع عليهم صنوف المحبة والابتسامات وجبر الخواطر، يتدثر دائما بمعطف العطف وروح الفكاهة، يطبع على جبين كل منهم قبلة، هو صافع الأصنام كما غرف عنه، وكافل الأيتام.. من مأثور قوله: (سألقي عصا الترحال يوم أن تضمن الجنة لي).. قل فيه ما شئت، فأنت في كل المواضع صائب..!!

وقوفا على أطلال الذاكرة، يحسن بنا أن نقوم بتطواف معرفي، نخبر فيه على عجل: من هو.. الدكتور عبد الرحمن حمود السميط، سفير الإسلام، وأيقونة الخير في القارة السمراء؟

مكمن الأمر، أن السميط ولد في دولة الكويت سنة (١٩٤٧م)، وتخرج من جامعة بغداد بعد أن حصل على بكالوريوس الطب والجراحة، ثم حصل على دبلوم (أمراض المناطق الحارة) من جامعة (ليفربول)، واستكمل دراسته العليا في جامعة (ماكجل) بكندا متخصصا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي، كل تلك الاختصاصات كانت كفيلة بأن تحقق له ثروة طائلة في ذلك الوقت لو مارس مهنة الطب لفترة أطول مما حدث معه، لكنه اعتزلها عن قناعة؛ ليعمل بتجارة من نوع خاص، تجارة رابحة مع الله..

حقيقة لا مراء فيها، فبذرة الخير لم تنبت وتترعرع متأخرة في قلب السميط، فقد كانت بداية رحلته مع العطف على الفقراء في مرحلته الثانوية، حيث اشترى مع أقرانه سيارة قديمة من مصروفهم الخاص؛ ليوصلوا بها العمال الفقراء الذين كانوا ينتظرون المواصلات العامة تحت لهيب حر الشمس في الكويت.

نال السميط الكثير من الجوائز والأوسمة؛ تقديرا لمساهمته الخيرية، كان أبرزها (جائزة الملك فيصل العالمة لخدمة الإسلام) التي تبرع بعائدها المادي الكبير (٧٥٠) ألف ريال سعودي؛ لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء القارة الإفريقية.. ألف السميط العديد من الكتب التي أثرت المكتبة العربية برحيق طيب، نذكر منها:

«لبيك إفريقية»، «دمعة على إفريقية»، «رسالة إلى ولدي، «العرب والمسلمون في مدغشقر»، بالإضافة إلى الكثير من البحوث وأوراق العمل، ومئات المقالات التي نشرت في صحف ومجلات عربية وأجنبية، من أشهر أبحاثه التي طرقت أبواب العالمية، ونشرت في أهم المؤتمرات الدولية، بحث موسوم بـ(سرطان بقايا المعدة بعد جراحة القرحة الحميدة) والذي كان محط أنظار علماء العالم المشاركين في مؤتمر الكلية الملكية للأطباء في كندا بمدينة (كويبك) في فبراير سنة (١٩٧٩م).

شارك السميط في تأسيس جمعيات ومؤسسات خيرية كثيرة، ورأس العديد منها، ما بين الحكومية والأهلية، أشهرهم: (جمعية العون المباشر)، (لجنة مسلمي ملاوي في الكويت)، (اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة)، (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية)، وغيرها من روافد ومناهل الخير، القليل منها داخل دولة الكويت والأكثرية هناك بعيدا، تحت شمس الصحراء اللافحة.

أيضا، من محاسنه الرائدة، ومناقبه الثقافية والفكرية التي تعمقت في وجداننا، قيامه بتأسيس مجلة شهرية معنونة بـ (الكوثر) عام (١٩٩٩م)، تلك الإصدارة التي اهتمت بشؤون العمل الخيري والقارة الإفريقية.

لم يدخر وسعا عندما وقف يقبض بأنامله الهرمة على قطعة الطباشير يكتب حروف العلم على سبورة قديمة سوداء لكنها تؤدي المراد، فيردد خلفه البراعم الصغار بصوتهم الجمعي الجميل آيات من كتاب الله الحكيم، الفرحة ترتسم على وجوههم السمراء التي أبهجها وأسعدها هذا العلم وهذا النور.. ورغم ما ألم بالدكتور السميط من محن وكروب، كنا نجده دائما كالمؤمن الذي يستعين بصلاته على شرور الحياة.

رحمك الله وسقاك من كوثر النبي المجتبى، نسأل المولى عز وجل أن ينزل سحائب رحمته ومغفرته عليك وعلى جميع موتانا وموتى المسلمين جميعا.



حسن بن محمد
كاتب وباحث

عناية الإسلام بقضية اللاجئين

اللجوء صفة قانونية تمنح لشخص أو لمجموعة من الأشخاص أجبروا على مغادرة وطنهم واضطروا إلى طلب اللجوء والإقامة في بلد آخر، وذلك لأسباب تتعلق بالحروب والنزاعات المسلحة، أو لأسباب سياسية تتعلق بالأفكار والمواقف وتسببت في الملاحقة والحد من الحريات، وأحيانا لأسباب اقتصادية تتعلق بتردي الوضع المعيشي وانتشار الفقر.

ولقد شكل تعاظم الأزمات السياسية والاقتصادية مصدرا لمغادرة الآلاف من الناس بلدانهم خوفا من الاضطهاد والقتل وبحثا عن الأمان ومستقبل أفضل واللافت أنه في السنوات الأخيرة أغلب اللاجئين في العالم هم من المسلمين.

ولقد أولت الشريعة الإسلامية عناية خاصة بمسألة اللجوء، وهناك العديد من الأحكام المضمنة في القرآن الكريم والتي تدعو إلى حماية اللاجئين والحفاظ على حقوقهم وتوفير الرعاية المناسبة لهم وخاصة للنساء والأطفال وكبار السن والذين هم أكثر عرضة للخطر والانتهاكات، وكما حرص الإسلام على حسن معاملتهم والترحيب بهم وبلغ الأمر إلى دعوة المسلمين إلى أن يؤثروهم على أنفسهم بغض النظر عن كونهم أغنياء أو فقراء.

وكما حث النبي محمد ﷺ على ضرورة توفير الأمان للمستأمن والذي يطلب الاستجارة ومنحه الحماية والرعاية والاستقرار، وإن الأمان الذي يمنح لغير المسلمين يسمح لهم بموجبه بدخول دولة الإسلام وضمان أمنهم ما داموا فيها، ولا يجوز انتهاك مثل هذا اللجوء حتى ولو كان الشخص الذي تقدم له الحماية في حالة صراع مع المسلمين.

وكما أن أحكام اللجوء في القانون الدولي المعاصر قد جاءت بعديد الأحكام المضمنة في الشريعة الإسلامية وخاصة من خلال اعتمادها لمفهوم الأمان والإجارة الموجود في الشريعة.

واليوم تفاقمت ظاهرة الهجرة واللجوء في مناطق متعددة من العالم، ولقد أصبحت قضية دولية تقض مضاجع العديد من الدول في العالم، وخاصة بعد أن أصبح الملايين من الناس في عدد من دول العالم مهددين باللجوء نتيجة الحروب والنزاعات، وكذلك بفعل تدهور ظروف المناخ وانحباس الأمطار في بلدانهم؛ الأمر الذي يستوجب على كل دول العالم البحث الجدي عن حلول اقتصادية واجتماعية وسياسية ناجعة تسمح بتأمين الحقوق الإنسانية والمحافظة عليها، وكما أنه أصبح من الضروري العمل على تطوير الآليات الدولية حتى تتفق مع مبادئ الحماية التي توفرها قواعد القانون الدولي الإنساني.

لقد شكلت الضوابط والتشريعات الإسلامية مصدرا قيما لحماية حقوق اللاجئين والمهاجرين وطالبي اللجوء، فبالإضافة إلى المسؤوليات التعاقدية من الممكن أن تكون هذه القواعد والتشريعات بمثابة وسيلة ضمان دينية وأخلاقية لحقوق اللاجئين، وبالأخص النساء والأطفال وكبار السن.



جاسم الجاسم
صحافي وباحث



الصدقة.. فضائل وفوائد

أبواب الخير في الاسلام كثيرة ومتعددة، ومن خلالها يتقرب الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى لينال الأجر والثواب العظيم.

ومن أهم أبواب الخير: باب الصدقة الذي تعتبر مجالاته متعددة ومتنوعة وفوائده وفضائله كثيرة ومختلفة.

والمتأمل في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي أمرت بالعطاء والإنفاق، فإنه يدرك الخير والفضل الكبير للصدقة التي تعتبر من أهم الأعمال التي تنفع الإنسان في حياته ومماته، فهي دواء للأمراض البدنية ووقاية من النار وتمحو الخطيئة وتطفىء غضب الرب وتدفع البلاء وتبارك بالمال وتضاعف الأجور.

ولا تقتصر الصدقة على إنفاق المال وحسب، إنما مجالاتها كثيرة ومتعددة، فإماطة الأذى عن الطريق صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وحتى تبسمك في وجه أخيك صدقة.

ومما جاء في القرآن الكريم عن الصدقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١٨).

وقال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٧١).

وقال الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف: ٨٨).

وجاءت الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين فضائل وفوائد الصدقة وأهميتها وخيرها الكثير، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، قال: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، قال: والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»، أخرجه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، صحيح مسلم (١٦٣١).

وعن معاذ بن جبل ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما تطفيء الماء النار». صحيح الترغيب (٨٦٨).

كريمة بداوي - ألمانيا
دكتوراه الفقه وأصوله



دور النخبة في البناء الحضاري في ضوء فكر مالك بن نبي

كان ابن خلدون عالم اجتماع مبدعا، وهو إذ أدلى بملاحظته الثاقبة عما يسمى الآن بـ «قانون التكيف» قصد إلى أن تقليد المغلوب للغالب أمر لا مفر منه، فكل مجتمع ناشئ لابد أن يقدم على الاقتباس والاستعارة من مجتمعات أخرى سبقته حضاريا، لكن الجهد الذي يبذله هذا المجتمع في تكييف وتركيب استعاراته بما يتلاءم وأصوله الثقافية هو الذي يحدد مدى عبقريته ويقظته.

والتركيب غير التلفيق، فالأول يقوم به فكر واع مستوعب لنموذجه الثقافي الأصلي ولشروط استعاراته، والثاني مزيج أو خليط من العناصر الحديثة المستوردة بلا ضرورة أو ضابط أو تهذيب.

حتى لا نصبح كائنات منقرضة

ولقد شغلت قضية التركيب هذه، مفكري العالم الإسلامي ومصلحيه منذ عهد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده إلى وقتنا الحاضر، ولا نبالغ إذا قلنا بأن المفكر مالك بن نبي تميز عن غيره بإدراكه العميق لمشكلة التطور والحداثة عند المسلمين، فهي تتسم بالحساسية وتأخذ طابع الحذر والتريث أكثر منها عند أي مجتمعات أخرى، وذلك راجع في نظره إلى إدراك المسلمين عامة لقيمة تراثهم الأخلاقي ورغبتهم في إنقاذه، مع إحساسهم بضرورة اندماجهم في عالم زمني لم يتمكنوا بعد من تمثل معاييره والإمساك بقوانينه، فلا أحد منا ينكر كما يقول مالك بن نبي بأننا بتنا نعيش في عالم لنا منه أشياؤه المستوردة، تحاصرنا وتحرك حياتنا، بما تحدثه من تقاليد جديدة، وتولده من أذواق مستعارة وأفكار غريبة، فالعالم العربي والإسلامي يمر الآن بما يسمى بفترة «اللاتكيف الحضاري» زاد من حدة وطأتها عليه الحروب والنزاعات التي تدار على أراضيه، تبدد طاقاته الاجتماعية ومواده الأولية، وتعصف بإنسانه، فتجعله أشبه بكائن منقرض مطارد مثقل بالهموم والمشاعر السلبية.

مشروع البناء الحضاري

وهذه الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية الخاصة، توجب التخطيط نظريا وفنيا حتى يمكن للأمور أن تسير بسرعة تعجل من دخول مجتمعاتنا إلى دائرة العمل في الاتجاه المقصود، ولكن دعونا نتمثل أولا قضية التركيب

هذه التي سنطلق عليها مشروع البناء الحضاري عند مالك بن نبي.

لابد أن تتضمن هذه العملية جانبين أساسيين:

أولهما: الجانب السيكولوجي.

والثاني: الجانب الفني.

أما الأول: فتكون الغاية من ورائه إكساب أفراد الأمة الإسلامية موقفا اجتماعيا يتسم بالإرادة المتصلة والجهود المتواصلة، بإزالة المشاعر السلبية المتراكمة، بأن نمحو من أذهان الناشئة استحالات استقرت وعششت كاستحالة أننا لا نستطيع أن نفعل شيئا، لأننا محكومون تابعون، أو لأننا فقراء معوزون، أو لأننا محتلون، ثم تطوير (الأنا) حسب أهداف ومقاصد مجتمعاتنا، باكتساب عناصر إيجابية جديدة، تبدأ بإعادة سلطان الفكرة على الوعي الإسلامي، فنحن إلى الساعة محكومون بالأشياء وندور في فلكها، فقراء كنا أو أغنياء، نحرص على اقتنائها ونخاف فواتها وانقطاعها.

وعندما تعود للأفكار قيمتها الاجتماعية عندنا، ستقوم مجتمعاتنا بتصفية العديد من الأشياء التي ليست ضرورية من حولنا، بصورة طبيعية، وهنا لن تضطر كل أسرة إلى مواجهة عملية التصفية أو التكرير بمفردها؛ لأن المجتمع قد قام بذلك وفقا لمعاييره.

إن إعادة الثقة إلى الجماهير المسلمة من شأنه، أن يعلي من إرادتها وهمتها التي ستكون في الواقع العامل الأساسي في تطوير الفرد؛ لأن اجتهاده الشخصي من أجل التكيف مع المرحلة الجديدة وهي مرحلة البناء الحضاري ما هو إلا رد فعل منه على ما يقدمه له مجتمعه من ضمانات، ولنقل إن سعادة المرء مرتبطة أساسا بصلته واندماجه في مجتمعه، ولئن كانت مرحلة الواجبات مقدمة على الحقوق إلا أن الأخيرة ثمرة طبيعية للأولى.

دور النخبة المثقفة

وهنا لا يمكن أن نتغاضى عن الدور الذي ينتظر المثقفين المسلمين، هذه النخبة التي لابد لها من اكتساب الفكر الفني، والمبدأ الأخلاقي في سلوكها؛ لأنه لم يعد نافعا اختلافها الفلسفي والنظري حول مفهوم الحداثة، ما دام أن ذلك يلهيها ويبعدها عن ساحة الواجب والعمل.

بل إن كثيرا ما تحولت نظريات الحداثة عند البعض إلى أوثان مجهزة تأخذ بأبصارها عن رؤية فشل هذه النظريات عندما تنقل من بيئتها؛ لأنها لم تتضمن الشروط الضمنية لنجاحها، ما دام أنها قامت على معادلات اجتماعية مختلفة، ولا زالت التجربة الإندونيسية في الميدان الاقتصادي حاضرة في الأذهان، فلم يشفع لأجل إنجاح هذه التجربة كفاءة الألماني شاخت ولا الموارد الأولية الخصبة لإندونيسيا؛ لأنها قامت على معادلة اجتماعية مغايرة أثبتت نفعها مع المجتمع الألماني دون غيره.

وعندما تكتسب نخبنا العربية والمسلمة الفكر الفني الذي سيظهر أثره في التنظيم والتخطيط والتوجيه، والمبدأ الأخلاقي الذي سيجلي موهبة النقد الذاتي عندها ويحررها من نزعة التقليد، لن تضطر إلى اختيار المبادئ الليبرالية، ثم وضع المسحة الإسلامية عليها، كما فعلت قبل ذلك مع المبادئ الاشتراكية، بل ستكتشف طرقا أخرى تدفع عجلة اقتصادها وحياتها دون مساس بالمخزون الأخلاقي للمجتمعات العربية والإسلامية الذي هو غلافها الثقافي غير القابل لأدنى رتق أو تحوير ولا يمكن تطويعه بحال من الأحوال للفكر المادي أو تعديله لملاءمته؛ لأن الحداثة ما هي إلا ابتكار أصيل ينبع من داخل المجتمع، ينافي روح التقليد والجمود، ولا ننكر أن الحضارة الغربية ستبقى مرحلة حاسمة في تاريخ الإنسانية بفضل كشوفاتها الكبيرة التي هزت أطراف الكرة الأرضية وأنحائها.

مواطن عالمي غير نفعي

لكن حداثة الغرب وعبقريته التي تجلت في نموذجه الاجتماعي المنفعي البحت، وفي شعاره (الوقت هو المال)، أرهقت إنسان اليوم، وكانت سببا في معاناته، ولكم كان محمد إقبال محقا عندما تنبأ بدور المسلم المنتظر الذي سيكفكف من مادية الغرب وغلوائه، فهو يراه المواطن العالمي الذي لا يفكر في منفعته الخاصة، بل في تحقيق الأهداف العظمى التي يسعى إليها مجموع الإنسانية، وما عليه من أجل تحقيق الشروط النفسية ليكون هذا الإنسان الجديد، سوى أن يستخدم جميع مواهبه وقدراته على التكيف مع عصره، وأن يتناول العلوم والمعارف بروح من الاستقلال، تخلصه من وطأة التقليد لمسلمات الغرب التي جعلها شروطا مرتبطة بأي نزوح حداثي، وهذا أيضا ما نحا إليه طه عبدالرحمن عندما أشار إلى أن الحداثة الإسلامية العالمية المنتظرة ستصحح واقع الحداثة الحالي؛ لأنها ستهدف إلى الارتقاء بالفعل الحداثي.

ونهضة العالم العربي والإسلامي لن تكون في الفصل بين القيم إنما في الجمع بين العلم والأخلاق، بين الحاجات المادية والروحية في توازن واعتدال، يمسك بكل تفصيل من تفاصيل الحياة، ليضع عليه طابع الأصالة، التي ما فتئت تحفظ قيمة وكرامة الإنسان.

انظر: سلسلة مشكلات الحضارة لمالك بن نبي



محمد عباس محمد عرابي
باحث أكاديمي

الكتب المترجمة للعربية (مميزاتها، عيوبها)

هناك إقبال كبير من المتخصصين والأكاديميين والمثقفين، والقراء في عالمنا العربي على الكتب المترجمة للعربية، فما أكثر الكتب المترجمة للعربية، وخاصة كتب الإدارة والتطوير والمهارات التي يقرأها قراؤنا في عالمنا العربي في ظل ما يجدونه في كتب هذا المجال غير المترجمة من أمور تصرفهم عن الإقبال عليها وخاصة ضعف مستوى الطباعة والإخراج، والافتقار إلى التشويق مما يجعلها مملة في قراءتها، ومثل ما نجده من الكثير من التعقيدات الفلسفية مثل: التعريفات والشروط والضوابط، وما يبعضها من رصانة مصطنعة وهدوء ممل.

وفي ظل إقبال الأعداد الكبيرة من قرائنا على الكتب المترجمة كان لابد من إلقاء الضوء على أبرز (مميزاتها، عيوبها) على النحو التالي:

❖ أولا: مميزات الكتب المترجمة

تتميز أغلب الكتب المترجمة بعدة مميزات أبرزها:

- الأسلوب القصصي المشوق والجذاب الذي يتبعه مؤلفو هذه الكتب.

- حسن العرض الذي يجذب القارئ العربي لقراءتها حيث نجد المؤلفين يبدعون في جعل الكتاب مشوقا يبعد السآمة والملل؛ حيث يحرص المؤلفون: وضع طرفة وقصة هنا، ووضع وقفة هناك، وفي هذا الموضع تحذيرا، وفي الجانب الآخر ملاحظة.

- الكتب الأجنبية التي تترجم هي نتاج فريق عمل متكامل، يؤدي كل عضو من الفريق الدور المكلف به بكل اختصاص وكفاءة، فهي لا تعتمد على الشخص الواحد؛ حيث نجد في الكتب الأجنبية يضع المؤلف أفكار الكتاب الرئيسة والمعلومات، ويراجع شخص آخر دقة البيانات وصحة المحتوى، ويقوم فرد ثالث بإعادة الصياغة، ويقوم شخص رابع بمراجعة لاحقة، ويقوم خامس بوضع الرسوم التوضيحية المناسبة، وثلة يقومون بعملية تصميم الكتاب وإخراجه فنيا



بصورة نهائية، ويصمم الغلاف متخصصون في التغليف بالإضافة إلى قيام مؤسسات مستقلة بعمليات الطبع والنشر والتوزيع؛ وفي هذا نجاح في نشر الكتاب فالجهود الجماعية أكثر نجاحا والتزاما بالجودة والإتقان من الجهود الفردية.

❖ ثانيا: عيوب الكتب المترجمة

للكتب المترجمة للعربية عدة عيوب أبرزها:

- الترجمة الحرفية والترجمة الخاطئة: حيث نجد اتباع المترجم للترجمة الحرفية والترجمة الخاطئة، ويرجع سبب هذا إلى أن الكثيرين ممن يترجمون الكتب غير محترفين مما يشوه نسخة الكتاب الأصلية، ولا يستطيع القارئ العربي إدراك محتوى الكتاب وفهمه فهما تاما.

- كثرة الحشو: بعض الكتب تكاد أن تكون مجموعة قصصية تحوي الغث والسمين، وكثر ما يورد المؤلف القصة الواحدة مرات كثيرة وبشكل مكرر من حيث الفكرة والمضمون مع تغيير الاسم كل مرة، الأمر الذي يؤدي إلى ضياع وقت كبير في قراءة عشرات القصص، وكان من الممكن أن يخرج القارئ منها بخلاصة يسيرة تتمثل في عدة أسطر؛ فالحشو قد يتسبب في صرف بعض القراء عن إكمال قراءة الكتاب؛ إذ يشعر القارئ بأن الصفحات الكثيرة لا تتحدث إلا عن جزئية صغيرة؛ بالإضافة إلى أنه يجعل الكتاب ذات الموضوعات الصغيرة ضخمة وكبيرة الحجم مما يرفع سعرها، ويجعل حملها والتنقل بها مرهقا.

- اختلاف البيئة: حيث نجد أن الكتب الغربية تم تأليفها في بيئة غربية لها نظرتها الخاصة للفرد والمجتمع تختلف في الكثير منها عن قيمنا ونظرتنا.

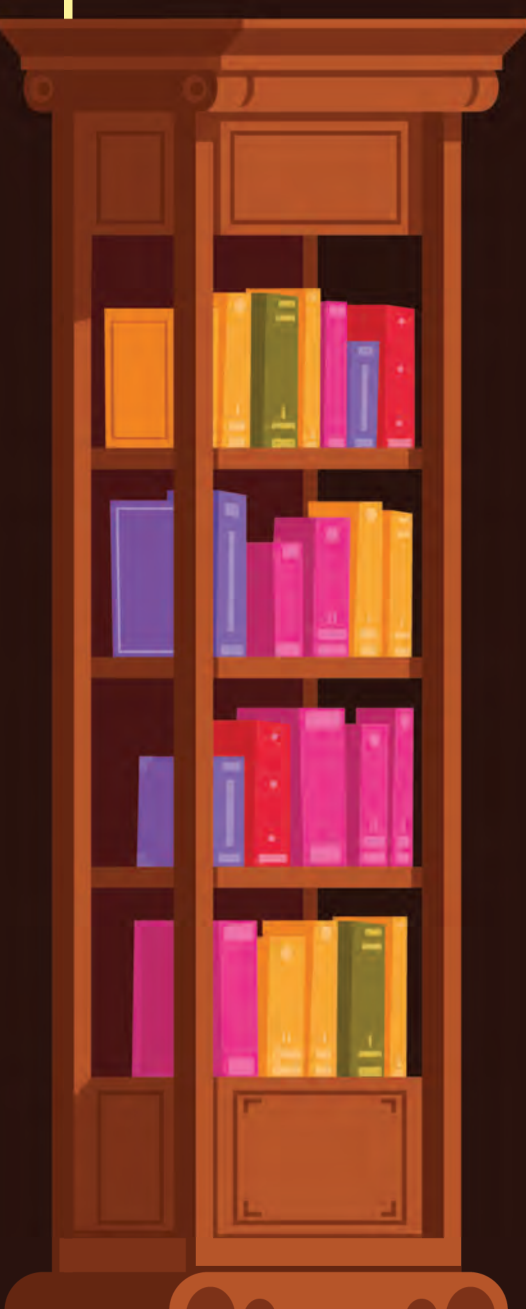
مقترحات

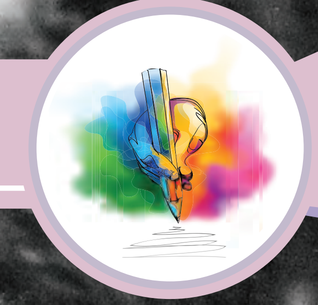
❖ على المترجمين مراعاة فنيات الترجمة مع البعد عن الترجمة الحرفية والترجمة الخاطئة، كما يجب مراجعة الكتب المترجمة قبل نشرها لضمان صحة الترجمة.

❖ يمكن التغلب على مشكلة الحشو بالكتب المترجمة من خلال العمل بفكرة الخلاصات لهذه الكتب المترجمة، فهي تجمع بين إيصال فكرة الكتاب للقارئ، وتقليل حجم المادة المقروءة بشكل كبير وفعال، كما أن الكتيبات الصغيرة ككتيبات الجيب تعتبر بديلا متميزا.

❖ ضرورة إعادة صياغة الكتب المترجمة، بحيث تتوافق مع قيمنا الاجتماعية المعتبرة مع المحافظة على الحقوق الأدبية للمؤلف مع الإشارة إلى أن عمل الناشر يتجاوز الترجمة الحرفية إلى التعديل في المحتوى بما يتوافق مع طبيعة القراء وقيمهم واهتماماتهم، ويحقق لهم النفع والفائدة.

❖ ضرورة أن يقوم على نشر الكتب العربية والمترجمة فريق عمل متكامل، مع إعطاء التفويض القادرين على تنفيذ المهام كل حسب قدراته وما يتناسب معه؛ فالصف الثاني المساند للمؤلف، لا يقل دورهم عن المؤلف نفسه في الأهمية.





شعر/ محمد أحمد أمان
عضو اتحاد كتاب مصر

اليتيم

إن الحياة إلى زوال فان
فارحم يتيما فاقد الأحضان

بكت السماء لأجله وتضرعت
بدموعها للواحد الحنان

واهتزت الأرض التي يحيا بها
وتصدعت حزنا بكل مكان

وربيعها ما عاد يكسو ثوبه
هذي الحياة بأبهج الألوان

الكون ينظر لليتيم برحمة
والطير سار يهيم بالأحزان

والنجم يرثي لليتيم برقة
وتذوب أضلعه من الخفقان

والأسد والأفيال في غاباتها
والماء والأشجار والقمران

كل الخلائق تستجير بربها
من أجل طفل فاته الأبوان

إن اليتيم تراه بين رفاقه
نبتا ضعيفا ذابل الأغصان

وتراه مكسور الجناح بصمته
فيذوب قلبك من أسى الحرمان

عين اليتيم إذا نظرت بعمقها
هانت عليك مصائب الأزمان

إن اليتيم دموعه مرهوبة
ممزوجة بسكينة الإيمان

تخشى الجبال الصم حين نزلها
من رجفة بثوابت الأركان

دمع اليتيمة في المساء لأمها
نار تحيل الصخر للذوبان

دمع اليتيمة لو تساقط في الدجى
بكت النجوم بأعظم الأشجان

قهر اليتيم جريرة وجريمة
قد حرمت في محكم القرآن

ظلم اليتيم خيانة لأمانة
سحقا لكل منافق خوان

عجبا لمن أكل اليتيم وماله
نارا سيأكل في السعير الآن

عجبا لمن سلب اليتيمة حقها
سيموت في كمد وفي خسران

من لليتيم إذا تفجر دمعه
من قهر طاغية وظلم جبان

من لليتيم إذا تفطر قلبه
ورأى القرين بصحبة الخلان

كن لليتيم أبا يزيل همومه
كن لليتيمة طيب الوجدان

واعلم بأن الدهر في متقلب
متغير في لحظة وثوان

مكر الليالي قد يباغت آمنا
فالموت مكتوب على الإنسان

فترى بناتك بعد فقدك فجأة
من عزة في ذلة وهوان

وترى غلامك قد تبدل حاله
وعدا عليه الهم كالطوفان

بيت به الطفل اليتيم مكرم
أسمى بيوت الأرض للرحمن

النفس تغمرها السعادة والرضا
عند ابتسام يتيمة بأمان

فاضمم يتيما تحت ظلك راحما
واكفله بالإنعام والإحسان

فكفالة الطفل اليتيم منارة
ومآلها في جنة الرضوان

الجار أحمد في نعيم سرمدي
ورضا الإله الواهب المنان

إن اليتيم عزاؤه بمحمد
خير البرية سيد الأكوان

جاء الحياة ولم يشاهده أب
والأم أفضت بعد للديان





شعر: د. خالد برادة
باحث وشاعر
عضو رابطة الأدب الإسلامي

الروضة الشريفة

هذا الجمال شعاع نور مبهر ... تجدوه نبض الكون حسن المنظر

إني أتيه به فخورا في الورى ... وأشم نفح أريجه المتعطر

حيث البهاء هناك في أرجائه ... يختال في الروض الفسيح الأخضر

هلت منارته كبدر ساطع ... وسمت نضارته بصنع مصور

حلل براها الله وهي مفازة ... منح لعشاق الجمال الأطهر

قد عفت بهرجة الدنا فطرحتها ... من فكري المتأمل المتسعر

ووجدت أثقال الهموم أليمة ... فأردت أنساها بهذا المشعر

وخبرت أحداث الخطوب فهالني ... صوت كمثل الناعب المتفطر

وبرمت بالأصقاع وهي فسيحة ... دنيا مزينة الهوى فلنحذر

قد نلت مكرمة «المدينة» لاهجا ... والروح تسمو بالجمال المزهر

ونهلت من نبع الحبيب تضلعا ... ماء الحياة العذب لم يتكدر

وهناك في النسمات غبت وإنني ... هيمان من وجد كسحر المسكر

ونظرت والدنيا أمامي جنة ... راقت بصوت مؤذن ومكبر

والبلبل الصداح يشدو حولنا ... يهفو كولهان بغير تحذر

وعلى امتداد الطرف ألمح روضة ... قد لفها ألق الحياء بمئزر

عجبا يلوح لنا الضياء كأنجم ... وحياله وحي كصبح مسفر

سعدي بإشراق النضارة إنني ... أرنو هنا خلف الحجاب الأنور

محمود مصطفى حلمي
كاتب وقاص



الركعة الأولى

أخذت أكرر تلك الآية وأبكي، أبكي نادما على جهلي وغشاوة عيني، أبكي فرحا برحمة ربي التي استشعرت أنها تلتف حولي بل تملأ جوانب قلبي وبيتي، أبكي حزنا على تلك الدموع التي طالما ذرفتها وحيدا دون أن أذرفها راكعا وساجدا ولاجئا لربي، أبكي على جهلي بالدواء الذي لطالما كان أمامي دون أن أدركه أو أراه.

منذ أيام طفولتي وأنا أصلي، بل كنت من المحافظين على الصلاة بشكل دائم ودون انقطاع، كنت مقدسا للصلاة، وكنت أنا من يبادر إلى الذهاب للمسجد بمجرد سماعي للأذان.

هكذا كنت كما علمني أبي، فكان يصحبني معه إلى المسجد منذ نعومة أظفاري، وكان في الجمعة يجلسني على فخذيه وهو يلبس جلبابه الأبيض الناصع، كنت أتأمل هؤلاء الجالسين المنصتين لما يقول ذلك الرجل المعمم الواقف فوق المنبر الخشبي، لم أكن أفهم أو أعي لما يدور لكني كنت أنظر لمن حولي وأقلد حركاتهم بإتقان شديد.

ظللت ملازما لأبي في الذهاب إلى الصلاة حتى استطعت أخيرا أن ألج المسجد وحدي، كنت فرحا بقدرتي على الذهاب منفردا والوقوف في الصف مثل الكبار، رغم صغر سني وقصر قامتي إلا أنني صرت مثل البالغين أحضر إلى المسجد وحدي وأقف بينهم دون أن ينهرني أحدهم.

لم أكن أدرك معنى الصلاة، ولم أشعر يوما سوى بركوعي وسجودي وحركة جسدي في أداء أركانها، لم يعلمني أبي إلا أن أقول بلساني تلك الآيات والكلمات أثناء تأدية حركات الصلاة، ولم يرق إلى فهمي أن لتلك الكلمات معاني واسعة، بل ومؤثرة في القلوب.

مرت السنون وأنا على تلك الحال، مؤد للصلاة ومحافظ عليها وعلى حركاتها، دون أن يشعر قلبي بخشوع أو يعي عقلي ما لها من معان، فما كانت لي سوى حركات أؤديها دون خشوع أو تدبر، وها أنا أؤديها في مواعيدها المفروضة ظنا مني أن ذلك هو كل المطلوب.

مع مرور الأيام وانتقاص لحظات عمري بدأ أيضا وقت الصلاة يقل لدي، لم أكن أضيعها ولكني صرت أسرع في تأديتها، صارت حركاتها مألوفة لأعضاء جسدي وكنت أؤديها كأني ماكينة مبرمجة على أدائها فقط، حتى لساني صار ينطق الآيات والكلمات كأنها مسجلة مسبقا على جوانبه وهو يطلقها فقط بشكل آلي.

بدأ المشيب يغزو خصلات شعري، لم يعد لجسدي طاقة الطفولة ولا عنفوان الشباب، صرت أكثر هدوءا أو ربما كسلا أو إرهاقا من مشاق الدنيا التي كانت تزداد يوما بعد يوم، وكنت أضيق ذرعا ولا أعلم كيف أخرج من هذا الضيق، حتى إذا تكاثرت على ظهري الهموم والأحمال كنت ألجأ إلى البكاء منفردا في غرفتي بعيدا عن عيون زوجتي وأبنائي الذين كانوا يظنون أنني لا أشعر أو أن التعب لا يعرف إلى قلبي سبيلا.

في تلك الليلة عدت إلى بيتي متأخرا بعد يوم عمل طويل، كان الإرهاق قد بلغ مبلغا عظيما من جسدي وقلبي على حد سواء، أكلت بعض اللقيمات وتوجهت إلى النوم مسرعا، وقبل أن أستسلم للسبات تذكرت في اللحظة الأخيرة أني لم أصل العشاء، قمت في تكاسل وأديت حركاتها مسرعا ثم خلدت إلى نوم عميق.

غصت في النوم بل غصت في لجة فضاء واسع، رأيت نفسي يعرج بها إلي فضاء السماء، لم أكن وحيدا بل كان معي ملايين من البشر، وفجأة وجدنا أنفسنا في أرض بيضاء شاسعة، كانت القيامة قد قامت حقا وقد جيء بالجميع حتى يناقش الحساب، كانت مشاعري مختلطة ومتضاربة بشدة، كنت خائفا من ذلك الجمع الضخم والمشهد المهيب، لكن شيئا ما كان يطمئن دواخل قلبي، فأنا وإن كنت عاصيا فلم أضيع صلاة قط، بنيت

بيت ديني على عمود الصلاة منذ اليوم الأول لإدراكي، وإن كانت جوانب ذلك البيت بها بعض الخلل فبالتأكيد عمود الصلاة الذي يحمل ديني متين لأقصى درجة.

دنت الشمس من الرؤوس، بدأت الأفواه تصيح والحناجر تصرخ والعيون تذرف دموعا بل تسيل دماء، رأيت الكثير ممن حولي ينادى عليهم فيسحبون بسرعة إلى مناقشة الحساب، سال عرقي وتقعقعت أضلاعي وبدأت قوتي تخور، ثم فجأة نادت الملائكة على اسمي.

لم يكن هناك فرصة لي للملمة شتات نفسي، بل ابتدرني ملكان عظيمان وجروني إلى صوان عظيم للحساب، وقفت مرتعشا متلجلجا خائفا، تمنيت في تلك اللحظة أن يتوقف قلبي عن النبض لأغيب عن ذلك العالم، ولكن لم يكن ذلك أن يحدث أبدا فلم يعد هناك موت، سمعت مناديا عظيما يسألني بصوت اخترق حصون جسدي.

- أين صلاتك؟

حاولت التمسك قليلا وظننت أن إجابتي على ذلك السؤال قد تكون الأوفر حظا لدي، حاولت الإجابة ولكن لم تخرج من حلقي أي كلمة، ضغطت في اتجاه الحديث أكثر لأنطق ولكن لا فائدة فالصمت صار مسيطرا على شفاهي، بعد سكوتي أخرج ملك من الواقفين حولي كتابا مكتوب فيه سجل صلواتي، فرحت واعتقدت أنه أنقذني فكل ركعاتي مسطوره به، كشف الملك عن ميزان ضخم ووضع فيه ذلك الكتاب، لكن الميزان لم يتحرك قط، لم يزن الكتاب شيئا أبدا، بل لم تتحرك دفته ولو قليلا.

تفاجأت لما حدث فأنا من المصلين، صرخت بأعلى صوتي فخرج مني الصوت أخيرا، قلت بثقة مكذوبة (أنا من المصلين) لم يرد علي أحد منهم بل بدأ الصوان يظلم من حولي، اقترب مني الظلام أكثر حتى كاد أن يخنقني، صرخت أكثر (أنا من المصلين)، لكن ذلك الصوت العظيم أصابني من بعيد قائلا (ارجع فصل فإنك لم تصل)، كررها كثيرا والظلام يقترب مني بسرعة، ظللت أسمعها وأنا أصرخ حتى غصت في أعماق ذلك الظلام.

استيقظت فزعا وأنا أصرخ، قمت بسرعة وانتصب ظهري، كنت أنهت بشدة كأني خرجت للتو من مضمار سباق طويل، بدأت في التقاط أنفاسي وإدراك أن ما فات لم يكن إلا حلم طويل، كان الثلث الأخير من الليل قد أوشك على الانتهاء واقترب أذان الفجر أن يصدح في الأرجاء.

قمت وتوضأت ووقفت مستقبلا للقبلة، كان المصحف أمامي ففتحته على صفحة لا أعلمها، كنت مازلت أنهت من أثر تلك الرؤيا، وكان منظر الميزان وهو ثابت لا يتحرك والظلام يلتهمني مازال مسدلا أمام عيني، دخلت في الصلاة وقلبي يرتجف بشدة، للمرة الأولى أقف مطمئنا غير متعجلا ولا أخشى التأخر عن شيء ما، قرأت الفاتحة ببطء وكأنها المرة الأولى التي أقرأها، كانت كل كلمة بل كل حرف يخرج من قلبي وليس لساني، حمدت ربي واعترفت بأنه ربا للكون والعالمين، أقررت برحمته وبملكه ليوم الدين، اعترفت بأني أعبده وحده ولا أستعين بسواه، ثم طلبت هدايته الأبدية التي يرجوها لعبادة الصالحين.

انهمرت عيني بالبكاء وانتحب صوت حلقي، شعرت بندم شديد على ما فات مني، تفتت قلبي حسرة على كل تلك الركعات التي قرأت الفاتحة فيها ولم أفهم تلك المعاني قط، كنت أقرأها في اليوم سبع عشرة مرة في أقل تقدير ولم أدرك معناها أبدا، حاولت أن أكفكف دمعاتي ونظرت في المصحف أمامي لأقرأ ما تيسر من الآيات، كانت الصفحة على تلك الآية التي هزت جسدي أكثر وازاد نحيبي بقراءتها، ودون ترتيب كانت تلك الآية من سورة البقرة ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ (البقرة: ٤٥-٤٦)

ارتج جسدي أكثر، رأيت بوضوح رسالة ربي لي، استشعرت أن الله حقا يراني، يراقبني، يعلم ألمي وحالي، تأكدت أنه أبدا لن يتركني لأتوه في دروب الحياة، أراد أن يفتح لي باب الرجوع، أراد أن يرشدني إلى الكنز الذي لطالما كان بين يدي دون أن أراه، أخذت أكرر تلك الآية وأبكي، أبكي نادما على جهلي وغشاوة عيني، أبكي فرحا برحمة ربي التي استشعرت أنها تلتف حولي بل تملأ جوانب قلبي وبيتي، أبكي حزنا على تلك الدموع التي طالما ذرفتها وحيدا دون أن أذرفها راكعا وساجدا ولاجئا لربي، أبكي على جهلي بالدواء الذي لطالما كان أمامي دون أن أدركه أو أراه، الآن فهمت لما قال الرسول ﷺ عنها: «أرحنا بها يا بلال».

ركعت وسجدت وكأنها المرة الأولى في حياتي، استشعرت معنى الوقوف أمام خالق عظيم خلق الكون بأسره في أيام قلائل، ثم استوى على عرشه العظيم بكل عظمة وكبرياء، ومع ذلك يراني أنا العبد الفقير الضعيف وأنا أقف أمامه، بل وينصت لما أقول من كلمات، كان جسدي يرتج وقلبي ينتفض داخل جوانب صدري، كانت تلك هي ركعة حياتي الأولى، ومنذ تلك اللحظة وصارت راحتي وقرة عيني في الصلاة.



عمرو طه
قاص مصري

إن العواطف المزيفة أروَجُ في هذه الدنيا من العواطف الصحيحة، فلا أسف إذن على رأي الناس في الناس، ولا اعتداد إذن بما يقال ومن يقول.

عباس محمود العقاد

ظُلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم، وتكتُم خيره.

ابن سيرين

معظم الناس لا يؤمنون بالحقيقة قدر إيمانهم بما يتمنون لو أصبح حقيقة. ربما كانت أعينهم مفتوحة لكنهم لا يبصرون.

هاروكي موراكامي

عندما نقرأ في التاريخ، نجد أن معظم من قاموا بعمل عظيم، قد قضوا حياتهم في عزلة.

توماس كارليل

لو سكت من لا يعرف لَقَلَّ الخلاف.

ابن رشد

مع التقدم في السن يتعلم المرء مقايضة مخاوفه بقهقهاته.

سيوران

د. شاذلي عبد الغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية



التعليم في الكبر

هناك مقولات تؤدي كثرة تكرارها إلى أن تتقبلها أذهاننا كأنها حقيقة مسلمة لا نلتفت إلى أهمية أن نتأملها ونناقشها ونفتش عما قد تحمله من دلالات يمكن أن يكون لها تأثيرها السلبي على الفرد وربما على المجتمع بأثره، من تلك العبارات قولنا: «التعليم في الكبر كالنقش على الماء»، فتأمل هذه العبارة يكشف لنا أنها تحمل مضمونا سلبيا قد يدفع بصورة لا شعورية من تجاوزوا مرحلة الشباب إلى التواني عن طلب العلم والنهل من ينابيع المعرفة، مع ما في طلب العلم من تأثيرات عظيمة على حياة الإنسان مهما كان عمره، ومع ما له من قدرة على تغيير واقع الأمم التي لا يعترف أبناؤها بالأفكار التي تدفعهم إلى ما يثبط الهمم، والتي تستطيع أن تستثمر طاقات أبنائها في الوصول إلى كل ما يرقى بالحياة ويسمو بها إلى الأجمل والأفضل.

ولا شك أن الإدعاء بأن التعليم في الكبر لا فائدة من ورائه هي دعوى باطلة تكذبها سير لشخصيات لم يقف السن حاجزا بينها وبين السير في دروب العلم الفسيحة، وقد سجل التاريخ أسماء لعلماء سلكوا طريق العلم بعد أن تقدم بهم العمر ولم يتوقفوا حتى وصلوا إلى درجة النبوغ، وقد تركوا من تراثهم ما ينفع الناس، ومن سيرهم ما يدفع العزائم ويحيي الهمم.

وهناك من يتخذ الحياء من طلب العلم في سن متأخرة حجة يتوارى خلفها للتكاسل عنه، وهناك من يحرمه حياؤه بالفعل من أن يرتوي من مناهل العلم، ويمنعه من أن

يشبع نهم روحه للمعرفة، ويصده عن تحقيق غايته في أن ينجز ويبدع، والردود على أمثال هؤلاء مبثوثة في كتب التراث، «قيل لأبي عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم»[١].

وتحدث الماوردي في كتابه (أدب الدنيا والدين) عمن منعهم الحياء في كبرهم من طلب العلم، قائلا: «وربما امتنع الإنسان من طلب العلم لكبر سنه واستحيائه من تقصيره في صغره أن يتعلم في كبره، فرضي بالجهل أن يكون موسوما به وآثره على العلم أن يصير مبتدئا به، وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل؛ لأن العلم إذا كان فضيلة فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى، والابتداء بالفضيلة فضيلة، ولأن يكون شيخا متعلما أولى من أن يكون شيخا جاهلا»[٢].

الدول المتقدمة وتعليم الكبار

أثبتت الدراسات الحديثة العديد من الفوائد الصحية والنفسية والفكرية والاجتماعية التي يتمتع بها أولئك الذين لم يرضخوا للأفكار السلبية المسبقة، وقرروا أن يرسموا لأنفسهم حياة جديدة تظللها آفاق العلم وأجواء المعرفة.

ونظرا للفوائد الجمة التي تعود على الأفراد والمجتمعات من تعليم الكبار، رأينا الأمم المتقدمة تحرص على وضع البرامج وصناعة المؤسسات وكتابة الأبحاث ورسم الخطط التي تسهل على الكبار عملية التعلم، فعلى سبيل المثال في كوريا الجنوبية «تعمل وزارة التعليم على إعداد إطار مؤهلات برامج التعلم مدى الحياة، وعلى تشجيع الجامعات على تنظيم المزيد من الصفوف الدراسية لتعليم الكبار»[٣]، «أما في النرويج فإن الفقرة الإفتتاحية للائحة القانون تنص على أن تعليم الكبار يشكل جزءا من النظام التربوي الذي يهدف إلى تكييف الظروف بحيث يجعل من الممكن لكل واحد بصفته فردا وعضوا في المجتمع، أن يواصل نموه الشخصي طوال حياته.. وقد أوصى القانون إلى جانب ذلك بأن تعد هذه السلطات المختلفة ما يلزم لتعليم الكبار، إما عن طريق معاهد تحت سيطرتها، أو عن طريق تقديم منح للمؤسسات التطوعية.

أما في ألمانيا فقد ضمن التشريع مساعدة مالية حكومية كاملة لتعليم الكبار بصفته قطاعا رئيسيا في النظام التربوي العام، وفي النمسا شمل قانون المدارس أنواعا خاصة من المدارس للكبار»[٤].

بل إن إدراك أهمية التعليم وفوائده لكبار السن دفع بعض علماء التربية إلى تأسيس علم الشيخوخة التربوي الذي «يهتم بما يتعلق بالتعليم في النصف الثاني من الحياة»[٥].

وكتاب (كيف يتعلم الشيوخ؟ مبادئ علم الشيخوخة التربوي) الذي أصدره فيكتور أجروسو في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع الثمانينات «يشكل دعوة أو صيحة لاستغلال إمكانات الشيوخ وتطويرها، وهو يسهم في تغيير النظرة التقليدية التي تعد الشيخوخة مرحلة خمول وهمود واسترخاء، وترى الشيخ إنسانا عاطلا بالضرورة وعاجزا عن تقديم أي شيء للمجتمع، وهذا يعني أن دوره محصور في الاستهلاك دون الانتاج، ولكن الدلائل تثبت أن هذه النظرة مفرطة في التشاؤم، وأن بإمكان الطاعنين في السن أن يسهموا في تطوير مجتمعاتهم، وحتى أن يبدعوا»[٦].

نماذج من التاريخ ومن الواقع

إن هناك الكثيرين من العلماء في مجالات عدة دينية ودنيوية انطلقوا إلى ميادين العلم في سن متأخرة ورغم ذلك استطاعوا أن يكونوا نماذج مبهرة في المثابرة والعزيمة والتوكل، ولم يكن التأخر في طلب العلم عائقا لهم عن أن يحققوا غايتهم، وينفعوا أمتهم، ويخلدوا ذكرهم، ويبقى ثواب عملهم بما تركوه من علم ينتفع به. وكثيرون من الكتاب المعاصرين الآن يعمدون في كتاباتهم إلى التذكير بهولاء العلماء رغبة منهم في إيقاظ الهمم التي قد تستسلم لأفكار تقيدها عن المضي في طريق العلم الذي ربما يقودهم إلى نفع الأمة بأكملها.

ومن العلماء الذين طلبوا العلم كبارا عالم المدينة عبد الرحمن بن أبي ذئب الذي قال فيه الذهبي: «كان من أوعية العلم ثقة فاضلا قوالا بالحق مهيبا»[٧]، وذكر أنه طلب الحديث كبيرا وقال عن نفسه: «لو طلبت وأنا صغير كنت أدركت المشايخ ففرطت فيهم كنت أتهاون»[٨].

وهذا الكسائي الذي قال فيه الشافعي: «من أراد أن يتبحر في النحو، فهو عيال على الكسائي»[٩].

وقال عنه ابن الأنباري: اجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وأوحد في

علم القرآن»[10]. قد طلب العلم وهو كبير وترك من المؤلفات ما تزخر به المكتبة العربية، وتتلمذ على يديه من صاروا نوابغ عصرهم في علوم اللغة والقرآن.

ومن هؤلاء ابن حزم الأندلسي الفقيه الأديب الحافظ، وقد روى ياقوت الحموي أنه أقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه ستا وعشرين سنة، وأنه قال: «إنني بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدري كيف أجبر صلاة من الصلوات»[11].

ومنهم أبو بكر الرازي الذي كان إمام عصره في الطب، والذي وصفته سيجرد هونكه في كتابها «شمس الله تشرق على الغرب» بأنه «أحد نوابغ الطب العالميين في جميع العصور»[12]، قد سعى إلى دراسة الطب وقد تجاوز الثلاثين و«يقال: كان اشتغال الرازي بالطب بعد الأربعين من عمره»[13].

وفي كتابه «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» تحدث الإمام الشوكاني عن تلميذة إسماعيل بن القاسم الصنعاني قائلا: «ألف واشتغل بطلب العلم بعد أن قارب الخمسين من عمره ثم قرأ علي في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والحديث والتفسير وأدرك إدراكا كاملا لاسيما في العلوم الآلية»[14]، وغير هؤلاء كثيرون استطاعوا أن يؤسسوا بنيانهم العلمي الشامخ بعد أن تخطوا مرحلة الشباب.

وعصرنا الحديث أيضا به العديد من قصص الكفاح لأولئك الذين اتسموا بالمثابرة في طلب العلم، ولم يلتفتوا إلى كبر أعمارهم، ومن تلك القصص التي تثير الإعجاب والدهشة قصة البروفيسور قريب محمد راجع الذي كان خفيرا بالجامعة الإسلامية بأم درمان، وكان يستمع إلى مناقشات الطلبة العلمية ويشاركهم في النقاش ويطلع على كتبهم، ومن هنا بدأت رحلته في طلب العلم، واستطاع أن يلتحق بالجامعة وأن يتخرج منها ولم يكتف بذلك بل واصل طريقه حتى حصل على الماجستير بعد أن تجاوز الخمسين ثم حصل بعد ذلك على الدكتوراه، ليقوم بالتدريس بالجامعة ويواصل تحصيله العلمي إلى أن يحصل على الأستاذية[15].

وقد قرأت أن أحد العلماء المعاصرين طلب من بعض معلمي العلوم الشرعية أن يدرس على يديه فأخبره أنه لا يمكنه ذلك لأن سنه تجاوز مرحلة الطلب، إلا أن الرجل لم ييأس وظل يطلب العلم حتى وصل فيه إلى الدرجة التي جعلت من رفض تعليمه من قبل يستفتيه في بعض المسائل، وهكذا تكون الهمة العالية التي لا تعرف الرضوخ للكلمات المحبطة ما دامت قد أحسنت التوكل وعقدت العزم وأخلصت النية.

الهوامش

١- ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، بيروت: دار الكتب العلمية، (٢/ ٧٩).

٢- أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين، بيروت: دار اقرأ، (ص ٤٤).

٣- د. عزام محمد الدخيل: تعلومهم نظرة في تعليم الدول العشر الأوائل في مجال التعليم عبر تعليمهم الأساسي، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، (ص: ٦٣).

٤- د. موسى نصار: استراتيجية تعليم الكبار، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، (ص: ٧٥، ٧٦).

٥- ياسر الفهد: رحلة في كتاب «كيف يتعلم الشيوخ؟ مبادئ علم الشيخوخة التربوي»: مجلة الفيصل العدد: (١٣٥، رمضان ١٤٠٨هـ، ص: ٦٠).

٦- السابق: (ص: ٦٢).

٧- الذهبي: سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث، (٦/ ٥٦١).

٨- السابق: (٦/ ٥٦٧).

٩- السابق: (٧/ ٥٥٤).

١٠- السابق: (٧/ ٥٥٤).

١١- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (٤/ ١٦٥٢).

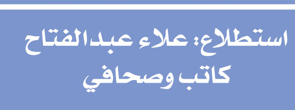
١٢- د. سيجريد هونكه: شمس الله تشرق على الغرب، القاهرة: دار العالم العربي، (ص: ١٦٧).

١٣- أبو محمد بامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، جدة: دار المنهاج، (٣/ ٣٣).

١٤- الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت: دار المعرفة، (١/ ٨٢).

١٥- انظر د. عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الخرطوم: شركة أفروقراف للطباعة، (٥/ ١٨٦٨، ١٨٦٩)، وطبقا لهذه الموسوعة فإن الدكتور قريب ولد عام: ١٩٢٩م، وتخرج من جامعة درمان ١٩٧٨م، ونال منها الماجستير ١٩٨٣م، وانظر أيضا: موقع وكالة السودان للأنباء: قصة نجاح من خفير إلى بروفيسور، وقد ذكر ابن الدكتور قريب للموقع أن والده ولد عام: ١٩٢٠م، وقد توفي رحمه الله عام: ٢٠١١م.





استطلاع: علاء عبد الفتاح
كاتب وصحافي



شعب ودود وتكلفة معيشية رخيصة

قرغيزيا بلاد الطبيعة الساحرة



نحن أربعون.. هذه هي ترجمة قرغيزيا البلد المسالم الواقع في حضن سلسلة جبال شمال شرق آسيا.. والمقصود بنحن أربعون أي نحن شعب مؤلف من أربعين قبيلة أصولها تركية.

ما إن تهبط بقدميك أرض قرغيزيا، التي نالت استقلالها عن الاتحاد السوفيتي فور تفككه عام ١٩٩١م، حتى تشعر بأنك انتقلت إلى وجهة مختلفة من العالم لها خصوصية البساطة وميزتا النقاء وعزة النفس. وإن كنت حتى في شهر يوليو أو أغسطس فلا بأس من الاحتماء بملابس شتوية ثقيلة تحسبا لرياح باردة وأمطار غزيرة تفرغها سحب تعبر البلاد فجأة من دون مقدمات. الطريق من مطار العاصمة بشكيك إلى حيث اخترت السكن من فنادق متفاوتة النجوم والأسعار سيؤكد لك هذه البساطة التي لاحظتها مع الركاب المواطنين الذين شاركوك متن الطائرة وطوابير الجوازات للحصول على ختم الدخول. فقيادة السيارات من الجهتين كلتيهما يمينا ويسارا ولا أحد يطلق أصوات التنبيه حتى لو تأخر من أمامه في الحركة على الطريق.. الأسواق وحتى الباعة الجائلون في منتهى الهدوء ينتظرون رزق الرزاق ولا يتكالبون عليه بل ولا يحاولون إغراءك لتشتري منهم دون غيرهم.

قليل جدا من يتكلم اللغة الدولية المشتركة (الإنجليزية) كأن هناك حالة اكتفاء بالرغم من مظاهر فقر مادي لا تتناسب أبدا مع هذا الغنى الواضح في جمال الطبيعة..

السحب لا تعلو الجبال المكسوة بالخضرة هنا بل تتداخل معها بحب، وثاني أكبر بحيرة في العالم، المسماة ايسك كول، تعكس صورة السماء الرائقة في أغلب أيام الصيف،



وحتى الغيوم تأتي بسرعة وتروح لتفسح المجال لناظريك باستكمال التمتع بجمال خلق الله.

قد تتساءل (بينك وبين نفسك) وأنت في إحدى الغابات أو أثناء صعودك أحد الجبال أو وأنت جالس تستريح عند ماء نهر جار ضمن أكثر من ألفي نهر سبحانك ربي إن كان هذا صنيعك في الدنيا لمن يستحق ومن لا يستحق فماذا أعددت للمتقين في جنات النعيم؟!

والحقيقة أن دولا خليجية تنشئ مشروعات خيرية عديدة بقرى قرغيزيا، لكن بصمة الكويت واضحة لا تخطئها عين من خلال جمعيات خيرية كبرى مثل جمعتي الرحمة العالمية والسلام للأعمال الخيرية والإنسانية، وربما تتاح لك فرصة زيارة مشغل حياكة في قرية مثل قرية أوروك (ضواحي العاصمة بشكيك)، تعمل به ٣٠ أرملة أو أكثر، وينتج ملابس توزع على الأيتام، بينما جانب من الإنتاج يباع لينفق المشروع على نفسه كأحد مشاريع التنمية المستدامة لجمعية السلام، التي يؤكد رئيسها الدكتور نبيل العون أن ثمة ١٩٥ مشغلا مماثلا أنشأته الجمعية في قرى قرغيزيا بفضل مساهمات أهل الخير من الكويت، أما على مستوى العالم فتبلغ المشاغل التي أسستها الجمعية لتوظيف الأرامل ٣٥٠ مشغلا. وهذا -بحسب د. العون- رافد واحد من روافد كثيرة تقدمها الجمعية، لعل أشهرها كان إرسال ٤٠٠ شاحنة خير إلى سورية واليمن.

أما المدير العام للجمعية ضاري البعيجان فكان مثل دينامو يحرك ويضيء الطريق لمشروعات خير لا يتسع المقام لذكرها، لكنه أوضح أن مشروع المشغل لا يستغرق إنشاؤه منذ اختيار قطعة الأرض والبناء وجلب الماكينات وتعليم الأرامل عن طريق خبيرات ثم بدء الإنتاج إلا ٦ أشهر فقط، وهو رقم قياسي بلا شك لكي يقف مشروع تنمية مستدامة على قدميه، لكن المهم أيضا -كما يلفت البعيجان- أن يتدرب الشباب على فعل الخير بعد أن يروا بأنفسهم آثار ذلك على الأسر المسلمة البسيطة التي يتغير حالها ١٨٠ درجة بعد أن تستقر الأم المعيلة في وظيفة وتحقق دخلا يمكنها من تعليم أولادها والإنفاق عليهم بشكل كريم.

عبدالعزيز نورمات أولو أحد الشباب القرغيزي العامل في الحقل الخيري التابع لجمعية السلام هناك، وهو يتحدث العربية بطلاقة لأنه درس في الكويت ثم انتقل للعمل في موطنه قرغيزيا، وهو دليل سياحي أيضا دقيق ومخلص بحسب ما شاهدناه.. من الخدمات التي يقدمها عبدالعزيز حصولك على بطاقة هاتف وتجديدها بنفسك عن طريق الماكينات المتوافرة في المراكز التجارية وبالشوارع الرئيسية وأسبوعيا تكلفك الشريحة نحو ٢٢٠ سوم (الدولار ٨١-٨٢ سوم) أي حوالي ٢,٧ دولار لمدة أسبوع غير محدد الاستخدام للإنترنت وهو ما يدل على طبيعة الأسعار في قرغيزيا. أما أرخص ما يمكن أن تشتريه هناك فهو سلال المشمش فالكيلوغرام الواحد سعره ٣٠ سوم (أي ٠,٣ دولار تقريبا) ما يعادل مئة وعشرة فلوس.

يمكن القول في نهاية استطلاع سريع أن قرغيزيا مثل بلدان يسكنها غالبية مسلمة كثيرة بلد سياحي بكر حتى في أشهر الشتاء، حيث التزلج على الجليد، وهي بلد ينتظر الزيارات السياحية منا بدلا من أن نوجه قبلتنا شطر بلدان أخرى بحكم شهرتها فقط.

د. صابر علي عبد الحليم
دكتوراه الفلسفة الإسلامية



الحقوق الزوجية في الإسلام

حرصت الشريعة الإسلامية على استقرار الحياة الزوجية والأسرية؛ لأجل هذا فقد وضعت الشريعة الإسلامية حقوقا بين الزوجين على أساسها يهنأ الزوجان بحياة زوجية وأسرة مستقرة آمنة، وهذه الحقوق مشتركة بين الزوجين، فكما أن الزوج له حقوق على زوجته الزوجة كذلك، وهذه الحقوق بينتها الشريعة الإسلامية.

حقوق الزوج على زوجته

هناك حقوق للزوج تجاه زوجته والزوجة تجاه زوجها، ولا يمكن أن تستقر الأسرة ويهنأ عيشها إلا إذا توافرت هذه الحقوق بين الزوجين، ومن هذه الحقوق:

أن تحفظ أسراره

وحفظ الأسرار سواء فيما يتعلق بالفراش، أو بالعلاقة الحميمة، أو فيما يتعلق بشؤون الأسرة والبيت، حق مشترك بين الزوجين، ففيما يتعلق بحق الفراش يجب على الزوجة ألا تفشي أسرار العلاقة الحميمة

بينها وبين زوجها، والزوج كذلك؛ لأنه يفسد الحياة الزوجية، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، ففي الحديث، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنها كانت عند رسول الله والرجال والنساء قعود عنده، فقال: لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر ما فعلت مع زوجها، فأرم القوم، فقلت: إي والله يا رسول الله، أنهم ليفعلون، وأنهن ليفعلن، قال: «فلا تفعلوا، وإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون»[1]، فمن حق الزوجة على زوجها ألا يفشي سرها، ومن حق الزوج ألا تفشي سر؛ حتى تدوم العشرة والمودة بين الزوجين.

معاونة الزوج في تربية الأبناء

على الزوجة ألا تنسى جميل زوجها، وأن تعاونه على مطالب الأسرة، وتربية الأبناء فهو حاميها وراعيها والمنفق عليها، والموفر لها كل متعة، والمتحمل عنها متاعب الحياة ومشاقها.

كما أنها لا تجد حرجا أن تخدم زوجها تطوعا منها، وعرفانا بجميله عليها، ففي الحديث، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: شكت إلي فاطمة رضي الله عنها مجل يديها من الطحن، فأتينا ﷺ فقلت: يا رسول الله، فاطمة تشتكي إليك مجل يديها من الطحن، وتسألك خادما فقال: ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ فأمرنا عند منامنا بثلاث وثلاثين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، من تسبيح وتحميد وتكبير»[2] فخدمة الزوجة لزوجها يوثق عرى المحبة والمودة بينهما.

حق الاستئذان

ولأجل استقرار الحياة الأسرية بين الزوج وزوجته، للزوج الحق في معرفة ما تقوم به زوجته، وأن تستأذن فيما تقوم به من أعمال، وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى، ففي الحديث، عن ابن عمر عن النبي ﷺ أن امرأة أتته، فقالت: ما حق الزوج على امرأته؟ فقال ﷺ: «لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تعطي من بيته شيئا إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر، ولا تصوم يوما تطوعا إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك أثمت ولم تؤجر، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها الملائكة، ملائكة الغضب وملائكة الرحمة، حتى تتوب، أو تراجع، قيل: فإن كان ظالما؟ قال: وإن كان ظالما»[3]، وهي بهذا السلوك تعمل على إرضاء ربها ومودة زوجها ومحبته لها.

حق الاستمتاع

للزوج أن يستمتع بزوجته في حدود ما أحل الله، قال الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(البقرة: ٢٢٣)، فله أن يأتيها كيف شاء، شرط أن يتقي الحيضة والدبر، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: «هلكت» قال: «وما أهلكك؟»، قال: حولت رحلي الليلة، قال: فلم يرد عليه شيئا، فأوحى الله إلى رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾، يقول: «أقبل وأدبر واتق الحيضة والدبر»[4].

وهذه العلاقة الحميمة بين الزوجين حق مشترك؛ فالحاجة إلى الإشباع الجنسي لا يقل أهمية لدى الرجل والمرأة عن الحاجة إلى الطعام والشراب، وسائر الحاجات المادية، فالمتعة الزوجية القائمة على العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة مشتركة، وإذا دعا الزوج زوجته إلى فراشه وتمنعت الزوجة من غير سبب ظاهر، كمرض ونحوه، لعنتها الملائكة حتى تصبح، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح»[5]. فمن حق الزوج على زوجته ألا تمتنع عنه إلا لضرورة شرعية، فإن امتنعت، فقد أثمت.

معالجة نشوزها وعصيانها

قد تضطرب الحياة الزوجية بعض الشيء، فيلجأ الزوج إلى معالجة ما أعوج في الحياة الزوجية، فيبحث عن الدواء، وقد عالج القرآن الكريم مثل هذه الأحوال

بأكثر من طريق لعودة الزوجة إلى حالتها السوية في علاقتها مع زوجها وأولادها، وقد سماها القرآن نشوزا، وحالة النشوز هذه بين القرآن علاجها بالتدرج، قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾(النساء:٣٤-٣٥).

بين ربنا في الآيتين السابقتين موقف الرجل من المرأة الناشز والتي خرجت عن طوع زوجها، فقد قرر القرآن لكي تعود الزوجة إلى رشدها ثلاثة طرق وهي: الوعظ، الهجر، والضرب، والضرب الخفيف إذا ترتب عليه ضرر أكبر فينبغي تركه، وإن رأى في الضرب فائدة يكون بالسواك، كنوع من التعزيز، فلا نلجأ إلى الثانية إلا إذا لم تنفع الأولى، ولا نلجأ إلى الثالثة إلا بعد الثانية، وهكذا حتى تعود إلى رشدها وصوابها. وتأديبها لا يعني إنقاصها، أو التقليل من شأنها، أو إهانتها، وإنما عودتها إلى ما كانت عليه من هدوء ودفء أسري.

حقوق الزوجة على زوجها

كما أعطت الشريعة الإسلامية للزوج حقوقا على زوجته، أعطت للزوجة حقوقا على زوجها، ومن هذه الحقوق:

- المهر: وهو ما يدفع للزوجة تقديرا لها وإعزازا لمكانتها، وهو واجب للزوجة على زوجها، لقول الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ (النساء: ٤)، وحقها في المهر حاصل، وإن تفاوت الناس فيه، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن امرأة أتت النبي ﷺ، فعرضت عليه نفسها، فقال: «ما لي في النساء من حاجة «فقال رجل: يا رسول الله زوجنيها، قال: «ما عندك؟ «قال: ما عندي شيء، قال: «أعطها ولو خاتما من حديد «قال: ما عندي شيء، قال: «فما عندك من القرآن؟» قال: «كذا وكذا، قال: «فقد ملكتكها بما معك من القرآن»[٦]، فالمهر للزوجة شيء ثابت قل أو كثر، وهو حق من حقوقها.

- النفقة: نفقة الزوجة واجبة على الزوج على قدر سعته وحركته في الحياة، قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ (الطلاق:٧)، والنفقة على الزوجة حق من حقوقها، ففي الحديث عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، أن رجلا سأل النبي ﷺ ما حق المرأة على الزوج؟ قال: «أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت»[٧].

- السكنى: وهو أن يهيئ لها مسكنا مناسبا على قدر إمكانياته المادية وسعته، لقول الله تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾(الطلاق: ٦) والنفقة بأنواعها هو ما تحتاجه الزوجة: من سكن، وإطعام، وكسوة، وتطبيب.

تعليمها أمور دينها وتثقيفها

من حقها على زوجها أن يعلمها أمور دينها، وما يضبط علاقتها مع زوجها، فيعلمها العبادات، وفقه الأسرة، وحقوق الزوجية، وحق الجوار، وما إلى ذلك مما يكون سببا في إسعادها وتوافقها الأسري، وهو بهذا يقيها النار، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(التحريم: ٦)، فعلى الزوج أن يعلم زوجته أمور دينها، والصلاة؛ فإن المرأة تميل إلى التهاون فيها بحجة انشغالها بأعمال أخرى، فيعلمها أحكام الطهارة بأنواعها، وكل ما يتعلق

بالنساء من عبادات ومعاملات، وهو ما يسمى في عصرنا الحديث «فقه المرأة».

العدل في القسمة بين الزوجات: من حق الزوجة على زوجها أن يعدل بين زوجاته لمن له أكثر من زوجة؛ لأن اللّه شرط التعدد بالعدل، فمن خاف العجز والقيام بأكثر من واحدة، فعليه الاكتفاء بواحدة، لقول اللّه تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء من:٣)، وقد حذر النبي ﷺ الذي له أكثر من زوجة من عدم التسوية والعدل بين زوجاته، ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من كانت له امرأتان فمال مع إحداهما على الأخرى، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط»[٨]. والعدل يكون في النفقة والمبيت وسائر الأشياء المادية من المأكل والمشرب والمسكن والملبس، حتى في الابتسامة، والمداعبة والملاطفة، وقضاء الوقت، أما الميل القلبي فليس في مقدور الإنسان، ففي الحديث عن عائشة رضي اللّه عنها، قالت كان النبي ﷺ يقسم فيعدل، فيقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[٩] فإذا كان للزوج أكثر من زوجة، فله أن يعدل فيما يملك من النفقة والمبيت وسائر المطالب المادية على قدر سعته، أما الميل القلبي، فلا حرج عليه إن مال مع إحداهما على الأخرى.

معاشرتها بالمعروف

ومعاشرتها بالمعروف أن يجتهد في إكرامها والإحسان إليها بالقول والفعل، فبالقول بالكلام الطيب والمداعبة، وألا تمتد اليد إليها بالإهانة، وألا يشعرها بالغربة، وينفق عليها نفقة من غير إسراف ولا تقتير، بأن يكون وسطا، ففي الحديث، عن عائشة رضي اللّه عنها، أن هند بنت عتبة، قالت: يا رسول اللّه: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، فقال ﷺ: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[١٠].

ومن معاشرتها بالمعروف أن يحسن ملاطفتها بالترفيه والتخفيف عن النفس، فقد كان النبي ﷺ يلاطف زوجاته ويداعبهن، فمثلا كان يقول لعائشة رضي اللّه عنها: «حبي لك كعقدة في حبل، فتضحك هي رضي اللّه عنها، ثم كلما مرت عليه سألته: «كيف حال العقدة يا رسول اللّه؟ فيقول: كما هي»[١١]، كان ﷺ يبتغي مرضاة أزواجه إكراما لهن، وسعيا إلى إرضائهن، قال اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التحريم:١)، كما لا يجد الزوج حرجا أن يتحمل أذى الزوجة، ظففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[١٢]، فالحقوق الزوجية، حق مشترك بين الزوجين، فكما أن الزوج له حق على زوجته، الزوجة لها حق على زوجها، هذه الحقوق والتي ما توافرت في أسرة، وعاشها الزوجان إلا عاشوا في سعادة وهناء.

الهوامش

١- أخرجه أحمد، ج٢٤، حديث رقم (٢٧٥٨٣)، ص ٥٦٤.
٢- أخرجه أحمد، ج٢، حديث رقم (٩٩٦)، ص٢٨٨.
٣- أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، ج٧، حديث رقم (١٤٤٩٠)، ص٢٩٢.
٤- أخرجه ابن حبان، ج٩، حديث رقم (٤٢٠٢)، ص ٥١٦.
٥- أخرجه البخاري، ج٤، كتاب بدأ الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم (٣٢٣٧)، ص١١٦.
٦- أخرجه البخاري، ج٧، كتاب النكاح، باب إذا قال للولي زوجني فلانة، فقال: قد زوجتك بكذا، وكذا، جاز النكاح، وإن لم يقل للزوج: أرضيت، أو قبلت، حديث رقم (٥١٤١) ص١٨.
٧- أخرجه أبو داود، ج١، حديث رقم (١٨٥٠)، ص٥٩٣.
٨- أخرجه ابن حبان، حديث رقم (٤٢٠٧)، ج١٠، ص٧.
٩- أخرجه الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٢، حديث رقم (٢٧٦١)، ص ٢٠٤.
١٠- أخرجه البخاري، ج٧، كتاب النفقات، حديث رقم (٥٣٦٤)، ص٥٦.
١١- أبي نعيم: حلية الأولياء، حديث رقم (١٤٩٦).
١٢- أخرجه البخاري، ج٤، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات اللّه وسلامه عليه، حديث رقم (٣٣٣١)، ص ١٣٣.

خلف أحمد محمود أبوزيد
كاتب وباحث تربوي



كيف تجعلين طفلك منظما؟

هناك مقولة تتردد على ألسنة الآباء والأمهات، ما دام هناك أطفال صغار في البيت، فلابد أن هناك فوضى، وإذا كان البعض يعتقد في صدق هذه المقولة، فإنها في الحقيقة تبدو عارية من الصواب، وتعبر فقط على تصورات قائلها وضعف خبراته العملية في تربية الأبناء، فإذا كان الطفل في المرحلة الأولى من عمره تكثر حركته، ويكون اللعب من أعماله اليومية، وذلك أمر طبيعي، يجب أن يتقبله الوالدين وهو في الوقت نفسه لا يتعارض مع تعليم الطفل النظام منذ صغره، حتى يصبح من العادات الثابتة لديه، ولكن تبقى هناك حلقة مفقودة لدى كثير من الآباء والأمهات، بين تفهم خصائص النمو الطبيعي للطفل، وكيفية تدريبه على العادات السليمة والخصال الحسنة، والتي في مقدمتها تربية الطفل على حب النظام، فيلجأ الكثير منهم إلى تأجيل ذلك، تحت تصور أنه سيتعلم حين يكبر، وهذا بالطبع تصور خطأ، فهل سيتعلم الطفل من تلقاء نفسه؟ ومن الذي سوف يعلمه؟ وهل يكفي أن يعلم أم لابد من تدريبه على العادات الحسنة والسلوك القويم منذ مرحلة طفولته الأولى حتى تتأصل الخصال الحسنة في نفسه؟ والسؤال المطروح إذن، كيف نربي أبنائنا على حب النظام ؟ فتعليم الأطفال النظام في الحياة، لا ينحصر دوره عند ترتيب غرفهم وأسرتهم وألعابهم فقط، بل الموضوع أعمق من ذلك بكثير، فعندما ترسخ قيمة النظام عند الطفل، فأننا بذلك نساعده على تنظيم وقته وأفكاره وأولوياته اليومية، الأمر الذي يجعله مسؤولا عن نفسه فيما بعد، وبالتالي ينشأ الطفل على معرفة بأهمية وطريقة تنظيم حياته بأختلاف جوانبها بعد ذلك، وإليك عزيزتي الأم بعد الخطوات العملية، التي تساعدك في تربية طفلك على حب النظام.

كوني قدوة لطفلك

لا يستطيع أحد أن ينكر دور القدوة

وأثرها الفعال في نفس الطفل، فاذا أردنا أن نربي أبناءنا على حب النظام، فلابد أن يلمسوا في سلوكنا معهم الالتزام بهذه القيمة، فالقدوة الحسنة تعد خير وسيلة لتعويد الطفل على النظام، إذ إن الطفل بطبعه ينمو على التقليد، ويفكر غالبا في تقليد من يحبهم ويعاشرهم لأوقات طويلة، خاصة الأم، فإذا لمس منك حب النظام والحرص عليه، وأنك تمارسين النظام سلوكا عمليا خلال حياتك اليومية، فإن ذلك يجعله ينطبع بطبعك ويتشرب سلوك النظام منك، فلا تعرف الفوضى والتبعثر طريقها إلى نفسه بعد ذلك.

كل شيء له مكانه

علمي طفلك منذ سن مبكر، بأن لكل شيئ مكان خاص به، وحددي أمام طفلك هذا المكان، ثم اطلبي منه بعد ذلك أن يعيد الأشياء إلى مكانها، واجعلي تعليماتك واضحة ومفهومة بالنسبة له، فمثلا بعد الانتهاء من اللعب أطلبي منه أن يضع الألعاب في صندوق اللعب، والأحذية في خزانة الأحذية، والكتب في درج المكتب أو المكتبة الخاصة بها، وهكذا يتعلم منك منذ الصغر بأن لكل شيء مكانه.

تحديد مكان لكل نشاط

عليك أن تحددي لطفلك أيضا مكانا خاصا بكل نشاط يريد أن يقوم به، فمثلا المذاكرة تتم في المكتب في غرفة النوم أو غرفة المكتب إن وجدت، واللعب بالدراجة يكون في حديقة المنزل، واللعب بالألعاب الصغيرة يكون في غرفة الألعاب، وتناول الطعام يكون على المائدة، ولا يجوز إحضار الألعاب إلى غرفة الجلوس، كما لا يجوز اصطحاب الأجهزة الإلكترونية إلى مائدة الطعام، وهكذا يتعلم الطفل أن لكل شيئ نظام خاص به.

علميه عادات معينة

عليك تعليمه عادات معينة، يكتسب من خلالها حب النظام، فمثلا أن تعليمه أن تبديل ملابس النوم تكون فور الاستيقاظ، ولا يجوز اللعب في ملابس النوم، أو استقبال الضيوف بها، كما لا يجوز ارتداء الحذاء في غرفة النوم، وعلميه أيضا المشاركة في إعداد المائدة بتعريفه كيفية وضع طبق أمام كل مقعد، وكيف يساعد في رفع الأطباق بعد الانتهاء من تناول الطعام مبتدئا بطبقه الخاص به، وترتيب فراشه في كل صباح بعد الاستيقاظ، ووضع ملبسه في دولابه، على أن تكون بالطبع في متناول يده، وذلك يتم بالتدريج وبالتدريب منك حسب سن طفلك واستعداده، وحيث إن الطفل في هذه السن المبكرة يمكن أن يكتسب مهارات جديدة، من خلال تعاونه في إطار الأسرة، من أجل تحقيق النظام، ولكن دورك يتمثل في مساعدته في البداية وتوجيهه، حتى يستطيع بعد ذلك فعل هذه المهام بنفسه والتعود على القيام بها، دون أن تطلبين منه ذلك فيما بعد.

تنظيم وقته

عليك مساعدة طفلك في تنظيم وقته، بوضع جدول واضح للنشاطات المختلفة التي يمكن أن يقوم بها خلال يومه، مثل وقت الاستيقاظ، وقت تناول الطعام، وتحديد أوقات للمذاكرة، وأوقات للعب، وأوقات لمشاهدة التلفاز، والخروج للتنزه وغيرها من النشاطات الأخرى، التي يقوم بها الطفل خلال يومه، ولكن عليك أن تجعلي هذا النظام متوازنا بين المذاكرة والترفيه والالتزامات الأخرى، حتى لا يشعر الطفل بالملل والسأم والإثقال عليه في جانب وإهمال جوانب أخرى، وحتى لا تفقد قيمة النظام في النهاية أثرها في نفسه.

شجعي طفلك

إذا نجح طفلك في تنظيم أموره وعرف النظام طريقه إلى نفسه، فلا بأس من استخدام كلمات التشجيع والثناء، أو تقديم هدية بسيطة له، تعربين من خلالها عن تقديرك لما فعله ويفعله من نظام، فإن ذلك يشعره بقيمة ما يفعل، ويشجعه على الاستمرار على هذا النهج، فترسخ قيمة حب النظام في نفسه.

أخيرا

إن المهارات النظامية ضرورية لكل إنسان، وإن لم نعلمها له منذ الصغر، سيكون من الصعب عليه اعتيادها في مرحلة عمرية متقدمة، لذا عليك أن تحرصي على تربية طفلك منذ نعومة أظفاره على هذه القيمة، حتى يشكرك ويعترف بفضلك في تسهيل وترتيب شئون حياته بعد ذلك.



حسن القباني
صحافي وباحث

جائزة الملك فيصل في يد علامة الأزهر د. حسن الشافعي



يمثل الدكتور حسن الشافعي، وفق المراقبين والمعنيين بالملف الأزهري، علامة مميزة في تاريخ الأزهر الشريف وأيقونة علمية دينية متجددة، حيث حفر اسمه بأحرف من نور في مضمار خدمة الإسلام حتى أكرمه الله عز وجل بالحصول في الربع الأول من هذا العام على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ٢٠٢٢، أبرز الجوائز العربية العلمية.

ولقد سعدنا برؤيته عقب الفوز بالجائزة بمقر مجمع اللغة العربية في وسط العاصمة المصرية القاهرة، في مارس الماضي، فوجدناه محاطا بتلاميذه من أساتذة كبار وعلماء أصحاب وزن، متدفقا بالحيوية والأمل في مستقبل هذا الدين وحرصه على صيانة شباب الأمة وإصراره على خدمة الإسلام ونشر الاعتدال رغم أن سنه تزيد على التسعين، ولم لا وهو صاحب السبق في الكثير من مضامير العلم والدعوة.

ولد الدكتور حسن محمود الشافعي بقرية بني ماضي التابعة لمدينة ببا من محافظة بني سويف بجنوب البلاد، في التاسع عشر من ديسمبر عام ١٩٣٠م.

وأتم الشافعي حفظ القرآن الكريم والتعليم التمهيدي حتى وصل إلى عام ١٩٤٤م، حيث اتخذ والده العالم الأزهري قرارا فارقا في حياته وحياة ابنه بإلحاقه بمعهد القاهرة الديني في الأزهر الشريف، حيث نال منه الشهادة الابتدائية بتفوق عام ١٩٤٨م، والثانوية عام ١٩٥٣م، ثم التحق بكليتي أصول الدين بالأزهر ودار العلوم بجامعة القاهرة، وحصل على الليسانس والشهادة العالية منهما بمرتبة الشرف، فاختير معيدا فيهما، وتسلم عمله معيدا بكلية دار العلوم في قسم الفلسفة الإسلامية عام ١٩٦٣م.

وواصل رحلته التعليمية مثابرا وواثقا من نفسه، حيث نال درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية عام ١٩٦٩م عن «سيف الدين الآمدي المتكلم الأشعري المتوفى سنة ٦٣١هـ» وهي أول دراسة كلامية عنه، ثم على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٧م عن «تطور علم الكلام الاثنا عشري في القرن السابع الهجري».

وشارك د. الشافعي بدور مهم على منابر التعليم، كان من أبرزها، وفق ما يرى في لقائنا، رحلته إلى إسلام آباد عاصمة باكستان، حيث شارك هناك منذ عام ١٩٨١م في تأسيس الجامعة الإسلامية ووضع مناهج التدريس والعمل بها، وتولى عام ١٩٨٣م عمادة كلية الشريعة والقانون فيها، وفي عام ١٩٨٥م حين صارت الجامعة عالمية أصبح نائب رئيس الجامعة، ثم رئيسا للجامعة في عام ١٩٩٨م.

ومما حكاه لنا الدكتور الشافعي في لقائنا به[1] كم الضغوط القاسية التي واجهها الرجل في باكستان من المتشددين الذين

لاحقوه بالاتهامات بأنه من «علماء السلطة وأتباع الشرطة» ولكنه رغم ذلك حرص وزملاءه من العلماء على أن ينشروا أصول الدين باعتدال وحكمة عقل وسعة صدر لتفويت الفرصة على الذين لا يراعون قوانين الشرع في فهم الدين.

رحلة ثرية

ومضى د. الشافعي في رحلة طويلة ثرية جمع فيها بين العلم والإدارة، حيث أفاض على المسلمين بإنتاج علمي رصين بجانب مشاركته في العديد من المناصب المؤثرة التي تدور في الفلك العلمي الدعوي، وفق ما تم رصده.

وتقلد د. الشافعي، وفق بيانات رسمية، العديد من المناصب منها عضو مؤسس بهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف منذ عام ٢٠١٢م، وكان عضوا في لجنة المئة لوضع الدستور المصري الجديد المقترح عام ٢٠١٢م، ثم عضوا بمجلس الشورى لمدة عام واحد، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ورئيس لجنة الفكر الإسلامي المعاصر حتى عام ١٩٩٨م، وعضو اللجنة العلمية لـ «معهد الفكر الإسلامي»، بالقاهرة منذ عام ١٩٩٥م، وعضو اللجنة العليا لجائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود للسنة النبوية بالمدينة المنورة عام ٢٠٠٢م، وعضو مجلس الأمناء للجامعة الإسلامية ببنجلادش – شيتاجونج منذ عام ١٩٩٨م، ورئيس المكتب الفني لشيخ الأزهر من ٢٠١١م إلى ٢٠١٣م، ورئيس مجمع اللغة العربية في الفترة ما بين عامي ٢٠١٢ و٢٠٢٠م، ورئيس اتحاد مجامع اللغة العربية حتى الآن.

وللدكتور الشافعي رصيد كبير من الإنتاج العلمي، فقد أصدر منذ عام ١٩٧١م عشرة كتب بالعربية في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والتصوف، وأكثر من ثلاثين بحثا علميا في العديد من المجلات والدوريات العلمية في مصر والخارج، وخمسة نصوص تراثية محققة، وأربعة كتب مترجمة، والإشراف والمناقشة للعديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في العديد من الجامعات المصرية والجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، وجامعة البنجاب في لاهور بباكستان، والجامعة الإسلامية العالمية بكوالالامبور-ماليزيا بجانب الاشتراك في فحص وتقويم بحوث ترقية الأساتذة في جامعات: العين والكويت وقطر والأردن والسعودية ومصر، منذ عام ١٩٩٠م.

ومن أبرز مؤلفاته: الآمدي وآراؤه الكلامية، وعلم الكلام بين ماضيه وحاضره، والمدخل إلى دراسة علم الكلام، وفصول في التصوف، والتيار المشائي في الفلسفة الإسلامية، وأبو حامد الغزالي: دراسات في فكره وعصره وتأثيره، والإمام محمد عبده وتجديد علم الكلام، وحركة التأويل النسوي للقرآن والدين.

مدفع الإسلام وأهل السنة

ويعتبر الدكتور حسن الشافعي الوحيد الذي تسلم جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام مرتين، وفق إحصائيات رسمية.

وتسلم د. الشافعي الجائزة للمرة الأولى نيابة عن مجمع اللغة العربية خلال ترؤسه مجمع اللغة العربية عام ٢٠١٣م؛ من الملك سلمان بن عبد العزيز، خادم الحرمين الشريفين (ولي العهد السعودي آنذاك)، وجاءت الجائزة وقتها تقديرا لجهود المجمع على مدى أكثر من ٨٠ عاما في خدمة اللغة العربية، وما أصدره من معاجم ساهمت في خدمة لغة القرآن.

وجاءت المرة الثانية عن شخصه مناصفة مع الرئيس التنزاني الأسبق على حسن مويني في خدمة الإسلام في مارس ٢٠٢٢م.

وثمنت مشيخة الأزهر في بيان رسمي[٢] حصول العالم الجليل على الجائزة مؤكدة أن هذا «هو تتويج لنتاجه العلمي المستفيض، وأعماله التي بذلها لخدمة الإسلام واللغة العربية، وتكليل لجهود كبيرة خلال تاريخ طويل حافل بالعطاء وخدمة طلاب العلم، وأن هذا التكريم قد صادف أهله».

وسبق أن وصفه فضيلة شيخ الأزهر الشريف الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب[٣] بأنه «مدفع الإسلام، ومدفع أهل السنة» بعد كلمة شهيرة للدكتور الشافعي في أثناء زيارة رئيس جمهورية إيران الإسلامية الاسبق محمود أحمدي نجاد إلى القاهرة في عام ٢٠١٢م.

المصادر

١ – مقابلة شخصية للكاتب مع الدكتور حسن الشافعي في مارس ٢٠٢٢م.

٢ – الموقع الرسمي لمشيخة الأزهر على الإنترنت.

٣ – كتاب «المجمعيون في تسعين عاما، مجمع اللغة العربية» تحت الطبع.

د. علاء مصري النهر
باحث أكاديمي



نعمة أبو السمح خادمة كتاب الله

يختص الله عز وجل أناسي كثر بحفظ كتابه الكريم عن ظهر قلب، بيد أن قليلا منهم من يخدم كتابه بتأسيس دور لتحفيظه وتجويده على خير وجه، وممن جمع بين تلكما الحسنيين آل أبي السمح من قبيلة بني سليم العدنانية، تلكم الأسرة القرآنية كابرا عن كابر؛ فالجد محمد نور الدين بن مصطفى بن علي الملقب بأبي السمح، كان من حفظة كتاب الله، فأسس كتّابا لتحفيظه بمسقط رأسه في قرية التلين التابعة لمركز منيا القمح بمحافظة الشرقية. تخرج فيه أبناؤه: عبد الظاهر[١] (١٣٠٢-١٣٧٠هـ/١٨٨٥-١٩٥١م) الذي تولى إمامة المسجد الحرام في هذه الفترة (١٣٤٥-١٣٧٠هـ) باستدعاء من الملك عبد العزيز آل سعود، وعبد المهيمن[٢] (١٣٠٧-١٣٩٩هـ/١٨٨٩-١٩٧٩م) الذي تولى - كأخيه الأكبر - إمامة المسجد الحرام إبان هذه الفترة (١٣٦٩-١٣٨٨هـ)، ومحمد بدر الدين[٣] (ت: ١٩٦٥م) الذي عاش بحي الميدان بدمشق وذاع صيته بين علمائها وتوطدت علاقته بكل من الأديب علي الطنطاوي والعالم محمد بهجت البيطار والمحدث محمد ناصر الدين الألباني. تلكم هي الأرومة، أما ينعها فهاؤم اقطفوها:

كتب الله أن يرث العلم من بعدهم بناته الميمونات: فالشيخ بدر الدين أسست ابنته رشيدة مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم بدمشق، فغدت كالنخلة باسقة، والشيخ عبد المهيمن أسست ابنتاه السمحتان: رابعة أسست مدرسة دار الهدى لتحفيظ القرآن الكريم بحي العزيزية بجدة، فصارت هذه المدرسة في جدة محل القمر من السماء، وأسست ابنته نعمة - تلكم العالمة الجليلة التي نحن بصدد الحديث عنها - دارا لتحفيظ النساء القرآن وتجويده بالإسكندرية، وسمتها: «دار التوحيد»، وسار اسمها مسير الشمس في الإسكندرية؛ مما أسبغ عليها لقب: «سليلة بيت القرآن».

ولدت الأستاذة نعمة بمدينة القاهرة في السابع عشر من مايو (١٩٢٥م)، وحفظت القرآن على يد أبيها الذي كان له كتّاب بحي عابدين، ثم التحقت بالمدارس الحكومية وأنهت المرحلة الابتدائية بالقاهرة، ثم انتقلت مع أسرتها إلى الإسكندرية؛ حيث أكملت تعليمها بمدارس التربية النسوية، وتخرجت فيها عام: (١٩٤٤م). وبعد التخرج عملت بوزارة المعارف، وتنقلت بين شتى الوظائف في التدريس والإشراف الإداري والتربوي. وعرفت بين أقرانها بالانضباط والدقة في العمل واحترام الوقت، وتلكم أمور تشربتها من والدها الشيخ عبد المهيمن[٤].

تأثرت الأستاذة نعمة أيما تأثر بأبيها - وقد كانت بنت أبيها وأثيرته - في إخلاصه في خدمة كتاب الله ترتيلا وحفظا؛ وأتى هذا التأثر أكله في تأسيس دار لتحفيظ النساء القرآن الكريم مجودا بمنطقة سيدي بشر قبلي بترخيص من وزارة الأوقاف المصرية في: (١٩٩٢/١/١٧م)، وانتقت المعلمات لتصنع على عينها، ومن أمثال هذا اللفيف من حاملات المسك: الأستاذة كوثر عبد الله، والأستاذة مها الشاعر، والأستاذة عزة عبد اللطيف، والدكتورة فاطمة الشيخ، والأستاذة حنان نصار،... وهلم خيرا.

هكذا أخذت هذي النواة في تخريج حافظات متقنات لكتاب الله في كل عام، وسرعان ما بدأت في الذيوع والانتشار لتفرد طالباتها بالإتقان في التجويد وقراءة القرآن غضا طريا، ومن ثم بات لزاما افتتاح فروع جديدة، وهذا ما تم بمعاضدة الأستاذة نبيلة الشاذلي رفيقة درب الأستاذة نعمة،

فافتتح فرعان بميدان الساعة بالإسكندرية وفرع ثان في سيدي بشر قبلي عرف بـ: «دار التوحيد الجديدة»، وأطلق على الدار الرئيسة اسم: «دار التوحيد الأم» كما كانت تسميها الأستاذة نعمة. ومع الوقت أضحى لدور التوحيد روضات لتعليم النشء القرآن الكريم. فأشرقت الإسكندرية بنورها.

وحيث إن الأستاذة نعمة كان معها الجنسية السعودية التي كان الملك عبد العزيز قد منحها من قبل لأبيها وأسرته، فكانت تقضي فصل الشتاء بجدة وهناك التحقت بجمعية تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة، أما الصيف فكانت تقضيه بالإسكندرية وهنا تابع أمر دارها عن كثب.

كتابها عن التدخين:

ومما تحلت به الأستاذة نعمة وازدانت؛ نصح المدخنين بالإقلاع عن التدخين، لدرجة أنها كانت - كما حكت لي رفيقة دربها الأستاذة نبيلة الشاذلي[٥] - تنزل من السيارة لتنصح أحد المدخنين بالإقلاع عن التدخين وتهديه شيئا وتتلطف. وذلكم المسلك الطيب له أصل ثابت؛ فأبوها له مقالة رائقة بمجلة التوحيد العريقة عنوانها: «مضار التدخين»[٦]. ضف إلى ذلك، كان عمها بدر الدين قد كتب بخطه الجميل على مكتبته بحي الميدان بدمشق: «رائحة الدخان تؤذينا؛ فنح عنا سيجارتك يرحمك الله». فلا غروى إذن أن تصنف نعمة - أسوة بأبيها - كتابا بعنوان: «فطرتك سليمة فلا تفسدها»، تتحدث فيه عن مضار التدخين وسلبياته، راجعته الدكتورة فاطمة عبد الرحمن رمضان حسين مديرة جمعية الدراسات القرآنية بمكة المكرمة، وصدر عن مكتبة الملك عبد العزيز العامة سنة: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

لم يكن في الدنيا شيء أحب إليها من القرآن، ومن حبها له كانت تحرص على إقامة مسابقات سنوية بين الحافظات تكريما وتشجيعا لهن. وكان لسانها رطبا يلهج بدعاء النبي ﷺ: «اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي»[٧]. وكانت تحض الطالبات على المواظبة وعدم التغيب عن دروس القرآن، فمن كلمها الطيب المستجاد: «لا تقلن عندي ظروف، ولكن قلن يا ظروف عندي قرآن».

وكانت راقية في إدارتها وخلقها وشمائلها، لطيفة المعشر، متواضعة، وذات همة عالية، وعمل دائب.

ومما زادني فخرا أني التقيتها ذات مرة فوجدتها كشجرة النخيل، كلها خير، ولها في أبواب البر كل حسنة. وذكرت لي الأستاذة نبيلة الشاذلي أنها كانت تواظب على صلاة الفجر وتراجع القرآن مع إحدى صديقاتها حتى شروق الشمس، وأنها لما كانت تصلي بطالباتها كانت تقرأ سورة الملك وخواتيم سورة الحشر؛ حيث إن لاسم الله: «المهيمن» حظوة بأبيها.

إن حياتها كانت قرآنا ودارا، فقد كان لها في رسول الله أسوة حسنة؛ لذلك خرجت من الدنيا كفافا، لا لها ولا عليها، وإن تركت حسنة عظيمة عم نفعها مدينة الإسكندرية بأسرها.

وقد كانت زاهدة كأبيها، لم تتزوج، بيد أن القرآن والدار كانا قرة عينها وشغلها الشاغل؛ فالدار عندها كانت هي الحياة:

إن لله عبادا فطنا
تركوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا[٨]

وأرخى لها في أجلها حتى توفيت في يوم: (الأربعاء الثامن من شهر رجب سنة: ١٤٤٣هـ الموافق التاسع من فبراير ٢٠٢٢م) بمدينة جدة، وصلي عليها بعد صلاة الظهر في المسجد الحرام، ودفنت في مقبرة شهداء الحرم بمكة المكرمة، فرحمها الله وغفر لها وطيب ثراها.

تغمدها الباري برحماته، وجزاها عن القرآن خير الجزاء؛ فلعمري هذي هي المفاخر كقول أمية ابن أبي الصلت الثقفي:

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا[٩]

ولا يسعني إلا أن أردد قول أبي الطيب:

ولو كان النساء كمن فقدنا
لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال[١٠]

الهوامش

١- صاحب كتاب «حياة القلوب بدعاء علَّام الغُيوب»، وترجمته في: الأعلام للزِّركلي: (١١/٤).

٢- شارك في تأسيس «جمعية أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة»، ومن ألمع تلاميذه القارئ محمد صديق المنشاوي. له ترجمة في: رجال من مكَّة المكرَّمة لزُهير محمد جميل كتبي (٤٢/٢)؛ وتتمة الأعلام لمحمد خير رمضان (٣٧/٢)؛ وأئمة المسجد الحرام في العهد السعودي لعبد الله بن أحمد الغامدي، (ص: ٣٢٨-٣٤١).

٣- لتلميذه السوري الدكتور محمد بن لطفي الصباغ مقالة ضافية عنه.

٤- حصلتُ على هذه المعلومات من أخيها الدكتور رشاد عبد المهيمن.

٥- التقيتُ بالأستاذة نبيلة الشاذلي المسئولة عن دُور التوحيد واقرأ بالإسكندرية في يوم: (الأحد ٦ مارس ٢٠٢٢م).

٦- انظر: العدد: (٥٠، السنة الخامسة، صفر ١٣٩٧هـ، ص: ٢٧).

٧- رواه أحمد (١٩٧/٣٣)، رقم (١٩٩٩٢).

٨- الأبيات في وفيات الأعيان (٢٦٢/٤).

٩- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (١٩٦٦م)، (٤٦١/١-٤٦٢).

١٠- ديوان جرير، تحقيق نعمان محمد، طبعة دار المعارف، القاهرة، ط (٣)، (٨٦٢/٣).

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٧٢)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «الدمياطي»

١- الدمياطي (ت:٥٥٣هـ):

هو محمود بن معضاد بن شداد الجعبري الشاذلي، شاعر صوفي، له مشاركة في أشياء من العلم والطب. من مصنفاته: «ديوان شعر» كبير، توفي في السادس من شهر المحرم[١].

٢- شرف الدين الدمياطي (ت:٧٠٥هـ):

هو شرف الدين أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي الشافعي، حافظ للحديث، من أكابر الشافعية.

ولد بدمياط سنة ٦١٣هـ، وتنقل في البلاد، وأخذ عن كثير من الشيوخ، من أبرز مصنفاته: «كشف المغطى، في تبيين الصلاة الوسطى»، و«المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح»، و«العقد المثمن فيمن اسمه عبدالمؤمن»، توفي في القاهرة[٢].



٣- شمس الدين الدمياطي (ت:٧٠٥هـ):

هو شمس الدين أبو عبدالله، محمد بن أحمد الديروطي الدمياطي، واعظ مصري أزهري.
من أبرز مصنفاته: «المنظومة الدمياطية» قصيدة في التوسل بأسماء الله الحسنى، و«الفوائد الجلية في حل ألفاظ الأندلسية»[٣].

٤- محمد الدمياطي (كان حيا سنة ١٠٩٢هـ):

هو أبو عبدالله، أبو السعود، أبو النور محمد الدمياطي، مقرئ، مجود.
من آثاره: «مقدمة في بيان الصحيح المعتمد من طريق الإمام حمزة في الوقف على الهمزة» في التجويد[٤].

٥- أبو عبدالله الدمياطي (ت:١١٧٨هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن عيسى بن يوسف الدمياطي الشافعي الخلوتي، متكلم، منطقي.
من آثاره: «حاشية على شرح الأخضري» في المنطق، و«حاشية على شرح السنوسية» في العقائد، توفي بالقاهرة[٥].

٦- علي الدمياطي (كان حيا سنة ١١٩٣هـ):

هو علي منطلا الدمياطي، عالم مشارك في أنواع من العلوم.
من آثاره: «نكت القواعد النحوية»، و«أسئلة في دقائق من علوم مختلفة»[٦].

٧- محمد الدمياطي (كان حيا سنة: ١٢٩٥هـ):

هو محمد بن أحمد بن جعفر الدمياطي الشافعي، عالم مشارك في النحو والبلاغة وغيرهما.
من آثاره: «جلاء الطرف على منظومة الأخبار بالظرف»، و«بلوغ الأمنية على منظومة الكلمات المبنية»، و«مؤانسة الحفاظ في مجانسة الألفاظ»، و«شرح الفوائد بمولد خير العباد»، و«براعة التأليف في توضيح بعض علمي الإعراب والتصريف»[٧].

٨- محمد الدمياطي (كان حيا سنة ١٣١٥هـ):

هو محمد بن عبدالله الجرداني الدمياطي الشافعي، محدث، فقيه، متكلم.
من تصانيفه: «نيل المرام من أحاديث خير الأنام»، و«مصباح الظلام وبهجة الأنام في شرح نيل المرام»، و«مرشد الأنام إلى ما يجب معرفته من العقائد والأحكام»[٨].

٩- طه الدمياطي (ت:١٣٢٥هـ):

هو طه بن محمد قطرية الدمياطي، رئيس المصححين بدار الطباعة ببولاق مصر.
من مصنفاته: «منظومة المستكفي من الفن الصرفي»[٩].

١٠- مصطفى الدمياطي (ت:١٣٥٩هـ):

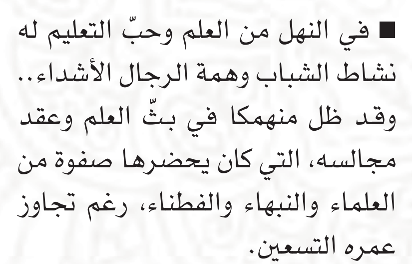
هو مصطفى بن علي بن مصطفى الههياوي المعروف بالدمياطي، جمع بين الأدب والصحافة وعلوم الدين.
ولد في «ههيا» سنة ١٢٨٧هـ، وتعلم بها، ثم بالأزهر، وتخرج بدار العلوم، وعمل في تحرير مجلة «الازهر» وزاول التعليم مدة، ورحل إلى باريس، فأقام سنتين يتعلم الفرنسية، وعاد إلى مصر، فكان من محرري «المؤيد»، ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية، وانتخب وكيلا لنقابة المحامين الشرعيين، من أبرز مصنفاته: «إجمال الكلام في العرب والإسلام»، و«التاريخ الأثري من القرآن الكريم»، و«فن الإلقاء والخطابة والكلام»، توفي بالقاهرة[١٠].

الهوامش

١- انظر: معجم المؤلفين (١١٤/١).
٢- انظر: الأعلام للزركلي (١٧٠/٤)، ومعجم المؤلفين (١٩٧/٦).
٣- انظر: هدية العارفين (٢٢٧/٢)، والأعلام للزركلي (٣٣٦/٥).
٤- انظر: معجم المؤلفين (٣٠٢/٩).
٥- انظر: هدية العارفين (٣٣٥/٢)، ومعجم المؤلفين (١٠٩/١١).
٦- انظر: معجم المؤلفين (٢٤٧/٧).
٧- انظر: الأعلام للزركلي (١٩/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٤٧/٨).
٨- انظر: إيضاح المكنون (٤٦٥/٢-٤٦٦)، ومعجم المؤلفين (٢٠٦/١٠).
٩- انظر: معجم المؤلفين (٤٤/٥).
١٠- انظر: الأعلام للزركلي (٢٣٧/٧)، ومعجم المؤلفين (٢٦٦/١٢).



هشام الصباغ
باحث لغوي



قاضي حلب وفقيهها

أحمد مهدي الخضر

■ في النهل من العلم وحبّ التعليم له نشاط الشباب وهمة الرجال الأشداء.. وقد ظل منهمكا في بثّ العلم وعقد مجالسه، التي كان يحضرها صفوة من العلماء والنبهاء والفطناء، رغم تجاوز عمره التسعين.

■ ملئ علما وفقها وتذوقا، يكره التعصب لمذهب واحد وقلبه لا يسلمه إلا لكتاب الله فقط، ومع دونه فهو عالم محقق مدقق غواص في المسائل كثير التبحر.. حسن الحفظ سريع الفهم متمكن في علوم النحو والصرف والتراجم.

■ عُرف بشخصيته القوية المؤثرة، صادق اللهجة، واسع الرؤية، دقيق العبارة، له دراية كبيرة في مجتمعه، لا يُخدع، إذا جاءه خبر لا يحكمُ بموجبه حتى يتحقق، فإذا تحقّق أعطى حكمه المتزن العادل، بلا خوف ولا وجل، لا محاباة ولا مماراة.

■ سهل المعشر، دمث الخلق، ذا دين متين، وتقوى ويقين.. ترد المسائل الفقهية والقانونية عليه، فيجيب عنها بأحسن جواب، وأتقن خطاب، وبألطف عبارة.

■ فكره منظم تحليلي يجعلك تنصت لرؤاه ومنطقه.. وملكته الفقهية والأصولية ميزته عن غيره، وكان له جَلدٌ في نشر العلم، خصوصا علمي الفقه والأصول، كما له تحليلات حسنة في علم العربية، وله بصمات واضحة على كل من تفقه في المذهب الحنفي، ولم يزل مجدا في نشر العلم حتى أصبح يشار إليه بالبنان في حلب الشهباء.. إنه الفقيه، القاضي، المحامي، العالم العامل، الشيخ أحمد مهدي الخضر.

المولد والنشأة والتعليم

■ ولد الخضر في حلب في يونيو ١٩٢٣م، لأب يعمل شرطيا (ما صبغ حياته بالانضباط والالتزام والشرف)، ولجد (الشيخ خضر رحمه الله) فقيه حنفي له منظومة لمتن نور الإيضاح للشرنبلالي في الفقه الحنفي، (وهو ما طبع حياته بحب العلم، لا سيما العلوم الدينية).. وذكر أحمد قدامة في كتابه: «معالم وأعلام»[1] أن أصله من مصر.

■ لم يدرس المرحلة الابتدائية في المدارس الرسمية، لكنه التحق بكُتّاب الشيخ عاشور، وتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة والحساب والقرآن، وبعد أن من الله عليه بحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، تعلم حياكة النسيج اليدوي كمهنة يستطيع التكسب منها.

■ وهو في عمر الـ ١٤ من عمره انتسب إلى المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية في حلب) عام ١٩٣٧م، وداوم عاما ثم تقدم إلى اختبار فقبل رسميا في الصف الأول الشرعي وتخرج فيها عام ١٩٤٥م، وحصل على الكفاءة في العام نفسه مع الثانوية الشرعية، ثم حصل على البكالوريا (الثانوية العامة الثانية) عام ١٩٤٦م، وانتسب في العام نفسه إلى كلية الحقوق وتخرج فيها عام ١٩٤٩م بعد ٣ سنوات متفوقا بالدرجة الأولى.

شيخه النبهان

■ بعدها تم إبلاغه من قبل الجامعة بالتهيؤ والاستعداد للإيفاد إلى مصر على حسابها لتكملة دراسته حتى الحصول على الدكتوراه، لكن في اللحظات الأخيرة تم استبعاده واستبدل بأحد الطلبة غير المتفوقين، وكان ذلك الحرمان من الإيفاد خيرا له دينا، إذ تعرف بعدها على الشيخ محمد النبهان وصحبه حتى وفاة الأخير.

■ كان الخضر يعتبر النبهان شيخه الوحيد، فكتب بخط يده: «المرحلة المهمة في حياتي: منذ تعرفت على الشيخ محمد النبهان».. وعندما سأله أحدهم يوما عن مولده، أجاب: «ولادتي عام تعرفي على السيد النبهان».

أشياخه وأقرانه في «الخسراوية»

■ كما سبق أن ذكرنا أن الخضر يعتبر النبهان شيخه الوحيد، غير أنه تتلمذ على يد نخبة من أساتذة العربية والعلوم الشرعية والقانونية، فمن أساتذته في «الخسراوية»: الشيخ عمر المرتيني، والشيخ المتكلم محمد فيض الله الأيوبي، والشيخ الفرضي عبدالله

المعطي، والشيخ محمد الجبريني، والشيخ المقرئ الفرضي محمد نجيب خياطة، والشيخ المحدث المؤرخ محمد راغب الطباخ، والأستاذ أمين الله عيروض، والشيخ ناجي منصور.. وغيرهم، رحمهم الله جميعا.

■ ومن شيوخه في كلية الحقوق: الشيخ الدكتور أبو اليسر عابدين، والشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ علي الطنطاوي.

■ ومن أقرانه في «الخسراوية»: الدكتور محمود ناظم النسيمي، والمحامي عبدالأعلى العلبي، والشيخ محمد ثابت الكيالي (مفتي إدلب سابقا)، والأستاذ محمد حكمت، والشيخ طاهر خير الله، والقاضي عثمان الكردي، رحمهم الله تعالى جميعا.

أعماله ومناصبه الوظيفية

■ عين قاضياً شرعياً أواخر عام ١٩٤٩م، ومارس القضاء فعليا في ١١ يناير ١٩٥٠م، فعمل قاضيا في منطقة جبل الأكراد/عفرين، وعين القاضي الشرعي الأول عام ١٩٥٤م، ثم صدر قرار بعزله من القضاء بسبب ترشحه للمجلس النيابي ضد الشيشكلي[٢] وبسبب هذا القرار سقطت الوزارة، ثم باشر المحاماة في هذا العام حتى تقاعد أواخر عام ٢٠٠٣م (أي بعد نحو خمسين عاما).

■ خلال عمله بالمحاماة أسندت إليه وزارة الأوقاف السورية عام ١٩٦٣م، لستة أشهر في حكومة محمد عمران، عندما كان أمين الحافظ رئيسا لسورية.

■ وفي تلك الفترة الزمنية البسيطة، ترك الوزير الخضر أثرا كبيرا، إذ دعا إلى مؤتمر لوزراء الأوقاف الإسلامية وانتخب رئيسا له، وطالب في أول خطاب له بالمؤتمر بتوجيه ثروات أوقاف المسلمين لغايات الواقفين الإسلاميين، وتخصيص جزء من تلك الأموال لنشر الإسلام في إفريقيا ومكافحة الصهيونية في القارة السمراء.. كما جهز مشروعا لربط القرى والنواحي والأقضية والمحافظات السورية في خطة أعدها لتهيئة جميع المساجد السورية لمكافحة أميّة السوريين.

■ تولى تدريس الديانة في الكلية الإسلامية بحلب لعامين بعد اعتزال القضاء وخلال الفترة الأولى من المحاماة، وقبل ذلك درّس في ثانوية الصنائع في حلب، وثانوية الفتاة العربية، كما درّس قواعد اللغة العربية في مدرسة ليلية في جامع العثمانية بحلب للعمال المحترفين الذين يعملون في النهار ويتفرغون للدراسة ليلا وكان ذلك خلال دراسة الحقوق في الجامعة السورية في دمشق.

■ درّس في المدرسة الشرعية في منبج (دار الأرقم) علم الفرائض حسبة لله لمدة ١٨ عاما، كما تولى إدارة مدرسة الكلتاوية (دار نهضة العلوم الشرعية) لعامين ونيف بعد وفاة مديرها شيخه المربي الفاضل محمد النبهان.

دعوته وإنتاجه العلمي

■ أفنى الشيخ سنين طويلة من عمره في إفادة الناس عبر نشر العلم بينهم ممزوجا بالتربية، وكانت دروسه دون كلل أو انقطاع (حسبة لله) في عدد من جوامع حلب: جامع النور في سيف الدولة (بعد عصر الجمعة وفجر السبت)، وجامع العادلية (بعد صلاة عشاء الخميس)، وجامع الغفران (بعد صلاة عشاء الثلاثاء)، هذا بخلاف دروسه في منزله ومنازل طلابه وأصحابه.

■ من أهم الكتب التي درّسها: «حاشية ابن عابدين»، و«الموافقات» للشاطبي، و«موطأ الإمام مالك»، و«حياة الصحابة» للكندهلوي، و«رياض الصالحين»، و«الاختيار»، و«نسمات الأسحار»، و«بهجة النفوس»، و«الأدب النبوي»، و«بلوغ المرام»، و«نيل الأوطار» للشوكاني.

■ ومن آثاره العلمية: صنف كتاب المختار الجامع للأحكام والآثار من كتابي رد المحتار (حاشية ابن عابدين) وإعلاء السنن، وهو أول من صنف فهرس عصري لحاشية ابن عابدين مقارنا مع القانون، وهو صاحب فكرة إنشاء الموسوعة الفقهية في الكويت.

مساهمته مع «الوعي»

■ كانت للشيخ مساهمة واحدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «الشريعة بين العاطفة والتنظيم» في العدد: ١٥.

وفاته

■ توفي الشيخ، رحمه الله، ببيته في حلب ظهر الخميس ٢٨ فبراير ٢٠١٣م، عن عمر يناهز الـ٩٠ عاما، وصلّي عليه بعد العصر في جامع الغفران بحلب الجديدة، ودفن في الجامع نفسه.

الهوامش

١ - كتاب معالم وأعلام في بلاد العرب: هو موسوعة تاريخية، جغرافية، أثرية، طبوغرافية، وتراجم للأشخاص، وضبط للأسماء والألفاظ، وشرح للتعابير والمصطلحات المتداولة، مرتبة بحسب الحروف الهجائية.

٢ - هو العقيد أديب بن حسن الشيشكلي (١٩٠٩م في حماة - ٢٧ سبتمبر ١٩٦٤م في البرازيل) رئيس سورية بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٤م (ويكيبيديا).

المصادر

- رابطة العلماء السوريين.
- رابطة أدباء الشام.
- الموسوعة التاريخية لعلماء حلب.
- موقع تراجم عبر التاريخ.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

موسوعة نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بموسوعة نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

هو موسوعة تاريخية مهمة في دراسة التاريخ والأدب والجغرافيا الخاصة بالأندلس، ألفها المقري التلمساني، وقد صرح في مقدمة كتابه أنه ألفه إجابة لطلب الإمام المولى الشاهيني أستاذ المدرسة الجقمقية في دمشق، وقال: «وعزمت على الإجابة لما للمذكور علي من الحقوق، وكيف أقابل بره بالعقوق، فوعدته بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزية». وقد كان عنوان الكتاب في أول الأمر: (عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب)، فلما توسع صاحبه في مادته وشملت الأندلس أدباً وتاريخاً، عمد إلى تغيير عنوانه إلى: (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب).

التعريف بالمقري التلمساني

هو أحمد بن محمد المقري هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني القرشي المالكي من أعلام الفكر العربي في الجزائر أثناء عهدها العثماني شخصية متميزة فكرياً.

ولد شهاب الدين المقري سنة: (٩٨٦هـ الموافق/ لسنة: ١٥٧٨م) بمدينة تلمسان، وأصل أسرته من قرية مقرة التي تقع في منطقة المسيلة ببلاد الزاب، نشأ بمدينة تلمسان وطلب العلم فيها وكان من أهم شيوخه التلمسانيين عمه الشيخ سعيد المقري، أمضى خلال سنواته هذه حياته في طلب العلم وحفظ القرآن الكريم وعلوم الشريعة.

انتقل إلى مدينة فاس في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور ، ثم ذهب إلى مراكش لكنه عاد إلى مدينة فاس ثم عينه السلطان زيدان الناصر بن أحمد مفتيا وإماما لمسجد القرويين سنة: (١٦١٨م)، بعدها رحل لأداء فريضة الحج بمكة المكرمة، مر بمدينة القاهرة، ثم زار دمشق والقدس ثم توجه نحو مكة المكرمة وأخذ هنالك العلم، وجلس للتدريس بالحرم، ثم ذهب لدمشق مرة ثانية وجلس للتدريس في علوم الفقه والحديث والتاريخ واللغة وأخذ يحدث الناس عن مفاخر وتاريخ الأندلس حيث أوقف نفسه لكتابة التاريخ الأندلسي واستمر في تصنيفه، وخلالها عاد إلى القاهرة حيث وافته المنية سنة: (١٠٤١هـ الموافق لسنة: ١٦٣١م).

مؤلفات المقري

يعد المقري أحد أبرز المؤرخين المسلمين في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، له عدة مؤلفات، بعضها في عداد المفقود، نذكر من هذه المؤلفات:

- كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق: وهو من الآثار المفقودة إلى أن قدمت حفيدة المستشرق الفرنسي (جورج ديلفان) سنة: (١٩٩٣م) للمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، والمتمثلة في مجموعة من المخطوطات من بينها (رحلة المقري).
- موسوعة نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وهو من أشهر مؤلفات المقري كما يعد أحد أبرز المراجع العربية المعتمدة حول تاريخ الأندلس.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض من خمسة أجزاء.
- روضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس.
- حسن الثنا في العفو عمن جنى.
- عرف النشق في أخبار دمشق.
- أرجوزة سماها إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة.
- أرجوزة سماها زهر الكمامة في العمامة.

المحتوى العام للكتاب

يعد هذا الكتاب موسوعة تاريخية وأثراً أدبياً هاماً لا يمكن الاستغناء عنه عند دراسة التاريخ والأدب والجغرافيا الخاصة ببلاد الأندلس.
وقد أعطى «المقّري» أهمية كبيرة للجغرافيا في كتابه هذا، فتحدث عن المدن الأندلسية وسكانها، ثم قام بوصف مناخ تلك البلاد، وبين مساحتها وحدد أراضيها وأول من سكنها، وتاريخ الإقليم المحدد.
بدأ الكاتب حديثه عن الأندلس: محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة، ومجاري فضلها لا يشق غباره، وأنّى تجارى، وهي الحائزة قصب السبق في إطار الغرب والشرق.
كما يتطرق المقّري إلى عدة مواضيع مرتبطة بالمدن، كذكر أبعادها والمسافات التي تفصل بعضها عن بعض، ولمحيطها الطبيعي من جبال وأنهار ومناخ، ويذكر أعمال المدن أو القرى، وما يتبعها، ويولي أهمية كبيرة لمختلف عناصر الحسن المميزة لهذه المدينة أو تلك، ويتعرض أخيراً لخراب بعض المدن واندثار أثرها.
والمسافات عند الكاتب تحدد بعدد الأيام حيناً، كما هو متعارف عليه في ذلك العهد فيقول: طول الأندلس ثلاثون يوماً وعرضها تسعة أيام، ويقول في مكان آخر نقلاً عن ابن بطوطة وخارجها أي غرناطة لا نظير له وهو مسيرة أربعين ميلاً.
أما في تناوله لسكان الأندلس، فقد ذكر حبهم للعلم والأدب فقد بلغوا شأواً في مجال العلوم والآداب، فقصد الطلبة بلادهم من كل حدب وصوب يستلهمون قبسات من رحيق العلم اليانع وشذاه العطر، فيذكر أن أهل الأندلس هم من أحرص الناس على التميز في فنون العلوم... وأن سمة العلم والملك متوارثة فيهم، وأنهم أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب حتى إن الواحد منهم يملك خزانة كتب قد لا يفقه محتواها، لا لشيء إلا ليقال إن بيته مكتبة، ويورد المؤلف رسالة «الشفندي» في ذكر بعض علماء الأندلس والفنون التي برعوا فيها، وذكر أبطالهم وحروبهم.
كما يذكر أن أهل الأندلس عرب في أنسابهم، يتصفون بالعزّة والأنفة وطيب النفس وعلو الهمّة والنزاهة....

وهكذا أصبح كتاب «نفح الطيب» من أبرز المراجع حول الأندلس وأناسها.
أما المصادر التي اعتمد عليها المقري في كتابه لم يصلنا منها سوى القليل، مثل كتاب: مطمح الأنفس لابن خاقان، والمغرب لابن سعيد، والمطمح الكبير.

نسخة مجلة الوعي الإسلامي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه الموسوعة النفيسة القيمة، والتي تتكون من: (٨) مجلدات، وهي في متناول قراءها الكرام المهتمين بالموسوعات الأدبية والتاريخية.

المصادر

موسوعة نفح الطيب.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
موقع البيان، مقال منشور بعنوان: كتب في الذاكرة، نفح الطيب، بتاريخ: (٢٠٠٧/٠٥/٢٧م).

إعداد / تركي محمد النصر

الصبر على محارم الله

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:
«إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد: من تركها لغير الله.. فأما من تركها صادقا مخلصا من قلبه لله؛ فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة؛ ليمتحن: أصادق هو في تركها، أم كاذب.. فإن صبر على تلك المشقة قليلا؛ استحالت لذة».

(الفوائد، ص:١٠٧).

طريق الاستقامة

قال شقيق البلخي رحمه الله: أربعة أشياء من طريق الاستقامة:
١. لا يترك أمر الله لشدة تنزل به.
٢. ولا يتركه لشيء يقع في يده من الدنيا.
٣. لا يعمل بهوى أحد ولا يعمل بهوى نفسه؛ لأن الهوى مذموم.
٤. ليعمل بالكتاب والسنة.

(الحلية، ٥٠٢/٢)

العلماء يتواعظون بثلاث

قال ذو النون رحمه الله: «كان العلماء يتواعظون بثلاث، ويكتب بعضهم إلى بعض:
١. من أحسن سريرته؛ أحسن الله علانيته.
٢. ومن أصلح ما بينه وبين الله؛ أصلح الله ما بينه وبين الناس.
٣. ومن أصلح أمر آخرته؛ أصلح الله له أمر دنياه».

(سير أعلام النبلاء، ١٤١/١٩)

علامة حسن الخلق

علامة حسن الخلق عشرة أشياء: قلة الخلاف، وحسن الإنصاف، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره، وطلاقة الوجه للكبير والصغير، ولطف الكلام لمن هو دونه وفوقه.

(الكنز المدفون والفلك المشحون للسيوطي، ص:١١)

خصلة تستر العيوب

قال الإمام النووي رحمه الله: «بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟
فقال: هي أكثر من أن تحصى.. فوجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها.
قال: ما هي؟
قال: حفظ اللسان».

(كتاب الأذكار، ٤٢٣/١)

مشاركة: يعقوب الجناع

من درر الإمام أحمد

- ❖ ما شبهت سن الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط.
- ❖ ما قل من الدنيا كان أقل في الحساب.
- ❖ كل شيء من الخير تهتم به، فبادر به قبل أن يحال بينك وبينه.
- ❖ لا تزال بخير ما نويت الخير.
- ❖ يؤكل الطعام بثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة.
- ❖ إن لكل شيء كرما، وكرم القلب الرضا عن الله عز وجل.
- ❖ الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طبيب. فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره.

(الحديقة لمحب الدين الخطيب، ٣/١٣٥٠)

علم التحقيق

التحقيق هو إخراج نص معين في شكل أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه اعتمادا على المقارنة بين كل النسخ التي بقيت من الكتاب، وهو مصطلح حديث، وأول من استعمله أحمد زكي باشا الذي حقق كتاب «الأدب الصغير لابن المقفع» عام ١٩١١م، وهو أول كتاب كتب في صدره كلمة «بتحقيق».

(مصطلحات الكتاب العربي المخطوط، ص:٦٠)

إياس بن معاوية

قال سفيان بن حسين: ذكرت رجلا بسوء عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي، وقال: أغزوت الروم؟

قلت: لا.

قال: فالسند والهند والترك؟

قلت: لا.

قال: أفتسلم منك الروم والسند والهند والترك، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟!

قال: فلم أعد بعدها.

(البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/١٢١)

من روائع الأقوال

- ❖ من أيقن بالخلف جاد بالعطية.
- ❖ الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته، والمعاتبة خير من القطيعة، والقطيعة خير من الوقيعة.
- ❖ إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب.
- ❖ افرح بما لم تنطق به من الخطأ مثل فرحك بما نطقت به من الصواب.
- ❖ استأنس بالوحدة من جليس السوء.
- ❖ لكل شيء بذرة، وبذرة العداوة المزاح.
- ❖ العاقل يسالم عدوه إذا اضطر إليه.
- ❖ العاقل من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وعمر قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

(الكنز المدفون والفلك المشحون للسيوطي، ص:١٠)

إعداد: التحرير

الدور المجتمعي للداعية



حتى نعرف الدور المجتمعي للداعية لابد للدعاة أن يجيبوا عن سؤال يفرض نفسه بقوة على الساحة، هذا السؤال هو: أين أنتم من كل هذه الأحداث والنوازل والمستجدات وكل هذه الأفكار المتطرفة؟ ولماذا غبتم وتركتم الساحة لغيركم؟!

مما لا شك فيه أن كل داعية يحتاج إلى أن يسأل نفسه أولا تلك الأسئلة وأن يحاول بجد أن يجيب عنها، ولذلك فإني أقول إن للداعية في مجتمعه دورا غاية في الأهمية، ذلك الدور الذي يجعلني لا أبالغ حين أصف الداعية أو الإمام بأنه صمام أمان لأي مجتمع من أي فكر متطرف، وهو قوة ناعمة للإصلاح والتقدم والرقي، وذلك بشرط أن يتقي الداعية ربه في دعوته إلى الله ويستحضر دائما أنه نائب عن الجناب النبوي الشريف.. نعم الداعية نائب عن حضرة المصطفى ﷺ فبالله على كل من يقرأ كلامي هذا لو حضر رسول الله ﷺ بيننا وهو بأبي هو وأمي ما غاب يوما عنا ولكننا غبنا عنه وتخلفنا عن ركبه فتخلفنا، لو حضر رسول الله في مجتمعنا أكان توجد هناك مشكلة تستعصي على الحل، كلا وألف كلا، فعلى الداعية أن يستحضر أنه نائب عن الجناب النبوي الشريف، وليس معنى ذلك أن يظن نفسه معصوما أو مبعوث العناية الإلهية، بل لا بد أن يعلم أن لله حقه في ميراث النبوة الذي أمنه الله عليه وأنها أمانة فالعلماء ورثة الأنبياء، وإني اقسم بالله لو أن كل إمام أو داعية في مجتمعه استحضر ذلك لما وجدنا مشكلة في أي مجال من مجالات الحياة اليومية إلا وكان لها حل سواء على الصعيد الاجتماعي أو الأمني أو الثقافي أو العلمي أو الاقتصادي أو البيئي، فلابد للداعية أن يكون حاضرا بقوة في مجتمعه، كفاه غيابا عن الساحة أكثر من ذلك، ولا شك أن أول طريق لذلك حتى يحضر بقوة أن يسعى الإمام أن يكون نفسه تكوينا علميا وثقافيا سلميا وهذا لا يكون إلا عندما يخرج الإمام من عقلية الإمام الموظف الذي يؤدي مجرد وظيفة إلى أن يصبح خبيرا بكل ما يحدث من حوله ويسعى في تحقيق ذلك بنفسية الطلب لا نفسية الهرب نفسية الإمام الخبير التي تجد لكل مشكلة ألف حل وحل في زمانها بل وتسبق زمانها وتضع الحلول لمشكلات ربما تحدث لأجيال قادمة تماما كما كان شأن الأساطين من علماء هذه الأمة، ولذلك فإن التكوين العلمي الرصين هو الذي يجعل الإمام مؤهلا لكل ذلك.

● عبدالرحمن الوكيل

قصة قصيرة: آلاء وروضة السماء



آلاء، الطفلة ذات الخمس سنوات، تسكن حي الشجاعية بمدينة غزة العزة، تلعب بدميتها الجميلة التي ألبستها أبهى الثياب وصففت شعرها الأشقر فباتت تبدو كأنها عروس في يوم زفافها... تركت دميتها أمام عتبة المنزل ودخلت وعلى وجهها بشاشة تخفي فرحة عارمة، فهي مرشحة في بداية هذه السنة للالتحاق بالروضة، فدخلت غرفتها تتفقد مريولها الجميل، وحقيبتها البهية، فتلبس المريول وتضع الحقيبة على ظهرها وتقف أمام المرآة مبتسمة وهي تكلم نفسها... سأدخل الروضة هذه السنة، يا أبي سأدخل الروضة هذه السنة... يا أمي سأدخل الروضة هذه السنة.. يا جدي سأدخل الروضة هذه السنة.. يا أخي سأدخل الروضة هذه السنة... يا أختي سأدخل الروضة

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com





هذه السنة.. ثم تابعت كلامها بإنشاد أناشيد طفولية بريئة، والكل ينظر إليها بحب ويشاركها فرحتها العارمة... توقفت آلاء عن الكلام، تذكرت دميتها الجميلة ثم رتبت مريولها في خزانة الملابس ووضعت حقيبتها بجانبه وقبلتهما ببراءة طفولية ثم جرت نحو عتبة المنزل تريد تفقد دميتها التي تريد أن تزفها الليلة في عرس بهيج... إذا ما وصلت، وجدت دميتها قد سقطت من فوق الكرسي وقد فسدت تسريحة شعرها الجميلة فأخذتها برفق وأعادت تسريحة شعرها من جديد وهي تخاطبها: لا تبكي بنيتي الحبيبة...

في هذه اللحظة بالضبط ومن دون إنذار قصفت طائرات الاحتلال الغاشم المنطقة السكنية التي تعيش فيها آلاء، فاخترقت شظية صاروخ رأس آلاء فسقطت شهيدة على الأرض ودمها الأحمر الساخن يعانق تراب الأرض البارد، فتحس الأرض بدفء لم تشهده من قبل.. قضت آلاء شهيدة، وانتقلت بسرعة إلى روضة السماء حيث سيأخذ بيدها نبينا إبراهيم عليه السلام.. تجمع الأهل والأحباب حول آلاء وهم يبكون فأخذها جدها ولفها بين يديه ثم قبل جبينها وفي نفسه جملة: بأي ذنب قتلت حفيدتي آلاء؟!

• معروف عبدالرحيم بن محمد



ضغط الدم المرتفع

ضغط الدم المرتفع من أكثر الأمراض انتشارا في جميع أنحاء العالم، ويعرف بأنه حالة من ارتفاع ضغط الدم الشرياني الطرفي عن ١٢٠ على ٨٠ مليمتر زئبق. حوالي ٩٠ في المئة من حالات ارتفاع ضغط الدم ليس لها سبب واضح وهو ما يطلق عليه ارتفاع ضغط الدم الأساسي أو الأولي.

أما العشرة في المئة المتبقية من حالات ارتفاع ضغط الدم فلها أسباب واضحة ومعروفة ويطلق عليها ارتفاع ضغط الدم الثانوي. وتتلخص أسباب ارتفاع ضغط الدم فيما يلي:

أولا: أسباب كلوية: قد تكون ناتجة عن تلف بالكبيبات الكلوية، أو تلف بالأنابيب الكلوية أو النسيج البيني الكلوي، أو ضيق بالشريان الكلوي، أو ورم كلوي يفرز هرمون الرينين، أو حالات احتباس الصوديوم.

ثانيا: أسباب هرمونية: قد تكون ناتجة عن مرض التضخم الطرفي، أو فرط نشاط الغدة الدرقية، أو الأمراض التي تصيب قشرة الغدة الكظرية مثل متلازمة كوشنج، أو فرط إفراز هرمون الألدوستيرون، أو فرط تنسج الغدة الكظرية. أيضا أمراض نخاع الغدة الكظرية قد تسبب ضغط الدم المرتفع مثل فيوكروموسيتوما، ارتفاع نسبة الكالسيوم بالدم من أسباب ضغط الدم المرتفع، وحبوب منع الحمل التي تحتوي على هرمون الإستروجين، والأدوية التي تحتوي على الكورتيزون، والأدوية المنشطة للجهاز العصبي السمبتاوي.

ثالثا: ارتفاع ضغط الدم المصاحب للحمل.

رابعا: أسباب عصبية: مثل أورام المخ، والتهاب المخ، وزيادة الضغط داخل الجمجمة.

خامسا: حالات التضيق الأبهري.

• د. يحيى سنبل

مِسكُ الختام

أدوات الإدارة الناجحة

مهما كان حجم ونوعية أي عمل فإنه يحتاج الى إدارة للقيام به، وكلما كانت الإدارة ناجحة وقادرة على القيادة بشكل صحيح، فإنها تحقق أهداف العمل والغايات المرجوة منه كما هو مطلوب، ولا يمكن اعتبار الإدارة عملية سهلة وبسيطة، إنما هي فن له أدواته وأساليبه التي تحتاج فيمن يتولاها أن يكون على معرفة واطلاع في هذه الأدوات حتى يتمكن من تحقيق أهدافه والنجاح في عمله وتجاوز أية عقبات يمكن أن يواجهه خلال عملية التنفيذ.

ومن أدوات الإدارة الناجحة التي ينبغي على كل مدير وقائد أن يكون على معرفة بها باعتبارها تمثل مبادئ عمل رئيسية: هي التنظيم الجيد والتخطيط السليم والرقابة الفاعلة والتوجيه الدائم وترتيب الأولويات، بترجيح الأهم على المهم، وحسن إدارة واستغلال الوقت، إضافة إلى الكثير من الأساليب والأدوات الفرعية الأخرى التي تخدم العمل وتقويه وتساهم في تحقيق النجاح له، من خلال تشجيع الموظفين على الإنتاجية ومكافأتهم وتوفير الدعاية والاعلان، وتوزيع المهام، ومنح العاملين الثقة في العمل والإنتاج والتطوير.

وتعكس عملية تنظيم الوقت وكيفية استثماره بشكل صحيح، أحد الجوانب المهمة في حسن الإدارة، فعندما يتم إدارة الوقت بشكل جيد ستتحقق الكثير من الفوائد، سواء على المستوى الشخصي أو في جوانب العمل، لأن تنظيم الوقت يقود إلى تحقيق الكثير من الإنجازات، وتنفيذ العديد من الأهداف، وتحسين مستوى الإنتاجية وتنمية وتطوير الذات، وغيرها من فوائد متعددة.

واهتم الدين الإسلامي في الوقت اهتماما كبيرا، وحض على حسن ادارته وتنظيمه، بل إنه من الأمور التي يساءل عنها الإنسان يوم القيامة.

قال رسول الإسلام ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». (صحيح الترمذي: ٢٤١٧).

ومن الأمور المهمة التي يجب الالتزام بها لتحقيق الإدارة الجيدة: عملية التخطيط السليم لمواجهة التوقعات المستقبلية، وإيجاد البدائل والتعامل مع التطورات غير المحسوبة، فمن شأن حسن التخطيط أن يؤدي إلى تفادي الأزمات والمفاجآت والتعامل مع كل حدث.

ولا شك أن الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي هو الذي يؤدي إلى حسن الإدارة، من خلال أداء العمل بأمانة وصدق واحترام الآخرين وعدم التجاوز وخيانة الأمانة والتعامل بالأخلاق الحميدة ونشر الاحترام بين العاملين، إضافة إلى أهمية وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .










أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م



AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

العدد (٦٩١) ربيع الأول ١٤٤٤هـ-أكتوبر ٢٠٢٢م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

مِنَ الهُدي النَّبوي



- شَقائِقُ الرِّجال
- تنميَةُ العَقلِ ضَرورةٌ
- الظُّلمُ ظُلُماتٌ





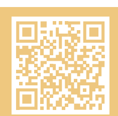
مجلة الوعى الإسلامى

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي







فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

رفقاً بالقوارير

لما جاء الإسلام وضع المرأة في مكانها الطبيعي، وبيَّن أنَّها مع الرجل في إطار تكليفي واحد، فجاءت جميع الأوامر وجميع النواهي للرجال وللنساء على السواء، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ (النساء:٣٢).

إن المرأة تتشارك مع الرجل في الجزاء الحسن والحياة الكريمة، ولا يميز أحد على أحدٍ إلا بالتقوى، فرب امرأة تقية كانت أفضل من ألف رجل لأنهم ليسوا أتقياء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

لقد دعا الإسلام المرأة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد كما دعا الرجل، وجاهدت المرأة في الإسلام كما جاهد الرجل، وذكر القرآن في آياته نساءً مؤمنات، تعدل الواحدة منهن ملايين الرجال؛ فذكر الله الصديقة أم عيسى فقال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ (المائدة:٧٥).

وما زالت كتب السنة النبوية وكتب التاريخ تروي لنا مواقف رائعة ومشرفة عن المرأة في صدر الإسلام، وعن صبرها؛ ففاطمة بنت الخطاب تسلم قبل أخيها عمر، ثم تكون سبباً في إسلامه رضي الله عنهما، نعم هذه المرأة هي سبب إسلام رجل من أعظم الرجال المؤسسين في تاريخ الإسلام. وضربت أم أيمن أروع أمثلة التضحية عندما هاجرت وحدها في شدة الحر والعطش، وكانت صائمة ولكن الله تعالى حين جاء وقت الغروب أنزل إليها دلواً من السماء فشربت منه، وكانت لا تحمل ماءً معها ولا تجده من حولها، تقول أم أيمن -وهي مربية نبينا محمد ﷺ-: بعد أن شربت من هذا الدلو كنت أصوم في اليوم الشديد الحر فلا أشعر بعطش أبدا.

والأمثلة من تاريخنا لا تنتهي، فكتب السير تغص بهذه الأخبار المباركة الملهمة. نعم، هكذا كانت المرأة المسلمة، وهكذا كان تكريم الإسلام لها، فلأجل عجوز وقف عمر (الخليفة) يستمع نصيحتها حتى طال به الموقف، حتى قال: (والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره ما تحركت من مكاني، أتدرون من هذه العجوز؟! هي خولة بنت ثعلبة، سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أيسمع رب العالمين قولها، ولا يسمعه عمر).

نعم، فهذا كله يدل على عظم مكانة المرأة في الإسلام، فالله لم يعط الفضل للرجال فقط، ولم يعط الشرف للرجال فقط، ولم يعط العزة والكرامة للرجال فقط، إنما أعطاها لكل من آمن وصدق إيمانه وثبت على الحق ثباتاً صادقاً.

إنَّه من الواجب علينا أن نعطي الحقوق لأهلها، وأن نكرم مَن كرَّم الله، فإن الذين يتقصدون إهانة المرأة أو أذاها هم أناس قد ضحل فكرهم، وبعدوا عن الحق، وأخذهم الشيطان إلى طريق الجاهلية ومفاهيمها، وتجردوا من مفاهيم الشريعة التي توصي بالنساء خيراً حيث قال رسول الله ﷺ: (اتقوا الله في النساء، اتقوا الله في النساء، اتقوا الله في النساء؛ إنهن عوان عندكم) (رواه ابن ماجه).

وختاما فإن المرأة إن كانت أمّا فالجنة برضاها، وإن كانت أختا فالجنة بالإحسان إليها، وإن كانت بنتا فمن حقها التربية الصالحة والإحسان والعطف عليها.

وأنتهز الفرصة في هذه الأيام لنتذكر سويا مناسبة حبيبة على قلوبنا جميعا، كانت بمثابة نور عمَّ العالم بالرحمة والآداب والتسامح والعلم والسمو بالأخلاق، ألا وهي مناسبة مولد نبينا محمد ﷺ، الذي أرسله الله سبحانه رحمة للعالمين وهداية للضالين، ففتح الله ببعثته العيون، وأنار بشريعته القلوب، ﷺ.



تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد٦٩١/ ربيع الأول ١٤٤٤ هـ
العام التاسع والخمسون
أكتوبر ٢٠٢٢م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

أحسنوا إليهن

ماذا لو أحست المرأة بالغبن؟ ماذا لو أحست بأنها الحلقة الأضعف في المجتمع ؟ لاشك أنها ستقصر في أداء دورها، فإن كانت ابنة قد تصبح عاقة، وإن كانت طالبة قد تقصر في تحصيل علمها، وإن كانت زوجة قد تهمل في تربية أبنائها فضلا عن حق زوجها.. لذلك حين يأمرنا ديننا الحنيف بالرفق بالمرأة يشرع لناماينفع المجتمع كله. وحين نتأمل القارورة ونعرف أنها سهلة الكسر.. نوقن الحكمة من وصف المرأة بهذا الوصف الدقيق.

والمدهش أن كلمة بسيطة خفيفة على اللسان يمكنها أن ترضي المرأة القارورة وتجعلها قادرة على مزيد من العطاء فالكلمة الطيبة صدقة في كل الأحوال ومع المرأة تفعل المعجزات.

وعندما تخصص «الوعي الإسلامي» ملف عددها عن الرفق بالقوارير فذلك لاستشعار أهمية مضي المجتمع في طريق التنمية بعيدا عن ممارسة أي عنف أو إهمال أو تقصير في حق بناتنا وأخواتنا وأمهاتنا..

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. عادل محمد أبو الهيثم
دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن



براعة القرآن في وصف مصير الجبال

وصف الله خلقه للجبال بصفات متعددة، وكما ذكر القرآن بداية خلق الجبال، رسم نهاية الجبال، وبين ذلك في عدة آيات؛ تعدد مراحل نهاية الجبال ومآلها؛ في صور تجعل القارىء الكريم كأنما ينظر من ستر رقيق إلى الغيب، كأنما يشاهد هذه المآلات عيانا، فيراها تسير مع الرياح، ثم تنهد، ثم تصير كالعهن، ثم تنسف فتصير هباءا.

جاءت مراحل نهاية الجبال على ما يلي:

المرحلة الأولى: موت بعض الجبال في الدنيا:

وذلك بتوقف حركتها تماما، لأن كل الجبال تتحرك، يرتفع الجبل إلى أعلى ويظل يرتفع باستمرار حتى ينسحب هذا الوتد من الطبقة شبه المنصهرة هذه، فيموت الجبل، وتبقى عوامل التعرية تأكله.[1]

ثانيا: فناء الجبال عند القيامة: في عدة مراحل، أولها: تفتت الجبال وصيرورتها رملا سائلا: وورد ذلك في آيات منها: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾(الحاقة:١٤)، والدك: الهدم والكسر والدق، والتكرار إشارة إلى التتابع، أي: دكا بعد دك، دكت الأرض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية،[2] ولم يقل فدككن لأنه جعل الجبال كالواحدة، ومشهد حمل الأرض والجبال ونفضها ودكها دكة واحدة تسوي عاليها بسافلها، مشهد مروع حقا، إنه مشهد يشعر معه الإنسان بضالته وضآلة عالمه إلى جانب هذه القدرة القادرة، في ذلك اليوم العظيم[3] وأرى: أن



كلمة الدك: قد تشير إلى وجود عامل خارجي، ومن الممكن أن يكون الصعق أو النفخ في الصور هو من يدك الجبال ويفتتها، ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير الألوسي ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا﴾ (المزمل: ١٤)، ترجف: تتحرك وتضطرب بمن عليها وما عليها، والكثيب: الرمل المجتمع، والمهيل: السائل الذي يمر تحت الأرجل، وإذا أخذ أسفله انهال، ففي يوم القيامة تضطرب الجبال فتصير رملا سائلا، ويقول ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ (طه: ١٠٥ - ١٠٧)، سبب نزول الآية: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ﴾ أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾ أي: يذهبها عن أماكنها ويسيرها تسييرا، فيذرها أي الأرض قاعا صفصفا أي بسطا واحدا، والقاع هو المنبسط المستوي من الأرض، ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ أي: لا ترى في الأرض يومئذ واديا ولا رابية ولا صدعا ولا أكمة ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف رحمهم الله.[٤]

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد»[٥] لماذا ذكر الله الجبال دون غيرها؟ قالوا: لأن الإنسان يرى الموت والفناء والزوال يلحق النبات والجماد والحيوان، يموت أو يذبح، ويرى النبات يذبل ثم يجف ويتفتت، والإنسان نفسه يموت وينتهي، ولكنه لم ينبأ عن حال هذه الجبال الراسية، يراها راسية ثابتة، فالجبال مظهر للثبات، فقد يتساءل الإنسان عن هذا الخلق الثابت المستقر، ماذا سيفعل الله به؟[٦]

قال ابن القيم في نونيته:

وكذا الجبال تفت فتا محكما
فتعود مثل الرمل ذي الكثبان
وتكون كالعهن الذي ألوانه
وصباغه من سائر الألوان
وتبس بسا مثل ذاك فتنثني
مثل الهباء لناظر الإنسان[٧]

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (المرسلات: ١٠)، فأول مرحلة تمر بها الجبال يوم القيامة، وأول حالة تكون عليها هي: مرحلة النسف، حيث ينسفها الله تبارك وتعالى نسفا، أي: يقلعها قلعا من أصولها، ثم يصيرها رملا سائلا ويترك موضعها- بعد نسف ما كان عليها من الجبال- أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها ولا بناء، لا انخفاض فيها ولا ارتفاع[٨] وكانت أم الدرداء - رضى الله عنها- إذا سافرت فصعدت على جبل تقول لمن معها: أسمعت الجبال ما وعدها ربها؟ فيقال: ما أسمعها؟ فتقول «ويقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ (طه: ١٠٥)، فهذا حال الجبال وهي الحجارة الصلبة وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمته[٩].

المرحلة الثانية: صيرورتها كالعهن المنفوش، وتطايرها:

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ (المعارج: ٩) ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ (القارعة: ٥)، بعد أن يقلع الله عز وجل الجبال قلعا من أصولها، ويصيرها رملا سائلا يسيل سيلا، بعد ذلك يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا، ولا يكون العهن من الصوف إلا المصبوغ الملون بالألوان المختلفة الذي نفش بالمندف، أو آلة الحلج الخاصة[١٠] فالجبال لتفتتها وتفرق أجزائها لم يبق لها إلا صورة الصوف المنفوش فلا تلبث أن تذهب وتتطاير، فكيف يكون الإنسان حين حدوثها وهو ذلك الجسم الضعيف السريع الانحلال.[١١] ومن روائع التشبيه في الآية بين الجبال، والعهن المنفوش، أن من الجبال من هي مختلفة الألوان بحجارتها ونبتها، وكذلك الصوف مختلفة ألوانه. فهي تشبهه من هذا الوجه، ثم هي تشبهه من وجه آخر، وهو أنها إذا بست، طيرت في الجو كما يتطاير الصوف[١٢] وأرى: أن في الآية إشارة إلى الإنسان الضعيف، أيصمد أمام قدر الله؟ والجبال الشم الراسيات هذا حالها، وأستعير كلام صاحب التفسير الوسيط إذ يقول: «والمتأمل في هذه الآيات الكريمة، يراها قد اشتملت على أقوى الأساليب وأبلغها، في التحذير من أهوال يوم القيامة، ووصفت الجبال- وهي المعروفة بصلابتها ورسوخها- بأنها ستكون في هذا اليوم كالصوف المتناثر الممزق.[١٣]

المرحلة الثالثة: عندما تكون هباء منبثا:[١٤]

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ (الواقعة: ٥ – ٦)، فبعد أن تبس الجبال تصير هباء منبثا، أي: فتت فصارت غبارا متفرقا منتشرا، والبس: مأخوذ من بس الدقيق، أي: خلطه بسمن، قال عطاء ومقاتل ومجاهد:[١٥] فتتت فتا فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول، كسرت كسرا، سيرت على وجه الأرض تسييرا، وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة، فكانت غبارا متفرقا، كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء[١٦]

المرحلة الرابعة: صيرورتها كالسراب:

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (النبأ: ٢٠) ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٧)، ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (التكوير: ٣)، فبعد أن تقلع الجبال عن مواضعها، وتسير إلى أماكنها في الهواء فتكون هباء منبثا، فحينئذ يظنها الناظر سرابا، فالجبال صارت لا شيء في آخر مرحلة من مراحلها يوم القيامة[١٧]

وهـذه الأوصــاف الـتـي وصـف الله بـهـا يــوم الـقـيـامـة، مـن الأوصــاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتد من أجلها الـكـروب، وترتعد الفرائص وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأي عين، فليتدبر سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، كل ذلك ليبين أن هذه الأجسام العظيمة التي من طبعها الاستقرار والثبات تؤثر فيها هذه القارعة، فما بالك أيها المخلوق الضعيف الذي لا قوة له؟[١٨]

من خلال ما سبق يتبين لي: أن ما تشترك فيه الأرض والجبال أربعة أحداث:

رجف الجبال واهتزازها مع الأرض، رج الأرض والجـبـال، دك الأرض والجبال، حمل الأرض والجبال، وأن الجبال لها أحداث تختص بها، وهي: نسف الجبال- بس الجبال- تطاير الجبال- تسيير الجبال- صيرورة الجبال سرابا.

الجبال جميعها إلى زوال، لكن زوالها لن يكون بطريقة واحـدة، أو جملة واحدة، إنما تختلف باختلاف أنواع الجبال، واختلاف صخورها.

مـن خــلال مــا سـبـق مـن وصـف القرآن الكريم لنهاية الجبال، أرى: روعة تصوير نهاية الجبال، وسرعة إيصالها للمعاني التي من أجلها سيقت الآيات، فهذا إعجاز تأثيري، فـي جـانـب الإعـجـاز الـعـلـمـي، مما له أعظم الأثـر في اعتبار المسلم، واقتناع الملحد ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ (الإسراء: ٨٨).

وبعد: فهذه رحلة ماتعة مع آية من آيات الله في خلقه؛ الجبال ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ (النمل: ٨٨)؛ نقول: الجبال آية من آيات الله؛ جعلها الله لمن أراد أن يذكر أو أراد اعتبارا؛ فلها بداية ونهاية؛ محتومة مقدرة، ولها نهاية بمراحل ومقادير؛ فسبحان من خلق وبرأ وذرأ؛ وله في كل شيء آية تدل على أنه الواحد.

الهوامش

١- موسوعة الإعـجـاز الـقـرآنـي، في العلوم والطب والفلك، د. نادية طيارة، ط مكتبة الصفاة، أبوظبي، (ص: ١٨٢).

٢- لسان العرب، ابن منظور (٤٢٦/١٠)

٣- فـي ظـلال الـقـرآن، سـيـد قطب (٣٦٧٩/٦)

٤- تفسير الطبري، (٩٤/٢٣)، التفسير الكبير، الرازي (١٠١/١١)

٥- صحيح البـخـاري، كتاب الـرقـاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، (١٠٩/٨) حديث رقم (٦٥٢١)، أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض، (٢٧٩٠).

٦- تفسير الشعراوي، (ص: ٢٤٣٥).

٧- القصيدة النونية، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٧هـ (١١/١).

٨- الكثيب عـنـد أهـل الـلـغـة: الـرمـل المجتمع، ومهيل: الذي ينهال كلما أخذت منه، وتصير رملا سائلا متناثرا، قال صاحب التحرير والتنوير: «الرجف: الزلزلة والاضطراب، والمـراد: الرجف المتكرر المستمر، وهـو الـذي يكون به انـفـراط أجـزاء الأرض وانـحـلالـهـا، الكثيب: الـرمـل المجتمع كـالـربـوة، أي تصير حجارة الجبال دقاقا، ومهيل: اسم فعول من هال الشيء هيلا، إذا نثره وصبه، وأصله مهيول، وجيء بفعل كانت في قوله: وكانت الجبال كثيبا، للإشارة إلى تحقيق وقوعه حتى كأنه وقع في الماضي. ووجه مخالفته لأسلوب ترجف أن صيرورة الجبال كثبا أمر عجيب غير معتاد، فلعله يستبعده السامعون وأما رجف الأرض فهو معروف، إلا أن هذا الرجف الموعود به أعظم ما عرف جنسه، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٣٢٧/٩-٣٢٩) الـتـحـريـر والـتـنـويـر (٢٧٢/٢٩).

٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابـن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت، (٢٢٠/١).

١٠- المندف: خشب به يضرب القطن ليرقق، ينظر: مختار الصحاح، الرازي، تـحـقـيـق: يـوسـف الـشـيـخ مـحـمـد، ط المكتبة العصرية - الــدار النموذجية، بـيـروت- صـيـدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، (٣٠٧/١).

١١- تفسير المراغي (٢٢٦/٣٠).

١٢- من أسرار البيان في سورة القارعة، رفاه محمد علي زيتوني، موقع مداد.

١٣- التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط: الأولى، (١٩٩٨م) (٤٩٠/١٥).

١٤- البس: التفتيت والتكسر الدقيق، ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٨٤/٢٧).

١٥- تفسير الـبـغـوي، إحـيـاء الـتـراث (٥/٥).

١٦- تفسير الـبـغـوي، الـسـابـق نفسه (٥/٥).

١٧- ينظر: البيان في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن، د. محمد أبو النور الحديدي، (ص: ٤٠-٤٢).

١٨- تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩١٢).

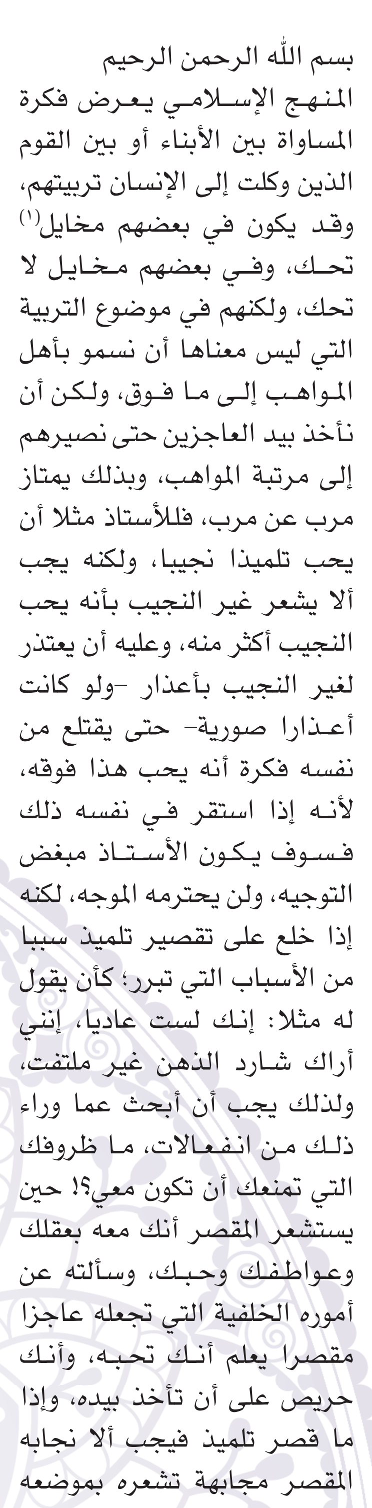
إعداد
التحرير

التربية الإسلامية

محاضرة (٧-٢)❖



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلة الشيخ محمَّد متولي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها. وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)



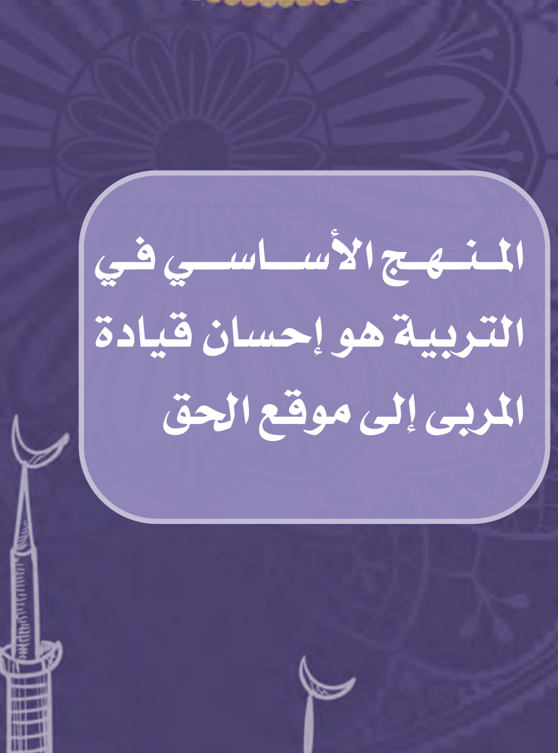
بسم الله الرحمن الرحيم

المنهج الإسلامي يعرض فكرة المساواة بين الأبناء أو بين القوم الذين وكلت إلى الإنسان تربيتهم، وقد يكون في بعضهم مخايل[١] تحك، وفي بعضهم مخايل لا تحك، ولكنهم في موضوع التربية التي ليس معناها أن نسمو بأهل المواهب إلى ما فوق، ولكن أن نأخذ بيد العاجزين حتى نصيرهم إلى مرتبة المواهب، وبذلك يمتاز مرب عن مرب، فللأستاذ مثلا أن يحب تلميذا نجيبا، ولكنه يجب ألا يشعر غير النجيب بأنه يحب النجيب أكثر منه، وعليه أن يعتذر لغير النجيب بأعذار -ولو كانت أعذارا صورية- حتى يقتلع من نفسه فكرة أنه يحب هذا فوقه، لأنه إذا استقر في نفسه ذلك فسوف يكون الأستاذ مبغض التوجيه، ولن يحترمه الموجه، لكنه إذا خلع على تقصير تلميذ سببا من الأسباب التي تبرر؛ كأن يقول له مثلا: إنك لست عاديا، إنني أراك شارد الذهن غير ملتفت، ولذلك يجب أن أبحث عما وراء ذلك من انفعالات، ما ظروفك التي تمنعك أن تكون معي؟! حين يستشعر المقصر أنك معه بعقلك وعواطفك وحبك، وسألته عن أموره الخلفية التي تجعله عاجزا مقصرا يعلم أنك تحبه، وأنك حريص على أن تأخذ بيده، وإذا ما قصر تلميذ فيجب ألا نجابه المقصر مجابهة تشعره بموضعه من النقص؛ لأنه سيتجمد على ذلك، وبعد ذلك لا يبالي مدحته أم ذممته؛ لأنه وضع نفسه ذلك الموضع، لذلك حين يعرض لنا حديث رسول الله ﷺ التربية الإسلامية يقول: ما بال أحدكم يفعل كذا وكذا، فلا يواجه من فعل بفعله؛ حتى لا يخجله، وحين لا يخجله يكون حريصا على كرامته في المجتمع، ولا يهزله في المجتمع، ويكفي أن يعلم في نفسه أنه قد قصر، ولكن لا يعلم غيره أنه هو الذي قصر. ثم يأتي الرسول ﷺ بالمنهج الأساسي في التربية، وهو أن يحسن المربي قيادة المربى من أقصر طريق إلى موقع الحق في أي قضية من القضايا، هذه القضايا قد تكون صعبة، للعقل فيها وقفة، لكن لباقة الأستاذ وحسن استعداده واتساع ثقافته تجعل من هذه كلها أدوات تعينه على أن يصل بالمربى إلى الحقيقة التي يريدها من أقصر طريق في الفهم، وأقل وسيلة في الإقناع. مثلا: الرسول ﷺ يجيئه رجل يحب النساء، فيقول له: يا رسول الله أمري بالنسبة إلى النساء كيت وكيت[٢]. الرجل صادق أمام نفسه؛ لأن الرسول طبيب، وليس من العيب أن يجاهر المريض طبيبه بدائه؛ لأن إخفاء دائه لا يشفيه، والمجاهرة بدائه تعين الطبيب على تشخيص مرضه وقرب العلاج بالنسبة إليه، فيقول له الرسول ﷺ: «يا



أخا العرب! أتحب ذلك لأمك؟». جاء له بأبغض شيء يكرهه الإنسان؛ أن يرى أمه منحرفة مع منحرف، فاقشعر بدن الرجل، قال له: «أتحب ذلك لزوجك؟». قال: لا. قال: «أتحب ذلك لبنتك؟». قال: لا. قال: «كذلك الناس يا أخا العرب، لا يحبون ذلك لأمهاتهم ولا لزوجاتهم ولا لبناتهم». قال الرجل: فوالله ما همت نفسي بمعصية من ذلك النوع إلا ذكرت أن يفعل بأمي أو بزوجي أو ببنتي، فأمتنع[٣]. إذن: فالرسول ﷺ جاء له بتبشيع المسألة من أقرب طريق يتصل به وبكرامته وعواطفه ومكانته ومقامه، فإذا ما أراد أن يفعل ذلك تذكر ما يمكن أن يفعل به؛ ذلك هو أمر المربي.

وبعد ذلك يأتي دور أساسي في نقل حصيلة التجارب الإنسانية إلى ذهن المربي؛ لأن المربى لا يمكن أن يأخذ تجارب الحياة من أولها. بل يأخذ التجارب إلى نهاية عمره، لكن هذه التجارب موصولة دائما بمجربين كفء، فهو لا يبتدئ ليجرب أقضية الحياة، ومن الذي ينقل له التجربة نقلا أمينا صادقا؟! إنه العلم. فالعلم هو وسيلة التربية، لكنه حين يربي يحارب أمرين؛ أمية وجهالة، ودوره في محاربة الأمية أقل خطرا من دوره في محاربة الجهالة، ولعل السطحيين في معرفة فقه الألفاظ يظنون أن الجهالة ألا تعلم، وأنها والأمية سواء، لا؛ الجهالة شيء، والأمية شيء آخر، الأمية ألا يعلم الإنسان نسبة، يقال له: أمي. يعني: كما ولد من بطن أمه، كما قال الله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ (النحل:٧٨)، ثم ذكر وسائل العلم: السمع والبصر والفؤاد، فالأمية ألا تعلم نسبة من النسب، أو قضية من القضايا، أو حقيقة من الحقائق، ولكن الجهالة غير ذلك، الجهالة: أن تعرف نسبة خطأ. هنا يكون علاج الجهالة أقسى من علاج الأمية؛ لأن علاج الجهالة يتطلب مجهودين؛ المجهود الأول: أنك تزيح من نفسه ما أدرك من خطأ، ثم تقرر في نفسه المقابل، وهو الحق، إذن: فهناك عمليتان تربويتان عقليتان، لكن في الأمية تكتفي بأن تعطي له الحقيقة؛ لأنه ليس عنده نسبة البتة، ولذلك حين تكلموا عن العلم تكلموا عما يقابل العلم. العلم: أن تدرك نسبة، وهذه النسبة واقعة تجزم بها، وعليها دليلها. إذن: فعناصر العلم ثلاثة: نسبة يجزم بها من علمها، ويجزم بها مع كونها واقعة، ويستطيع أن يدلل عليها، ذلك هو العلم. لو كانت هناك نسبة، ويجزم بها من علمها، وهي واقعة، لكنه لا يستطيع أن يدلل عليها فماذا يسمى ذلك؟! الطفل الصغير يردد كما ردد أبوه، ويعلمه أبوه عقيدة مضمونها: الله أحد. فيجزم بها؛ لأن أباه الذي يثق فيه قال: الله أحد. تلك نسبة، وهذه النسبة مجزوم بها، وهي واقعة في الواقع، لكن الطفل لا يستطيع أن يدلل عليها، فذلك شيء اسمه: التقليد. وهو: أن تعلم نسبة، والنسبة مجزوم بها، وهي واقعة في الخارج، لكنك لا تملك الدليل عليها، مثلا: الذي يسأل الفقيه سؤالا عن صوم أو زكاة، وبعد ذلك يأخذ من العالم الموثوق به الحكم، ما دام موثوقا به بوصفه عالما أخذ القضية، وجزم بها، وسلمها، وهي واقع، لكن إذا قال له قائل: دلل عليها. لا يستطيع أن


المنهج الأساسي في التربية هو إحسان قيادة المربى إلى موقع الحق

يدل؛ فهو مقلد؛ لأنه ليس أهلا لأن يأتي بالدليل، أو الاجتهاد، ودليله أن يقول: قال العالم الفلاني ذلك، هذا هو الدليل. إذن: فإذا كان العلم نسبة واقعة ومجزوما بها وعليها دليل فإن ذلك هو العلم في قمته، فإذا لم يقم عليها دليل فذلك هو التقليد، فإذا كانت النسبة المعلومة مجزوما بها وليست واقعة نقول: ذلك هو الجهل، فالجهل علم نسبة مع جزم بها، لكنها مخالفة للواقع؛ كأن يقول أحد ما: الأرض مبسوطة ومسطوحة. ويجزم بها الذي لا يمكن أن تقنعه بأن الأرض كرة أو شبه كرة، نسبة مجزوم بها، لكنها غير واقعة، فحتى تخرج من نفسه القضية الأولى لتثبت القضية الثانية لابد أن تكون محتاجا إلى مجهود. فإذا كانت النسبة غير مجزوم بها نقول: عدم الجزم له ثلاث صور؛ أن يكون الإيجاب والإثبات متساويين، وذلك هو الشك، أو أن يكون أحدهما راجحا، فالراجح هو الظن، أو لا يكون راجحا فالمرجوح هو الوهم. فالنسب العلمية تدور بين هذه إن كانت النسبة غير مجزوم بها؛ فإن تساوت النسبتان فذلك شك، وإن رجحت نسبة فالراجح ظن، وإن لم ترجح فالمرجوح هو الوهم. وإن كانت النسبة مجزوما بها؛ فإن كانت غير واقعة فذلك هو الجهل، وإن كانت واقعة فنقول: ألك دليل عليها؟! فذلك هو العلم، فإن لم يكن لك دليل فذلك هو التقليد. إذن: فالنسب العلمية تدور بين هذه الأشياء؛ علم وتقليد وجهل وشك وظن ووهم.

القضايا التربوية التي تبنى عليها التربية تأتي من أي لون من هذه الألوان، إنها تأتي بوساطة العلم؛ أي: بوساطة نسبة واقعة ومجزوم بها وعليها دليلها، ذلك هو العلم الذي يجب أن يكون محورا تدور عليه التربية، إذا نظرنا إلى العلم وجدناه يبحث في الإنسان بوصفه كلا ذا أجزاء، وثمة علم آخر يبحث في الإنسان بوصفه جزئيا يعيش في كلي، فإذا أنت قومت الفرد على أنه كل ذو أجزاء، وأشبعت ملكاته جميعها كان جزءا، لكنه لا يعيش وحده، إنما يعيش في مجتمع القيم الإنسانية، بعد أن تدخلت فيه بوصفه كلا له أجزاء تتدخل فيه بوصفه جزئيا من كلي، أنت جزء من المجتمع، وحاجتك إلى أفراد المجتمع كحاجة أفراد المجتمع إليك، فإذا كنت تريد أن يؤدي المجتمع حاجتك منه فأد حاجة المجتمع منك، ولا تطلب حقا من المجتمع إلا بواجب تؤديه للمجتمع، لذلك تنقل التربية الإسلامية للكل؛ حتى إليه وهو في مجتمع الأفراد، فيقول الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٤]. فإياك أن تعد نفسك كليا منفصلا عن المجتمع، فالإسلام يطلب إليك أن تعد نفسك جزءا في كل، وما دام الجزء في الكل فالأجزاء محتاج بعضها إلى بعض؛ ليتكون ذلك الكل، فأراد الرسول ﷺ أن ينقل القضية الإفرادية في المجتمع إلى أن يجعلها قضية كل، وأفراد المجتمع بالنسبة إلى المجتمع أجزاء؛ حتى لا يظن ظان انعزالية الفرد عن المجتمع، ولذلك يقول: «مثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وأنت إذا نظرت إلى المجتمع وجدته يتطلب حركة في الحياة، والحركة في الحياة ليست واحدة، فالحياة تريد حركات متنوعة تغطي جوانبها جميعها، فالمجتمع لا يريد أن يكون أفراده كلهم أطباء، ولا أن يكونوا اقتصاديين جميعا، ولا قضاة، ولا علماء كهرباء؛ لأن المجتمع ليس جهة من هذه الجهات فحسب، فيه الجهات كلها، فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يجعل أفراد المجتمع جسما واحدا، كل عضو فيه يؤدي مهمة؛ فلكل من اليد والرجل والأذن والعين والبطن مهمة، ولكل من الجهاز التنفسي والدموي مهمة، وكل جهاز له مهمة لا يعرفها الجهاز الآخر، وبتكامل عمل هذه الأجهزة يكون التقويم الكامل للإنسان، كذلك الحياة؛ لكل فرد من الأفراد مهمة، قد تتسع لأفراد عدة يكونون قطاعا في المجتمع لجانب من جوانبه، فالمجتمع لا يقوم على جانب واحد، ولابد أن تتوزع المواهب والميول والأشواق إلى الأعمال، ومن رحمة الله بنا أنه جعل مواهبنا متعددة، وأشواقنا للطموح مختلفة؛ فهذا يشتاق لكذا، وذلك يشتاق لكذا، وهذا يحب كذا، وذلك دون تخطيط من البشر للبشر، بل تأتي المسألة تلقائية في نفس كل واحد، فلم يكن مثلا أن اجتمع أهل بلد من البلاد، وقالوا: هذه البلد تحتاج إلى كذا بقال، وكذا تاجر أقمشة، وكذا حلاق، وكذا طبيب، وكذا محام. ما قال أحد هذا القول، ولا خطط هذا التخطيط، لكنك تنظر، فتجد أن كل موهبة ذهبت إلى ناحية دون تخطيط أحد؛ حتى تغطي جوانب الحياة كلها دون تفكير أحد، وحين يدخل الإنسان بفكره ربما أفسد ذلك، لذلك يجب أن ننظر إلى أفراد المجتمع نظرة إلى الجوانب التي يقومون بها، فما من عمل في الحياة أشرف من عمل، لكن هناك عاملا أشرف من عامل، فكل عمل يغطي جانبا من جوانب الحياة، وكل عمل مطلوب، والمخلص فيه يجب أن يأخذ حظه في الوجود وقيمته وكرامته، لا بقيمة عمله التي اخترعها البشر، هذه صفة هينة، وتلك عظيمة، وهذه وظيفة محترمة، وتلك حقيرة، ليس في الدين مسائل كهذه البتة، إنما فيه عامل وعامل، فقيمة كل امرئ بما يحسنه؛ لأن العامل ما دام يغطي جانبا من جوانب الحياة فوجوده ضرورة، وكل فرد محتاج إلى الآخر، ولذلك حينما يقول القرآن: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ (الحجرات:١١) لا يقول ذلك جزافا؛

لأن الإنسان يسخر من إنسان؛ لأنه رأى له مظهرا أو شكلا دون مظهره وشكله، يقول له القرآن: لا تسخر منه، ربما كانت له موهبة أو زاوية يكون أفضل منك فيها، فإذا نظرت إلى إنسان في زاوية وهو أقل منك فابحث في الزاوية الكاملة في ذلك الإنسان؛ لتعوض الكمال الذي وجد فيك، إذن: فلابد أن يكون فيه كمال يعوض النقص فيه، ولابد أن يكون فيك نقص في زاوية يعوض ذلك الكمال؛ فلا أحد يكون ابن الله، نحن بالنسبة إلى الله واحد متساو، لذلك يخطئ الناس حين يقسمون الناس إلى طبقات، ليس في الإسلام طبقات، إنما فيه أعمال موزعة للناس؛ كل واحد يقوم بقطاع من العمل، والإسلام يحدد قيمة كل امرئ بما يحسن، مثلا: تجد صاحب الجاه والمكان الرفيع والثروة الطائلة يدخل بيته، فيجد فيه رائحة خبيثة، فيسأل: ما هذا؟ فيقال له: إن مجرى القاذورات مكتوم؛ وهذا سبب وجود القاذورات في البيت، فيقول: ولماذا لم تأتوا بمن يصلحه؟! يقولون: لم نجده. فيذهب بجلالة قدره؛ ليبحث عنه، فإذا ما قال له ذلك الإنسان الذي يصلح المجاري: ليس عندي وقت. يحتال عليه، ويغريه بالمال، ويرجوه حتى يأتي إلى بيته؛ ليصنع ذلك العمل، هنا صاحب الجاه جاء في نقطة لا يحسنها إلى من يحسنها، فظهر له فضله في ذلك الوقت.

إذن: فالحق سبحانه وتعالى حينما يقول: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف:٣٢) يجب ألا نقف عند السطحية؛ حتى لا نربي النشء على أن ذلك أمر مركوز[٥] في المجتمع، ويجب ألا نربي النشء على أن رفعة بعض على بعض تكون بالمال فحسب، ولكن كل واحد من المجتمع مرفوع مرة، ومرفوع عليه مرة أخرى؛ فالفرد مرفوع فيما يجيد ويحسن، ومرفوع عليه غيره فيما لا يجيده ولا يحسنه، وكل واحد منا فاضل في جهة ومفضول عليه في جهة، وكل فرد في الكون مسخر لكل فرد، إذن: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ يجب ألا نأخذها على طبقة معينة إلى طبقات معينة، فالعالم الذي يفني من عمره نحو عشرين عاما؛ لينقب في الكتب، ويستمع إلى الدروس، ويستنبط حكما من أحكام الله مسخر لمن يستفتيه؛ فبعد أن ينضج الحكم يسأله سائل وهو سائر في الطريق عن مسألة من المسائل، فيجيبه عنها، يظن السائل أنه أجابه عنها دون جهد، لكنه لم يعلم أنه ظل عشرين عاما يتعب وينصب ويكد ليهيئ له هذا الجواب، فهو ساعة العشرين عاما كان مسخرا لمن سأله بعد عشرين عاما، وكل إنسان هكذا إذا عد أنه لا يملك من الحياة إلا زاوية واحدة، وبقية الناس يملكون له هذه الزوايا، فالزاوية التي يجيدها وله موهبة فيها يكون فاضلا فيها، ومسخرا لخدمة الآخرين الذين ليست لهم هذه الموهبة، وغيره كذلك، فذلك مسخر لهذا، وهذا مسخر لذلك، ولذلك كان القرآن دقيقا جدا في التعبير: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾، ما المرفوع، وما المرفوع عليه؟! مبهمات ببعض، فكل بعض مرفوع، وكل بعض مرفوع عليه، ولو أن استقراء إحصائيا جاء لقطاع من المجتمع، وبعد ذلك جاء بالأفراد، ثم درس كل فرد، وعرف زواياه وملكاته، وأعطى له في كل زاوية درجة صحة وأدب وأخلاق واستقامة، وسعادة في أسرته، ورضاه، كل هذا زاوية من الزوايا، وأعطى له درجة في كل زاوية، ثم جاء لفرد آخر، واستقرأ أيضا زوايا



كل فرد في المجتمع فاضل في جهة ومفضول عليه في جهة أخرى

حياته، ووضع له في كل زاوية درجة، فإذا جئت للمجموع النهائي فسيكون مجموع كل إنسان يساوي مجموع كل إنسان، والاختلاف والتفاوت إنما هو في قدر الدرجات في كل زاوية من هذه الزوايا، وبذلك ينسجم المجتمع ولا يتعاند، وإنما يتعاون ويتعاضد؛ لأنه لو كان الناس كلهم سواسية في خصلة واحدة لتدافعوا، لكن أنا محتاج إليك، وأنت محتاج إلي، وكلانا محتاج إلى غيره، فقد ارتبطت الحاجة الموهبة أو الطموحية أو الملكية التي تكون في ملكات الناس بعضها ببعض؛ لأن عجز هذا تكمله قدرة ذلك، فيجب أن تدور التربية على أن الإنسان فرد في ذلك المجتمع، هذا الفرد لابد أن تكون له خاصية، لكن النبوغ يكون حينما يصادف العمل الموهبة، والميزان الأصيل الذي يجب أن نتفاضل به هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

بعد ذلك يردنا الله من مسألة أخوة الإيمان إلى أخوة الإنسانية، وذلك يجب أن يكون الملحظ الأساسي في التربية الإنسانية، معنى واسع؛ لأن بعض الناس مؤمنون، وبعض الناس كافرون، المهم يعطي الإنسان معنى الإنسانية، ومعنى الإنسانية: أن يرد الناس جميعا إلى أصل واحد، فلا تميز لأصلك على أصلي، نحن جميعا من أبوين، ونحن جميعا من آدم، وآدم من تراب، يقول الحق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣)، وبعد ذلك يأتي الحديث؛ ليحدد وطن كل رجل، فيقول: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس»[٦]، فكلما اتسعت دائرة الخيرية كان ذلك هو الخير، وكلما ضاقت دائرة الخيرية كان ذلك دون الخير، وكلما لم يكن للخيرية نقطة كان ذلك هو الشر، لذلك تجد أن أوطان الناس دائما تتحدد على قدر إيمانهم، فتجد -مثلا- رجلا لا وطن له، فهو عالة لا يهمه أمر نفسه، ورجلا وطنه نفسه، الأول لا وطن له فهو عالة، والرجل الثاني وطنه نفسه فهو أناني؛ يحب كل شيء لنفسه، ولا يرى نفسه لأحد، ورجلا وطنه أسرته، وهذا لم يزل صغيرا، ورجلا وطنه أمته، ورجل وطنه الإنسانية، وذلك فلسفة الرجل، فكلما اتسعت دائرة الخير في الناس كان ذلك مقياس موهبتهم ومكانتهم، لذلك تجد الحق سبحانه وتعالى ربط الزواج بالطريقة المعروفة الموفقة؛ ليحمل كل فرد في المجتمع قطاعا من المجتمع يحسب عليه، فما دام الوليد معروف الأبوين ومنسوبا إليهم ومحسوبا عليهم فكل واحد سيعرف المحسوب عليه والمنسوب ليرتقي به، ويخاف أن يقال: عريان؛ أليس ابن فلان؟! فيأتي له الخزي من ناحيته، فهو قطاع محسوب عليه في المجتمع، فإذا ما حمل كل إنسان قطاعا من المجتمع؛ فيحمل قطاع أسرته، وقطاع أقاربه، وقطاع من حوله من الفقراء، سيكون من العجيب جدا أن نجد من لا قريب له، وإن وجد ففي حق الله العام الذي فرضه على المؤمنين ما يكفيه.

وهكذا كان تأسيس مسألة الزواج على مسألة الشهرة والتوثيق والتأبيد؛ ليحمل كل إنسان قطاعا من المجتمع محسوبا عليه، ولاشك في أنه لن يدخر وسعا في أن ينهض بذلك القطاع، ولو بدافع العاطفة أو الخوف على المجتمع، وبذلك يكون قطاعا محمولا علنا، فالوسائل التربوية يجب أن تتخطى مسألة الفرقية إلى مسألة الاجتماعية، وحين يقع ذلك يجب أن نرتقي ارتقاء آخر يصلنا أولا بالبيئة، والاتصال بالبيئة بالنسبة إلى الإنسان أنواع؛ فقوم يتصلون بالبيئة حولهم وبالكون لينتفعوا به، وقوم آخرون يتصلون بالبيئة حولهم لينفعوا هذه البيئة، فهم قد تأثروا بخير من قبلهم وبتجاربهم، ويريدون أن يتركوا في المجتمع أثرا، فبعد أن تأثروا أرادوا أن يؤثروا، وهؤلاء هم المصلحون والعباقرة، أما العاديون فيكفيهم أن يأخذوا من خير المجتمع فحسب، لكنا يجب أن نغرس في نفس المربي أنك كما أخذت خير غيرك من تجاربه ومعارفه السابقة فيجب أن تترك أثرا يأخذه غيرك ممن يأتي بعدك، وبذلك لا تنفصل ذاتيته عن القديم؛ لأنه محتاج إليه، ولا عن الجديد؛ لأنه مطلوب إليه أن يؤدي ما أدي إليه، ولو أن كل إنسان اتصل بالمجتمع اتصال أخذ دون عطاء له لوقف المجتمع، ولما تطورت الحياة، فتطور الحياة إنما ينشأ من عبقريين ومصلحين تأثروا بما أخذوا، ثم حاولوا أن يؤثروا فيما بعدهم، وحين يطبع النشء على هذه الحقيقة تكون له اجتماعية في الحياة وإنسانية واسعة، لكن منهج الإسلام لا يكتفي بهذا؛ لأنه لا يريد أن يحييه في هذه الدنيا الضيقة، لكنه يريده موصولا بجهة أخرى، يسأل المتعلم: لماذا تتعلم خمس عشرة سنة؟ قال: لأرفه حياتي وأعيش سعيدا بقية عمري. فالذي يتعب ساعة لو أراح نفسه فيها لكانت الصفقة غير رابحة؛ إنما يتعب نفسه ساعة ليريحها يوما، ويتعبها يوما ليريحها أسبوعا، ويتعبها أسبوعا ليريحها شهرا، ويتعبها شهرا ليريحها عاما، ويتعبها عشرين سنة يتعلم فيها ليريحها بقية العمر. قل له: فإذا ما شئت أن تترفه ألا تتعب في حياتك كلها تعب عمل؛ حتى تأخذ زمنا أوسع وأخلد؟! فقد ربطته بطموح ينتقل به نقلة أخرى إلى عالم آخر أخلد من عالمه الذي يعيش فيه، وقد استدركت أنه تعب كذا ليرتاح كذا، فقل له: ألا تتعب من عهد التكليف إلى نهاية عمرك؛ حتى ترفه حياتك التي لا نهاية لها ولا حد؟! إذن: فالنقلة الطموحية إنما هي في الدين، والنقلة الرجعية إنما هي في غير الدين، وهي التي تقصر مهمة الإنسان على هذه الحياة.

بعد ذلك نقول: هل الدين هو التقدمي الذي يطمح لحياة بعد هذه الحياة، أم المبدأ الذي يجعل نهاية الإنسان هذه الدنيا؟! أي المبدأين هو المتخلف؛ الذي جعل للإنسان أمدا أطول من حياته، أم الذي جعل أمد الإنسان منتهيا بحياته؟! إنه يقول بربط المربى دائما بربه ومنهجه، ولابد أن تنظم حياته تنظيما يستغرق كل حركة في حياته؛ بحيث لا تفوت حركة من حركات حياته إلا وهي موصولة بربه، حين يكون كذلك يظل دائما موصولا بالله، ويكون الله في باله في أعماله كلها، ولا يقبل على عمل إلا إذا كان موافقا لمنهج الله، وإذا كان فيه خيرا لنفسه ومجتمعه وأخراه، لكن أيكفي أن ندس له هذه المبادئ دسا نظريا يستظهره عن ظهر قلب، ويحفظه بحيث إذا سألناه أجاب عن ذلك؟! لا؛ إنما هي الأسوة السلوكية، فالمربي حين يواجه من يربي ويبتدئ عمله معه بقوله جهرا وبوضوح: بسم الله الرحمن الرحيم. وحين ينتهي من عمله يقول جهرا وبوضوح: الحمد لله. وحين يسأل طالب سؤالا فيجيبه كما قال، ويسر به لا يقول: هكذا فهمت وهكذا شرحت لك. بل يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. حينئذ ينطبع في ذهن النشء أن كل عمل يجب أن يبدأ باسم الله، وحين ينتهي منه يجب أن ينتهي بالحمد لله، وإذا رأيت منه ثمرة فقل: ما شاء الله. ولا تكن قانونيا فتقل: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ (القصص:٧٨)، ولا تقل: لأني اطلعت، ولأني خدمت الدرس، ولأن التلميذ انتبه. فتعود مادية الأسباب وآليتها، لكنك لابد أن تلفته دائما إلى خلفيات هذه الأسباب من القوة القاهرة التي تسيطر على كل شيء، والتي تخضع الأسباب للإنسان؛ فهو حين يقول: باسم الله. يستشعر أن الله خلق الأشياء، وخلق له تسخيرها بالانفعال له، وخلق له طاقة الفكر والمنطق، وهيأ له أستاذا ودولة تبني له المدارس وتهيئ له الكتب، فالله وراء كل ذلك، أو فوق كل ذلك، حينئذ يستشعر التلميذ في كل درس من الدروس التي يسمعها، ويجد بداية باسم الله، فيوصل بحقيقة أن الله هو الفاعل، والأسباب مخلوقة له، وحين ينتهي من الدرس يقول: الحمد لله. فيعلم المربى أن كل شيء إنما تم بمعونة الله، ولذلك يجب أن نتوجه إليه بالحمد، وإذا رأى ثمرة من ثماره يقول: ما شاء الله. إنه حين يستمع إلى ذلك أسلوبا تطبيقيا لا كلاما نظريا يسمعه من مدرسين في دروس عدة، تتكرر هذه العبارة إلى أن تصبح طابعا خلقيا، فيه يبدأ كل شيء باسم الله، وينتهي من كل شيء بالحمد لله، وإذا رأى ثمرة من ثمرات الخير قال: الحمد لله. وبعد ذلك يجب ألا تنفصل مواد العلوم التي يدرسها المربي للمربى على اختلاف المربين في علومهم وفنونهم عن تلك القيم المنهجية السماوية؛ لأن التلميذ حين يدرس مادة من المواد، ويأخذ حصيلة التجارب والنظريات التي جاءت لنا من الغرب ينقدح في ذهنه إعجابه بالغرب، وحين ينقدح في نفسه إعجابه بالغرب[٧]...

المصلحون والعباقرة يتصلون بالبيئة حولهم لينفعوها متأثرين بخبرة من قبلهم وتجاربهم

الهوامش

١- المخيلة: المظنة، وأصله في السحابة التي يخال فيها المطر. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٨/٤٦١).

٢- كيت: كناية عن القصة أو الأحدوثة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٥/٧٢).

٣- لم أقف عليه ولم أجده فيما توفر لي من مصادر.

٤- رواه البخاري، رقم: (٦٠١١)، ومسلم، رقم: (٢٥٨٦).

٥- مركوز: ثابت مدفون. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٥/١٦٠).

٦- رواه الطبراني في المعجم الصغير، رقم (٨٦١).

٧- كتب على هامش الأصل: إلى هنا انتهى التسجيل.

❖ محاضرة الشيخ محمد متولي الشعراوي
في جمعية المعلمين بالدسمة
بتاريخ (٢٧/١٠/١٩٧٤م).



د. محمد أحمد قنديل
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية
جامعة القاهرة





المنهج النبوي الشريف في التعليم

حينما بعث الله النبي ﷺ، كان أغلب الناس في منطقة الحجاز ومن حولها يعيشون في الصحراء، وعبر عنهم النبي ﷺ بقوله: «إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب»[1]، هذا ولقد غادر النبي ﷺ الحياة، وقد نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ (البقرة: ٢٨٢) أي أصبحت الكتابة سائدة في الأمة، وأصبح للأمة كتاب الوحي، وكتاب الرسائل، ففي خلال ثلاثة وعشرين عاما حدثت نقلة عظيمة للأمة من الأمية إلى العلم والنور، فهي تجربة ناجحة ومشروع عظيم، ولم يترك النبي ﷺ الأمة إلا وهي قد كتبت وتعلمت، ثم بعد ذلك خرج من طيات الأمة الإسلامية علماء أفذاذ شهد لهم التاريخ كالإمام البخاري ومسلم، والأئمة الأربعة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل شمل العلوم المدنية، فظهر في الطب ابن سينا وابن النفيس، وفي الكمياء جابر بن حيان والكندي، وفي الفلك البيروني، وفي الجغرافيا الإدريسي وغيرهم الكثير.

ولا يوجد في التجارب البشرية تجربة تماثل تلك التجربة العظيمة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف نجحت التجربة النبوية الفريدة في التعليم؟، في حين نجد اليوم في عالمنا الكثير من المؤسسات العلمية تشكو من عزوف الطلاب عن القراءة وهجران المكتبات والعلم عموما، وهذه أشياء أصبحت معروفة في حياتنا اليوم، وبقدر ما تنفق الأموال العديدة بقدر ما يقع رد الفعل العكسي تماما، فهناك خلل واضح، وعلاجه يكمن في معرفة المنهج النبوي الشريف في التعليم ومقوماته.

مقومات المنهج النبوي الشريف في التعليم

لاشك أن نجاح المنهج النبوي الكريم في التعليم له أسبابه ومقوماته، التي جعلته يحقق هذا الإنجاز العظيم في أقل مدة زمنية، وأهم تلك المقومات هي:

أولا: جعل العلم عبادة

إن جعل العلم عبادة تكمن أهميته أنك تطلب العلم وأنت تعبد الله سبحانه وتعالى، فتقترب منه بقدر ما تتعلم، فهذه مسألة أساسية وهي مسألة المزج بين العبادة والمعرفة، ويكون المطلوب الأساس من العلم هو رضا الله سبحانه وتعالى، وبناء على ذلك فإن طالب العلم لا يحصر اهتمامه في نيل منصب أو شيء جزئي.

والإسلام لم يجعل طلب العلم عبادة فقط، بل قال إن أول عبادة يأتيها العبد هي طلب العلم، لذلك كان أول ما يجب على الإنسان قبل الصلاة والصيام أن يعرف، وهذا يدل على اهتمام الشرع بالعلم، وأن لا يمكن أن تؤدي عبادة ما إلا إذا سبقها علم، وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه بابا بعنوان: باب: العلم قبل القول والعمل.[2] وقد ذكر أهل العلم أن طلب العلم فرضا كفائيا على الأمة، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ (التوبة: ١٢٢)، وكذلك هناك علم خاص بكل مهنة، فإذا كان الرجل تاجرا يتعلم أحكام التجارة، وإذا كان طبيبا يتعلم أحكام الطب.

وكذلك رأينا في هذه الأمة أن الرحلة في طلب العلم جزء من العبادة، بل هي من أهم العبادات، ولذلك لم ترحل أمة في طلب المعرفة، مثلما رحلت الأمة الإسلامية، فلا يوجد في شعوب الأرض رجلا مثل الإمام البخاري رحمه الله، يقطع الفيافي ويرحل مدة ستة عشر سنة لأجل أن يجمع كتابا في الحديث، لم يشتغل أحد مثلما اشتغل الإمام مالك أربعين سنة في تبويب موطئه، لم يوجد في الأمم الأخرى رجلا مثل بقي بن مخلد الذي رحل من الأندلس حتى الشرق ليأخذ الحديث الشريف من الإمام أحمد رحمه الله، لا يوجد في تاريخ الدنيا فقه أوسع ولا أضخم من فقه الأمة الإسلامية، ولا توجد أمة وثقت نصوصها مثل ما وجدناه في توثيق النص الحديثي الشريف فيما كتبه العلماء عن أصول الرواية.

كل ذلك من أثر الإخلاص في طلب العلم المكون الأساس لمفهوم أن العلم جزء أصيل من العبادة.

فنحن أمة متجذرة في العلم، منغرسة فيه، ولذلك كانت الدنيا تنصاع للإسلام، فلم يكن الإسلام في حاجة إلى سيف أو مدفع، كانت العلوم بادرة تشد إليها الناس.

ولذلك يقال لمن يدعي أن الإسلام في صدره انتشر بالسيف، نقول لم ينتشر بالسيف، بل انتشر بالقلم، فأول آيات نزلت هي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العلق: ١-٥)، وليست آيات السيف.

ثانيا: انتصاب النبي ﷺ للتعليم

كان النبي ﷺ يعلم الناس بنفسه، وكان يجلس عند إسطوانة التوبة بالروضة الشريفة يعلم الناس الإسلام، وكان يعلم الناس بطريقتين:

الطريقة الأولى: التلقين، وهي أن يلقي العلم على الناس.

الطريقة الثانية: يسمع أسئلة الناس ويجيب عليها.

فكان مجلس النبي ﷺ هو الذي نشأت فيه المعرفة الشرعية، ونبتت منه الحضارة الإسلامية، وكما جاء في الحديث: «بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».[٣]

فحينما يغادر المؤمن حلقة الدرس، وينصرف عنها يعتبر معرض، فيعرض الله عنه، سواء ذهب إلى شيء تافه، أم من الأشياء التي يظنها مفيدة له، المهم أنه حينما توجد حلقة العلم لابد أن يأخذ منها نصيب، واليوم للأسف نجد الكثيرين من الناس لا يهتم بمجالس العلم حتى لو جلس للسماع يجلس بطريقة لا تدل على الاهتمام، وهذا يدل على عدم الخضوع للعلم.

ثالثا: بعث المعلمين

كان النبي ﷺ يبعث المعلمين ليعلموا الناس، وكان يختار منهم من يحسن التعليم ويجيده، وكان من أول هؤلاء مصعب بن عمير الذي بعثه النبي ﷺ إلى المدينة المنورة معلما، وقد ظهر أثره العظيم في مدى احتفاء أهل المدينة بالنبي ﷺ في استقباله بالمدينة، ونفس الشيء فعله مع معاذ بن جبل حينما بعثه لليمن، وكان معاذ جديرا بتلك المهنة وأداها أحسن الأداء، وغيرهم الكثيرين، بمعنى أن هناك شبكة من المعلمين كانت موجودة في البلاد الإسلامية.

فكانوا معلمين بمعنى الكلمة بمعنى أن لديهم من العلم في ذاته، ولديهم من طرق التعليم ما يجعلهم مؤهلين لذلك الوظيفة، وليسوا دون المستوى.

وكذلك حديث النبي ﷺ عن الأشعريين في حديث: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون... فلما سمع الأشعريون ذلك قالوا يا رسول الله: أمهلنا سنة. فأمهلهم سنة ليفقهونهم ويعلمونهم ويفطنونهم».[٤]

وحين وقع أسرى من أهل مكة بعد انتصار غزوة بدر الكبرى، جعل النبي ﷺ فداء الواحد منهم أن يعلم عشرة من أهل المدينة الكتابة والقراءة، وهؤلاء الذين أرادوا أن يتحرروا بسهولة وبسرعة، عليهم أن يعلموا الناس بأيسر السبل وأحسنها، واستخدام أفضل الوسائل في التعليم، لأنه كلما طال العمل، كلما طال الأسر.

فقد جاء أنه: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة».[٥]

بل دلت الشواهد والآثار كذلك على أن زيدا بن ثابت رضي الله عنه كان ممن تعلموا القراءة والكتابة على يد أسارى بدر.[٦]

وهكذا رأينا أن النبي ﷺ حرص على تعليم المسلمين، لأن المسلم تنتظره أشياء كبيرة، والجهل يقيده ويمنعه أن ينهض بواجباته، والمشروع الحقيقي للإصلاح هو الذي يبدأ من الإنسان، وهو الذي ركز منذ فجره على بناء الإنسان علما وفقها.

ولقد كان الإسلام أول دين دعا إلى التعليم ورفع مكانة العلم وأهله، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».[٧]

الهوامش

١- صحيح البخاري، باب: قول النبي ﷺ: «لا نكتب ولا نحسب».

٢- صحيح البخاري، باب: العلم قبل القول والعمل.

٣- صحيح البخاري، باب: من قعد حتى ينتهي به المجلس.

٤- مجمع الزوائد، ١/ ١٦٩.

٥- مسند الإمام أحمد، مسند عبدالله بن عباس، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

٦- السهيلي، الروض الأنف، ٥/ ١٦٧، ط الرسالة.

٧- سنن ابن ماجة باب فضل العلماء.

التحرير



أوصلت العرس الديموقراطي إلى بر الأمان

خبراء سياسيون: حكومة الكويت حاسمة وإصلاحية

ثمن خبراء سياسيون مواقف الحكومة الكويتية الحالية معتبرين أنها إصلاحية وحاسمة، ورئيسها لديه النية الصادقة في تحقيق إصلاحات في النظام الانتخابي، وذلك بعد أن قامت الحكومة بإلغاء القيود الانتخابية المسجلة التي تضمن نجاح نواب يملكون المال السياسي، وقال الخبراء: «إن الكويت تعيش عرسا ديمقراطيا يفرز مجلسا حقيقيا بأصوات صادقة غير مزورة، وينتصر لإرادة الشعب في مطالبهم وتحقيق رغبتهم بالتغيير والنهوض من جديد».

البداية جاءت من الخطاب السامي الذي شخص الأوضاع السياسية، ووضع النقاط على الحروف باتخاذ القرار نحو حل مجلس الأمة والعودة إلى الأمة باختيار ممثليها من جديد، بعدما عصفت الأوضاع السياسية غير المستقرة بالمجلس، مما استدعى تدخل القيادة السياسية لنزع فتيل الأزمة بحل مجلس (٢٠٢٠م) دستوريا، ليقول الشعب كلمته من خلال صناديق الاقتراع في (٢٩) سبتمبر الماضي.

وفور صدور الخطاب السامي، برزت مظاهر التصحيح عندما شنت الحكومة حربا حقيقة ضد ما يسمى بالانتخابات الفرعية، كذلك سقط شراء الأصوات في قبضة وزارة الداخلية، لقد دخلت الإجراءات لتصحيح المسار في مجلس الأمة (٢٠٢٢م) حيز التنفيذ، وبدأ تطبيق العقاب على كل من تسول له نفسه العبث بالعملية الانتخابية أو خدش نزاهتها.

ولاقت إجراءات الحكومة بوقف مسلسل الفرعيات والضرب بيد من حديد على عمليات شراء الأصوات استحسان الشارع الكويتي من مرشحين وناخبين.

نظام تصويت دقيق

و جاء اختيار مرشحي مجلس الأمة في (٢٩) سبتمبر الماضي، بنظام تصويت جديد، إذ اعتمدت الحكومة



مجلس الوزراء في إحدى جلساته ويبدو في المنتصف رئيس المجلس سمو الشيخ أحمد نواف الأحمد الصباح

الكويتية التصويت بالبطاقة المدنية لأول مرة، تيسيرا على المواطنين والتزاما بالدقة والشفافية.

ووفقا لما أكده مدير إدارة شؤون الانتخابات بوزارة الداخلية العقيد الحقوقي الدكتور أحمد الهاجري طلب من الناخب في يوم الاقتراع إبراز شهادة الجنسية للختم عليها والبطاقة المدنية لإثبات الموطن الانتخابي.

وقال الهاجري إنه في حال فقدان شهادة الجنسية، فإن وزارة الداخلية ممثلة بالإدارة العامة للجنسية ووثائق السفر غلبت روح القانون وسلمت الناخبين يوم الاقتراع شهادة «لمن يهمه الأمر» تمكنهم من التصويت في الانتخابات.

وأوضح الخبير الدستوري أستاذ القانون العام بكلية الحقوق بجامعة الكويت ورئيس جمعية الحقوقيين الكويتية الدكتور إبراهيم الحمود: أن العنوان المدون في البطاقة المدنية هو المكان الانتخابي لصاحبها، وبذلك تتغير خارطة توزيع الناخبين. فهناك دوائر ارتفع فيها عدد الناخبين بزيادة (٥٠) ألف ناخب جديد، وفي المقابل هناك دوائر نقص فيها عدد الناخبين بسبب الاعتماد على البطاقة المدنية بدلا من الجدول الانتخابي الذي كان ثابتا في وزارة الداخلية.

وأضاف الحمود أن اعتماد البطاقة المدنية جاء في عهد جديد بعد تشديد الحكومة ووزارة الداخلية على منع إقامة الانتخابات الفرعية والتشاوريات التي تجريها بعض المجموعات القبلية والعشائرية داخل نطاقها بشكل سري قبل الانتخابات الرسمية لإفراز ما يعرف باسم «مرشحي الإجماع». وهذا كان يؤثر على نسبة المرشحين، وما حدث أن مرشحين تنافسوا بدون وجود تصفيات أولية بينهم، على عكس الدورات الانتخابية السابقة، ولا شك بأن هذا أثر على مخرجات الانتخابات، وأعطى مصداقية أكثر للنتائج.

مناطق جديدة

وقد وافق مجلس الوزراء الكويتي، في (١٧) أغسطس الماضي، على مشروع مرسوم بقانون بتعديل بعض أحكام القانون رقم: (٣٥) لسنة: (١٩٦٢م)، الخاص بانتخابات أعضاء مجلس الأمة، باعتماد سجلات الهيئة العامة للمعلومات المدنية، في العملية الانتخابية، وكذلك مرسوم تعديل الجدول المرفق للقانون رقم: (٤٢) لسنة: (٢٠٠٦م)، بإضافة مناطق جديدة إلى دوائر انتخابية قائمة.

وبهذا تم استخدام الكشوف التي أصدرتها الهيئة العامة للمعلومات المدنية للتصويت؛ بحيث إن كل كويتي بلغ (٢١) عاما يوم الاقتراع، وتوفرت فيه الصفات المطلوبة لتولي الحقوق الانتخابية ولم يكن لديه قيد انتخابي بأي دائرة، تم تقييده تلقائيا في كشف الناخبين وكان من حقه التصويت في انتخابات مجلس الأمة للعام: (٢٠٢٢م).

وقد أظهرت الحكومة الكويتية جدية في التعامل بحزم مع الانتخابات الفرعية من خلال سلسلة من المداهمات قامت بها الأجهزة الأمنية مؤخرا والتي حالت دون انعقاد مثل هذه الانتخابات غير القانونية في عدد من الدوائر



سمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح يرد تحية نواب في دورة سابقة

الانتخابية.

وأشادت أوساط سياسية كويتية بالجهود المبذولة من قبل حكومة الشيخ أحمد نواف الأحمد الجابر الصباح للقطع مع «الفرعيات».

لا تهاون مع المخالفات

وكان رئيس الوزراء الكويتي وجه بالتعامل بحزم وبلا تهاون مع الانتخابات الفرعية، وتم تشكيل قوة أمنية لغرض إحباط عقد مثل هذه الانتخابات.

وواصلت الحكومة التعامل مع ملف شراء الأصوات بكل حزم وحرص حتى تمت العملية الانتخابات بكل شفافية ونزاهة، عبر محاربة الخطوات التي تعمل على المس بها، أو محاولة تشويهها.

وكانت عملية «شراء الأصوات» تقوم بتوجه المرشح إلى القاعدة الانتخابية لأقرب منافسيه، وقيامه بدفع مبالغ مالية مرتفعة للناخب مقابل حجز

دوائر مجلس الأمة الكويتي

الدوائر الانتخابية محددة حسب قانون الانتخاب بـ (٥) دوائر، وكل دائرة يفوز فيها (١٠) مرشحين، ويكون لكل دائرة انتخابية مركز رئيسي، ويحدد عدد المراكز الفرعية لكل دائرة لاحقا حسب عدد الناخبين والمرشحين في كل دائرة.

ولدينا في الكويت لجان فرعية لفرز الأصوات ولجنة رئيسية (مخولة بإعلان النتيجة والتصديق عليها)، وكل لجنة يترأسها أحد القضاة أو وكيل نيابة، ويساعده أحد منسوبي وزارة الداخلية، و لكل مرشح حق في أن يعتمد مراقبا من قبله في هذه اللجان.





«ورقة الجنسية الكويتية»، التي لا يستطيع المواطن وفق القانون الكويتي التصويت من دونها.

وقد أشادت المفوضية الأهلية للديمقراطية بجمعية الشفافية بجهود وزارة الداخلية بضبط عملية شراء أصوات، معتبرة أنها تعزيز نزاهة انتخابات مجلس الأمة.

وكشفت مصادر أن مجلس الوزراء طالب نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع وزير الداخلية بالوكالة، الشيخ طلال خالد الأحمد الجابر الصباح، بتقديم خطة متكاملة لمكافحة شراء الأصوات في هذه الانتخابات.

المرشح الأمثل

وطلب مجلس الوزراء من وزير الداخلية تفعيل كل ما يضمن أن تكون الانتخابات هي الأكثر نزاهة وشفافية، من خلال الإجراءات الكبيرة التي اتخذتها الحكومة، ابتداء من تعديل قانون الانتخاب، والتصويت بالبطاقة المدنية، فضلا عن مكافحة شراء الأصوات مبكرا، كي يصل المرشح الأمثل إلى مجلس الأمة.

ووفقا لوكالة الأنباء الكويتية أشاد أيضا نائب رئيس مجلس إدارة جمعية الهلال الأحمر الكويتي أنور الحساوي بالإجراءات الحكومية لتوفيرها كل التسهيلات لضمان إجراء الانتخابات البرلمانية بسهولة وسلاسة، من أجل راحة المواطنين المشاركين الذين حرصوا على أن يكون لهم دور إيجابي في هذه العملية الانتخابية، مضيفا أن متطوعي الجمعية واكبوا هذه الانتخابات، إيمانا بدورهم في قضايا الوطن والمجتمع، مما يعزز المشاركة الشعبية، ويؤكد على الوعي الشعبي الكبير بالمسؤولية المشتركة للجميع، مواطنين وناخبين ومسؤولين، من أجل رفعة البلاد والنهوض بها.

وتحرص الجمعية على التنسيق مع مؤسسات الدولة المعنية بالتنظيم لهذه المناسبة كوزارة الداخلية والإدارة العامة للدفاع المدني، لاسيما أن متطوعي الجمعية يجسدون على أرض الواقع الأهداف والمبادئ السامية التي تسعى الدولة إلى تحقيقها، ويؤيدون بكل إخلاص واجبهم الكبير محليا ودوليا.

من اختصاصات مجلس الأمة

من اختصاصات مجلس الأمة بالكويت: الرقابة على أعمال الحكومة، وتشريع القوانين المالية والرقابة المالية، والموافقة على إصدار الموازنة، كما أن مجلس الأمة يسن القوانين عن طريق الاقتراحات والمشاريع بالقوانين المقدمة من قبل عضو المجلس أو الحكومة، وسلطته المالية تشمل الضرائب والرسوم التي قد تصدر بناء على قانون.

ولأعضاء مجلس الأمة الحق في طرح الأسئلة البرلمانية بهدف الحصول على معلومات أو لفت النظر إلى مخالفات، كما للأعضاء الحق في الاستجواب.



د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

الرفق بالمرأة.. مظاهره وآثاره

تمثل المرأة اليوم محور اهتمام المجتمعات، ويعتبر الاهتمام بها من معايير التقدم الحضاري الذي تحرص المجتمعات على إظهاره أمام العالم مفتخرين بما وصلت إليه المرأة من مكانة، يبرهنون على ذلك بالمناصب التي تتولاها المرأة في المجتمع، وبما صاغوه من دساتير وقوانين تحمي المرأة، وتحفظ كرامتها، وبما وافقوا عليه وانضموا إليه من معاهدات ومواثيق دولية تلزم الدول بتمكين المرأة وحمايتها وضمان الحصول على كامل حقوقها، وأيضا برعاية الدولة للمؤسسات الخاصة بالمرأة، وبنمو عدد منظمات المجتمع المدني العاملة في مجال حقوق المرأة وحريتها في العمل.

استرقاق وعبودية

في بيان مشترك صدر بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٢٦ عن منظمة العفو الدولية ومنظمة الترابط النسائي العالمي والاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة.

حذروا فيه من: زيادة مستويات انعدام الأمن والعنف ضد المرأة في جميع أنحاء أوروبا؛ وتفاقم عدم المساواة بين الجنسين ومستويات التمييز المجحف، وأوضحت أن تقارير العنف ضد المرأة، ولا سيما العنف المنزلي، قد ازدادت بشكل مثير للقلق، ووفقا للبيانات الأخيرة الصادرة عن منظمة الصحة العالمية، ارتفعت مكالمات الإغاثة بنسبة تصل إلى ٦٠ في المئة مقارنة بالعام الماضي في العديد من الدول الأوروبية[١].

ومن جهة أخرى وعشية اليوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة في ٢٠٢١/١١/٢٥ أصدرت المفوضية الأوروبية، بيانا حول: «العنف ضد النساء والفتيات هو انتهاك واسع النطاق لحقوق الإنسان» جاء فيه عدد من الإحصائيات المهمة حول الانتهاكات التي تتعرض لها المرأة في أوروبا منها: إبلاغ امرأة واحدة من بين كل ثلاثة، تبلغ أعمارهن خمسة عشر عاما فأكثر عن تعرضها لشكل من أشكال العنف الجسدي أو الجنسي أو كليهما. وذكرت واحدة من كل عشر نساء أنها تعرضت لشكل من أشكال العنف الجنسي، وتعرضت واحدة من كل عشرين امرأة للاغتصاب، كما عانت أكثر من واحدة من كل خمس نساء من العنف الجسدي أو الجنسي أو كليهما من شريك حالي أو سابق، في حين أن ٤٣ في المئة من النساء قد تعرضن لشكل من أشكال الإيذاء النفسي أو السلوك المسيطر أثناء العلاقة، وزيادة حلات العنف الأسري تشير إلى أن المنزل ليس مكانا آمنا. إن حجم المشكلة لا يزال ينذر بالخطر[٢].

ومن مظاهر الامتهان التي تعانيها المرأة الأوروبية معاملتها كسلعة تجارية

أو ما يطلق عليه ظاهرة «تسليع المرأة أو التشيء الجنسي للمرأة» والتي تعني: رؤية ومعاملة النساء كشيء عبر استخدام جسد المرأة في الترويج والتسويق للمنتجات بغرض زيادة الأرباح، واستخدام المرأة كأداة عرض جنسية في الإعلانات، ووسائل الإعلام والأفلام الإباحية ومهن مثل رقص التعري والدعارة، وتقييم المرأة في الأحداث العامة بناء على المظهر الجسدي والجاذبية الجنسية كما يحدث في مسابقات ملكة الجمال[٣].

وفي مجال العمل تعاني المرأة الأوروبية من التمييز والاضطهاد فهي تعاني من تدني الأجور وحرمانها من الوظائف القيادية مقارنة بالرجل، كما أن الزوجة الأوروبية بمجرد زواجها تفقد اسم والدها ولقب أسرتها وتنسب إلى زوجها، كما تفقد الكثير من حقوقها وحرياتها المالية، وهذا من الناحية القانونية ما يطلق عليه فقدان الزوجة الأوروبية لشخصيتها المدنية.

هذا وحدث ولا حرج عن الدعوات العلنية عبر النت لاغتصاب النساء، جرائم قتل الزوجات وتعذيبهن، وحفلات الاغتصاب الجماعي.

ولا أجد من الكلمات ما يعطي توصيفا دقيقا للحالة التي تعيشها المرأة الأوروبية إلا أنه استرقاق واستعباد لها، فهي قانونيا تعامل معاملة الرقيق مسلوبة حريتها وحقوقها، وهذا الوضع ليس غريبا على أوروبا إنما هو إفراز لعقيدة محرفة تحتوي على نصوص كتبهم المحرفة على كل ما يشين ويهين المرأة.

والواقع ينبئنا بصدق بأن أوروبا حاضنة دعوات تحرر المرأة ومصدرتها لكل دول العالم، عاجزة عن تحقيق حرية المرأة والحفاظ على حقوقها!

هؤلاء هم القوم الذين نتحسس موضع أقدامهم لنسير على هداهم بدعوى تحرير وتمكين المرأة، ففي الحديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» (البخاري).

رعاية المرأة

كرم الإسلام المرأة ورفع مكانتها أما وأختا، زوجة وابنة، عمة وخالة، وشرع لها الكثير من الحقوق الشرعية وجعل في التزامها وأدائها طاعة يثاب عليها المسلم وفي مخالفتها وعدم أدائها معصية يعاقب عليها لتعيش كريمة عزيزة، فالمرأة ركيزة أساسية في بناء المجتمعات والنهوض بها وصلاحها.

فمن ناحية الإيمان والعبادات سوى الإسلام بين الرجل والمرأة وكل يثاب على قدر اجتهاده في الطاعة قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (النساء:١٢٤).

والرفق بالمرأة في أعلى درجاته وأسمى معانيه يتجلى في البر بالوالدين والوصية الخاصة بالأم قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤)، وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك» (البخاري).

والأخت هي الأم بعد

الأم وفضلها في البر والإحسان يأتي مباشرة بعد البر بالوالدين وهي من أوجب الرحم الواجب وصلها ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه» (البخاري).

ومن مظاهر الرفق بالأخت أن برها لا ينقطع بوفاتها بل يجب تفقد أحوال أسرتها من زوج وأبناء وبذل الجهد في مساعدتهم وقضاء حاجاتهم عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إن أختي ماتت وعليها صوم شهرين متتابعين. قال: أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضيه؟ قالت: نعم. قال: فحق الله أحق» (ابن ماجه).

وفي القرآن الكريم إشارة إلى منزلة الأخت ودورها في رعاية إخوتها مشاركة مع الأم وتضحيتها من أجلهم كما فعلت مريم أخت موسى، عليه السلام، وأي تضحية التي ضحتها مريم وخاطرت من أجل أخيها لتواجه فرعون بكل كفره وطغيانه ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾ (القصص:١١-١٢).

ثم بعد سنوات يذكر المولى سبحانه وتعالى موسى، عليه السلام، بنعمه عليه ومن ضمن هذه النعم نعمة الأخت، قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ (طه:٤٠).

وهذا رسول الله ﷺ يكرم أخته من الرضاعة الشيماء بنت الحارث ويفك أسرها يوم غزوة حنين، وحينما دخلت عليه بسط لها رداءه، فأجلسها عليه وخيرها، وقال: «إن أحببت فعندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت». فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي. فنحلها غلاما وجارية، وردها إلى قومها، وفي رواية قال لها: «سلي تعطي، واشفعي تشفعي»[٤] وتأمل رفق النبي ﷺ وتلطفه مع أخته من الرضاعة.

وقد ضرب الصحابة، رضوان الله عليهم، أمثلة للحب الصادق للأخت وحسن المعاملة، فها هو جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، يخلف والده بعد استشهاده يوم أحد في كفالة ورعاية أخواته، ومن أجلهن تزوج ثيبا ففي الحديث عن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، قال: «هلك أبي، وترك سبع بنات، أو تسع بنات، فتزوجت امرأة ثيبا، فقال لي رسول الله ﷺ: تزوجت يا جابر؟ فقلت: نعم. فقال: بكرا أم ثيبا؟ قلت: بل ثيبا. قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك؟ قال: فقلت له: إن عبدالله هلك، وترك بنات، وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن. فقال: بارك الله لك، أو قال خيرا» (متفق عليه).

كما حفظ الإسلام للأخت الحق في ميراث أخيها بشروطه الشرعية قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ (النساء:١٧٦).

والبنت أعاد لها الإسلام الحياة، فقد كانت كراهية العرب قبل الإسلام للبنات تحملهم على قتلهن ووأدهن (أي دفنهن أحياء)، فجاء الإسلام وحرم هذا السلوك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ (التكوير:٨-٩)، وفي الحديث عن عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولدت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها، أدخله الله بها الجنة» (أحمد). وعن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له سترا من النار» (البخاري).

لقد رفع النبي ﷺ من منزلة البنت وجعل لمن وهبه الله بنتا أو أكثر، ما يناله من جزاء وخير فهي بركة ورزق في الدنيا ونجاة من النار في الآخرة وذلك إن اتقى الله فيها وأحسن إليها وتحمل مشقة تربيتها التربية الشرعية الحسنة، وفي هذا بيان بأن أجر تربية البنات أعظم من أجر تربية البنين.

والزوجة فرض الإسلام لها حقوقا على زوجها وأوصى بها أيما وصاية، فجعل قوام الحياة الزوجية المودة والرحمة بكل ما تحمله من معاني الحب ومشاعره، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١)، وأمر بحسن معاشرتها وعدم ظلمها: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ

﴿خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (النساء:١٩)، وفي الحديث: عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت» (أبو داود). ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في كيفية التعامل مع زوجاته، رضي الله عنهن، ومراعاة مشاعرهن حتى دون أن يفصحن عنها، ففي الحديث: عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى. فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى، قلت: لا ورب إبراهيم. قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك» (متفق عليه).

كما ضمن الإسلام للمرأة أن تحتفظ بشخصيتها كاملة فتنسب إلى أبيها وإن كان كافرا، ولنا الأسوة في زوجات النبي ﷺ فما زالت عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وصفية بنت حيي، رضي الله عنهن أجمعين، وكذلك أهليتها في التملك والبيع والشراء والهبة فهي لها ثروتها المستقلة عن الزوج الذي لا يملك حق التدخل في معاملتها المالية إلا بإذن منها كما لا يحل للزوج أن يسترد منها صداقها، ولها الحق أيضا في مؤخر صداقها بعد موت زوجها يتم إخراجه من التركة باعتباره دينا عليه، وحال طلاقها ضمن لها حق النفقة والمتعة والإرضاع.

ومن مظاهر الرفق بالمرأة المسلمة عامة وحفاظا عليها حدد لها الإسلام الثياب وشروطه، والزينة وشروط إظهارها، وطريقة المشي والكلام، وحرم اختلاط الرجال بها، وسفرها من دون محرم، وأمر بغض البصر عنها، وحرم الزنى.

وتبدو جليلة في حياة المرأة المسلمة آثار هذه الحقوق التي شرعها الله ورسوله لها، فهي تشعر بالأمن والرضا النفسي وبالتالي تنجح في أداء رسالتها في المجتمع، خصوصا كأم وكزوجة، وفي عملها ووظيفتها، كما تشعر بالأمن الذي يوفره لها الإسلام في المنزل وفي الشارع وفي العمل وفي كل مكان تتواجد فيه، بل أوجب على المسلم الحفاظ عليها ففي الحديث: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه» (متفق عليه).

التبرؤ من دعوات تحرير المرأة

إن الحقوق أقرها الإسلام ترفقا بالمرأة ومراعاة لطبيعتها وضعفها، حقوقا تتبع الفطرة التي فطر الله الناس عليها والتي تحقق مصلحة المرأة والرجل والمجتمع عامة فالمرأة في حصولها على حقوقها لا تدخل معركة مع الرجال ولا يعني حصولها على حقوقها انتصارا لها على الرجال، إنما يؤدي الرجل حقوق المرأة تعبدا لله سبحانه وتعالى امتثالا لأمر الله ورسوله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر:٧) وكل هذا يجعل المسلمين في غني عن الدعوات الهدامة التي تدعو إلى تحرير المرأة والتي هي أصل كل فساد تعانيه المرأة المسلمة المفتونة بهذه الدعوات في بلاد المسلمين اليوم.

الهوامش

١- www.amnesty.org الموقع الرسمي المنظمة العفو الدولية.
٢- www.eeas.europa.eu الموقع الرسمي للاتحاد الأوروبي.
٣- المعلومات مستمدة من موسوعة ويكيبيديا بتصرف من الباحث.
٤- القصة كاملة أوردها ابن إسحاق في سيرته.

السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية



شقائق الرجال

المتأمل في مسيرة الفكر الإنساني يجد أن قضايا المرأة من القضايا التي دار حولها جدل كبير، وأن هذا الجدل ما زال متصلا في واقعنا الحاضر.. وهذا يؤشر، بلا شك، على ما للمرأة من دور في المجتمع، لا يمكن تجاهله أو الغض منه.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك ملاحظة أخرى، تتصل بأن قضية المرأة من القضايا الأساسية التي شغلت العقل المسلم المعاصر، لاسيما منذ أن بدأ يفيق من سباته، ويراجع ذاته.

لكن من المؤسف حقا أن يكون هذا الجدل المتصل بالمرأة، جدلا متكررا حول القضايا ذاتها، كأننا لم نبرح المربع الأول؛ بدل أن يكون جدلا متراكما ينبني على ما يتم إنجازه، ويؤسس لقاعدة راسخة من النظر السديد، ويتفحص ما يستجد في الواقع، بل ويمد البصر مستشرفا آفاق المستقبل!

فاعل أصيل في المجتمع

وأول ما يمكن أن نشير إليه في هذا الصدد، هو أن المرأة فاعل أصيل في المجتمع؛ ولا يمكن تصور استعادة حيوية المجتمع دون دور حقيقي للمرأة. فهي نصف المجتمع، وتلد النصف الآخر وتتولى العناية به في أهم مراحله وأعظمها خطرا، بل يظل

دورها ممتدا ومؤثرا؛ سواء في حياة أبنائها أو في حياة زوجها. فهل يمكن بعد ذلك أن نهمش هذا الدور، أو لا نعطيه حقه من الاهتمام والتفعيل؟!
المرأة حاضرة في المجتمعات، ومن اليسير أن نلاحظ هذا الحضور في المجتمعات البدائية أو النامية أو المتحضرة على السواء. لأن الرجل أينما وجد نرى المرأة بجواره؛ تساكنه وتعايشه وتشاطره حياته، وإن كان لكل منهما دور يتناسب مع طبيعته التي خلقه الله تعالى عليها، ويتفاوت -أي هذا الدور- في النسبة أو النوعية من مجتمع آخر.
وبالتالي، فليس غياب المرأة عن بعض المجالات في مجتمع ما، يعني أن دورها مهمش في هذا المجتمع؛ كما أن حضورها في مجالات بارزة في مجتمعات أخرى، لا يعني أنها فاعلة أكثر في هذه المجتمعات.
ومن هذا المنظور، قد يجوز لنا أن نقول إن حضور المرأة في بعض المجتمعات الغربية، قد لا يعني بالضرورة أنه هو الحضور النموذجي المطلوب؛ وحينئذ يكون المعيار: هل هذا الحضور للمرأة يتفق مع طبيعتها، ومع وظيفتها، ومع إنسانيتها؛ أم هو حضور يجور على هذه الأمور، ويجعل من المرأة مسخا مشوها، ومجرد سلعة لجذب الانتباه وإثارة الغرائز!
لقد قرر الإسلام أن المرأة فاعل أصيل في المجتمع وفي الحياة، مثل الرجل؛ وأن الله تعالى لا يفرق في الثواب بين الرجل والمرأة، بل يجزي بالخير من يعمل صالحا، ذكرا كان أو أنثى؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).
قال ابن كثير: «هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا -وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه- من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله؛ وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت»[١].
كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٥).
قال الطبري: «فأجاب هؤلاء الداعين، بأني لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيرا، ذكرا كان العامل أو أنثى. وذكر أنه قيل لرسول الله ﷺ: «ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة؟ «فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك هذه الآية»[٢].

نظرات متعارضة

وهذا يجرنا إلى نقطة مهمة، وهي تعارض النظر في التعامل مع المرأة. ويمكن أن نشير إلى هذا التعارض بتقسيم إجمالي فنقول:

- هناك من يرى المرأة كمًّا مهملا في المجتمع، لا وظيفة لها إلا أن تلد وتنجب وتربي الأولاد وتمكث في البيت، ولا يعترف لها بحقوق في التعليم أو الحياة الاجتماعية أو غير ذلك.

صحيح أن هذه النظرة بدأت تتحسر مع تطور الحياة، ومع ما اكتسبته المرأة من حقوق؛ لكن آثارها ما زالت باقية عند البعض؛ في النظرة الدونية للمرأة، وفي الحديث عنها باستخفاف، وفي الإصرار على رفض بعض الحقوق المعقولة لها؛ مثل المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية.

- وفي المقابل، هناك نظرة أخرى تنطلق من إرث معاناة المرأة، وتتطرف في الجهة المقابلة؛ فتريد المساواة التامة بين الرجل والمرأة، حتى فيما يخالف طبيعة المرأة التي فطرها الله تعالى عليها، أو

لا يتناسب مع خصائصها النفسية والعاطفية؛ فضلا عمن لا يرى في المرأة إلا جسدا فاتنا يمكن توظيفه في الربح السهل القائم على مخاطبة الغرائز واللهاث خلفها، دون أي قيد من دين أو عرف أو قانون أو فطرة! حتى رأينا المرأة يوظفونها في الإعلان عن أشياء لا يستعملها إلا الرجال!! ولهذا، لا عجب أن تكون تجارة الجنس صناعة عالمية من الصناعات ذات الدخل الكبير!

وبعد أن كنا نسمع عما يسمى «حركة تحرير المرأة»، إذ بـ«العلمانية الشاملة»، كما يقول د. المسيري، تنقل ذلك إلى «حركة التمركز حول الأنثى»؛ وهذه الحركة لا تطالب بحقوق المرأة داخل المجتمع باعتبارها كائنا اجتماعيا مركبا، تتحقق هويتها داخل شبكة من العلاقات الإنسانية والاجتماعية المركبة، باعتبارها ابنة وأختا وأما وزوجة وفردا؛ بل على العكس من ذلك، تقوم حركة التمركز حول الأنثى بعزل المرأة عزلا تاما عما حولها؛ بحيث تتحول إلى فرد وحسب، وتصبح مكتفية بذاتها، مرجعية ذاتها.

ويضيف المسيري: ويبدأ الحديث عن المرأة لا كعضو في الأسرة، وإنما عن معاناتها كأم تقوم بأعمال (مادية) لا تتقاضى عنها أجرا، وعن حقوقها الاقتصادية المادية (المساواة في الأجور)، بل عن حقوقها البيولوجية (الإجهاض)؛ باعتبار أن جسدها ملك لها وحدها. ويتطور الحديث ليكون عن السحاق؛ باعتباره تحققا لذات المرأة الطبيعية المادية وللمرجعيات الأخلاقية المادية؛ فهي عن طريق السحاق تستبعد الرجال تماما عن عالمها (المستقل). وكما قالت إحداهن: إذا كان التمركز حول الأنثى هو النظرية، فالسحاق هو الممارسة[٣].

اختلاف المعيار

ولا يخفى أن السبب في اختلاف هذه النظرات المتعارضة في التعامل مع المرأة، إنما يرجع إلى اختلاف المعيار الذي ينظر منه كل طرف إلى المرأة، وإلى غيرها من القضايا بوجه عام؛ أي اختلاف «النموذج المعرفي».

فالنموذج المعرفي، بإيجاز، هو ذلك الإطار الذي يحدد للإنسان القيم العليا والتصورات الأساسية التي ينطلق منها في الرؤية والسلوك، سواء في التعامل مع نفسه أو مع الآخرين[٤].

وهذا النموذج منه: «النموذج المعرفي الإسلامي»؛ الذي يقوم على الإيمان بالله تعالى، وأن الإنسان خلق في الحياة لمهمة محددة وستكون هناك دار للثواب والعقاب؛ فهو لم يخلق عبثا ولن يترك سدى. ومنه: «النموذج المعرفي المادي»؛ الذي ينكر وجود الله تعالى، ويقرر أن الإنسان سيد نفسه، لا سلطان لأحد عليه، يقرر بعقله ما يريد، ويفعل بإرادته ما يشاء!

ولهذا، فمن يؤمن بالله تعالى سيدرك أنه ليس مطلق التصرف في نفسه ولا فيما يملكه؛ بل هو مؤتمن عليه ومحاسب عليه، وينبغي أن يلتزم في تصرفاته بما شرع الله تعالى من أوامر ونواه.

أما من لا يؤمن بالله، فإنه سيرى نفسه مطلقا من أي قيد، غير خاضع لأي توجيه، ولن يضع في اعتباره إلا ما يريده هو، حتى لو انحدر إلى درك أسفل من السلوك الحيواني! لن يبالي بظلم غيره، ما دام يفلت من القانون، ولن يعنيه هتك العرض، ولا التحرش. المهم لديه إرضاء نزواته، واللهاث خلفها.

وقضية المرأة غير خارجة عن هذا الإطار؛ فالإسلام يقرر أن المرأة شريكة للرجل في الحقوق والواجبات: «النساء شقائق الرجال»[٥]؛ وهي شراكة لا تستدعي «مساواة (الند المماثل)، كما هو حالها في النموذج الثقافي الغربي؛ وإنما هي مساواة (الشقين المتكاملين)؛ مساواة في الخلق والتكريم والتكليف والحساب والجزاء، مع مراعاة الفطرة التي ميزت بين الأنوثة والذكورة؛ ليكونا شقين متكاملين، يحقق تكاملهما سعادة النوع الإنساني، ولا يكونا ندين متماثلين، فتكون المساواة تناحرا يشقى به الفريقان، وتمسخ به الفطرة التي فطرهما عليها الخالق سبحانه وتعالى»[٦].

البيئة المجتمعية

إن النهوض بالمرأة يستدعي إيجاد حالة مجتمعية تشجع ذلك وترعاه؛ أي تغيير الأوضاع الاجتماعية، وعدم الاكتفاء بالتنظير الفكري. فمن المهم إيجاد بيئة مجتمعية توفر للأسرة أجواء الاستقرار والتماسك، فينعكس ذلك على قدرة الأبوين على رعاية أبنائهما وتنشئتهم تنشئة سوية.. وبالتالي تتغير المفاهيم وتتحسن السلوكيات تباعا.

أما الاكتفاء بالحديث عن أهمية دور المرأة، وضرورة تفعيله، دون العمل الجاد على توفير البيئة المجتمعية لذلك -من خلال تقرير حقوقها، ورفع المظالم عنها، وإنصافها مما يقع عليها من اعتداء لا يقره الشرع ولا يقبله العقل- فلن يتهيأ به للمرأة

ما نرجوه لها، من كرامة مصونة وحقوق محفوظة، ومن دور فاعل ومساهمة جيدة في الأسرة والمجتمع على السواء.

دورها الأساسي

المرأة لها دور اجتماعي أساسي، وهذا الدور يتحدد طبقا للصفات الطبيعية التي ركبها الله تعالى فيها؛ فهي أكثر عاطفة وحنانا من الرجل، وهي المهيأة للحمل والرضاعة، والأكثر صبرا على تربية الأولاد ورعايتهم خاصة في السنوات الأولى التي يحتاجون فيها للرعاية والمساعدة.. إلى غير ذلك مما اختصت به؛ وهي خصائص تجعل لها ميزة كبرى؛ لأنه لا أحد يحل محلها في هذا. وبالتالي فوظيفة المرأة بالأساس هي بيتها، مثلما أن وظيفة الرجل بالأساس هي الكدح في الحياة وتوفير العيش الكريم لأسرته.

ولهذا، لا يمكن تبادل الأدوار في هذا الشأن، فهو مخالف لطبيعة المرأة وطبيعة الرجل معا! كما لا يمكن تحميل المرأة أعباء مضاعفة بإلزامها بالعمل خارج البيت؛ فهذا عبء ثقيل عليها، ويمنعها من القيام بوظيفتها الأولى على أتم وجه، ويلزمها بما لا ينبغي أن تلتزم به.

نعم، المرأة من حقها أن تعمل خارج البيت، لكن دون أن يكون ذلك على وجه الإلزام، ودون أن يؤثر سلبا على عملها داخل البيت. وقد رأينا من خلال واقع مجتمعاتنا أن المرأة حين أخرجت للعمل خارج البيت، وحين ألزمت بهذا تحت ظروف اقتصادية ضاغطة؛ فإن لذلك أثر على بيتها وحسن رعايتها لزوجها وأبنائها؛ لاسيما إذا كان المقصود من العمل مزاحمة الرجل، ولا يراعى فيه أن يكون عملا متناسبا مع طبيعة المرأة.

فهناك فرق بين أن يكون من حق المرأة أن تعمل، وتعمل عملا مناسبا لها؛ وبين أن تجبر على العمل، والعمل فيما تحسنه وما لا تحسنه، أو فيما يناسبه طبيعتها وما لا يناسب.. سواء كان هذا الإجبار ناشئا من ظروف اقتصادية ضاغطة، أو من الإلحاح على العمل وتزيين ذلك لها، وإيهامها بأن المرأة التي لا تعمل خارج البيت لا قيمة لها ولا أهمية، وأن العمل داخل البيت لا وزن له ولا تقدير!

واجبها الاجتماعي

مما يتصل بحديثنا عن دور المرأة، أن يكون لها واجب اجتماعي تقوم به؛ فهذا حق مجتمعها عليها، وهي بهذه المشاركة تسد جانبا قد لا يستطيعه الرجل. وأقصد بـ«واجبها الاجتماعي» عملها التطوعي في خدمة المجتمع والارتقاء به؛ تعبيرا عن إنسانيتها، ووفاء بحق مجتمعها عليها. مثل المشاركة في محو الأمية، أو في جمعيات التوعية للفتيات والنساء، أو في رعاية الأيتام والمحتاجين.. إلى غير ذلك من مجالات إنسانية مهمة.

وميزة هذه المشاركة المجتمعية أنها تجعل دور المرأة في المجتمع، غير محصور في «العمل الوظيفي» الذي تتقاضى عليه أجرا. أي إن المرأة التي لا تعمل خارج البيت، يمكنها أن تشارك في تنمية مجتمعها، وألا تحصر هذه التنمية في العمل الوظيفي.

نخلص من هذا كله، إلى أن المرأة شريك أساسي للرجل في المجتمع، بل لها مساحات من العطاء تتفرد بها ولا يستطيع الرجل مزاحمتها فيها. ومن ثم، علينا أن نساعد المرأة على أن تقوم بدورها خير قيام، ولا نظلمها أو نحملها ما لا تطيق أو ندخلها في مجالات لا تتناسب مع طبيعتها وخصائصها. كما علينا أن نقف في وجه المحاولات الماكرة التي تجعل من المرأة سلعة لمخاطبة الغرائز وجني المال الحرام؛ فالمرأة أكرم وأشرف من ذلك. وهذه المحاولات التي تتخفى وراء شعارات حقوق المرأة، هي عين الظلم والإجحاف بالمرأة! ولا تنطلي إلا على من تنكب عن طريق هداية الله، وضل عن موجبات الفطرة السليمة.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير، ٤/ ٦٠١.

٢- تفسير الطبري، ٧/ ٤٨٦، باختصار يسير. والحديث رواه الحاكم في «المستدرك» عن أم سلمة رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء. فأنزل الله عزوجل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه»: المستدرك، ٢/ ٣٢٨. ووافقه الذهبي.

٣- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د. عبدالوهاب المسيري، ٢/ ١٦٢، ١٦٣، باختصار.

٤- راجع المزيد في: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د. عبدالوهاب المسيري، ٢/ ٤٤٥؛ وفي النموذج المعرفي وتجلياته، السنوسي محمد السنوسي، ص: ١٠.

٥- عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «إنما النساء شقائق الرجال». أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي.

٦- النموذج الثقافي، د. محمد عمارة، ص: ٤٢.

حسن عباس
محرر صحفي



«لا تكسروا القوارير»

المكانة التي أولاها الإسلام للمرأة عظيمة، والقرآن الكريم يزخر بالآيات التي تحث الرجل على حسن معاملتها وإسداء المعروف لها واستخدام القوامة في موضعها الصحيح. والسنة النبوية مليئة بالوقائع والأحداث التي تظهر لنا المعاملة الطيبة والإحسان الذي كان عليه الرسول ﷺ مع نسائه بحسن معاملتهن، وتفهم مشاعرهن، واحترام مكانتهن.

استوصوا بهن خيرا

جاء الإسلام وجاءت معه كرامة المرأة وتقديرها وفقا لطبيعتها، فكفل حقوقها وأقر حمايتها والحفاظ عليها لما في طبيعتها من اللين والرقة والضعف، ففي حجة الوداع لم يغفل النبي ﷺ عن ذكر المرأة حين قال: «استوصوا بالنساء خيرا»، وحين سأله أحد الصحابة رضوان الله عليهم عمن هو خير المؤمنين؟ قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[1]، تلك الخيرية في أقواله وأفعاله ﷺ في بيته ومع زوجاته، فلما سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع إذا دخل بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله -يعني خدمة أهله- يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته، فإذا أحضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[2]. وربما يكون هنا معنى أعمق في خدمة الرسول ﷺ لأهله، وهو معنى إشعار الزوجة بالمشاركة في الحياة الزوجية، رغم الحياة البسيطة التي نعرفها في بيت نبينا ﷺ؛ بيت صغير ليس فيه مظاهر الترف التي نراها الآن، وربما كان يخلو بيته من الطعام لأيام، ورغم ذلك كان يخدم أهله، في رسالة لنا مفادها أن الحياة مشاركة، لا يسير القطار إلا وأنتما معا تعبران كل محطاته جنبا إلى جنب، حتى تصلا إلى نهاية الرحلة.

عاشروهن بالمعروف

أرأيت حين أتت عائشة رضي الله عنها تحمل إناء فتشرب منه، حتى إذا جاءها النبي ﷺ طالبا السقيا، فتناوله الإناء ذاته، يمسكه بحب ويضع فاهه موضع فيها، ويرفع اللقمة إلى ثغرها قائلا: «إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك»[٣].

وأمر الله عز وجل الأزواج بمعاشرة زوجاتهم بالمعروف، فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، والمعاشرة هنا من العشرة، وهي: المخالطة، والمعروف: هو ما عرفه وحدده الشارع، وأمر به من التلطف مع النساء، والرحمة بهن، وحسن الخلق معهن، وطيب القول لهن.

فالرجل أحيانا يحاول أن يصل لمرحلة مثالية مع زوجته، يريدها دائما بكامل نشاطها وذروة جمالها، لا تذبل، لا تمرض، لا تشيخ، لا تشكوا من شيء، وهذا يخالف الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها.. فمن منا لا يمر بفترات ضعف ومزاج سيء وضغوط حياة!

يقول ابن كثير في تفسيره: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت مثله[٤]. ويقول الغزالي: «والمعاشرة بالمعروف تكون بحسن الخلق معها، وكف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عن طيشها وغضبها؛ اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام»[٥].

أظهروا الحب

يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: «أتيت النبي ﷺ فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها»[٦]، لم يخجل النبي ﷺ من أن يظهر حبه لزوجته أمام الناس، وحين سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه عن أحب الناس إليه من الرجال قال ﷺ «أبوها»، وانظر حتى في الجواب عن هذا السؤال جعل النبي ﷺ عائشة شريكة فيه بإعادة الضمير عليها في كلمة «أبوها»، وكأنها جزء منه.

وتبادل عبارات الحب بين الأزواج أمر مهم في الحياة الزوجية، لتقوية حبال العشرة بينهما، إلا أن هناك من لا يستطيع فعل ذلك، وربما يرجع الأمر إلى أن الشخص نشأ في بيئة لم يعتد فيها ذلك، فلا يكون لديه القدرة على التعبير إلى أن يكون الأمر سجية في البيت، لا مشاعر، لا كلمات حب، لا عواطف متبادلة، ولكن على تقدير عدم القدرة على التعبير عن الحب في البيت فلا ينبغي أن يكون ذلك مشكلة تستدعي الوصول إلى الطلاق، ولكن إذا كره أحدهما طبعا في الآخر، تذكر جميلا فعله في المواقف الباقية، فكان ذلك أدعى لأن يتفهمان طباع بعضهما، ولا يحصل ذاك النفور بينهما.

ومما أثر أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد أن يطلق زوجته معللا ذلك بأنه لا يحبها، فقال له عمر رضي الله عنه: «ويحك، ألم تبن البيوت إلا على الحب، فأين الرعاية وأين التذمم؟»[٧]. والمقصود أن البيوت إذا سقط منها الحب، فإنها تبقى وتستمر على «الرعاية» أي التراحم والتكامل وتأدية الحقوق والواجبات، و«التذمم» المقصود به التحرج من أن يصبح الرجل مصدرا لتفريق الشمل وتقويض البيت ونكد العيش وسوء المصير.. فمن الصعب جدا أن تجد المرأة رجلا ترتضي منه جميع خصاله، ولا أن يجد الرجل امرأة يرتضي منها جميع الجوانب.

عن مفهوم القوامة

هذا المفهوم الذي يستخدمه الكثير في موضعه الخطأ، فيعتقد أن القوامة هي أن يأخذ حقه دون أن يعطيها حقها، يلجؤون إلى قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ فيحلون الاعتداء عليها دون وجه سبب سوى أنها امرأة وجب عليها الخضوع، ونسي أن يكمل الآية ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ (النساء:٣٤)..

وحتى مفهوم «الضرب» هنا بشروط، والمرأة الناشز في الأساس هي التي تمتنع عن القيام بواجباتها تجاه زوجها، وتمتنع عن إعطائه حقوقه دون عذر، أي أنها ترفض أن تقوم بواجباتها، بعد أن أخذت كامل حقوقها.

والقوامة في اللغة من قام على الشيء قياما؛ أي: حافظ عليه وراعى مصالحه، ومن ذلك: القيم، وهو الذي يقوم على شأن شيء ويليه، ويصلحه، والقيم هو السيد وسائس الأمر، وقيم القوم: الذي يقومهم ويسوس أمرهم، وقيم المرأة: زوجها؛ لأنه يقوم بأمرها، وما تحتاج إليه. يقال: قام الرجل على المرأة؛ أي: قام بشأنها وصانها. وقام على أهله أي: تولى أمرهم، وقام بنفقتهم.

ولك أن تستشعر الرفق بقلبك حين تسمع قول الرسول ﷺ لما قال: «اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»[٨] .

الهوامش

١- صحيح الترمذي
٢- صحيح البخاري.
٣- متفق عليه.
٤- تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٢).
٥- إحياء علوم الدين (٢/٤٣).
٦- صحيح البخاري.
٧- عيون الأخبار (١٨/٣).
٨- صحيح مسلم.

د. محمد عطيه متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية

الرفق
صمام الأمان الأسري

يعلي الإسلام من شأن مكارم الأخلاق ويعتبرها النبي ﷺ الغاية من بعثته حين قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[١]، وإذا كان المجتمع كله بحاجة إلى شخص يتحلى بمكارم الأخلاق وجميل الصفات، فإن المرأة تشعر بالسعادة في ظل بيت يقوم عليه رجل يحسن إليها في شأنها كله ويتجاوز عن زلاتها ويعيدها إلى الصراط المستقيم بالتي هي أحسن.

فبمثل هذا الرجل تتم النعمة ويتحقق المقصود من الزواج وينعم الزوج بحياة هانئة يتجاوز فيها المكدرات ويسعد برفقة النبي ﷺ في الجنة. قال رسول الله ﷺ: «إن أحبكم إلي، وأقربكم مني يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»[٢]، ومن بين مكارم الأخلاق التي رغب فيها الإسلام الرفق، عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٣]، فهو سبب المحبة وتأليف القلوب وتقريب البعيد والقبول بين الناس، وهذا ما تحتاجه المرأة، والرفق أحد دعائم استقرار الأسرة وإدارة الخلافات بين أفرادها.

ولأن الرفق يحتاج إلى قوة كبيرة من ضبط النفس تمد الإنسان ساعة الرضا، كما تعينه ساعة الغضب فلا يتجاوز حدود الله، لذا لا يستطيعه إلا الأشداء من الرجال، قال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٤].

حاجتنا إلى الرفق

حتى ندرك حاجتنا إلى الرفق:

١- نقرأ قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(آل عمران: ١٥٩) فمع ما أوتيه النبي ﷺ من وحي ومعجزات تدل على صدقه ومع إيمان المؤمنين بنبوته ﷺ، إلا أن من أسباب التفاف الناس حوله هو رفقه ﷺ بالناس، فكيف تكون حاجتنا داخل بيوتنا وخارجها إلى الرفق ولسنا بأنبياء ولا نملك المعجزات ليلتف الناس حولنا.

٢- تحقيق التقارب بين الزوجين لا يتم إلا بالرفق.

٣- تحقيق مراد الله تعالى من الزواج وهو «السكن» لا يتم إلا بالرفق، فإن العنف سبب للتنافر والوحشة بين الزوجين، وقد عبر النبي ﷺ عن الرفق في إصلاح ما يمكن أن تقع فيه المرأة من خطأ: «استوصوا بالنساء خيرا»[٥].

وفي قوله جل جلاله ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء: ٣٤)، تحذير من العنف الذي يقع في غير محله فإذا دعتكم قدرتكم إلى العدوان على المرأة لضعفها فلا تنسوا قدرة الله عليكم.

هل تبدلت أحوال النساء لينتقلن من القوارير إلى الصخر! الرقة طبيعة المرأة السوية في المجتمعات السوية، لكن أحيانا تتغير هذه الطبيعة بفعل عدة عوامل؛ منها البيئة القاسية التي تستدعي القسوة من الرجال والنساء والكبار والصغار، وأحيانا تتعرض المرأة لموقف يستنفد كل قواها وترى أنها مخيرة بين العنف الذي يحفظ حياتها وبين الرقة التي قد يضيع معها أثمن ما تملك، وتتراكم هذه المواقف حتى تتغير طبيعة المرأة، وأحيانا تستمع الفتاة المقبلة على حياة جديدة لمن ينصحها أن تنازع الرجل في كل شيء وتلقى عند الرجل فراغا تحاول ملأه. كل هذه الأمور تساهم كليا أو جزئيا في تغيير طبيعة المرأة النفسية والسلوكية.

معززات الرفق

١- الوصية النبوية: «استوصوا بالنساء خيرا»[٦] ومن عجب أن البعض ينتبه أشد الانتباه إلى نهاية الحديث «فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج»[٧]، ولا يلتفت إلى الجملة التي بدأت بها الرواية وختمت وهي «استوصوا بالنساء خيرا» فمن لم يستوص بالنساء خيرا كان عاصيا للنبي ﷺ ومخالفا لهديه الشريف.

٢- العبادات تجلب الرفق، فالصيام والصلاة والزكاة والحج تهذب من شراسة الإنسان وتكسبه الحلم وتجعله أكثر قدرة على التحكم في نفسه ساعة

الغضب.

٣- الإحسان يجلب الرفق، فإن الإحسان يقرب البعيد ويؤلف النافر وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وأصحاب الفطر السليمة يقابلون الإحسان بالإحسان مما يوسع من مساحة التقارب والألفة في حياة المسلمين.

٤- تكلف الرفق يجلب الرفق، وإذا كان الرفق صعبا على بعض النفوس فإن مما يعين عليه هو حمل النفس عليه والتدرب على الرفق والأخلاق عموما، منها ما هو موجود مع الإنسان في فطرته لا يعاني شيئا في التخلق به، ومنها ما يكتسبه الإنسان من بيئته من خلال مصاحبة أهل الأخلاق الحسنة وتذكير النفس بما يعود عليها من فوائد دنيوية وأخروية، إن هي تخلقت بالأخلاق الحسنة.

٥- معرفة أجور أهل الرفق تجلب الرفق، فللرفق أجره العظيم ومما وعد النبي ﷺ أهل الرفق: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»[8].

٦- تقدير منافع الرفق وخسائر الحمق، فالعاقل هو الذي يسعى لما فيه نفعه امتثالا للحديث الشريف: «احرص على ما ينفعك»، أما خسائر الحمق فكثيرة ومتنوعة، ما بين خسائر مالية ونفسية واجتماعية.

٧- مما يعين على الرفق تعلم الحكمة التي تضبط الأعصاب، وذلك يتم في البيت والمدرسة والمجتمع، ويجب أن نوليه العناية التي يستحقها، فإنه أحد عوامل استقرار الأسر والمجتمعات.

٨- مراعاة البحث عن الرفق في شخصية الخاطب والمخطوبة، فهذا مما يوفر عناء كبيرا على الأسرة الناشئة، وللأسف لا يتم استخدام فترة الخطوبة في تحقيق التعارف اللازم بين عروسي المستقبل حتى يتم الاختيار على أساس صحيح.

٩- مقابلة الرفق بالرفق، فالرفق عملية متبادلة بين الزوجين ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١) وإذا أوصينا الزوج أن يكون رفيقا وكريما ومعطاء ومتحليا بكل خلق كريم، فإننا كذلك ندعو الزوجة أن تبادل زوجها الرفق والإحسان واللطف لتشجعه على بذل المزيد والتحلي بمكارم الأخلاق.

١٠- رفق الزوجة حينما تضيق الدنيا على زوجها بسبب ظروف مالية أو صحية أو اجتماعية، وهذا من طيب معدنها وأصالتها وقيامها بواجب الزوجية خير قيام، وفي الشدائد تظهر معادن الناس، ولعل الله تعالى يعوضها خيرا مما فقدت ويفتح لهم من أبواب رحمته ما ينسيهم أيام البؤس.

١١- للحصول على شخصية رفيقة تحتاج إلى مجهود من الأسرة والمجتمع، شخصية متزنة تعتبر الرفق من مكارم الأخلاق وليس عنوانا للضعف.

١٢- الرفق في استخدام الحقوق الشرعية وعدم العسف، فالرجل قوام على المرأة لكن هذه القوامة تعني النظر إلى مصلحة الأسرة وأداء الواجبات جنبا إلى جنب مع القيام بالحقوق، وأنه ينبغي فض النزاع بين أطراف الحقوق المختلفة، فلا يمكن أن يؤدي بر الأم إلى الانتقاص من حقوق الزوجة، وإكرام المرأة لا يعني عقوق الوالدين والقطيعة مع الأخوة، ولا تعني قوامة الرجل على المرأة أن يحرمها من القيام بواجبها نحو أسرة والدها ولا حرمانها من حقوقها الأساسية، بل يترك الرجل جزء من حقه تحقيقا لمبدأ العطاء الذي يتحلى به كل كريم، ولا يعني قيام المرأة بواجباتها نحو والديها وإخوتها أن تهمل حقوق زوجها وأولادها.

إن الرفق الذي يؤمر به المسلم ليكون منهج حياة لا يقوم به المسلم من باب الضعف والتملق أو للخروج من مأزق فرضه عناد الزوجة، بل يلتزم به في كل أحواله ومع جميع الناس طاعة لله ولرسوله، وسعيا لإصلاح ما أفسده شياطين الإنس والجن، وإعادة للإنسان إلى الصراط المستقيم، وهذا كان دأب النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها، أن أسماء بنت أبي بكر، دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ، وقال: «يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه.

غياب الرفق معناه أن يحل العنف اللفظي والجسدي مكانه وينتقل من البيت إلى الشارع فتتطور المشاجرات من تبادل كلمات بذيئة وجافة وخالية من الذوق إلى أيد تمتد مجردة أو مع سلاح وهذا مما يزيد من العداوات ويؤدي إلى الشقاق.

الرفق صمام أمان الحياة الزوجية وسبب للمصارحة بالخطأ إذا وقع من الزوجة أو البنت لأنها لن تخشى ردة الفعل العنيفة بل تسعى المراة مع زوجها والفتاة مع والدها لأخيها لكي تعيد الأمور على نصابها بالصبر والرحمة والرفق.

لا يستغني المسلم أيا كان موقعه في الأسرة أو المجتمع عن الحكمة التي يضع بها الشيء في موضعه، فللرفق مكانه وللشدة موضعها، لكنه في كل تصرف يراعي ما يرضي الله تعالى ويصلحه ويصلح ما حوله ومن حوله.

الهوامش

١- مصنف ابن أبي شيبة.
٢- مصنف ابن أبي شيبة.
٣- صحيح مسلم.
٤- الصحيحين.
٥- الصحيحين.
٦- الصحيحين.
٧- الصحيحين.
٨- صحيح مسلم.



تحقيق - نادر أبو الفتوح
صحافي وكاتب

بناء مجتمع متماسك

علماء شريعة: الإسلام سبق النظم الحديثة في رعاية المرأة وحفظ حقوقها

كثيرة هي المعاني والقيم التي حملتها لنا الشريعة الإسلامية في مجال حماية المرأة وحفظ حقوقها، ولعل منهج الإسلام في ذلك يعد النموذج الأمثل في رعاية حقوق المرأة، وقد سبقت تعاليم الشريعة الإسلامية كافة النظم الحديثة في العناية بالنساء، وقد وأوصى الإسلام بالمرأة ومنحها كافة حقوقها، وشدد على ضرورة حماية هذه الحقوق التي تعلي من مكانة المرأة في المجتمع، ويعد الالتزام بحقوق وواجبات المرأة في الإسلام ضمانة لبناء مجتمع متماسك.

علماء شريعة إسلامية من جانبهم أكدوا في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» أن تعاليم الإسلام أنصفت المرأة التي تعرضت لظلم كبير قبل الإسلام، وأنه لا يمكن لأي دستور حديث أن ينصف المرأة أو يمنحها حقوقها كما أنصفها الإسلام، كما أن الحقوق والواجبات التي تضمنتها نصوص الشريعة الإسلامية تحقق مصلحة المجتمع، وحذروا من ظلم المرأة أو انتقاص حقها، وفي نفس الوقت أكدوا أن الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة تعد عدالة غير منقوصة، وأن أي ظلم يقع عليها يعد مخالفة لتعاليم الشريعة الإسلامية.

الإسلام أنصف المرأة

في البداية يقول الدكتور أحمد كريمة أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن تعاليم الشريعة الإسلامية في مجال حفظ حقوق المرأة تأتي بهدف بناء الأسرة على أسس راسخة، لتحقيق مصلحة المجتمع نظرا لدور

المرأة الكبير في تربية الأبناء، مؤكدا أن المرأة تعرضت لظلم كبير قبل الإسلام، وكان الرجل يسود وجهه إذا وضعت زوجته بنتا، وكان البعض قبل الإسلام يتخلص من هذه الطفلة بدفنها في التراب، وقد صور لنا القرآن الكريم ذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩﴾ (النحل: ٥٨-٥٩)، وهذا دليل على مدى الظلم الذي كانت تتعرض له المرأة قبل الإسلام.

ويضيف أن الإسلام أعلى من مكانة المرأة، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو ابنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» رواه الترمذي، وهذا الحديث الشريف جعل الرجال يفرحوا لإنجاب البنات، وامتدت تعاليم الشريعة الإسلامية لتشمل حقوق المرأة في كافة مراحل عمرها، وفقا للضوابط الشرعية التي حددتها الشريعة الإسلامية لضبط العلاقة بين الرجل والمرأة وتحقيق مصلحة المجتمع.

حقوق وواجبات

ومن جانبه يشير الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن الحقوق والواجبات التي منحتها الشريعة الإسلامية للمرأة، تعد ضمانة لبناء مجتمع مترابط، وأنه لابد من الالتزام بهذه الحقوق والواجبات، بهدف أن تسود القيم والأخلاق في المجتمع، وأن أي تجاوز في هذه الحقوق والواجبات سواء بالزيادة أو النقصان يعد تهديدا لكيان المجتمع، ولذلك لابد أن يركز الخطاب الديني والإعلامي على أن حقوق وواجبات المرأة في الإسلام هي النموذج الأمثل، وأن أي دعوات تخالف منهج الإسلام في هذا المجال سوف تؤدي لتدمير العلاقات داخل المجتمع، والمؤكد أن الإسلام أنصف المرأة، وكل ذلك بالضوابط الشرعية التي تحفظ حقوقها، وفي مقابل ذلك فهناك واجبات على المرأة تجاه الأسرة والزوج والأبناء والمجتمع، وأن أي خلل في القيام بالواجبات يهدد كيان المجتمع، ولذلك ينبغي أن تكون هناك توعية شاملة بهذه الحقوق والواجبات، وضرورة الالتزام بها، وبيان مخاطر المساس بحقوق المرأة التي أقرتها لها الشريعة الإسلامية، ومن ناحية أخرى ضرورة التأكيد على أن تؤدي المرأة رسالتها تجاه الأسرة والمجتمع وفقا للضوابط التي وضعتها الشريعة الإسلامية.

عدالة غير منقوصة

ومن جانبها تشير الدكتورة يمنى أبو النصر واعظة بوزارة الأوقاف المصرية، في حديثها مع «الوعي الإسلامي» أنه لا يمكن لأي منظمة أو جمعية تهتم بشؤون المرأة أن تضع لها من الحقوق مثل ما تضمنته تعاليم الشريعة الإسلامية، لأن الإسلام حفظ حقوق المرأة في كافة مراحل عمرها، فحفظ حقوق الأم والابنة والزوجة والعمة والخالة، كما تضمنت تعاليم الإسلام حقوق الأرامل والمطلقات والمرأة المعيلة، وحق المرأة في الميراث، وجعل لها الذمة المالية المستقلة عن الزوج، وجعل لها الحق في قبول أو رفض من يتقدم للزواج منها، وجعل لها الكثير من الحقوق التي هي في الأساس بهدف بناء أسرة صالحة تكون نواة لمجتمع متماسك.

وتضيف أنه لا يمكن حصر كافة الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة في كل مراحل عمرها، من خلال النصوص الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حول مكانة المرأة في الإسلام، لكننا بشكل أساسي نتحدث هنا لبيان أمر محدد وهو أن الإسلام أنصف المرأة وأنها ليست في حاجة لحقوق جديدة غير التي حملتها لنا الشريعة الإسلامية، والمؤكد أن حقوق المرأة في الإسلام تعد عدالة غير منقوصة، ويمكن القول إننا في حاجة لتطبيق ما تضمنته الشريعة الإسلامية في مجال رعاية المرأة، وأن أي تقصير في هذا المجال هو نتيجة مخالفة تعاليم الإسلام.

تكامل وليس صراعا

وجهت الدكتورة أبو النصر، رسالة للأزواج والزوجات بأن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة تكامل وليس صراعا، وأن الحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾(البقرة: ١٨٧)، كما أن الإسلام نهى عن الظلم ولابد أن نتعامل بالفضل وحفظ الحقوق وأداء الواجبات، والحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٧)، وعندما نطبق هذه المعاني الكريمة فإننا بذلك نضع أسس لبناء مجتمع تسود فيه القيم والأخلاق، ويتحقق من خلال ذلك المودة والرحمة التي هي أساس العلاقة بين الرجل والمرأة.

د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول



فقه حديث «رفقا بالقوارير»

رغم أن «رفقا بالقوارير» هو جزء من حديث النبي ﷺ، إلا أنه صار مثلا يتمثله الناس في معنى من أهم المعاني التي أرساها الإسلام، وهو حسن عشرة النساء، وقد كان هذا الحديث محل اهتمام من علماء الإسلام، فتناوله كل أهل علم من زاويتهم، وهذا ما سنبينه في السطور التالية.

أولا- روايات الحديث:

لهذا الحديث عدة روايات، هي كالآتي:

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له: أنجشة يحدو، فقال له رسول الله ﷺ ويحك يا أنجشة، رويدك سوقك بالقوارير»[1].

قال أبو قلابة: يعني النساء، وفي رواية، قال: «كان للنبي ﷺ حاد يقال له: أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له النبي ﷺ رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير». قال قتادة: يعني ضعفة النساء[2].

وللبخاري: قال: كانت أم سليم في الثقل، وأنجشة غلام النبي ﷺ يسوق

بهن، فقال النبي ﷺ: «يا أنجش، رويدك سوقك بالقوارير».
زاد مسلم: قال أبو قلابة: «تكلم رسول الله ﷺ بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه». وللبخاري أيضا قال: كان النبي ﷺ في مسير، فحدا الحادي، فقال النبي ﷺ: «أرفق يا أنجشة ويحك بالقوارير». ولمسلم بنحو الأولى، ولم يذكر «حسن الصوت». وله في أخرى، قال: «كانت أم سليم مع نساء النبي ﷺ، ويسوق بهن سواق، فقال نبي الله ﷺ يا أنجشة، رويدك سوقك بالقوارير» [٣]..

ثانيا- الحديث في معاجم اللغة:

القوارير جمع قارورة، وهي أواني الزجاج، وهي القنينة في المعنى الحقيقي، ومن معانيها المجازية الجارية أو الغلام، وتطلق على المرأة.
قال ابن سيرين: «(والقارورة) والقنينة جارية أو غلام وقيل: بل هي امرأة لقول النبي ﷺ: رفقا بالقوارير» [٤].
وقال القاضي عياض: «والقارورة هنا واحدة القوارير وهي أواني الزجاج ومنه في الحديث الآخر رفقا بالقوارير لا تكسر القوارير يعني النساء شبههن لضعف قلوبهن بقوارير الزجاج وقيل خشى عليهن الفتنة عند سماع الحداء الحسن ويحتمل أنه أشار إلى الرفق في السير ليلا تسرع الإبل بنشاطها بالحداء فيسقطن عنها» [٥].
والقوارير جمع قارورة، وهي الزجاجة، قيل: سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، كنى عن النساء بالقوارير، لرقتهن وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية، والكناية لفظ أطلق، وأريد منه لازم معناه، فكأنه قال: رفقا بالضعيفات المحمولات على الإبل [٦].

ثالثا- المعنى العام للحديث:

والمعنى العام للحديث يشتمل على الوصاية بالنساء ورعايتهن والقيام بحقهن وحفظهن وتوفير وسائل الراحة لهن.
يقول الأستاذ عبد السلام هارون - رحمه الله-: «كان رسول الله ﷺ يوصي بالنساء خيرا وليس فينا من لا يحفظ قوله البارع: يا أنجشه رفقا بالقوارير.
فمن أروع ما جاء في الحث علي حسن صحبة المرأة ما رواه المقدام ابن معد يكرب أن النبي ﷺ قال: إن الرجل من أهل الكتاب يتزوج المرأة وما يعلق على يدها الخير وما يرغب واحد عن صاحبه حتى يموتا هرما.
قال الحربي في تفسير «ما يعلق علي يدها الخير» يقول: من صغرها وقلة رفقها والمراد حث أصحابه علي الوصية بالنساء والصبر عليهن، فقد كان أهل الكتاب يفعلون ذلك.
وفي هذا الحديث إباحة للقدوة الصالحة مهما يكن مصدرها» [٧].
ومن مسلمات الحياة أن المرأة ضعيفة البنية، ناعمة الصوت والملمس، رقيقة الحس، مرهفة العواطف، كالزجاجة الرقيقة، بل كزجاجة المصباح، فائدتها في شفافيتها وصفائها، وفي وقايتها والحفاظ عليها، وفي صيانتها وحمايتها من أدناس البيئة وعواصف الأهواء، ولذا شبهوها بالزجاجة والقارورة، والإسلام يعتز بالمرأة، ويصونها، ويعتبر حصانتها أساس حياتها، من هنا أحاطها بسياج من وسائل الحفظ والتكريم، حتى في الجنة، وصفها القرآن الكريم بقوله ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ (الرحمن: ٧٢)، ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ (الصافات: ٤٨ - ٤٩)، ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ (الواقعة: ٢٢ - ٢٣) حرص الإسلام على راحتها إن هي أقامت، فأوجب لها على الرجل السكنى والنفقة والكسوة والمعاشرة بالمعروف وإن هي سافرت، حتى لا تسافر مسافة قصر بدون زوج أو محرم، نركب ويمشي الرجل، وعليه أن يهيئ لها في مركبها ما يريحها من هودج وفراش وثير، ومشي وئيد، بل وأن يحدو لها الحادي، ويغني لها لينعشها في سفرها، كالطفل تغني له أمه، وتحننه، وتهدهده، وها هو رسول الله ﷺ يسافر ببعض نسائه، فيهيئ لهن الركائب، ويعد لهن الهوادج، ويخصص لهن عبدا خادما، يقودهن، ويراعي مصالحهن، ويحدو لهن، ولا



يكتفي ﷺ بذلك، بل يرعى بنفسه شئونهن، ويتعهد أحوالهن، فيذهب إلى رحلهن بنفسه، يطمئن عليهن، ويوصي بهن وبراحتهن، فيقول للخادم: يا أنجشة، ارفق بهن في سوقك، وارفق بهن في حدوك وغنائك، فإنهن كالقوارير، فهل رأيت حنانا ورقة وعطفا على النساء مثل هذا؟ ﷺ»[٨].

رابعا- الحديث في علم البلاغة:

تناول علماء البلاغة حديث «رفقا بالقوارير»، وبينوا ما فيه من صور بلاغية، ومن ذلك:

الكناية:

«والكناية في قول الرسول ﷺ لأنجشة: «رفقا بالقوارير»:حسن المعاملة والرفق بالضعاف»[٩].

تعبير جديد

ويبين الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله- أن هذا الحديث وأضرابه، «من خصائص البلاغة النبوية أنها لا تعلو على العقول الفطرية، فهى تدركها فى أيسر كلفة مع جلال المعنى وعمقه وقوة نفوذه فى النفوس، والخاصة يجدون فيه علم ما لم يعلموا .... وقوله فى الرفق بالنساء وقد سار السائق يسوق رحالهن بعنف: «رويدك رفقا بالقوارير».

وإن هذه التعابير جلها جديد فى العربية لم يسبق بها فى قول قائل، وهى واضحة المعنى بينة المقصد، لا تعلو على العامة، ولا تجفو عنها اذان الخاصة، بل كل الناس يجد فيها علما لم يكونوا به عالمين»[١٠].

«والقارورة، يقول ﷺ في الوصاية بها «رفقا بالقوارير» والقوارير يضرب بها المثل في سرعة الكسر، وعدم قبول الإصلاح والجبر، يقول الشاعر:

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته
فإنه عربي من قوارير[١١].

الأصالة والإيجاز

وقد قال أحمد حسن الزيات في بلاغة الرسول ﷺ مستشهدا بهذا الحديث:

«إن أخص ما يميز الأسلوب النبوي الأصالة والإيجاز. فالأصالة وهي خصوصية اللفظ وطرافة العبارة تتجلى فيما كان ينهجه الرسول من المذاهب البيانية، ويرتجله من الأوضاع التركيبية، ويضعه من الألفاظ الاصطلاحية، كقوله عليه الصلاة والسلام: مات حتف أنفه، والآن حمى الوطيس، وهدنة على دخن؛ وقوله لحادي النساء: رويدك! رفقا بالقوارير. وقوله في يوم بدر: هذا يوم له ما بعده. ولتمكن الأصالة فيه كان يقتضب ويتجوز ويشتق ويبتدع، فيصبح ما أمضاه من ذلك حسنة من حسنات البيان، وسرا من أسرار اللسان، يزيد في ميراث اللغة، ويرفع من قدر الأدب»[١٢].

بيان التشبيه في الحديث

وتشبيه النبي ﷺ النساء بالقوارير له أكثر من وجه شبه، على النحو التالي:

١- شبه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن، والقوارير يسرع إليها الكسر وكان أنجشة يحدو بهن من القريض والرجز ما فيه تشبيب فلم يأمن أن يصيبهن أو يقع بقلوبهن حداؤه، فأمر بالكف عن ذلك، وقيل: الغناء رقية الزنا» «الغريبين في القرآن والحديث»، أبو عبيدالله الهروي (٥/ ١٥٢٦).

٢- ضعف بعض العلماء هذا التأويل، وأن الأمر لا يتعلق برقة النساء بالحداء، خاصة أن فيهن زوجات النبي ﷺ، «وإنما أراد ﷺ أن الإبل إذا سمعت الحداء أعنقت وأسرعت السير، فربما قلق وضين الهودج فوقعت إحداهن من البعير لشدة السير فينكسر بعض أعضائها أو ينخلع. فشبههن بالقوارير لضعفهن، وأن الزجاج سريع الانكسار» ويشهد لهذا رواية: «رويدك يا أنشجة، رويدك سوقك بالقوارير»[١٣].

خامسا- الحديث في كتب الفقه:

وقد اشتمل الحديث على بعض الأحكام الفقهية، من أهمها:

أولا- جواز الحداء:

والحداء سوق الإبل بنوع مخصوص من الغناء، وهو نوع من الشعر، وقد بوب الإمام البخاري في هذا الحديث بقوله: «باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء».

والفرق بين الثلاثة كالآتي

١- الشعر: اسم لما دق، واستعمل في الكلام المقفى الموزون قصدا.

٢- والرجز: نوع من الشعر عند الأكثر.

٣- والحداء: سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء، ويكون في الغالب بالرجز، وقد يكون بغيره من الشعر، وقد جرت عادة الإبل أنها تسرع السير، إذا حدي بها.

وقد نقل الإم ابن عبد البر المالكي اتفاق العلماء على أن الحداء جائز شرعا، وإن نقل بعض الحنابلة خلاف ذلك، والأحاديث الصحيحة تشهد لجواز الحداء، ومن أنواع الحداء الجائز:

أ- ما يقوله الحجيج من كلام يشتمل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من مشاهد الحج.

ب- وما يقوله أهل الجهاد في التحريض على القتال.

ج- وما تغنيه المرأة لتسكين الولد في المهد.

د- وغناء عمال البناء وملاحي السفن الشراعية وغيرهم.

وقد أخرج الطبري من طريق ابن جريج، قال: سألت عطاء عن الحداء والشعر والغناء؟ فقال: لا بأس به ما لم يكن فاحشا[١٤].

وبهذا أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة الأسبق، حيث قال:

«ومثل حداء الأعراب لا بأس به، ولاسيما عند الحاجة إليه، وقد قال النبي ﷺ لأنجشة وهو يسوق الإبل: «رفقا بالقوارير»[١٥].

وفي الموسوعة الفقهية: «إذا كان الغناء لأمر مباح، كالغناء في العرس، والعيد، والختان، وقدوم الغائب، تأكيدا للسرور المباح، وعند ختم القرآن الكريم تأكيدا للسرور كذلك، وعند سير المجاهدين للحرب إذا كان للحماس في نفوسهم، أو للحجاج لإثارة الأشواق في نفوسهم إلى الكعبة المشرفة، أو للإبل لحثها على السير - وهو الحداء - أو للتنشيط على العمل كغناء العمال عند محاولة عمل أو حمل ثقيل، أو لتسكيت الطفل وتنويمه كغناء الأم لطفلها، فإنه مباح كله بلا كراهة عند الجمهور. وقد استدلوا بحديث «رفقا بالقوارير»[١٦].

أحكام أخرى

ومن الأحكام الفقهية في حديث «رفقا بالقوارير»، جواز السفر بالنساء، وجواز استعمال المجاز، ومباعدة النساء من الرجال، قال النووي: ومن سماع كلامهم إلا الوعظ ونحوه، وجواز استعمال المعاريض من الكلام، والمقصود التورية بخلاف معنى التصريح.

سادسا- الحديث في علم أصول الفقه:

ومما أورده العلماء من فوائد حديث: «رفقا بالقوارير» فيما يتعلق بعلم أصول الفقه، (التفريق بين الحق والحقيقة).

وقد ناقش هذه المسألة الأصولية عدد من الأصوليين، منهم: أبو الخطاب الكلوذاني ردا على من يرى أن القرآن جميعه حق، فلا يجوز أن يكون حقا ولا يكون حقيقة، يعني أن المدعي يرى أنه مادام أن القرآن حق، فلابد أن يكون كل شيء فيه حقيقة.

ورد أبو الخطاب الكلوذاني على ذلك بما يلي: «يجب التفرقة بين معنى الحق والحقيقة، فالحق هو الصدق، وأما الحقيقة فهي المستعملة فيما وضعت له سواء كان ذلك صدقا أو كذبا، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة:٣٠) ليس بحق وهو حقيقة فيما وضعوه وأرادوه، وكذلك قول اليهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (المائدة: ٦٤) ليس بحق وهو حقيقة من قولهم ووضعهم، وكذلك قول الرسول ﷺ: «يا أنجشة رفقا بالقوارير» وأراد النساء، ليس بحقيقة وإنما هو استعارة، ثم هو حق فيما أراد النبي ﷺ»[١٧].

وخلاصة القول في حديث (رفقا بالقوارير) إنه من مفاخر نساء المسلمين، ولهن أن يفخرن أن ينطق النبي محمد ﷺ بهذا التعبير الجديد في صيغته، الأصيل في جوهره، الذي استطاع أن يكشف معدن المرأة، وكيف يجب أن يكون التعامل معها. وهذا الحديث من بلاغة النبي ﷺ، ويبين مدى معرفة النبي ﷺ بطبائع النساء، ويرشد رجال العالم إلى كيفية التعامل مع النساء في صورة قاعدة كلية، تفتح المجال هو معرفة طبائع النساء التي يحار الرجال في معرفتها.

الهوامش

١ - (رواه البخاري ومسلم).
٢ - (رواه البخاري ومسلم).
٣ - (رواه البخاري ومسلم).
٤ - «تفسير الأحلام لابن سيرين» (٢/ ٢٧٦).
٥ - «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» القاضي عياض (٢/ ١٧٧).
٦ - «فتح المنعم شرح صحيح مسلم» (٩/ ١٦٨).
٧- «كناشة النوادر» عبد السلام هارون (ص: ٥٧-٥٨).
٨ - «فتح المنعم شرح صحيح مسلم» د. موسى شاهين لاشين (٩/ ١٦٦) فما بعدها.
٩ - «البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع» (ص٦٦).
١٠- «خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم» الشيخ أبو زهرة (١/ ١٧٠-١٧٢).
١١ - «فتح المنعم شرح صحيح مسلم» (٩/ ١٦٧).
١٢ - «مجلة الرسالة» (٧٦٠/ ٢).
١٣ - «التنبيه على الألفاظ في الغريبين» (ص: ٣٥٤-٣٥٨).
١٤- «راجع: فتح المنعم شرح صحيح مسلم» (٩/ ١٦٧) وما بعدها.
١٥- «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ» (١٣/ ٣٢).
١٦- «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٤/ ٩٢-٩٣).
١٧- «التمهيد في أصول الفقه»، أبو الخطاب الكلوذاني (٢/ ٢٧٠- ٢٧١).



ولاء أيمن كامل
باحثة تربوية



العنف ضد المرأة.. حوار مع النفس

في البداية، لا أحتاج إلى كثير عناء لإثبات العنف الذي تواجهه المرأة والتمييز ضدها على مستوى «العالم أجمع»، كما أنه من السهولة بمكان رصد هضم حقوقها؛ كليا أو جزئيا، في هذه البقعة من العالم أو تلك؛ أي إن قضايا المرأة، وفي القلب منها العنف تجاهها والتمييز ضدها، لا تخص إقليما أو عرقا أو مذهبا أو دينا، بل أقر وأكرر بأن هناك تمييزا ضدها وعنفا ممارسا تجاهها وأن قضيتها عالمية بامتياز.

وقضايا المرأة عموما، والعنف والتمييز ضدها خصوصا، مشكلة قديمة متجددة؛ لا يمكن تناولها بمعزل عن قضايا المجتمع ككل، لكن قضايا المرأة تحديدا تعد مرآة تعكس مدى تطور المجتمع أو تخلفه.

وما بين دعاة تحرر وممارسات شاذة، وكليهما مر، تتعرض قضايا المرأة، لاسيما العنف تجاهها، هذه الأيام، إلى كثير من الأخذ والرد؛ فلا تكاد تمر دقيقة واحدة من دون أن تتناول -بصورة أو بأخرى- أقلام صحافية

أو ميكروفونات إذاعية أو شاشات فضائية، أو حسابات (شخصية - رسمية - مؤسسات مجتمع مدني) على وسائل التواصل الاجتماعي، قضايا المرأة وتدندن حولها، خصوصا العنف تجاهها؛ وكأنها أوركسترا سيمفوني الكل يعزف فيه من خلال نوتة موسيقية واحدة.

وبالطبع ليس الأمر من باب توارد الخواطر أو لكون قضيتها صارت حدثا، فهي كما ذكرت آنفا قديمة متجددة، لكن الباحث المستقصي سيجد أن وراء ذلك التنسيق غير المرئي للعامة «مسودة» الجلسة السابعة والخمسين لمفوضية وضع المرأة بالأمم المتحدة، التي أكدت في نص وثيقتها على أهمية تنفيذ حملات ترويجية عبر استخدام جميع وسائل التواصل المختلفة، والشخصيات البارزة، بمن فيهم رجال دين، للقضاء على العنف والتمييز ضد النساء وتغيير السلوكيات والممارسات التي تدعو إليهما وتحرض عليهما.

وأمام هذا التوجس الذي ينتابني من تدخلات المنظمات والهيئات الدولية، والشك الذي يساورني جراء الضخ الإعلامي، حاورت نفسي في محاولة لاستكناه الأمر والبحث عما يرومون من المرأة عامة، والمسلمة خاصة:

● لأنك امرأة عربية مسلمة، هل تشعرين بأنك مهضومة الحقوق؟!

- نعم، ولكن ليس لعروبتي أو لإسلامي.. بل لكوني امرأة.

● هل تريدين عولمة قضايا المرأة؟

- لا، بل هذا وصفها المعاش؛ فمشكلة المرأة وقضاياها عالمية، لا ترتبط بإقليم محدد، وليست محصورة بأصحاب عقيدة معينة.

● لكنك، بوصفك امرأة، تقرين بأن هناك تمييزا ضد المرأة وممارسة للعنف تجاهها.. أليس كذلك؟!

- بلى.. ولكنه أمر نسبي، كما أنه استثناء شاذ لا قاعدة.

«سيداو» و«كوفيد ١٩»

● كامرأة كيف ترين التشريعات والمعاهدات الدولية لمناهضة العنف تجاه المرأة والظلم الواقع عليها؟

- هذا ما أود الحديث عنه، فلتسمحوا لي بسرد رأيي باستفاضة كامرأة: عانت المرأة منذ القدم، وبحكم ضعفها سرى عليها قانون القوة، وقد بدأ التركيز على قضاياها أمميا عام ١٩٧٩م، حين اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة اتفاقية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination Against Women (CEDAW)، عرفت فيما بعد بـ«سيداو»، وأعطتها صفة «وثيقة الحقوق الدولية للنساء»، وفي ٣ سبتمبر ١٩٨١م صدقت عليها كمعاهدة دولية ووقع عليها أكثر من ١٨٩ دولة.

● وما الضير في هذا؟

- العالم واسع، تتنازعه عقائد مختلفة، ويموج بثقافات وتقاليد وأعراف متباينة، ومكافحة هذا الداء المجتمعي بوصفة طبية واحدة، حتى ولو كانت من قبل هيئة أممية، أمر غير ناجح حتما ما لم يراع اختلاف البيئات الثقافية والعرقية والعقدية، وليس ببعيد عنا كيفية تعامل دول العالم أجمع مع أزمة فيروس «كوفيد ١٩»، فهناك دول أغلقت حدودها على نفسها، وأخرى لم تفعل، بل رأينا الدولة الواحدة تغلق جزءا أو أجزاء من أراضيها وليس كلها على مواطنيها، وبعض الدول مارست حياتها كالمعتاد ولم تلق بالا لأزمة الفيروس؛ فكيف تلزم المنظمة الأممية الدول المنضوية تحت لوائها باتفاقية لمناهضة العنف ضد المرأة وفق رؤية ثقافية أحادية (غربية) لمفهوم العنف ضد المرأة؟

● وهل ترين إشكالا في ذلك؟

- نعم، المعين.. المعين الذي استقت منه المنظمات والهيئات ثقافتها، فالقوانين والتوصيات والإعلانات والبيانات التي تصدرها بحق المرأة تشرع وفق الثقافة الغربية فقط، وهنا يجب تسليط الضوء على الرؤية الغربية الخاصة بالمرأة من الجانب الاجتماعي، ومدى تأثر المرأة بها واتباعها وتبنيها لها وانتهاجها لوسائلها، لمعرفة وضعها في أفكار تلك الثقافة وصورة المعاملة التي تلقتها منها.. ذلك أن الإرث الفلسفي الأوروبي والثقافة الغربية يعكسان وضع المرأة المتجذر في العقلية الغربية، فإذا نظرنا إلى الثقافة اليونانية وهي في قمة ازدهارها، فسنجد أنها لم تعط المرأة شيئا أو تميزها عن مقام نظيرتها في المجتمعات البدائية، وأرفع تقدير ومقام لها هو ما جاء على لسان فيلسوفها أفلاطون في «مدينته الفاضلة»: «تعتبرها الأمة ملكا مشاعا تنجب النسل ثم تتسلمه منها الدولة لتقوم على تربيته»[1]؛ أي إن وظيفتها الإنجاب فقط، بغض النظر عن مشاكلها الاجتماعية والتربوية.

وبيسير بحث وقليل قراءة نجد تكريسا لضعفها وكراهيتها واسترقاقها لدى فلاسفة تلك الحضارة الثلاثة (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، الذين يرون أن «الرجل هو الأصل الذي كان موجودا في الكون، والمرأة عنصر طارئ كالوباء نزلت عليه ونزل معها التعاسة والشقاء»[2]؛ وهكذا ينبغي عليها الخضوع التام للرجل.

كما أن أرسطو صاغ معايير بدنية

وذهنية وأخلاقية يستطيع بواسطتها الرجل أن يميز المرأة عن غيرها، طبقا للوظيفة التي يريدها أن تؤديها له «فإذا أرادت أن تكون من خيرة النساء فلابد أن تكون لها صفات كثيرة مثل الهدوء والسكينة والتواضع (وهي فضائل مكروهة إذا كانت لدى الرجل ما يعد ضعة لها وتحقيرا).. ثم ينتهي أرسطو إلى أن «المرأة حتى وإن كانت أفضل النساء فهي ناقصة»[٣].

تلك الأفكار هي الأسس التي بنى عليها فلاسفة التحرير المحافظون آراءهم حول المرأة، خصوصا جان جاك روسو[٤]، وجون ستيوارت مل[٥] الذي يقول: «من أسباب اضطهاد المرأة واسترقاقها في الغرب، العقلية الاستعبادية، التي أصبحت جزءا من مكونات الرجل الغربي، الذي كان مستعبدا عبر العصور.. ففي قديم الزمان كانت الغالبية العظمى من الذكور وكل الإناث أرقاء، وبالتدريج تم إلغاء استرقاق الذكور إلى حد كبير، أما استرقاق النساء فقد تحول تدريجيا إلى حالة أخف هي التبعية»؛ فميل يرى أن المجتمع الغربي حالة سلطوية مركبة، تتمثل في سلطه الكنيسة على النبلاء والملوك، وسلطة النبلاء والملوك على الرعية، وسلطة الأغنياء على الطبقة العاملة وسلطة السادة على الأرقاء وهي في جميع مظاهرها حالة استعباد، أما السلطة الوحيدة التي تساوى فيها هؤلاء المستعبدون جميعا فهي سلطتهم على المرأة»[٦].

ما سبق هو بعض آثار الثقافة اليونانية على العقلية الغربية تجاه المرأة، والحال لا تختلف كثيرا في أثر الحضارة الرومانية، التي نشأت على أساس طبقة الأشراف وطبقة العامة التي كانت محرومة من حقوقها ويقع عليها وحدها عبء الضرائب والقتال، فيما المناخ الفكري السائد في روما القديمة كان قائما على اللادينية والنفعية البحتة، وهو ما شكل عقل الإنسان الغربي وأصبح جوهر فلسفته.

• هناك قصور في تطبيق القوانين التي هدفها حماية المرأة ورفع الظلم الواقع عليها؟

- إن الإلمام بالعنف الممارس على المرأة والتمييز ضدها لم يزل ناقصا إلى حد كبير، وهي ترجع ذلك إلى ظاهرة إفلات المعتدي من العقاب وصمت المعنفات.. فكيف تصيغ قوانين وتشريعات لمناهضة العنف ضد المرأة وهي لا تلم بالأسباب والدوافع إلماما تاما؟! ولننظر إلى تعريفها للعنف الممارس ضد المرأة في إعلانها مناهضة العنف ضدها الذي أصدرته عام ١٩٩٣م: «أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه أو يرجح أن يترتب عليه، أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة». وأوضح الإعلان أن: «العنف، بشكل عام، يظهر في أشكال جسدية وجنسية ونفسية؛ تشمل: عنف العشير (الضرب، الإساءة النفسية، الاغتصاب الزوجي، قتل النساء)؛ العنف والمضايقات الجنسية (الاغتصاب، الأفعال الجنسية القسرية، التحرش الجنسي غير المرغوب فيه، الاعتداء الجنسي على الأطفال، الزواج القسري، التحرش في الشوارع، الملاحقة، المضايقة الإلكترونية) الاتجار بالبشر (العبودية والاستغلال الجنسي)؛ تشويه الأعضاء التناسلية للإناث؛ زواج الأطفال»[٧].

الهوامش

١- أفلاطون: الجمهورية، ترجمة: حنا خباز، مطبعة المقتطف والمقلم، ٢٠١٦م.

٢- إلهام عبدالرحمن: نظريات علم الاجتماع والنوع، دار عزة، الخرطوم، ٢٠٠٨م.

٣- جان أمل دبك، مركز المرأة في قانون حمورابي والقانون الموسوري، ترجمة: سليم العقاد.

٤- أديب وفيلسوف وعالم نبات، يعد من أهم كتاب عصر التنوير (فترة من التاريخ الأوروبي امتدت من أواخر القرن الـ١٧ إلى أواخر القرن الـ١٨، ساعدت فلسفته في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية).

٥- فيلسوف بريطاني من رموز المذهب النفعي، والده جيمس ميل أحد كبار أهل العلم والمعرفة في القرن الـ١٨، وقد أنشأ ابنه جون في عزلة عن بقية الأطفال، فنال تربية عقلانية، فعلمه اليونانية في الخامسة من عمره، حيث اطلع على أعمال هيرودوت وأفلاطون، وتعلم اللاتينية في التاسعة، وفي الثانية عشرة درس أرسطو ومنطق هوبز، وفي الثالثة عشرة قرأ مبادئ ريكاردو.

٦- خالد قطب وآخرون: الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية، مجلة البيان، الكويت، ٢٠٠٦م.

٧- https://www.un.org/ar/observances/ending-violence-against-women (بتصرف بسيط).

عايد الجاسم



تكريم المرأة

كرمت الشريعة الإسلامية المرأة وحفظت لها كل حقوقها المشروعة المادية والمعنوية. وتصدى الإسلام لكل أشكال التمييز والعنف الذي يمكن أن تتعرض له النساء، سواء كان نفسيا أو جسديا أو اقتصاديا أو اجتماعيا. ولعل الدين الإسلامي أكثر الأديان التي اهتمت في المرأة وأوصت بحسن التعامل معها والرفق بها ورفض الإساءة إليها أو تعمد إيذائها بشكل مباشر أو غير مباشر. وعندما نطلع على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نجد الكثير من الآيات والأحاديث التي بينت حقوق المرأة وما لها وما عليها وأهمية دورها ومكانتها في البناء والتنمية وتحقيق النهضة الشاملة التي تنشدها الأمم الشعوب والحضارات.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩).

وأوصى النبي ﷺ بالرفق في المرأة، فقد شبه النساء بالقوارير التي تحتاج إلى عناية واهتمام وليونة في التعامل حتى لا تتكسر. وروى أنس ابن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في سفر، وكان غلام يحدو بهن يقال له: أنجشة، فقال النبي ﷺ: «رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير». قال أبو قلابة: يعني النساء. وفي رواية كان للنبي ﷺ حاد يقال له: أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له النبي ﷺ: «رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير». قال قتادة: يعني ضعفة النساء (صحيح البخاري، ٦٢١٠).

ورغم العناية الكبيرة التي حظيت بها المرأة في الإسلام فإن هناك من المسلمين من يتعمد إيذاء المرأة واستخدام العنف ضدها في تصرف شاذ وسلوك مشين يرفضه الإسلام والعادات والتقاليد الاجتماعية، خصوصا أن هذا العنف أكثر ما تعاني منه الزوجة والبنت والأخت وربما الأم، وهو أمر يتنافى مع التربية الإسلامية الصحيحة والمنهج الإسلامي القويم، لذلك فإن أولى خطوات إيقاف العنف ضد المرأة تكون عبر الرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي يدين ويرفض العنف ضد المرأة، لأن الإسلام دين الرحمة والعدل والتسامح والعفو عن الآخرين. وكلما اقتربنا من الإسلام والتزمنا بتعاليمه ومبادئه وصلنا إلى العلاج الأمثل لظاهرة العنف ضد النساء. ولعل من الواجب على كل مجتمع القيام بتوضيح تعاليم الشريعة الإسلامية التي توصي بالنساء خيرا وترفض العنف ضدهن وتبين أسلوب التعامل معهن والمبني على الرفق واللين والاحترام.

د. راوية نورالدين عتر
عضو هيئة التدريس، كلية الشريعة
دمشق



الظلم ظلمات

بقدر ما كانت مسألة الخير والشر عويصة لدى من لم يعد لمنهل الوحي الرباني ولم يلجأ لمصدر العلم الشرعي، بقدر ما نجد نصوص الوحي قد بينتها بيانا واضحا دونما لبس أو غموض.

إن النصوص الشرعية المحرمة للإساءة والإيذاء والظلم بأنواعه قد شملت كل ما يمكن أن يوقعه الإنسان من أصناف الظلم كبيرها وصغيرها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن الله تعالى لما خلق الإنسان جعل حياته محاطة بالكثير من العطايا وبالكثير من البلايا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء:٣٥)، فتتوزع حياة هذا المخلوق الذي اصطفاه الله لمقام الخلافة في أرضه ما بين منح ومحن، وعطاء وسلب، وسرور وحزن، وبسط وقبض، وإن وقفنا عند تعبير الآية الكريمة عن الابتلاءات المختلفة بالشر، فإننا سوف نجد مفارقة عجيبة وهي أنه رغم كثرة الشرور وتنوعها إلا أن أخطرها وأشرسها هو شر الإنسان وخطر الإنسان، وما من أذى يمكن أن يمس الإنسان في عمق كيانه كذلك الذي يمكن أن يناله من الإنسان!

الخطير في الموضوع حاليا أنه مع البعد نسبيا عن مفاهيم الدين الصحيحة وقواعده السليمة، ومع تضخم شر الإنسان وإفساده وأذاه، فإن الكثير من المسلمين قد التبست عليهم الأمور، وكادوا يحسبون ذلك تناقضا فيما وصلهم من مفاهيم الدين؛ وذلك لأنهم كثيرا ما يرون فلانا أو فلانة ممن ظلموا وبغوا وأساؤوا ينعمون بحياة رغيدة وعيشة هنية، بينما يكابد المظلوم مشاق الشدائد وصنوف المحن! فيهتفون في حيرة: أين العدل؟ وأين الحساب؟ وأنى لهذا أن يحصل في ملك الله الحكم العدل!

إن نظرة متريثة في النصوص الشرعية كفيلة بإزالة ذلك اللبس، وبعودة الطمأنينة والثقة والتوازن؛ وذلك لأنه إن تفكر وتأمل وعاد لأهل الذكر والعلم علم أن أهم ما ينبغي أن يضعه المرء بباله دائما وأبدا أنه (لا عدل في هذه الدنيا)، نعم، لا عدل، لأنها دنيا، وهي دار الابتلاء والاختبار وموطن التكليف والامتحان، وأي امتحان هذا الذي تدون فيه الإجابات مع الأسئلة! أو لا يكون فيه سؤال حقيقي أصلا! أما امتحاننا فهو الأسمى والأرقى، هو امتحان من ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢) وهو الذي شاء أن يجعل من أصعب بنود هذا الامتحان أن يجعل بعض الناس لبعض فتنة، ثم إليه الرجعى سبحانه وعنده الجزاء.

وبقدر ما كانت مسألة الخير والشر عويصة لدى من لم يعد لمنهل الوحي الرباني ولم يلجأ لمصدر العلم الشرعي، بقدر ما نجد نصوص الوحي قد بينتها بيانا واضحا دونما لبس أو غموض، بما يمسح قلب المؤمن ويؤنس مهجته، ومن أهم الأمور الرئيسية التي بينها ديننا الحنيف في هذا الموضوع ما يلي:

يحرص المؤمن العاقل على إبقاء ساحته نظيفة وذمته نقية من أي مظلمة مهما كان نوعه

تضافرت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة على تحريم الظلم بأي نوع كان ومهما صغر أو قل أثره، وذكر فيها الوعيد الشديد والتهديد المخيف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨) وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨) وقد قال العلماء في قوله جل وعلا ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (إبراهيم: ٤٢)، قالوا: الآية تسلية للمظلوم ووعيد للظالم(١). والآيات في هذا كثيرة ولكن ذكرت بعضا منها.

وأما الأحاديث فكثيرة جدا ومنها ما كان على سبيل الإجمال لأي ظلم، ومنها ما فصل وحدد نوعا من أنواع الظلم، ومن الأحاديث الشريفة الواردة في تغليظ الظلم بوجه عام وتشديد حرمته قوله ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»(٢)، وقوله ﷺ ضمن خطبة حجة الوداع: «اسمعوا مني تعيشوا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا»(٣).

إن النصوص الشرعية المحرمة للإساءة والإيذاء والظلم بأنواعه قد شملت كل ما يمكن أن يوقعه الإنسان من أصناف الظلم كبيرها وصغيرها، وفي أي مجال



من مجالات الحياة كان ذلك، وتخطت حدود الماديات من الدماء والأموال، فشملت كذلك المعنويات والأدبيات في كل ما يمس سمعة المرء أو كرامته أو شعوره، وفي هذا سبق تشريعي عظيم يتجلى واضحا في دين رب العالمين، بل بلغت مبلغا عجيبا حين شملت مجرد التفكير المسيء تجاه المرء فحرمت سوء الظن، وفي هذا ما لا يتصور معه أي غبن للإنسان، وفيه حفظ لمقامه كإنسان كرمه الله تعالى وسخر له ما في أرضه ليقوم بمهمته في عبادة ربه.

وزيادة في حفظ مقام المسلم واحترام كيانه تجاوزت أوامر ديننا الحنيف ونواهيه عدم الإيذاء إلى الأمر بنصرة المسلم ورد عن رسول الله ﷺ قال: (ما من امرئ يخذل امرأ مسلما عند موطن تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر امرأ مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه ن حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته)[٤]، فهل يطمع المرء باهتمام بشأن قيمته وكرامته أكثر من هذا بل يشابهه بل يدانيه؟!

إن الله تعالى قد أعلم عباده أن عالم العدل ونهاية الظلم آت لا محالة، وهو عالم الآخرة الذي قال عنه الحق جل جلاله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(غافر: ١٧) ليس في هذه الحياة الدنيا فجزاء الظلم وعقوبته

لا تناقض البتة بين موعود الله تعالى لعباده المتقين الأخيار بالخير والسعادة والحياة الطيبة ووعيده للظالمين الفجار بالعقوبة والنكال

في دار البقاء لا دنيا الفناء، عند الملك الخالق الحكم العدل المحيط علمه بكل شيء لا ملوك البشر الذين قد يحكمون حسب أهوائهم أو وفقا لما يبدو لهم، حسب ميزان دقيق غاية الدقة ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾(الأنبياء: ٤٧) ذلك هو عالم حساب الملك الديان يوم يقوم الناس لرب العالمين، وذلك الذي ينبغي للعاقل أن يعمل له ويحسب حسابه، فلا يحمله سطوة أو قوة أو دهاء على الظلم والبغي بغير الحق.

وقد أتت الأحاديث الشريفة مؤكدة هذه الحقائق العظيمة تأكيدا دقيقا ومؤثرا، منها مثلا ما رواه أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[٥].

وتأتي الأحاديث النبوية الشريفة مفصلة لمعنى استيفاء الحقوق في ذلك اليوم العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين أتم تفصيل، فرسول الله ﷺ يسأل أصحابه: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[٦].

فأعلمهم أن حقيقة المفلس ليس كما عهدوه، بل هو من تفرق يوم القيامة حسناته على أهل المظالم، وذلك هو الهلاك التام والعدم المتصل المهلك، مثل هذا الذي كانت له حسنات وللناس عليه تباعات، فأخذوا حسناته كما يؤخذ من الغريم ما بيده، ثم لما لم يكن له حسنات طرحت عليه سيئاتهم، وطرح في النار؛ ليتم هلاكه وتأبد فلسه، وأيس من فلاحه وانجبار حاله، إلا ما يكون بعد، مما تفضل الله به من إخراج المذنبين وإدخالهم الجنة، بعد الأمر الذى قدره الله في هذا البوار، نعوذ بالله من فلس الدنيا والآخرة[٧].

فالحديث الشريف يعلمنا أن هذا أحق باسم المفلس؛ إذ تؤخذ منه أعماله التي تعب في تصحيحها بشروطها، حتى قبلت منه، فلما كان وقت فقره إليها أخذت منه، ثم طرح في النار. فلا إفلاس أعظم من هذا، ولا أخسر صفقة ممن هذه حاله، ففيه ما يدل على وجوب السعي في التخلص من حقوق الناس في الدنيا بكل ممكن، والاجتهاد في ذلك[٨]، وإن هذا العقل عندما يطلع على هذا الحديث الشريف يفطن إلى أن فلس المال أمر يزول وينقطع بموت المفلس، وربما زال بيسار ورزق يحصل له بعد ذلك من حياته، بخلاف ذلك المفلس الذي خسر عمله يوم القيامة فإنه يهلك الهلاك التام[٩].

وما دام الأمر كذلك يحرص المؤمن العاقل على إبقاء ساحته نظيفة وذمته نقية من أي مظلمة مهما كان نوعها، ويتنزه عن إيذاء غيره كي يأتي ربه بريئا من دنس الظلم، بل يحرص على أن يكون هو المتفضل على غيره ولو غبن بعض حقه أو سامه من ذلك شيء من مشقة بغية الفوز يوم لا ينفع مال ولا بنون، بل هو يوم الوفاء والاستيفاء،

إن الله تعالى قد أعلم عباده أن عالم العدل ونهاية الظلم آت لا محالة

يقول رسول الله ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[١٠].

وهذا المعنى هو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم فنفذوه في حياتهم، وكانوا كأنهم ملائكة بشرية تحيا على الأرض، ومن ذلك هذ الحديث الشريف: (عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل. قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: أما تقرأ كتاب الله ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾(الأنبياء: ٤٧). فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئا خيرا من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم)[١١].

إن ما أسلفته قليل من كثير من النصوص الشرعية الدالة على أن موعد استيفاء الحقوق هو في دار البقاء لا الفناء، وموعد المليك المقتدر لا العبيد، أفيعقل بعد ذلك البيان الرباني أن يبقى بذهن بعض أبنائنا شائبة ريبة وبقية حيرة، ومتى كان في مفاهيم دين الله تعالى أن تنقلب الدنيا جنة تؤدى فيها الحقوق لأهلها ويتنعم المحق ويخزى المبطل، أين التكليف إذن أبقي من معناه شيء؟؟!!

ولئن عاجلت غيرة الله تعالى بعض الطغاة بعقوبة دنيوية فتلك نفحة كرم رباني وجود إلهي، ولكنها ليست قاعدة ربانية مطردة دائما، وسنة الله في خلقه أن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، وحلم الله على الظالمين المصرين استدراج لهم لا جائزة!

لا تناقض إذن البتة بين موعود الله تعالى لعباده المتقين الأخيار بالخير والسعادة والحياة الطيبة ووعيده للظالمين الفجار بالعقوبة والنكال؛ أفلا يكفي التقي النقي الطيب أنه قد أسلم وجهه لله تعالى وألجأ ظهره إليه، وفوض أمره إليه، رغبة ورهبة إليه؛ فيقينه أنه لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، وهذه هي الحياة الطيبة التي لا يعرفها إلا من ذاق حلاوة الإيمان وعاش حقيقة الإسلام بالاستسلام لرب الأنام.

الهوامش

١- عزاه الرازي وغيره لسفيان ابن عيينة: انظر: التفسير الكبير: (١٩/ ١٠٨)، وتفسير الخازن: (٣/ ٤٣).
٢- مسلم، رقم الحديث: (٢٥٧٨).
٣- مسند أحمد، رقم الحديث: (٢٠٦٩٥).
٤- مسند أحمد، رقم الحديث: (١٦٣٦٨).
٥- البخاري، رقم الحديث: (٢٤٤٩).
٦- مسلم، رقم الحديث: (٢٥٨١).
٧- إكمال المعلم: (٨/ ٥٠).
٨- المفهم: (٦/ ٥٦٣).
٩- شرح المشكاة للطيبي: (١٠/ ٣٢٥٥).
١٠- مسلم، رقم الحديث: (٢٥٨٢).
١١- سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣١٦٥).

محمد حمد الحسن
باحث دراسات إسلامية



تطبيقات علم أصول الفقه في سلسلة مفاتيح العقول

لقد هيأ الله عزوجل لحفظ دينه أسبابا من أهمها تتابع العلماء الوارثين لهذا الميراث النبوي الشريف؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وقد عملوا على إحاطته بمزيد من الأسوار المانعة من تضييعه أو تمييعه من بعض القائمين عليه، أو تحريفه وتأويله من شانئيه، أو الافتئات عليه والقول فيه بغير علم من الجاهلين به؛ لينفذ مراد الله في خاتمة شرائعه، وتمام نعمته بإكمال دينه وحفظه -كما وعد جل وعلا- وظهوره على الدين كله ولو كره الكافرون، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، وقال جل وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة:٣).

وإن من أشد أسوار هذا الدين قوة، وأعلاها شرفا، وأشدها حصانة، علم أصول الفقه الإسلامي، هذا العلم الذي يعد من مفاخر المسلمين؛ إذ استنبطوا أصله ولبه من لغة العرب فلحظوا من دلالات ألفاظهم ما غاب عن أهل النحو والصرف منهم، ثم عضدوه بعلوم أخرى تشد أزره، وتظهر معناه؛ من علوم الحديث والمنطق إذ استخدموا هذين العلمين ليسندا علم أصول الفقه، فتظهر فضيلته، ويؤتي ثمرته، ولذلك قال الإمام القرافي في كتاب الفروق عن علم أصول الفقه: «وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام العربية خاصة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ، والترجيح، ونحو: الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصيغة الخاصة للعموم، ونحو ذلك، وما خرج عن هذا النمط إلا كون القياس حجة، وخبر الواحد، وصفات المجتهدين» (أنوار الفروق في أنواء الفروق للقرافي (٢/١)).

ولما كان الافتئات والتمييع شأن الجاهلين والمتنطعين في كل عصر، فقد هيأ الله من يقوم على هذا العلم الشريف في كل زمن ليصد عنه الافتئات والتمييع، والجرأة والتضييع، على هذا السور المنيع الذي يحتاج رجالا من أهل العلم وحراسا من أهل الدين، يقفون على أسواره وأعرافه، يصدون عنه بالعلم، ويتترسون به دون حياض الدين الحنيف، ولقد اطلعت في هذا المجال على ما يثلج صدور الباحثين من أن هذا العلم الشريف (أصول الفقه) يجدد ويعاد تصنيفه في حلة جديدة؛ بل يصنع من قواعده الدواء الناجع لداء الجهل والتضييع من ناحية، وداء التعصب والتنطع من ناحية أخرى، وسأبدأ بالإضاءة على سلسلة (مفاتيح العقول) للأستاذ الدكتور ياسر عجيل النشمي، ولقد اخترت منها ما يناسب موضوعنا هذا وهي أربعة كتب:

- كتابان كانت الغاية منهما منع افتئات الجاهلين والمتفيهقين على فهم الكتاب والسنة بغير علم، ومعالجة هذه العلاقة بين عامة الناس وبين النصوص الشرعية بالقواعد الأصولية، وهما: (مرصاد القواعد الأصولية للافتئات وسوء فهم القرآن والسنة).

(أسهل طريق للوصول إلى الفتوى الصحيحة).

● والكتابان الآخران يوضحان علاقة علم أصول الفقه بالحديث والمنطق، وهما:

(اختلاف الأصوليين مع المحدثين).

(عبقرية الأصوليين في توظيف القواعد المنطقية).

وسيكونان موضوع المقال القادم بإذن الله تعالى.

أما كتاب (المرصاد) فقد بدأه مؤلفه بوصف المشكلة، والبحث عن أسبابها؛ ليسهل الطريق إلى حلها بقواعد أصول الفقه المناسبة لها، وما مشكلة الافتئات على النصوص إلا ظاهرة لسبب باطن؛ وهو جهل بسيط لدى عامة الناس جرأهم على السبق إلى فهم خاطئ للنصوص كان لهم فيه أناة، وجهل مركب لدى فئة من طلبة العلم جعلهم يستبدون برأي دون مشاورة القواعد الأصولية الضابطة للفهم، والكتب الجامعة للعلم.

ولهذا فقد جاء الكتاب مرصادا في طريق الفئتين، مانعا من افتئات الطائفتين، مبينا القواعد الأصولية الضابطة لفهم النصوص للفريقين، وأهمها قاعدة تخصيص العموم وتقييد المطلق وشرط الأخذ بمفهوم المخالفة وقاعدة الخروج عن مقتضى الظاهر، وهذه الأخيرة أصلها لغوي بلاغي، حيث لاحظ علماء البلاغة أن الظاهر لا يكون مرادا دائما بل قد يراد غيره كما في الإنشاء بصيغة الخبر، وقد مثل له المؤلف بقوله:

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة:٢٣٣)، فقد يعترض أحد مدعي العقلانية بقوله: إن الآية غير صحيحة المعنى، فإن المشاهد أن كثيرا من الوالدات لا يرضعن حولين كاملين، فكيف يخبر الله عنهن بهذا الخبر وهو غير متحقق؟

ومصيبة هذا المفتئت عدم إلمامه بالقاعدة؛ ولذلك قال الإمام الزمخشري: «يرضعن» مثل «يتربصن» في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد. (المرصاد الرابع من المبحث الثاني «قاعدة الخروج عن مقتضى الظاهر»، الإنشاء بلفظ الخبر).

وإذا انتقلنا إلى قراءة كتاب (أسهل طريق للوصول إلى الفتوى الصحيحة) فسنجد أنه يعالج معضلة طالما أرقت عامة المسلمين، وهي العلاقة بينهم وبين نصوص الشرع وكيفية الاستفادة منها في النوازل، هل هي علاقة فهم مباشر لكون الشرع بينا واضحا بلغة العرب، وليس بيننا وبينه وسيط؟ أم أن الفهم لأحكام النوازل لا يكون إلا عبر الفتوى الصحيحة المنضبطة بقواعد الأصول وضوابط الاستنباط؟

وإذا أمعنا النظر في البحث فسنجد الدلائل الواضحة على منهجية هذه العلاقة التي لا تقبل القسمة على اثنين، فهي بلا ريب علاقة الاستفتاء للعلماء المعتبرين؛ لأن اللغة العربية التي نزل بها الكتاب لم تعد لغة عامة الناس التي يجري بها خطابهم فيفهمون معانيها، ويتبينون مراميها، بل صار العرب يدرسون لغتهم -كالعجم- من المعاجم وكتب اللغة ويخفى عليهم كما يخفى على غيرهم الكثير من أساليبها بين ظاهر منطوق، وبين باطن مفهوم، بين حقيقة ظاهرة وبين مجاز أظهر السياق بوادره.

ثم إن البحث يعرج على فهم خاطئ وخطير يتداوله كثير من العوام لحديث النبي ﷺ «استفت نفسك، استفت قلبك»، وهذا الحديث إنما يراد منه الأخذ بالورع، وطمأنينة النفس، لما يشك فيه من الأحكام، ويكون بعد السؤال والعلم بالحكم، وليس بديلا عنه بحال.

وأما الفهم الخاطئ الذي جعل استفتاء القلب بديلا عن استفتاء أهل العلم فقد أشار المؤلف إلى أنه معارض للشرع والعقل، فقال:

«ومن ناحية عقلية أخرى فإن من نتائج هذا الفهم الخطأ للحديث أننا لن نحتاج للفقهاء والمفتين، والمتخصصين في أي تخصص وعلم، فكلما أراد العامي حكم مسألة فتح كتاب الموسوعة الفقهية التي تحوي جميع المذاهب ويختار ما يراه مناسبا؟!. فما الحاجة إلى العلماء؟!. وكأن الموضوع هو أن يعرض المفتون والمشايخ بضاعتهم في سوق الناس ويدللون عليها.. والعامي يتفحص البضاعة ويحكم عليها متأثرا بالتسويق!. دين الله أرقى وأعلى من هذا».

وأما من ناحية الشرع فيشير المؤلف لخلاف هذا الفهم للشرع بقوله: «هذا الفهم للحديث يعارض منطوق قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء:٧)، والاستفتاء هو طلب السؤال، فالله أمرنا أن نسأل أهل العلم لنعرف الحكم» (المسوغ الثاني (استفتاء العامي نفسه) المبحث الثاني من الكتاب).

وهكذا نرى أن الباحث في هذين الكتابين يناضل على جبهتين، ويدافع بسلاحين؛ سلاح العلم والتعليم لمن جهل، ليرتفع مستوى فهمه للقواعد الأصولية الضابطة لفهم النصوص وكيفية الاستنباط منها، والأخذ عن العلماء المعتبرين فيها، وسلاح الحجة والبرهان لدفع المتنطع المفتئت على حياض الشرع الحنيف.

ولاشك أن هذا مما يبشر بظهور بحوث مساندة أو مشابهة من المختصين المخلصين للدفع عن قواعد الدين، وإن اختلفت مع رؤية المؤلف في هذين البحثين، فلاشك أنه سيكون خلافا صحيا، غايته كغاية هذه السلسة المباركة: رفع مستوى الفهم لهذا العلم المهم الذي يضبط قواعد الاستنباط من أدلة الشرع الحنيف.

ريهام السعيد
باحثة دراسات إسلامية



جبر الخواطر!

نغفل دوما ضمن طاحونة الحياة والجهد اليومي، وسرقة أجمل أوقات عمرنا، عن الابتسامة، عن تذكر الآخرين بكلمة طيبة، عن جبر الخاطر، وكأننا لابد أن نحاسب الجميع على ما عانيناه بحياتنا، ونعطيهم تلك النظرة القاسية، لنلومهم على ملاقاتنا، بعد يوم مضغوط، وعمل مهلك، بل وينتظرون منا أن نجبر بخاطرهم!

وكأنما الكفاح يعني السخط، وكأنما العمل ليس عبادة نجزى عليها، فماذا لو كان بعد هذا العناء رضا، ولو قابلنا أي شخص بأي مكان نبتسم، ونأخذ به صدقة، فكما أخبرنا نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، فهل نحن في غنى عن هذه الصدقات والحسنات التي تكتب على إثرها، وهل نحن في غنى عن هذه العبادة، وهي عبادة جبر الخاطر؟!

لو جلسنا لأنفسنا لثوان قليلة، وتذكرنا كم من مرة غضبنا من المعاملة الجافة للآخرين، في وقت كنا فيه بأشد الحاجة للاحتواء حتى بكلمة، أو بعض الاهتمام، واللطف بالتعامل، وكم كانت تلك قسوة لم ننسها، لتذكرنا أيضا أن نجبر بخاطر كل من حولنا، مهما كانت صفته، ومهما كان الموقف، فليس هناك عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه مثل جبر خاطر أخيه.

«من سار بين الناس جابرا للخواطر، أدركه الله في جوف المخاطر»، نعم فعندما نجبر بخاطر من حولنا، لا نفعل هذا فقط من أجل سعادة الآخرين، ومساندتهم النفسية، والروحية، ولكن أيضا لتأكدنا بأن الله لا ينسى ما نفعل، وسترد لنا أعمالنا بكثير من

الأشكال: نجاة من خطر، حسنات، رد الظلم، توفيق في أمور معينة، وغيرها الكثير.
جبر الخاطر بالكلام الطيب يكون من أقوى أنواع الدواء للروح المنكسرة، حتى إنهم في العلاج بالطب الحديث يقسم العلاج لطبي - بالأدوية وغيرها - ونفسي، لأن من دونه لا يأتي الدواء بنتائجه المرغوبة، وقد لا يأتي بأي نتائج على الإطلاق.
وقد تجبر بخاطر شخص يحبه الله، فيحبك الله لجبرك خاطره، وجبر الخاطر لا يقوم به غير الشخص النبيل، ذي النفس الأصيلة، الكريمة، فالكرم ليس في العطاء المادي فقط، لكن كرم الأخلاق أعلى.
نوع من جبر الخاطر، حين يقول الله عز وجل، في كتابه العزيز: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ (الضحى:٩-١٠).
ما أجمله من طريق لجبر الخاطر، الاهتمام باليتيم، وليس من باب الواجب، أو أدائه، ولكن من باب الحب، وحب الفعل وهو جبر الخاطر، هذا اليتيم الذي فقد أمانه وعونه بالدنيا، لم يعد له سند، ولا ملجأ يلجأ له، هو وحده، لا يعلم حاله إلا الله، هل هناك من يكفله؟ يضمه حين يحتاج؟ يلقي بخوفه وجوعه وتعبه بعيدا؟ هل ستكون أنت سندا له، أم ستتوقف على كونك مشاهدا، يستصعب حاله بنظرات الشفقة؟ هل ستبذل ما يمكنك لكي تشد عضده في مدارات الحياة الصعبة وتروسها التي لا ترحم؟ وحين يطلب منك سائل، فهل سترده بنظرتك القاسية، وكلماتك اللاذعة، أم ماذا ستفعل؟
النهر ليس من ديننا، إما أن تعطيه، وذلك فضل منك تثاب عليه، أو ترده بكلمة طيبة ودعاء، هذا نوع أيضا من جبر الخاطر، وتذكر ابتسامتك أولى الصدقات التي تقع في يده، وهناك من المتعففين الكثير، الذين قال عنهم سبحانه وتعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ (البقرة:٢٧٣)، وأنت تعلم منهم الكثير، ولكن دوامة الحياة شغلتك عنهم، فهل من الممكن البحث في الذاكرة قليلا، وتسعى للتصدق، وجبر خاطرهم؟
لو رأيت مكانا لا يسوده الحقد والبغضاء والحسد، فاعلم أنهم كلهم تربوا على جبر الخاطر، فسادت المحبة وحب الله.
جبر الخاطر في زيارة المريض، في التخفيف عن متألم وموجوع، قد يصرح بمكنون نفسه، وقد لا يعلم شكواه إلا الله، المظلوم محتاج لجبر الخاطر، أيا كان نوع الظلم الذي وقع عليه، فهو في أشد الحاجة ولو لكلمة تشد بها أذره.
الحياة الزوجية، كلا الطرفين، يجب أن يعمل بعبادة جبر الخاطر، الزوج المتعب المنهك، الذي يعود ربما بما يطعم أهل البيت بأبسط الأشياء محتاج لجبر خاطره، فهو لو استطاع جلب الدنيا تحت أقدام أسرته لفعل، السيدة التي تفعل ما في وسعها لراحة زوجها، وأولادها، تحتاج لكلمات جميلة تجبر خاطرها، وتطيب بها روحها، وهكذا تستمر الحياة.
ولكن ما بالنا بمن يسيء لزوجته، ويسيء العشير، وقد يتركها، ويتركها معلقة، ولم يتذكر أن هذا كله دين.
النبي عليه أفضل الصلاة والسلام نفسه كان يحتاج دوما لجبر الخاطر، فتجبر خاطره خديجة، رضي الله عنها، وتقويه، ويجبر خاطره عمه، حتى إنه كان يأتيه الجبر العظيم، من الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۢ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍۢ مُّبِينٍۢ﴾ (القصص:٨٥).
وجبر الله تعالى بخاطر نبينا يوسف، عليه السلام، في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف:١٥).
هذا ولقد غضب الله عز وجل من النبي الحبيب في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ (عبس:١-١٠) لأنه لم يجبر بخاطر من أتاه طالبا لمزيد من المعرفة بالإسلام.
كلنا نتذكر الصحابي الجليل عبدالله ابن مسعود، دقيق الساقين، صغير الجسم، لدرجة أن جسده الهزيل كان لا يصمد أمام الريح القوية، فيسقط. ضحك منه الصحابة لصغر ساقيه، فجبر النبي بخاطره أمام الجميع، وبنفس الموقف، حين قال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»، ويقصد جبل أحد.
ونذكر للنبي أيضا جبره لخاطر الطفل أبي عمير، الذي كان يسأله دوما: يا أبا عمير، ماذا فعل النغير؟ وهو طائره الصغير، يعلمه أنه يتذكره، ويتعمد مصادقته، وترك كلمات ذات أثر جميل في نفسه، كلما مر به، حتى علم منه ذات مرة أنه فقد طائره الحبيب، فجلس عليه الصلاة والسلام، يواسيه، وهذا أيضا جبر للخاطر.
لجبر الخاطر أشكال ومواقف كثيرة، وثوابه عند الله كبير، فهل سنغتنم عبادة جبر الخاطر؟



د. سعاد بوترفاس
باحثة أكاديمية

العقيدة وأثرها في التقويم الخلقي

إن معرفة ما حفلت به الشريعة الإسلامية من خصائص عقدية، قعدها الرسول ﷺ واتبعه فيها الصحابة -رضوان الله عليهم- لتصحيح المعتقدات الجاهلية لإعلاء كلمة الله، تعتبر دروسا منهجية في جميع المجالات والتخصصات، كما تعتبر سيرته ﷺ المنهاج الرباني القويم لإقامة مجتمع الحق والدين؛ فالسيرة النبوية العطرة سيرة معلم البشرية ومؤسس المدرسة النبوية، ممتلئة بالأحداث والدروس والعبر التي يستلهم منها العباد منهاج عملهم اليومي، لأنه ﷺ جمع بين الدين القويم وسياسة الدنيا، فضبط ﷺ شؤون الدولة والدعوة بتحويل مجتمع كانت تحكمه تقاليد وعادات جاهلية عصبية، إلى مجتمع عادل، وذلك بتقويم وتصحيح جميع جوانبه، فما هو واقع القيم الأخلاقية في مجتمعنا المعاصر؟ وما العقيدة التي يؤمن بها شبابه؟ وما علاقة العقيدة بسلوك المؤمن؟

تعتبر العقيدة «الأساس النظري للدين، الذي يشكل القاعدة الأساس في بنائه، ومنه ينطلق المؤمن، ويضبط كل حركاته بضوابطه، ويوجه كل سلوكه وأعماله، ويفسر للإنسان طبيعة وجوده ونشأته وغايته، ويعرفه بدوره في الحياة، ويحدد مصيره الذي ينتهي إليه في الآخرة، ويرسم له معالم صلته بالله تعالى، وصلته بالحياة والأحياء والكون من حوله»[1]، في شكل قانون تشريعي أخلاقي يرسم له الطريق للفوز بالجنتين، الدنيوية والأخروية «إلا أنه لا يمكن تطبيق قانون الأخلاق تطبيقا سليما إلا بإيمان صادق، وطاعة لأوامر الله ونواهيه»[2]. وهذا الإيمان الصادق، هو أول ما ركز عليه الأنبياء وحرصوا عليه -صلوات الله عليهم- لهذا كان أول ما قام به ﷺ هو تصحيح العقيدة المنحرفة من أدران الجاهلية، إذ «استمر ﷺ يدعو الناس في مكة ثلاثة عشر عاما، مكتفيا خلالها بالدعوة إلى العقيدة لأنها أساس البناء الإسلامي، والركيزة الكبرى لإقامة المجتمع المسلم»[3].

فأول ما يجب علينا لاكتساب الأخلاق الحسنة أو لتصحيحها، هو تصحيح العقيدة المادية الفاسدة التي انغمست فيها المجتمعات المعاصرة كما يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري -رحمه الله- في كتابه العلمانية الشاملة والجزئية[4]، حيث تحدث فيه عن كيف تتم إعادة صياغة واقع المجتمع في كل جزئياته، من خلال آليات مستحدثة لعلمنة الفكر والمجتمع والاقتصاد والإعلام.. في إطار مرجعية مادية، متمركزة حول الذات الإنسانية، عن طريق تعظيم اللذة، وتحويل الإنسان إلى مجرد آلة هدفها الاستهلاك، في غياب أي مرجعية أخلاقية دينية، كما يقول في الفصل الأول من كتابه عندما تحدث عن طريقة علمنة الاقتصاد: «إعادة صياغة المجتمع باعتباره سوقا أو مصنعا، وإعادة صياغة الإنسان باعتباره منتجا ومستهلكا، ومن ثم فإن الهدف النهائي للمجتمع تعظيم الإنتاج وتحقيق المنفعة (التراكم الرأسمالي) وتعظيم اللذة، ويتطلب

هذا كله وجودا مركزيا قويا يقوم بالهيمنة على الأطراف وبالتحكم في كل موارد المجتمع وتوجيهها وبرمجتها»[٥]. وهذا ما يوصل إلى العلمانية الكلية، عن طريق توحيد وتنميط الأفراد في القالب الذي يخدم المصالح الاقتصادية لتحقق الهيمنة والسيطرة لهذا الوجود المركزي الذي يعرفه في فصل آخر بالدولة المطلقة أو «الدولة الرأسمالية»، التي: «ستحول العالم إلى سوق كبيرة، لا يسودها إلا قوانين العرض والطلب، وتعظيم المنفعة (المادة) واللذة (الجنس) والتي ستؤدي إلى سيادة حالة المصنع في العالم بأسره، وجدت من صالحها أن تفتح الحدود، وتختفي القيم والمرجعيات تماما حتى يفقد الجميع أي خصوصية ويصبحوا آلة إنتاجية استهلاكية وقطع غيار في الوقت نفسه»[٦]. وقد وضح المسيري -رحمه الله- كيف تتم برمجة الفرد كي يصبح منتجا ومستهلكا وقطع غيار في الوقت ذاته، وذلك من خلال ما يشهر إليه في ملابسه، حيث قال: «تعد المنتجات الحضارية المألوفة من أهم آليات العلمنة الشاملة البنيوية، ولنضرب مثلا (التي شيرت T-Shirt) الذي يرتديه أي طفل أو أي رجل وقد كتب عليه (إشهار ما).. إن الرداء الذي كان يوظف في الماضي لستر عورة الإنسان ولوقايته من الحر والبرد، وربما للتعبير عن الهوية، قد وظف في حالة (التي شيرت) بحيث أصبح الإنسان مساحة لا خصوصية لها»[٧]. هكذا إذن يتم استغلال الفرد وعلمنته في جميع جزئيات حياته، باستعمال آليات للعلمنة الشاملة الاقتصاد التعليم الأسرة... وهو ما يسميه الانتقال الحتمي من العلمانية الجزئية إلى العلمانية الكلية، ومن «أهم آليات العلمنة البنيوية الكامنة في العالم هي الإعلانات التلفزيونية الظريفة البالغة البراءة! وهي إعلانات تروج رؤية للعالم عمادها الجنس والاستهلاك باعتبارهما القيمتين العظميين»[٨].

وهذا ما قال عنه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:٢٣)، وقد وصف الإمام الطبري الشخص المتأثر بهذه العقيدة المادية قائلا: «من اتخذ دينه هواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبه، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحلل ما حلل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به»[٩]، هكذا شاعت العلمانية، صياغة فرد أناني يجرى وراء أهوائه وملذاته، في غياب تام لأي مرجعية دينية أخلاقية.

فانطلاقا مما شخصه الدكتور عبدالوهاب المسيري، بات من الضروري تصحيح العقيدة المادية الفاسدة التي تروجها الدول الرأسمالية، وذلك من خلال غرس الإيمان الصحيح كما تدعو إلى ذلك الفطرة السليمة، قال تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ (الحجرات:٧).

فالإيمان الصحيح هو الموجه والمحرك الأساسي للجوارح كلها، كما بين ﷺ ذلك في حديثه: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[١٠]، فأفعال الإنسان موصولة دائما بما في نفسه من معان وصفات، صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب؛ لأن «كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة»[١١] كما قال الإمام الغزالي -رحمه الله- فصلاح أخلاق الإنسان يكون بصلاح قلبه، لأن الفرع بالأصل، فإذا صلح الأصل صلح الفرع.

وقد جاءت آيات عديدة تارة بأسلوب الترغيب وأخرى بأسلوب الترهيب، تصحح العقيدة وترسم الصراط المستقيم، وتدعو إلى الإيمان، منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٢٥)، ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأنعام:٤٨).

تعمل آيات الإيمان في عمومها على غرس الإيمان أولا، ثم ربطه بالعمل الصالح ثانيا، مكونة بذلك مدونة

إجرائية إلزامية، وجب التصديق والإيمان بها والعمل بمقتضاها، كما قال ابن القيم: «الإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، علما، والتصديق به عقدا، والإقرار به نطقا، والانقياد له محبة وخضوعا، والعمل به باطنا وظاهرا»[12]. وهذا تحديدا ما تفعله آيات الصفات، التي جاءت تخبر عنه، وتغرس الرهبة منه، والشوق إليه تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء:٥٨)، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)، فالإيمان بصفاته اليقينية يجعل المؤمن يستحضرها في جميع أعماله، وهذا ما تميزت به الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية، الإيقان بمراقبة الله عز وجل، وبعلمه تعالى بكل السرائر وأنه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد:٤).

تقوم آيات العقيدة بتصحيح المقومات المادية للسعادة عند الإنسان والمتمثلة في اللذة (المادة) والجنس، من خلال غرس إيمان صحيح بالله تعالى وباليوم الآخر، وجعله يستشعر المراقبة والرعاية الذاتية لله تعالى، فيقدم على تصحيح وتقويم سلوكه بنفسه، وذلك بعد أن يقتنع ذاتيا بأن «الأصول الثلاثة وهي الإيمان بالله وباليوم الآخر والعمل الصالح هي الموجبة للسعادة في كل ملة»[13]، فالمعيار لتقويم السلوك له ارتباط وثيق بمفهوم الإيمان الذي حدده الإسلام، وهذا التلاحم بين الإيمان والتقويم الخلقي، هو غاية الأخلاق وهو طريق تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة وطريق تحقيق الوحدة الإيمانية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠)، والقوة والمنعة بين أفراد المجتمع.

لهذا «يجب أن تكون العقيدة الإسلامية هي الأساس لبناء المجتمع ونظامه، حتى يعمل الأفراد في ضوء عقيدتهم كأفراد وكأعضاء في المجتمع، كما يعمل المجتمع كجماعة منظمة في ضوء هذه العقيدة التي يحملها أفراده، ويترتب على ذلك أن كل من يحمل هذه العقيدة ويدين بها ويلتزم بمقتضاها يكون أهلا للانتماء إلى هذا المجتمع الإسلامي، فيصبح عضوا فيه، ويساهم في بقائه وتحقيق أغراضه، والتمتع بمزاياه، وتحمل تبعاته مهما كان جنسه أو نوعه أو لونه أو لغته أو إقليمه أو حرفته»[14]، كما كان عليه السلف رضوان الله عليهم، وكما وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» ويندبون أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوكين، وينهون عن الفخر والخيلاء، والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها»[15].

هكذا غرست المدرسة النبوية الإيمان في الرعيل الأول، وربتهم على التحلي بالقيم الإسلامية، لهذا وجب تركيز الجهد في غرس عقيدة صحيحة عند شباب اليوم، وتمريرها عبر مقرراتهم في جميع المستويات وكل التخصصات.

وما أراه مناسبا في هذا العصر -عصر التكنولوجيا والعلوم التقنية- هو وجوب تسخير ذلك لإرساء عقيدة صحيحة متينة، تقوم على الدليل العقلي والنقلي، لأننا في عصر لا يؤمن شبابه إلا بلغة العلم، لذا وجبت مخاطبتهم بلغتهم، ووجب استغلال التكنولوجيا والعلوم التقنية: الطبيعية والرياضية... لاستخلاص مساحات اليقين في القرآن الكريم من خلال «الإعجاز العلمي»، والعمل على تأصيله وتقعيده كعلم برهاني حجاجي قائم بذاته، في جميع التخصصات والكليات على وجه الإلزام لا التخيير، حتى نتمكن من غرس العقيدة الصحيحة في الشخصية المسلمة وجعلها قادرة على التعايش

والاندماج والتأثير والتأثر... وقادرة على امتحان أي مهنة: التدريس الطب، الهندسة، التجارة... دون اللجوء إلى صياغة أخلاقيات جافة جامدة لكل مهنة، فالمؤمن لا يحتاج إلى قانون وضعي يوجهه، فأخلاقه هي دستور مهنته.

المراجع

١- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، د. بدوي طبانة، ج٣، مكتبة ومطبعة «كرياطه فوترا» سماراغ، إندونيسيا.

٢- الإسلام ومكارم الأخلاق، بأقلام عشرة من علماء الإسلام، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى:١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣- أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط:٩، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٤- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو محمد تقي الدين المقدسي، المحقق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥- توضيح مقاصد العقيدة الواسطية، عبدالرحمن بن ناصر البراك، إعداد: عبدالرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٢هـ.

٦- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧- جامع الرسائل، ابن تيمية الحنبلي، المحقق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، ط:١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٨- حياة الحقائق، غوستاف لوبون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، رقم ٨٨٦٢، بتاريخ: ٢٠١٢م.

٩- دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، د. عبدالله بن صالح بن عبدالعزيز الغصن، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢٤هـ.

١٠- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط:١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١١- العلمانية الجزئية والشاملة، د. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق القاهرة، ط:١،٢٠٠٢م/ ط:٢،٢٠٠٥م.

١٢- الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٣- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. عثمان جمعة ضميرية، ابن عبدالكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط:٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٤- المفيد في مهمات التوحيد، الدكتور عبدالقادر بن محمد عطا صوفي، الناشر: دار الاعلام، ط:١، ١٤٢٢هـ/١٤٢٣هـ.

الهوامش

١- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. عثمان جمعة ضميرية، ابن عبدالكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط:٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص:٣١.

٢ - الإسلام ومكارم الأخلاق، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط:١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص:١٧.

٣- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط:١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص:٢٠٥.

٤ - فصل للقيم الإنسانية والأخلاقية والدينية عن الحياة في جانبيها العام والخاص، العلمانية الشاملة والجزئية، مجلد١، ص:٦.

٥ - العلمانية الجزئية والشاملة، د. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق القاهرة، ط:٢٠٠٢،١م/ ط:٢٠٠٥،٢م، ص: ١٨.

٦ - العلمانية الجزئية والشاملة، مرجع سابق، ص:٢١٨.

٧ - العلمانية الجزئية والشاملة، مرجع سابق، ص:٢٦.

٨ - العلمانية الجزئية والشاملة، ص:٢٨.

٩ - جامع البيان، ابن جرير الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص:٧٥.

١٠ - أخرجه البخاري: ٢٠٥١/٥٢، ومسلم: ١٥٩٩، وأبو داود: ٣٣٢٩، والترمذي: ١٢٠٥، والنسائي: ٢٤٢/٧.

١١ - إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، د. بدوي طبانة، ج٣، مكتبة ومطبعة «كرياطه فوترا» سماراغ، اندونيسيا، ص:٥٣.

١٢- الفوائد، ابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص:١٥٦.

١٣- جامع الرسائل، ابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، ط:١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص:٢٢٨.

١٤ - أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط:٩، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص:١٠٤.

١٥- توضيح مقاصد العقيدة الواسطية، عبدالرحمن بن ناصر البراك، دار التدمرية، ط:٣، ١٤٣٢هـ، ص:٢٣٤.

استطلاع علاء عبدالفتاح
كاتب وصحافي



أدرجته الإيسيسكو على قائمة التراث في العالم الإسلامي

قصر نايف قلعة تتميز بالبساطة على تل مرتفع



قصر نايف تحفة معمارية في قلب الكويت يتميز بالبساطة، وكأنه مجرد بيت كويتي أصيل وإن كانت مساحته أكبر وساحته أوسع.

والبشرى التي جاءتنا من الاجتماع العاشر للجنة التراث في العالم الإسلامي بالمقر الدائم لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، والذي عقد في الرباط بالمملكة المغربية أخيرا: أن القصر -وفقا لما صرح به ممثل الكويت ورئيس اللجنة د. وليد السيف لوكالة الأنباء الكويتية- تم إدراجه على قائمة التراث في العالم الإسلامي، وذلك لتاريخه السياسي والأمني والثقافي والتراثي والأثري والمعماري، الذي يمتد لما يزيد على قرن من الزمن.

«الوعي الإسلامي» زارت القصر في أوقات دوام موظفيه من (٨) صباحا إلى (٢) ظهرا، وهي زيارة كانت كفيلة برصد جمالياته، فالعلم الكويتي على الساري المنتصب في وسط الساحة يرفرف، ومدفعان على يسار بوابة الدخول، ثم أروقة تحيط بالساحة تنبثق منها الغرف الإدارية، غير أن ثمة عدة دكاكين للمهن الكويتية التقليدية بنيت على الطراز القديم في الضلع الأيسر للمكان.

موظفو الأمن ينبهونني إلى ضرورة استئذان المسؤول الإعلامي في المكان، وهو الباحث السياسي صالح السعيدي قبل أي كلام أو تصوير، والرجل يعرب للوعي الإسلامي عن حفاوة مصرحا بالتصوير ومشيرا إلى ضرورة استيفاء المعلومات من باحث في التراث، مؤكدا أن الغرض من القصر أساسا كان الذود عن الكويت ضد الأخطار الخارجية، قبل أن نترك الرجل لمهامه الصعبة في جهاز معالجة أوضاع غير محددي الجنسية الواقع بالقصر.

تواصلنا مع الباحث في التراث المخضرم د. عادل عبد المغني، وقمنا بزيارته في بيته بمنطقة الشامية، ولكن بعد أن قمنا بتصوير عشرات الصور بالقصر.

يقول د. العبد المغني للوعي الإسلامي: التصميم المعماري راعي



إنشاء غرفا فاقت (٢١٩) غرفة على طويل محيط القصر، استخدمت على مر الزمان منذ إنشائه عام: (١٩١٩م) وحتى الآن كإدارة للأمن العام، ثم كمقر لمحافظة العاصمة ولجهاز معالجة أوضاع غير محددي الجنسية.

لكن ما يميز قصر نايف شعبيا هو انطلاق مدفع الإفطار في شهر رمضان من ساحته وسط تجمع للصغار والكبار الذين يفطرون بداخله وسط أجواء الفرحة بالشهر القديم والعادات الأصيلة.

ويستطرد: كانت الكويت تواجه العديد من التهديدات الإقليمية واستخدم القصر لعدة أغراض منها كمديرية للأمن العام وطبعا في رمضان يفتح أبوابه لمدفع الإفطار، وفي وقت من الأوقات استخدم جزء من القصر كمكان لتنفيذ حكم الإعدام علنا.

ويضيف د. عبد المغني: يتصور الزوار أنهم سيشاهدون قصرا له قباب وثريات، لكن القصر بسيط وقيمته في بساطته التي ساعدت على استخدام بعض غرفه كمخازن للسلاح فقد كانت الاعتداءات كبيرة على الكويت المتحضرة بالمقارنة بمناطق أخرى حولها.

ويشير د. عبد المغني إلى أن التضاريس اختلفت مع مرور الزمان، فلم يعد يلحظ الزائر الارتفاع الذي بني عليه القصر.

فقصر نايف بدأ كمستودع للأسلحة والذخيرة والتي كانت لحروب الكويت بالماضي، وحفظت بداخله، وأصابها التلف والإهمال كما ورد في تقرير محاضر مجلس: (١٩٣٨م).

ولكن خصص في القصر بالثلاثينيات والأربعينيات جانبا كسجن للخارجين عن القانون في الغرف المظلمة التي بداخل القصر، وكذلك كملجأ للمعتوهين والمجانيين الذين يشكلون خطرا على المجتمع..!!

وفي الستينيات والسبعينيات نصبت في ساحته المشانق ليراها الجمهور وتتقلها الصحافة عند تنفيذ الأحكام القضائية على المجرمين..!

ويستطرد: البناء كان متهالك جدا وأبواب الغرف عادية جدا، وأرضية الساحة من التراب.. ولكن الحكومة الكويتية لم تصمت فتمم الترميم الجذري ووضعت أبواب حديثة الصنع وبناء مسلح من الخرسانة والحديد، وأصبح السطح عازلا، وظهر في شكل مختلف تماما عن الماضي..!

وقد وضع في الخمسينيات جهاز بث إرسال في إحدى الغرف القريبة من مبنى الأمن العام، فكانت بمثابة إذاعة صغيرة تغطي فقط مدينة الكويت القديمة، وكان البث مسائيا لساعات قليلة..!

أما مبنى الأمن العام فيجدر الإشارة إلى أنه كان بناء آخر غير مرتبط بالقصر مباشرة.

ويوضح د. عبد المغني بجانب البوابة الرئيسية للقصر في الخمسينيات وتحت الحائط كانت هناك أرائك (دجات) يجلس عليها الشيخ عبدالله الأحمد المسؤول عن الأمن.. عند تنفيذ العقوبة على شاربي الخمر وكذلك اللصوص.. وذلك بالتجحيش بالخيزرانة بعد بطحهم أرضا وأرجلهم إلى الأعلى..!!

جاسم الجاسم
كاتب وباحث



الصحة نعمة عظيمة

النعم التي أنعمها الله تعالى على عباده لا تعد ولا تحصى. ومن هذه النعم العظيمة نعمة الصحة، التي حرص الإسلام على الحفاظ عليها والاهتمام بها وتوضيح أشكال وطرق العناية بها. وربما لا يشعر بنعمة الصحة في الجسد إلا من فقدها، لذلك قيل: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى».

وكلما كان الإنسان معافى في بدنه سليما في جسده يتمتع بالصحة الجسمانية والعقلية والنفسية، فإن فائدته ستكون كبيرة لنفسه وأهله ومجتمعه ووطنه، فمن يملك الصحة في البدن يكون قادرا على أداء الأعمال الصالحة والقيام بالعبادات وفعل الخيرات وعمارة الأرض وتحقيق النهضة التي تنشدها الأمم والشعوب والحضارات. لذلك كان ديننا الإسلامي شديد الحرص على العناية في صحة الأبدان، وأن يتمتع المسلم بالصحة في الجسد ويحافظ على هذه النعمة من خلال اتباع مجموعة من الوسائل التي توفر له الصحة، سواء في النظام الغذائي أو النشاط الرياضي، أو في الطهارة والنظافة والوقاية من الإصابة بالأمراض، أو بالنهي عن تناول بعض المنكرات وما لا يفيد ولا ينفع من طعام وشراب. وكذلك دعا الإسلام في إطار المحافظة على الصحة إلى التطبب والبحث عن علاج للأمراض التي قد تصيب الإنسان وتعل الصحة، فما من داء إلا وله دواء.

وجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة العديد من الآيات والأحاديث التي تناولت موضوع الصحة وأهميتها وضرورة الحفاظ عليها وعدم إهمالها، أو تعريض الإنسان حياته للخطر، فهذه أمانة يجب العناية بها والحرص عليها حتى يقوم الإنسان بواجبه في العبادة وعمارة الأرض.

ومن الآيات التي جاءت في شأن المحافظة على صحة الإنسان قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة:١٩٥). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩).

ومن الآيات في شأن الاعتناء بالصحة والحرص على النظافة والتطهر، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢).

وكذلك من الآيات في شأن التوازن في الأكل والشرب، قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

أما الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين أهمية الصحة وتحض على الحفاظ عليها فهي كثيرة ومتعددة. من هذه الأحاديث ما رواه عبدالله ابن محصن وأبو الدرداء وعبدالله بن عمر رضى الله عنهم، قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». صحيح الجامع (٦٠٤٢).

وعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما. قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». صحيح البخاري (٦٤١٢).



سعيد حسن السعيد
كاتب وباحث

الرجوع في الهبة

إن الأصل جواز رجوع أي من الوالدين في الهبة لولده، بأن يسترد هبته من ولده جبرا عنه وبلا مقابل، سواء استند الواهب إلى عذر يجيز له الرجوع أو لم يستند إلى أي عذر، أما غير الوالدين فلا يجوز لهما الرجوع في الهبة إلا بتوافر قيدين:

الأول: أن يستند رجوع الواهب إلى عذر مقبول كجحود الموهوب له للواهب.

والقيد الثاني: أن يصدر إذن من القضاء بهذا الرجوع.

وعلى ذلك فإن رجوع الأبوين لولدهما في الهبة هو حق أصيل قرره القانون صراحة بنص المادة: (١/٥٣٧) من القانون المدني الكويتي: «لا يجوز للواهب الرجوع في هبته إلا الأبوين فيما وهباه لوالدهما».

وكما أن الأصل على النحو المتقدم، فالأصل أيضًا عدم الرجوع في الهبة من غير الوالدين إلا في الحالات التي نص عليها القانون.

فتنص المادة: (٢/٥٣٧) من القانون المدني الكويتي، ومع ذلك يجوز في غير هذه الحالة الرجوع في الهبة بترخيص من القضاء إذا استند الواهب في ذلك إلى عذر مقبول.

وكان من الأعذار المقبولة ما أوردته المادة: (٥٣٨) من القانون المدني الكويتي على النحو التالي: يعتبر على وجه الخصوص عذرًا مقبولًا للرجوع في الهبة:

أ- أن يخل الموهوب له بما يجب عليه نحو الواهب إخلالا يعتبر جحودا كبيرا من جانبه.

ب- أن يصبح الواهب عاجزا عن أن يوفر لنفسه أسباب المعيشة بما يتفق مع مكانته الاجتماعية، وأن يصبح غير قادر على الوفاء بما يفرضه عليه القانون من النفقة على الغير.

ج- أن يرزق الواهب بعد الهبة ولدا يظل حيا إلى وقت الرجوع.

وحاصل ما ذكر: أن من الأعذار المبررة للرجوع في الهبة عجز الواهب عن توفير أسباب المعيشة لنفسه ولأسرته بما يتفق مع مكانته الاجتماعية، وازدياد مولود للواهب بعد الهبة، وجحود الموهوب له نحو الواهب أو أحد أقاربه بشكل عذرا يبرر الرجوع في الهبة.

وقد يكون هذا الجحود بإيذاء الواهب أو الاعتداء على حياته أو حياة قريب له أو سبه أو قذفه أو الاعتداء على ماله أو المس بعرضه وشرفه، ولا يشترط أن يكون الاعتداء أو الجحود جريمة يعاقب عليها القانون، كما أن قاضي الموضوع هو الذي يقرر ما إذا كان ذلك الفعل الصادر من الموهوب له يشكل جحودا يبرر رجوع الواهب في هبته، وبالرغم من تعداد المادة المذكورة لهذه الأعذار إلا أنها لا تعدو أن تكون على سبيل الحصر، وإنما خصت بالذكر لأنها هي الأعذار الغالبة التي تبرر الرجوع في الهبة، وذلك لا يمنع من أن تقوم أعذار أخرى تجعل الرجوع مبررا.

إن الأصل عدم الرجوع في الهبة إلا للأبوين فيما وهباه لولدهما واستثناء من هذا الأصل بقيدين:

القيد الأول: أن يستند الواهب في الرجوع إلى عذر مقبول، ويعتبر على وجه الخصوص عذرا مقبولا، ومن الأعذار المقبولة ما وردت بالمادة: (٥٣٨) المار بيانها.

القيد الثاني: أن يصدر إذن من القضاء بالرجوع، حتى يكون القضاء رقيبا على الواهب في ذلك يجيبه إلى طلب الرجوع إذا رأى أن العذر في الرجوع عذر مقبول، ويرفض طلبه إذا لم ير قبول العذر أو تبين وجود مانع من موانع الرجوع.

إن من موانع الرجوع في الهبة التي وردت بالقيد الثاني ما جاءت به المادة: (٥٣٩)، ومنها: إذا كانت الهبة من أحد الزوجين للآخر ما دامت الزوجية قائمة، أو إذا مات الواهب أو الموهوب له، أو إذا كانت الهبة لغرض خيري كإنشاء مسجد.

د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد



من العلماء الأدباء

د. محمد كامل حسين والجمع بين دقة العلم وصفاء الأدب

يعد كامل حسين أحد الرموز العربية الذين جمعوا بين الثقافتين العلمية والأدبية، مع امتلاك لناصية اللغة العربية؛ إذ إنه كان يحسن التعبير بها عن أعوص المسائل العلمية من أقصر طريق، وبأقل مؤنة، من خلال لغة سلسة رقراقة، وأسلوب عربي مبين، يوظفه لشرح الحقائق العلمية بأناة وصبر، وجدة وابتكار، وكان يبسط أفكاره التي يريد أن يقدمها في شكل أدبي مستساغ، لا يشعر معه المتلقي بوطأة النظريات العلمية المعقدة، وثقل حقائق العلم المجردة، ومما أهله للقيام بهذا العبء جمعه بين أزواج الثقافات -العربية والأجنبية، الأدبية والعلمية، الإبداعية والنقدية- جمعا حقيقيا، ساعده على أن أخرج لجماهير القراء ما جعله عالما فذا مبدعا، وأديبا رفيعا راقيا تقصر دونه الهمم.

سيرة ومسيرة

ولد د. محمد كامل حسين سنة ١٩٠١م، وتخرج في كلية الطب، ثم سافر في بعثة دراسية إلى إنجلترا ١٩٢٥م، وأمضى فيها خمس سنوات حصل خلالها على ألقاب علمية ممتازة، منها زمالة الجراحين الملكية، وماجستير جراحة العظام، ولم يحل البعد عن الوطن بينه وبين مراسلة بعض الصحف المصرية طوال مدة غيابه «فكان يكتب وقد

تخرج لتوه من مدرسة الطب في السياسة سنة ١٩٢٣م، فلما سافر لم تحل البعثة بينه وبين الكتابة، فكان يراسل السياسة الأسبوعية تحت اسم: ابن سينا»[١].

ولما عاد إلى مصر سنة ١٩٣٠م عين مدرسا بكلية الطب بجامعة القاهرة، فأستاذا مساعدا، ثم أستاذا لجراحة العظام، ثم كان أول مدير لجامعة إبراهيم (عين شمس الآن) عند إنشائها سنة ١٩٥٠م.

نشاطاته العلمية

كان الدكتور كامل حسين طبيبا، أديبا، عالما، له نشاط متعدد النواحي فكان عضوا في عدد كبير من الهيئات العلمية منها: المعهد العلمي المصري، ومجمع الجراحة بباريس، وعضو مراسل في الجمعية البريطانية لجراحة العظام، وانتخب عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٥٢م، واختير مع د. طه حسين لعضوية اللجنة العليا للإشراف على المعاجم، التي تصدرها وزارة الثقافة... وظل كامل حسين عضوا بمجلس جامعة عين شمس حتى وفاته، يشارك بآرائه السديدة في صنع أجيال الجامعيين، واختير في ٣٠ مايو سنة ١٩٧٠م عضوا بمجلس جامعة الأزهر، فكان لها من وجهات نظره الثاقب حظ كبير[٢].

مؤلفاته

- قرية ظالمة، وقد نال عنها جائزة الدولة في الأدب سنة ١٩٥٧م.
- متنوعات (جزآن).
- التفسير البيولوجي للتاريخ.
- وحدة المعرفة.
- النحو المعقول.
- الشعر المعرَّب والذوق المعاصر.

وقد منح جائزة الدولة في العلوم؛ فكان أول من منح جوائز الدولة في كل من الآداب والعلوم[٣].

ولبى نداء ربه سنة ١٩٧٧م، رحمه الله تعالى، وأبقى ذكره في الخالدين، جزاء ما قدم من علم نفع به أبناء أمته.

أسلوبه العلمي المتأدب

قال عنه أحد الباحثين مشيرا إلى نبوغه في الثقافتين العلمية والأدبية: «يعد الدكتور محمد كامل حسين نموذجا فريدا في حياتنا الثقافية المعاصرة؛ إذ جمع بين النبوغ العلمي والنبوغ الأدبي، وحاز التقدير في الميدانين؛ فحصل على جائزة الدولة التقديرية مرتين: مرة في العلوم، ومرة في الآداب... وكامل حسين يذكرنا بمفكري عصر التنوير في أوروبا، الذين يجمعون بين الثقافة العلمية والثقافة الأدبية»[٤].

ومن كلام د. حسين فوزي عن كامل حسين وغيرته على لغتنا الخالدة «يعنيه أن تكون لغتنا دقيقة في غير تعقيد، واضحة في غير ابتذال، متفقة وأساليب التفكير الحديث»[٥].

ويصف لغته العلمية المتأدبة فيقول: «والحق أنك لا تفاضل بين أسلوب كامل حسين الأدبي، والفلسفي، والقصصي، وبين لغته العلمية، فهذه أدب في بيانها، علم في شفافيتها، ووضوحها، ودقتها»[٦].

ويثني د. إبراهيم مدكور على سعة اطلاعه وثقافته قائلا: «قل أن تجد من يقبل على القراءة إقباله، ومن يحب القراءة حبه»[٧].

وقال عنه د. محمد عوض محمد مشيدا بحيازته للعلم والأدب والقيام بهما على الوجه الأكمل: «قد أثبت أن العلم والأدب صنوان، وأنك لكي تكون عالما محققا وباحثا عظيما... يجب أن تكون أديبا، وأن تكون ملما باللغة خير إلمام»[٨].

وعن كتاب متنوعات –والموضوعات التي وردت فيه– تقول مجلة الثقافة في باب نقد: «وكلها ظل لصاحبه إذ مزج العلم بالأدب والأدب بالعلم»[٩].

سمات المقال العلمي المتأدب لدى كامل حسين

احتوى المقال لدى د. محمد كامل حسين على سمات عديدة ازدحمت بها مقالاته، غير أن المجال يضيق عن سردها جميعا، ولذا فقد اقتصرت على بعضها تمشيا مع طبيعة المقال الذي نحن بصدده، وقد انتخبت منها على سبيل المثال لا الحصر:

التنوع في الأساليب التعبيرية

يحفل المقال العلمي المتأدب لدى كامل حسين بتنوع القوالب التعبيرية، واختلاف ألوان الأساليب الفنية، التي قد تتداخل لديه حين يجتمع عليه أكثر من باعث أو مثير؛ يجعله يلون مقاله بأكثر من أسلوب؛ بحيث يمزج في المقال الواحد بين أكثر من لون تعبيري، كأن يجمع بين الأسلوب الوصفي والقصصي والحواري، كهذا اللقاء الذي استهل

به مقال: البحث العلمي: «كنت أزور معهدا من معاهد السرطان الكبرى، ووقفت وقفة طويلة في معمل تربية الخلايا، وكان من أكبر معامله، أنفق عليه من المال ما يبلغ حد التبذير، وجهز بكل معدات البحث على نحو يراه بعض الناس إسرافا وترفا، وكان مديره عالما من أذكى العلماء وأقدرهم، ومساعدوه على أكبر قسط من العلم والخبرة، وكان العمل كله منظما دقيقا منسقا على خير ما تعرف من مناهج البحث العلمي، وشرح لي هذا العالم اتجاهات بحوثهم، وعرض علي ما وصلوا إليه من نتائج وكان العرض مدهشا، فأبديت له غاية الإعجاب بهذا العمل الرائع، وخطر لي وأنا أتحدث إليه أن أبدي له -رغم إعجابي التام بهذه البحوث ومنهجها- أني أشك كثيرا في أن تكون هذه طريق الوصول إلى معرفة سر السرطان، وقلت له: إن هذا السر سينزل على الناس كما نزل سر التقيح على باستور، وتماديت فقلت: إن باستور لو اتبع طرق البحث المنظمة فتناول الصديد بالتحليل الكيميائي والفيزيائي والكهربائي، ولو تجمع لديه كل ما يمكن أن يعرف من حقائق عن التقيح، ما أتاح له ذلك وحده أن يعرف سر هذا الأمر، ولو لم ينزل عليه الوحي العلمي بذلك ما بلغ النجاح الذي بلغه، وكان خليقا بمحدثي أن يغضب لهذه الملاحظة، فهي قاسية غير كريمة ومثبطة، وتكاد تكون احتقارا لعمله كله الذي وقف عليه حياته، ولكنه لم يغضب بل قال لي في هدوء تام: هذا صحيح وسينزل سر السرطان على الناس وحيا من السماء، ولكنه حين ينزل سينزل في أغلب الظن على معمل من معامل الخلايا»[١٠].

وبعد سرد هذا الموقف القصصي، وتدبر الحوار الناتج عنه، ينطلق الكاتب إلى موضوعه؛ إذ يقر بأن القيمة العظمى والتصور الحق لمعامل البحوث، يجب أن يستقر في الأذهان على أنها ليست أمكنة تكشف الحقائق، بل على أنها أمكنة لتلقي الوحي العلمي، وتبين له أن البحث العلمي في أرقى مظاهره يقوم على صفات خلقية وروحية ونفسية، لا تقل أهمية عن الصفات العقلية اللازمة له، ثم يستطرد الكاتب مع أفكار مقاله منسقا لها، ومرتبا جزئياتها؛ حتى يصل إلى غايته في خاتمة المقال وقد تجلت النظرية التي يؤمن بها خير جلاء.

توظيف أسلوب التفضيل

من سمات التراكيب في المقال العلمي لدى كامل حسين استخدام أسلوب التفضيل وقتما تتأتى مناسبته؛ وذلك في بعض المسائل التي تحتاج إلى مقارنة ومفاضلة، أو حين يتعرض الكاتب لعدة أوصاف من خلالها تتمايز بعض المكونات - أو العناصر - عن بعض، ومن ذلك ما جاء في مقال أقدم كتاب في الجراحة حينما وصف حالات إصابات جراحية، شخصها وعالجها طبيب فرعوني قديم، واتبع لتحقيق ذلك طريقة واضحة المعالم، لا لبس فيها ولا إبهام، ثم أكد ذلك بقوله: «وقد توخى أن يتدرج من الإصابات البسيطة السطحية الأقل خطرا، إلى إصابات أعمق غورا، وأشد تعقيدا، وأعظم خطرا؛ مما يدل على أن طبيبنا المصري القديم قد اختص بموهبة فذة، مكنته من إجادة التصميم وإحكامه»[١١].

توظيف الإيقاع

يغص المقال لدى كامل حسين بالنغم المتنوع، والإيقاع المتدفق للموسيقا الداخلية فضلا عن الموسيقا الخارجية التي تفيض بها المحسنات البديعية التي لها دور مهم في منح المقال جرسا بديعا؛ بما تحدثه من انسجام وموسيقا رقيقة تجذب القارئ، وتحضه على مطالعة المقال في شغف، وتجعل ذهنه متوقدا، ونفسه متأثرة، مع مراعاة أن تتساقط أنواعها على صفحة المقال تساقط الطل الذي ينعش ويبهج، وليس انهمار السيل الذي يغرق ويهلك.

وقد ارتكز الإيقاع لدى كامل حسين على عدة مكونات منها السجع، ومنه على سبيل المثال، ما جاء حين تحدث عن البحث العلمي وخواصه، والعوامل الضرورية لنجاحه ثم عقب قائلا: «ولكنه فوق كل ذلك يقوم على تقاليد تورث، وروح تبث»[١٢].

ومن مكونات الإيقاع التي وظفها في مقالاته المقابلة، ومنها على سبيل المثال: «وليس من السهل المفاضلة بين الفروض العلمية؛ لنعرف العقيم الفارغ منها، والخصب المفيد، فقد يكون كلاهما خطأ»[١٣].

التأثر بالنص القرآني

قلما يوجد كاتب أو أديب إلا اقتبس من ضياء الكتاب الكريم -من حكمه الخالدة ومن معانيه البديعة الرائعة- ما يوشي به كلامه، ويزين

مقاله، ولم يكن كامل حسين بمنأى عن هذا النبع الفياض، والمنهل العذب؛ فقد تأثر به أيما تأثر، وقد بدا هذا جليا في مقالاته، فمن صور الاقتباس القرآني أن تُستلهم الآية بمعناها؛ حيث يورد الكاتب المعنى من القرآن الكريم، دون النص عليه بصيغته، ويوظفه في مكانه المناسب من النص المقالي دون الإشارة إلى أنه من الكتاب الشريف؛ بيد أن الاستعانة بالمعنى القرآني لا تخفى على المتفحص، ومن هذا القبيل ما جاء في مقال اللغة والعلوم: «لن يُسمى الأيدروجين أصل الماء وإنما يسمى مهلك الحرث والنسل، أو مبيد الأمم»[١٤].

ولا يخفى التأثر بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ (البقرة:٢٠٥).

الاستعانة بأمثلة توضيحية

ويكون ذلك حين يعمد الكاتب إلى تبسيط المادة العلمية التي يطرقها المقال، بضرب أمثلة توضيحية –لما يذهب إليه من مسائل ومحاور– تدني ما قد يكون نائيا، وتيسر ما يخال أنه عسير، وبذلك يستطيع القارئ أن يجد في المقال ما ينفعه، ويطربه؛ فيقبل على استجلائه في ود واطمئنان.

وتتنوع مقاصد تلك الأمثلة، فقد تأتي للإيضاح والتبسيط إن كانت الظاهرة المطروقة عصية على الفهم، أو مستحدثة، تحتاج إلى مزيد إيضاح وإفهام، ومن ذلك ما لجأ إليه د. محمد كامل حسين في مقاله «اللغة والعلوم»، حين تحدث عن أهل اللغة، وقتما يقترحون كلمة جميلة رائعة لمعنى لطيف، ثم يجدون أن أهل العلم يتلقونها بشيء من الفتور، وذلك أنها على روعتها، ورشاقتها، لا تصلح لما يريده منها أهل العلم ثم يبسط ذلك بمثال: «مثل ذلك؛ مثل الذي يقدم للجراح منشارا من ذهب، ومشرطا من الفضة المرصعة، ومطرقة من البلاتين، أو كمثل الذي قدم لك قطعة من أفخر الحرير، أو ثوب سهرة؛ لتسديد نافذة، وليس عجبا أن تفضل عليها قطعة من الزجاج البسيط الرخيص»[١٥].

التنوع في الخاتمة

تعد خاتمة المقال بمنزلة الرسالة الأخيرة التي يمررها الكاتب على عقل وشعور القارئ –إيذانا بأن رحلته عبر منازل المقال، وتجوله بين تفاصيله وعناصره على وشك الانتهاء– ومن ثم فإن لها أثرا يبقى، ومذاقا يمتد بعد أن يفرغ القارئ من مطالعة المقال بكل دقائقه.

وللخاتمة في مقال كامل حسين طرائق وأشكال متعددة، فمنها الخاتمة التساؤلية، ومنها الخاتمة التي ترد على شكل استشراف مستقبلي، وقد يجمع بينهما –التساؤل والاستشراف– ومن ذلك ما ورد في مقال حول وحدة المعرفة إذ ختمه قائلا: «أليس خيرا من ذلك أن ندع كتاب «وحدة المعرفة» ومؤلفه... وأن يتفضل أحد مفكرينا، فيبدي لنا رأيا أصيلا في المعرفة، وهل يمكن توحيدها؟ وهل يكون عن طريق النسبية كما فعل إلكسندر؟ أم عن طريق الذرة والإلكترونات؛ كما حاولت أن أفعل؟ أم عن طريق ثالثة يكشفها لنا؟ ويكون له في الأمة جمعاء خير الثناء»[١٦].

الهوامش

١ – د. محمد كامل حسين.. عالما ومفكرا وأديبا: د. محمد الجوادي، ص:٢٠٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٤م.

٢ – السابق: ص:٤٤–٤٥.

٣ – ينظر: المجمعيون في خمسين عاما، د. محمد مهدي علام، ص:٣٠٨–٣٠٩. وكذا: تكملة معجم المؤلفين، وَفيات (١٣٩٧/١٤١٥هـ – ١٩٧٧/١٩٩٥م): محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، ج١، ص:٥٤٠.

٤ – الدكتور محمد كامل حسين.. ابن سينا القرن العشرين: نسيم مجلي، ص:١١، دار كتب عربية.

٥ – الدكتور محمد كامل حسين.. عالما ومفكرا وأديبا: د. محمد الجوادي، المقدمة بقلم: د. حسين فوزي، ص:١٥.

٦ – السابق، ص:١٦.

٧ – السابق، ص:٣٠.

٨ – د. محمد كامل حسين.. عالما ومفكرا وأديبا: د. محمد الجوادي، ص:٣٤.

٩ – مقال: نقد كتاب متنوعات للدكتور محمد كامل حسين بك، ص:٢٦، الثقافة، العدد رقم ٦٧٩، ٣١ ديسمبر١٩٥١م.

١٠ – متنوعات، مقال: البحث العلمي: د. محمد كامل حسين، الجزء الثاني، ص:١٣٨–١٣٩، مطبعة مصر.

١١ – مقال: أقدم كتاب في الجراحة: د. محمد كامل حسين، ص:١١١٦، مجلة الهلال، عدد٧، ١ يوليو ١٩٧٤م.

١٢ – متنوعات، مقال: البحث العلمي: د. محمد كامل حسين، الجزء الثاني، ص:١٤١، مطبعة مصر.

١٣ – السابق، ص:١٤٨.

١٤ – متنوعات، مقال: اللغة والعلوم، ص:١٣٥.

١٥ – متنوعات، مقال: اللغة والعلوم: د. محمد كامل حسين، الجزء الثاني، ص:١٣٤، مطبعة مصر.

١٦ – مقال: حول وحدة المعرفة، د. محمد كامل حسين، ص:٥٠، المجلة،١ يناير ١٩٦٣م.

محمد محمد السنباطي
كاتب وشاعر



تأملات في الناس والحياة

هي ذي الحياة، وشابها جور عتا، وتشابها
لبس الحرام رؤى الحلال، فهل خبرت ذئابها؟!
ويقال: إن الفوز ينسج للعلا أثوابها
فإذا ظفرت فإنها كأس فعب شرابها
ويل الضعيف إذا رأى ظفر الحياة ونابها
عين العدالة أغمضت والليل أغلق بابها
ومشى اللئيم يوزع الصدقات أو ما شابها
متبخترا، وكأنما الدنيا دنت فأصابها
هو سارق الدرر الثمينة قاتلا أصحابها
فانظر إليه تر السماحة أسبلت أهدابها
والطيبة القعساء ألقت عنده أسبابها
وتر المكارم حوله قد نظمت أسرابها
يلقي الفتات لمعوز ويقول: رب ثوابها!
هي ذي الحياة وكم إذاقت عاشقيها صابها
عسلا شهيا أو زعافا أترعت أكوابها
وتقدموا يترشفون وقدمت أنخابها
والقوم في سكراتهم يستحلبون لعابها
حتى إذا ظنوا حقائقها تلف سرابها
وتمكن الظمأ المميت من القلوب ورابها
تستضحك الدنيا وتكشف للعيون كتابها
فكأنما هي جملة لم يفقهوا إعرابها





حسن متولي عبيد
كاتب وشاعر

من الهدي النبوي

شرف المقام عن البيان معوق ... كيف السبيل إذا استهام مشوق
إن لاذ بالصمت المحبون انبرت ... أشواقهم تجتاحهم تتدفق
أو أفصحوا عجزوا عن الوصف الذي ... يشفيهمو مهما أجادوا نمقوا
فهمو حيارى بين إفصاح على ... خجل وصمت بالصبابة يخنق
عذرا أبا الزهراء إن كان الذي ... أرجو من النعماء لا يتحقق
إلا بما لي من صفاء مودة ... وبما حباه على القصور تعلق
كيف الحصاة تطال في صحرائها ... شرف النجوم بأفقها تتألق
بل كيف تصبو في الغدير جنادل ... للبحر يبتلع القلاع ويغرق
لكنها الأشواق ليست ترعوي ... والحب يكفي إن تعثر منطق
ميلاد أحمد أم مخاض ولادة الـ ... إحسان في أبهى المعاني يخلق
عفت المكارم بعد طول جفائها ... تبلى المكارم كالثياب وتخلق
فأعدت فيها الروح بعد سباتها ... وهفا بها صوب الحياة تشوق
ورفعت للتوحيد سامق راية ... فغدت بآفاق الوضاءة تخفق
ونزعت خوف الحائرين بنعمة الـ ... إيمان قر مسهد ومؤرق
وأضأت سبل السالكين إلى العلا ... درست بشرك ثم عادت تطرق
وجمعت أعراب الفلاة فأصبحوا ... قمم الأنام بهم أضاء المشرق
وترفقت أكبادهم فتفطرت ... أسفا على سفه به قد أغرقوا
وتوزعوا في الناس رسل هداية ... للحق في ظلم الجهالة تشرق
وغدوت للأخلاق خير مثالها ... سعد الذين بما سننت تخلقوا
آثرت عيش البائسين زهادة ... لو شئت نلت به الأطايب تغدق
وضممت أفذاذ الرجال بساحة ... فغدت بأنفاس الأزاهر تعبق
سلمان والفاروق خير أخوة ... وبلال والصديق غصن مونق
من لي بمن في النازلات فوارس ... وإذا ادلهم الخطب نار تحرق
وإذا أناخ الليل في ساحاتهم ... غمر العيون من الخشوع ترقرق
فانظر أبا الزهراء ذي أوطاننا ... أزرى بها بعد الوداد تفرق
من بعد ما عاشوا قرونا سادة ... أمسى غراب البين فيها ينعق
أمم تداعت حول أضيع قصعة ... تربو على المليار وهي تشدق
ميلاد أحمد قد أهاج لواعجا ... نكأ الجراح فلم تزل تتفتق
مولاي إن تكن الشكاية أسرفت ... فالجيد منك بما سننت مطوق
فجزاك رب العرش كوثرك الذي ... دفع الظماء إليه يوم محرق
وسقى الغمام ربوع أحمد بكرة ... وكذا الأصيل فنبتها متأنق
ميلاد خير الرسل خير تحية ... من طيب غرسك بالأباطح يورق
قد غادر الصدر الفؤاد إذ انبرت ... تسري إليك على الهيام الأينق
فالحب ميثاق وأوجب ذمة ... قد عز بعدك من يحب ويصدق



محمد ثابت توفيق
قاص وناقد مصري

الماكينة القديمة

التهم الحريق منزله وعددا من المنازل المجاورة، ولم يكن هذا سر خوفه الذي يحاول التمادى والسيطرة على نفسه بحرصه على الإكثار من الاستغفار وذكر الله، ترك الأمر لله في النهاية، ورفض العودة للحي بل المدينة، لأنه غير قادر على توجيه بصره نحو المصنع، يقع الأخير قريبا من المنزل، ولو أن الحريق طاله -لا قدر الله- لضاع رأس ماله كله؛ وضع خلاصة عمره وكفاحه في المصنع، ومن أرباحه وريعه بنى المنزل واقتنى السيارة، يحمد الله على نجاته وأسرته وسلامة الجيران والعمال من النيران التي كادت تلتهم الحي؛ ولكن نفسا له حساسة ما تزال تؤثر الابتعاد به حينما تزداد الصعوبات، خاصة بالعمل، وبقدر الله كان وقت الحريق عائدا بأسرته من العمرة، ففضل الاتجاه للقرية التي ولد فيها.

- أحمد الله ألا خسائر بشرية يا أبي، فهي لا تقدر بمال، ولكنني أخشى أن تكون النيران المستمرة بعض الشيء حتى الآن قد ذهبت حتى بالمصنع!

نظر إلى السماء وزرقتها التي ظهرت لعينيه صافية رغم برودة الشتاء واحتمالية هبوب الرياح والأمطار، وقال في يقين:

- يا بني لو استغفرنا الله جميعا وحمدناه من قلوبنا، فلن يضيعنا بإذنه تعالى.

ذهب لصلاة العصر في المسجد، وقف في الصف الأول، فوجيء بنفسه في التشهد الأخير يدخل في موجة بكاء، حاول مداراتها في البداية بهدوء فلم يفلح، سلم الإمام، أخذ الجميع يتمتون في سرهم يسبحون ويحمدون ويكبرون الله بشفاه وجلة، ثم ارتفعت الأيادي بالدعاء خلف الإمام سرا في البداية، ثم قال الرجل في صوت خافت سمعه الجميع بالكاد:

- اللهم نسألك من كل خير سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، ونعوذ بك من كل شر استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، اللهم الطف بكل مكروب لا يجد إلا أن يمد يديه طالبا العون والأمان منك وحدك سبحانك!

حاول تمالك نفسه بالكاد، استطاع بعد حين أن يتبين يد أكبر أبنائه الممسكة بمناديل ورقية بدت لعينيه كثيرة، رفع يديه عن وجهه أخيرا فقال الإمام في حزم لبقية المصلين:

- تفضلوا في أمان الله وحفظه وتوفيقه.

ذهب رفاق المسجد وهم يودون البقاء مع «أبي راشد» أكثر.

اقترب الإمام قائلا في حنان:

– نحن لسنا غرباء عن بعضنا، إننا رفاق رحلة حياة واحدة من المدرسة الأولية حتى الجامعة، تشابهت خطواتنا وإن اختلفت دراستينا، يحزنني أن أراك متأثرا تغلق هاتف العمل، ولكم وددنا قربك من قبل، ولكنك اليوم لا تريد من واحد منا ونحن أهل وأقارب مجرد الذهاب نيابة عنك لتفقد مصنعك أو حتى الاتصال بأحد ليفعل.

يا أخي الفاضل، لطالما تحاببنا! ولطالما أجرى الله الخير على يديك للفقراء والمعدمين هنا وهناك! أرجوك دعنا نفهم ما يحدث لكي نتجاوز الموقف.

انهمرت دموعه أكثر، عاودته موجة البكاء مجددا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله!

- أحمد الله تعالى يا أخي «أبا إبراهيم» أن لا خسائر في أرواح الأهل أو العمال، فضلا عن الجيران.. ولكني.. ولكني..

أخذ الابن «راشد» بيد أبيه مقدرا رحلة كفاح طويلة تجاوزت الأربعين عاما، وأسفرت عن ملكية المصنع ومنزل، ذهب الحريق بالأخير، تبقت السيارة والمصنع، سحب والده من قبل مدخراته لبناء طابقين جديدين بالأخير، ليزدهر إنتاجه من الملابس الجاهزة، ومن قبل هذا يعين المزيد من أبناء القرية والمدينة المحتاجين للعمل.

صاح الإمام في تصميم:

- يا «أبا راشد» بعد صلاة المغرب سنتصرف، ولو أعددنا للذهاب للمدينة سويا.. كفاك قلقا اليوم!

في طريق العودة لبيت العائلة جاء اتصال من مديرة المصنع على محموله الخاص، فنظر في قلق، لكنه عاود

الاستغفار.
ـ هل أرد يا أبي؟
ـ بل إنني من سيفعل.
حرصت «السيدة أمينة» التي تكبره سنا على عدم الاتصال أمس، خاصة أنها تركت العمل في المصنع كمديرة له منذ نحو شهرين، رغم تمسكه بها، صممت على زيارة ابنها المبتعث، والبقاء إلى جواره لفترة رفضت تحديدها، حزن من موقفها، فبصلاحها ومجهوداتها ازدهر العمل ونما، حتى وصل لما كان عليه الإنتاج حتى أمس، حتى صار المصنع أحد أبرز مصانع الدولة إنتاجا، أعطاها مستحقاتها كاملة، بل زاد عليها ورفض خصم شيء منها، قالت وهي تغادر المكان:
ـ لئن أحياني الله وعدت للبلاد لأعودن ولو عاملة في المصنع من جديد!
فلماذا تتصل إذن من نفس رقم الهاتف الذي صممت على تركه له بعد أن أرسلت منه رسالة أمس أكدت فيها أنها آسفة، لأنها لم تكن موجودة في هذا الوقت الصعب، ولولا أن ابنها يحتاجها بشدة لما غادرت البلاد أو تركت المصنع الذي قضت أغلب وقتها منذ وعت الحياة بين جنباتها بداية من عاملة نظافة، أيكون لديها أمر مهم وصل إليها في الدولة الأجنبية ولم يصله:
ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. يا حاج أعرف أن لا خبر لديك، هاتفت زوجتك وصديقتي «أم راشد» أمس مساء بتوقيت هنا فأبلغتني، لكننا الآن بوقت الفجر كما تدري لدينا، في منامي الليلة سمعت صوتا يقول لي: «أخبري الحاج أنه بلطف الله ولأسباب عديدة منها خبيئة «ماكينة أم دعاء» حفظ الله له المصنع، وأن الجميع متعجب من عدم اهتمامه بأنه لم يمس»!
ـ هل انتهى المنام عند ذلك؟
ـ نعم يا حاج!
ـ الحمد لله تعالى.
ما «قصة ماكينة أم دعاء» يا أبي؟
ـ افتح الهاتف الجوال الخاص بالمصنع ورد على العمال؛ واكتب على مجموعة التواصل الاجتماعية الخاصة بنا على لساني أن زيادة في الراتب للجميع، أقررتها حمدا لله على سلامة أهل المكان جميعا، ودعني لا تحدثني الآن.
نعم هنا عند المسجد قف بالسيارة، سأنزل لقضاء بقية اليوم حتى صلاة العشاء فيه.
جاءته الذكريات متدفقة... متحدثة عن نفسها بلسانه بعد أن قرأ ورده من القرآن الكريم.
قرب مصنعه المحدود قديما اشتهر خياط في محل ضيق بماكينة متواضعة مع إمكانياته الخاصة غير المحدودة، زاد من شهرته أنه على هرمه وكبر سنه الشديد لم يكن يحدد سعرا لما يقوم به من جهد شديد أحيانا، يقول في سرور لكل مرتاد محله:
ـ ما أقدرك الله عليه من مال ضعه في يدي واذهب، وإنني مسامحك في الباقي حتى لو أن لي لديك باقيا.
بعد حين توفى الله الرجل، حرصت كجار على الذهاب إلى بيته للعزاء، واستحييت أن أضع مالا في يد زوجته وبناته الثلاث، ومضيت حزينا على مصدر دخلهم وعلى عدم استطاعتي تقديم العون، لكن بعد أيام جاءتني زوجته بحيائها رغم فقرها الظاهر قالت في صبر:
ـ تعرف ما حل بنا يا حاج؟!
ـ أعانكم الله تعالى.
ـ لكنني لا أريد شيئا منك سوى تأجير ماكينة خياطة «أبي دعاء» مقابل أجر شهري ثابت نتفق عليه الآن.
ـ بها ونعمى.. قبلت عرضك الكريم!
ـ تمام أريد عاملا أو عاملة يذهب معي لأخذ الماكينة، لأننا سنسلم الدكان لصاحبه الآن.
ـ لكننا لم نحدد قيمة الإيجار الشهري؟
ـ أعتقد أنك يجب أن ترى الماكينة أولا يا حاج.
ـ إنني رجل عند كلمتي أكره أن أخالفها، وقد اتفقنا منذ قليل على تحديد سعر الإيجار الآن في هذه الجلسة وليس بعد، ولن أقبل بغير هذا.
ـ معك حق أوجر لك الماكينة بثلاثة آلاف من عملة بلدنا.
ـ وإنني لموافق.
ـ هذا الإيجار يسري مدى حياتي وحتى زواج صغرى بناتي الثلاث ولو بعد وفاتي إن قدر الله لي الممات قبل زواجها.
وإنني لموافق. فهل نكتب عقدا على إيجار الماكينة يا «أم دعاء» لترتاح نفسك أكثر؟
ـ لست متعبة يا حاج، فالله الذي خلقني وشاء لي بالوجود ثم الزواج بالرجل الطيب الذي عاش قاضيا لحاجات الناس «أبي دعاء»، وإن لم يبق قرش في بيته عند وفاته قادر على إذهاب قلقي وخوفي.
كنت أفكر وقتها في «خبيئة» لا يعلمها إلا الله وصاحب الشأن فيها، فما كنت أخرجه من مال وقتها يعلم به إمام المسجد أو مدير الجمعية الخيرية أو.. أو... لكن «ماكينة أم دعاء» صاحبتها ستكون أحرص مني على عدم إفشاء سرها.
أخذت الماكينة بنفسي لـ«السيدة أمينة»، وقد كانت وما تزال امرأة صالحة، ولمهارتها واستقامتها عينت مديرة للمصنع حديثا فقالت:
ـ إنها من النوع البالغ القدم يا حاج ولا حاجة لنا بها، والمكان الذي ستشغله من المصنع نحن أولى به!
ـ تمام هذا رأيك الفني ولكن لي رأي آخر.. أريدها في مكتبي لأراها كل يوم.
وبالفعل كنت أذهب لمنزل «أم دعاء» لأعطيها الإيجار، فتسألني عن الماكينة قبلها، فأقول في ثبات:
ـ بحالة جيدة.
ظللت قرابة عشرين عاما على هذا الحال حتى تركت السيدة بناتها البلدة كلها، وفشلت في العثور عليها، تعودت أن لا أتخلف عن دفع الإيجار شهرا، رغم ضيق الحال أحيانا، وبفضل لطف ربي وتوفيقه في أمور كثيرة منها تلك «الخبيئة» نجا مصنعي ورأس مالي من حريق مروع!

د. خالد التوزاني
باحث أكاديمي



كيف نظر العرب للعجائبي؟

إن لفظ «العجائبي» مصطلح نقدي جديد، يخلو التراث العربي القديم منه، إذ لا نعثر عليه في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، ولا نجده في المظان الأدبية العربية القديمة، على الرغم من حضور أدب العجائب والغرائب بكثافة في هذا التراث، ولعل مرد هذا الغياب، يرجع إلى عوامل موضوعية تتعلق أساسا بالبنية اللغوية للكلمة، فالمشهور عند علماء العربية أنه إذا نسب جمع باق على جمعيته، جيء بواحده ونسب إليه، حيث إن النسبة إلى الجمع في اللغة العربية قليلة من حيث المبدأ، لأن الأصل في النسبة أن تكون إلى المفرد، وقد تجوز إذا صار الجمع علما، كقولنا: أنصاري، نسبة إلى الأنصار، وهم جمع، علما على قوم بأعيانهم، ولما كانت العجائب والغرائب قد صارت مصطلحا أدبيا ذا مفهوم يدل على جنس من أجناس الأدب معين لا ينصرف الذهن إلا إليه، فقد صار بمنزلة العلم، وكأن معنى العجيب لا يفي بالحاجة فجيء به جمعا، ولذلك أباحت الهيئات والمجامع اللغوية المعاصرة النسبة إلى الجمع عند الحاجة، وقد تحدث القدماء عن العجائبي، ولكن بألفاظ أخرى تنسجم مع القواعد التقليدية للعربية، مثل كلمات: العجيب أو الغريب أو الخارق. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، هو عنوان كتاب ألفه الإمام زكريا بن محمد بن محمود الكوفي، المعروف بالقزويني، والمتوفى عام ٦٨٢ هجرية، وكتابه أهم كتاب تراث في العجيب والغريب عند العرب، وقد حظي باهتمام الباحثين قديما وحديثا، نظرا لتضمنه مقدمة تنظيرية تناول فيها المؤلف القزويني «العجيب والغريب» بالبيان والتبيين، ونظر إليهما نظرة فاحصة، من أجل التمييز بينهما في المعنى وفي النماذج التي استدل بها، خلافا للاستعمال الشائع الذي لا يميز بين هذين اللفظين.

لم تكن الغاية من جمع زكريا القزويني للعجائب إثارة اهتمام القارئ وإمتاعه فحسب، وإنما دفعه للنظر إلى تلك العجائب نظرة خاصة، هدفها: «التفكر في المعقولات، والنظر في المحسوسات، والبحث عن حكمتها وتصاريفها، ليظهر له حقائقها، فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الأخروية».

فالعجائبي لم يكن مقصودا لذاته عند القدماء، وإنما كان وسيلة مثلى للوصول إلى عمق الأشياء وأسبابها الخفية، إنه وسيلة للتأمل والتفكر واستعمال العقل، وهو بذلك يختلف عن العجائبي في الأدب المعاصر الذي يستهدف الإمتاع والإدهاش.

عرف زكريا القزويني العجيب، قائلا: «العجب الحيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء، أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه»، ومثل له بخلية النحل عند من لم يسبق له أن رآها، قائلا: «مثاله أن الإنسان إذا رأى خلية النحل، ولم يكن شاهده قبل، لكثرت حيرته، لعدم معرفة فاعله، فلو علم أنه من عمل النحل لتحير أيضا، من حيث إن ذلك الحيوان الضعيف، كيف أحدث هذه المسدسات.. فهذا معنى العجب وكل ما في العالم بهذه المثابة»، فعند القزويني كل ما في العالم موضوع للعجب عند التأمل فيه، غير أن الاعتياد عليه، هو ما يذهب بالحيرة، فما من شيء صغير ولا كبير «إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى، وإنما سقط التعجب هنا، للأنس وكثرة المشاهدة»، وهو معنى لطيف فيما يبدو من حيث إن الشيء يبلى إذا طال وقوع البصر عليه، وتمقته النفوس ولا يصبو إليه أحد، فتكون الحاجة للتغيير مطلوبة ومرغوبة.

إن رؤية القزويني للعجائبي، تختلف عن رؤية ابن منظور في معجمه لسان العرب، فالعجائبي ليس إنكارا للشيء ولا استحسانا له فحسب، وإنما رد فعل نفسي يقوم على مبدأ الحيرة، وسبب هذه الحيرة ليس عدم اعتياد الشيء، بل عجز المتلقي عن معرفة الأسباب والعلل المفسرة له، ومن ثم، لا تزول الحيرة إلا بالعلم والمعرفة، ويلتقي تعريف القزويني للعجيب مع ما ذهب إليه الجرجاني في كتابه: التعريفات، حين قال: «العجب انفعال النفس عما خفي سببه»، ونفهم من هذا، أن العجب يسقط حينما يعرف المتلقي سبب الظاهرة، والواقع أن معرفة السبب غير كافية لإبطال مفعول العجيب، فأحيانا تصبح معرفة السبب بابا للمزيد من العجب، وهو ما جعل القزويني يستدل بمثال خلية النحل قائلا: «فلو علم أنه من عمل النحل لتحير أيضا، من حيث إن ذلك الحيوان الضعيف، كيف أحدث هذه المسدسات؟»، ويبدو أن القزويني «لم يقصد من مدلول الحيرة، التيه والضياع، وإنما أراد نمطا من الحيرة العلمية، باعتبارها ضربا من القلق الذي يثير فضولا عقليا نحو الفهم والإدراك»، فالحيرة بهذا المعنى، تأسيس للمعرفة العلمية التي تقود إلى معرفة الحق، وتزيد من إيمان العبد، حيث يزداد من الله تعالى «هداية ويقينا ونورا وتحقيقا»، ولعله المعنى نفسه، الذي تصب فيه الكثير من الآيات القرآنية الداعية إلى استعمال العقل.

يعتبر القصور عن معرفة سبب الشيء، أو كيفية تأثيره، مدعاة لحدوث حالة العجب التي تتمظهر في موقف الحيرة، لكن قد لا يتعجب الإنسان في كثير من الأحيان، على الرغم من عدم معرفته بأسباب الظواهر، لأنه لا يعير أدنى اهتمام لما يحيط به، ومن ثم، فالاستجابة التعجبية ليست قائمة على جهل المتلقي بمعرفة السبب فحسب، وإنما مرتبطة كذلك بضرورة وجود نوع من الرغبة في تعرف الأشياء والاستعداد لمواجهة العجيب بجرأة، لأن المرء عدو ما جهل، ولذلك دعا سبحانه وتعالى المؤمنين للتفكر والتأمل في كل شيء، والآيات القرآنية كثيرة في هذا الشأن، وقد أتت بصيغ مختلفة: منها: (أفلا تعقلون) (أفلا يعقلون) (أفلا يتدبرون) (أفلا تتفكرون) (أفلا تذكرون) (أفلا تتذكرون) (أفلا يرون) (أفلا تسمعون) (أفلا يسمعون) (أفلا تبصرون) (أفلا يبصرون).. تحث المؤمن على استعمال حواسه وملكاته العقلية والفكرية في التواصل مع الكون: فهما وإدراكا وتعميرا، وتبين تلك الآيات الكريمة أن الفرق بين الإنسان الذي يتفكر في خلق الله والذي هو غافل، كالفرق بين الأعمى والبصير، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:٥٠).

لقد نظر القدماء للعجائبي نظرة يغلب عليها البعد الديني والوعظي، فالعجيب عندهم ينتج بعد طرد الغفلة والانتباه لظواهر الكون والوجود تأملا وتفكرا، ثم مواجهة حالة الحيرة، بالبحث عن المعرفة؛ فبالتعلم يمكن أن يزول الشك وتتبدد الحيرة، ويحل العلم بدل الجهل، والإنسان «لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التعلم» كما قال الجاحظ، فمن لم يترق بالعلم، حجبه الجهل عن رحمة الله، ولذلك فإن الإنسان مطالب بتوظيف أدوات اكتساب العلم التي وهبها الله له؛ من قلوب وأعين وآذان وغيرها، وذلك سبيل للنجاة من النار، نار الجهل في الدنيا، ونار جهنم في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩). إن غفلة الإنسان تلحقه برتبة بهيمية الأنعام، يشاركهم في علائقهم الجسمانية، وأوصافهم الحيوانية، ولا يتميز عنهم إلا بجوانبه الروحية، هكذا هي نظرة العرب القدماء للعجائبي، فقد وظفوه في التربية، وفي تهذيب النفوس، وفي ترقية السلوك وتحسينه، والارتقاء بالإنسان المتأمل لعجائب الكون وغرائب الوجود، من مجرد متعجب حائر إلى باحث عن الحقائق، مكتشف ألغاز الحياة وأسرارها.



حسن عثمان حسن
باحث دراسات إسلامية

من حكم أمير الشعراء



برع أمير الشعراء أحمد شوقي في النثر كما برع في الشعر، وإن كان الشعر هو ميدانه الأول الذي تجلت فيه عبقريته ومواهبه، وكما صاغ أحمد شوقي الحكمة في شعره صاغها في نثره، وجاءت حكم شوقي الشعرية منها والنثرية جميلة رائعة، لأنها وليدة عبقرية وذكاء وتأمل ومعرفة وخبرة بالحياة والناس وقدرة فائقة على صياغتها في أسلوب جميل مؤثر.

والحكمة نور، ولذلك فهي لا تساق لتقرأ قراءة عابرة، وإنما تساق ليقف عندها القارئ ويتأملها ويستفيد منها في حياته وسلوكياته.

وفي كتابه النثري (أسواق الذهب) صاغ أحمد شوقي تحت عنوان (خواطر) مجموعة من الحكم الجميلة نذكر منها:

- من بغى بسلاح الحق بغي عليه بسلاح الباطل.
- قبح الدين نطق ففضح وسكت ففدح.
- ما نبه على الفضل الكاذب مثل الثناء الكاذب.
- تغطي الشهرة على العيوب كالشمس غطى نورها على نارها.
- الصالحون يبنون أنفسهم والمصلحون يبنون الجماعات.
- المدرسة تعلم ولا تحلم والحياة تعلم وتحلم.
- ربما تقتضيك الشجاعة أن تجبن ساعة.
- الخير فيه ثوابه وإن أبطأ والشر فيه عقابه وقلما أخطأ.
- لا سلطان على الذوق فيما يحب ويكره.
- الحكمة قوام الخير الخاص ودعامة الخير العام.
- تحسن المرأة نصف عليمة ويقبح الرجل نصف جاهل.
- يهدم الصدر الضيق ما يبني العقل الواسع.
- العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة.
- الغلط إذا أدرك تبدد وإذا ترك تعدد.
- الحقيقة ثقيلة فاستعيروا لحقائق العلم خفة البيان.
- السقي بعد الغرس والتربية قبل الدرس.
- من ذهب يستقصي سرائر النفوس لم يرجع.
- من استقل بنفسه استوحش ومن استقل برأيه ضل.
- الأمية شلل الأمم الناس معها مقعدون وإن خيل إليك أنهم يعدون.
- صبر الحازم تجلد وصبر العاجز تبلد.
- الحكمة مصباح يهديك، حتى في وضح الصباح.
- ارحم نفسك من الحقد، فإنه عطب نار وأنت الحطب.
- لا أعلم لك منصفا إلا عملك إذا أحسنته جملك، وإذا أتقنته كملك.
- العاقل لا يثق حتى يجرب ولا يتهم حتى يتبين.
- من أخل بنفسه في السر أخلت به في العلانية.
- آفة النصح أن يكون جدالا، وأذاه أن يكون جهارا.
- من نقض موثقه نفض عنه الثقة.
- يتقي الناس بعضهم بعضا في الصغائر، ولا يتقون الله في الكبائر.
- الإنسان لولا العقل عجماء، ولولا القلب صخرة صماء.
- إذا صدقت النية فكل مذهب جميل، وكل رأي أصيل.
- الموت أول المخاوف وآخرها.
- الأمم بنيان الهمم.
- المتحيز لا يميز.
- من الأمهات تبنى الأمم.
- خف اليائس فإنه لا يخاف.
- إنما المرء مروءته.
- القوي من قوي على نفسه.
- الحكمة أن تحسن قولا وفعلا.



عمرو طه
قاص مصري

إن الحياة ممتلئة بالأشياء المتلفة، وأنت لا تستطيع أن توقفها، ما يمكنك صنعه فقط ألا تسمح لنفسك بالتعامل مع ما تراه متلفا من الأشياء أو تسمح بالتعامل وبالكيفية التي تريد.

أبو فهر محمود شاكر

لا تسرف في التواضع، فهو يفقد الناس القدرة على رؤية الحدود.

جلال الدين الرومي

من الصغر وأنا أصل إلى ما أريد، ولكنني أصل وأنا منهك بالقدر الذي يجعلني أفرح وكأنني أريد أن أصل لأستريح، أستريح فقط.

إرنست همنغواي

من الضروري أن نأخذ على محمل الجد تلك الفرضية التي ترى أن الإفراط في الخيال وحده الذي يؤدي إلى إدراك عمق الواقع.

هنري لوفيفر

تبدأ حياتك محاولا فهم كل شيء، وتنهيها محاولا النجاة من كل ما فهمت.

فرانز كافكا

يوم واحد للقلق هو أكثر إرهاقا من أسبوع كامل من العمل.

جون لوبوك

د. بديع السيد اللحام
أستاذ بكلية الشريعة- دمشق



من أقطاب الفكر السياسي في الإسلام

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد: فقد قسم صاحب كتاب (كشف الظنون) الحكمة العملية إلى قسمين اثنين، هما: (علم السياسة، وعلم الأخلاق) ثم عقب موضحا أن النظر (إما في إصلاح كافة الخلق في أمور المعاش والمعاد، فذلك يرجع إلى علم الشريعة، وعلومها معلومة، وإما من حيث اجتماع الكلمة الإجماعية، وقيام أمر الخلق، فهو الأحكام السلطانية، أي: السياسة)[1]، ثم أتى على ذكر علم السياسة[2]، ولما كان كتاب (كشف الظنون) في أصل وضعه يعنى بتعريف الفنون والعلوم، كما يعنى بالتعريف بالمؤلفات المصنفة في كل فن وعلم، فقد كان من المتوقع أن يأتي على ذكر قائمة المصنفات في علم السياسة، وتدبير الملك، ولكننا لا نجد ما درج عليه المؤلف في هذا الموضع، مما يعطي انطباعا أن علماء المسلمين لم يهتموا كثيرا في الكتابة والتصنيف في مضمار السياسة، ولم يخوضوا غمارها، في حين أن الواقع خلاف ذلك، فقد رأينا اهتمام كثير من علماء الغرب ومفكريه بشخصيات وأعلام من المسلمين كانت لهم آراء وكتابات في هذا مضمار السياسة ونظام الحكم والمدنية، بل نستطيع القول بأنهم كانوا من السابقين في التأصيل لكثير من النظريات السياسة والحكم، ووضع القواعد لها، ويمكننا هنا أن نستشهد بنص للإمام الماوري - على سبيل المثال- يبين فيه باختصار شديد قواعد استقرار المجتمع واستقامة أمر الأمة السياسي وما يصلح به حالها، حيث حصر ذلك في ست قواعد ومقومات، بقوله: (اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتئمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن تفرعت، وهي: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح[3].

هذا وسأحاول في هذه العجالة أن أنوه بأشهر من كتب في السياسة والأحكام السلطانية، وأشير إلى مؤلفاتهم في هذا المجال، فمن عمالقة هؤلاء:

١ - عبدالله بن المقفع (١٠٦ - ١٤٢هـ):

أصله فارسي، ولد في العراق وكان مجوسيا ثم أسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح العباسي) وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وأصبح من أئمة الكتاب، وكان ذكيا فطنا، ذا عقل نير، وثقافة واسعة، أتقن العربية وعلومها، إلى جانب الفارسية، ومن ثم فقد عني بالترجمة، فترجم كتب أرسطوطاليس، في المنطق، وكتاب (المدخل إلى علم المنطق) المعروف بـ(إيساغوجي)، كما ترجم كثيرا من آداب الفرس وتاريخهم إلى العربية، وترجم أحوال الفرس وملوكهم وسياستهم ونظمهم في الحكم وعاداتهم وتقاليدهم، قال فيه الخليل بن أحمد الفراهيدي: ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله. وهو من أوائل من كتب في آداب الإمامة وسلوكها، وما يتعلق بالولاية والإدارة، وعالجها معالجة مباشرة، وقد اتهم بالزندقة، وقتل في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، ولما يجاوز الأربعين من عمره. ترك رسائل عدة في حكم الملوك وأمثال الشعوب.

كان ذا نظرة إصلاحية للحكم، محبا لإشاعة العدالة بين الناس، وقد ترك مجموعة من المصنفات التي تحمل أبعادا سياسية وإصلاحية مثل: (الأدب الكبير)، و(الدرة اليتيمة)، و(رسالة الصحابة)، و(كليلة ودمنة).

● الأدب الكبير: تناول فيه الحديث عن السلطان والولاة، ورأى أن من أوجب الواجب نصيحة أولياء الأمور، وإرشادهم إلى مواطن الضعف في نظم الدولة، وبيان طرق العلاج، ورفع الظلم عن العامة، وذكر أنظمة الساسانيين المتعلقة بولاية العهد، مع ملاحظة أننا لا نجد في تضاعيف كلامه في هذه الرسال أثرا للمعارف الشرعية.

● الدرة اليتيمة والجوهرة الثمينة: ذكر فيه الصفات السياسية والأخلاقية التي ينبغي على السلطان أن يتحلى بها، كالعدل والصدق، والكرم وسماحة النفس، والبعد عن الحقد والكراهية والغرور، وضرورة أن يؤسس ملكه على الرأي والعمل والحزم، إذا ما أراد لها القوة والاستمرار، وأن يتابع الأمور الجسام بنفسه، ويفوض ما دون ذلك إلى ولاة كفاة أوفياء، وفيه توجيه للولاة بأن يهتموا بأمور الرعية، ويقصوا عنهم المتزلفين والمتملقين، ويكون هدفهم صلاح الناس، ومن نفيس كلامه في درته قوله: (إن ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعية فاعلم أنك قد خيرت بين خلتين ليس بينهما خيار؛ إما ميلك مع الوالي على الرعية وهذا هلاك الدين، وإما الميل مع الرعية على الوالي وهذا هلاك الدنيا، ولا حيلة لك إلا بالموت أو الهرب. واعلم أنه لا ينبغي لك إن كان الوالي غير مرضي السيرة إذا علقت حبالك بحبله إلا المحافظة عليه إلا أن تجد إلى الفراق الجميل سبيلا).

● رسالة الصحابة: والمرد بالصحابة صحبة الخلفاء والولاة، وليس صحابة رسول الله ﷺ، وهذه الرسالة بنيت على نقد نظام الحكم، واقتراح وجوه إصلاحه، قدمها إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، مدح بداية الخليفة، ثم نبه على فساد بعض الولاة، وعيوب الدولة، ورأى أن يكون للجند قانون يضبط أمورهم، وأن توزع أعطياتهم في أوقات ثابتة، مما يبعث على الطمأنينة والاستقرار، وأن يعنى بتثقيفهم، وتعليمهم الكتابة وأمور دينهم، وأن يفصل الجند وقادتهم عن جباية الخراج في الولايات؛ لأن المال يفسد المقاتلين، ويؤدي إلى ظلم الرعية، والخروج على الدولة. ومما أوضحه في هذه الرسالة مفهوم طاعة الإمام وكيف تكون.

● رسالة القضاء: حدد فيها سبب الفوضى التي تعم المؤسسة القضائية؛ وهو أن القضاة لا يرجعون إلى قانون محدد معروف، والأمر متروك لاجتهاد كل قاض، مما يبعث على التناقض في الموطن الواحد، ولذلك فقد دعى إلى توحيد القضاء، وأكد على استقلالية القضاء وفصله عن السياسة؛ لإن ذلك موصل للعدل في الأحكام.

● الخراج: يقصد بالخراج المال المفروض على الأراضي، ووصمه أيضا بالفوضى، ونصح بأن يقرر على كل وحدة من الأراضي مبلغ معين يسجل في دفاتر الدولة، ويعرف كل مالك ما عليه، وطالب بحسن اختيار الولاة الأمناء، وإحكام الرقابة عليهم، وبهذا يتحقق صلاح الرعية وعمارة الأرض.

وفي تضاعيف انتقاده للجند والقضاء والخراج، دعا الخليفة إلى وضع منهج لاختيار الوزراء والقواد والكتاب، على أن تتوفر فيهم الكفاية والأمانة والعدالة، وطاعة أمير المؤمنين، إلا فيما يخالف الدين الحنيف، وذكر الخليفة أن يكون دائب التقصي لأحوال الدولة، وأن يرعى بعض نواحيها وأطرافها؛ لتتسع دائرة قوتها وترابطها، وختم الرسالة بحكمة بالغة، هي: صلاح العامة مرتبط بصلاح الخاصة، والخاصة لا تصلح إلا بصلاح إمامها وخليفتها.

ولاشك أن معالجات ابن المقفع في شؤون الدولة كانت معالجات مخلصة؛ لأنها أقرب إلى العقل منها إلى الشريعة، وكان الخليفة يريد نظاما مبنيا أصول الشريعة ومصادرها من القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، مما حدى بابن المقفع يعيد تقديم أفكاره ورؤاه السياسة من خلال ترجمته لكتاب (كليلة ودمنة)، وهو كتاب هندي في أصله، ترجم إلى الفارسية، فنقله ابن المقفع إلى العربية، وحوره وزاد فيه بما يناسب حال الدولة الناشئة، يحدوه أمل رفع الظلم وإشاعة العدل، فخاطب المسؤولين بألسنة الحيوانات والطيور، وفتح أعين الرعية على التمييز بين الظلم والعدل، ومطالبة رعاة الأمة

بتحقيق الإنصاف بينهم.
٢ - الإمام الماوردي علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، أبو الحسن الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠هـ): أحد أشهر فقهاء الشافعية في عصره، وكان من رجال السياسة البارزين في الدولة العباسية، تولى القضاء، ولقب بـ(أقضى القضاة) في زمن الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وعمل سفيرا بين رجالات الدولة العباسية في بغداد وبين سلاطين بني بويه في الفترة بين عامي (٣٨١ و ٤٢٢هـ)، لحل الخلافات السياسة والنزاعات التي نشبت بين الطرفين، وقد عرف الماوردي بكثرة التأليف وغزارة الإنتاج، من أبرز مؤلفاته في مجال السياسة:

● قوانين الوزارة: بين فيه معنى الوزارة وأصلها وأنواعها، وانقسمها إلى وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ وحدد موقع الوزارة في النظام السياسي، ثم حدد الصفات التي ينبغي توافرها فيمن يتولى هذا المنصب من دين وصلاح، وحزم، وعدل، وتولية الأكفاء، والوفاء بالوعد والصدق.

● نصيحة الملوك: ضمنه جملة نصائح تتناول السلوك السياسي للملوك والسلاطين، وعرج على أسباب الخلل والفساد في الممالك، وكيفية إصلاحها.

● تسهيل النظر[٤] وتعجيل الظفر: بدأ فيه بمفهوم الأخلاق، وبين أسس الملك وقواعده، واختيار الأعوان ومحاسبتهم، وأسباب الفساد، وذكر فيه أنواع السلطة، وأنواع الحكومات، وفصل القول في ذلك.

● الأحكام السلطانية: وهو أشهر كتبه على الإطلاق وبه يعرف، استوفى من خلاله نظم الدولة وأركانها المختلفة، فذكر الإمامة، وكيفية عقدها وشروطها، والوزارة وأنواعها، ومن يصلح لها وضوابط عملها، والإمارة على البلاد، والإمارة على الجهاد، والولاية على الحروب، والقضاء، والمظالم، وإمامة الصلوات، والحج، والصدقات، والفيء، والجزية، والخراج، وإحياء الموات، واستخراج المياه، والحمى، والجرائم، والحسبة. وقد قرر فيه القواعد، وحدد الأصول، وأتى على ذكر الحقوق والواجبات. ومما ذكره في هذا الكتاب جواز أن يكون وزير التنفيذ من أهل الذمة[٥]، وقد نوه بشأن الجهاد وتكلم في بيان أصوله وضوابطه وآدابه... إلى غير ذلك من المباحث التي تناولها بعقلية فقهية متميزة.

٣ - الإمام الغزالي محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، (٤٥٠ - ٥٠٥هـ)، لقب بـ(حجة الإسلام) وهو فيلسوف الإسلام بحق، درس بالمدرسة النظامية في بغداد، وكان واسع الاطلاع، كثير التأليف والتصنيف في مختلف علوم عصره[٦]، من فقه وتفسير، وتصوف، وأصول، وفلسفة... ومن تآليفه التي تتعلق في السياسة:

● فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، المعروف بـ(المستظهري)[٧]: كتبه للخليفة العباسي المستظهر بالله، تناول في موضوع الإمامة ووظائفها، ونقد المعارضين لها.

● سر العالمين وكشف ما في الدارين[٨]: تضمن طرق الوصول إلى الحكم، وتكوين العصبية المساندة، وأفاض بذكر ترتيب الخلافة والولاة، والصحبة والعساكر، وإقامة الملك على العدل، وإعمار الأرض، وتنشيط الصنائع، والمهن التي تمس حياة الناس، وكيفية جذب قلوبهم إلى الطاعة، واكتساب الشرعية، وتهذيب نفوس الرعية، وتعليمها آداب التعامل.

● التبر المسبوك في نصيحة الملوك: ألفه بالفارسية، وقدمه إلى السلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي، وترجم إلى العربية، وهو مكون من مقدمة، ومقالتين، وسبعة أبواب، تناول فيها مسؤولية الحاكم، وعناصر السياسية، مثل العدل والشورى والتعمير، وإصلاح أحوال الرعية، وفقا للشرع، وختمه بالكلام عن الوزراء وسياستهم، والكتاب ونظار المظالم، وقد نبه فيه إلى أن عمارة الدنيا وخرابها راجع إلى الملوك، فإذا كان الملك، أو السلطان عادلا عمرت الدنيا، وأمنت الرعية، وإذا كان ظالما جائرا آلت الدنيا إلى الخراب، ومما عني به الغزالي في هذا الكتاب التركيز على الأخلاق السياسية، من خلال إيراد قصص الأقدمين وحكمهم، وحكايات عن أفعال الحكام السابقين وأقوالهم، التي ذكرها على سبيل الموعظة والعبرة.

● إحياء علوم الدين: وهو أشهر كتبه وأوسعها انتشارا بين العامة والخاصة، وهذا الكتاب وإن لم يكن في خصوص السياسة والأحكام السلطانية إلا أنه تناول أمورا تمس هذا الجانب، فقد تضمن -فيما تضمنه-: الإمارة والإمامة، والبيعة والخروج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ - الطرطوشي محمد بن الوليد ابن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي (٤٥١ - ٥٢٠هـ): ويقال له ابن أبي رندقة، من فقهاء المالكية، والحفاظ، رحل إلى المشرق وله خمسة وعشرون عاما، فحج وزار الشام، والعراق ودرس في المدرسة النظامية في بغداد، وزار مصر، وألقى عصا التسيار في الإسكندرية فعاش فيها نحو ثلاثين عاما، وتولى التدريس إلى أن توفي بها، وقد اشتهر بتعانيه في أمور السياسة من خلال فتاويه ومن خلال كتابه في مضمارها وهو:

● سراج الملوك: في علم السياسة، وفن الحكم، ألفه الطرطوشي في أخريات حياته، وهو مقسم على أربعة وستين فصلا، جعلها في مواعظ الملوك، ومقامات العلماء عند الأمراء والسلاطين، ومنافع السلطان ومضاره، وخصاله التي ينبغي أن تكون قواعد له، والصفات التي يجب أن تضبط علاقة الحاكم بالرعية، والأسس التي حددها

الشرع لتنظيم الدولة والملك، وتناول فيه أسباب زوال الدول، ودواعي بقائها وصلاحها واستقرارها، وضرورة بنائها على العلم والعقل، والقيم الأخلاقية، والعدل والشورى.

وفصل القول في مؤسسات الدولة وذكر صفات العمال، والشروط والعهود التي يجب أن تؤخذ عليهم، وخطورة قبولهم الهدايا والرشاوى، وضرورة فهمهم أحكام أهل الذمة، وحذر من خطورة الظلم والنميمة والسعاية. والظاهر أن الطرطوشي قد تأثر بكتاب الغزالي (التبر المسبوك في نصيحة الملوك)، لما بين منهجي الكتابين من الشبه، من خلال ربطهما بين السياسة والأخلاق، وبالتالي فقد تضمن (سراج الملوك) الكثير من الحكم والأمثال والقصص المأخوذة من سير الأنبياء والخلفاء، والملوك والحكماء السابقين، من العرب والفرس والروم، وقد اعتنى أيضا بأحوال المغرب والأندلس.

٥ - ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد ابن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٧٣٢ - ٨٠٨هـ): أحد عباقرة الدنيا والتاريخ، فيلسوف ومؤرخ، وعالم اجتماع، إشبيلي الأصل، تونسي المولد، مصري الوفاة، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان، وتولى أعمالا فكان كاتبا ووزيرا ومفاوضا، وتعرض للدسائس والوشايات، ولي قضاء المالكية في مصر، وكان موصوفا برجاحة العقل وعمق الفهم، وسعة المعرفة والاطلاع على مختلف العلوم النقلية والعقلية، تنقل بين مدن المغرب الأوسط والأقصى، ودخل الأندلس مرتين، وسجن غير مرة، وفر من سجنه، وتعرض في مدى ثلاثة وعشرين عاما لتجربة سياسية غنية بالمفاجآت والتقلبات والملاحقات، تنقل خلالها بين قصور الأمراء والملوك، ثم جاء إلى مصر، ودخل بلاد الشام مع جيش مصر لصد تيمور لنك عنها، واجتمع به. وفي عام (٧٧٦هـ)، أقام عامين في قلعة ابن سلامة في وهران بالجزائر، معتزلا، ووضع (مقدمته) التي هي أشهر من نار على علم.

اطلع على إرث من سبقه في مضمار السياسة، كابن المقفع، والماوردي، والغزالي، والطرطوشي وغيرهم، كما اطلع على ما تركه فلاسفة اليونان أفلاطون وأرسطو في السياسة من خلال ابن رشد.

تناول ابن خلدون في (مقدمته) نظم الدولة الإسلامية، جمع بين جانبي التأصيل الفقهي والتطور التاريخي، فذكر الخلافة (الإمامة)، والوزارة والكتابة، والحجابة والجباية، والسكة (النقود)، والفتيا والقضاء، والمظالم والحسبة، والجيوش والشرطة، مستشهدا بالنصوص التشريعية، والأحكام الفقهية. وقد اتبع في الخلافة نظرية أهل السنة والجماعة، وتمسك بها، ولم يخرج عن الشروط التي ذكرتها النظرية، وحددت شرعية الخليفة، أما شرط (القرشية)، فقد ذكر رأي المذاهب المختلفة فيه، وكان له رأيه الخاص في هذا الموضوع.

وهو وإن ذهب إلى أن الأولى تولي الخلافة أن تكون اختيارا لا وراثة، لكنه لم يشكك في شرعية الوراثة عند الأموية والعباسية، أو من بعدهم من ملوك الأسر الحاكمة، ما داموا ينفذون أغراض الشريعة. وقد أكد أنه ينبغي أن تتوفر في الخليفة العدالة والكفاية، والحلم والوفاء بالعهد، والكرم، وتعظيم الشريعة، والتقيد بفتاوى العلماء، وإنصاف المستضعفين.

وقد امتاز ابن خلدون عن كل من سبقه بنظريته في العمران التي ربط الحديث عنها بالبداوة والعصبية والشرعية الدينية، واهتم بنشوء الدول وأحوالها وأطوارها، وكيف يسري إليها الانحلال المؤدي إلى انهيارها، وانتهى إلى أن الشرعية الدينية أقوى من العصبية، وهي التي استطاعت أن تمحو البداوة من طباع العرب، وتقيم دولة عامة تمثل أوسع كيان سياسي قائم على العقيدة، واستشهد في ذلك، بقول رستم القائد الفارسي عند الفتوح، حين كان يشاهد المسلمين يجتمعون للصلاة: (أكل عمر كبدي، يعلم الكلاب، الآداب).

هذا وقد اعتز ابن خلدون بوضعه هذه النظرية؛ لما فيها من أصالة وعطاء وتجديد، وأوضح: إنه فصل واستوفى وبين (بأوعب بيان وأوضح دليل وبرهان من غير تعليم أرسطو ولا إفادة موبذان)[9] مؤكدا أنه لم يتأثر بالإغريق ولا بالفرس، وقد وصل إلى هذه النظرية من خلال تحليل الأحداث، وتعليل المواقف، وربط النتائج بالأسباب، وبالتالي فقد استطاع أن يحلل مفاهيم السياسة، (بأوعب بيان، وأوضح دليل وبرهان) كما قال.

والخلاصة: فقد وضع ابن خلدون أسس علم العمران البشري، وهو مزيج من (علم السياسة، وفلسفة التاريخ، وعلم الاجتماع).

وفي الختام فهؤلاء خمسة من عمالقة الفكر السياسي في الإسلام، أتينا على ذكرهم على سبيل التمثيل لا الحصر، فإننا لو ذهبنا نتتبع قائمة الذين أدلوا بدلوهم في مسائل السياسة والحكم من أعلام المسلمين لضاق بنا رحب الصحف ومضمار القراطيس.

الهوامش

١- كشف الظنون: (١/ ١٣).

٢- كشف الظنون: (٢/ ١٠١٣).

٣- أدب الدنيا والدين (ص: ١٣٣).

٤- وفي كشف الظنون وغيره: (تسهيل النصر).

٥- ينظر الأحكام السلطانية: (ص ٥٨).

٦- تناول الدكتور عبد الرحمن بدوي (مؤلفات الغزالي) تقسيما وتعريفا وتمييزا في مؤلف مستقل.

٧- وليعقوب بن سليمان الخازن الأسفرايني (ت: ٤٨٨هـ) كتاب في الإمامة وشرائط الخلافة، سماه (المستظهري) أيضا. ينظر كشف الظنون: (٢/ ١٦٧٤).

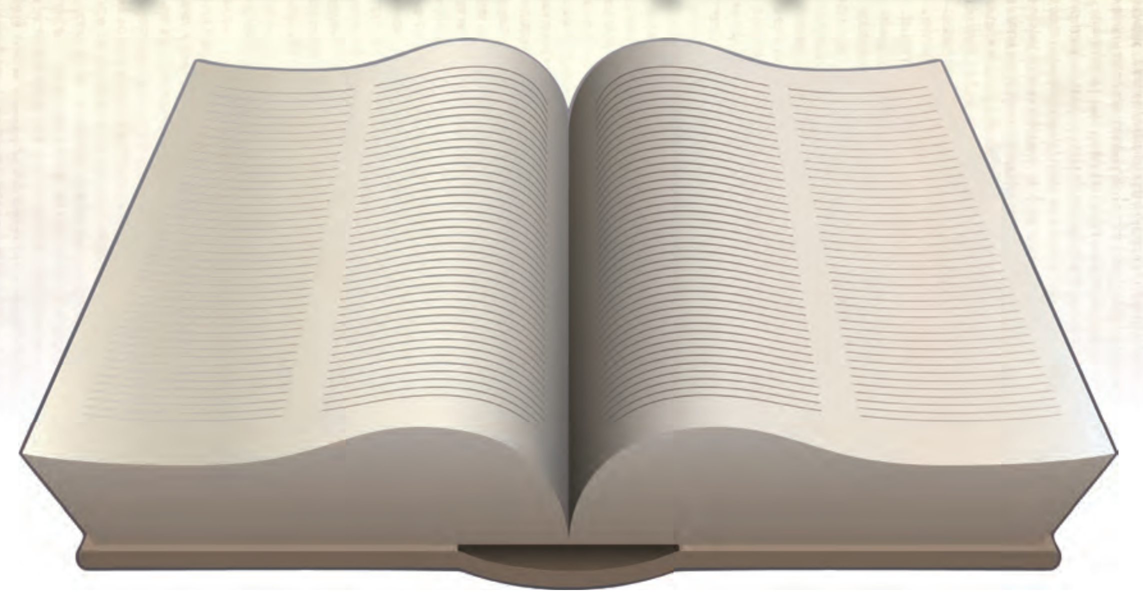
٨- شكك بعض الباحثين في صحة نسبة هذا الكتاب للإمام الغزالي.

٩- تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٢).



إصدارات قيمة توزعها إدارة الشؤون الفنية

«الأوقاف» الكويتية تدعم أئمة المساجد بنفائس الكتب



يحتاج شاغلو الوظائف الدينية في مسيرتهم التعليمية والدعوية إلى الكتب الشرعية لتنمية مهاراتهم ودعمهم فنيا ومساعدتهم في تأليف خطبة الجمعة وإعدادها إذا كانوا ممن يلقونها كأئمة المساجد وغيرهم، ومن هنا دأبت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ممثلة بإدارة الشؤون الفنية - قطاع المساجد، على تقديم هذا الدعم الفني الرفيع.

ومن آخر ما قدمته إدارة الشؤون الفنية عدة إصدارات قيمة، كل منها يعد أصلا في بابه منها: «طرح التثريب في شرح التقريب» (شرح أحاديث الأحكام) للمؤلف: الحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، وابنه الحافظ أبي زرعة أحمد العراقي المتوفى سنة ٨٢٦هـ، أما المحقق فهو أبو يعقوب كمال بن نشأت المصري، من منشورات دار شروق ودار البدر، وجاء في خمسة مجلدات.

وقد ألف الحافظ زين الدين العراقي كتابا مختصرا في أحاديث الأحكام رتبه على أبواب الفقه وسماه: «تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد»، ثم شرحه المؤلف في كتاب سماه: «طرح التثريب»، لكن المؤلف شرح قطعة منه، وتوفي قبل إكمال الشرح، فأكمله ابنه ولي الدين أبو زرعة العراقي.

وهذا الكتاب من أنفس شروح أحاديث الأحكام، ومن جملة المصادر التي اعتمد عليها الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، وغيره من العلماء.

كما قدمت إدارة الشؤون الفنية بقطاع المساجد كتاب: «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» (مصطلح الحديث)، للمؤلف الحافظ الأديب أبي محمد الحسن بن خلاد الرامهرمزي، المتوفى في حدود ٣٦٠هـ، ومحققه هو أبو همام محمد بن علي البيضاني، من منشورات دار الناشر المتميز، وقد بدأ المؤلف كتابه بباب فضل الناقل والطالب لسنة رسول الله ﷺ، ثم ذكر أبوابا في العالي والنازل والرحلة



في طلب الحديث، والأسامي والكنى المشكلة، وعلم علل الحديث، وبعض طرق تحمل الحديث، كالمكاتبة والسماع والقراءة على العالم، وأبوابا أخرى.

وهذا الكتاب هو من المصادر الأولى لعلم مصطلح الحديث، وهو أول كتاب ألف شاملا لكثير من أنواع علوم الحديث، وإذا كان مؤلفه لم يقصد استيعاب أنواع علوم الحديث، لكنه كما قال الحافظ ابن حجر: أجمع ما جمع في زمانه.

وقال الحافظ الذهبي: «المحدث الفاصل» في علوم الحديث، وما أحسنه من كتاب!

ثالث ما قدمته إدارة الشؤون الفنية للأئمة والمؤذنين وغيرهم من الباحثين كتاب الأموال «فقه الأموال التي يليها الولاة»، للمؤلف الحافظ الحجة الفقيه اللغوي أبي عبيد القاسم بن سلام الأزدي، المتوفى سنة ٢٢٤هـ، ومحققه هو أبو أنس سيد بن رجب، من منشورات دار الهدى النبوي، ودار الفضيلة، في مجلدين.

وهذا الكتاب من أعظم المراجع وأقدمها في مسائل الأموال والثروات التي يليها ولاة المسلمين في المجتمع المسلم، فبدأ بباب حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام، ثم أفاض في صنوف الأموال التي يليها الأئمة للرعية، وتحدث عن الفيء والجزية والخراج وأحكام الأرضين المفتوحة عنوة أو صلحا، وحكم الأسرى، وإقطاع الأرضين، ثم أفاض في أحكام الزكاة، زكاة الأنعام، والنقدين، وما يجب على ساعي الزكاة، وزكاة التجارات والديون والحلي ومال اليتيم، وزكاة الزروع والثمار، ودفع الصدقات للأمراء، والأصناف الثمانية الذين يعطون من الزكاة.

ورابع ما قدمته إدارة الشؤون الفنية بقطاع المساجد التابع لوزارة الأوقاف الكويتية كتاب الاعتصام «معرفة البدع» للمؤلف الأصولي البارع أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المتوفى سنة ٧٩٠هـ، ومحققه سليم بن عيد الهلالي، من منشورات دار ابن القيم، ودار ابن عفان في ملجدين أيضا.

وهذا الكتاب من أعظم الكتب في باب تقعيد علم معرفة البدع، قسمه مؤلفه على عشرة أبواب، أفاض فيها في تعريف البدع، وذمها، ومراتبها، والفرق بين البدع والمصالح المرسلة، والاستحسان، وغير ذلك، وناقش الإمامين: العز بن عبد السلام والقرافي في تقسيم البدعة للأحكام الشرعية الخمسة.

وأخيرا قدمت الإدارة «مقاييس اللغة» (معجم لغوي) لمؤلفه الإمام اللغوي الأديب أبي الحسين أحمد بن فارس القزويني ثم الرازي، المتوفى سنة ٣٩٥هـ، وقد حققه محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، من منشورات دار التراث.

وهو كتاب من أقدم معجمات اللغة العربية وأعظمها، انفرد بالعناية بأصل المادة وقياسها، رتبه مؤلفه على حروف الهجاء، وقسم كل حرف ثلاثة أبواب: باب الثنائي المضاعف، فباب الثلاثي، فباب ما زاد على الثلاثي من المجرد.

محمد إسماعيل
باحث وكاتب



إرهاصات ميلاد النبي

كان ميلاد النبي ﷺ فاصلا بين الظلام والنور، وبين الجاهلية وبين الإسلام، خاتم رسالات السماء، فقد أنار ﷺ بمولده ظلام الدنيا الذي كان يخيم على كل مكان. وهناك الكثير من الإرهاصات التي حدثت تبشيرا بميلاده ﷺ، فكان ميلاده أعظم حدث شهدته الدنيا بأسرها، فكان ميلاده ميلاد للإنسانية، ميلادا للرحمة، ميلادا للأخلاق الكريمة...الخ.

لقد اجتمعت الأخبار المتواترة أنه قبيل ميلاد النبي ﷺ انتشر في أرجاء جزيرة العرب إرهاصات عجيبة تنبئ بأن حدثا ربانيا سيحدث في أم القرى، وأن نبيا اسمه أحمد سيولد في أكرم بيت في العرب، أنه سيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، يحطم الأوثان والأصنام ويحرم عبادة الطغيان والنيران ويهدى الناس إلى عبادة رب الناس. وعلى هذه الإرهاصات جرت الأقدار، وحدث ما كان الناس يتوقعونه فقد ولد نبي الرحمة ﷺ قبل إشراق نور الفجر بلحظات من يوم الاثنين عام الفيل (٥٧١م) [١].

وما يؤكد أن يوم ميلاده ﷺ يوم الاثنين، ما ثبت في صحيح مسلم أن أعرابيا قال: يا رسول الله، ما تقول في صوم يوم الاثنين؟ فقال: (ذاك يوم ولدت فيه، وأنزل على فيه).

والذي عليه الجمهور أن ولادته كانت لاثنتي عشرة من ربيع الأول، أما العام الذي ولد فيه فبحسب ما كان يؤرخ به العرب فهو عام الفيل، وهو العام

شهد مجيء جيش أبرهة الذي أتى لهدم الكعبة، وقد كان العرب يؤرخون بإضافة الزمن إلى أكبر الحوادث، وقد ولد النبي ﷺ يتيما. ومنذ أن ولد ﷺ ولدت معه البركة في ربوع مكة وضواحيها.

الإرهاص والتوقع

لا ريب أن فيما سلف من النبوات التي في الكتب على لسان الرسل والأنبياء ما يخبر عن ظهور نبي عظيم، فكان أهل العلم بهذه الكتب يتوقعون ظهور هذا النبي، وبعض هذه النبوات في الكتب السالفة من الاستفاضة والقوة بحيث لا يستطاع إبطالها أو صرفها عن النبي ﷺ، فكانت هناك بشارات بالنبي ﷺ في كتب السابقين.

فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٤٦)، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف:١٥٧).

فهاتان الآيتان تؤكدان أن من أهل الكتاب من يعرف محمد رسول الله ﷺ كما يعرف الواحد منهم ابنه من بين الناس، وإنهم يجدون في كتابهم الإخبار عن بعثته ووصفه كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف:١٥٧)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف:٦). وروى البيهقي بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «إني عبد الله وخاتم النبيين، وأن آدم لمجندل في طينته، وسأخبركم عن ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين»[٢].

وما نقل عن راهب يدعى بحيرى، وما استفاض من أخبار أحبار اليهود بأن نبيا من العرب سيظهر، وإنهم كانوا (أي اليهود) يستفتحون به، وما نقل عن أمية بن أبي الصلت -الشاعر المشهور - وكان حسب ما يروى: «أنه قد قرأ في الكتب ولبس المسوح تعبدا، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنفية، والتمس الدين وطمع في النبوة، لأنه قرأ في الكتب أن نبيا سيبعث من العرب، وكان يرجو أن يكون هو»[٣].

دليل النبوة

وفي الإرهاصات التي تقدمت ظهور النبي ﷺ دليلا على نبوته ما يذكر من ذهاب أحد قواد الحبشة (أبرهة) ليهدم الكعبة، حتى إذا كان في الطريق أرسل الله تعالى عليه طيرا أبابيل فأهلكته وجيشه، وأصبحوا كعصف مأكول، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ (سورة الفيل).

ومما ذكر أيضا من الآيات ليلة ميلاد النبي ﷺ: أن كثير من الأصنام تداعت وخرت لوجهها، وسقطت من أماكنها، وظهور نور امتد حتى أضاء قصور الشام، وارتجاف إيوان كسرى، وسقوط شرفاته، وخمود النيران التي كان يعبدها المجوس في فارس، ولم تخمد من قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة.

تلك هي مقتطفات من الإرهاصات التي حدثت وقبل ميلاد النبي ﷺ، وكانت إرهاصات عجيبة، وصاحبتها ظواهر غريبة، والتي تضمنت شواهد ودلائل نبوته، وصدق رسالته الإسلامية. فلم يكن مولده ﷺ حدثا عابرا في التاريخ، بل هو مناسبة عظيمة كانت سببا في ميلاد خير أمة أخرجت للناس، تحمل لواء الخير، وتغمر أهل الأرض بالرحمة والعدل والمساواة.

المصادر

١- د. محمد ممدوح العربي، دولة الرسول ﷺ في المدينة، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ص: ٥١).

٢- دلائل النبوة للبيهقي، (٢/ ١٦).

٣- د. عبد الحليم محمود، القرآن والنبي، طبعة دار المعارف، (ص: ٣٨).



هبة محمد أبو الفتوح
باحثة وكاتبة مصرية

منهاج الأسرة المسلمة

في ظل ما تعانيه البشرية في هذا العصر من اضطرابات اجتماعية ونفسية، وتفكك العلاقات الأسرية، وتحلل القيم الأخلاقية، وغياب أواصر المحبة والرحمة بين الناس، وما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة على الأجيال الصاعدة.. كل هذا أظهر مدى احتياج العالم إلى الإسلام وتطبيق مبادئه، واستلهام ذلك من أعظم الخلق أجمعين، سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ.

وللأخلاق الفاضلة في دين الإسلام المكانة السامقة، فقد سئل النبي ﷺ عن البر -وهو جماع الخير- فقال: «حسن الخلق» (أخرجه مسلم). وحين سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «تقوى الله وحسن الخلق» (أخرجه مسلم)، وأعلن ﷺ أن «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» (أخرجه الترمذي)، وبيّن ﷺ أن المؤمن يدرك بحسن الخلق من سبقه من العباد، حيث قال ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (أخرجه أبو داود). وجسد ﷺ كل ذلك وبلغ فيه الغاية فاستحق أن يزكيه ربه -سبحانه وتعالى- بهذا الثناء العاطر: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤). وقد اختصه الله -سبحانه وتعالى- بكل خلق نبيل، فأدبه وأحسن تأديبه، وجعله على خلق عظيم، وجمع فيه صفات الجمال والكمال البشري، وتألقت روحه الطاهرة بعظيم الشمائل والخصال، وكريم الصفات

والأفعال، حتى أبهرت سيرته القريب والبعيد، والعدو والصديق. وقد صور حسان بن ثابت رضي الله عنه هذه المشاعر أبلغ تصوير فقال:

وأحسن منك لم تر قط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

رسول الرحمة

كان من سمات الكمال التي تحلى بها النبي ﷺ «خلق الرحمة»، فقد وهبه الله -سبحانه وتعالى- قلبا رحيما، يرق للضعيف، ويحن على المسكين، ويعطف على الخلق أجمعين، حتى صارت الرحمة له سجية ﷺ.

وقد جعل الله -سبحانه وتعالى- رسالته رحمة للعالمين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

لقد أرسل الله -سبحانه وتعالى- رسوله رحمة للناس كافة ليأخذ بأيديهم إلى الهدى، وما يهتدي إلا أولئك المتهيئون المستعدون، وإن كانت الرحمة تتحقق للمؤمنين ولغير المؤمنين، فالرسالة الإسلامية، كانت رحمة للبشرية، وإن نبينا ﷺ أرسله الله -سبحانه وتعالى- رحمة للعالمين من آمن منهم ومن لم يؤمن على السواء، ذلك لأن النبي ﷺ فطر على خلق الرحمة في جميع أحوال معاملته للناس، كل الناس.

وكانت الرحمة في المعاملة عنوانا كبيرا لرحمته بالخلق، فقد شملت رحمة النبي ﷺ جميع طوائف المجتمع، مسلمين وغير مسلمين، شبابا ونساء وأطفالا وشيوخا، حيث تجلت مظاهر رحمته في حياته كلها، وحفلت بها سيرته المباركة، فرحم كل من حوله من إنسان وحيوان وجماد.. الخ[1].

لقد كانت بعثته ﷺ رحمة للإنسانية عامة، لأنها أهدت إلى الناس جملة الحقائق التي يفتقرون إلى معرفتها واستصحابها، فوفرت عليهم عناء التيه في دروب من الباطل لا حصر لها، فالحقائق التي تضمنتها الرسالة الإسلامية تمتاز بالشمول والوعي. إن بعثة سيدنا محمد ﷺ كانت ميلادا للحق في أبهى صوره، فكان شروق هذا الحق إيذانا بزوال الحيرة السائدة، كانت هذه البعثة رحمة عامة للإنسانية جمعاء[2].

أخلاق العلاقات الأسرية

كان النبي ﷺ قدوة ومثالا فريدا تحتذي البشرية جمعاء بأخلاقه في علاقاته الأسرية والاجتماعية، وفي التعامل الزوجي -أي مع زوجاته- وتعامله مع أبنائه، وتعامله مع الناس أجمعين. والمطلع على سيرته ﷺ في تعامله مع زوجاته، ليدرك أنه خير زوج وطأت قدماه الأرض من لدن آدم حتى يومنا هذا، فلم تشهد الإنسانية بشرا مثله، مثالا متفردا وراقيا في تعاملاته، شموليا في حسن أخلاقه، فكان حسن المعشر لزوجاته، ودائم العمل على إسعادهن، واستخدامه حق القوامة التي منحه الله إياه على وجهه الصحيح، فكان خير الأزواج لأهله.

وعن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال ﷺ: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت (سنن أبي داود)، وفي هذا الحديث: دليل على أن حسن الخلق من أفضل الأعمال. وفيه أيضا الحث على معاملة الزوجة بالإحسان إليها، وطلاقة الوجه، وكف الأذى عنها، والصبر على أذاها.

كانت أخلاق النبي ﷺ في معاملاته مع الناس، مثالا صادقا، إنه كان أرحم الناس بالناس، فكان رحيما حتى بأعدائه، وكان شديد الحرص على هدايتهم ليكونوا من أهل الإيمان، وكان يتألم لعدم استجابتهم إليه شفقة ورحمة منه على هدايتهم، وإنقاذهم من عذاب النار بسبب كفرهم بالله سبحانه وتعالى. وكان من أخلاقه العفو والصفح، وسنته خير شاهد على ذلك[3]، وكان أعطف الناس على الناس، فكيف مع أبنائه؟ وقد رزقه الله -سبحانه وتعالى- سبعة أبناء: ثلاثة ذكور، وأربع إناث. فقد كان ﷺ دائما في إظهار الود والاحترام للأبناء. وهذا يعلمنا أن تكون تربيتنا لأبنائنا بالرحمة بهم، وتقديم العطف والحنان لهم والرفق بهم، واللعب واللهو معهم، وتأديبهم بمراعاة الجوانب النفسية والتدرج في العقاب، والعدل بينهم، وتعليمهم أمور دينهم.

وفي الختام: إذا كان نبينا العظيم ﷺ رحمة مهداه من ربنا الرحيم الذي أرسله رحمة للعالمين، كان لزاما على أتباعه أن يقتدوا به اقتداء حقيقيا، ويتخلقوا بخلقه الرفيع، فقد كانت أخلاقه ﷺ نبراسا وسراجا مضيئا يهدي إلى الخير، كان سمحا كريما، يستميل الناس بالعفو، ويدرأ الحدود بالشبهات ويخفف عن الناس ما استطاع من أمور دينهم، ويرفق بهم، لقوله ﷺ: «إنه من أعطى حظه من الرفق، فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» (أخرجه البخاري).

المراجع

١- عراقي محمود سيد حامد، معالم الرحمة في أخلاق النبي ﷺ، الجمعية العربية السعودية للسنة وعلومها، ص٤.
٢- محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٢٠٢.
٣- هادى العنزي، الآيات الواردة في رحمة النبي ﷺ: دراسة موضوعية، رسالة ماجستير بجامعة مؤتة/ الأردن، ص١١.

خلف أحمد محمود أبوزيد
باحث تربوي



التربية البدنية وتنمية مهارات الطفل

تعد الرياضة البدنية أحد الأنشطة الحيوية الهامة في حياة الطفل، التي تساعد على بناء شخصية إنسانية متوازنة، تقوم على أساس صحة العقل والجسم «والتي يجب أن تبدأ مع الطفل منذ مولده، فهي تزيل الكسل والخمول من العقل والجسم، وبالتالي تنشط الذكاء، ولذا كانت الحكمة العربية التي تقول «العقل السليم في الجسم السليم» دليلا على أهمية الاهتمام بالجسد السليم عن طريق الغذاء الصحي والرياضة، حتى تكون عقولنا سليمة ودليلا على العلاقة الوطيدة بين العقل والجسد، ويبرز دور التربية في إعداد العقل والجسد معا، ومما يبعث الأسى أننا أهملنا في هذا العصر، هذا الجانب الهام في تربية أطفالنا، وتركناهم أسرى لوسائل الترفيه المعاصرة من تلفاز وكمبيوتر وإنترنت وألعاب إلكترونية، أصبحت تخلب ألبابهم، وتستحوذ على مستوى تفكيرهم، دون وعي حقيقي بما يحدق بهم من مخاطر، سلب الهوية والقيم الدينية والأخلاقية، فأصبحوا يمكثون أمامها لساعات طوال متناسين أن لهذه الألعاب مردودا سلبيا على صحتهم البدنية والنفسية، وعلى أنماط تواصلهم مع الآخرين.

فتشير إحدى الدراسات التي نشرتها مجلة «توب سانتيه» الفرنسية على ٤٥٠٠ طفل تتراوح أعمارهم ما بين (٨ - ١٢) عاما تمت متابعة أنماط حياتهم اليومية وعاداتهم الغذائية وجدت الدراسة أن الأطفال يقضون بمعدل ثلاث ساعات ونصف أمام شاشة التلفاز أو الكمبيوتر وأن ٦٠ إلى ٦٥ في المئة من هؤلاء الأطفال يتناولون طعاما زائدا عن الوجبات الرئيسة، الأمر الذي أدى إلى إصابتهم بالسمنة المفرطة حيث قليلا منهم يمارسون الرياضة أو يلعبون خارج المنزل ونصحت الدراسة الآباء بضرورة تشجيع أبنائهم على الحركة واللعب وممارسة الرياضة البدنية خارج المنزل مثل ركوب الدراجة والركض من أجل النمو الجسدي الصحيح والتخلص من الوزن الزائد[1]، فمزاولة الطفل للرياضة البدنية والاعتناء بصحته الجسدية من أهم العوامل التي تعمل على الارتقاء بالمستوى الفني والبدني والذهني الذي يكسب الطفل القوام الجيد، والنمو الشامل المتزن، الذي يمنحه السعادة والسرور والانفعالات الإيجابية، التي تتسم بالنشاط والحيوية، وتجعله في مستقبله قادرا على العمل والإنتاج، حيث تؤكد الدراسات الطبية على «أن الانتظام في ممارسة الرياضة البدنية يساعد على تقوية العضلات المتصلة بالعمود الفقري للحفاظ على بنية الجسم وقوام وتناسق العمود الفقري

لذا فإن الانتظام في ممارسة رياضة المشي والجري من الوسائل المهمة في تطوير كفاءة عمل القدمين وتقوية قوس القدم وزيادة مرونة المفاصل»[٢].

وإننا لو ألقينا نظرة سريعة على تعاليم ديننا الإسلامي، في هذا الشأن، نجد أن تربية الطفل والاعتناء بصحته الجسدية والعقلية شغلت جانبا هاما من جوانب منهج التربية الإسلامية في إعداد النشء المسلم إعدادا سليما للحياة، ذلك لأن العقيدة الإسلامية تحرص على بناء إنسان متكامل قوي الجسم صحيح العقل، ولا يتأتى تحقيق ذلك الهدف، إلا بطريق الاعتناء بأطفالنا منذ السنوات الأولى من حياتهم، ولذلك يلفت أنظارنا رسول الله ﷺ إلى أهمية الرياضة البدنية والصحة الجسدية للإنسان فيقول: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو، إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين (الرمي)، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليم السباحة» (رواه الطبراني بإسناد جيد)، فإذا كان الاعتناء والإعداد الجسمي السليم من الأمور اللازمة، للمسلم، فإن لزومها للولد وهو صغير من باب أولى حتى يشب قوي الإرادة متمتعا بالحيوية والنشاط، والبناء الجسدي السليم الذي يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير والعطاء، ويرشدنا رسول الله ﷺ في حديث آخر إلى ضرورة شغل فراغ الطفل برياضة بدنية تعود على جسده وصحته بالنفع والفائدة، فعن عبدالله ابن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيدالله وكثير بن العباس ثم يقول: «من يسبق إليّ فله كذا وكذا»، قال: «فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم» (أخرجه الإمام أحمد بإسناد حسن).

وقد صار صحابته رضوان الله عليهم على هذا النهج، بضرورة الاعتناء بصحة الأبناء البدنية والجسدية، بدعوتهم إلى اللعب الهادف وممارسة الرياضات المفيدة، فمن الأقوال المأثورة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبا» (رواه البيهقي).

كما أشار العديد من الفقهاء والمفكرين المسلمين في عصور مختلفة إلى أهمية اللعب والنشاط البدني والحركي للطفل في وقت مبكر، حيث اشتملت العديد من مؤلفاتهم وأقوالهم على الإشادة بالرياضة والنشاط البدني، فقد أحب الإمام الشافعي رضي الله عنه، رياضة الرمي بالقوس والسهم حبا شديدا، وذكر الترمذي في نوادره «عرامة الصبى -أي لعبه وقوة حركته واجتماعه- مع غيره في صغره، زيادة في عقله في كبره»، كما أشار الإمام أبو حامد الغزالي إلى أهمية أن يلعب الصبى لعبا جميلا يستريح إليه من عناء المكتب، كما نوه ابن خلدون في مقدمته الشهيرة بالعلاقة الوثيقة بين التركيب الجسمي للإنسان ونوع الغذاء وطبيعة البيئة التي يعيش فيها الفرد، كما دعا أيضا ابن مسكويه إلى تقليل الطعام ومعالجة الكسل بالنشاط البدني، وأيضا نوه الإمام القابسي بأهمية اللعب في حياة الطفل لنشاط فطرى طبيعي.

وفي النهاية نقول إن التربية البدنية للطفل مطلب ضروري دعت إليه شريعتنا الإسلامية وأكدت عليه الدراسات التربوية المعاصرة التي أثبتت أن للنشاط البدني والرياضي دور كبير في زيادة معدلات الذكاء لدى الطفل، ففي دراسة قام بها العالم «شافز أرمر» على مجموعتين من التلاميذ الرياضيين وغير الرياضيين اتضح خلالها أن التلاميذ الرياضيين مستوى ذكائهم أعلى من غير الرياضيين[٣]، وهذا أيضا ما أثبتته الدراسات العربية المعاصرة أن هناك نتائج إيجابية حول علاقة النشاط الرياضي بالتحصيل الدراسي والعمليات العقلية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، حيث أكدت نتائج هذه البحوث والدراسات، على أن الميل للعب وممارسة الأنشطة البدنية والرياضية لا يعوق التحصيل الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية بل يساعد عليه بصوره أفضل[٤].

وهناك من الدراسات الحديثة أيضا، ما أثبتت أن هناك علاقة وثيقة بين الرياضة والإبداع والابتكار، وأن الابتكار يرتبط بالعديد من المتغيرات مثل التحصيل والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والشخصية وخصوصا النشاط البدني، بالإضافة إلى جميع المناشط الإنسانية، «حيث إن الابتكار غير مقصور على الفنون أو العلوم، ولكنه موجود في جميع أنواع النشاط الإنساني والبدني، فالممارسات الرياضية تتطلب استخدام جميع الوظائف العقلية ومنها عمليات التفكير، فالتفوق في الرياضات مثل الجمباز والسباحة والغطس وغيرها من أنواع الرياضات المختلفة، يتطلب قدرات ابتكارية ويسهم في تنمية التفكير العلمي والابتكاري والذكاء لدى الأطفال والشباب»[٥]، هذا الأمر الذي يدعونا إلى الاهتمام بالتربية البدنية السليمة والنشاط الرياضي، من أجل صحة أطفالنا وصحة عقولهم وتنمية تفكيرهم وذكائهم بصورة أفضل.

الهوامش

١- جريدة العالم الإسلامي، العدد ١٨٢١، ص٥.

٢- مجلة الجيل العدد ١٨٠، ص٥٠.

٣- د/ أمين الخولي، الرياضة والمجتمع، مكتبة الأسرة، الناشر الهيئة المصرية للكتاب، ص١٥٣.

٤- المصدر السابق، ص١٥٣.

٥- مجلة النفس المطمئنة، العدد ١٢٢، ص٤٣.

د.شاذلي عبد الغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية

من منابع السعادة في الإسلام



تتوالى الأبحاث والدراسات التي تحاول الوصول إلى الأشياء التي يمكن ان تحقق للنفس البشرية الشعور بالسعادة والطمأنينة والامتلاء بالرضا والتشبث بالأمل، والتي تمنحها القدرة على الثبات أمام متاعب الحياة، وتمكنها من أن تتجاوز ما يمكن أن يقابلها من عقبات دون أن تضعف أمامها الإرادة البشرية، وتشعر بالعجز عن مواصلة مسيرة الحياة.

وقد كانت أطول الدراسات التي أرادت أن تكشف السر الذي يجعل الإنسان أكثر سعادة وصحة تلك التي أجرتها جامعة هارفارد، التي استمرت لمدة ثمانين عاما، ومن خلال تقصي حياة الأشخاص الذين تتبعتهم هذه الدراسة، وعبر جهود عدة أجيال من الباحثين، أعلن الفريق الذي واصل البحث أن سر السعادة يتمثل في العلاقات الإنسانية الجيدة والمبنية على المودة والقائمة على المساندة والتعاون، يقول البروفسير «روبرت والدينجر» المشرف الرابع على الدراسة بعد مرور خمسة وسبعين عاما من بدئها: لقد تعلمنا ثلاثة أمور بليغة عن العلاقات الإنسانية: أولها أن أصحاب العلاقات الإيجابية مع عائلاتهم وأصدقائهم ومجتمعهم يعيشون في سعادة وصحة وإيجابية، بل ويعيشون أطول... أما الدرس الثاني فهو أن العبرة ليست بالعدد ولا في الوقت وإنما في جودة العلاقات التي تحيط بنا، والدرس الثالث والأهم: أن هذه العلاقات الجيدة، لا تحمي أجسادنا فقط، بل عقولنا أيضا، تطيل عمر الذاكرة وتجعلها تبدو في أفضل حالتها في سن الشيخوخة، والعكس صحيح تماما لهؤلاء الذين يعيشون في عزلة مدمرة»[1].

وقد حدد والدينجر ثمانية مبادئ تبني علاقات قوية ومفيدة قائمة على الثقة، هي التواصل، والمصداقية، والتعاون، والبعد عن الخداع، والوفاء بالعهود، وإظهار الشكر والتقدير، والتعاطف، والاعتذار[2].

ولا يحتاج العارف بتعاليم الإسلام إلى تأمل في مثل هذه الدراسة ليدرك أن الدين الحنيف قد وضع المبادئ التي ترسي دعائم العلاقات الإنسانية التي تبعث السعادة وتنشرها بين أفراد المجتمع، بصورة أشمل وأعمق مما

حوته هذه الدراسة وغيرها.

وبإطلالة سريعة على مبادئ العلاقات الإنسانية في الإسلام سنرى أنه جعل من التواصل الإنساني المبني على المودة والمساندة والتسامح والتشارك الوجداني وسيلة يتقرب بها المؤمن إلى الله، ويحاسب على قطعها والتفريط فيها، ولم يكتف الإسلام بالحث على التواصل بل عالج كل ما يمكن أن يؤدي إلى إضعاف الترابط والتكاتف بين أبناء المجتمع، رعاية للعلاقات الإنسانية، وحرصا على أن تبقى حصنا نفسيا تقوى في ظلالها مشاعر السعادة، وتزداد من خلالها رغبة الإنسان في صنع الخير وحرصه على البر والعطاء.

العلاقات الأسرية

اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالأسرة، ورسم لها الطريق الذي من خلاله تتمتع بمقومات السعادة النفسية، وينشأ أفرادها على المودة والتفاهم والتشارك، ومن ثم يصبحون قادرين على التعامل مع المجتمع بهذه الأخلاق النبيلة التي اعتادوا عليها، والتي ربوا أبناءهم في ظلالها.

وقد اشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية على العديد من النصوص التي تضيء للأسرة طريقها، وتنظم لها أمورها، وتفتح لها آفاق السعادة والاستقرار، فبين للزوجين أسس المعايشة التي تثمر التآلف والمودة ووضح حقوق كل واحد منهما على الآخر، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩) أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨) وقال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[٣]، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك[٤].

ويبين الشيخ المراغي أن «في كلمة (المعاشرة) معنى المشاركة والمساواة أي عاشروهن بالمعروف وليعاشرنكم كذلك، فيجب أن يكون كل من الزوجين مدعاة لسرور الآخر وسبب هناءته وسعادته، في معيشته ومنزله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١)»[٥]، وفي تعامل الوالدين مع الأبناء، وضع الإسلام القواعد التربوية الجامعة التي من شأنها أن تغرس في نفوس الصغار القيم الأخلاقية الراقية وتربيهم على التعاون والمحبة والصلاح، وتملأ أرواحهم بمشاعر الإيمان الذي هو مرفأ النجاة ومنبع السعادة العظمى.

وفي أقوال النبي ﷺ وفي هديه المبارك ما يوضح المنهج الذي عن طريقه تتشكل أجواء السعادة التي يحيا من خلالها الأبناء في ظل آباء حريصين على كل ما فيه الخير والسعادة لأبنائهم، يعلمونهم برفق ويربونهم بعطف ويرشدونهم برحمة، عن أبي هريرة الدوسي ﵁ قال: خرج النبي ﷺ في طائفة النهار، لا يكلمني ولا أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة، فقال: «أثم لكع؟ أثم لكع؟». فحسبته شيئا، فظننت أنها تلبسه سخابا قلادة أو تغسله، فجاء يشتد حتى عانقه وقبله، وقال: «اللهم أحبه وأحب من يحبه»[٦].

وهو يعلمنا كيف نقدر رأي أبنائنا ونمنحهم الفرصة لإبدائه، ونعطيهم حقوقهم، ونعلمهم كيف يطالبون بها بثقة وشجاعة، عن سهل بن سعد ﵁: «أتي رسول الله ﷺ بقدح فشرب، وعن يمينه غلام هو أحدث القوم، والأشياخ عن يساره، قال: «يا غلام، أتأذن لي أن أعطي الأشياخ». فقال: ما كنت لأوثر بنصيبي منك أحدا يا رسول الله، فأعطاه إياه»[٧]، وفي تعاليم النبي في معاملة الأبناء بدا حرصه ﷺ على نزع كل ما يؤدي إلى الشقاق والغيرة والحزن، فأمر بالعدل بين الأبناء حتى فيما يمكن أن تبدو من خلاله مشاعر حب أو عطف زائد، عن الحسن، قال: بينا رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى قال: فلبث قليلا فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه فمسح رأسها وأقعدها في الأرض فقال رسول الله ﷺ: «فهلا على فخذك الأخرى» فحملها على فخذه الأخرى فقال ﷺ: «الآن عدلت»[٨].

ومن خلال هذا العدل وعبر تلك الرأفة تتزايد مشاعر المحبة بين الإخوة ويتسع أفق السعادة في الأسرة، أما تعامل الأبناء مع الوالدين فإنه يحتل مكانة كبيرة في الإسلام، وقد تكررت وصايا برهما والنهي عن عقوقهما في

الكتاب والسنة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦)،

وفي هذه الآية الكريمة تتجلى الأسس الإنسانية في تواصل المسلم مع أبويه وذوي رحمه وجيرته ورفقته ومن يحتاجون إليه، فهو تواصل ينبغي أن يحاط بالإحسان والبر وتكلله الرأفة ويقويه التعاون ويزينه التواضع، وقد بينت ذلك الكثير من الآيات الكريمة، وفصلت السنة النبوية في ذلك تفصيلا عظيما.

العلاقات المجتمعية

من أجل أن يحيا المجتمع حياة سعيدة، حرم الإسلام كل ما يمكن أن يزرع الكراهية والضغينة أو يوهن الثقة، أو يدفع إلى الانطواء هروبا من قسوة ذلك المجتمع أو إهماله، فالإسلام حرم كل ما فيه تعد على الآخرين، أو انتقاص من شأنهم، أو غمط لقدرهم، أو استعلاء عليهم، او استغلالهم، كما حرم الغدر والكذب والخيانة والغيبة والنميمة والغش، وفي نفس الوقت حرص على ترسيخ المبادئ التي تؤسس لعلاقات اجتماعية تصون كيان الفرد، وتحمي حقوقه، ويزدهر في ظلها المجتمع، وتتحقق سعادة أبنائه.

لقد لاحظ بعض مفكري الغرب أنه من البارز في تعاليم الإسلام اهتمامها بالتحديد الدقيق لما يجب أن يكون عليه المسلم في تعاملاته مع أبناء مجتمعه، وأن اتباع المسلم لهذه التعاليم يأتي نتيجة لارتباطه بعقيدته وحرصه على طاعة خالقه، يقول المفكر النمساوي محمد أسد: «إن أي إنسان لديه قسط من العلم حتى ولو كان سطحيا يسيرا عن تعاليم الإسلام، يعرف أن هذه التعاليم لا تقف عند حد تنظيم العلاقات بين الإنسان وخالقه، ولكنها تتعدى ذلك إلى وضع نظام محدد للسلوك الاجتماعي يجب على المسلم اتباعه كأثر من آثار هذه العلاقة وكنتيجة لها»[٩].

وقد تحدث بعض المستشرقين عن القيم التي حرص الإسلام على أن تسود بين أبناء المجتمع المسلم ليتحقق من خلالها خير المجتمع وسعادة أبنائه، يقول المستشرق المجري جولد تسيهر: «علينا إن أردنا أن نكون عادلين بالنسبة للإسلام أن نوافق على أنه يوجد في تعاليمه قوة فعالة متجهة نحو الخير، وأن الحياة طبقا لتعاليم هذه القوة يمكن أن تكون حياة طيبة لا غبار عليها من الوجهة الأخلاقية، هذه التعاليم تتطلب رحمة جميع خلق الله، والأمانة في علاقات الناس بعضهم ببعض، والمحبة والإخلاص وقمع غرائز الأثرة»[١٠].

كما أن من المستشرقين من لاحظ ما منحه الإسلام من ترابط مجتمعي، في مقابل النزعة الفردية التي تغلب على المجتمع الغربي، وهذا الترابط الذي أساسه الأخوة في الإسلام، يمنح للمسلم إحساسا بالأمن، ويمده بالقوة، ويشعر في أي أرض إسلامية أنه في داره وبين أهله، يقول الدكتور هارولد ب سميث: «إن في التصور الإسلامي للإنسان اتجاها جمعيا، فإدراك الإنسان أنه ينتمي إلى كل أكبر، وارتباطه بغيره ممن ينتمون إلى نفس الجماعة التي تؤمن إيمانه، يهيئان للحياة الفردية وضعا اجتماعيا ليس له في الغالب وجود في الغرب الذي ينزع إلى الفردية؛ فالأخوة في الإسلام تهب قوة وأمنا ومجالا من الوعي المشترك قد ينتج عنها ذلك النوع من الترابط الذي يتجاوز حدود الأوطان والأجناس، والذي يعمل الناس متلهفين في سبيل تحقيقه في سائر بلاد العالم..»[١١].

الهوامش

(١) ثامر عدنان شاكر: عابر حياة، الرياض: دار مدارك للنشر ٢٠١٨م، (ص١٧).
(٢) انظر إيمان مبروك: أطول دراسة عن السعادة: سر واحد فقط يبقيك سعيدا، جريدة المصري اليوم ٢٠١٨/٠٨/٢٤م.
(٣) سنن ابن ماجة برقم: (١٩٧٧).
(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٩ هـ، (٢/ ٢١٢).
(٥) تفسير المراغي، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، (٢١٣/٤، ٢١٤).
(٦) صحيح البخاري برقم: (٢٠١٦).
(٧) صحيح البخاري برقم: (٢٢٣٧).
(٨) العيال لابن أبي الدنيا برقم: (٣٦)، والبر والصلة (عن ابن المبارك وغيره) للحسين بن حرب المروزي برقم: (١٥٨).
(٩) محمد أسد: منهاج الإسلام في الحكم، ترجمة: منصور محمد ماضي، بيروت: دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٧٨م، (ص١٧).
(١٠) جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، ترجمة: محمد يوسف موسى، عبد العزيز عبد الحق، علي حسن عبد القادر، القاهرة: دار الكاتب المصري ١٩٤٥م، (ص٢٢).
(١١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، مجموعة البحوث التي قدمت لمؤتمر برنستون للثقافة الإسلامية، جمع ومراجعة وتقديم محمد خلف الله، بحث «مذهب الإسلام في الإنسان» لهارولد سميث، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (ص٧٥).

محمد فرحان
باحث في اللغة والأدب



كاد المعلم أن يكون رسولا

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١).

إن للمعلم دورا مهما لا نظير له ولا مثيل في بناء أعمدة المجتمع، حيث يعد رسولا حاملا رسالة العلم وهداية الناس، لأنهم ورثة الأنبياء والمرسلين، يرشدون الناس ويهديهم إلى سبيل الرشاد والهداية، كما دعا رسل الله أمتهم إلى ما أمر الله به من الصراط المستقيم، وهم يعلموننا ما طرق الحق وما طرق الباطل، يأخذون بأيادينا، ويمشون إلى رضى الله ورسوله، ويمنعوننا من سخطه ومن سبل عدوه. وهناك آلاف العبارات والأقوال المأثورة عن رسالة الاحترام والتقدير للمعلمين.

قال الشعبي رحمه الله: صلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة، فقربت إليه بغلته ليركبها، فجاءه ابن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه فقال زيد رضي الله عنه: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء». فقبل زيد بن ثابت رضي الله عنه يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ (أخرجه الطبراني والحاكم وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم).

أما سمعتم قصة أبي حنيفة الكوفي رحمه الله وهو يأبى أن يمد رجليه إلى اتجاه بيت أستاذه حماد الذي توفي منذ سنوات وبيته وراء سبعة أسواق. ويا له من إكرام... وما أشد هذا الإكرام...

فعلينا أن نكون متواضعين للمعلمين أقصى غاية التواضع والإذعان، وألا نتكبر عليهم برفع أصواتنا في حضرتهم، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «أنا عبد من علمني حرفا واحدا».

فلندعُ الله لمن كان سبب إنقاذنا من النار الآخرة، وهو أهم من إنقاذ الوالدين أولادهما من نار الدنيا... ولندعو الله لمن كان سبب سعادة الحياة الأخروية وهو أعظم من دور الوالدين في سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية.

ما أحسن قول الشاعر:

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي
يبني وينشئ أنفسًا وعقولا

اللهم اجعلنا قرة أعين لأساتذتنا ووالدينا، واجعلنا معهم في دار جناتك اللهم...آمين.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٧٣)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «الصنعاني» (القسم الأول)

١- سابق الدين الصنعاني (ت قبل:٧٠٩هـ):

هو سابق الدين محمد بن علي بن أحمد الصنعاني، نحوي، مفسر، من آثاره: «التهذيب في النحو»، و«تفسير القرآن»[١].

٢- المطهر الصنعاني (ت:٨٦٣هـ):

هو المطهر بن كثير الجمل الصنعاني، مشارك في أنواع من العلوم، من تصانيفه: «المعراج في الأصول»، و«تتمة كتاب جامع الخلاف»، توفي بصنعاء[٢].

٣- محمد الصنعاني (ت:٩٢٥هـ تقريبا):

هو محمد بن أحمد بن المظفر الصنعاني، الزيدي، من آثاره: «الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان»[٣].

٤- الهادي الصنعاني (ت:١٠٧٩هـ):

هو الهادي بن أحمد بن محمد



الرباعي الصنعاني الزيدي، فقيه، من آثاره: «نور السراج على أنوار الفقه»، و«شرح أسماء الله الحسنى»، توفي بالجراف[٤].

٥- يوسف الصنعاني (ت:١١٢١هـ):

هو يوسف بن يحيى بن الحسين الحسني الصنعاني اليمني الزيدي، أديب، ناثر، ناظم، مشارك في الطب والأصلين والمنطق.

ولد بصنعاء في جمادى الأولى سنة: ١٠٧٨هـ، ونشأ بها، وأقام بمكة سنتين، من آثاره: «نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر»، توفي بصنعاء[٥].

٦- بدر الدين الصنعاني (ت:١١٢٩هـ):

هو بدر الدين محمد بن الحسين بن الحسن الحسني، الصنعاني، متكلم، أديب، شاعر، حكيم، طبيب عارف بالنبات، ولد بصنعاء في صفر سنة: ١٠٦٢هـ، من آثاره: «الرسالة الكلامية»، وله شعر كثير[٦].

٧- الأمير الصنعاني (ت:١١٨٢هـ):

هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، ويعرف بالأمير، محدث، فقيه، أصولي، مجتهد، متكلم، من أئمة اليمن.

ولد سنة: ١٠٩٩هـ، أخذ من علماء صنعاء، ثم رحل إلى الحرمين، من تصانيفه: «سبل السلام في شرح بلوغ المرام من أدلة الاحكام»، و«تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، و«ثمرات النظر في علم الأثر» (في مصطلح الحديث)، و«إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد»، و«توضيح الأفكار في شرح تنقيح الأنظار» (في علوم الحديث)، وتوفي بصنعاء[٧].

٨- يحيى الصنعاني (ت:١٢٠١هـ):

هو يحيى بن محمد بن عبدالله الحسني الصنعاني، فقيه، عالم بالطب وعلم الأسماء والرمل والجفر.

ولد بصنعاء سنة: ١١١٤هـ، وتولى قضاء القضاة، من آثاره: «مؤلف» في مجرباته، رتبه على حروف المعجم، ذكر فيه خواص النبات والمعادن، توفي بصنعاء[٨].

٩- المطهر الصنعاني (ت:١٢٠٧هـ):

هو المطهر بن إسماعيل بن يحيى الحسني الصنعاني، أديب، شاعر، مؤرخ، ولد بصنعاء سنة: ١١٣٢هـ، وبها نشأ، من تصانيفه: «اليسير المعجل والعقد المكلل في نصائح الخلفاء والملوك ثم الأمثل فالأمثل»، و«المناقب العلية في مناقب أمير المؤمنين وعترته الزكية»، توفي بصنعاء[٩].

١٠- حسام الدين الصنعاني (ت:١٢٦٦هـ):

هو حسام الدين محسن بن عبدالكريم بن أحمد بن المهدي الصنعاني، مؤرخ، له شعر.

ولد في صنعاء سنة: ١١٩١هـ، من مصنفاته: «لفحات الوجد من فعلات أهل نجد»، و«الروض النادي في سيرة الإمام الهادي»، و«ديوان شعر»، توفي في صنعاء[١٠].

الهوامش

١- انظر: معجم المؤلفين (٣٠٧/١٠).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (١٩/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٩٥/١٢).

٣- انظر: إيضاح المكنون (٢٨١/٢)، ومعجم المؤلفين (٢٢/٩).

٤- انظر: هدية العارفين (٥٠٢/٢)، ومعجم المؤلفين (١٢٥/١٣).

٥- انظر: هدية العارفين (٥٦٨/٢)، والأعلام للزركلي (٢٥٨/٨)، ومعجم المؤلفين (٣٤٣/١٣).

٦- انظر: معجم المؤلفين (٢٣٨/٩).

٧- انظر: هدية العارفين (٣٣٨/٢)، والأعلام للزركلي (٣٨/٦)، ومعجم المؤلفين (٥٦/٩).

٨- انظر: الأعلام للزركلي (١٦٩/٨)، ومعجم المؤلفين (٢٢٦/١٣).

٩- انظر: نيل الوطر (٣٥٦/٢)، ومعجم المؤلفين (٢٩٤/١٢).

١٠- انظر: الأعلام للزركلي (٢٨٧/٥)، ونيل الوطر (٢٠١/٢).



هشام الصباغ
باحث لغوي

حادي الصحوة الإسلامية

أحمد محمد الصديق

● بنفس راضية، وثغر باسم، وصبر جميل، تغرب عن أهله ووطنه، فارا من ذل الخضوع لسلطان الاحتلال، متجشما في سبيل ذلك وعثاء السفر، ووعورة الطريق، ومخاطر الحدود، بين الكيان الصهيوني ولبنان.

● بثبات شقت موهبته طريقها، وبقوة أثبتت وجودها، فشاعريته فياضة، وطبعه سخي، وقدرته على التحليق الروحي والإبداع الفني عالية.

● شاعر اقتاتت قضايا الأمة قلبه.. وبقلمه ووقته وعلمه حمل لواء الدفاع عنها في كل مكان، وامتزجت فيه الشخصيتان الدعوية والشعرية في آن.

● شعره -لا دراساته وشهاداته- يفضح سريرته، وسيرته كتاب مفتوح، يتسع باتساع جغرافيا جرحنا العربي والإسلامي الغائر، لأنه وضع أمته على منكبيه أنى حل أو ارتحل، يصوغها قصيدة فرح في لحظات صفائه، ويحيلها بركانا لا يعرف الخمود إذا استبدت به الأحزان.. ولذا فإنه يصدق فيه قول علي بن الجهم(١):

وما أنا ممن سار بالشعر ذكره ❖❖❖ ولكن أشعاري يسير بها ذكري

● تصاويره الشعرية تنساب في عبارات وجمل وألفاظ ليست من الوحشي الغريب، ولا السوقي المبتذل؛ فهو يحسن سبكها، ويجود نظمها، فتخرج كأنها حبات عقد لؤلؤي، نظمه جوهري خبير، أو قلادة ذهبية، أجاد صنعها صائغ قدير.

● حول محورين أساسيين يدور شعره: (دينه، ووطنه)؛ ودينه هو الإسلام، ووطنه هو فلسطين، فحولهما يدندن، ولهما أو عليهما يغني أو يبكي.. استطاع أن يحول الحزن من ذرف الدموع وإطلاق العويل، إلى ثورة على الباطل، ودعوة إلى الحق، يجتمع فيها الشتات، ويحيا الموات، وتعلو راية الله، يحملها رجال مؤمنون، يعيدون من جديد «صلاح الدين» ويحيون ذكرى «حطين».. إنه حادي الصحوة الإسلامية الشيخ الأستاذ الشاعر الفلسطيني: أحمد محمد الصديق (أبو رياض).

المولد والنشأة والتعليم

● قريبا من عكا في فلسطين الحبيبة، وفي (٧) ديسمبر (١٩٤١م)، ولد الشاعر أحمد محمد الصديق، في قرية شفا عمرو(٢) (قضاء حيفا)، التي قضى فيها طفولته وصباه وبداية شبابه، وكان الولد الوحيد لأهله بين ثلاث بنات، وأخ توفي قبل ولادته.

● نشأ في أسرة مسلمة محافظة ميسورة الحال، غلب عليها الفقر -بعد يسر سابق- بسبب الإجراءات التعسفية التي قام بها الإنجليز بعد ثورة: (٣٦) وما تبعها من نكبة وتشريد.

● لثماني سنوات درس الصديق المرحلة الابتدائية في مدرسة شفا عمرو.. وبمنحة حكومية انتقل بعدها إلى حيفا ودرس في مدرستها الأرثوذكسية الثانوية سنتين بعد الابتدائية (وفق النظام التعليمي المعمول به ذاك الوقت)، لكنه لقي أثناء دراسته فيها عنتا شديدا بسبب حواجز الاحتلال الصهيوني.. وبعدها ولسنة واحدة درس في مدرسة كفر ياسيف الثانوية غير أنه لم يكمل دراسته فيها حيث خرج من فلسطين المحتلة أيام العدوان الثلاثي على مصر عام: (١٩٥٦م)، مهاجرا إلى لبنان.

● في عام: (١٩٦٠م)، غادر لبنان إلى قطر، وهناك التحق بمعهدها الديني الثانوي بالدوحة عام: (١٩٦٣م)، والتقى فيه بخيرة الأساتذة والعلماء، وتخرج منه عام: (١٩٦٦م).

● بعد أن تخرج من معهد قطر الديني، سافر إلى السودان، ودرس فيه الشريعة في جامعة أم درمان الإسلامية حتى حصل على شهادة الليسانس عام: (١٩٧٠م)، ثم اتجه إلى مصر لإكمال دراسته العليا، ومن جامعة الأزهر العريقة تحصل على الماجستير في الشريعة الإسلامية، ثم آب قافلا إلى قطر مرة أخرى ليحصل فيها على الدبلوم العام في

التربية من جامعة قطر، التي حصل على جنسيتها عام: (١٩٩٦م).

حياته العملية

● باكرا، وفي فلسطين المحتلة، بدأ حياته العملية، تحديدا وهو في السنة الثامنة الابتدائية، حيث شارك بشعره في مهرجانات ومناسبات فلسطينية عديدة، وحين سافر إلى السودان لم تشغله دراسته عن نشاطه الدعوي وإلقاء قصائده في مختلف المناسبات والندوات وفي الصحف والمجلات، وأشهرها مجلة الميثاق الإسلامي.

● الندوات الشعرية في قطر والإمارات والكويت والبحرين شهدت حضوره شاعرا محلقا مجليا أصيلا، والكثير من قصائده الملقاة فيها أنشدت وانتشرت على نطاق واسع، وقد نشرت له مجلة: «الأمة» و«الحق» القطريتان، و«المجتمع» و«الوعي الإسلامي» الكويتيتان، و«الإصلاح» و«منار الإسلام» الإماراتيتان، و«الفيصل» و«المسلمون» السعوديتان، و«البعث الإسلامي» الهندية، و«الشهاب» اللبنانية.. وغيرها من المجلات والصحف.. كما أن بعض قصائده دخلت ضمن مقررات مناهج اللغة العربية في بعض البلاد العربية.

● لثماني سنوات عمل مدرسا في قطر، ثم انتقل للعمل رئيسا لأحد أقسام وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، ولعشرين عاما كان عريفا لمواسمها الثقافية، ثم عمل خبيرا شرعيا أول بإدارة الشؤون الاسلامية، ولخمس وعشرين عاما تولى خطابة الجمعة في قطر ثم اعتزل إثر مرض ألم به.

نموذج من شعره

● إسلاميات الصديق في دواوينه تستغرق معظم قصائده، فقد آمن بالإسلام، عقيدة وشريعة، عبادة وقيادة، دينا ودولة، حضارة وأمة، مصحفا وسيفا، أخلاقا وجهادا، وهذا الإيمان الواعي الشامل، نجد صورته ماثلة في شعره: من قصائد تتغلغل في أعماق النفس، أو تسبح في آفاق الوجود، إلى أخرى تبين محاسن الشريعة أو تذود عنها، إلى ثالثة تتحدث عن قضايا الإسلام من المحيط إلى المحيط، إلى رابعة تحيي ذكريات الإسلام وبطولاته وأمجاده على امتداد أربعة عشر قرنا.

عودي إلى الإسلام عودي — وتنسمي عرش الوجود
عودي إلى النبع الأصيل — إلى نبوغك من جديد
عودي إلى الأمجاد بعد — متاهة الفكر الشرود
بعد ارتحال لاهث — خلف السراب بلا ورود
لك صبغة الرحمن أشرف — ما اكتسيت من البرود
وشريعة غراء واضحـ — ـة المعالم والحدود
هلا اهتديت بهديها — إن شئت حقا أو تسودي

إنتاجه الأدبي

● حمل الصديق بين جوانحه عالمه الإسلامي المنشود، فأثرى المكتبة العربية والإسلامية بما يرمم ما تهدم من ذلك العالم ويزين جنباته بشعره الأخاذ، فأطلق: «نداء الحق»، وقدم رؤيته لـ «الإيمان والتحدي»، ذلك التحدي الذي جعله يسطر أنشودة الظفر في «ملحمة الشيشان»، وينادي بحرقة المؤمن الملتاع «يا سراييفو الحبيبة» غير ناس أن يكتب في هدوء الداعية ووقار المربي «قصائد للفتاة المسلمة»، مسرجا حصان الروح ليغرد مع «طيور الجنة».. وهي كلها عناوين لدواوين شعرية أصدرها، وكثير غيرها، شاعرنا الفريد.

مساهمته مع «الوعي»

● للأستاذ الشاعر الشيخ أحمد محمد الصديق ثلاث مساهمات مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عناوين: «صراع» (قصة) (ع:٥١)، «صيحة فدائي» (قصيدة) (ع:٥٨)، «يا مسلمون» (قصيدة) (ع: ٦١).

وفاته

● عن عمر يبلغ (٧٦) عاما، وبعد رحلة طويلة مع الفكر والأدب الإسلامي، فقدت أمتنا الإسلامية والعربية الشاعر الكبير الشيخ أحمد محمد الصديق يوم الأحد (١٤) مايو (٢٠١٧م).

الهوامش

١- علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد القرشي، كنيته «أبو الحسن»، أحد شعراء الدولة العباسية، ولد سنة: (١٨٨هـ)، ومات سنة: (٢٤٩هـ).

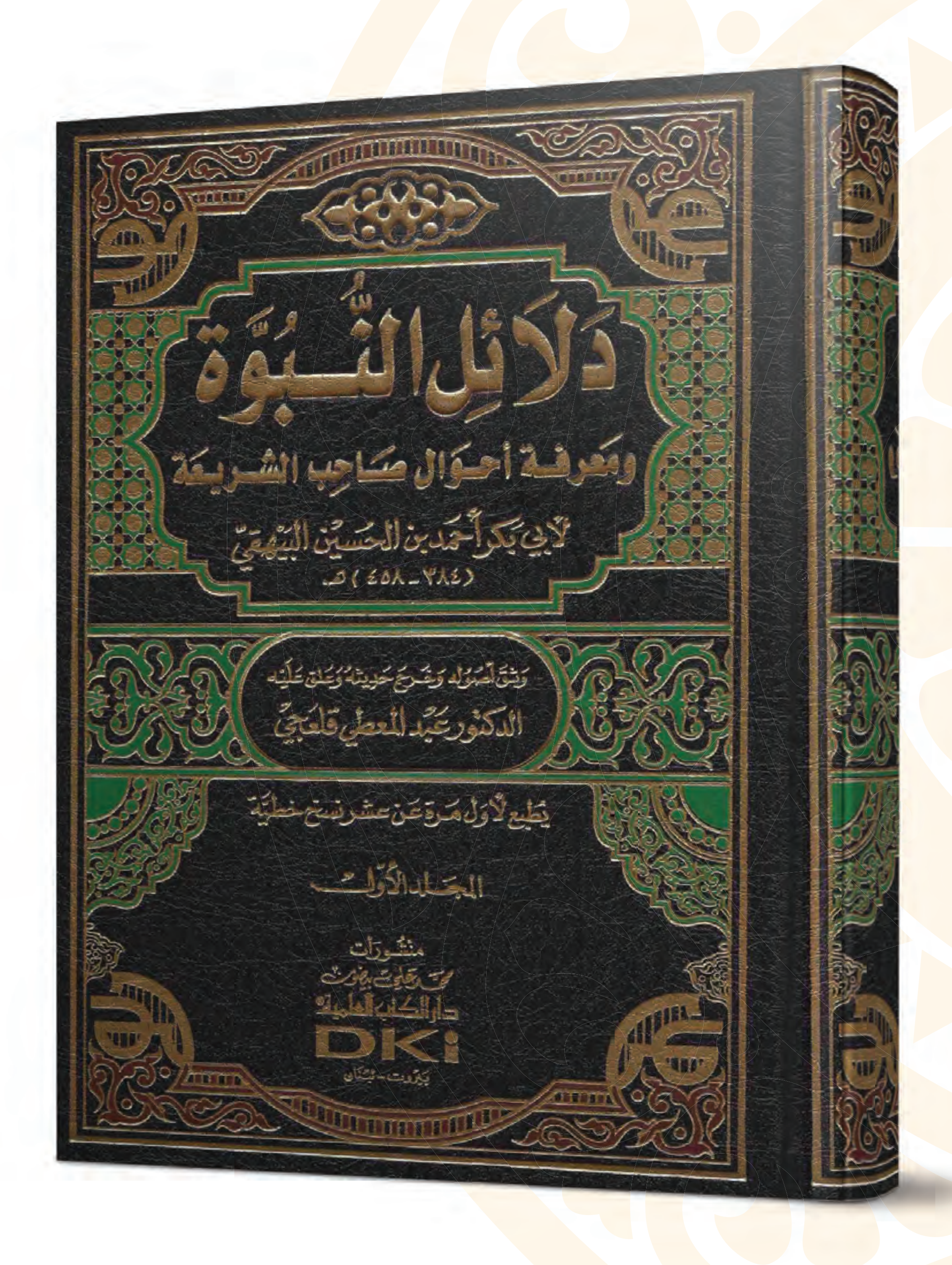
٢- يقال إن الصحابي الجليل عمرو بن العاص مر بها زمن الفتوح مريضا وشرب من نبعها المعروف بـ«عين عافية» فتعافى من مرضه ونادى أصحابه: «شفي عمرو» فسميت بهذا الاسم.

المصادر

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي»، (ج١).
- موقع إسلام أونلاين.
- موقع إسلام ويب.
- رابطة أدباء الشام.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

المعروف اختصارا بدلائل النبوة، وهو كتاب في سيرة المصطفى ﷺ، حيث إنه يعد من بين أهم كتب السيرة وأوفاها، إذ إنه يسوق الروايات بأسانيدها إلى أصحاب الكتب المعتبرة، وأحيانا يتكلم على الروايات ويبين حالها.

التعريف بالكاتب

هو الإمام المحدث المتقن صاحب التصانيف الجليلة والآثار المنيرة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي المشهور بالبيهقي، ولد في (بيهق وهي عدة قرى من أعمال نيسابور) سنة: (٣٨٤هـ)، وتوفي سنة: (٤٥٨هـ)، تتلمذ على جهابذة عصره وعلماء وقته وشهد له العلماء بالتقدم.

نشأته وطلبه للعلم

بدأ البيهقي طلب العلم وسماعه الحديث منذ نعومة أظافره وهو في سن صغيرة حيث كان عمره خمس عشرة سنة. قال الإمام البيهقي وهو يتحدث عن نشأته وطلبه للعلم: «إني منذ نشأت وابتدأت في طلب العلم أكتب أخبار الرسول ﷺ، وأجمع آثار الصحابة الذين كانوا أعلام الدين، وأسمعها ممن حملها، وأتعرف أحوال رواتها من حفاظها، وأجتهد في تمييز صحيحها من سقيمها، ومرفوعها من موقوفها، وموصولها من مرسلها، ثم أنظر في كتب هؤلاء الأئمة الذين قاموا بعلم الشريعة وبنى كل واحد منهم مذهبه على مبلغ الكتاب والسنة».

مؤلفات البيهقي

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، السنن الكبرى، أحكام القرآن، أحاديث الشافعي، فضائل الصحابة، الجامع لشعب الإيمان، البعث والنشور، الأسماء والصفات.

المحتوى العام للكتاب

كتاب دلائل النبوة كتاب في السيرة النبوية الشريفة مرتبا على أبواب السيرة من المولد حتى الوفاة، وهو كتاب خاص بذكر دلائل نبوة محمد ﷺ فقد قال مؤلفه في الجزء الثالث: «القصد من هذا الكتاب، بيان دلائل نبوته، وإعلام صدقه في رسالته ﷺ».

وقد تميز هذا الكتاب بخصائص منها: أنه يجمع بين كتب الأسانيد والسيرة النبوية، فهو يورد الأحاديث مسندة ويبين صحيحها والضعيف منها. حيث إن البيهقي قد قال في كتابه: «ويعلم كل حديث أوردته قد أردفته بما يشير إلى صحته، أو تركته مبهما وهو مقبول في مثل ما أخرجته وما عسى فيه ضعف أشرت إلى ضعفه وجعلت الاعتماد إلى غيره».

كما أنه عند ذكره للأحاديث الصحيحة أو الضعيفة فإنه يشير إلى ذلك، والضعيف ضعفا يسيرا يتركه مبهما لأنه قد يورده فيما يتساهل فيه كفضائل الأعمال وغيرها.

أما عند ذكره للأحاديث فإنه يسوقها بسنده هو، وتلك هي طريقته في مؤلفاته. ويلجأ أحيانا -إذا تطلب الأمر مزيدا من الإيضاح- إلى التعليق على الحديث، كأن يذكر للرواية عدة طرق أو يورد بعض الشواهد، أو يبين إشكالا في رواية ما، كما أن البيهقي أكثر في كتابه من النقل عن سيرة ابن إسحاق ومغازي موسى ابن عقبة.

نسخة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس الذي يضم بين دفتيه سيرة خير البشر ﷺ، والتي تتكون من (٧) مجلدات، وهو في متناول قرائها الكرام المهتمين بكتب السير.

المصادر

دلائل النبوة.

سير أعلام النبلاء.

الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد / تركي محمد النصر ❖

إياك وإياه

قال الحسن البصري رحمه الله: «إن الله لم يدع قولا إلا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه أو يكذبه، فإذا سمعت قولا حسنا فرويدا بصاحبه، فإن وافق قولا وعملا فنعم ونعمة عين، فآخه وأحببه وأودده، وإن خالف قولا وعملا فماذا يشبه عليك منه؟ أو ماذا يخفى عليك منه؟ إياك وإياه، لا يخدعنك كما خدع ابن آدم، إن لك لقولا وعملا، فعملك أحق بك من قولك، وإن لك سريرة وعلانية، فسريرتك أحق بك من علانيتك، وإن لك عاجلة وعاقبة، فعاقبتك أحق بك من عاجلتك».

(انظر: الزهد لابن المبارك، ٢٦/١)

الاحتياط في أخذ العلم

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «كتب المتقدمين وكلامهم وسيرهم أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم، على أي نوع كان، خصوصا على الشريعة الذي هو العروة الوثقى».

(انظر: الموافقات، ٩٩/١)

نعمة الأولاد

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «من رزق ولدا، فليجتهد معه... فينبغي له أن يعوده النظافة والطهارة من الصغر، ويثقفه بالآداب، فإذا بلغ خمس سنين أخذه بحفظ العلم، فإن الحفظ في الصغر نقش في حجر، ومتى بلغ الصبي ولم يكن له همة تحثه على اكتساب العلم بعد؛ فلا فلاح له».

(انظر: الحث على حفظ العلم، ص:٣٧)

إخفاء العبادة

صام داود الطائي أربعين سنة وما علم به أهله، وكان خرازا، وكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق، ويرجع إلى أهله يفطر عشاء لا يعلمون أنه صائم.

(انظر: تاريخ بغداد، ٣٥٠/٨)

أجوبة مسكتة

قال مطرف بن شخير لبعض إخوانه: «يا أبا فلان، إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني واكتبها في رقعة؛ فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال».

(انظر: حياة السلف بين القول والعمل، ص:٧٩٤)

علامة حسن الخلق

❖ سب رجل الشعبي بقبائح نسبها إليه، فقال الشعبي: «إن كنت كاذبا فغفر الله لك، وإن كنت صادقا؛ فغفر الله لي».

❖ وسب رجل أحد الحكماء، فقال الحكيم: «لست أدخل في حروب، الغالب فيها شر من المغلوب».

(انظر: الكنز المدفون والفلك المشحون، ص:٤٣)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

الاستعداد لآخر العمر

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «ينبغي أن يستعد الإنسان لآخر عمره بالمال، مخافة أن يحتاج فيذل أو يسعى، وقد كلت الآلة؛ ولأن يخلف لعدوه أولى من أن يحتاج إلى صديقه، ولا يلتفت إلى من يذم المال؛ فإنهم الحمقى الجهال الذين اتكلوا على خبز الراحة، فاستطابوا الكسل والدعة، ولم يأنفوا من تناول الصدقة، ولا التعرض للسؤال، وقد كان لكل نبي معاش، ولجميع الصحابة، وخلفوا أموالا كثيرة، فافهم هذا الأصل، ولا تلتفت إلى كلام الجهال».

(انظر: صيد الخاطر، ١/٣٨١)

أصول الخطايا ثلاثة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره. والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة. والحسد: وهو الذي جرأ أحد ابني آدم على أخيه. فمن وقي شر هذه الثلاثة؛ فقد وقي الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد».

(انظر: الفوائد لابن القيم، ص:٥٥)

لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي

كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما:

«إنك لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي، ولن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره، فليكن كلامك ذكرا، وصمتك فكرا، ونظرك عبرا، فإن الدنيا تتقلب، وبهجتها تتغير، فلا تغتر بها، وليكن بيتك المسجد، والسلام».

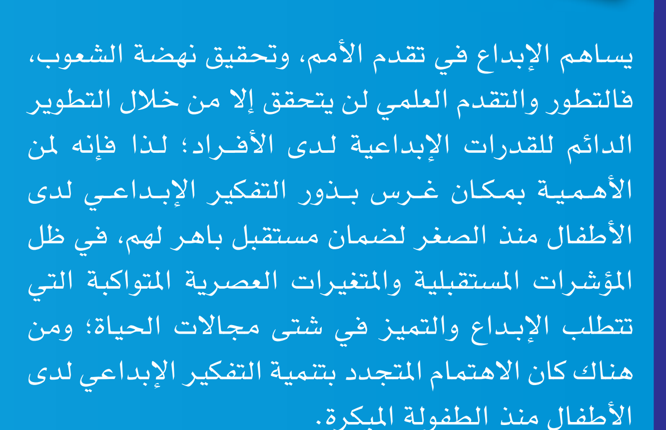
(انظر: العقد الفريد، ٣/١١٠)

عظني وأوجز

قال إبراهيم بن أدهم: «بلغني أن عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، قال لخالد بن صفوان، رحمه الله: عظني وأوجز. فقال خالد: «يا أمير المؤمنين، إن أقواما غرهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين.

قال: فبكى عمر ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى».

(انظر: الحلية، ٢/٤٨٥)



تنمية التفكير الإبداعي لدى الأطفال

يساهم الإبداع في تقدم الأمم، وتحقيق نهضة الشعوب، فالتطور والتقدم العلمي لن يتحقق إلا من خلال التطوير الدائم للقدرات الإبداعية لدى الأفراد؛ لذا فإنه لمن الأهمية بمكان غرس بذور التفكير الإبداعي لدى الأطفال منذ الصغر لضمان مستقبل باهر لهم، في ظل المؤشرات المستقبلية والمتغيرات العصرية المتواكبة التي تتطلب الإبداع والتميز في شتى مجالات الحياة؛ ومن هناك كان الاهتمام المتجدد بتنمية التفكير الإبداعي لدى الأطفال منذ الطفولة المبكرة.

ومن أبرز الأساليب والطرائق التربوية الواجب اتباعها لتنمية التفكير الإبداعي لدى الأطفال الأساليب والطرائق التالية:

❖ تهيئة المناخ والجو الآمن القائم على المرح والدعابة الذي يتيح لهم حرية التعبير عن مشاعرهم، وإطلاق قدراتهم وخيالهم وإمكاناتهم.

❖ تهيئة بيئة تعليمية للأطفال توفر كل العوامل اللازمة لتنمية الابتكار لدى الأطفال من تسامح وحرية، ومثابرة، وتفكير مستقل، وتشجيع على المخاطرة المحسوبة، وتنمية الثقة بالنفس.

❖ إتاحة الفرصة للأطفال لاختيار الأنشطة التي تناسب كل واحد منهم (فنية - قصصية - حركية).

❖ توفير الفرصة المناسبة من أجل تنمية إبداعات الأطفال، مع ضرورة مراعاة أن كل طفل متميز عن الآخر.

❖ إتاحة الفرصة للأطفال للتعبير عن آرائهم وأفكارهم (حديثا وكتابة)، وتعزيز التلقائية التعبيرية لديهم، مع التركيز على عمليات توليد وتطوير الأفكار الخلاقة.

❖ تنمية مقومات التفكير الإبداعي لدى الأطفال من خلال الاهتمام بالاستكشاف، والتجريب بأساليب علمية والاستطلاع، والفضول والتعرف على الأشياء والتعامل معها.

❖ التدريب المستمر للأطفال على العمليات الأساسية من خلال تقديم المفاهيم والمواقف والخبرات التي تبرز التفكير الإبداعي لديهم.

❖ البعد عن معوقات التفكير الإبداعي؛ مثل المبالغة في إثارة المنافسة بين الأطفال على الرغم من تفاوت قدراتهم، ومثل المبالغة في مطالبة الأطفال بالنجاح والتفوق.

❖ التمركز في عملية التعليم على الطفل الفرد من خلال تنمية قدراته الإبداعية.

❖ الاهتمام بتنفيذ برامج تنمية الإبداع لدى الأطفال بكل أهدافها ومقوماتها، فمن خلال هذه البرامج تتحول الإمكانات إلى حقائق تساهم وبشكل كبير في إيجاد مزيد من الرؤى الإبداعية المستقبلية.

❖ تضمين المناهج الدراسية لمشكلات وقضايا تدفع الأطفال للبحث عن الحلول المبتكرة للمشكلات، بما يساهم في توليد الأفكار لدى الأطفال.

❖ تشجيع الأطفال على التعلم من مصادر مختلفة، بالإضافة إلى توظيف الفروق الفردية بين الأطفال ليتمكن الأطفال من الظهور والتمايز.

• د. محمد عباس محمد عرابي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com



فنون التسول

لاحظت أن المتسولين والشحاذين في منتهى الذكاء، فهم يدعون لكل واحد من الناس بالدعاء الذي يناسبه، ينظرون إلى المارة ويدققون النظر، فإذا رأوا مسافرا فإنهم يدعون له بسلامة العودة، وإذا رأوا طالبا دعوا له بالنجاح، وإذا رأوا فتاة ناهدا دعوا لها بابن الحلال، وإذا رأوا أما تحمل صغيرها دعوا لها ببقائه وسعادته، وإذا رأوا مريضا دعوا له بالشفاء، وهكذا. إنهم يدركون مشاعر كل واحد من الناس ويتخيرون الدعاء الذي يلمس شغاف قلبه، والوصول إلى مشاعر الناس أمر لا يدركه إلا فنان مرهف الحس.

وقد رأيت نفرا من المتسولين يتمتعون بخفة الظل، ويمازحون الناس وهم يسألونهم الإحسان، ورأيت منهم من يجيد التمثيل، ونسج القصص الوهمية الخادعة، ومنهم من يبتكر بين الحين والآخر أسلوبا جديدا للمسألة، واستمالة الناس للعطاء.

لقد صار التسول فنا من الفنون، وبرع فيه كثير من الناس لديهم مواهب عظيمة تمكنهم من الحصول على ما يريدون بالإقناع أو الخداع.

• د. يحيى سنبل



الصداقة

الصداقة كما يقول علماء النفس هي علاقة بين شخصين أو أكثر، تتسم بالجاذبية المتبادلة المصحوبة بمشاعر وجدانية، وهي في الوقت ذاته علاقة اجتماعية وثيقة تقوم على مشاعر الحب، وتماثل الاتجاهات والميول، وذلك مصداقا لقول النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» (أخرجه مسلم).

وتتفق معظم الدراسات الحديثة على وجود صلة وثيقة بين التفاعل مع الأصدقاء والتوافق النفسي والاجتماعي في كل مراحل الحياة، خصوصا مرحلتي الطفولة والمراهقة، وعلى العكس فإنه يترتب على ضعف التفاعل مع الأصدقاء العديد من المظاهر السلبية التي تؤدي إلى اختلال الصحة النفسية والجسمية، فالذين يفتقدون الأصدقاء يكونون أكثر الناس استهدافا للإصابة بالاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب، والخجل الشديد، والعجز عن التصرف السليم عندما تضطرهم الظروف إلى التفاعل مع الآخرين.

ولما كان وجود الأصدقاء ضرورة في حياة الإنسان، كان اختيارهم أشد ضرورة، فلا نركن لغير المخلصين، ولا نأتمن غير الأمناء والأوفياء، لذلك من الحكمة أن يجرب الصديق صديقه وقت المحنة ووقت الرخاء، ويجعل هدفه التقليل من الأصحاب مختصرا على الأوفياء منهم.

ولكي يحسن الصديق كسب قلوب أصدقائه ومودتهم، فعليه أن يتعامل معهم بالرفق واللين والممازحة والفكاهة. وقد كان النبي ﷺ يمازح أصحابه ويدخل السرور على قلوبهم، فالإنسان يحن إلى من يجد عنده الدفء والراحة والسعادة والطمأنينة ويأنس به، وتطمئن نفسه إليه، فيتخذه صديقا محبا أمينا، ودودا، يكون عضدا لصاحبه، وبئر أسراره، فطيب المعاملة في مختلف الحالات والأحوال يولد في قلب الإنسان محبة، تزداد شيئا فشيئا، وكلما قويت ازداد صاحبها إخلاصا ووفاء، وتضيء له سبل الحق، إذا ما زاغت الأبصار.

ومن أفضل الأصدقاء وأحسنهم ما وصفه علقمة العطاردي لابنه موصيا إياه، فقال: «يا بني، إذا عرضت لك حاجة إلى صحبة الرجال، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زادك، وإن قعدت بك منية مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى منك سيئة سدها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن تنازعتما آثرك».

• هبة محمد محمد أبو الفتوح

مسك الختام

استوصوا بالنساء خيرا

تنتشر في كثير من بلدان العالم ظاهرة العنف ضد المرأة، وهي مشكلة لا تقتصر آثارها على المرأة فحسب، إنما تشمل المجتمع ككل، لذلك من الواجب التصدي لهذه الظاهرة ومواجهتها بكل الوسائل من خلال التعرف على الأسباب المؤدية لها والعمل على وضع الحلول والمقترحات المناسبة بما يؤدي إلى تحقيق المعالجة الفعالة والقضاء أو على الأقل الحد من هذه المشكلة.

صحيح أن شكل وحجم العنف ضد المرأة يختلف من مجتمع إلى آخر بحسب الثقافة الاجتماعية والعادات والتقاليد والقوانين المنظمة، إلا أنه لا يكاد يخلو أي بلد من وجود صورة من صور هذا العنف، سواء كان عنفا جسديا او نفسيا أو اجتماعيا أو بأي صورة كانت حتى لو كان بشكل غير مباشر، فهذا الفعل لا يظهر بأسلوب أو سلوك محدد، كما أن أشكاله متعددة ومختلفة، فضلا عن أنه لا يرتبط بطبقة اجتماعية بعينها أو مجتمع ما، لذلك تشكل مواجهة العنف ضد المرأة قضية مجتمعية تتطلب تضافر جهود الجميع لنشر الوعي بدور ومكانة المرأة ووضع القوانين التي توفر الحماية الكاملة لها إضافة إلى إبراز ما منحه الإسلام للمرأة من مكانة وتكريم وحفظ لحقوقها المادية والمعنوية.

ولا شك أن التأكيد على مكانة المرأة في الإسلام والدعوة إلى الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف يمثل العلاج الأمثل لهذه المشكلة. ولعل توصية نبينا محمد ﷺ للرجال بأن يستوصوا بالنساء خيرا يجب أن تكون منهج عمل في التعامل مع المرأة من خلال الإحسان إليها وعدم ظلمها وأخذ حقوقها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيرا؛ فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا» (صحيح البخاري، ٥١٨٥).

ومن الوسائل المختلفة التي يمكن اتخاذها لوقف العنف ضد المرأة تثقيف المجتمع وزيادة الوعي بمكانة المرأة وأهمية دورها وما تقوم به من أعمال واعتبارها شريكا أساسيا في بناء ونهضة أي مجتمع. وكذلك الحرص على التربية الأسرية السليمة القائمة على ما جاء في الدين الإسلامي من حفظ كرامة المرأة ومنحها الحقوق الشرعية، وأيضا تعزيز دور التعليم والمناهج الدراسية في التوعية بأهمية دور المرأة، فضلا عن وضع القوانين التي توفر الحماية اللازمة ضد أي عنف يمارس ضد النساء.

عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

العدد (٦٩٢) ربيع الآخر ١٤٤٤هـ - نوفمبر ٢٠٢٢م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

الكويت تكرم أهل القرآن

- تدشين وثيقة العهد الجديد
- لغتنا الجميلة
- التربية النفسية للطفل

مجلة الوعى الإسلامى  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾

لقد أنعم الله على وطننا الغالي الكويت في هذه الأيام بنعمتين عظيمتين جليلتين، أمَّا النعمة الأولى فهي نعمة انعقاد مجلس الأمة الذي تم انتخاب أعضائه وفق منظومة محكمة من الأمن والطمأنينة، وكان لهذا الانعقاد ميزة خاصة به، حيث إنه يأتي في إطار العهد الجديد الذي أكَّد عليه في كلمته التاريخية سمو نائب الأمير وولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الصباح حفظه الله، والذي شدد فيه على أن الجميع شركاء في تحمل المسؤولية وعملية البناء والإصلاح، حيث وجَّه حفظه الله خطابه إلى أبناء وطنه وجميع السلطات في الدولة لتحمل المسؤولية كلا حسب موقعه وعمله ومكانه.

لقد افتتح ولي العهد صاحبُ السمو الشيخ مشعل الحمد الجابر الصباح حفظه الله خطابه بالحمد والثناء على الله سبحانه، ثم أثنى عليه جل في علاه على ما تفضل وأنعم وتكرَّم على هذه البلاد من موفور النعم وعلى رأسها نعمة الأمن والإيمان والاستقرار والانسجام الذي يعيشه الكويتيون من خلال علاقة متميزة بين الحاكم وشعبه، خصائصها محبة وروح وطنية في القلوب، ومكانتها قدوة حسنة ينظر إليها العالم ويشهد لها بكل تقدير وإعجاب.

أما الوصيَّة المبذولة من سموِّه فقد حملت العديد من المعاني السامية المستمدة من روح الشريعة الإسلامية الغراء، حيث أوصى في كلمته حفظه الله بأن تتم المتابعة والمساءلة والمحاسبة في حال التقصير، فهذه المتابعة والمساءلة والمحاسبة هي أمانة الله في أعناق أبناء هذا الوطن ولصالحه، فلا تفرطوا بهذه الأمانة ﴿فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾.

أمَّا النِّعمة الجليلة الثانية التي أنعم الله بها على الكويت في هذه الأيام المباركة - ونعمه ما تزال تترى - فهي نعمة استضافتها وتنظيمها للدورة الحادية عشرة لجائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد وتلاوته، حيث أُقيمت برعاية سامية من صاحب السمو أمير البلاد المفدَّى الشَّيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه، وشهد هذه الجائزة أجواءً إيمانية تنافسيَّة في فروعها الخمسة بين مئة وثلاثين حافظًا من مختلف دول العالم، جاءت هذه الجائزة انسجاماً مع طبيعة المجتمع الكويتي المرتبط بدينه وتاريخه وماضيه العريق وحاضره المشرق ومستقبله الواعد بإذن الله تعالى، وسعياً للتكامل المنشود دينياً وعلمياً، سعت دولة الكويت من خلال هذه الجائزة الدولية المباركة إلى دعم مسيرة حفظ القرآن الكريم وتشجيع حفظته وإكرامهم بما يليق مع مكانة القرآن وعظمته في نفوس المؤمنين، كما تهدف هذه الجائزة إلى الارتقاء بحفظة القرآن الكريم والقائمين عليه، والحرص على تكريم الشخصيات القرآنية البارزة التي تقوم على خدمة كتاب الله العزيز على مستوى العالم، وترسيخ القيم الوسطية عبر فعاليات الجائزة.

هذا، ولا يخفى على كل متدبر ما لحفظ القرآن الكريم والاعتزاز بكتاب الله المبين من دور عظيم في غرس للقيم والنهوض بالأمم.

وختاماً؛ فإنَّ الكويت كانت على مدار الأيام الماضية أمام لوحة مباركة زينت سماء الكويت وعطرت أجواءه بأصوات ندية بآيات القرآن الكريم، وغدت هذه الجائزة جوهرة بين مثيلاتها في العالم الإسلامي بعد أن انقضى من عمرها أحد عشر عاماً، حفلت خلالها بالإنجازات وحققت الإبداعات وارتقت في مصاف الجوائز والمسابقات،

فالحمد لله على التمام ونسأله حسن الختام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾.



مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد٦٩٢/ ربيع الآخر ١٤٤٤ هـ
العام التاسع والخمسون
نوفمبر ٢٠٢٢م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨- ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العـــدد

شعائر الأمم

إن اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب؛ لأن فهم الكتاب والسنة لا يكون إلا بفهمها، وعليه فإن المساس بها هو مساس بالدين، لا غرو! فهي شعار الإسلام وأهله، فاللغات من أعظم شعائر الأمم التي يتميزون بها، ولما كانت هذه هي منزلة العربية من الإسلام؛ فإن أعداء الأمة سخروا ألسنتهم لحربها وإبعادها وتقليص انتشارها، فهم بذلك يستهدفون الشريعة لعلمهم أنها وعاء الإسلام وشعاره، فتنفير الناس منها، وصرفهم عنها ما هو في الحقيقة إلا صرف عن الإسلام.

لقد ابتكر أعداء اللغة العربية العديد من الأساليب لمهاجمة اللغة العربية والنيل منها وإطفاء شعلتها، فادعوا تارة صعوبة العربية، ودعوا تارة إلى إصلاح قواعدها، وإلغاء الإعراب وتسكين أواخر الكلمات، وغير ذلك من الأمور، ثم شنوا حربهم على الخط العربي، واتهموه بالعجز على مواكبة تحديات العولمة، واقترحوا استبداله بالأحرف اللاتينية، فلما باءت محاولاتهم بالفشل دعوا إلى اعتماد اللهجات العامية وجعلها بديلا عن اللغة العربية.

ولكن، خيب الله أملهم أجمعين، فبقي لهم ما يسوؤهم من قوة لغة الضاد ومتانتها، وحاجة العرب إليها.

إن أهل الباطل لن يتوقفوا عن الدعوة إلى باطلهم، ولكن الله تعالى مبطل كيدهم، ومحبط عملهم، ومظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون. فالواجب على كل عربي ومسلم أن يعرف للغة القرآن مكانتها وأنها باب من أبواب العزة والكرامة له ولمجتمعه.

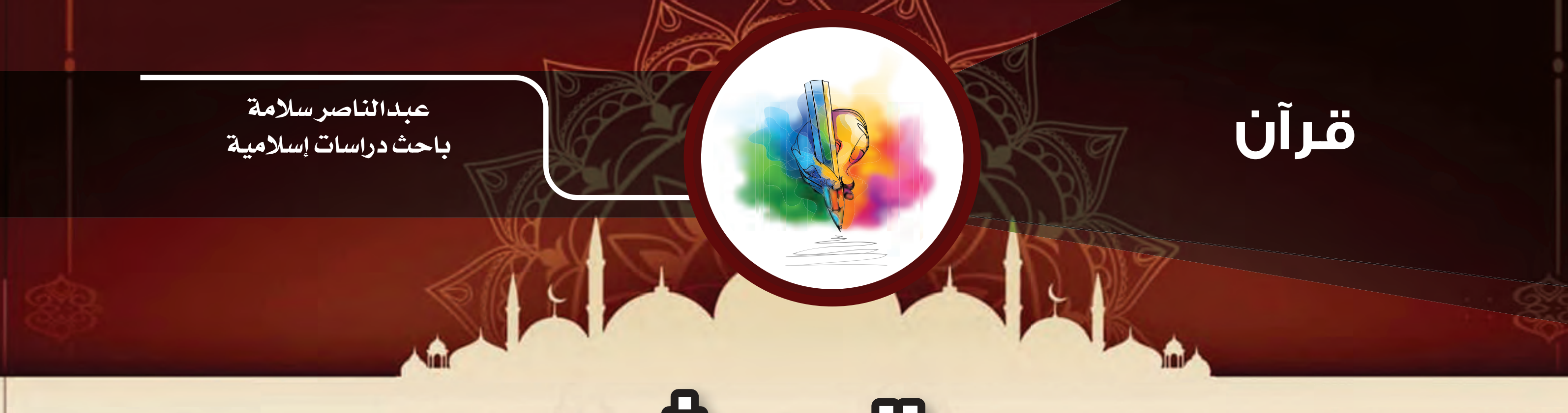
التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك باسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

عبدالناصر سلامة
باحث دراسات إسلامية



البعث من خلال سورة الواقعة

تعالج سورة الواقعة شؤون العقيدة الإسلامية، شأنها في ذلك شأن غيرها من السور المكية التي عنيت ببيان هذا الجانب من الدين، بيد أن هذه السورة الكريمة قد أخذت طابعا مميزا في تناولها لقضايا العقيدة التي تطرقت إليها، سواء ذلك من جهة المضمون؛ إذ اختصت ببيان أكثر قضية عقدية جادل فيها الكفار وهي قضية البعث، أو من جهة الأسلوب؛ إذ عالجت موضوعات هذه القضية العقدية بتناسق بديع، وتناسب بين الآيات جاء في غاية من التنظيم والترصيع؛ خاصة عند بيانها لدلائل البعث.

وبالمجمل فقد تناولت السورة الكريمة موضوع البعث من خلال الجوانب التالية: ذكر مشاهد مما يقع قبله؛ مما يعتبر تمهيدا وإثباتا له. ثم بيان أقسام الناس بعد مبعثهم، وطرف مما أعد لكل قسم منهم من النعيم أو الجحيم. ثم المظاهر الكونية الدالة على البعث، مما لا ينفك عن محيط الإنسان وحياته. ثم لفت الأنظار إلى أهم دليل على البعث، وهو القرآن الكريم تنويها به. ثم عود للتذكير بمصائر الناس بعد موتهم، مما يكشف المقصد من خلق الموت؛ وهو بعث الناس من جديد لمحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم، ليتناسب بذلك ختام السورة مع بدايتها.

أهوال يوم القيامة

تستهل السورة الكريمة حديثها عن وقوع يوم القيامة وما يعتري الأرض والجبال حينئذ من تغير هائل في ذواتها ينبئ بنهاية عالم الدنيا واستقبال عالم الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ (الواقعة:١)، إلى قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾(الواقعة:٥-٦). وهذا





الافتتاح القصد منه إثبات البعث للمنكرين له، وهو أسلوب من أساليب القرآن في إثبات هذه العقيدة؛ إذ يعمد القرآن أحيانا إلى التعريف مباشرة ببعض الأحداث الرهيبة التي تحيط بيوم البعث؛ وفي ذلك إثبات له من جهة، وتخويف وتحذير للمنكرين له من جهة أخرى. وقد أشار العلامة ابن عاشور -رحمه الله- إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ ﴾(لقمان:٣٣)، حيث قال: «وخشية اليوم: الخوف من أهوال ما يقع فيه إذ الزمان لا يخشى لذاته، فانتصب يوما على المفعول به. والأمر بخشيته تتضمن وقوعه، فهو كناية عن إثبات البعث»[١]. ويشير ابن عاشور أيضا في بداية سورة الواقعة إلى أن من أغراضها التذكير بيوم القيامة وتحقيق وقوعه، وهو يقصد بذلك الآيات من مستهل السورة[٢].

أقسام الناس بعد البعث

تتطرق السورة بعد هذا الافتتاح إلى الحديث عن أقسام الناس بعد مبعثهم؛ إذ ذلك هو محل الموعظة والاعتبار من السورة، فتبين أنهم على ثلاثة أصناف، وهم أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون المقربون، أي: صنفان في الجنة، وصنف في النار، وذلك قوله تعالى:﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾(الواقعة:٧)، أي: أصنافا ثلاثة. يقول أبو حيان في معرض حديثه عن المناسبة بين سورتي الواقعة والرحمن: «ومناسبتها لما قبلها أن ما قبلها «الرحمن» تضمن العذاب للمجرمين، والنعيم للمؤمنين، وفاضل بين جنتي بعض المؤمنين، وجنتي بعض، بقوله: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن:٦٢)، فانقسم العالم بذلك إلى كافر، ومؤمن مفضول، ومؤمن فاضل. وهكذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة، وأصحاب مشأمة، وسباق وهم المقربون»[٣].

وقد استعرضت السورة بنوع من التفصيل جزاء كل من هذه الأصناف الثلاثة، فبينت ما أعد الله من النعيم للسابقين، ثم لأهل اليمين، وما أعد الله أيضا من العذاب لأهل الشمال؛ على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب.

وقد قدمت السورة ذكر الصنفين من أهل النعيم تنويها بهما وترغيبا في حالهما. بينما أخرت ذكر أهل النار من الكفار احتقارا لهم، وتمهيدا للحديث عن دلائل البعث بعد ذلك؛ إذ كان إنكارهم لهذا اليوم أهم ما أوردهم النار وخلدهم فيها، كما قال تعالى: ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الواقعة:٤٧-٤٨) يقول ابن عاشور في قوله تعالى بعد هذا: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (الواقعة:٥٧): «أعقب إبطال نفيهم البعث بالاستدلال على إمكانه»[٤].

دلائل وقوع البعث

تتناول السورة الكريمة بعد عرضها أصناف الناس يوم القيامة وما أعد لكل منهم من الجزاء الدلائل الكونية على وقوع البعث؛ إذ كان هذا الأمر هو سبب النعيم لأهل النعيم؛ إذ كان إيمانهم به وراء إحسانهم العمل. كما كان سبب الشقاء لأهل الشقاء؛ إذ حملهم إنكارهم له على التمادي في الغي والإعراض عن الحق، كما قال تعالى عنهم: ﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾(المدثر:٥٣).

وقد كان أول دليل يسوقه الله لإثبات البعث هنا هو التذكير بالخلقة الأولى؛ إذ كان هذا مما يقرونه ولا ينكرونه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الواقعة:٦٢). ولاشك أن من قدر على خلق الإنسان وإبداعه أول مرة بهذا التصوير البديع قادر على إعادة خلقة مرة ثانية؛ إذ من المعلوم أن إعادة الشيء أيسر من إبداعه أول مرة.

كما ساق الله تعالى للمنكرين أيضا دليلا آخر هو غاية في الوضوح، وهو إيجاده الأشياء من عدم، أو مما هو في حكم العدم؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾(الواقعة:٥٨)، إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ ﴾(الواقعة:٧١-٧٢). فقد ذكر الله تعالى في هذه الآيات إخراج الإنسان من مني، والزرع من حب، والماء من سحاب، والنار من أعواد شجر؛ أي أنه ولد من هذه الأشياء التي هي في حكم الشيء الميت أشياء أخرى هي في حكم الحي. وذلك قصد تقريب صورة إحياء الإنسان يوم



البعث بتكوينه من عظام بالية أو من عدم؛ إذ القادر على التصرف في هذه الكائنات بهذا الشكل البديع في عالم الدنيا قادر على التصرف بمثله في الآخرة أيضا؛ فلا وجه للإنكار حينئذ! يقول العلامة ابن عاشور في هذه الآيات: «وذكرت كائنات خمسة مختلفة الأحوال متحدة المآل إذ في كلها تكوين لموجود مما كان عدما، وفي جميعها حصول وجود متدرج إلى أن تتقوم بها الحياة»[٥].

هذا، وقد ساق الله تعالى هذه الآيات الكونية الدالة على إمكان البعث بشكل متناسق وترتيب متوافق؛ فذكر منها أولا دليل تكوين الإنسان من مني، فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (الواقعة:٥٨-٥٩). وسبب تقديم ذكر هذه الظاهرة أنها ألصق الظواهر بذهن المنكرين وأكثرها وضوحا لديهم؛ لأن بها يحصل وجودهم. ولما اشتملت عليه أيضا من التذكير بالخلقة الأولى؛ ليقاس عليها أمر النشأة الثانية الذي هو البعث، كما أشرت إليه آنفا.

ثم ذكرت السورة لنا بعد هذا الاستدلال دليلا آخر قريبا منه، وهو دليل الإنبات والزرع، وذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾(الواقعة:٦٣-٦٤). وفي هذا يقول العلامة ابن عاشور: «ومناسبة الانتقال من الاستدلال بخلق النسل إلى الاستدلال بنبات الزرع هي التشابه البين بين تكوين الإنسان وتكوين النبات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾(نوح:١٧)»[٦].

ثم بعد هذا الاستدلال بالزرع يأتي دليل آخر ذو ارتباط وثيق به، وهو الاستدلال بتكوين الماء من السحاب، وذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾(الواقعة:٦٨-٦٩) وفي هذا يقول ابن عاشور أيضا: «ومناسبة الانتقال -أي إلى هذا الدليل- أن الحرث إنما ينبت زرعه وشجره بالماء فانتقل من الاستدلال بتكوين النبات إلى الاستدلال بتكوين الماء الذي به حياة الزرع والشجر»[٧].

ثم تنتقل السورة بعد هذا الاستدلال المائي على البعث إلى ذكر الاستدلال الناري، وهو دليل آخر مرتبط بما قبله؛ إذ النار نتاج الخشب والحطب الذي هو نتاج الماء، فناسب أن تذكر بعدهما. يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾(الواقعة:٧١-٧٢): «ومناسبة الانتقال من الاستدلال بخلق الماء إلى الاستدلال بخلق النار هي ما تقدم في مناسبة الانتقال إلى خلق الماء من الاستدلال بخلق الزرع والشجر، فإن النار تخرج من الشجر بالاقتداح، وتذكى بالشجر في الاشتعال والالتهاب»[٨].

هذا مع ما في هذه الاستدلالات من امتنان ضمني بهذه الكائنات المستدل بها، وهي الزرع والماء والنار. ولذلك قال تعالى عند ذكر الزرع: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (الواقعة:٦٥)، وقال عند ذكر الماء: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾(الواقعة:٧٠)، وقال عند ذكر النار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾(الواقعة:٧٣)، فجمع فيها بين المقصدين؛ أي: بين الاستدلال والامتنان. وفي هذا زيادة تشنيع بحال المنكرين للبعث إذ جمعوا بين جريمتين، وهما: إنكار البعث، والانصراف عن عبادة المنعم -سبحانه وتعالى- والإقرار له بالوحدانية.

التنويه بالقرآن الكريم

تنتقل السورة الكريمة بعد هذا الاستعراض البديع لدلائل البعث إلى التنويه بشأن القرآن الكريم تنويها لا مزيد عليه؛ إذ استعمل هنا أسلوب القسم على صيغة النفي لهذا الغرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾(الواقعة:٧٥-٧٧). فهذه الآية تضمنت قسما بمواقع النجوم، بمعنى: بروجها ومنازلها[٩]، وقد صيغ القسم بها على أسلوب النفي مبالغة في تعظيم شأنها والتنويه بها؛ «فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إن إعظامي له -أي للمقسم به- بإقسامي به كلا إعظام، يعني أنه يستأهل فوق ذلك»[١٠]. ولذلك قال الله تعالى عقبه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة:٧٦). والحقيقة هنا أن هذا التعظيم لا يقتصر على المقسم به فحسب؛ بل يشمل المقسم عليه أيضا



كما يشعر بذلك هذا الانتقال البديع من المقسم به إلى المقسم عليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ (الواقعة:٧٦-٧٧)، وقد دلت على هذا المعنى عبارة الحافظ ابن كثير، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه»[11]. فالغرض -إذن- من تعظيم شأن المقسم به لفت النظر إلى عظمة المقسم عليه أيضا وهو القرآن الكريم؛ فكأن المعنى: إذا كان هذا المقسم به منطويا على عجائب في الخلق وأسرار في التكوين تجعل القسم به غير موفيه حقه، فكذلك هذا القرآن لما انطوى عليه من الأسرار الربانية والعجائب التي لا تنقضي.

وأحسب أن من أغراض التنويه بالقرآن عقب سوق الأدلة الحسية على البعث تنبيه المنكرين إلى أن القرآن أعظم دليل على صدق ما جاء به النبي ﷺ، وأخبر به من البعث؛ وأنهم لو تدبروا في عظمة هذا القرآن لما احتاجوا إلى تطلب غيره من الأدلة على صدق البعث؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت:٥١).

الموت من أدلة البعث

تلفت السورة الكريمة النظر إلى دليل آخر حسي على البعث لا ينفك المنكرون عن ملاحظته، وهو الموت؛ فتبين أن هذه السنة الإلهية في الناس قد أوجدها الله لحكمة وهي بعثهم؛ ولو لم يكن الأمر كذلك لأمكنهم استبقاء أرواحهم في أجسادهم؛ وإذ لم يمكنهم ذلك فلا مناص أن وراء هذا الموت حياة جديدة، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾(الواقعة:٨٦-٨٧) والمعنى- كما يقول ابن عاشور-: أن الله أخبرهم بأنه يجازي الناس على أفعالهم ولذلك فهو محييهم بعد موتهم لإجراء الجزاء عليهم، وقد دلهم على ذلك بانتزاع أرواحهم منهم قهرا، فلو كان ما يزعمون من أنهم غير مجزيين بعد الموت لبقيت الأرواح في أجسادها، إذ لا فائدة في انتزاعها منها بعد إيداعها فيها لولا حكمة نقلها إلى حياة ثانية، ليجري جزاؤها على أفعالها في الحياة الأولى. وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون:١١٥).

التذكير بمصائر الناس من جديد

لما اقتضى الكلام السابق أن الناس صائرون إلى الجزاء فرع عليه ذكر أحوال الجزاء في أصنافهم الثلاثة يومئذ ذكرا مجملا لما سبق تفصيله في بداية السورة بقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾(الواقعة:٧) إلى قوله: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾(الواقعة:٤٤)، ليكون ذلك فذلكة[12] للسورة وردا لعجزها على صدرها.

وقد ذكر لكل صنف من هؤلاء جزاء لم يذكر له فيما تقدم من السورة ليضم إلى ما أعد له فيما تقدم؛ وذلك على طريقة القرآن في توزيع القصة.

وقد ختمت هذه السورة الكريمة بالدعوة إلى تسبيح الله تعالى، وذلك مناسب لموضوعها؛ إذ الأمر بالتسبيح هو أمر بتنزيه الله تعالى عن كل صفات النقص والعيب، ومن ذلك تنزيهه عن العجز عن بعث الأموات وتجديد الحياة؛ إذ كان الكفار يعدون ذلك ضربا من المستحيل؛ فكان لا بد من تنزيه الله عن ذلك، ولذلك ذكر أمر التنزيه مرتين، إحداهما عقب سوق الأدلة الكونية على إمكان البعث في قوله تعالى عقب ذكر دليل النار، وهو آخر دليل: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾(الواقعة:٧٣-٧٤). ونحن نقول امتثالا: سبحان ربنا العظيم.

الهوامش

١- التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٩٣/٢١).
٢- ينظر التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨٠/٢٧).
٣- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٨/ ٢٠٢).
٤- التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣١٢/٢٧).
٥- التحرير والتنوير (٣١٣/٢٧).
٦- التحرير والتنوير (٣٢٠/٢٧).
٧- التحرير والتنوير (٣٢٣/٢٧).
٨- التحرير والتنوير (٣٢٥/٢٧).
٩- التحرير والتنوير (٣٣١/٢٧).
١٠- الكشاف، للزمخشري (٦٥٨/٤).
١١- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥٤٤/٧).
١٢- الفذلكة: مجمل ما فصل وخلاصته (المعجم الوسيط، ٦٧٨/٢).

إعداد/التحرير

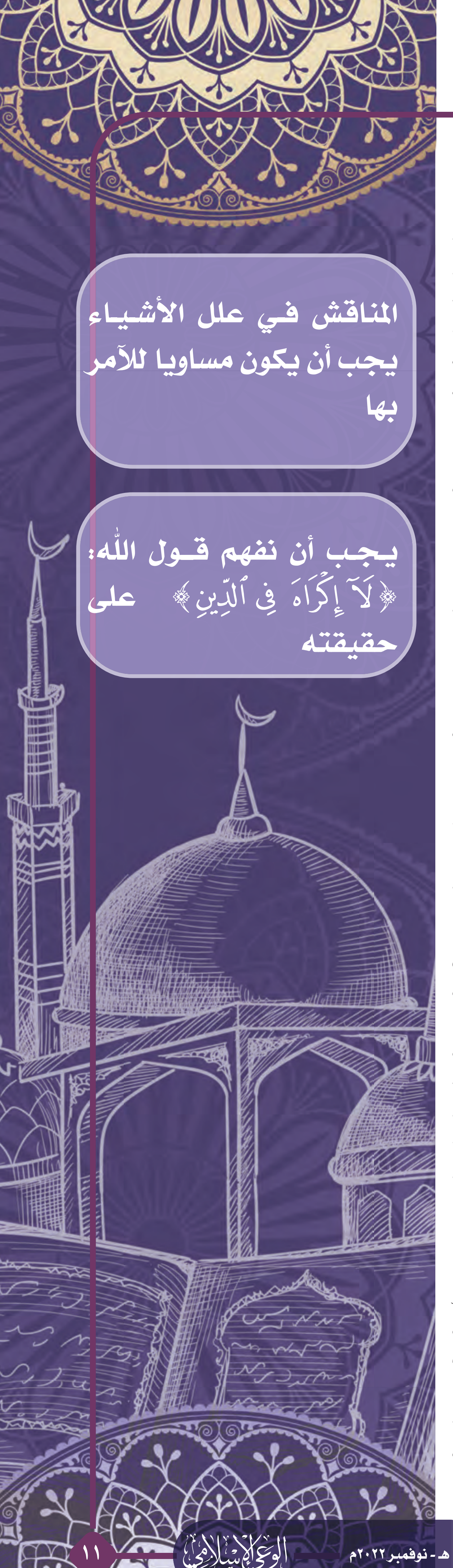
بين الاعتقاد والسلوك والعمل

المحاضرة (٨-١)❖



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراويّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، حيث حل الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.
وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم
أحمدك ربي، خلقت من عدم بقدرتك، ورزقت من عدم بقيوميتك، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي كانت عبوديته لربه أحلى في نفسه من سيادته على كل ما خلق الله، وبعد:
فقبل أن أبدأ حديثي معكم الليلة أستأذنكم أن تسمحوا لي بالإجابة عن بعض استفسارات وصلتني، وأول هذه الاستفسارات: أن بعض النسائيين الذين يتعصبون للمرأة فيدعون لها حقوقا غير التي شرعها الله، ويرون أن حريتها في أن تخرج وتختلط وتكشف عن عوراتها وتتبرج كما تشاء، ويرون ذلك داخل حدود ما ضمنه القرآن لها من حرية التدين والاعتقاد، وهؤلاء ما فرقوا بين الاعتقاد والسلوك والعمل؛ فالاعتقاد أن تؤمن بقلبك بوجود إله، هذا الإله خلقك وإليه تعود، وأن تؤمن بصدق التبليغ عن الله بوساطة الرسول الذي أرسله الله بمنهجه مؤيدا بمعجزة منه، تلك موثقة الاعتقاد، فالإنسان المطلق حر في أن يعتقد بوجود إله ورسول مبلغ عن الإله أو لا يعتقد؛ ولكنه حين يعتقد بوجود إله ورسول مبلغ عن الإله فإنه قد ألزم نفسه بمنهج الله، فإذا خالف شيئا من منهج الله فالمجتمع وولي الأمر يحطم رأسه ليعود لذلك المنهج، إذن: فهناك فرق بين أن تعتقد أو لا تعتقد، فأنت حر في ذلك، ولكن إذا اعتقدت فالتزم، ومعنى الالتزام: أنك أصبحت محسوبا على الإيمان والإسلام، فكل تصرف منك لا يجيزه الإسلام يوجب أن يضرب ولي الأمر والمجتمع على يدك، ولا تتشدق بقولك: إني بإكراهي على العمل أخالف نص الله الذي يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة:٢٥٦). نقول له: تنبه! لا إكراه في أن تعتقد بوجود إله وصدق التبليغ عنه، أما أن تؤمن بالله وصدق التبليغ عنه فأنت قد أدخلت عنقك باختيارك زمام الإسلام؛ ليقودك في تصرفاتك كلها، فإن خالفت تصرفا من تصرفاته فأنت محسوب على الإسلام، تكسر حدوده، ولا بد أن يقف المجتمع منك موقف الرادع والزاجر حتى لا يراك إنسان آخر غير مؤمن أو مسلم ولكنه عاص ويقول: هو مسلم ويفعل كذا. فتكون قدوة سيئة للخروج والانحراف عن منهج الله، فإذا قلت: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾. ليس معنى ذلك: لا إكراه على عمل أحكام الدين، ولكن: لا إكراه في الدين لتؤمن بالله، فأنت حر، ناقش الأدلة بعقلك، وراجع نفسك، فإن أنت آمنت بوجود الله فالتزم منهج الله. إن الذين يأخذون من هذه الآية دليلا على تسويغ الانحراف مستدلين بالآية السابقة نقول لهم: إنكم عاصون ومغفلون وغير عاقلين؛ لأنكم لم تفهموا الإكراه على



الدين وتشريعه، فالإنسان المريض ينظر في موضع علته: أفي نفسه، أم جهازه الهضمي، أم البولي، أم العصبي، أم الجنسي؟! يحدد منطقة مرضه، وله عقل يبحث به، يقول في نفسه: إذا كنت مريضا بمعدتي فإلى من أذهب؟ فيقال له: هناك طبيب اسمه كذا، تخرج في كلية كذا، وباشر الطب في كذا، وله سوابق في العلاج مع فلان وفلان وفلان. أقنعه من حوله بأن ذلك الطبيب هو الذي يمكن أن يجيء العلاج على يده -ثمة فرق بين العلاج والشفاء؛ فالعلاج محاولة الطبيب أن يشفي، ولكن حين يريد الله شفاء المريض يأتي به مع العلاج لا به وحده- وهو حر في أن يذهب إلى الطبيب أو لا يذهب، وأن يؤمن بأنه طبيبه الذي يجب أن يذهب إليه أو لا يؤمن، أما إذا التزم بأنه الطبيب الوحيد الذي يمكنه أن يعالجه، ثم ذهب إليه في عيادته فشخص مرضه وأخذ يكتب له الدواء، فيجب ألا يناقشه في كل دواء يكتبه، ولا يقول له: أنا لا أشرب الدواء إلا إذا أقنعتني بعلة هذا الدواء. نقول له: إن أردت أن تبحث هذا البحث فلا بد أن تدرس في كلية الطب سبع سنوات حتى تكون مساويا للطبيب؛ ليناقشك وتناقشه، ولكن أنت تأخذ منه الدواء بلا مناقشة، فكذلك المؤمن بالله حر في أن يؤمن به أو لا يؤمن، ولكنه إن آمن، واقتنع عقله بقضية الإيمان، ودخل على الله بإيمانه به، ثم أمره الله أمرا، فليس له أن يناقشه في الأمر، وإلا فقد جعل الطبيب أقوى حكمة وقدرة من الله. أتترك طبيب البشر فلا تناقشه، ثم تأتي لله لتناقشه لم فعل ولم حكم؟ المناقش في علل الأشياء يجب أن يكون مساويا للآمر بها، وإن وجد مساو لله فهو الذي يناقشه في علل أحكامه. ربما يأتي أبوك فيراك قد أهملت الدواء ويكرهك على أن تتداوى، ويضرب على يدك لتشرب العقاقير في مواعيدها، لم يكرهك على الذهاب إلى الطبيب، أنت آمنت بالطبيب بعقلك، وما دمت قد آمنت وكتب لك فيجب أن تلتزم بالدواء، يأتي كل محب له يحاول أن يقنعه بأن يشرب الدواء، فإن لم يقدر على شربه كالصغير مثلا يخشى الدواء المر فإن أباه يكتفه ويسقيه قهرا عنه، وكذلك المؤمنون بالله حين يؤمنون به ويتقبلون منهج الله نقول لهم: كنتم أحرارا أولا، أما بعد أن آمنتم بالله فقد أصبحتم منا مسلمين، فلا تكسروا حدا من حدود الله، وإلا كسرنا رؤوسكم. فذلك فرق بين الاعتقاد والعمل وفق الاعتقاد، هذا دين هو قمة، وذلك تشريع، فأنا لا أكرهك على أن تتدين ولكن أكرهك على أن تلتزم بأوامر من تدينت له وآمنت بأنه إله، فيجب أن نفهم قول الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ على حقيقته، حين يوجد المجتمع الناضج يكون الرقيب الأول على منهج الله، فإن انحرف فرد فليهذبه المجتمع، ولذلك يقول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]، لا تعتقدوا أن قوله: «فإن لم يستطع فبقلبه» يكفيك أن تقول: اللهم إن هذا منكر لا يرضيك ولا أرضى به. ليست تلك سلبية، إنما يجب أن تغيره بقلبك، ومعنى التغيير بالقلب: ألا تعامل من لا تقدر على أن تمنعه بيدك عن المنكر، ولا تقوى على أن تصده بلسانك عن المنكر، قومه بقلبك، فكيف يكون التقويم بالقلب؟! قال: فلينصرف قلبك عن

حبه واحترامه، ولا تعط العاصي من الإجلال والاحترام والواجبات والمبادلات ما تعطيه للطائع، فإذا ما عصى العاصي ثم رأى مجتمعا لا يقوى على أن يمنعه عن المنكر بيده، ولا على أن يخاطبه بلسانه، فلا أقل من أن يكون كل فرد من المجتمع يملك حب قلبه فلا يحبه، ويملك ود نفسه فلا يوده، أما أن يكون العاصي وأهله وأصدقاؤه على مودة معه، والمجتمع على احترام له فما الذي سينقصه؟! لو أن المجتمع وقف هذه الوقفة لعزل العاصي، وحين يعزل العاصي عن المجتمع -وهو الذي لا بد له أن يعيش في المجتمع- يصبح وحيدا؛ فلا يجد باسما، ولا مرحبا، ولا متعاونا، ولا مشاركا، ولا مواسيا في مصيبة، ولا مهنئا في نعمة، حينئذ يعرف أولا أنه يجب أن يعود إلى حظيرة منهج الله؛ حتى يعود له من المجتمع احترامه وحبه وتوقيره، ولكن إذا ما رأينا العاصي لم يزل موقفه الاجتماعي على حاله، وأهله يحبونه، وينفقون عليه، ويدللونه، وأصحابه يعاونونه، ويبرونه، ويودونه، والمجتمع يحترمه، وربما احترم المجتمع المنحرف عن غير المنحرف؛ لأنه يخشى شره. نقول لهم: أنتم الذين تفسدون، وتجرئون الناس على أن يخالفوا منهج الله، لا تظنوا أن تلك عملية صعبة، وإنما هي عملية سهلة إذا ما قارن الإنسان بين حق قد يكون لإنسان عنده وحق ربه، فإذا ما غضب لربه فلا يهمه إن كان أبا أو ابنا أو أخا أو صديقا أو حاكما أو رئيسا؛ لأن المقارنة حينئذ بين حق ربه وحق أب أو أخ أو صديق. الرسول ﷺ لم يشهر عنه أنه كان يصنع سجنا للمذنبين كما نصنع نحن اليوم؛ ننفيه في مكان ونسجنه ونعزله عن المجتمع، حينما كان يواجه الرسول منحرفا كان يقومه وينتهي بعزل المجتمع عنه، أما السجن فإنه يعزل الإنسان عن المجتمع، وفرق كبير بين أن يعزل المجتمع عن المجرم وأن يعزل المجرم عن المجتمع، كان الرسول يتركه حرا طليقا يروح ويجيء بين الناس؛ ولكنه معزول عن المجتمع، يقال: لا يكلم فلان، ولا يعامل فلان، ولا يبش[٢] في وجهه، فيسير بين الناس، وبين أهله وأقاربه، فلا يكلمه أحد، حتى زوجه، يقول الرسول لها: لا تجعليه يقترب منك حتى يتحكم في هذا، فالرسول لم يعزل المنحرف عن المجتمع؛ وإنما عزل المجتمع عن المنحرف، وحين يعزل المجتمع عن المنحرف وهو بينهم يعلم أن منطق الدين وقوة الحكم هي القائمة والقاهرة والمسيطرة على أفئدة الناس، أما الذي يسجن بين جدران فلا يعرف شيئا من نكران المجتمع له، لابد أن يمشي في الشارع فلا يكلمه أحد، يأتي ليصلي فلا يحييه أحد، كل ذلك عقاب له، المجتمع قد عزل عنه، وفوق ذلك يأتي أمر آخر، فلا يأمر الرسول بعزل المجتمع عن المجرم، بل يتسامى الإيمان، فيأتي المجرم دون أن يعزل الرسول المجتمع عنه ليعزل نفسه عن المجتمع حين يذنب ذنبا، ويعرفه يعزل نفسه عن المجتمع دون أمر الرسول، هذا واحد من صحابة رسول الله، والذين حجوا منكم يرون أسطوانة؛ أي: عمودا في الروضة، اسمها: أبو لبابة، ومكتوب عليها: أسطوانة أبي لبابة، يقوم الناس يتساءلون: مَن أبو لبابة ليكون له أسطوانة في المسجد باسمه؟ نقول لهم: أذنب ذنبا، وبعد ذلك عرف الذنب من نفسه قبل أن يصل للرسول، فلما استيقظ إيمانه ويقينه قال: «لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت»[٣]؛ أي: لا بد أن أعزل نفسي عن المجتمع، فربط نفسه بحبل في عامود المسجد، فإذا ما جاء وقت الصلاة حل نفسه وصلى، وإذا انتهى وقت الصلاة ربط نفسه، فقد تسامى عزل المجتمع ووصل إلى أن المجرم ذاته هو الذي يعزل نفسه عن المجتمع، ولا يعود أبدا إليه إلا إذا أمره الرسول، ومعنى أمر الرسول: أن الله قد قبل توبته، فيجب أن نفهم الفرق بين الاعتقاد والعمل على مطلوب الاعتقاد، لذلك قلنا: للمرأة حرية أن تعتقد بالله أو تكفر به، ولكن قبل أن تدخل في الإسلام، فإذا صارت مؤمنة ومسلمة عدت منا، فنقول لها: التزمي مبادئ الإسلام، فإن كسرت حدا من حدود الإسلام حلنا بينك وبينه، ولا يكون ذلك تدخلا في حريتك؛ لأنك قبلت الإيمان بمحض إرادتك واختيارك، ولذلك تجد الله في القرآن حينما يكلف تكليفا لا يقول: يا أيها الناس كتب عليكم الصيام، أو: يا أيها الناس كتب عليكم القصاص، إنه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ (البقرة:١٨٣)؛ أي: يا من اعتقدت بربك وبمحمد رسولا وآمنت بي، أنا كتبت عليك الصيام، إذن: فلم يكتب إلا لمن التزم، فإذا التزم فقد طولب بأن يؤدي كل حق من حقوق الله.

بقي سؤال آخر يشيع على ألسنة الذين أسرفوا على أنفسهم، ولم يستطيعوا أن يحولوا بين شهوات نفوسهم وما حرم الله، وهؤلاء هم الذين يشربون الخمر، يقول قائلهم مثلا: إن الله يقول في القرآن: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا﴾ (النحل:٦٧)، فكأن الله امتن على العباد بأنه خلق لهم عنبا يأكلونه ويشربون منه السكر، والله لا يمتن بمحرم. نقول

لهم: لو أنكم أولا فطنتم إلى فهم الآية لعلمتم أن الإسلام جاء والخمر عادة شائعة عند العرب، ونحن نعرف تغلغل العادة في نفوس الناس، وحين جاء القرآن وأعلن محمد إسلامه؛ أي: إيمانه ﷺ، وأنه رسول جاء في مسألة العقائد بلا هوادة، فلا تدرج في تحطيم الأصنام مثلا، إنها عقائد واجهها بحزم، ولكن العادات التي ألف الناس عملها سلوكيا لم تغير بالطريقة ذاتها، ومن رحمة الله بخلقه أنه لم يجئهم بالحكم فيها كما جاء به في أمر العقائد، بل أخذهم تدريجيا، وأول التدريج في الخمر -وكان عادة مألوفة عند العرب- في قول الله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾، وقدم السكر؛ لأنه المهم عند من يشربون الخمر، وليس أكله، ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، فالعنب له لونان، إذا كان رزقا؛ يعني تأكله عنقودا غير مخمر، فهو رزق حسن، ولكن الله تكلم عن السكر؛ لأنه كان شائعا، ولم يصفه بالحسن، وإنما جاء في الرزق فوصفه بالحسن؛ كأن السكر غير موصوف بالحسن أولا، وإن لم يكن محرما. أول مرحلة لفتتنا إلى أن العنب إذا كان رزقا نطعمه على حاله فهو رزق وموصوف بالحسن، وما دام لم يوصف السكر بالحسن فمعناه أن السكر هذا منظور إليه على أنه غير حسن، هذه أول مرحلة، وما دام نظر إليه كذلك -والإسلام إنما جاء ليقرر الحسن- فكأن الإسلام بهذه الآية لمح لنا أنه سيكون له مع السكر شأن، وبعد ذلك أقبل المسلمون يصلون، ولكنهم لا يزالون يشربون الخمر بطبيعتهم، وجاء رجل ليصلي، فوقف جانب أحد المصلين وقال في السورة التي قرأها بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (الكافرون:١)، ولأنه ثمل مخمور قال: أعبد ما تعبدون، فالسكر قد جعله يضل في النطق بالعقيدة، وقد اعترضوا على ذلك بأنفسهم، فقال لهم الله: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ (النساء:٤٣)، والصلاة تقام خمس مرات يوميا، فإذا كان المؤمن قد نهي عن الصلاة وهو سكران فكم من الوقت يستطيع أن يمنع نفسه عن الشرب حتى يذهب إلى الصلاة غير سكران؟! على الأقل يمتنع ساعة قبل الصلاة، خمس أوقات يمنع الإنسان نفسه عن الخمر قبلها ساعة، يكون قد عود نفسه على الخروج عن عادته التي ألفها خمس مرات في اليوم، فذلك تدريب ورياضة لمن اعتاد شيئا أن يقلل من وقت تعاطيه حتى يجرئ العادة على أن تخمد، والنفس على أن تقوى. وكان بعد ذلك أن سألوا رسول الله ما الخمر؟! فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة:٢١٩)؛ ففي الخمر نفع؛ لأن السكران ينتشي وينسى همومه، والميسر يجلب مالا دون تعب، فصحيح أن فيهما منافع، لكنها منافع سطحية، انظروا إلى مضارها: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة:٢١٩)، رجح جانب الشر في الخمر والميسر. وبعد ذلك اجتمع قوم في وليمة، وذبحوا فيها بعيرا، ثم تناشدوا الأشعار وهم سكارى، وقام واحد، فأخذ لحي[٤] بعير، فضرب به رأس إنسان، فشجه، فذهبوا إلى رسول الله، وقالوا: يا رسول الله! بين لنا في الخمر بيانا شافيا نهائيا. فهم



الإسلام جاء والخمر عادة شائعة عند العرب، ونحن نعرف تغلغل العادة في نفوس الناس

إذا كان المؤمن قد نهي عن الصلاة وهو سكران فكم من الوقت يستطيع أن يمنع نفسه عن الشرب حتى يذهب إلى الصلاة غير سكران؟

الذين طلبوا الحكم، وما داموا كذلك فمن المؤكد أن لديهم استعدادا نفسيا ليقبلوا حكم الله، فقال الحق:

﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ (المائدة:٩٠) جمعها مع محرمات، وأخبر عنها: ﴿رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ (المائدة:٩٠-٩١)، قالوا: نعم؛ انتهينا. صار الحكم نهائيا، قد يأتي المشكك أو المسرف على نفسه فيقول: ولماذا لم يقل الله: حرمت عليكم الخمر؛ فيذكرها في المحرمات بالنص كما قال: حرمت الميتة، وحرم لحم الخنزير؟ نقول له: الذي يقول ذلك غبي لا يفهم سر أساليب الكلمة، ولا المراد من الله في ذلك، ألم تكفه في التحريم كلمة ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾؟! كأن الاجتناب في رأيك أقل من التحريم، فلننظر بمنطق عقولنا: إذا قال لك قائل: لا تكلم فلانا. فمعنى ذلك أنه منعك وحرم عليك أن تكلمه؛ ولكنه لم يمنعك أن تكون معه في مجلس أو تراه أو تقابله، لكن إذا قال لك: اجتنبه. فمعنى ذلك أنك لا تكلمه ولا تراه، وإذا كان في مجلس تخرج منه، كذلك أراد الله من أمره باجتناب الخمر، لو قال: حرم عليكم شرب الخمر. لجاز أن تكون في مجلسها وأنت لا تشربها، والله يريد منك ألا تكون حتى في مجلسها، ولجاز أن تحملها لمن يشربها والله لا يريد منك أن تحملها له، ولجاز أن تتجر فيها والله لا يريد أن تتجر فيها؛ فكأن كلمة ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ أدق في طلب التحريم من قوله: حرمتها عليكم؛ لأن المنهي بالتحريم يكتفي بالامتناع عن الشرب، لكن المنهي بالاجتناب لا يحضر مجلسها، ولا يحملها، ولا يصنعها، ويبتعد عن كل شيء يتعلق بها، فأيهما أقوى؛ الاجتناب أم التحريم؟! الاجتناب أقوى. كأن المشكك لا يفهم سر الكلمة والأساليب. وقد جاء الحق بذكر الكبائر وقال: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ (الحج:٣٠)، وذلك الشرك، ولم يقل: حرمت الشرك إلا في الحديث القدسي، وقال في القرآن: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾؛ أي: لا تعبدوها، ولا تقربوها، ولا تذهبوا إليها؛ اجتنبوها اجتنابا أقوى من التحريم. ويقول: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ (الزمر:١٧)؛ أي: لم يحرموها على أنفسهم، بل اجتنبوها، فالاجتناب بالتحقيق المنطقي والعلمي واللغوي أقوى من التحريم، لذلك يكون استناد هؤلاء المسرفين على أنفسهم استناد هراء؛ يبررون به مسالكهم؛ حتى يبرروا لأنفسهم الخروج عن منهج الله خضوعا لشهواتهم.

نعود إلى سياق موضوعاتنا معكم، لقد علمنا أن الحق سبحانه وتعالى خلق آدم واستخلفه في الأرض وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، وأمد مادته بما أوجد في الأرض من أقوات، وأمد روحه بما أنزل عليه من مناهج وحي السماء؛ حتى توجد لابن آدم مقومات لعناصره المادية؛ يأكل ويشرب، والمعنوية؛ يتعلم ويقتدي، وحين تمزج المقومات معا يكون الإنسان سويا، وعناية الإنسان أولا تكون بمقومات حياته وحياة من يعوله؛ كالزوج والأولاد والأسرة، وهكذا تتسامى المروءات حتى تتسع، فالحق سبحانه وتعالى يضمن له هذه الأشياء، ولكن لا يضمنها أن تدخل فاه دون مجهود، بل قال له: اعمل لتدخل الأشياء إلى فيك، وسابقا قلت لكم: للإنسان في كل شيء عمل واختيار إلا في شيء واحد، هو الشيء الضروري لحياة الإنسان، وهو التنفس؛ لأنه يلزمه وهو نائم، وهو صغير لا يعرف، فجعل الله مسألة الحياة الأولية في التنفس إجبارية تسخيرية تيسيرية لا رأي للإنسان فيها، وبعد ذلك ترك له أن يظمأ فيشرب، وأن يجوع فيأكل، أما العملية الأولى فلا دخل له فيها، وكما قلنا سابقا: إن من رحمة الله بالإنسان أنه ملك الناس أسباب الحياة من قوت وماء إلا من هواء، فقد ترك الهواء لا يملكه لأحد؛ لأنه الضروري الأول للحياة، والإنسان إذا امتلك الهواء ثم غضب عليك قبل أن يرضى عنك تكون قد مت، لذلك لم يجعل الله حياتك بيد إنسان أبدا؛ فحظ الفقير منه كحظ الغني، لا تفاوت فيه أبدا، وقد طلب إليك أن تجتهد بعملك، فعملك لا يخلق الرزق، ولكن يوصلك إليه فقط؛ لأنك تفكر بالعقل المخلوق لله، وتعمل بالطاقة المخلوقة لله، في الأرض التي خلقها، وتأخذ بذرة من بذر الله الذي خلقه، وترويها بماء الله الذي خلقه، إذن: فمواد القوت كلها مملوكة لله، وأنت لم تخلق شيئا أبدا، فلك العمل فقط، وما دام العمل لك، ولا تملك المواد فموقفك في الوجود يجب أن يكون واضحا؛ لأنه موقف المضارب، كل شيء لله، ولك العمل فقط، فالذي ينتج لا بد أن يكون شركة بينك وبين رب هذه المواد، ورب هذه المواد يأخذ حظه منها، أيأخذ حظه لنفسه؟ قال في كتابه: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ

﴿أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ (الذاريات:٥٧)، فلمن حظ الله؟! يرده على من لا يقدر على الحركة؛ على العاجز والضعيف وذي العاهة، أنت تأخذ أجرك على عملك، وتعطي لله الحق الذي استحقه بملك المواد، ربما كان إنسان منا لا يملك مالا، ولكنه يعرف كيف يعمل، فيأتي غني عنده مال، ولكنه لا يعرف كيف يعمل، فيعطي المال لمن لا يعمل ولا يملك المال، وما يعمله بمال الغني يكون مضاربا، والحصيلة التي تأتي تكون قسمة بين صاحب المال ومن عمل. وكذلك أنت لا تملك شيئا في الدنيا، كلها ملك لله، ولك الحركة، فخذ حظك على قدر حركتك، ودع لله نصيبه؛ لأنه هو الذي يملك، ولن يأخذ منك؛ لأنه غني عنك، إنما المسألة كيف توجهه؟! توجهه للضعيف، يجب أن تعلم أنني حين أطلب إليك -وأنت قادر على العمل- أن توجه بعض مالك لمن لا يقدر على العمل، إنما أؤمن حياتك أنت؛ لأنك إذا كنت قادرا على العمل ووجدت من لا يقدر، فأعطيته من مالك جزءا يعيش فيه ويقيم حياته، فستعلم جيدا أنك إذا أصابك ضعف أو عجز سيقوم المجتمع أيضا بالنفقة عليك كما أنفقت أنت على الفقير، فحين أكون في مجتمع فقيره مكفي من أغنيائه لا أخاف الفقر، ولا أخاف الضعف؛ لأن مجتمعي إيماني، إذا أصابني الضعف سيعطيني كما أعطيت حين كنت قادرا وغنيا، والغني يجب ألا ينظر إلى ساعة عطائه من ماله، ولكن فلينظر إلى تقلبات الحياة؛ كم من قوي ضعف، وكم من قادر عجز، وكم من سليم أصبح ذي عاهة. فما دامت هذه التقلبات تأتي على البشر جميعا فكل إنسان عرضة لها، فإذا كنت قادرا فاذكر العاجز؛ لأنك إذا عجزت سيذكرك القادر، إذن: فكما تعطي تأخذ، أنا لا آخذ منك الآن لأتركك دون عطاء حين تكون محتاجا، لا؛ إن المجتمع حين أخذ منك وأنت غني بأوامر الدين فإنه سيعطيك وأنت محتاج بأوامر الدين، فيجب أن تنظر ساعة عطائك إلى ساعة أخذك، وحينئذ يكون التفاؤل، لماذا يجزع الناس من الموت، ويخافون ويتفوهون بالألفاظ الشاذة عندما يموت رجل وقد ترك أبناء صغارا؟ لأنهم يعتقدون أن ذلك الأب هو السند الوحيد والرازق لهؤلاء، لكنهم لو رأوا في المجتمع أيتاما صغارا مات أبوهم، فعالهم المجتمع وأغناهم وأعطاهم ما يحتاجون لما حزن أحد على فائت، ولكن الذي يحزنهم على الفائت مضيعة اليتم وسط اللئام، ولو أن اليتيم لم يضيع وسط اللئام لاستقبل كل إنسان قدر الله بوصفه فراقا فقط، ولم يجعل أحد رزقه على أحد، وآمن بربه، وبأن منهج الله يعطيه حين يحتاج كما يأخذ منه حين يقدر.

أنت لا تملك شيئا في الدنيا، كلها ملك لله، ولك الحركة، فخذ حظك على قدر حركتك، ودع لله نصيبه

لو أن اليتيم لم يضيع وسط اللئام لاستقبل كل إنسان قدر الله بوصفه فراقا فقط

❖**محاضرة الشيخ محمد متولي الشعراوي**

في مسجد الشيخ فهد السالم بالسالمية

بتاريخ (١٩٧٤/٩/٢٩م) الموافق (١٣) رمضان (١٣٩٤هـ).

الهوامش

١- رواه مسلم، رقم: (٤٩).

٢- البش: طلاقة الوجه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٧/٨٠).

٣- انظر: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، لابن النجار (١/١٠٥).

٤- اللحي: العظمان اللذان فيهما الأسنان من كل ذي لحي. انظر: تاج العروس؛ للزبيدي (٣٩/٤٤٢).

د. بديع السيد اللحام
أستاذ بكلية الشريعة
جامعة دمشق



عناية الحافظ ابن حجر العسقلاني بصحيح الإمام البخاري

فإن شخصية الإمام ابن حجر العسقلاني، رحمه الله تعالى، قد ارتبطت في ذاكرتنا العلمية بشرح يعد أفضل شروح «الجامع الصحيح» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ)، فقد تبوأت موسوعته الحديثية الفقهية العقدية المعنونة بـ «فتح الباري» مكان الصدارة بين شروح كتب الحديث على كثرتها وتنوعها.

والحافظ أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) شخصية موسوعية بزغ نجمها وارتفع شأوها في عصر يعد من العصور التي ازدهرت فيها سوق العلم، فقد وسم ذلك العصر بـ«عصر الموسوعات»، وقد أعد كثير من الدراسات، وكتب الكثير من البحوث حول نتاج هذا العصر العلمي والثقافي تجل عن العد ويصعب حصرها[1]. وعلى الرغم من امتياز هذا العصر بكثرة العلماء واتسام أكثرهم بالموسوعية فإن للحافظ ابن حجر مكانة مرموقة متميزة بين أفراد هذا العصر، فقد جمع، رحمه الله تعالى، بين الفنون العلمية المتعددة المعروفة في أيامه، وتسنم مناصب كثيرة في مقدمتها القضاء لمرات عدة، كما تصدر للتدريس والإفتاء والتحديث، وأحيا سنة إملاء الحديث، ثم إنه بعد ذلك كله لم يغادر الدنيا إلا وقد ترك لنا إرثا علميا في مختلف العلوم والفنون، وما نزال ننعم - إلى يومنا هذا - بكثير من المعارف التي دونها والعلوم التي سطرها، وقد غلبت عليه الشخصية الحديثية، والتصق به لقب الحافظ، حتى إذا أطلق هذا اللقب عند المتأخرين لم ينصرف إلا إليه.

لقد أمضى الحافظ ابن حجر شطرا مهما من حياته في نشر الحديث، وعني به عناية لا مزيد عليها، مطالعة وقراءة وإقراء وتصنيفا، ولا أدل على ذلك من أن مؤلفاته العلمية أربت على مئة وخمسين مصنفا، معظمها في الحديث النبوي وفنونه المتعددة.

وقد خص مصادر الحديث النبوي الأولى بعناية تدلل على أهميتها وفضلها، وفي مقدمة تلك المصادر كتاب صحيح البخاري المسمى «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» لإمام المحدثين، وقدوة جهابذة النقاد والمعللين، وسيد الحفاظ والمتقنين لآثار سيد المرسلين، أعني الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ).

لقد ألف الحافظ ابن حجر عددا كبيرا من المؤلفات تناولت جوانب الصحيح المختلفة، وهذه المؤلفات هي:

«الإعلام بمن ذكر في البخاري من الأعلام»: ترجم فيه لكل من ورد له ذكر من الأعلام في الصحيح،



وذلك زيادة على ما في كتابه «تهذيب التهذيب»، وهذا الكتاب لا أعلم أنه طبع حتى يوم الناس هذا.

وأما مؤلفات ابن حجر المطبوعة حول الصحيح، فهي:

«تغليق التعليق»: وقع في تراجم أبواب الجامع الصحيح للإمام البخاري جملة من الأحاديث المعلقة[٢]، والحديث المعلق هو الذي حذف من أول إسناده راو فأكثر، وهو كثير في صحيح البخاري، حيث يذكره معبرا بصيغة لا تقتضي التصريح بالسماع، مثل: (قال، روى، زاد، يروى، يذكر، يقال).

وقد قام الحافظ ابن حجر في هذا الكتاب (تغليق التعليق) بتتبع تلك المعلقات، وسبر عن أسانيدها، وبين أن جميع تلك الأحاديث متصلة الإسناد، فذكر إسناد كل منها، ومن خرجها من أصحاب المصنفات الحديثية، وهو كتاب حافل لم يسبقه إليه أحد، وهو الكتاب الوحيد الذي يمكن أن يعد متمما لصحيح البخاري.

قال ابن حجر في مقدمة كتابه هذا: «إن الاشتغال بالعلم خير عاجل، وثواب حاصل، لا سيما علم الحديث النبوي ومعرفة صحيحه من معلله، وموصوله من مرسله، ولما كان كتاب (الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور سيدنا رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) تأليف الإمام الأوحد عمدة الحفاظ تاج الفقهاء أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رحمه الله وشكر سعيه، قد اختص بالمرتبة العليا ووصف بأنه لا يوجد كتاب بعد كتاب الله مصنف أصح منه في الدنيا وذلك لما اشتمل عليه من جمع الأصح والصحيح، وما قرن بأبوابه من الفقه النافع الشاهد لمؤلفه بالترجيح، إلى ما تميز به مؤلفه عن غيره بإتقان معرفة التعديل والتجريح، وكنت ممن من الله عز وجل عليه بالاشتغال بهذا العلم النافع، فصرفت فيه مدة من العمر الذي لولاه لقلت البضائع، وتأملت ما يحتاج إليه طالب العلم من شرح هذا الجامع فوجدته ينحصر في ثلاثة أقسام من غير رابع:

الأول: في شرح غريب ألفاظه وضبطها وإعرابها.

والثاني: في معرفة أحاديثه وتناسب أبوابه.

والثالث: وصل الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة المعلقة فيه، وما أشبه ذلك، من قوله: (تابعه فلان، ورواه فلان... وغير ذلك).

فبان لي أن الحاجة الآن إلى وصل المنقطع منه ماسة، أن كان نوعا لم يفرد ولم يجمع، ومنهلا لم يشرع فيه ولم يكرع، وإن كان صرف الزمان إلى تحرير القسمين الأولين أولى وأعلى، والمعتني بهما هو الذي حاز القدح المعلى ولكن ملئت منهما بطون الدفاتر، فلا يحصى كم فيها... فاستخرت الله في جمع هذا القسم إلى أن حصرته وتتبعت ما انقطع منه فكل ما وصلت إليه وصلته، وسردته على ترتيب الأصل بابا بابا... إلى أن أطلعته في أفق الكمال شهابا، وسميته (تغليق التعليق) لأن أسانيده كانت كالأبواب المفتحة فغلقت، ومتونه ربما كان فيها اختصار فكملت واتسقت، وقد نقلت من كتاب (ترجمان التراجم) للحافظ أبي عبدالله بن رشيد ما نصه - بعد أن ذكر التعليق-: وهو مفتقر إلى أن يصنف فيه كتاب يخصه تسند فيه تلك المعلقات وتبين درجتها من الصحة أو الحسن أو غير ذلك من الدرجات، وما علمت أحدا تعرض لتصنيف في ذلك، وأنه لمهم، لا سيما لمن له عناية بكتاب البخاري».

هذا وقد التزم في وصل التعليق: أن يسوق أحاديثه المرفوعة، وآثاره الموقوفة بأسانيده إلى من علق عنه المصنف، لا إلى غيره، إلا أن يتكرر النقل من كتاب كبير...، إلى مصنفه، فإنه يحيل عليه غالبا، ثم يجمع أسانيده التي أحال عليها في فصل ختم به الكتاب.

وأتبعه بفصل آخر في سياق ترجمة المؤلف ومناقبه.

فإن علق الحديث في موضع وأسنده في آخر نبه عليه واكتفى به، إلا أن يختلف لفظ الحديث المعلق ولفظ الموصول فينبه حينئذ على من وصله بذلك بلفظه المعلق.

وإذا لم يسم البخاري أحدا من الرواة، بل قال: قال رسول الله ﷺ مثلا كذا، فإنه يخرجه من أصح طرقه...».

أكمل الحافظ تبييض كتابه سنة (٨٠٧هـ)[٣] وكانت مسودته قد كملت سنة (٨٠٣هـ). ثم اختصره في كتاب سماه: «التشويق إلى وصل المبهم من التعليق»، ثم اختصره بكتاب آخر سماه «التوفيق لوصل المبهم من التعليق» واقتصر في الكتاب الأخير على الأحاديث التي لم يوصل البخاري

أسانيدها في مكان آخر من جامعه.
إن كتاب «تغليق التعليق» لأصدق دليل على سعة رواية ابن حجر، وصبره الدائب على البحث، وجلده الذي لا يضارع في التنقيب، وقد أسدى بتأليفه خدمة جليلة لصحيح البخاري، ذهب وحده بفخارها.

- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»:

لم يكتف الحافظ ابن حجر بتلك اليد التي قدمها في كتابه التغليق، بل ضم إليها يدا أكثر فائدة وأعظم أثرا ألا وهي تأليفه «فتح الباري» مقدما له بمقدمة تعد من فرائد المقدمات وأكثرها علما وإمتاعا كونها تغني القارئ والسامع لكتاب البخاري عن غيرها، وقد سماها «هدي الساري مقدمة فتح الباري» فرغ من تأليفها سنة (٨١٣هـ)، أدارها على عشرة فصول، تناول في كل فصل منها جانبا من علوم الحديث المتعلقة بصحيح البخاري، فمثلا وضع فصلا للرجال المتكلم فيهم من رواة الصحيح، وفصلا آخر في المبهمات، وفصلا ثالثا في الكلام على الأحاديث المنتقدة... وختم بفصل ترجم فيه للإمام البخاري وتحدث عن أخباره وأحواله ومناقبه.
وفي سنة (٨١٧هـ) شرع في تأليف فتحه على الصحيح، ومضى فيه قدما، ثم اعتراه فتور، وأدركه ملال عاقه عن إكماله على النسق الذي هو عليه من الطول، فجنح إلى كتابة شرح آخر يسير قصير، أسماه «النكت» وقد شرح في مقدمته الفكرة التي طرأت عليه وبواعثها، وما كان من استجابته لها بقوله: «أما بعد، فهذه نكت مفيدة، موضحة للجامع الصحيح لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، علم المحدثين، ورأس الحفاظ المتقنين، أقتنصها من كلام الأئمة الذين اعتنوا به في قديم الزمان وحديثه، مع ما ضممته إليها من التنبيهات التي أظن أنهم أغفلوها أو ذكروها ولم أطلع على ذلك في مظانه. وكنت شرعت في شرح كبير، استفتحته بمقدمة تحوي غالب مقاصد الشرح، فلما أتقنتها وحررتها، وكتبت من الشرح مواضع هذبتها، ومواضع سودتها، رأيت الهمم قصيرة، والبواعث على تحصيل المطولات يسيرة.
وسألني بعض الإخوان عن «النكت» التي وضعها العلامة بدر الدين الزركشي على الكتاب المذكور هل تغني الطالب عن مراجعة غيره أم لا؟ فتأملتها فوجدتها في غاية الحسن والتقريب، والاختصار المفيد العجيب، إلا أنها ليست على منوال واحد، فلا يوجد في كلامه توجيه، فأحيانا يتعرض لبيان بعض من أهمل تميزه أو أبهم اسمه، ويترك بجنبه من هو أولى بالتنبيه عليه لعسر مأخذه، وكذا يتعرض أوقاتا لوصل بعض المعلقات، أو التوفيق بين الترجمة وحديث الباب، ويترك أهمها وأنفعها وأكثرها فائدة... إلى غير ذلك مما اشتملت عليه مقاصد (الجامع) إذ هو كاسمه بحر زخار، مفصح بسعة إطلاع مصنفه، ووفور علمه، كما قال الإسماعيلي في مدخله: إني نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبدالله البخاري، فرأيته جامعا لكثير من السنن الصحيحة، ودالا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة، التي لا يكمل لمثلها إلا من جمع إلى معرفة الحديث ونقلته والعلم بالروايات وعللها، علما بالفقه واللغة، وتمكنا منها كلها، وكان يرحمه الله الرجل الذي قصر زمانه على ذلك، فبرع وبلغ الغاية، فحاز السبق، وجمع إلى ذلك حسن النية والقصد للخير، فنفعه الله ونفع به، فحداني ذلك على جمع هذه النكت، شاملة لمهمات ذلك، على طريق وسطى، أرجو نفعها، وقبل الشروع في ذلك أقدم فصلين:
أحدهما: في الإشارة إلى شرط المصنف في هذا التصنيف، وفيه الإشارة إلى مناسبة ترتيب أبواب كتابه.
وثانيهما: في سياق جمل من ترجمته، تشتمل على حاله من بدايته إلى نهايته. وفيها وصف الأئمة له لا مزيد عليه.
ثم تلوت ذلك بضوابط يرجع إليها، ويعول عند الاختلاف عليها، تغني عن التكرار، عملا بشرط الاختصار. يسر الله ذلك بمنه».
ثم وفقه الله للشروع في إكمال «فتح الباري» وفي ذلك يقول: «فلما كان بعد خمس سنين أو نحوها، وقد بيض منه مقدار الربع على طريقة مثلى، اجتمع عندي من طلبة العلم المهرة جماعة وافقوني على تحرير هذا الشرح، بأن أكتب الكراس منه، ثم يحصله كل منهم نسخا، ثم يقرؤه أحدهم، ويعارض معه رفقته، مع البحث في ذلك والتحرير، فصار السفر لا يكمل منه إلا وقد قوبل وحرر، ولزم من ذلك البطء في السير لهذه المصلحة، إلى أن يسر الله إكماله في شهر رجب سنة (٨٤٢هـ)».
وبقي الحافظ يلحق فيه حتى قبيل وفاته بيسير.
ولما أتم تأليفه عمل وليمة، خارج القاهرة، في يوم السبت ثاني شعبان سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة، وأنفق عليها نحو خمسمئة دينار، وقل من تخلف عنها من العلماء والأمراء والطلاب والقضاة والولاة والأعيان، وقرئ هناك المجلس الأخير.
وتبارى الشعراء في إنشاد القصائد

في مدح الشرح ومؤلفه، وهي مثبتة في آخر الجزء الأخير منه.

وقد قدم ابن حجر لشرح فتح الباري بتقديم موجز قال فيه: «أما بعد، فقد آن الشروع فيما قصدت له من شرح الجامع، على ما وعدت به في أول المقدمة، وكنت عزمت على أن أسوق حديث الباب بلفظه قبل شرحه، ثم رأيت ذلك مما يطول به الكتاب جدا، فسلكت الآن فيه طريقا وسطى أرجو نفعها، كافلة بما اطلعت عليه من ذلك، إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وربما أعدت شيئا مما تقدم في المقدمة لمعنى يقتضيه، إما لبعد العهد به أو لغير ذلك، ولكن اعتمادي غالبا على الحوالة عليها، وسميته (فتح الباري بشرح البخاري)، وقد رأيت أن أبدأ الشرح بأسانيدي إلى الأصل بالسماع أو بالإجازة...».

وقد أفصح رحمه الله عن منهجه في شرحه، ويمكن تحديد المنهج بالنقاط التالية:

أولا: يسوق الباب وحديثه، ثم يذكر وجه المناسبة بينهما إن كانت خفية.

ثانيا: يستخرج ما يتعلق به غرض صحيح في ذلك الحديث من الفوائد المتنية والإسنادية، من تتمات وزيادات، وكشف غامض، وتصريح بسماع، ومتابعة سامع من شيخ اختلط قبل ذلك، منتزعا كل ذلك من أمهات المسانيد والجوامع والمستخرجات والأجزاء والفوائد، بشرط الصحة أو الحسن فيما يورده من ذلك.

ثالثا: يوصل ما انقطع من معلقاته وموقوفاته، حيث تلتئم زوائد الفوائد، وتنتظم شوارد الفرائد.

رابعا: يضبط ما يشكل من الأسماء، مع إيضاح معاني الألفاظ اللغوية، والتنبيه على النكت البيانية ونحو ذلك.

خامسا: يورد ما استفاده من كلام الأئمة مما استنبطوه من ذلك الحديث من الأحكام الفقهية، والمواعظ الزهدية، والآداب المرعية، مقتصرا على الراجح من ذلك، متحريا للواضح، دون المستغلق.

سادسا: الاعتناء بالجمع بين ما ظاهره التعارض مع غيره، والتنصيص على المنسوخ بناسخه، والعام بمخصصه، والمطلق بمقيده، والمجمل بمبينه، والظاهر بمؤوله، والإشارة إلى نكت من القواعد الأصولية، ونبذ من فوائد العربية، ونخب من الخلافات المذهبية. بحسب ما اتصل إليه من كلام الأئمة، واتسع له فهمه من المقاصد المهمة، مراعيا ذلك في كل باب.

سابعا: إن تكرر المتن في باب بعينه غير باب تقدم نبه على حكمة التكرار من غير إعادة له، إلا أن يتغاير لفظه أو معناه، فينبه على الموضع المغاير. فإن تكرر في باب آخر، اقتصر فيما بعد الأول على المناسبة، شارحا لما لم يتقدم له ذكر، منبها على الموضع الذي تقدم بسط القول فيه، مراعيا مصلحة الاختصار، دون الهذر الإكثار.

وختم تلك المقدمة بالقول: «والله أسأل أن يمن علي بالعون على إكماله، بكرمه ومنه، وأن يهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنه، وأن يجزل لي على الاشتغال بآثار نبيه الثواب في الدار الأخرى، وأن يسبغ علي وعلى من طالعه أو قرأه أو كتبه، النعم الوافرة تترى، إنه سميع مجيب».

ويلاحظ أن ما قدم به كتابه ليس فيه ما اعتاد المؤلفون من مدح أعمالهم، ونقص أعمال غيرهم ممن سبقهم، وليس فيها غرور أو ادعاء، وهي تمثل جانبا من أخلاقه الرضية رحمه الله ورضي عنه.

ختاما، إن «فتح الباري» عمدة الباحثين والدارسين منذ تأليفه إلى يوم الناس هذا، وهو من أعظم شروح البخاري وأوفاها، إذ يمتاز بأمانة النقل، وسلامة العرض، ودقة التعبير، وحسن التلخيص، ووجازة القول، ونصاعة الرأي، وقوة العارضة في الإعراب عما يراه حقا، وتفنيد ما يلوح له وهنه أو بطلانه. ويكفينا في هذه المقام أن نورد شهادة أحد أئمة العلم بالحديث ألا وهو الإمام شمس الدين السخاوي إذ يقول: «ولو لم يكن له إلا شرح البخاري لكان كافيا في علو قدره، ولو وقف عليه ابن خلدون القائل بأن شرح البخاري إلى الآن دين على هذه الأمة لقرت عينه بالوفاء والاستيفاء» هذا وقد استحق هذا الكتاب أن يقال فيه: «لا هجرة بعد الفتح».

أخيرا فدونك أخي القارئ هذه الإطلالة السريعة التي أسأل الله تعالى أن أكون قد أحسنت من خلالها تسليط الضوء على أحد أبرز حفاظ المسلمين عبر تاريخهم العلمي ألا وهو الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

الهوامش

١- ولعل رائد تلك البحوث والدراسات موسوعة الدكتور محمود رزق سليم التي سماها «عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والثقافي»، فهي موسوعة لا يمكن لدارس لهذا العصر أن يستغني عنها.

٢- ليس هنا مكان ذكر الأسباب التي دعت البخاري إلى هذا الصنيع، ومن أراد التوسع في معرفة ذلك فعليه بمطالعة ما ذكره الحافظ في مقدمة كتابه الذي أعرف به.

٣- وذلك في حياة كبار مشايخه، فكتبوا عليه وقرظوه وأثنوا على مؤلفه.

إعداد / التحرير



سمو نائب الأمير يفتتح جلسات مجلس الأمة

نقل تحيات سمو الأمير ومباركته لأعضاء السلطتين

تدشين وثيقة العهد الجديد

أكد سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح في النطق السامي، الذي ألقاه خلال افتتاح دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي السابع عشر لمجلس الأمة، والذي أسماه سموه بـ»وثيقة العهد الجديد» لما سيكون عليه العمل في المرحلة المقبلة، أن الجميع شركاء في تحمل المسؤولية وعملية البناء والإصلاح شعبا وأسرة حكم كل من موقعه ومركزه وعمله.

ونقل سموه أسمى وأصدق تحيات صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه، وشعوره بالرضا والارتياح على إنجاز العملية الانتخابية في صورتها المشرقة، أيضا نقل سموه مباركة سمو الأمير على ثقة الشعب بأعضاء مجلس الأمة المنتخبين ومباركته كذلك لأعضاء الحكومة المعينين، وتمنياته للجميع بالتوفيق والنجاح لخدمة هذا الوطن العزيز وأهله الكرام الطيبين.

وحمل خطاب سمو ولي العهد رسائل عدة منها رسالته إلى الشعب الكويتي، إذ تقدم سموه بخالص الشكر والتقدير على ما قاموا به من إحياء للعملية الانتخابية (أمة ٢٠٢٢) بعد موتها وتجميل صورتها بعد تعكر صفاء وجهها.

ووجه سموه رسالة إلى أعضاء السلطتين التشريعية والتنفيذية قال فيها: «إن أبناء وطني العزيز قد وفوا بوعدهم باختيارهم من يرونه صالحا كأعضاء لمجلس الأمة ونحن كقيادة سياسية من جانبنا قد وفينا أيضا بالعهد الذي قطعناه على أنفسنا، والمسؤولية الآن تقع على عاتقكم كأعضاء للسلطتين التشريعية والتنفيذية في بناء مستقبل وطننا العزيز».

وفيما يلي نص النطق السامي الذي ألقاه سمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد في افتتاح دور الانعقاد:

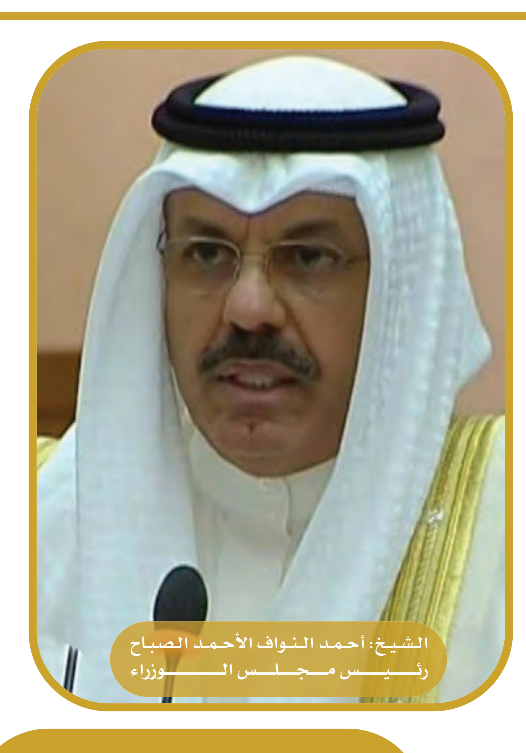
«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي في جلاله عظيم وفي سلطانه قديم وبعباده رحيم وهو بكل شيء عليم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من دعا إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل بالتي هي أحسن وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الحضور الكريم أحييكم بتحية الإسلام.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، في البداية يطيب لي أن أنقل إليكم أسمى وأصدق تحيات المقام

السامي سيدي حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه وسدد على دروب الخير والتوفيق خطاه ومسعاه، وهو يرى سموه بعين الرضا والارتياح ما قمتم به من أعمال متميزة لصالح الوطن، كما أود أن أنقل إليكم مباركة سمو الأمير على ثقة الشعب بأعضاء مجلس الأمة المنتخبين ومباركة سموه كذلك لأعضاء الحكومة المعينين وتمنيات سموه للجميع بالتوفيق والنجاح لخدمة هذا الوطن العزيز وأهله الكرام الطيبين.

أيها الحضور الكريم يسرني أن نلتقي معكم اليوم لافتتاح دور الانعقاد العادي الأول من الفصل التشريعي السابع عشر لمجلسكم الموقر ويسعدني بل يشرفني كل الشرف أن ألقي أمامكم النطق السامي نيابة عن المقام السامي سيدي حضرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه... أيها الحضور الكريم إنه ليوم مشهود ومجيد ونحن نعيش في ظل أجواء العرس الديمقراطي الجميل الذي عاشته الكويت في الأيام السابقة لنسطر معكم وبكم من خلال هذه الأجواء ديمقراطية فريدة بين الحاكم وشعبه خصائصها صفاء نية في النفوس وصفاتها محبة وروح وطنية في القلوب ومكانتها قدوة حسنة ينظر إليها ويشهد لها العالم بكل التقدير والإعجاب.

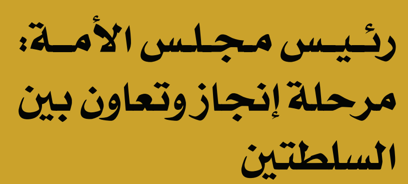
أيها الحضور الكريم اسمحوا لي أن أنتهز هذه الأجواء المشهودة والمجيدة لأتحدث إليكم حديث الأب لأبنائه والأخ لإخوانه وحديث الحريص على وطنه وشعبه، وحديثي معكم سيكون موجها إلى أبناء وطني العزيز وإلى جميع السلطات في الدولة على اعتبار أن الجميع شركاء في تحمل المسؤولية



الشيخ: أحمد النواف الأحمد الصباح
رئيس مجلس الوزراء



أحمد السعدون
رئيس مجلس الأمة



رئيس مجلس الأمة: مرحلة إنجاز وتعاون بين السلطتين

وشركاء كذلك في عملية البناء والإصلاح شعبا وأسرة حكم كل من موقعه ومركز عمله.

ولئن كان خطابنا السابق في ٢٠٢٢/٦/٢٢ هو خطاب العهد الجديد فإن خطابنا اليوم أمام مجلسكم الموقر هو خطاب «وثيقة العهد الجديد» والذي يعتبر خطاب توجيه وإرشاد ومتابعة ورسالة موجهة من القيادة السياسية إلى أبناء وطني وإلى السلطات في الدولة لما يجب أن يكون عليه العمل في المرحلة المقبلة بإذن الله تعالى.

إخواني وأخواتي أعضاء السلطة

رئيس مجلس الوزراء: نحن أمام مسؤولية وأمانة وطن ومستقبل شعب كريم

التشريعية اسمحوا لي وأنا في بيتكم بيت الشعب أن أتقدم لأبناء وطني العزيز بخالص الشكر والتقدير وعظيم العرفان بالجميل على ما قاموا به من إحياء العملية الانتخابية بعد موتها وتجميل صورتها بعد تعكر صفاء وجهها، فتحقق بفعلهم الجميل العرس الديمقراطي بأجمل صوره فكانوا بحق أوفياء للوطن ومحبين له في الاستجابة لحسن اختيارهم لمن يمثلهم كنواب في مجلس الأمة.

ولا يفوتني في هذا المقام إلا أن أشيد بالإعداد والتنظيم وبجهود كل الجهات والأفراد من مدنيين وعسكريين ومتطوعين التي تعاونت وأسهمت بفعلها المتميز في نجاح العرس الديمقراطي الجميل فلهم منا خالص الشكر والتقدير.

إخواني وأخواتي أبناء وطني العزيز لقد كنتم أوفياء في حسن اختياركم لأعضاء مجلس الأمة، إلا أن هذا الاختيار رغم كونه حسنا وجميلا ينقصه أمر على درجة كبيرة من الأهمية، ألا وهو المتابعة والمساءلة والمحاسبة، فعليكم أبناء وطني العزيز بعد اختياركم لنوابكم مسؤولية متابعة ومساءلة ومحاسبة النواب في حالة التقصير في

الأداء أو عند خروجهم قولا أو عملا عن مسار المسلك الديمقراطي السليم فهذه المتابعة والمساءلة والمحاسبة هي أمانة الله في أعناقكم أبناء وطني العزيز لصالح الوطن ولصالحكم فلا تفرطوا بهذه الأمانة ﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦).

إخواني وأخواتي أبناء وطني العزيز ها نحن قد وفينا بالعهد الذي قطعناه على أنفسنا في خطابنا الذي ألقيناه بتاريخ ٢٠٢٢/٦/٢٢ حيث تم الاحتكام إلى الدستور فتم حل مجلس الأمة حلا دستوريا، واحترمنا كذلك استنادا لنصوص الدستور إرادة الشعب باعتباره صاحب الكلمة المسموعة في تقرير مصيره، فكانت هذه الإرادة الشعبية هي التي أوصلت الأعضاء إلى مجلس الأمة ليكونوا نوابا فيه من دون تدخل منا.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد قمنا بتطهير العملية الانتخابية قبل إجرائها مما لحق بها من شوائب ومخالفات وانحرافات ونقل أصوات شوهت جمال صورتها لتتم العملية الانتخابية في ثوبها الجديد.

إخواني وأخواتي أعضاء السلطة التشريعية

استكمالا للوعد الذي قطعناه على أنفسنا أيضا فإن الحكومة سوف تقوم هي الأخرى بأداء دورها التاريخي غير المسبوق داخل مجلسكم الموقر أثناء عملية اختيار رئيس المجلس واختيار أعضاء لجانه المختلفة، فلن تتدخل الحكومة في هذا الاختيار لمصلحة أحد على حساب أحد ولن تقف مع طرف ضد طرف ليكون المجلس سيد قراراته.

وشدد نائب الأمير على أهمية قيام أعضاء السلطة التشريعية بأداء واجبهم الوطني، وأن يبروا بالوعود والعهود والشعارات التي قطعوها على أنفسهم كمرشحين لصالح الوطن والمواطنين أثناء حملاتهم الانتخابية، والارتقاء بالممارسة الديمقراطية والبعد عن إضاعة جلسات المجلس بمهاترات ومشاجرات، وتعزيز الدور الرقابي للمجلس وعلى تفعيل دوره التشريعي بإصدار القوانين التي تجسد الوحدة الوطنية وتحقق رغبات المواطنين وتطلعاتهم.

وفيما يتعلق بمسؤولية أعضاء السلطة التنفيذية أشار سمو ولي العهد إلى مسؤولية النزول إلى القاعدة بهدف تلمس احتياجات المواطنين والسعي إلى تحقيق مطالبهم والعمل الجاد على رفع المعاناة عنهم، ووجه الحكومة إلى أن تضع لها خطة استراتيجية توضح فيها برنامج عملها بهدف الوصول من خلال تطبيق هذه الخطة إلى ما يسمى بـ«الحوكمة الرشيدة»، ليتم من خلال هذا البرنامج محاسبة ومساءلة الحكومة عند الإخلال أو التقصير في تنفيذه، وسوف أكون شخصيا أول من يتابع ويحاسب الحكومة عن تنفيذ برنامج عملها قبل أعضاء مجلس الأمة.

وشدد على الحكومة بضرورة تطبيق القانون بكل حزم على المخالفين له وعلى كل من يتهاون أو يهمل أو يتقاعس في أداء واجبه الوطني.

وبين سمو نائب الأمير أن الكويت شعبا وقيادة سياسية تأمل من أعضاء السلطتين التشريعية والتنفيذية أن ينتهي زمن توتر وتصدع العلاقات بينهم، وأن يتم احترام الدستور بعدم تدخل سلطة في عمل سلطة أخرى، وعدم تخلي سلطة عن أداء واجبها لسلطة أخرى، وأن يحل محل كل ذلك زمن التوافق والانسجام وصفاء القلوب وصدق النوايا وتوحيد الكلمة لإعلاء المصالح العليا للوطن والمواطنين.

وأكد سموه على أهمية العمل على تفعيل دور الشباب وتحفيز مبادراتهم ليكون الجميع صناعا في بناء كويت الغد، وكذلك الاهتمام بكل من خدم وطنه وتقاعد.

كما أكد على أهمية المشاركة الشعبية في عملية صنع القرار وتفعيل دورها في مراقبة الأداء البرلماني والحكومي وإشراك المواطنين في متابعة ومراقبة أعمال مجلس الأمة والحكومة، وتفعيل دور الإعلام في تحقيق هذه المراقبة.

وشدد على الجميع بضرورة احترام صلاحيات واختصاصات الأمير الدستورية، وعدم الاعتراض عليها أو حتى التشكيك فيها، باعتبارها من صميم إطلاقات أعمال السيادة، لأن الاعتراض عليها يؤدي إلى ضياع مكانة وهيبة الدولة ويضعف أركان الحكم فيها.

وختم سمو نائب الأمير كلمته قائلا: «نسأل الله العلي القدير أن يسدد على دروب الخير والتوفيق جميع خطاكم وأن يوفقكم لما يحبه ويرضاه، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يبعد عنا كيد الكائدين وحقد الحاقدين وشر الحاسدين وأطماع الطامعين وتربص المتربصين، وأن يجعلنا من الشاكرين لنعمه والذاكرين لفضله، وأن يمتعنا بالصحة في الأبدان، وأن يجعل الكويت بلد أمن وأمان في ظل قيادة المقام السامي سيدي حضرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه وسلمه وعافاه وجزاه الله عنا وعن الوطن خير الجزاء.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ (آل عمران:٨). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

بعد اختياره رئيسا لمجلس الأمة بالتزكية قال أحمد السعدون: إنني لا يسعني في هذه اللحظة إلا أن أسجل خالص الشكر والتقدير لكم جميعا، وآمل بإذن

اللّٰه أن تكون المرحلة القادمة مرحلة إنجاز وتعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وأن نستمر جميعا في استكمال مسيرة البناء والتنمية.
وفي كلمته قال سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ أحمد النواف الأحمد الصباح: إننا نستقبل عهدا جديدا بحاجة إلى رؤية جديدة للعمل الوطني تستند على أسس الإصلاح والالتزام بالحكمة والحفاظ على المكتسبات والمشاركة الفعالة لتحقيق الطموح والآمال الشعبية بعيدا عن أجواء الصراعات وتغليب المصالح الشخصية على حساب استقرار الوطن وتقدمه وازدهاره.
وفيما يلي نص الخطاب الأميري لسموه:
«بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾
(النجم:٣٩- ٤٠)

الحمد للّٰه العزيز الحكيم الذي أفاض علينا من نعم لا تحصى وجعل لنا طريق الهداية ووفر لنا أسباب الخير والفلاح والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
الأخ رئيس مجلس الأمة
الأخوات والإخوة الأعضاء المحترمون
السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته
أما بعد وقد شرفني اليوم حضرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه اللّٰه ورعاه، بإلقاء الخطاب الأميري بمناسبة افتتاح دور الانعقاد العادي الأول للفصل التشريعي السابع عشر لمجلس الأمة الموقر، فإنه يطيب لي أن أبارك لكم ثقة الشعب الكويتي الوفي الذي اختار ممثليه في المجلس واضعا ما يصبو إليه من تطلعات وآمال أمامكم متمنيا لكم باسمي واسم أخواتي وإخواني أعضاء الحكومة التوفيق والسداد في خدمة الوطن ورفعة شأنه.
كما أتقدم بأصدق آيات التقدير والاعتزاز لشعبنا الكريم الذي استجاب إلى رسائل وتوجيهات كلمة حضرة صاحب السمو الأمير وولي عهده الأمين حفظهم اللّٰه ورعاهم في خطابهم الموجه إلى أبناء الوطن العزيز في الثاني والعشرين من يونيو الماضي لإعادة تصحيح مسار المشهد السياسي واختيار من يمثله بإرادة حقيقية ضمن أجواء تتسم بالتنافس الشريف والاختيار الحر، لذا جاء المرسومان بقانون على وجه الاستعجال إعمالا لحكم المادة (٧١) من الدستور بتعديل وإضافة عدد من المواد في شأن انتخابات أعضاء مجلس الأمة ليكون موطن الانتخاب معبرا عن المكان الذي يقيم به المواطن بصفة دائمة وفعلية والثابت ببطاقته المدنية.
وأضاف رئيس مجلس الوزراء: لعلنا اليوم ونحن نستقبل عهدا جديدا بحاجة إلى رؤية جديدة للعمل الوطني تستند على أسس الإصلاح والالتزام بالحكمة والحفاظ على المكتسبات والمشاركة الفعالة لتحقيق الطموح والآمال الشعبية بعيدا عن أجواء الصراعات وتغليب المصالح الشخصية على حساب استقرار الوطن وتقدمه وازدهاره وصيانة وحدتنا الوطنية التي تشكل صمام الأمان لروح المواطنة ووحدة الصف والكلمة والحصن الحصين لحاضرنا ومستقبلنا كي نحمي بلادنا من الفتن والتفكك مما يجعل من أمن البلاد واستقرار وحدتها وهيبة مؤسساتها همنا الأكبر مجلسا وحكومة.
وأكد سموه على أن التعاون الإيجابي والعلاقة القائمة على أسس من الحوار الديموقراطي بموجب أحكام الدستور يشكلان معا الأرضية الداعمة لوضع العلاقة بين السلطتين على مسارها الصحيح بما يضمن استقرار الدولة وتحقيق مصالحها العليا والارتقاء بمقومات نهضتها.
وذكر رئيس مجلس الوزراء أن برنامج الحكومة يتناول مبادرات متعلقة باستدامة المالية العامة للدولة وتنويع مصادر الإيرادات غير النفطية، وإعادة هيكلة القطاع العام ومكافحة الفساد وتعزيز النزاهة وتجفيف مصادر غسيل الأموال ومكافحة المخدرات وتنفيذ المشروعات التنموية ومشاريع الطاقة المتجددة التي تسهم في دفع عجلة التنمية في البلاد وتحقيق رؤية الكويت ٢٠٣٥ والتحول نحو الاقتصاد المعرفي وزيادة مساهمة القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي والاهتمام بالمشاريع الصغيرة والمتوسطة التي تشكل محورا أساسيا في الاقتصاد الوطني وزيادة دعم برامج تأهيل الشباب بما يحقق تفعيل دورهم في بناء كويت المستقبل.
وفي إطار الاهتمام بالمرأة والطفولة أشار إلى استحداث أول وزارة بتاريخ دولة الكويت تهتم بالمرأة والطفولة لبناء مجتمع متوازن ومترابط قائم على احترام حقوق المرأة وحماية الطفل ضد أي انتهاك أو استغلال أو إساءة لهم بأي شكل من الأشكال.
وشدد النواف على أن نهج الحكومة ثابت في حماية المال العام ولن تتوانى عن محاسبة وتقديم أي شخص للمحاكمة دون الاعتبار لمنصبه أو مكانته متى ما ثبت تورطه بالمساس أو الإضرار بمكتسبات الدولة أو المال العام أو انتهاك القواعد القانونية وتطهير بيئة الأعمال الحكومية من الفاسدين والقضاء على منابع الفساد وأسبابه ومنع الكسب غير المشروع ومكافحة كافة صور الرشوة واتخاذ الإجراءات القانونية حيال ذلك.

أحمد عبدالمنعم
باحث دراسات إسلامية





تحت رعاية
حضرة صاحب السمو أمير البلاد
الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح
حفظه الله ورعاه





Kuwait International Prize of The Holy Quran
Prix International Du Koweit Du Saint Coran

الدورة الحادية عشرة

16 - 23 ربيع الأول 1444هـ
12 - 19 أكتوبر 2022 م







لزيارة موقع الجائزة

https://kuwaitprize.awqaf.gov.kw/

الكويت تكرم أهل القرآن



الزائر للكويت أو المقيم فيها يلحظ من أو وهلة حب الكويت للقرآن الكريم، وعنايتها به وبأهله، فما من منطقة في الكويت إلا وتجد فيها دارا للقرآن الكريم تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه من تفسير ومناهج مفسرين وتجويد وعلوم قرآن.

وتفتح هذه الدور أبوابها لكل راغب في تعلم أمور دينه وحفظ كتاب الله -تعالى- دون مقابل، بل ترصد الجوائز المالية للمتفوقين، تسهيلا للمسلمين الراغبين في دراسة العلوم الشرعية.

بالإضافة إلى مراكز الأترجة التي تعتني بتحفيظ القرآن الكريم بكل رواياته، ويمنح الدارس في دور القرآن الكريم ومراكز الأترجة شهادة معتمدة وموثقة، وهذا أمر لا يكاد يكون موجودا تقريبا إلا في دولة الكويت.

أضف إلى ذلك حلقات تحفيظ القرآن الكريم التي تمتلئ بها مساجد دولة الكويت، وتكون تابعة لوزارة الأوقاف أو الجمعيات الخيرية.

إنك لا تكاد تدخل مسجدا من مساجد الكويت إلا وترى فيه إعلانا عن حلقات لتحفيظ القرآن للناطقين باللغة العربية أو غير الناطقين بها، وتسمع طنينا كطنين النحل من خلال طلاب تلك الحلقات، ناهيك عن ختمات القرآن التي تقام تقريبا كل أسبوع في بعض المساجد احتفاء بختمة أحد الحفاظ أو مجموعة من الحفاظ للقرآن الكريم بقراءاته المختلفة.

ولقد آتت هذه الدور والمراكز والحلقات ثمارها، فقد رأينا أناسا جاءوا إلى دولة الكويت لا يحفظون آية فما لبثوا أن أصبحوا حفاظا مسندين، تعدى نفعهم حدود المكان، وانتشرت أسانيدهم من خلال طلابهم في كل مكان، والسبب في هذا كله هو الحب الجارف لهذا البلد الطيب أهله للقرآن وأهله.



كما أنشأت دولة الكويت هيئة للقرآن الكريم والسنة النبوية تعنى بطباعة المصحف الشريف وتوزيعه على المسلمين في كل مكان من المعمورة حسبة لله وخدمة لكتابه -سبحانه وتعالى.

ومما يحمد لدولة الكويت ما قامت به من عمل متفرد لا تكاد تسبق إليه هو قيامها بطباعة المصحف الشريف بالقراءات العشر، وهذا عمل لا نظير له، سهل على الحفاظ المراجعة، وعلى الطلاب التعلم لتصبح الكويت رائدة في هذا الباب، أدام الله حبها للقرآن الكريم، وسهل الله لأهلها، وأجرى الخير على أيديهم.

ومن الأمور العظام التي قامت بها دولة الكويت رعاية لكتاب الله وحفاظه وتكريما لأهله جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم، هذه المسابقة التي بدأت كبيرة لأنها تقام كل عام تحت رعاية سمو أمير البلاد -حفظه الله



أسماء الفائزين في فرع حفظ القرآن الكريم كاملاً بالقراءات العشر

م	الاســـم	المرتبة	الدولة
1.	أبو بكر علي أحمد الظبي	الاولى	اليمن
2.	محمد جبريل مفتاح حميد	الثانية	ليبيا
3.	أحمد بشير آدم	الثالثة	أمريكا
4.	حسين معلم عبدي علي	الرابعة	الصومال
5.	يعقوب آدم حسن	الخامسة	تشاد

أسماء الفائزين في فرع حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التجويد

م	الاسم	المرتبة	الدولة
1.	عبدالله بشير عبد	الاولى	امريكا
2.	عماد مصطفى حسن الضباطي	الثانية	ليبيا
3.	محمد أحمد محمد محيي الدين	الثالثة	كينيا
4.	حسن ساموه	الرابعة	تايلند
5.	عبدالله علي محمد منصور	الخامسة	مصر

أسماء الفائزين في فرع أفضل مشروع تقني يخدم القرآن الكريم

م	الفرع	الفئة	اسم المشروع	الاسم	الدولة
1	افضل	مؤسسات	جامع التفاسير والترجمات	أنس محمد خير يوسف	سوريا
2	موقع الكتروني	افراد	المكتبة الصوتية	بندر الماجد	السعودية
3	افضل	مؤسسات	تطبيق اقراء	محمد بن عبدالله بن منصور المجيدل	السعودية
4	تطبيق الكتروني	افراد	محفظ الوحيين	محمد سعد محمد شريان الكعبي	قطر

أسماء الفائزين في فرع التلاوة والترتيل

م	الاسم	المرتبة	الدولة
1.	داسرزال ماراه نائينين	الأولى	أندونيسيا
2.	بدر محمد الرويح	الثانية	الكويت
3.	آحمد سالم امكويوا	الثالثة	تنزانيا
4.	عبدالرحمن أحمد مماد	الرابعة	جزر القمر
5.	معتز حفظي ياسين ابو سنينه	الخامسة	فلسطين

أسماء الفائزين في فرع حفظ القرآن الكريم كاملا لصغار الحفاظ

م	الاسم	المرتبة	الدولة
1.	عبدالرحمن موسى عبدالله	الأولى	كينيا
2.	عبدالصمد آدم	الثانية	غانا
3.	أبوراحات	الثالثة	بنغلاديش
4.	محمد عبدالرؤوف جعوي	الرابعة	الجزائر
5.	عبدالرزاق أحمد الصغير القاضي	الخامسة	ليبيا

ورعاه.

ودولة الكويت كعادتها تسارع إلى ميادين الخير والفضل، ولا تفتقدها الأمة في ميدان من ميادين الشرف، فهي إلى كل خير سباقة أو داعية إليه، وكما كانت راعية للقرآن داخل الكويت سعت من خلال جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته إلى تحقيق الريادة عالميا في رعاية القرآن وأهله مؤسسات وأفراد.

وكان الهدف من إقامة جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته تعريف الأمة الإسلامية والعربية بالقراءات القرآنية، وإبراز دور أئمة القراءات وعلوم القرآن المحققين في هذه الفنون، وترغيب حفظة القرآن في دراسة علم القراءات، وإظهار ورعاية القراء المجيدين على مستوى العالم.

إن دولة الكويت لا يستطيع أحد أن ينكر دورها الريادي في مجال العمل الإنساني بصفة عامة، ففعل الخير هو طبع في أهلها، وما تقوم به الدولة وما تهدف إليه من وراء تنظيم هذه الجائزة هو ترسيخ القيم الإسلامية في نفوس الأجيال المتعاقبة من خلال ربطهم بكتاب الله -عز وجل- ومعايشتهم له، والحياة به، فهي تهدف إلى القيام بواجب أوكله الله -تعالى- إلى الأمة نحو هذا الدين، وتريد دولة الكويت أن تكون في مقدمة القائمين بهذا الواجب، وقد كان لها ما أرادت، فأصبحت جائزة الكويت الدولية واحدة من أهم الفعاليات التي ينظر إليها ويرقبها المسلمون في كل أنحاء العالم، فقد سمحت الكويت لكل دولة في العالم بالمشاركة في هذه المسابقة بترشيح ثلاثة من حفاظها، والكويت تتكفل بكل

شيء بدءا من تذاكر السفر والإقامة وكل ما يلزم الحافظ المتسابق للوصول إلى دولة الكويت، مرورا بتكريمهم، وصولا إلى عودتهم سالمين مجبورين إلى بلادهم.

وإن كان المتسابق من ذوي الاحتياجات الخاصة سمحت له دولة الكويت بمرافق يأتي معه على نفقتها، مذللة بذلك كل صعب على الحفاظ، ومسهلة لهم الوصول إلى دولة الكويت للمشاركة.

وأعجب شيء تراه في فعاليات الجائزة من أهل هذا البلد الكريم من القائمين على التنظيم ومن غيرهم هو المباهاة، لا بتنظيم الجائزة الفائق والمنقطع النظير، وإنما المباهاة بالحفاظ، المباهاة بكنوز الأمة التي تظهر في كل عام، فتراهم يتحدثون عن الإفريقي المتقن كأنه عربي، والآسيوي الذي تتخلع القلوب لتلاوته، وعن أوروبي حديث العهد بالإسلام ما لبث أن فتح الله قلبه ويسر له فغدا داعيا إلى الله إماما لعباده في صلواتهم، وتسألهم عن هذا الفرح وتلك المباهاة تكون الإجابة: إن فرحنا بأمتنا والخير الدفاق منها يغطي كل فرح، حسبنا أن ينابيع أمتنا مازالت نضاخة، وعيونها جارية وشتلات الخير تنبت على ضفافها.

هذا هو الشعور الذي تلمسه وتراه على محيا هؤلاء، وتكاد تقرأ في مشهده قصصا من أخوة الإسلام في جلسة تجمع كويتيا يضع يده على كتف متسابق من دولة إفريقية أو آسيوية كأنه تربه ورفيقه، فترى مودة تفوق كل مودة، إنها تصرفات أفراد أمة أرادت أن تقول لله ربنا: نحن الرعاة لهؤلاء، هم في القلب منا، وحسبنا أن ترضى عنا.

فروع المسابقة

تكون المسابقة في عدة أفرع، منها حفظ القرآن الكريم كاملا مع التجويد، وفرع حفظ القرآن الكريم كاملا بالقراءات العشر على طريق الشاطبية والدرة، وفرع التلاوة والترتيل، وأجمل الفروع فرع صغار الحفاظ (حفظ القرآن كاملا مع التجويد).

ولا يشارك في المسابقة كبار القراء أو المشاهير فليس الغرض من المسابقة صيتا يتم تحقيقه، وإنما إبراز الخير في أمة رسول الله ﷺ من خلال اكتشاف قراء جدد تقدمهم للأمة، وتحفز غيرهم على الحفظ والإقبال على كتاب الله -عز وجل.

ومما يعطي للمسابقة قوة تجعلها في مقدمة المسابقات الدولية في حفظ كتاب الله تعالى أن من يقوم على اختبار المتسابقين كبار القراء في العالم الإسلامي ومشايخ عموم المقارئ.

والجوائز التي تقدم للفائزين تدل دلالة واضحة على قيمة أهل القرآن عند المسؤولين في دولة الكويت، وتدل كذلك على تقدير دولة الكويت لهم، وأنهم الشامة في جبين هذه الأمة.

لقد أولت الكويت القرآن رعايتها، فأصبحت رائدة في رعاية كتاب الله -تعالى- على مستوى العالم، وباتت جزء من دعاء المسلمين جزاء ما تفعل، أن يحفظها الله -تعالى- وأن يحفظ أهلها المحبين للقرآن الكريم والمكرمين لأهله.

أدام الله دولة الكويت، وأدام رعايتها لكتاب الله وحفاظه، وأكرمها الله -تعالى- كما كرمت أهل القرآن.

إعداد: علاء عبدالفتاح



ورش تدريبية على الحرف النافعة

«حرفتي بيدي» معرض لـ «التأهيل والتقويم»

نشاط جديد قدمته إدارة التأهيل والتقويم بوزارة الأوقاف الكويتية من خلال معرض تحت عنوان: «حرفتي بيدي» في نسخته الثانية.

إذ تشجع مثل هذه المعارض النوعية كل نزلاء المؤسسات الإصلاحية على المضي قدماً في الطريق المستقيم، فها هم يرون أن المنتجات التي صنعتها أياديهم معروضة أمام المجتمع، بل وتروق للزائرين فيطلبون اقتنائها، وها هم يثقون في أنفسهم مرة أخرى، إذ يمتلكون حرفة يمكنها بإذن الله أن تعيلهم وأسرهم، فلا يقصد أي منهم بعد ذلك طريقاً لا يرضي خالقه.

وإذ انتظم المعرض الشهر الماضي لمدة: (٤) أيام في مبنى الوزارة بمنطقة الرقعي، حاز على إعجاب الزوار والمارين مرور الكرام، محققاً الهدف المنشود من تفعيل خطط وبرامج الإدارة النشطة.

وقد افتتح المعرض برعاية وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المهندس فريد العمادي، وقال وكيل الوزارة المساعد للشؤون الثقافية سلمان الديحاني في كلمة الافتتاح: إن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حريصة على تفعيل مبدأ الشراكة المؤسسية مع مؤسسات وهيئات الدولة لتحقيق رؤية الوزارة في الريادة عالمياً ومحلياً في العمل الإسلامي، وانطلاقاً من ذلك تم افتتاح هذا المعرض الخاص بالمشغولات اليدوية لنزلاء الإدارة العامة للمؤسسات الإصلاحية ومراكز التأهيل بالتعاون مع وزارات ومؤسسات الدولة.

وأضاف الديحاني أن المعرض يعمل على إبراز تجربة الإدارة في تأهيل نزلاء المؤسسات الإصلاحية وفق برنامجها التدريبي الحرفي وأنشطتها التأهيلية، على يد نخبة من المدربين المتخصصين، والمعتمد وفق خطة مدروسة، لتحقيق الغايات والأهداف التي أنشئت من أجلها الإدارة في تدريب وتأهيل الفئات المعنية، وإعادة دمجها في المجتمع بصورة لائقة ومناسبة.

أما مدير إدارة التأهيل والتقويم الدكتور ناصر العجمي فأوضح أن الإدارة تسعى إلى تقديم الرعاية التربوية والمهنية والحرفية والنفسية والاجتماعية للمنتسبين، ولهذا افتتحت المعرض لمدة: (٤) أيام في مبنى «الأوقاف»، مؤكدا أن الأخذ بيد التائبين إلى سبيل الهداية والصلاح من نهج الأنبياء، وقد سار على ذلك الصالحون من بعدهم لإتمام الخير وصلاح المجتمع.

وأضاف: أنشأت إدارة التأهيل والتقويم بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للقيام برعاية أبنائنا وبناتنا الذين مروا بظروف قاسية، ولتكون الواجهة الأساسية لقضية الشباب، والأخذ بأيديهم إلى بر الأمان والاطمئنان، بإعادة تأهيل وتقويم الفئات المستهدفة لديها في المجتمع وفي المؤسسات الإصلاحية من الرجال والنساء ومركز رعاية الأحداث والمتعافين من الإدمان وحالات ضحايا العنف الأسري، يأتِ ذلك بالتعاون مع الجهات المختصة والمؤسسات الحكومية والخاصة والخيرية ذات الصلة، والإدارة تقدم



برامجها المعتمدة لإعادة بنائهم النفسي والسلوكي ورسم مستقبلهم من جديد، وذلك بإعداد وتقديم البرامج التدريبية والورش الحرفية والأنشطة التأهيلية والتربوية والدينية والنفسية المتعددة، ليكونوا عناصر إيجابية في المجتمع، ولتوفير الحياة الكريمة التي تمكنهم من الاندماج في المجتمع، محققة بذلك رؤية وغايات وقيم الوزارة في استثمار المواطن الكويتي، والحفاظ على استقرار المجتمع وأمنه.

وأضاف أن الإدارة تحرص على عرض أبرز المنتجات الموجودة داخل أروقة المؤسسات الإصلاحية في السجن المركزي والسجن العمومي، وكذلك السجن الخاص بالنساء من مشغولات خشبية ومشغولات يدوية، بالتعاون مع وزارة الصحة في مركز الصحة النفسية ومركز رعاية الأحداث، حيث استطعنا توفير جميع المنتجات التي قام بها نزلاء المؤسسات التابعة للمؤسسات الإصلاحية، منوهاً إلى أن الإدارة حرصت على توفير جميع المواد الأولية، وتوفير المدربين المتخصصين للعديد من الورش والدورات التدريبية، ومن أهمها: دورة الطاقة المتجددة للكهرباء عن طريق الطاقة الشمسية، علاوة على الدورات الخاصة بقسم النجارة والميكانيك، إضافة إلى الدورات الخاصة بنزيلات المؤسسات الإصلاحية في الاقتصاد المنزلي، والمشغولات اليدوية من خياطة وحياكة وأعمال تزيينية، وقد توجه بالشكر الجزيل للأمانة العامة للأوقاف لما تقدمه من دعم للمدربين الحرفيين.

وتقول عبير المزيدي رئيس قسم التأهيل لـ«الوعي الإسلامي»: قدم معرض حرفتي بيدي (٢) منتجات ومشغولات يدوية لمشغولات الحاضنات والورش الحرفية لنزلاء المؤسسات الإصلاحية ومراكز التأهيل، وهذا المعرض استمر لمدة: (٤) أيام في مبنى الوزارة، حيث تضمن المعرض على ورش عمل متنوعة، منها: ورشة اقتصاد منزلي، وورشة تعريف أساسيات ميكانيكا، وورشة الطاقة الشمسية، وهذه التجربة نفذت وفق خطط وبرامج تأهيلية للتدريب المهني بما يتناسب مع متطلبات سوق العمل بالشراكة مع المؤسسات الاصلاحية ووزارة الداخلية.

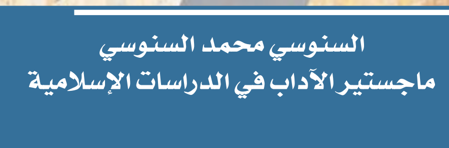
وتقوم الإدارة على توفير كافة المستلزمات المطلوبة في عملية التدريب لضمان مستوى احترافي للمهن المكتسبة، وتدريب وتأهيل المنتسبين لاكتساب المهارات اليدوية التي تساعدهم على رفع مقدرتهم، ثم تسهيل عملية الاندماج في سوق العمل.

من جانبها قالت الباحثة بإدارة التأهيل فاطمة بركات: في اليوم الثاني للمعرض قدمت المدربة منى عبد الله البديوي لجمهور المعرض ورشة عمل ماتعة بعنوان: (حرفة نبي)، تضمنت معلومات ثرية عن عالم الأزياء والخياطة التي امتهنها بعض الأنبياء كإدريس وإلياس عليهما السلام، وتجربة استخدام الخيوط في تزيين القطع الخام والملابس.

واليوم الثالث للمعرض قدم المدربان إسماعيل محمود وإبراهيم محمود بورشتي عمل بعنوان (ميكانيكا السيارات)، أكدا أهداف الورش في تعريف الشباب أجزاء السيارات وآلية التعامل معها وما يناسبها من أدوات لإصلاحها وأسباب أعطالها، وذلك للمساهمة في استغلال الوقت بما يفيد، وتحقيق العائد المادي والإنساني في بذل الجهد لمساعدة الآخرين، مما يزيد في الثقة بالنفس، ويعين النزلاء في المؤسسات الإصلاحية على الاندماج بالمجتمع والعيش الكريم.

أما في اليوم الرابع للمعرض قدم المدرب الحرفي بدر العنزي بتقديم ورشة عمل بعنوان: (الطاقة البديلة)، حيث ترشيد الكهرباء والتعامل مع الطاقات الطبيعية كالشمس وحرارتها، وتفعيل دورها في تصنيع لوحات شمسية تحل مكان الكهرباء في تقديم الخدمات الحياتية، مؤكداً أهمية ذلك في نظافة البيئة والتوفير المادي لمتطلبات الحياة واستثمارها مادياً لتحقيق الاحتياجات الإنسانية والمجتمعية، كل ذلك يخدم فئة نزلاء المؤسسات الإصلاحية، لتحقيق العيش الكريم والاندماج بالمجتمع بصورة لائقة.




السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية



لغتنا و المستقبل!

حينما تنزل القرآن الكريم باللغة العربية، كما وصفه منزله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)؛ فإن ذلك كان من حسن حظ هذه اللغة، وأكسبها ميزة لم تتوافر لغيرها من اللغات؛ إذ حفظها من أن تتعرض للاندثار وتكون جزءا من التاريخ المنصرم، وإنما منحها الفاعلية والحيوية بما يجعلها ممتدة في الزمان والمكان كما هو امتداد القرآن الكريم، ويجعلها أيضا تطل على المستقبل كما هو إطلال القرآن الكريم.

فهذا الكتاب العزيز يحمل الرسالة الخاتمة؛ فلا وحي بعده، ولا نبي بعد نبيه ﷺ؛ ولذا فهو ذو أفق ممتد على طول الزمان وعرضه.. والأمر نفسه للغته التي شرفها الله تعالى بأن جعلها لغة كتابه الخاتم.

القرآن ينشر العربية

وحينما انتشر الإسلام وعم الأقطار المختلفة شرقا وغربا، وورث الإمبراطوريتين الكبيرتين فارس والروم؛ فإن ذلك أدى بالضرورة إلى أن ترث اللغة العربية أيضا تلك المساحات الشاسعة من الأرض، التي تضم ثقافات مختلفة ولسانات متعددة. وأصبحت العربية هي لغة الدين، وهي أيضا لغة العلم والمعرفة.

يقول الأستاذ أنور الجندي: «بانتشار الإسلام شقت اللغة العربية طريقها إلى الآفاق، وأخذت مكانها الصحيح، عندما أخذ غير المسلمين في تعلمها ورغبوا في نقل كتبهم المقدسة إليها ثم نقلوا إليها سائر العلوم. كانت الفارسية مهملة والقبطية مضطهدة، والسريانية والعبرانية في مركز ضعف. وفي الشام عرب عبد الملك بن مروان الدواوين فأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية، ويرجع أغلب الباحثين هذا الاتساع والنمو إلى ارتباطها بالقرآن؛ فقد كانت سائر الأديان تقرأ كتبها في لغات مختلفة، ولا

يختص بمعرفة الأصل إلا طائفة قليلة من رجال الدين؛ أما المسلمون فقد اعتقدوا بحق أن لغة القرآن جزء من حقيقة الإسلام؛ لأنها كانت ترجمانا لوحي الله، ولغة لكتابه، ومعجزة لرسوله، ولسانا لدعوته»[1].

فالقرآن بين مختلف اللغات التي يتكلم بها مختلف الشعوب الإسلامية، في آسيا حتى الهند، وفي إفريقيا حتى السودان، هو كتاب يفهمه الجميع؛ كما أن القرآن يربط هذه الشعوب المتباينة الطبائع والعادات برابطة اللغة والمشاعر[2].

وهكذا أسهم القرآن الكريم بالدرجة الأساس في نشر اللغة العربية، وجعلها لغة عقيدة وثقافة وعلم وفكر.

العربية والعالم الإسلامي

ويشير أحد المستشرقين إلى أمر مهم، وهو أن اللغة العربية تفردت من بين لغات الكتب المقدسة التي عرفتها البشرية، بأنها اتصفت بعدة صفات؛ منها بقاء كتابها المقدس (القرآن الكريم) على لغتة الأصلية التي نزل بها، إضافة إلى تأثيرها الديني والفكري والعلمي الذي تركته في سائر الشعوب التي انضوت تحت لواء الإسلام.

ففي محاضرته التي ألقاها باللغة الإنجليزية في قاعة الجمعية الجغرافية بمصر، عام ١٩٣٣م، اهتم السير «دنسون روس»، مدير مدرسة اللغات الشرقية بلندن، ببيان أثر اللغة العربية في دول العالم الإسلامي التي تتكلم لغات أخرى.

وبدأ «روس محاضرته» بتأكد أنه «ليس ثمة دين عالمي آخر قامت فيه اللغة الأصلية للكتب المقدسة بذلك الشأن الخطير، كما هو في الإسلام». مضيفا: «إذا اعتبرنا البوذية والمسيحية، وهما ديانتان تقومان بالدعاية، فإننا نلاحظ أن كتبهما إذا أذيعت في ممالك أخرى فإنها تذاع بلغة تلك الممالك؛ وقل مثل ذلك عن التوراة والإنجيل، فإنها يقرآن في الأمم المسيحية بلغة كل منهما».

وأوضح «روس» إلى أن دخول الشرق الأدنى والأوسط والهند تحت نفوذ العرب، قد أدى إلى ثورة عظيمة في الأدب والثقافة؛ ويرجع هذا في أساسه إلى ذلك التأثير المعجز الذي أحدثه القرآن في نفس كل من اعتنق الإسلام. فإن القرآن، وهو كلام الله الذي أنزل على رسوله، قد قوبل من المسلمين قاطبة بالاحترام والإجلال، أولا، من أجل عباراته ذاتها لأنها تنزيل من الله؛ وثانيا لما اشتمل عليه من الآيات البينات. ومن أجل ذلك كان لزاما على من يقبل الإسلام أن يقبل معه اللغة العربية؛ تلك اللغة التي نزل بها القران وأرسل بها الرسول. وهنا لا نجد لغة غريبة غير مستعملة لا يفهمها إلا عدد محصور من العلماء، كما كان الحال في ديانة زرادشت والديانة الهندية؛ بل نجد (لغة حية) يتكلمها أولئك القوم الذي دعوا سكان الممالك التي فتحوها إلى الدخول في الدين الجديد.

وفي مقارنة لما تركته اللغة العربية في تلك البلاد التي تدين بالإسلام وتحتفظ بلغاتها الأصلية، بما تركته اللغات السابقة على الإسلام حين أتيح لأقوامها أن يتوسعوا ويتمددوا؛ قال «روس»: لقد أمدت العربية المستيرين في أواسط آسيا بثقافة تعتبر جديدة من جميع الوجوه، وبثت في قلوب هؤلاء أفكارا طريفة، وفتحت أمام أعينهم عوالم جديدة. وبعبارة أخرى، فإن العربية أمدت الفرس والأتراك والهنود بلغة جديدة، كما أمدت العربية بلاد فارس بخزائن جديدة من العلم، إلى جانب لغة مكتوبة منظمة. ومما يدعو إلى الدهشة أن الإغريق وقد حكموا الفرس فعلا نحو قرنين، لم يتركوا فيها أي أثر أدبي، كما أنهم لم يتركوا شيئا من هذا في الهند، وكذلك لم يترك فتح الفرس لمصر أي أثر[3].

وبهذا يتضح مدى التأثير الهائل للعربية في بلاد الإسلام، حتى تلك التي تحتفظ بلغاتها الأصلية. وتلك ميزة تفرد بها الإسلام من بين الفاتحين الذين عرفهم العالم من قبل.

تحافظ على وحدة المسلمين

واللغة العربية لم تكن فحسب مدخلا لقراءة القرآن الكريم وإحسان التعامل معه فهما وتدبرا، وإنما بجانب هذا أدت دورا مهما في حفظ وحدة المسلمين فكريا وثقافيا؛ فهي لغة واحدة جمعت بين شعوب متعددة فأقامت بينها أواصر التعارف والتآلف؛ كما أبقت على هذه الوحدة وذلك التعارف حين فرقت المنازعات السياسية بين دول العالم الإسلامي؛ فكانت اللغة العربية يضاف إليها ابتداء العقيدة الإسلامية، ثم يضاف إليهما العلوم الإسلامية، الأركان الأساسية التي حفظت للمسلمين وحدتهم على اختلاف الأحوال والتقلبات.

يقول «جرونيباوم»: «وقد تمكن الإسلام إلى حد جسيم-

بفضل توكيده أن الدين هو الرباط الرئيسي بين الناس- من المحافظة على أواصر الوحدة العقلية في بلاده زمنا مديدا، بعد أن فرق الانحلال السياسي بين أقسامه المختلفة وأشب بينها العداء. فكان المسلم المتعلم يلقى الترحاب أنى حل من البلاد الإسلامية. فالعقيدة، والعلم القائم على هذه العقيدة، والعربية بوصفها لغة الاثنين معا؛ أمور حفظت وحدة عالم كانت غير الدهر وتقلبات الحظ بالقواد والأمراء تمزق وحدته، كما تدأب أبدا على إعادة تجميعه»[٤].

ولعلنا في هذا الصدد نشير إلى المحاولات الحثيثة لإحلال اللهجات المحلية محل اللغة العربية الجامعة؛ حتى نفقد وحدتنا اللغوية، وبالتالي تتشرذم وحدتنا العقلية والفكرية.

لغة العلم والفكر

في كتابه (حضارة العرب) يذكر «لوبون» أن الفاتحين الذين ظهروا قبل العرب لم يستطيعوا أن يفرضوا على الأمم المغلوبة لغاتهم، بينما قدر العرب على فرض لغتهم عليهم. ولما صارت اللغة العربية عامة في جميع البلاد التي استولوا عليها، حلت محل ما كان فيها من اللغات؛ كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية إلخ. وكان للغة العربية مثل ذلك الحظ زمنا طويلا، حتى في بلاد فارس على الرغم من يقظة الفرس؛ أي ظلت اللغة العربية في بلاد فارس لغة أهل الأدب والعلم، وظل الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية[٥].

فاللغة العربية حققت سيطرة كاملة على الفكر الإسلامي، وأصبحت لغة العلم والثقافة؛ فتلاشت الآرامية في مناطق الشام والعراق، وتخلت الفارسية لوقت ما عن مكانها للغة العربية، وانمحت القبطية واليونانية واضطر رجال الكنيسة إلى تعريب مجامعهم وصلواتهم. وقد رفع القرآن من شأن اللغة العربية حتى صارت إحدى اللغات الرئيسية الهامة في العالم، غنية بمفرداتها، وغنية في صيغ قواعدها، ووسعت كل ما ترجم إليها من الفلسفة والحكمة والطب والكيمياء والمنطق والفلك. وقد ترك اللسان العربي أثره واضحا في اللغات الإسلامية الأخرى[٦].

بل قرر «لوبون» أن اللغة العربية ذات أثر عميق في اللغات الأوروبية. وقد ألف «دوزي» و«أنجلمن» معجما في الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية. وتركت لغة العرب أثرا مهما في فرنسا نفسها. وذكر «سيديو»، والحق ما ذكر، أن اللهجات السائدة لولاية أوفرن وولاية ليموزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية، وأن أسماء الأعلام فيهما ذات مسحة عربية[٧].

تحديات

إذا كان هذا هو حال اللغة العربية إبان مراحل شروقها ونهضتها وتألقها؛ حتى انتقلت من أنها لغة الكتاب العزيز الخاتم، إلى أن أصبحت لغة العلم والمعرفة؛ وصار لزاما على من يريد أن يتعلم العلم الطبيعي والرياضي ويتثقف بالمعارف الفلسفية والأدبية، أن يعرف لغة العرب ويدرس كتبهم ومؤلفاتهم ذات الصيت والمكانة.. فإن واقع «لغتنا الجميلة» صار لا يخفى على أحد!

ولا شك أن الأسباب متعددة، لكن أهمها حالة التراجع الحضاري التي أصابتنا، حتى أصبح بعض أبنائنا ومثقفينا يزدرون اللغة العربية، ويرون التمسك بها علامة جمود، وهجرها علامة تحرر وانطلاق! فظهرت أصوات نشاز تطالب بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية، أو تدعو إلى التحرر من قواعد النحو! كما رأينا شبابنا وهم تزداد الفجوة بينهم وبين لغتهم! وراح بعضهم ينشئ لغة جديدة تتكون من حروف عربية وأخرى أجنبية، وتنطق بطريقة يتعارفون عليها!

وقد رصد الشيخ عبد الله كنون بعض مظاهر هذه التحديات التي تواجهها اللغة العربية، وخطورة ذلك؛ فقال: معلوم أن اللغة هي مظهر أصالة كل شعب، والوعاء الذي يستوعب تراثه ومعطياته الفكرية؛ فالذين لا يبالون بها ويقدمون عليها لغة أجنبية إنما يعملون على الانسلاخ من قوميتهم والذوبان في غيرهم. وهذا ليس من المعاصرة في شيء، ولذلك رفضه الفرنسيون، ولم نسمع أحدا منهم ارتضاه أو دعا إليه كما وقع عندنا منذ فجر النهضة الحديثة وصدر من أقطاب في السياسة والعلم والأدب؛ فمنهم من دعا إلى كتابة العربية بالحرف الإفرنجي، ومنهم من روج للغة العامية بكتابة بعض المسرحيات وإصدار بعض الصحف بها.

وأشار كنون إلى أن دعوات هؤلاء المتمردين على اللغة العربية، مع أنها رفضت من أول يوم إلا أن صداها لم يزل يتردد بين الشباب المتعلم باللغات الأجنبية، والمثقف ثقافة حديثة لم تتطعم بشيء من التراث العربى الأصيل؛ فتولد من ذلك جيل ثالث لغته عربية وفكره أجنبي، وهو

يعتقد أنه يمد الجسور بين «الاستعراب» و«الاستغراب» ولكن أعماله كثيرا ما تصب في قناة الاستغراب. ومن ثم، فهو ما يزال ينسج على منوال التغريب متأثرا بالتراث الأجنبي حتى في أخطائه المتعمدة أو العفوية في تقويم تراثنا العربي والإسلامي، مما حدا به إلى هجر هذا التراث وعدم الاستفادة منه، وانعكاس ذلك على تفكيره ولغته التي ضعفت واعتادها اللحن وسادها الغموض ضرورة عدم إتقانه لقواعدها.

وأوضح الشيخ كنون أن هذه المواقف التي تزدري اللغة العربية انتقلت أو تدهورت من «الاستغراب» و«الاغتراب»، تأثرا بالثقافة الأجنبية، إلى «الغربة»، أي الانقطاع عنها وإن استعملت ألفاظها؛ فقال: وأما فنون بلاغتها فقلما يلم بها أحدهم، بل إن منهم من صار يبشر بفن القول في اللغات الأخرى، حتى سقط في هوة الاغتراب عن أجواء التراث العربي؛ فصار لا يفهم عنه ما يقول، وتكون المفردات العربية التي تقع في كلامه مثلها مثل التي تقع في الفارسية أو التركية؛ فانضاف إلى «الاستغراب» و«الاغتراب» وصف ثالث من المادة نفسها وهو «الغرابة»، وليست هي الغرابة التي يتحدث عنها البلاغيون ويمثلون لها بقول الشاعر:

ومــقــلـــة وحــاجـــبـــا مـزجـجـا
وفـــاحـــمـــا ومــرســـنـــا مـسـرجـا

فإن هذه تتعلق بلفظ واحد وهو «مسرج»، الذي لم يعرفوا هل هو من السيف السرجي أو من السراج. ولكنها الغرابة في بنية الكلام وصياغته، أي قاموسه وأسلوبه. وقد قرأت ديوانا شعريا كاملا مكتوبا بالحروف العربية وألفاظها، فلم أفهم منه إلا اسمي رابعة العدوية وعروة بن الورد؛ وهو من إبداعات الشعر الحر الذي ملأ الساحة وحير الناس[٨].

ما يلزم لغة المستقبل

إذا كانت اللغة العربية لغة تاريخ مجيد، ولغة حضارة أبدعت في شتى مجالات العلم والمعرفة؛ فإن زمانها لم يول، ومازالت قادرة على صنع المستقبل كما صنعت الماضي، وعلى معانقة الحضارة والعلم والمعرفة كما فعلت من قبل. المهم أن نكون نحن أبناءها مدركين أهميتها، وعاملين على أن نرتفع لمستواها.

وما أشبه هذا تماما بحالنا مع القرآن الكريم! ولا غرو، فالعربية هي لغة هذا الكتاب العزيز وبيانه المعجز، والرابطة بينهما لا تنفصم أبدا؛ وهو قد ضمن لها البقاء والحيوية والفاعلية.

وعلينا أيضا أن ندرك أن اللغة- أي لغة- انعكاس الواقع، وبنت الفكر؛ فهي الأداة والفكر هو المضمون، والواقع هو الأصل واللغة هي الصدى؛ ولا يمكن النهوض باللغة عبر فكر خامل بليد، ولا في واقع متراجع! لنصحح واقعنا ونرتقي بفكرنا أولا، حتى يكون الحديث عن النهوض باللغة أمرا معقولا وممكنا.

وأعتقد أن عندنا مجامع كثيرة تضم علماء وخبراء غيورين على لغة الضاد، ولا يقصرون في أي جهد مطلوب لتيسيرها، ولجعلها مواكبة للحياة الفكرية والعلمية المعاصرة؛ لكن هذه المجامع تحتاج إلى مزيد من الدعم، وإلى أن توضع مخرجاتها موضع التنفيذ والتفعيل.. بجانب الاهتمام بالعربية في مدارسنا ومعاهدنا العلمية، وصون حرمتها في وسائل الإعلام المختلفة.

هذا حق لغتنا علينا، وشرط أساس إن كنا حقا راغبين في أن نراها لغة المستقبل كما كانت من قبل.

الهوامش

١- موسوعة «مقدمات العلوم والمناهج»، أنور الجندي، (٤/ ٢١).

٢- تاريخ العرب العام، سيديو (ص: ٣٠٢) بتصرف يسير.

٣- راجع نص المحاضرة في مجلة «الرسالة»، العددان: (٥، و٦)، بتاريخ ١٥ مارس، و١ إبريل ١٩٣٣م. وقد لفتني إليها ما اقتبسه منها الأستاذ أنور الجندي رحمه الله، في مقدمات العلوم والمناهج»، (٤/ ٢٣).

٤- حضارة الإسلام، جوستاف فون جرونيباوم، ترجمة عبد العزيز توفيق، (ص: ٤٠٨).

٥- حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، (ص: ٤٤٠).

٦- موسوعة «مقدمات العلوم والمناهج»، أنور الجندي، (٤/ ٩).

٧- حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، (ص: ٤٤١).

٨- المقالات الصحفية، عبد الله كنون، كتاب مجلة الدوحة (ص: ١٦٥، ١٦٦).



د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول



الرسول ﷺ رائد الفصاحة العربية

اتفق العرب قاطبة على أن محمدا ﷺ كان أفصح العرب، وأن لغته كانت لغة جميلة، شهد بذلك المشركون المعادون له، كما شهد بذلك أصحابه المقربون، كما شهد بذلك خبراء اللغة وعلماؤها وشعراؤها.

معالم الفصاحة

وقد تكلم العلماء قديما وحديثا عن معالم فصاحته وبلاغته ﷺ، ومن ذلك:

قال الماوردي: «والخصلة الثامنة: أنه أفصح الناس لسانا، وأوضحهم بيانا، وأوجزهم كلاما، وأجزلهم ألفاظا، وأصحهم معاني، لا يظهر فيه هجنة التكلف، ولا يتخلله فيهقة التعسف، وقال ﷺ: «أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون»؛ وقال: «إياك والتشادق»، ولما نزل عليه قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (النور: ٣٦) بنى مسجد قباء، فحضر عبد الله بن رواحة فقال يا رسول الله ﷺ: قد أفلح من بنى المساجد، قال نعم يا ابن رواحة، قال ولم يبت لله إلا ساجد. قال: «يا ابن رواحة كف عن السجع، فما أعطي عبد شيئا شر من طلاقة في لسانه»[١].

وقال الإمام العلامة أبو سليمان أحمد الخطابي رحمه الله تعالى: اعلم أن الله تعالى لما وضع رسول الله ﷺ موضع البلاغ من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه؛ اختار له من اللغات أعذبها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمده بجوامع الكلم التي جعلها ردءا لنبوته وعلما لرسالته، لينتظم في القليل منها علم كثير، يسهل على السامعين حفظه ولا يؤودهم حمله، ومن تتبع الجوامع من كلامه ﷺ لم يعدم بيانها.

وقال الإمام أبو السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير رحمهم الله تعالى في أول النهاية: قد عرفت أيدك الله تعالى وإيانا بلطفه وتوفيقه، أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب لسانا، وأوضحهم بيانا، وأعذبهم نطقا، وأسدهم لفظا، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب،



وأهداهم إلى طريق الصواب؛ تأييدا إلهيا ولفظا سمائيا وعناية ربانية ورعاية روحانية»[٢].

ويجمل القاضي عياض - رحمه الله- معالم فصاحته ويعددها بقوله: وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف.

- أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه، وتفسير قوله.

- من تأمل حديثه، وسيره، علم ذلك وتحققه»[٣].

سر الفصاحة

ويبين ابن حزم - رحمه الله- تعالى السبب في فصاحة وجمال الكلام النبوي، وأن مصدر هذه الفصاحة وهذا الجمال كون كلامه ﷺ وحيا من الله تعالى، قال ابن حزم: «قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم: ٣-٤) فصح أن كلامه ﷺ كله وحي من عند الله تعالى، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، فصح أن ما قاله رسول ﷺ فمن عند الله تعالى وأنه لا اختلاف في شيء منه وأنه كله متفق عليه»[٤].

الكلام الموزون

ورغم أن القرآن الكريم نفى عن النبي ﷺ كونه شاعرا؛ إلا أنه تمثل الشعر، ولم يكن عاجزا عنه، لكنه لم يمتهنه؛ صيانة لمقام النبوة والرسالة، فما أوتي أحد من صحابته أو أمته قدرة على شيء، إلا وكان النبي ﷺ أقدر عليها. وقد كان النبي ﷺ يتكلم بكلام، فيخرج كلاما موزونا، كما في قوله ﷺ: «أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب».

وقد جاء في تأويل هذا مع كونه ﷺ أنه لم يكن شاعرا: «ما هو إلا كلام من جنس كلامه ﷺ الذي كان يرمي به على السليقة. من غير صنعة ولا تكلف، إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك، ولا التفات منه إذا جاء موزونا، كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم، أشياء موزونة، ولا يسميها أحد شعرا، ولا يخطر ببال السامع ولا المتكلم أنها شعر...»[٥].

قلة الكلام

ومن ملامح جمال كلامه ﷺ أنه لم يكن يكثر الكلام، بل كان كلامه فصيحا مجملا، مثل بناء المهندس؛ كل كلمة في موضعها، موزونة المعنى؛ مكانا ومكانة، ولهذا ورد عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- قولها: «أن النبي ﷺ كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه»[٦].

جوامع الكلم

ومن جمال كلامه ﷺ أنه أوتي جوامع الكلم؛ فكانت جملة قصيرة الكلمات، متدفقة المعاني والدلالات، تصيب الهدف بأقصر طريق، وذلك من تمام البلاغة، وكمال التبليغ، «فمن كلامه الذي لا يشاكل في إيجازه قوله ﷺ: «الناس بزمانهم أشبه»، وقوله: «ما هلك امرؤ عرف قدره»، وقوله: «لو تكاشفتم ما تدافنتم». وقوله: «السعيد من وعظ بغيره»، وقوله: «حبك للشيء يعمي ويصم»، وقوله: «العقل ألوف مألوف»، وقوله: «العدة عطية»، وقوله: «اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع»، وقوله: «أفضل الصدقة جهد المقل»، وقوله: «اليد العليا خير من السفلى»، وقوله: «ترك الشر صدقة»، وقوله: «الخير كثير وقليل فاعله»، وقوله: «الناس كمعادن الذهب»، وقوله: «نزلت المعونة على قدر المؤنة»، وقوله: «إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا



من نفسه»، وقوله: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»، وقوله: «المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم»، وقوله: «الدنيا سجن المؤمن وبلاؤه وجنة الكافر ورخاؤه» [٧].

قمة الفصاحة

ومن جمال كلامه ﷺ أنه قمة في الفصاحة، «وفصاحة المتكلم: ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود. وبلاغته: ملكة يقتدر بها على وجوه تأليف الكلام البليغ. فالبلاغة أخص مطلقا، فكل بليغ فصيح ولا عكس، والبليغ الذي يبلغ بعبارته كنه ضميره» [٨].

«ومن كلامه الذي لا يشاكل في فصاحته قوله ﷺ: «إياكم والمشاورة فإنها تميت الغرة وتحيي الفرة»، وقوله: «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والصدقة مغرما»، وقوله: «رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم»، وقوله: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل يطمع أحدكم إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو الدجال فهو شر غائب ينتظر أو الساعة؛ فالساعة أدهى وأمر»، وقوله: «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات؛ فخشية الله تعالى في السر والعلانية والاقتصاد في الغنى والفقر والحكم بالعدل في الرضا والغضب، وأما المهلكات؛ فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه»، وقوله: «تقبلوا إلي بست أتقبل لكم بالجنة»، قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن غضو أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم»، وقوله في بعض خطبه: «ألا إن الأيام تطوى والأعمار تفنى والأبدان في الثرى تبلى وأن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما ألهي عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات»، وقوله في بعض خطبه، وقد خاف من أصحابه فطرة: «أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن الذي يشيع من الأموات سفر عما قيل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة «٢١» طوبى لمن شغلته اخرته عن دنياه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس».

وعقب الماوردي بعد سوق تلك الأمثلة البليغة الفصيحة بقوله: « وهذا يسير من كثير ولا يأتي عليه إحصاء ولا يبلغه استقصاء، وإنما ذكرنا مثالا ليعلم أن كلامه جامع لشروط البلاغة ومعرب عن نهج الفصاحة» [٩].

عبارات غير مسبوقة

ومن معالم جمال كلامه وفصاحته ﷺ أنه كان يتكلم بكلام لم يسبق إليه، ولم تعرفه العرب قبله، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ وسمعته يقول: «مات حتف أنفه» وما سمعتها من عربي قبله. ومعنى هذا أن الميت على فراشه يتنفس حتى ينقضي رمقه [١٠].

المعرفة بلغات العرب قاطبة

وكان من جمال كلامه ﷺ أنه كان يكلم كل قبيلة بقاموسها ومفرداتها التي تعرفها، فـ «ليس كلامه مع قريش والأنصار، وأهل الحجاز، ونجد، ككلامه مع «ذي المشعار الهمداني» «وطهفة النهدي» و«قطن بن حارثة العليمي» و«الأشعث بن قيس» و«وائل بن حجر الكندي» وغيرهم، من أقيال حضرموت، وملوك اليمن.

وانظر كتابه إلى همدان: إن لكم فراعها، ووهاطها وعزازها تأكلون علافها، وترعون عفاءها، لنا من دفئهم، وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة



الثلب والناب، والفصيل، والفارض الداجن، والكبش الحواري، وعليهم فيها الصالغ والقارح.

وقوله لنهد: «اللهم بارك لهم في محضها ومخضها، ومذقها، وابعث راعيها في الدثر، وافجر له الثمد، وبارك لهم في المال والولد»[11].

ورغم سلاسة كلام النبي ﷺ في أحاديثه، إلا أنه كان وعاء لكلام العرب قاطبة على اختلاف لهجاتهم، حتى يحدث كل قوم بما يخصون ويعرفون، فقد حوى الكلام النبوي قاموس العرب جميعا، كيف لا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾(إبراهيم: ٤)، وقوله سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ (الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥)، واللسان العربي يشمل كل لهجات ولغات العرب، وذلك مراعاة لمقام النبوة، فلا يجوز أن يكون النبي ﷺ أنقص من أحد من قومه؛ بل هو مرجعهم في التشريع والتعليم والتكلم، وقد قال الله في شأن آدم - عليه السلام- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١).

أقوال وآثار عن فصاحته ﷺ

وقد وردت حكايات وأقوال كثيرة عن جمال كلامه وفصاحته ﷺ، من ذلك ما رواه ابن أبي حاتم والبيهقي عند محمد بن إبراهيم التيمي والعسكري والرامهرمزي معا في الأمثال عنه عن أبيه عن جده قال: «ما رأينا الذي هو أفصح منك. فقال: «وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وإني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر».

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: «كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظتها». رواه أبو نعيم والبيهقي.

وقالت برة بنت عامر الثقفية سيدة نساء قومها لإخوتها: يا بني عامر أفيكم من أبصر محمدا ﷺ؟ فقالوا: كلنا قد رأيناه أيام الموسم. فقالت: أفيكم من سمعه يتكلم؟ قالوا: نعم.

فقالت: كيف هو في فصاحته؟ قالوا: يا أختاه إن أقبح مثالب العرب الكذب، أما فصاحته فما ولدت العرب فيما مضى ولا تلد فيما بقى أفصح منه ولا أذرب منه إذا تكلم يعجز اللبيب كلامه ويخرس الخطيب خطابه.

وقال محمد بن عبدالرحمن الزهري عن أبيه عن جده قال: سئل رسول الله ﷺ: أيدالك الرجل امرأته؟ قال: نعم. إذا كان ملفجا. فقال له أبو بكر: يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصاحهم فما سمعت أفصح منك. فقال: «أدبني ربي ونشأت في بني سعد بن بكر». رواه ابن عساكر.

مقترحات عملية

ولعل ما أوتي النبي ﷺ من جوامع الكلم وفصاحته وبلاغته وبيانه أن يستخرج منها قاموسا خاصا به ﷺ، يمكن أن يسمى (القاموس النبوي)، وأن تقوم الدراسات العديدة حول دراسته من كافة الجوانب اللغوية، وكيف لنا اليوم أن نستعيد فصاحة العربية؛ انطلاقا من الجمال النبوي في الأحاديث النبوية، وأن يعاد الاستشهاد بها في الدروس العربية.

الهوامش

١ - أعلام النبوة للماوردي (ص: ٢٢٥-٢٢٦).
٢ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي (٢/ ٩٤).
٣ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - (١/ ١٦٧).
٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (٤/ ٤٧).
٥ - التفسير الوسيط لطنطاوي (١٢/ ٥٢).
٦ - شرح السنة للبغوي (١٣/ ٢٥٥).
٧ - أعلام النبوة للماوردي (ص: ٢٢٦-٢٢٧).
٨ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي (٢/ ٩٣).
٩ - أعلام النبوة للماوردي (ص: ٢٢٧-٢٢٨).
١٠ - صفة الصفوة (١/ ٧٩).
١١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد (١/ ١٦٧-١٧٠).





د. شاذلي عبد الغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية



اللغة العربية في فكر ووجدان الشيخ محمد الخضر حسين

اهتم الشيخ محمد الخضر حسين (١٢٩٣هـ /١٨٧٦م – ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) في بداية حياة العلمية بدراسة علوم اللغة العربية وآدابها، ووجه لها عناية كبيرة ظهر أثرها بارزا في الكثير من دراساته وأبحاثه اللغوية وفي شعره ونقده الأدبي، كما ظهر في تفسيره لبعض سور وآيات القرآن الكريم، وفي العديد من آرائه وردوده التي نبعت من عمق علمه بفنون اللغة العربية وتاريخها وآدابها، وهذا المقال إطلالة سريعة على بعض كتابات الشيخ عن اللغة العربية وبعض جهوده في المحافظة عليها والدفاع عنها.

لقد كان من أوائل بحوث الشيخ رحمه اللّه بحثه «حياة اللغة العربية»، وقد جاء هذا البحث ردا «على أحد الفرنسيين الذي تساءل بقوله: «هل العربية لغة حية؟»»[1].

وقد ذكر الشيخ في مقدمة هذا البحث أن الغرض منه «إنما هو البحث عن حال اللغة في حد نفسها من جهة أطوارها، ومحكم وضعها، واتساع نطاقها، وارتقائها مع المدنية، وما يشاكل ذلك»[2].

وقد صدر مرسوم بتعيين الشيخ محمد الخضر حسين عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام: (١٩٣٣م)، وشارك «الإمام بكل جهد في أعمال المجمع حتى آخر حياته المباركة، وترأس لجنة اللهجات، وشارك في لجان: الآداب والفنون «المعجم الوسيط» – «الأعلام الجغرافية»، «دراسة معجم المستشرق فيشر» المتعلق بالألفاظ القرآنية، وله العديد من البحوث المنشورة في مجلة المجمع»[3]، كما أن الشيخ قد نال عضوية هيئة كبار العلماء بكتابه «القياس في اللغة» الذي نال إعجاب العلماء الذين امتحنوه، وأصبح عضوا في الهيئة عام: (١٩٥٠م)، وقد تحدث عن هذا الكتاب العلامة المحقق السيد أحمد صقر في مجلة «الرسالة» فذكر أن الشيخ قد جمع أصول مسائل القياس في اللغة وضم أشتاتها، وأبرزها في ثوب قشيب، سهلة القطاف للراغبين، وقدم لكتابه بمقدمة رائعة في فضل اللغة العربية، وذكر أن الشيخ دل بالمباحث التي ذكرها في الكتاب على تبحره في علوم اللغة، وتمكنه من ناصيتها[4].

ويقول الشيخ أحمد الشرباصي عن كتاب «القياس في اللغة»: «ذلك الكتاب الذي يعد آية بينة على الدراسة اللغوية الصحيحة الأصول، المسددة الخطا، الطيبة الثمرات»[5].

العربية ومصطلحات العلوم

من الأمور التي بدا اهتمام الشيخ واضحا في إظهارها: موضوع ثراء اللغة العربية في مجالات يتجرأ البعض على الادعاء بعجز العربية عن المجاراة فيها، فهو على سبيل المثال يكتب بحثا يحمل عنوان «طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية» ويقدمه إلى المؤتمر الطبي العربي المنعقد بالقاهرة سنة: (١٩٣٩م) بصفته مندوب المجمع اللغوي، وهو بحث في غاية الثراء يتحدث فيه الشيخ عن التاريخ العريق للغة العربية مع المصطلحات الطبية، مثل: أسماء العلل وأسبابها، وأعراضها، وأطوارها، وآثارها، وأسماء الأعضاء والأجزاء منها، ظاهرة كانت أو



باطنة، وأسماء ما يركب منه الأدوية، والأدوات التي يستعان بها على المداواة ويستشهد لذلك بما ذكره ابن سينا في كتابه «القانون» والزهراوي في كتابه «التصريف»، ويذكر الشيخ أن كثيرا من علمائنا الذين كانت لهم قدم راسخة في الطب كانوا أئمة في اللغة وذكر من هؤلاء ابن سينا وابن زهر وابن رشد الجد، كما أن بعضهم كان إماما في الشريعة مثل المازري، ويتحدث الشيخ بشيء من التفصيل المشفوع بالأمثلة عن المجهود الذي يبذله العلماء في مجمع اللغة العربية لنقل العلوم ومن بينها علم الطب على اختلاف فنونه، وكثرة مصطلحاته - إلى العربية الفصحى، وبين الشيخ أن «القصد من إنشاء المجمع اللغوي: توحيد المصطلحات العلمية» وأن «الطموح إلى عزة ليس بعدها عزة، يقضي علينا بأن نعيد علم الطب وسائر العلوم والفنون إلى لغتنا العربية، وأن هذه اللغة تسع - بما آتاها الله من غزارة العلم، وحكمة المقاييس - كل ما تدركه الأبصار والعقول»[٦].

كما أن الشيخ كتب بحثا يحمل عنوان «تيسير وضع مصطلحات الألوان» وقدمه إلى المؤتمر الطبي الثالث الذي انعقد في القاهرة عام: (١٩٤٠م)، ذكر فيه عشرات الأسماء للألوان بدرجاتها وأشكالها وتراكيبها المختلفة، وما يقبل التصريف من هذه الأسماء وما لا يقبل التصريف، وذكر في نهاية البحث «أن اللغة العربية تسع -بغزارة مفرداتها، ومساعدة أصول صرفها - كل ما يحتاج إليه من المصطلحات العائدة إلى الألوان، وقد رأيتها كيف تدل على الألوان بالألفاظ الكثيرة التصرف، ورأيتها كيف فتحت أبوابا يمكن الدخول منها إلى وضع مصطلحات حاجات العلوم والمدنية، دون أن نضطر إلى ترقيعها بكلمات من لغات غير عربية»[٧].

الدفاع عن اللغة العربية

لم يكن موقف الشيخ في مواجهة دعاة الاستغناء بالعامية عن العربية يقتصر على الرد عليهم وتفنيد حججهم، وبيان أهدافهم ونواياهم السيئة من هذه الدعوات، وإنما أضاف إلى ذلك خطوات عملية لدعم اللغة العربية والحفاظ عليها في مواجهة الموجات المتلاحقة التي هدفت إلى إضعافها أو محوها؛ فقد كان من أهداف «جمعية الهداية الإسلامية» التي أنشأها الشيخ مع جمهرة من كبار العلماء المسلمين بالقاهرة عام: (١٩٢٨م): المحافظة على اللغة العربية، وإحياء آدابها، وإصلاح شأنها، وقال في الخطبة التي ألقاها في افتتاح نادي هذه الجمعية: «إذا قام اليوم نفر يريدون القضاء على اللغة العربية الفصحى، ويدعوننا إلى أن نتفرق شيعا، ويزخرفون القول في أن يستعمل كل شعب أو وطن لغته الدارجة، فإن هذه الجمعية ستظل ثابتة على الدفاع عن هذه اللغة العامرة السامية، واضعة يدها في أيدي من يعملون لإعلاء شأنها، وبسط سلطانها على الشعوب الشرقية قاطبة»[٨].

وقد وضح الشيخ ما وراء هذه الدعوات حتى ينبه الغافلين من خطورة التأثر بها والانجذاب إليها والتفريط في لغة القرآن الكريم، يقول الشيخ: «وهؤلاء هم الذين يعادون اللغة العربية الفصحى، ويسعون لقلب أوضاعها، وإحلال اللغة العامية في التعليم والكتابة والخطابة محلها، ولا ذنب لها - فيما يضمرون- إلا أنها لسان هدى الله، تعرض حكمته، وتقرر حجته، وبوسائل لست أدرى بها منكم، فإن هؤلاء المبطلون بمظاهر مكنتهم من ترويج دعاياتهم، والوصول إلى بعض مآربهم، حتى وقع كثير من صغار العقول في حبائل تضليلهم»[٩].

فضل اللغة العربية وجمالها

كتب الشيخ عن فضل اللغة العربية نثرا وشعرا، وقد بين في نثره ما تمتعت به اللغة العربية من مزيا تظهر في تركيب الكلمة وعدد حروفها وفصاحتها، وثرائها بالمفردات والتراكيب، وسلاسة عبارتها وحسن بيانها مقارنة مع اللغات الأخرى، وهو يستشهد بما قاله القدامى، كما يستشهد بأقوال المستشرقين وغيرهم ممن درسوا العربية، وأدركوا مزاياها، ومما قاله الشيخ في ذلك: «للغة العربية فضل من جهة اعتدال كلماتها؛ فإنا

نجد أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف، وأقل من الثلاثي ما وضع على أربعة أحرف، وأقل من الرباعي ما وضع على خمسة أحرف، وليس في اللغة كلمة ذات ستة أحرف أصلية، وقد جاءت ألفاظ قليلة جدا على حرف واحد، أو على حرفين.

ولها فضل من جهة فصاحة مفرداتها، فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال ما يثقل على اللسان، أو ينبو عنه السمع. وللعارف بحسن صياغة الكلام أن يصنع من مفرداتها المأنوسة الوضاءة قطعا أو خطبا أو قصائد تسترق الأسماع، وتسحر الألباب»[10].

ومما كتبه الشيخ قصيدتان طويلتان هما «فضل اللغة العربية» و«حياة اللغة العربية» وهما تجسدان مدى تعلق الشيخ بلغته، وفخره بها وأمله في أن تسود؛ وبين في القصيدتين ما تحويه العربية من جمال وثراء وقوة، فهو على سبيل المثال يقول في قصيدة «فضل اللغة العربية»:

«ولم أنض القريحة في نسيب
ولا عذلا شكوت ولا بعادا؛
فما أهوى سوى لغة سقاها
قريش من براعتهم شهادا؛
أداروا من، سلاستها رحيقا
وهزوا من جزالتها صعادا؛
وطوقها كتاب الله مجدا
وزاد سنا بلاغتها اتقادا[11]

وفي القصيدة يذكر مكانة اللغة العربية في مصر، حيث يعلو شأنها في معاهدها التي تمد طلابها بخير زاد، وفي مجمع اللغة العربية الذي يصون أصول لغتنا، ويزيدها ثراء:

«أجالت طرفها في كل واد
فلم ترفي سوى مصر مرادا
فتلك معاهد العرفان تدني
إليهم خير ما يبغون زادا
وهذا مجمع يحمي تلادا
ويبني طارفا يحكي التلادا؛[12]

ويقول في قصيدة «حياة اللغة العربية»:

«لغة تقطف من أغصانها
زهر آداب وأخلاق غرر
هي بحر غص على حليتها
فلآلي البحر ليست تنحصر
ضربت في كل فن ساحر
من فنون القول بالسهم الأغر
أفما أحسست في أجراسها
رقة تذهل عن نغم الوتر[13]

مستقبل اللغة العربية

كان الشيخ محمد الخضر حسين على يقين أن للغة العربية مستقبلا مشرقا، وذلك رغم كل ما تواجهه من محاولات لإضعافها، وقد وثق الشيخ بذلك وقال إنه من المحال على الشعوب العربية أن يتبدلوا بها لغة أخرى، وإن تضافر على هذه اللغة أمم الأرض جميعا، وذلك لسببين: أولهما أنها لغة القرآن معجزة الرسالة ومطلع الهداية، والثاني لامتلاكها لفصاحة الكلم وحكمة الأساليب، وغزارة المادة[14].

ومن الأمور التي كانت تزيد من ثقة الشيخ في أن للغة العربية مستقبلا ستستعيد فيه مكانتها، وتفوق اللغات الراقية، ما رآه من همم أبنائها وطموحهم، يقول الشيخ رحمه الله: «وفي البلاد التي تنطق بالعربية شعور ساطع في نفوس شيوخها وشبابها؛ ومن أثره: هذه الغيرة التي تملأ ما بين جوانحهم، وتهزهم أفرادا وجماعات إلى النظر في إصلاح ما اختل من أمورنا، وإعادة ما تقوض من مجدنا؛ فنحن على ثقة من أن اللغة العربية سترفع رايتها، وتفوق اللغات الراقية بغزارة مادتها، وفضل بلاغتها؛ وما ذلك من همم أبنائها وطموحهم إلى الحياة

الماجدة ببعيد»[١٥].

الهوامش

(١) موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، دمشق: دار النوادر، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، (١٥/٢) (ص: ٢٥٠).

(٢) مقدمة بحث «حياة اللغة العربية»، موسوعة الأعمال الكاملة (٦/١) (ص: ١١٩).

(٣) علي الرضا الحسيني: ومضات من حياة الشيخ محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (١٥/١) (ص: ٤١).

(٤) انظر مجلة «الرسالة»، سيد أحمد صقر: مقال «القياس في اللغة العربية للأستاذ محمد الخضر حسين عضو مجمع اللغة العربية الملكي»، العدد: (١٤٩)، (ص:٨٣).

(٥) موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (٥/١) (ص: ٢٨٣).

(٦) السابق: بحث «طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية» (٦/١) (ص: ٢٣٨- ٢٥٠).

(٧) السابق: بحث «تيسير وضع مصطلحات الألوان» (٦/١ص٢١٥: ٢٣٧).

(٨) السابق: (١٠/١ص١٩٠).

(٩) السابق: (١٢/١ص ٨١).

(١٠) السابق (٦/١ص ٢٢).

❖ أنضى: أهزل وأخلق وأبلى. القريحة: ملكة الشاعر يقتدر بها على نظم الشعر. النسيب: التشبيب بالمرأة. العذل: الملامة.

❖ الشهاد: جمع الشهد، وهو العسل ما دام لم يعصر شمعه.

❖ السلاسة: الرقة والانسجام. الرحيق: الخمر. الجزالة: الفصاحة والمتانة. الصعاد: واحدها الصعدة، وهي القناة المستوية.

(١١) السابق: (٧/٢ص ٧١، ٧٢).

❖ التلاد: المال القديم. الطارف: المال الحديث المستحدث.

(١٢) السابق: (٧/٢ص٧٣، ٧٤).

(١٣) السابق: (٧/٢ص ٩٧، ٩٨).

(١٤) انظر السابق (٦/١ص١٨، ١٩).

(١٥) السابق (٦/١ص٢٧).

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية



اللغة العربية والدعوة الإسلامية

تنقل أفكار البشر ومشاعرهم وذكرياتهم عبر عدة وسائط، أهمها: اللغة، ولرعاية عامل اللغة في التواصل بين البشر كان قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤)، يبين لهم الحق من الباطل، وطريق الهداية وطرق الغواية والفساد والصلاح، وبالجملة: ما فيه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وقد حكم الله تعالى لكلمته بالعلو والظهور، فأنساب الإسلام في ربوع الأرض، واختلط المسلمون بلغات وثقافات شتى، لكن دينهم لم يأذن لهم أن يغيروا ألسنة الناس، فبقيت اللغات المختلفة ولهجاتها في كل أرض أشرق عليها نور الإسلام، ولرغبة المسلمين الجدد في التعرف على دينهم بدأ اهتمامهم باللغة العربية يقوى ويشتد، مع احتفاظهم باللغة الأم، بل إن غير العرب خدموا اللغة العربية خدمات جليلة، ونظرة واحدة على أئمة اللغة نحوا وصرفا وبلاغة وأدبا تجد كثيرا منهم من غير العرب كانت لهم بصماتهم في صون اللسان العربي من عجمة الأعاجم.

ويجدر بنا أن نتحدث عن علاقة الدعاة باللغة العربية، هذه العلاقة التي تمكنهم من تفهم تعاليم الإسلام وقيمه والقدرة

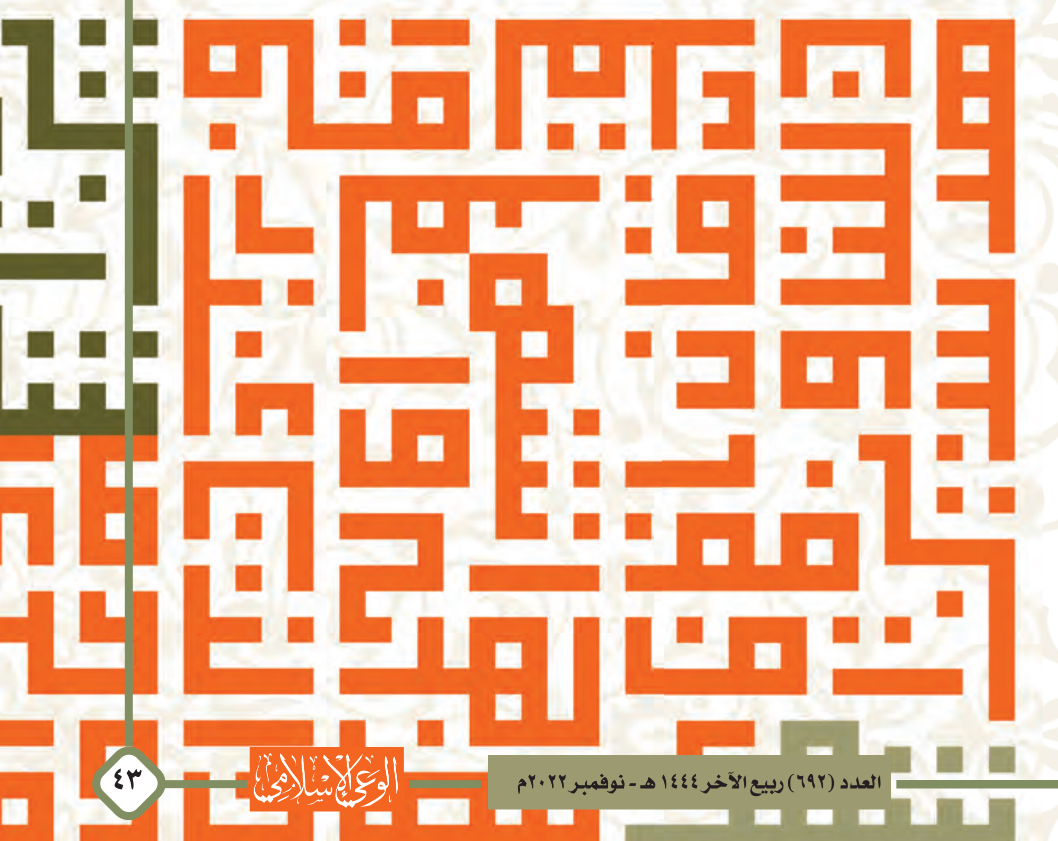
على التعبير الصحيح عنها، ولا شك أن سلامة الفكرة وصدقها لا تغني أبدا عن سلامة العبارة الناقلة للفكرة المزيلة للبس المجيبة عن تساؤلات المستمعين والقراء، فكم من عبارة غير دقيقة أثارت الزوابع ضد حقائق الإسلام وقيمه وتاريخه، وكانت سببا في حملات وردود واستنزاف لجهود العلماء والكتاب لتصحيح عبارة عجز المتكلم أو الكاتب عن التعبير الدقيق فيها.

وعلاقة العلماء والدعاة باللغة ليست دراسة للنحو والصرف فحسب، بل علاقة بالأدب شعرا ونثرا وبالبلاغة بفروعها وبتطور الألفاظ وغير ذلك، وكلما قويت صلة العالم والداعية باللغة العربية كلما تمكن من القدرة على التعبير والتصوير، وكانت كلماته فصيحة وتعبيراته سليمة، وفي ذات الوقت مفهومة للناس.

وقد وقع لبعض الكتاب والمتحدثين وحشة بينه وبين المدعوين، فهو يستخدم ألفاظ وتعبيرات تحتاج إلى شروح وتفسيرات، مما يصد الناس عنه مهما كانت مكانته في العلم ومقامه بين أهله، ويحرم الناس من خير كثير، جراء هذا السلوك الذي يجافي البلاغة، مما يحتم علينا أن نحافظ على رصانة اللغة وجمالها، مع بساطة العبارة. وأعتقد أن هذه الملكة تكتسب بعد التبحر في اللغة بفروعها المختلفة وبكثرة الكلام والكتابة للناس، فالتبحر في اللغة يعطينا الجزالة وكثرة المفردات، حتى نختار منها ما يناسب المقام، وكثرة الكتابة والحديث للناس يهذب من وحشية الألفاظ ويبعد عن التعبيرات الغريبة، ولا يزال العالم والأديب والمفكر والداعية يتواصل مع الناس حتى يعتادوا أسلوبه ويتمكن من صوغ المعاني الراقية في تعبيرات لا تمجها الأذن ولا تنفر القارئ، وبذلك نكون قد حققنا التواصل المرجو بين أهل العلم والدعوة وتراثنا الضخم العامر بالخيرات والأفكار والقيم وبين جمهور الناس الذين اغتالتهم السطحية وغرقوا في بحار لغة بعيدة الصلة بالعربية، وانعزلوا عن التراث الإسلامي بفروعه المختلفة لتنقطع صلتهم بجذورهم، هذه الطائفة التي تحافظ على الأصالة، لا تنفصل عن عصرها، وترى أن من أكبر مهامها في الحياة أن تعيد وصل الناس بما انقطع من دينهم وتراثهم وتاريخهم.

ومن الدعاة من رأى أن أقرب طريقة للوصول إلى الناس أن يحدثهم بالعامية، ومع ما يرجوه من الاقتراب من جمهوره، إلا أنه يتبعد بنفسه وبمن يتابعه عن طريق الصواب، ويدفع بهم إلى المزيد من العزلة عن التراث الإسلامي وما فيه من كنوز، «وغريب أن تكون معجزة الإسلام الكبرى آية بلاغية، وأن تكون اللغة العربية أساس هذا الدين وترجمان عباداته، ومع ذلك تهون إلى هذا الحد. والواجب أن تعود للأدب مكانته، وأن تتضافر الجهود على تقوية مادته، وتجلية رونقه، وإمداده بأسباب النماء والازدهار»[1].

ولعلنا ندرك خطأ من يبتعد من الدعاة عن الحديث بالفصحى من خلال متابعة الناس للصحف الرصينة التي تجد فيها مقالات كتبت بلغة سليمة ومفهومة، إن العجز عن التحدث بعربية فصيحة بعيدا عن التقعر أمر يرجع إلى الكاتب أو المتحدث، وليس للغة التي تحدث بها الناس منذ فجر التاريخ



إلى اليوم وفي بيئات مختلفة في مشارق الأرض ومغاربها، ودونت بها علوم مختلفة، فلم تضق بالعلم ولا بالثقافة والأدب هذه اللغة المفهومة أحد وسائل الارتباط بين الشعوب والأمم، وأحد عوامل الوحدة التي ينتج عنها صلات ثقافية واجتماعية وتجارية، مما يحقق مفهوم الأمة التي يسعى الإسلام لترسيخها.

وليس معنى اعتزاز المسلم عموما والداعية خصوصا بلغة القرآن أن لا يحاول معرفة لغة أخرى، فقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية عن زيد بن ثابت، رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله: «إنه يأتيني كتب من أناس، لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم كتاب السريانية؟» قلت: نعم، فتعلمتها في سبع عشرة[٢].

ومعرفة لغة الآخر وسيلة لمعرفة طريقة حياته وتفكيره، ومن ثم تحقيق التعاون معه، لما فيه خير الإنسانية أو توقي شره.

وإذا كنا نرى أن اللغة العربية هي لغة القرآن، وأن الواجب على كل مسلم أيا كانت لغته أن يلم بقدر منها يسمح له بمعرفة دينه، فإن لزاما على أهل اللغة والدعاة والعلماء وكل مسلم يحب القرآن والإسلام أن يسهم بجهده في توفير الكتب المناسبة التي تقدم الإسلام بلغة عربية سهلة، وليكن ذلك نواة لدعوة الناس إلى تعلم اللغة العربية لمزيد من المعرفة بالإسلام ونبيه وتاريخه، ولزام كذلك على الكتاب والمتحدثين أن يستخدموا لغة واضحة بعيدة عن التقعر، حتى يمكن ترجمتها ترجمة صحيحة من خلال محركات البحث، وبذلك تتسع رقعة الدعوة الإسلامية، وعلى من يجيد لغة أجنبية كذلك أن يراجع هذه الترجمات ويعلق على الأخطاء الواردة فيها، ويعتبر ذلك من باب القيام بالدعوة إلى الله وتقديم البيان الواضح للناس.

ويكفي في بيان تأثير الكلمة التي تبلغ من النفس كل مبلغ قول ابن عمر رضي الله عنهما: جاء رجلان من المشرق فخطبا، فقال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرا»[٣]، وقد كان للشعر دوره في خدمة الدعوة والدفاع عن قضاياها، قال كعب بن مالك رضي الله عنه للنبي ﷺ: إن الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل»[٤].

هجاء شعراء المسلمين للمشركين يؤثر فيهم تأثير السهم الذي يؤلم، وقد يقتل، ومن لم يستطع أن يجاهد بسيفه فليجاهد بلسانه، وإذا كان للحروب مهما طالت أمد تقف عنده، فإن الدفاع عن الإسلام باللسان والقلم لا يتوقف

أبدا، كان من أثر جهاد كعب بن مالك رضي الله عنه للمشركين بشعره ما رواه الإمام ابن عبد البر عن محمد بن سيرين قال: كان شعراء المسلمين حسان بن ثابت رضي الله عنه، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وكعب بن مالك، فكان كعب يخوفهم الحرب وعبد الله يعيرهم بالكفر، وكان حسان يقبل على الأنساب، قال ابن سيرين: فبلغني أن دوسا إنما أسلمت فرقا من قول كعب بن مالك:

قضينا من تهامة كل وتر
وخيبر ثم أغمدنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوسا أو ثقيفا

وفي رواية ابن إسحاق:

قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

فقالت دوس: انطلقوا، فخذوا لأنفسكم، ولا ينزل بكم ما نزل بثقيف» قال أبو عمر: لما قال كعب بن مالك:

جاءت سخينة[٥] كي تغالب ربها
فليغلبن مغالب الغلاب.

قال رسول الله: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا»[٦].

كان تأثير الشعر على قبيلة دوس كبيرا، فخافت لقاء المسلمين في حرب تحصد فيها أرواحهم، مما دفعهم إلى إيثار السلامة، ويظهر كذلك ما لبيان مساوئ العدو من فضل عند الله تعالى، فقد شكر الله تعالى قول كعب بن مالك.

وللكلمة المخلصة المستبصرة تأثيرها، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا مر ببابي مما يلقي الكلمة ينفع الله - عز وجل - بها»[٧]، ولا تكون هذه الفعالية لكل كلمة تقا،: بل لابد من توافر الشرط الأساسي لها لتكون بانية هادية، أن تكون طيبة وحسنة مباركة، وهذا سر وجودها وخلودها، ولن تخلد الكلمة على الأجيال إلا إذا اتصلت بالحق والخير، وكان لها من قوانين الله في خلقه سند، ومن إلهامه عباده وجود[٨].

فالكلمة الطيبة قلت أو كثرت، تحمل في طياتها القوة المؤثرة فتكون هي المعجزة بذاتها، ولا تحتاج معها إلى قوة تضافرها وتشد أزرها، وإن كانت لا تمنع. وهذا ما كان من شأن الكلمة في الدعوة الخاتمة على لسان الرسول الخاتم ﷺ. فالكلمة هي لسان دعوته وهي معجزتها التي تحدت بها الإنس والجن متفرقين ومجتمعين في كل زمان ومكان[٩].

الهوامش

١- مع الله دراسات في الدعوة والدعاة: للشيخ محمد الغزالي.
٢- الآحاد والمثاني: لابن أبي عاصم.
٣- الصحيحين واللفظ للبخاري.
٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، قال الشيخ شاكر: «إسناده صحيح، رجاله أئمة».
٥- سخينة: أي طعام حار يتخذ من دقيق وسمن، وقيل: دقيق تمر أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة، وكانت قريش تكثر من أكلها، فعيرت بها حتى سموا سخينة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.
٦- الاستيعاب لابن عبد البر.
٧- مسند الإمام أحمد، وقال محققوه: «إسناده حسن».
٨- الخطابة بين النظرية والتطبيق: د/محمود محمد عمارة (ص: ٣٥).
٩- فصول في الدعوة الإسلامية: د/ حسن عيسى عبد الظاهر (ص: ٨٧).

تحقيق - نادر أبو الفتوح
صحافي مصري



فهم القرآن الكريم والنصوص الشرعية يتوقف عليه:

إتقان اللغة العربية

التفوق في اللغة العربية مؤشر على التفوق في كافة المجالات، وهنا تأتي أهمية إتقان اللغة العربية في سنوات الدراسة الأولى، وتزداد هذه الأهمية بالنسبة لدارسي العلوم الشرعية، لأن هؤلاء سوف يعملون في مجال الدعوة والوعظ والإفتاء، ويعد إتقان اللغة العربية ومعرفة أسرارها أهم شروط مفسر القرآن الكريم، كما تعتمد الفتوى في الأساس على فهم الدلالات والنصوص الشرعية للوصول إلى الأحكام الفقهية.

ومن جانبهم أكد علماء تفسير وشريعة إسلامية في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» أن فهم القرآن الكريم والنصوص الشرعية يتوقف على إتقان اللغة العربية، وأن معرفة دلالات الألفاظ والإعجاز اللغوي في القرآن الكريم من أهم شروط المفسر والمجتهد في العلوم الإسلامية، وشددوا على ضرورة الاهتمام بتعليم اللغة العربية للأطفال والناشئة، كما طالبوا بضرورة أن تركز مراكز تحفيظ القرآن على شرح مفردات اللغة وبيان أوجه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، لأن ذلك يساعد على الحفظ بشكل صحيح.

من أساسيات الاجتهاد

في البداية يقول الدكتور أحمد كريمة أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الدراسات العربية والإسلامية جامعة الأزهر بالقاهرة، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن الله سبحانه وتعالى جعل اللغة العربية لسان آخر الأنبياء (محمد صلى الله عليه وسلم)، ولتكون هي ألفاظ القرآن الكريم، والتشريع الإسلامي في مجمله سواء في أصول الدين أو الشريعة الإسلامية يتوقف فهمه على إتقان اللغة العربية، ولذلك جعل العلماء الراسخون فقه اللغة العربية وآدابها من أساسيات المجتهد في العلوم الإسلامية، والحمد لله أن الله جعل القرآن الكريم بهذا اللسان وجعله معجزة ومنهاجا، ومن هنا تبقى اللغة العربية ما بقيت المعجزة والمنهاج، وهذا يؤدي إلى واجبات على المسلمين، بضرورة إعلاء اللغة العربية تخاطبا واستعمالا، ويكفي اللغة العربية شرفا أن الصلوات ومناسك الحج الرئيسة التي فيها ألفاظ تعبدية لا تقبل إلا باللغة العربية.

وطالب الدكتور كريمة، بضرورة الاهتمام باللغة العربية، مؤكدا أنه يجب تعريب العلوم المدنية، ومثلا في علم الطب من الأفضل أن يكتب الأطباء الوصفات العلاجية باللغة العربية، وهكذا في سائر العلوم الأخرى، لأن ذلك يعد نوعا من الاهتمام باللغة العربية، ويؤدي لتربية الأجيال الجديدة على حبها اللغة، مشيرا إلى أنه في القرن الماضي شن بعض المستشرقين هجوما على اللغة العربية، واتهموها بأنها عاجزة عن استيعاب مفردات العصر، فرد عليهم الأديب والشاعر المصري حافظ إبراهيم في قصيدته قائلا: أنا البحر في أحشائه الدر كامن.. فهل سألوا الغواص عن صدفاتي، فاللغة العربية هي كنز من المعاني والمفردات، ويجب أن تكون دورات اللغة العربية على رأس الدورات التدريبية التي تعقدها المؤسسات الدينية للوعاظ والأئمة، لأنها لغة القرآن الكريم وفهم معانيها ضمانة لفهم النصوص الشرعية.

> **معرفة دلالات الألفاظ أهم شروط المفسر والمجتهد في العلوم الإسلامية**

من شروط تفسير القرآن

ومن جانبه أوضح الدكتور مختار مرزوق، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن إتقان اللغة العربية من أساسيات فهم وتفسير القرآن الكريم، مؤكدا أنه من أول الواجبات حتى يستطيع المفسر أن يفهم القرآن الكريم فهما صحيحا، أن يكون متقنا للغة العربية، وليس معنى



ذلك أن يكون متقنا فقط النحو والصرف، بل يجب أن يكون متقنا لعلم البلاغة والبيان والبديع والإعجاز، وإذا لم يكن على هذه الحالة، فإنه لن يستطيع أن يفهم القرآن الكريم فهما صحيحا، وبالتالي فإنه لا يستطيع القيام بالتفسير، لأنه لا يحسن اللغة العربية ولا يفهم أسرارها ومعانيها، ولذلك فإن الذي لا يتقن اللغة العربية بفروعها، لا يحق له أن يتكلم في الأحكام الشرعية والفقهية، لأنه فقد شرطا مهما.

شرط للوعظ والخطابة

وشدد الدكتور مرزوق، على ضرورة أن يقوم الوعاظ والأئمة وخطباء المساجد بمزيد من الدراسة والمطالعة للتمكن من اللغة العربية، لأنها هي الأداة لتوصيل رسالتهم لرواد المساجد، وينبغي أن يكون الخطيب الذي يصعد المنبر متحدثا بارعا متمكنا من علوم اللغة العربية، وذلك حتى يستطيع التأثير في رواد المسجد، وينبغي أن تكون هناك دورات تدريبية للأئمة والوعاظ لفهم معاني اللغة العربية، وأن تتم هذه الدورات على يد كبار علماء اللغة العربية وأساتذة التفسير، كذلك ينبغي أن يشير الوعاظ والأئمة في خطب الجمعة والدروس الدينية إلى جوانب من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، لأن كل كلمة جاءت في موضعها الصحيح وعبرت بشكل دقيق عن المعنى.

ضرورة لإعداد المفتين

ومن جانبه أشار الشيخ عبد الحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن إتقان اللغة العربية شرط من شروط الإفتاء، ومن يتصدى للإفتاء لابد أن يكون متقنا للغة العربية، لأن الألفاظ لها دلالات ومعاني لا يدركها إلا العالم المتخصص في علوم اللغة العربية، ولذلك فإن التدريب على الفتوى في المؤسسات الدينية ودور الإفتاء يعتمد في البداية على إتقان اللغة العربية، لأنه بدون إدراك تام للغة العربية وعلومها قد يحدث خطأ في الفتوى، ولذلك عندما تبدأ دورات إعداد المفتين باللغة العربية أولا، فإن ذلك ضمانة للوصول الصحيح للأحكام الفقهية.

اللغة العربية تساعد الأطفال على حفظ القرآن والتفوق في كافة المجالات

تساعد في حفظ القرآن الكريم

وطالب الشيخ الأطرش، بضرورة تربية الشباب والناشئة على حب اللغة العربية، مؤكدا أن الطفل الذي يجيد اللغة العربية يتمكن من حفظ القرآن بشكل أسرع وأسهل من غيره، وعلى الأسرة أن تهتم بتعليم الأبناء اللغة العربية بجانب اللغات الأخرى، ويكون التركيز أولا على اللغة العربية لأنها اللغة الأصل، وعندما يتمكن منها الطفل، سوف يكون قادرا على تعلم اللغات الأجنبية، مشيرا إلى أن مكاتب تحفيظ القرآن الكريم ينبغي أن تركز على شرح معاني القرآن الكريم، وبيان أوجه الإعجاز اللغوي في القرآن، لأن معرفة المعاني وفهم دلالات النصوص يساعد على حفظ القرآن الكريم، والطفل الذي يكون متفوقا في اللغة العربية يكون متفوقا في كافة المجالات.



حسن عباس
محرر صحفي

أهمية العربية في جوانب الحياة



تحظى اللغة العربية بأهمية ومكانة كبيرة لما تتوفر عليه من مميزات وخصائص وقواعد دقيقة، جعلتها في مصاف اللغات المميزة إلى اليوم. وتتجلى هذه الأهمية في قدرتها على الحفاظ على أصالتها منذ عشرات القرون، إضافة إلى غنى معجمها اللغوي وثرائه، مما يتيح للمتكلم بها أن يعبر عن كل ما يخطر بباله ويطوف بمخيلته بدقة متناهية، إضافة إلى أن اللغة العربية تتمتع بقدر عال من الفصاحة والبلاغة والبيان، حيث إن الكلمة الواحدة يمكن التعبير عنها بعدد كبير من المفردات والمعاني والتشبيهات والصيغ الجمالية التي تعطيها قدرا كبيرا من التميز والجمال.

وتعد اللغة العربية مقوما أساسيا من مقومات الأمة العربية الإسلامية حيث جاءت بها مصادر التشريع الرئيسية للدين الإسلامي.

ويمكن من خلال اللغة العربية التعبير عن أي فرع من فروع العلم، فضلا عن أنها تنطوي على مجموعة من العلوم اللغوية والقواعد الهامة، وفي مقالنا نحاول أن نسرد عدة نقاط عن أهمية اللغة في حياتنا واستخداماتنا اليومية.

الأهمية الدينية

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم كتاب الله المعجز، ولغة السنة النبوية الشريفة، ولا يمكن فهمهما، ومعرفة أسرارهما، واستنباط الأحكام منهما لغير المتمكن من هذه اللغة.

وقد اكتسبت اللغة العربية صفة «القداسة» من ارتباطها بالقرآن الكريم، ذلك لأن القرآن لا يُقرأ بأي لغة سواها، فكتاب الله نزل باللغة العربية، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)، وقال عزوجل: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت:٣)، وخاطب رسول الله ﷺ قومه بلسانهم، حيث قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم:٤).

وهذا أكسب اللغة العربية أهمية كبرى في حياة المسلمين في شتى بقاع العالم على اختلاف جنسياتهم

ولغاتهم.. فمن لم يستطع أن يتعلم العربية من غير العرب، فقد حفظ الآيات القرآنية باللغة العربية كي يتمكن من تلاة القرآن وأداء شعائر الدين الإسلامي، فالصلاة -كمثال- لا تقبل إلا بتلاوة الفاتحة ويتبعها ما تيسر من الآيات.

الأهمية الحضارية

للعرب حضارة عريقة ساهمت بشكل كبير في الارتقاء بالحضارة والعلوم الإنسانية في كل جوانب الحياة، وما يشهده الغرب الآن من رقي حضاري يعود الفضل فيه إلى ما اكتسبوه وما درسوه من كنوز الحضارة العربية.
والعالم يشهد بفضل العلماء العرب والمسلمين الذين أثْرَوا الحضارة العالمية بإبداعاتهم وإسهاماتهم التي لم يسبقهم إليها أحد، مثل ابن الهيثم والبيروني وأبي القاسم الزهراوي وابن سينا وأبي بكر الرازي وجابر بن حيان والإدريسي وابن خلدون وغيرهم الكثير.

الأهمية العلمية

تتميز اللغة العربية باستيعاب الكثير من المصطلحات والمسميات الأعجمية، ومن ثم تحويلها إلى ألفاظ عربية، وتكمن مكانة اللغة العربية في كونها اللغة الأم للعرب ويجتمع فيها عدد كبير من الثقافات والشعوب والحضارات، فإن اللغة تنجح من خلال الترجمة من لغات أخرى إلى نقل الكثير من العلوم والأبحاث والدراسات، والكتب الأدبية، والتجارب العلمية وغيرها، مما يسهم في التقدم العلمي.

الأهمية الحياتية

تتضح أهمية اللغة العربية في حياتنا كونها اللغة الحضارية الأولى في العالم لوقت طويل، وتمتلك قدرة على المساعدة في التعبير عن العلوم المختلفة، بسبب تمتعها بخصائص وألفاظ وتراكيب وخيال والعديد من الميزات الأخرى.
إلى جانب أن اللغة العربية أداة للتعارف والتواصل بين ملايين البشر في شتى بقاع الأرض، كونها لغة تتسم بثبات جذورها ومتجددة بسبب خصائصها وميزاتها العديدة. كما أنها تساعد على استمرار الثقافة العربية بين الفئات المختلفة، والمحافظة على الاتصال بين الأجيال، فما يميز اللغة العربية أنها لغة مستمرة وباقية ومن الصعب اندثارها أو زوالها.
ختاما؛ يجب القول إن اللغة العربية تمثل إحدى أهم اللغات الإنسانية التي استمرت لقرون طويلة، والتي استطاعت احتواء الإنجازات العربية والإسلامية عبر القرون الطويلة، غير أن آثار العولمة وانتشار العامية أصبح يقلل من أهميتها ومكانتها في المجتمعات العربية والإسلامية، الأمر الذي يقتضي التصدي له ومواجهته.. ويقول الأديب الرافعي: «ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، وإن هذه العربية بنيت على أصل سحري يجعل شبابها خالدا عليها فلا تهرم ولا تموت».





ولاء أيمن شبيطة
مستشارة تحكيم دولي

إتقان اللغة الأم.. فريضة

خلق الله البشر ولهم ألسنة مختلفة، قال الله عز وجل: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ﴾ (الروم:٢٢)، وجعل لغتنا العربية.. لغة الضاد أبلغ اللغات بيانا، وأعذبها لسانا؛ اختارها -عز وجل- لأهل سمائه وسكان جنانه، واستودع فيها -سبحانه- رسالة الإسلام لأهل أرضه، وجعلها وعاء للقرآن الكريم؛ الذي بها أنزل وحفظ، وهي به فضلت وشرفت وارتفعت وعلت وخلدت، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥)، كما أنها إحدى آلات الشرع، وسر أسرار التبحر في العلم ومناط التفقه فيه؛ يسر تعلمها وتحفيظها لطلاب العلم والناشئة الحاذقون الأقدمون، عبر إعدادهم المتون؛ فضبطوا مسائلها، وقعدوا قواعدها، وجمعوا أصولها، وضموا فروعها بعبارات رقيقة دقيقة منتقاة.

فأخرج لنا محمد بن آجروم الصنهاجي «آجروميته»، وصاغ لنا ابن هشام الأنصاري «قطر الندى وبل الصدى»، و«شذور الذهب في معرفة كلام العرب»، ونظم لنا ابن مالك «ألفيته»، وركب لنا ابن سينا في أرجوزته الشهيرة «السينائية» مصطلحات طبية وعلمية بلسان عربي فصيح قريح، ومثلها فعل العبقري ابن طفيل في أرجوزته البديعة في الطب وعلوم الأمراض ودوائها والتي قاربت: (٧٧٠٠) بيتا... وغيرها الكثير من الفرائد والدرر.

مضمون الشخصية الروحي

ولغتنا العربية هي المضمون الروحي لشخصيتنا العربية؛ وهي مناط قوميتنا وأساس تراثنا ومادة ثقافتنا وحضارتنا، وإن حمايتها ودفع خطر أعداء الدين ومناوئيها يمثل صيانة لهويتنا الإسلامية العربية ولأمننا القومي، إذ سيصعب علينا الانخراط في مجتمع المعرفة من خارج دائرة العربية، يقول الرافعي رحمه الله: «ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد: أما الأول: فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا. وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا. وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع».

ويقول الثعالبي رحمه الله: «من أحب الله تعالى أحب رسوله المصطفى ﷺ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب اللغة العربية عني بها، وثابر عليها وصرف همته إليها، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد».

وإذا ما طالع أحد كلام أهل والعلم واللغة قليلا، يتجلى للمطالع الفطن فضل العربية ووجوب محبتها، وترتفع غيرته عليها وعلى مكانتها، وأدرك ضرورة تعلمها واستحباب إتقانها؛ لسموها على سائر نظيراتها، يقول الإمام ابن كثير، رحمه الله، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (يوسف:٢): «وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات، وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه».

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله:

«اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون».

ويقول الثعالبي: «من هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمدا خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال عليها وعلى تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم».

ويقول ابن القيم: «وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها». ويقول الشافعي، رحمه الله: «اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد -ﷺ؛ ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها».

عقوق الأبناء

والصورة الآن، أن المتأمل لحال لغتنا العربية والمهتم بوضع أمتنا اللغوي، يصاب بالإحباط مما آل إليه وضعها، سواء على مستوى المناهج الدراسية أو الخطاب العام، فمستوى ناطقيها في تدن، ومأزقها معهم متفاقم، خصوصا بعد تعميم ظاهرة الكونية الثقافية، ما أثمر تفكيكا تدريجيا للغتنا القومية، وهو ما جعل واقع اللغة ينحسر، سواء على مستوى التعليم والتعلم أو التأليف والإبداع، بعدما وضعتها سياسات علمانية قمعية في صورة عقيمة جامدة تنأى بمضامينها ودلالاتها عن أذهان المتعلمين وتنفرهم منها، فأثمرت تلك الخطط والمؤامرات الخبيثة عقوقا من أبنائها تجاهها، الذين يقع اليوم اللوم الأكبر على عاتق المثقفين منهم، الذين لم يلبوا نداء لغتهم الأم وهي تستجير بهم، بعدما أحاط بهم مكر الليل والنهار، ووقعوا في شرك مخططات التغريب وإذابة الهوية، فقل أداؤهم وبسط فكرهم وقصرت همتهم، رغم امتلاكهم لغة حية تملك في ذاتها وسائل تطورها ومواكبتها لروح العصر؛ لغة وسعت كتاب الله لفظا وغاية: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ (يوسف:٢)، فكيف بهم اليوم ينعتونها بأنها جامدة تضيق بهم عن مواكبة روح العصر؟!

أين الإشكال؟

فإلى من نعلن حالة النفير إذا أردنا تحطيم ما وضع للعربية من أغلال وإطلاق سراحها لتعود إلى وضعها الطبيعي لغة عالمية تواكب مستجدات العصر: إلى النخب السياسية حيث مطاهي صناعة القرار؟ أم إلى النخب الفكرية حيث ورش إنتاج الأفكار؟ أم إلى ناطقيها الذين على ألسنتهم تثمر المخططات؟ وهل في استطاعة العربية مواكبة روح العصر الآن؟ وهل لديها في ذاتها قدرة على تلك المواكبة؟ أم أن مسؤولية النهوض بها وتطويرها تقع على عاتق ناطقيها؟ وكيف تتطور اللغة وتفرض حضورها واقعيا؟.. أسئلة يجب علينا تعميقها وجعلها منطلقا للبحث الجدي المسؤول للحفاظ على اللغة العربية وحمايتها من خطر التلاشي أو الاندثار، فالعربية لن ينصلح حالها إلا إذا انصلح حال أبنائها واستقام لسانهم، وسبيل ذلك يكون بالمدارس والمعاهدة.

اللغة ليست أداة تواصل فحسب في أي مجتمع، بل هي مطية الإنجاز، لأنها موضوع التعليم ووسيلة البحث والإنتاج، وهي وعاء الفكر، إذ الإنسان يفكر باللغة التي يتقنها ويتأثر فكره وسلوكه وخلقه بأسلوبها وآدابها وجمالياتها، إنها فكر وأدب وخلق وقيم إنسانية وحضارية، والانتصار للغة العربية لا يقتصر على مقال ينشر هنا، أو جمعية تنشأ هناك، أو قرار يصدر أو شعار يرفع، بل الأمر يستدعي أولا الوعي بخطورة الوضع وضرره، وضرورة إعادة اللغة إلى وضعها العالمي القديم وإلباسها لبوس العلوم الحديثة، لتصبح لغة للاقتصاد والطب وغيرهما، وهو ما يستدعي خلق منظومة معرفية متكاملة من مناهج دراسية وخطاب عام، منظومة توائم مقتضيات العصر وبأسلوب علمي يضاف إلى أسلوب اللغة الشعري والنثري.

دعوة للاعتناء بلغتنا الأم

الانتصار للعربية يكون عبر ما ينتجه أبناؤها ويقدمونه إلى الإنسانية من خطاب وأدب وإنجاز في جميع العلوم والفنون، فصاحب الإبداع والابتكار له الحق الحصري في نحت مسمى إبداعه باللغة التي يريد، وهذا عين ما فعله الغرب، الذي ألزم غيره بتعلم لغته ليعرف كيف يستفيد مما أبدعه، إذ إن إتقان اللغة الأم هو مكمن القوة والعامل الأساسي في صنع مستقبل زاهر وآمن، والحافز الأول للإبداع، والمعين الجوهري والسند المتين في اكتساب العلوم والمعارف.. وهذا ما انتهجته دول رائدة وأمم وحضارات قامت من الركام لتنافس على المقدمة وتحتل الريادة في مجالات كثيرة، بعدما التزمت في مناهج تعليمها وخطابها العام والرسمي لغتها الأم، وهذا عين ما أوصت به منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) أثناء تخليدها لليوم العالمي للغة الأم في ٢١ فبراير ٢٠١٦م، وهو فحوى خطاب المديرة العامة لـ «اليونسكو» سابقا إيرينا بوكوفا: «يجب علينا الإقرار بهذه القوة الكامنة في اللغات الأم وتعزيزها كي لا يتخلف أحد عن الركب، ومن أجل

صنع مستقبل أكثر عدلا واستدامة للجميع. إن اللغات هي الأدوات الأقوى التي تحفظ وتطور تراثنا الملموس وغير الملموس، لن تساعد فقط كل التحركات الرامية إلى تعزيز نشر الألسن الأم على تشجيع التعدد اللغوي وثقافة تعدد اللغات، وإنما ستشجع أيضا على تطوير وعي أكمل للتقاليد اللغوية والثقافية في كل أنحاء العالم، كما ستلهم في تحقيق التضامن المبني على التفاهم والتسامح والحوار، وتحظى اللغات بثقل استراتيجي مهم في حياة البشر والكوكب بوصفها من المقومات الجوهرية اللغوية وركيزة أساسية في الاتصال والاندماج الاجتماعي والتعليم والتنمية، ومع ذلك فهي تتعرض جراء العولمة إلى تهديد متزايد أو إلى الاندثار كليا».

العربية من الدين

ومن هيبة لغتنا العربية وجلالها أنها تسير في قافلة الدين؛ تحل معه أينما حل ولا تنفصل عنه أو تنفك، إذ زامن نزول الوحي إدراك العرب الأول مدلول الخطاب القرآني، فرسخ في وجدانهم؛ من آمن منهم ومن كفر، أن العربية من الدين.. ومن جمالها وألقها اكتساؤها من الإسلام عالميته، فقد أرسل محمد ﷺ بخاتم الرسالات إلى العالمين، كما ألبسها القرآن ثوب الخلود، إذ أودع الله فيها من الروافد والطرائق ما يغذيها ويسمح لها بالتوليد والتوالد، كالقياس، والاشتقاق، والنحت، والتعريب.. وغيرها، وليس أدل على ذلك من بقائها حية دونا عن أخواتها الكنعانية والفينيقية والعبرية والآرامية والنبطية والبابلية والكلدانية والسريانية والهيروغلوفية والحبشية.

وإتقانها إذعان للإسلام

واليوم نجد مدعي ثقافة يخوضون في قضايا العقيدة دون أن يتخذوا من دروع العربية جنة وحصنا يستترون بهما من زيغ الاعتقاد، فيأتون من ضعفهم اللغوي وتصيبهم سهام اعوجاج ألسنتهم وانحرافها فيهلكون.. وهذا ما جعل الجاحظ يسخر أدوات البلاغة للرد على الأفهام الخاطئة؛ لأن الجهل بفنون البيان يوقع في زيغ الاعتقاد، كما فطن ابن جني إلى ذلك أيضا، فعقد بابا فيما تؤمنه العربية من زيغ الاعتقادات الدينية، وعده من أشرف الأبواب، إذ رأى أن أكثر من ضل عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة، إذ لو كان لهم أنس بها أو تصرف فيها، أو مزاولة لها لحمتهم السعادة بها مما صاروا إليه من الشقاوة بالبعد عنها.

ويبطل التعصب

كما إن إتقان العربية والعلم بها يبطلان التعصب، فاتساعها يجعل النص أو الدليل حمال أوجه تسيغها اللغة ولا تأباها، وتسعها مذاهب العرب وترضاها، ومع ذلك يرفضها الجاهل باللغة ويحاربها، وشتان بين جاهل وعالم، يقول ابن الأنباري: «إن الأئمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرط في رتبة الاجتهاد، وأن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم النحو، فيعرف به المعاني التي لا سبيل لمعرفتها بغيره. فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه، لا تتم إلا به».

ويقول الشاطبي، رحمه الله: «إن هذه الشريعة المباركة عربية، فمن أراد تفهمها فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمها من غير هذه الجهة».

وإذا صادفت لغة القرآن أفئدة عطشى للحق، اهتزت وربت وسرت فيها الحياة مسرى الماء في العود الأخضر، فيحييها الذي يحيي الموتى، فتذعن للإسلام، ولذا كان العلم باللغة العربية وسيلة قوية لنشر الإسلام؛ لأن الفهم عن الله ورسوله لا بد أن يكون فهما صحيحا ليؤتي ثمرته، ووسيلة تلك الغاية النبيلة العلم باللغة العربية، لذا شدد العلماء النكير على من فسر القرآن وهو جاهل بلغة العرب، يقول مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالما بلغة العرب».

ويقول ابن الأثير، رحمه الله: «معرفة اللغة والإعراب هما أصل لمعرفة الحديث وغيره، لورود الشريعة المطهرة بلسان العرب». ويقول شيخ الإسلام: «إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، لأن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

وقال مالك، رحمه الله: «من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه»، وقال الشافعي رحمه الله: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، ومن التسبيح، والتشهد وغير ذلك».. وكل ما سبق ذكره يدعو أمة العرب والإسلام إلى العناية بلغة القرآن الكريم.

ضوابط النشر



حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.



أحمد سليم عوض
باحث في التاريخ



المخطوطات العربية الإسلامية.. سياحة تراثية ذات إبداع وجمال

تعنى الدراسة الراهنة بأهمية المخطوطات ونشاتها وأنواعها، وكيف أنها المصادر الأولية للمعلومات، التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ، بينما فروعها باسقة إلى مشارف العصر الحديث، فهناك مخطوطات عربية، في مختلف فنون المعرفة في متاحف العالم، ومن ثم فهي كنز من كنوز الأمة الإسلامية. وهي في دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة، ومعهد المخطوطات العربية ومتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

وكانت نشأة المخطوطات مع بداية عصر التدوين، وظهور العلماء المجتهدين الذين سعوا إلى تدوين العلوم على اختلافها، فلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وزاد احتياج العلم والعلماء كان لابد من طريقة لحفظه ونشره، وأول العلوم التي انتشرت في تلك الفترة السنة وفقه الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم-، وكان أعظم ما ميز تلك الفترة ظهور الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، واشتدت الحاجة إلى تدوين العلوم المأخوذة عنهم وفتاويهم وآرائهم، واشتدت الحاجة أيضا إلى علوم اللغة العربية التي هي من دعائم علوم الدين، فكان تدوين النحو والصرف والبلاغة، وكذلك اللغة والحساب، ومع تصنيع الورق في بغداد، وسهولة الحصول عليه وتداوله، ظهرت صناعة الوراقة، وتفرغ لها قوم عرفوا في التراث العربي باسم الوراقين، وكان يمارسها - إلى جانب هؤلاء المحترفين - عدد كبير من العلماء والأدباء والنحاة.

وفي العناية بالمخطوطات وتحقيقها إثراء للمكتبة العربية واطلاع القارئ العربي على تلك الكنوز المعرفية، وعلى حضارات خلت، وبيئات فكرية كان فيها ذلك النتاج الفكري الرائع).

أنواع المخطوطات

تقسم المخطوطات في المتاحف والمكتبات عادة إلى:

المخطوطات التي بخطوط مؤلفيها والمنقولة عن نسخة المؤلف والتي بخطوط العلماء والخزائنية والمؤرخة والموقوفة المخطوطات (المصورة) المزينة والمخطوطات النادرة والفريدة أو الوحيدة والمبتور أو الناقص والمخطوط الذي على شكل مجاميع والمخطوط الهجين.

اما: المخطوطات التي بخطوط مؤلفيها فيطلق على هذا النوع من المخطوطات اسم: (المخطوط الأم)، يعنون به المخطوط الذي بخط المؤلف وهو قيم جدا حيث يعد النسخة الأصلية، ويندرج تحت هذا النوع المسودات والمبيضات والإبرازة.

أما المخطوطات المنقولة عن نسخة المؤلف: أي نقلها النساخ عن نسخة كتبها المؤلف بخطه، أو عليها خطه، أو قرءت عليه، أو طالعها بعض العلماء، وقوبلت على نسخ معتبرة، ثم إن بعض النسخ تستمد قيمتها من أنها بخط عالم شهير أو تملكها أحد العلماء، أو تداولها أكثر من عالم واحد، ووجدت عليها سماعات أو قراءات أو إجازات.

ومن أمثلة ذلك:

١ - نسخة كتاب: «الجليس الصالح والأنيس الناصح»، لسبط بن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ- ١٢٥٦م)، في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم: (٢٦٢٢)، (معهد الخطوط العربية رقم: ١٧١أدب).

- نسخة كتاب: «نزهة الأمم في العجائب والحكم»، لابن إياس بن أحمد الحنفي (ت: ٩٣٠هـ -١٥٢٣م)، (المحفوظ في مكتبة آيا صوفيا باستانبول برقم: ٣٥٠٠).

المخطوطات التي بخطوط العلماء: أي المخطوط الذي نسخه أحد العلماء، ويكون غالبا عن نسخة المؤلف، لاستخدامه الشخصي، ويكون هو المالك الأول لتلك النسخة مثال ذلك: نسخة من



كتاب: «تفسير غريب الحديث» للهروي (ت ٣٢٣هـ).

أما المخطوطات الخزائنية فقد كانت المخطوطات العربية على امتداد التاريخ الإسلامي تكتب وتنسخ لأغراض عدة، ومنها الكتب التي يطلب السلاطين والملوك والأمراء وكبار العلماء كتابة نسخ منها لهم؛ ليضعوها في خزائن كتبهم الخاصة، فتكتب تلك النسخ بخط منسوب ويزين الغلاف بأشكال زخرفية أو بالذهب وبالألوان، ويطلق عليها اسم: «النسخ أو المخطوطات الخزائنية»، وتثبت عليها إحدى الصيغ الآتية:

«لخزانة....» أو «ألجل........» أو «برسم لخزانة.........» أو«برسم خزانة......» أو «بإشارة.........» «حسب إشارة........» أو «حسب أمر......»

وتنقسم المخطوطات الخزائنية إلى:

أ- النسخ المكتوبة لخزائن العلماء.

ب- النسخ المكتوبة لخزائن الملوك والأمراء والسلاطين.

أ- النسخ المكتوبة لخزائن العلماء: ومنها نسخة كتاب: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ت: ٤٣٠هـ- ١٠٣٨م) وفيها: «كتبه أحمد بن علي بن سعد هللا البيع لخزانة الشيخ الأجل الحافظ الأوحد جمال الدين ناصر السنة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - أدام الله تأييده وتسديده- في سنة: ثمان وخمسين وخمسمائة»، المحفوظة في مكتبة الفاتح بإستانبول برقم: (٤٣٢٩).

ت- النسخ المكتوبة لخزائن الملوك والأمراء والسلاطين: ومن أمثلتها ذلك:

١- «تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء» لمرضي بن علي بن مرضي الطرسوسي (ت: ٥٨٩هـ-١١٩٤م) الذي ألفه لخزانة السلطان الناصر صالح الدين يوسف بن أيوب، وهي نسخة خزائنية نفيسة، هي الأصل المقدم لخزانة صالح الدين وكتبت عناوينها وعلامات الترقيم بها بالذهب، وهي مليئة بالرسو م والأشكال التوضيحية للآلات المستخدمة في الحروب، والنسخة محفوظة في مكتبة بودليان بجامعة اكسفورد (الطرسوسي).

٢-نسخة كتاب: «التكملة والذيل والصلة» للصاغاني (ت: ٦٥٠هـ - ١٢٥٢م)، ومكتوب فيها: «برسم الخزانة الشريفة العالية المولوية المالكية المخدومية السيفية صرغتمش، رأس نوبة - أعز الله أنصاره - خدمة المملوك عبد الملك بن عبد الكريم القرشي» المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم: (٣ لغة).

٣- «مصحف بيبرس الجاشنكير» ومكتوب عليه: «أمر بكتابة هذا السبع الشريف وإخوته، المقر الكريم العالي المولوي المخدومي الركني أعز الله نصره- أستاذ الدار العالية، وكتبه محمد بن الوحيد، حامدا الله تعالى ومصليا على نبيه محمد وآله وصحبه ومسلما، وفرغ منها بأسرها في سنة خمس وسبعمئة» محفوظ في المتحف البريطاني برقم: (١٣).

٤- ونسخة كتاب: «كامل الصناعتين البيطرة والزردقة»، للناصري بدر الدين أبي بكر بن المنذر البيطار (ت:٧٤١هـ-١٣٤٠م)، أحد البياطرة بإصطبلات الملك الناصر محمد بن قلاوون، وألفه لخزانته، يقول: «كتبت لخزانة الملك الجليل السلطان الأعظم الملك الناصر محمد رحمه الله تعالى»، والنسخة محفوظة بدار الكتب المصرية.

اما المخطوطات المزينة المصورة فقد وصل إلينا عدد قليل من المخطوطات العربية المزينة بالصور، والمنمنمات التي تزين صفحات المخطوطات وترسم صورة لفن التصوير الاسلامي في مختلف العصور فنجد:

- الكتب الأدبية: من أولى المخطوطات التي تشير إلى اعتناء المسلمين بتزويق المخطوطات منذ القرون الأولى للإسلام، ومن أوضح النصوص إلى هذا ما جاء في مقدمة الترجمة العربية لكتاب «كليلة ودمنة»- وهي مجموعة قصص هندية قديمة على لسان الحيوان تنسب إلى بيدبا الفيلسوف، نقلها إلى العربية عبد الله بن المقفع في أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، عام: (٣٣١هـ-٧٥١م)، وكانت تحتوي على منمنمات

تأثر بها النص العربي، يقول المقفع في المقدمة: «ينبغي للناظر في كتابنا هذا ألا تكون غايته التصفح لتزاويقه»، وأن الغرض من الكتاب هو: «إظهار خيالات الحيوان بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنسب لقلوب الملوك، وليكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور» (ابن المقفع، ٢٠٠٥، ص: ٤٥) غير أنها لم يصل إلينا من نسخ الكتاب المزينة بالصور شيء منها إلى ما قبل القرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي.

ومن أشهر الكتب الأدبية التي عني بها الفنان المسلم بتزويقها، كتاب «المقامات» لأبي محمد القاسم بن علي (ت: ٥١٦هـ – ١١٢٢م)، الذي أهداه إلى أنوشروان بن خالد، وزير السلطان محمود بن ملكشاة السلجوقي (ت: ٥٣٢هـ- ١١٣٧م).

– في الموسوعات: كتاب «الحيوان» للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ- ٨٦٨م) وتحتوي مخطوطته على اثتين وثالثين منمنمة، ملونة بالأبيض والأحمر والأزرق والأصفر والأخضر والأسود والبرتقالي والبنفسجي والذهبي، وهي توضح ما ورد في كتاب الحيوان عن الإنسان والحيوان والطير، ونجد رسومها وحدها أو مصحوبة برسوم أشجار أو مياه أو صخور أو عمائر، وفي هذه الصورة شرح ساعات الحَضن للحَمَام وأشكال البيض فما كان منه مستطيلًا محدد الأطراف فهو للإناث وما كان مستديرا عريض الأطراف فهو للذكور، محفوظة بمكتبة أمبروزيانا بإيطاليا.

– في علم التاريخ: نسخة «سورنامة» لسيد لقمان بن سيد الأرموي من عصر السلطان مراد الثالث، وقد عرف هذا المخطوط باسم «كتاب الاحتفالات»، وهو أول الكتب التي تصور حفلات الختان، التي أولاها العثمانيون اهتماما كبيرا. ويعرض الاحتفالات بختان الأمير محمد بن السلطان مراد الثالث، التي استمرت حوالي اثين وخمسين يوما وليلة، وتضمنت تلك الاحتفالات عروض طوائف الحرف وأصحابها يعرضون صناعاتهم وبضاعتهم، أمام السلطان مراد الثالث، على مركبات خاصة بكل طائفة).

❖ المخطوطات العلمية: كان كثير من الكتب العلمية: يشتمل – بحكم موضوعه- على تصاوير علمية بحتة لا مجال فيها للإبداع الفني، وقد لا تحتوي على رسوم آدمية أو حيوانية، مثل بعض كتب النبات والجغرافيا والهندسة، ومع ذلك تضم بعض هذه الكتب تصاوير فنية إلى جانب أهميتها العلمية بسبب اشتمالها على رسوم آدمية وحيوانية والقصد من تلك الرسوم تفسير نصوص الكتاب وشرحها وتوضيحها دون زيادة أو تزويق فإنها كانت جزأ لا يتجزأ من سياق النصوص، ومن ثم كانت في كثير من الأحيان تنقل نقلا يكاد يكون تاما من النسخ الأصلية، وتتشابه صور الموضوع الواحد في المخطوطات المختلفة تشابه دون اختلاف كبير على الرغم من طول الزمن الذي يفصل بينها واختلاف الأقطار التي صورت فيها.

-علم الطب: نسخة كتاب: «التصريف لمن عجز عن التأليف» لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت: ٤٢٧هـ – ١٠٣٦م)، ويتكون من ثلاثين مقالة، وكل مقالة موضحة برسوم آلات الجراحة، تمثل مباضع ومناشير ومجارد ومقاطع، معهد المخطوطات العربية رقم: (٥٧ طب).

– الطب البيطري: ومنه كتاب «مختصر البيطرة» لأحمد بن الحسن بن الأحنف (ت: القرن ٧هـ-١٣م) وتضم المخطوطات تسعه وثلاثين منمنمة، تشتمل على صور خيل وآدميين، توضح أمراض الخيل وطرق علاجها، وهي بخط علي بن حسن بن هبة الله، كتبها في بغداد في آخر رمضان سنة: (٦٠٥هـ- مارس ١٢٠٩م)، محفوظة في دار الكتب المصرية برقم: (٨ طب خليل اغا).

– علم الحيوان: نسخة كتاب: «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزويني (ت: بعد سنة ٦٨٢هـ- ١٢٨٣م)، وهو يشتمل على صور ملونة عدة محفوظة بمكتبة نور العثمانية بإستانبول رقم: (٣٠٢٧).

-في علم النبات: نسخة كتاب: «الأدوية المفردة» للغافقي من علماء القرن السادس الهجري، اشتهر بمعرفته الجيدة بالنباتات، وأنه وصفها في كتبه أحسن وصف، محفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقم: (٣٩٠٧).

❖ وفي علم الجغرافيا: كتاب: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري (ت: ٩٤٧هـــ-١٣٤٨م)، ونقصد هنا الجزء العشرين والجزء الحادي والعشرين تحديدا – والكتاب مكون من سبعة وعشرين مجلدا، وهو موسوعة شاملة عنى العالم العربي والإسلامي حتى القرن الثامن الهجري (عصر المؤلف)، وفيه ما فيه من الجغرافيا والتاريخ والتراجم، ويشتمل أيضا على كلام المعادن والحيوان ودارسة الأديان والفرق والمذاهب، وتدخل هذه الموسوعة في نطاق كتب (المسالك والممالك) وهو نوع من التآليف أقرب ما يكون إلى الجغرافيا الوصفية، والجزء الخاص بالنبات يحتوي على أشكال ما وردت في الكتاب من النبات وبه صور ملونه لا انواعه، وهي نسخة جيدة، مشكولة كتبت بقلم نسخي سنة: (٧٧٦هــ)، وبها آثار رطوبة وخروم، ومرممة، وبآخرها تملك مؤرخ بسنة: (١٢٢٩م)، محفوظة في مكتبة البلدية برقم: (٥٥٣٣).

– وفي علم الفروسية: كتاب: «نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية» تأليف الفارس نجم الدين محمد بن عيسى بن إسماعيل الحنفي الأقسرائي (ت: في حدود ٧٥٠هــ – ١٣٤٩م)، ومنها نسخة خزائنية كتبت برسم ملك موالنا السيفي جاني بك الناصري الظاهري، موضحة بالصور

والأشكال (مكتبة الشرق الأوسط الرقمية).

وفي الآلات الحربية: كتاب «العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالآت الحروب والمدافع» وهو كتاب ألفه بالأعجمية الرئيس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمود بن زكريا الأندلسي المشهور بالرتف (ت: ١٠٥٥هـ - ١٦٤٥م) ونقله إلى العربية أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه ابن الحجري الأندلسي ترجمان سلاطين مراكش، وفي النسخة أشكال كثيرة للمدافع وبعض المواقع الحربية. محفوظة في المكتبة التيمورية بدار الكتب برقم: (٨٦ فروسية).

- وفي علم الفلك: أهم كتب الفلك المشملة على صور توضيحية كتاب «صور الكواكب » لأبي الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي (ت: ٣٧٦هـ-٩٨٦م)، صور فيه الكواكب مرسومة بالألوان ومواقعها في الفلك، ثم صورها بأشكالها. محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم: (٩ ميقات فارسي)، كتبت سنة: (١٠٤٣هـ).

- وفي علم الميكانيكا: نسخة كتاب «الكواكب الدرية في وضع البنكامات الدورية» لتقي الدين محمد المعروف بالراصد (ت: ٩٩٣هـ-١٥٨٥م)، وتناول فيها أو ل ساعة فلكية تدار بقوة الينابع، وتعتبر من أوائل الساعات الميكانيكية، وابتكر أولى ساعات الجيب وذلك بعد فترة زمنية قصيرة.

أما المخطوطات النادرة: هناك معايير لوضع المخطوطات في هذا الحقل، منها: عمر المخطوط، فيعد نادرا ما كان قديما وبحالة جيدة، وقلة النسخ المتاحة؛ فقلتها تزيد من قيمة الكتاب، وإن كان عدد النسخ في ذاته لا يكفي لعد الكتاب نادرا أو قيما، بل موضوع الكتاب وأهميته في المجال الذي صنف فيه وحالة المخطوط معيار مهم في تحديد قيمته ونعني بها ما إذا كان مكتملا أم ناقصا ومظهره الخارجي، أعني جودة الغلاف وخلوه من عالمات التخزين وألا ينقص من الكتاب الغلاف أو بعض الصفحات، ثم أن تكون النسخة بخط المؤلف، وتزيد قيمة المخطوط أيضا وتعليقات بخط شخصية مهمة، أو يحتوي على رسومات، أو كان مخطوط كتب على ورق البردي أو الرق.

مثال ذلك:

١ - نسخة من مخطوط: «نهاية السول» تعود إلى العصر المملوكي (القرن ٩هـ/١٥م) بها صورة رجلين في أثناء التدريب على لعبة التحطيب، بينما يقف رجل ثالث إلى يسارهما ربما كان المدرب الذي يقوم يوجههما ويحكم بينهما، وتعكس هذه التصاوير طبيعة ذلك النوع من الألعاب التي كانت رائجة بين فئات الشعب المختلفة آنذاك، ظهر كذلك مدى براعة المصور في التعبير عن التنوع في حسن الرجال وملابسهم، وتحمل الورقة كتابات بخط النسخ، تشرح الأصول والقواعد التي كانت متبعة في تلك الألعاب، وفي أول الصفحة عنوان بخط النسخ وبالمداد الأحمر نصه: «باب كسر العمود والخالص منه»، النسخة محفوظة بمتحف الفن الإسلامي تحت رقم: (١٨٠١٩).

٢ -كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي (ت: ٥٥٩هـ-١١٦٦م)، ومنه نسخة نفيسة نادرة، تتخللها عشرون خريطة، وبصفحة العنوان إطاران مجدوالن بماء الذهب، وبينهما حلية مذهبة، كتب بداخلها العنوان بماء الذهب، وتاريخ النسخ سنة: (٧٤٨هـ)، محفوظة بدار الكتب المصرية رقم: (١٥جغرافيا).

٣ -كتاب «ديوان نوائي»، وكان نوائي عالما، ووزيرا للسلطان التيموري ورساما (ت: ٩١٣هـ- ١٥٠٧م) في هراة، بل هو صاحب الفضل الأول في النهضة الحضارية في هراة، وفي فنون الكتابة والعمارة. وتتجلى قدرة نوائي الشعرية في عدد من الدواوين المكتوبة، وهذه نسخة خزائنية نفيسة من ديوانه. وهو مخطوط نادر، كتب في دائرة بالذهب، وهو بمثابة الفهرس لما يحتويه الديوان من غزليات ومثنويات وقصائد ومقطعات وغيرها. وبالورقتين الأولى والثانية صورة لمجلس ملك، محفوظ بدار الكتب المصرية اللوحة (٢٧).

٤- كتاب «خالصة التشريح» لعبد القادر الدمشقي، ويتناول فيه مؤلفه أهم أعضاء جسم الإنسان، وهذه هي النسخة الوحيدة من الكتاب محفوظة بمكتبة الأسد الوطنية بسوريا برقم: (١٠٤٦).

المصادر والمراجع

-المخطوطات العربية الإسلامية كمصدر للتراث د.هبة الله عبد الفتاح، المجلة العلمية لكلية السياحة والفنادق جامعه مطروح العدد: (١٨).
- ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ): عيون التواريخ، تحقيق نبيلة عبد المنعم & فيصل السامر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، (١٩٨٤م).
- ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة (٢٠١١م).
- ابن الأنباري (ت٥٧٧هـ): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (١٩٩٨م).
- ابن إياس (ت ٩٣٠هـ): نزهة الأمم في العجائب والحكم، تقديم محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩٥م).
- ابن أيبك الدواداري (ت ٧٣٦هـ): كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت، القاهرة، (١٩٦٠م).
- بيديا: كليلة ودمنة، نقله إلى العربية ابن المقفع، مكتبة زهران، القاهرة، (٢٠٠٥م).
- البلاذري (ت ٢٧٩هـ): فتوح البلدان، نشر صالح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (١٩٥٦م).
- الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الحلبي، القاهرة، (١٩٥٠م).
- ابن جلجل (ت ٣٣٢هـ): طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، (١٩٥٥م).

د.آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي



أجمل اللغات.. سامحينا

لغتي العربية أجمل اللغات في جمالك هامت أفئدة، وبسحرك تاهت عقول، وبحبك ذابت قلوب، ولروعة جمالك حارت مهج، كيف لا وبكلماتك أنزل الدين القويم، وبروعة بلاغتك اختارك العلي الحكيم لينزل بك كتابه الخالد القويم القرآن العظيم، ولروعة ألفاظك تستهيم الأفئدة وتحار الألباب، سبحان من جعلك لغة الخلود ولغة كل العصور والأزمنة؛ بل ولغة أهل الجنة.

من أعماقك ارتوت كثير من اللغات، وبسحر كلماتك نظمت القصائد والأشعار، وبجمال لفظك الأخاذ جمعت جوامع الكلم لرسولنا العظيم، فدامت الأحاديث النبوية عبر العصور وخلدت بكلماتك المعبرة العظيمة شريعة الله الخالدة الخاتمة للشرائع، فلا لغة تضاهيك جمالا! ولا لغة تنافسك كما ولا نوعا ولا تألقا، فكم بك من مفردات ومترادفات لا تنتهي! ومن سحر البيان والبديع تألقت باستعارات وكنايات وتشبيهات وتصريحات وتلميحات وأشعار خلابة ونثر وأحاديث نبوية وقدسية وآيات عظيمة في محكم التنزيل، وتنزيل من حكيم عليم مجيد.

ولكن مع كل هذا الجمال والتقدير من خالق الكون لك إلا أن أبناءك اليوم لا يعرفون قدرك، ولا يقدرون تلك المكانة لك، وتلك العظمة والعراقة والروعة التي تتمتعين بها، بل ويهجرونك ويبتعدون عنك لأجل لغة أجنبية دخيلة حديثة، لا تتمتع بعشر مواصفاتك ولا تضاهيك جمالا ولا بأي حال من الأحوال، ولكنها لغة بسيطة سهلة التعلم مرادفاتها قليلة انتشرت لاعتقاد بعض من تعلمها أنها لغة العصر ولغة التطور والحداثة! رامين خلف ظهرهم مئات بل آلاف السنين من عمرك مع البشرية يا أم اللغات، وما زلت تتصدرين اللغات في العالم وفي أكثر اللغات انتشارا وتعلما وحبا للتعلم، فإن كان أبناؤك العرب قد هجروك أو زهدوا بك! فإن الله تعالى قد سخر لك من كل الشعوب المسلمة من يتعلمك ليتعلم لغة دينه وكتابه العظيم الخالد، فلا يمكن لك أن تندثري أو

تنمحي أو تضمحلي وإن أهملك أو جافاك بعض أهلك، فهذا ليس لعيب فيك، بل العيب فينا وفيمن هجرك لأنه لم يقدر روعتك ولم يتعلمك حق التعلم ولم يرشف من أعماقك ليتذوق حلاوة مذاقك، ولم يغص في أعماق بحرك الأخاذ ليستخرج منه اللآلئ المشعة؛ فكما قال الشاعر المصري حافظ إبراهيم قصيدة جميلة على لسانك يمدحك ومحذرا من هجرانك قائلا:

ولدت ولما لم أجد لعرائسي
رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
ومنكم وإن عز الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني
أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة
وكم عز أقوام بعز لغات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ينادي بوأدي في ربيع حياتي
سقى الله في بطن الجزيرة أعظما
يعز عليها أن تلين قناتي
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق
حياء بتلك الأعظم النخرات
أيهجرني قومي -عفا الله عنهم-
إلى لغة لم تتصل برواة؟!

واقع لغتنا العربية في مجتمعاتنا العربية

اليوم نرى الشعوب العربية تنجرف وراء التيار الغربي والأجنبي بكل حذافيره حلوه ومره، تستقي منه ما هب ودب، تأخذ منه الصالح والطالح والغث والثمين، بحجة أننا في عصر التطور والتكنولوجيا ووسائل التواصل المعاصرة، وأننا علينا أن نلحق الركب وأن نعيش حياتنا بكل ما تقدمه لنا الوسائل التكنولوجية، وبالانجراف مع التيار تيار الحداثة فإننا أصبحنا نقبل بالكثير من التغيير للهوية وللقيم والمبادئ والسلوكيات بل وللأخلاق والدين والتعاليم الربانية ونبدلها وفقا لهوانا، لقد فتحت علينا الدنيا بابها الكبير بمصراعيه بكل ما يتدفق منه، وكما قال رسول الله ﷺ حيث جلس ذات يوم على المنبر وجلس الصحابة حوله، فقال: «إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» (صحيح البخاري، ١٤٦٥)، وصدق رسول الله.

وقال ﷺ مخاطبا المسلمين في غنائم وصلت إليهم محذرا إياهم من الانجراف وراء الدنيا والأهواء: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما

تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم» (صحيح البخاري:٤٠١٥).
وقال ﷺ الصادق المصدوق: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» (صحيح البخاري: ٣٤٥٦). وهذا ما حدث فعلا اليوم بتقليد الغرب بكل شيء!

فهذا واقعنا اليوم نأخذ من الدنيا بنهم ودون حد الشبع، ونترك كل ما يتعلق بهويتنا وتراثنا وعقيدتنا، نلهث وراء المتعة والراحة والاستمتاع بالحياة، وتجافينا مع ديننا وقرآننا للأسف، فأصبحت مصاحفنا تزين الأرفف والمكتبات المنزلية، كثير منا لا يفتحها إلا في شهر رمضان المبارك، ويهجرها طوال العام أو يفتحها يوم الجمعة فقط لقراءة سورة الكهف.

وأصبحت مدارسنا العربية لا تبالي كثيرا بتعليم القرآن الكريم وتفسيره وكيفية التلاوة الصحيحة له، ولم تعد منهاجنا للغة العربية قوية وعميقة كما كانت في السابق، بل أصبحت بسيطة المضمون سطحية الأهداف ضعيفة التراكيب قليلة الأشعار والمحفوظات والقواعد النحوية والصرفية، فخرج اليوم جيل ضعيف في اللغة العربية، بعيد الخطى عن جمالها ودقتها وسحرها، بل جل همه وأهله تعلم اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها من اللغات ويتفاخرون بها وأهلهم! ولا يبالون بتقصيرهم في تعلم اللغة العربية كما يجب، فسامحي تقصيرنا وجهلنا يا لغتنا الجميلة! إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع لذلك الواقع المرير.

والأدهى والأمرّ أن ظهرت في بعض بلادنا العربية مدارس أجنبية لا تدرس اللغة العربية أصلا، ويتعلم بها العرب وغير العرب، فيخرج العربي منها وهو لا يعرف حتى الأحرف العربية أمي بلغته لا يعرف كيف يقرؤها أو كيف يكتبها! يا للأسى أين وصل بنا الحال من التراجع والخذلان واللهث وراء كل ما هو أجنبي؟!

أبناء العرب في الغرب

وعلى صعيد آخر، فإن الكثير من العرب أخذ أبناءه وهاجر بهم لدول أجنبيه واستقر هناك، ولكنه نسي أو تناسى لغته العربية وتعليمها لأبنائه، فظهر اليوم جيل عربي في المجتمعات الأجنبية لا يعرف كيف يتكلم لغته الأم! فلا يعرف من لغته العربية شيئا لا محادثة ولا كتابة ولا قراءة! فواقع حاله أنه أصبح أجنبيا متغربا عن نفسه ولغته وأمته وعقيدته ومتفاخرا بواقعه المؤلم حقيقة! والسؤال لذوي هؤلاء الأطفال والآباء الذين رسموا لهم هذا الطريق: من سيعلم أبناءكم دينهم؟ ومن سيعلمهم كيف يقرؤون كتابهم السماوي القرآن الكريم؟ ومن يتحمل جريرة هذا القرار الخاطئ المجحف لأبناكم؟! وكيف سينتمي أبناؤكم لأمتهم العربية بعد اليوم إن كان انتماؤهم لها يهمكم؟ وهل سيفكر أبناؤكم يوما بالعودة للعيش ببلدهم العربي الأصلي؟ بالطبع لن يفكر لأنه لا يعرف لغته ولن يستطيع التواصل مع أبناء جلدته وأقاربه وسيصبح أضحوكة أو محزنة لهم. لقد قضيتم على المستقبل الديني والعربي ليس فقط لأبنائكم بل ولأحفادكم ولأبنائهم وهلم جرا؛ حيث لم يعودوا عربا ولم يعودوا يمتون للعربية بصلة ولا بتاريخهم ولا بحاضرهم، بل يتفاخرون أنهم أصبحوا أجانب! ويالـلأسف لهذا الواقع المؤلم الذي نعيشه اليوم!

مع أن قرآننا عربي ورسولنا عربي وكان يتفاخر بأنه عربي، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «أحبوا العرب لثلاث؛ لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي» (رواه الطبراني في الكبير ورواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان). ونحن نزهد بعروبتنا ولغتنا!

إقبال الشعوب المسلمة على تعلم العربية

وإن كان واقع العرب كما ذكرنا من زهد لدى الجيل الحديث في تعلم لغته الأم كما يجب؛ إلا أن الله قادر على أن يسخر شعوبا أخرى تتعلمها لفهم دينهم وقرآنهم وأحاديث رسولهم وسيرته النبوية للاقتداء بها، فتشير الويكيبيديا إلى أن اللغة العربية هي أكثر اللغات السامية تحدثا، وأنها إحدى أكثر اللغات انتشارا في العالم اليوم، يتحدثها أكثر من ٤٦٧ مليون نسمة معظمهم في الوطن العربي، وفي العديد من المناطق الأخرى التي يتعلمون بها العربية كلغة ثانية أو ثالثة كتركيا وتشاد ومالي والسنغال وإرتيريا وإثيوبيا وجنوب السودان وإيران وباكستان وبنغلاديش وإندونيسيا وماليزيا وجزر المالديف. حيث اللغة العربية ذات أهمية قصوى لدى المسلمين، فهي لغة مقدسة لديهم لأنها لغة القرآن، وهي لغة الصلاة وأساسية للقيام بالعديد من العبادات والشعائر الإسلامية. فهي تحتل المركز الرابع من حيث اللغات الأكثر انتشارا في

العالم، وتعترف بها ٢٧ دولة كلغة رسمية، وهي اللغة الرابعة من حيث عدد المستخدمين على الإنترنت كما أظهرت استطلاعات مواقع البحث.

ويعتقد المؤرخون أن اللغة العربية هي أصل لكثير من لغات العالم، فهي كاللغة الأم لديهم استقوا منها الكثير من الكلمات والمفردات فهي ذات تأثير مباشر وغير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم كتأثيرها على اللغة التركية والفارسية والأمازيغية والكردية والأوردية والماليزية والإندونيسية والألبانية وبعض اللغات الإفريقية كالهاوسا والسواحيلية والأمهرية والصومالية، وبعض اللغات الأوروبية كالإسبانية والبرتغالية والمالطية والصقلية؛ وأيضا دخلت الكثير من مصطلحاتها في اللغة الإنجليزية واللغات الأخرى (كما تشير الويكيبيديا وغيرها من الموسوعات).

فلغتنا العربية وبحمد الله لغة جاذبة للشعوب الأخرى لتعلمها، فبالإضافة للدول التي ذكرنا تشهد هذه الأيام إقبالا لدى الصينيين والكوريين واليابانيين لتعلم العربية بشكل غير مسبوق، ويرسلون البعثات إلى البلاد العربية لتعلم اللغة العربية في محاضنها وبين أبنائها.

لغتنا العربية لغة التواصل الطيب ولغة الخلود

لغتنا العربية لغة الكلام الطيب الحسن الجميل والأنيق، وتحمل في جنباتها الكثير من كلمات الحب والود والتسامح والطيبة والرحمة في داخل طياتها ومترادفاتها، ولم توجد لغة تتضمن الكم الكبير من المترادفات للمعنى الواحد كاللغة العربية لغزارتها، ولا أحد مهما أتقنها يعرف كل مترادفاتها، وإلا لما ألفت المعاجم العربية كلسان العرب والمعجم الوسيط وغيرهما، فهي لغة غزيرة لا تنضب وتتقبل التطور ودخول الكلمات المستحدثة عليها فهي لغة مرنة، ولكن علينا إعادتها إلى مدارسنا بقوة، قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ (مريم:١٢).

فعلينا أن نستعيد رونقها لدى أبنائها العرب ومنذ الصغر من خلال مناهج تعليم قوية كما كانت سابقا تعلم اللغة بنحوها وصرفها وعروضها وأشعارها ونصوصها الأدبية وتاريخها وأحاديث نبيها العظيم وبقرآنها الكريم وبعلومها المختلفة، فعندما كنا أقوياء باللغة العربية كنا عظماء في كل العلوم والمجالات والأصعدة، وعندما زهدنا بلغتنا ضعفنا بكل المجالات وضاعت هيبتنا وهويتنا العربية الحقيقية.

فإحياء لغتنا العربية يبدأ من أنفسنا وينبع من ذاتنا ومن اعتقادنا أنها أجمل وأعظم اللغات، كيف لا وهي لغة رسولنا الحبيب والصحابة الكرام العظماء ولسان أهل الجنة فهم الخالدون وهي لغة الخلود، ولغة النور المبين ميزها الخالق الجليل للأكوان واختارها للرسالة السماوية الخاتمة ولكتابه الخالد، فكيف لا نميزها نحن ونتفاخر بها وبأننا عرب ونبينا عربي، فهيا لنزرع الحب للغتنا العربية والتقدير لها والاعتزاز بها والتفاخر بها في نفوس أبنائنا وفي نفوسنا أولا وأخيرا لنعود خير أمة اصطفاها الله تعالى منذ أن خلق البشرية.



عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

تحديات تواجه اللغة العربية

تحديات كثيرة تواجه اللغة العربية في ظل التداخل الثقافي والحضاري بين الشعوب والمجتمعات المختلفة.

ولا يمكن تجاهل المؤثرات السلبية الناشئة عن هذا التداخل، والتي أصبحت تحيط باللغة العربية من كل جانب، ما يشكل خطرا على بقائها وانتشارها وقوتها.

وإذا أردنا الحفاظ على لغتنا الجميلة يجب الوقوف على ما يهدد هذه اللغة من عوامل تؤثر على بقائها وتضعف انتشارها وتواجدها بين لغات العالم المختلفة.

ومن أكثر الأمور السلبية التي باتت تؤثر في اللغة العربية انتشار اللهجات العامية والمحلية وتنامي استخداماتها في وسائل الإعلام ولغة الكتابة وفي كل المجالات المختلفة، وهذا يؤدي مع الوقت الى تراجع مفردات اللغة العربية. كذلك إهمال الإعراب والتحدث بعبارات وجمل خالية من الضبط والإعراب، فضلا عن الضعف في استخدام التعبير وعدم الحرص على إبراز اللغة وصياغة الجمل المناسبة للتعبير عن الأفكار.

ومن العوامل المؤثرة على اللغة: استسهال الكتابة بالرموز والصور والحروف غير العربية، خصوصا مع انتشار شبكات التواصل الاجتماعي والتطبيقات الحديثة، إضافة إلى استخدام الكلمات الأجنبية بكثرة وإدخالها ضمن الكلام العربي، اعتقادا من البعض أن ذلك دليل ثقافة وسعة اطلاع ومعرفة.

كذلك تأثير الإعلام على اللغة العربية، لأن غالبية الأعمال والبرامج تستخدم اللهجات العامية والمحلية، ونادرا ما تكون هناك برامج إعلامية مادة لغتها الأساسية الفصحى. وهذا التركيز الإعلامي الموجه نحو جمهور المتابعين يؤثر في المتلقي، ويؤدي إلى اختلاط شديد بين العامية والفصحى حتى تراجعت اللغة العربية واستخداماتها اليومية.

لكن مهما كانت المؤثرات الخارجية قوية فإن بالإمكان الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها من التأثيرات السلبية، عبر اتباع مجموعة من الإجراءات التي تتطلب تعاون وتضافر جميع الجهود من أجل صيانة لغتنا الجميلة.

أول هذه الإجراءات مرتبطة في البيت والأسرة والمدرسة، باعتبار أنهم المصدر الأول في تعليم الأطفال اللغة السليمة.

وكلما قامت الأسرة بواجباتها تجاه توجيه الطفل نحو التحدث باللغة العربية والاعتزاز بهويته ولغته وتزويده بالكتب والمطبوعات التي تنمي فيه حب الثقافة واللغة، فضلا عن تقليل متابعته لأجهزة التلفاز ووسائل الأعلام المختلفة، فإنها تكون عززت اللغة لدى الجيل الجديد.

كذلك يجب الاهتمام بقواعد اللغة والنحو وعدم التساهل في هذا الامر، فضلا عن تفعيل دور وسائل الإعلام بالتركيز على استخدام اللغة العربية في البرامج المختلفة، وبث الأعمال التي تستخدم الفصحى لتعزيز مصادر تعلم اللغة، إضافة إلى نشر الوعي بأهمية القراءة وضرورة المداومة عليها. فضلا عن الحرص على قراءة القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)



د. رمضان فوزي بديني
دكتوراه في اللغة العربية



إفادة الواو التشريك في المعنى

من الوظائف التي تفيدها حروف العطف «التشريك»، لكنها تنقسم في هذا المجال قسمين: القسم الأول: ما يقتضي التشريك في اللفظ والمعنى مثل: الواو، والفاء، وثم، وحتى، وأو، وأم، لكن يشترط في «أو» و«أم» ألا يفيدا الإضراب، والقسم الثاني: ما يقتضي التشريك في اللفظ فقط، وهو: بل، ولكن، ولا.

ولكل حرف من هذ الحروف أحكام أكثر تفصيلا، أكتفي هنا بالحديث عن حرف «الواو» -موضوع الدرس والبحث في هذا المقال- في حالة عطفه المفرد على المفرد، وفي حالة عطفه الجمل على الجمل.

ففي حالة عطفه المفرد ينقسم قسمين؛ هما: الواو الجامعة المشركة والواو الجامعة غير المشركة؛ فالأول هو الأكثر مثل «قام زيد وعمرو»؛ لأنك لو قلت: «قام زيد وقام عمرو»؛ جاز، فشركت بالواو بينهما في إسناد الفعل إليهما.

ومثال الثاني قول القائل: «اختصم زيد وعمرو»، مما لا يكون الفعل فيه إلا للاثنين؛ فهي جامعة ولم تشرك الفعل في إسناده إلى كل واحد منهما بمفرده؛ إذ لو قلت: «اختصم زيد واختصم عمرو» لم يصح، وكذلك إذا قلت: «هذان زيد وعمرو»؛ فالواو فيه جامعة غير مشركة؛ لأنه لا يصح: هذان زيد هذان عمر؛ إذ لا يخبر عن الاثنين بواحد بخلاف: هذان ضاحكان، وهذان قائمان[1].

وفي عطف الجمل جعلها بعضهم على ضربين أيضا:

أحدهما: أن يكون للجملة المعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد، وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهرا والإشراك بها في الحكم موجودا.

والذي يشكل أمره: هو الضرب الثاني، وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى، كقولك: «زيد قائم وعمرو قاعد»، و«العلم حسن والجهل قبيح»، لا سبيل لنا أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه، وإذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمغزى منه، ولم لم يستو الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف فتقول: «زيد قائم، عمرو قاعد» بعد ألا يكون هنا أمر معقول يؤتى بالعاطف ليشرك بين الأولى والثانية فيه؟[2].

ثم يفسر سبب هذا الإشكال قائلا: «واعلم أنه إنما يعرض الإشكال في (الواو) دون غيرها من حروف العطف،

وذاك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني مثل أن «الفاء» توجب الترتيب من غير تراخ، و«ثم» توجبه مع تراخ، و«أو» تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه. فإذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة، فإذا قلت: (أعطاني فشكرته)، ظهر بالفاء أن الشكر كان معقبا على العطاء ومسببا عنه، وإذا قلت: (خرجت ثم خرج زيد) أفادت (ثم) أن خروجه كان بعد خروجك، وأن مهلة وقعت بينهما، وإذا قلت: (يعطيك أو يكسوك) دلت (أو) على أنه يفعل واحدا منهما لا بعينه.

وليس للواو معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعت فيه الثاني الأول، فإذا قلت: (جاءني زيد وعمرو) لم تفد بالواو شيئا أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد، والجمع بينه وبينه، ولا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه، وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن معنا في قولنا: (زيد قائم وعمرو قاعد) معنى تزعم أن (الواو) أشركت بين هاتين الجملتين فيه، ثبت إشكال المسألة»[٣].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن للواو من حيث التشريك وعدمه أربعة أقسام:

القسم الأول: الجامعة المشركة، وهي في عطف المفرد؛ وهي أن تعطف اثنين مسندا إليهما فعل يجوز أن يقوم به واحد فقط؛ ففي العطف بها إشراك للثاني مع الأول مثل: قام زيد وعمرو؛ حيث يجوز أن يقوم بفعل القيام أحدهما.

القسم الثاني: الجامعة غير المشركة، وهي في عطف المفرد أيضا، وهي أن تعطف اثنين مسندا إليهما فعل لا يكون إلا لأكثر من واحد مثل «اختصم زيد وعمرو»، أو تقاتل.... أو تصالح...؛ فهي جامعة لكنها لم تشرك الفعل في إسناده إلى كل منهما بمفرده.

القسم الثالث: وهو الواو العاطفة للجمل التي لها محل من الإعراب، وهذه تشرك الجملة الثانية في حكم الأولى.

القسم الرابع: الواو العاطفة للجمل التي لا محل لها من الإعراب؛ فقد ذهب بعض اللغويين إلى أن هناك إشكالا في إثبات التشريك في الحكم من خلالها.

التطبيق الفقهي لإفادة الواو التشريك:

انتقل الحديث عن إفادة الواو التشريك في الحكم من اللغويين إلى الأصوليين؛ حيث أثاروا سؤالا مؤداه: هل القران في اللفظ يوجب القران في الحكم؟

وقد أجاب السمرقندي بأن عامة أهل الأصول قالوا: لا يوجب، وقال بعض الفقهاء: إنه يوجب»[٤].

ومثل لهذا الأمر قائلا: «وصورة هذه المسألة أن حرف الواو متى دخل بين الجملتين التامتين كل جملة مبتدأ وخبر؛ فالجملة المعطوفة هل تشارك الجملة المعطوف عليها في الحكم المنوط بها؟ فأجمعوا أن المعطوف إذا كان ناقصا بأن لم يذكر فيه الخبر، فإنه يشارك المعطوف عليه في خبره ويشاركه في حكمه كقوله: «زينب طالق وعمرة»، فإن قوله و(عمرة) يشارك زينب في وقوع الطلاق. وقد عللوا هذه المشاركة بكون الثاني (عمرة) ناقصا لا يفيد لنفسه دون المشاركة في خبر الأول، وقد نقلت هذه المشاركة بواسطة حرف المعنى (و)»[٥].

أما الحكم الفقهي -مجال الحديث في هذا المقال- المبني على هذا المعنى وهو (إفادة الواو التشريك في اللفظ والمعنى، أو القران في اللفظ يوجب القران في الحكم)؛ فهو القول بإسقاط الزكاة عن الصبي غير البالغ؛ حيث ذهب بعض الفقهاء إلى أن الصبي ليس مخاطبا بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(البقرة: ٤٣)، فلا يكون مخاطبا بالزكاة أيضا للقران بينهما.

وممن نقل هذا الرأي الشافعي في «الأم»؛ حيث يقول: «وقال بعض الناس: إذا كانت ليتيم ذهب أو ورق؛ فلا زكاة فيها، واحتج بأن الله يقول: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البقرة: ٤٣)، وذهب إلى أن فرض الزكاة إنما هو على من وجبت عليه الصلاة وقال: كيف يكون على يتيم صغير فرض الزكاة، والصلاة عنه ساقطة، وكذلك أكثر الفرائض؟ ألا ترى أنه يزني ويشرب الخمر فلا يحد

ويكفر فلا يقتل؟ واحتجوا بأن رسول الله ﷺ قال: (رفع القلم عن ثلاثة) ثم ذكر (والصبي حتى يبلغ)»[٦].

ونقل هذا الرأي أيضا السمرقندي في «ميزان الأصول»؛ حيث يقول: «وعلى هذا الأصل -يقصد القران في اللفظ يوجب القران في الحكم- تعلق بعض الفقهاء في نفي وجوب الزكاة على الصبي بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لقد عطفت الزكاة على الصلاة؛ لذلك يجب أن تشاركها، فلا تجب الصلاة عليه وكذا الزكاة، تحقيقا للمشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه. وقد تمسك الفقهاء في هذا التعليل بأن (الواو) للعطف لغة ولهذا تسمى واو العطف عند أهل اللغة، ومقتضى العطف هو الشركة في الخبر»[٧].

ومن الفقهاء من نقل الرأي القائل بعدم وجوب الزكاة على الصبي دون الإشارة للدليل اللغوي، واكتفى بنسبة الرأي لصاحبه فقط، ومن هذا ما ذكره ابن حزم في المحلى؛ حيث قال: «وأما إبراهيم النخعي، وشريح، فقالا: لا زكاة في ماله جملة»[٨].

ونقله القاسم بن سلام عن الحسن؛ حيث قال: «ليس في مال اليتيم زكاة، إلا في زرع أو ضرع»[٩].

ورغم أن القول بعدم وجوب الزكاة على الصبي رأي مرجوح عند جمهور الفقهاء؛ فإنه يظل في دائرة الخلاف المعتبر الذي قد يؤخذ به في بعض الأحوال من باب التيسير؛ حيث يتجلى التيسير فيه فيما يلي:

التيسير على القائم على أمر الصبي أو اليتيم بعدم تكليفه بأداء الزكاة -التي تعد عبادة ولا تخلو من بعض المشقة- عن غيره بالإضافة لأدائها عن نفسه هو.

هذا الحكم فيه حفظ لمال الصبي أو اليتيم؛ فقد يكون القائم عليهما غير قادر على تنمية أموالهما واستثمارها، ومن ثم تكون عرضة للنفاد والهلاك من خلال إخراج الزكاة منها كل عام دون تنميتها؛ ففيه تيسير عليه (القائم على أمر اليتيم) بعدم إلزامه واضطراره لاستثمار الأموال وتنميتها؛ وهو ما لا يخلو من المشقة.

الهوامش

١- للمزيد انظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة (ص: ٥٦).

٢- ينظر: دلائل الإعجاز (ص: ٢٢٢، ٢٢٣).

٣- دلائل الإعجاز (ص: ٢٢٤) باختصار. وينظر أيضا: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية د بسيوني فيود (٢/ ١٦٦).

٤- ميزان الأصول في نتائج العقول (ص:٤١٥)، علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: محمد زكي عبد البر، ط: (١)، قطر ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٥- ميزان الأصول (ص: ٤١٥).

٦- الأم للشافعي (٢/ ٣٠) وقد رد الشافعي هذا الرأي ورجح الرأي القائل بوجوب الزكاة على الصبي؛ حيث ذهب إلى أن «الزكاة في مال اليتيم كما في مال البالغ؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (التوبة: ١٠٣) فلم يخص مالا دون مال. وبعد أن نقل الرأي القائل بعدم الوجوب شرع في رده ردا مطولا؛ وهو ما يقصر المقام عن ذكره هنا.

٧- ميزان الأصول (ص: ٤١٥). وينظر أيضا فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت (٢٣٣/١).

٨- المحلى بالآثار (٨/٤).

٩- الأموال (ص: ٥٥١).

د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد

من العلماء الأدباء



د. يعقوب صروف والمزج بين رصانة العلم وطلاوة الأدب

منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين برز عدد من الكتاب الذين يحملون مشعل المقال العلمي المتأدب؛ عندما سطع نجمهم، وشاع صيتهم في الصحف والمجلات، ونشروا مقالاتهم التي تعالج القضايا العلمية، وتبسط النظريات الحديثة، بأسلوبهم الذي يمزج بين دقة العلم، وإشراق الأدب.

ومن هذا الجيل الرائد عرفت لغة الضاد أساتذة أجلاء، جمعوا بين الدراسات العلمية العميقة، والقدرة الفائقة على التعبير عنها بأسلوب عربي مشرق الديباجة؛ إذ إن هؤلاء الأفذاذ قد أدبوا العلوم، وأغنوا الضاد بمئات من المعاني العربية السائغة للمصطلحات العلمية الحديثة، وكان من أبرز هؤلاء الرواد العظام د.يعقوب صروف الذي سنعرض له في هذا المقال بشيء من التفصيل.

سيرة ومسيرة

د.يعقوب صروف كاتب عربي لبناني المولد، سلخ شطرا غير يسير من حياته في مصر، ولد

عام: (١٨٥٢م) في قرية الحدث قرب بيروت، تخرج في الجامعة الأمريكية ببيروت وحصل على بكالوريوس العلوم سنة: (١٨٧٠م)، ثم عين مدرسا بالكلية لتدريس العلوم الطبيعية والبيان، فكان جمعه في التعليم بين هذين المجالين سببا لشهرته.
عني بدراسة العلوم الدقيقة من غير أن يشغله ذلك عن التأليف في الأدب؛ فأصدر عام: (١٨٧٦م) بالتعاون مع زميله فارس نمر مجلة (المقتطف) التي تعد شيخة المجلات العلمية العربية، وكان همه من خلالها إيصال الحقائق العلمية إلى الجمهور بلغة لا تكلف فيها، وقد تطورت مع الأيام حتى أصبحت مثالا يحتذى في جودة التعبير عن القضايا العلمية.
وظلت هذه المجلة تصدر من بيروت ما يقرب من عشر سنوات، ثم انتقل بها صروف إلى مصر، وعن طريقها خدم العلم والأدب أكثر من خمسين سنة، ولم يسقط القلم من يده حتى كان العالم العربي قد أدرك ما للمقتطف من فضل في تنوير الأذهان بالحقائق العلمية الصحيحة، وقد وافته المنية عام: (١٩٢٧م)[١].

من مؤلفاته

من آثاره العلمية: بسائط علم الفلك.
ومن كتبه المترجمة: سر النجاح.
ومن إبداعاته الروائية: فتاة مصر- فتاة الفيوم- أمير لبنان.

تبسيطه للعلوم

يقول عنه د.أنيس المقدسي: «كان صروف في كتابته يبسط أدق المعلومات في أسهل الألفاظ، وأرشق العبارات، مراعيا متانة اللغة، وأصول البلاغة الصحيحة»[٢].
ويصفه في موضع آخر بقوله: «إنه يجمع بين رزانة العلم ودقته، وطلاوة الأدب وبيانه، فهو دون مراء إمام الكتابة العلمية في زمانه»[٣].
وأشار د.محمد يوسف نجم إلى أسلوب صروف بقوله: «عرف صروف بأسلوبه العلمي الرصين، الذي كان يقصد به إذاعة الحقائق العلمية وتبسيطها؛ حتى يسلس قيادها للجمهور»[٤].

سمات المقال العلمي المتأدب لدى صروف

احتوى المقال لدى د.صروف على سمات عديدة ازدحمت بها مقالاته، غير أن المجال يضيق عن سردها جميعا، ولذا فقد اقتصرت على بعضها تمشيا مع طبيعة المقال الذي نحن بصدده، وقد انتخبت منها على سبيل المثال:

التنوع في المقدمة

من البدهيات أن أي عمل لا يبتدئ بداية جيدة واعية قد لا يثمر عملا جيدا ناضجا، كذلك فإن المقالة التي لا يكون استهلالها قويا مؤثرا ممتعا قد لا تفلح في جذب القارئ، وحثه على الاستمرار في متابعة القراءة، واستطلاع جزئيات المقال حتى الوصول إلى منتهاه.
ومن هنا فإن هذه الخصائص التي ترقى بالمقدمة إلى الإمتاع والتشويق بالإضافة إلى التعليم والتثقيف لم تكن بعيدة عن ذهن صروف وهو ينشئ مقالاته؛ فالمتتبع للمقدمات لديه يجد أنها حظيت بأهمية بالغة؛ فقد منحها من التنسيق والتنويع والتشويق ما ينم عن معرفة تامة بهدفها الجليل في البناء المقالي المتين، والتصميم الهيكلي الرصين؛ فتجده يخرجها بصور وأشكال مختلفة، ومن هذه الصور:

المقدمة التفسيرية

تلك التي يستثمرها الكاتب حين يلقي الضوء على العنوان فيجعل استهلال المقال على علاقة وثيقة بما اختاره عنوانا لحديثه؛ فينفذ إلى صلب المقال بعد تسليط الضوء الكاشف على بعض ما قد يثير أو يجهل في عنوانه، ويجليه بطريقة مفيدة وممتعة على حد سواء، ومن النماذج الشاهدة على هذا المنحى، ما بدأ به د.صروف مقاله (قوى رهينة الاستعمال) فقد استهله قائلا: «إذا أريد بالقوى التي وصفناها بأنها «رهينة الاستعمال» أن استعمالها صار ميسورا، فذلك غير المراد، وإذا أريد بها القوى الموجودة فعلا، ولكن لم يتيسر استعمالها حتى الآن، أو تيسر ولكن ليس إلى حد الكفاية، ولا يزال مجال

استعمالها واسعا جدا؛ فهي المراد برهينة الاستعمال»[٥].

المقدمة التمهيدية

هي عبارة عن تمهيد ذي صلة ورباط وثيق بموضوع المقال، ومن ثم يتخلص منها الكاتب في براعة، لعرض القضية الرئيسة في مقاله، فلا يجد القارئ حينئذ هوة بين المقدمة والعرض؛ لالتصاق كل منهما بصاحبه.

وهذا اللون كثير مطرد لدى صروف، فمن المقدمات التي بها تخلص لطيف إلى لب الموضوع ما جاء في مقال: (أصل الإنسان وجمجمة جنوب إفريقية) الذي يتحدث فيه عن اكتشاف جمجمة متحجرة قديمة في جنوب إفريقية: «من العلوم ما فائدته مادية، لا يمكن الاستغناء عنها: كالعلوم الطبيعية التي بها حفظ الصحة، ودفع المرض، والعلوم الزراعية التي بها إحياء الأرض، وتكثير غلتها، والعلوم الآلية التي بها تسهيل الأعمال، وتقليل المشاق، ومنها ما فائدته أدبية، ترتاح النفس لها، ولو لم يكن منها نفع مادي: كالبحث عن أصل الإنسان، وكيف وجد؟ وفي أي زمن؟ وهل طوائفه كلها من أصل واحد؟ وما هي الأسباب التي جعلت ما بينها من الفروق؟ واهتمامنا نحن الشرقيين بهذا البحث لا يقاس باهتمام الغربيين به، فلم يشع أنه اكتشفت جمجمة متحجرة قديمة جدا في جنوب إفريقية، تشبه جماجم الناس؛ حتى امتلأت الجرائد، والمجلات، في أوربا، وأميركا، بوصفها، وتصويرها، والتكهن بما كان شكل صاحبها، والكتابة في هذا الموضوع من أكبر علماء التشريح»[٦].

مقدمة الإثارة

وهي التي تثير العقل، وتداعب الخيال لدى القارئ، وتفتح بابا واسعا للدهشة والتساؤل، ومن ثم تدفع القارئ في لهفة إلى مطالعة المقال؛ لإشباع الفضول الذي تمكن منه، ومن النماذج التي تدلل على هذا اللون تلك المقدمة التي استهل بها مقال (أكبر الزحافات): «تجد في خرافات الأقدمين من العرب وغيرهم أوصافا لحيوانات كبيرة، لا يذكر معها الجمل، ولا الفيل، ولا الحوت، كقولهم: إن الرخ[٧] طائر كبير يحمل الكركدن[٨]، وإن بعض البحارة وجدوا سلحفاة في البحر حسبوها جزيرة كبيرة، وأنه كان في القديم جبابرة من الناس طول الواحد منهم عشرون قدما فأكثر»[٩].

الاستعانة بالصورة الفنية

تصادف الصورة الفنية القارئ كثيرا في مقال صروف؛ حتى لا تكاد تخلو منها تلك المقالات العلمية؛ التي يخال لبعضهم أنها خالية من الجمال، زاهدة في الخيال؛ ولكن الحقيقة أن كاتبنا نجح في مداعبة الوجدان، واستنهاض المشاعر، وتأجيج العواطف، مثلما تمرس في مخاطبة الفكر، وتغذية العقل، وإنماء الثقافة على حد سواء.

فتراه يستعين بالتشبيه الذي يدل على سعة الخيال، وجمال التصوير، وبراعة الكاتب في تأدية المعنى، كما أن للتشبيه أثرا في المتلقي بزيادة المعنى دقة وتجسيما في ذهنه، ومن هذا القبيل ما خطه بنانه في مقال (السنط الحساس...): «وقد كنا ونحن نراقب الشجرة المذكورة آنفا؛ كأننا نراقب حيوانا يبتهج بالشمس، ويتجه إليها، وينبسط لها؛ لأنه يستفيد من نورها»(١٠).

وأحيانا يستعين صروف بالتشخيص، وهو قسم من أقسام الاستعارة ويسمى تجسيدا عند بعض النقاد ويتم فيه إسباغ الصفات البشرية، والسمات الانفعالية الإنسانية، على التجريدات، والحيوانات، والمعاني، والجمادات، ومنحها الحركة والنطق والمشاركة في حدث ما[١١].

ومن ذلك على سبيل المثال ما ساقه صروف في مقال: (أهم وظائف الطحال)، حيث شبه الدم، والقلب، والطحال بالإنسان، وأسبغ عليهم صفات البشر، من الورود، والضيق، والفتح، عندما يقول: «وكذلك إذا زاد ورود الدم إلى القلب، فضاق به ذرعا؛ فتح الطحال بابه له؛ فخفف الضغط على القلب»[١٢].

التأثر بالشعر العربي

الشعر العربي معين للحكمة لا ينضب، وينبوع للبلاغة لا يغور، قلما وجد كاتب أو أديب إلا نهل منه ما يزين به بيانه، ويرصع به مقاله، ويجمل به منطقه، ويحسن به صوره؛ ولذا فإن د.صروف كان يستأنس بالشعر العربي الفصيح؛ لإثراء صوره، أو لتوظيفه تدليلا

على معنى ارتضاه، أو خدمة لغرض ارتآه؛ كأن يشوب المادة العلمية الصرف بشيء منه؛ تخفيفا من ثقل وقعها، أو دفعا للسأم الناشئ جراءها، ومن ذلك ما ورد في مقال: (حاسة الشم وفلسفتها...) حين تعرض لتلك الحاسة عند الإنسان، وكيفية أدائها لدورها، ثم أضاف: «ومن الروائح ما يبطل غيره كالمسك، وزيت اللوز، وكالأمونيا، والحامض الخليك»[١٤].

الاستعانة بالأمثلة التوضيحية

ويكون ذلك حين يعمد الكاتب إلى تبسيط المادة العلمية التي يطرقها المقال، بضرب أمثلة توضيحية لما يذهب إليه من مسائل ومحاور. تدني ما قد يكون نائيا، وتيسر ما يخال أنه عسير، وبذلك يستطيع القارئ أن يجد في المقال ما ينفعه، ويطربه؛ فيقبل على استجلائه في ود واطمئنان، ومن الأمثلة ما يضفي على المقال لذة وتشويقا فضلا عن الاستعانة بها للتدليل على حقيقة علمية ومن هذا القبيل ما ذكره (صروف) حين قص من نوادر الشم: «أن ولدا ولد أعمى، وأطرش، وأخرس؛ فكان اعتماده على الشم، وكان إذا دخل بيته رجل غريب أدرك وجوده بحاسة الشم، وقد يدرك أوصافه بهذه الحاسة»[١٥].

التنوع في الخاتمة

تعد خاتمة المقال بمنزلة الرسالة الأخيرة التي يمررها الكاتب على عقل وشعور القارئ إيذانا بأن رحلته عبر منازل المقال على وشك الانتهاء ومن ثم فإن لها أثرا يبقى، ومذاقا يمتد، بعد أن يفرغ القارئ من مطالعة المقال بكل دقائقه؛ فآخر الصور مشاهدة أكثرها علوقا بالذهن، وختام ما يتناول من الوجبة أدوم أثرا في الحلق.

وللخاتمة في مقال د.يعقوب صروف طرائق وأشكال متعددة، فمنها الخاتمة التساؤلية، ومنها الخاتمة التي ترد على شكل استشراف مستقبلي، وقد يجمع بينهما التساؤل والاستشراف ومن ذلك ما ورد في مقال: (مبدأ جديد في تشخيص الأمراض) إذ ختمه بقوله: «وأخيرا ينبغي لنا أن نعلم، هل المجموع العصبي الذي فعل به السم فصيره شديد الانفعال بالمؤثرات، يفعل بالعضو ويجعله يعمل فوق طاقته؛ فيختل بناؤه أي يصاب بمرض عضوي وهنا نجد تعليلا جديدا لما ينتج عن الأمراض المعدية، من الآفات العضوية بعد زمن طويل من الإصابة بتلك الأمراض، وقد نتمكن من منع الأمراض العضوية بالاستدلال عليها قبلما تبلغ أشدها»[١٦].

وقد تشتمل الخاتمة لديه على عبارات ترهص بنهاية المقال، وتؤذن بالإجمال بعد التفصيل، والخلاصة بعد البسط، كهذه الخاتمة الواردة في مقال: (المباحث الطبية وأقطابها...)، حيث صرح بلفظ الختام قائلا: «وقبل ختام هذا البحث لابد من الإشارة إلى المكتشفات، والمباحث الجديدة في الغدد الصماء...»[١٧].

الهوامش

١- ينظر: معجم أعلام المورد: تأليف: منير البعلبكي، (ص٢٧٠)، وكذلك: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة: د.أنيس المقدسي، (ص ٢٣٩ - ٢٥٠)، دار العلم للملايين.
٢- الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة: د.أنيس المقدسي، (ص ٢٤٥).
٣- السابق، (ص ٢٥٤).
٤- فن المقالة: د. محمد يوسف نجم، (ص٧٨)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة (١٩٦٦م).
٥- مقال: قوى رهينة الاستعمال: د.يعقوب صروف، (ص ١٧٨)، مجلة المقتطف، الجزء الثاني من المجلد الحادي والسبعين، أغسطس (١٩٢٧م).
٦- مقال: أصل الإنسان وجمجمة جنوب إفريقية: د.يعقوب صروف، (ص ٣٦١)، مجلة المقتطف، الجزء الرابع من المجلد السادس والستين، (١ أبريل ١٩٢٥م).
٧- الرخ: طائر خرافي بالغ القدامى في وصفه. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر، المجلد الثاني، (ص ٨٧٤).
٨- الكركدن: حيوان ثديي عظيم الجثة، كبير البطن، قصير القوائم، غليظ الجلد، له قرن واحد قائم فوق أنفه؛ ولذلك يقال له (وحيد القرن). ينظر: المعجم الوسيط، الجزء الثاني، (ص٧٨٤).
٩- مقال: أكبر الزحافات: د.يعقوب صروف، ص١، المقتطف، الجزء الأول من المجلد السادس والخمسين، (١ يناير ١٩٢٠م).
١٠- مقال: السنط الحساس.. هل في النبات أعصاب كأعصاب الحيوان؟: د.يعقوب صروف، (ص٣٦٥)، المقتطف، الجزء الرابع من المجلد التاسع والستين، (١ ديسمبر ١٩٢٦م).
١١- ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس، (ص١٠٢)، مكتبة لبنان.
١٢- مقال: أهم وظائف الطحال: د.يعقوب صروف، (ص٢٤٨)، مجلة المقتطف، الجزء الثالث من المجلد التاسع والستين،١ نوفمبر (١٩٢٦م).
١٤- مقال: حاسة الشم وفلسفتها.. أو كيف نشم: د. يعقوب صروف، (ص ٤٨٥)، مجلة المقتطف، الجزء الخامس من المجلد الثامن والستين،(١ مايو ١٩٢٦م).
١٥- السابق.
١٦- مقال: مبدأ جديد في تشخيص الأمراض: د.يعقوب صروف، (ص٢٢٦)، مجلة المقتطف، الجزء الثالث من المجلد الثامن والخمسين، (١مارس١٩٢١م).
١٧- مقال: المباحث الطبية وأقطابها...: د.يعقوب صروف، (ص ١٢٧)، مجلة المقتطف، الجزء الثاني من المجلد التاسع والستين، (١ أغسطس ١٩٢٦م).



أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر
عضو الاتحاد الدولي للغة العربية

نقد إبداعات الوعي القصصية

عن قصة (ما السر يا أبت؟)



أسرة

ما السر في ذلك يا أبت؟

في قصة «ما السر يا أبت؟» للقاص معروف عبد الرحيم، يروي طفل لحظة توصيل والده إلى المدرسة المعتادة والتي يلمح فيها وجوم والده والهم الذي يسيطر عليه، على غير عادته، «وكل صباح كنت أرى على صفحات وجه أبي، ملامح الرضا والارتياح، ويشع من ثناياه نور رباني جميل، وأجده نشيطا، واثقا من نفسه، سريع الحركة -رغم عمره الذي جاوز الخمسين سنة بقليل- وكان دوما يقترح حوارا نافعا خفيفا، نستهلكه مدة السير نحو المدرسة...

إلا أن شيئا غريبا طرأ اليوم، فلا نور يرى على وجهه ولا ابتسامة تزين خديه، ورأيته بطيء الحركة، خائفا فزعا، حتى إنه لم يكد يعبر ممر الراجلين إلا بمشقة النفس، وبعدما التفت مرات ومرات يمينا وشمالا، ولأول مرة لازم صمتا مخيفا: فلم ينبس ببنت شفة طيلة الطريق».

الأمر الذي يظل يؤرق الطفل طوال دوام دراسته إلى أن يعود والده إلى البيت ويستفسر عن الأمر.. فيجيبه والده بعد محاورته: «لأنني كنت دوما أصلي الفجر في جماعة باستمرار... حتى أتى ذلك اليوم الذي لم أستيقظ فيه لصلاة الفجر وذلك لأنني أطلت السهر ليلا... ففزعت لذلك الأمر الخطير وذلك الطارئ الكبير...أما قرأت حديث رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم»...».

وعلى الرغم من براعة الكاتب في سرده ومحاولة إخفاء هذا السر طويلا، مما يسعر جذوة التشويق في نفس القارئ، فإن القصة تميل إلى السرد التعليمي، والذي ربما يستهدف الكاتب بها الناشئة، وهي بهذا التحديد بديعة جدا ومناسبة للمتلقي من هذا النوع، لكن إن رام الكاتب توسيع رقعة متلقيه وجعل قصته تصطف في مصاف القصص الأدبي، فعليه أن يتخلص من هذه النبرة التعليمية، فلا يخفى عليك أن الأدب الحديث يميل إلى استبعاد التعليم والتوجيه عن الأدب والفن عامة، والاهتمام بالشكل والتعبير الأدبي أكثر من الاهتمام بالمضامين الأدبية أو الفنية وعليه نشأت المدارس الحديثة، كالشكلانية والبنيوية والأسلوبية والتفكيكية.. إلخ، وكلها تبحث في الشكل واللغة والتعبير دون التفات إلى مضمون.. ولا يعني ذلك أن ننحي القيمة! لكن نستعين بالخداع، والتضليل، والإغواء، والرمزية بعيدا عن المباشرة الواضحة، فالأدب بطبيعته رمزي، حتى الواقعي منه يجب أن يتصف بمستوى من الرمزية والغموض، وألا نكيف القصة في خدمة الموضوع على حساب الفن ما يجعلنا نميل إلى اللغة التعليمية وخلق المصادفات للتأكيد على المعنى المطلوب، كما لجأ الكاتب إلى مصادفة أن الطفل في اليوم نفسه أخذ درسا عن صلاة الفجر.. هذا هو المعنى الذي يريد تأكيده الكاتب.. وهو نافع في القصص التعليمي لا غير.

عن قصة (امتحان عسير)

يأخذنا د. سعيد أصيل إلى دفء الأسرة في قصته «امتحان عسير»، فتشعر بشاعرية المشاعر المتدفقة بين زوج حنون وزوجة تعاني آلام الورم في جسدها، الذي بإصابتها تهتز الأسرة كلها في عمودها الأساس.

وبنية القصة بنية رشيقة عبر سرد متمكن يبعد عن المباشرة بقدر كبير يحاول من خلالها الكاتب إشراك



قارئه في استنباط المعنى الضمني، معنى الصبر على الألم والرضا بقضاء الله، معنى رعاية الزوج وتألمه لألم زوجته والحزن الذي يسيطر على البيت حتى طفلتيها اللتان لم تعد حركتهما ولعبهما كما كانتا، لتنتهي القصة بآمل جميل يتجدد في قلوب المتعبين «في هذه الأثناء دخل الطبيب. حياهم جميعا، وتوجه نحوه قائلا:

– كل الأمور تمر في أحسن الظروف، ويبدو أن هذه المرأة مباركة؛ فالتحاليل كلها جاءت تبشر بسرعة انطفاء الأورام، وبداية التئام الجرح، وقد تصطحبونها معكم إلى البيت غدا أو بعد غد بحول الله.

وبصوت واحد قالوا جميعا، ودموع الفرحة تسبقهم: الحمد لله.. الحمد لله».

عن قصة (الركعة الأولى)

رغم اختيار القاص محمود مصطفى حلمي لعنوان قصته الصريح والمباشر: «الركعة الأولى» إلا إنه حمل بعض التشويق للقارئ ليتطلع إلى معرفة السر وراء هذه الركعة، لنعرف من خلال «الراوي المشارك» الذي يتولى سرد قصته، بأنه ممن اعتاد الصلاة منذ الصغر على ما عوده أبوه قديما لكن دون وعي حقيقي بمعانيها، فيقول: «لم أكن أدرك معنى الصلاة، ولم أشعر يوما سوى بركوعي وسجودي وحركة جسدي في أداء أركانها، لم يعلمني أبي إلا أن أقول بلساني تلك الآيات والكلمات أثناء تأدية حركات الصلاة، ولم يرق إلى فهمي أن لتلك الكلمات معاني واسعة، بل ومؤثرة في القلوب...».

ومع مرور الزمن أصبحت الصلاة حركات مكانيكية يؤديها في ثقل إلى أن جاءت لحظة رأى فيها رؤيا غيرت من مفهومه السابق، وملخص الرؤيا أن صلاته لم تزن شيئا ولم ترجح كفة حسناته في القيامة، «صرخت أكثر (أنا من المصلين)، لكن ذلك الصوت العظيم أصابني من بعيد قائلا (ارجع فصل فإنك لم تصل)، كررها كثيرا والظلام يقترب مني بسرعة، ظللت أسمعها وأنا أصرخ حتى غصت في أعماق ذلك الظلام».. ليستيقظ فزعا ويلجأ إلى الصلاة بروح جديدة، والندم يغمره على ما فوته من صلوات لم يستشعر معانيها ولم يؤديها حق الأداء.

وإننا نشيد بتوظيف الكاتب لتقنية الحلم أو الرؤيا، وتقنية الحلم تشكل لغزا تثير به انتباه المتلقي لتسير القصة في تفسيرها بعرض تفصيلات الموضوع إلى أن تؤدي الغرض


ملف العدد

الركعة الأولى

محمود مصطفى حلمي

الذي ذكر في أولها، وعند ذلك يشعر المتتبع أن الحلقة قد استدارت، وأن الموضوع قد بلغ غايته؛ فينفك لغز الرؤيا وينكشف للفاعلين وللمتلقين أيضا.

لذلك كان أولى بالكاتب أن يرتكز على الرؤيا في نصه بداية، ثم يفاجئ القارئ بما عليه من حال وما سيؤل إليه، فتكاد الرؤيا تفقد قيمتها الفنية في النص وهي مسبوقة بتفاصيل كثيرة عن حياة مستهتر بالصلاة، فالقارئ كاشف لمعناها وأنها نقطة التحول في حياته دون الحاجة إلى أن يستمر في قراءته، والرؤيا غالبا ما تكون



رمزا وإشارة ودلالة، لا تصريحا أو واقعية، فكان على الكاتب أن يغرق في رمزيتها ويلغز في مبناها فلا تتكشف بسهولة، ويمكن الرجوع لسورة يوسف لنرى كيف أثرت الرؤيا في القصة، فالرؤيا لا تفسر إلا في نهاية السورة، وهي كذلك رمزية، فالكواكب هم إخوة يوسف، والشمس والقمر أبواه... إننا نؤكد على أن المعاني المجردة قد تقلل من فنية القصة، وتوقع صاحبها في المباشرة والوعظ، كما ننبه الكاتب إلى وقوعه في «الكنكنة» وهو إكثاره من استخدام (كان) وسيطا للحكي، فلا شك أنها تمثل عائقا ذهنيا يمنع من استرسال وتدفق الحكي، خصوصا مع تخلصه من سطوة الراوي العليم ووساطته وحكيه القصة على لسان الراوي المشارك.

عن قصة (الماكينة القديمة)

معنى الخبيئة الصالحة معنى جليل، فهي السر الرباني الحافظ من المصائب والعوارض بعناية الله، هذا الذي يريد أن يلفت إليه القاص محمد ثابت توفيق، في قصته «الماكينة القديمة»، فسرد قصة شائقة ورغم أن القيمة الموضوعية حاضرة في القصة فإنه يبعد إلى حد كبير عن المباشرة في توجيه المعنى، ولا يستشهد عليه بالآيات والأحاديث، ويترك القارئ يغوص فيه وحده متعايشا مع الموقف.

لكن نلفت انتباه الكاتب إلى بعض النقاط التي تعينه على قوة السرد في القادم بإذن الله، إضافة إلى ما سبق ذكره من نقد للقصص السابقة:

أولا: حينما جعل البطل يستذكر موقفه مع «أم دعاء» فإن الذكرى أتت على لسان الراوي العليم بداية، ثم حدث التفات في السرد دون سبب واضح ليكمل البطل الذكرى على لسانه «بعد حين توفى الله الرجل، حرصت كجار على الذهاب إلى بيته للعزاء، واستحييت أن أضع مالا في يد زوجته وبناته الثلاث، ومضيت حزينا على مصدر دخلهم وعلى عدم استطاعتي تقديم العون، لكن بعد أيام جاءتني زوجته بحيائها رغم فقرها الظاهر...». وهكذا حتى نهاية النص، ويستحسن أن يتوحد الراوي في ذلك.

ثانيا: نقص التفاصيل وعدم ذكر الدقائق المناسبة التي يقتضيها المقام يعد عيبا، فإننا لا نعرف الحي أو البلد الذي حدثت فيه القصة، بل إننا نراه يقول مثلا في حوار أم دعاء: «معك حق أوجر لك الماكينة بثلاثة آلاف من عملة بلدنا»!! فما هي البلدة حتى نعرف عملتها؟ أليس من الأولى أن يقول: ثلاثة آلاف جنيه، أو دينار، أو ريال، خصوصا وهذا حوار منقول، يستحسن أن ينقله السارد



كما نطقت به الشخصية، هذه التفصيلات تحيي النص وتجعله أكثر حضورا في مخيلة القارئ، يقول نجيب محفوظ: إن أكثر التفاصيل صناعة ومكر لإيهام القارئ بأن ما يقرأه حقيقة لا خيال؛ إذ إنه لا يثبت الموقف أو الشخص حقيقة مثل التفاصيل المتصلة به وكلما دقت.. أسرع القارئ إلى تصديقها[1].

الهوامش

١- حديث مع فاروق شوشة، مجلة الأدب، يونيو (١٩٦٠م).



كلمات/ أمين عبد الجبار
إعداد وإلقاء/ د. تركي محمد النصر

جهابذة زانوا سما العلم



علَى اسْمِ الّذي أَوْحَى الْكِتَابَ مُنَجّمًا … أَقَمْنَا احْتِفَالاً لِلسَّمَاوَاتِ قَدْ سَمَا

يُضَاهِئُ فِيهِ الْحَافِظُونَ خُطَى الَّذِي … عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ صَلَّى وَسَلَّمَا

هُنَا فِي كُوَيْتِ الْخَيْرِ لله أَهْلُهَا … بِمَا خَدَمُوا هَذَا الْكِتَابَ الْمُكَرَّمَا

أَمِيرًا وَشَعْبًا أُمَّةً وَحُكُومَةً … بِلَادَ عَطَاءٍ تَجْعَلُ الْجُودَ مَغْنَمَا

وَإِنْ تَسْأَلُوا عَمَّنْ أَضَاءَ احْتِفَالَنَا … بِأَنْوَرَ مِنْ شَمْسِ الصَّبَاحِ وَأَكْرَمَا

تَقُولُ عُلُومُ الْأَرْضِ وَهْيَ مُشِيرَةٌ: … جَهَابِذَةٌ زَانُوا سَمَا الْعِلْمِ أَنْجُمَا

فَسَالِمُ زَهْرَانٍ رَئِيسٌ مُقَدَّمٌ … وَكَيْفَ لِوَاعِي الذِّكْرِ أَلَّا يُقَدَّمَا

وَمُقْرِئُ الْكُوَيْتِ الْكَنْدَرِيُّ وَقَدْ غَدَا … دَلِيلًا لِمَنْ يَرْجُو إِلَى الْمَجْدِ سُلَّمَا

وَجُمْعَانُ مِنْ شَعْبِ السَّعِيدَةِ قَدْ أَتَى … يَمَانِيُّ إِيمَانٍ وَفِقْهٍ تَسَنَّمَا

وَبَاسِطُ الْفَرْجَانِيُّ مِنْ لِيبِيَا أَتَى … يَعُدُّ مِنَ الْحُفَّاظِ مِلْيُونَ أَفْخَمَا

وَطَاهِرُ أَسْيُوطٍ، يُضَاهِي سَمِيَّهُ … جَلَالًا فَأَكْرِمْ بِالسَّمِيَّيْنِ أَكْرِمَا

وَأَحْمَدُ قُرَّاءِ الْكُوَيْتِ قِرَاءَةً … تُصِيخُ لَهُ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَأَمَّمَا

وَقَارِئُ سُورِيَّا الشَّآمِ تَمِيمُهَا … إِلَيْهِ انْتَهَى الْإِقْرَاءُ وَالْكُلُّ سَلَّمَا

وَخَاتِمَةُ الْأَعْلَامِ طَيَّارُ تُرْكِيَا … لِكُلِّ رِوَايَاتِ الْقِرَاءَاتِ أَحْكَمَا

عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّحْمَنِ رَيْحَانُ جَنَّةٍ … إِذَا قَدِمُوهَا قِيلَ: أَكْرِمْ وَأَنْعِمَا

وَيَا حَافِظِي الذِّكْرِ الْمُبِينِ تَحِيَّةً … عَلَيْكُمْ مَدَى الأَيَّامِ مَوْفُورَةَ النَّمَا

وَيَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ … إِذَا شِئْتِ عِزًّا: فَالْكِتَابَ الْمُعَظَّمَا

فَهَيَّا إِلَيْهِ نَقْتَفِي دَرْبَ هَدْيِهِ … فَقَدْ فَازَ مَنْ أَضْحَى لَهُ الذِّكْرُ مُعْلِمَا

بَدَأْنَا بِحَمْدِ اللهِ لُقْيَا احْتِفَالِنَا … وَنَخْتِمُهَا: صَلَّى الْكَرِيمُ وَسَلَّمَا

عَلَى مَنْ بِغَارِ النُّورِ جِبْرِيلُ ضَمَّهُ … وَقَالَ لَهُ: (اقْرَأْ)؛ فَوَفَّى وَتَمَّمَا

(قصيدة شعرية نفيسة ألقاها د. تركي محمد النصر - عضو اللجنة العلمية وشؤون التحكيم - في ختام جائزة الكويت الدولية الحادية عشرة ٢٠٢٢م)





أ.د. عبد المنعم عبد الله حسن
الأستاذ في كلية اللغة العربية
بالمنصورة

عليك الصلاة وأزكى السلام

وقبلك عاش الورى في ظلام ... وخيم فوق القلوب الخصام

ولم يعرف الناس طهر الحلال ... ولم يدرك الناس خبث الحرام

وتمضي الحياة بهم كيفما ... تسير، وهم في عماهم نيام

فجئت لكل الورى رحمة ... وهديا، يبيد العمى، والقتام

أتيت، فكنت الهدى، والتقى ... وجئت فكنت السنا، والوئام

وأنت الأمان، وأنت الرضا ... وفيضك من كل أفق غمام

وأنت المقدم، والمجتبى ... إذا صفت الرسل كنت الإمام

مكانك في شاهقات الذرى ... وقدرك يعلو، رفيع المقام

وأنت صفات العلا كلها ... وأنت لكل سمو إمام

وأنت لفضلك، ياسيدي ... لكل المكارم . جئت التمام

عليك تنزل شرع سما ... وهديك أمن لكل الأنام

شرائع للحق، قد أشرقت ... وأنت لوحي السماء الختام

أتم بك الله نور الهدى ... عليك الصلاة، وأزكى السلام



د. خالد برادة
شاعر وباحث مغربي

نبضة القدس

أودع القدس بالفؤاد شجونه
وأهاجت لظى الغرام حنينه
في الغياب الطويل أضناه شوق
هب يشكو إلى حبيب أنينه
في الإسار العنيد أفزعه الخطب،
فصار الشجى دموعا سخينه
في القتام الصفيق سهران ليل
من يسلي فؤاده وجفونه؟
من يداوي جراحه وأساه؟
بعدما باغتت وحوش عرينه
أنا يا قدس من رباك قريب
بهيام بلوعة بسكينه
أنا يا قدس في حماك شجي
أفجعته الدنا وأوهت يمينه
أنا يا قدس دمعة ذرفتها
في ظلال المروج ورق حزينه
أنا يا قدس عاشق ألهمته
نسمة الفجر شدوه ولحونه

جاسم الجاسم
باحث دراسات إسلامية



الغيبة.. أخطر آفات اللسان

من أخطر أمراض وآفات اللسان التي ابتلي بها الكثير: هي اغتياب الناس والتحدث عنهم بغيابهم بكلام يكرهونه ويؤذيهم.

ورغم أن الدين الإسلامي حذر من الغيبة ونهى عنها واعتبرها من المحرمات، إلا أن البعض لا يحلو له الحديث في المجالس إلا بالتكلم عن خلق الله والتعرض لحياتهم وخصوصياتهم وما يقومون به من أعمال.

والغيبة: هي ذكر الشخص بما يكره من العيوب، وهي ليست مقتصرة على اللفظ، إنما تشمل أيضا الإشارة والرمز وكل ما يشير إلى غيبة الإنسان والتكلم عنه.

وجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الكثير من الآيات والأحاديث التي تناولت موضوع الغيبة وحذرت منها ومن سوء الأخذ بها.

وتأتي الغيبة بسبب الحسد وكره الخير للآخرين وضعف الإيمان، ما يجعل البعض يستطيب له اغتياب الناس والأخذ بأعراضهم.

ويكون التخلص من فعل الغيبة بمخالطة الصالحين والابتعاد عن غيرهم، وتذكر عيوب النفس والانشغال بها، وأنه قد يبتلى الإنسان بشخص يغتابه، ويذكر عيوبه لدى الآخرين.

ومن الآيات التي تحذر من الغيبة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ (الحجرات: ١٢).

وجاء في السنة النبوية الكثير من الأحاديث تنهى عن الغيبة، منها ما رواه أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته). (رواه مسلم، (٢٥٨٩)).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال ﷺ: (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته). (رواه أبو داود، (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)).

وعن أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ قال: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته). (رواه أبو داود، (٤٨٨٠)).



عمرو طه
قاص مصري

الأدب حلي في الغنى، كنز عند الحاجة عون على المروءة، صاحب في المجلس، مؤنس الوحدة، تعمر به القلوب الواهية، وتحيا به الألباب الميتة، وتنفذ به الأبصار الكليلة، ويدرك به الطالبون ما يحاولون.

مصطفى لطفي المنفلوطي

إن الحضارة تقوم على ساقين إحداهما الكتب.. والأخرى المصانع.. الكتب تصنع للإنسان الغايات مثل: الآداب والعلوم والفنون.. وفي المصانع يصنع الإنسان الوسائل إلى هذه الغايات..

د. مصطفى محمود

نصف مشاكلي أني لا أتكلم كثيرا، والنصف الآخر منها أني عندما أتكلم لا يبدو الكلام شبيهاً لما كنت أريد قوله.

إرنست همينغوي

لا قيمة لمعروف قال فاعله: أنا فعلته..

نجيب محفوظ

عندما يرتطم رأسك بوعاء أجوف ويحدث رنينا، فإنه ليس بالضرورة أن الوعاء هوَ الفارغ.

كونفوشيوس



عبدالرؤوف توتي بن حمزة، الهند
باحث أكاديمي

أبو بكر العدني بن علي

فقد العالم الإسلامي علما من أعلام اليمن الحبيب العلامة أبي بكر العدني بن علي المشهور بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والتنوير داخل اليمن وخارجها عن عمر يناهز ٧٧ عاما.

ولد الفقيد-رحمه الله – أبو بكر العدني ابن علي عام (١٩٤٧م – ١٣٦٠هـ) بمدينة أحور بمحافظة أبين في أسرة عريقة مشهورة بتوارث العلوم أبا عن جد، وينتمي الشيخ إلى أسرة السادة آل باعلوي الحضارمة، وينتمي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما كما في موقعه الرسمي على الشبكة.

يعد الفقيد من أبرز الدعاة في اليمن حيث سلطت أضواءها في أنحائها. كان خطيبا بليغا قد جمعت في خطبه جوامع الكلم، وكان داعية فصيحا، وقد جعل التواضع رداءه والسماحة شيمته. وكانت مجالس الوعظ له تستهوي فيها النفوس بأبعادها المختلفة من أسلوبه الحكيم ومحسناته اللفظية وغيرها.

وقد تربى الشيخ أبو بكر على احتضان والده علي بن أبي بكر، وحفظ القرآن الكريم على يديه، ونال نصيبا كبيرا من علوم عدة من والده بما فيها من علوم الشرعية واللغوية حيث كان يشهد في حلقاته وفي (المدرسة الميمونة) ببلدة أحور.

التكوين العلمي

كان هو المؤسس لجامعة الوسيطة الشرعية للعلوم الإسلامية والإنسانية التي بدأت عملها في عام (٢٠١٦م) في حضر موت. وقد ساهم متفاعلا في مجال الدعوة، حيث عمل على بعض المشاريع الدعوية والعلمية الخاصة كما أطلق عليها أسماء مثل «فقه التحولات» و«سنة المواقف» و«سنة الدعوة».

وقد أفرخت عن أعماله النبيلة عشرات المعاهد التربوية التعليمية تحت مسمى «أربطة التربية الإسلامية»، وهي مواقع تستهوي إليها الطلاب الباحثون من الجامعات من أصقاع المعمورة ومدارس التعليم الأساسي والثانوي، وأسس الشيخ أيضا من مراكز الدراسات والأبحاث في أنحاء اليمن خاصة.

مؤلفاته

قد خلف وراءه مؤلفات جمة في مجالات عدة، كتب في الفكر والتربية وفقه الدعوة والتاريخ والتراجم وغيرها، ومن أبرز مؤلفاته:

- ❖ الأسس والمنطلقات في تحليل غوامض سنة المواقف وفقه التحولات.
- ❖ إحياء لغة الإسلام العالمية.
- ❖ دوائر الإعادة ومراتب الإفادة.
- ❖ سلسلة أعلام مدرسة حضرموت.
- ❖ المستشرقون والتنويريون.
- ❖ المناصرة والمؤازرة.
- ❖ مستجدات فقه الدعوة إلى الله في المرحلة المعاصرة.
- ❖ فقه الدعوة للمرأة المسلمة.

وله دواوين شعرية منها:

المورد العذب، الحواشي، الوشاح الأحمر، بكاء القلم.

وألف قصصا وروايات منها:

مدينة الفحارير، الخروج من الدائرة الحمراء، الحفر على جدار الذكريات.

ومن مؤلفاته في التاريخ:

الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور.

وفاته

وافته المنية في مدينة عمان بالأردن في الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٤٤٣ للهجرة الموافق (٢٠٢٢/٧/٢٧م) بعد تعب ألم به في الآونة الأخيرة وهو في اليمن سافر على إثرها للأردن لإجراء الفحوصات اللازمة، وكان من أقدار الله جل وعلا إدخاله المستشفى إثر تعبه الذي اقتضى وضعه تحت الملاحظة الطبية التي مكث فيها إلى أن أسلم الروح إلى بارئها.

وقد شارك في تشييع الجثمان عدد كبير من العلماء والدعاة وطلبة العلم وعدد من القيادات العسكرية والأمنية وقيادات السلطة المحلية وغيرهم من أنحاء العالم بمقبرة زنبل التي أوصى الفقيد بدفنه فيها. والأمة تشتاق لصوته الرائع والموعظة الحسنة التي تنبعث من ثغره الشريفة.

فنسأل الله لشيخنا الرحمة والمغفرة، وأن يخلفه على الجميع بالخلف الصالح، وإنا لله وإنا إليه راجعون ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.





محمد ثابت توفيق
باحث وقاص

كان عضوا مؤسسا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت

وداعا العلامة الشيخ د. يوسف القرضاوي

رحل عن عالمنا في العاصمة القطرية الدوحة يوم الإثنين (٣٠ من صفر الماضي الموافق ٢٦ من سبتمبر) الداعية الشيخ يوسف عبدالله القرضاوي عن عمر يناهز (٩٧ عاما)، فقد ولد -رحمه الله- بقرية صفط تراب من أعمال مدينة المحلة الكبرى بمديرية الغربية المصرية في (٩ من سبتمبر ١٩٢٦م)، وتدرج في التعليم متفوقا في دراسته بالأزهر الشريف حتى نال الدكتوراه منه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في عام (١٩٧٣م)، وتنقل في الإقامة بين مصر ودولة قطر منذ عام (١٩٦١م) إذ أعير إليها في البداية، ثم استقر بها لاحقا، وألف نحو (١٧٠ كتابا)، منها ما كان في مجال الاقتصاد الإسلامي ونصرة مسلمي العالم، وعرف عموما بمجهوداته في التعريف بالإسلام والذود عن حياضه، فكان عضوا مؤسسا لـ«الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» بمقرها الدائم بالكويت، وفضلا عن كتاباته ومنها ومحاضراته كانت له مجموعة مقالات في مجلة «الوعي الإسلامي»، بالإضافة لمحاضراته العامة، وأيضا عمله الأكاديمي، كما أنه أسس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في عام (٢٠٠٤م)، وقبلها بـ١٠ سنوات نال جائزة الملك فيصل في الدراسات الإسلامية بالمشاركة مع الراحل الشيخ سيد سابق -رحمهما الله- وكان هذا تحديدا في عام (١٩٩٤م).

النشأة والجد في طلب العلم

من غير المعروف عن الراحل أن والده توفاه الله وعمره عامان فتولى عمه تربيته، فحفظ الراحل القرآن الكريم في صغره مع إتقان تجويده، ثم التحق بالمعاهد الأزهرية ليتم دراسته الابتدائية ثم الثانوية، وكان ترتيبه فيها الثاني على القطر المصري كله، ثم درس بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ونال شهادتها في العام الدراسي (١٩٥٢م/١٩٥٣م)، وكان الأول على زملائه، وحرص على أن ينال في العام التالي شهادة كلية اللغة العربية مع إجازة التدريس، وكان الأول على الكليات الأزهرية البالغ عددها ثلاثة وقتها.

بدأ مسيرة دراسته العليا فنال دبلوم معهد الدراسات العليا في الأدب واللغة عام (١٩٥٨م)، وبعدها بعامين حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، وكلل مسيرة الدراسات العليا عام ١٩٧٣م بنيل الدكتوراه بامتياز من الكلية نفسها عن دراسة بعنوان: «الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية».

أنشأ الراحل في قطر -ضمن مجهوداته الخيرية- صندوق قطر الإسلامي للزكاة والصدقة، علاوة على جهود مماثلة بقريته صفط تراب مثل معهد ومسجد ومستشفى الصحوة، ومسجد الرحمة في مدينة نصر بالقاهرة.

بالإضافة لمؤلفاته في الفقه والسنة والإيمان وطرف من التفسير وغيرها، كما أنه قرض الشعر وله قصائد في موضوعات شتى تخص الإسلام وشرف الانتساب إليه والشوق للمسجد الأقصى وتحريره.

اجتهد الشيخ القرضاوي رحمه الله في بعض القضايا وأدلى برأيه الذي قد يصيب فيه وقد يخطيء كأي بشر لكن عطاءه المتواصل أهله للحصول على جوائز منها على سبيل المثال:

- جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي عام (١٤١١هـ).
- جائزة العطاء العلمي المتميز من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام (١٩٩٦م).
- جائزة السلطان حسن بلقيه (سلطان بروناي) في الفقه الإسلامي عام (١٩٩٧م).

رحم الله الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي وعوض الأمة في وفاته خيرا.

د. خالد صلاح حنفي محمود
أستاذ جامعي

كتاب أذهل العالم بمحتواه ومبتغاه

الطفل العربي وأفلام ومسلسلات الرسوم المتحركة

ساهمت الثورة الكبيرة التي شهدتها مجالات التكنولوجيا الرقمية في التغيير الجذري للعالم الذي نحيا فيه، فمن سمات عصرنا الراهن أنه «عصر الصورة» مما يعني هيمنة الصورة وسيادتها لتكون إحدى أهم أدوات عالمنا المعرفية والثقافية والاقتصادية والإعلامية.

والرسوم المتحركة هي عبارة عن مجموعة من الصور أو الرسوم المعدة مسبقا بحيث تمثل كل صورة طورا من أطوار الحركة، وتختلف كل منها عن الصورة السابقة اختلافات طفيفة، ويتم عرضها بمعدل (٢٤) صورة في الثانية الواحدة بواقع (١٤٤٠) صورة في الدقيقة الواحدة، وهذا يعمل على أن تبقى الصورة على شبكية المشاهد قبل عرض الصورة الثانية، فتبدو الصورتان لحالة مستمرة للجسم فيبدو وكأنه يتحول من الوضع الأول إلى الوضع الثاني الذي تمثله الصورة التالية له وهكذا.(١)

وللرسوم المتحركة أثر كبير في شخصية الطفل، لما تقوم به من بث ونقل المعلومات والمفاهيم والقيم بصورة متسلسلة وقصصية، وكلما كانت أفلام الرسوم المتحركة قصيرة كان تأثيرها أشد وأقوى،



وأهم ما يميز أفلام ومسلسلات الرسوم المتحركة عن غيرها هو استخدامها لعناصر الصوت والحركة والألوان والمثيرات البصرية الصوتية والبصرية والحركية لجذب انتباه وحواس الطفل بلغة بسيطة يفهمها تحاول من خلاله نقل معلومة أو فكرة أو قيمة أو اتجاه. وقد أكدت الدراسات قوة تأثير أفلام الكارتون على الطفل، ومنها دراسة أوضحت أنه من بين كل عشرة آلاف طفل هناك خمس حالات يقومون بتقمص شخصيات الكرتون وما يشاهدونه، ويكون هؤلاء الأطفال من أسر لا تهتم بأبنائها، ولا تحرص على متابعتهم حول ما يشاهدونه كوسيلة جيدة لإكسابهم المعلومة الصحيحة.[٢]

إقبال الطفل العربي على الرسوم المتحركة

تلقى أفلام الرسوم المتحركة درجة تفضيل عالية بين البرامج والفقرات التليفزيونية لدى الطفل، وهو ما يؤكد الأثر الواضح للتلفزيون على الأطفال العرب، فاستهلاك الوطن العربي من أفلام الكرتون كما تشير إحدى الدراسات تجاوز (٩٠ في المئة) وتلهث وراءها شركات الإنتاج لما تدره من أرباح تصل لملايين الدولارات، وتحتل الفضائيات العربية الموجهة للأطفال الصدارة بعرضها أفلام الكرتون، وتحرص شركات الملابس على استخدام الشخصيات الكرتونية المحببة للطفل لوضعها على الملابس والفساتين حتي يتعايش الطفل معها طوال الوقت.

وفي دراسة لمنظمة اليونسكو أشارت إلى أن الطفل العربي ما أن يبلغ الثانية عشرة من عمره يكون قد أمضى أمام التلفاز ما يقارب (٢٢ ألف ساعة) بينما يقضي في غرفة الدراسة حوالي (١٤ ألف ساعة) كما أظهرت الدراسات أن برامج الأطفال تظهر فيها مشاهد العنف حوالي (٦٠-٥٠) مرة أكثر عنها في برامج الكبار، بل إن أفلام الكرتون التي تتضمن أكثر من ()٨٠ مشهدا للعنف في الساعة. وفي إحصائية عن الأفلام التي تعرض على الأطفال عالميا وجد أن (٢٩,٦ في المئة) منها يتناول موضوعات جنسية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وأن (٢٧ في المئة) منها يدور حول العنف والجريمة والمعارك والقتال الضاري وأن (١٥ في المئة) منها يدور حول الحب بمعناه الشهواني. وتفيد دراسة أخرى أجريت على الطفل العربي أن ذروة فترة المشاهدة يكون في الفترة المسائية وتعرض خلالها مشاهد عنيفة بمعدل خمسة مشاهد في الساعة «وهذا يعني أن الطفل في عمر (١١) عاما يكون قد شاهد نحو (٢٠ ألف) مشهد قتل أو موت وأكثر من (٨٠ ألف) مشهد اعتداء!!. وهذه الدراسات جميعها تدق لنا ناقوس الخطر في العالم العربي، وتدفعنا للتفكير حول كيفية التعامل مع أفلام ومسلسلات الكارتون عامة كحكومات وأسر ومؤسسات اجتماعية مختلفة لحماية الطفل، وضمان سلامة الأفكار والمعلومات المنقولة إليه.

تأثير الرسوم المتحركة على الطفل

تعد أفلام الكرتون مصدر تسلية للأطفال، وتساعد في تزويدهم بالمعلومات وتنمية مواهبهم، وأهمية الدور التربوي لأفلام الكرتون ومسلسلات الأطفال كبيرة، حيث يمكنها المساعدة في نمو الطفل اللغوي والاجتماعي والوجداني والانفعالي، وإمداده بالخبرات الحياتية.

كما أن بعض أفلام الرسوم المتحركة التي تعد إعدادا جيدا قد يكون لها تأثير إيجابي على الأطفال[٣]. فمسلسل «عصام والمصباح» الذي أنتجه التلفزيون المصري مثلا يحكي ضرورة الاعتماد على النفس وأن الإنسان الوحيد القادر على تحقيق نجاحه وليس الفانوس السحري، وخلقت المخرجة حالة من الاندماج بين الشخصيات الكرتونية والأبطال مصطفى قمر ودرة ومحيي إسماعيل، وأثبتت أن الكرتون من الممكن أن يتبنى قضية ويساعد في حلها؛ فكان للعمل فضل في اهتمام الأطفال بمستشفى (٥٧٣٥٧) التي ركز عليها المسلسل ونادي بالتبرع لأطفالها وأهمية زيارتهم لتخفيف الآلام عنهم، كما صنعت أعمال الأطفال الدينية نوعا من الهدوء النفسي للأطفال وإكسابهم معلومات عن الرسل والصحابة والشخصيات الدينية فأعدت قناة سمسم مسلسلات وبرامج يجد فيها أطفالنا القصة والمعلومة النافعة والخلق



الرفيع، فعلى متن قطار سمسم في رمضان يتجول أطفالنا بمتعة ومرح بين محطات السيرة النبوية وسير الصحابة ومحطات لقصص الأنبياء، ومحطات للقصص القرآني وما يتضمنه من فوائد إيمانية وتربوية، والانتصارات والفتوحات والبطولات في تلك الأزمنة المضيئة.

وتقوم فكرة الرسوم المتحركة في أساسها على عالم افتراضي خيالي أبعد ما يكون عن الواقعية، فتكون معظم الأحداث غير منطقية، أو بلغة السينما (فانتازيا)، حيث لا وجود للمنطق وللأصول وأحيانا حتى القيم والأخلاق قد تكون غائبة، وهذا يؤدي بدوره لانعكاسات وآثار متنوعة على الطفل. فعندما يجلس الطفل لمشاهدتها يكون أبعد ما يكون عن التقدير الصحيح لحجم المخاطر حيث يرى الضئيل ضخما، والبطيء سريعا، فضلا عن بعض الممارسات خلال الأحداث، كالقفز من الأسطح أو القطارات بل والطائرات، كما أنها تتسبب في حالة عدم الإحساس بالوقت للطفل سواء بسبب سرعة الأحداث في الفيلم أو من ناحية أخرى بسبب جلوسه لفترات طويلة في المشاهدة حيث لا يشعر بمرور الوقت.

وتقوم غالبية الأحداث على صراعات عنيفة يريد كل طرف الفتك بالآخر والقضاء عليه بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة، ويوضح عبدالوهاب المسيري: «إن قصص توم وجيري تبدو بريئة ولكنها تحوي دائما صراعا بين الذكاء والغباء، أما الخير والشر فلا مكان لهما وهذا انعكاس لمنظومة قيمية كامنة وراء المنتج، وكل المنتجات الحضارية تجسد التحيز».

والرسوم المتحركة في أكثر الأحيان تروج للعبثية وغياب الهدف من وراء الحركة والسلوك، والسعي للوصول للنصر والغلبة في حمى السباق والمنافسة بكل طريق، فـ«الغاية تبرر الوسيلة»، كما تعمل على تحريف القدوة وذلك بإحلال الأبطال الأسطوريين محل القدوة بدلا من الأئمة المصلحين والقادة الفاتحين، فتجد الأطفال يقلدون الرجل الخارق Super man، والرجل الوطواط Bat man، والرجل العنكبوت Spider man، ونحو ذلك من الشخصيات الوهمية التي لا وجود لها، فتضيع القدوة في خضم القوة الخيالية المجردة من بعد إيماني.

وكشفت دراسة أمريكية أجرتها جامعة بيرغهام يانغ الأمريكية أن السلوك الاجتماعي والجسدي



للأطفال أصبح عنيفا بشكل واضح بسبب أبطال المسلسلات الكرتونية الخارقين، على غرار سبايدرمان وباتمان وسوبرمان. وأكبر مثال على تأثيرها هو ما نشاهده كمربين ترديد الأطفال للألفاظ والعبارات التي يسمعونها، وكذلك تقليد الحركات والأصوات التي تصور شخصيات أو حيوانات إضافة إلى تقليد بعض اللهجات والشخصيات في سلوكها وفي أزيائها.

وهناك حاجة للقيام بالعديد من الإجراءات من قبل الدول والأسر والمؤسسات في العالم العربي للحد من الآثار السلبية لمشاهدة أفلام ومسلسلات الكارتون على الطفل العربي والإفادة منها بصورة إيجابية وذلك من خلال:

١- دعم وتشجيع صناعة أفلام وبرامج ومسلسلات الرسوم المتحركة المنتجة عربيا والتي تعكس قيمنا وتقاليدنا وعاداتنا.

٢- قيام الأسرة بدورها في انتقاء الأفلام والمواد التي يشاهدها الطفل عبر التلفزيون، وتحديد أوقات المشاهدة، ومناقشة الطفل بصورة مستمرة حول محتوى البرامج التي يشاهدها، تدريب الطفل على الجلوس بشكل ووضع صحي للطفل، وتنبيه الأبناء أن الخيال جزء من الواقع وليس كل الواقع، فلابد من الاحتكاك بالواقع والتواصل مع الآخرين، ومراجعة سلوكياتهم أولا بأول لتصحيح أي اعوجاج أو تقويم أي خطأ يمكن أن يكتسبه الأبناء من أصدقائهم، ومساعدتهم على اختيار الأصدقاء الصالحين بأنفسهم دون خضوع لاختيارات الآخرين.

٣- حث المربين والأدباء العرب للتعاون مع مصممي أفلام الرسوم المتحركة لإنتاج برامج رسوم متحركة مناسبة لطفل الروضة والقيم والمعتقدات العربية.

٤- الانتقاء الإيجابي عند اختيار برامج الرسوم المتحركة من بين أفضل ما يعرض عالميا بما يناسب ثقافتنا، وإنشاء جهات رسمية لمتابعة نسب المشاهدة ومحتوى ومضامين الأفلام والبرامج المعروضة على الطفل وتوجهاتها الفكرية.

٥- التوسع في إنشاء وشركات لإعداد برامج وأفلام الرسوم المتحركة على المستوى المحلي والعرب ودعمها من الجهات الحكومية، وعقد المسابقات والمهرجانات لتشجيع المنتجين في ذلك الميدان.

٦- مراعاة أفلام الرسوم المتحركة المنتجة عربيا المعايير الآتية:

- أن تؤكد على القيم الدينية والاجتماعية والخلقية ولا تخالفها.
- أن تركز على تنمية مهارات الطفل العقلية والإدراكية.
- أن تبعد عن المشاهد والحوارات التي تخدش الحياء أو تخرج على الذوق العام أو تدعو إلى تصديق السحر والخرافات والشعوذة ومجابهة هذه المظاهر بالمنطق العلمي السليم.

٧- حرص الآباء والمربين على الجلوس مع أبنائهم وتبادل الحوار معهم لأكبر وقت ممكن، ومتابعة سلوكياتهم وتقويم الخاطئ منها، بدلا من ترك الطفل فريسة برامج ومسلسلات قد تغرس فيه قيم غريبة عن المجتمع. فلابد من مصاحبة الأم لأبنائها وجلوسها معهم أثناء المشاهدة لتنبيههم إلى السلوكيات الخاطئة فيما يشاهدون من (كذب/ تحايل/ عنف/ سرقة/ انحراف/ تدخين).

المراجع

- أماني تفاحة ولارا حسين (٢٠٠٩م): مواد وبرامج الأطفال في القنوات الفضائية العربية، المجلس الوطني لشئون الأسرة في الأردن.
- أنس الوجود رضوان (٢٠١٢م): مسلسلات الأطفال تتفوق على أعمال الكبار، جريدة الوفد، (٢٠١٢/٩/١م).
- رشادة لؤلؤ (٢٠٠٢م): تأثير الرسوم المتحركة المستوردة على الطفل القطري، مجلة الطفولة والتنمية، العدد السابع، المجلد الثامن.
- فاطمة النعيمي (٢٠٠٣م): أفلام جذابة تفسد وجدان الأطفال، مجلة الأسرة، عدد (٣٥٤).
- ليلى عبد المجيد (٢٠٠٢م): العلاقة بين الأطفال العرب والتلفاز: دراسة تحليلية للدراسات والبحوث الميدانية التي أجريت على الطفل العربي، مجلة الطفولة والتنمية.
- ممدوح الشيخ (٢٠١٥م): حوار مع عبد الوهاب المسيري، مجلة الإسلام وفلسطين، ع(٥٥).

الهوامش

١- (ليلى عبد المجيد، ٢٠٠٢، ص ٧٢).
٢- (فاطمة النعيمي، ٢٠٠٣).
٣- (راشد لؤلؤة، ٢٠٠٢).



مريم ثروت
باحثة إعلامية

التربية النفسية للطفل

يـروى أن عمر بن الخطاب مر على صبية يلعبون وفيهم عبدالله بن الزبير فهربوا منه إلا عبدالله، فقال له عمر رضي الله عنه: مالك؟ لم لا تهرب مع أصحابك؟ فقال له: يا أمير المؤمنين «لم أكن على ريبة فأخافك، ولم يكن الطريق ضيقا فأوسع لك»[1].

إذا تأملنا موقف عبدالله بن الزبير وهو صبي حديث السن مع أمير المؤمنين سيدنا عمر وهو ما يعرف عنه الشدة والرهبة لوجدنا أن عبدالله بن الزبير لم يخف منه ولم يهرب مثل بقية أصحابه بل وقف يجيب سؤاله بكل ثبات وطمأنينة تعجب منها أمير المؤمنين، فلا يتخيل أن طفلا في هذا السن يكون على هذا القدر من الثبات والهدوء في حضرة أمير المؤمنين، ولكن هذا دليل على تربيته الصالحة التي جعلت منه طفلا ذا نفسية سوية مطمئنة.

فالطفل الذي ينشأ ويترعرع في بيت أقيم على التقوى والصلاح فإنه يقتدي بذلك من دون كبير جهد وعناء، إذ يمتص عادات أبويه بالتقليد حتى يكبر ويفهم ويقتنع ويصبح واعيا متفهما أوامر دينه وأحكامه، يقول عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله-: «الصلاح من الله والأدب من الآباء».

وإذا كانت التربية في عمومها تهتم بإصلاح الأبناء وتزكيتهم فإن الجانب النفسي من التربية يركز على أن ينشأ الطفل سليما خاليا من الاضطرابات النفسية، متصفا بالاتزان النفسي، قادرا على ضبط انفعالاته والتحكم فيها.

وقد أولى الإسلام التربية النفسية



أهمية كبيرة ومنزلة عظيمة، حيث إنه برقي ذاك الجانب النفسي ترتقي جميع الجوانب الأخرى للشخصية المسلمة، وتبدأ التربية النفسية بقول لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣) فنهاه عن الشرك بالله وغرس فيه مراقبة الله عزوجل، فإذا راقب الله حرص أن يراه الله حيث أمره ولا يراه حيث نهاه، وبذلك تتحقق الطمأنينة التي هي أساس التربية النفسية.

ومن خلال هذا المفهوم البسيط يأخذنا الحديث إلى غايات التربية النفسية وهي في غاية الأهمية ومنها:

١- أن ينشأ الطفل في بيئة تخلو من الاضطرابات النفسية، فيكون بعيد كل البعد عن القلق والتوتر والإحباط، فالطفل إنما يصاب بالقلق إذا كان لديه حاجة غير مشبعة وحينها يصاب بالإحباط ويتكون لديه شعور سيء يخرج في هيئة سلوك سلبي وهو العنف والعدوان، وذلك إما تجاه نفسه أو تجاه الآخرين، ولكن إذا أشبعت حاجات الطفل لم يتعرض للقلق والخوف وبذلك نحقق الغاية الأولى من التربية وهي الأمن.

٢- أن يتمتع الطفل بالطمأنينة وهي أعلى من الأمن، وذلك أن يعيش الطفل وهو مرتاح البال مطمئنا لكل شيء، والذي يحقق الطمأنينة هو شعورهم بالحب، والحب الذي ليس في الصدور فقط، بل في السلوك، وهو ما يعني ترجمة هذا الحب إلى سلوك كالضمة والقبلة واللمسة، وكان النبي ﷺ كثيرا ما يداعب أحفاده ويضمهم ويقبلهم، وقد روي أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبِّل حسنا، فقال: لي عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم قط، قال: «إنه من لا يَرحم لا يُرحم»[٢].

٣- أن يتمتع الطفل بالرضا والسعادة، ويصل الطفل إلى هذه المرحلة عندما تحاوره كصديق في جميع الأمور حتى في القضايا العامة، فلا تهمش رأيه ولا تقلل من قيمته، عندما تمدح الطفل ويكون محل فخر واعتزاز لأهله، عندما يشعر بدعم من حوله له حينها يتمتع بالرضا والسعادة.

الانسجام التام بين رغباته ومعتقداته، فعندما يكون هناك أرض خصبة للقيم فلن يستمتع بشيء يخالف قيمه ومعتقداته، بل يكون هناك انسجام تام وتوازن بين ما يريد وبين ما يعتقده.

أهداف التربية النفسية

١- القدرة على ضبط النفس وتجنب مثيراتها والتحكم في الانفعالات، يقول النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٣].

٢- الاتصاف بالاتزان الانفعالي والرصانة في ردود الأفعال وعدم التقلب تبعا للعوارض التافهة.

٣- تنمية الاستقلال العاطفي وعدم الانسياق الأعمى وراء الآخرين في عواطفهم وانفعالاتهم، وفي ذلك يخبرنا النبي ﷺ: «لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسنوا أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا»[٤].

٤- واقعية النظرة للنفس وعدم الإسراف في تقدير الذات حتى يتجنب الكبر، يقول النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وكل على خير واحرص على ما ينفعك ولا تعجز فإن فاتك شيء فقل: كذا قدر وكذا كان، وإياك ولو فإنها مفتاح عمل الشيطان»[٥].

والبناء النفسي للطفل يعتبر من أكثر الأمور أهمية وحساسية في حياة الطفل، وذلك لأن العاطفة تحتل مساحة كبيرة في نفس الطفل وإذا أخذها بشكل متوازن كان إنسان سويا بكل معاني السوية، ولكل مرحلة من مراحل الطفل حاجات ورغبات يقوم على أساسها البناء النفسي السليم، لذلك يجدر بنا أن نتناول أهم أسس البناء النفسي للطفل:

١- حاجته إلى المحبة واللطف، فبدونها يعيش الطفل وهو يشعر بالتوتر والانعزالية، ويتحول إما لشخص عدواني أو شخص انطوائي، ومن جميل الإسلام أنه وضع نظاما في التربية يلبي هذه الحاجة ومنها: تقبيل الطفل ومداعبته وممازحته والسعي بكل الطرق لإدخال السرور على قلبه وإحساسه بالحب والفرح وتقديم الهدايا له فقد أهدى النبي حفيدته أمامة من هدايا

النجاشي، وكذلك حسن استقبال الطفل ومعاملته باللطف والود لأن هذه انطباعات أولى تدوم في قلب الصبي ولا ينساها أبدا، حيث تذكر جابر بن سمرة عندما مسح خده النبي ﷺ، وقال جابر: فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جونة عطار.

٢- الحاجة إلى الطمأنينة والأمن النفسي، حيث ينظر الطفل إلى أبويه أنهما الحصن والملاذ له، فعند نزول العوارض نجده يبحث عن الأمان والأمن النفسي، وقد اهتم النبي بذلك ووضحه من خلال تعليماته وتوجيهاته إلى ضرورة العدل والمساواة بين الأولاد في كل شيء، حتى في القبلة، وعدم تفضيل الذكور على الإناث، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها، أدخله الله الجنة»[٦].

٣- الحاجة إلى التقدير والقبول، تظهر هذه الحاجة بصورة قوية في مرحلة المراهقة وهي أبعد الحاجات النفسية تأثيرا على الإنسان، لأن تلبيتها تعزز الشعور بالقبول الاجتماعي والاحترام لدى الآخرين، وفقدانها يجعله يشعر بالقلق والتوتر الذي ينافي التربية النفسية السوية التي كان يحرص عليها النبي في تربيته لأصحابه، فكان ﷺ يكلف الشباب بالمسؤوليات الكبيرة، فسيدنا علي رضي الله عنه نام في فراش النبي ليلة الهجرة، وعبدالله بن أبي بكر كان ينقل أخبار مكة للنبي وأبيه وهما في الغار، يقول النبي ﷺ: «بحسب امرئ من السوء أن يحقر أخاه المسلم»[٧].

٤- الحاجة إلى ضابط موجه: فلنضج الطفل نفسيا وعقليا يحتاج إلى موجه له لقصور إدراكه كثير من مواقف الحياة، فالوالدين هما السلطة الضابطة لأخلاق الأطفال، وهما المثل والقدوة التي يقتدي بها الأبناء، فلا يروا منهم إلا كل حسن، والنبي ﷺ كان إذا أراد أن يقوم سلوكا معوجا لأحد الناس كان ينصحه بالتعريض لا بالتصريح، فكان يقول: «ما بال أقواما يصنعون كذا وكذا»، فكان لا يذكر اسمه حتى لا يفضحه بل يعمم النصيحة لأن الهدف إنما هو الإصلاح.

أخيرا أذكر بعض الخطوات والتطبيقات التي تساعدنا في تحقيق تربية نفسية سوية:

١- أن يعيش الطفل في بيئة تقبله كما هو بحركاته وتصرفاته الطبيعية التي لا تتنافى مع الفطرة التي فطره الله عليها، فتتقبله عندما يخطئ كما تتقبله عندما يصيب، فالذي يكره ويذم هو السلوك الخطأ وليس الطفل.

٢- احترام الطفل واعتباره كالكبير له احتياجات ومتطلبات، واحترام الطفل معناه أن يعامل كما يحب أن يعامل هو لا كما نحب أن نعامله نحن.

٣- أن تكون بيئته داعمة له ليست محبطة، وأول بيئة ساندة للطفل هي أسرته، والإحباط يأتي إذا كان سقف الطموحات عاليا جدا كأن تقول لولدك أريدك أن تحفظ القرآن كاملا في ثلاث سنوات مثلا، فالأفضل أن تقول له أتوقع منك أن يتحسن مستواك وتحفظ سورة واحدة في الأسبوع، حينها يتحفز الطفل ويبذل قصارى جهده ليكون عند حسن ظنك به.

٤- التعامل مع الطفل من خلال منطلقات ثلاثة:

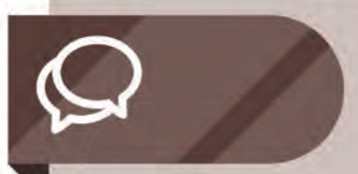
١- الإنسان خيِّر بطبعه، مولود على الفطرة، مولود مكرم، كرمه الله فيجب أن نحفظ له كرامته.

٢- الإنسان حر في اختياراته، فنحفظ له حريته ونحترم اختياراته، ما دامت لا تخالف الشرع.

٣- الإنسان طموح بطبعه، يسعى للنمو والارتقاء في اتجاه أفضل، وجميل أن ندرب الطفل على الحب والبذل والعطاء بدون مقابل، وهذا أسمى معاني الرقي والإنسانية.

الهوامش

١- أدب الدين والدنيا، (ص٩) .
٢- أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨)، وأبو داود (٥٢١٨).
٣- أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).
٤- أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٠٧).
٥- أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجة (٤١٦٨)، والنسائي في سننه الكبرى (١٠٤٥٧).
٦- أخرجه الألباني (١٤٢٠)، وأبو داود (٥١٤٦).
٧- أخرجه مسلم (٢٥٦٤).



اقتصاد إسلامي

الولاية والوصاية على مال الصغير وفقا للقانون الكويتي

سعيد حسن السعيد
كاتب وباحث

- نظم القانون الكويتي الولاية والوصاية على مال الصغير إذا كان له مال احتاج إلى من يقوم بحفظه وإدارته والتصرف فيه، وأناط بهذه المهمة بالولي أو الوصي على حسب الأحوال.

- فالولي وكما ورد في اصطلاح الفقه الإسلامي، يطلق على الأب والجد الصحيح وهو أبو الأب، أما الوصي فهو من يختاره الأب وصيا على أولاده الصغار ويقال له: الوصي المختار، أو من تعينه المحكمة وصيا وهذا ما ورد بالمذكرة التفسيرية لنص المادة (١١٠) من القانون المدني الكويتي.

- وإذا كان الصغير كويتيا ولم يثبت الولاية على ماله لأبيه أو للوصي المختار من أبيه أو لجده على النحو المتقدم فإن الوصاية على ماله تثبت لإدارة شئون القصر، وهذا حكم خاص إذا كان الصغير من الكويتيين إذا لم يكن للصغير أب أو وصي مختار ولا جد، ومع ذلك يجوز وبناء على طلب أي ذي شأن أن تعين المحكمة وصيا آخر بدلا من إدارة شئون القصر متى رأت أن ذلك في مصلحة الصغير.

- وتكون الولاية أو الوصاية على كل أموال الصغير إلا إذا رأى الأب تخصيص الوصي المختار منه بنوع من المال أو التصرفات أو إذا رأت المحكمة تحديد ولاية الوصي التي تعينه ببعض أنواع المال أو بنوع من التصرفات وفي هذه الحالة يتخصص بما خصصه الولي أو القاضي وذلك لأن ولاية الوصي سواء مختار من الأب أو تم تعينه من المحكمة مستمدة من الأب والقاضي فتكون على حسب ما فوضه كل منها إليه.

- وهناك حكم خاص ببعض أموال الصغير وهو المال الذي يؤول إليه عن طريق الميراث أو التبرع، فهذا المال يكون خارجا عن نطاق الولاية أو الوصاية إذا أوصى المورث أو اشترط المتبرع عند التبرع عدم خضوعه لولاية الأب أو الجد أو للوصي، وفي هذه الحالة تثبت الولاية في خصوصه لمن يختاره المورث أو المتبرع وصيا على هذا المال، وإن لم يختر المورث أو المتبرع وصيا خاصا في خصوص هذا المال عينت المحكمة له وصيا خاصا تكون سلطته مقصورة عليه، وقد تناول ما سبق المواد من (١١٠ الى ١١٦) من القانون المدني الكويتي. وتناولت المادة (١١٩) من القانون المدني الكويتي حكما آخر بشأن تعدد الأوصياء فأجازت للأب أن يوصي على مال أولاده الصغار أكثر من واحد، كما يجوز للمحكمة أيضا تعيين أكثر من وصي إذا ما رأت أن مصلحة الصغير تقتضي ذلك، وفي هذه الحالة ومع تعدد الأوصياء ولم يحدد لأحدهم اختصاصه في التصرف فلا يجوز لأحدهم أن ينفرد بالتصرف في المال بل لابد من اشتراكهم جميعا فيه، وذلك وكما ورد بالمذكرة التفسيرية أن اختيار أو تعيين أكثر من وصي يدل على أن الغرض من هذا التعدد اجتماع رأيهم واشتراكهم في كل تصرف في المال حتى يكون التصرف الذي يجرى أصلح وأنفع للصغير من التصرف الذي ينفرد به وصي واحد.

- وحاصل ما تقدم نحو تعدد الأوصياء أنه إذا لم يخصص لأحدهم اختصاص في التصرف فلا بد من اشتراكهم في التصرف وإذا خصص لكل واحد اختصاصه فينفرد بالتصرف في حدود ما خصص له.

- وتناولت المادة (١٢١) من القانون المدني الكويتي حال اختلاف الأوصياء المتعددون عند لزوم إجماعهم فتتولى المحكمة بناء على طلب أي منهم أو طلب إدارة شئون القصر أو أي ذي شأن آخر حسم الأمر على نحو ما تراه محققا مصلحة الصغير.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٧٤)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الصنعاني) (القسم الثاني):

١- علي الصنعاني (ت: ٨٨٢هـ):

هو علي بن زيد بن الحسن الشظبي، الصريمي الصنعاني، فقيه، من آثاره: (التذكرة في فروع الفقه المالكي)، و(شرح على التكملة)، و(تعاليق)، توفي بصنعاء[١].

٢- علي الصنعاني (ت: ١١١٩هـ):

هو علي بن يحيى بن أحمد بن مضمون الصنعاني، فقيه، مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة: (١٠٦١هـ)، من آثاره: (فتاوى) مجموعة في مجلد، وتوفي بصنعاء[٢].

٣- محمد الصنعاني (ت: ١٢١٧هـ):

هو محمد بن أحمد بن الحسين الحسني، الصنعاني، أديب، شاعر، فلكي، طبيب.
ولد بصنعاء سنة: (١١٦٣هـ)،



ونشأ بها، من آثاره: (جدول يشمل الشهور العربية والرومية والسنين النيروزية)، توفي بصنعاء[٣].

٤- يحيى الصنعاني (ت: ١٢١٨هـ):

هو عيسى بن محمد الصنعاني، اليمني، متكلم، من آثاره: (السيف الهندي في إبانة طريقة الشيخ النجدي)، توفي بصنعاء[٤].

٥- يحيى الصنعاني (ت: ١٢٦٨هـ):

هو يحيى بن المطهر بن إسماعيل الصنعاني، اليمني، الزيدي، محدث، مؤرخ، أديب، شاعر.

ولد في صنعاء سنة: (١١٩٠هـ) ونشأ فيها، ولازم الشوكاني، من آثاره: (ديوان شعر)، و(شرح سنن أبي داود)، و(الروض الباسم في معرفة أولاد الإمام قاسم)، و(العطاء والمنن) في التاريخ، ورحلة إلى مكة سماها: (بلغة المرام)، توفي في صنعاء[٥].

المتفق والمفترق في اسم (ابن أبي عصرون):

١- شرف الدين بن أبي عصرون (ت: ٥٨٥هـ):

هو شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله التميمي الشافعي، المعروف بابن أبي عصرون، من كبار علماء الشافعية.

ولد بالموصل سنة: (٤٩٢هـ)، وانتقل إلى بغداد، واستقر في دمشق، فتولى بها القضاء، وعمي قبل موته بعشر سنين، وإليه تنسب المدرسة العصرونية في دمشق.

من أبرز مصنفاته: (صفوة المذهب على نهاية المطلب)، و(الانتصار لما جرد في المذهب من الأخبار والاختيار)، و(المرشد)، و(الذريعة في معرفة الشريعة)، و(التيسير) في الخلاف، توفي بحلب[٦].

٢- سعد الدين بن أبي عصرون (ت: ٦٦٥هـ):

هو سعد الدين أبو يوسف يعقوب بن عبد الرحمن ابن القاضي أبي سعد التميمي ابن أبي عصرون، فاضل، من علماء الشافعية، كان مدرسًا بالمدرسة القطبية بالقاهرة، من مصنفاته: (مسائل) على المهذب، في فروع الفقه الشافعي، توفي بالمحلة[٧].

٣- محمد ابن أبي عصرون (ت: ١١٥٠هـ):

هو محمد بن أحمد بن محمود الكنجي، الشهير بابن أبي عصرون، فاضل.

من مصنفاته: (بلوغ المنى في تراجم أهل الغنا)، و(رشف النبيه من ثغر التشبيه في شرح زهر الربيع)[٨].

الهوامش

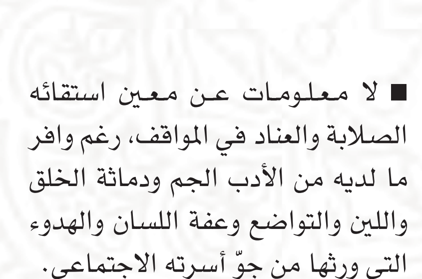
١- انظر: معجم المؤلفين (٧/٩٦).
٢- انظر: البدر الطالع (١/٥٠١) ومعجم المؤلفين (٧/٢٦٠).
٣- انظر: نيل الوطر (٢/٢١٨) ومعجم المؤلفين (٨/٢٥٣).
٤- انظر: إيضاح المكنون (٢/٣٧) ومعجم المؤلفين (٨/٣٢).
٥- انظر: هدية العارفين (٢/٥٣٥) الأعلام للزركلي (٩/٢١٧) ومعجم المؤلفين (١٣/٢٣١).
٦- انظر: الأعلام للزركلي (٤/١٢٤) ومعجم المؤلفين (٦/١٤٣).
٧- انظر: الأعلام للزركلي (٨/٢٠٠) ومعجم المؤلفين (١٢/٢٥٠).
٨- انظر: هدية العارفين (٢/٣٢٤) ومعجم المؤلفين (٩/٢٠).



أ. هشام الصباغ
باحث لغوي

عميد أدب «المقاومة»

إسحق موسى الحسيني



■ لا معلومات عن معين استقائه الصلابة والعناد في المواقف، رغم وافر ما لديه من الأدب الجم ودماثة الخلق واللين والتواضع وعفة اللسان والهدوء التي ورثها من جوّ أسرته الاجتماعي.

■ أمام محنة سرقة الأرض ونهب الخيرات وإبادة التراث ومحو التاريخ وقلب الحقيقة وتشويهها؛ حتى تصير الأكاذيب حقائق والسلب حقا والعدوان دفاعا والأرض العربية صهيونية، أمضى أكثر من خمسة وستين عاما من حياته في العناية بالقدس، حاملا راية الجهاد بالكلمة التي تخلق الوعي، وتنشط الذاكرة، وتحمس النفس، وتجعل التاريخ حيا في القلوب، وتشعل جذوة اليقظة، وتمد الأمة بزاد من التجارب التي تجعلها أكثر قدرة على المقاومة ودفع الواقع المفروض، وإن طال الزمان وكثر الخائنون وتربصوا بها الدوائر.

■كان يعمل بالقاهرة وقت سقوط مدينة القدس الشرقية في يد الصهاينة سنة: (١٩٦٧م)، فأهمَّه الأمر، ونذر نفسه للتوعية بقضية القدس؛ محاولا إحياء تراثها، وجمع مآثرها، وتدوين أخبارها، والدعوة للعودة إليها، فكتب عن عروبتها، وعرف بفضائل بيت المقدس، باعتباره من المقدسات التي تصان ولا يجوز التفريط فيها، وقاد قسم فلسطين في معهد البحوث والدراسات العربية؛ ليسهم في تخريج متخصصين يعملون على تعبئة طاقة أمتهم، كما اتصل بعدد من المفكرين، وأسس معهم في القاهرة هيئة القدس العلمية.

■ إنه العالم المقدسي وشيخ أدباء فلسطين: سنّا، ومعرفة بالأدب القديم، وإحاطة بالأدب الحديث، وإدراكا لدوره من حيث إنه مدرس لهذا الأدب وباحث فيه وفي غيره من الموضوعات التي تَمُتُّ إلى الثقافة العربية الإسلامية بأدنى صلة.. الأستاذ الدكتور الشاعر الصحافي الكاتب الأديب: إسحاق موسى الحسيني.

النشأة والتعليم

■ في مدينة القدس، وفي حارة السعدية، ولد إسحاق موسى الحسيني عام: (١٩٠٣م)، لأسرة عريقة ذات حضور وطني وديني بارز وفي بيت تقوى وعلم وأدب، وكانت أسرته تنتمي إلى الدوحة الحسينية الطيبة التي كان لها في المدينة المقدسة دور كبير، إذ زودتها بفئة من علماء الدين والقضاة ونيابة الأشراف، فضلا عن الذين عملوا في السياسة، وهي الأسرة نفسها التي أنجبت الشيخ أمين الحسيني وعبد القادر الحسيني وغيرهما من قادة الجهاد في فلسطين.

■ في سن مبكرة أرسله والده إلى الكتاتيب ليتعلّم القرآن ومبادئ القراءة والحساب، لكن والده توفي وهو ما زال في السابعة من عمره، فتولت والدته مسؤولية تعليمه غير أنها نقلته إلى التعليم النظامي.

■ تنقّل الحسيني بين مدارس عدّة في القدس، فالتحق بـ«المدرسة الرشيديّة» وعمره لم يتجاوز العاشرة، ثم انتقل إلى «مدرسة السلطان سليم» حيث تعلّم اللغتين العربية والتركيّة.

■ بعدها وفي عام: (١٩١٥م)، التحق بـ«الكلّية الصلاحيّة» (أنشأتها الدولة العثمانية في القدس لتكون مثل الأزهر في مصر)، ودرس فيها التربية الإسلاميّة واللغة العربيّة وبعض مبادئ اللغة الفارسيّة، وبقي فيها حتى أغلقتها سلطات الاحتلال البريطاني سنة: (١٩١٧م)، ثم انتقل إلى «مدرسة الفرير»، حيث أمضى فيها سنتين ليلتحق بعد ذلك بالكلّية الإنكليزيّة المعروفة باسم «كلّية الشباب»، وفيها أنهى تعليمه الثانوي، وفيها درس اللغة العربية على الأستاذ نخلة زريق الذي شجّعه على التخصّص بدراستها.

■ بعدما أنهى تعليمه الثانوي في «كلية الشباب»، توجه إلى القاهرة ليستكمل دراسته الجامعية، فالتحق بالجامعة الأميركية بالقاهرة ودرس في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

حياته العملية

■ بعدما أتم دراسته في القاهرة عاد إلى القدس ليعمل معلما في الكلية الرشيدية، لكن نفسه نازعته إلى القاهرة مرة ثانية، فعاد إليها والتحق بكلية الآداب، وتخرج فيها عام: (١٩٣٠م)، ثم شد الرحال إلى لندن،

والتحق بمعهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة لندن، ومكث به أربع سنوات توَّجَهَا بحصوله على درجة «الدكتوراه» في الآداب عام: (١٩٣٤م).

■ عاد الحسيني إلى القدس، وعمل مدرسا للأدب العربي بـ«الكلية العربية» (كانت وقتذاك أعلى مؤسسة تعليمية في فلسطين)، وظل يعمل فيها حتى عام: (١٩٤٦م)، وبعد تركه «الكلية العربية» عمل مفتشًا أول للغة العربية في حكومة فلسطين حتى عام: (١٩٤٨م)، ثم غادر فلسطين بعد نكبتها إلى لبنان، وعُيِّن أستاذًا للأدب العربي في الجامعة الأميركية ببيروت عام: (١٩٤٩م).

■ بعد (٦) سنوات قضاها أستاذا في بيروت، رحل مرة أخرى إلى القاهرة، لكن هذه المرة استقر بها نحو (١٨) عاما.. وفي أثناء هذه المدة كان يعمل أستاذًا للأدب العربي في الجامعة الأميركية بالقاهرة إلى جانب قيامه بالتدريس في معهد «البحوث والدراسات العربية» التابع لجامعة الدول العربية.

القاهرة تشكل تكوينه الفكري

■ الأعوام التي أمضاها إسحق موسى الحسيني في القاهرة كان لها الأثر الأول والأكبر في تكوينه الفكري، وقد ظلت لها في نفسه ذكرى وفي قلبه شوق، لعلهما هما السببان الأساسيان في انتقاله سنة: (١٩٥٧م) من بيروت إلى القاهرة.

■ في عام: (١٩٢٣م)، رحل الحسيني أول مرة إلى القاهرة، والتحق بالجامعة الأميركية، وظل بها ثلاث سنوات حصل في نهايتها عام: (١٩٢٥م)، على دبلوم في الصحافة، وفي أثناء هذه المدة كان يحضر دروس الجامعة المصرية الأهلية (جامعة القاهرة اليوم) وفيها تتلمذ على فئة من أهل المعرفة والعلم كانت مصر يومها تُحسد عليهم أمثال: طه حسين، والشيخ مصطفى عبدالرازق (الذي كان يدرِّس الفلسفة الإسلامية)، وأحمد أمين، وجوزيف شاخْت (الذي كان يحاضر في فقه اللغة العربية)، فضلا عن آخرين كانت تزخر بهم القاهرة، ومنهم الذين أنشأوا لجنة التأليف والترجمة والنشر فيما بعد.. وفي الوقت نفسه حرص على توثيق صلاته بعدد من أعلام الفكر والأدب الذين كانت تزدان بهم القاهرة كأحمد زكي باشا (شيخ العروبة) ومحمد توفيق دياب وغيرهما.

العودة إلى القدس

■ كان الحسيني لا يعدل بالقدس مكانا آخر، لذلك اهتبل الفرصة وعاد إلى مدينته، وهناك عمل لها ومن أجلها: فـ«عروبة بيت المقدس» كُتب في القدس (رغم أنه نُشر في بيروت سنة: ١٩٦٩م)؛ وفي القدس أيضا جمّع مقالاته في «قضايا عربية معاصرة».

مؤلفاته ونشاطه العلمي

■ كان الحسيني باحثا دقيقا، ومفكرا يتصيّد الأمور والمشكلات المتعلقة بأمته وجيله، ويعالجها معالجة الطبيب الأديب.. ومن هنا جاء هذا التنوع في تراثه الذي خلّفه، فقد امتدت الحياة به، وقضى معظمها في التأليف والتدريس والكتابة، إذ صدر له نحو (٢٣) كتابا ما بين تأليف وترجمة وتحقيق في اللغة والأدب والفكر والتاريخ.

■ من أشهر مؤلفاته أطروحته لنيل «الدكتوراه» وكانت عن «ابن قتيبة حياته وآثاره»، وكانت بإشراف المستشرق الإنجليزي المعروف هاملتون جب، وله أيضا: «أزمة الفكر العربي»، و«أبحاث في ماضي المسلمين وحاضرهم» و«عروبة بيت المقدس»، و«معالم القضية الفلسطينية». وله كتب في تدريس اللغة العربية، ومؤلفات عن الاستشراق، والإسلام، والقومية العربية، والقدس، بالإضافة إلى روايته الشهيرة «مذكرات دجاجة».. وغيرها الكثير غير المنشور والذي ينتظر من يجمعه ويرتبه وينسقه.

■ وإلى جانب تلك المؤلفات له مئات المقالات والبحوث التي نشرها في كبريات الصحف والمجلات مثل: الرسالة والثقافة، ومجلة «الوعي الإسلامي» ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومجلة الأبحاث التي تصدر عن الجامعة الأميركية ببيروت.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور الأديب الباحث إسحاق موسى الحسيني مساهمة واحدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «المجتمع الإسلامي بين الواقع والمثال»، ع:١٠.

وفاته

■ في عام: (١٩٧٣م)، ترك الحسيني الإقامة في القاهرة، وعاد إلى القدس، ورغم ما واجهه فيها من صعاب بسبب المحتل اليهودي فقد عزم على الثبات فيها، وبنى بيتًا على أرض كانت له هناك، وظل هناك حتى وافاه الأجل المحتوم عن عمر ناهز: ستة وثمانين عاما، يوم الإثنين (١٧ ديسمبر ١٩٩٠م).

المصادر

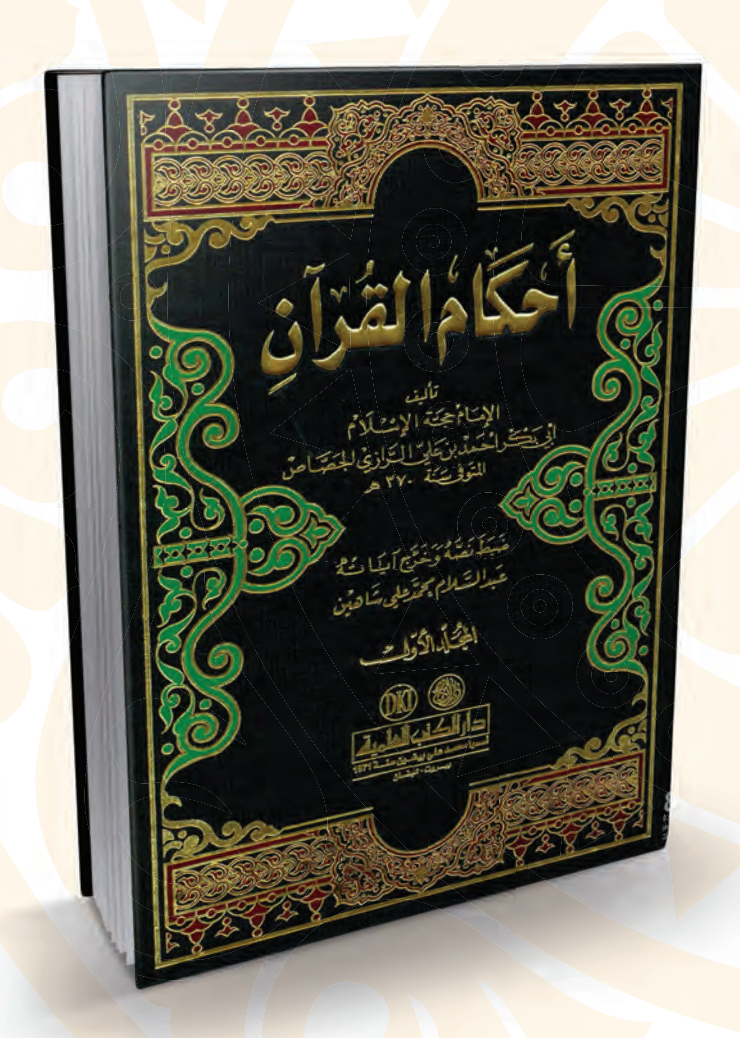
- كتاب «الكشاف» (ج١)، مجلة «الوعي الإسلامي».
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الموسوعة الفلسطينية
- موقع «السارد الزمني».
- موقع «إسلام أون لاين».
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة -مجلة مجمع اللغة العربية - الجزء الثاني والسبعون (١٤١٣هـ=١٩٩٣م).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٨٣)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

أحكام القرآن للجصاص

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.



ويأتي كتاب: «أحكام القرآن للجصاص» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

يعد كتاب أحكام القرآن من أهم كتب التفسير الفقهي خاصة عند الحنفية؛ لأن مؤلفه حنفي، فقام التركيز على مذهبهم والترويج له والدفاع عنه، ونعني بالتفسير الفقهي أي إنه لا يتكلم إلا عن الآيات التي تتعلق بالأحكام الفقهية فقط، وهو – وإن كان يسير على ترتيب القرآن – مبوب كتبويب الفقه وكل باب من أبوابه معنون بعنوان تندرج فيه المسائل التي يتعرض لها المؤلف في هذا الباب. كما أنه يتكلم عن الآيات التي تتعلق بعلم الكلام مع تأييده للرأي الاعتزالي، لأن مؤلف الكتاب كان ممن يحمل الفكر الاعتزالي.

التعريف بالمؤلف

هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، الإمام، العلامة، المفتي، المجتهد، علم العراق، الحنفي، صاحب التصانيف. ولد الجصاص في مدينة الري والتي ينسب لها بالرازي، سنة: (٣٠٥هـ). حاز الإمام مكانة علمية سامقة بين علماء عموما، وعلماء الحنفية خصوصا. وقد انتهت إليه رياسة المذهب الحنفي ببغداد، وقد كان دخل بغداد سنة: (٣٢٥هـ)، خرج إلى الأهواز ثم عاد إلى بغداد ثم خرج إلى نيسابور مع الحاكم النيسابوري برأي شيخه أبي الحسن الكرخي. كان مع براعته في العلم ذا زهد وتعبد، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع منه. توفي الجصاص في السابع من ذي الحجة سنة: (٣٧٠هـ).

شيوخه الذين سمع منهم وتتلمذ على أيديهم

- أبي الحسن الكرخي الذي تأثر به الجصاص في الورع والزهد
- أبي سهل الزجاج.
- عبد الباقي بن قانع عنه أخذ الحديث.
- أبو حاتم الرازي.

مؤلفاته

شرح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، شرح الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني، شرح المناسك لمحمد بن الحسن الشيباني، شرح مختصر الفقه للطحاوي، شرح آثار الطحاوي، مختصر اختلاف الفقهاء للطحاوي، شرح أدب القاضي للخصاف، شرح مختصر الكرخي، شرح الأسماء الحسنى، جوابات المسائل، أحكام القرآن، الفصول في الأصول.

المحتوى العام

قال الجصاص في صدر هذا الكتاب: (وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب (مقدمة في أصول الفقه) مقدمة تشتمل على ذكر جمل مما لا يسع جملة من أصول التوحيد وتوطئة لما يحتاج اليه من معرفة طرق استنباط معاني القرآن واستخراج دلائله، وإحكام ألفاظه، وما تتصرف عليه أنحاء كلام العرب والأسماء اللغوية والعبارات الشرعية، إذا كان أولى العلوم بالتقدم معرفة توحيد الله وتنزيهه عن شبه خلقه وعما نحله المفترون من ظلم عبيده).

وقد اعتمد في تفسيره للآيات على الآثار والمرويات عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأقوال أصحاب الحنفية من الفقهاء وغيرهم من أصحاب المذاهب الفقهية من دون إشارة إلى مصدره.

وكان منهجه أن يأتي القرآن الكريم سورة سورة، ويذكر المباحث في ذيل أحكام السورة، فيبتدأ بآية لها تعلق بالأحكام، ثم يذكر الحكم الذي يمكن أن يستنبط من الآية، ثم يذكر الأقوال بلفظ: (قيل)، وتفسير الآية مع بيان الحكم وترجيحه قولا معينا والدفاع عن الحنفية.

وكان التفسير مبسط في بيان الأحكام وأدلتها، ولا يقتصر في تفسيره على ذكر الأحكام التي يمكن أن تستنبط من الآية، بل تراه يستطرد إلى كثير من مسائل الفقه والخلافيات بين الأئمة، مع ذكره للأدلة بتوسع كبير مما جعل كتابه أشبه ما يكون بكتب الفقه المقارن، وكثيرا ما يكون هذا الاستطراد إلى مسائل فقهية لا صلة بها بالآية إلا من بعيد.

كما أنه يستقصي من آيات الأحكام حتى يستفيد من القصص استفادة حكمة، تبعا للإمام أبي حنيفة، فمثلا عند ذكر قصة المقتول في بني إسرائيل وذبح البقرة قال: «وفي هذه الآيات وما اشتملت عليه من القصة ضروب من الأحكام والدلائل على المعاني الشريفة، فأولها أن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ...﴾ (البقرة: ٧٢)، فدل على جواز ورود الأمر بذبح البقرة بقرة مجهولة غير معروفة ولا موصوفة ويكون المأمور مخيرا في ذبح أدنى ما يقع الاسم عليه.

نسخة مجلة الوعي الإسلامي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه التفسير الفقهي، والتي تتكون من: (٣) مجلدات، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بتفاسير القرآن الكريم.

المصادر

- أحكام القرآن للجصاص.
- التفسير والمفسرون للذهبي.
- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

إعداد / تركي محمد النصر

السياحة

قال العلامة المودودي رحمه الله تعالى: اهتم الإسلام اهتماما بالغا بأن ينشئ في المسلمين الميل إلى إكرام المسافر وإحسان قراه، ومع ذلك جعل له نصيبا في الزكاة والصدقات والغنائم؛ مما قد سهل للناس التجارة والسياحة والتعليم ودرس الأحوال، ورؤية المشاهد العلمية والتاريخية.
(انظر: أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ص/ ١٤٣)

خوف وخشية

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله: ما كان بدو إنابتك؟
قال: أردت ضرب غلام لي فقال: يا عمر اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة.
(انظر: حياة السلف بين القول والعمل، ص/ ٥١١)

نصيحة مجرب

قال العلامة علي الطنطاوي رحمه الله: خذوها مني نصيحة من مجرب: دونوا كل ما يمر على أذهانكم من أفكار، وما يعتلج في نفوسكم من مشاعر، واكتبوه في حينه؛ فإنكم إن أجلتموه فتشتم عنه فلم تجدوه.
(انظر: ذكريات الطنطاوي ١/ ٢٤٩)

الراحة بعد انتهاء السفر

الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حط عن رحالهم إلا في الجنة والنار. والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار. ومن المحال عادة أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة، وإنما ذلك بعد انتهاء السفر.
(انظر: الفوائد لابن القيم ص/ ٢٤٥).

تطفئ بحارا من النار

عن أبي عمران الجوني رحمه الله قال: لكل أعمال البر جزاء، وفي كلها خير إلا الدمعة تخرج من عين العبد، فليس لها كيل ولا وزن حتى يطفأ بها بحار من النيران.
(انظر: موسوعة ابن أبي الدنيا ٣/ ١٧٧)

صيانة العلوم عن العبث

قال العلامة محمد بن حسن الشطي (توفي ١٣٠٧هـ): (اعلم أنه يجب صناعة على من يريد الخوض في علم من العلوم على الوجه الأكمل، أن يتصور أولا مبادئه ليكون على بصيرة في طلبه، ويصون سعيه عن العبث).
(انظر: الفتح المبين في تلخيص كلام الفرضيين ص/ ٢١)

مشاركة: يعقوب الجناع

أشد الناس حسرة يوم القيامة

أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة:

١- مملوك صالح يدخل الجنة ومولاه يدخل النار.

٢- ورجل جمع المال من حل وحرم، ومنع حقوق الله منه، فيموت فيدخل النار بسببه، فيأتي وارثه فيجده مجموعا، فيبذله في محاله من أوجه الخير؛ فيدخل الجنة، فالأول جمعه ودخل به النار، والثاني أنفقه ودخل به دار القرار.

٣- وعالم سوء ينجي الناس بعلمه وهو يصير إلى النار.

(انظر: القول العلي للسفاريني ص/١٥٥)

خلط العلوم

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله: من المذاهب الجميلة، والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا؛ فإنه قل أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر؛ فيستغلقان معا، ويستعصبان، ويعود منهما بالخيبة.

(انظر: المقدمة. ص/٤٥٩)

الأفئدة مزارع الألسن

قال الإمام الشافعي رحمه الله: إن الأفئدة مزارع الألسن، فازرع الكلمة الكريمة فيها؛ فإنها إن لم تنبت كلها نبت بعضها.

(انظر: مناقب الشافعي للبيهقي ٧٦/٢)

العدل في الخلاف

قال العلامة ابن أبي العز رحمه الله: إذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف.

(انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص/٣٦٣)



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

غزوة بني المصطلق

اختلف العلماء في تاريخ هذه الغزوة فمن قائل إنها وقعت في شعبان سنة ست من الهجرة، ومن قائل بأنها وقعت في شعبان من العام الرابع للهجرة، وذهبت طائفة إلى أنها وقعت في شعبان من السنة الخامسة وهو ما رجحه علي محمد الصلابي في كتابه عن السيرة النبوية.

والمُصْطَلِق (بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء وكسر اللام) بطن من خزاعة، ويقال لها غزوة المُرَيْسِيع (بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء وكسر السين)، وسبب هذه الغزوة أن الرسول ﷺ بلغه أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق قد جمع الجموع لحرب الرسول ﷺ، كما أنهم قبل ذلك قد ساعدوا قريشا على حرب المسلمين في غزوة أحد، فخرج ﷺ إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له (المريسيع)، ولما وصل إليهم عرض عليهم الإسلام فأبوا وحاربوا، فهزمهم المسلمون وقتلوا منهم وأسروا الباقين مع النساء والذرية، وقسم الرسول سبايا بني المصطلق وكان من بينهم برة بنت الحارث ابنة سيد القوم التي تزوجها الرسول ﷺ وسماها جويرية، وكانت أيمن امرأة على قومها؛ لأنه لما تزوجها رسول الله ﷺ قال المسلمون: أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا. فمنوا عليهم بالعتق، وكان من نتيجة ذلك إسلام بني المصطلق جميعا ودخولهم في دين الله أفواجا.

وتجلى في هذه الغزوة حب الصحابة لرسول الله ﷺ وتكريمهم له ولأصهاره، وظهرت فيها سماحتهم وعفتهم وكرمهم.

وفي هذه الغزوة وقعت حادثة الإفك التي برأ الله عزوجل فيها السيدة عائشة رضي الله عنها من فوق سبع سماوات.

● حسن عثمان حسن

الدم واللون الأحمر

لحكمة عظيمة جعل الله تعالى للدم هذا اللون الأحمر المزعج المثير للأعصاب، فإذا ظهر الدم بلونه هذا كان إنذارا بوجود خطر كبير يتطلب سرعة التصرف، فخروج الدم من الجروح، أو من فتحات الجسم مثل الأنف أو الفم أو الشرج أو مع البول يزعج الإنسان إزعاجا شديدا، وهو في واقع الأمر يهدد صحة الإنسان وحياته. ماذا لو كان الدم بلا لون مثل اللعاب أو العرق؟ كان فقده سيمر دون انتباه، وكان الإنسان سيفقد حياته دون وعي أو انتباه، لكن الحكمة الإلهية تحافظ على حياة الإنسان وبقائه بهذا التقدير الدقيق، وبهذه الصنعة المحكمة.

● د. يحيى محمود سنبل

الاختلاف في مولد النبي ﷺ

اختلف أهل السير والتاريخ في موعد ميلاد النبي ﷺ اختلافا عريضا، ومن ذلك كونه ولد ليلا أو نهارا، ذكر السيوطي وغيره قال: أخرج البيهقي والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر عن عثمان بن أبي العاص قال: «حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة أم رسول الله ﷺ ليلة ولدته، قالت: فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور! وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول ليقعن علي، فلما وضعت خرج منها نور أضاء له البيت والدار حتى جعلت لا أرى إلا نورا».

وفي هذا خلاف طويل، قال الصالحي في (سبل الهدى والرشاد): قال الحافظ أبو الفضل العراقي في المورد: الصواب أنه ﷺ ولد في النهار، وهو الذي ذكره أهل السير، وحديث أبي قتادة مصرح به.

وأما الاختلاف بخصوص شهر مولده ﷺ، فقد ذكر الزبير بن بكار أن الميلاد كان في شهر رمضان، ونصه: حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى. وولد بمكة بالدار المعروفة بدار محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وقال السهيلي في (الروض الأنف): ذكر أن مولده كان في ربيع الأول، وهو المعروف.

ونقل الصالحي عن الذهبي قوله في (تاريخ الإسلام): نظرت في أن يكون ﷺ ولد في ربيع، وأن يكون ذلك في العشرين من نيسان، فرأيته بعيدا من الحساب، يستحيل أن يكون مولده في نيسان إلا أن يكون مولده في رمضان. وقد قيل غير ذلك في شهر الميلاد، فقيل: في صفر. وقيل: في المحرم.

وليس لهذا الخلاف كبير فائدة، ولا يترتب عليه حكم شرعي، ولذلك لم يهتم الصحابة ومن بعدهم من الأئمة بتحرير هذه التواريخ.

قال محمد الغزالي في (فقه السيرة): لم يمكن للمؤرخين تحديد اليوم والشهر والعام الذي ولد فيه على وجه الدقة.. وتحديد يوم الميلاد لا يرتبط به من الناحية الإسلامية شيء ذو بال؟ فالأحفال التي تقام لهذه المناسبة تقليد دنيوي لا صلة له بالشريعة.

● **محمد عبدالفتاح السعيد**





العربية.. زاخرة بالمعاني والدلالات

في ظل التطور التقني والتكنولوجي وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي التي حولت العالم إلى قرية صغيرة تداخلت فيها الثقافات والحضارات واللغات، فإن اللغة العربية دخلت مرحلة جديدة مليئة بالتحديات والصعوبات من أجل الحفاظ على قوتها ومكانتها وانتشارها بين لغات العالم.

وتفرض تحديات العولمة والإعلام الجديد والتكنولوجيا الحديثة وانتشار الإنترنت وسهولة تبادل الأفكار والأخبار والبيانات استحقاقات جديدة على اللغة العربية، ما يتطلب اتخاذ إجراءات من أجل حماية اللغة من الضياع والحفاظ على مكانتها من الضعف والتهميش.

ورغم أن الأزمات والتحديات التي مرت بها اللغة العربية كثيرة ومتعددة إلا أنها هذه المرة تأخذ شكلا مختلفا نتيجة زيادة العوامل المؤثرة في اللغة واختلاف شكلها وأدواتها، سواء من ناحية اللغات الأجنبية الكثيرة التي باتت تفرض هيمنتها في المجتمعات الناطقة باللغة العربية، أو من خلال شبكات التواصل الاجتماعي التي أوجدت نوعا جديدا من اللغة المبنية على الرموز والأرقام وبعض الحروف غير العربية، أو من خلال وسائل الإعلام المختلفة بما تبثه من برامج ومسلسلات وإعلانات تستخدم في غالبيتها، إن لم يكن جميعها، اللهجات المحلية والعامية، وحتى في بعض المؤسسات التعليمية والأكاديمية لا يكون للغة العربية الفصحى موقع متقدم في الاستخدام، إنما يكون التركيز على اللهجة العامية في الشرح والمحاضرات وحتى في الكتابة.

ورغم أن اللغة العربية غنية بالمصطلحات والمفردات التي يمكن استخدامها في حياتنا اليومية، إلا أن البعض من الناس يلجأ إلى اللهجة المحلية التي يطعمها في المفردات الأجنبية عندما يريد التحدث والتعبير عن أفكاره.

ولا تؤدي هذه العوامل إلى إضعاف اللغة العربية وحسب، إنما عدم إتقان أي لغة نتيجة التداخل بين اللغات وعدم الحرص على تقوية الذات بلغة قوية غزيرة بالمفردات والمصطلحات مثل اللغة العربية.

ولا تكمن أهمية اللغة العربية فقط في كونها لغة القرآن الكريم الذي نزل من السماء بلسان عربي مبين، إنما لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس.

واعتزازنا باللغة العربية ينبع من اعتزازنا بالقرآن الكريم فضلا عن كون لغتنا جميلة زاخرة بالمعاني والدلالات والصور الجمالية التي تميزها عن غيرها من لغات العالم المختلفة. ولا ينبغي التهاون في الحفاظ على اللغة العربية خصوصا في مجتمعاتنا العربية لأنها الوسيلة التي توحد الثقافات وتحقق التواصل بين الدول العربية المختلفة، وتعبر عن الهوية والثقافة المشتركة.

عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


















مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف

الدورة الثالثة عشرة

(١٤٤٣ - ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٢ - ٢٠٢٣م)

تحت رعاية كريمة من سمو ولي العهد الشيخ

مشعل الأحمد الجابر الصباح

تدعو الباحثين والمهتمين بشؤون الوقف إلى المشاركة في تقديم أبحاثهم ضمن موضوعات المسابقة

تُجرى المسابقة في ثلاثة مواضيع، يختار الباحث أحدها:

الموضوع الأول: مخالفة الواقف للحاجة أو الضرورة (تأصيلاً، وتفريعًا)

الموضوع الثاني: دور الوقف في تحقيق الأمن الغذائي

الموضوع الثالث: توظيف التكنولوجيا المالية في تنمية الوقف واستثماره

شروط المسابقة:

١- يحق للباحثين: (الأفراد- المجموعات- المؤسسات العلمية) المشاركة في المسابقة.

٢- تُقدم الأبحاث بإحدى اللغات الثلاث (العربية، الإنجليزية، الفرنسية)، بشرط أن يكون البحث مصحوبًا بترجمة كاملة إلى العربية.

٣- ألّا يقل البحث عن (٩٠) صفحة ولا يتجاوز (١٠٥) صفحات.

٤- الالتزام باستيفاء الكتابة في العناصر الاسترشادية، كحد أدنى، وللباحث أن يضيف ما يراه مفيدًا ومثريًا، بحيث يكون له علاقة بموضوع البحث.

٥- الالتزام بشروط البحث العلمي مع مراعاة المنهج النقدي، ومناقشة وجهات النظر المختلفة حول موضوع البحث، مع التوثيق العلمي للآراء وفقًا للقواعد المتعارف عليها.

٦- المعايير الأساسية لتحكيم الأبحاث هي: سلامة المنهج العلمي، وتسلسل الأفكار، ووضوح العرض، والقدرة على ربط النتائج بالمقدمات، وسلامة لغة البحث.

٧- يحق للأمانة العامة للأوقاف حجب أي من الجوائز إذا لم ترقَ الأبحاث المقدمة إلى المستوى المطلوب، وهي غير ملزمة برد الأبحاث التي تصلها، سواء أكانت فائزة أم غير فائزة.

٨- يحق للأمانة العامة للأوقاف سحب الجائزة من الأبحاث الفائزة، التي يتبين مخالفتها للقواعد العلمية.

٩- الأبحاث التي تخالف الشروط السابقة لا تدخل تحكيم المسابقة.

١٠- ألّا يكون البحث قد سبق أن حصل على جائزة أخرى أو على شهادة علمية، ويحق للأمانة العامة للأوقاف سحب قيمة الجائزة إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقًا، أو قدم إلى جهة أخرى لغرض آخر أو كان مستلًا من رسالة علمية.

١١- لا يحق للفائزين نشر أبحاثهم الفائزة بأنفسهم، أو التصرف فيها للغير إلا بموافقة خطية من الأمانة العامة للأوقاف.

١٢- تُقدم الأبحاث مطبوعة على الكمبيوتر بحجم ورق A4 وفقًا للتخطيط المعتمد للصفحة، الذي هو على النحو الآتي:

أ- هوامش الصفحة:
- الفراغ أعلى الصفحة وأسفلها: ٢,٥٤ سم.
- الفراغ يمين الصفحة ويسارها: ٣ سم.

ب - الخط في المتن:
- نوعية الخط: Traditional Arabic.
- حجم الخط: 18 Bold للعناوين، 16 للكتابة.
- المسافة بين الأسطر: single.

ج- الخط في الهامش المرجعي أسفل الصفحة:
- نوعية الخط: Traditional Arabic.
- حجم الخط: ١١.
- المسافة بين الأسطر: single.

١٣- يرفق مع البحث السيرة الذاتية لصاحبه + صورة شخصية.

١٤- تُقدم أصول الأبحاث في موعد أقصاه ١٥ صفر ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٠٢٣/٨/٣١م.

توثيق المصادر والإحالات المرجعية:

يتم توثيق الإحالات المرجعية وفق طريقة التوثيق العلمي المعتمدة في إصدارات الأمانة، والمذكورة في الكتيب التعريفي للمسابقة.

إجراءات التقدم للمسابقة:

١) الحصول على نسخة من الكتيب التعريفي لموضوعات المسابقة، وعناصرها الاسترشادية، من خلال الموقع الإلكتروني للأمانة العامة للأوقاف: http://www.awqaf.org.kw .

٢) إرسال نموذج الاشتراك في المسابقة، والسيرة الذاتية إلى (إيميل) المسابقة لأخذ الموافقة على الكتابة، ومن ثَمّ ترسل الأبحاث إلى الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، من خلال البريد الإلكتروني لإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية: serd@awqaf.org
serd.kwt@gmail.com

٣) لمزيد من المعلومات حول المسابقة يرجى الاتصال على:
هاتف: ٢٢٠٦٥٣٩١-٢٢٠٦٥٤٥٦-٢٢٠٦٥٧١٣-٢٢٠٦٥٤٥٢
(الرمز الدولي: ٠٠٩٦٥).
فاكس: ٢٢٥٤٢٥٢٦ (٠٠٩٦٥).

جوائز المسابقة:

تقسم جوائز المسابقة إلى ثلاث جوائز لكل موضوع على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: (٦) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثانية: (٥) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثالثة: (٤) آلاف دولار أمريكي.

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية جامعة

العدد (٦٩٣) جمادى الأولى ١٤٤٤هـ - ديسمبر ٢٠٢٢م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

تَربيةُ الأولادِ بين التَّدليلِ والحزم

الثَّقافةُ الإسلاميَّةُ حاضِرةٌ في كأسِ العَالَم

هُدَفٌ في شِبَاكِ الإسلاموفوبيا

الكويتُ تستضيفُ عمارةَ المساجد

مجلة الوعى الإسلامى

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي

الافتتاحية



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾

خلق الله عزوجل الناس مختلفين، ولو شاء سبحانه لخلقهم أمة واحدة ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود:١١٨)، خلقهم مختلفين ليتعارفوا فيما بينهم ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ (الحجرات:١٣)، وجعل الكرامة للمتقين ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

هذا التعارف القائم على: تبادل المعرفة والخبرة، واستمرارية الاتصال والتواصل؛ فالتعارف بين الشعوب مقدم على التنافر، وتلاقح الثقافات مقدم على تناقضها، والقيم الإنسانية مقدمة على مظاهر العنصرية.

لقد جاءت الدعوة الإسلامية للبشرية جمعاء، وأرسل الله رسوله محمدا ﷺ للناس كافة بشيرا ونذيرا ليدعوهم إلى عبادة رب واحد، والامتثال لشريعة واحدة هي شريعة الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ:٢٨)، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم:١).

وقال نبينا ﷺ: «أعطيت خمسا، لم يعطهن أحد قبلي»، ومنها: (... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة) (أخرجه البخاري)، وفي رواية لمسلم: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود»، وإذا كانت رسالة الإسلام عالمية، فشريعتها، وما تضمنته من أنظمة جاء بها الرسول ﷺ في القرآن والسنة، قد أراد لها الله تعالى أن تكون لعموم الناس.

فالدعوة الإسلامية لا تقتصر على دعوة المسلمين وتعريفهم بدينهم، بل تمتد إلى أرجاء المعمورة وتحاور الحضارات، وتسيل بين الثقافات وتعرف الناس بشريعة الإسلام وسماحته وعدله وأحكامه؛ لتصل معهم إلى كلمة سواء وهي عبادة الله الأحد، ناشرة قيم الإنسانية والرحمة، لأنها تناسب الإنسان كل الإنسان في كل عصر ومصر، وتمتلك المقومات التي تجعلها جديرة بهذه الخاصية، لأنها ربانية وسطية رافعة للحرج والمشقة، وغير هذا من المؤهلات التي لا تتوافر لأي نظام أو مذهب أو نحلة قائمة على وجه الأرض؛ الأمر الذي جعلها قادرة على تأسيس أعظم الحضارات على وجه الأرض، حضارة عظيمة راقية، كانت ملء سمع الزمان وبصره، امتدت رقعتها قرونا طويلة، وبسطت ظلالها على شعوب مختلفة، وأجناس عديدة، فما قصرت يوما عن الوفاء بحاجات من آوى إليها، ونعم بظلالها من بني البشر، وما عجزت يوما عن استيعاب مشكلات الإنسانية وإيجاد الحلول والملائمة لها، فكانت أمان كل خائف، وعاش الناس كافة في ظلها الحياة الراشدة الطيبة.

هذه المعاني العظيمة هي ما سعى إلى إبرازها القائمون على تنظيم هذا الحدث العالمي في الدولة العربية المسلمة (قطر)، مع سماحة في التعامل مع شعوب العالم بمختلف أديانهم وثقافاتهم وتعدد مشاربهم، وكرم في الضيافة منقطع النظير.

إن حدثا عالميا مهما كبطولة كأس العالم لكرة القدم بما فيها من تجمع جماهيري فسيفسائي قل نظيره على أرض عربية مسلمة؛ لا ينبغي أن يمر من غير بذل الجهود والهمم للتعريف بديننا وحضارتنا من خلال الدعوة بالقدوة وبالحكمة والموعظة الحسنة؛ الأمر الذي رأيناه مشاهدا على أرض الواقع في هذا الحدث العالمي.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد٦٩٣/ جمادى الأولى ١٤٤٤ هـ
العام الستون
ديسمبر ٢٠٢٢م



في هذا العدد







المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي – ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ – ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣– فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ – فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ – فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ – فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





الهدف

التعريف بالإسلام ليس له حدود.. ولا مناسبات محددة، ففي كل مكان وفي كل وقت يمكننا التعريف بديننا الحنيف لأنه دين جامع، دين فطرة ما إن يتعرف عليه الإنسان سليم الطبع حتى ينجذب إليه.

وما حدث في دولة قطر بمناسبة استضافة مباريات «كأس العالم» من تعريف بالإسلام بحكمة وموعظة حسنة لهو درس لطيف ينبغي على الأفراد أيضا الاستضافة منه والعمل على تكراره كلٌ بحسب مقدرته ومن موقعه.

وخير دليل على الثمار التي قطفتها الدعوة في تلك الأيام عدد من انضموا حديثا إلى المسلمين أخوة أعزاء وإن اختلفت بلدان النشأة والتربية وإن اختلفت اللغات والأعراق.

فضلاً عن عدد كبير عرفوا أن ديننا الحنيف شيء وما يرونه على شاشات الإعلام المناهض للأديان وخاصة الإسلام، شيء آخر. وهذا مكسب جديد وهدف مستحق في شباك «الإسلاموفوبيا» وما يصنعونه.. بارك الله في ديننا وحكمة شيوخنا الأجلاء.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



عبد الناصر سلامة
باحث في الدراسات القرآنية

فضل صلة الرحم في سورة النساء

إن من أجل مقاصد تنزيل القرآن الكريم تكوين مجتمع إسلامي مترابط ومتين، يكون في ترابطه كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، أو كالبناء الواحد يشد بعضه بعضا، وكي تتحقق هذه الغاية العظيمة كان لابد من حفظ العلاقات وتقوية الأواصر بين مختلف مكونات هذا المجتمع الإسلامي المنشود؛ إذ بترابطها يترابط المجتمع، وبتفككها يتفكك. ويأتي على رأس هذه العلاقات والأواصر التي حض القرآن عليها آصرة القرابة والرحم، بدليل أننا إذا نظرنا إلى معظم آيات صلة الرحم وجدناها واردة في القرآن المدني حيث كان التنزيل حينئذ موجها لترسيخ أسس الدولة الإسلامية، وتكوين المجتمع المؤمن القوي، فكان هذا الاعتناء بهذا الموضوع في هذه السور المدنية مؤشرا قرآنيا على أهمية صلة الرحم في البناء المجتمعي.

ويقصد بصلة الرحم الإحسان ماديا ومعنويا إلى الأقارب والبر بهم، سواء كانوا من جهة الأب أو الأم، وسواء كانوا ورثة أم لا، وسواء كانوا من المحارم أم لا [١]، وسواء كان نسبهم قريبا أم بعيدا[٢]. مع مراعاة الأقرب فالأقرب في ذلك، ومراعاة أن يكون الإحسان إليهم ناشئا عن رحمة ورأفة؛ لا عن مصانعة أو مكافأة فقط.

وقد اعتنت سورة النساء -باعتبارها من السور المدنية- بالحديث عن هذا الموضوع وإبراز ما لصلة الرحم من قيمة عظيمة في المنظور القرآني، وذلك من خلال أمرين اختصت بهما دون سائر سور القرآن، وهما:

أولا- تضمنها عدة موضوعات تتعلق بالقرابة والرحم مثل موضوع الإرث، وكفالة اليتيم، وبيان المحرمات من النساء بالنسب، وتحكيم القرابة في الخصومات الزوجية بغية الإصلاح بينهما. والحقيقة أن كل موضوع من هذه الموضوعات يحتاج إلى مقال خاص به.

ثانيا- تضمنها لآيتين جليلتين في هذا الموضوع اشتملتا على معان عديدة تظهر القيمة العظيمة لصلة الرحم، وأعني هنا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾(النساء:١)، وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾(النساء:٣٦).

ومن اللافت للنظر أن كل تلك الموضوعات المشار إليها آنفا قد تناولتها السورة الكريمة بين هاتين

الآيتين؛ وذلك من سر القرآن وإعجازه وإحكامه. وفيما يلي بيان ما اشتملت عليه هاتان الآيتان من المعاني القيمة في هذا الموضوع.

فأما الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء:١)، ففيها من المعاني ما يلي:

اقتران صلة الرحم باسم الله عز وجل: وهذا الاقتران فيه دلالة جلية على عظم صلة الرحم لعظم المقرن به الذي هو اسم الله عز وجل، إذ جاء الاقتران في سياق الأمر بتقواه؛ ومعنى الآية: اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها. وهذا تفسير الآية على قراءة النصب في «الأرحام» وهي قراءة الجمهور، حيث الأرحام هنا معطوفة على اسم الجلالة في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[٣].

وأما على قراءة الخفض في «الأرحام»، وهي قراءة حمزة وجماعة من العلماء فلا ينخرم هذا المعنى المذكور أيضا وإن تغير وجه التفسير؛ لأن «الأرحام» على هذه القراءة معطوفة على الهاء في «به»، في قوله: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾، وهي عائدة على الله - عز وجل- أيضا، والمعنى: اتقوا الله الذي تسألون به وبالأرحام حوائجكم من الناس؛ وذلك قولهم: نشدتك بالله وبالرحم [٤].

وعلى كلا القراءتين فقد جاء ذكر الرحم مقرونا باسم الله ومعطوفا عليه، ولذلك قال العلامة الزمخشري: «وقد آذن عز وجل- إذ قرن الأرحام باسمه- أن صلتها منه بمكان، كما قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(الإسراء:٢٣)[٥]. وقال أبو حيان في تفسير هذه الآية أيضا: «وفي عطف الأرحام على اسم الله دلالة على عظم ذنب قطع الرحم، وانظر إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (البقرة:٨٣)، كيف قرن ذلك بعبادة الله في أخذ الميثاق» [٦].

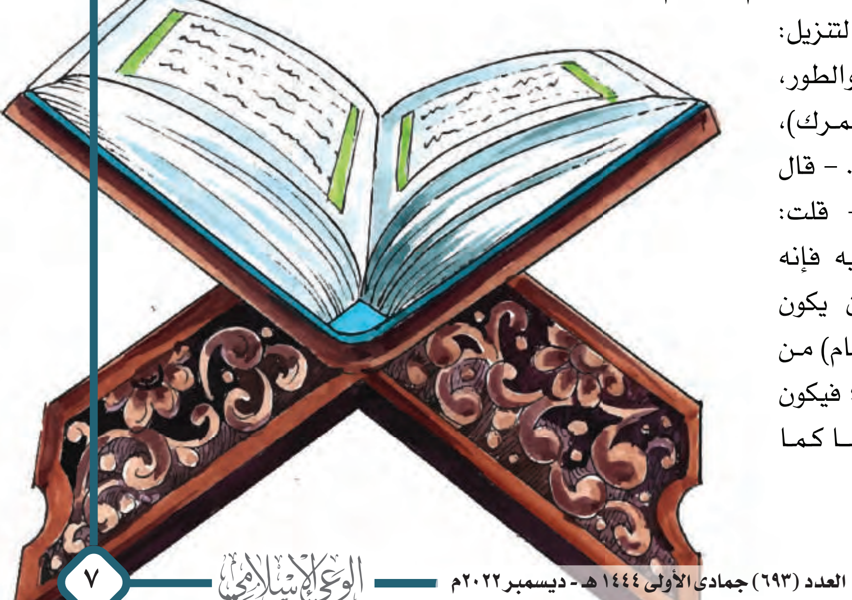
القسم بالأرحام

فقد ذهب جماعة من المفسرين ممن يعتبر بقولهم إلى احتمال وقوع القسم بالأرحام في هذه الآية من سورة النساء تنبيها على فضل الأرحام وتعظيما لشأنها، كما هو القصد من القسم بالشيء، وذلك على قراءة الخفض في «الأرحام» التي أشرنا إليها آنفا؛ إذ فسرت الواو هنا بأنها واو قسم وقع بها الخفض، لا بأنها واو عطف على التوجيه الآخر في سبب الخفض من كونها معطوفة على الهاء في قوله «به»، ويكون جواب القسم على هذا التفسير بالقسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١). وفي هذا الصدد يقول الإمام القرطبي: «قال القشيري: وقد قيل: هذا إقسام بالرحم.. وقد جاء في التنزيل: (والنجم، والطور، والتين، لعمرك)، وهذا تكلف. - قال القرطبي - قلت: لا تكلف فيه فإنه لا يبعد أن يكون (والأرحام) من هذا القبيل؛ فيكون أقسم بها كما أقسم بمخلوقاته الدالة على وحدانيته وقدرته تأكيدا لها حتى قرنها بنفسه. ولله أن يقسم بما شاء ويمنع ما شاء ويبيح ما شاء، فلا يبعد أن يكون قسما» [٧].

تخصيص ذكر الأرحام بعد تعميم يشملها

يعد التخصيص بعد التعميم من الأساليب البلاغية التي نهجها القرآن في كثير من المواضع بقصد بيان حصول اهتمام زائد بالأمر المخصص؛ وأنه أولى أفراد العام بما ذكر له من الحكم. ويسمي بعض العلماء هذا الأسلوب من العطف بالتجريد؛ لأن المعطوف كأنه جرد من الجملة وأفرد بالذكر لمعنى مختص به دون أفراد ذلك العام [٨]. وفي هذا يقول ابن عاشور: «وعطف الخاص على العام اهتماما به كثير في الكلام» [٩].

وقد اشتملت هذه الآية الجليلة من سورة النساء على هذا الأسلوب البلاغي في حق صلة الرحم اهتماما به وبيانا لمزيد فضله وعظم قطعه، وفي هذا يقول الراغب الأصفهاني في تفسير الآية: «﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أي:



اتقوا عقوبته على طريق الجملة. ثم قال: (والأرحام)، أي: عقوبته في قطع الأرحام. وخصها بالذكر تعظيما لأمرها؛ وكأنه قيل: اتقوا عقوبات الله عامة، وعقوبته في قطع الأرحام خاصة؛ وذلك لتعظيمه أمر الرحم»[10].

وقال غيره أيضا في تفسير قراءة النصب المشار إليها سابقا: «ووجهها أنه – أي: لفظ «الأرحام»– معطوف على لفظ الجلالة على حذف مضاف، والتقدير: واتقوا الله وقطع الأرحام.. ويكون العطف من باب عطف الخاص على العام؛ لأن تقوى الله هو اجتناب مخالفته في كل ما أمر به ونهى عنه، وقطع الأرحام بعض ما نهى الله عنه»[11].

والظاهر أن هذه الآية الجليلة من سورة النساء قد تكون أبلغ آية قرآنية في موضوع صلة الرحم؛ وذلك لاشتمالها على أربعة معان مجلية لشرف الأرحام وفضلها، وهي على النحو التالي:

- اشتمالها -في قراءة الجمهور بالنصب- على الأمر الصريح باتقاء الرحم؛ أي: بحفظ حقها وعدم قطعها، وذلك لعطفها على الأمر بتقوى الله.
- قرن ذكرها بذكر الله عز وجل، كما تقدم بيانه.
- وقوع القسم بها؛ على قول في قراءة الخفض.
- تخصيصها بالذكر.

فإذا أضيف إلى هذه المعاني قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(النساء:١)، صارت المجليات خمسا؛ لما اشتمل عليه هذا القول من التأكيد والترهيب المتعلق بما قبله.

وقد ناسب أن تحاط هذه الآية الواقعة في مستهل سورة النساء بكل هذه المعاني المجلية لحق الرحم نظرا لتناول هذه السورة لا حقا لموضوعات ذات ارتباط وثيق بالقرابة، كموضوع الإرث وغيره مما أشرت إليه سابقا، وهذا من براعة الاستهلال وإعجاز القرآن.

وأما الآية الثانية من السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ (النساء:٣٦)، فقد اشتملت على المعاني التالية أيضا:

اقتران صلة الرحم فيها بحرف الجر المكرر بعد العاطف

وهذا الأسلوب هو أيضا من الأساليب البلاغية المستعملة بغرض بيان أهمية المعطوف الذي يأتي ذكره مقترنا بحرف جر مكرر بعد العاطف؛ بحيث تدل تلك الإعادة لحرف الجر – مع إمكان الاستغناء عنه– على ضرورة الاعتناء بما اقترن به، وهو ما يصدق معناه على صلة الرحم في الآية التي بين أيدينا إذ أعيدت الباء مقرونة بالمعطوف «ذي القربى» بعد أن ذكرت في المعطوف عليه «الوالدين» مع إمكان حصول العطف دون إعادتها؛ لتدل بذلك على أهمية المعطوف أيضا؛ واستحقاقه للحكم الذي رتب للمعطوف عليه، والذي هو الإحسان، ولذلك قال أبو حيان في تفسير هذه الآية: «وإعادة الباء تدل على التوكيد والمبالغة»[12]، أي في حق المعطوف واستحقاقه لذلك الحكم.

ونظير هذه الآية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الأنفال:٤١)، وقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الحشر:٧)، قال العلامة الألوسي: «وفي إعادة اللام في الرسول وذي القربى مع العاطف ما لا يخفى من الاعتناء»[13].

تقديم ذكر حق الرحم على غيره من الحقوق

فمن الأساليب البلاغية أيضا المستعملة في القرآن لبيان الاهتمام بالشيء أن يقدم في الذكر على غيره مما هو مشابه له، أو مشارك له في الحكم، ويدل على ذلك قول سيبويه: «إن العرب يقدمون ما هم بشأنه أعنى، وببيانه أهم»[14]، ومعلوم أن القرآن نزل موافقا لأساليب العرب في الكلام. فيكون ذلك التقديم إشارة إلى وجود معنى في هذا المقدم يستوجب به عناية زائدة عما تلاه، ومن هنا قال ﷺ: «أبدأ بما بدأ الله به»[15].

ويتقوى هذا الأمر ويتأكد حين يكون هذا التقديم مكررا في القرآن في مواضع عديدة؛ إذ يدل ذلك على أن هذا الترتيب مراعى بقصد الاهتمام والعناية بذلك الذي قدم ذكره.

ومن بين تلك الآيات العديدة التي جاء فيها ذكر حق الرحم مقدما على غيره من الحقوق هذه الآية التي بين أيدينا من سورة النساء؛ ففيها أن حق الرحم يتلو حق الوالدين ويتقدم على غيره من الحقوق، ويؤيده قوله ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة»[16].

ومن الجدير بالإشارة هنا القول إن هناك عدة قرائن في هذه الآية وغيرها

تؤكد لنا أن هذا التقديم في الذكر قد قصد به إبراز مقام الرحم والقرابة في المنظور القرآني وبيان صدارتها على غيرها من الحقوق؛ وأنه ليس مجرد تقديم لا يدل على أفضلية؛ كما قد يورده من يرى أن العطف بالواو لا يدل على أفضلية المقدم على المؤخر في الذكر، ومن تلك القرائن ما يلي:

- اقتران ذكر القرابة بحرف الباء المكرر بعد العاطف، إذ القصد من ذلك التنبيه على مزيد اعتناء بهذا المعطوف؛ كما بينته آنفا.

- ورود حق القرابة مقدما على غيره من الحقوق في كل الآيات التي جمعتهم في القرآن الكريم، رغم اختلاف متعلقات الإحسان فيها، ودرجته، وذلك على غرار الآيتين المذكورتين سابقا من سورتي الأنفال والحشر، وكقوله تعالى أيضا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾(البقرة:٨٣)، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ (البقرة:١٧٧)، وقوله تعالى أيضا: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾(البقرة:٢١٥)، وغير ذلك.

- تخصيص حق القرابة بالذكر دون غيره من الحقوق في بعض المواضع التي جاء فيها الأمر بالإحسان مطلقا، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (النحل:٩٠)، فتخصيص ذكرهم هنا دون غيرهم من الأصناف المستوجبة للبر والإحسان أيضا دليل على أسبقيتهم وأولويتهم في نيل ذلك.

فهذه القرائن كلها مما يثبت أن التقديم المذكور في الآية من سورة النساء هو تقديم على حسب الأولوية والأسبقية في الفضل والحق.

وختاما يمكن القول إن سورة النساء هي أبرز سور القرآن تناولا لموضوع صلة الرحم، ولاسيما من خلال هاتين الآيتين الجليلتين اللتين اشتملتا على سبعة معان تبين فضل صلة الرحم في المنظور القرآني، وهي: التحذير من قطع الرحم، وقرن ذكرها بذكر الله - عز وجل-، والقسم بها، وتخصيصها بالذكر، وهذا كله في الآية الأولى، ثم الأمر بالإحسان إلى القرابة، وقرن ذكرهم بحرف الجر المكرر بعد العاطف، وتقديم ذكرهم على ذكر غيرهم من ذوي الحقوق، وهذا في الآية الثانية.

الهوامش

١- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (٤١٤/١٠)، وانظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٧٧/١٩).

٢- لقوله ﷺ: «استوصوا بالقبط خيرا؛ فإن لهم رحما»؛ قال الإمام الصنعاني: «وفسرت بأم إسماعيل - عليه السلام- فإنها أم العرب، وهذه رحامة في غاية البعد قد لاحظها الشارع وأثبت لها حقا». التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني (٤٧٢/٢). والحديث المذكور أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ قريب، برقم: (٢٥٤٣)، وانظره بهذا اللفظ في المستدرك، للحاكم برقم: (٤٠٣٢)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

٣- انظر الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/٦).

٤- انظر التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١٨/٤).

٥- الكشاف، للزمخشري (٤٦٣/١). وانظر أيضا: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، للبقاعي (١٧٦/٥)؛ ففيه قوله: «والقراءتان مؤذنتان بأن صلة الأرحام من الله بمكان عظيم؛ حيث قرنها باسمه».

٦- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٤٩٨/٣).

٧- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١/٦).

٨- انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٥١٦/١).

٩- التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥٧/١٤).

١٠- تفسير الراغب الأصفهاني (١٠٧٦/٣).

١١- تحفة الأقران، لأبي جعفر الرعيني، (ص:١٦٥).

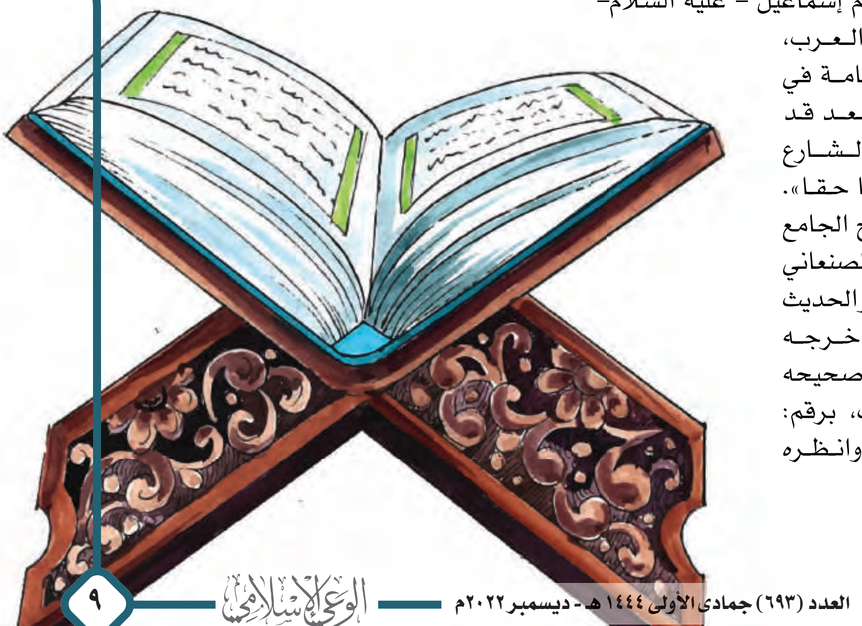
١٢- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٦٣١/٣).

١٣- روح المعاني، للشهاب الألوسي (٢٤٣/١٤).

١٤- التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني (٢٣٩/١).

١٥- صحيح مسلم، برقم: (١٢١٨).

١٦- أخرجه الترمذي في جامعه، برقم: (٦٥٨)، وقال: حديث حسن.



د. حمدي طنطاوي محمد
باحث أكاديمي



هدي النبي ﷺ في جبر الخاطر

جبر الخاطر من هدي النبي ﷺ، فما رأى النبي ﷺ قلبا منكسراً إلا جبره، بل إن جبره ﷺ تعدى البشر إلى الحجر ومن قبله إلى البهيمة، وهذا من خصائص النبي ﷺ ومن محاسنه ومحاسن الإسلام.

وجبر الخواطر عبادة غفل عنها كثير من الناس، وخلق حسن ما قدر عليه إلا أحاسنهم خلقا، وأحسن من تعبد بها إلى الله تعالى رسول الله ﷺ، وكان يقول: «لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»[١].

وكان غلام له يهودي يخدمه ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[٢].

ولما أخبره زيد بن أرقم مقالة عبد الله ابن أبي في قوله تعالى: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ (المنافقون:٨)؛ أرسل له ﷺ فحلف وجحد، فصدقه رسول الله ﷺ على ظاهر قوله وحلفه، فاشتد ذلك على زيد بن أرقم حتى صار يخفق برأسه من شدة الهم[٣]، فوقع عليه من الهم ما لم يقع على أحد، وكان النبي ﷺ لا يخفى عليه حال المنافقين، وزاده الله يقينا بأن أنزل عليه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾(المنافقون:١) إلى أن بلغ ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾(المنافقون:٨)، فلما رأى رسول الله ﷺ زيد بن أرقم عرك[٤] أذنه وضحك في وجهه، يقول زيد ابن أرقم فما كان يسرني أن لي بها

الخلد في الدنيا[٥].

ولما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد، لقي رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله منكسرا، فقال يا جابر: ما لي أراك منكسرا؟ قال: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالا ودينا، قال: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحا[٦]، فقال يا عبدي: تمن علي أعطك»[٧].



مراعاته ﷺ لحال صحابته

دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال ﷺ: «يا أبا أمامة، ما لي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة؟ «قال: هموم لزمتني، وديون يا رسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله همك، وقضى عنك دينك؟» «قال: قلت: «بلى يا رسول الله»، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» قال: «ففعلت ذلك، فأذهب الله همي، وقضى عني ديني»[٨].

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحا قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[٩]، قال ذلك رسول الله ﷺ جبرا لخاطره وتألفا لقلبه ودفعا لكسر نفسه، وهو كبير قومه وسيدهم والمعظم عندهم، «فقالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته»[١٠]، ولما علم رسول الله ﷺ قولتهم، جمعهم؛ لا لأن يعاتبهم أو ينكر عليهم قولتهم وإنما ليجبر خاطرهم ويعلن فضيلتهم ويبقي أثر المودة بينهم فقال لهم: «يا معشر الأنصار» قالوا: لبيك يا رسول الله»[١١]، قال: «أفيكم أحد من غيركم؟» فقالوا: لا، إلا ابن أخت لنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن ابن أخت القوم منهم» فقال: «إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟ لو سلك الناس واديا، وسلك الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار»[١٢]، «قلتم: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته؟ «قالوا: قد كان ذاك، قال: «كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم»، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله، ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم، ويعذرانكم»[١٣].

وكان النبي ﷺ في ذلك اليوم جائعا فدخل على أم هانئ بنت أبي طالب فقال لها: «عندك طعام آكله؟ فقالت: إن عندي لكسرا يابسة وإني لأستحي أن أقربها إليك فقال: هلميها، فكسرها في ماء، وجاءته بملح فقال: ما من إدام؟ فقالت: ما عندي يا رسول الله إلا شيئا من خل. فقال: هلميه. فلما جاءت به صبه على طعامه، فأكل منه ثم

حمد الله عز وجل ثم قال[١٤]: لها جبرا لخاطرها ورضا بحالها وشكرا لصنيعها: «نعم الإدام الخل يا أم هانئ، لا يفقر بيت فيه خل»[١٥].

وكان زاهر بن حرام بدويا من أشجع الناس لا يأتي النبي ﷺ إلا أتاه بطرفة أو تحفة من البادية، فإذا أراد أن يخرج جهزه النبي ﷺ وكان يقول له وللصحابة رضي الله عنهم جابرا بخاطره: «إن زاهرا باديتنا، ونحن حاضروه»[١٦]. وذات يوم أتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره «فالتفت إليه، فلما عرف أنه النبي ﷺ؛ جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري هذا العبد؟». فقال زاهر: إذن والله تجدني يا رسول الله! كاسدا، فقال: «لكنك عند الله لست بكاسد»؛ أو قال ﷺ: «بل أنت عند الله غال»[١٧]. وإنما قال له رسول الله ﷺ ذلك وقوله حق، لكن فيه ما فيه من جبر الخاطر ومراعاة المشاعر مما لا يقدر عليه إلا الأكابر.

جبره ﷺ لمن مات من الصحابة

وما كان النبي ﷺ جابرا لخاطر الأحياء فقط، بل تعداه ﷺ إلى الأموات؛ لأنهم وإن ماتوا فسيرتهم باقية بين أحبابهم وأصحابهم وذوي قرابتهم، ولعل جبره لهم في الدنيا حسنات لهم في الآخرة فيبقى الأجر لم ينقطع، فعن أبي هريرة، أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها بعد أيام، فقيل له إنها ماتت فقال: «فهلا آذنتموني» فأتى قبرها فصلى عليها[١٨].

وكان النبي ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، «وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة» وكان يكثر ذكرها ... فيقول: إنها كانت وكانت .. وكان لي منها الولد وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها ﷺ[١٩].

تلطفه ﷺ مع الصبيان

كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقا وكان مع انشغاله بأمور الحكم والدعوة لا ينسى أن يطيب قلوب الأطفال فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير قال: أحسبه فطيما[٢٠]، وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير، ما فعل النغير[٢١]» نغر كان يلعب به[٢٢]، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا[٢٣].

جبره ﷺ لكسر قلوب البهائم

لم يكن النبي ﷺ جابرا لقلوب أصحابه فقط بل تعدى ذلك إلى جبره لقلوب البهائم فعن عبد الله ابن جعفر، قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفا، أو حائش نخل، قال: فدخل حائطا لرجل الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: «من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟»، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه»[٢٤]. أي: تكده وتتعبه.

تلطفه ﷺ مع ما ليس فيه حياة ظاهرة

ولم يتعدّ لطفه ﷺ وشفقته إلى البهائم فقط بل حتى الجمادات نالها نصيبها من جبره ﷺ لهن ولطفه بهن، فعن عباس بن سهل ابن سعد، عن أبي حميد، قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا

ونحبه»[٢٥].

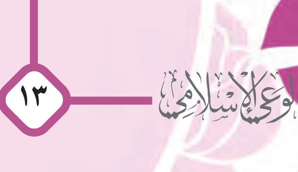
وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت، ماشيا وراكبا»، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يفعله[٢٦]؛ وإنما كان يفعل ذلك ﷺ؛ لأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم وفيه رجال يحبون أن يتطهروا فكان النبي ﷺ يأتي كل سبت مواصلا لهم، ومتفقدا لحالهم وحال من لم يحضر الجمعة معه ﷺ.

دوامه ﷺ على جبر القلوب

وكان النبي ﷺ كما كان جابرا لخاطر أصحابه يسأل ربه أن يجبر خاطره فكان يقول فيما بين السجدتين: «رب اغفر لي، وارحمني، واجبرني، وارفعني، وارزقني، واهدني»[٢٧]، وقوله ﷺ: «واجبرني» أي: أغنني ورد علي ما ذهب عني وعوضني عنه خيرا منه، يقول ذلك ﷺ في صلاته كلها أو بعضها لكنه كان مواصلا له مداوما عليه ﷺ.

الهوامش

١- مسند البزار، تحقيق: عادل ابن سعد، ١٥/١٧٧/٨٥٤٤، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
٢- صحيح البخاري، ٢/٩٤/١٣٥٦، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣- أي: يحركها كأنما يحركها من نعاس.
٤- عرك: دلك، انظر: لسان العرب، ١٠/٤٦٤، مادة: (عرك).
٥- انظر: سنن الترمذي، ح: ٣٣١٣، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩٨ م.
٦- كفاحا، أي: مواجهة ليس بينهما حجاب، لسان العرب، ٢/٥٧٣ مادة: (كفح).
٧- سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، ١/١٣١/ح ١٩٠، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٨- سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، ٢/٦٥١/ح ١٥٥٥، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٩- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٣/١٤٠٥/١٧٨٠، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٠- صحيح مسلم، ٣/١٤٠٥/١٧٨٠.
١١- صحيح مسلم، ٣/١٤٠٥/١٧٨٠.
١٢- صحيح مسلم، ٢/٧٣٥/ح ١٠٥٩.
١٣- صحيح مسلم، ٣/١٤٠٥/١٧٨٠.
١٤- شعب الإيمان، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ١١/٣١٠/مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
١٥- شعب الإيمان، ١١/٣١٠.
١٦- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ٢/٣٩٦/١٩٣٢، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.
١٧- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ٢/٣٩٦/١٩٣٢م.
١٨- سنن ابن ماجه، ٢/٤٨٦/ح ١٥٢٧.
١٩- فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور/موسى شاهين لاشين، ٩/٣٧٢، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
٢٠- فطيم: فصله من الرضاع وغلام فطيم ومفطوم وفطمته أمه تفطمه فصلته عن رضاعها، لسان العرب، ١٢/٤٥٤، مادة: (فطم).
٢١- النغر طائر يشبه العصفور وتصغيره نغير، لسان العرب، ٥/٢٢٣، مادة: (نغر).
٢٢- فمات فحزن عليه، فكان رسول الله ﷺ كلما رآه يقولها له تأنيسا له وممازحا إياه.
٢٣- صحيح البخاري ٨/٤٥/٦٢٠٣.
٢٤- سنن أبي داود، ٣/٢٣/ح ٢٥٤٩.
٢٥- صحيح البخاري، ٦/٨/٤٤٢٢.
٢٦- صحيح البخاري، ٢/٦١/ح ١١٩٣.
٢٧- مسند أحمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر،/٤٦٨/ح ٣٥١٤، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.



إعداد
التحرير



بين الاعتقاد والسلوك والعمل

المحاضرة (٨-٢)❖



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.
وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة «الوعي الإسلامي» بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)

إذا نظرنا إلى هذه المسألة: هل الأقوياء أكثر عددا أم الضعفاء؟! استقرئ المجتمع في أي قطاع من قطاعاته، وستجد الضعفاء وأصحاب العاهات هم الأقل عددا، تقول: وإذا كان الإنسان عاجزا أو ذا عاهة فلماذا أوجده الله بهذا الشكل، ولم يخلقه قويا؟ نقول: إذا أبحنا لك أن تسأل الخالق عن علة ما يفعل؛ نقول لك: بالله متى تشعر أن لك عينا؟ أنت لا تشعر أن لك عينا إلا إذا أوجعتك، أما إذا لم توجعك فأنت لا تذكرها البتة، ولا تخطر على بالك إلا إذا أصابها شيء، فتصبح كأن كلك عين، وكذلك حين تسير في الطريق وترى مكفوفا أكرمه الله بأخذ كريمتيه[1] يتعثر في الطريق حينئذ تتنبه على نعمة الله عليك بالبصر، فكأن الضعاف وأصحاب العاهات أوجدهم الله لا بغضا لهم وكراهية فيهم، إنما أرادهم أمثلة توضيحية لنعم الله، فإذا رأيت إنسانا لا يستطيع المشي على رجله لعرج تذكر نعمة الله عليك في أن رجلك سليمة، تقول: فما ذنب الذي جعل وسيلة إيضاح في المجتمع؟ ما ذنبه؟ نقول: الله عزوجل لم يفعل معه ذلك ويجعله وسيلة إيضاح ثم يتركه بلا عوض، إنك تجد كل ذي عاهة فيه موهبة أقوى من السليم من العاهات، وتجد له موهبة تفوق فيها، فمثلا: تجد الأعمى يعطيه الله ذكاء وقوة بصيرة، فهو يسلب منه شيئا ويعطيه أشياء، ولذلك كنا نسمع قديما في ريفنا: كل ذي عاهة جبار؛ أي: له صفة تميز بها، وتفوق فيها، حتى المجنون يعوضه الله. يأتي أحمق فيقول: إذا كان الإنسان قد كرم بالعقل فلماذا يخلق المجنون؟ نقول له: خلق المجنون؛ ليلفتك إلى نعمة الهبة العليا في عقلك، وبعد ذلك يعوضه تعويضا تتمنى -أيها العاقل- أن تأخذ مثله، فما التعويض؟ إن الله أعطاه شيئا من جلال صفاته، فقال: لا تسألوه عما يفعل في الدنيا، ولا يسأل في الآخرة، وهذا أمل الجبارين أن يكون سلطانهم، لا يرد عليهم أحد كلمة، وكذلك المجنون لا يسأل عما يفعل في الدنيا ولا الآخرة، سلب الله منه ما وهب فأسقط ما وجب، ولكن هل سلب الله المجنون الذي لا يعقل المحافظة على حياته؟ أرأيتم مجنونا في العالم من يوم أن خلق الله الخلق ينتحر، أو يلقي بنفسه أمام سيارة؟! إنه لو أدرك أن السيارة تميته إذا وقف أمامها لا يكون مجنونا، وفي القيم -حتى تعلموا أن عقلنا هو الذي يزين لنا الشهوة- أرأيتم مجنونا يشرب خمرا أو يسرق أو يقتل؟! إذن: فالقيم عندنا، وانحراف عقولنا في الفهم والتبرير هو الذي أوقعنا في المعاصي، فالحق سبحانه وتعالى يخلق المجتمع سليما قويا، إلا أنه يترك أنموذجات لتلفت إلى نعم الله على الفرد، جاء الضعيف، فقال الله للقوي: إذا كنت تعمل في الحياة لتأكل أنت فاعمل على قدر حاجتك، هذا إن كنت وحدك، لكن إذا أصبحت لك زوجة فيجب أن تعمل على قدر حاجتك وحاجتها، فإذا أصبح لك أولاد تعمل على قدر حاجتك وحاجة أمهم وحاجتهم، وكلما زادت المسؤولية يكثر العمل وتتسلسل المسائل، وقد كان من الله أن أعطاك العقل تبتكر به أشياء

مخصصة لمؤونة العمل؛ فبعد أن كنت تحرث بيديك ألهمك أن تصنع محراثا تجره الحيوانات؛ لئلا تثير الأرض بمجهودك، فلماذا كلما نرتقي ويكثر الناس يلهمنا الله التفكير بالآلات؟! لأنها توفر الجهد، فيكثر الإنتاج بقدر وسلسلة، إذن: لو أننا عملنا على قدر حاجتنا وحاجة من نعول فكيف يعيش الضعيف الذي لا يقدر على العمل؟! لهذا كان لابد أن تعمل على قدر طاقتك وقدرتك؛ لتأخذ أنت ما تحتاج، وتعول أهلك بما يحتاجون، ويبقى عندك فائض إنتاج ليعوض عجز العاجزين عن العمل، ولذلك يجب أن نلتفت التفاتا طويلا إلى نصوص القرآن ودقة أدائها، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ (المؤمنون:١-٤)، ثمة فرق بين للزكاة مؤدون و﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾؛ لأن المؤدي يخرج قسما من ماله للزكاة، والفاعل يجب أن يكون في فعله قاصدا في نيته نية الزكاة للزكاة، لذلك وجب عليك أن تعمل على قدر طاقتك، ليس ذلك فحسب، ولكن يجب أن تهم[٢] لقصد الزكاة؛ أي: لقصد إخراج المال إلى الضعيف، ﴿فَاعِلُونَ﴾: كأنهم في عملهم يدخلون الضعيف في حسابهم، ويقول أحدهم: يجب أن أعمل عملا ليفيض عني الإنتاج، فأعطيه للضعيف، وهذا هو الفرق بين الكافر والمؤمن؛ إن كل إنسان يعمل ليعيل نفسه وزوجه وأهله، والكافر يفعل ذلك أيضا، لكن الله يقول للمؤمن: أخوك المؤمن الضعيف مثلك، لا يكمل إيمانك حتى تحب له ما أحببت لنفسك، وما دمت تحب لنفسك أن تعيش فأنت تعمل لتعيش أنت وآلك، ولابد من أن يكون ذلك الضعيف في بالك، فراقبه ساعة تعمل، واعمل على قدر طاقتك؛ ليرتفع إنتاجك إلى ذلك الضعيف. هذا هو الفرق بين منهج الإيمان ومنهج الكفر، الحق سبحانه وتعالى لا يريد أن يذل الضعيف ويفهمه أنه وضيع ويأخذ صدقات الناس، فقال لنا: إياكم أن تذكروا ذلك، إنما هو حق له، سماه حقا، وما دام هذا الحق له فالذي يمنعه منه قد أخذ حق غيره، وما دام قد أخذ حق غيره فهو سارق، ولذلك قال بعض فقهاء الأندلس: الذي يمنع الزكاة بما يساوي نصاب السرقة تقطع يده؛ لأنه أخذ حق غيره، أليست السرقة أخذ حق الآخرين؟!

إن الله لا يقيد المؤمن بنسبة، يقول له: ثمة نسبة مفروضة عليك أن تكون كذا في المئة، لكني أحب منك أن تكون أريحي الطبع، زد على النسبة ما شئت، وتطوع من الخير بما استطعت أن تتطوع به، ولذلك تجد القرآن دقيقا، فهو كلام الله، مرة يقول: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات:١٩)، ومرة أخرى يقول: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ (المعارج:٢٤-٢٥)، في الآية الأولى لم يصف الحق بأنه معلوم؛ لأنه لم يكن يتكلم على مرتبة الإيمان، إنما كان يتكلم على مرتبة الإحسان التي هي فوق مرتبة الإيمان، ولذلك قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الذاريات:١٥-١٦)، ولم يقل: كانوا قبل ذلك مؤمنين؛ لأن الإحسان أرقى المراتب، والإيمان أن تعبد الله كأنك تراه، وما دامت مرتبة الإحسان أرقى فلا تقيد الزكاة بالنسبة والحق المعلوم (٢،٥٪)، وأخرج أكثر منها، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ



كل ذي عاهة فيه موهبة أقوى من السليم من العاهات

لو أننا عملنا على قدر حاجتنا وحاجة من نعول فكيف يعيش الضعيف الذي لا يقدر على العمل؟!

مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ فماذا كانوا يفعلون حتى وصفهم بالإحسان؟! قال: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ (الذاريات:١٧)، وهل يطلب الإيمان إلينا ألا نهجع إلا قليلا من الليل؟! لا؛ بل يطلب أن نصلي الخمس فقط، لكن مقام الإحسان يجعلك تسهر لربك متهجدا، فذلك مقام التطوع، ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ (الذاريات:١٨)، هل يلزمني الإيمان وقواعد الإسلام أن آتي في السحر مستغفرا؟! يكفيني أن أقوم لصلاة الفجر، لكن إذا قمت للسحر واستغفرت أكون قد دخلت في مقام الإحسان، فألزمت نفسي فوق ما كلفني الله به، وكذلك بالنسبة إلى الزكاة، ألزم نفسك فوق ما كلفك الله به، ولذلك لم يكن هنا الحق معلوما؛ لأنه يزداد بازدياد أريحيتك، فإن كنت أريحيا تضاعف النسبة، فمن خمسة إلى عشرة، ومن عشرة إلى عشرين؛ لأنه لم يخصص الحق، لكن في الآية الثانية التي قال فيها: ﴿حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ إنما تكلم على المؤمنين، والمؤمن يكفيه أنه يؤدي الحق المعلوم، والذي يريد أن يدخل في مقام الود مع ربه لا يجعله حقا معلوما، بل يتطوع بما شاء أن يتطوع به، ويأتي الإسلام حتى يرفع ذلة الفقير أو الضعيف حين يأخذ من الغني؛ لأن الله لا يريد أن يكسر رجولة الفقير، ويذبح عزته، فيقول له: هذا حق، إياك أن تخجل ما دمت ضعيفا، إنما تخجل إذا لم تكن ضعيفا، ويخجل الفقراء لاحترافهم، أما فقراء الضرورة والعجز الطبيعي فلا يخجلون؛ لأن ذلك حق لهم، ولا يعتقدن أحد أنه يعطي الفقراء من ماله الخاص وحقه ونصيبه، إنما هو حقي، لا توجهوه لي، فلست بحاجة إليه، أعطوه للفقراء؛ حتى يؤدى لكم في عوزكم، ولذلك يلفت الحق سبحانه عقل الإنسان إلى هذه القضية حين يغتر بما جمع وكسب وينسب المال إليه، فيقول الله: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ﴾ (النور:٣٣)، هذا ليس مالكم، تنبهوا! خرجتم من بطون أمهاتكم لا جيوب لكم ولا خزنة مال. لذلك لا يكون في قماطنا[٣] في المهد جيب؛ لأننا جئنا إلى الدنيا لا نملك شيئا، ونخرج من الدنيا بأكفاننا التي لا جيوب لها، إذن: فنحن ندخل ونخرج بلا جيوب، ويرجع المال على صاحبه ليورثه كما يشاء، ولو كان مالنا لكنا أحرارا نتصرف به كما نشاء، إنما المال كان لك في حياتك، ولكن بعد موتك لم يبق المال ملكا لك، فدعني -أنا صاحبه- أورثه كيف أشاء: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ (النساء:١١)، مرة يقول لك: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ (النور:٣٣)، ومرة أخرى يحترم عملك؛ ليشجعك على أن تعمل، فإذا عملت صار لك مال وثروة، فيقول: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾، نسب المال لنا، فمرة نسبه إلى نفسه على التحقيق، ومرة نسبه إلى الناس، وفي آية واحدة يجمع الأمرين، فيقول: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ (القصص:٧٧)، فالله آتاك مما عنده، وأنت مستخلف فيما آتاك، وتتمة الآية: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ (القصص:٧٧)، كان متوقعا أن نخاطب لئلا ننسى الآخرة؛ كأن الله يريد أن الدنيا -لهوانها- يجب أن تكون محل النسيان من المؤمن، فربنا يعزنا حين يذكرنا بها، كأننا لا نلتفت إليها رفعة وسموا؛ سبحان الله، كأن من طبيعة الدنيا وخستها أنها لا تكون في البال، وكأن الله يقول لك: الفطرة السليمة لا تلتفت إلى الدنيا؛ لأنها معبر وممر، ولكني أذكرك بنصيبك منها، وكان المنطق أن يقول: لا تنس الآخرة؛ لأنها الحقيقة التي ننساها دائما، وبعد ذلك قال: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ (القصص:٧٧)؛أي: الله أعطاك فابذل. ألا تحب أن يغفر لك الله إذا أذنبت؟ تحب بالطبع، إذن: إذا أذنب أخوك ألا تغفر له؟! ما دمت تحب أن يغفر الله لك ذنبك فاغفر لأخيك. ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ (النور:٢٢)، وما دام الله قد أحسن إليك فأحسن إلى الناس، ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (القصص:٧٧)، ذلك هو دستور المال الذي عجزت العقول البشرية أن تضع له دستورا كهذا: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾، وذلك بانتشال العاجزين الضعفاء حتى يأخذوا حظهم من الحياة، فإذا أخذوه حميت عقائدهم من أن تتقلب؛ لأن المجتمع لو قسا على الضعيف العاجز لقال: لماذا خلقتني يا رب؟! ولكن إذا وجد المال عنده مثل غيره لا يحقد عليك، ولا يحسدك، ولا يغتابك، ولا ينم بك، ويرجو لمالك الدوام؛ لأنه يصيبه منه خير، لكن إذا ما قبضت يدك عنه ستجعل الحقد والحسد والبغض لنعمتك فيه، فكأنك فتحت له باب التجرؤ على حكم الله، وباب الضغن[٤]، وإذا فتح باب الضغن في الإنسان فكل رذائل الوجود ستأتي، وحين احترم الله عملك وقال: أنت عملت، وأنا أكافئك بأن المال يبقى منسوبا لك، وإذا أراد الفقير منك شيئا لا أقول لك أعطه مالي، فقد أديت الزكاة وهي حقي من مالك. لكن هناك أمور فوق الزكاة، فربما لا تؤدي الزكاة حاجات الناس، فإذا زاد أحدكم فوق الزكاة يقول الله من رحمته: ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ (المزمل:٢٠)، وهو واهب كل شيء يطلب إليك أن تقرضه مالك؛ لأنك ما دمت قد أديت الزكاة فقد جئت بالحق، فإذا ما أردنا منك شيئا زائدا فلا نأخذه منك، ولكن نقترضه، إنه رب يطلب إلى

عبده الذي وهب له منه أن يقرضه، هذا احترام لآثار العمل وثماره، يقول لـه: أقـرضـنـي؛ لأن أخـاك محـتـاج؛ فأعطه قرضا مني، وسأسأل أخاك أن يقرضني حين تكون محتاجا، ولا يكفي الحق المعلوم للنهوض بحاجتك. كأن ربنا يرعانا كلنا، وذلك يوجد التوازن فـي المجتمع والـعـمـل والحـركـة، وما دمت تعمل وتؤدي حق الله يصبح المال مالك، وواهـبـه لك يقرضه منك فهو لك، وعلى ذلك يكون كل اجتراء على أخذ أموال الناس بعد أن أدوا حقوق الله فيها اجتراء لم يضعه الله وهو واهب المال، ولذلك يحذرنا ويقول لنا: إياكم أن تفعلوا ذلك؛ لأنكم ستقبضون الطموح أن يطمح، والمجتهد أن يجتهد، فإذا ما اجتهد وكان له عمل، ثم جاء أحد فأخذ منه فوق ما استحق الله منه من زكاة يقول: ولماذا أعمل والحياة لا تكون بغير طموح عملي؟! فالمنفعة الشخصية هـي الـتـي تسير دولاب الحياة، لذلك يقول الله له: اعمل في الكون؛ لأن عملك سيعود قهرا عنك على الفقير. فمثلا لو أن إنسانا عنده طموح ومال سيعمل بدل أن يأكل من المال، مع أنه لو أكل منه طيلة حياته لكفاه، الله سبحانه وتعالى يلهمه، فيقول: سأبني مصنعا، وأشتري له آلات، وأوظف فيه عمالا. هؤلاء العمال من الضعاف الذين لا يملكون مالا. يأتي بهم، وقهرا عنه سينتفع المجتمع، والسلعة التي ينتجها ينتفع بها المجتمع، إذن: لماذا يقبر الطموح ويقيده؟! لا بد من إيجاد الحافز ليعمل الناس، والناس إذا أدوا حق الله لا يكونون مسؤولين أمام أحد، فيوجد الحافز ليتشجع كل ذي عمل على العمل، ويتشجع الكسل أن يجتهد، أما الذين يجيئون بفائض عمله، فيأخذونه كما في بعض الدول نقول لهم: أنتم لم تعرفوا الإنسان الذي خلقه الله، لا بد في عمل الإنسان من الحافز؛ إنه يقبل على أعمال الدين؛ لأن هناك حافزا يحفزه على أن يقبل على تلك الأعمال، والحافز هو ما أعده الله من ثواب، فكأنه يؤخذ إلى الدين بدافع الحافز النفعي، أنت مثلا تأتي فتؤثر على نفسك، ماذا لو كنت جائعا؟! أتؤثر الفقير على نفسك؛ لأنك تحبه؟! لا؛ إنك تحب نفسك، ولكنك تؤثره في الفانية لتأخذ أضعافه في الآجلة. إذن هو حب نفسك. مثال آخر: تمر عليك الفتاة الجميلة، فتغمض عينك، حين أغمضت عينك أكنت تكره الجمال؟! لو أن شخصا حدق ونظر، وآخر أغمض وغض الطرف، فالذي غض طرفه أعشق للجمال ممن نظر، والذي نظر أحمق؛ أخذ لحظة يمتع نفسه بجمال الحرام، وسيعذب به، والذي غض طرفه انتظره هناك حلالا، فأيهما أعشق للجمال؛ الذي نظر أم الذي غض؟ الذي غض بصره الأحزم والأحكم والأعقل.

الحق سبحانه وتعالى يأتي بقانون النفعية، ويشجع الناس على أن يعملوا، فيقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ (محمد:٣٦)؛ أي: إن نفذتم منهج الإيمان والتقوى ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ (محمد:٣٦)؛ أي: لا يقول لكم هاتوا المال الذي وهبتكم، ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾ يعني: يأخذها منكم، ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾؛ أي: يلح عليكم، ﴿تَبْخَلُواْ﴾ بها؛ لأنكم كسبتموها بكدكم، فهل يستوي الذي نام وكسل وأراح نفسه، والذي جد واستيقظ مبكرا وأتعب نفسه وكد؟! لا يستويان. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ (محمد:٣٧)، وإذا ما خرج الضغن في المجتمع فقد فسد، ولذلك تجد في الأمم التي يحلو لها أن تقلد غير المؤمنين أو الملحدين وتأخذ تقنياتهم الحقد والبغض والكراهية،



جئنا إلى الدنيا لا نملك شيئا.. ونخرج منها بأكفاننا التي لا جيوب لها

كل اجتراء على أخذ أموال الناس بالباطل هو اجتراء لم يضعه الله وهو واهب المال

فينفصل المجتمع، وتفترق طبقاته والنفوس، ويقعد أولو العزم والجد عن العمل، فإذا كان ذلك انحط كل إنتاج، فالدولة التي كانت تصدر للعالم قمحا -وهي سيبيريا في روسيا- استوردت القمح من أميركا بعد أن جاء المذهب الشيوعي؛ أي: استوردته من الرأسمالية، ولما جاء هؤلاء ووجدوا بطلان مذهبهم تراجعوا شيئا فشيئا عنه، إذن: لابد من الحافز، فالشيوعية تراجعت عن مبدئها، والرأسمالية كانت جبارة قاهرة قاسية على العاملين، بدأت تعطي العاملين حقوقا، فحددت ساعات العمل، وزادت التأمين الاجتماعي، وأنشأت تأمينا صحيا ونقابات، وأوجدت حظا في رأس المال، إذن: فالرأسمالية أيضا تنازلت عن شعارها، وما دام المبدأ انحط عن شيء فكأن التطبيق ألزمه ببطلان مبدئه، ولابد أن يساير الحق والواقع، ويتنازل عن شعار الرأسمالية، وكذلك الشيوعية حرمت الملك والحافز، ثم جاءت التجربة بالأخطاء، فتراجعت، وقالت: الحافز ضروري، وللإنسان أن يملك كذا وكذا، وأن يأخذ راتبا على قدر عمله. فتنازلت بذلك عن مبدئها، والرأسمالية تنازلت عن مبدئها أيضا، أسائرون هم في جهة التدابر أم جهة التلاقي؟! هنا مبدأ وهنا مبدأ مناقض له، فذلك طرف وذلك طرف، فإذا رأيت ذلك المبدأ لا يسمو إلى أعلى وينتهي وينحل ويتنازل فمعنى ذلك أن المبادئ التي يدعونها ثبت خطؤها، وأنهم يسيرون في جهة التقابل؛ أي: يلتقون في منطقة الوسط ليبقوا بحال جيدة، هذه المنطقة الوسطى جاء بها الإسلام، فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ (البقرة:١٤٣)؛ لستم شيوعيين، ولا رأسماليين، اعملوا لتملكوا، وأدوا حق الله، ولا سلطان لأحد عليكم، وإذا أديتم حق الله فاملكوا؛ أي: املكوا بالعمل من وجه حل، وأدوا حق الله، ودبروا أموالكم بوجه يرضاه الإسلام، وأنفقوا أموالكم في وجه يرضاه. إن كنت أستنبط مالي بحل، وأنميه بحل، وأنفقه بحل أيكون في المجتمع فساد؟!

لا: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (القصص:٧٧) بأن تقبض الملكية، أو أن تستشري عند الرأسمالية، هؤلاء هم الذين يجلبون الفساد، ولذلك سيظل الصراع بين بني البشر ما تمسك كل بمبدئه، فإن تنازل هذا عن مبدئه في أنه لا ملكية حتى يشجع الناس على العمل، وتنازل هذا عن الرأسمالية فلا جبروت لها، حينئذ تلتقي المذاهب كلها عند وجهة نظر الإسلام.

أحد الدول الغربية حينما جاءت لتنظر إلى حال الفقير -ولم تفكر في حال الفقير إلا في أوائل القرن السابع عشر- سمت القانون: قانون الفقراء. وهذه التسمية سبة[٥]، ولكن الله حين سمى لم يقل: قانون الفقراء. وإنما قال: الزكاة. والزكاة طهر ونماء؛ يقول الحق: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ﴾ (التوبة:١٠٣)، وظاهر الأمر أن المئة تنقص (٢،٥)، أذلك نمو أم نقص؟! إنه في ظاهر الأمر نقص، فالمئة صارت (٩٧،٥)، ولكن الله يسمي النقص في أعرافنا -نحن البشر- زكاة ونماء، ويسمي الربا والزيادة في أعرافنا محقا، فكأن الزيادة في عقول البشر نقص عند الله، والنقص عند البشر زيادة عند الله؛ لأنك لا تعرف كيف يبارك الله لك في مالك، ويمنع عنك المغارم والآفات، فهناك رزق بسلب المصارف السيئة عنك؛ يقول القرآن: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾ (الروم:٣٩)؛ أي: الذين يضاعفون أموالهم، تجدون هذه الظاهرة عند من يؤدي حق الله، تقول: فلان قليل الدخل، ولكن حياته مباركة، يربي أولاده ويعيش، أنا أعرف كيف يعيش بهذا الدخل القليل. نقول: نعم؛ لأن المسألة ليست في يد الأرقام، وإنما في يد مدبر الأرقام، فمثلا: اثنان يسكنان في عمارة واحدة، ودخلهما محدود، يأخذان خمسين دينارا، تأتي إلى أحدهم فتجد عنده البركة، وتأتي لمثله فلا تجدها عنده؛ لأن الله يقذف بالخواطر في النفوس البشرية، فمن يكسب ماله من حل، وينفقه في حل، ويؤد حق الله فيه يدخل البيت بنفس مطمئنة مؤمنة راضية خاشعة لربها، تقول له امرأته: إن حرارة الولد اليوم مرتفعة. فيدخل الله الخبر على قلبه باطمئنان، فيقول لها: اصنعي له كوب شاي، وأعطه أسبرين. يأخذ الولد الشاي والأسبرين، فيعافيه الله، ولكن من يكسب ماله من حرام ولا يؤد حق الله يدخل البيت غير مطمئن، تقول له امرأته: الولد حرارته مرتفعة. فيقول: لعلها تيفوئيد، أو حمى مخيفة، يدخل الله في قلبه الخواطر المزعجة، فيأخذ ولده إلى الطبيب ليكشف عليه، ويأتي بالعلاج ويصرف عشرة دنانير أو خمسة عشر دينارا. تلك هي البركة؛ ربما تذهب أنت وإنسان آخر إلى السوق، فترى الخيار الجميل الطري، فيجعله الله في عينك شهيا، وتقول: ما أحسن الوجبة لو أني آخذ كيلو من الخيار على قطعة من الجبن وآكل في المنزل! ويجيء الثاني فيرى ديكا روميا كبيرا، ويقول: يا سلام على الديك الرومي! فيقال له: الديك الرومي بخمسين دينارا. وليس معه إلا عشرون، فيستلف من صاحبه ثلاثين دينارا، ويشتري الديك الرومي. هذا قضاها بخمسة دنانير، وهذا قضاها بخمسين دينارا. تلك هي البركة؛ يأتي إنسان فيذهب إلى السوق، فيجد قماشا جميلا، ويشتري متر القماش بنصف دينار؛ لأن ماله من حل، وحق الله مقدم فيه، عندما يدخل بيته يخلع

الله القبول على القماش، فتنظر إليه امرأته بعين البهجة والانشراح، وتقول: لا حرمني الله منك، ما أجمل ذوقك! ويأتي إنسان آخر ماله مشبوه من غير حل، ويدخل على المرأة متر القماش بدينار أو دينارين، فتنظر إليه، فيكتب الله عليها عدم القبول، فتقول: لماذا ألبس هذه، وفلانة تلبس أجمل منها؟! وترميها في وجهه، يحدث ذلك كثيرا.

إذن: فالبركة من الحق، وذلك هو الربا في المال، الحق سبحانه وتعالى يقول: تنبهوا جيدا على أن ما ينقص أموالكم هو الزكاة، وبعد أن يقول الحق ذلك لا تعرف أنت كيف يكون زكاة، وكيف يكون نموا، هو يصنع ما يشاء؛ لأن كل شيء من جنود الله يستطيع أن يفعل ذلك، فإذا أعجب أحدهم بالمجتمع الذي ينظر أبناؤه في التقنينات؛ ليعيش المجتمع سعيدا، نقول له: يا أخي، المجتمع مكون من أفراد، والأفراد منقسمون: إما أغنياء وإما فقراء، والحق يريد أن يطهر الناس جميعا، فشرع الزكاة طهارة للغني والمال والفقير، ونماء للغني والمال والفقير، فمتى تكون الزكاة طهارة للغني؟! إذا طهرته من الشح؛ يقول تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩)، وكيف تنمي الزكاة رجولة من يؤديها؟! حين يعطي قطاعا ضعيفا عاجزا فكأنه عال نفسه وأهله وطبقة الفقراء، فالرجولة التي اتسعت لمثل هؤلاء نمت، إذن: فالزكاة طهارة للغني ونماء لمروءته ورجولته. ولكن كيف تكون طهارة للفقير ونماء له؟! أما النماء فقلنا بالبركة، وأما الطهر فلأن الفقير حين يرى غنيا عنده مال، وينال من ذلك المال لا يكون في قلبه حقد أو كراهية، وهو بذلك قد تطهر، وتكون نماء له أيضا؛ لأن الفقير يعتقد أنه لن يواجه الحياة بمفرده، ولكنه يواجهها بالمجتمع الذي يعيش فيه؛ فإخوانه مدوا له يد المعونة حين احتاج، وذلك لا يجعله يرى أنه يواجه المجتمع وهو ضعيف، لا؛ بل يقول: أنا قوي بإخواني، المرء قليل بنفسه، كثير بمحبيه، ولما أمدوني حين ضعفت عرفت أني لا أواجه الحياة بنفسي، وإنما أواجه مجتمع الحياة بمجتمع الإيمان، وبهذا تكون رجولتي ورجولة الآخرين قد نمت. وكذلك المال؛ لأن المال ربما دخلته بعض الشبه في كسبه، فحين تخرج منه شيئا فكأنك طهرته من بعض الشبه، وكما قلنا: ينميه الله سبحانه وتعالى بالبركة، ويزكيه؛ لأن الزكاة تطهير للغني ونماء له، وتطهير للفقير ونماء له، وتطهير للمال ونماء له. فبتشريعها خلص الله الإنسانية من آفة شغلت عقول البشر جميعا، فما استطاعت أن تحل المعادلة حلا يرضي المجتمع بطبقاته كلها إرضاء لا يعوق طموح العاملين، ولا يوكس[6] العاجزين. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوجهنا جميعا إلى منهجه، ويلفتنا إلى محاسن تشريعه، ويجعل من ولاة أمورنا قوة تهيمن على تنفيذ منهج الله، فتضرب على يد الخارجين حتى لا يكسروا حدود شرع الله، ولا يكونوا أسوة سيئة للأجيال التي تراهم على انحراف، والسلام عليكم ورحمة الله.

*محاضرة الشيخ محمد متولي الشعراوي في مسجد الشيخ فهد السالم بالسالمية بتاريخ (١٩٧٤/٩/٢٩م) الموافق (١٣) رمضان (١٣٩٤هـ).

الهوامش

١- الكريمتان: العينان. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٤٢/٣٣).
٢- هم بالأمر في نفسه: نواه وأراده وعزم عليه. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٢٢/٣٤).
٣- القماط: خرقة طويلة يلف بها الصبي. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٩/٢٠).
٤- الضغن: الحقد الشديد والعداوة والبغضاء. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٣٠/٣٥).
٥- السبة: العار، يقال: هذه سبة عليك وعلى عقبك؛ أي: عار تسب به. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٥/٣).
٦- الوكس: النقص، والشطط: الجور. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٥٧/٦).

سيظل الصراع بين البشر ما تمسك كل بمبدئه حتى يتنازلوا فيلتقي الجميع عند وجهة نظر الإسلام

شرعت الزكاة طهارة ونماء للغني والمال والفقير



ملف خاص

محمد ثابت توفيق
(كاتب وقاص وناقد مصري)



شهد حفل افتتاحه تلاوة قرآنية للمرة الأولى في تاريخه

انطلاقة دعوية في كأس العالم



ممثل سمو أمير البلاد سمو ولي العهد يحضر حفل الاستقبال الذي أقامه أمير قطر في استاذ البيت



صلاة الجمهور جماعة في أحد الملاعب قبل المباراة مباشرة

أحاديث للتعريف بالإسلام في الكثير من المباني القطرية

تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ.

عن النبيّ ﷺ

The worst people in the sight of Allah on Judgement Day will be the two-faced, people who appear to some people with one and to other people with another face.

The Prophet Muhammad (PBUH)

أحاديث للتعريف بالإسلام في الكثير من المباني القطرية

الداعية/ د. ذاكر نايك

جاء الإسلام كخاتم رسالات السماء إلى البشر، فليس من رسول ولا نبي بعد النبي «محمد» ﷺ؛ وإنما على كل مسلم موحد أن يجتهد ما استطاع في الدعوة إلى الله ونشر دينه الحنيف، مرددا مع أبي الأنبياء نبي الله «إبراهيم» وخاتمهم محمد عليهما الصلاة والسلام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣)، فجميع ما يفعله المسلم في يومه وليلته يجب أن يتوجه بنيته جاعلا توجهه وعمله لرضا رب العزة، وبالتالي رفعة ونصرة دينه؛ وعلى النسق وفي السياق نفسه حاولت دولة قطر أن تعمد في أول كأس العالم تنظمه دولة عربية مسلمة (في الفترة من ٢٠ من نوفمبر/ تشرين الثاني حتى ١٨ من ديسمبر/ كانون الأول الحالي) إلى نشر دين الله تعالى، سواء أكان هذا بين مئات الآلاف من مشجعي (٣٢) فريقا كرويا أتوا من جميع أنحاء المعمورة لقطر، أو كان هذا بين مئات الملايين من متابعي المباريات نفسها في جميع أنحاء العالم عبر أثير أجهزة التلفزيون أو الفضاء الأزرق للإنترنت.

تم تقدير زوار قطر خلال مباريات كأس العالم في نسخته الثانية والعشرين بقرابة (١,٧) ملايين نسمة، استعدت الدوحة لهم جيدا بإحسان التنظيم وتهيئة أماكن الاستقبال والإقامة سواء بها أو بمدن خليجية يتنقلون بينها وبين قطر؛ فضلا عن مدرجات الملاعب والمواصلات التي تنقلهم من مقر الإقامة إليها، كما استبقت كل هذا بإدراك أن مناسبة ككأس يلتف سكان الكرة الأرضية حولها يجب ألا تفوتها الدوحة لنشر الإسلام والتعريف بسماحته وقدرته على استيعاب جميع متطلبات البشر، أيا ما كان مكان تواجدهم واهتماماتهم، وفقا لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥)؛ فمن المسلم به أن كل دولة نظمت الفعالية الرياضية الأضخم عالميا في لعبة كرة القدم عمدت إلى محاولة إحسان التعريف بثقافتها وعقيدتها، وانطلقت من الرياضة لتعزيز ما تراه أحقية لها من إعلاء لشأن تراثها ومعتقدها، فما بالنا ودولة تنتمي إلى شريعة ترتقي وترتفع بالإنسان، وتنشر الاطمئنان بين أرجاء نفسه، فتتيح له الحركة بانسيابية في الحياة والراحة من ماديتها، وتملك مكونات حضارية لمّا أحسن أتباعها استغلاله عم الخير والسلام والأمن والعدل ربوع العالم لقرون؟!

دعاة وبرامج ومستهدفات نيرة

اجتهد سلفنا الصالح فوهبوا حياتهم



لنشر دين الله في العالم، وتكبدوا في سبيل ذلك مشاق السفر وفراق الأهل، وأتيحت وتوفرت لمسلمي اليوم تقنيات وفعاليات لم تتح لهم، ولذلك عمدت قطر على مستوى رسمي للإعداد للدعوة إلى الله قبل بداية كأس العالم، فزينت شوارعها وطرقاتها بجداريات مكتوبة بعدة لغات تشتمل على أحاديث ومواقف من سيرة سيد الخلق الرسول العظيم، تدور في فلك الرحمة والصدقة وإعمار الأرض بالعمل الصالح من مثل: «كل معروف صدقة»، أخرجه البخاري والترمذي وأحمد، ورواه جابر بن عبد الله (رضي الله عنهم)، و«من لا يرحم لا يرحم» (متفق عليه ورواه أبو هريرة)، و«اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة» (أخرجه البخاري ومسلم ورواه جابر بن عبد الله). بالإضافة لعدد من الأحاديث التي تدعو للأخلاق السامية وحسن المعاملة، وهي الأحاديث الشريفة التي راعت بيان عظمة ونبل دين الله، في مقابل ما هو معروف من اضطراب المعاملات وغلبة الاستهلاكية وحب المال والسيطرة في نفوس كثير من الغربيين، ومن ثم جفاف أرواحهم وتطلعاتهم لما يأخذ بزمام أرواحهم نحو الضياء وأفق الراحة والسكينة التي تهبها لهم أقوال الرسول العظيم، فضلا عن فيض الفضول لمعرفة المزيد عن هذا الدين.

وقد استقدمت قطر لهذه المناسبة خصيصا عددا من أشهر الدعاة المسلمين والعرب منهم الداعية الهندي «ذاكر عبد الكريم نايك»، وكذلك الداعية المصري المقيم بالإمارات «عمر عبد الكافي»، فآثر الأخير إلقاء المحاضرات، فيما فضل الأول بالإضافة لذلك التجول بين أماكن تجمع المشجعين والراغبين في مناقشته.

أما حينما يعود المشجعون لغرفهم في الفنادق فيجدون تطبيقات ذكية عبر أيقونة معلقة بجدارية بمكان مميز من الغرف، وهي تفعل بالهاتف المتحرك؛ ليدخلوا عبرها لأفاق أرحب للتعريف بالدين الإسلامي بلغات متعددة سريعة الاستجابة للتصفح، وذلك وفق تدوينات لنشطاء على موقع التواصل «تويتر» الأوسع انتشارا في قطر ودول الخليج العربي.

ومن جانبها دشنت «وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية القطرية» عبر



أحاديث للتعريف بالإسلام في الكثير من المباني القطرية

مركز «عبد الله بن زيد آل محمود الثقافي» التابع لها بالدوحة مبادرة مماثلة عبر رمز إليكتروني سريع الاستجابة يعرف بالإسلام، كما نظمت الوزارة معرضا إسلاميا تفاعليا لتعريف الجماهير بدين الله، عبارة عن جولة في مسجد «محمد بن عبد الوهاب» يتعرف من خلالها الزائر على جوانب من العقيدة الإسلامية وأيضا المعمار الإسلامي.

أما مسجد الحي الثقافي «كتارا» فحظي بإقبال من جماهير البطولة، بحسب ما رصدته وكالات للأنباء منها التركية «الأناضول»، فمنذ الدخول للمسجد يصطحب دعاة مخصصون الزائرين ويتحدثون معهم بلغاتهم، فيوعونهم بالإسلام، فيما تحرص الداعيات على تزويد الزائرات بملابس مناسبة، فضلا عن أنه لدى باب المسجد تتوافر لوحات تعريفية بدين الله بأكثر اللغات المنتشرة عالميا ليطالعها الزوار عبر هواتفهم، مع توافر كتيبات للتعريف بالإسلام باللغات المختلفة أيضا.

حفل الافتتاح وانتظار المواصلة:

حرص منظمو البطولة على حضور الدعوة للإسلام في حفل افتتاح البطولة الذي استمر لنحو نصف الساعة، وأقيم مساء الأحد (٢٠ من نوفمبر/تشرين الثاني الماضي) بأستاد «البيت» الذي يسع (٦٠) ألفا بالدوحة، وبمشاهدة قاربت (٤,٥) متابعا بمختلف أرجاء العالم، فتلا الشاب القطري غانم مفتاح قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)،

وكان ظهور مفتاح المميز بكونه من ذوي الهمم العالية والإعاقة رسالة احترام له ولأمثاله في مختلف أنحاء المعمورة، وكانت تلاوته القرآنية من قبل هذا رسالة محبة وسلام للعالم وأيضا احترام لقيمة الإيمان بالله.

وأثمرت المجهودات المبذولة قبل حفل الافتتاح وأثناء البطولة عن إسلام عدد من المشجعين الأجانب، تم تداول لحظات نطقهم بالشهادتين والسكينة التي تشملهم خلالها على وسائل التواصل على نحو واسع.

بقي أن المجهود المبذول خلال أقل من شهر في قطر يتواصل مع ما يبذله عدد من الدعاة العرب والمسلمين وأيضا الجمعيات والمؤسسات الخاصة المعنية، ولكنه جاء هذه المرة تحت سمع وأبصار العالم كله، وفي حدث من أهم الفعاليات التي يشهدها العالم بشكل دوري كل أربع سنوات منذ عام: (١٩٣٠م) ولم يكن في الحسبان أن يتم استثمار كأس العالم في الدعوة للإسلام، ومنه يتمنى المسلمون في مختلف دول العالم أن يتواصل مثل هذا الإبداع بشكل منظم مماثل لقطر وغيرها في المنتديات والفعاليات والدورات المختلفة التي تشارك فيها دول عربية وإسلامية، أو تشارك فيها، أو في تنظيمها أو الإشراف عليها، في مزيد من التعريف بدين الله نحو آفاق أرحب وأوسع لنشر رسالة الخير والإيمان التي جاء بها «محمد» ﷺ وفق قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠).

أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر

هل فازت قطر بالمونديال؟

هدف في شباك الاسلاموفوبيا



الجمهور الفرنسي في مسجد المدينة التعليمية ويسأل عن الإسلام

في ديسمبر ٢٠١٠م، كان العالم على موعد مع حفل إعلان نتيجة التصويت لمعرفة الدولة التي ستنظم بطولة كأس العالم لكرة القدم ٢٠٢٢م، حيث تمت عملية التصويت والإعلان في مقر الاتحاد الدولي لكرة القدم «فيفا» في العاصمة السويسرية زيورخ، وكان نتاج التصويت لصالح دولة قطر، والذي دهش العالم منه، حيث ستكون أول بطولة كأس عالم في منطقة الشرق الأوسط وأول بطولة تنظمها دولة عربية كما أنها فرصة لمعرفة القدرات العربية في عالم تنظيم البطولات العالمية ونقل مفهوم جديد في تنظيم البطولات وما يمكن أن تشهده النسخة القطرية العربية من إبهار للعالم.

وبعد ١٢ سنة رأينا كأس العالم يقام على أرض عربية في دولة قطر، ترفرف فيه القيم الإنسانية في تعارف الشعوب، واجتماع رايات العرب في ساحة واحدة تعمها الألفة والإخاء.

ربما يكون المشهد الكروي مشهد عبث ولهو عند الكثير، وربما انحصر الخطاب الديني قديما في هذا الاتجاه، وربما يصدق ذلك على ما اشتهر من تعصب ونزاع واقتتال يحدث بين المشجعين، ولا أريد أن ينسحب كلامي لتعزيز قيمة اللعب وإخراجه من كونه لهوا مباحا بضوابطه الشرعية إلى كونه صناعة للأمجاد والبطولات.

إن حديثنا عن كأس العالم لكونه حدثا عالميا ضخما يفرض نفسه على الشعوب، وتتوجه إليه اليوم أنظار الملايين في شتى دول العالم، وأصبح يشكل اهتماما عالميا عند أكثر شعوب العالم، ومنها الشعوب الإسلامية، هذا واقع لا مفر منه، ولا جدال فيه.

ولا نشك أن وراء الأكمة ما وراءها، فهناك أجندات إستراتيجية يُعمل على تنفيذها بكل قوة من خلف رداء المباريات، وذلك لاختراق المجتمع الإسلامي في بلدان العالم كافة، وفرض الثقافة التغريبية عليه، والعمل على تغيير ثوابته ومعتقداته، أو -على الأقل- زعزعتها مرحليا، وإغراق المجتمعات الإسلامية في براثن الشهوات والممارسات الجنسية المخالفة للفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، فهناك تبن غير خاف لكثير من الفرق العالمية للشذوذ الجنسي ليخرج المشهد الكروي من نطاق الترويض إلى فرض الأيديولوجية، فعلم المثليين شارة لكثير من الفرق العالمية، وصار من يرفض دعم المثلية شخصا جاهلا منحرفا يشنع عليه ويهاجم أشد المهاجمة!

إن أهم ما تشرئب له الأعناق في تنظيم مباريات كأس العالم لدولة قطر أنها لم تساير مد التغريب، وأنها أخذت على عاتقها إعلاء هويتها العربية والإسلامية، إضافة إلى التأهيل الحضاري لاستقبالها حدثا عالميا كهذا.

وقد افتتحت قطر بطولة كأس العالم بفعالية كبيرة تم استهلالها بتلاوة قرآنية لـ«غانم المفتاح» المصاب بمتلازمة التراجع الذيلي، هذه الآية التي ترسخ قيم الإنسانية في الإسلام، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات: ١٣).

لتتلى الآية أثناء استعراض لحياة العرب الأولى وقيمهم الأصيلة، مع حوار يدور بين الفنان العالمي مورغان فريمان والشاب القطري غانم المفتاح تصحح فيه بعض المفاهيم المغلوطة في ابتعاد الغرب والشرق ومحاولة تأصيل مبدأ التعارف بين الأمم، والتواصل الحضاري رغم الاختلاف الفكري والعقدي، وعلى الرغم من أن الافتتاح تضمن الكثير من الاستعراضات التي لم تخلُ من العنصر النسائي فإننا لم نلحظ فيه ابتذالا أو

عريا وما إلى ذلك.
والمتابع للمشهد وما يحدث على هوامش المباريات، يرى جهودا كبيرة في التعريف بالإسلام ونشره والدعوة إليه، فقد دشنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر جناحا للتعريف بالإسلام وتعاليمه أثناء فعاليات كأس العالم، ليشارك به دعاة من جنسيات عدة، مع توزيع الكتب المطبوعة بلغات عدة للتعريف بالإسلام وعرض الثقافة العربية، وخصوصا القطرية، والتعريف بها.
ونشر مركز عبدالله بن زيد آل محمود الثقافي الإسلامي التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، رابطا إلكترونيا لكتيب ديني ترجم إلى ٦ لغات رئيسية هي الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية والروسية والبرتغالية، وخصص لكل لغة رابط محدد للتعريف بالدين الإسلامي تحت عنوان «فهم الإسلام».
وعمم الباركود في جميع الفنادق التي ستتضيف المشجعين ليتمكنوا من خلاله من مطالعة الصفحات التعريفية بالإسلام.
كما نشرت قطر العديد من الجداريات في مواقع بارزة يستهدف زيارتها المشجعون، مكتوب عليها أحاديث نبوية عن الأخلاق والأعمال الصالحة، وضرورة فعل الخير في الحياة الدنيا بلغة عربية، مرفقة بترجمة إنجليزية.
وأطلقت الدوحة معرضا إسلاميا تفاعليا بهدف التعريف بالإسلام للناطقين بغير اللغة العربية خلال كأس العالم، عبارة عن جولة تعريفية في جامع الإمام محمد بن عبدالوهاب، يتعرف من خلالها الزائر على المسجد ومعماره الإسلامي، فضلا عن التعرف على بعض جوانب الإسلام وبعض المساجد التاريخية في دولة قطر.
بالإضافة إلى جهود جامعة قطر في توزيع بطاقات دينية في أثناء المونديال للتعريف بالإسلام على الجماهير، بمشاركة طلاب الجامعة.


جانب من الجمهور يزور مسجد كتارا للتعرف على الإسلام

كذلك مركز ضيوف قطر الذي دشن ٢٠٠٠ متطوع للدعوة إلى الإسلام أثناء فترة كأس العالم.
تلك الجهود الدعوية الجبارة تضاف إلى الالتزام التام الذي فرضته قطر على المشجعين باحترام قوانينها وعادتها وهويتها الإسلامية، فحظرت الخمور والعلاقات المسيئة في الأماكن العامة والملاعب، كما منعت شارات دعم المثلية الجنسية، بالإضافة إلى موقفها المضاد للكيان الصهيوني وإلغاء اسم «إسرائيل» في صفحة «موقع الفيفا» المخصص لبيع تذاكر وحزم الضيافة لبطولة كأس العالم، ضمن الخارطة الخاصة في منطقة الشرق الأوسط وآسيا، واستبدلت بها عبارة «الأراضي الفلسطينية المحتلة»، حتى اضطر الإسرائيليون لإخفاء هويتهم، وفهموا حقيقة مشاعر الشعوب العربية تجاههم. بل قدمت حكومتهم شكواها للفيفا وللحكومة القطرية من مظاهر الرفض هذه.
ولقد تفاعل الكثير من السائحين الغرب مع هذه المشاهد تفاعلا إيجابيا -باستثناء الذين أصابهم داء الرجل الأبيض والتعالي الأوروبي- فرأينا من يرتدون الزي العربي في المباريات، والنساء اللواتي يجربن الحجاب، والمنبهرين بأداء الصلوات وصوت الأذان، وفي لفتة جميلة جعلت قطر جدران المسجد الملحق بـ«استاد البيت» من الزجاج، مما جذب انتباه الأجانب للوقوف أمامها لرؤية المصلين والمتعبدين.
واتبع الدعاة المتطوعون جميع السبل للوصول إلى جماهير كأس العالم، سواء داخل أماكن سكنهم بالفنادق أو الخيم، وكذلك أثناء تجولهم بالشوارع والأماكن الترفيهية، أو بمحيط ملاعب المباريات أثناء دخولهم وخروجهم من المباراة، يعرفونهم بالإسلام.
ومشاهد الهدايا التي وزعت على كل المشجعين بما تحتويه من رمزية عربية وإسلامية، ورفع الأذان بأصوات مؤذنين رائعي الصوت تم التعاقد معهم من بلاد إسلامية.. وغيرها من المشاهد المفعمة بالإنسانية، والترحيب والاحتواء، والكرم، والتواصل، إن كل هذه المشاهد التي تعزز انتماءنا للإسلام وتغير الصورة المغلوطة عنه في إعلام الغرب وصحفهم، لهي هدف في شباك العالم بأسره وليس في مرمى مباريات الكأس، والتي كان من حصادها دخول الكثير في الإسلام أثناء تلك الأحداث، وانتماء المشجعين من كل دول العالم العربي إلى الفرق العربية تشجيعا لها أيا كانت جنسيتها وبلدها، فرحة عارمة أصابت المشجعين بفوز السعودية أو المغرب أو السنغال، فقط للانتماء العربي والإسلامي.
ولا ندعي صحوة إسلامية أو ننجر إلى مبالغات زائفة، وإنما نتحدث عن واقع نشاهده، واقع ضارب في التاريخ منذ القدم، يقول: إن الإسلام كفيل أن يعرف نفسه بنفسه، إذا ما أتيحت له الفرصة أن يتجلى في سلوك أتباعه واعتزازهم به، وإظهار تعاليمه السامية للآخر.



تحقيق - نادر أبو الفتوح
صحافي مصري

مهتدون جدد في «مونديال» قطر

القرآن الكريم يهدي إلى الرشد، تنشرح له الصدور وتهتدي بسماعه الأنفس وتطمئن بتلاوته القلوب والأبدان، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦)، وقد تجسد ذلك في إسلام عدد كبير من مشجعي كرة القدم بكأس العالم ٢٠٢٢ في دولة قطر، بعد أن سمعوا آيات الذكر الحكيم تتلى في حفل الافتتاح، وبعد أن سمعوا الآذان وترددوا على المساجد فوجدوا الدعاة المستنيرين الذين يجيدون اللغات الأجنبية، فتعلقوا بالإسلام ونطقت ألسنتهم بشهادة أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقد حملت مقاطع الفيديو التي انتشرت عبر وسائل التواصل والقنوات الفضائية مشاعر هؤلاء الذين أكرمهم الله باعتناق الإسلام، وأكدوا أنهم حضروا من بلادهم لتشجيع منتخبات بلادهم ومشاهدة مباريات كأس العالم، لكنهم منذ أن وطأت أقدامهم دولة قطر، بدأت قلوبهم تتعلق بالإسلام عندما علموا بضوابط الإقامة، وأولها احترام دين الدولة المضيفة وعدم شرب الخمور أو رفع إشارات تدعو للشذوذ والمثلية الجنسية، وسمعوا القرآن والآذان فذهبوا للمساجد لمعرفة المزيد عن هذا الدين، فوجدوا أنه يحث على الفضيلة والقيم النبيلة والتسامح والرحمة.. فدخلوا في دين الله أفواجا.

التعريف بالإسلام في المنتديات العالمية في البداية يقول الدكتور أحمد كريمة أستاذ الشريعة الإسلامية جامعة الأزهر بالقاهرة، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن ما حدث في مونديال كأس العالم لكرة القدم ٢٠٢٢ بدولة قطر، أمر يبعث على الثناء، لأن عرض صحيح الإسلام والإجابة عن الشبهات والتذكير بمكارم الأخلاق لغير المسلمين، شجع بعض مشجعي كرة القدم الأجانب على السؤال والمزيد من المعرفة عن الدين الإسلامي، ودخلوا في دين الله أفواجا طوال أيام المونديال، والمؤكد أن ما حدث سيكون له تأثير إيجابي كبير بعد عودة هؤلاء المسلمين إلى بلادهم الأصلية، وسوف يتحول هؤلاء إلي سفراء ودعاة يهدون غيرهم للدين الإسلامي، كما أن ذلك سوف يعمل على تصحيح صورة الإسلام في الغرب، وإسلام هؤلاء المشجعين رسالة بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وأننا في حاجة إلى دعاة مستنيرين حتى نصل برسالة الإسلام السمحة إلى الناس جميعا.

الحكمة والموعظة الحسنة

ويضيف الدكتور كريمة، أن المظاهر الإيمانية التي حدثت في قطر خلال كأس العالم، والجهود الدعوية التي بذلتها وزارة الشؤون الإسلامية في قطر، من خلال تنفيذ حملة للتعريف بالإسلام، شملت مطبوعات ولوحات إلكترونية بعدد كبير من اللغات الأجنبية تتضمن آيات وأحاديث، بجانب تكليف دعاة وواعظات يجيدون اللغات الأجنبية لاستقبال المشجعين الذين يريدون معرفة المزيد عن الإسلام، بالإضافة لوجود الشيخ ذاكر نايك وهو داع إسلامي هندي الجنسية، وأسلم على يده آلاف الأشخاص حول العالم، كل هذه الجهود تأتي في إطار خدمة الإسلام، والتعريف بالقيم النبيلة التي حملتها لنا الشريعة الإسلامية، وهذا سيعود علي دولة قطر بشكل إيجابي في الدنيا والآخرة، وفي الحديث الشريف عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي الكريم ﷺ قال لعلي: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» متفق عليه، ولعل ما أثلج صدور المسلمين في كل مكان أن اعتناق هؤلاء المشجعين للإسلام حدث نتيجة الدعوة بالحسنى والتعريف بالإسلام وأخلاقه، وهذا انطلاقا من قول الله عزوجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥)، ومعلوم أن أجور المهتدين تضاف أيضا أمثالها إلى من كان السبب في هداية هؤلاء إلى الإسلام، والمؤكد أن الدعوة الإسلامية في كأس العالم بدولة قطر عمل غير مسبوق نسأل الله أن يأجر القائمين والداعين والساعين عليه خيرا في الدنيا والآخرة.



انتشار المصليات الزجاجية في جميع الملاعب

إقامة صلاة الجمعة في استاد أحمد بن علي

مشجع مكسيكي يشهر إسلامه خلال المونديال

أمة البلاغ

ومن جانبه أكد الشيخ خالد تقي الدين، رئيس المجلس الأعلى للأئمة في البرازيل، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن الدعوة الإسلامية في كأس العالم ٢٠٢٢ بدولة قطر، تعد خطوة متميزة في مجال التعريف بالإسلام، وأن الضوابط التي وضعتها دولة قطر وطالبت الحضور باحترام هذه الضوابط احتراما لتعاليم الإسلام، جعل الكثير من المشجعين يسعى لمعرفة المزيد من تعاليم الإسلام، والمؤكد أن التعريف بالإسلام من أهم الوسائل التي يجب أن يؤديها الدعاة والعلماء، وقد كانت لنا تجربة في كأس العالم عام ٢٠١٤ بالبرازيل، وقمنا بالتعريف بالإسلام في ١٢ ولاية كانت تقام فيها مباريات كأس العالم في ذلك العام، وشارك في هذه الحملة ١٢٠ متطوعا، وقد اعتنق عدد من المشجعين الإسلام، والمؤكد أن التعريف بالإسلام من أفضل الأعمال، لأننا أمة البلاغ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما- أن النبي الكريم ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» أخرجه البخاري.

ويضيف الدكتور تقي الدين، أن ما حدث في كأس العالم ٢٠٢٢ بدولة قطر سيكون له تأثير إيجابي كبير على المسلمين الذين يعيشون في الغرب، وحاليا هناك فيديو منتشر في البرازيل لمدرب المنتخب البرازيلي يبكي متأثرا بموقف لمشجع عربي حمل حفيد المدرب لمسافة طويلة بعد انتهاء مباراة البرازيل وصربيا في كأس العالم ٢٠٢٢ بدولة قطر، وهذا يؤكد أن الدين المعاملة، وأن الإسلام ينتشر عندما يقدم المسلم الوجه المشرق للإسلام في تعامله مع الناس جميعا.

تنوع وسائل الدعوة

ومن جانبه يؤكد الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وأن وسائل الدعوة متنوعة ومتعددة ولا تقتصر على المساجد فقط، بل إن سلوكيات المسلم الإيجابية تعتبر من وسائل الدعوة، ويجب أن نقدم صورة الإسلام الحقيقية للناس جميعا، وهذا يكون من خلال العلماء والدعاة المستنيرين الذين يجيدون اللغات الأجنبية، وما حدث في كأس العالم ٢٠٢٢ بدولة قطر يحمل الكثير من المعاني، أهمها أن تتضافر الجهود في مجال التعريف بالإسلام، وذلك ضمانة لتصحيح المفاهيم المغلوطة، لأن أعداء الإسلام يحاولون تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وعندما أتيحت الفرصة في كأس العالم في ظل حضور كبير من المشجعين الأجانب، وجدوا أن الإسلام يحث على الفضيلة والقيم والأخلاق النبيلة والتسامح، ولذلك دخل الكثير منهم في دين الله أفواجا، والمقاطع المصورة التي تتضمن نطق الشهادتين والدخول في الإسلام عن قناعة، أصبحت منتشرة بشكل كبير في جميع دول العالم، الأمر الذي يؤكد ضرورة تطوير وسائل الدعوة وسبل التعريف بالإسلام.





فهد الشمري
كاتب وصحافي

المعادلة الصعبة

منذ فوز دولة قطر بتنظيم مسابقة بطولة كأس العالم لكرة القدم قبل ١٢ عاما والأنظار متجهة لهذه الدولة العربية والإسلامية التي تخوض تحديا كبيرا جدا في تكوين صورة إيجابية عن قطر وعن الإسلام والحضارة الإسلامية وتصحيح الصورة الخاطئة عند البعض عن الإسلام وسماحته واعتداله، وفي المقابل تنظيم بطولة تعد الأكبر في العالم لتحوز إعجاب العالم.

وفي سبيل إنجاح هذا الأمر وهذا المحفل العالمي عمد سكان دولة قطر من مواطنين ومقيمين إلى لعب دور كبير في تقديم صورة إيجابية عن الإسلام وسماحته من خلال حسن استقبال الضيوف سواء كانوا منتخبات أو مشجعين أو حتى زوارا آخرين بغض النظر عن دينهم أو عرقهم أو لونهم متمثلين قول الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، ومن خلال مساعدة القادمين لحضور كأس العالم فيما يحتاجون إليه من المرافق والخدمات، وكذلك الالتزام بالقانون والنظام داخل وخارج الملاعب والاستادات، واحترام النظام الخاص بها وعدم التزاحم والتدافع عند الدخول والخروج من الملاعب وترك التعصب.

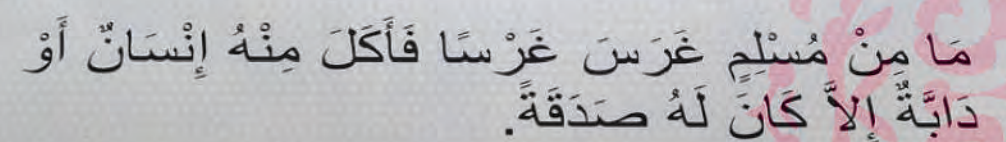
ولعل من أهم الأمور هو الدعوة إلى الدين الإسلامي وسماحته وتقبله للآخرين فالدين يلعب دورا مهما في شرعنة السلوك الإيجابي للمجتمع تجاه الآخرين، وإظهار جانب الإخوة بين البشر وأنه لا فرق بينهم على أساس اللون أو الجنس أو العرق، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

وفعلا نجحت قطر في جمع أطياف وشعوب العالم تحت مظلتها في حفل افتتاح بطولة كأس العالم لكرة القدم لتقدم رسالة سامية تؤكد وحدة الأصل الإنساني بعيدا عن مظاهر الشذوذ الأخلاقي المخالف لفطرة الله التي فطر الناس عليها.

كما حرصت دولة قطر على نشر ثقافة الإسلام بشكل إيجابي حيث بدأت الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم الأمر الذي عكس ثقافة المجتمع العربي الإسلامي الداعية للعدل والمساواة والتعدد والسلام والتعارف بين الشعوب.

وكذلك شهد الحفل الافتتاحي توزيع المصاحف مع الهدايا التذكارية على الحضور في حفل افتتاح في ملعب رياضي متكامل بني على الطراز العربي والإسلامي على شكل الخيمة العربية ليرمز إلى الثقافة العربية والإسلامية وسط حضور تجاوز ٦٠ ألف مشجع ومشاهد، والملاحظ أيضا قراءة كلمة الافتتاح باللغة العربية في سابقة لم تشهدها بطولات كأس العالم السابقة ولا غيرها من البطولات العالمية.

ولم تقف جهود دولة قطر عند حفل



أحاديث للتعريف بالإسلام في الكثير من المباني القطرية



أحد المصليات المنتشرة في جميع ملاعب كأس العالم

جانب من الجمهور الفرنسي في مسجد المدينة التعليمية ويسأل عن الإسلام

الافتتاح فقط، بل تجاوزتها إلى وضع خطة متكاملة للتعريف بالإسلام ودعوة غير المسلمين للدخول في الدين الإسلامي الحنيف، وأقامت معارض تفاعلية متعددة، وأنشأت مراكز دعوية في مختلف الفعاليات التي تصاحب بطولة كأس العالم لكرة القدم يعمل فيها أكثر من ٢٠٠٠ متطوع يقومون بتوزيع مختلف المطبوعات التي تعني بالدعوة إلى الإسلام.

وقد أثمرت هذه الجهود عن الكثير من المكتسبات التي لامسها من عايش بطولة كأس العالم، حيث دخلت أعداد كبيرة في الإسلام، إضافة إلى انتشار الزي العربي ولبس الشماغ والثوب العربي بين أوساط المشجعين، وأيضا زاد اهتمام مشجعي كرة القدم العالميين بالأذان وحضور الصلوات ومتابعة المصلين ومراقبة حركاتهم وتداول العديد من المقاطع عن الإسلام وعن الأذان والصلوات فيما بينهم.

لقد نجحت قطر على المستوى الدعوي فقدمت صورة مضيئة حضارية للإسلام لعلها تغير مفهوم الغربيين عن الإسلام والمسلمين وتضع في نفوسهم بذرة التفكير في الإسلام ولعلها تثمر يوما ما مسلمين جددا، ونجحت كذلك على مستوى الإعداد والتنظيم وحسن الضيافة وإظهار مكارم الأخلاق في التعامل مع ضيوفها خلال المونديال، وغيرت الصورة المشوهة التي يقدمها الإعلام الغربي عن العرب والمسلمين.

بلال المريسي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية



ثأر شريف.. وانتقام عفيف

ها نحن نبحر بكم من جديد في محيط الفضائل، ونأخذكم في رحلة ماتعة بين الجداول والخمائل، فحديثنا اليوم عن زكاة القدرة، وتاج المروءة، ومسقطة الضغينة، ومكملة الفضل، ومصلحة الكريم، حديثنا عن عبادة لا يقدر عليها كل الناس، بل هي مخصوصة بأولي العزم منهم والخواص، إنها حقا ثأر شريف وانتقام عفيف، لا تصدر إلا عن كريم نفس، وسخي روح، ومحمود خصال.. ولا تكون إلا عن تمكن واقتدار، فبينما ينتظر الخصم منك أصناف العذاب، وغصص العتاب، يكون العفو والصفح والتسامح هو فصل الخطاب، وتصرف أولي البصائر والألباب..

العفو: كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو. وأما الصفح فهو: إزالة أثر الذنب من النفس، صفحت عن فلان، إذا أعرضت عن ذنبه، وقد ضربت عنه صفحا، إذا أعرضت عنه وتركته. وقال الراغب: الصفح: ترك الذنب[1].

والصفح والعفو متقاربان في المعنى فيقال: صفحت عنه أعرضت عن ذنبه وعن تثريبه، كما يقال: عفوت عنه. وهناك من يرى أن بينهما فرقا وهو أن الصفح أبلغ من العفو، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وصفحت عنه: أوليته صفحة جميلة؛ لأن الصفح تجاوز عن الذنب بالكلية واعتباره كأن لم يكن، أما العفو فإنه يقتضي إسقاط اللوم والذم فقط، ولا يقتضي حصول الثواب[2].

لقد عرض القرآن الكريم مبدأ العفو عرضا بديعا، واهتم به اهتماما بليغا؛ فأورد الألفاظ المقاربة والمقابلة له؛ وذلك لبيان أهمية العفو وفضله، وترغيب العباد في التحلي به، فمن يتأمل آي الكتاب العزيز يجد ذلك جليا، فتارة يأتي العفو ومرادفاته في آية واحدة كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ (التغابن:١٤)، إشارة إلى الآباء والأزواج بالعفو عن الأولاد والعيال، وتارة يأتي مفردا ولكنه بمعنى الجميع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر:٨٥)، أمر للنبي ﷺ بالتجاوز عن جنايات المؤمنين. وجاء في الدر المنثور عن علي رضي الله عنه قال: «الرضا بغير عتاب»، ويطل علينا شيخ الإسلام ابن تيمية بفرائده المضية، فيجمع بين جمال العرض وجمال المعنى فيقول: «ذكر الله تعالى في كتابه الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل؛ فالصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل: هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل: هو الذي لا أذى معه»[3].

لقد حث القرآن على العفو والصفح، ورغب صانعيه فيما أعد لهم من جزيل الأجر في الآخرة، فحث أولياء دم المقتول على العفو، وأمرهم بالإحسان إلى القاتل، واتباع ذلك العفو بالمعروف وعدم المن والأذى، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة:١٧٨)، وجاء التأكيد النبوي لهذا العفو، فقد روى أبو داود وغيره عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيت نبي الله ﷺ رفع إليه شيء فيه قصاص إلا أمر فيه بالعفو».

وأما في الجانب الأسري، سواء كانت الحياة الزوجية قائمة على أصولها، أو انفرط عقدها بالطلاق، فقد جاء حث الزوجين على العفو، وعدم نسيان الفضل بينهما، قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (البقرة:٢٣٧)، هذا خطاب للرجال والنساء جميعا، وغلب التذكير نظرا للأشرف. وروى ابن جرير عن ابن عباس قال: أقربهما للتقوى الذي يعفو، وذلك لأن من سمح



بترك حقه كان محسنا وذلك عنوان التقوى ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة:٢٣٧)، أي: التفضل بالإحسان لما فيه من الألفة وطيب الخاطر. فهو حث على العفو، فمن عفا منهما فله الفضل على الآخر. ومعلوم أن النسيان ليس في الوسع حتى ينهى عنه. فالمراد منه الترك أي لا تتركوه ترك المنسي[٤].

وتتجلى صورة أخرى للعفو بصورة مغايرة للصورة الماضية بعض الشيء، تضرب في وتر حساس قد تطير على إثره رؤوسا وتدمر بسببه بيوتا برمتها، فهب أن شخصا اتهم ابنتك في شرفها وهي طاهرة عفيفة، ترى ما ردة فعلك تجاه ذلك؟! فهذا مسطح بن أثاثة يروج حديث الإفك وكان أبوبكر الصديق يعطيه نفقة تعينه فقطع عنه ذلك، فعاتب الله الصديق وقال: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢)، فكان الصديق يبكي ويقول: «بلى إني أحب أن يغفر الله لي». ولله در الصديقة بنت الصديق الطاهرة حين وصفت أباها بقولها: «صفوح عن الجاهلين» أي كثير الصفح والعفو والتجاوز عنهم.

ولعل بإمكاننا تلخيص ما ذكرناه آنفا في ظلال هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١٣٤). يقول سيد قطب: «وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى، وهي وحدها لا تكفي، فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضغن، فيتحول الغيظ الفائر إلى إحنة غائرة، ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين، وإن الغيظ والغضب لأنظف وأطهر من الحقد والضغن، لذلك يستمر النص ليقرر النهاية الطليقة لذلك الغيظ الكظيم في نفوس المتقين؛ إنها العفو والسماحة والانطلاق».

إن الغيظ وقر في النفس حين تكظمه، وشاظ يلفح القلب، ودخان يغشى الضمير.. فأما حين تصفح النفس، ويعفو القلب، فهو الانطلاق من ذلك الوقر، والرفرفة في آفاق النور، والبرد في القلب، والسلام في الضمير[٥].

لقد كان النبي ﷺ أجود الناس صدرا، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، وكيف لا يحبه مخالطه وهو لم ينتقم لنفسه قط، ففي مسند أحمد أن عائشة سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت: «لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح».

وروى البخاري عن ابن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». هذا حقا ما حصل له من أهل الطائف، وكأنه ﷺ يحكي عن نفسه بأسلوب الإبهام حتى لا يؤذي مشاعر من أهتدى وأسلم، ويبقى محرجا مما أبدى من عداوته وكتم.

وإنك لتجدني اندفع في تجل تام لعرض بعض مشاهد عفوه ﷺ؛ فهذا يوم الفتح يعلنها صريحة مدوية في مكة التي طرد منها، ووضع على ظهره سلا الجزور في حرمها، وأجمع المشركون على قتله في دار ندوتها، وحوصر مع بني هاشم عامين في شعب من شعابها، وتجرع أصحابه أصناف العذاب من ساداتها، ففي حين أصبح أمر قريش بيده، تذكر صنيع يوسف مع إخوته، حين تمكن من أخذ حقه ورد الصاع بصاعين، وقدم له الانتقام على طبق من ذهب، آثر العفو والصفح بقوله: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (يوسف:٩٢)، فما كان من نبينا ﷺ إلا الاقتداء بأخيه يوسف، عليه السلام، ثم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وتبرز صورة لعفوه ﷺ قبل يوم الفتح لشاعر ذاع صيته في الركبان، إنه كعب بن زهير بن أبي سلمى الذي هجا الرسول الكريم ﷺ، فلما فتحت مكة وتكسرت أصنامها لم يجد كعبا من يجيره فأصبح خائفا طريدا في الصحراء، يطارده شبح الموت في كل أفق، حتى يقول عن نفسه حين وقف بين يدي رسول الله ﷺ أنه واقف في مقام لو وقف فيه الفيل لظل يرتعد فزعا، ولا يسكن ذلك الخوف إلا أن يضع يده في يد رسول الله ﷺ فيعفو عنه، لقد تنصلت عنه قبيلته وتركه أصحابه واكتفوا بتقديم النصح له بأن يأتي رسول الله ﷺ فإنه لا يرد تائبا، فألف قصيدة ودخل المسجد متنكرا وهو لا يعلم أيخرج من المسجد حيا أو ميتا، ثم أنشدها بين يدي رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله:

أنبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
وقد أتيت رسول الله معتذرا
والعذر عند رسول الله مقبول

لقد عفا عنه ﷺ وأهداه بردته التي غدت علامة على الشرف والسماحة، وصارت بديلا للتاج عند المسلمين فعلامة تولي الخلافة أن يلبسها

الخليفة على كتفيه، فقد اشتراها معاوية بن أبي سفيان من أسرة كعب، وتوارثها بنو أمية إلى أن أخذها منهم بنو العباس، ثم انتقلت إلى القاهرة، ثم أخذها بنو عثمان ولا تزال البردة محفوظة إلى يوم الناس هذا في إسطنبول، وقصيدة البردة صارت اسما لقصائد المديح النبوي[٦].

إن عظمة الرجال لا تقاس بما يملكون من ثروات ونفوذ، وإنما تقاس بكريم سجاياهم وقدرتهم على العفو والصفح عندما اتيحت لهم فرصة الانتقام وإشباع حظوظ النفس، ومن هنا كان العفو عند المقدرة من شيم الكرام، وقبول المعذرة من محاسن الأنام، ولكي يصبح العفو نبيلا فلابد أن يكون عن اقتدار، كما لا يظهر الحلم إلا عند الغلبة والانتصار، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، ولله در علي بن أبي طالب ﷛ إذ يقول: «كن عفوا في قدرتك، جوادا في عسرتك، مؤثرا مع فاقتك، يكمل لك الفضل».

إن المؤمن إذا غضب غفر، وإذا قدر عفا وعذر، فسجيته وطبعه تقضي العفو والصفح وليس الانتقام والثأر، فينبغي فيمن آثر الصفح على الانتقام، والعفو على الثأر، ألا يمن بعفوه، ولا يذكر صنيع معروفه، ولا يتسلط بالأذى لصفيه، ولا ينتظر عوضا مقابل صفحه، فعند الله العوض، فقد قيل: «لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم».

يا من آثر العفو والصفح لا عليك مما سيقوله الناس عنك، فإنهم قد يرون العفو هزيمة وضعفا، والتغاضي جبنا وخوفا، وليتهم -حقا- يعلمون أن الصفح والعفو يحتاجان إلى قوة أكبر بكثير من الانتقام، فهما يمدان في العمر، ويثقلان الميزان، ويكونان ضمانا لانتفاء العداوات ورقي المجتمعات، إذا لا يتصور البتة مجتمع تطور ونهض وأبناؤه في عراك ومشاحنات، وتراشق وخصومات..

إن هنالك جسرا تعبر من خلاله إلى قلوب الناس يقال له: الصفح الجميل، فإياك أن تهدمه بالثأر والانتقام، ورد الإساءة بمثلها، بل اكتب كل إساءة تأتيك على حبات الرمال تذهب مع أدراج الرياح في أول عاصفة، حينها ستجد الأثر الملموس للعفو، ويسود الحب والوئام، ويعم السعد والإخاء والالتحام، وتطهر القلوب من الأحقاد والآثام، وتصفو النفوس مما تكدس بها من نوايا الانتقام، ولو لم يكن للعفو من المنافع إلا تجفيف منابع الخصومات، وإغلاق باب العداوات، وإزالة الضغائن الكامنات، لكفى.

إن الحياة التي نعيشها لا تخلو من منغصات، والخلاف بين الناس أمر واقع لا محالة، والشيطان ينزغ بين العباد ويوقعهم في وحل العداوة والبغضاء ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ (الإسراء:٥٣)، ولكن بإمكانك قطع الطريق أمام هذا المارق، بتغافلك عن كل إساءة، فالكيس هو من يحتمل الأذية، ولا يلقي لها بالا، لأنه يدرك ما يعقب ذلك الصبر من العز والكرامة، وحب الخواص والعامة، يقول عروة بن الزبير: «رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزا طويلا»، وصدق من لا ينطق عن الهوى: «ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا».

إن العفو هبة ربانية، ومنحة إلهية، ومبدأ نبيل، وخلق جميل، يحبه الله، ولقد أوصى نبينا ﷺ عائشة إن وافقت ليلة القدر أن تقول: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

العفو عن أعدائك

إن أعظم انتصار يمكنك تحقيقه على أعدائك أن تعفو عنهم وتجعلهم من جملة أصدقائك.. يقول علي ﷛: «إذا قدرت على عدوك؛ فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه»..

إن أرق انتقام تجاه من تفننوا في أذيتك، هو أن تعفو عنهم دون أن يشعروا، وتستمتع بحياتك وتنشغل بمستقبلك؛ فإنه لا شيء سيكدرهم أعظم من رؤيتك سعيدا وهم يجهلون السر وراء سعادتك؛ فليتهم يعلمون!

ومن اللطائف القرآنية التي تحتاج إلى إمعان النظر، قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ (الأعراف:١٩٩) لقد أمر النبي ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، ويترك الغلظة عليهم، وهذا الأمر كان في حق المشركين، فكيف بمن سواهم.

العفو عن الصديق

الصداقة علاقة نبيلة يكون الصدق شعارها، والمرء مرآة أخيه، والسند في الحياة، وهو مع ذلك لا يخلو من عيب، فإنك إن بحثت عن أخ بلا عيب بقيت بلا أخ، والعاقل من كثر أصدقاءه وقل أعداءه ولا يكون ذلك إلا بالعفو عن الزلات ونسيانها، وإذا سمعت كلمة تؤذيك فطأطئ له حتى تتخطاك، وتمثل قول الشافعي:

لما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحت نفسي من هم العداوات

العفو بين الزوجين

هب أن كلا الزوجين يتصيدان أخطاء بعضهما لبعض، فعلى كل شاردة وواردة تضرم نار الفتنة بينهما، ومن البدهي أن حياتهما الزوجية أوشكت

على خطر ومهددة بالانفصال، فمن دون ثقافة التسامح يضحي مستقبلهما غامضا شارف على الانتهاء، فالعفو صمام أمان الأسرة، وباعث الحب والسعادة، وبالتغاضي يسود الحب، وبالحب يكون العطاء، وما أروع تلك الوصية النبوية كما جاء عند مسلم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر»، فالزلة الواحدة تقابلها فضائل ومناقب.

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

وممن ينبغي الصفح عنهم الأبناء، فعلى الوالدين الدعاء لهم، وتوجيه سلوكياتهم، وقضاء وقت لسماعهم ومشاركتهم همومهم، وحثهم على الفضائل وتحذيرهم من الرذائل.

ما لا ينبغي العفو عنه

وكما أطنبنا في ذكر العفو وفضله، والصفح وقدره، فإنه لابد من التنويه إلى ما لا ينبغي العفو عنه، ومن ذلك: من تجاوز حدا من حدود الله مجاهرا به وداعيا غيره إليه، فإنه ينبغي تأديبه حتى لا يتجرأ غيره لفعل صنعه، ولقد أنب النبي ﷺ أسامة بن زيد حين شفع في شأن المخزومية، وأخبره أن الحدود لا محاباة فيها فقال: «أتشفع في حد من حدود الله، والذي نفسي بيده لو أن فاطمة سرقت لقطعت يدها».

ويستثنى مما سبق ما لم يكن هناك مجال لدرء الحد كما قال الفاروق عمر: «ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم؛ فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة، فإذا وجدتم للمسلم مخرجا؛ فادرأوا عنه».

ويقول سعيد بن المسيب: «ما من شيء إلا والله يحب أن يُعفى عنه، ما لم يكن حدا».

وممن لا ينبغي العفو عنهم من اعتادوا على الإساءة وقلة الأدب والتطاول، فهؤلاء لا بد من ردعهم وزجرهم، إذا لم يجد نصحهم وإرشادهم نفعا، فلربما أثمرت العقوبة وآتت أكلها، ونحن نضيع الوقت بمزيد من العفو والتجاوز، فإن العفو كما قيل: يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم.

إن العفو عزيز لا ينال إلا بعد طول دربة ومصابرة، فإن أردت أن تبلغ ذرى الصفح، وتسطر أنصع صفحات العفو؛ فلا بد لك من خوض معترك شديد مع نفسك، ينجم عنه كبح جماحها، وتحطيم حظوظها، فهي ولا شك من تؤزك إلى الانتقام أزا، وتسوقك إلى مستنقع الضغائن والأحقاد وردا، فإنما الحلم بالتحلم، والعلم بالتعلم، فإنك إذا نصبت أمام عينيك فضائل العفو صرت بلا شك من أهله، يقول معاوية: «عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال»، ولعمري إن هذا ما صنعه أحمد بن حنبل حين عفا عن أحد جلاديه بعد أن مر على قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ (الشورى:٤٠) يقول لولده: فنظرت في تفسيرها، فإذا هو: إذا كان يوم القيامة قام مناد فنادى: «لا يقوم إلا من كان أجره على الله»، فلا يقوم إلا من عفا؛ فجعلت الميت في حل من ضربه إياي، ثم جعل يقول: «وما على رجل ألا يعذب الله بسببه أحدا».

وهذا المأمون بن الرشيد كان يؤثر العفو على العقوبة حتى غدا ذلك غريزة عنده، حتى قال عن نفسه: «لقد حبب إلي العفو حتى أني أظن أني لا أثاب عليه».

وصية في الختام

أوصى ابن الجوزي أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم ديه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

وكأني بأبي الفرج يحث كل مار على قبره بالعفو والصفح، فمن تحت الثرى سيكون بحاجة ماسة إلى عفو من على العرش استوى، فاستمسكوا بالعفو فما انتقم أحد لنفسه إلا ذل، وإن من شرار الناس من لا يعفو عن الزلة، ولا يستر العورة، فلذة الانتقام لا تدوم سوى لحظات، أم الرضا الذي يورثه العفو فيستمر أبد الدهر.

إن العفو اسم من أسماء الله، من تحلى به فقد تسربل بزينة الفضائل، وأصبح محمود العاقبة في النوازل، قد رفع الله قدره، وأعلا درجته، ومنحه من فيض عطائه، لأنه عفا عمن ظلمه، ووصل من قطعه، وأعطى من حرمه، وحلم على من جهل عليه.

فهيا بنا نجعل هذا الخلق ديدن حياة، لنجد راحة البال، وصلاح الحال، وحسن المآل.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

المصادر والمراجع

١- الكليات (٥٣، ٥٩٨)، الجامع لأحكام القرآن (٧١/٢)، والمفردات للراغب (ص ف ح).
٢- الكليات للكفوي، (٦٦٦) بتصرف، وبصائر ذوي التمييز (٤٢١/٣).
٣- مدارج السالكين (١٦٧/٢). بتصرف يسير.
٤- محاسن التأويل، تفسير القاسمي، (١٦٢،٧/٢).
٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤٧٥/١).
٦- بتصرف من شرح الشاعر: تميم البرغوثي لبردة كعب بن زهير بن أبي سلمى.

محمد فتحي النادي
باحث في الفكر الإسلامي



العالقون في الزمن

للحياة الدنيا قوانينها التي تحكمها؛ فلا تتبدل ولا تتغير إلى قيام الساعة.

ومن تلك القوانين ما نعبر عنه بقولنا: ما ذهب لن يعود.

فالوقت يمضي ولا يعود أبدا.

لكني رأيت أن هناك وقتا يعلق فيه الإنسان، ويتكرر عليه، ولا يخرج منه إلى أن يشاء الله.

وهذا يحدث في عالمي البرزخ والآخرة، ويكون من باب العذاب، وليس من باب النعيم.

وقد حاولت الوقوف على بعض النماذج التي تعذب بأن يتكرر عليها الزمان بهيئته هو هو ولا يتغير؛ فيكونون أسرى لزمن وفعل.

وهذا الفعل هو عينه يتكرر بلا انتهاء حتى يأذن الله تعالى.

العالقون في الحياة البرزخية

عالم البرزخ له قوانينه التي تختلف عن قوانين الحياة الدنيا، وإن كان العالمان متوازيين يسيران جنبا إلى جنب، وينقطعان تماما في اليوم الآخر.

وعالم البرزخ أشبه باليوم الآخر، وهو صورة مصغرة عنه.

ومما وقفت عليه من نماذج للعالقين في تلك الحياة في زمن وفعل لا يتغيران ولا يتبدلان:

١- الكذاب

للكلمة خطورتها؛ فالإيمان بكلمة، والكفر بكلمة.

والصدق في الكلمة هو: «مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاما، بل إما ألا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين؛ كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد: محمد رسول الله.

فإن هذا يصح أن يقال: صدق؛ لكون المخبر عنه كذلك.

ويصح أن يقال: كذب؛ لمخالفة قوله ضميره.

وللوجه الثاني أكذب الله المنافقين حيث قالوا: إنك رسول الله فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ (المنافقون:١)»[١].

والكذب عكس الصدق، وهو «عدم مطابقة الخبر للواقع، أو

لاعتقاد المخبر لهما»[٢].
والكذاب ممقوت عند الرب وعند العبد؛ إذ إن جرمه عظيم في حق الأديان والمجتمعات والأشخاص.
وهو لشناعة جرمه حكم عليه في الحياة البرزخية أن يظل حبيسا في لحظة زمنية لا يغادرها، وفعل بعينه يتكرر عليه إمعانا في العذاب.
فقد حدث النبي ﷺ عن رؤيا رآها فقال: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم بيده كلوب[٣] من حديد يدخل ذلك الكلوب في شدقه، حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله»[٤].
وعندما سأل النبي ﷺ عن حال هذا الذي يعذب قيل له: «أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة»[٥].
وهناك مشاكلة بين الفعل ونوع العذاب؛ فالعذاب لم يتعد الشدق، وهو «لحم باطن الخدين من جانبي الفم»[٦]، وهو المكان الذي كان يرتع فيه اللسان، ويمارس كذبه وافتراءه وبهتانه.
وهذا العذاب في البرزخ -والذي يعتبر نوعا من التطهير- قد لا يستمر في الآخرة؛ حيث يعفو الله سبحانه وتعالى عنه؛ إذ ورد في رواية عن الإمام أحمد: «أما الرجل الأول الذي رأيت فإنه رجل كذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه في الآفاق، فهو يصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة، ثم يصنع الله -تبارك وتعالى- به ما شاء»[٧].

٢- العالم بالقرآن غير العامل به

لم ينزل القرآن لتتزين به الجدران، أو لتبارك به السيارات، وإنما أنزل هداية للعالمين.
والعلم حجة على صاحبه؛ فمن علم وجعل هذا العلم دبر أذنه فهو مستحق للعقوبة؛ فالجاهل معذور بجهله، لكن أي عذر للعالم؟!
وقد صور لنا النبي ﷺ في صورة بشعة حال بعض الناس في الحياة البرزخية فقال: «أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده[٨] الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه»[٩].
وعندما سأل ﷺ عن هذا الرجل وأمثاله عرف أنه العالم بالقرآن غير العامل به، إذ قيل له ﷺ: «الذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة»[١٠].
وإذا كان الجزاء من جنس العمل؛ فإن هذا العالم نام واضطجع وترك قراءة القرآن فكان عذابه وهو مضطجع، ثم إن الرأس هو الذي اختص بالتكسير والتحطيم؛ لأنه موضع العلم ومكانه في الإنسان.

٣- آكل الربا

الربا سوسة تنخر في المجتمعات، فتسحق الفقراء وتمص دماءهم، وتنزع الرحمة من قلوب المرابين.
والربا يجعل الاقتصاد قائما على دعائم هشة سرعان ما تتهاوى.
والنبي ﷺ مما رآه من مستشنع الأمور أنه أتى «على نهر من دم، فيه رجل قائم على وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان»[١١].
وقد أجيب عن سؤاله عن هذا الشخص بأن «الذي رأيته في النهر آكلو الربا»[١٢].
وهنا المرابون لم يرحموا الناس، ولم يشفقوا عليهم في أوقات أزماتهم، وكان الناس كالغرقى يحتاجون من يمد لهم يد العون، لكن المرابين زادوا من بلائهم، ولم يساعدوهم، وكان عندهم من الأموال المتكدسة ما يعمل على تحسين أحوال الناس، فكان العذاب بالغ القسوة؛ حيث يريدون النجاء من الغرق، فيجدون من يعتدي عليهم بالحجارة المتكدسة، ويصيبون بتلك الحجارة الفم الذي أكل واستمرأ الربا، ودعا إليه، ونشره بين الناس.

العالقون في جهنم

العذاب مهما طال في الحياة البرزخية فإن له حدا محدودا ووقتا معلوما ينتهي فيه، لكن العذاب في جهنم حتى وإن كان له أمد فإنه أشد؛ يقول -تعالى- مبينا الفارق بين العذاب في الحياة البرزخية واليوم الآخر: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ (غافر:٤٦).

ومن العذاب بالعلوق في الفعل والزمن ما يحدث هذا يحدث مع:

٤- قتلة أنفسهم

من يقدم على الانتحار، هو مات بأجله، لكنه تعجل أمر الله، ويأس من روحه تعالى، وارتكب ما نهى الله عنه وغلظ عقوبته.

فالمنتحر يذوق الموت مرارا وتكرارا، على عكس غيره من البشر ممن كتب الله لهم الجنان؛ قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (الدخان:٥٦).

فهو يبقى في لحظة قتله نفسه حتى يأذن الله بخروجه من تلك اللحظة.

فمن قتل نفسه بالسم يكرر هذا الفعل رغما عنه، ويتجرع ألم تلك اللحظة إلى ما شاء الله.

وكذا من يتردى من جبل، أو يقتل نفسه بسلاح... إلخ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم، يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه، فسمه في يده، يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده، يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»[١٣].

٥- من ضيع الأمانة

فر من حمل الأمانة المخلوقات لعلمهم بعاقبة اختيارهم، أما الإنسان فإنه قبل حمل الأمانة لكنه فرط فيها وضيعها.

ومضيع الأمانة ممن يعلق في الزمن ويتكرر عليه الفعل المؤلم؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: «القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة.

قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة، وإن قتل في سبيل الله فيقال: أد أمانتك.

فيقول: أي رب، كيف وقد ذهبت الدنيا؟

قال: فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية.

فينطلق به إلى الهاوية، ويمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه، فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين.

ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عددها، وأعظم ذلك الودائع»[١٤].

الهوامش

١- تاج العروس للزبيدي، (٥/٢٦).

٢- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص(٤٤٩).

٣- الكلوب: «حديدة معوجة الرأس» (المفاتيح في حل المصابيح للزيداني، بتحقيقي، (٣/٢٦٩)).

٤- جزء من حديث أخرجه البخاري في «الجنائز»، ح(١٣٨٦) من طريق سمرة بن جندب.

٥- جزء من حديث أخرجه البخاري في «الجنائز»، ح(١٣٨٦) من طريق سمرة بن جندب.

٦- جمهرة اللغة لابن دريد، (٢/٦٥٢).

٧- جزء من حديث أخرجه أحمد في «المسند»، ح(٢٠١٦٥)، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «المسند»: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

٨- «(بفهر) بكسر الفاء وسكون الهاء، أي: بحجر ملء الكف، ومنهم من يطلقه على أي حجر كان.

(يشدخ به) الرأس، أي: يصدع ويكسر رأسه.

(تدهده الحجر)، أي: تدحرج، يعني: من علو إلى سفل» (المفاتيح في حل المصابيح للزيداني، بتحقيقي، (٣/٢٦٩)).

٩- جزء من حديث أخرجه البخاري في «الجنائز»، ح(١٣٨٦) من طريق سمرة بن جندب.

١٠- جزء من حديث أخرجه البخاري في «الجنائز»، ح(١٣٨٦) من طريق سمرة بن جندب.

١١- جزء من حديث أخرجه البخاري في «الجنائز»، ح(١٣٨٦) من طريق سمرة بن جندب.

١٢- جزء من حديث أخرجه البخاري في «الجنائز»، ح(١٣٨٦) من طريق سمرة بن جندب.

١٣- أخرجه البخاري في «الطب»، باب: «شرب السم، والدواء به، وبما يخاف منه»، ح(٥٧٧٨).

١٤- أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، (٤/٣٢٣)، وقد حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، ح(٢٩٩٥) وقال: «رواه أحمد والبيهقي موقوفا، وذكر عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال: إسناده جيد».

د. شاذلي عبدالغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية



التكافل مع غير المسلمين

لم تقف حدود التعامل الإسلامي مع غير المسلمين عند إرساء قيم التسامح وجعلها جزءا من تكوين المسلم العارف بتعاليم دينه والمخلص لها والحريص على أن تتجسد في كلماته ومعاملاته، ذلك التسامح الذي تجلى في الإقرار بحرية العقيدة وممارسة أصحاب الأديان الأخرى لشعائرهم باطمئنان تام وبحرية كاملة تحت راية الإسلام، كما تجلى أيضا في التعامل القائم على احترام الحقوق الإنسانية وبث قيم العفو، ودعا إلى لين القول مع المخالفين «على سبيل اللطف والرحمة، واحتمال إذايتهم في الجوار، وعلى وجه الكرم والحلم، وحرم الاعتداء عليهم، ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم»[١].

وقد دفع هذا التسامح كثيرين من المستشرقين إلى الإقرار بعظمته التي يصعب نكرانها، خاصة وأن التطبيق العملي لمبادئ التسامح الإسلامي من أبناء الإسلام كان غاية في السمو والروعة، وبعض هؤلاء المستشرقين قد دفعته قراءته للتاريخ إلى الاعتراف بما تمتع به الإسلام من تسامح اتسعت آفاقه وأغدق بظلاله على الجميع دون أن يستثني أحدا بسبب عقيدته أو لونه أو عرقه، وكان تعامل المسلمين مع غيرهم بمثابة المرشد لمن يحاول أن يؤسس للقيم الإنسانية النبيلة بين أبناء مجتمعه، وقد أزعج البعض أن يكون للإسلام السبق في تأسيسه لتلك المثل الأخلاقية الرفيعة في التعامل مع المخالفين، يقول الراهب ميشود في كتابه «رحلة دينية في الشرق»: «ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم، واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة»[٢].

كذلك لم تقف مبادئ العقيدة الإسلامية عند إقامة مجتمع يتمتع فيه الجميع بقيم العدالة دون التفرقة بين أتباعه وأتباع الأديان الأخرى، وقد كان حراس القيم الإسلامية

على مر العصور في يقظة تامة لأي تجاوز يمس هذه القيم أو يتخطاها جهلا أو عصبية، من ذلك مثلا ما روي «عن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما: أنه مر بالشام على أناس من الأنباط، وقد أقيموا في الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج. وفي رواية: حبسوا في الجزية. فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا، فدخل على الأمير فحدثه، فأمر بهم فخلوا» (رواه مسلم) وقد كان هذا العدل الذي لم تجد الأمم التي حكمها الإسلام مثيلا له دافعا لدخولهم في دين الله أفواجا، يقول غوستاف لوبون: «إذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم؛ فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل»[٣].

البر والتكافل

لقد سعى الإسلام إلى تأسيس المجتمع القائم على الوحدة الإنسانية، يتعاون في ظلاله الجميع سعيا لاستتباب أمنه وضمان سعادته، ويتكاتفون من أجل قوته وازدهاره، ويتكافلون فيما بينهم بنفوس سخية لا تعرف التفرقة، وأكف ندية لا يحجبها اختلاف الدين أو العرق، وهذا ما غرسه الإسلام في نفوس أتباعه، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)، فالبر في الآية الكريمة يشمل كل أشكال التكافل والتراحم، فلا يبقى في وجود البر محروم يعاني قسوة الحاجة، أو ضعيف لا يجد من يستند إليه ويقوى به ضعفه، أو محزون يفتقد من يواسيه ويخفف عنه، فالتكافل الإسلامي لا يقتصر على التكافل المادي وإنما هو أيضا تكافل شعوري يواسي ويساند وينشر الأمن ويبث الأمل في قلوب أبناء المجتمع الواحد مهما اختلفت انتماءاتهم وعقائدهم، والبر من الوسائل التي تفتح نوافذ السعادة والرضا وتنزع الضغائن من النفوس وتطهرها من نزعات الحقد والكراهية، وقد ذكر القرافي في كتابه الفروق من معاني البر في الآية: «الرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته؛ لطفا منا بهم لا خوفا وتعظيما، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم»[٤] وكل هذه الأمور لا تخرج عن مصطلح التكافل في عصرنا الحديث، بل إن القرطبي يروي عن الفقيه ابن العربي قوله في معنى وتقسطوا إليهم: «أي تعطوهم قسطا من أموالكم على وجه الصلة، وليس يريد به من العدل، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل، قاله ابن العربي»[٥]، و روي «عن أبي مروان الخزاعي قال: قلت لمجاهد: رجل من أهل الشرك بيني وبينه قرابة، ولي عليه مال، أدعه له؟ قال: نعم، وصله»[٦].

إن التكافل الإسلامي ينطلق ليشمل الجميع دون تفرقة، فالإسلام يقدم يد الخير للناس كافة، ورضا الله عزوجل وثوابه يناله كل مسلم سخت يده وأسعف بماله من أرقته الحاجة ابتغاء وجه الله تعالى، دون أن يفكر في النظر إلى عقيدة أو مذهب أو انتماء، يقول الله عزوجل: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٧٢) ومما يروى في سبب نزول هذه الآية الكريمة أن المسلمين كانوا يكرهون «أن يتصدقوا على الفقراء المشركين حتى نزلت هذه الآية، فأمروا أن يتصدقوا عليهم»[٧].

صور من تاريخ الإسلام

لقد كانت قواعد الإسلام حريصة على حفظ الكرامة الإنسانية وحمايتها من أن تهان، كما أنها حرصت على تنشئة النفوس على قيم العطاء الذي ينهل منه كل محتاج، روي أن جابر بن زيد «سئل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل المسكنة من المسلمين، وأهل

ذمتهم، وقال: وقد كان رسول الله ﷺ «يقسم في أهل الذمة من الصدقة والخمس» (مصنف بن أبي شيبة).

وربى الإسلام من ينتمون إليه ليكون الواحد منهم عونا وسندا وركنا يشار إليه في وقت الشدة، يتناسى العداوة إن كانت، ولا تحجزه العقيدة إن اختلفت؛ وهو لا يبخل ولا يكسل ولا يتبلد لأنه يحمل بين ضلوعه قيم الإسلام التي لا تضاهيها قيم أخرى في مراعاة الحقوق الإنسانية، وقد روي أن النبي ﷺ بعث إلى أهل مكة خمسمائة دينار حين قحطوا، ليوزع ذلك المال على فقرائهم[٨]، مع كونهم على العداوة والشرك، وبالرغم مما عاناه منهم حيث كذبوه وآذوه وآذوا أصحابه وأخرجوه منها وقاتلوه.

واستمر نهر العطاء الإنساني يتدفق عبر التاريخ الإسلامي، وتتوالى صوره المشرقة من أولئك الذين امتلأت نفوسهم بالفضائل السامية التي بثها ديننا الحنيف، ومن ذلك ما رواه التاريخ من أن الخليفة أبا بكر الصديق قد كتب إلى خالد بن الوليد لما فتحت الحيرة: «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله»[٩]، ويروى «عن أبي بكرة قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه؛ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيته ثم نخذله عند الهرم «إنما الصدقات للفقراء والمساكين»، والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه»[١٠]، ويروي ابن عساكر أنه «لما فتحت دمشق ولي قسم منازلها بين المسلمين سبرة بن فاتك الأسدي، قال: فكان ينزل الرومي في العلو وينزل المسلم في السفل لئلا يضر المسلم بالذمي»[١١]، وقد شهد غير المسلمين للمسلمين بالتسامح والعدل والعطاء، فقد كتب أهالي بعض البلدان لأبي عبيدة بن الجراح: «يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا من الروم ولكنهم قد غلبونا»[١٢].

ولقد سار من جاء بعد ذلك على هذا المنهج الذي حددته قواعد الإسلام، وبقي العطاء الإسلامي منهلا موروردا للجميع، وحقائق التاريخ وصوره لا تسعف أولئك الذين يحاولون اثبات ما يخالف هذه الحقائق ويناقض تلك الصور، وقد اضطرهم ذلك إلى اللجوء إلى رويات واهية تعجز عن الوقوف أمام نصوص وحقائق تاريخية ناصعة، ولا ينكر أحد أن هناك لحظات تاريخية محدودة لشخصيات انحرفت عن النهج الإسلامي الذي تأسس على احترام كرامة الإنسان والحفاظ على حقوقه، وتلبية ما يعجز عنه من متطلباته مادام حافظا للعهد مخلصا للمجتمع الذي لا يبخل عليه.

وإن المتأمل لتاريخ بعض الشخصيات التي يحاول البعض إبرازها على أنها تمثل التاريخ الإسلامي بأكمله، أو يجملون فيما قامت به عصرا كاملا من العصور الإسلامية سيجد أن حيف هؤلاء قد نال أبناء المجتمع بأثره مسلمين وغير مسلمين، وأن أفعالهم قد قوبلت بالرفض والاستهجان خاصة من الغيورين على مبادئ الشريعة الحريصين على قواعدها السمحة.

الهوامش

١- الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة، دمشق: دار النوادر ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م،٤/ ٢، ص٥٠.
٢- غوستاف لوبون: حضارة العرب، القاهرة، مؤسسة هنداوي ٢٠١٣م، ص:١٣٨.
٣- السابق: ص١٣٤.
٤- القرافي: الفروق المسمى أنوار البروق في أنواء الفروق، القاهرة: عالم الكتب ،ج ٣، ص١٥.
٥- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ج١٨، ص٥٩
٦- السرخسي: شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، بيروت: دار الكتب العلمية، ص٦٩.
٧- أبو الحسن الواحدي: أسباب نزول القرآن، الدمام: دار الإصلاح ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص٨٩.
٨- انظر شرح السير الكبير، ص٧٠.
٩- أبو يوسف يعقوب الأنصاري: الخراج، القاهرة: المكتبة الأنصارية للتراث، ص١٥٧، ١٥٨.
١٠- السابق: ص١٣٩.
١١- ابن عساكر: تاريخ دمشق، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٢٠، ص١٢٨.
١٢- تاريخ دمشق: ج٤١ ص١٣٠.

السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية



التنشئة بين الجدية والتدليل

في تنشئتنا التربوية والاجتماعية نحتاج كثيرا من المفاهيم والقيم التي ينبغي أن تكون حاضرة أمامنا باستمرار، في الوعي وفي السلوك؛ لأن غياب هذه المفاهيم والقيم يجعلنا نتخبط يمنة أو يسرة، ولا نقيم هذه التنشئة على أسس صحيحة تربي لنا أجيالا سوية فاعلة، وإنما يكون الأمر بخلاف ذلك؛ حيث الأمراض النفسية والأزمات الاجتماعية، والتي لا يكون معها استواء ولا فاعلية!

ومن تلك المفاهيم والقيم التي تشتد حاجتنا إليها بصفة أساسية، ما يتعلق بالتوازن بين جملة المعاني المتقابلة؛ مثل التوازن بين الإقدام والإحجام، بين العطاء والمنع، بين الغضب والصفح، بين الجدية والتدليل؛ بحيث لا نذهب في أي معنى من هذه المعاني إلى أقصى درجة فيه مع إهمال ما يتعلق بالمعنى الآخر، فيحدث الإفراط أو التفريط؛ وإنما نوازن بين هذه المعاني المتقابلة، ونعرف لكل معنى وقته الملائم وقدره الكافي.

التوازن قيمة أساسية

والتوازن قيمة أساسية نراها في أرجاء الكون وظواهره، وفي عوالم الحياة والحياة؛ فقد أقام الله تعالى الكون على الانضباط والإحكام وعلى التوازن بين عناصره؛ فلا يطغى عنصر على عنصر، ولا يقعد

عنصر عن القيام بوظيفته؛ قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).
فالشمس تجري في مدارها، وعلى مسافة معينة ثابتة من الأرض؛ فلا تقترب فتحرق الأرض، ولا تبتعد فتصاب الأرض بالتجمد!
والجبال أيضا تقوم بهذا التوازن في علاقتها بالأرض، فتحفظ لها استقرارها وثباتها: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ (النازعات: ٣٠- ٣٣)[1].
وفي أمر التنشئة التربوية والاجتماعية نحتاج إلى التوازن بين الجدية والتدليل؛ فالأمران مهمان وينبغي ألا نهمل أحدهما بالكلية؛ وإنما نستصحبهما معا ونوازن بينهما، ونعرف لكل منهما وقته وقدره.

في الحاجة إلى الجدية

ونقصد بالجدية التعود على الانضباط والاستقامة وأخذ الأمور بقوة، وتحمل المشاق. وهذه الجدية تنبع الحاجة إليها من عدة أمور؛ منها:
● أن الإنسان لم يخلق عبثا ولن يترك سدى، حتى يسير وراء رغباته وشهواته دون رقيب ولا حسيب! وإنما خلق لوظيفة محددة، وهي وظيفة جليلة وشاقة؛ قال عنها الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (مريم: ١٢).
● أن الحياة ليست نزهة خلوية، يجد فيها المرء ما يرجوه بيسر وسهولة؛ وإنما هي مبنية على الكدح والتعب والمشاق؛ ومن يبذل فيها ويزرع هو من يجد ويحصد، أما من يتهاون فليس له إلا الندامة والحسرة! ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ (البلد: ٤). أي خلق يكابد الأمور ويعالجها، فقوله: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ معناه: في شدة[2].
● أن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة، وإنما هي بين النعيم والرخاء، بين الصحة والمرض، بين الغنى والفقر.. والإنسان يحتاج للجدية والصلابة ليحسن التعامل مع هذه التقلبات التي لا مفر منها، حتى لا يضجر؛ فيجتمع عليه ألم الفقد وألم السخط!
● أن الناس ليسوا على حالة واحدة من الاستقامة وحسن الخلق والرفق والذوق، إلى غير ذلك من الصفات الجميلة؛ وإنما فيهم وفيهم؛ فيهم من تغلب عليه صفات الخير فيكثر نفعه ويعم فضله؛ وفيهم من تغلب عليه نفسه الأمارة بالسوء أو شيطانه الموسوس له، فيكثر شره ويزداد أذاه! وإذا لم نتحل بالقدر الكافي من الجدية والتماسك فلن نستطيع مواجهة من غلبت عليهم صفات الشر، ولا أن نحسن التعامل معهم ونأمن مكرهم وأذاهم! بل ستأخذنا الدهشة بمجرد أن نلتقي بأحدهم، لأننا ظننا أن الناس كلهم ملائكة أو قريبون من الملائكة؛ بينما الأمر خلاف ذلك.. حتى من غلبت عليه صفات الخير، قد يقع منه بعض الشر أو الأذى؛ لأن المعصومون هم الأنبياء فحسب!
والمنهج الصواب في التعامل مع الآخرين أن نقبل منهم صفات الخير لاسيما إذا غلبت في أحدهم، وأن نتجاوز عن صفات الشر لاسيما إذا قلت؛ فمن كثرت حسناته وهبنا له سيئاته، ومن كثرت سيئاته تجاوزناه أو حاولنا إصلاحه.. حتى لا نصاب بالصدمة إذا وقع خطأ من أحدهم.

الجدية لا تعني القسوة

وهنا ينبغي أن نصحح مفهومنا عن «الجدية»، والتي تعني كما ذكرنا، التعود على الانضباط والاستقامة وأخذ الأمور بقوة، وتحمل المشاق.. فهي لا تعني القسوة ولا العبوس الدائم وتقطيب الوجه باستمرار، كما يفهم البعض، وكما هي الصورة أيضا عن التدين لدى آخرين! فالمتدين هو من يظل في حالة من العبوس والتجهم طوال الوقت، ولا يرى متبسما ولا مازحا!.. وما هذه بجدية، ولا هذا بتدين!
الجدية هي نوع من النشاط والفاعلية ممزوجا بشيء من العزم والحزم والانضباط وعدم التهاون أو التفريط.. وهي أمر مغاير تماما لمعاني القسوة والتجهم الممزوج بشيء من العنف أحيانا أو ازدراء الآخرين.
هذا خطأ يجب أن نصححه على مستوى الفكر والسلوك، لاسيما إذا اتصل ذلك بالتدين؛ فإنه غالبا سيؤول إلى العنف أو التكفير؛ مما



ينبغي أن نبرئ منه ساحة الدين والتدين.

إن الإسلام كما أمرنا بالجدية والانضباط والإقبال على الأرض تعميرا وعلى الخيرات فعلا ونشرا؛ أمرنا أيضا بأن نبسط يد الرحمة، وأن نمشي على الأرض هونا، وأن نتجنب الخيلاء والتكبر والاستطالة على الناس؛ كما ينطق بذلك كثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

قال ابن كثير في تفسيره: أي: بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار، كما قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧). فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر؛ وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من التصانع تصنعا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له. وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روي عن عمر أنه رأى شابا يمشي رويدا، فقال: ما بالك؟ أأنت مريض؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. فعلاه بالدرة، وأمره أن يمشي بقوة. وإنما المراد بالهون هاهنا السكينة والوقار[٣].

وقد أخرج البخاري من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»[٤].

جاء في (عمدة القاري): (متضعف) بتشديد العين المفتوحة أي: الذي يستضعفه الناس ويحتقرونه لضعف حاله في الدنيا، وبكسر العين أيضا: المتواضع الخامل المتذلل. قوله: (جواظ) بفتح الجيم وتشديد الواو وهو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في المشي. قوله: (مستكبر) أي: عن الحق. والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء كما أن أهل النار هؤلاء، وليس المراد الاستيعاب في الطرفين، وحاصله أن كل ضعيف من أهل الجنة، ولا يلزم العكس، وكذلك أهل النار[٥].

في الحاجة إلى التدليل

وأما التدليل فيقصد به مراعاة ما في الطبيعة الإنسانية من حب الدعة والمرح، وعدم تقييدها بضوابط طول الوقت.

ولا بأس بهذا في حدود أنه لا يستغرق كل الوقت، وإلا انقلب إلى ضده، وعاد بالسلب على تكوين الشخصية.. كما لا بأس به ما دام في حدود المباح شرعا ولم يخرج إلى المعصية؛ فإن للمعاصي طعما له لذة، ولهذا «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» كما جاء في الحديث الشريف[٦]. فالتدليل المطلوب هو ما لا يستغرق كل الوقت، وما لا يقترن أو يفضي إلى محرم.

والنفس بحاجة لهذا التدليل، حتى تشبع ما في طبيعتها، وحتى تستعين بذلك على مواجهة صعاب الحياة ومشاقها. ومما ينسب لعلي رضي الله عنه: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة؛ فإن القلوب إذا أكرهت عميت.

التدليل لا يعني التسيب

وإذا كان التدليل مما تبغي

مراعاته، سواء فيما يتصل بعلاقتنا بذواتنا فلا نرهقها كثيرا أو نحملها ما لا تطيق أو نأخذها بالشدة والعزيمة دائما؛ أو فيما يتصل أيضا بعلاقتنا بغيرنا مثل الأبناء.. فإن التدليل لا يعني التسيب؛ لأن التسيب يختلف في أهدافه ونتائجه عن التدليل؛ فبينما يهدف التدليل إلى الترويح عن النفس وتجديد نشاطها، وينتج عنه استعادة التوازن والفاعلية؛ فإن التسيب يؤدي إلى الخمول والكسل، وافتقاد القدرة على الإنجاز والصمود والتماسك!

ولابد أن نشير هنا إلى أن البعض يتجنب التدليل، لاسيما مع أولاده، مخافة الوقوع في التسيب. وهذا أيضا مفهوم خطأ ينبغي تقويمه؛ فكما أن الجدية من سمات الشخصية السوية، ومن لوازم الحياة التي هي قائمة على الكدح والتعب؛ فإن التدليل أيضا ضروري لتنشئة شخصية سوية مستقيمة؛ لأن الجدية طول الوقت ستطبع بآثار القسوة من تقع عليه، وقد تؤدي لعزلته نفسيا واجتماعيا.

غياب المفاهيم التربوية

ولعلنا نلاحظ أن من أسباب جنوح البعض إلى أحد الطرفين، أي إلى الجدية أو التدليل، وعدم التحلي بالتوازن المطلوب بينهما، هو أننا لا نمارس تربيتنا طبقا لأساليب علمية تربوية وإنما استنادا إلى معارفنا التي استقيناها من خبراتنا الشخصية ومن مجتمعاتنا متأثرين بالمشكلات من حولنا.. فمن رأى طفلا مدللا فاسدا ذهب في الاتجاه المعاكس، ومن رأى طفلا أفسدته القسوة خاف من أن يشتد على أبنائه حين يلزم الأمر!!

بينما علينا أن نحصل قدرا كافيا من مفاهيم التربية وأساليبها، وأن نتحرر من تأثيرات التجارب غير السديدة من حولنا؛ لكي نعرف أن الجدية والتدليل أمران مطلوبان، وأن علينا أن نوازن بينهما ونعرف لكل حالة ما يناسبها.

وهنا يأتي دور الإعلام في تقديم نماذج تربوية ناجحة، وفي تصحيح المفاهيم والسلوكيات، لاسيما عبر الدراما، بدلا من تكريس نماذج معينة أو إغفال الجوانب التربوية في المعالجات الفنية والدرامية؛ مما تتأثر بها أجيال الصغار والشباب.

حياة النبي ﷺ

إن النبي ﷺ، وهو القدوة والأسوة الحسنة لنا، كانت حياته نموذجا في الجمع بين الجدية والاستقامة والفاعلية من ناحية، وبين الرفق والحنو والتدليل والرحمة والسماحة من ناحية أخرى.

فمع حياته ﷺ المليئة بالغزوات ومواجهة المشركين الذين لم يتركوا سبيلا لإيذائه والتضييق عليه، كان ﷺ لا يرى إلا مبتسما، وكان يداعب الصغار ويلاعب الحسن والحسين، وكان يعامل زوجاته بلطف ويصبر على ما يكون بينهن مما يجري بين الزوجات. و«كانت الأمة من إماء أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»[٧].

والمراد من الأخذ بيده: لازمه، وهو الرفق والانقياد؛ يعني: كان خلق رسول الله ﷺ، على هذه المرتبة هو أنه لو كان لأمة حاجة إلى بعض مواضع المدينة وتلتمس منه مساعدتها في تلك الحاجة واحتاجت بأن يمشي معها لقضائها لما تخلف عن ذلك حتى يقضي حاجتها[٨].

وقد أوجز لنا القرآن الكريم الغاية من رسالة النبي ﷺ فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). وقال ﷺ عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة»[٩].

والرحمة صفة جامعة لكل خير، مؤسسة لكل رفق ولين.. مما هو من لوازم التدليل الباعث على التلطف بالنفس وبالآخرين؛ حتى نستعيد لياقتنا النفسية والجسدية لمواصلة رحلة الحياة، التي هي جادة وشاقة بطبيعتها.

الهوامش

١- راجع المزيد عن دور الجبال في مقال «والجبال أرساها»، موقع د. زغلول النجار.

٢- جامع البيان، الطبري، (٢٤/ ٤١٢).

٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/ ١٢١، ١٢٢).

٤- صحيح البخاري، حديث رقم (٤٩١٨).

٥- عمدة القاري، بدر الدين العيني، (٢٣/ ١٨٣).

٦- أخرجه مسلم عن أنس بن مالك. حديث رقم (٢٨٢٢).

٧- أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك. حديث رقم (٦٠٧٢).

٨- عمدة القاري، بدر الدين العيني، (٢٢/ ١٤١).

٩- أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة. حديث رقم (١٠٠).

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي



لا تجعلوه اعتماديا

في مواقف الحياة اليومية تُقابل أنماطا وأنواعا من الشخصيات كل منها يختلف ويتميز عن الآخر بسمات وصفات قد تستوقف انتباهك لتتساءل مثلا عن السبب الذي يجعل إنسانا يتمتع بالنشاط والإيجابية والإقبال على العمل والأداء دون انتظار لمساعدة أو دعم من الآخرين، وفي المقابل أيضا تتساءل عن السبب الذي يجعل إنسانا اتكاليا لا يستطيع الاعتماد على نفسه، لا يستطيع الإنجاز يعجز عن العمل كسول بطيء ينتظر دوما الدعم والعون من الآخرين وإلا توقفت حياته.

السبب في اختلاف الشخصيات

تشير الدراسات والبحوث العلمية التي أجريت حول الشخصية الإنسانية إلى أن التنشئة الاجتماعية وتوجهات وأساليب التربية والتنشئة التي يمارسها الآباء والأمهات أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، تعد من أقوى الأسباب الفاعلة في تنوع أنماط الشخصية الإنسانية.

وتعد عملية التنشئة الاجتماعية منطقة اهتمام تلتقي فيها العديد من العلوم مثل علم النفس وعلم الاجتماع، وعلم الأنثروبولوجيا، ولفهم وتحليل عملية التنشئة الاجتماعية بصورة صحيحة، لا بد من تناولها من خلال منظور تكاملي يعتمد على هذه العلوم والتي تتضح لنا من خلال عرض بعض التعريفات الممثلة لوجهة نظر كل منها في عملية التنشئة الاجتماعية على النحو التالي.

علم النفس الاجتماعي

عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة، لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية[١].

علم الاجتماع

تدريب الأفراد على أدوارهم المستقبلية، ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، وتلقنهم القيم الاجتماعية، والعادات والتقاليد، والعرف السائد في المجتمع، لتحقيق التوافق بين الأفراد والمعايير والقوانين الاجتماعية، مما يؤدي إلى خلق نوع من التضامن والتماسك بين الأفراد في المجتمع[٢].

علم الأنثروبولوجيا

عملية اكتساب الطفل لثقافة المجتمع الذي يحيا فيه، فالفرد يكتسب ثقافة مجتمعه من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة التي يتعرض لها أثناء الطفولة وهذه المواقف تختلف من مجتمع لآخر، باختلاف الثقافة السائدة، كما أن أساليب التنشئة تختلف باختلاف الثقافات، وثقافة المجتمع هي التي تحدد أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة[٣].

وعلى هذا فإن عملية التنشئة الاجتماعية تعد من أهم وظائف الأسرة، من حيث أنها تمثل الحاضنة الأولى التي تتشكل فيها شخصيات الأبناء، ومعتقداتهم وأفكارهم وتوجهاتهم التي ستحسم وتوجه مواقفهم تجاه المجتمع وقضاياه وأفراده وجماعاته في المستقبل، هذا وتتم عملية التنشئة الاجتماعية من خلال عدد من الأساليب التي يسلكها الوالدان في تربية وتنشئة أبنائهما.

أساليب المعاملة الوالدية

هي السلوك الذي يصدر عن الوالدين أحدهما أو كليهما ويؤثر على الأبناء وعلى نمو شخصيتهم سواء قصدا من هذا السلوك التوجيه والتربية أو لا، ويدخل ضمن هذه الأساليب عدة عمليات منها التأثير الذي يتعرض له الأبناء من جراء الثواب والعقاب التي يتخذها الوالد أو الوالدة بقصد تعليمه أو تدريبه وكذلك التأثير الذي قد يتعرض له الأبناء من اشتراكهم في المواقف الاجتماعية التي يتيحها له الوالد أو الوالدة أو كلاهما.

وقد تكون هذه الأساليب أساليب صحيحة مثل: الحب والتقبل والتسامح - القدوة الحسنة - التشجيع.

أو قد تكون هذه الأساليب أساليب خاطئة: الإهمال- التفرقة في المعاملة بين الأبناء - الحماية الزائدة - التدليل.

وهنا نتوقف مع التدليل أو الدلال الزائد الذي يتلقاه الطفل من الوالدين وأفراد الأسرة وذلك بدافع من الحب وزيادة الاهتمام اعتقادا منهم أن هذا السلوك يمثل نوعا من الاهتمام بالابن وقد صنف علماء النفس والاجتماع التدليل الزائد على أنه من الأساليب الخاطئة في التنشئة الاجتماعية.

التدليل هو: تشجيع الطفل على تحقيق رغباته بالشكل الذي يحلو له، مع عدم توجيهه لتحمل أي مسؤولية تتناسب مع مرحلة النمو التي يمر بها مما يشجع الطفل على القيام بألوان من السلوك غير المرغوب فيه، وكذلك قد يتضمن هذا الاتجاه دفاع الوالدين عن هذه الأنماط السلوكية، غير المرغوب فيها ضد أي توجيه أو نقد قد يصدر إلى الطفل من الخارج[٤].

الأسباب الدافعة للتدليل

من خلال استقراء الباحث لواقع ظاهرة التدليل الزائد في مجتمعاتنا العربية فإنه يمكن إرجاع السبب في هذه الظاهرة إلى العوامل التالية:

١- أن يكون الابن (ولد أو بنت) وحيد والديه أو جاء بعد فترة انتظار طويلة للوالدين.

٢- أن يكون الابن هو الولد الوحيد بين إخوته البنات.

٣- ترتيب الابن (ولد أو بنت) بين الإخوة كأن يكون هو أكبر أو أصغر إخوته.

٤- إرضاء الأم بتدليل الابن في حالة تعدد الزوجات.

٥- الوجاهة الاجتماعية.

٦- جهل الوالدين بحقوق الأبناء الشرعية التي كلفها لهم الإسلام.

الآثار السلبية للتدليل الزائد

الشخصية الاعتمادية هي المحصلة للتدليل الزائد للأبناء، وهي نوع من أنواع الاضطرابات النفسية عبارة عن: نمط ثابت من الحاجة المستمرة لتلقي الرعاية مع مظاهر السلوك التعلقي والالتصاق بالآخرين.

سمات الشخص الاعتمادي

وفقا لتصنيف منظمة الصحة العالمية (ICD-10) فإن الشخص الاعتمادي يتصف بالسمات التالية:

١- تشجيع الآخرين أو السماح لهم باتخاذ أغلب القرارات المهمة في حياته.

٢- تقديم حاجات الآخرين الذين يتكل عليهم على حاجاته، والامتثال المفرط لهم.

٣- عدم الرغبة في إبداء مطالب (حتى وإن كانت معقولة) من الآخرين الذين يتكل عليهم.

٤- الشعور بالانزعاج أو العجز لدى الانفراد، بسب مخاوف مبالغ فيها من عدم القدرة على الاعتناء بذاته.

٥- انشغال البال بمخاوف من التعرض للهجر من قبل الشخص المرتبط به، وأن يترك ليعتني بنفسه.

٦- محدودية القدرة على اتخاذ القرارات اليومية من دون الحصول على كم كبير من النصح والتطمين من الآخرين.

الشريعة والتدليل الزائد

الإسلام حريص على أن ينشأ أبناؤه نشأة صحيحة تمكنهم من حمل أمانة الدين ونشره بين الناس وتبوء مكان الريادة الحضارية لكل الأمم، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠)، وموقف الشريعة من التدليل الزائد وآثاره السلبية يتضح لنا من خلال النقاط التالية:

أولا: نعمة الأبناء

الأبناء من نعم الله العظيمة على الإنسان، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(الكهف:٤٦)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (النحل:٧٢).

وهم هبة من الله قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ (الشورى:٤٩-٥٠).

ثانيا: مسئولية الآباء عن تشكيل شخصية أبنائهم:

الآباء مسؤولون عن أبناءهم أمام الله سبحانه وتعالى، الذي أمرنا بالإحسان إليهم وعدم ظلمهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦)، وفي الحديث: «والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها» (البخاري)، وعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته»(مسلم).

وتقع مسئولية الآباء عن تشكيل شخصية أبناءهم، عن طريق التنشئة الاجتماعية القائمة على الكتاب والسنة المطهرة، ولاسيما في السنوات الأولى من العمر، وقد اهتمت الشريعة الإسلامية بهذه المرحلة اهتماما كبيرا، فهي التي تتحدد على أساسها معالم شخصية الأبناء ومعتقداتهم واتجاهاتهم في المراحل العمرية التالية، وهذه كلها مكتسبة ومتعلمة من الوالدين في المقام الأول، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٧-١٠)، وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء»(البخاري).

ثالثا: معالم تشكيل شخصية الأبناء في الشريعة:

(أ): غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأبناء: وهي الواجب الذي لا يقدم على شيء آخر، فالواجب على الآباء تربية أبناءهم على العقيدة الصحيحة فهي الضابط لكل عباداته ومعاملاته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣).

وفي الحديث: عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا» (بن ماجه).

(ب): القدوة الحسنة: يميل الأطفال إلى تقليد الكبار وتبني أفكارهم ومحاكاة أسلوبهم، والقدوة الحسنة من أنجح الأساليب في تشكيل الشخصية، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن

﴿كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

(ج): الوعظ والتوجيه: من أنجح الوسائل التربوية في التوجيه والتغيير والأطفال في مراحلهم المبكرة يتقبلون النصح والتوجيه ولا سيما ممن يحبون ففي الحديث: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال يا غلام، إني أعلمك كلمات: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (الترمذي).

(د): التعويد على السلوك: تكرار السلوك بصفة دائمة تسهل على الطفل ممارسته، وهو ينشأ ويكبر على ما اعتاد عليه، ففي الحديث: عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (أحمد وأبو داود).

رابعا: التدليل الزائد ظلم للأبناء والآباء والمجتمع:

أمر الإسلام بالعدل بين الأبناء وعدم التفريق بينهم في المعاملة المادية أو المعنوية، فقد جاء الأمر بالعدل بين الأبناء في العطاء المادي كما في حديث: النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: تصدق علي أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فانطلق أبي إلى رسول الله ﷺ؛ ليشهد على صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا. قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم. (البخاري).

وكذلك الأمر بالعدل بين الأبناء في الحقوق المعنوية مثل: التقبيل والملاعبة، وعدم تفضيل ابن على الآخر في ذلك، ففي الحديث: عن أنس رضي الله عنه أن رجلا كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءته بنية له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «ألا سويت بينهما» (البزار).

والتدليل الزائد مناف للعدل بل هو ظلم للابن المدلل ذاته واعتداء على حقه في تلقي التنشئة والتربية السليمة التي تجعل منه إنسانا حاملا لأمانة الدين نافعا لنفسه ولمجتمعه ولأمته، وبدلا من ذلك تحوله إلى إنسان اتكالي عالة على أسرته والآخرين وعبئا على المجتمع، وظلم للأمة في هدر ثرواتها البشرية.

ولا يدرى الآباء أنهم بتدليلهم الزائد لأبنائهم يظلمون ويحرمون أنفسهم، من دعوة الولد الصالح، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له. (مسلم).

وعلى الآباء أن يتأملوا في سيرة النبي ﷺ ونشأته، فلو كان هناك من يستحق التدليل الزائد لكان هو، فقد بلغ مكانة لم يبلغها أحد من الحب في قلب جده عبد المطلب، ومن بعده عمه أبو طالب، ومع ذلك عمل في رعي الغنم وهي من أشد وأقسى المهن، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بعث



الله نبيا إلا ورعى الغنم قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (البخاري).

ولمواجهة سلوك التدليل الزائد وآثاره المدمرة لشخصية الأجيال المسلمة تستدعي وضع الخطط والبرامج التوعوية والعلاجية، والتي تكون في جانب منها وقائية تتضمن وضع البرامج التدريبية الشرعية والنفسية والعلاجية لتدريب وتعليم الآباء والأمهات طرق التربية السليمة، وجانبها الآخر يكون علاجيا ينصب على علاج الآثار النفسية لأضراب الشخصية الاعتمادية.

الهوامش

١- حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب القاهرة،٢٠٠٠م، (ص ٣٠٣).

٢- سلوى عبد المجيد الخطيب: نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر، مطبعة النيل للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،٢٠٠٢م، (ص ٣٤٦).

٣- عبدالباسط محمد حسن: علم الاجتماع الكتاب الأول، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧م، (ص ٣٤٦).

٤- محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون: مقياس الاتجاهات الوالدية، دار القلم، الكويت،١٤٠٦، (ص ٤).



د محمد عطيه متولي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

صور الدلال المفرط

اعتنت الثقافة الحديثة والمنظمات الدولية بالطفل وعوامل نموه الجسدية والفكرية والنفسية، وتختلف أنظار الناس في نمط التربية المناسب، فهناك من يرى القسوة صانعة الرجال وهناك من يراها أحد الطرق المفسدة لشخصية الطفل والشاب والمساهمة في تدمير بنيانه النفسي فيلجأون إلى التدليل المفسد.

تهدف التربية الإسلامية للكبار والصغار إلى إعداد جيل رشيد متوازن نفسيا قادر على أداء مهمته في الحياة، من عبادة لله تعالى وعمارة للكون، متحمل للضغوط الناشئة عن العمل والظروف الاجتماعية والاقتصادية، قادر على تطوير نفسه والتعايش في بيئات مختلفة، وقادر كذلك على التواصل الفعال والتعاون المثمر مع غيره ممن يعرفهم أو لا يعرفهم في إطار تربوي شامل، وهذه الأفكار تغرس في الناشئ منذ بداياته من خلال المصاحبة والمؤانسة والمعايشة والحب والعزم إلى آخر ما ينبغي على المربي أن يتحلى به.

ولا شك أن الجو الأسري السليم يساهم في اكتساب المهارات المختلفة وفي تطوير القدرات العقلية والجسدية والروحية، وأحد الموازين التي ينبغي للأسرة أن تراعيها هو التوسط بين القسوة المفرطة والدلال المفرط.

الدلال في اللغة: بالعودة إلى المعاجم العربية نجد ابن منظور يذكر في لسان العرب تحت مادة دلل فيقول: أدل عليه وتدلل: انبسط. يقال: ما دلك علي أي ما جرأك علي، وقال ابن

دريد: أدل عليه وثق بمحبته فأفرط عليه. وفي المثل: أدل فأمل، فهذا تفسير للدلال بالجرأة التي تظهر في تصرفات لا يخشى الطفل عاقبتها ثقة بمحبة والديه والمحيطين به، وتتوالى هذه التصرفات حتى نصاب بالملل وترتفع أصواتنا بالشكوى والتذمر.

وعند التربويين: هو العكس من أسلوب الشدة والقسوة في التربية، ويتمثل في التراخي والتهاون في معاملة الطفل وعدم توجيهه لتحمل مسؤوليات وأعباء تتناسب المرحلة العمرية التي يمر بها، ويقصد به أيضا القيام بإشباع حاجات الطفل في الوقت الذي يريده هو مهما كانت هذه الحاجات غير مشروعة أو مقبولة أو كان الوقت غير مناسب وأن يكون الجميع رهن إشارته لا يرفضون له طلبا (تربية الطفل بين القسوة والتدليل من وجهة نظر بعض الأمهات في العاصمة المقدسة رسالة ماجستير إعداد آمال عمر سندي بتصرف).

صور للدلال المفسد: يفسد بعض الآباء أبنائهم:

١- حين يحرجهم أبنائهم أمام الناس بالصراخ والبكاء مما يدفع الوالدين لإسكات الطفل عن طريق الخضوع التام له بحجة أنه طفل لا يعي وهذا يدعوه لأن يحكم قبضته على والديه.

٢- وحين يحرمونه من الاعتماد على نفسه بترك تكليفه بمهام تتناسب مع عمره تدليلا له أو خوفا عليه.

٣- وحين يقوم بسلوك خاطئ يستحق عليه العقاب لكنه لا يجد من ينبهه أو يلومه بل يجد من يدافع عنه ويبتسم له.

٤- وحين نخلط بين تلبية رغبة الطفل في الاستطلاع والاكتشاف وبين الرغبة في تدمير الأشياء المحيطة به لأجل التدمير تعبيرا عن الغضب والتذمر.

٥- وحين نسمح له بسب والديه أو ضربهما دون أن يجد استنكارا أو حتى امتعاضا ونفس الأمر مع الآخرين دون مراعاة لعمرهم أو مكانتهم الاجتماعية.

٦- وحين يجد في كل صباح أنه لا يشارك في أعمل من الأعمال اللازمة للذهاب للمدرسة مهما كانت بسيطة ويملك الوقت لتنفيذها.

٧- حين يأخذ أكثر ما يحتاج من أموال أثناء ذهابه للمدرسة أو لنزهة مع أصدقائه دون توجيه بالرشد في الإنفاق.

الأسباب المؤدية للتدليل:

١- كون الطفل وحيدا بمعنى كونه الذكر الوحيد مع إخوته الإناث أو الأنثى الوحيدة مع إخوة ذكور أو ليس له أخ أو أخت.

٢- التعويض عما فات الآباء من فرص للاستمتاع بمباهج الحياة أو للتعويض عن غياب الوالدين أو أحدهما بسبب الاغتراب أو الغرق في دوامة العمل.

٣- التأثر ببعض نظريات التربية الحديثة التي تدعو إلى تدليل الأطفال وإتاحة الحرية المطلقة لكي يدركوا الخطأ والصواب من تلقاء أنفسهم حتى لا يصابوا بالعقد، وقد انبهر البعض بهذه النظريات متذكرين ما كان يحدث لهم من قمع إن أبدوا بعض المشاعر أو الأفكار لكن الواقع يثبت أن الحرية المطلقة مفسدة مطلقة وقد ظهرت الآثار السيئة لهذه النظريات في أجيال بعضها يستهين بكل الأعراف الحسن منها والسيئ.

الآثار السيئة للتدليل:

عدم النضج؛ فالطفل الذي نشأ مدللا مهما كبر لا يحترم سنه بل يقوم بما يقوم به الصغار، ويستمر في الاعتماد على الآخرين ويعجز عن العطاء فقد اعتاد أن يأخذ من الجميع، ويحرص على أن يكون دائما في بؤرة الاهتمام فإن لم يجد من ينظر إليه حاول لفت الأنظار مهما كانت الوسيلة إلى ذلك غير لائقة، ويفقد القدرة على المقاومة لإن كل مشكلة تواجهه يعجز عن حلها ويلجأ إلى الآخرين، الهروب من تحمل المسؤولية ابتداء فإذا كلف بشئ ووقعت أخطاء بادر إلى التنصل مما حدث وإلقاء التبعة على الآخرين، الشعور بالاكتئاب وفقدان الرغبة في الحياة عندما يموت من كان يعتمد عليهم، الفشل في تكوين أسرة جديدة أو أن يترك زمام الأمور كليا لزوجته لتحل محل والديه في تحمل مسؤليته بالإضافة إلى تحملها مسؤولية نفسها وأبنائها بل قيامها بالواجبات الاجتماعية المنوطة به.

العلاج

يحث الإسلام دائما على الوسطية، فكما أن الإسلام ضد التدليل الزائد فهو كذلك ضد القسوة المفرطة فللعاطفة دورها في تكوين الإنسان المتوازن وإشباع حاجاته النفسية بعيدا عن الإفراط والتفريط، إن الإسلام يسعى للتدليل الهادف الذي يصون عاطفة الطفل عن كثير من ألوان الانحراف عن السلوك السوي وكما أن للجسد احتياجاته فللروح كذلك احتياجاتها.

ولتحقيق التدليل المتوازن:

١- الإعلان عن الحب للأبناء قال البراء ﵁: رأيت النبي ﷺ، والحسن بن علي على عاتقه، يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه» (صحيح البخاري)،



المشاعر المستكنة في الضمائر تحتاج إلى الإعلان بالقول والفعل وتحتاج إلى التأكيد عليها في كل مناسبة، وتحتاج كذلك إلى الصدق حتى تؤتي ثمرتها، فإن الأبناء شديدي الحساسية وشديدي الإدراك للمشاعر الصادقة من المشاعر المصطنعة ولذلك كان التحذير النبوي من الكذب صغيره وكبيره.

عن عبد الله بن عامر، أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك، فقال رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمرا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة» (مسند أحمد وقال محققوه: حسن لغيره).

٢- هذا الحب المعلن لم يمنع النبي ﷺ أن يضع حدودا للحسن يقف عندها، قال أبو هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟» (صحيح مسلم).

٣- ولم يمنع تدليل النبي ﷺ للأطفال أن يوجههم إلى أكمل الآداب، عن عمر بن أبي سلمة، قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد (صحيح البخاري).

٤- إظهار الإعجاب بهيئتهم، عن أم خالد بنت خالد: أتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: «من ترون أن نكسو هذه؟» فسكت القوم، قال: «ائتوني بأم خالد»، فأتي بها تحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال: «أبلي وأخلقي»، وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال: «يا أم خالد، هذا سناه» وسناه بالحبشية حسن (صحيح البخاري). وفي رواية فجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إلي ويقول: (يا أم خالد هذا سنا ويا أم خالد هذا سنا). والسنا بلسان الحبشة الحسن.

٥- إظهار هذا التدليل إمام الناس، عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها. (صحيح البخاري).

٦- الملاعبة، عن سعيد بن أبي راشد أن يعلى بن مرة حدثهم: أنهم خرجوا مع النبي ﷺ إلى طعام دعوا له، فإذا حسين يلعب في السكة. قال: فتقدم النبي ﷺ أمام القوم، وبسط يديه، فجعل الغلام يفر هاهنا وهاهنا، ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى في فأس رأسه، فقبله، وقال: «حسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط» (سنن بن ماجه، وفأس رأسه: هو طرف مؤخره المنتشر على القفا).

٧- مباركة ما يقوم به من نشاط، عن عمرو بن حريث، أن رسول الله ﷺ مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع مع الغلمان، أو الصبيان، فقال: اللهم بارك له في بيعه، أو قال: في سفقته. (مسند أبي يعلى).

وظيفة الوالدين والمجتمع ومؤسساته هي الرعاية قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته (صحيح البخاري)، والوقاية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)، وأفضل ما يعطيه الوالد للولد الأدب الحسن الذي يقربه من الله ويحببه إلى الناس ويجعل منه شخصية قادرة على التعاون مع الآخرين وتعمير الأرض وتحقيق مهمة الاستخلاف فيها، تقول في دعائها: رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.

عبدالله الظفيري
كاتب وباحث



مستقبل الطفل المدلل

تنتشر في كثير من البيوت ظاهرة مرضية خطيرة وهي الدلال المفرط نتيجة مبالغة الآباء والأمهات في تدليل أبنائهم وإعطائهم كل ما يطلبون من دون أن يردوا لهم طلبا.
ويؤدي الدلال الزائد إلى مشاكل خطيرة لا تقتصر تأثيراته على مرحلة الطفولة إنما تتعداها لمرحلة الكبر، والكثير من الناس ظلت صفة الدلال والدلع ملازمة لهم حتى وهم كبار في السن، وهذا ما أثر على شخصياتهم وتصرفاتهم وسلوكهم لأنهم اعتادوا الحصول على كل ما يريدون بمجرد أن يطلبوه، لذلك لا يتقبلون فكرة الرفض وعدم حصولهم على ما يطلبون، فتجد الكثير منهم يعاني لعدم القدرة على التأقلم مع طبيعة الحياة وما فيها من صعوبات وأعباء كثيرة.
ومن أبرز عواقب التدليل الزائد للأبناء سرعة العصبية التي تصبح صفة ملازمة للطفل المدلل لأنه اعتاد على تلبية كل طلباته فورا من دون مناقشة، وكذلك الأنانية وحب الاستحواذ على كل شيء وعدم الرغبة في تقاسم أي شيء مع الآخرين، إضافة إلى الغيرة والحسد وهي مشاعر تزداد لدى الطفل المدلل الذي يشعر بالغيرة عند زيادة الاهتمام بأي شخص آخر غيره، لأنه اعتاد أن يكون هو محل الدلال الأكبر.
ومن مخاطر الدلال المفرط عدم الاعتماد على النفس، لأنه لم يتعود أن يقوم بأي عمل إنما كل أعماله تنجز عن طريق الآخرين ومن دون أن يبذل أي جهد، إضافة إلى عدم تحمل المسؤولية حتى في الأمور المتعلقة في شخصه، فضلا عن اللامبالاة في النتائج والتصرفات والأفعال، وضعف الخبرة والمهارات وتجارب الحياة، وعدم القدرة على إنجاز أي عمل، وكذلك سوء التصرف تجاه أي فعل.
ويؤدي الدلال المفرط إلى قلة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، لأن الطفل المدلل يكون متشبع في العاطفة الأسرية وبالتالي لا يكون ميالا إلى كسب علاقات جديدة والتعامل مع الآخرين، وربما تزداد لديه مشاعر العزلة والانطواء والرغبة في البقاء وحيدا، فضلا عن التعلق المرضي بالوالدين وعدم القدرة على التخلي عنهم والتصرف من دونهم، وهو ما ينتج عنه ضعف في بناء الشخصية وعدم القدرة على اتخاذ قرارات مستقلة.
وتقود هذه الأفعال والتأثيرات السلبية للدلال المفرط إلى مشاكل مستقبلية للطفل وأسرته ومجتمعه، وبالتالي يجب التعامل بشكل سليم مع الأطفال من خلال تربيتهم بأفضل طريقة وتوفير الحياة الكريمة لهم والعمل على تحقيق طلباتهم ورغباتهم باعتدال، وعدم المبالغة في إعطائهم المال والاستجابة لكل طلباتهم دون تعليمهم الصواب والخطأ.



مياسة النخلاني
قاصة وباحثة يمنية



تربية الأبناء بين الاعتدال والحزم

أن تكون أبا أو أما فهذا ليس بالأمر السهل، فتربية الأبناء على قدر ما تبدو مهمة سهلة وبمقدور الجميع القيام بها لكنها ليست كذلك، ولن يدرك هذه الحقيقة إلا من جرب الإنجاب وعايش الأبوة والأمومة مع طفل أو العديد من الأطفال، ففي الوقت الذي يعد احتواء الأطفال بالمزيد من الحب والرعاية والاهتمام من أهم أسس ومتطلبات التربية، هناك في المقابل متطلبات أكثر أهمية كالتنشئة وغرس القيم والتوجيه وتعليم الأبناء الاعتماد على النفس والتفريق بين الصواب والخطأ، فمهما عاش الطفل بين والديه لابد وأن يخرج يوما ما للمجتمع الأكبر: المدرسة.. الحي الصغير.. الجامعة.. المدينة الأكبر.. واقع العمل والحياة الاجتماعية الأوسع، وإن لم يتم إعداد الطفل مبكرا الإعداد السليم نفسيا وعقليا وجسديا فسيحدث ذلك خللا بينه وبين اندماجه مع المجتمع حوله، سيصبح إما عالة أو عائقا أمام من حوله أو قد يكون عائقا ومعيقا لنفسه بدلا من أن يكون عنصرا فاعلا وإيجابيا في المجتمع الذي يعيش فيه والمقربين له.

تقول سهير: بعد أن تزوجت اصطدمت بطباع زوجي، فهو شخص عنيد لا يقبل أن ترفض له طلبا، وإن فعلت يشتعل غضبا ولا يهدأ حتى نحقق له مراده، هو شخص شديد التذمر، أناني لأبعد حد لا يفكر إلا في نفسه، ومصلحته الخاصة تكون دائما في المقام الأول، لا يعنيه إن كان تصرفه صحيحا أم خاطئا، المهم أن يحقق ما يريد.. كان الأمر مزعجا جدا في البداية، لكن لم

يكن أمامي إلا التكيف مع طباعه.

مبالغة بالحب والعطاء

تتابع سهير: بعد إنجابي لطفلي الأول انتقلت والدة زوجي لتعيش معنا لمساعدتي بتربية الطفل، في البداية كان الأمر جيدا وخففت عني الكثير خاصة بانشغالي بأعمال المنزل، لكن مع مرور الوقت بدأت الأمور تسوء، فهي حرفيا لم تكن تسمح لي بتربية ابني بالطريقة التي أراها صحيحة، فإن بكى فلابد وأن أسكته بأي طريقة ولو اضطررت لقلب البيت رأسا على عقب لأجله، من غير الممكن منعه من القيام بأي شيء يريد القيام به ولو كان تصرفه خاطئا تماما، غير مسموح لي بمعاقبته أو تعنيفه إن أخطأ، فهو لا يزال طفلا على حد قولها، إن أراد أكل الحلوى تخرج بنفسها لتشتري له ما يريد حتى وإن كان الوقت متأخرا جدا، إن غضب وحطم لعبته تهديه على الفور لعبة أفضل منها، وحين حاولت مرة أن أعاقبه صرخت علي بشدة وهي تحتضنه وتقول لي بتحد: لا علاقة لي بابني... أدركت أن حماتي هي من أفسدت زوجي بدلالها المبالغ فيه وحتما ستفسد ابني أيضا إن استمر الحال على ما هو عليه.

مشاعر مختلطة

بدورها، تسرد أم عماد تجربتها: نشأت في منزل لا يعرف الدلال أبدا، أمي من النوع الصارم جدا، صحيح لم تكن تضربنا أو تعنفنا بشدة لكن أيضا لم يكن لديها صبر للدلال الزائد، هذا ما تربيت عليه، وحين أنجبت طفلي الأول رغبت بأن أربي ابني على ما تربيت عليه، شاء الله أن يصاب طفلي بعمر العام وثمانية أشهر بمتلازمة كلوية، مرض مزمن يصيب الكلى ويحتاج إلى رعاية وانتباه خاص، خاصة عندما يسوء حاله، بفترة ما يصبح ممنوعا من أكل الكثير من الأصناف يصل حد الحرمان، أو يتورم جسمه بالكامل ويصبح عاجزا عن الحركة، نحن نتحدث عن طفل لم يكمل العامين بعد وهو طفلي الأول، كنت ووالده نعتني به قدر الإمكان ومع الوقت شعرت أننا أصبحنا أكثر تساهلا معه وتلبية لكل رغباته، الآن وقد تجاوز طفلي الثالثة من عمره، أصبحت طباعه مزعجة نوعا ما، يصمم على فعل ما يريد لأنه يدرك أننا لن نعارضه، عنيد جدا ولا يفرق بين إن كان الوقت مناسبا أم لا، يعلم أن البكاء وسيلته للحصول على ما يريد، وإن اتخذت موقفا صارما معه يلجأ لوالده وهو على يقين أنه سيستجيب له، ندرك أننا نحن من أوصله لهذه المرحلة لكن كان ولا يزال وضعه الصحي غير مستقر، ولأن مرضه مزمن فحتى وإن تعافى بمرحلة ما، بلحظة يسوء وضعه تماما ونشعر أننا غير قادرين على فقدانه، بمرحلة ما حاولت أن أكون حازمة معه، حين يسيء التصرف أوبخه أو أتوقف عن الكلام معه وأحرمه مما يريد، في تلك الليلة تصيبه الحمى ويصبح مريضا جدا، فأشعر بالندم كوني كنت قاسية عليه، أنا حقا أشعر بالحيرة معه، فقط لو لم يكن مريضا بهذا الشكل لكنت أكثر قدرة على التعامل مع دلاله المفرط.

دلال بلا مبالغة

عبدالرحمن الهلالي وهو أب لثلاثة أطفال يرى أنه رغم أهمية منح «الدلال» للطفل في مراحل عمرية معينة، إلا أنه يلزم أن يكون بحدود وفي مواقف دون الأخرى، فالإفراط في الدلال للطفل يهدم قوة شخصيته مستقبلا، وكذلك يصعب على الأبوين توجيهه بحزم بعد تجاوزه سن الطفولة، كما يجب أن تتنوع أساليب التربية بين الدلال والحزم وأن يكون هناك معيار لكل منهما، بحيث لا إفراط ولا تفريط.

فالتعامل مع كل سلوكيات الطفل الخاطئة بتساهل مهما كانت درجة الخطأ فيها ليس أمرا صائبا على الإطلاق، لأن هكذا تساهل قد يؤدي إلى إضعاف شخصية الطفل مستقبلا وتصبح شخصيته مهزوزة وغير قادرة على اتخاذ أي قرار، أيضا قد يؤدي ذلك إلى تخبط قراراته وعدم قدرته على التعامل مع كل موقف بما يناسبه.

طفل أناني وعنيد

يقول مطهر خالد - موجه تربوي: حين يكبر الطفل وهو معتاد على العناية الزائدة فلن يتقبل كلمة «لا» بوجهه أو حرمانه من أي شيء يريده.. كل طلباته أوامر حتى غير المناسبة أو التي تكون في موقف غير مناسب.. شيئا فشيئا يتحول الطفل البريء إلى طفل عصبي، عنيد، كثير البكاء، شديد الغضب، مقتنع في أعماقه أنه من حقه أن تتم تلبية كل رغباته، لا يقبل الرفض أبدا أو معارضة أحد لطلباته.

فالإفراط بتدليل الطفل لابد وأن يحوله إلى شخص أناني لا يحب إلا نفسه ولا يقبل إلا أن يفرض سيطرته على من حوله وهو بذلك يشعر أن هذا يعد أحد حقوقه لأنه تربى على هذا المبدأ، فمنذ نعومة أظفاره وهو يعامل على أنه طفل خاص يملك كل الحق ليفعل كل ما يريد ويحصل على كل ما يحبه بغض النظر إن كان سلوكه صحيحا أم لا، فهو يشعر أن من حوله لا يتحملون رؤيته يبكي أو يصرخ، ولن يقبلوا أن يتم المساس به حتى وإن كان مخطئا فيستغل هذا الأمر ليحقق كل ما يريد.

اهتمام زائد ثقة أقل

عائشة محمد - مرشدة أسرية تؤكد ما سبق وتضيف بأن الإفراط بالتدليل يصنع طفلا فاقدا للثقة

بنفسه وإمكانياته وقدراته، فهو في الأساس لم يوضع في موقف يمكنه من اكتشاف قدراته الخاصة وتطوير مهاراته فدائما هناك من يصنع له كل ما يريد ويقدم له ما يحتاجه، ويطبطب عليه إذا ما تأذى، اعتاد على الاعتماد على من حوله، وتشبع بمشاعر الحماية المبالغ بها والخوف والهلع عليه والاعتناء الزائد به، لذا فهو يكبر وهو يشعر بأنه لا يستطيع القيام بشيء من تلقاء نفسه لأنه لم يكن يوما ما ملزما بالقيام بمهمة ولو بسيطة، وأحيانا يلجأ إلى إخفاء شعوره بفقدان الثقة بنفسه وضعفه خلف شخصية متسلطة وغضب دائم ومفتعل، لأن هذه كانت وسيلته لإخفاء شعوره بالضعف وعدم الثقة بنفسه.

يرهق من حوله

فاتن علي - معلمة لتلاميذ المرحلة الابتدائية يقول إن الطفل المدلل يرهق كل من حوله ويصعب التعامل معه لأنه شخص غير مسؤول، ولا يستطيع الالتزام بالقيام بواجباته من تلقاء نفسه، فهو دائما بحاجة إلى المساعدة والتوجيه، ولن يخطو خطوة واحدة إلا حين يتأكد أن هناك من يوجهه ويراقبه ويبقى بالقرب منه بل يفرح كثيرا إن وجد من يقوم بواجباته بالنيابة عنه، لا يشعر بالخزي أن يقوم أحدهم بعمله فقد اعتاد على هذا الأمر من قبل والديه.

الطفل المدلل يفتقد المرونة وغير قادر على التعامل مع الأطفال الآخرين، فهو يحتاج إلى الحماية والرعاية بشكل دائم، قد يجدي الأمر في المنزل لكن في المدرسة لن يصبح الأمر سهلا لا عليه ولا على زملائه ومعلميه.

القواعد قبل كل شيء

سحر عقلان - أم لثلاثة أطفال تقول: إنها تعتمد على اتباع قواعد واضحة بتربية أطفالها، ويجب على الجميع التقييد بها مع مراعاة الفروق الفردية والعمر والوقت المناسب، فعلى سبيل المثال قد يعفى الطفل من التقييد بالقواعد حين يكون مريضا أو مرهقا جدا.

ومع أن القواعد تعتبر روتينيا يوميا في المنزل لكن قد يتم التغاضي عن تطبيقها في مواقف عدة، فبعد كل شيء نحن نعيش في منزل يجب أن يسوده الكثير من الدفء والاحتواء، إذا أحسست أن طفلي متضايق من شيء معين فمن الممكن أن أتهاون بعض الشيء، أيضا إذا كان مريضا، وحين نكون أمام الآخرين كي لا أضع نفسي في موقف محرج أو يكون طفلي عرضة لتعليقات أو انتقادات الآخرين.

وصحيح أن وضع القواعد واتباعها ليس بالأمر بالسهل خاصة مع ثلاثة أطفال، لكن بدأت أشعر أن هذه القواعد بدأت تصبح جزء من حياة أطفالي، وأشعر بأنهم راضون عني ويتقيدون بتلك القواعد عن طيب خاطر، بل إن ثمارها قد بدأت تظهر من خلال تعاملهم مع الآخرين وتصرفاتهم العقلانية في كثير من المواقف.

تتابع: لكن الوصول إلى هذه المرحلة لم يكن سهلا على الإطلاق فبكل تأكيد مررت بمواقف كان أحد أطفالي يواجه القواعد بالرفض بشكل مستمر، كثرة الطلبات غير اللازمة، التمرد وحالات الغضب غير المبررة حينها كنت أسحب منه الامتيازات وأشعره أني غاضبه منه، وأتجاهله مع الاعتناء بإخوته، مجرد تجاهلي له كانت تمثل عقوبة قاسية عليه، ويسعى جاهدا لمصالحتي وكسب رضاي مجددا وهذا كان يغنيني عن العقوبات الجسدية المؤثرة على نفسية الطفل.

أباء ناضجون.. أبناء متزنون

مها صلاح - مختصة بأدب الطفل تقول: إن الدلال المفرط قد يكون بسبب خوف الوالدين على الطفل ورغبتهم في تقديم الأفضل له، وهنا يحدث التباس لدى البعض بين ما ينبغي أن يقدم للطفل وبين التدليل المفرط، من المهم أن يحصل الطفل على مقومات الحياة الأساسية السليمة المتمثلة بالحماية والأمان والغذاء الملائم واللعب وطاقة الحب التي تتمثل في عدد من لغات الحب كما يشرح بعض العلماء ولعل أهمها: كلمات المحبة والمديح الإيجابي، العناق والتقبيل والتربيت، تقديم المساعدة للطفل في الأشياء التي تهمه، تقديم الهدايا وأخيرا قضاء وقت قيم يتم فيه التعليم أو نقل التجارب.

يجب أن لا يسارع الأبوين لتقديم كل ما يريد الطفل وذلك ليتركا له الفرصة لمعرفة الخطأ من الصواب ما يفيد مما لا يفيد ويسمحا له بالتعلم وذلك يساعده في بناء شخصيته والاعتماد على نفسه.

القصص الموجهة للأطفال قد تكون مفيدة جدا بمساعدة الأبوين على تربية أطفالهم، وهم المستهدف الأول بنصوص موجهة توضح الأثر السلبي على نفسية وشخصية الطفل الذي يتم تدليله بإفراط، وذلك لأن لهما التأثير المباشر في جعل الطفل هشا ومدللا أو متوازنا ومعتمدا على ذاته.

كما يمكن تقديم قصص علاجية تساعد الطفل بشكل عام على تبني مفاهيم بسيطة عن الثقة في النفس، والاعتماد على الذات.

الاعتدال

دنيا - مدربة ومشرفة روضة أطفال ترى أن الاعتدال يعتبر من أهم أسس التربية، فلا إفراط ولا تقتير، وكل ما كانت طلبات الطفل مجابة بشكل دائم فهذا ينشئه على قلة الصبر والمسؤولية، وحين يكبر يتشكل لديه اقتناع بأن المال يأتي دون مجهود،

وبالتالي عندما ينقص عليه المال فمن الممكن أن يحاول العثور عليه من خلال طرق غير سليمة كالسرقة أو من خلال التنمر على من هم أضعف منه، فهذا ما تعود عليه منذ أن كان صغيرا، أن يحصل على ما يريد بغض النظر عن الطريقة.

حين يكون الدلال مفرطا من خلال مساعدته الدائمة بالمهام الاعتيادية اليومية كالأكل والملبس وعمل الواجبات واللعب فهذا يخلق طفلا اتكاليا وكسولا، لا يحاول أن ينجز أي مهمة بنفسه، بل لا يرغب ببذل أي مجهود ولو كان سهلا.

وحين ينشأ الطفل وسط أهل يقررروا عنه أين يخرج وماذا يأكل وماذا يلبس وماذا يقتني وماذا ينبغي أن يحب أو يكره، هذا بكل تأكيد سيصنع طفلا مهزوزا من الداخل فاقدا الثقة بنفسه وقراراته، يفتقد القدرة على اتخاذ قراراته في المستقبل إلا بعد العودة إلى مرجعيته - الوالدين، وبمرحلة ما الأصدقاء، أو أي شخص يجده حوله ويشعر أنه أقوى منه، وكهذا شخص لا يمكن إلا أن يكون تابعا لا قائدا أو مبادرا.

ولتلافي الوقوع في فخ الدلال والذي من خلاله يتم تدمير شخصية الطفل تنصح دنيا بإعطاء الطفل الحرية في اللعب واختيار أشيائه الخاصة وألعابه، ومشاركته في الرأي عندما يكون في موقف يحتاج إلى اتخاذ قرار كالخروج في رحلة مدرسية أو نشاط مدرسي، فهذا من شأنه أن يخلق طفلا قادرا على مواجهة الحياة واتخاذ قراراته الخاصة، يجب أن يدرك أن المال لا يأتي بسهولة وإنما يمكن الحصول عليه بعد جهد وعمل، اطلب منه أن ينظف غرفته الخاصة، يجمع ألعابه، يساعد بترتيب وتنظيف البيت، يعتني بأشجار الزينة أو يسقي النباتات في حديقة المنزل، مهام سهلة ويومية لكن أشعره أنه ليستحق المال أو المكافأة عليه أن يبذل الجهد فلا شيء في هذه الحياة مجاني، ونحن كوالدين لك لن نكون معك طوال الوقت.

حتى يتشكل لديه حس عال بالمسؤولية أوكل له بعض المهام بحسب عمره لتزيد ثقته بنفسه وكن عونا له في الوقت الذي يحتاجك فيه ليشعر بالأمان، لكن لا تقم بتلبية كل طلباته، دعه يدرك أن كل رغباته ليست مجابة، وأن الحياة ليست بالسهولة التي يتخيلها، أعطه فرصة ليدرك أن المال يأتي بعد جهد وعمل لذا تعمد أن تؤجل بعض طلباته ليدرك أن الوضع ليس دائما متيسرا فهناك أوقات صعبة كما أن هناك أوقات جيدة.

الحزم والدلال

وعن كيفية التعامل مع الطفل الأناني يجيبنا محمد طاهر - مربي ومدرب بقوله: إن الحزم أمام عناد الطفل وعدم إتاحة الفرصة له ليشعر أن كلمته فوق كلام والديه هي من أهم طرق التعامل، فإغداق الأبناء بالحب والاهتمام والرعاية وتوفير الأمان والاستقرار لهم لا يمنع أن يكون الآباء حازمون معهم، يجب أن يعرفوا متى يتساهلون مع طلبات أطفالهم ومتى تكون «لا» حاضرة وبحزم ومفروضة عليهم ولا مجال للتملص منها.

يجب على الآباء والأمهات أن يوازنوا بين العطاء والمنع.. بين التراخي والشد.. بين الحب والحزم.. فتوفير الاحتياجات للأطفال وترك مساحة لهم للعب والاستمتاع لا يعني ترك الحبل على غاربه فالطفل الذي يقضي وقته باللعب وحين يطلب منه والديه تجميع ألعابه ويقابل الطفل طلب والديه بالرفض أو التمنع يستحق حينها أن يتلقى عقابه من خلال منعه من ألعابه المفضلة لبعض الوقت، ومهما بكى وصرخ فلا مجال لتحقيق طلبه إلا حين يلتزم بوجباته، حينها سيكبر ويتعلم أن كما لديه حقوق فعليه التزامات. سيدرك أن أمام كل متعة وفسحة هناك التزام وواجب وحين يتم الإخلال بالالتزام يفقد فرصته بالاستمتاع.

بطبيعة الحال لا يعني هذا أن يعاقب الطفل بقسوة مفرطة، ويجب أن نعلم أن معالجة الدلال الزائد بالعنف الزائد أو الحرمان التام او معاقبته بالضرب والشتم مرفوضة تماما، فهذه التصرفات خاطئة وغير مقبولة بحق أي طفل مهما بلغ عناده، وإنما يتم التعامل بعقلانية وصبر واحتواء فكما أن الحب الزائد يولد طفلا مدللا فالعنف الزائد يولد طفلا عنيدا غير مبال.

ختاما...

بقدر ما هي مرهقة رحلة تربية وتنشئة الطفل إلا أنها رحلة مغمورة بمشاعر جميلة ودافئة.. مع كل حضن أو ابتسامة من ثغر الطفل الصغير وهو يرتمي في حضن والديه بكل ما أوتي من قوة لعلمه أن هذا الحضن هو موطنه وأمانه الوحيد، يسير بخطوات متعثرة لا يبالي بالوقوع لأنه يعلم أنه محمي بالكامل من قبل والديه، لا يهمه أن يجوع أو يتعثر فهناك دائما من يمسك به ويعتني به، هناك من يأخذه في نهاية اليوم إلى سريره لينام بعمق ويتمنى له ليلة هادئة.

من المهم أن تكون حول طفلك تمسك به حين يسقط وترفعه حين يتعثر لكن الأكثر أهمية أن تعلمه أن يمشي بخطوات أكثر ثباتا ليتجنب التعثر لاحقا، وأن يقف بأقدام أكثر قوة تمنعه من السقوط حين لا تكون حوله، فطفلك لن يكون طفلك دائما، بل لن يكون طفلا على الإطلاق وسينبغي عليه أن يعتمد على نفسه يوما ما.

د. آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي



أساليب التربية الأربعة.. أيها تختار؟

إن التربية والتنشئة الاجتماعية للأبناء هي عملية مستمرة في التعليم والنمو للفرد؛ وتشمل جميع جوانب التربية (الجسدية، والنفسية، والمعرفية، واللغوية، والأخلاقية والقيمية، والدينية، والثقافية)، والهدف من التنشئة الاجتماعية هو بناء شخصية الطفل وتكيفه مع مجتمعه سواء في الأسرة أو المدرسة أو المجتمع أو مع أقرانه، وأن يحسن التصرف والسلوكات فيتحول إلى كائن اجتماعي قادر على الحياة والتعامل مع المجتمع وعلى الإنتاج والعمل والتطور، فيتعلم الطفل من خلال التنشئة الاجتماعية اللغة وأنماط السلوك والتقاليد والقيم والعادات السائدة في مجتمعه، ويتعايش مع ثقافة مجتمعه ويتعلم أمور دينه، فالتنشئة الاجتماعية عملية

تربوية مستمرة لا تنتهي، بل تنتقل من جيل إلى آخر.
وتشير الدراسات التربوية في زماننا إلى أن أساليب التربية والتنشئة للأبناء غالبا ما تكون ضمن أربعة طرق أو أساليب وهي التالية:

- أسلوب التسلط.
- أسلوب الإهمال.
- أسلوب الدلال المفرط.
- أسلوب الديموقراطية.

وفي الحقيقة فإن الأساليب الثلاثة الأولى من الأساليب السلبية في التربية والتي لها تأثيرات سيئة الأثر جدا في التربية والتنشئة والتعليم والنمو للأبناء، بينما أسلوب الديمقراطية هو أفضلها في التربية والتنشئة وأثرها في بناء شخصية سوية للطفل ومستقبله، وتاليا نفند أساليب التربية الأربع أسلوبا تلو الآخر:

أسلوب التسلط

يعتبر أسلوب التسلط من الأساليب التربية التي تعتمد أسلوب الدكتاتورية وهو من أقسى أساليب التربية، فلا يسمح للطفل بأن يبدي رأيه أو أن يعبر صراحة عن مشاعره، وعليه فقط أن ينفذ الأوامر والتعليمات التي يقدمها له والداه. ويكون الاهتمام بحاجات الطفل الجسدية والنفسية والمادية اهتماما ضعيفا باهتا، وهذا الأسلوب يشبه كثيرا أسلوب الضابط في الجيش، حيث التعليمات والأوامر التي يجب تنفيذها دون نقاش ودون مراعاة لأية ظروف أو مشاعر، بل ويستخدم بهذا الأسلوب الكثير من العنف والقسوة كاستخدام الضرب والصراخ والتعنيف الجسدي أو اللفظي أو المعنوي كالإهانة والتقريع والشتم، واستخدام كلمات بذيئة أو جارحة أحيانا، فهذا الأسلوب يتضمن الكثير من التعنيف بكل أشكاله، بعيدا عن الحب والحنان والعطف والتسامح مع الأبناء، بل بالعكس فإن العقوبة هي الأسلوب الأهم والأوحد المتبع مع الأبناء.

ويغلب أحيانا كثيرة على هذا الأسلوب في التربية النظام والدقة في المواعيد كمواعيد النوم والأكل والدراسة واللعب والزيارات، وقد يكون هذا إيجابي ولكن الأسلوب المتبع مع الأبناء سلبيا قاسيا لا يجلب المحبة بين الأبناء والآباء، بل قد يؤدي للجفاء والكراهية للأبوين أو لأحدهما. والأخطر هو تأثير هذا الأسلوب على الطفل حيث ينشأ إما بشخصية ضعيفة خجولة تخاف مواجهة الناس وإبداء رأيها، وتتعود قبول التعليمات وتنتظرها ولا تفكر ولا تناقش ما يقتل الإبداع لدى الأفراد! أو قد ينشئ شخصية عنيفة قاسية متمردة تستخدم أساليب عنيفة في التعامل مع الآخرين ومع أبنائهم في المستقبل.

أسلوب الإهمال في التربية

وهذا الأسلوب أيضا من الأساليب السلبية وغير الحميدة في التربية كما تشير الدراسات التربوية؛ حيث يعتمد فيه الآباء على الحرية المطلقة للطفل لدرجة الإهمال التربوي (الإهمال الجسدي، والنفسي، والعقلي، والعاطفي، والديني، والحاجات والرغبات..) بحيث لا يوجه الأبوان أبناءهم عند الخطأ أو في معترك الحياة، ولا يقدمان النصح والإرشاد لهم ولا يراقبون تصرفاتهم، بل يتركونهم يأخذوا قرارتهم وأحكامهم بأنفسهم بالتجربة والخطأ وبالاعتماد على الذات وعلى الرفاق، فيتعلمون من واقع حياتهم.

وقد يكون السبب بهذا الإهمال في التربية أن الأبوين يجهلان أساليب التربية الصحيحة ولا يثقفان أنفسهما بها، أو قد يكون الأبوان مشغولان في أشغالهم أو الأم منشغلة في أعمال البيت أو الزيارات والصديقات والعناية بنفسها وجمالها، والأسوأ اليوم انشغالهم بأجهزتهم الجوالة وبعالم النت والتواصل الاجتماعي ومتابعتها، فالأم مثلا تقضي الساعات على برامج التواصل الاجتماعي وتترك طفلها يفعل ما يريد أو تتركه يلعب كما يشاء! وقد تهتم الأم فقط بأمور الطعام والدراسة والواجبات المدرسية لطفلها أكثر من اهتمامها بالتربية والتوجيه والتعليم الديني والأخلاقي والسلوكي للطفل؛ لأنها قد تعتقد جهلا أن هذه الأمور ستأتي وحدها عبر الزمن وبمرور الأيام أو بتعليم من المدرسة والمجتمع؛ ولذلك ينشأ جيل لا يحسن التواصل مع الوالدين والآخرين، ولا يعرف شيئا من أمور دينه ومجتمعه، وذو ثقافة محدودة وذو تصرفات سيئة، أو ناقما على مجتمعه معزولا عن والديه، ولاهيا في حياته ولا يقدر قيمة الوقت، ومتبعا للغرب ولما يشاهده بالقنوات الفضائية وبوسائل التواصل الاجتماعي التي تتحكم بعقله اليوم.

وقد يعاني هؤلاء الأبناء المهملون وخاصة في مرحلة المراهقة من مشاعر مضطربة ومشاكل كثيرة دون أن تشعر الأم بشيء من تلك الحاجات النفسية، وأن ابنها أو ابنتها يعانون العديد من المشاكل أو الانفعالات النفسية وهي لا تدرك ذلك مع الأسف. إذ يعتقد الأبوان هنا أن وظيفتهما هي فقط تأمين المأكل والمشرب والمسكن والملبس والدراسة، أما أمور التربية فهم بعيدون عنها كل البعد، فالخطورة بهذا الأسلوب أن كل طفل تتكون شخصيته كما اختار هو أسلوبا لحياته فقد يتطرف يمينا أو يسارا! لأنه ربى نفسه بنفسه وبالتجربة والخطأ ودون توجيه وإرشاد كاف وتصحيح للسلوكات، فتربيته ونتيجة إهمال الوالدين تعتمد على وسائل

التنشئة الأخرى كالمدرسة وجماعة الرفاق وتقليدهم، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، وما أخطرها!

وهذا الأسلوب في التربية أسلوب الإهمال والحرية المطلقة قد ينتج شخصية مستقلة معتمدة على ذاتها في حياتها وقراراتها وحلها لمشكلاتها، (وقد تكون قراراتها سليمة أو خاطئة لأنه لم يتعود التشاور)، ولكن في المقابل هذا الأسلوب لا ينتج علاقة حميمة مع الوالدين، بل تبرز فجوة في العلاقة بين الابن ووالديه، وقد تصبح العلاقة روتينية ورسمية وجافة لا عواطف فيها، ويتعود الابن أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء وأينما يشاء! ودون اكتراث لراي والديه أو من حوله! وقد يصبح مرجعيته أشخاص آخرون خارج أسرته. والخطورة أن هذا الأسلوب غير معروفة نواتجه لدى الوالدين فقد ينتج شخصية واعية عاقلة، أو بالعكس شخصية تائهة ضالة! فأبناؤهم أنفسهم مختلفون تماما فيما بينهم، وذلك وفقا لما واجهوا في بيئتهم ومع رفاقهم وأفكارهم، وعندما يكبر هؤلاء ستظهر طبيعة شخصية الابن التي نشأ عليها طوال حياته، وسيكون الخلاف كبيرا بينه وبين أخوته ومع والديه.

أسلوب الدلال المفرط

وهو أيضا من الأساليب التربوية السلبية وذات النتائج السيئة جدا على الأبناء، ففي هذا الأسلوب يوفر الوالدان للطفل كل ما يريد فجميع طلباته يتم تلبيتها بلا استثناء (ومهما كانت ظروف الوالدين)، كما أنه لا تتم محاسبة الابن أو معاتبته أو معاقبته على تصرفاته الخاطئة أو المحرجة، ولا يتم تعليمه الصح من الخطأ، بل بالعكس فإن الوالدين يتجاهلان الكثير من سلوكات أبنائهم السيئة أو المزعجة، وقد يضحكون له وهو مخطئ مما يشجعه على تكرار الخطأ والتمادي فيه! بل وقد يوقعهم بمواقف محرجة أمام الناس والضيوف مثلا، وهم لا يستطيعون ردعه أو منعه من تلك التصرفات المحرجة أو السيئة أو المتمادية على الآخرين كالأكبر منه سنا، فقد يتمادى على معلميه في المدرسة أو رفاقه لأنه تعود ذلك في بيته، مما يوقعه في مشاكل كثيرة ولا يحسن التصرف بها.

وتعود الطفل المدلل اللامبالاة بالآخرين وحاجاتهم ومشاعرهم! وتعود الاعتماد على الوالدين لا على نفسه! وللأسف فإن الكثير من الآباء يقومون بدلا من أبنائهم بواجباتهم المدرسية أو البيتية، والطفل هنا لا يطلب والداه منه المساعدة أو المشاركة بأية أعمال في البيت من كثرة الدلال المفرط، حيث يعتقد الأبوان أنه صغير وأنه مكرم لدرجة أنه لا يجب أن يطلب منه شيء ولا أن يساعد في أمور البيت! فهو بنظرهم مازال صغيرا على تحمل المسؤولية، مع أنه قد يصبح عمره فوق عشر سنوات أو في سن المراهقة، ومازال الوالدان ينجزان عنه كل المهام، فلم يتعود مساعدة والديه أو أحدا ممن حوله في شيء؛ بل تعود أن الجميع يخدمه ويقدم له ما يحتاج وكأنه الملك في عرشه!

والوالدان في هذا الأسلوب من التربية يهتمان كثيرا بمشاعر طفلهما وصحته الجسدية أكثر من اللازم، فلذلك لا يوجهان له أي لوم أو عتاب أو إرشاد تربوي لأي خطأ يرتكبه، فيخافون تربيته وتهذيبه خوفا على مشاعره، فينشأ طفل انتهازي اتكالي معتمد على الآخرين، أناني متمركز حول ذاته ورغباته، يحب كل شيء لنفسه لا يتعاون ولا يتشارك مع الآخرين، غير محبوب وسط أقرانه نتيجة الدلال المفرط لأنهم غير مضطرين لمجاراته وتلبية طلباته، فيصبح شخصا منبوذا منعزلا لا اجتماعيا ولا يحسن التصرف ولا مراعاة مشاعر الآخرين، وقد يكثر البكاء والصراخ لأنه تعود ذلك في سبيل الحصول على طلباته وتلبية رغباته، وقد يتعرض للضرب من رفاقه نتيجة هذا الأسلوب النكد والأناني والفوقي في التعامل مع الآخرين.

وقد يكون سبب الدلال المفرط من الوالدين نتيجة لعدة أسباب منها: جهل الوالدين في أساليب التربية وعدم تثقيف أنفسهم بالطرق السليمة للتربية كأن يأخذوا طفلهم مرة بالحزم ومرة باللين. وقد يكون السبب أن الطفل وحيد في أسرته فلا أخوة أو أخوات لديه، أو قد يكون ذكرا بين إناث أو العكس، أو ولد بعد انقطاع طويل عن الإنجاب، وبالتالي من شدة تعلق الوالدين به والخوف عليه وعلى مشاعره؛ تجدهم يفرطون في دلاله بشكل خاطئ وسلبي وينعكس آثاره لاحقا على الطفل في الوقت الذي يصبح من الصعب تصحيح ما تم تعويد الطفل عليه.

وقد يكون سبب هذا الدلال المفرط أن الوالدين أو أحدهما قد عانى في حياته من أسلوب التسلط والقسوة من والديه أو من أسلوب الإهمال والحرمان العاطفي، فهم لا يريدون لأبنهم أن يعاني كما عانوا أو أن يعيش نفس التجربة والمشاعر السلبية، بل يريدون خبرات سارة مستمرة لابنهم، ولكن الحقيقة أن الحياة لا تمشي على وتيرة واحدة ففيها الحلو وفيها المر، وبها الغنى وبها الفقر، وفيها القسوة والظروف الصعبة وبها الخير والدلال أحيانا.

وتشير الدراسات والكتب التربوية إلى سبب آخر للدلال المفرط وهو الوضع المادي الثري وتوفر القدرة الشرائية المرتفعة لدى الوالدين وبالتالي لدى

أبنائهم، فيكون لدى الابن القدرة على شـراء مـا يريد بسبب الوضـع المـادي الحسـن لـوالـديـه، فيحصل عـلـى كل ما يريد، وهو لا يقدر قيمة المال ولا يشعر مع والديه بتعبهم ولا مع الفقراء، ويعتقد الوالدان هنا أن من حق أبنائهم توفير كل ما يطلبونه من طلبات مهما بلغ ثمنها، وأن لا يرفضون لهم طلبا ماديا أبدا، وهذا يؤدي للدلال المفرط والنتائج السلبية، فيجب عـدم تعويد الأبناء على هذا لأن الحياة لا تدوم على حـال، فقد لا يعيش الأبـنـاء مستقبلا نفس الـوضـع المـادي لـلآبـاء، ولذلك الـدلال المفرط قد يجعل الابـن يعيش حياة زائفة غير حقيقية ولا يستطيع التكيف مع التغيرات في الحياة التي تطرأ عليه مستقبلا.

بالإضافة إلى أن الكثير هؤلاء الأبناء ونتيجة الـدلال المـادي المفـرط فإنهم قـد يتعـاطـون المـخـدرات والمسـكـرات وأنواع التدخين والفجور والفسق نتيجة الترف المادي وإعطائهم ما يريدون من الأموال دون محاسبة، وبالتزامن مع قلة التوجيه والموعظة من الوالدين والمراقبة لما يفعلون، فيندمون حيث لا ينفع الندم حين يخسرون ابنهم بعد فوات الأوان!

أسلوب الديمقراطية في التربية

وهو كما أثبتت الدراسات التربوية أنه أفضل أساليب التربية حيث يتميز الآباء الـديـمـقـراطـيـون بـالموازنـة بـين الحـزم واللين، ولكن ليس المقصود التذبذب بالمعاملة (كأن يكون كل يوم برأي)؛ وإنما المقصود أنهم يتصرفون وفقا للموقف ويرجعون لمرجعية دينية أو ثقافية أو منظومة قيمية، فإن تطلب الأمر الشدة فإنهم يوضحون لأبنائهم الصحيح من الخاطئ، ويستخدمون أسلوب الحوار والمناقشة والإقناع والتشاور معهم؛ فهم يسمحون للابن إبـداء الـرأي والتعبير عن مشاعره وأفكاره ويتسامحون معهم ويتناقشون بآرائهم، فهنا العلاقة ودية بين الآباء والأبناء، والعلاقة مصارحة وثقة ومحبة ومشاعر إيجابية تجاه الوالدين.

فـالآبـاء الـديـمـقـراطـيـون يـراقـبـون السلوكات ويوجهون ويرشدون ويعاتبون أبناءهم على أخطائهم، ولكن بأسلوب مقنع محبب للنفس، فهم يعملون على تنمية ذوات أبنائهم والنواحي الإيجابية لديهم، وتنمية المهارات الاجتماعية والتواصلية والقيادية والمعرفية واللغوية لدى أبنائهم بشتى الطرق والأساليب، لا قتلها ودحرها أو التركيز على النواحي السلبية.

وبالتالي فإن هؤلاء الأبناء لا يتصرفون تصرفات عنيفة ومؤذية أو صادمة للوالدين؛ لأنهم على اطـلاع مستمر لما يـدور في حياة أبنائهم، فقد تعود أبناؤهم مصارحتهم بما يواجهون في حياتهم، واستشارة والديهم والتفكير مع بعض البعض في كل أمور حياتهم، وتعودوا المساعدة والتعاون مع الأسرة ومـع الآخـريـن، وتـعـودوا الاستقلالية وبـدون أنانية، فهم لا يعيشون عالمهم الخاص بعيدا عن أسرتهم ومجتمعهم، وإنـمـا يتفاعلون مع مناسبات العائلة وأحداث المجتمع.

فهنا ينشأ أبـنـاء مـسـتـقـرون نفسيا ومـتـوازنـون فـي حياتهم وقـراراتـهـم، قادرون على الإنتاج والعطاء والإبداع؛ فتصرفاتهم لا تنم عن فجوة عاطفية أو قساوة في الحياة وإنما هم مرتاحون نفسيا، وهذا ليس معناه أن الوالدين لا يعاتبونهم أو لا يلومنهم على أفعالهم الخاطئة؛ وإنما هم يستخدمون معهم أسـلـوب الحـوار والإقـنـاع والاحـتـرام المتـبـادل الـذي يـزرع الثقة بالنفس والثقة بالآخرين، ويجعل الابن يتحمل المسؤولية وقـادر على اتخاذ قـرارات صائبة موفقة.

وهـذا الأسلوب هو ما نطمح إليه في التعامل لأنه لا يخرج شخصيات قاسية أو فارغة المضمون أو عنيفة أو متذبذبة أو منعزلة أو منفصلة عن المجتمع أو حاقدة عليه أو كارهة لجميع الناس، ولا ينتج أسرا مفككة كالأسلوب التسلطي أو المـهـمـل، ولا ينتج أبـنـاء تائهين أو منحرفين سلوكيا أو ضالين كأسلوب الـدلال المفرط، بل الديمقراطية هي أفضل أسلوب في التربية لأن الوالدين قـدوة لـلأبـنـاء فـي الـسـلـوكـات وفـي الاستقرار النفسي واعتماد الاحترام المتبادل والتقدير الذاتي المرتفع، وفي التنشئة والتعليم ونقل تجربة التربية الناجعة من جيل إلى جيل، وهو أسلوب نبينا محمد ﷺ في التعامل مع صحابته وأهل بيته كما في سيرته العظيمة.



د. رمضان فوزي بديني
دكتوراه في اللغة العربية وعلومها



عطف الجمل المتباينة وحكم أكل متروك التسمية

مبحث «حروف المعاني»، وعلى رأسها حروف العطف، من المباحث اللغوية المهمة التي أخذت مساحة كبيرة من فكر الأصوليين والفقهاء ومصنفاتهم؛ لما لهذه الحروف من تأثير كبير في استنباط الأحكام الفقهية.

وحتى لا يتسع مجال الحديث، وتتشعب بنا طرائقه التي لا تسعها هذه السطور؛ سأخصص الحديث عن «الواو» التي كان للاختلاف في دلالتها أثر فقهي، وهو مناط حديثي في هذا المقال؛ وهي تعد أصل حروف العطف، وأم بابها؛ فهي أكثرها استعمالا؛ ولذا جاء مخرجها شفهيا سهلا في النطق؛ حيث إنها لا تحتاج إلا انضمام الشفتين دون انطباقهما، وهذا ما يناسب كثرة الاستعمال والدوران في الكلام.

ويعود كونها أصل العطف -حسب بعض النحاة- إلى أنها لا تدل على أكثر من الاشتراك فقط، وأما غيرها من الحروف فيدل على الاشتراك وعلى معنى زائد. فإذا كانت هذه الحروف تدل على زيادة معنى ليس في الواو صارت الواو بمنزلة الشيء المفرد وباقي الحروف بمنزلة المركب، والمفرد أصل للمركب[١].

وقد انتقل الحديث عنها في هذا السياق إلى الأصوليين؛ حيث يقول علاء الدين البخاري -أحد الأصوليين الأحناف-: «وأصل هذا القسم الواو؛ لأن العطف لإثبات المشاركة، ودلالة الواو على مجرد الاشتراك، وسائر حروف العطف يدل على معنى زائد على الاشتراك؛ فإن الفاء يوجب الترتيب معه، وثم يوجب التراخي معه. فلما كانت في تلك الحروف زيادة على حكم العطف صارت كالمركبة معنى، والواو مفرد، والمفرد قبل المركب. والحاصل أن العطف لما كان عبارة عن الاشتراك والواو متمخضة لإفادة هذا المعنى دون غيره صارت أصلا في العطف»[٢].

عطف الجمل المتباينة

من المسائل المتعلقة بالعطف -ومنه العطف بالواو- التي اختلف فيها النحاة، وانعكس اختلافهم على الأصوليين «عطف الجملة الاسمية على الفعلية والعكس» (عطف الجمل المتباينة)؛ فمن المتفق عليه جواز عطف الجمل، بشرط أن تكون اسمية كلها أو فعلية كلها، لكن عطف الجمل المتباينة -عطف الاسمية على الفعلية والعكس- فقد اختلف فيه النحاة فيها على ثلاثة مذاهب:

أولها: الجواز مطلقا وهو المفهوم من قول النحويين في باب الاشتغال في مثل «قام زيد وعمرا أكرمته»: إن نصب عمرا أرجح لأن تناسب الجملتين المتعاطفتين أولى من تخالفهما.

وثانيهما: المنع مطلقا.

والثالث لأبي علي أنه يجوز في الواو فقط نقله عنه أبو الفتح في سر الصناعة وبنى عليه منع كون الفاء في خرجت فإذا الأسد حاضر عاطفة[٣].

وحسب المذهب الأول؛ فإنه يترجح عطف الجمل المتباينة؛ وهذا يفهم من قولهم «قام زيد وعمرو أكرمته»: أن نصب عمرو أرجح؛ لأن النصب يعني عطف جملة فعلية (وعمرا أكرمته) على فعلية (قام زيد)، وهذا أولى من التباين، والقول بترجيح النصب لا يعني منع القول بالرفع؛ بل هو عندهم جائز وإن كان خلاف الأولى، وما داموا جوزوا الرفع فتكون الجملة اسمية (وعمرو أكرمته) اسمية معطوفة على



فعلية (قام زيد).

وعلى القول الثاني فإنه يمنع مطلقا عطف الجمل المتباينة، وهو ما عليه الدليل في المسألة الفقهية محل النقاش في هذا المقال، كما سيأتي.

مجيء الواو للحال

يرتبط بالمسألة السابقة -وهو ما ذهب إليه بعضهم من عدم جواز الجمل المتباينة- مسألة أخرى، وهي مجيئها للحال؛ حيث إنهم ذهبوا إلى أنها إذا جاءت بين جملتين متباينتين؛ فإنها تفيد الحال وقدروها بـ«إذ»، كما في المثال الذي مر منذ قليل «قام زيد وعمرو أكرمته»؛ حيث يكون التوجيه حينها: قام زيد إذ عمرو أكرمته.

وقال صاحب مغني اللبيب بأنها -أي واو الحال- «الداخلة على الجملة الاسمية نحو جاء زيد والشمس طالعة، وتسمى واو الابتداء، ويقدرها سيبويه والأقدمون بإذ، ولا يريدون أنها بمعناها إذ لا يرادف الحرف الاسم بل إنها وما بعدها قيد للفعل السابق كما أن إذ كذلك ولم يقدرها بإذا لأنها لا تدخل على الجمل الاسمية»[٤].

أما مواضع دخولها فقد ذكرها صاحب «الجنى الداني» قائلا: «وتدخل على الجملة الاسمية، نحو: جاء زيد ويده على رأسه. وعلى الفعلية إذا تصدرت بماض، الأكثر اقترانه بقد، نحو: جاء زيد وقد طلعت الشمس. وتدخل على المضارع المنفي، ولا تدخل على المثبت.

وأما نحو قوله: نجوت، وأرهنهم مالكا فالصحيح أنه على إضمار مبتدأ بعد الواو»[٥].

أما الأصوليون فقد عقد صلاح الدين العلائي صاحب «الفصول المفيدة في الواو المزيدة» فصلا بعنوان «استعمال الواو في الحال عند الأصوليين»، ذكر فيه أن البزدوي وغيره من أئمة الحنفية يرون أن «استعمال الواو في الحال على وجه المجاز والاستعارة، والعلاقة مطلق الجمع»[٦]. ونقل عن الجرجاني أن «واو الحال لا تنفك عن معنى العطف لما تضمن من ضم جملة إلى جملة»[٧].

التطبيق الفقهي لهذه المسألة

عقد صاحب «الفصول المفيدة في الواو المزيدة» فصلا بعنوان «مسائل فقهية في التفريع على واو الحال»، ذكر فيه بعض المسائل التي توقف الحكم الفقهي فيها على معنى الواو بين كونها عاطفة وحالية، ومما جاء فيه:

«اختلفت مسائل الحنفية في التفريع على واو الحال فقالوا: إذا قال لعبده: أد إلي ألفا وأنت حر، أو قال لحربي: انزل وأنت آمن: لا يعتق العبد ما لم يؤد ولا يأمن الكافر ما لم ينزل. ولو قال: خذ هذا المال واعمل به مضاربة في البز؛ لا يتقيد المضاربة في البز مطلقا بل له أن يتجر في غيره».

وإذا قال: أنت طالق وأنت تصلين أو مصلية أو وأنت مريضة؛ طلقت في الحال ولا تتقيد بتلك الحالة إلا إذا نوى التعليق عليها فيكون ذلك شرطا في الوقوع بالنية.

ولو قالت: طلقني ولك علي ألف درهم؛ لا يجب شيء بالطلاق عند أبي حنيفة وأوجبه أبو يوسف ومحمد».

ثم علق قائلا: «ومدار الفرق بين هذه المسائل يرجع إلى ما تقدم عنهم أن الواو حقيقة في العطف مجاز في الحال، قالوا: فمتى صلحت للعطف تعينت له وخصوصا إذا تعذر حملها للحال كمسألة المضاربة؛ فإن حال العمل لا يكون وقت الأخذ وإنما يكون العمل بعد الأخذ له، والكلام صحيح باعتبار كونها عاطفة، ويكون ذلك على سبيل المشورة عليه بالتجارة في هذا الصنف لا شرطا فلا حاجة إلى الخروج عن الحقيقة إلى المجاز، بخلاف مسألة العتق والأمان؛ لأن الجملة الأولى منهما فعلية طلبية والثانية اسمية خبرية وبينهما كمال الانقطاع وذلك مانع من العطف إذ لا بد لصحته أو حسنه من نوع اتصال بين الجملتين فلذلك جعلت للحال لتعذر الحقيقة»[٨].

حكم الأكل من متروك التسمية

اختلف العلماء في حكم الأكل من الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح (متروك التسمية) على ثلاثة أقوال؛ فقيل: هي فرض على الإطلاق، وقيل: بل هي فرض مع الذكر ساقطة مع النسيان، وقيل: بل هي سنة مؤكدة. وبالقول الأول قال أهل الظاهر،



وابن عمر والشعبي، وابن سيرين، وبالقول الثاني قال مالك، وأبو حنيفة، والثوري، وبالقول الثالث قال الشافعي وأصحابه، وهو مروي عن ابن عباس وأبي هريرة[٩].

وقد استند كل فريق من الفريقين -القائلين بتحريم أكل متروك التسمية، والقائلين بجوازه وعلى رأسهم الشافعية- إلى بعض الأدلة، سواء من القرآن أم السنة النبوية المطهرة.

وما يعنينا هنا من هذه الأدلة استناد كل منهما إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ (الأنعام: ١٢١)؛ حيث إن الخلاف بينهما ناتج عن الخلاف بين النحاة الذي أشرنا إليه سابقا في جواز عطف الجمل المتباينة؛ فمن وافق النحاة القائلين بجواز عطف الجمل المتباينة ذهبوا إلى حرمة أكل متروك التسمية، معتبرين الواو في قوله تعالى في الآية محل الشاهد «وإنه لفسق» عاطفة.

يقول ابن قدامة: «وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ محمول على ما تركت التسمية عليه عمدا بدليل قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾»[١٠].

أما المذهب الثاني الذي ذهب إلى عدم وجوب التسمية؛ فإنه رد على هذا الاستدلال بأن الواو هنا ليست عاطفة بسبب التباين بين الجملة التي قبلها والتي بعدها، ومن ثم رأوا أنها (الواو) حالية، وبناء على ذلك قيدوا التحريم بحالة كون المذبوح فسقا، وفسروا الفسق هنا ذكر اسم غير الله تعالى.

يقول الشيخ زكريا الأنصاري -من فقهاء الشافعية- ردا على هذا الاستدلال: «وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ فالذي تقتضيه البلاغة أن قوله: «وإنه لفسق» ليس معطوفا؛ للتباين التام بين الجملتين؛ إذ الأولى فعلية إنشائية، والثانية اسمية خبرية، ولا يجوز أن يكون جوابا لمكان الواو؛ فتعين أن تكون حالية؛ فيتقيد النهي بحال كون الذبح فسقا، والفسق في الذبيحة مفسر في كتاب الله تعالى بما أهل لغير الله به»[١١].

وهكذا نجد أن الشافعية ومن لف لفهم في هذه المسألة ردوا هذا الدليل بحجة لغوية؛ فجعلوا الواو حالية، وفسروا الفسق هنا بما ذكر في موضع آخر في كتاب الله تعالى، وهو قوله عز وجل: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ (الأنعام: ١٤٥)؛ فقصروا التحريم على ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى، بالإضافة إلى بعض الأدلة الأخرى من السنة النبوية التي قوت هذا الاستدلال اللغوي عندهم.

ولعل في هذا الرأي الأخير ما لا يخفى من مظاهر للتيسير الفقهي في هذه المسألة، خاصة على المسلمين المقيمين في دول غير إسلامية، لكن بشرط أن يكون الذبح قد تم بالطريقة الصحيحة، وألا يكون قد ذكر عليه غير اسم الله تعالى.

الهوامش

١- ينظر: أسرار العربية: (ص: ٢٦٧).
٢- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: (١٠٩/٢)، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، دار الكتاب الإسلامي، دت.
٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: (ص: ٦٣٠ - ٦٣٢)، شرح الأشموني لألفية ابن مالك: (٤٠٧/٢).
٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: (ص: ٤٧٠).
٥- الجنى الداني: (ص: ١٦٤).
٦- ينظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة: (ص: ٢٤) وما بعدها.
٧- السابق نفسه.
٨- السابق: (ص: ١٨٣) وما بعدها.
٩- ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد: (ص: ٢١٠، ٢١١).
١٠- المغني لابن قدامة: (٢٩٠/١٣).
١١- الغرر البهية في شرح البهجة الوردية للشيخ زكريا الأنصاري: (٥/ ١٥٦)، وينظر أيضا له: أسنى المطالب في شرح روض الطالب: (١/ ٥٤٠).



جاسم الجاسم
باحث دراسات إسلامية

حفظ اللسان عن اللغو والآثام

كرَّم الله سبحانه وتعالى الإنسان وفضله على كثير من المخلوقات، وخصه بنعمة العقل والبيان. فمن نعم الله تعالى الكثيرة التي أسبغها على البشر نعمة اللسان والكلام الذي من خلاله يستطيع كل شخص أن يعبِّر عن نفسه وأفكاره وإظهار دينه وأخلاقه وشكر ربه وعبادته.

ووضع الدين الإسلامي ضوابط كثيرة في شأن أدب الحديث وحفظ اللسان عن اللغو والآثام. فكثير من الناس يطلقون ألسنتهم من دون توقف وبلا ضوابط، لينطقوا بكل ما يدور في أذهانهم وما يخطر على بالهم بكلام بعضه ليس له قيمة ولا يخلو من كذب وبهتان وغيبة ونميمة وإساءة للآخرين.

ورغم العناية التي أولاها الإسلام بموضوع أدب الحديث وطريقة الكلام لأن ما نقوله يعبر عن شخصياتنا وأسلوبنا ويكشف عن عقولنا وطريقة تفكيرنا، فإن البعض لا يلتزم في الآداب الإسلامية بأن يقول خيرا أو يصمت فهو أفضل وأنفع له.

وعلى الإنسان أن يعوِّد نفسه ولسانه على القول الجميل الطيب الحسن، والابتعاد عن اللغو والكلام الذي لا فائدة منه، لأنه مضيعة للوقت والعمر. وكلما كان حديث الإنسان طيبا حسنا، فإنه يكسب قلوب الناس ومحبتهم ويشيع المحبة والسعادة بينهم، بل إنه حتى الأعداء والخصوم يأسرهم حسن الكلام ويحد من عدائهم وضررهم.

وأدب الكلام لا يكون فقط بحسن الحديث، إنما أيضا يكون بحسن الإنصات وعدم رفع الصوت والثرثرة والتكلم بألفاظ وعبارات لا تتناسب مع عقول ومستوى الحضور.

وجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الكثير من الآيات والأحاديث التي تبين نعمة اللسان وحسن الحديث والابتعاد عن اللغو والحرام والإثم.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ (البلد:٨-٩).

وقال سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ (الرحمن:١-٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (القصص:٥٥).

وجاء في السنة النبوية الشريفة عن اللسان وأهميته وآداب الحديث الكثير من الأحاديث، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق». (صحيح البخاري: ٦٤٧٧).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». أخرجه أحمد (١٣٠٤٨).





عبد الله بن محمد بن مسعد
كاتب وشاعر

العلم والمال

أصحوت أم أنت الغداة نؤوم ... والرزق بالسعي الحثيث يدوم

تعتاد في وقت التكسب راحة ... خف الجميع له وأنت مقيم

هل يستوي من قام يسعى باكرا ... سبق الضياء وللفلاح يروم

مع راقد أضحى أنيس فراشه ... طابت له الراحات وهو مليم

إن الحياة إذا نظرت قصيرة ... والصحو فيها للمنام قسيم

والوقت إن لم تستعد لحفظه ... ضاعت عليك فضائل وعلوم

والعلم أولى ما عنيت بشأنه ... نور العقول إذا ادلهم بهيم

رفع الإله كما قرأنا قدره ... شرف الأنام وللأنام نديم

خذ من فرائده بحظ وافر ... واترك كثير القول فهو هشيم

واسلك سبيل الفالحين وقد مضوا ... فهو السبيل وما عداه سقيم

فطنوا إلى قصر الحياة فبادروا ... فالعمر يمضي والرضيع فطيم

نالوا من العلم المفيد ثماره ... والعجز للعلم المفيد خصيم

لم يسأموا مما ينال بهمة ... سأم اللبيب إذا يطول ذميم

يبقى أنيس المرء علم نافع ... ما سار في فلك السماء نجوم

والمال عز في الحياة ورفعة ... قد عاش بؤسا في الحياة عديم

أنعم به إن كان من حل أتى ... عصب الحياة وشأنه معلوم

والقصد في الإنفاق محمود كما ... ينهى عن الإسراف فهو وخيم

والبر والإحسان لا ينساهما ... شخص كريم النفس وهو رحيم

بالعلم والمال اللذين توافرا ... بكليهما عيش الحياة كريم



عمرو طه
قاص مصري

إذا استقبلت العالم بالنفس الواسعة، رأيت حقائق السرور تزيد وتتسع، وحقائق الهموم تصغر وتضيق، وأدركت أن دنياك إن ضاقت فأنت الضيق لا هي.

مصطفى صادق الرافعي

إنني لا أريد أن أغير وجه العالم بالطبع. لربما أفلحت أكثر إذا ما قلت إنني أتمنى أن أغير رؤيتي لهذا العالم.

هنري ميلر

لأننا فشلنا في خلق إنسان يفكر، لم يتكون لدينا شعب، بل تشكل لدينا جمهور، جمهور مصفق، وجمهور لاعن، يصفق مرة، ويلعن مرة.. لكنه لا يفكر.

إميل سيوران

نحن نتكئ دائما على من نثق بقلوبهم لا بأيديهم، لأن قوة البدن تخون صاحبها أحيانا، أما قوة المشاعر فلا تخون أبدا.

شمس التبريزي

لن يكفيك دفء أحضان العالم مجتمعة لتشعر بالأمان ما لم تحتضن نفسك من الداخل.. كن مسالما مع جوارحك وجروحك لأجلك.

نجيب محفوظ

لا يستنير الإنسان بتخيل أشكال النور بل بإدراكه لظلامه

كارل يونغ

أ. د. محمد حسان الطيان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق



آفاق البلاغة

العربية لغة البهاء والجمال، طالما تغنى الشعراء بجمال ألفاظها، وإحكام نسجها وتراكيبها، وطرافة دلالاتها ومعانيها.. وطالما نوه عاشقوها ببيانها الساحر، وإيجازها الباهر، وثرائها النادر..

إن الذي ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره في الضاد

وطالما تساءل الناس عن أقصر السبل للوصول إلى معرفة هذا كله، أعني الوقوف على أسرار الجمال والبيان في هذه اللغة الشريفة، وتذوق نصوصها على النحو الأمثل. ولعل علم البلاغة هو خير من يجيب عن هذا التساؤل، فالغرض الأول من دراسته هو التمرس بالوقوف على معالم وصوى تبين لنا أبرز مواطن الجمال في القرآن الكريم.. والحديث الشريف.. والشعر.. والأدب.. والخطب.. والأمثال.. والكلام بشكل عام.

والحق أن هذه الدراسة تعين على تحسس مواطن الجمال، ولكنها لا تحصرها جميعا، ولا تحيط بها جميعا، ولا تقف عليها جميعا.

بلاغة الفطرة وبلاغة الفكرة

إن الجمال في لغتنا أعظم من أن تحيط به قوالب مصنوعة أو قواعد جامدة، إنه فضاء واسع يبدأ من صوت الحرف وائتلافه مع رصيفه، لينتقل إلى بنية الكلمة ووزنها وإيقاعها، وليصل إلى تأليف الجملة ونظمها وجرسها، وليصب فيما توحي به من صور، وما تخلفه من انطباعات، وما تحيط به من عوالم.

إنه عملية في غاية التعقيد والتركيب، كما أنه عملية في غاية اليسر والبساطة؛ فقد أدرك هذا الجمال البدوي الأمي، بصفاء سريرته، ونقاء فطرته، وسمو طبعه، وهذا ما سماه بعض الباحثين: بلاغة الفطرة. ثم خلف من بعده خلف أضاعوا اللغة واتبعوا العاميات واللهجات، وتباهوا بالأعجميات والرطانات! ففقدوا الذائقة السليمة، والسليقة المواتية، والطبع الفطري، فاحتاجوا في سعيهم نحو تبين وجوه الجمال في هذا اللسان الشريف إلى ما يسمى ببلاغة الفكرة، وهي هذا العلم الذي نقدم له.

سبل اكتساب ملكة البلاغة

بيد أنه ينبغي التنبيه منذ البداية على أن كل علوم اللغة -وعلم البلاغة واحد منها- لا تجدي إن لم تقترن بالإقبال على نصوص العربية قراءة وحفظا وسماعا وتذوقا، وقد قال بذلك كبار أهل اللغة والأدب والنقد والعلم، وحسبي أن أسوق هنا كلمة ابن خلدون الفذة التي يبين فيها سبيل اكتساب ملكة اللغة والبلاغة في مقدمته:

«اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال؛ لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم يتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة».[١]

ونحن اليوم كلما ازداد رصيدنا من نصوص العربية الجميلة ازددنا قدرة على تذوق هذا الجمال، والإحساس به، ومحاكاته ثم الإبداع فيه.

إن طريق الإبداع لا بد أن يمر بالقراءة والاطلاع، ثم التخير والانتقاء، ثم الحفظ والانتفاع، ثم التمثل والانطباع، ثم المحاكاة والمقاربة، ثم الابتكار والإبداع.

ولعل وصية يحيى بن خالد بن برمك لبنيه تشير إلى شيء من ذلك إذ قال لأولاده:

«اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون».[٢]

ومن بديع ما ورد في تخير الكلام الذي يحسن أن يكتب ويحفظ ويتحدث به، ما قاله خالد بن صفوان: في هذه الكلمة الجامعة:

« خير الكلام ما طرفت معانيه، وشرفت مبانيه، والتذه آذان سامعيه».[٣]

وقد أوجز القرآن غاية الإيجاز وأحسن غاية الإحسان حين عبر عن مضمون ذلك كله بقوله جل وعلا:

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ (الزمر١٧-١٨).

كيف نفيد من هذه الملكة؟

ويأتي علم البلاغة بعد هذا كله ليعلم الطالب سبل استعمال هذه الملكة التي امتلكها، كيف يتكلم؟ وكيف يصيب المعنى والقصد؟ ومتى يؤكد كلامه؟ ومتى يرسله؟ ومتى يحسن الإيجاز؟ ومتى يحسن الإسهاب؟ وأين يضع كلماته ليوافق مقتضى الحال؟... وغير ذلك من بحوث يثيرها علم البلاغة فتكتمل للمرء أدوات الفصاحة والبيان؛ لأن المهارة ليست بكثرة الكلام ولا طول البيان، وإنما هي بوضع الأمور في نصابها، وإعطاء المعاني مستحقاتها، فإن لكل مقام مقالا، ولكل تعبير أصولا.

قال خالد بن صفوان لرجل كثر كلامه: إن البلاغة ليست بكثرة الكلام، ولا بخفة اللسان، ولا كثرة الهذيان، ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة[٤]، وقيل لرجل: ما البلاغة؟ فقال: حسن الإشارة، وإيضاح الدلالة، والبصر بالحجة، وانتهاز مواضع الفرصة[٥].

وقال ابن رشيق في العمدة: «البلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة»[٦].

فقد يكون السكوت في بعض المواضع أبلغ من الكلام، وقد تكون اللمحة الدالة أبلغ من الإطالة المملة، ورب إشارة أبلغ من عبارة، ورحم الله من قال:

واعلم بأن من السكوت إبانة
ومن التكلم ما يكون خبالا[٧]

أهمية علم البلاغة وفضله

تتبدى أهمية هذا العلم وفضله في مجالات كثيرة أبرزها:

١- معرفة إعجاز القرآن الكريم وسمو بيانه وبلاغته.

٢- الوقوف على وجوه الجمال والإبداع في الكلام العربي شعره ونثره.

٣- الإسهام في تنمية ملكة النقد الأدبي.

٤- تكوين الذائقة الأدبية والجمالية عند الطالب.

٥- اكتساب مهارة التعبير الأدبي البليغ.

ولا ريب أن البند الأول -وهو معرفة إعجاز القرآن- كان محط الاهتمام الذي آذن بنشأة هذا العلم وتطوره، إلى أن آتى أكله على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني الي ينسب إليه علم البلاغة.

وفي هذا يقول أبو هلال الحسن العسكري في كتاب الصناعتين:

اعلم -علمك الله الخير، ودلك عليه، وقيضه لك، وجعلك من أهله- أن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ -بعد المعرفة بالله جل ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها.

وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها»[٨].

خير ما يعلم البلاغة

ولا بد من التنبيه على أمر جد مهم، وهو أن خير ما يعلم البلاغة كتب أئمة البلاغة الذين كتبوا عنها بأسلوب بليغ وبيان عال كالإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة؛ لأن القارئ فيهما يأخذ البلاغة من منبعها، فيتعلم أصول هذا الفن مكتوبة بقلم أديب بارع، ومعلم متذوق، وفصيح بين متفوق، فيجمع في قراءته إلى المعرفة الذوق، وإلى العلم الفن، وحسبك به من غنم.

على أن ذلك لا يعني ألا يستعين أولا بالمختصرات السهلة التي وضعت في هذا الفن، كهذا الكتاب الذي نشرحه (دروس البلاغة)، و (البلاغة الواضحة)، و(حسن الصياغة في فنون البلاغة)... فإنها وسيلة يتوسل بها الطالب إلى تلك الكتب الرائعة، والله المستعان.

الهوامش

١- مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٧٨-١٢٧٩.
٢- البداية والنهاية ١٠/٢٢١.
٣- لسان العرب (طرف).
٤- بهجة المجالس ١/٦٨، وربيع الأبرار، للزمخشري ٤/٢٥٤.
٥- بهجة المجالس ١/٧٢.
٦- العمدة ١/٢٤١.
٧- العمدة ١/٢٤١.
٨- الصناعتين، لأبي هلال العسكري ١/١.

أحمد راشد أحمد
عضو اتحاد كتاب مصر



ورقة من دفتر أمل

من هنا وهناك تمتلئ الصالة بالركاب، نصطف أنا وأبي وأمي؛ حتى تضمنا الطائرة، يغلبني شوقي للقاء قريتي بعد كل هذه السنوات؛ فلا أرى سواها، كان خوفي الوحيد هو لقاء جدتي، كيف سأنظر إلى عينيها بعد وفاة جدي؟ كرهت الغربة وتبعاتها، كان جدي هو من حفر بذاكرتي أول خطوط الحياة، لقد تعلقت بثيابه منذ صغري، بعد انشغال أبي بعمله؛ وسفره من وقت لآخر، كانت حياته ممتعة، ومحبته طرحت في قلبي نخلة عتيقة تأبى الانحناء أو التخلي عن جذورها.. يستيقظ مبكرا كعادته، ينهض من رقدته، يوقظ جدتي، يتوضأ، يبحث عن مصحفه، فلا يجده مكانه، وبعد رحلة بحث قصيرة، تجد جدتي المصحف، ترى على وجهه علامات الضيق، تهدئ من روعه وتقول: أمل ولد ولدك نقل المصحف من مكانه.. يشيح بوجهه عنها ثم يقول: أيقظي الأولاد لصلاة الفجر. يراني ممسكا بجلبابه؛ خوفا من أن يخرج من دوني، ينسى غضبه، يضحك ويقبلني ويقول: لا تخف، سوف نذهب معا إلى المسجد.

يعلو صوت مضيفة الطائرة بضرورة ربط الأحزمة، فتخرجني من سفري اللحظي، وتزيد من شوقي إلى لقاء الأحبة، لقد تعلق قلب جدي بي من قبل ولادتي، وهو من أصر على تسميتي بـ«أمل»، تيمنا بالشيخ أمل، شيخ الطريقة التي ينتمي لها.

كانت الحياة عنده مواسم للطقوس والحكايات، في الصيف ينتهي من أعمال الحقل، يجلس أمام البيت، يتسامر مع أقرانه مرات، ويذهب إلى الحضرة مرات أخرى، وفي الشتاء، يوقد النار ويجمعنا حوله ويحكي لنا الحكايات التي لم يسعفني الزمن لتدوينها، وفي شهر رمضان، يتفرغ لمائدة الرحمن.

وها هو رمضان يهل على الدنيا من

غيرك، لا أعلم إن كان أعمامي قد حافظوا على إرثك العزيز، أم أن مشاغل الدنيا ذهبت بذكراك بلا رجعة.
كالعادة تخطفني المضيفة من سفري معك، ولكنها الآن تعلن هبوطنا إلى أرض الوطن بسلام.
على مرمى البصر لمحت أحد أعمامي ينتظر بسيارته أمام بوابة الخروج، بكل حميمية كان لقاؤنا الأول، تناول هو وأبي أحوال البلدة طوال الطريق، يتسلل العبق داخلي كلما اقتربنا من القرية، وعلى مشارفها بدأت نفسي تستريح باكتمال المشهد وراحة الروح، كان حضن جدتي هو جائزتي بعد طول الغياب، بادلت الجميع تحياتهم، وأنا أحاول التحكم في دموعي التي انهمرت مع مواجهة جدي داخل البرواز، وذلك الخط الأسود المائل يغزو جمال الصورة، دون أن يكسر هيبة شاربه المنتصب.
كانت الشمس قد قاربت على الغروب، توجهت مباشرة إلى خارج المنزل، فلم أجد إلا أعمامي وأولادهم، كانوا ينتظرون أذان المغرب وكل منهم يلهو بهاتفه، أين ذهبت المائدة التي كان جدي يزينها بهيبته ووقاره؟ أين الضيوف والفقراء؟ انطلق الأذان، ولم أجد من رائحة جدي إلا تلك التمرات، حتى طعام المحبين له مذاق مختلف، انشغل الجميع بالطعام بينما روح جدي تحوم حزينة حول المكان.. يذبح الذبائح، يلتف الوجهاء والفقراء حول مائدة واحدة، يصر على إطعام المارة، ولا يتناول طعامه إلا بعد إفطار الجميع، وفي نهاية اليوم يأتي الشيخ عرابي يقرأ ما تيسر من القرآن، نلتف حوله بخشوع، وبعد أن يفرغ ينظر جدي لنا مبتسما ويخرج لنا البلح والفول السوداني وأطباق الحلوى، فنظل في حضرة الطعام حتى يحين أذان الفجر..

كانت يد جدتي وهي تربت على كتفي من أخرجتني من سفري هذه المرة.
ظللت مستيقظا طوال الليل أراقب القرية من شباك غرفتي، وكأني أبحث عن شيء ما، بدأت عيني تتحرك يمينا ويسارا ولا أعلم ما وجهتها، لم يتبق من زينة رمضان غير بعض الألوان البراقة التي لم تسترح لها نفسي، انتظرت العم محروس بائع الترمس، تذكرت صوته وهو يهز أركان القرية: «بليلة وترمممس، أيوه اللذيييذ».
ولكنه لم يحضر، انتظرت عم هريدي بائع الفول وهو يردد: «فوووول يا حبايب الفووول». ولكنه غاب أيضا عن المشهد، حتى عيسى المسحراتي ذهب مع طبلته بلا عودة، لم أكلف نفسي السؤال عنهم لأن المحصلة واحدة، رحلت كل معاني الجمال مع رحيل جدي، تداخلت الأسئلة والحسابات داخل رأسي، هل هي سنة الحياة في التغيير؟ أم هي سنة الفراق؟ كنت أظن أن وفاة جدي هي المحطة الوحيدة للفراق الأبدي في هذه الحياة، ولكنني اكتشفت أنني افتقدت قريتي بأكملها، سألت نفسي: ما الفرق بين قريتي وبلاد الغربة؟ وهل يشعر أبي وأمي بما أشعر به الآن؟ لم يعد الأمر كما كان، ولا أظن أنني سأحمل حنينا لأحد بعد الآن، لم أستطع الصمود أمام إرهاق جسدي واستسلمت للنوم.
أعلنت شقشقة العصافير بداية اليوم الجديد، بعثت ألحانها مع خيوط الشمس الدافئة في نفسي بارقة أمل، ولكنها لم تزح عن كاهلي هالة الجمود التي تملكتني منذ وصولي، قررت الذهاب إلى قبر جدي والاستئناس به، لعلني أجد نفسي التائهة، وعند قبره كانت المفاجأة! لقد ظننت أنني سوف أكون وحدي، ولكني وجدتهم يحيطون بالقبر ويقرأون القرآن، لقد تعرفت

إليهم بالرغم من خطوط الزمن التي حفرت في وجوههم قبورا للسعادة، فكبروا أضعاف أعمارهم، أخذوا يتفحصون وجهي، وبعد همهمات ومشاورات تأكد إحساسهم.
بكل حرارة تبادلت معهم السلام والتحية، غلبتهم دموعهم، وأصروا على البقاء معي حتى قاربت الشمس على الغروب، ومصاحبتي حتى باب الدار.
وعند طعام الإفطار جلست بجوار جدتي كعادتي شارد الذهن، لم أكن أسمع أحاديث أبي وأعمامي، لاحظت أمي ذلك، وبدأت عليها علامات الاستفهام، حاولت أن تعرف ما حل بي، ولكنها لم تصل معي إلى شيء، كنت قد عزمت الأمر، ولم يعد الأمر يحتاج إلى استشارة أحد.
وفي الصباح، اجتمعت مع المقربين لي من أبناء أعمامي، وبعد نقاش قصير توجهنا حيث ترقد البهائم، اخترت أسمنها، كبرنا عليها بكل ما نملك من صوت، خرج أبي وأعمامي مسرعين لمعرفة ما يحدث، تسمروا مكانهم، بدا بعضهم غاضبا، بينما أعرب أبي عن رضاه، انطلقت الزغاريد من نساء الدار، مبتهجات بعادات اشتاقت لها أرواحهن، وسارعن إلى صحن الدار، يشاركننا في التجهيز.
لم يكن الأمر يحتاج إلى صعوبة في دعوة وجهاء وفقراء القرية، وكأنهم وجدوا ضالتهم في المائدة التي لمت شملهم مرة أخرى.
أحسست بنسمة هواء خفيفة تمس روحي وأنا منشغل بإطعام الضيوف على مرمى البصر، كانت جدتي ترفع يدها للسماء، أسرعت إليها، وجدتها تترحم على جدي، وتدعو لي وله، قبلت يدها، احتضنتني بينما عيناها تهطلان بدموع الفرحة، نهضت من مكانها، ألبستني جلباب جدي، أعطتني عصاه!

زهير بلحمر
استشاري أسري ومرشد نفسي



هواية الطفل والتوازن النفسي

لما كان الإنسان عبارة عن وحدة متكاملة، تتكون من جسد وعقل ونفس وروح، فهو يحتاج إلى إشباع حاجات هذه المكونات كاملة: الفسيولوجية والفكرية والروحية كما يحتاج أيضا إلى إشباع حاجاته النفسية؛ ومن تلك الحاجات حاجته إلى المتعة ليحقق اتزانه النفسي، ويستعيد فعاليته في الإنتاج، فكما أن الجسد يحتاج إلى الغذاء من الطعام والماء ليقوم بأدواره، ولينمو نموا سليما، والروح تحتاج إلى عبادة خالقها لتطمئن وتهدأ، والعقل يحتاج إلى العلم والتفكر وغير ذلك من الأنشطة الذهنية حتى يقوم بوظيفته على أحسن وجه؛ فإن النفس تحتاج أيضا إلى غذاء من نوع خاص، وهو الترويح والترفيه واللعب حتى لا تقع في الرتابة والسآمة والملل الموقع في الضجر والنفور من العمل الجاد، وتتخطى التوتر وتتجاوز بذلك الضغوط التي تواجهها في الحياة بنجاح، بل إنها تحولها حينئذ إلى طاقة إيجابية نافعة.

شروط الهواية التي تشبع الحاجة إلى الترفيه والترويح:

والهواية التي تتحقق من خلالها المتعة غير المزيفة يشترط فيها أن لا تتعارض



مع قيم الشخص ومبادئه، ولا يلحقه أي ضرر، ماديا كان أم معنويا، عند مزاولتها، سواء أثناءها أم بعدها، بحيث لا يشعر بتأنيب الضمير، ولا يحس بالذنب لممارستها، فتشبع الحاجة حينئذ بطرق إيجابية سليمة، كما يشترط أن لا تكون منطقية تحتاج إلى عمق في التفكير؛ فتؤدي إلى الوقوع في التفكير الزائد؛ أو إلى تركيز شديد في الانتباه، خاصة أننا في الدراسة أو المذاكرة والمراجعة نوظف كل هذه العمليات الذهنية التي نحتاج إليها من أجل الفهم والاستيعاب و الحفظ للدروس والقواعد، كما يشترط في الهواية التي تشبع حاجتنا إلى الترفيه والمتعة أن تكون فردية؛ بحيث يمكننا مزاولتها في أي زمان أو مكان، ولا تحتاج إلى الاعتماد على أي شخص آخر لكي يساعدنا على مزاولتها.

وهذا لا يمنع من مشاركة ممارسة هواياتي مع من لهم الشغف نفسه بين الفينة والأخرى، كلما أتيح لي ذلك، وفي هذه الحالة أشبع الحاجة إلى اللعب والترفيه، والحاجة إلى الانتماء في الآن نفسه.

ولهذا تعرف الهواية على أنها ذلك «النشاط الذي يقوم به الفرد دون التماس مكافأة، بل تلبية لمطلب نفسي أو اجتماعي»[١].

هذا المطلب النفسي والاجتماعي يكمن في إشباع الحاجة إلى الترفيه والترويح والانتماء على اعتبار أن الهواية هي «ذلك النشاط الذي نزاوله بانتظام في وقت الفراغ بهدف الاستمتاع»[٢].

كيف أبني هواياتي؟

نبني هواياتنا بمراعاة هذه الشروط والمعايير وبالإجابة على الأسئلة الآتية: ما هي الأشياء التي كنت أستمتع بها في الماضي؟ ما هي الأشياء التي إذا فعلتها أشعر بالسعادة والراحة ولا أبالي بمرور الوقت وأنا أمارسها؟ أين يكمن شغفي؟ بعد الإجابة على هذه الأسئلة أنتقل إلى الفعل والتجريب حتى أكتشف ما الذي يمتعني ويسعدني، والقاعدة في هذا الصدد هي أن الذي يسعد غيري ويمتعه ليس بالضرورة هو الذي سيسعدني ويمتعني لهذا لا ينفع التقليد هنا ولا تجدي التبعية.

أثر ممارسة الهواية في تحقيق التوازن النفسي:

هذه الهواية بهذه المواصفات التي يمارسها الشخص بحب وشغف قد تكون قراءة قصص جحا، أو نكت مضحكة، أو الرسم أو التلوين، أو المشي، أو غير ذلك من الأنشطة الحسية والحركية التي تحفز الخيال وتثير الابتكار وتطور ملكة الإبداع عندنا، وهي كفيلة بأن تحقق المتعة لصاحبها، وتسهم في استعادة اتزانه النفسي؛ بل إنها يمكن أن يكون لها دور في الوقاية من الأمراض وتعزيز الجهاز المناعي لدينا؛ وهذا ما تؤكده عالمة النفس جيل ليكي: «يمكن للأنشطة الإبداعية أن يكون لها تأثير شاف ووقائي على سلامتنا الذهنية... فهي تعزز الجهاز المناعي، وتقلل التوتر»[٣].

كما أن ممارستها بانتظام أداء لحق النفس علينا[٤]، ذلك أن الفرد بواسطتها يفرغ انفعالاته السلبية من توتر وضغط نفسي وقلق وغيره، ويستأنف بذلك نشاطه وحماسه و جديته، ورغبته في العمل والإنجاز من جديد. و«يصبح وقت الفراغ وقتا يتم فيه الارتقاء الإنساني وتحقيق الارتقاء الشخصي وتحقيق الذات»[٥].

الهوامش

١- معجم مصطلحات علم النفس، مدحت عبد الرزاق الحجازي، دار الكتب العلمية، ط: (١)، (٢٠١٢م)، (ص: ٣٧٢).

٢- قاموس أكسفورد الحديث، ط: (٢٠٢٠م) للغة الإنجليزية. (ص: ٢٨٤).

٣- التوتر سيكولوجية إدارة الضغط النفسي، استراتيجيات عملية لتحويل الضغوط إلى طاقة إيجابية، ديان ماكينتوش وجوناثان هورويتز، مكتبة جرير، ط: (١)، (٢٠٢٠م)، (ص: ١٨٧).

٤- انسجاما مع قول سلمان الفارسي لأبي ذر الغفاري رضي الله عنهما الذي أقره النبي ﷺ عليه في قوله «إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه». فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان». رقم الحديث: (١٩٦٨م). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ).

٥- الموسوعة العربية لعلم الاجتماع، نخبة من علماء العرب في علم الاجتماع، الدار العربية للكتاب، ط: (٢٠١٠م)، الفصل الخاص بالترويح، (من تأليف عبد العزيز الوارتي)، (ص: ٢٥٢،٢٥٣).

علاء خيري
كاتب وباحث



الطلاق يهدم كيان الأسرة والمجتمع

الأسرة في الإسلام وجدت لتبقى، وتبقى لتوجد مجتمعا مترابطا يحمل رسالة الإنسان في هذه الحياة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

وترى الآية الكريمة وهي تسوق حقيقة النفس الواحدة، وزوجها الذي هو منها، وما نشأ عن زواجهما من بشر كثيرين، وعن الأرحام الواصلة بينهم، تراها تأمرنا بتقوى الله مرتين، وتذكرنا برقابته المستمرة علينا، وكان المتوقع أن تأمر بشكر الله والثناء عليه في مقام تعددت فيه النعم وعظمت، لكن الآية تنظر من وراء الحجب إلى أفق غائب غائم، تحذرنا منه، فيه سيتهاون الناس بالأسرة وبنيانها معرضين الكيان الاجتماعي للجنس البشري لأوخم العواقب. إن الأسرة ليست نزوة طارئة تقتنص لذتها ثم تمل، وليست محطة عابرة نحط بها زمنا ثم نرتحل، وإنما هي الحياة في دورتها الدائرة الدائبة، طفولة ثم شباب، وشباب ثم شيبة، ثم تعاود الدورة حركتها من جديد، كل ذلك في صورة أسرة تتشكل، ثم تمتد؛ لتحتضن، وتربى، وترعى. وما نعيشه اليوم يؤكد أن ما كانت تخشاه الآية علينا قد حل بنا بعضه، فالأسرة تتعرض لهزات



عنيفة تعصف بكيانها، وأخطرها ما ينالها لأول نشوئها، وهي نبتة صغيرة تستقبل من الحياة أوائل أشعتها، فقد تزايدت نسب الطلاق، والطلاق الذي لا يفصله عن احتفالات العرس غير سنة أو أقل. وكأنما سجل هذا النوع من الزواج على وثيقة طلاق.

فإن الطلاق يهدم كيان الأسرة ويفرق بين أفرادها، والطلاق يقع بكلمة واحدة يتفوه بها المرء في بساطة، وتبقى آثارها الاجتماعية والنفسية مدمرة وعنيفة، لكن كيف يكون الحال لو لم يقع الطلاق فعليا ورسميا، ومع ذلك تعاني الأسرة من جميع مظاهره وآثاره وسلبياته. لقد كان الطلاق لعهد ليس بالبعيد يمثل شبحا مخيفا للزوجين، لا يرد لهما على بال إلا في الأحلام المزعجة التي يستعيذون عقبها من الشيطان الرجيم. إن السبب الحقيقي الذي أتاح للأمور السابقة أن تتغول وتستفحل منهية العلاقة بالطلاق هو ضعف أو انعدام الإرادة لدى الزوجين أو أحدهما للعيش المشترك.

لقد فقدت فكرة الأسرة لديهما قدسيتها، وأصبح الزواج تجربة لا يقلقهم فشلها. هذه الإرادة التي أحدثك عنها هي التي ذكرها القرآن الكريم علاجا للشقاق الناشب بين الزوجين، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥).

وقد استخلص الفقهاء من نصوص الشريعة المتكاثرة ضرورات خمس أوجب الشارع حفظها؛ لبقاء الدنيا والدين، من بين هذه الخمس: الحفاظ على العرض والنسل؛ فالنيل من قدسية الأسرة ضرب للأمة في أغلى مقدراتها. والقوى الشيطانية على تعدد صورها وامتداد تواجدها تسعى جاهدة لإفساد العلاقة الأسرية كرابطة اجتماعية، قال ﷺ: (إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت) المصدر: صحيح مسلم.

فإبليس -كما ترى- يحتفي بولده الذي يتمكن من زرع الشقاق بين الزوجين، ويضمه إلى صدره معتبره أنجح أولاده.

أسباب انتشار الطلاق

للطلاق أسباب كثيرة ومتعددة، وهي ترجع إلى أسباب خلقية واجتماعية واقتصادية، وقد تكون هذه الأسباب من الرجل وحده، أو من المرأة وحدها، أو منهما معا، أو من البيئة المحيطة والمؤثرات الخارجية، ولعل من أهم أسباب الطلاق:

سوء اختيار كل من الزوجين الآخر:

قد يخطئ أحدهما في اختيار الآخر بصورة لا تتفق مع المعيار الشرعي من الخلق والدين؛ مصداقا لقوله ﷺ: (تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) رواه مسلم (ص ١٤٦٦).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) حسنه الألباني في صحيح الترمذي .

فإن ذلك يؤدي إلى وقوع الخلاف بينهما بصورة لا يستطيع أحدهما الاستمرار مع الآخر، مع استنفاذ كل وسائل الإصلاح الشرعية المعروفة للحد من مظاهر هذا



الخـلاف والـشـجـار، واسـتـحـكام الـنـفـرة بيـنـهـما، فـعـنـدئـذ يـكـون الطلاق هو الملاذ الأخير.

تدخلات أهل الزوج أو الزوجة:
الأصــل أن يـسـتـفـيـد الـزوجـان مـن تـوجـيـهـات الأهـل بمـا يخدم حياتها الزوجية، والأصل أن تكون توجيهات الأهـل بما يرضي الله، ويحقق الهدف من قيام الأسـرة السعيدة، ولكن إذا خرجت هذه التوجيهات عن نطاق الشرع، وعن هدف تحقيق قيام الأسرة السعيدة، وأخذت منحى التدخل في حياتها سعيا لتحقيق أهـداف خاصة من سيطرة أحد الطرفين على الأخر وابتزازه ونحو ذلك، فإن ذلك سبب وجيه لحدوث الخلاف والنزاع بين الـزوجـين، قـد يـؤدي إلـى الفرقة بينهما إذا فشلت جهود الإصلاح بينهما.

- ومـن أسـبـاب الـطـلاق أيضا فـي هـذا العصر: انتشار وسائل التواصل الاجتماعي بشكل مخيف ومرعب، وصل إلـى حد الظاهرة التي باتت تهدد كيان الأسـرة؛ من حيث إنها شغلت كل أفراد الأسرة عـن الـتـواصل مـع الآخـر، وزادت الفجوة بين الزوجين، وشغلت المرأة قبل الـرجـل عـن بـعـض الحـقـوق الزوجية، بل أصبحت طريقا سهلا ميسورا لارتكاب المحـرمـات؛ مثل الخيانة الزوجية التي هـي سبب رئيسي من أسباب الطلاق.

الآثار السلبية للطلاق
وقد ذكر العلماء كثيرا من الآثار السلبية للطلاق؛ منها ما يعود على الحياة الأسـريـة، ومنها ما يعود على الحياة الاجتماعية.

من أهم الآثـار السلبية على الحياة الأسرية:
- الفرقة بين الزوجين، وابتعاد كل منهما عن صاحبه، وانتهاء ما كان بينهما من عشرة.
- تمـزق الحـيـاة الأسـريـة إذ لم يعد يجمع الـزوجـين بيت واحـد يعيشان فيه، ويقومان معا برعاية أولادهما، بل سيؤدي هذا التمزق الأسـري إلـى حرمان الأولاد من رعاية الوالدين معا.
- تشتيت الأولاد بين الزوجين، نتيجة نزاعاتها التي تصل إلى المحاكم بما يؤثر سلبا على حياة الأولاد؛ مما يجعلهم يصابون بـاضـطـرابـات نفسية وسلوكية، وتعاسة مضاعفة تـفـوق تعاسة الـزوج والـزوجـة بـعـد الـطـلاق، بالإضافة إلى أنهم يعانون أيضا من انهيار الثقة بالنفس والفشل



والإحباط.

● سوء العلاقة بين عائلتي الزوجين، وغالبا ما ينشأ بينهما شقاق ونزاع بدلا من المحبة والوئام.

ويبقى السؤال كيف نحد من انتشار ظاهرة الطلاق؟ وما العلاج؟

● حسن الاختيار للزوج والزوجة، فإن كان الاختيار سليما، دامت العشرة بين الزوجين، وإن كان الاختيار سيئا، كان سببا في وقوع التنازع والنشوز والشقاق، ثم الطلاق.

● الكفاءة في الزواج، سواء من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فلا يخضع في اختياره لحكم الهوى والنزوات العابرة، فالزواج من الأمور الخطيرة في آثاره، فلا بد أن يتم الإقدام عليه بحكمة وروية.

● معرفة كلا الزوجين بالحقوق والواجبات؛ لأن المصيبة أن يزوج الرجل ابنه أو ابنته وليس عندهما الحد الأدنى بالحقوق والواجبات الزوجية والمسؤولية التي تقع على عاتقهما، فيحدث الشجار عند كل هفوة؛ مما يزيد الفجوة والبغض بين الزوجين.

● التغاضي عن الهفوات والأخطاء اليسيرة، وهذا من حسن الخلق، وليتذكر الزوجين بعض التوجيهات النبوية، فهي معالم في طريق الحياة الزوجية، وهي كفيلة بأن تدفع سفينة الحياة الزوجية إلى الأمام في هذا البحر الخضم المتلاطم من الفتن، ومن أمثلة ذلك - ومن هذه التوجيهات - ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) رواه الترمذي، وقوله أيضا عن أبي هريرة: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا، رضي منها آخر) رواه مسلم.

ولتتذكر المرأة أيضا حديث النبي ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت) فالزوج بالنسبة للمرأة به تدخل الجنة وبسببه تدخل النار. رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

هذه بعض الأسباب والآثار والعلاج والتوصيات لظاهرة الطلاق وانتشارها في المجتمعات العربية والإسلامية، وهي بمنزلة الخطوط العريضة، ومن باب التوعية ودق ناقوس الخطر قبل فوات الأوان.

حسن عثمان حسن
باحث دراسات إسلامية

التحذير من شهادة الزور

شهادة الزور من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب ولذلك أمرنا القرآن الكريم باجتنابها وحذرنا منها قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج:٣٠) وقال عن عباد الرحمن المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (الفرقان: ٧٢) فالمؤمن الحقيقي لا يكذب ولا يشهد بباطل بل يقول الحق ويشهد به إرضاء لله عز وجل وامتثالا لأمره باجتناب قول الزور وحتى لا يقع في الظلم الذي هو ظلمات يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾(النساء:١٧١).

وكذلك حذر منها النبي ﷺ تحذيرا شديدا فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وجلس وكان متكئا «ألا وقول الزور» قال: «فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» (رواه البخاري)، فالرسول ﷺ يكرر التحذير من شهادة الزور لأنها جريمة عظيمة يتعلق بها شر عظيم وظلم للناس فهي تقلب الحقيقة بجعل الظالم مظلوما والمظلوم ظالما، ولأنها تشتمل على تعمد الكذب إذ فيها إخبار بالشيء بخلاف ما هو عليه على وجه التعمد للإضرار بالغير وإعطاء خصمه ما لا يستحق، ففيها بجانب الكذب ظلم عظيم وميل عن الحق، فنظرا لما بها من ضرر على الفرد والمجتمع أمر القرآن الكريم باجتنابها في أكثر من موضع، وحذر منها الرسول ﷺ تحذيرا شديدا وهذا يدل على خطورتها لما فيها من تضييع للحقوق بين الناس.

قال الذهبي في كتابه الكبائر: شاهد الزور قد ارتكب عظائم أحدها الكذب والافتراء.

وثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه.

فيجب على المسلم أن يتجنب شهادة الزور ويشهد بالحق حتى لو كانت الشهادة على نفسه أو على أقرب الناس إليه يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥) وإذا كانت شهادة الزور سببا لإبطال الحق فكذلك كتمان شهادة الحق سبب لإبطال الحق، والله سبحانه وتعالى أمر بأداء الشهادة على وجهها وحذر من كتمانها وعاقب كاتم الشهادة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣)

قال ابن عباس: شهادة الزور من أكبر الكبائر وكتمانها كذلك.

ولعظم خطرها قرنها الرسول ﷺ بالشرك بالله وعقوق الوالدين فهي سبب للظلم والجور وضياع حقوق الناس في الأموال والأعراض أو تحليل حرام أو تحريم حلال وظهورها دليل على ضعف الإيمان، ويجب على من فعل ذلك أن يتقي الله ويبادر بالتوبة إلى الله ويعقد العزم على عدم الرجوع إليها مرة أخرى ويرد الحقوق إلى أصحابها إن ترتب عليها ضياع حق ويزيل أي أثر سيئ ترتب على هذه الشهادة.



اقتصاد إسلامي

الأموال التي لا يجوز الحجز عليها

سعيد حسن السعيد
كاتب وباحث

الأصل هو جواز الحجز على كافة أموال المدين، ولكن القانون استثنى بعض الأموال من ذلك فمنع الحجز عليها، وذلك لاعتبارات معينة سواء تحقيقا لمصلحة عامة أو خاصة أو مراعاة لاعتبارات إنسانية، والتي تقضي بعدم تجريد المدين من كل ما يملك، لأن جانباً من أمواله يكون لازما وأساسيا لحياته ومعيشته، لذلك يصبح من غير اللائق إهدار آدمية المدين وتجريده من كافة أمواله، بحيث يصبح عبئا وعالة على المجتمع.

وبناء على ذلك فقد عدد المشرع الكويتي بعض الأموال التي ارتأى ضرورتها لحياة المدين كإنسان، وهذه الأموال منها ما وردت بنص المادة ١١٦ من قانون المرافعات المدنية والتجارية الكويتي، ونذكر منها في هذا المقال ثلاث حالات:

الحالة الأولى

ما يلزم المدين وزوجته وأقاربه وأصهاره المقيمين معه فى معيشة واحدة من الثياب وما يكون ضروريا لهم من أثاث المنزل وأدوات المطبخ، وما يلزمهم من الغذاء والوقود لمدة شهر. كما لا يجوز الحجز على ما يلزم للقيام بواجباتهم الدينية.

ويقصد بأثاث المنزل الذي لا يجوز حجزه ما يكون ضروريا لنوم المدين والمقيمين معه من الأقارب والأصهار أما الأثاثات الأخرى غير الضرورية يجوز حجزها خاصة إذا كان وجودها من باب الترف.

الحالة الثانية

ما يلزم المدين من كتب وأدوات ومهمات لمزاولة مهنته أو حرفته بنفسه، وذلك ما لم يكن الحجز لاقتضاء ثمنها أو مصاريف صيانتها أو نفقة مقررة.

والأدوات اللازمة لمزاولة المهنة وردت لها أمثلة منها الكتب اللازمة لمهنة المدين كما لو كان محاميا والأدوات والأدوات اللازمة التي يستعملها المدين إذا كان طبيبا ، وشرط عدم الحجز هو أن يزاول المدين مهنته بنفسه بهذه الأدوات فإذا كانت مملوكة له ولكن غيره يعمل بها جاز توقيع الحجز عليها.

الحالة الثالثة

السكن الخاص اللازم لإقامة المدين الكويتي وأسرته بشرط أن يكون شاغلا له قبل نشأة الدين، ولا يسري هذا الحكم إلا على سكن واحد له.. ويعتبر السكن لازما إذا كان من البيوت الحكومية أو ما يماثلها من السكن الخاص المقام على أرض لا تزيد مساحتها على ألف متر مربع.

وغاية المشرع في هذه الحالة حماية الأسرة باعتبارها أساس المجتمع الكويتي وضرورة رعايتها من الاستغلال باعتبار أن مساندة الضعيف وذوي الدخل المحدود هو من التقاليد الأصيلة التي تقوم على التراحم والتكافل.

وقد وضع المشرع شروطا يلزم توافرها لعدم جواز الحجز على السكن الخاص منها:

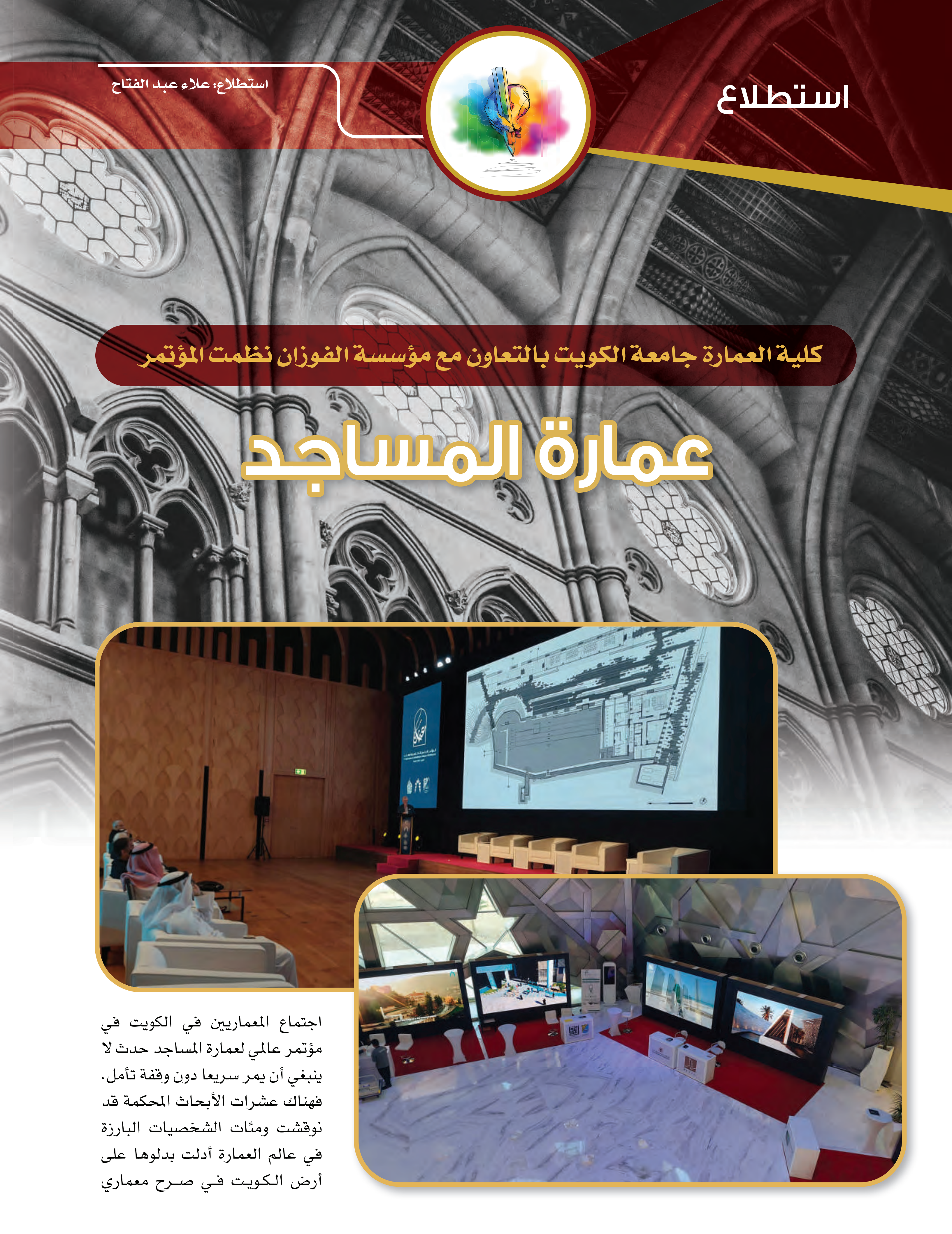
أ- أن يكون السكن الخاص لازما لإقامة المدين الكويتي وأسرته وليس لمباشرة نشاط آخر كمقر لشركة أو مزاولة مهنة، ويقصد بأسرة المدين زوجته وأولاده وذوي القربى الذي يجمعهم أصل مشترك ويقيمون معه في المسكن ويتعهد برعايتهم، كما يقصد بالمدين الكويتي رجلاً كان أو امرأة.

ب- السكن يكون لازما إذا لم تتجاوز مساحته ألف متر مربع ويعتد بالمساحة وقت توقيع الحجز وليس وقت نشوء الدين.

ج - أن يكون هذا السكن هو الوحيد للمدين الكويتي وأن تبقى حاجته وأسرته للمسكن قائمة فإذا أصبح للمدين مسكنا آخر أو أكثر زالت علة عدم الحجز وتزول علة عدم الحجز أيضا إذا تبدلت الظروف الاجتماعية للمدين وأسرته كما لو كبر أبناؤه وصار لكل منهم مسكنه الخاص ثم توفي المدين وزوجته، فحينئذ لا يجوز لورثته التمسك بعدم جواز الحجز على السكن الخاص لمورثهم المدين.

د- أن يكون المدين وأسرته شاغلا لهذا المسكن قبل نشوء الدين ويعني هذا الشرط أنه لو شغل المدين الكويتي المسكن بعد نشوء الدين في ذمته فإن المسكن لا يتمتع بالحماية ويجوز الحجز عليه.

استطلاع: علاء عبد الفتاح



كلية العمارة جامعة الكويت بالتعاون مع مؤسسة الفوزان نظمت المؤتمر

عمارة المساجد

اجتماع المعماريين في الكويت في مؤتمر عالمي لعمارة المساجد حدث لا ينبغي أن يمر سريعا دون وقفة تأمل. فهناك عشرات الأبحاث المحكمة قد نوقشت ومئات الشخصيات البارزة في عالم العمارة أدلت بدلوها على أرض الكويت في صرح معماري



متميز هو مركز الشيخ جابر الأحمد الثقافي.

جاء هذا الحدث الذي نظمته كلية العمارة بجامعة الكويت بالتعاون مع جائزة «عبداللطيف الفوزان لعمارة المساجد» في نسخته الثالثة (ICMA ٣) تحت شعار «المسجد عابر للثقافات»، على مدى ٣ أيام من ١٤ إلى ١٦ نوفمبر الماضي.

«الوعي الإسلامي» تابعت المؤتمر الذي قصده -ليس الأكاديميون فقط- بل الطلبة دارسو فن العمارة والجمهور العام المتذوق لهذا الفن الإسلامي الرفيع.

على هامش المؤتمر قابلنا عميد كلية العمارة بجامعة الكويت الدكتور عمر خطاب فصرح للوعي الإسلامي بأن جائزة الفوزان تنظم عادة كل سنتين مؤتمرا في هذا المجال لمناقشة عناصر تخص تصميم المساجد عموما من نواح مختلفة موضحا: نريد أن تأخذ عمارة المساجد حقها.. فهناك مبان عديدة تعقد حولها دراسات متخصصة، إلا المساجد كأن عمارته شيء مسلم به، ويضيف د. خطاب: التطور لا يأتي إلا عن طريق البحث العلمي والنقاشات، وقد استضفنا في هذا المؤتمر ٤٠ باحثا من مختلف أنحاء العالم -من بينهم رئيس جائزة أغاخان للعمارة- بعد أن قدموا أبحاثا محكمة.

فنحن في كلية العمارة نهتم دائما بهذه المؤتمرات العلمية، وعلى سبيل المثال في عام ٢٠١٦م استضفنا مؤتمر المستوطنات التراثية البشرية تحت رعاية وزير التعليم العالي آنذاك د. محمد الفارس.

ويؤكد د. خطاب: النقاشات جاءت متميزة وأهم ما لاحظته أن الأساتذة والطلبة حضروا هذه المحاضرات معا وتناقشوا مع المحاضرين بشكل مباشر وعملي والكل أُعجب بعمارة الكويت ومساجدها، وخاصة بمركز الشيخ جابر، بعضهم قال لي: نحن انبهرنا بالكويت.

ويلفت د. خطاب في نهاية اللقاء إلى أن الأبحاث طبعت في مطبعة الجامعة بأسلوب راق وأن التنظيم كله جاء محليا، شاكرا تعاون أساتذة وطلبة جامعة الكويت.

يهدف المؤتمر إلى تشجيع البحث في عمارة المساجد، وعادة ما يتناول موضوعات معمارية مختلفة في المساجد، حيث تكون تلك الموضوعات أما فلسفية أو تاريخية أو جمالية أو تقنية أو إنشائية أو وظيفية أو رقمية. ويتم اقتراح المحتوى العلمي لكل نسخة من نسخ المؤتمر العالمي لعمارة المساجد عبر لجنة علمية استشارية خاصة للمؤتمر وتوافق عليه اللجنة التنفيذية للجائزة.

أستاذ العمارة بجامعة الكويت د. عدنان عبدالله العنزي لفت إلى زاوية جديدة تعكس مدى أهمية المؤتمر


ركن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالمعرض المصاحب

د. عمر خطاب مع محرر الوعي الاسلامي

فقال للوعي الإسلامي: الوباء الذي اجتاح العالم قبل سنتين أوضح لكل مسلم قلبه معلق بالمساجد أهمية دور العمارة الحديثة وكيف يستعمل المسلم المسجد وقت الأوبئة، وهو أمر مهم لم يأت ذكره من قبل. سألناه:

هل ترى أن اللوحات المعلقة في بهو قاعة المؤتمرات خير تعريف للأجانب والضيوف الذين أتوا من الخارج بعمارة مساجد الكويت؟

فقال: قد يكون، وهذا جزء من أسباب وجود المؤتمر بالكويت، لكن أهم شيء هو إلمام المتخصص بآخر مستجدات البحث العلمي وأيضا التصاميم الجديدة التي يمكن أن تحل مشاكل على المستوى الحضري أو مستوى المسجد في حد ذاته؟

يتم اختيار اللجنة العلمية لكل مؤتمر من المؤتمرات العالمية لعمارة المساجد من باحثين وأكاديميين ذوي خبرات دولية ومتخصصين في

جائزة عبداللطيف الفوزان لعمارة المساجد

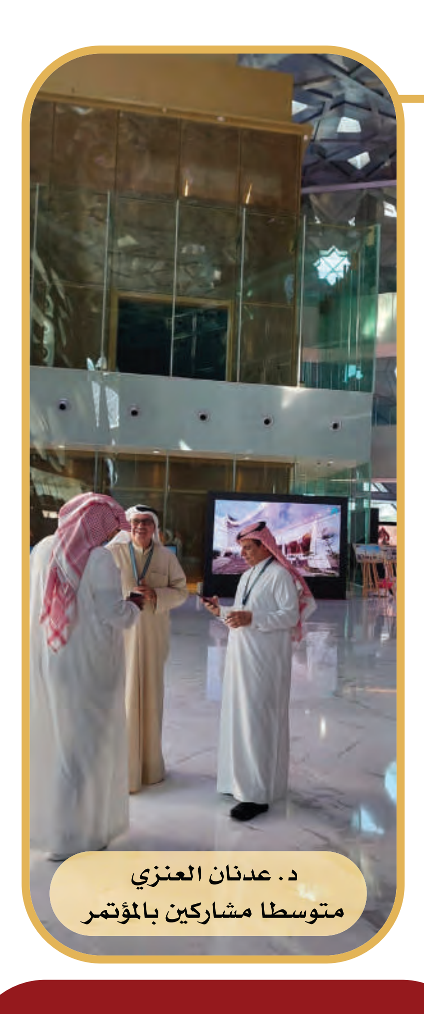
تأسست جائزة عبد اللطيف الفوزان لعمارة المساجد في عام ٢٠١١م، وهي تعنى بالجوانب العمرانية والمعمارية والتقنية للمسجد، وتمنح الجائزة للمكتب الهندسي الذي صمم المشروع الفائز. وتقدم الجائزة عدد من الجوائز كل ثلاثة أعوام، ويتم انتخاب المساجد الفائزة من قبل لجنة تحكيم عالمية مكونة من متخصصين في العمارة والتخطيط العمراني، والفلسفة وعلم الاجتماع. وقد تم تقسيم الجائزة إلى ثلاث فئات.

عمارة وفنون ودراسات المساجد، ولا تقتصر عضوية اللجان العلمية على الباحثين من المعماريين، بل عادة ما تضم اللجان العلمية باحثين في الفقه الإسلامي والهندسة الإنشائية والأديان والفلسفة والعلوم الاجتماعية والأنثروبولوجيا والتاريخ.

الدكتور حسان الحاج قاسم الاستاذ بجامعة الموصل بالعراق قسم هندسة العمارة شارك بورقة بحثية في المؤتمر وحين التقته «الوعي الإسلامي» أكد أن هذا الحدث الاستثنائي يجمع كل ما يتعلق بعمارة المسجد، ليس فقط الشكل والزخرفة إنما بثلاثة جوانب مهمة أخرى؛ الأول: كيف نتعامل مع التقنيات الجديدة في عمارة المساجد؟ أي مع الإضاءة وأجهزة التكييف والخدمات الميكانيكية الأخرى، والثاني: كيف نضع معايير codes للمساجد، والأخوة من السعودية قطعوا شوطا طويلا في هذا المجال وهنا تتم مناقشة هذه الأفكار وترقيتها، أما المحور الثالث فهو كيف ننظر لعمارة المستقبل، ذلك إضافة إلى علاقة المجتمع مع المسجد والخصوصية المحلية لكل دولة.

سألناه عن رأيه في التنظيم فقال: جامعة الكويت دعمت منظمة الفوزان لعمارة المساجد وقدمت حدثا مشرفا لكل العرب.

بعد الاطلاع على إحدى المحاضرات المتخصصة التقت «الوعي الإسلامي» بأحد الزوار الذي قال إن ما شاهده يدل على أنه «خوش» معرض، فاللوحات والمعلومات الموجودة عن المساجد في الكويت يراها لأول مرة، وقد أضافت له معلومات جديدة عن التصاميم وحجم المساجد، ومنها مسجد سعد بن أبي وقاص في منطقة كيفان حيث عمارته المميزة مبينا أنه للتو وصل وسيلتحق بالمحاضرات بعد الجولة في المعرض المصاحب للمؤتمر.



د. عدنان العنزي متوسطا مشاركين بالمؤتمر

مسار المؤتمر الثالث

تناول مؤتمر عمارة المساجد في نسخته الثالثة تقنيات متعددة في التصميم والبناء.

وجاءت محاوره كالتالي:

- ديكورات المساجد وزخرفتها.
- أنظمة وسياسات الاستدامة لتصميم وبناء المساجد.
- تصميم المساجد الصديقة للبيئة.
- عمارة وتصميم المساجد في عصر جائحة كوفيد ١٩.
- مستقبل تصميم المساجد.

د. محمود خليل
المدير العالم السابق بإذاعة القرآن الكريم المصرية



الدكتور محمد المسير مفكرا إسلاميا

في غمرة الحديث عن الراحل الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد أحمد المسير (١٩٤٨ - ٢٠٠٨) تسابق أصحاب الأقلام، وأهل الفكر والذكر، في الحديث عن فضيلته كداعية موفق، وفقيه متمكن، وأصولي قدير، وكاد يضيع في زحام المواهب التي وهبه الله إياها رحمة الله عليه، دوره كمفكر إسلامي من العيار الثقيل، ومجدد مستشرف صاحب رؤية ثاقبة، وفيلسوف له فهم وبصيرة، ولديه مشروع وقضية، وأمامه غاية وهدف...

وقد بدأ نبوغه منذ الصغر، حيث حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وكان ترتيبه الأول على الجمهورية في الشهادة الإعدادية الأزهرية عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م كما كان ترتيبه السادس عشر على طلاب الجمهورية في الثانوية الأزهرية عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م وكانت المرحلة الثانوية يومئذ خمس سنوات، كما حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف،

في الشهادة العالية (الليسانس) في أصول الدين من قسم العقيدة والفلسفة عام ١٩٧٣م، وشغل منذ بواكير شبابه عضوية العديد من الهيئات الإسلامية والفكرية والفلسفية، كما كان من أبرز علماء الصف الأول في كل المنتديات والمؤتمرات ووسائل الإعلام وقاعات ومجامع البحث العلمي.
وليس بعيدا عن الحقيقة أن تقول: إنه استكمال واجب وتتمة ضرورية، للمشروع الفكري لوالده العالم الجليل الراحل الدكتور سيد أحمد رمضان المسير، أستاذ التفسير والحديث ورئيس قسم الدعوة بالأزهر الشريف سابقا، الذي يتلخص مشروعه الفكري في رسالته التي تقدم بها لنيل درجة العالمية «الدكتوراه» التي كتبها في موضوع «موقف السنة من القرآن» وهو موضوع يكاد يكون الأول في بابه حينذاك عام ١٩٤٦م.
وقد ظل الوالد الكريم يدرس، ويربي، ويؤسس، ويلقى الدروس وخطبة الجمعة، قرابة نصف قرن لله تبارك وتعالى، حتى صح فيه قول أحد تلاميذه:

يا «كفر طبلوها» حظيت برفعة
وأتاك عالي المجد بالترحاب
بمسير حاز الفضيلة والتقى من
علمه يشفي من الشبهات
كم شبهة ضاق الفؤاد بحلها
فأزالها بالنور والآيات

على الطريق

وتتضح معالم مشروع هذا الرجل الكبير، في التأصيل المنهجي لكيفية الاستدلال بالسنة النبوية المطهرة، خاصة في القضايا العقلية، التي تجرأ عليها بعض العقلانيين، بحجة أن الإسلام (قرآنا وسنة) لابد أن يسايرا العقل في كل صغيرة وكبيرة، وما شذ عن ذلك اعتسفوه في حدود فهمهم، وفق آفاق عقولهم، وحسب أدواتهم الخاصة، وما لم يقبل هذه «القولبة» وذلك «التعليب» قال قائلهم: إن علماء الحديث لم يعطوا متن الحديث عناية تامة ولم يبحثوا عن معناه بما يصح أولا، وحكموا من أجل ذلك على أحاديث في الصحيح، بل هي في أصح الصحيح بالوضع.
وقد قام العلامة الشيخ سيد أحمد رمضان المسير بتتبع الذين تناولوا أحاديث «الكمأة» و«العجوة» وحديث «رأس المائة» و«اقتناء الكلب» وغيرها من أقواله على الأئمة، مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، فدفع الشبهات عن الحديث والمحدثين، وأظهر بعض أصول هؤلاء الأئمة الأعلام في الأخذ بالسنة، التي كان يشغبون عليها بأقوال عجيبة وغريبة، بعضها للجاحظ وبعضها لغيره، في معاضلات ركيكة ومغالطات بينة، فقدموا مشروعا فكريا ضخما في شكله، هشا في مضمونه، مشبوها عند وضعه في ميزان الراسخين من أهل العلم والإيمان، من صيارفة هذا الفن المكين، مثلما صنع الشيخ المسير (الوالد) رحمة الله عليه.
وكنت قد قرأت بعض هذه الكتب في مقتبل الشباب، ودونت عليها أكثر من ١٣٠ ملاحظة اعتملت في صدري، وترددت في نفسي، ولم أكن أعلم أن في الأمة من العلماء العدول من غربلها ونخلها، وأظهر أصيلها من دخيلها، فلما أهداني الصديق العزيز الدكتور جعفر محمد المسير، كتب جده العلامة الشيخ سيد أحمد رمضان المسير، وقرأتها على روية وتمهل، فاستراح صدري واطمأن فؤادي وأيقنت مؤمنا أن الأمة لن تخلو أبدا من رجال، يحملون هذا العلم ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (الأعراف -٥٨).

ووالد وما ولد

والذي لا شك فيه أن المشروع الفكري للراحل الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد أحمد المسير، إنما هو التتمة الواجبة، والاستكمال المعاصر لمشروع الوالد رضي الله عنه، حيث بدأه المسير الابن بمؤلفه الرصين «المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه» وهو البحث الذي حصل به على العالمية «الدكتوراة» عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م بمرتبة الشرف الأولى، من قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، وفيه صال وجال في الفكر الفلسفي العالمي المعاصر، فدخل إليه «من أعلى» بعد أن تأسس له «من القاعدة»، فاستقرأ ظاهرة فلسفية تمثل قمة الفكر الفلسفي، وذروة سنامه، وتقدم خلاصة وافية لفكر أي فليسوف وهي فكرة «المجتمع المثالي» بما يتناوله من مذاهب سياسية واجتماعية واقتصادية، وأدبية ودينية، ويؤكد عمق الصلة بين الفكر والفلسفة والمجتمع، فتناول هذه الفكرة الجامعة على محاور الألوهية والنبوة والتربية والأسرة والمرأة والحكم والقانون والمجتمع العالمي، في دراسة معمقة، وتحليل موسع لأفكار أفلاطون، وأرسطو،



وجان جاك روسو، وديكارت، وكارل ماركس، وداروين، ونيتشه، وغيرهم.. ومن الجانب الإسلامي تناول الفكرة عند الفارابي، وابن سينا، وابن طفيل، وابن رشد، وابن تيمية، وابن خلدون... متناولا ذلك الفيض الفكري والفلسفي، باتزان العالم المسلم الثقة، وحياد القاضي المنصف اللبيب، ورؤية المفكر الواثق المستبصر... فهدم فكرة المدينة الفاضلة عند أفلاطون، ونسف فكرة الإنسان الأعلى عند نيتشه، وفكك أوصال الماركسية ومجتمعها العادل الموهوم، واقتلع الفكرة الفلسفية الغربية من أساسها في هذا الباب، مقدما البديل الإسلامي من فلسفة متكاملة للمجتمع المثالي في منظور الإسلام، الذي يجمع بين العقيدة والعبادة، والمادية والمثالية والفرد والأسرة، والمجتمع والعالم، ويدير كل مفرداته الفكرية على أرض الواقع الذي يمثل جسرا بين الدنيا والآخرة... فأنبأت هذه الدراسة المعمقة عن عالم راسخ القدم، ومفكر متوثب الرؤية، وهو ما زال بعد ابن تسعة وعشرين عاما.

وفي إطار المشروع الفكري للمسير (الابن) تناول قضايا العصر جميعا، التي طرأت على الساحة، أو أثارت البلبلة، فكان له فيها القول الفصل، والحكم العدل، مثل قضايا: الإرهاب، والتكفير، وعبادة الشيطان، والاستنساخ، وتأجير الأرحام، ودعاوى التمييز ضد المرأة، وحقوق الإنسان، وتجديد الخطاب الديني، والفكر الوافد، والاستشراق، والوحدة الوطنية، وبنوك الأجنة، وغيرها من عشرات القضايا المثارة على الساحة... فكان يرد مشتبهاتها إلى المحكمات من شرعنا، مدركا واعيا بأبعاد الزمان والمكان، متمكنا من الموازنة بين المصلحة والنص، جامعا بين صفاء الفهم، وموسوعية العلم، ودقة البصر، ونور البصيرة وكأنه يقدم لنا فصلا خامسا جامعا كل الفصول الأربع.

ونستطيع القول إن المسير قدم مشروعه متسلحا بكل الأدوات التي تضمن نجاح هذ المشروع، فالفكر الإسلامي لا يشفع لصاحبه نبل المقصد، ولا حسن النية، دون التسلح المتين بالأدوات، والتمرس المكين بالأصول، لذلك خرجت معظم المحاولات التي طرقت أبواب الفكر الإسلامي -دون تأهل- مضحكة مبكية في آن معا.

شريعة ومشروع

ويبلغ المسير قمته في انتصاره لتطبيق الشريعة الإسلامية، فيقدم عدة دراسات قيمة، منها: دراستان رائدتان على هذا الطريق هما: «محاورة تطبيق الشريعة» و«نحو دستور إسلامي» لينتقل برؤيته الفلسفية، وفكرته الإسلامية، وجذوره العقدية، إلى ميدان التقنين والتطبيق، في مناقشة علمية مستفيضة لآراء الخصوم والمرتابين، ليصل الفكرة الفلسفية بشعب الإيمان، ويربط التجريد العقلي بالواقع العملي، وينتصر لقضية القضايا في أمته، وهي قضية تطبيق الشريعة الإسلامية، باعتبارها شريعة تعبدية وضرورة حياتية.

وكان دائم السعي الدعوي المؤسس للشق الأخلاقي الباني للسلوك الإسلامي المنشود، والمنتج لعقيدة عملية يراها الناس في واقعهم المعيش، ... ومن ثم كانت دعوته التي ختم بها حياته في تدشين حملة واسعة وعلمية ومستوعبة، لإنفاذ وإنقاذ «الحياء العام» في الفرد والأسرة والمجتمع والشارع والمدرسة والجامعة....

ويمكننا أن نضع معالم المشروع الفكري للراحل الجليل الدكتور محمد سيد أحمد المسير فيما يلي:

١- اعتبار التراث العلمي والعملي لوالده رحمة الله عليه جزءا لا يتجزأ من مسيرته الفكرية والعلمية ولبنة أساسية في بنائه الفكري المتكامل.

٢- التسلح المكين بالكتاب والسنة وعلومهما، ورد الفروع إلى أصولها، ووضع كل المفردات والأفكار المستحدثة في ميزانهما، من خلال رؤية شاملة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٣- تبني رؤية نقدية لواقع العالم الإسلامي نظريا وتطبيقيا، تشخص الداء وتصف الدواء، وتبشر بالمشروع الإسلامي الحضاري المنقذ من التخلف والتبعية.

٤- التزام جانب التجديد الديني، المنطلق من تفرقة واضحة بين الوهم والحقيقة والأصيل والدخيل.

٥- مناهضة الداعين إلى فصل الدين عن الدولة، وتنحية منهج الله عن قيادة الحياة.

٦- الانتصار لقضايا الأمة الأساسية والفرعية، وعلى رأسها قضية القدس الشريف، والتقريب بين المذاهب، ومواجهة الدس الشعوبي.

٧- الانتصار للحق والانتصاف للحقيقة، والتحصن بقلعة العلم الشرعي في وجه التيارات السياسية المتأرجحة.

٨- غزارة الإنتاج، ورصانة البحث، فقد قدم للمكتبة الإسلامية أكثر من (٣٥) مؤلفا، إلى جانب المئات من المقالات والبحوث والمشاركات العلمية والإعلامية.



ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقـام تـشتمـل علـى اسم الكـاتب واسـم المـؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.



حسن عباس
محرر صحفي



الأوقاف تختتم دوراتها العلمية للأئمة والخطباء والمؤذنين

اختتم قطاع المساجد ممثلا في إدارة الشؤون الفنية دوراته العلمية خلال شهر نوفمبر ٢٠٢٢م، والتي أقيمت في مبنى تجريب الأئمة والمؤذنين بمنطقة الرقعي.

وكانت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة في إدارة الشؤون الفنية بقطاع المساجد، قد دعت المشايخ الفضلاء الأئمة والخطباء والمؤذنين إلى المشاركة في الدورات العلمية التي تقيمها في شهر نوفمبر، والتي شملت ٣ دورات:

- الخلاصة في القواعد الفقهية.
- شرح العقيدة الواسطية.
- شرح حلية طالب العلم.

١- دورة "الخلاصة في القواعد الفقهية"

وأقيمت الدورة بمسرح علي ثنيان الغانم بمبنى تدريب الأئمة والمؤذنين بمنطقة الرقعي.

وصرح مدير إدارة الشؤون الفنية د. بدر أبا ذراع بأن هذه الدورة استمرت لمدة ٥ أيام في الفترة من ٦ إلى ١٠ نوفمبر من الساعة ٨ صباحا إلى ١٢ ظهرا، وقد حاضر فيها فضيلة الداعية د. أنس اليتامى.

وبخصوص موضوع الدورة فقد دارت حول موضوع علم القواعد الفقهية وهو علم مهم لطالب العلم عموما ولإمام وخطيب المسجد خصوصا، ويعد من أهم الاجتهادات الفكرية والعلمية التي وصل إليها فقهاؤنا والتي تنم عن روح الإسلام، ومقاصده العظمى، ومرونته وتيسيره، فالقواعد الفقهية يسهل العلم لطلابه، ويضبط الفقه وأحكامه لدى المتلقي ويستغني عن حفظ كثير من جزئيات الفقه، وهو علم عظيم النفع، بقدر



الإحاطة به يعظم قدر الفقيه.

٢- دورة "شرح العقيدة الواسطية"



واستمرت الدورة ٥ أيام في الفترة من ١٣ إلى ١٧ من نوفمبر من الساعة ٨ صباحا إلى ١٢ ظهرا، وقد حاضر فيها فضيلة الداعية د. محمد حمود النجدي.

والعقيدة الواسطية هي رسالة من تأليف الشيخ ابن تيمية، ألفها سنة ٦٩٨هـ، ذكر فيها جمهور مسائل أصول الدين والمعتقدات، ومنهج أهل السنة والجماعة.

وقد أوضح د. النجدي في دورته "شرح العقيدة الواسطية" أن هذه العقيدة التي كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية تتميز بعدة مزايا، وأول تلك المزايا أنها عقيدة شاملة تشمل العقيدة الإسلامية التي نزل بها القرآن الكريم وبلغها رسوله ﷺ وزادها إقرارًا وشرحا وتوضيحًا الصحابة رضوان الله عليهم.

٣- دورة "شرح حلية طالب العلم"

وأقيمت الدورة لمدة ٥ أيام في الفترة من ٢٠ إلى ٢٤ من نوفمبر من الساعة ٨ صباحا إلى ١٢ ظهرا، وقد حاضر في الدورة فضيلة الشيخ د. فرحان عبيد الشمري.

وكتاب "حلية طالب العلم" لمؤلفه فضيلة الشيخ الدكتور بكر ابن عبدالله أبو زيد، وهو كتاب صغير الحجم لكنه جمع فأوعى، يحتوي على مجموعة فوائد وآداب ومحاذير ينبغي على طالب العلم أن يتنبه لها، وقد جمعها الشيخ من أدب من بارك الله في علمهم، وصاروا أئمة يهتدى بهم.

وفي ختام الدورات دعا مدير إدارة الشؤون الفنية د. بدر أبا ذراع الأئمة والخطباء والمؤذنين وطلبة العلم إلى الحرص على المشاركة في هذه الدورات العلمية النافعة والاستفادة مما تقدمه إدارة الشؤون الفنية ووزارة الأوقاف من دورات وأنشطة متنوعة.



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٧٥)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (ابن الصباغ):

١- أبو نصر بن الصباغ (ت: ٤٧٧هـ):

هو أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد، المعروف بابن الصباغ، فقيه شافعي، ولد ببغداد سنة: (٤٠٠هـ)، كانت الرحلة إليه في عصره، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية أول ما فتحت. وعمي في آخر عمره. من أبرز مصنفاته: (الشامل) في الفقه، و(تذكرة العالم)، و(العدة في أصول الفقه)، توفي ببغداد، ودفن بمقبرة الإمام أحمد[1].

٢- أبو منصور بن الصباغ (ت: ٤٩٤هـ):

هو أبو منصور أحمد بن محمد بن محمد البغدادي الشافعي، المعروف بابن الصباغ، من أبرز مصنفاته: (مكاتبة الخاطر ومراقبة الناظر)[2].

٣- شمس الدين بن الصباغ (ت: ٦٨٣هـ):

هو شمس الدين أبو منصور المبارك بن المبارك بن عمر الأواني، طبيب المستنصرية ببغداد، كان عالما بالطب، له فيه تصانيف، عاش نحو مائة



سنة، وهو صحيح السمع والبصر[٣].

٤- نور الدين بن الصباغ (ت: ٨٥٥هـ):
هو نور الدين علي بن محمد بن أحمد، المعروف بابن الصباغ، فقيه مالكي، ولد بمكة سنة: (٧٨٤هـ)، أصله من سفاقس. من أبرز كتبه: (الفصول المهمة لمعرفة الأئمة)، و(العبر فيمن سفه النظر)، توفي بمكة[٤].

المتفق والمفترق في اسم (الصباغ):

١- عبد الله الصباغ (ت: ٣١٨هـ):
هو عبد الله بن حنين بن عبد الله الكلابي القرطبي الصباغ، محدث، أصولي، مفسر، من أبرز مصنفاته: (معرفة الرجال وعلل الحديث)، و(مختصر مسند بقي بن مخلد)، و(كتاب التفسير)[٥].

٢- أبو نصر الصباغ (ت: ٥١٢هـ):
هو أبو نصر محمد بن الفضل بن محمود الأصبهاني البغدادي، المعروف بالصباغ، محدث.
من تصانيفه: أجزاء في الحديث[٦].

٣- شهاب الدين الصباغ (ت: ٩٩٢هـ):
هو شهاب الدين أحمد بن قاسم الصباغ العبادي ثم المصري الشافعي الأزهري، من أبرز مصنفاته: (الآيات البينات) حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه، و(شرح الورقات لإمام الحرمين)، و(حاشية على شرح المنهج)، مات بمكة مجاورا[٧].

٤- محمد الصباغ (ت: ١٠٧٦هـ):
هو محمد بن أحمد بن محمد الصباغ لقبا، العقيلي نسبا، عالم بالحساب والفرائض، أصله من مكناس.
ولد بفاس سنة: (٩٩٠هـ)، من أبرز مصنفاته: (سلك فرائد اليواقيت، في الحساب والفرائض والمواقيت)، و(كشف قناع الالتباس عن بعض ما تضمنته من البدع مدينة فاس)، و(إدراك البغية في شرح المنية لابن غازي)، في الحساب، وتوفي بفاس[٨].

٥- أبو العباس الصباغ (ت: ١١٦٣هـ):
هو أبو العباس أحمد بن مصطفى بن أحمد الصباغ الإسكندري المالكي، فقيه مالكي من المشتغلين بالحديث، تفقه في الأزهر، وهو شيخ الحضيكي المؤرخ المغربي، من أبرز مصنفاته: (ثبت)، و(شرح الآجرومية)[٩].

٦- محمد الصباغ (ت: ١٣٢١هـ):
هو محمد بن أحمد بن سالم الصباغ المكي، فاضل، مؤرخ. مصري الأصل. ولد بمكة سنة: (١٢٤٣هـ)، من أبرز مصنفاته: (تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام)، توفي بالمغرب[١٠].

٧- علي الصباغ (ت: ١٣٨٠هـ):
هو علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الصباغ، شيخ المقارئ المصرية، من أبرز مصنفاته: (فتح الكريم المنان في آداب حملة القرآن)، توفي بمصر[١١].

الهوامش

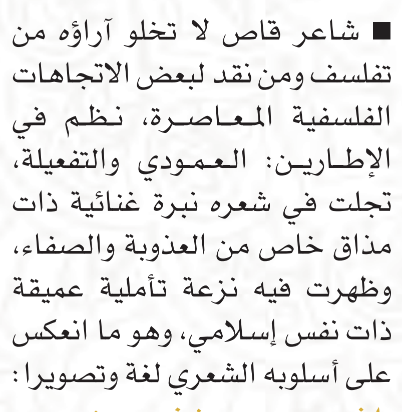
١- انظر: هدية العارفين (٥٧٣/١)، والأعلام للزركلي (١٠/٤)، ومعجم المؤلفين (٢٣٢/٥) (٢٦٤/١٠).
٢- انظر: هدية العارفين (٨١/١).
٣- انظر: الأعلام للزركلي (٢٧٢/٥)، ومعجم المؤلفين (١٧٣/٨).
٤- انظر: الأعلام للزركلي (٨/٥)، ومعجم المؤلفين (١٧٨/٧).
٥- انظر: معجم المؤلفين (٥١/٦).
٦- انظر: هدية العارفين (٨٣/٢)، ومعجم المؤلفين (١٣٠/١١).
٧- انظر: الأعلام للزركلي (١٩٨/١).
٨- انظر: الأعلام للزركلي (١٢/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٧٠/٨).
٩- انظر: الأعلام للزركلي (٢٥٧/١)، ومعجم المؤلفين (١٧٦/٢).
١٠- انظر: الأعلام للزركلي (٢١/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٦٣/٨).
١١- انظر: الأعلام للزركلي (٢٠/٥).



أ. هشام الصباغ
باحث لغوي

رائد الأدب الإسلامي الأردني

أمين شنار





■ شاعر قاص لا تخلو آراؤه من تفلسف ومن نقد لبعض الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، نظم في الإطارين: العمودي والتفعيلة، تجلت في شعره نبرة غنائية ذات مذاق خاص من العذوبة والصفاء، وظهرت فيه نزعة تأملية عميقة ذات نفس إسلامي، وهو ما انعكس على أسلوبه الشعري لغة وتصويرا:

راضــــــون نـــحــن
بــالـذي كـان ومـا يـكـون
راضـون قـبـل أن نـعـيـش
بـارتـشـاف جـرعـة المـنـون
راضون قبل أن نحب بالفراق
لأنـه مـسطّـر علـى الجـبـين

■ لمفردات الرحلة في قصائده حضور واضح يؤكد طابع الغربة والتساؤل والرغبة في الاكتشاف، والقارئ لشعره يلمس نفسا وجوديا ونزعة تأملية ذات رؤية سوداوية، فقد نظم أشعارا عن الوجود والموت والعدم والفناء والحب، ودارت قصائده حول مضمون الوحدة والقلق والألم والمعاناة والضياع والحزن والاغتراب.

■ من الرعيل الأول من أدباء الضفتين، وأحد بنائي الحياة الإبداعية فيهما الذين أسهموا في إيجاد حركة شعرية وأدبية وإبرازها إلى حيز الوجود، وأدبه يمثل أدب جيل الستينيات، وهو أحد رواد الأدبين الأردني والفلسطيني الذين شاركوا في إثراء الحركة الأدبية في المملكة وفلسطين معا.

■ متحرر فكريا، ومتقبل لدعوات الحداثة وأصوات التغيير والتجديد، جعل التسامح والتعايش أساسا للتعامل مع ما يحيط به قبولا ورفضا سلبا وإيجابا، عرف بمواقفه المتشددة الصارمة، لكن الواعية، من قضية التعصب الفكري، لذلك فلا غرابة في اعتباره أستاذا لجيل بأكمله؛ جيل من الأدباء المتعددي الجنسيات والنزعات وذوي التوجهات المختلفة الذين ينتمون إلى بيئات عربية متعددة، فتح لهم جميعا المجال في مجلة «الأفق الجديد» المقدسية التي كان يرأس تحريرها.. إنه المعلم الكاتب الأديب الشاعر الصحافي المفكر ذي التوجه الإسلامي أمين شنار صالح عطا الله.

المولد والتكوين الأول

■ ولد في مدينة البيرة -إحدى مدن فلسطين المحتلة التي تقع في الضفة الغربية إلى الشمال من القدس- عام: (١٩٣٣م)، نشأ بها، وفي مدارسها ومدارس رام الله تعلم، ونشر أول قصيدة له وهو في السادسة عشرة من عمره.

■ في عام: (١٩٥١م)، أتم شنار دراسته الثانوية، ثم جرى تعيينه مدرسا للغة العربية في الكلية الإبراهيمية في القدس لمدة: (١٠) سنوات، ثم انتقل للتدريس في ثانوية بير زيت، ثم خاض انتخابات المجلس البلدي في البيرة، وفاز فيها، كما تم اختياره نائبا لرئيس المجلس البلدي عام: (١٩٦٣م)، وفي هذه الأثناء برزت مواهبه الشعرية.. وفي عام: (١٩٦٧م)، نزح إلى عمان، وفيها كتب أولى رواياته «الكابوس» التي فازت بجائزة صحيفة النهار اللبنانية مناصفة مع تيسير سبول على روايته «أنت منذ اليوم».

الحياة العملية

■ كتب خلال فترة شبابه ديوانه «المشعل الخالد» الذي كان مشبعا بالالتزام بالتوجه الإسلامي، ثم أخذ يكتب قصائده الحديثة، مجاراة لجيل الحداثة الشعرية.

■ أحب شنار الأدب والفن والصحافة، وبدأ بنشر شعره مبكرا وعمره (١٩) عاما في جريدة «الصريح» عام: (١٩٤٩م)، واشتغل صحافيا في «جريدة المنار»، كما عمل كاتبا ومحررا في مجلة «المنار» المقدسية، ثم محررا في مجلة «الافق الجديد» المقدسية ومديرا لتحريرها منذ تأسيسها عام: (١٩٦١م)، كما اشترك في تحرير جريدة الدستور الأردنية.

■ لمدة تزيد على الثلاثين عاما، ظل شنار يكتب زاوية يومية ثابتة في «جريدة الدستور» الأردنية بعنوان: «لحظات»، ولكن تحت اسم مستعار (جهينة)، وزاوية أخرى لكن أسبوعية تحت اسم «مع الحياة والناس»، كما عمل مديرا لبرامج التلفزيون الأردني حتى عام: (١٩٧١م).

شنار متبعا.. ثم مبدعا

■ أصدر شنار ديوانه الأول والوحيد في البيرة عام: (١٩٥٧م) بعنوان: «المشعل الخالد»، محافظا فيه على شكل القصيدة التقليدية، من خلال: اتكاء قصيدته على مناسبة كما نرى في عناوين قصائده: «ليلة القدر»، و«إسراء»، و«في ذكرى الهجرة» و«رمضان»، و«صور من العيد»، و«إلى عرفات»، وإخضاع قصائده للسمات التراثية من بحور ووزن وقافية والسمة الغنائية العالية، كما في قوله:

ليلة القدر بأعماقي رجاء
أن يرى نورك عمي وظماء

■ لكنه سرعان ما تحول إلى مواكبة الحداثة الشعرية، مواصلا نشر قصائده على النهج الحديث، منتقلا إلى قصيدة التفعيلة والنثر، ومتقبلا تقنيات القصيدة الحديثة، من تكسير للنموذج التقليدي، من حيث تحررها من القافية وتوظيف التناص والقناع والرمز والأساطير.

سمة شعره المأساة

■ الملاحظ على مجمل قصائد شنار اتخاذها المأساة محورا أساسيا تدور معه وعليه في التعامل الشعري، فقد تركت المعاناة والحزن بصماتهما وأثرهما العميق على الشاعر، وهما باديان للعيان لا يحتاجان من القارئ إلى كبير عناء لكي يلمسهما ويستظهرهما، وهو ما تفصح عنه عناوين قصائده، كل على حدة أو مجتمعة، من مثل: «السأم»، «معبد الألم»، «مدينة بلا ضباب»، «هاتف الرحيل»، «مرثية للألم»، «السراب»، يقول شنار:

وماتت فراشة حقل كئيبة
وظل الغريب ينادي الغريبة

■ ويحاول شنار في معظم نصوصه الشعرية نقل تجربة الحزن والاغتراب إلى المتلقي، معتمدا على اللغة والعاطفة، فنراه يقول:

«حدق، فأنت زائغ العينين، أيها الغريب في مدينة الضباب»

أعماله

■ لم يترك شنار تراثا مكتوبا كبيرا، ربما لأنه أدرك مبكرا عدم جدوى الكتابة، سوى تلك الزاوية في جريدة الدستور التي كان يوقعها باسم جهينة، ومع ذلك فإن بصماته لا تزال موضع اعتزاز من جيل أدبي كامل هو جيل «الأفق الجديد».

■ أصدر شنار ديوان شعر واحدا هو: «المشعل الخالد» عام: (١٩٥٧م)، وأذيعت كل قصائده عبر إذاعة المملكة الأردنية الهاشمية في القدس، كما أصدر رواية «الكابوس» التي فازت بالجائزة الأولى مناصفة في مسابقة عربية عام: (١٩٦٧م)، وله أيضا من الأعمال: «سما» (رواية) - «الكابوس» (رواية) - «مجموعة قصصية».

■ قدم للتلفزيون الأردني برنامجا علميا دينيا بعنوان «سبحان الله».. كما قام بكتابة عدة برامج إذاعية هادفة، من أشهرها برنامج «لمحات» و«حبات قلب»، وكتب عدة مسرحيات رائعة أشهرها: «قرية الشيخ حماد»، و«ظلام في عين الشمس»، و«الليلة يطلع القمر»، و«السد».

■ عمل مدرسا ومربيا في «مدارس الأقصى» الثانوية في عمان حتى تقاعد في أواخر التسعينيات.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الصحافي المفكر الشاعر الأديب الباحث أمين شنار مساهمة واحدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «طريق الإيمان»، ع: (٩٢).

وفاته

■ باع شنار دنياه في أواخر عمره، وزهد فيها، ولزم بيته، وعزل نفسه عن الناس، ونذر نفسه لله، حابسا إياها في سجون القلق والعزلة؛ رغبة في أن تكون أقواله وأعماله خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، وودع الحياة بصمت، منسلا منها دون صخب أو ضجيج، وانتقل إلى جوار ربه في الثامن عشر من سبتمبر في عمان عام: (٢٠٠٥م)، عن عمر تجاوز الثانية والسبعين بقليل بعد رحلة حافلة بالعطاءات والإنجازات الإبداعية والصحفية.

المصادر

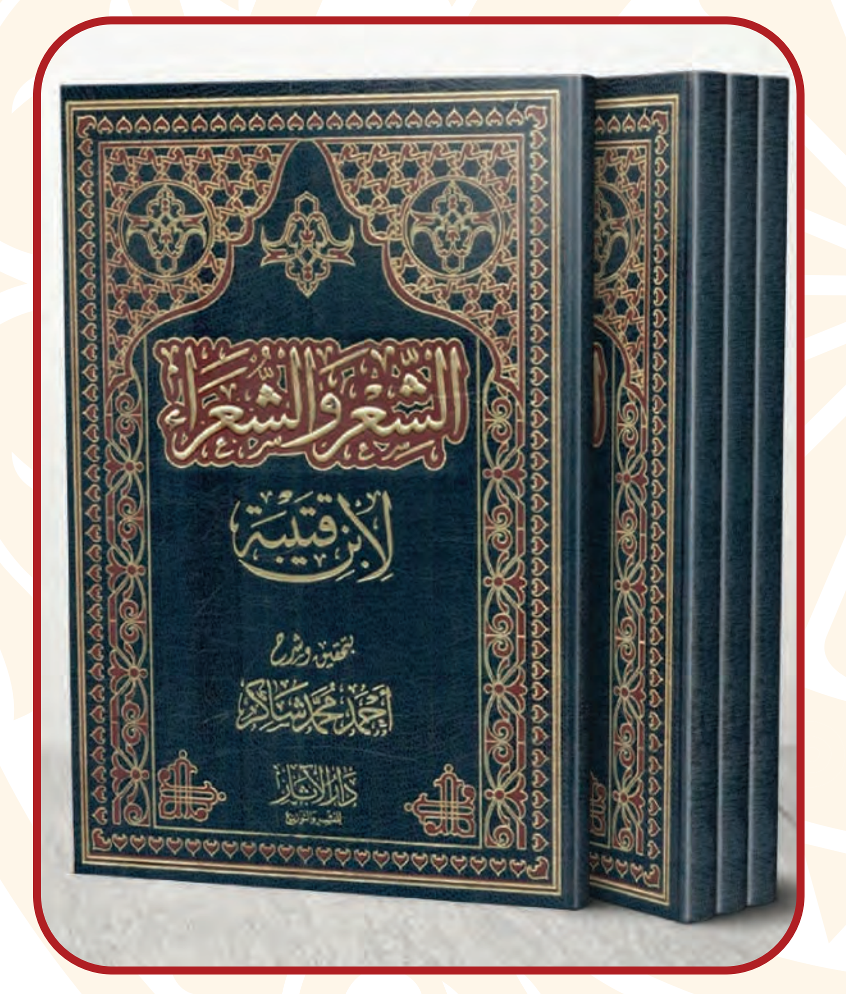
- كتاب الكشاف مجلة الوعي الاسلامي، ج: (١).
- الدستور الأردنية.
- القدس العربي، إبراهيم خليل.
- جريدة الأيام، خليل السواحري.
-عربي: (٢١).
- معجم البابطين.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٧٩)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

كتاب الشعر والشعراء

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.



ويأتي كتاب: «الشعر والشعراء» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

من أقدم الكتب التي صنفت في تراجم مشاهير الشعراء، ألفه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، أحد أئمة القرن الثالث الهجري. من أهم الكتب التي ترجمت للشعراء. ويعد مصدرا أصيلا ومرجعا هاما في بابه. فقد تناول الكتاب: (الشعراء أخبارهم، وأزمنتهم، وأقدارهم، وأحوالهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم...)، كما حوى: الشعر وأقسامه، وطبقاته، والوجوه التي يختار عليها ويستحسن، وعيوبه...)، وقدم له بمقدمة تنطوي على أبواب في: (أقسام الشعر، وعيوب الشعر، والإقواء، والإكفاء والعيب في الإعراب، وأوائل الشعراء).

التعريف بالدينوري

هو أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد سنة: (٢١٣هـ/ الموافق ٨٢٨م)، وتوفي سنة: (٢٧٦هـ/ الموافق: ٨٨٩م)، أديب لغوي فقيه محدث مؤرخ مسلم عباسي، له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها. فقد سخر قلمه؛ لإعلاء منزلة السنة، وتفنيد الحجج التي ظهر بها خصومها.

ولد في بغداد وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء الدينور فترة فنسب إليها، وأخذ العلم في بغداد على يد مشاهير علمائها، فأخذ الحديث عن أئمته المشهورين وفي مقدمتهم: إسحاق بن راهويه، أحد أصحاب الإمام الشافعي، وله مسند معروف. وأخذ اللغة والنحو والقراءات على أبي حاتم السجستاني، وعن أبي الفضل الرياشي، وكان عالما باللغة العربية والشعر وكثير الرواية عن الأصمعي، كما تتلمذ على عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وحرملة بن يحيى، وأبي الخطاب زياد بن يحيى الحساني، وغيرهم.

وفاته

توفاه الله في وقت السحر في شهر رجب سنة: (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

مؤلفاته

ألف ابن قتيبة العديد من الكتب في مختلف الفنون، وقد امتازت مؤلفاته بالعمق والأصالة، وأسلوب مشرق رصين، ودفاعه المحمود عن العرب والإسلام.

ومن هذه المؤلفات: كتاب غريب القرآن، كتاب غريب الحديث، كتاب تاريخ الخلفاء، كتاب المعارف، كتاب مشكل القرآن، كتاب تأويل مختلف الحديث، كتاب أدب الكاتب، كتاب عيون الأخبار، كتاب طبقات الشعراء، كتاب إصلاح الغلط، كتاب الفرس، كتاب الهجو، كتاب المسائل، كتاب أعلام النبوة، كتاب الميسر، كتاب الإبل... وغيرها الكثير.

المحتوى العام للكتاب

كتاب كبير الشبه بكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، حيث إن ابن قتيبة لم يحرص في هذا الكتاب على استيفاء الشعراء وحصرهم وتقصي سيرهم، بل اقتصر على المشاهير منهم، قال في مقدمة الكتاب: «وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يصح الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله ﷺ». كذلك لم يعمد ابن قتيبة إلى تصنيف الشعراء في طبقات كما فعل غيره، وإنما كان همه الترجمة وجمع أخبار الشعراء واختيار طائفة من أشعارهم يسوقها تمثيلا أو بمناسباتها. وقد كان يراعي الترتيب الزمني في تناول الشعراء، وكان معظم أصحاب تراجمه من القدماء، إلا أنه لم يخله من تراجم بعض المحدثين كأبي العتاهية ومسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف ومن في حكمهم.

وقد امتاز الكتاب بمقدمة نقدية قيمة يعدها الباحثون من بواكير النقد الأدبي المصحوب بالعلل. وقد بين فيها منهج الكتاب والغرض من تأليفه حيث يقول: «هذا كتاب ألفته في الشعر، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون. وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها».

والكتاب كثير الشعراء غزير النصوص، تضمن (٢٠٦) ترجمة، بدأها بامرئ القيس وأطال القول فيه؛ ثم ترجم لزهير وابنه كعب ثم النابغة، ثم الذي يليه حتى بلغ ابن مناذر، ثم ختم كتابه بالحديث عن أشجع السلمي في العصر العباسي، وهذا الكتاب يعد كتابا في المختارات الشعرية وكتابا في النقد بالإضافة إلى كونه كتابا في تراجم الشعراء.

نسخة «الوعي الإسلامي».

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذا الكتاب الماتع، وهو في متناول قرائها الكرام المهتمين بهذا النوع الماتع من كتب تراجم الشعراء.

المصادر

- كتاب الشعر والشعراء.
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
- كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، مقال منشور على شبكة الألوكة، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٢/٢٩م.

إعداد / تركي محمد النصر ❖

جودة السبك

قال الجاحظ: (المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتمييز اللفظ وسهولته، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع: وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من الصبغ، وجنس من التصوير، وقد قيل للخليل بن أحمد: مالك لا تقول الشعر صناعة؟ فقال: الذي يجيئني لا أرضاه، والذي أرضاه لا يجيئني. فأنا أستحسن هذا الكلام).

(الحيوان ١/٤٠٨)

مخالفة الهوى

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله؛ وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفتهم الهوى).

(روضة المحبين ص ٦٤٨)

مكارم الأخلاق عشر

قالت عائشة رضي الله عنها: (مكارم الأخلاق عشر: صدق الحديث، وصدق البأس، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذل المعروف، والتذمم للصاحب، والتذمم للجار، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء).

(مواعظ الصحابة ووصاياهم ص ٣٢٩)

أربعة كتب

قال الإمام الذهبي رحمه الله: (قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام -وكان أحد المجتهدين-: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل: المحلى لابن حزم، وكتاب المغني للشيخ موفق الدين... وثالثهما: السنن الكبير للبيهقي، ورابعها: التمهيد لابن عبد البر. فمن حصل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها؛ فهو العالم حقا).

(سير أعلام النبلاء ٨/١٩٣)

طريقة القوم

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: (قال سهل بن عبد الله التستري: مذهبنا مبني على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الاعمال).

(الاعتصام ٢/٣٥٠)

خطورة العجب

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (إذا فتح الله عليك في باب قيام الليل؛ فلا تنظر للنائمين نظرة ازدراء، وإذا فتح الله عليك في باب الصيام؛ فلا تنظر للمفطرين نظرة ازدراء، وإذا فتح الله عليك في باب الجهاد؛ فلا تنظر للقاعدين نظرة ازدراء.. فرب نائم ومفطر وقاعد؛ أقرب إلى الله منك.. وإنك أن تبيت نائما وتصبح نادما خير من أن تبيت قائما وتصبح معجبا، فإن المعجب لا يصعد له عمل).

(مدارج السالكين ١/١٧٧)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

علم السير والتواريخ

قال العلامة ابن الجوزي (ت: ٥٧٩) رحمه الله: (واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها ...: أنه إذا ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله؛ أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذكرت سيرة مفرط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول).

(المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١١٧/١)

الكلام بالخير غنيمة

ذكر عند الأحنف بن قيس: الصمت والكلام، فقال قوم: الصمت أفضل. فقال الأحنف: (الكلام أفضل لأن الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرجال تلقيح لعقولهم).

وقالوا: السكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم.

(بهجة المجالس وأنس المجالس ٥٥/١)

من منثور الحكم

إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء.

وقال الشعبي: العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبرا شمخ بأنفه، وظن أنه ناله، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه، وعلم أنه لم ينله؛ وأما الشبر الثالث فهيهات، لا يناله أحد أبدا.

وقال حكيم: من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم، فحسبك جهلا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم.

(أدب الدنيا والدين ص/٨٠)

عندما تطيب العزلة

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: (... فيه إباحة لزوم البادية، واكتساب الغنم، وأنه ينبغي للمرء أن يحب الغنم والبادية اقتداء بالسلف، وفرارا من شرور الناس، واعتزالا عنهم، ولكن في البعد عن الجماعة والجمعة ما فيه من البعد عن الفضائل، إلا أن الزمان إذا كثر فيه الشر، وتعذرت فيه السلامة؛ طابت العزلة).

(الاستذكار ٢٨/٢)



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

تنمية مهارات إدارة الوقت لدى الأطفال

بداية ينبغي على الأطفال أن يكون لديهم نوع من الوعي بالوقت قبل أن يتعلموا استغلاله أو إدارته من خلال العمل على:

❖ تشجيع الأطفال على أن يكون للوقت أهمية ومعنى لديهم.

❖ تعويدهم على عمل قائمة بالأوقات المحددة لأعمال معينة.

❖ وضع وقت تقديري لإنجاز والقيام بالأعمال المحددة.

❖ تعويدهم على أن هناك بدائل عديدة لاستغلال واستخدام الوقت.

ولتنمية مهارات إدارة الوقت لدى الأطفال يجب على التربويين والأسرة العمل على:

❖ تعويد الطفل على الالتزام بمقدار الوقت المحدد لكل من المذاكرة واللعب والأنشطة المختلفة بدقة تامة ضمن جدول زمني محدد.

❖ تعويد الطفل على تنظيم الوقت مقابل استراتيجيات الوقت، وذلك بأن يتعلم كيف يحدد الوقت وأين يصرف وقته وكيف يصرفه.

❖ عدم ترك الأجهزة الإلكترونية للطفل إلا في الأوقات المحددة لاستخدامها.

❖ تعويد الطفل على تطبيق مبدأ الأولوية للمهام والأعمال والأنشطة التي ينبغي تحديدها، وتخصيص الوقت المناسب والمحدد للقيام بها وإنجازها.

❖ تعويد الطفل على تجنب الأنشطة المضيعة للوقت.

❖ مساعدة الطفل على تطوير قدرات البقاء إذا كان كثير النسيان.

❖ تعويد الطفل على تحديد مكان لكل شيء وعلى وضع كل شيء في مكانه. ❖ تعويد الطفل على ألا يترك الآخرين يضيعون وقته.

❖ تعويد الطفل على الابتسامة الصادقة في الوقت المناسب لقدرتها على تطرية الدفاعات، ومساعدة الطفل في الحصول على ما يريد بأقل جهد ووقت ممكنين.

❖ تعويد الطفل على استخدام الأسلوب والتقنية والوسيلة المناسبة التي تفيدهم في استغلال الوقت دون أن يصبحوا منهمكين في الأعمال والبرامج والأنشطة طيلة الوقت.

❖ تعويد الطفل على الاستفادة من خبرات الخبراء والمختصين في إنجاز الأعمال تجنبا لضياع الوقت.

❖ تدريب الطفل على كيفية التخطيط مع الأسرة لقضاء وقت الفراغ بالطريقة السليمة.

❖ تدريب الطفل على تحديد الوقت المفضل لعمل الواجبات المدرسية أو القيام بنزهة خارج المنزل أو القيام بزيارة اجتماعية أو عائلية.

● د. محمد عباس عرابي

منوعات

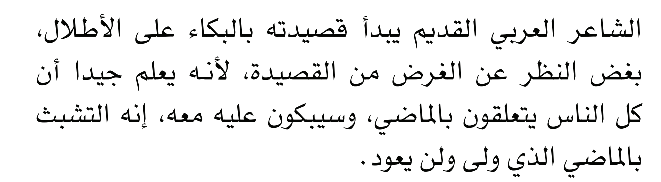
الحسد:

أناس على سفح الجبل يتطلعون إلى أناس على قمته، ويحسدونهم، ويتمنون أن لو كانوا مكانهم، وهم لا يدركون أن هؤلاء الذين وصلوا إلى القمة عرضة للسقوط والهلاك، وأن الحياة على سطح الأرض أكثر أمنا وطمأنينة.

البكاء على الأطلال:

كل شيء في الماضي نشعر أنه جميل، أكل زمان، سهرات زمان، لعب زمان، ناس زمان، حكايات زمان.

الماضي يذهب بمساوئ الأشياء ويبقي محاسنها، قد يكون ذلك لأن الأشياء التي ذهبت من بين أيدينا ولن تعود، لذلك كان



الشاعر العربي القديم يبدأ قصيدته بالبكاء على الأطلال، بغض النظر عن الغرض من القصيدة، لأنه يعلم جيدا أن كل الناس يتعلقون بالماضي، وسيبكون عليه معه، إنه التشبث بالماضي الذي ولى ولن يعود.

شكر النعم:

نحن لا نشعر بقيمة الشيء إلا بعد أن نفقده، لا نشعر بقيمة الأب والأم إلا بعد الفراق، وعندها يقول المرء: لو عادت الأيام لكنت أكثر برا بهما. لكن الأيام لا تعود.

نحن لا نشعر بقيمة الصبا والشباب إلا في مرحلة الكهولة أو الشيخوخة، ولا نشعر بقيمة الصحة إلا عند المرض، ولا نشعر بالنعم التي بين أيدينا إلا بعد فوات الأوان. وننسى في كثير من الأحيان أن نقول: الحمد لله.

داء السكري:

الحقيقة المؤسفة أن داء السكري يجعل جسم الإنسان كالأرض السبخ، التي لا تنبت، ولا تنتج، ولا تصلح لشيء.

وداء السكري مرض عام يؤثر في أجهزة الجسم كلها، وبصفة خاصة الكليتين، والعينين، والأوعية الدموية، وقد يؤدي ذلك إلى الفشل الكلوي، واضطراب الرؤية، وأمراض الأوعية الدموية الخطيرة.

داء السكري يشبه وحشا كاسرا، لا يمكن السيطرة عليه إلا بالعقل والحكمة، والعقل والحكمة عند الإصابة بداء السكري هما العلاج المنتظم، والمتابعة الدقيقة، والطاعة لأوامر الطبيب.

• د. يحيى سنبل

حدث في جمادى الأولى

موقعة أجنادين

في (سبت ٢٧ من جمادى الأولى عام: ١٣هـ)، واجه جيش الروم وعدده (١٠٠ ألف) مقاتل، جيش المسلمين البالغ (٣٣ ألفا)، بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي نظم جيشه فجعل على الميمنة معاذ بن جبل رضي الله عنه، وعلى الميسرة سعيد بن عامر رضي الله عنه، وقسم قلب الجيش نصفين، نصف للمشاة بقيادة أبي عبيدة رضي الله عنه، وجعلهم في مؤخرة الوسط، ونصف للخيل في المقدمة بقيادة سعيد بن زيد رضي الله عنه، ووقف خالد بنفسه في مقدمة الجيوش الإسلامية، حتى إن إشارة البدء للجيش الإسلامي، كانت قتال خالد بن الوليد نفسه، فلم يقاتلوا إلا عندما رأوه يحمل على القوم: (إذا حملت على القوم فاحملوا)، أما الجيش الرومي فقد كان قائده وردان في المؤخرة حتى يؤمن نفسه.

وكان خالد بن الوليد لا يهدأ في مكان حتى بدء المعركة، وكان كلما مر على قبيلة من القبائل، أو طائفة من الجيش أوصاهم بتقوى الله، وقال لهم: «قاتلوا في الله من كفر بالله، ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، أقدموا كإقدام الأسد، وأنتم أحرار كرام، فقد أبيتم الدنيا، واستوجبتم على الله ثواب الآخرة، ولا يهولنكم كثرة أعدادهم، فإن الله منزل عليهم رجسه، وعقابه (إذا حملت على القوم، فاحملوا)..

وجاء وقت القتال عند صلاة الظهر، وكان خالد رضي الله عنه يفضل أن يقاتل بعد صلاة الظهر، ولم يبدأ خالد بالقتال، ولكن الجيش الرومي استغل الفرصة وبدأ هو بالهجوم، فهجمت ميمنة الجيش الرومي على ميسرة جيش المسلمين، على فرقة سعيد بن عامر رضي الله عنه، فثبتت لها فرقة سعيد دفاعا عن المسلمين فقط، ولكنها لم تهاجم! وبعد ذلك تحركت ميسرة الجيش الرومي إلى ميمنة المسلمين فرقة معاذ بن جبل وثبت لها أيضا، واستعجل بعض القادة الرد ولكن خالد رد عليه: اصبر فإن في الصبر رجاء!

وبعد أن تقدمت ميمنة جيش الروم وميسرته، غدا الطريق خاليا للوسط أمام جيش المسلمين، فأشار خالد بالبدء بأن حمل عليهم بنفسه، وقال: «احملوا عباد الله على من كفر بالله»، فكان كمن أزاح صخرة أمام الطوفان، فاقتحم المسلمون جيش الروم كالسيل الهادر، وقاتلوهم قتالا عنيفا شديدا، واستمر القتال بين الفريقين وقتا قليلا وانتصر الجيش الإسلامي انتصارا عظيما، ووصل الجيش الإسلامي كما خطط خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى خيمة قائدهم العام، الذي كان آخر كلماته: «والله ما رأيت يوما في الدنيا أشد علي من هذا».

بلغ عدد القتلى من الروم في هذه المعركة نحو (٣ آلاف قتيل، من ١٠٠ ألف)، وبمجرد أن قتل قائده، لم يكن من بقية الجيش إلا أن فروا عن طريق الطرق المتشعبة الكثيرة الموجودة حول أجنادين، ولكن الجيش الإسلامي لم يتركهم، بل أخذوا في تتبعهم في هذه الطرق، قتلا وأسرا.

• السيد عبدالسلام



الفطام عن الدلال المفرط

لا يتوقف بعض الآباء والأمهات عن تلبية طلبات أبنائهم ومحاولة إرضائهم بكل السبل والوسائل، وبعضهم لا يستطيع حتى أن يقول كلمة: «لا» أمام الطلبات المتزايدة والمستمرة من الأبناء مهما كانت نوعية وطبيعة هذه الطلبات، ربما لأن تحقيق متطلبات الأبناء والاستجابة لرغباتهم يشعر أولياء الأمور بالفرح والسعادة، وأيضا يسعد أبنائهم الذين نالوا مطالبهم على الفور ومن دون أي تردد أو تأخير، وهذا قد يمثل بالنسبة للكثيرين قمة السعادة التي ينشدونها في هذه الحياة برؤية أبنائهم سعداء وفرحين، لكن استمرار هذه الطريقة في التعامل مع الأبناء قد تكون لها آثار سلبية خطيرة ليس على الأبناء فقط إنما حتى على أولياء أمورهم والمحيطين بهم، بل إنه حتى السعادة التي يشعر بها الآباء والأمهات في تلبية طلبات أبنائهم ستنقلب إلى تعاسة وقلق على مستقبل الأبناء الذين قد تتغير حياتهم إلى الأسوأ بسبب سلوكياتهم وتصرفاتهم وعدم قدرتهم على التعامل مع ظروف الحياة نتيجة الدلال الزائد الذي ينطوي على مخاطر كثيرة تفسد حياة ومستقبل أي طفل، لذلك يجب المبادرة والإسراع في فطام الأبناء عن الدلال المفرط.

ربما يعتقد الكثيرون أن مسألة تدليل الأبناء بسيطة وسهلة ومرحلة مؤقتة تنتهي عند سن معينة، لكن الحقيقة أن عواقب الدلال المفرط خطيرة وتأثيراته مستمرة ولا تقتصر على مرحلة الطفولة وحسب، إنما تمتد حتى عندما يكبر الإنسان ويصبح مسؤولا عن نفسه وتصرفاته، فعندها سيعاني من عدم القدرة على التصرف وحسن التعامل مع الكثير من المواقف التي يمر بها الإنسان في حياته، لأنه اعتاد على أن هناك من يلبي طلباته واحتياجاته من دون أي عناء أو بذل جهد.

وينصح الكثير من الأطباء والمختصين في التعامل مع الحالات النفسية باتباع طريقة الاعتدال والتوازن في التعامل مع الأبناء، لأن هذه أفضل وسائل التربية التي تبني شخصية الفرد وتقوّم سلوكه وتعلمه الاعتماد على النفس وبناء الذات، وتمنحه القدرة على التعامل مع ظروف الحياة. أما الدلال المفرط فإنه يقود إلى ضعف الشخصية والانطواء والعزلة وعدم القدرة على التعامل مع الكثير من المواقف التي يمر بها الإنسان في حياته. وعندما ندعوا إلى التوازن في التعامل مع الأبناء فإننا لا ندعوا إلى الحرمان والقسوة إنما علينا اتباع منهج الدين الإسلامي الحنيف القائم على الوسطية والاعتدال، فلا نتجه إلى الدلال المفرط ولا إلى القسوة الشديدة إنما نتبع طريق وسط بين الاثنين من خلال تلبية طلبات الأبناء ومنحهم مشاعر الحب والدلال باعتدال مع تربيتهم على الصحيح والخطأ، وليس كل ما يطلبونه يجدونه فورا إنما هناك أمور مقبولة وأخرى مرفوضة وهذا الأسلوب هو ما يربي الأبناء التربية الصحيحة التي تجعلهم قادرين على مواجهة أعباء وصعوبات الحياة.

عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

















مُسابقةُ الكويتِ الدّوليّةِ لأبحاثِ الوقفِ

الدورة الثالثة عشرة

(١٤٤٣ - ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٢ - ٢٠٢٣م)

تحت رعاية كريمة من سمو ولي العهد الشيخ

مشعل الأحمد الجابر الصباح

تدعو الباحثين والمهتمين بشؤون الوقف إلى المشاركة في تقديم أبحاثهم ضمن موضوعات المسابقة

تُجرى المسابقة في ثلاثة مواضيع، يختار الباحث أحدها:

الموضوع الأول: مخالفة الواقف للحاجة أو الضرورة (تأصيلاً، وتفريعًا)

الموضوع الثاني: دور الوقف في تحقيق الأمن الغذائي

الموضوع الثالث: توظيف التكنولوجيا المالية في تنمية الوقف واستثماره

شروط المسابقة:

١- يحق للباحثين: (الأفراد- المجموعات- المؤسسات العلمية) المشاركة في المسابقة.

٢- تُقدم الأبحاث بإحدى اللغات الثلاث (العربية، الإنجليزية، الفرنسية)، بشرط أن يكون البحث مصحوبًا بترجمة كاملة إلى العربية.

٣- ألّا يقل البحث عن (٩٠) صفحة ولا يتجاوز (١٠٥) صفحات.

٤- الالتزام باستيفاء الكتابة في العناصر الاسترشادية، كحد أدنى، وللباحث أن يضيف ما يراه مفيدًا ومثريًا، بحيث يكون له علاقة بموضوع البحث.

٥- الالتزام بشروط البحث العلمي مع مراعاة المنهج النقدي، ومناقشة وجهات النظر المختلفة حول موضوع البحث، مع التوثيق العلمي للآراء وفقًا للقواعد المتعارف عليها.

٦- المعايير الأساسية لتحكيم الأبحاث هي: سلامة المنهج العلمي، وتسلسل الأفكار، ووضوح العرض، والقدرة على ربط النتائج بالمقدمات، وسلامة لغة البحث.

٧- يحق للأمانة العامة للأوقاف حجب أي من الجوائز إذا لم ترقَ الأبحاث المقدمة إلى المستوى المطلوب، وهي غير ملزمة برد الأبحاث التي تصلها، سواء أكانت فائزة أم غير فائزة.

٨- يحق للأمانة العامة للأوقاف سحب الجائزة من الأبحاث الفائزة، التي يتبين مخالفتها للقواعد العلمية.

٩- الأبحاث التي تخالف الشروط السابقة لا تدخل تحكيم المسابقة.

١٠- ألّا يكون البحث قد سبق أن حصل على جائزة أخرى أو على شهادة علمية، ويحق للأمانة العامة للأوقاف سحب قيمة الجائزة إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقًا، أو قدم إلى جهة أخرى لغرض آخر أو كان مستلًا من رسالة علمية.

١١- لا يحق للفائزين نشر أبحاثهم الفائزة بأنفسهم، أو التصرف فيها للغير إلا بموافقة خطية من الأمانة العامة للأوقاف.

١٢- تُقدم الأبحاث مطبوعة على الكمبيوتر بحجم ورق A4 وفقًا للتخطيط المعتمد للصفحة، الذي هو على النحو الآتي:

أ- هوامش الصفحة:
- الفراغ أعلى الصفحة وأسفلها: ٢,٥٤ سم.
- الفراغ يمين الصفحة ويسارها: ٣ سم.

ب - الخط في المتن:
- نوعية الخط: Traditional Arabic.
- حجم الخط: 18 Bold للعناوين، 16 للكتابة.
- المسافة بين الأسطر: single.

ج- الخط في الهامش المرجعي أسفل الصفحة:
- نوعية الخط: Traditional Arabic.
- حجم الخط: ١١.
- المسافة بين الأسطر: single.

١٣- يرفق مع البحث السيرة الذاتية لصاحبه + صورة شخصية.

١٤- تُقدم أصول الأبحاث في موعد أقصاه ١٥ صفر ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٠٢٣/٨/٣١م.

توثيق المصادر والإحالات المرجعية:

يتم توثيق الإحالات المرجعية وفق طريقة التوثيق العلمي المعتمدة في إصدارات الأمانة، والمذكورة في الكتيب التعريفي للمسابقة.

إجراءات التقدم للمسابقة:

١) الحصول على نسخة من الكتيب التعريفي لموضوعات المسابقة، وعناصرها الاسترشادية، من خلال الموقع الإلكتروني للأمانة العامة للأوقاف: http://www.awqaf.org.kw .

٢) إرسال نموذج الاشتراك في المسابقة، والسيرة الذاتية إلى (إيميل) المسابقة لأخذ الموافقة على الكتابة، ومن ثَمّ ترسل الأبحاث إلى الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، من خلال البريد الإلكتروني لإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية: serd@awqaf.org
serd.kwt@gmail.com

٣) لمزيد من المعلومات حول المسابقة يرجى الاتصال على: هاتف: ٢٢٠٦٥٣٩١-٢٢٠٦٥٤٥٦-٢٢٠٦٥٧١٣-٢٢٠٦٥٤٥٢
(الرمز الدولي: ٠٠٩٦٥).
فاكس: ٢٢٥٤٢٥٢٦ (٠٠٩٦٥).

جوائز المسابقة:

تقسم جوائز المسابقة إلى ثلاث جوائز لكل موضوع على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: (٦) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثانية: (٥) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثالثة: (٤) آلاف دولار أمريكي.

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٩٤) جمادى الآخرة ١٤٤٤ هـ - يناير ٢٠٢٣م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

عِلَاجُ اليَأْسِ

المنهج النبوي في التنمية

المسلمون في أثيوبيا

تقويم العنف الأسري

مجلة الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي




فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

لا يأس مع الإيمان

اليأس مصيبة ينبغي للمسلم ألا يكتوي بنارها؛ لأنها ليست من صفات المؤمنين، فلا ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين حادوا عن الطريق القويم، وضلوا عن سبيل الحق، وتركوا الرجاء بربهم؛ لجهلهم بكمال فضله وعظيم كرمه وإحسانه، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾(الحجر:٥٦)، وقال سبحانه على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(يوسف:٨٧)، ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه -في حديثه عن الكبائر-: «... القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله» (أخرجه الطبراني).

في أحلك الظروف التي مرت بها مريم عليها السلام، يأتيها نداء الأمل ليبعث فيها الحياة عندما تمنت الموت؛ وليتجدد عندها شعور تجدد الحياة بعد أن كان اليأس يحاول التسلل إلى قلبها وعقلها؛ ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾(مريم:٢٣-٢٤).

ينطلق الأمل في نفوس المؤمنين من الإيمان بالقدر فمع الإيمان لا يأس، ومع الأمل لا حزن، ومع اليقين لا قنوط، فيتمثل الأمل في عقولهم وقلوبهم دائما بقول النبي ﷺ: «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك» (أخرجه أحمد)، وينطلق الأمل في نفوس المؤمنين أيضا من اليقين، فالمؤمن لا يبكي على اللبن المسكوب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:١٣٩).

أدركت أمنا هاجر عليها السلام بأن الله معها، وأنه لن يضيعها؛ فلم تسمح لليأس بالدخول إلى عقلها، بل كان تجدد الأمل في نفسها لأن توكلها على خالقها كان حقيقيا ومتينا؛ فنبع الماء بعد السعي، واطمأنت النفس بعد التعب.

لقد كان نبينا ﷺ دائم البشرى للمؤمنين، وكان يكثر من قوله: «... واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل» (أخرجه مسلم)، وقال أيضا مبشرا المؤمنين، ومحذرا من الاستعجال: «والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» (أخرجه البخاري).

ولاشك أنه من الأمور المعينة على بث التفاؤل في النفوس، وإبعاد اليأس والقنوط عنها: الدعاء والاعتصام بحبل الله، والاستقامة على دينه؛ ففي ذلك الفلاح والتمكين؛ قال تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾(الرعد:٢٧).

وختاما: فإن الأمل له صور مشرقة في ديننا الإسلامي الحنيف، ومن هذه الصور: أن الله تعالى أخبرنا في كتابه العزيز أن مع العسر يسرا؛ فلن يغلب عسر يسرين، وأخبرنا أن الشفاء يعقب المرض، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(الشعراء:٨٠)، وبث فينا الأمن بعد الخوف؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(الأنفال:٢٦) فهذه بشارات متجددة للمسلمين إلى يوم القيامة.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٩٤/ جمادى الآخرة ١٤٤٤ هـ
العام الستون
يناير ٢٠٢٣م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨-٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





فخ.. فلا تقع فيه

يسعى الإنسان المسلم للخير ويمضي في الطريق الصعب صابرا على ما يلاقيه غاض البصر عن طرق سهلة يتكسب من ورائها من لايراعون الله في محارمه وفي غمرة انشغاله بالعمل وفي منتصف طريقه للإنجاز تعترضه عقبة ما أو يصيبه جهد أو يتعرض لابتلاء، وهنا يجد إبليس فرصته سانحة وينصب الفخ بإحكام فيوسوس لبني آدم أن جزاء من تعب واجتهد وبذل كجزاء من استسهل وغش ودلس وأن المحصلة سواء ولا فائدة من كل هذا الشقاء ولا نتيجة لكل هذا التعب.

لكن الفخ لمن يسقط فيه والنجاة لمن يستمسك بالعروة الوثقى .. الفخ لمن ييأس ويراجع واقع مؤسف فيضعف والنجاة لمن يطلب العلا ويعرف أن الدنيا ليست هي الدار التي نعمل لها بل نعمل فيها كي نأخذ زادا معنا إلى حياتنا الخالدة، وأخيرا فإن الفخ لمن يسير وحده لا صحبة صالحة معه تعينه عند الابتلاء أو الإحباط أو تعرضه للعقبات، والنجاة لأهل المساجد المتصلين على الدوام برب كريم يعين ويصيب برحمته من يشاء ويقدر الخير حتى فيما يبدو لنا شرا.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

كلثوم باسعيد
كاتبة وباحثة



«الأنصاص القرآنية»

تنوعت طرق العناية بالقرآن الكريم حفظا وضبطا ورسما وتلاوة وتفسيرا... إلخ.

وهذا ما لم يتح للكتب والصحف السماوية السابقة.

والكتب والصحف المنزلة من السماء إلى أهل الأرض والمتضمنة الشرائع والمواعظ والأمثال والحكم والعبر... إلخ كثيرة جاوزت المائة؛ ففي الحديث أن أبا ذر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: كم كتابا أنزله الله؟ فقال له: «مائة كتاب وأربعة كتب؛ أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن»[1].

ورغم هذا العدد الكبير فإننا لم يصلنا إلا ما يمكن عده على أصابع اليد الواحدة، وعندما وصلتنا وصلتنا محرفة مختلط فيها كلام البشر بكلمة الله -سبحانه.

لكن القرآن الكريم هو المعجزة السماوية الخالدة الباقية المحفوظة من التغيير أو التبديل أو العبث بأي شكل من الأشكال.

ومن أنواع العناية بالقرآن الكريم التي تفرد بها أهل المغرب العربي على المشارقة ما يسمى بـ: «الأنصاص القرآنية».

و«الأنصاص جمع نص، وهو من جموع القلة على وزن أفعال»[2].

ويقول الدكتور عبد العزيز العيادي العروسي عن كلمة «الأنصاص»: «كلمة مغربية صرفة، نجدها في كثير من الاستعمالات اليومية على شكل جمع أو مفرد»[3].

وهذا أمر نختلف معه؛ حيث إن هذا

الجمع موجود في المشرق العربي؛ لكنه في مصر جمع لكلمة (نص) والتي يقصدون بها (نصف).

وعلى كل فـ«الأنصاص: مصطلح متداول بين أرباب القراءات في المغرب للتعبير عن مجموعة من القواعد التي تؤطر الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو في كيفية أدائها.

كما تؤطر هذه الأنصاص الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير والحذف والإضافة، مع التنصيص على أماكن وجودها في القرآن الكريم إما بواسطة السور أو بواسطة الأحزاب والأرباع والأثمان.

وهي عبارة عن قواعد منظومة في أراجيز مختصرة أو مطولة، ينظمها الفقهاء لتلامذتهم بطريقة عفوية، وبلغة عامية أحيانا، أو على شكل الشعر الملحون[٤] من أجل تقريب الكلمات التي تقع فيها الأخطاء عند كتابتها أو النطق بها من التلاميذ المتعلمين»[٥].

والأنصاص تراث شفوي متناقل أكثر منه علما مكتوبا، وهو مرتبط بأهل المغرب العربي وبقراءة ورش.

وهي ليست حديثة النشأة والوجود، بل تضرب بجذورها في تاريخ عدوتي المغرب والأندلس، فحسب «سعيد أعراب فإن هذه الأنصاص كانت ببلاد الأندلس في حدود المائة السادسة للهجرة»[٦].

وتميزت الأنصاص الأندلسية بطابعها الشعري، أما الأنصاص بعدوة المغرب فتميزت بـ:

١- استعمالها اللغة العامية أحيانا.

٢- عدم التزامها بقافية شعرية معينة، وبأسلوب ركيك أحيانا.

٣- الطابع الملحون لبعض هذه الأنصاص، والتي تسمى: (أنصاص الأعراب).

٤- تستعمل الأرباع والأثمان والأحزاب[٧]، وما اشتهر من الكلمات بدل السور»[٨].

ومن بدأ الأنصاص غير معروف، والمصادر لا تسعفنا في ذلك؛ فهي لا تنسب إلى شخص بعينه.

وحتى الآن فإن كثيرا من الأنصاص مجهولة الصاحب؛ حيث يتم تناقلها دون معرفة قائلها.

وتتنوع موضوعات الأنصاص، وقد قسمها الدكتور عبد العزيز العيادي العروسي إلى «ستة أقسام:

١- أنصاص تتناول الرسم القرآني.

٢- أنصاص تتناول ضبط الكلمات القرآنية.

٣- أنصاص تتناول الوقف والابتداء.

٤- أنصاص تتناول كيفية الأداء والتجويد.

٥- أنصاص تتناول الكلمات المتشابهة في القرآن (المشاكل).

٦- أنصاص تتناول أدبيات القراءة والتعليم والمعاملات التعليمية»[٩].

٧- أنصاص تتناول وزن الكلمة ومحلها في الإعراب.

«وهناك نوع آخر من الأنصاص صيغت على شكل ألغاز ونكت ومستملحات، الغرض منها مزدوج؛ فهي من حيث المظهر تشكل استراحة فكرية للتلميذ والطالب، وهي من حيث العمق تؤطر كلمة خرجت عن مثيلاتها للتنصيص على موضعها وكيفية رسمها؛ حتى لا يقع الطالب أو التلميذ في الخطأ حين كتابتها»[١٠].

ومن الأمثلة على تلك الأنصاص قول أحدهم:

«يا سائلا عن رسم (اللاعنون)
كذاك (اللات) ثم (اللاعبين)
فألحق الألف باللام الثاني
واحفظه من يمين يا إنساني
وإياك تخلطه بالأول
لأنه تصحيف للمنزل
هذا هو المشهور عند العارفين
فاقرأ به وكن من المتبعين

وهناك نص في (العداوة والبغضاء)؛ حيث تكررت في القرآن مقترنة أربع مرات.

وجاءت في حالة النصب ثلاث مرات في سورة المائدة الآيات: (١٤، ٦٤، ٩١).

وفي حالة الرفع مرة واحدة في سورة الممتحنة الآية: (٤).

وقد قيل في ذلك:

(العداوة والبغضاء) ثلاث منصوبة كنصب ميم المائدة.

(العداوة والبغضاء) مرفوعة كرفع ميم الممتحنة.

وفي كيفية رسم بعض الهمزات قيل:

واحذف الهمزة بعد ساكن غير ألف
كشطئه والمشئمة وسئل بهن عارف
وارسم وسئل فسئل بدون ألف
لأن السائل في عجلة وتلهف

وهناك سلبية مشاهدة وهي أثر من آثار الاستدمار أن الاهتمام الشديد من أهل المغرب العربي بالرسم العثماني، وطريقة رسم الكلمات وكتابتها، لم يقابله اهتمام بالكتابة العربية بعد زوال الاستدمار؛ فتجد أن كتابة الأسماء -مثلا- يشوبها الكثير من الأخطاء؛ حيث تتم كتابة الأسماء كما ينطقونها لا كما هي في اللغة العربية؛ فمثلا يكتبون: عومر - فوضيل - زوبيدة - عبد الغاني، ويقصدون بها: عمر - فضيل - زبيدة - عبد الغني.

وأخيرا فإن تلك الأنصاص القرآنية تحتاج أن يشمر الباحثون عن ساعد الجد لجمعها وتبويبها، لاسيما وأنها فن اختص به أهل المغرب العربي دون غيرهم.

والجهود المبذولة في هذا المضمار ضعيفة لا تنهض لإبراز هذا التراث العظيم.

الهوامش

١- جزء من حديث أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، (٧٦/٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف جدا».
٢- د. عبد العزيز العيادي العروسي: الأنصاص القرآنية (رواية ورش بالسند المتصل)، (ص: ٩٩).
٣- السابق، نفس الصفحة.
٤- هو ما يقابل الزجل عند المصريين.
٥- السابق، (ص: ٩٩-١٠٠) باختصار.
٦- السابق، (ص: ١٠٠).
٧- يشتهر في المغرب العربي ذكر الأحزاب عن ذكر الأجزاء؛ فيقال: فلان يحفظ الستين، أي: يحفظ الستين حزبا، والتي تساوي الثلاثين جزءا.
والمصاحف برواية ورش مثبت بها الأثمان؛ فالجزء يقسم إلى حزبين، والحزب إلى أربعة أرباع، والربع إلى ثمنين، والأثمان ليست في المصاحف برواية حفص.
٨- السابق، نفس الصفحة.
٩- السابق، (ص: ١٠٠-١٠١).
١٠- السابق، (ص: ١٠١).



أ. د. ماهر جاسم حسن الأومري
أستاذ في كلية الإمام الأعظم

الجزء الأول: مفهومه وأنواعه ومراحل نشأته

التفسير اللغوي للقرآن

أثر اللغة العربية في علم التفسير

إن للغة العربية أثرا بارزا في علم التفسير؛ فقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وأساليب كلامهم، فمن أراد أن يفسر القرآن فعليه أن يعرف لغة العرب، وأساليب كلامهم، يقول الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) -رحمه الله-: «فمن أراد تفهمه - أي القرآن - فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة»[١]، وقد ذكر السيوطي (ت٩١١هـ) - رحمه الله - مكانة اللغة بين العلوم التي يحتاج إليها المفسر؛ إذ يعرف بها شرح مفردات الألفاظ، ومدلولاتها حسب الوضع[٢]؛ لذلك جعلها الله سبحانه وتعالى لغة كتابه العزيز.

مفهوم (التفسير اللغوي للقرآن)

إن مصطلح (التفسير اللغوي للقرآن) خاص بتفسير القرآن الكريم، وهو منهج أصيل من مناهج تفسيره يختلف عن المناهج الأخرى؛ إذ إنه يقوم على إخضاع اللغة وعلومها لدراسة الموضوعات القرآنية وليس العكس.

وهذا المصطلح ليس بدعا في الدراسات القرآنية واللغوية، وقد استعمله القدامى من السلف - رضي الله عنهم - والذين جاؤوا بعدهم في مؤلفاتهم ودراساتهم، وإن لم ينصوا على ذلك، أما المحدثون فقد نصوا على ذلك في دراساتهم، وجعلوه مصطلحا متعارفا عليه في علم التفسير.

أما مفهوم (التفسير اللغوي للقرآن) فقد عرفه الدكتور مساعد بن سليمان الطيار بأنه: «بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب»[٣]، وقد عرفته لدى دراستي[٤] عن التفسير اللغوي عند القاسمي (ت ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م) - رحمه الله - في تفسيره (محاسن التأويل)، بأنه: «تفسير القرآن الكريم بلغة العرب على وفق مدلولات ألفاظها، وأساليب كلامها، وأصولها وقواعدها، وغير ذلك مما يتعلق بهذه اللغة التي جعلها الله لغة الكتاب الكريم»[٥].

أنواع التفسير اللغوي الأساسية:

١- التفسير اللغوي الخاص:

وهو المفهوم الابتدائي والأساسي للتفسير اللغوي، وهو الذي يتعلق ببيان غريب المفردات القرآنية، وذكر دلالتها، ولا يتناول القضايا اللغوية عامة، وقد عرفها - أي المفردة القرآنية الغريبة - أستاذنا الدكتور كاصد الزيدي - رحمه الله - بأنها: «لفظة تحتاج إلى بيان وشرح وإيضاح»[٦]، ويمكن أن نطلق عليه: التفسير الدلالي للقرآن.

٢- التفسير اللغوي العام:

وهو الذي يتناول قضايا اللغة عامة، وليس غريب المفردات القرآنية فقط، أي: تفسير القرآن بمباحث اللغة العامة والمختلفة، وأهم تلك المباحث: اللغة، والنحو والصرف، والبلاغة بعلومها الثلاثة، والاستشهاد بكلام العرب شعرا ونثرا، والاهتمام بالمذاهب النحوية، وإعراب الألفاظ القرآنية، وتحديد معانيها، وذكر القراءات القرآنية وتنزيلها على المعاني المختلفة، وغير ذلك مما يدخل في علوم اللغة ومباحثها العامة[٧].

وقد تناوله الدارسون القدامى - رحمهم الله - بالبحث والدراسة، وذكروه في ثنايا دراساتهم في علم

التفسير، ويعد الزركشي - رحمه الله - (ت٧٩٤هـ) من أشهر أولئك الدارسين؛ فقد ذكره لدى كلامه على النظر في علم التفسير من حيث إفراد الألفاظ وتراكيبها، مفصلا الكلام على ذلك، ومفاد كلامه: أن النظر في التفسير من هذا الجانب يكون على جهة العموم والشمول، ويتناول القضايا اللغوية على اختلاف أنواعها ومسائلها، وهو ما يصدق على مفهوم (التفسير اللغوي العام)[٨].

مراحل نشأة التفسير اللغوي

المرحلة الأولى: عصر الصحابة (التأسيس والتأصيل):

ابتداء هذه المرحلة من وفاة النبي ﷺ، إذ ترجع بدايات التفسير اللغوي إلى وقت مبكر من عصر الصحابة - رضي الله عنهم - فقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٢٣ هـ)عندما قرأ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾(النحل: ٤٧)، لم يعرف معنى (التخوف)، فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا: التنقص، وذكر له قول الشاعر:

تخوف الرحل منها تامكًا قردًا

كما تخوف عود النبعة السفن[٩].

فقال عمر: «أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإن فيه تفسير كتابكم»[١٠].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ إذ تطورت الحياة وظهرت الحاجة إلى التفسير اللغوي أكثر من قبل، فيظهر صحابي جليل أصبح رائدا لهذا المنهج، هو الصحابي عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ) - رضي الله عنهما- الذي سلك منهجا لم يكن معهودا لدى الصحابة الذين سبقوه في المرحلة الأولى من نزول القرآن، حتى قيل عنه: إنه هو الذي نمى الطريقة اللغوية في تفسير القرآن، ووسع أفقها[١١]؛ لذلك فإن التفسير اللغوي هو أبرز ما في منهج ابن عباس في التفسير.

غير أن المنهج الغالب والمشهور عن ابن عباس (ت ٦٨هـ) - رضي الله عنهما - هو المنهج الابتدائي للتفسير اللغوي، وهو - كما ذكرنا آنفا - الذي يتعلق ببيان غريب المفردات القرآنية[١٢]، والدليل على ذلك: ما نقل لنا من أجوبته عن سؤالات ابن الأزرق (ت٦٥هـ)[١٣]، وما ذكره السيوطي (ت٩١١هـ) بأن له كتابا في غريب القرآن على ترتيب سوره، وهو غير التفسير المنسوب إليه الذي طبع طبعات كثيرة باسم (تنوير المقباس)[١٤].

وأهم خصائص التفسير اللغوي في هذه المرحلة ما يأتي:

١- لم تكن الحاجة إلى التفسير اللغوي كبيرة في هذه المرحلة؛ لأن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يفهمون القرآن ومعانيه.

٢- كان التفسير اللغوي فيها ابتدائيا؛ لذلك كان الصحابة يستعملون اللفظ الأكثر اختصارا؛ إذ غلب على منهجهم العناية بتفسير الكلمة المفردة وبيان دلالتها؛ لأن مرحلتهم كانت بعيدة عن التكلف والتعقيد[١٥].

٣- بدأت الحاجة إلى التفسير اللغوي في هذه المرحلة تتسع شيئا فشيئا، وبخاصة بعد اتساع الدين الإسلامي، ودخول أصحاب اللغات المختلفة فيه.

٤- لم يكن الصحابة على مستوى واحد في فهم القرآن[١٦]، وكان الاختلاف بينهم قليلا في فهم المعاني، وهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد[١٧].

٥- لم يصنف شيء في التفسير اللغوي في هذه المرحلة سوى كتابين لابن عباس، الأول: في لغات القرآن[١٨]، والآخر: في غريب القرآن المذكور آنفا.

المرحلة الثانية: عصر التابعين (الامتداد والتوسع):

تأتي مرحلة التابعين بعد مرحلة الصحابة -رضي الله عنهم - وكان تفسيرهم امتدادا لتفسير الصحابة، ومنهم من تلقى التفسير عنهم، ومنهم من اجتهد واستنبط وأعمل فكره في القرآن غير خارج عن

أصول الاجتهاد وقواعده[١٩]، ومهما يكن من شيء فقد كان التفسير اللغوي عندهم منهجا لا يقل أهمية عن المناهج الأخرى.

وأهم خصائص التفسير اللغوي في هذه المرحلة ما يأتي:

كانت اللغة ضابطا من أهم ضوابط التفسير عند التابعين[٢٠].

لم يكن تفسيرهم بدرجة تفسير الصحابة، بل كان أكثر توسعا مما نقلوه عنهم؛ لذلك يمكن أن نطلق على هذه المرحلة (مرحلة الامتداد والتوسع).

كثر عندهم الاستنباط والاستدلال مما أدى إلى كثرة الاختلاف بينهم عما كان عند الصحابة[٢١]، لكنه بقي اختلاف تنوع لا تضاد كما كان عند الصحابة[٢٢] - رضي الله عنهم جميعا-.

المرحلة الثالثة: ما بعد عصر التابعين (التفريع والتصنيف والتدوين):

يمكن تحديد هذه المرحلة من بداية الدولة العباسية، وهي مرحلة طويلة امتدت إلى العصر الحديث، أي عشرة قرون على وجه التقريب.

وقد توسع التفسير اللغوي في هذه المدة[٢٣] بتوسع طرقه، وتعدد مناهجه، وتفرع علوم اللغة عموما؛ لذلك يمكن أن نطلق عليها (مرحلة التفريع والتصنيف والتدوين).

وأهم خصائص التفسير اللغوي في هذه المرحلة ما يأتي:

١- أخذ التفسير اللغوي صفة العموم؛ إذ كان التفسير اللغوي العام هو المنهج السائد في هذه المدة.

٢- تعددت مناهج التفسير اللغوي، وكثرت في هذه المدة.

٣- ظهرت مصنفات التفسير اللغوي بكافة أنواعها سواء أكان عاما أم خاصا كالتفاسير النحوية، والبلاغية، والبيانية، وغيرها.

المرحلة الرابعة: العصر الحديث (التجديد والاجتهاد):

ابتدأت هذه المرحلة من القرن الرابع عشر الهجري (القرن العشرين الميلادي) وامتدت إلى وقتنا الحاضر، واتضحت بالمدرسة الحديثة في التفسير القائمة على الاجتهاد والتجديد المنضبطين بالضوابط العلمية دون الخروج عليها[٢٤].

وبرز عدد من المفسرين في هذه المرحلة كانت لهم جهود في التجديد والاجتهاد في التفسير اللغوي وبخاصة المنهج البلاغي والبياني أمثال: الإمام محمد عبده، ومحمد جمال الدين القاسمي، ومحمد رشيد رضا، والطاهر ابن عاشور، وأمين الخولي، وزوجته عائشة عبد الرحمن، وسيد قطب الذي طور التفسير البياني في العصر الحديث تطويرا حقيقيا[٢٥].

ويكاد يكون كل من الاجتهاد والتجديد في التفسير اللغوي للقرآن في العصر الحديث أمرا غامضا وغير واضح لدى الدارسين في الوقت الحاضر؛ إذ لم أجد أحدا ذكر ذلك، أو أشار إليه سوى إشارات غير صريحة، غير أن كلا منهما ممكن الوقوع في هذا العصر، بل في العصور القادمة أيضا ما دامت اللغة العربية وعلومها فيها خصائص التطور والتجديد ومواكبة العصر، وهذا ما قرره علم اللغة الحديث[٢٦].

ويمكن إجمال أهم الخصائص التي اتصف بها التفسير اللغوي في هذه المرحلة بما يأتي:

١- اتصف التفسير اللغوي بـ (التجديد والاجتهاد) القائمين على الضوابط العلمية والمنهجية ومنها: الضوابط اللغوية عامة.

٢- اقتصرت جهود المفسرين في ميدان (التجديد والاجتهاد) في غالبها على جمع أقوال المتقدمين، وشرح غوامضها، ونقد ضعيفها، وترجيح رأي على رأي، وما إلى ذلك[٢٧]، ولا نقصد بذلك أنه لم يكن لهم إبداع وابتكار في مباحثهم ودراستهم، ولا نقصد أنهم كانوا مقلدين لهم، وإنما كان إبداعهم يصب في غالبه في تلك الجهود المذكورة آنفا التي قدموها لعلم التفسير، ومن ذلك التفسير اللغوي.

٣- من ملامح التجديد في التفسير اللغوي في هذه المرحلة ظهور

(التفسير البياني) للقرآن وتأصيله وتوسيع مباحثه، وقد بدا الاجتهاد واضحا في هذا المنهج التفسيري.

٤- من أهم ما يعنى به التفسير البياني: إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، وصياغة المعاني القرآنية في أسلوب شيق أخاذ، وتطبيق النص القرآني على السنن الكونية المختلفة[٢٨].

الهوامش

١- الموافقات في أصول الأحكام: ٢/ ٤٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

٢- ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٨٠، المكتبة الثقافية، بيروت (١٩٧٣م)؛ والأزهري مفسرا في كتابه (تهذيب اللغة)، الدكتور ماهر جاسم حسن الأومري: ١٢١، بغداد - ديوان الوقف السني، ط:١، (٢٠١٢م).

٣- التفسير اللغوي للقرآن الكريم:٣٨، دار ابن الجوزي، ط:٤، (٢٠١٣م).

٤- هي دراسة لنيل شهادة الدكتوراة في التفسير اللغوي للقرآن بتاريخ (٢٩/١٠/٢٠٠٣م) وقد حصل الباحث فيها على درجة جيد جدا.

٥- التفسير اللغوي في محاسن التأويل لمحمد جمال القاسمي، تأليف الأستاذ الدكتور ماهر جاسم الأومري:٢٣، ٢٤، بغداد، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط:١، (١٤٣١-٢٠١٠م).

٦- موسوعة الموصل الحضارية: ٣/ ٣٦، جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، ط:١، (١٩٩٢م).

٧- ينظر: موسوعة الموصل الحضارية: ٣/ ٣٦؛ والموافقات: ١/ ١٢٠؛ والإتقان: ١/ ١٢٠، وما بعدها؛ والتفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٧٨، وما بعدها، دار القلم، بيروت، ط:١، (د.ت)؛ والضابط اللغوي في التفسير للدكتور محسن عبد الحميد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، ص ٢٦٢، بغداد، العدد (٦)، ١٩٧٥ م؛ والأزهري مفسرا في كتابه تهذيب اللغة: ٢٥، وما بعدها.

٨- ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢/ ١٩٠، ١٩١، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧ م؛ وتفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل): ١/ ١٤٢، ٢٦٢، ٢٦٣، ٣٢٢، ٣٢٣، دار الفكر، بيروت، ط:٢، (١٩٧٨م)؛ والضابط اللغوي في التفسير: ٢٤٣، ٢٤، وما بعدهما.

٩- ينظر: البيت في كتاب الأمالي لأبي علي القالي: ٢/ ١١٢، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ت)؛ ومحاسن التأويل: ١/١٠١.

١٠- ينظر: الموافقات: ٢٠/ ٥٨، وتطور تفسير القرآن للدكتور محسن عبد الحميد: ٢٥، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة، (د.ت)؛ والأزهري مفسرا: ١/ ١٨، وما بعدها.

١١- ينظر: مذاهب التفسير الاسلامي لجولد تسهر: ٩٠، تحقيق: الدكتور عبد الحليم النجار، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (١٩٥٥م).

١٢- ينظر: التفسير والمفسرون: ١/ ١٠٠؛ وتفسير ابن عباس -دراسة وتحليل: الدكتور عبد المجيد محمد الدوري، مركز البحوث والدراسات الإسلامية - ديوان الوقف السني، بغداد، ط:١، (٢٠١٤م): ١٣٤- ١٣٥.

١٣- ينظر: الإتقان:١/١٢٠.

١٤- ينظر: م. ن:١/ ١١٥، وما بعدها؛ والتفاسير اللغوية والنحوية للقرآن الكريم، للدكتور محيي هلال السرحان، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء (٤، ٣)، المجلد (٣٢)، (١٤٠١ هـ)، (١٩٨١ م)، ص: ٥٥٢.

١٥- ينظر: الإتقان: ١/ ١١٥، والتفسير والمفسرون: ١/ ١٠٠؛ وتفسير ابن عباس دراسة وتحليل: ١٣٤- ١٣٥.

١٦- ينظر: التفسير والمفسرون: ١/ ٣٧؛ وتطور تفسير القرآن: ٢٢، ٢٥.

١٧- ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية: ٤٧، ٤٨؛ والأزهري مفسرا: ١٨، وما بعدها.

١٨- ينظر: تفسير ابن عباس -دراسة وتحليل: ١٣٣.

١٩- ينظر: مقدمة في أصول التفسير: ٤٧.

٢٠- ينظر: التفسير والمفسرون: ١/ ١٠٦؛ وتطور تفسير القرآن: ٣٧.

٢١- ينظر: التفسير والمفسرون: ١/ ١٣٤؛ وتطور تفسير القرآن: ٣٧.

٢٢- ينظر: تطور تفسير القرآن: ٣٨؛ والأزهري مفسرا: ١٩، ٢٠.

٢٣- ينظر: تطور تفسير القرآن: ٤٥.

٢٤- ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الدكتور صلاح الخالدي: ٤٥، ٤٦، دار القلم، دمشق، ط:٣، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٥- ينظر: تطور تفسير القرآن: ٥٢، وما بعدها؛ وتعريف الدارسين: ٤٥، ٤٦.

٢٦- ينظر: لغة القرآن الكريم، الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم:١٣، ٣٦٥، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان - الأردن، ط: ١، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٢٧- ينظر: التفسير والمفسرون:٢/٣٦٣.

٢٨- ينظر: م.ن: ٢/ ٤٠١.



خلافة الإنسان في الأرض

المحاضرة (٩-١)❖

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله لا شريك له؛ لأنه واحد، ولا أجزاء له؛ لأنه أحد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي كرم الله به الإنسانية فجعله خاتما للرسل، وكرم أمته فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وحملهم أمانته، وأوصل رسالته، فجعلهم امتدادا لها في شخصه ﷺ، وكما جعل الله سبحانه وتعالى محمدا ﷺ شهيدا على أمة الإجابة كذلك جعل أمته شهداء على الناس جميعا، وبعد:

فالحق سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان خلقه لمهمة الخلافة في الأرض، وأمد مادته -كما قلنا- بما أودع في الأرض من أقوات، وأمد روحه بما أنزل عليه من السماء من وحي، وبذلك اكتمل المقومان للمادة والروح، ثم أهبط آدم وزوجه إلى الأرض؛ ليمارسا مهمة الخلافة بعد تجربة تطبيقية واقعية في الجنة، عرف فيها آدم منهج الله لا نظريا، ولكن تطبيقيا عمليا، أمرا ونهيا، وجهاد عدو هو الشيطان، وغفلة نفس بالمعصية بنسيان أو غيره، وجبر ذلك كله بالتوبة والإنابة إلى الله، فلما تدرب آدم عليه السلام على مهمته؛ حتى لا يمارس المهمة بمنهج نظري فحسب، أهبطه الله إلى الأرض، وقال له: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٣٨)، وفي آية أخرى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾(طه:١٢٣-١٢٤)، فدل الحق بقوله: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ على أن الدين ليس موضوعه الآخرة، وإنما موضوعه الأرض وما فيها من حركة للإعاشة، وطموح للإعمار، والآخرة إنما هي جزاء على الإحسان في هذا الموضوع أو الإساءة فيه. إذن: فآدم قد زود بمنهج، وأخذ العهد على ذريته من ظهره قديما، عهد الفطرة -على رأي بعض العلماء- وعهد الحقيقة بأن مسح الله على ظهر آدم، وأخذ ذريته، وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾(الأعراف:١٧٢)، والناظر في هذا العهد يلمح فيه تاريخ الرسالات كلها؛ لأن الحق إنما أخذ عهد الفطرة أو الحقيقة حتى يقطع الحجة على البشر، وقطع الحجة معناه وجود أعذار من البشر تبرر انحرافهم عن منهج الله، فما الأعذار التي يمكن أن يتعلل بها البشر أمام الله؟! يقول الله: إنني أخذت هذا العهد عليكم، وأقررتكم بربوبيتي؛ حتى لا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾(الأعراف:١٧٢)، أو تقولوا: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾(الأعراف:١٧٣)، إذن: فالتعلل والأعذار من البشر إنما هو بالغفلة أولا، وبتقليد البيئة ثانيا، فأول ما يطرأ على منهج الله بالنسبة إلى الإنسان إنما هو الغفلة عن ذلك المنهج، وتكون باستيلاء

محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبرٍ لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشيخ الشعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.

وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)

الشيطان أو النفس على الإنسان، فتغريه بالخروج عن يسير من المبدأ، ثم بالخروج عن أكثر منه، وهكذا يتدرج الإنسان بوساطة الغفلة من الصغيرة إلى الكبيرة، وقد يتمادى به ذلك إلى أن يصل إلى الشرك والعياذ بالله.

وإذا نظرنا إلى الغفلة وجدناها المنفذ الأول لهدم العهد في الإنسان الذي أراد الله له أن يكون سلوكه منطبقا على عهده، ولذلك يشرح الرسول ﷺ كيف يدب الانحراف إلى نفوس المؤمنين، وفي ذلك يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا[١] فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين؛ على أبيض مثل الصفا؛ فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مجخيا[٢]، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه»[٣]، يصور لنا الرسول أن الغفلة إنما تجيء من نومة الرجل عن بعض تكليفات دينه، فيعتاد النوم حتى يصبح الران -والعياذ بالله- على القلب، وفي ذلك يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر؛ حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة»، وحدثنا عن رفعها، قال: «ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت[٤]، ثم ينام النومة، فتقبض، فيبقى أثرها مثل المجل[٥]، كجمر دحرجته على رجلك فنفط[٦]، فتراه منتبرا[٧] وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده!، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»[٨]؛ أي: يشير رسول الله ﷺ إلى أن مقاييس البشر في تقييم الناس لن تكون على منهج الله؛ وإنما تكون على منهج العقل والظرف وخفة الروح، فمقاييس الله طرحت، وأصبحت مقاييس الأرض وأوضاع البشر المحكم في تقييم الناس، والحق سبحانه وتعالى الذي علم أن الغفلة قد تصيب الإنسان، وأن الجيل الغافل أول جيل يتسرب منه الانحلال، ثم يأتي جيل آخر تشبع بالجيل الغافل، فأصبح جيلا يقلد فيما بعد، فيجتمع على الأجيال التي بعد هذين الجيلين عاملا الغفلة وتقليد البيئة، ولذلك يقول الله؛ ليقطع هذين العذرين: إنكم تقولون يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، أو تقولون احتجاجا بالبيئة: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾. وليقطع الله هذه الأعذار من الغفلة والأسوة بالبيئة لم يترك عهد آدم لينقله آدم إلى ذريته، وتنقله ذريته إلى ذريتهم وهكذا، وإنما رحمة بالخلق أرسل بين كل فترة وأخرى رسولا يذكر الناس من جديد بالمنهج، ويبشرهم وينذرهم، وبعد ذلك حين اكتمل رشد الإنسانية بعث الله المذكر النهائي، وهو رسول الله محمد ﷺ، البشير الذي ليس بعده بشير ولا نذير، فقد انقطع إرسال السماء عن الأرض، ولم يبق إلا إرسال المعونة والمدد إلى معونة القائمين على أمر الله، لذلك كانت أمة محمد بمنزلة الأنبياء في الأمم السابقين، وكما أراد الله من رسوله أن يكون شهيدا عليهم أراد من أمته أن يكونوا شهداء على الناس أيضا، إذن: فكل فرد من أمته مطلوب إليه أن يكون امتداد رسالة محمد ﷺ. ولهذا حفظ الله معجزته، وهي كتاب المنهج؛ حتى لا يكون لأحد في المسلمين عذر كما كان للمتخلفين في الديانتين القديمتين؛ فقد حرف كتابهم بكثير من ألوان التحريف، فشاء الحق أن يقطع على أمة محمد هذا العذر، فحفظ الكتاب، ولم يتركه ليحفظه المسلمون؛

أهبط الله آدم وزوجه إلى الأرض ليمارسا مهمة الخلافة بعد تجربة تطبيقية واقعية في الجنة

مقاييس البشر المادية لا تكون على منهاج الله وإنما تكون على منهج العقل وخفة الروح

حتى يكون موثقا دائما، وإذا أردنا أن نستعرض المطلوب من أي منهج في الأرض، أو أي منهج صدر عن السماء نجد أن المنهج لا يراد منه إلا أن يقود الأمة قيادة مستوعبة لكل أقنية الحياة ببسيط الشعائر، فليس في الحياة قضية إلا ولها غطاء من مبادئ الدين وقواعده وأصوله وفروعه، فماذا يراد من منهج ينظم حركة الإنسان والبشرية إلا أن يكون مماشيا قوانين الكون كلها، فلا شذوذ لمبدأ مع قانون في الوجود؛ لأن الوجود إنما هو صنعة الله، والمنهج من صنعة الله، وهو محفوظ بصفة من صفات الله، وهي كلامه، إنه نص موثق، لا أقول: موثق بشهادة المسلمين. ولكني أقول: موثق بشهادة أعداء المسلمين، ومستوعب لكل قضايا الحياة، ومماش حقائق الوجود وأسرار الكون التي يكتشفها النشاط الذهني، وبسيط الشعائر والتعبدات، لو كان عند الناس منهج كهذا فماذا يريدون من منهج سواه؟! إذا التفت الناس إلى منهج سواه فإنهم يريدون أن يتبعوا أهواءهم، وألا يخضعوا لدين الله، ولذلك يقول الحق: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾(الحجرات:١٦)، يقول قائل: قد عمت الفتنة، وطم[٩] الفساد، وأصبح المجتمع على ما نرى، فلا بد أن يتصرف الإسلام في مبادئه ليناسب حال العصر. نقول له: يا هذا، إنك تريد الله على دين البشر، ولا تريد البشر على دين الله، وإذا كانت السماء ستهبط بمنهجها إلى مستويات أفكار الناس وواقعهم فمن إذن يكون المشرع؟! إن المشرع سيكون المجتمع، فلا معنى لعبودية الإنسان للإله، ولا لقضية الإيمان من أساسها، إنما جاء دين الله ليرفع البشر إلى مستوى التقنين من الله، لا ليهبط التقنين إلى مستوى واقع البشر، ولذلك قلت سابقا: إن المتأمل في منهج الله يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام:١٥١)، ويقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾(آل عمران:٦٤)، لا تفسروا تعالوا بمعنى أقبلوا؛ لئلا يفقد مراد الله من اللفظ، لأن الحق لا يدع لفظا بدل لفظ إلا وللفظ الآخر إيحاء قوي يعرفه من يتدبر آي القرآن، ومعنى يتدبرها: لا ينظر إلى واجهات الألفاظ، ولكن ينظر إلى أدبارها وخلفيات المعطيات، يقول الحق تعالى: ﴿تَعَالَوْا﴾، لا يقال: تعال، إلا لمن كان في الحضيض، فتقول له: ارتفع لتأخذ منهجك عن ربك، ولا تنتظر بنفسك حتى تكون في حضيض البشرية، إذن: فمنهج الله يرفع الخلق إلى منهج الخالق، ولكن البشر الآن –لعدم قدرتهم على نفوسهم– يودون أن يتفاعل القرآن بواقعهم والإسلام بمجتمعاتهم؛ حتى نصبح المقننين، وليتنا مسلمون، إننا نستورد العادات والتقاليد والانحراف ومبادئ الإلحاد، فنكون إما ملحدين لا نعرف الله، وإما عارفين الله ولكننا نجهل المنهج الحق عنه، إذن: فسينتقل الأمر لا إلى تشريع المسلمين لأنفسهم، ولكن لتشريع الملحدين بالله لما خلق الله، وذلك أمر يأباه العقل والمنطق والذوق السليم، الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي تميز بسمو هذه العناصر وصفائها، لا أقول: بشهادة الملحدين؛ لأن المسلمين قد يتعصبون لدينهم، ويقولون فيه ما يشاؤون، ولكن بشهادة بعض المنصفين من أعداء الإسلام، ولا أحتج بشهادتهم لأنني أريد أن أوجد الدليل على قول خصوم الإسلام؛ ولكن على طريقة ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾(يوسف:٢٦)، ومعنى ذلك: أننا نثق في كل من قال عن الإسلام من خصوم الإسلام، لا؛ إن خصوم الإسلام حين يريدون هدم الإسلام يكتبون عنه وفي بعض قضاياه كلاما حقا؛ حتى يطمئن المسلمون إلى أنهم منصفون، فإذا ما اطمأن المسلمون إلى إنصافهم يكفي الواحد منهم أن يدس في كتابه هذا قضية إلحادية تشكيكية واحدة، لا ضرورة لأن يكون في كل كتبه تشكيكيا إلحاديا، ولكنه يقول الحق، فتقول أنت: إنه منصف. ثم يقول الحق في قضية ثانية، فتقول: إنه منصف. ثم يقول الحق في قضية أخرى، فتقول: إنه منصف. فإذا ما استقر في ذهنك إنصافه استغفلك ودخل وتسلل بقضية واحدة أو قضيتي تشكيك في الإسلام. أنت قد عرفت أنه منصف، فستأخذ القضية على ثقة إنصافه، وبذلك دست حقيقة تشكيكية في مبدأ دينك، فلا معنى للاستشهاد بأن كل ما قالوه صحيح، ولكني أستشهد بما قالوه صدقا؛ حتى يربوا الثقة فيما كتبوا عند المسلمين، ليتسللوا بعد ذلك إلى ما يريدون، أما النص الموثق فأنا لا أقول: قال الله فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩)،وإن كان المسلم يكفيه أن الله شهد له هذه الشهادة، ولكني أقول ذلك لمن يتشككون، وخصوم الإسلام ذاتهم شهدوا بذلك؛ لأنهم فقدوا الصفة هذه، وهي صفة الحفظ والتوثيق لمنهج الله في الكتابين القديمين؛ التوراة والإنجيل، لم يثقوا في توثيقهما؛ لأنهم قرؤوا الكتابين بإمعان، فوجدوا في الكتاب الواحد تضاربا لا في إصحاح وإصحاح، ولا في سفر وسفر، ولكن في فقرة من إصحاح واحد أمام فقرة من الإصحاح ذاته، فأسفوا لذلك وتحسروا، وحين نظروا إلى قضية توثيق القرآن وتثبيته وتمتينه وأنها من الله لم يسعهم إلا أن يشهدوا بما أقوله لكم الآن:

هذا وليام موير في كتابه «حياة محمد» يقول في القرآن: ومع ما أدى إليه مقتل عثمان نفسه من قيام بعض متعصبة ثائرة زعزعت وتزعزع وحدة العالم الإسلامي، فإن كتابا واحدا قد ظل قرآنها جميعا، وهذا الإجماع منها –على اختلاف العصور– على كتاب

واحد حجة قاطعة على أن النص الذي بين أيدينا إنما هو النص الذي جمع بأمر الخليفة سيئ الحظ، والأرجح -في بحث التوثيق- أن العالم كله ليس له كتاب غير القرآن ظل ١٢ قرنا بنص هذا مبلغ صفاته ودقته، والنتيجة التي نستطيع الاطمئنان إلى ذكرها هو أن مصحف زيد وعثمان لم يكن دقيقا فحسب، ولكنه كان -كما تدل عليه الوقائع- كاملا، وأن جامعيه لم يتعمدوا إغفال أي شيء من الوحي، ونستطيع أن نؤكد استنادا إلى أوثق المصادر أن كل آية في القرآن دقيقة في ضبطها كما تلاها محمد[١٠]. تلك هي شهادة وليام موير، ثم يأتي بعد ذلك فلهاوزن، ولامنس، وأربوتنت، وبعد ذلك يجيء هوبس، ويؤكدون هذه الحقيقة، فيقول أربوتنت: وقد ظل القرآن كما هو حتى اليوم دون أي تحريف في جزء من أجزائه، لا من المتحمسين له، ولا من ناقليه إلى لغات أخرى، ولا ممن يتربصون[١١] به الدوائر، وهو موقف لم يقفه -مع الأسف- أي كتاب من كتب الديانتين القديمتين العظيمتين[١٢].

ويقول هوبس بعد ذلك: لذلك لم تكن هناك فرصة لتحوير أي شيء في القرآن، ولو بإيزاع[١٣] الحماس له، وهو موقف فذ انفرد به القرآن دون سائر الكتب القديمة؛ التوراة والإنجيل[١٤].

هذا من ناحية توثيق النص، إذن: فالنص الذي يحمل منهج الله نص موثق على أنه هو الصادر من الله، فلم يعتوره شيء مما اعتور كتب الديانات السابقة الأخرى. أما من ناحية بساطة الشعائر فإن بودلي المستشرق الأميركي يقول: لو أن القديس بطرس عاد إلى روما لامتلأ عجبا من الطقوس الدينية الفخمة، وملابس الكهنوت المزركشة، والموسيقا الغريبة المقرونة باسمه في المعبد، ولن يعيد له البخور والصور والرقى أي شيء من تعاليم سيده المسيح، ولكن لو عاد محمد إلى أي مسجد من المساجد المنبثة بين لندن وزنجبار فإنه سيرى الشعائر المبسطة نفسها التي كانت تقام في مسجده المبني بالمدينة من الآجر وجذوع الأشجار، هذا هو فارق بساطة المنهج.

وإذا أردنا استيعاب قضايا الحياة فإن إدوارد كو الإنجليزي يقول فيها: إن فيلسوفا مفكرا ذا دماغ فلسفي لا يتردد لحظة واحدة في قبول وجهات نظر الإسلام، فإن الإسلام دين أرقى من تفكير البشر[١٥]. وإذا أردنا امتزاج القرآن والإسلام بالكون فإن ألكسي لوزيون الفيلسوف الفرنسي يقول: وقد خلف محمد للعالم كتابا هو سجل البلاغة والأخلاق، وهو الكتاب الوحيد الذي تنسجم قضاياه مع قضايا الكون الكبرى، فالانسجام تام بين حقائق الكون وتعاليم الإسلام مقارنة بما نبذله نحن للتوثيق بين المسيحية وقوانين الحياة، منهج موثق مستوعب لكل قضايا الحياة، بسيط الشعائر، لا يعارض قوانين الوجود ونظم الحياة، بل يماشيها تماشيا منسجما؛ لأن قائل كتاب الإسلام -وهو القرآن- هو خالق ذلك الكون ذاته، وما دام كذلك فلن تتضارب حقيقة في القرآن وحقيقة في الكون البتة، ذلك هو دين الله[١٦].

وقد استأمن الله المسلمين على حمل هذه الحجة رحمة بالعالمين، ولم يستأمن الأمم قبلهم، فكان لابد أن تقوم الأمة بما قام به الرسول، إذن: فكل يقول بمنهج الدعوة إلى الله تبشيرا بالإيمان به، أو تذكيرا لغافل عن منهجه، أو ضربا على يد أي عابث يريد أن يكسر حدود الإسلام أو ينحرف عن قانونها. تلك مهمة نبوية محمدية يريد الله أن تكون في هذه الأمة، ولذلك جعل الله خيرية هذه الأمة العنصر الوحيد، وهو أن نقوم بهذه المهمة: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(آل عمران:١١٠)، فإن تخلينا عن هذا العنصر فلا خيرية لنا، والذين يواجهون هذه المهمة يواجهون مهمة صعبة، ولكنا نريد أن نتدارس



ليس في الحياة قضية إلا ولها غطاء من مبادئ الإسلام وأصوله وفروعه

النص القرآني موثق لم يعتوره شيء مما اعتور كتب الديانات السابقة

المنهج الذي يكون عليه الداعي لهذه المهمة، قد تستشرف نفس المؤمن الغيور على الإيمان أن يستوعب إسلامه وإيمانه أجزاء الكون كلها، ويبشر بالإسلام عند غير المسلمين، نعم ذلك طموح إيماني يجب أن يكون في نفس كل مؤمن ومسلم، ولكن من الذي يبشر، ومن الذي ينصاع، ومن الذي يحمل الدعوة ليبشر غير المسلمين بالإسلام؟! لابد أن تكون الخلية التي تقوم بذلك هي الأنموذج الحق لمنهج الإسلام علما وتطبيقا، فبالعلم ينشرون المبادئ، وبالتطبيق يضعون الأسوة، ولا نهوض لمبدأ إلا بنشر مبادئه علما وتبليغا، وتثبيت مبادئه سلوكا وتطبيقا، ولذلك ينعى[17] القرآن على الذين يقولون ما لا يفعلون قولهم. إذن: فلا بد من أن يكون الداعية على علم بما يدعو إليه، ويكون الأول المنفعل للعلم تطبيقا وسلوكا، ولا يكون ذلك إلا إذا كنا -كما قلت سابقا- بادئين بشيء واحد، هو أن نثبت الإسلام في نفوس المسلمين أولا، فإذا ما ثبتنا الإسلام في نفوس المسلمين، ثم حملناهم على التطبيق إن ذاقوا حلاوة المنهج، أو ردعناهم بالسلطان إن انحرفوا عنه سلوكا، فإننا حينئذ سنجد جيلا مثاليا في الأسوة والتطبيق، والناس نوعان: نوع تقنعه الحجة؛ وهم العقلاء، ونوع يقنعهم السلطان؛ وهؤلاء هم السفهاء، ولذلك يقول الشاعر أبو تمام في العناصر التي يجب أن يسيطر بها منهج:

وما هو إلا الوحي أو حد مرهف
تميل ظباه أخدعي كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عالم
وذاك دواء الداء من كل جاهل[18]

فإذا لم يكن القرآن مع السلطان فسينحرف السلطان، وإذا لم يكن السلطان مع القرآن فسيختفي منهج القرآن، ولا أقول: يختفي القرآن. فالإسلام أس، والسلطان حارس، وما لا أس له يهدم، ومن لا حارس له ضائع. إذن: فيجب أن تكون أصول الدعوة في الأمة الخيرة -التي اختارها الله لتشهد على الناس جميعا- قرآنا وسلطانا ووحيا وسنانا، إن هذا يقيم الحجة عند كل عاقل، ويقيم صعر[19] كل جاهل.

وإذا أردنا أن نستعرض وجوه الإصلاح التي تقصد للنهوض بهذه الدعوة وجب أن يربى الداعية تربية تناسب العقلية التي يعيشها العصر، وتستطيع أن تواجه كل نطاق بفكر نطاقه؛ لأنه -كما قلت سابقا- كان يكفي قديما -والعقل فطري لا غرور له بمكاسبه من الكون- أن تقول له: قال الله، وقال الرسول. ولكن الآن بعد وجود مبادئ وافدة لها، ووسائل إعلام بها، وزخارف الدعاية، وجمال الشعارات، ولاسيما أنها تتفق مع شهوات النفس، نجدها تضع المبادئ التي تريدها، ولكنها تترك الأخلاق كما يريدها الناس، ومنهج القرآن غير ذلك، يعطي المبدأ ليعطيك شيئا ينفعك في الحياة، ويقابله واجب أن تتمسك بالقيم والخلق، ولكن مبادئ الأرض ومناهج البشر والتقنينات الوضعية حين تأتي لك بمبدأ براق له شعار مستنير جذاب فإنها لا تطلب إليك شيئا إلا أن تفرض عليك هذا المنهج، ولا تطلب إليك أن تقيد أخلاقك بسلوك، ولا أن تقيد حركتك في الحياة بمنهج، فأنت تجد زخرفا في شعارات، ولا تجد تقييدا بقانون، وهذا ما تحبه النفس؛ أن تنطلق لتأخذ خير ما في الحياة، ولا تحب أن تتقيد أمام الحياة بواجب، لذلك السبب الأصيل في أن مناهج البشر قد تغري الناس بأنها تعطيهم المبادئ البراقة المزخرفة المستميلة، ولا تطلب إليهم شيئا، ولا تحدد حرياتهم في ملبس أو مأكل أو مشرب أو سلوك، ما أجمل هذا المبدأ الذي يعطيني زخرف الحياة ولا يطلب إلي شيئا، بعد ذلك يقيد حركة حياتي، لذلك نجد هذه المبادئ تستميل أصحاب الشهوات والشباب في مراهقاتهم، ولكن العاقل حين يقارن بين المبادئ ومعطياتها يأتي أمره إلى أن يرجح مبدأ السماء، ولكن متى ذلك؟! إنه بعد أن تهدأ شرة حياته وسعار الغرائز فيه؛ أي: في وقت متأخر، ولذلك إذا استعرضنا طائفة المفكرين والمثقفين الإسلاميين في عصرنا الحاضر، فإننا نجد في العشرينات والثلاثينات طائفة من القوم الذين شهد لهم الناس بالتفوق والنبوغ، وأصبحت لهم مدارس تسيطر على صياغة عقول الشباب وأفكار الناشئين، ولهم معجبوهم ومريدوهم، والذين كان لهم حظ من ثقافة، فبهروا العقول التي كانت متأخرة بهذه الثقافات، وغرهم مركزهم في الكون، ووضعهم في القيادة، أقول: إنهم فتنوا بثقافاتهم وعقولهم، فأنكروا كل ما هو غيبي، وأخذوا يؤولون في القرآن حتى ينسجم مع العقل، ولم يرتفعوا بالعقل لينسجم مع القرآن، إذن: فالمطلوب إلى كل مصلح حين توجد قضية دينية قد يقف العقل فيها ألا يأخذ القرآن ويلويه لينسجم مع عقلية العصر، حتى يقال: إن الدين مناسب لكل زمان ومكان؛ أي: إنه يوافق كل ما يأتي به الزمان والمكان، ولا يتعارض مع ما تتطلبه قضية الحضارة والمدنية، أو قضية الانطلاق الذهني، لكن ليس معنى ذلك أنه إذا جاء الزمن بشيء فإن القرآن يوافقه، نقول: لا تنزلوا بالقرآن إلى مستوى الناس، ولكن ارتفعوا بمستوى الناس إلى مكان القرآن، هؤلاء قوم فتنوا بزعامتهم، وغروا بالثناء عليهم، وخدعهم المعجبون بهم، وجاءت الصحافة التي كان يسيطر عليها الاستعمار، فنفخت في هذه الأشياء نفخا جعل منهم قادة، وسواغ[20] فكر، وصناع نفوس. وبعد ذلك حينما هدأت شرة شهواتهم، وانطفأ شبابهم، وعرفوا يقينا أنهم مقبلون على الله بما أرسل إليهم من نذر الشيب وبوادر الشيخوخة التفتوا ثانية إلى الله، وحاول كل منهم أن يكفر عما مضى من زمانه، فكتب في الإسلام.

وبعد ذلك جاءت موجة ثانية، وليتهم

انتفعوا بالموجة الأولى، جاءت موجة من قال: الله خرافة. وكتب كتابا سماه: الله، وقال عن الله: إن الله في رأيي هو المأذون الذي يجمع رؤوس بناتي بأزواج أغنياء، هذا هو الله، الله في نظر جدي هو الطبيب الذي يداوي مفاصله من الروماتزم، الله في نظر الهندسة الكونية هو آينشتاين. بعد ذلك انقلب إلى داعية إسلامي، وإلى مخبول مجذوب، فلم يعد يرعى هندامه، وشغل بالقرآن والحديث والله ومنهجه.

كذلك هناك من كانت له هذه المسألة، فإذا كانت التجارب الفكرية التي مرت بنا توحي بهذا، وتدل على أن النهاية التي يصل إليها المفكر والفيلسوف هي البداية التي يبدأ بها الأمي الذي قيل له: الله مثبت الوجود بأبسط دليل؛ فالكون وصنعته ونظامه الدقيق دليل على وجود صانع هو الله، يصنع هذه الأشياء المنظمة المنسقة التي لا تتعارض، وفي ذلك دليل على أنه قادر وحكيم. والذي يضع منهجا لابد أن نرجع إليه لنحاسب على منهجه؛ أأحسنا فيه أم أسأنا إليه! كلام يمكن أن يأخذه المسلم في ساعة، المنهج يكفيه. إذن: فيجب أن نعلم الناس أن تجارب المفكرين والإسلاميين خاصة قد أعادتهم إلى حظيرة الإسلام. وكما أفدنا نحن من التجارب المادية للعلماء السابقين، ولم نبدأ أي مخترع ببداية تجاربه، بل أخذنا ما انتهى إليه المجربون من قضية العلم، وبدأنا من حيث انتهوا، يجب أن نأخذ قضية العقائد بالطريقة ذاتها، وننظر إلى نتائج ما حدث للمفكرين والفلاسفة الذين شبعوا بحثا وتنقيبا ومقارنة، حينئذ نعرض للناس أنموذجا من واقع الحياة، إذا ما عرضنا ذلك الأنموذج من واقع الحياة أيكون معنى ذلك أن يعيش الإنسان بلا فكر في قضايا إسلامه؟ لا؛ إن الإسلام -يا أخي- لم يجئ للفلاسفة وحدهم، وإنما جاء للعقل الفطري أيضا، إذن: فقضية الإسلام إثبات لوجود الله ووحدانيته، وتدليل على صدق منهجه ومبادئه التي يكتفي بها العقل الفطري، وحينما يجيء الله ليبرهن له على أنه هو الخالق يقول دليلا بسيطا: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾(الطور:٣٥)، إنها قضية يرفضها العقل، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾(الطور:٣٥)، قضية لم تدع الخلق من غير شيء قضية مرفوضة عند الناس جميعا، والناس لم يدعوا أنهم الخالقون، إذن: خلقوا من شيء، ومن خلقهم ليس منهم، وهو الذي ادعى أنه خلق، فإلى أن يوجد معارض لدعواه يقول: أنا الذي خلقت. ويأتي بدليل وصدق، فالألوهية تؤخذ من الله، إلى الآن لم يأت ذلك المعارض المدعي، فالدعوى له، يقول الله: عالم بدليل بسيط جدا يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(الملك:١٤)، هو الذي خلق الشيء، أيمكن ألا يعلم ما فيه؟! إذن: الله خلق فهو أعلم وأدرى بمن خلق؛ إنه دليل في منتهى البساطة، دليل الوحدانية، يقول: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾(الزمر:٢٩)؛ أي: عبد مملوك لعشرة، والعشرة مختلفون متخاصمون فمتضاربون متنافرون، ذلك هو الذي يعبد شركاء، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ ذلك هو الموحد، أيهما مرتاح وهادئ الأعصاب ومستقر؛ المملوك لعشرة والعشرة مختلفون، أم المملوك لواحد؟! قضية بسيطة ودليلها معها، لا فلسفة ولا تعقيد، وإلا فإذا كان القرآن قد جاء بأدلة الفلاسفة فويل لأصحاب العقول الفطرية الذين لم يتفلسفوا ولم يقرؤوا نظريات، نقول لهم: الله رب الجميع، إنما يخاطب العقل الفطري، فالعقل الفطري صالح بذاته أن يقبل الأدلة الإيمانية والسلوكية والتطبيقية كلها، والقضايا التي تشغل المصلح قد تكون قضايا وافدة من مناطق الإلحاد، وذلك في إثبات واجد الموجود أو موجده، وهو الله، والرد على ذلك يسير، وقد تكون قضايا وافدة عن مؤمنين بالله، ولكن لهم فهم غير صحيح؛ فإما أن يكون له شريك، وذلك يدفع بالاستدلال والدليل، وإما أن يكون لمسلمين غافلين متكاسلين عن المنهج، وهؤلاء يجب أن يكون العمل معهم أولا لنرجعهم إلى حظيرة المنهج.

الهوامش

١- الرواية بالفتح؛ أي: مرة بعد مرة، وروي بالضم؛ وهو واحد العيدان؛ يعني ما ينسج به الحصير من طاقاته، وروي بالفتح مع ذال معجمة؛ كأنه استعاذ من الفتن. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/٣١٧).
٢- المجخي: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبه القلب الذي لا يعي خيرا بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الاثير (١/٢٤٢).
٣- رواه مسلم، رقم: (١٤٤).
٤- الوكت: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/٢١٨).
٥- مجلت يده: إذا ثخن جلدها وتعجر، وظهر فيها ما يشبه البثر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/٣٠٠).
٦- نفط: قرح أو مجل. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٠/١٤٧).
٧- انتبر الجسد: ارتفع، والجرح: ورم. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٤/١٦٤).
٨- رواه البخاري، رقم: (٦٤٩٧)، ومسلم، رقم: (١٤٣).
٩- طم الشيء: كثر حتى علا وغلب. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٣/٢٥).
١٠- لم أقف عليه، ولم أجده فيما توفر لي من مصادر.
١١- التربص: المكث والانتظار. انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/٣٩).
١٢- لم أقف عليه، ولم أجده فيما توفر لي من مصادر.
١٣- أوزعه بالشيء إيزاعا: أغراه به. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢/٣١٩)
١٤- لم أقف عليه، ولم أجده فيما توفر لي من مصادر.
١٥- لم أقف عليه، ولم أجده فيما توفر لي من مصادر.
١٦- لم أقف عليه، ولم أجده فيما توفر لي من مصادر.
١٧- نعى عليه ذنبه: أظهره وأشهره. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٠/١٠٩).
١٨- انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (٣/١٧٥).
١٩- الصعر: الميل في الخد خاصة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٢/٣١٥).
٢٠- السواغ: ما أسغت به غصتك. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٢٢/٥٠٧).

د. أشرف عيد العنتبلي
دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية



في إطار مؤتمر الأطراف في مصر، (نوفمبر ٢٠٢٢م)

المنهج النبوي في التنمية المستدامة

يعاني العالم حاليا من تغير مناخي غير مسبوق نتيجة لظاهرة الاحتباس الحراري، وهو ما نلمس أثره اليوم فيما تتعرض له بعض دول العالم من كوارث الفيضانات والجفاف واحتراق الغابات، وأزمة عالمية في الغذاء، وارتفاع في الأسعار، وتعرض كثير من موارد الأرض وثرواتها غير المتجددة لخطر الاستنزاف، وذوبان ثلوج المنطقة القطبية، وارتفاع مستوى سطح البحر، وتحمض المحيطات.

وإزاء ما يتعرض له العالم من مخاطر بيئية تهدد الأرض والماء والهواء أخذ المجتمع الدولي يبحث عن حلول لمواجهة تلك الأخطار؛ فعقدت مؤتمرات دولية لاتخاذ قرارات للحفاظ على الحياة على الأرض والحد من مخاطر الإضرار بالبيئة، وآخر تلك المؤتمرات الدولية مؤتمر الأطراف لاتفاقية الأمم المتحدة لتغير المناخ (COP٢٧) في مصر في الفترة من (٧-١٨ نوفمبر ٢٠٢٢م).

وقد أدرك المجتمع الدولي أن مختلف مشروعات التنمية لا تكون ناجحة إلا بالاستدامة، وتلك التنمية المستدامة التي ينشدها لها أمثلة تطبيقية كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أردنا في هذه السطور أن نوضح بإيجاز معالجة السنة النبوية للقضايا التي يعاني منها العالم ويعقد من أجلها المؤتمرات والتوصيات.

أولا: مفهوم التنمية المستدامة:

يقصد بالتنمية الاستغلال الأمثل للموارد البيئية وتوفير أفضل الظروف الاقتصادية من خلال الاستغلال المنضبط بما يؤدى إلى زيادة الإنتاج والدخل القومي، وقد ازداد الاهتمام بالتنمية في أعقاب الحرب العالمية الثانية سنة: (١٩٤٥م) لتعويض الخسائر الكبيرة التي تكبدها العالم، وقد ترتب على ذلك استغلال الموارد البيئية لتحقيق ازدهار اقتصادي دون النظر إلى الأضرار الكبيرة التي تتعرض لها البيئة وزيادة معدل التلوث

العالمي، مما دفع دول العالم لعقد المؤتمر العالمي للبيئة في ستوكهولم بالسويد سنة: (١٩٧٢م)، والاتجاه إلى التنمية المستدامة، ويقصد بها الاستثمار الأمثل للموارد بما يلبي احتياجات الحاضر دون الإضرار بالبيئة وبقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها أيضا.

وتعتمد التنمية المستدامة على الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، فالاقتصادية تهدف إلى الاستغلال الأمثل للبيئة دون الإضرار بها، والاجتماعية تعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية والتخفيف من أوضاع الفقر والبطالة في الحاضر والمستقبل، والبيئية تعمل على ترشيد الاستخدام البشري للموارد الطبيعية بصورة تضمن الحفاظ على البيئة من التلوث وترشيد استخدام الثروات وعدم الإضرار بالأجيال القادمة[١].

وتواجه التنمية المستدامة معوقات كثيرة؛ فالمعوقات الاقتصادية تتمثل في سوء توظيف الموارد المالية، وإرهاق الدولة بمشروعات ترفيهية مما يؤدي إلى تفاقم الديون والفساد الإداري والسياسي والارتجال في الخطط والاستراتيجيات، والمعوقات الاجتماعية التي تتمثل في الفقر والبطالة وتهميش الثقافة ومحاربة الأمية والجهل والإرهاب وانعدام الأمن، والمعوقات البيئة، ومن أبرزها: التلوث البيئي واستنزاف الثروات والاستغلال غير الرشيد للموارد الطبيعية دون تخطيط بما يفضي إلى الإنهاك، والتوسع الاقتصادي على حساب المناطق الخضراء، واختلال النظام البيئي بالصيد العشوائي الحيوانات وقطع الغابات مما يسبب أزمة بيئية[٢].

وبالرغم من حداثة مصطلح «التنمية المستدامة» بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، فقد احتوت السنة النبوية على كثير من الأحاديث تضبط السلوك الإنساني في علاقاته بالموارد الطبيعية، وهو ما تهدف إليه «التنمية المستدامة» للموارد التي يحرص على تطبيقها المجتمع الدولي حاليا.

ثانيا: التنمية الاقتصادية المستدامة:

تعتمد التنمية الاقتصادية المستدامة في السنة النبوية على الدعائم الآتية:

١- الملكية العامة للموارد: خلق الله الموارد الطبيعية ملكا للناس جميعا يستفيدون منها دون اعتداء أو إفساد، فالناس جميعا شركاء في الأرض والهواء والماء، وليس من حق طائفة منهم احتكارها، وقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك بقوله: «المسلمون شركاء في الماء والكلأ والنار»[٣]؛ فالكلأ والماء والنار إشارة إلى الغذاء والماء والطاقة في حياتنا المعاصرة التي لا غنى للإنسان عنها والتي ينتفع بها الجميع وإن غابت عنه هلك؛ ولا يحق لأحد أن يتسلط عليها فيحتكرها لنفسه ولا يبيعها، ويمنع غيره الانتفاع بها، وهذه الأصناف من باب التمثيل لا الحصر؛ فقانون الملكية العامة هو قاعدة نجدها في مجالات تطبيقية أخرى مثل الصحراء والجبال والهضاب والأنهار والبحار والمحيطات، وما يخرج من باطنها من كنوز وثروات.

٢- تنمية المال: المال هو العامل المؤثر في الاقتصاد وحياة الأفراد والدول، وهو في الإسلام زينة الحياة الدنيا، كما يقول سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف، ٤٦)، وحب المال أمر جبلت عليه النفس الإنسانية، يقول سبحانه: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠).

وقد دعا الرسول ﷺ إلى تنمية المال واستغلاله الاستغلال الأمثل بما يعود على الإنسان بالنفع في حياته الدنيا والآخرة، فلا يمسكه بخلا به، ولا يضيعه فيما لا يفيد، لذلك نجد الرسول ﷺ يذم من يجعل المال همه، فيقول: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم»[٤]، وذم كذلك إنفاق المال في غير فائدة تعود على صاحبه بالنفع، فيقول ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[٥].

ومن الاستغلال الرشيد للمال ألا يهلكه الإنسان في حياته؛ فعندما أراد سعد بن أبي وقاص أن يتصدق بجزء كبير من ماله، فأشار عليه رسول الله ﷺ أن يتصدق بالثلث، وقال له: «... إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس..»[٦].

وإذا كانت التنمية المستدامة تهدف إلى مراعاة حقوق الأجيال القادمة في الثروات، فقد أشار الرسول ﷺ أن ما يقدمه الإنسان من منافع لغيره ويمتد أثرها في الحياة بعد موته هي من الأعمال الصالحة التي يثاب عليها؛ فيقول: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته»[٧].

٣- التنمية الزراعية المستدامة: ودعت السنة النبوية إلى إصلاح تلك الأرض وزراعتها وإحياء الأراضي الصحراوية التي لا تزرع وتعمل الدول حاليا على استصلاحها، فيقول الرسول ﷺ: «من أعمر أرضا ليست

لأحد فهو أحق»[٨]، أي أحق بها.
وقد حثت السنة النبوية على الزراعة وأن كل ما يزرعه الإنسان ويأكل منه الإنسان والطير والحيوان له به صدقة عند الله فضلا عن أجره في الدنيا؛ فيقول رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»[٩].
ونهت السنة عن احتكار الماء والغذاء، فيقول ﷺ: «من احتكر طعاما فهو خاطئ»[١٠]، والمقصود بخاطئ عاص وآثم، ولما اختصم أحد الأنصار مع الزبير بن العوام لحبسه الماء، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك»[١١].
والقاعدة العامة في ترشيد الاستهلاك في سائر حياة الأفراد والدول كما ورد في قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام:١٤١)، وفي آية أخرى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

ثالثا: التنمية الاجتماعية المستدامة:

تعتمد التنمية الاجتماعية المستدامة في السنة النبوية على دعائم كثيرة، من أهمها: تحقيق العدالة الاجتماعية والحد الفقر والبطالة، ودعم الثقافة، والأمن العام والبعد عن الإرهاب، ففي مجال تحقيق العدالة بين جميع أفراد المجتمع أمر القرآن الكريم المسلمين بالعدل في جميع أحوالهم، وأداء الحقوق، وأن يعامل الناس بالعدل، ولا يميل عنه، أو الميل لأحد المتخاصمين، فيقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾(النساء:١٣٥)، وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(المائدة:٨).
وكان رسول الله ﷺ أعدل الناس لا يحابي ولا يجامل أحدا لحسبه أو ثروته أو مكانته أو دينه، فعندما سرقت امرأة من بني مخزوم ذات مكانة في قومها، فأراد القوم أن يستثنوها من تطبيق حد السرقة عليها لشرفها ومكانة قومها، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؛ فكلمه أسامة؛ فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله»، ثم قام فخطب، وقال: «أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد(ابنته) سرقت لقطع محمد يدها»[١٢].
وفي إطار محاربة الفقر؛ فقد فرض الإسلام الزكاة، ورغب في الإنفاق والصدقات للفقراء والمساكين وأوجه الخير بما يساعد الدولة في حل مشكلة الفقر وإقامة المشروعات التنموية التي يعود نفعها على المجتمع، فيروي أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» حتى قال راوي الحديث: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فضل[١٣].
ولم يرض رسول الله ﷺ للمسلم أن يقنع بفقره دون أن يبحث عن عمل- ولو كان بسيطا- يغنيه عن مساعدة الناس، فيقول ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره؛ فيبيعها؛ فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[١٤]. ونهى عن الإسراف في المعيشة، فذكر رسول الله ﷺ الفرش، فقال: «فراش للرجل، وفراش للمرأة، وفراش للضيف، والرابع للشيطان»[١٥].
ومن دعائم التنمية الاجتماعية المستدامة: توفير الأمن والرعاية الصحية ودعم الثقافة، فقد حرص رسول الله ﷺ على تحقيق الأمن العام في المجتمع في نهيه عن القتل والسرقة والاعتداء على الأعراض، بقوله في حجة الوداع: «.. فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، فأعادها مرارا»[١٦].
وفي مجال الرعاية الصحية، فقد نهت السنة النبوية عن نشر الأمراض المعدية بمخالطة المريض بمرض معد لآخر صحيح، وهو ما يعرف اليوم بالعزل الصحي تجنبا لنشر الأوبئة؛ فكيف بمن ينشر التلوث الكيميائي والميكروبي؟! ويؤكده حديث رسول الله ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»[١٧]، وكذلك حديث النبي ﷺ: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»[١٨].
أما في مجال دعم الثقافة، فقد وردت كثير من الأحاديث النبوية التي تدعو للعلم، ومنها قوله ﷺ: «... ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له

به طريقا إلى الجنة»[19].

رابعا: التنمية البيئية المستدامة:

تهدف التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية إلى المحافظة على البيئة نقية بعيدا عن تلوث الأرض والماء والهواء، ومن أمثلة ذلك أن رسول الله ﷺ نهى عن «البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»[20]، ونهى كذلك عن البول في الماء الراكد أو الجاري[21]، وإذا كانت تلك الأفعال تعتبر من ملوثات البيئة التي نهى رسول الله عنها في عصره؛ فإن ملوثات المياه كثيرة في عصرنا، فتقوم بعض الدول بصرف مياه المجاري الصحية ومخلفات المصانع الكيميائية في الأنهار والبحار والمحيطات؛ فضلا عن ملوثات الهواء، والتلوث الإشعاعي وغيره.

ونهت السنة النبوية عن قطع الأشجار التي يستظل بها الناس من الحر؛ فيقول رسول الله ﷺ قال: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار»[22]، والسدر من أشجار الصحراء يصبر على العطش ويقاوم الحر، وينتفع الناس بظلاله والأكل من ثماره.

وقد سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث، فقال: «هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار»[23].

وفي مجال المحافظة على المراعي والمساحات الخضراء التي تهتم بها الدول حاليا، فقد ألغى رسول الله ﷺ نظام المحميات القبلية التي كانت سببا للحروب والنزاعات البيئية في الجاهلية، وجعلها محميات عامة[24] وهذه سطور من معالجة السنة النبوية لموضوعات «التنمية المستدامة» التي يعاني منها العالم حاليا.

الهوامش

١- فراس بن ساسي: التنمية المستدامة في السنة النبوية، جامعة الزيتونة، المعهد العالي للحضارة الإسلامية، ماجستير، تخصص الحديث النبوي، (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، (ص: ٩-١١).

٢- أبو القاسم عيسى: أثر ظاهرة الاحتباس الحراري على البيئة البحرية، (ص: ٣٠٥).

٣- سنن أبي داود، كتاب: البيوع، باب: في منع الماء (ص: ٧٤٧، رقم: ٣٤٧٧)؛ مسند أحمد بن حنبل، باقي مسند الأنصار، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، (رقم: ٢٢٥٧٣).

٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، كتاب: الرقائق، باب: ما يتقي من فتنة المال (ج: ١١ ص: ٢٥٣، رقم: ٦٤٣).

٥- السابق، كتاب: الزكاة، باب قوله تعالى: «لا يسألون الناس إلحافا» (ج: ٣، ص: ٢٤٠، رقم: ١٤٧٧).

٦- السابق كتاب: الوصايا، باب: أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، (ج: ٥، ص: ٣٦٣، رقم: ٢٧٤٢).

٧- سنن ابن ماجه، كتاب: اتباع السنة، باب: ما جاء في ثواب معلم الناس الخير، (ج: ١، ص: ٨٨، رقم: ٣٦٠٥).

٨- فتح الباري، كتاب: الحرث والمزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، (رقم: ٢٢٣٥).

٩- السابق، كتاب الحرث والمزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، الحديث، (رقم: ٢٣٢٠).

١٠- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: المساقاة، باب: تحريم الاحتكار في الأقوات، (رقم: ١٦٠٥).

١١- السابق، كتاب: الفضائل، باب: وجوب اتباعه ﷺ، (رقم: ٢٣٥٧).

١٢- فتح الباري، كتاب: الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، (رقم: ٦٧٨٨).

١٣- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: اللقطة، باب: استحباب المواساة بفضول الماء، (رقم: ١٧٢٨).

١٤- فتح الباري، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، (رقم: ١٤٧١).

١٥- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: اللباس والزينة، باب: كراهة ما زاد عن الحاجة من الفراش واللباس، (رقم ٢٠٨٤).

١٦- فتح الباري، كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى، (رقم: ١٧٣٩).

١٧- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب:السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، ولا نوء ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح، (رقم: ٢٢٢١).

١٨- فتح الباري، كتاب: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، (رقم: ٥٧٢٨).

١٩- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (رقم: ٢٦٩٩).

٢٠- سنن أبي داود، كتاب: الطهارة، باب: المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها، (رقم: ٢٦).

٢١- صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، (رقم: ٩٤).

٢٢- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: في قطع السدر، (رقم: ٥٢٣٩).

٢٣- السابق (ص: ٥٢٥).

٢٤- فتح الباري، كتاب: المساقاة، باب: لا حمى إلا لله ورسوله، (رقم: ٢٣٧٠).



فاطمة طاهري
كاتبة وباحثة من المغرب

«الثقافة الإسلامية» بالجامعات العربية

الثقافة الإسلامية مصطلح أو تعبير يستعمل في أغلب الأحيان لوصف جميع المظاهر الثقافية والحضارية الشائعة والمرتبطة تاريخيا بالمسلمين في جميع أنحاء العالم، ويمكن أن نقول إنها تجمع بين التأصيل الشرعي والوعي الواقعي بتاريخ الأمة وحاضرها ومستقبلها.

إن الثقافة في أي أمة من الأمم قوام وجودها وأساس حضارتها، ومنها تستمد كيانها وشخصيتها، وهكذا الحال في الثقافة الإسلامية؛ فهي التي تشكل هويتنا، وتصوغ ذاتيتنا، وتكسبنا القدرة على الحصانة والتحدي، وبخاصة في هذا العصر الذي يشهد صراعا عاتيا بين الثقافات، ومن هنا يأتي مقرر الثقافة الإسلامية لتنشئة مواطنين متمسكين بعقيدتهم، منتمين لوطنهم ومعتزين بهويتهم العربية والإسلامية، ومتحلين بالأخلاق والقيم الإسلامية.

١- تعريف الثقافة الإسلامية

من التعريفات التي يمكن أن نقدمها للثقافة الإسلامية، هي أنها نسق معرفي مركب، يتضمن المعتقدات والشرائع والآداب والمذاهب والنظم الإسلامية، يكتسبه الإنسان المسلم من انتمائه إلى مجتمع إسلامي معين، ويحدد له ما ينبغي أن يكون.

ويمكن نعرفها، أيضا، بأنها العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث

الإنساني فيها هو أفضل تلك التعريفات وأقربها إلى الصواب، لاشتماله على موضوعات علم الثقافة الإسلامية الرئيسة.

وهناك اتجاه يرى أن الثقافة الإسلامية علم إسلامي جديد له موضوعاته الخاصة، ومنهجه الخاص، ومصادره الخاصة، وطابعه الخاص الذي يمتاز به عن سائر العلوم الإسلامية الأخرى، وذلك للأسباب التالية:

- بيانا لمنهاج الإسلام الشمولي في أصوله التصورية عن الوجود والكون والإنسان والحياة، وفي خصائصه المميزة له من سائر الثقافات، وفيما ينبثق عنه من قيم ونظم وفكر.
- نقدا للثقافات الأخرى في تلك الأصول والمجالات.
- مقارنة بين الإسلام وتلك الثقافات، لبيان كمال الإسلام ونقصانها.
- دفعا للشبهات المثارة حول الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ومنهج حياة.
- معالجة لحاضر المسلمين الثقافي من خلال:

تشخيص هذا الحاضر.

تصحيح ما فيه من أخطاء.

إبراز نماذج التجديد الصحيحة.

كشف الغزو الموجه إليه.

٢- مضامين مقرر الثقافة الإسلامية من خلال استقراء عدد من مقررات الثقافة الإسلامية بعدد من الجامعات العربية، يمكن إجمال المضامين المدرسة في هذه المقررات كما يلي:

- مدخل لدراسة الثقافة الإسلامية.
- مقدمات في دراسة العقيدة.
- الإيمان بوجود الله تعالى (توحيد الربوبية).
- توحيد الألوهية.
- توحيد الأسماء والصفات.
- الإيمان بالملائكة والكتب.
- الإيمان بالرسل عليهم السلام.
- الإيمان باليوم الآخر.
- الإيمان بالقضاء والقدر.
- العبادة في الإسلام.
- الأخلاق في الإسلام.
- القرآن الكريم: قطعيته وتوثيقه وقراءاته، ويتضمن ما يلي:

تعريف القرآن الكريم وبعض أسمائه.

الوحي: تعريفه، صوره، أشكال نزوله.

صدق ظاهرة الوحي، ونزول القرآن منجما والحكمة منه.

المرحلة الأولى: في العهد النبوي.

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر.

المرحلة الثالثة: في عهد عثمان.

القراءات والقراء والأحرف السبعة.

- تعظيم قدر القرآن الكريم، ويتضمن ما يلي:

مكانة القرآن الكريم.

خصائص القرآن الكريم.

مضمون القرآن الكريم وما اشتمل عليه من موضوعات.

سبيلنا نحو تعظيم قدر القرآن الكريم.

كيفية البحث عن آية أو موضوع قرآني.

- الإعجاز في القرآن الكريم: تاريخه، معناه، وجهه، ويحتوي ما يلي:

الإعجاز البياني من خلال: النظم القرآني، الكلمة القرآنية، الفاصلة القرآنية، الجملة القرآنية.

الإعجاز الغيبي: معناه، ونموذج منه.

الإعجاز التشريعي: معناه، ونموذج منه.

الإعجاز العلمي التجريبي في القرآن الكريم: معناه، ضوابطه، نماذج منه.

الإعجاز النفسي: معناه، ونموذج منه.

- تفسير سور من القرآن الكريم.
- مكانة السنة النبوية ونزلتها في ضوء القرآن الكريم، ويتطرق لما يلي:

معنى السنة في اللغة واصطلاحات العلماء.

حجية السنة النبوية.

منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم.

جهود الصحابة رضوان الله عليهم في تلقي السنة وروايتها.

- عناية المسلمين بالسنة النبوية وعلومها، ويتناول ما يلي:

تعريف علم الحديث رواية.

تعريف علم الحديث دراية.

كتابة الحديث في العهد النبوي.

كتابة الحديث في العهد الراشدي.

تدوين الحديث في العهد الأموي والعباسي.

تصنيف الحديث وظهور الكتب الستة.

منهج المحدثين في توثيق السنة

ثمرة علم الحديث دراية.

معرفة كيفية البحث عن حديث ما، وتخرجه بإيجاز.

- الإجماع: تعريفه، أدلته، أنواعه، شروطه، حكمه.
- القياس: تعريفه، أدلته، أمثلة عليه، أركانه، شروطه.
- الاجتهاد: تعريفه، مشروعيته، شروط المجتهد، حكمه.
- الفتوى: تعريفها، أهمية منصب الفتوى، شروط المفتي وصفته وآدابه، الفتوى وأثرها على المستفتي.
- دراسة لأحاديث نبوية.
- مدخل لدراسة النظم الإسلامية، ويتضمن ما يلي:

تعريف موجز بالنظم الإسلامية.

تكامل النظم الإسلامية.

أنواعها وطريقة دراستها في مادة الثقافة الإسلامية.

- نظام الأسرة في الإسلام.
- مراحل تكوين الأسرة.
- مراعاة الإسلام للواقع وأساليب فض المنازعات.
- النظام الاقتصادي في الإسلام.
- النظام السياسي في الإسلام.
- نظام العقوبات.

- حقوق الإنسان في الإسلام.
- المجتمع الإسلامي والمجتمعات المغايرة.
- الصورة المثلى للأمة في عصر صدر الإسلام.
- الانحراف في المنهج والمفاهيم.
- أحوال المجتمع المسلم المعاصر والغزو الفكري والتيارات الفكرية وأثرها على المجتمع المسلم.
- سبل الإصلاح والنهوض بالأمة.

٣- بناء مادة الثقافة الإسلامية

من أجل بناء مادة الثقافة الإسلامية بناء سليما ينبغي الأخذ بما يلي:

عرض عام للقواعد الإسلامية الكبرى الاعتقادية والعملية؛ عرضا علميا منطقيا مقتبسا من المصادر الأساسية للإسلام (القرآن والسنة).

تعريف عام بمنهج الإسلام العملي ونهجه العلمي للفرد المسلم والجماعة الإسلامية.

بيان المسائل الكبرى التي وضعها الإسلام في منهجه لإقامة بناء الأمة الإسلامية وبناء حضارتها وعلاقتها مع الأمم الأخرى[١].

لابد من العناية بمادة الثقافة الإسلامية من خلال وضع المفردات لمناهج مقرر الثقافة الإسلامية بمختلف مستوياته وذلك بمراعاة الأهداف العامة للمقرر، ومن المعروف عند علماء المناهج الدراسية والتربويون أن الأهداف هي العنصر الأول من عناصر المنهج الدراسي[٢].

لابد أن يكون المقرر الدراسي إذا ألف واعيا لأهمية المقرر وخطورة الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، فلا يصح أن يكون المؤلف ضعيفا لا يحتوي على القيمة العلمية التي تساهم في بناء الطالب بشكل علمي ومتميز، كأن تكون عبارة عن محاضرات مكتوبة ليس فيها أي مقدمات البحث العلمي الرصين المتميز[٣].

يجب الحذر من أن تكون المضامين المعرفية ذات طابع فلسفي جامد يصعب فهمها على الطالب الجامعي ولا يستطيع استخلاص ما يريده المؤلف مما كتبه[٤].

لابد من الحذر من أن يكون المؤلف عبارة عن كتاب ينحو منحى الكتب العلمية؛ التي تهتم بالسرد العلمي الذي يأخذ من كل علم من علوم الشريعة شيئا ثم يكون كالجامع لها دون منهجية في الطرح تستطيع أن ترتقي بالمتلقي وتعطيه القدرة على البحث والارتقاء الفكري المنهجي[٥].

٤- أداء مدرسي مادة الثقافة الإسلامية

لعل من أهم الإشكالات التي تواجهها مادة الثقافة الإسلامية ما يتعلق بالأداء؛ والمراد طريقة إيصالها للطلاب والدارسين، حيث ينحو جملة من مدرسي هذا المقرر إلى التعاطي معه مثل بقية المواد العلمية بطريقة التلقين المغرق في الخمول، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة المفردات التي يدرسها في حال كونها غير متوافقة مع طبيعة المادة التي يفترض أن تكون عليها.

والواجب أن يخرج مدرس هذا المقرر في تدريسه عن الرتابة التي تنتاب مدرسي كثير من المواد العلمية، من خلال الخروج من النمطية المعهودة إلى التعامل مع عقلية المتلقي، ومحاولة غرس مبادئ التفكير، وتنمية القدرة على الفهم، والخروج من حالة الجمود الفكري التي تمنع العقل من التعاطي بصورة إيجابية مع واقع الحياة ومعارفها، من خلال إكساب الدارس العديد من المهارات المهمة كالتحليل والتعليل، ومحاولة الفهم والإدراك، والتفاعل الإيجابي مع كافة الأسئلة والاستفسارات الملحة التي قد تعرض للمرء في حياته.

ولعل من أبرز إشكالات هذا المقرر هذه الإشكالية، والتي تعزى إلى قلة الأقسام/ الشعب المختصة في مادة الثقافة الإسلامية بالجامعات العربية بما في ذلك مجال الدراسات العليا، وبالتالي ضعف كم عدد الخريجين الذين يعملون في تدريس الثقافة الإسلامية في الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة.

ومن هنا يأتي الخلل حيث يضطر كثير ممن يتولون تدريس هذه المادة إلى أن يواصلوا دراساتهم العليا في أقسام علمية أخرى، كالفقه، أو القرآن وعلومه، أو العقيدة، أو غير ذلك، إما برغبة لديهم في تلك التخصصات أو اضطرارا إليها لئلا يتأخروا عن الحصول على الدرجة العلمية، ثم يبقى أحدهم أسيرا لتخصصه، شعر بذلك أو لم يشعر، ومع تواصل أبحاث الترقية نجد أنه يبتعد عن المادة حتى وإن درسها، ومرادي هنا بقاؤه على خط معين في التلقين مع الابتعاد عن النمط الخاص، الذي يتميز به هذا المقرر؛ من حيث منهجية الأداء، وكذلك من حيث الإدراك الواعي لموضوعاتها ومفرداتها.

كل ما سبق لا يعني بحال أنه لا يتقن تدريس هذا المقرر إلا فئة محددة دون غيرها؛ لا، بل قد يوجد من خريجي التخصصات العلمية الدقيقة غير الثقافة الإسلامية من يبدعون في تدريسها وإيصال فكرتها إلى الطلاب، لاسيما من لديهم اهتمامات ثقافية وفكرية مختلطة بالواقع الثقافي والفكري المعيش، ولكن الحديث هنا عن الأعم الأغلب.

٥- مقترحات وتوصيات

للنهوض بواقع مادة الثقافة الإسلامية نقترح ونوصي بما يلي:

- لابد من إعادة النظر في المفردات/ الدروس/ الوحدات الدراسية المعتمدة

لهذا المقرر ومحاولة صياغة المفردات الجديدة بما يتوافق مع أهداف المقرر بصورة دقيقة.

- استحداث مفردات/ دروس/ وحدات دراسية جديدة من خلال الانفتاح على ما يستجد من قضايا حيوية معاصرة معيشة في واقع الحياة، بحيث يواكب هذا المقرر تطورات الحياة، ويتحرر من الجمود.

- السعي بشكل عاجل وجاد لتطوير أداء أعضاء هيئة التدريس في الأقسام التي تتولى تدريس هذا المقرر وعدم التهاون في هذا الأمر وجعل تطوير الأعضاء هدفا استراتيجيا للأقسام المعنية، وربط بعض الترقيات به أو وضع بعض العلاوات والمكافآت للساعين في تطوير أنفسهم.

- ضرورة تفعيل دور القسم المعني في متابعة تدريس هذا المقرر والنظر فيما يتعلق بذلك، حتى لا يتم أي نوع من أنواع القصور لا في الالتزام بالمفردات والبرنامج ولا في طريقة الأداء، لتتحقق الفائدة المرجوة من هذا المقرر على الوجه الأكمل.

- العناية باختيار أعضاء هيئة التدريس الذين يتولون تدريس هذا المقرر بشكل دقيق بحيث لا يخوض غمارها إلا من كان لديه الأهلية الكاملة، والرغبة الصادقة.

- الدعوة وبكل جدية إلى فتح باب الدراسات العليا في أقسام الثقافة الإسلامية (الماجستير/ الماستر والدكتوراه)، بحيث تكون قنوات لتخريج المؤهلين لتولي تدريس هذا المقرر المهم.

- يجب أن يتوخى منهاج هذه المادة تحقيق الأغراض التالية:

إيجاد وعي علمي صحيح بحقيقة الإسلام؛ وذلك حتى يكون الشاب المسلم مدركا لعقيدته، عالما بشتى جوانبها وأبعادها، فإن هذا الإدراك يمنحه مناعة وحصانة كاملتين تجاه جميع الأفكار والعقائد والاتجاهات الدخيلة والمغايرة.

الإسهام في إيجاد المسلم القوي الصالح الذي يعمر هذا الكون، مؤمنا بربه، خاضعا له، عاملا على تكوين المجتمع الصالح الذي تتكاثف قواه كلها؛ لإعلاء كلمة الله، وتحقيق شريعته.

تنمية شعور الولاء للأمة الإسلامية، والإلحاح على مكانتها وأهمية رسالتها العظيمة للإنسانية، وما يمكن أن تكونه لنفسها وللناس.

تصحيح الفكرة الخاطئة التي أشاعها خصوم الإسلام في نسبة انحطاط المسلمين إلى تمسكهم بالإسلام، وبيان أن العكس هو الصحيح، وأن تخلف الشعوب التي تؤمن بالإسلام، كان بسبب تخليهم عن مبادئ هذا الدين القويم وتطبيقها تطبيقا واعيا سليما في حياتهم الفردية والاجتماعية[٦].

والثقافة الإسلامية بتحقيقها هذه الأغراض، تستطيع أن توجد الفرد المتميز والمجتمع المستقل، وهذا أول الطريق للسير في السبيل القويم، الذي يؤدي إلى تحقيق الكرامة والتقدم ورضا الله[٧].

- مراعاة ما يريده الطالب عند وضع مفردات/ دروس/ وحدات/ مواضيع المادة.

- إنشاء جمعيات للثقافة الإسلامية تضم مدرسي هذه المادة وطلابها والمهتمين من الخبراء والمختصين.

- الاستفادة من استخدام الوسائل الحديثة المختلفة عند إعداد وتدريس المادة، وتوفيرها في القاعات التدريسية.

- عقد لقاءات دورية وورش عمل لمدرسي المادة.

- اعتبار مادة الثقافة الإسلامية متطلبا من متطلبات الجامعة لجميع الكليات والبرامج الأكاديمية.

- طرح مساق الثقافة الإسلامية في الجامعات العربية غير المطروح في خططها الدراسية.

خاتمة

تعتبر قضية تدريس مادة الثقافة الإسلامية بجامعاتنا العربية، قضية لا تنفصل عن واقع التعليم العالي بالعالم العربي، والذي يتميز بضبابية الرؤية والارتجالية من حيث الاختيارات المنهاجية والبرامج والمقررات الدراسية وطرق ووسائل التدريس المتبعة فضلا عن نظام التقويم والامتحانات.

وبالتالي، فالارتقاء بواقع تدريس مادة الثقافة الإسلامية بالجامعات العربية لن يتحقق إلا بوضع خطة تطوير المادة في إطار إستراتيجية أشمل تهم النهوض بمنظومة التعليم العالي ككل.

الهوامش

١- ينظر: عبدالرحمن حبنكة ومحمد الغزالي، الثقافة الإسلامية، المستوى الأول (١٠١)، جامعة أم القرى، مكة،(١٤١٨هـ)، (ص ٥ - ٧).

٢- حلمي الوكيل ومحمد المفتي، أسس المناهج وتنظيماتها، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة العاشرة، (٢٠١٧م)، (ص ١٢٧).

٣- ينظر: عبد الرحمن حبنكة ومحمد الغزالي، الثقافة الإسلامية، المستوى الأول (١٠١)، المرجع السابق.

٤- للتوسع في هذا الشأن، ينظر: عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشرة، (٢٠٠٤م).

٥- للتوسع في هذا الشأن، ينظر: عمر سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، دار النفائس، الطبعة الرابعة، (١٩٩٤م).

٦- حسين محمد الربابعة، دور الجامعات في تنمية الثقافة الإسلامية لدى المجتمعات، مجلة جامعة الأقصى، المجلد ١١، العدد الأول، يناير (٢٠٠٧م)، (ص ٩٠ - ٩١).

٧- عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة عشر، (١٩٨٩م)، (ص ٨ - ٩).

أحمد نصيب علي حسين
باحث وكاتب



مفاهيم مغلوطة حول التدين الصحيح

يقع الكثير من المسلمين أسرى لمفاهيم مغلوطة حول التدين الصحيح؛ تحول بينهم وبين التدين الصحيح وتجعلهم يخشون على أولادهم من التعمق في التدين الصحيح والتمسك أكثر بتعاليمه الحنيف، وفي هذه السطور نلقي الضوء على تلك المفاهيم الخاطئة لنبين خطئها ونوضح فسادها، ونفند تلك الشبهات حولها، لنفتح الأبواب للاقتراب من التدين الصحيح والتمسك بتعاليم الإسلام الحنيف لنسعد جميعا به.

يظن الكثير من الناس أن التدين الصحيح سبب لتعقيد الحياة، وإيقاع الإنسان في المشاكل النفسية، ليعيش كئيبا قلقلا مهموما لا يعرف الفرح والسرور، وهذا من أعظم الأخطاء، وهي شبهة الشيطان قديما وحديثا، لسانه حاله تمتع بشبابك وفي أواخر عمرك تب وعد إلى الله، وهذه شبهة باطلة، فالقرب من تعاليم الإسلام الحقة يوفر للمرء الحياة الطيبة وفق فطرته، والعيش بكل بساطة وسرور، ليحيا وفقا للفطرة التي فطر الناس عليها، فيحيا وفقا لمبادئه، فتتلاءم سريرته مع علانيته، ويتوافق قوله مع فعله، فيحيا مطمئن القلب وساكن الفؤاد، وتكون دنياه زادا لآخرته، وكيف تتعقد حياة المسلم المتدين وهو الدين الذي نزل من عند العليم الخبير الذي يعلم ما يصلح الإنسان ويفسده؛ لذلك يقول الله تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤) وكيف تصبح حياة المتدين ظلاما والله يقول ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة:٢٥٧)، وكيف تتعقد الحياة بالدين الصحيح

وقد أعطى كل ذي حق حقه، فالتدين الحق يجعل المرء يستمتع بمباهج الحياة، فلا يحزن على ما مضى من عمره ولا يخشى على ما يستقبله من عمره؛ لأنه يسير على منهج الله.

ضيق الأفق

ويخيل للبعض أن المتدينين من أصحاب الفكر الضيق، لا ينظرون إلا تحت أقدامهم، ولا يفكرون في عواقب الأمور، ولا يعرفون التسامح والسلام، ولا يعرفون إلا الخلاف والشقاق، وهي صورة درامية من الأفلام والمسلسلات التي شوهت صورة المتدين، وهذا من الغلط الواضح، فالتدين الصحيح هو الذي يوسع الأفق، فيجعل المسلم يرى الفرص السانحة، ويبصر المنح بل يعيد النظر في المحن ليراها منحا، ويوسع أفقه فلا يكون نظره قاصرا بل يتسع ليرى الدنيا بجوارها الآخرة، ويرى في الرزق صنوفا عديدة وأنواعا كثيرة غير المال، ويشاهد في الابتلاء محبة الرب وتكفير السيئات ورفعة الدرجات وتعجيل العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، ويتسع نظره ليرى مصالح الدنيا والآخرة، ويرى الحرمان عطاء ويرى في بعض العطاء حرمانا، فالقرآن مملوء دعوة للتفكر والتذكر والتعقل وإعمال العقل والتبصر والنظر للعاقبة، كيف يكون المتدين مع قربة من تلك الآيات البينات ضيق الأفق إن هذا من البهتان البين.

الإعراض عن الدنيا

ويظن البعض أن تفضيل المتدينين للآخرة على الدنيا يعني الإعراض كاملا عن الدنيا، وعدم تعميرها وعدم الانتفاع بمباهجها حتى ولو في إطار المنهج الإسلامي، وهذا من الفهم الخاطئ عن التدين الإسلامي، فالذي خلق الدنيا جعل منهجا للاستفادة منها، وجعلها مزرعة للآخرة، وجعل لنا من الأحكام في التعامل مع أمور الدنيا من بيع وشراء وهبة وإرثا... وغير ذلك، مما يعني عدم الإعراض عن الدنيا والاستفادة منها، والزهد في الدنيا ليس معناه الإعراض بالكلية عن الدنيا، وإنما معناه أن تكون الدنيا في اليد وليست في قلبه، فلا تشغله عن إقامة واجب أو أداء حق أو الدخول في باطل، ولا تستعبده فيرضى لرضاها ويسخط لسخطها، ولقد ورد عن عاصم بن ضمرة قال: ذم رجل الدنيا عند علي، فقال علي: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، مهبط وحي الله، ومصلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، وشبهت بشرورها السرور، وببلائها إليه ترغيبا وترهيبا، فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه، متى خدعتك الدنيا، أو متى استذمت إليك؟ أبمصارع آبائك في البلى؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟! كم مرضت بيديك، وعللت بكفيك، تطلب له الشفاء، وتستوصف له الأطباء، لا يغني عنك دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك[1].

النفس الضعيفة

ويحسب البعض أنه إذا تدين سيكون مهضوم الجانب، وسيصبح ضعيف النفس، فيصبح فريسة للأقوياء، ومستباح الحمى، وهذا من الغلط البين، فالإسلام لا يحرم الانتصار للنفس بالحق، ولا يلزم المسلم بالعفو عن حقوقه، بل جعله من الأمور المستحبة التي يرغب فيها، يقول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ (الشورى:٤٠-٤٣)

«ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم. فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله. ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ يجزيه أجرا عظيما، وثوابا كثيرا، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به، وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل، وأما مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يجنون على

غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم، ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي: انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه ﴿فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: لا حرج عليهم في ذلك»[٢].

وهكذا ذكر الله مراتب أخذ الحقوق وهي الظلم بمجاوزة الحق وبالانتصار بالحق وبالعفو، فحرم الأول وأجاز الثاني ورغب في الثالث، بل شرع القصاص لأن هناك نفوس لا تطيب إلا بأخذ حقها، ولا تسمح بالعفو والمسامحة، فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٧٨.) فبعد أن ذكر القصاص ذكر العفو ليدل على أن العفو ليس واجبا، ومع أن الغالب على سيرة النبي ﷺ الرفق واللين قولا وفعلا، ومع ذلك في بعض الأحيان يستخدم الشدة والزجر عندما تنتهك محارم الله ليكون أشد زجرا لمن يرتكب محارم الله، بل في فتح مكة أهدر دماء بعض المشركين.

أهل الدهاء والمكر

وقد وقع في خلد البعض أن المتدين يمتاز بالمكر والخديعة، فترى البعض قد يسيء الظن به، وهذا من الظن الباطل، والحق الذي يجب أن يقال أن الدهاء ليس كله مذموم، فالوصول للحق بالحيل الجائزة ليس من الأمور المذمومة، بل من الأمور المحمودة، وقد استخدمه المفلحون قديما وحديثا، وأهل السياسة من أكثر الناس حاجة له، بل كان الدهاء من سمات النبي ﷺ وصفاته الحميدة التي استخدمها في دعوته، فقد كان من دهاء النبي ﷺ المحمود أنه كان إذا أراد الغزو لا يصرح بالمكان الذي يقصده بل يوري بغيره، أما الوصول بالحيل الخفية للباطل أو أسقط حقا فهذا هو الدهاء المذموم، كما فعل أهل السبت في الاحتيال على الصيد يوم السبت فهو من مذموم ومن الحيل المحرمة.

غياب الترويح عن حياتهم

ومن يظن أن التدين يمنع المرء من الترويح فهو قد قال قولا جانب فيه الصواب، فالإسلام لم يأمر أتباعه أن يكون كل كلامهم ذكرا، ولا جميع نظرهم فكرا، ولا جميع سيرهم تدبرا، ولا جميع ما يفعلونه للآخرة ذخرا، بل أباح الترويح؛ لأنه دين يتوافق مع الفطرة الإنسانية، ويمنح النفس ما ترغب فيه من حاجات لا تستغني عنها، بل جعله سببا للسرور المتجدد، ومن ذلك أنه أباح لها ما تحتاجه نفسه من الترويح المباح، فالنفس لا تستطيع أن تعيش دائما في جدية مستمرة، ولا في عمل دؤوب، فلا بد من الترويح ليذهب الملل عن النفس والسآمة عن القلب، والترويح على يقف على المعاصي كالأفلام الخليعة او الأغاني الساقطة، وغير ذلك من الباطل، بل الترويح المباح باب واسع يدخل فيه الكثير من المباحات كالنوم والطعام والمزاح الجائز والنوم والتنزه وغير ذلك.

الارتجالية وعدم التخطيط

ويظن البعض أن التوكل على الله يعني ترك الأخذ بالأسباب وعدم النظر لعواقب الأمور والارتجالية في الحياة وعدم التخطيط وهذا مما يتهم به التدين الصحيح ظلما وبهتانا، فالإسلام يدعو أهله للتوكل مع الأخذ بالأسباب والحرص على ما ينفعه والبعد عن العجز، ففي الحديث النبوي «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[٣].

فالحرص على ما ينفع يكون بالأخذ بالأسباب من التخطيط وغيره، ومن يتأمل سيرة سيد المتدينين النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ مع أنه في الدرجة العليا من التوكل ومع ذلك أخذ بالأسباب ولم يعرف الارتجالية، بل كان يحرص على التخطيط المحكم كما في الهجرة للمدينة والإعداد للغزوات لاسيما غزوة بدر وأحد والأحزاب.

إن تفنيد الشبهات حول الدين والتدين الصحيح يساهم بشكل كبير في ترغيب الناس في الدين والتمسك بتعاليمه، ولا شك أن هذا التمسك له أثر كبير في سعادة الفرد والمجتمع والنهوض بالمجتمعات الإسلامية، فالفهم الصحيح يثمر في بناء المجتمع الصالح الناجح ليكون دعوة عملية لغير المسلمين للدخول في الإسلام.

الهوامش

١- البداية والنهاية لابن كثير، (١١/١١٤).

٢- تيسير الرحمن في تفسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ص:٧٦٠).

٣- صحيح مسلم، رقم: (٢٦٦٤).



فهد الشمري
باحث وصحافي

وزير الأوقاف استقبل وزير الحج والعمرة بالمملكة

مباحثات مثمرة وبشرى للراغبين في الحج





التقى وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووزير الدولة لشؤون تعزيز النزاهة عبد العزيز الماجد في مقر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الحج والعمرة بالمملكة العربية السعودية د.توفيق بن فوزان الربيعة بحضور قيادات الوزارة ومسؤولي إدارة شؤون الحج والعمرة وتباحث الوزيران خلال اللقاء في العديد من المواضيع المتعلقة بالحج والعمرة وأهمها السماح لفئة المقيمين بصورة غير قانونية بأداء شعيرتي الحج والعمرة.

وبحسب التصريحات فقد أكد الطرفان على عمق العلاقات بين البلدين واختتم اللقاء بشكر الماجد حكومة خادم الحرمين الشريفين على ما يقوم به جلالته من خدمات مميزة لضيوف الرحمن وتذليل جميع العقبات لأداء شعيرتي الحج والعمرة بكل سهولة ويسر.

من جهته أكد وزير الحج والعمرة السعودي الدكتور توفيق الربيعة استمرار التعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية في كل ما يتعلق بخدمات الحج والعمرة.

وقال الربيعة خلال مؤتمر صحافي أقيم في مقر السفارة السعودية بالكويت بحضور السفير السعودي: إن إصدار تصاريح العمرة وتصاريح الصلاة في الروضة الشريفة من خلال تطبيق (نسك) متاح للمعتمرين القادمين من دولة الكويت، داعيا المواطنين والمقيمين للاطلاع على الخدمات عبر موقع الوزارة وحساباتها الإلكترونية وتطبيق (نسك) nusuk.sa.

مشيرا إلى أن حكومة المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده أشرفت على تنفيذ الأعمال التطويرية المستمرة في البنية التحتية والتنظيمية للمشاعر المقدسة والحرمين الشريفين ضمن أحد أكبر المشاريع التطويرية على مستوى العالم.

مؤكدا استمرار تقديم الخدمات لضيوف الرحمن بما في ذلك استكمال إجراءات حجز الخدمات من سكن وتنقل داخل المدن السعودية وبخطوات بسيطة من كل مكان حول العالم وعلى مدار الساعة عبر تطبيق نسك.

ولفت الربيعة إلى تيسير إصدار التأشيرات السياحية الإلكترونية للمقيمين في دول مجلس التعاون الخليجي والحصول عليها بشكل مباشر، مع إمكانية أداء العمرة لمن يحمل أي نوع من أنواع التأشيرات والتي تمكنه من الإقامة والتجول في مدن المملكة بكل أريحية لمدة ٩٠ يوما.

كما أوضح أن "النقلة النوعية التي يشهدها قطاع العمرة في المملكة بشراكة كل الجهات الحكومية ومزودي الخدمات من القطاع الخاص أسهمت في صناعة تحول رقمي وإيجاد حزمة من التسهيلات والخدمات والحلول الرقمية تحت مظلة برنامج "خدمة ضيوف الرحمن" أحد البرامج التنفيذية لرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠".

وعبر الربيعة عن شكره لدولة الكويت على منحه وسام المعلوماتية من جائزة سمو الشيخ سالم العلي الصباح لوزارة الحج والعمرة والامتنان على كرم الاستقبال.







جولات وزير الأوقاف المفاجئة تهدف إلى تحسين بيئة العمل وتنشيط القطاعات

زيارة الماجد للمسجد الكبير .. متابعة وتحفيز

يتحرك وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون النزاهة عبدالعزيز ماجد عبدالعزيز الماجد، كقيادي مدرك تماما أهمية نزول أعضاء السلطة التنفيذية إلى مواقع العمل بأنفسهم موجهين القيادات الوسطى وضاربين المثل للجميع بعمل دؤوب ومتابعة مستمرة وتحفيز لمزيد من العطاء. ولعل في تحرك الماجد تفعيلا لما جاء في النطق السامي لسمو نائب الأمير ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح، في افتتاح دور الانعقاد الأول للفصل التشريعي السابع عشر لمجلس الأمة، حيث قال سموه في النطق السامي أمام مجلس الأمة: «حديثي اليوم موجه إلى أبناء وطني العزيز وجميع السلطات في الدولة على اعتبار أن الجميع شركاء في تحمل المسؤولية وشركاء في عملية البناء والإصلاح؛ شعبا وأسرة حكم، كل من موقعه ومركزه وعمله».

وحين قال سموه: «(...) وأما فيما يتعلق بمسؤولية أعضاء السلطة التنفيذية فتقع عليهم مسؤولية النزول إلى القاعدة بهدف تلمس احتياجات المواطنين والسعي على تحقيق مطالبهم والعمل الجاد على رفع المعاناة عنهم».

وفي هذا السياق، تتوقف مجلة «الوعي الإسلامي» أمام هذه الزيارة



الماجد يتحدث إلى مدير المسجد الكبير

المفاجئة التي قام بها وزير الأوقاف لمسجد الدولة الكبير للاطلاع على الأنشطة التي يقدمها لمرتاديه، وكذلك استعدادات المسجد لشهر رمضان المبارك لهذا العام ١٤٤٤هـ.

وقد قدم مدير المسجد الكبير علي عبدالله شداد، شرحا وافيا لحالة المسجد واحتياجاته، كما قدم تفصيلا للاستعدادات التي تجري على قدم وساق لفعاليات شهر الصيام. واطلع الوزير في جولته التفقدية على أعمال الصيانة القائمة بالمسجد، مؤكداً على تضافر جهود الوزارة بجميع قطاعاتها لتجهيز المسجد الكبير لاستقبال المصلين لشهر رمضان المبارك لهذا العام، مشيرا في نهاية جولته التفقدية إلى الاهتمام بالمسجد الكبير ودوره كمركز إشعاع ثقافي سياحي بدولة الكويت وتوفير جميع الاحتياجات المطلوبة للأنشطة والفعاليات التي تقام به لتوفير أجواء إيمانية للمصلين وثقافية وسياحية لزائري المسجد من خارج دولة الكويت.

كما اطلع وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدر العتيبي على الاستعدادات والأنشطة التي يتم التجهيز لها لاستقبال شهر رمضان المبارك.

وأكد العتيبي سلامة وجهوزية المسجد الكبير لاستقبال الشهر الفضيل بعد انقطاع عامين بسبب انتشار فيروس كورونا والصيانة، ووعد في تصريح صحافي قائلا: «إن شاء الله سنكون قادرين على توفير كل متطلبات المصلين».

وأوضح أن زيارة المسجد الكبير تأتي انطلاقا من توجيهات وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عبدالعزيز الماجد، وحرصا من الوزارة على حسن الاستعدادات والترتيبات لاستقبال شهر رمضان المبارك وتهيئة الأجواء المناسبة لإقامة صلاتي التراويح والقيام لهذا العام.

وفي شهر رمضان المبارك، يتوافد المصلون من الرجال والنساء بأعداد كبيرة إلى مسجد الدولة الكبير، خصوصا أن مساحته الإجمالية تبلغ حوالي ٤٥ ألف متر مربع، ويمكن للمصلى الرئيسي أن يتسع لـ١٠ آلاف مصل، ويتسع مع باحاته وأروقته الأخرى إلى نحو ٦٠ ألفا، في حين تعج ساحات المسجد بالمصلين ليلة الـ٢٧ من الشهر الفضيل ويصل عددهم إلى حوالي ١٧٠ ألف مصلّ بحسب الإحصاءات المنشورة.

وخلال إحياء ليالي الشهر الكريم ينقل التلفزيون الرسمي لدولة الكويت شعائر الصلاة، خصوصا صلاة العشاء ثم صلاة القيام، والتي يقوم على القراءة فيها أئمة يتميزون بأصواتهم العذبة، الأمر الذي يستقطب الآلاف لسماع القرآن بصوت نديّ جالب للخشوع.

وإلى جانب دوره الطبيعي دارا للعبادة، يعد المسجد أحد معالم السياحة الدينية من حيث توافد الأشخاص والعائلات من المنطقة العربية والدول الأجنبية عليه.

لهذا الغرض، يجد الزوار بانتظارهم مرشدين يتحدثون عدة لغات، وظيفتهم تقديم نبذة عن بناء المسجد والأنشطة والفعاليات التي تقام فيه، بالإضافة إلى العمارة الإسلامية والخطوط العربية وغيرها من الفنون المرتبطة بها.

ولمكانته الكبيرة في قلوب الكويتيين والوافدين، حرصت الحكومة على تزويد المسجد الكبير بكل الخدمات التي يمكن أن تسهل وصول المصلين والزوار إليه، ومن ذلك: مرآب يتسع لأكثر من ٥٠٠ سيارة، بالإضافة إلى المنظمين التابعين للمسجد والمشرفين على القادمين والمغادرين الذين يوجهون الزوار إلى أيسر الطرق بغية تسيير الأمور بسلاسة داخل المسجد رغم العدد الكبير الذي يقصد المسجد.

السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية



نور الأمل

لا غناء للمرء عن الإيمان بالله تعالى؛ لأن الإيمان فطرة الله التي فطر الناس عليها.. ولا غناء له أيضا عن الأمل؛ لأن الأمل سراج ينير للإنسان خطواته وهو يسير في دروب الحياة المتشابكة، وأحيانا المعتمة..!

وكما حذرنا الله تعالى من الكفر؛ لأنه يطمس نداء الفطرة لدى الإنسان، ويوقعه في الجحود والغفلة حتى عن بديهيات العقل.. فإنه سبحانه حذرنا أيضا من اليأس، وقرن ذلك بالكفر؛ لأن اليأس داء قاتل للإنسان؛ قاتل لروحه، وأحيانا قاتل لجسده! قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧). فالأمل قرين الإيمان، واليأس أخو الكفر.

والتأمل في المعنى اللغوي لمادة «اليأس» وما يرتبط بها، يدلنا على جملة من المعاني التي تثقل النفس، وتقعد بها عن كل خير.

ومن ذلك معنى اليأس نفسه؛ فهو، كما يعرفه ابن فارس: قطع الأمل، أو قطع الرجاء. وهذا التعريف قد ذكر كلمة القطع، وفيها إشارة سلبية؛ ثم جاء القطع مرتبطا بالأمل وبالرجاء؛ ليؤكد ما يعنيه اليأس من عدمية وانعدام، ومن قطع وانقطاع.

كما أن اليأس مرتبط بالطرد. يقال: «أبلس إذا يئس. قال تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٧)، قالوا: ومن ذلك اشتق اسم إبليس، كأنه يئس من رحمة الله».

واليأس أيضا مرتبط بالقنوط. يقال: قنط من الشيء، أي يئس منه. قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦)[1].

إذن، اليأس يرتبط بجملة من المعاني السلبية؛ تشمل القطع، والطرد، والقنوط؛ كما يرتبط بالابتعاد عن الأمل والرجاء، اللذين هما وقود الإنسان في الحياة، وعدته فيما يرجو تحقيقه أو يريد صرفه عنه.. إضافة إلى الابتعاد عن رحمة الله تعالى، وما يعنيه ذلك من صفة يتصف بها الضالون، أو من وصف صار ملازما لإبليس بعد أن استحق الطرد والعقوبة لمعصيته واستكباره.. فما أبأس ما يعنيه اليأس من معان، وما يرتبط به

من صفات ومواقف!

في التحذير من اليأس

ولهذا جاء التحذير من اليأس، وبيان ما يستلزمه من معان مرفوضة، وما يدل عليه من الجهل بسعة رحمة الله تعالى وعظيم علمه وإحاطته بعباده.

قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام حين جاءته الملائكة تبشره: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرۡنَـٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَـٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ (الحجر: ٥٥، ٥٦).

فقوله: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرۡنَـٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: أي باليقين الثابت الذي لا محالة في وقوعه؛ فلا تستبعده، ولا تشك فيه. ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَـٰنِطِينَ﴾: من الآيسين، فإن الله تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين، فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر. وكان استعجاب إبراهيم باعتبار العادة دون القدرة- أي استبعد الولد لكبر سنه، لا أنه قنط من رحمة الله- ولذلك: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: لا ييأس من رحمة ربه ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: المخطئون طريق المعرفة، فلا يعرفون سعة رحمته تعالى، وكمال قدرته. قال القشيري: أي: من الذي يقنط من رحمة الله إلا من كان ضالا، فكيف أخطأ ظنكم بي، فتوهمتم أني أقنط من رحمة ربي؟ أ.هـ. وفيه دليل على تحريم القنوط[٢].

وقال تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام حينما أرسل أبناءه ليلتمسوا خبر أخيهم يوسف، موصيا إياهم بعدم اليأس: ﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذۡهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يۡـَٔسُوا۟ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

جاء في تفسير ابن كثير: يقول تعالى مخبرا عن يعقوب، عليه السلام، إنه ندب بنيه على الذهاب في الأرض، يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين. والتحسس يكون في الخير، والتجسس يستعمل في الشر. ونهضهم وبشرهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله، أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه؛ فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس من الله إلا القوم الكافرون[٣].

وفي السنة من حديث جابر، قال: سمعت النبي ﷺ، قبل وفاته بثلاث، يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»[٤].

فالتحذير من اليأس يقوم على عدة أمور، من أهمها: أن اليأس نابع من إساءة الظن بالله تعالى، أو يؤدي إلى ذلك.. ويعني الغفلة عن سعة رحمة الله تعالى، وأنه يقعد بالمرء عن العمل؛ بل يلقي به في مهاو من الإحباط والقنوط، وضيق النفس، وانعدام الرؤية، ويشل قدرة الإنسان على التفكير، ويمنعه من مواجهة ما يحيط به من مشكلات، على نحو صحيح، كما أنه مناف لمعنى الحياة أصلا؛ فهو نوع من الموت! الموت المعنوي للإرادة والعزيمة والأمل والرجاء! والموت الحسي لأنه قد يدفع الإنسان إلى الانتحار!

مسببات اليأس

ومن المهم هنا أن نعرف مسببات اليأس؛ حتى نتجنبها ونحذر منها، ونقطع الطريق عن أن تتسلل إلى قلوبنا وعقولنا. ومن أهم مسببات اليأس:

● الجهل بالله تعالى: ولسنا نريد هنا الجهل التام الذي يكون مع غير الإسلام، من الإلحاد وغيره؛ وإنما نقصد عدم توافر العلم بالله تعالى علما يؤدي إلى الأنس به سبحانه، ومحبته، واستشعار عظيم نعمه وإحسانه وتفضله، وإدراك أنه تعالى رحيم بعباده لطيف بهم محيط بأحوالهم، لا تغيب عنه غائبة في الأرض ولا في السماء. فإن هذا العلم الذي يستقر في القلب وينعكس على الجوارح، يحفظ الإنسان من الوقوع في وهدة اليأس، ويصونه عن أن يكون فريسة للقنوط وأغلاله.

إن الإيمان بالله تعالى ومعرفته والأنس به، طريق آكد للطمأنينة والسعادة في الدنيا، وللفوز والنجاة في الآخرة؛ وأما غير ذلك فهو عين المتاهة والتيه!

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

وقال: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

قال ابن كثير: «هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا- وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه- من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله؛ بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة». ثم ذكر ابن كثير آراء العلماء في تفسير هذه «الحياة الطيبة» بأنها الرزق الحلال الطيب، أو القناعة، أو السعادة، أو الجنة، أو هي العمل بالطاعة والانشراح بها. وعقب على ذلك بقوله: «والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا»[٥].

● عدم معرفة حقيقة الدنيا: فالبعض



يظن الدنيا دار سكينة وطمأنينة وراحة، ودار عدل ومساواة وانتصاف؛ ولهذا فإنه حين يقع في شدة أو تحدث له مظلمة، سرعان ما يصيبه اليأس، ويحيط به الغم والقلق!

ولو علم أن الدنيا دار ممر لا مقر، ودار امتحان لا جزاء، ودار ابتلاء لا عافية؛ وأن هناك دارا أخرى بعدها يكون فيها العدل التام والراحة الأبدية؛ فإنه سيصبر على ما وقع به من شدة أو غبن، وستتوافر لديه العزيمة للتغلب على الصعاب غير خاضع لها؛ وسيعلم أن قراره باليأس إنما هو استسلام لا يليق بمسلم يثق بربه سبحانه ويعرف حقيقة الدنيا ويتطلع للدار الآخرة؛ دار الجزاء الأوفى، والعدل الذي لا تضيع معه الحقوق ولا تبخس الجهود!

● التربية غير السوية: فالتربية التي لا تقوم على أسس صحيحة، وتتطرف ناحية القسوة أو التدليل الزائد، لا تنتج إنسانا قادرا على التفاعل مع الحياة بما يحفظه من اليأس والانهيار، ويدفعه للثبات والنجاح.. وإنما ينشأ عنها إنسان هش أو متخبط، لا يعرف كيف يتحمل ويثابر، ولا كيف يصمد أمام العقبات ويتخطاها.

ولهذا، علينا أن نهتم بالنشء، ونبصره بطبيعة الحياة، ونكسبه المهارات اللازمة لتحقيق ذاته وآماله، وإدارة مشكلاته وتحدياته؛ حتى يعتمد على نفسه، ولا يعيش عالة على نجاح آبائه، فضلا عن أن ينهزم أمام أول تحد جاد، ظانا ألا أمل في الحياة، ولا إمكانية لتجاوز الصعاب.

ضرورة الأمل

والحديث عن اليأس، بغية تجنبه والقضاء على مسبباته، لا يتم إلا بالحديث عن الأمل، ومعرفة أهميته وضرورته، والعوامل التي تثبته في وعي الإنسان، وتجعل هذا الأمل يتحول إلى سلوك وعمل وخطوات.

والأمل في اللغة: الرجاء، والجمع: آمال. وتأملت الشيء: أي نظرت إليه مستثبتا له. وتأمل الرجل: تثبت في الأمر والنظر[٦]. والرجاء من الأمل، وهو نقيض اليأس[٧].

ولا نقصد بالأمل هنا ما يجعل الإنسان يسوف العمل ويطيل القعود، فهذا أمل مذموم خادع؛ لأن الإنسان لا يدري متى يحين أجله، وعليه حينئذ أن يستعد دائما لملاقاة ربه سبحانه، وأن يسلك الأسباب الصحيحة ولا يدخر جهدا.

وهذا النوع قد ورد ذمه في مثل قوله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر: ٣). جاء في تفسير الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ما هم آكلوه، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها إلى أجلهم الذي أجلت لهم، ويلههم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها، وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربه؛، فسوف يعلمون غدا إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم، حين يعاينون عذاب الله، أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا في خسار وتباب[٨].

وأما الأمل الذي نقصده فهو ما يدفع لاتخاذ الأسباب، والتصدي للتحديات وعدم الاستسلام لها.. هو ما يجعلنا نتزود بطاقة نفسية وفكرية نتغلب بها



على صعوبة ما يحيط بنا؛ فلا نقع في يأس أو ضيق.

وهذا النوع الحسن من الأمل هو قرين العمل والتوكل، ومضاد لليأس أو التواكل.. وهو أيضا علامة على ثقة الإنسان بربه تعالى وحسن الظن به؛ فإنه سبحانه كما أخرجنا من شدائد سابقة ومحن ماضية، قادر أيضا على أن يهبنا العون والنجاة مما أصابنا. وما أجمل ما وجهه الله تعالى من خطاب لنبيه ﷺ حين قال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ (الضحى: ٥- ٨).

موجبات الأمل

الأمل ليس وهما زائفا، أو سرابا نجري وراءه بلا طائل. نعم هناك نوع يشبه ذلك، ويورث المرء الأماني الخادعة؛ لكننا نقصد أن الأمل في جانبه الصحيح هو حقيقة من حقائق الحياة، وهو أمر يحيط بنا ونلمسه وإن غاب عن العين بعض الوقت، في لحظة ضعف أو ضغط من الشدائد.

● وللصحبة الطيبة أثرها البالغ في تثبيت الأمل وإبعاد اليأس؛ فإننا في لحظات الشدة نحتاج إلى من يبث فينا شعاع الأمل، ويدلنا على خطوات العمل التي قد تكون متاحة لدينا لكننا نغفل عنها بسبب ما يحيط بنا حينئذ من تشتت وغم. ولهذا قيل: الصديق وقت الضيق. فالصديق الحق نحتاجه في الأزمات؛ وليس بالضرورة أن يكون الاحتياج ماديا، بل الاحتياج المعنوي أشد، أي ما يقدمه الصديق لنا من عون في استعادة الأمل، واستنقاذ النفس من ظلام المحنة.

ولنا في سيرة النبي ﷺ أسوة حسنة؛ فحين أتاه الوحي في غار حراء، ولم يكن الأمر قد اتضح له على النحو التام؛ عاد إلى بيته مسرعا، وقص على زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها ما وقع له، وأخبرها أنه خشي على نفسه؛ فوجد ﷺ من كلماتها بلسما وشفاء، وعونا وثبيتا؛ إذ قالت له: «كلا والله ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[١٠].

إن حاجة المرء لدفع اليأس عن نفسه، واستدامة الأمل في حياته وخطواته؛ لا تقل ضرورة عن حاجته إلى ما يقيم به جسده من الطعام والشراب؛ فإن اليأس والأمل متعلقان بالروح؛ والإنسان بروحه أولا. وخير ما يستصحبه المرء في حياته لذلك، إيمان بالله تعالى، وأنس بذكره، واستشعار لمعيته، وتذكر لنعمه؛ إضافة إلى مهارات التعامل مع صعوبات الحياة، وأن نعرف أن اللحظة الضاغطة ليست هي الأولى ولن تكون الأخيرة، ولا يليق بنا أن ننزلق لظلام اليأس، وإنما ندفع ذلك بنور الأمل!

الهوامش

١- مقاييس اللغة، ابن فارس. (١/ ٣٠٠، ٩٤١) و(٥/ ٣٢). و(٦/ ١٥٣).
٢- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، (٣/ ٩٥).
٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٤٠٦).
٤- صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٨٧٧).
٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٦٠١).
٦- لسان العرب، (١١/ ٢٧).
٧- المصدر نفسه، (١٤/ ٣٠٩).
٨- جامع البيان، الطبري، (١٤/ ١٣).
٩- صحيح البخاري، حديث رقم: (١٤٦٩).
١٠- صحيح البخاري، حديث رقم: (٣). صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٥٢).

د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه وأصوله



عظمة الشريعة في تحريم اليأس

اليأس من أمراض النفس البشرية التي تربك الإنسان، وتجعله غير قادر على إكمال مسيرته في الحياة، ولهذا كان التحريم له في الشريعة على جهة القطع والحزم، فلا يليق بعبد الله أن ييأس من رحمة الله.

واليأس هو انقطاع الأمل عن تحقق المراد، وهو حالة نفسية شعورية تعتري الإنسان، توقفه عن إكمال مسيرته لتحقيق طموحاته وأهدافه، وتقعده من الداخل، حتى يشعر بفقدان الأمل والعجز عن فعل ما يريد.

وهناك عدد من المصطلحات التي تتشابه وتتداخل مع اليأس من أهمها:

القنوط

القنوط كما ذكر أبو هلال العسكري هو أشد مبالغة من اليأس، فهو أعلى درجة من اليأس، لأنه انقطاع الأمل بالكلية، أما اليأس فهو عدم الأمل في تحصيله، وإن كان من داخله يرجوه.

الخيبة

أما الخيبة فهي نتيجة اليأس، فحين

ييأس المرء يصاب بالخيبة، فهي امتناع نيل ما كان يأمل.
واليأس في دين الإسلام حرام، حتى عده ابن حجر الهيتمي الكبيرة الأربعين في كتابه: «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، بل نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه أن اليأس من أكبر الكبائر. (١٤٩/١):
والأدلة على تحريم اليأس كثيرة جدا، من ذلك ما جاء في القرآن من الآيات التي تحظر اليأس على المؤمنين، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧). وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣). وقال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ (الأعراف: ١٥٦)»
ودلت السنة على تحريم اليأس، من ذلك ما أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض - بضم القاف ويجوز كسرها أي قريب ملئها - خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».
وفي حديث أنس عند الترمذي: «وأنا مبشرهم إذا أيسوا»، فدل على أن من وظائف النبوية إخراج الناس من اليأس إلى البشارة ومن الحزن إلى السعادة، ومن القنوط إلى التفاؤل، ومن الضيق إلى السعة، ومن الكرب إلى الفرج.
ويشهد لتحريم اليأس كل الآيات والأحاديث التي تدل على وجوب إحسان الظن بالله تعالى ورجاء رحمته وعفوه وغفرانه.

اليأس من رحمة الله

يقصد باليأس من رحمة الله، أن يظن العبد أن الله تعالى لن يغفر له ذنبه، وأنه - لا محالة- من أهل النار؛ مما قد عمل من السيئات والكبائر، ورغم أن الكبائر من عظائم الأمور، وأنه تشبه بالكافرين في أفعالهم، إلا أن الإسلام يفتح دوما باب الرحمة والتوبة والعودة إلى الله تعالى، وأنه قد استقر في عقيدة المسلم ما ورد على لسان يعقوب لبنيه في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).
ومما عرف الله تعالى عباده بذاته العلية أنه سبحانه (الرحمن الرحيم)، وابتدأ بها كتابه في فاتحته، وحتى لا يقنط الإنسان من رحمة الله، جعل الله تعالى الرحمة مائة جزء، فأنزل في الدنيا جزءا واحدا، وأبقى تسعة وتسعين جزءا لعباده في الآخرة؛ يرحمهم به، فمن علم ذلك كان أرجى لرحمة الله، مهما أتى من الذنوب والمعاصي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة. وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) «رواه البخاري ومسلم».
وقد غلط الصحابة اليأس حتى عدوه من الكبائر، كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله) «مصنف عبد الرزاق، ٢٢٦».
ولعل من معاني اليأس من رحمة الله؛ الجهل بعظمة الله ورحمته الواسعة، فإن اليأس من رحمة الله، فيه من معاني التأله على الله، فإن النار بيد الله، يدخلها من يشاء من عباده، ويرحم منها من يشاء من عباده، فعلى العبد أن يتأدب مع ربه، ولا يتعدى حدوده معه، وليترك الأمر لصاحبه سبحانه.

اليأس من الحياة

اليأس من الحياة من المحرمات في الشريعة، فالإنسان مخلوق من الله تعالى، الله هو الذي خلقه وأوجده، وهو الذي بيده الموت والحياة، فليس للإنسان أن يتعجل قدر الله فيه؛ لأن هذا اعتداء على قدر الله.
ثم إن اليأس من الحياة والسعي نحو الانتحار خلل في الفهم، وعجز في القدرة، ووهن في التدبير، وجهل بالموازنة بين مراتب الأمور، فليس هناك شيء أغلى في الدنيا من حياة الإنسان وعمره، فإذا قارن الإنسان سوء حالته المادية وفقره مقابل الحياة؛ لكانت الحياة أغلى، وإذا قارن كونه عاطلا عن العمل لا يجد عملا مناسبا له مقابل الحياة، لكانت الحياة أغلى، وهكذا في كل احتياجات الإنسان في الحياة، فالحياة أغلى.
كما أن اليأس من الحياة والسعي نحو إضرارها أو قتلها هو اعتداء على البنيان الذي خلقه الله تعالى.

ولهذا عاب الله تعالى على الإنسان سرعة اليأس حين يفقد النعمة، وكأن النعمة التي فقدها عليها جل حياته، وما ذلك بصحيح، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)﴾ (هود: ٩- ١١).

ومن عظيم مبادئ الإسلام أنه حرم أن يتمنى المرء الموت وإنهاء الحياة، بل جعل له الحياة يسعد فيها ويهنأ بما آتاه الله، وأن يتقوى من الدنيا على طاعة الله، فإن الدنيا مزرعة للآخرة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به». فإن كان لا بد متمنيا فليقل: (اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي) «رواه البخاري ومسلم».

وهذا الفهم الدقيق الوارد في السنة النبوية؛ ليصحح لنا ما شاع من ثقافة تحقير الدنيا وكل ما فيها، ويدفعنا إلى فهم النصوص الواردة في ذم الدنيا؛ أنها مذمومة إن تحولت من وسيلة إلى غاية، أما إن كانت وسيلة يتوصل بها إلى مرضاة الله، والخير للإنسان؛ فلا حرج في ذلك، فإننا ضيوف الله تعالى في ملكه، والله تعالى يكرمنا بضيافته.

بل توعد النبي ﷺ اليائس من الحياة بالنار، إن أداه ذلك إلى قتل نفسه، كما ورد عن سهل بن سعد الساعدي قال: نظر النبي ﷺ إلى رجل يقاتل المشركين- وكان من



أعظم المسلمين غناء عنهم «٢». فقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا، فتبعه رجل فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت فقال بذبابة سيفه فوضعه بين ثدييه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي ﷺ: (إن العبد ليعمل فيما يرى الناس- عمل أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعمل- فيما يرى الناس- عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها) «رواه البخاري ومسلم».

مقاصد تحريم اليأس

لعل من أهم مقاصد الشريعة في تحريم اليأس هو تحقيق العبودية لله تعالى، فإن من خصال العبد أن يكون طامعا في نعم سيده، وعلى هذا الحال، يجب أن يكون المسلم طامعا في رحمة مولاه سبحانه، فإنه بيده الفضل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾.

كما أن من أهم مقاصد تحريم اليأس أن يقبل المسلم على الحياة، وأن يسعى فيها إلى الإصلاح وبذل النفع لنفسه ولأهله ولمجتمعه وللناس أجمعين، فيكون كما ورد: «المسلم كالغيث، أينما حل نفع». وأن العثرات التي يقابلها في حياته؛ لا توقفه عن إكمال مسيرته في الاستخلاف في الأرض، والسعي للمشاركة الإيجابية مع إخوانه المسلمين وغير المسلمين في تحقيق العدل والأمانة والتآخي والمشاركة؛ متمثلا قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة: ٢).

ثم إن اليأس من رحمة الله، واليأس من الحياة؛ يولد صورة سيئة للمسلم تجاه غير المسلمين، وربما انسحب هذا عند غير المسلمين على تعاليم الإسلام، والمسلم داعية إلى الدين بأفعاله قبل أن يكون داعية بأقواله، فإن كان المسلم مطالبا بأن يكون قدوة لغيره، فلا يحل له أن يكون آيسا من رحمة الله، أو آيسا من الحياة، بل عليه أن يكون عبدا طامعا في رحمة الله، مقبلا على الحياة؛ وفق ما أراده وأباحه الله.


عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية





القادم أفضل

لا تخلو حياة أي إنسان من معوقات ومشاكل وظروف صعبة، وربما يظل المرء طوال عمره يواجه تحديات المعيشة وأعباء الحياة.

لكن المشكلة ليست في هذه المشاكل التي لا تكاد تنتهي، إنما في كيفية مواجهتها والتعامل معها، وربما المشكلة الأكبر في كيفية تجاوز صعوبات المعيشة وأوضاعها المرهقة من دون الوقوع في اليأس والإحباط، نتيجة تراكم الأزمات والمشاكل التي قد لا يستطيع تحملها بشر.

عندما تزداد صعوبات الحياة وتضغط على الإنسان فإنه يشعر بالضعف وعدم القدرة على المواجهة، وهناك من يستسلم لهذه الضغوطات ويعيش في حالة من اليأس والتشاؤم، لشعوره بأنه غير قادر على مواجهة الواقع.

بينما هذه الظروف يجب أن تمثل دافعا نحو التغيير والاجتهاد والعمل وبناء حياة جديدة مليئة بالتفاؤل والثقة بأن القادم أفضل والمستقبل أجمل.

وتعكس روح التفاؤل والثقة في التغيير الالتزام بالدين الإسلامي الصحيح الذي يدعونا إلى حسن الظن بالله، ويحذر من اليأس والقنوط من رحمته، وكلما اقترب الإنسان من ربه ازداد قناعة وشعوراً بأن اليأس والتشاؤم وتوقع السوء ليس من الإسلام في شيء، إنما الدين الحنيف قائم على حسن الظن في الله والتوكل عليه وعدم اليأس من رحمته تعالى.

أما من يظل واقعا تحت تأثيرات توقعات المصائب وانعكاسها على حياته لعدم قدرته على تجاوزها وما يؤدي ذلك إلى يأس مستمر وتشاؤم دائم، فإنه يبتعد عن الإسلام ولا يفهم معاني القرآن التي تزرع في النفوس الأمل والتفاؤل، وكيف يشعر باليأس من يسمع قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧).

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ (الحديد: ٢٢- ٢٣).

ولم يأت التحذير من اليأس والقنوط من رحمة الله في القرآن الكريم وحسب، بل جاء في السنة النبوية الشريفة الكثير من الأحاديث التي تحذر من اليأس وتدعو إلى عدم استعجال الخير.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله». صحيح الجامع.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء). صحيح الجامع.

د. آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي



اليأس .. أسبابه وعلاجه



إن الحياة لا تدوم على حال ولا تستقر على نعيم، بل تتبدل وتتقلب، وكثير من الناس يتعرض لمواقف صعبة في حياته ومن ثم ينتابه اليأس والإحباط من التغيير ومن الوصول للحلول ومعالجة المشكلات، ما يؤثر على سير حياته وعلى عطائه وإنتاجه، فالحالة النفسية للإنسان تؤثر كثيرا على سير حياته واتخاذ قراراته، فيقعد عن العطاء والعمل والإنتاج والإبداع، كمن يصيبه مرض معين أو فقر أو بطالة أو فشل في دراسته أو عمله أو سوء معاملة من مديره، ما يجعل الإحباط واليأس يدخل قلبه.

وحينما يصاب الإنسان بنوع من الفشل أو يحيطه اليأس في حياته يتحول لون حياته للون الكئيب المظلم، الذي يدمر كل شيء جميل في حياته ولا يعود يرى أي خير أو نور أو مصدر تفاؤل في حياته، فلا يرى إلا الفشل والإحباط والاكتئاب في حياته، وهذا اليأس قد يأتي من أسباب عدة نذكر منها الفشل المتكرر والإحباط من المحيطين والعبارات السلبية للذات وقلة الثقة بالنفس فضلا عن عدم التوكل على الله وتكرار الخطأ.

فحينما يتعرض الإنسان لموقف فشل ويتكرر ذات الموقف وذات الفشل كالذي يتقدم مثلا لاختبار قيادة السيارة ثم لا ينجح به بعد محاولتين أو ثلاثة أو أكثر فإنه سيصيبه اليأس من النجاح، وقد يحدث هذا في العمل ومع الطلبة في امتحاناتهم، ولكن تكرار المحاولة والاجتهاد هو الحل مع التفاؤل والاعتقاد بالقدرات والنجاح.

وغالبا ما يكون للأشخاص المحيطين بالإنسان كالأهل والرفاق دور كبير في رفع معنويات الإنسان أو بالعكس في إحباطه وإيقاعه بشعور الفشل، فحينما يصاحب الإنسان الأشخاص المحبطين للعزائم، أو الفاشلين دون اكتراث أو الذين لا يتحدثون إلا بالفشل، وبعبارات الاكتئاب والإحباط والهزيمة فإنهم لابد أن يؤثروا سلبا على الآخرين ويشجعوهم

على الفشل ويوقعوهم في اليأس المظلم.

ونلاحظ أن كثيرا ما ينبع الفشل من ذات الإنسان من الرسائل السلبية والعبارات المحبطة التي يرسلها لعقله ودماغه، مثل: (أنا فاشل، أنا غير قادر على إنجاح المهمة، أنا دائما أفشل، أنا عاجز وغبي، أنا لا أفلح بشيء..) وغيرها من الرسائل المحبطة والسلبية والتي تعتبر وفقا لعلم البرمجة اللغوية العصبية مدمرة لقدرات الإنسان ومواهبه وميزاته وتشعره بالفشل والعجز وتقوده إليه.

وحينما لا يؤمن الإنسان بما يملك من مواهب وقدرات ومهارات شخصية تميزه عن غيره، ولا يكتشف تلك الميزات والقدرات ونقاط القوة لديه، ولا يعمل على تنميتها واستثمارها، فيعيش في قوقعة ذاته، مقيدا لمواهبه وقدراته، غير قادر على الإنتاج والنجاح والعطاء، ويزداد الأمر سوءا إن كان من حوله من أسرة ومدرسة ورفاق لا يساعدونه على تنمية تلك المواهب أو إبرازها، بل يعملون على إحباطه والتركيز على نقاط الضعف لديه، فحتما سيصاب باليأس من قدراته وذاته ويؤمن بأنه شخص غير موهوب وغير محظوظ وفاشل، ما يجعله يتراجع في قدراته وإنتاجه وفاعليته في الحياة.

إن الكثير ممن يصابون باليأس والإحباط يعيشون عالم الظلمة لأن يأسهم يكون نابعا من عدم إيمانهم بالله، أو بقدرة الله على التغيير، وتغيير مسار حياتهم، فظلام اليأس يجعلهم لا يرون قدرات خالقهم ولا يلتجئون إليه بالدعاء والالتجاء إليه من أجل فتح الآفاق المغلقة في حياتهم، ومساعدتهم على تيسير سبل الحياة والنجاح، فأثر الدعاء عظيم جدا، ولكن لا يدرك ذلك إلا من جربه والتجأ لله وطلب من خالقه المساعدة على التغيير بدلا من اليأس والقنوط والجلوس في الزاوية.

وفي قصة نبينا إبراهيم عليه السلام والالتجاء لله بطلب الولد فجاءته الملائكة تبشره بالولد برغم كبر سنه وزوجته، فلم يكن قانطا من رحمة الله بل بالعكس كان مؤمنا بقدرة الله الخالق ولذلك دعا الله تعالى أن يرزقه الولد رغم كبر سنه وزجته التي كان يظن أنها عاقر، فأكرمه الله تعالى بإجابة الدعاء، قال تعالى:



﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ (سورة الحجر:٥٣-٥٦)، فلم يكن سؤاله الملائكة عما بشروه به إلا للتأكد من حمل زوجته، لا يأسا من رحمة الله وعطائه.

وحيث يكرر الشخص نفس الأخطاء لأنه يستخدم نفس الطرق والإستراتيجيات والأفكار فلا يغير في خططه ولا في إستراتيجياته، فهو لا يتعلم من أخطائه ليعدلها ويغير بها ويطورها، بل يستمر بذات الوضع فيتكرر الفشل كالفريق الرياضي الذي يفشل دائما نتيجة تكرار نفس الأخطاء ونفس التكتيكات والاستراتيجيات



ولا يحاول التعديل والتحسين في طريقة لعبه، فتتكرر الهزيمة ويدخل اليأس قلوب اللاعبين، وهذا يحدث مع كل إنسان لا يحاول التجديد والتطوير والتعلم من أخطاء الماضي بل ومن أخطاء الآخرين، فلا يأس مع الحياة ومع التعلم.

كيف نعالج اليأس ونواجهه؟

نقترح هنا بعض النصائح من أجل الخروج من حالة اليأس التي قد تعتري البعض؛ ومنها الإيمان بالله والتوكل عليه والصبر والدعاء، وكذلك كثرة الاستغفار والذكر وتقديم الرسائل الإيجابية.

إن من صفات المسلم الحقيقية الإيمان بالله والتوكل على الله، وهذا يشمل الإيمان بقدرة الله تعالى على كل شيء وقدرته على تغيير ظروف حياة الإنسان وتغيير الحالات السيئة التي قد تعتري البعض، وتغيير أوضاع حياته البائسة إلى أوضاع أكثر أملا وتفاؤلا، فهو تعالى القادر على معالجة تلك الأوضاع من فقر أو بطالة أو مرض أو فقد عزيز أو مشاكل في العمل.

والأمور المهمة التي تبعد اليأس الصبر والتحمل وتصبير النفس والالتجاء إلى الله تعالى بكثرة الدعاء والإلحاح على الله تعالى بالخروج من الحالة السيئة والحزن الذي يعتري الإنسان ويوصله إلى اليأس؛ لأن اليأس وأحزان الإنسان هو من عمل الشيطان، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

فيا أيها المسلم أنت لديك كنز عظيم ومفتاح كبير للخروج من المصائب (كالمرض والفقر وضيق العيش)؛ وهو كثرة الدعاء لله تعالى بتغيير الحال، فالدعاء هو مخ العبادة، والله يحب العبد اللحوح ويحب أن يسمع صوت الإنسان يلتجئ إليه ويهرب لكنفه، فالمسلم لديه مفتاح الفرج بكثرة الدعاء.

كما أن كثرة الاستغفار والذكر لله تعالى تورث الإنسان السعادة وتخفف من اليأس والقنوط والحزن الذي قد يصيبه نتيجة ظروفه الصعبة التي يعيشها والتي يسعى الشيطان إلى تحزينه من خلالها، ولا يرد الشيطان إلا كثرة الذكر والعبادة والاستغفار، فهي ما تورث السعادة وتحل المشكلات بإذن الله تعالى.


عبدالله الظفيري
صحافي وباحث

علاج مرض اليأس

مهما استمرت حياتنا تسير بشكل آمن ومستقر وخالية من الأزمات والصدمات، فإنه لابد وأن يأتي يوما نمر فيه بظروف صعبة ومشاكل معينة. هذه هي الحياة الدنيا متقبلة، لا تتحرك بوتيرة واحدة، إنما تتأرجح بين سعادة وشقاء، وفرح وحزن، والواعي من يدرك هذا الأمر، ويحسن التصرف والتعامل مع كل الأمور من دون أن يتأثر بشكل سلبي في هذه الأحداث، خصوصا في المواقف الصعبة والأزمات التي يواجهها الإنسان في مراحل حياته.

هناك من يفشل في مواجهة ضغوطات الحياة، لكن بدلا من أن يرضى بأقدار الله ويتعامل معها، وإلا فإنه يصاب باليأس والإحباط، ويعيش في حالة انغلاق وتشاؤم، ويقيد نفسه بالكثير من القيود التي تمنعه من التحرك والجد والاجتهاد.

وربما ليست المشكلة منحصرة في حالة اليأس التي تسيطر على من يضعف أمام تقلبات الحياة، بل في التخوف من المستقبل وتوقعات السوء في القادم من الأيام، وكأن لا خير يرتجى من هذه الحياة، وهذا يمثل قمة الضعف والهوان والبعد عن الدين والقرآن الذي يعلمنا التفاؤل وحسن الظن والتوكل على الله.

مهما كانت ضغوطات الحياة صعبة وقوية، لا تجعل اليأس يتمكن من نفسك أبدا، وكن على يقين بأن القادم أجمل وأفضل.

أما أن تترك شعور اليأس والإحباط يتسلل إلى نفسك حتى يتمكن منها من دون أن تقوم بأي عمل للتغيير وتجاوز الظروف التي وجدت نفسك فيها، فإنك تحكم على حياتك بأن تعيش تحت ظلال اليأس والتشاؤم.

وهذا الوضع يمثل حالة مرضية تحتاج إلى علاج نافع للشفاء منها، لكن كيف يمكن علاج مرض اليأس الذي يصيب بعض النفوس الضعيفة؟

أول علاج لهذا المرض هو الدين الإسلامي الحنيف، من خلال زيادة الرصيد الإيماني، والقبول بأقدار الله، وأن كل ما يصيب المسلم هو خير له، وكذلك تعليم النفس حسن التوكل على الله، والأخذ بالأسباب، وبذل كل جهد وعمل ممكن حتى يحقق الهدف والغاية المنشودة، مع بيان أن الاستسلام لليأس لا يحقق أية نتيجة، بل إن أعراضه خطيرة، وتدفع الإنسان إلى التعب والمرض.

أما تحقيق الأهداف والتغيير فيكون من خلال العمل والاجتهاد.

ويجب على الإنسان أيضا الاطلاع على تجارب الآخرين وقصص النجاح الكثيرة، وكيف تحول البعض من حالة الفشل والإحباط إلى نماذج نجاح رائدة ومثالية. وكذلك إدراك أن النجاح والتغيير إلى الأفضل لا يأتي من دون تعب وجهد، بل إن الكثير من تجارب النجاح جاءت من صميم المعاناة والمشقة والتعب.



مياسة النخلاني
قاصة وباحثة يمنية



دار للعمل والإنجاز

الحياة ليست وردية إلا في عالم القصص والروايات، أما على أرض الواقع فحياتنا إنما هي دار للعمل والإنجاز، والطريق الذي قدر لنا أن نسير عليه لن يكون مفروشا ببساط أحمر أو مغطى بالورود، بل أحيانا كثيرة لا يكون حتى ممهدا ويتحتم علينا نحن أن نحدد معالمه ونزيل بأنفسنا عقباته الواحدة تلو الأخرى، ليس لأنه مكتوب علينا الشقاء أو نتلقى عقابا ما لكن هذه هي الحياة وهذه هي طبيعتها كدار اختبار.

فهي رحلة مؤقتة تأخذنا لدار الخلود، كما أنها رحلة متقلبة، لها ما لها وعليها ما عليها، يستحيل أن تكون نعيما دائما أو شقاء دائما، مستمرة بنا أو بدوننا لأنها بالأساس ليست قائمة علينا، ولسنا محور الحياة أو مرتكزها، بل نحن أحد قاطنيها الذي يتعاقبون عليها على مر الأزمنة، نقضي فيها ما شاء الله، نسعى خلالها لطرقنا وغاياتنا، ثم في اللحظة التي أرادها الله سنغادرها ولن نأخذ معنا شيئا سوى عملنا.

ومهما ظننا أن الحياة تبتسم للبعض بشكل دائم، وكريمة معهم إلى أبعد حد، وأن هناك من يعيش حياة مثالية.. كاملة وخالية من الألم والمشاكل والمنغصات فنحن مخطئون تماما، فكل شخص مهما كانت الحياة التي يعيشها وما يملكه، مهما كان سعيدا في حياته وليس هناك ما يشغل باله وتفكيره، أو هكذا قد يبدو لنا، لكن ما لا ندركه أن ثمة ما يزعجه أو يؤلمه، ثمة ما يفقده ويشعر بالنقص تجاهه، وهذا النقص يقلق مضجعه، ويفقده لذة كل ما يملكه، فالحياة ليست كاملة وكل شيء تحصل عليه أنت تفتقد شيئا في المقابل، ربما ستظل تفكر به طوال الوقت، وتتمناه بكل لحظة، وفي الوقت الذي يحسدك الناس على ما بين يديك ستظل متحسرا على ما هو بعيد عن متناولك، تفتقد وتتمنى الحصول عليه مقابل التخلي على كثير مما تملك.

لذا لنتفق على أن الحياة ليست سهلة على الإطلاق، هي كذلك مع الجميع بدرجات متفاوتة، فمن يملك المال قد يفقد الإحساس بالأمان، ومن يملك السلطة قد يفتقد الصحبة، ومن لديه

الأمان والصحبة سيظل يفكر طوال الوقت بالمال الذي يفقده، وكل يرى أن الأخرين أفضل منه بما يملكون ولا يعلم أنهم يحسدونه على ما لديه، معادلة سهلة لكنها مرهقة جدا لمن يحصر تفكيره فقط بما ليس بيده، ومن يظن أن الحياة يجب أن تعطينا كل ما نريد، وأن السعادة الحقيقية تكمن في الحصول على ما نتمنى.

من يفقد المال ويشعر أن حياته أصبحت لا تطاق، ومن حيث لا يدري فإن الله يحيطه بلطفه وعنايته وبمقابل المال الذي يفقده فإن الله قد زرع في أعماقه قوة وقدرة على التحمل يفتقدها ذوو المهارات العالية والقوة البدنية، لكنه لقصر نظره كإنسان لن يرى ما لديه وإنما سيظل طوال الوقت ينظر للمال الذي يملكه غيره، ويشعر بأنه لو أمتلكه.. فقط لو امتلكه لكن حاله أفضل، ولكان قلبه راضا. لكن عدم الرضا بما كتبه الله عليه، عدم الالتفات لما حباه الله به قد يدخله في دائرة من اليأس والقنوط، والتذمر: لماذا أنا بالذات؟! لماذا يحدث لي كل هذا؟! ما الذنب الذي اقترفته لأستحق كل هذا العناء؟!

وسيظل يدور في حلقة هذه الأسئلة دون العثور على إجابة مقنعة، لأنه لا إجابة، وهكذا أفكار وتساؤلات لا تفعل شيئا سوى تعميق الشعور بالإحباط والقنوط، تفقد الإنسان قدرته على التماسك أمام نوائب القدر، وتعمل على تقويض شعوره بالميزة التي قد يملكها دون سواه، وتشوش عليه مكامن النور التي تمده بالقوة والعزيمة، وبدلا من الصبر على ابتلاء الله والسير في الطريق الذي قد يكون ممهدا أمامه للخروج مما هو فيه تراه يتوغل أكثر وأكثر في دائرة معتمة حتى يشعر أنه محاصر تماما، وخاسر تماما مع أنه هو من أحاط نفسه بوهم اليأس والخيبة، وأحكم حلقاته حول نفسه، وكلما حصر نفسه في عمقه أكثر فقد طريقه للخروج إلى النور مجددا.

كبشر نحن مطالبون بالعمل وتعمير الأرض لكن دون أن ننسى أننا سنغادرها يوما ما، وأنها إنما مرحلة وتنقضي، التذكر دائما أننا إنما نعيش حياة فانية ستنتهي عاجلا أم آجلا، وأننا سننتقل إلى دار الخلود والتي سيكون مكاننا فيها وفقا للحياة التي عشناها وتحملناها: الإيجابية والرضا بما قدره الله علينا، الصبر على ما ابتلانا الله به، تقبل نوائب القدر خيرا كانت أو شرا، التمسك بالأمل وعدم الاستسلام لمشاعر اليأس والقنوط.. إن العيش وفق هذه المنظور وهذه القناعة وهذه الإيجابية هو ما يجعلنا نتحمل كل اللحظات الصعبة في حياتنا، نتقبل تصاريف القدر التي تكون مؤلمة أحيانا، نقبل النقص الذي حبانا الله به دون غيرنا، نتحمل ألم الفقدان لنا ومن نحب، والمصائب التي تحدث لنا من وقت إلى آخر، نتعلم أن نتقن فن الصبر والتجلد، والذي يمنعنا من الانزلاق في هاوية اليأس والإحباط.



فلماذا نفقد الأمل ونيأس إن أيقنا أن كل ما يحدث لنا هو مقدر لنا أن نعيشه، والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، لماذا نستسلم لمشاعر اليأس إن علمنا أنها إنما لحظات وتمضي مهما بدت صعبة، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ (الشرح:٥- ٦) هي اختبار وعلينا أن ننجح بتجاوزها، وتجاوزها هو رصيد يضاف لنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة:١٢٠)، فما يحدث لنا إنما هو ابتلاء حبانا الله تعالى به وعلينا أن نكون أقوياء كما يريد الله لنا أن نكون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:٢٠٠).

إن العيش بهذا الإيمان وهذه القناعات ومع شيء من التجلد والوقوف مع النفس بحزم وقت الشدة.. الصبر الجميل والثقة بالله تعالى لابد وأن تمضي الأوقات الصعبة ونتجاوزها ونحن بنفس الإيمان والقوة إن لم تزدنا إيمانا وقوة وكما قال الله تعالى في محكم آياته: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (المعارج:٥).

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي



مهلكة الأنفس

الإقبال على الحياة والتعامل مع أحداثها بإيجابية، أو الإحجام عن الحياة والنظرة السلبية لكل ما فيها يعود إلى ما يحمله الإنسان في أعماق ذاته من مشاعر وانفعالات سواء أكانت هذه المشاعر والانفعالات سارة إيجابية، أم حزينة سلبية، وبكيفية ما يحمله الإنسان من مشاعر وانفعالات تتحدد طريقة الإقبال والتعامل مع الحياة والمحيطين به.

تعد الضغوط النفسية هي سمة العصر الحاضر بفعل تفشي النزعة المادية، و الصراع الدائر على مستوى الدول والجماعات والأفراد من أجل السيادة والتملك والتحكم في مصائر الآخرين، والتغير المستمر والمتلاحق في كل شيء، والإنسان أمام هذا كله يقف عاجزا فاقدا القدرة على الاختيار أو التمييز أو التكيف، مع تزايد حدة الضغوط النفسية عليه، بصورة تعجز قدراته وخصائصه الذاتية والنفسية عن مواجهتها فيشعر بالاغتراب والعزلة الذاتية والاجتماعية، فاقدا الرغبة في العمل والإنجاز لتحقيق طموحاته، فاقدا الأمل في تحسن أوضاعه في المستقبل، ولذلك يوصف مثل هذا الإنسان باليائس، فاليأس من المتغيرات النفسية المميزة للشخصيات العاجزة و السلبية والمضطربة.

اليأس حالة وجدانية تبعث على الكآبة وتتسم بتوقعات الفرد السلبية، نحو الحياة والمستقبل وخيبة الأمل أو التعاسة وتعميم ذلك الفشل في كل محاولة وهو ما يطلق عليه النظرة السلبية للذات والعالم والمستقبل، ويتضمن اتخاذ الفرد لاتجاهات سلبية نحو حاضره ومستقبله بشكل يفقده الأمل والرجاء، ويقعده عن بذل الجهد اللازم لتحقيق أهدافه الحالية وطموحاته المستقبلية.

أبعاد اليأس

لليأس أبعاد ثلاثة تكون الاتجاهات السلبية لدى الفرد منها: الاتجاه السلبي نحو الذات ويعرف بأنه: تكوين الفرد لاتجاهات سلبية نحو ذاته فيصفها بالعجز والنقص والكسل والتحقير والكراهية.

والاتجاه السلبي نحو الحاضر ويعرف بأنه: إحساس الفرد باتجاهات سلبية نحو حاضره متمثلة في سوء الحظ، والعجز عن تحويل الأمور لصالحه والفشل المستمر، وعدم القدرة على تحقيق الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها.

والاتجاه السلبي نحو المستقبل ويعرف بأنه: اتخاذ الفرد اتجاهات تتصف بالخوف من المستقبل والتشاؤم من سوء الأحوال أو عدم السعادة في مستقبل الحياة.

العلاقة بين اليأس والإحباط

الإحباط حالة نفسية تواجه الفرد عندما يعجز عن تحقيق رغباته النفسية أو الاجتماعية بسبب عائق ما، وقد يكون هذا العائق خارجيا كعوامل مادية واجتماعية واقتصادية، أو داخليا كعيوب نفسية أو بدنية أو حالات صراع نفسي يعيشها الفرد تحول دون إشباع رغباته ودوافعه.

والإحباط يدفع الفرد لبذل مزيد من الجهد لتجاوز تأثيراته النفسية والتغلب على العوائق المسببة للإحباط لديه بطرق منها ما هو مباشر كبذل مزيد من الجهد والنشاط، أو البحث عن طرق أفضل لبلوغ الهدف أو استبداله بهدف آخر ممكن التحقيق، أو غير المباشر مثل الحيل الدفاعية والنفسية اللاشعورية «التعويض، التبرير، النقل، الإسقاط، التوجيه أحلام اليقظة الانسحاب، والنكوص، وهي حلول يمكن أن تعالج الإحباط علاجا مؤقتا لا دائما أو نهائيا»[1].

وتتمثل العلاقة بين اليأس والإحباط في أن تكرار الإصابة بالإحباط، تشعر الإنسان بالعجز وضعف قدراته ومهاراته عن تحقيق أهدافه، حينها يقع في براثن اليأس، ومن ثم فإن الإحباط هو المقدمة النفسية لليأس.

أسباب اليأس

تشير البحوث والدراسات التي أجريت حول مشكلة اليأس إلى أن اليأس لا تخرج أسبابه عن المشاكل المالية والخلافات الأسرية والاجتماعية وبعض المشاكل الصحية ثم الاضطرابات النفسية.

وهناك رابط وثيق بين الإقبال على الحياة والاستقرار المادي، وفي كثير من الحالات يرتبط اليأس من الحياة بالظروف المالية والمتاعب المادية المستمرة والمتتالية.

كما أن الاستقرار الأسري عامل مهم لتخطيط الأهداف الشخصية، حيث تقود المشاكل الزوجية أو العائلية المستمرة إلى



فقدان الشغف واليأس.

وتعتبر المعاناة من أمراض مزمنة أو حادة خطيرة أو معيقة للفرد مؤثرة بشكل كبير على النظرة المستقبلية، لذلك يلجأ المعالجون إلى الدعم النفسي لأصحاب الأمراض المزمنة والأمراض الخطيرة.

كذلك ترتبط بعض الاضطرابات النفسية والعاطفية بالمشاعر السلبية عموما واليأس من الحياة على وجه الخصوص، مثل اضطراب ثنائي القطب واضطرابات القلق واضطراب الاكتئاب[٢].

موقف الإسلام من اليأس

حث الإسلام على التحلي بفضائل الأخلاق وأحسنها، ونهى عن سيء الأخلاق وأرذلها، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (أحمد)، والتخلق بالخلق الحسن هي وصية النبي ﷺ لأصحابه: «وخالق الناس بخلق حسن»(الترمذي).

واليأس من الأخلاق المذمومة التي حرمها الله سبحانه وتعالى على عباده ونهى عنها وحذر منها النبي ﷺ، وقد جاء بيان لذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ورد في العديد من الآيات القرآن ذم اليأس والنهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(يوسف:٨٧)، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾(الإسراء:٨٣).

وفي السنة ورد الإطماع في رحمة الله والتحذير من اليأس، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة. وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة، لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب، لم يأمن من النار» (البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من رحمته أحد»(مسلم).

آثار اليأس

اليأس خلق مذموم مهلك للنفس محبط للعمل وقد يكون سببا للخروج من الملة، فهو يدل على ضعف عقيدة صاحبه وما يترتب على ذلك من ضعف يقينه وسوء الظن بالله تعالى، متصفا بصفات الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(يوسف:٨٧).

وقد أجمع العلماء على تحريم اليأس والقنوط، ومن اليأس والقنوط ما يخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة، وإنما هو من الكبائر، بل أشد تحريما من الكبائر الظاهرة كالزنا، وجعلهما



القرطبي في الكبائر بعد الشرك من حيث الترتيب[٣].

وفي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجلا قال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال ﷺ: الشرك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله»(البزار وحسنه العراقي).

وجاء في الأثر قول عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: «الكبائر: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله» (الطبراني في الكبير وصححه ابن كثير).

وقد يؤدي اليأس إلى الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية مثل الاكتئاب والعزلة والجنون والإصابة بالأمراض العضوية واللجوء للإدمان.

كما يؤدي إلى الفشل والمشكلات



الزوجية والتفكك الأسري والطلاق وقطيعة الأرحام، وفقدان العلاقات الاجتماعية والانسحاب التام من الحياة الاجتماعية.

وكذلك الفشل في العمل والإنجاز وبالتالي يتحول إلى عالة على أسرته والمجتمع، وقد يصل المرء إلى الفشل التعليمي وعدم القدرة على مواصلة الدراسة.

ولا يستطيع اليائس مواجهة الحياة في ظل كل هذه الظروف ولاسيما بعدما اختلت عقيدته، فلم تعد لديه القدرة لا على تقبل ذاته ولا حياته فيكون الحل هو الإقدام على الخروج من الحياة كلية منتحرا، خاسرا الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾(الحج:١١).

منهج الإسلام في علاج اليأس

بالرغم من الجهود الحثيثة التي يبذلها علماء النفس والاجتماع لعلاج ظاهرة اليأس والحد منها إلا أنهم فشلوا حتى الآن في تقديم منهج متكامل يضع حلا أو علاجا لها، لأنها تستند إلى مناهج ونظريات تعتمد في أسسها على مبادئ مادية تنكر دور الدين والوحي الإلهي، وبالتالي تكون عاجزة عن فهم وتفسير ظواهر السلوك الإنساني بصورة صحيحة.

ولكن الإسلام الدين الذي ارتضاه الله لعباده، فيه الحل الرباني لكل مشاكل الإنسان والحياة بصفة عامة، ومن ضمنها مشكلة اليأس والتي أرى أن الحل لها يتمثل في الحفاظ على الصلاة فريضة وتطوعا، فالإنسان بفطرته لابد أن يواجه في حياته العديد والعديد من المصاعب، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد:٤)، وهو لا يستطيع أن يواجه هذه الصعاب بذاته، قد ينجح في مواجهة بعضها لكنه لا يستطيع بذاته مواجهة ومكابدة الحياة بكل تقلباتها وإن حاول سيعجز، حينها يصاب باليأس، ولكن المسلم لا يعرف اليأس لأنه علم أن له ربا خالق لهذا الكون ومدبرا له قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ۝٨٩﴾ (المؤمنون:٨٨-٨٩)، ولابد له أن يلجأ إليه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل:٦٢)، والصلاة هي الوسيلة لذلك، ففي الحديث: عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الفجر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا» (الطبراني)، كما علمنا النبي ﷺ أنه إذا اشتد علينا أمر أن نقوم للصلاة ففي الحديث: عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى» (أبوداود)، فبالصلاة تسمو وتصفو الروح وتطهر مما بها من ذنوب وهموم يدعو ويجتهد في الدعاء ويقترب من ربه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»(مسلم)، وقال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ (العلق:١٩).

الهوامش

١- فاطمة النوايسة: أساسيات علم النفس، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، (١٤٣٥-٢٣).

٢- طرق علاج اليأس من الحياة www.hellooha.com/articles -

٣- حكم اليأس والقنوط: موقع الدرر السنية: dorar.net/akhlaq/2887

الطبيب حسين
دار الإعلام العربية



متاهة اليأس

يشبه اليأس المتاهة أو النفق المظلم الذي يدخله الإنسان بقدميه ولا يجتهد في البحث عن أي مصدر للضوء يخرجه من هذا النفق، فيظل مستسلما للظلام الدامس حتى تكون نهايته المحتومة ما لم يجد دعما ممن حوله لنجدته ولأخذ بيديه إلى طريق النجاة.. فاليأس يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه كل مسلم من أخذ بالأسباب وتفاؤل بالله وحسن الظن به وبموعوده.. واليأس ينعكس أثره على مختلف أمور الحياة، ولا يتوقف على ما يحدثه من آثار نفسية سلبية على الإنسان وعلى من يحيط به، إنما يمتد إلى المجتمع أيضا، مخلفا أضرارا نفسية وصحية شديدة الخطورة.

الدكتور محمد المهدي أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر، يقول إن اليأس هو خبرة إنسانية عامة ربما مررنا بها جميعا في الأوقات الصعبة من حياتنا سواء في الأوضاع الوظيفية أو الحب أو الزواج أو الأسرة أو النواحي المالية أو الأزمات والكوارث، وقد تزول هذه الحالة بعد وقت قصير وهذا هو الأغلب، لكن في بعض الحالات قد تستمر لفترات طويلة وتتعمق في نفوسنا وتسيطر علينا وتصبح حالة مزمنة تؤثر في مسار حياتنا وتحبط قدراتنا على العمل، وتعوق حركتنا نحو تحقيق أهدافنا، وتجعلنا نكره أنفسنا ونكره الحياة، وفي بعض الحالات قد تدفع الإنسان إلى الانتحار، وهنا يصبح اليأس حالة مرضية، وكثيرا ما يكون مصحوبا بالاكتئاب.

ويضيف د.المهدي أن اليأس هو حالة من فقد الأمل وقلة الحيلة وفقد الطاقة والقدرة على عمل أي شيء للخروج من دائرة اليأس والتشاؤم تجاه الحياة والمستقبل، وفي حالة اليأس يفقد الإنسان إيمانه بذاته وبقدراته ويفقد الإحساس بالمعنى في حياته، ويفقد الشعور بالسعادة ويفقد الثقة بالناس وربما يفقد الثقة بالعون الإلهي، وقد عرف فيكتور فرانكل صاحب نظرية العلاج بالمعنى اليأس بأنه معاناة اللامعنى، ووضع له معادلة كالتالي: (اليأس = المعاناة – المعنى)، وهذا يعني في رأيه أن علاج اليأس يكمن في أن يجد الإنسان معنى لمعاناته وبؤسه، وهذ يعني أن المعاناة والبؤس وحدهما لا يؤديان إلى اليأس، لكن يجب أن تصاحبهما حالة من فقدان المعنى لما يحدث، وحالة اليأس قد يصاحبها فقدان لكل المشاعر الإيجابية وفقدان للشهية للطعام وللعلاقة الزوجية، وفقدان للرغبة في الحياة، واضطرابات في النوم، وعدم القدرة على التواصل الاجتماعي، وعدم القدرة على التفكير في الحلول، بالإضافة لذلك ينهار جهاز المناعة ويضطرب نشاط الغدد الصماء

فـي الجسـم بمـا يستتبع اضطـرابا في هرمونات الجسد وأيضا كيمياء المخ، وهذا يجعل الجسد عرضة لغزو الـفـيـروسـات والـمـيـكـروبـات وأمـراض المناعة واضـطـرابـات النفسجسمية، وعرضة لجلطات الدماغ والقلب، وقد يعرض اليأس الشديد صاحبه للموت، واليأس في هذه الحالة يشكل ظلاما دامسا يلف صاحبه فلا يرى أي مخرج مما هو فيه، ويعجز عن التفكير في حلول لمشكلاته، ويكون تفكيره عدميا متجها نحو الفناء وتدمير الذات.

وقـال أستـاذ الطب النفسي بجامعة الأزهـر، إنه حين يكون اليأس عرضا من أعـراض الاكتئاب أو الاضطراب الوجداني ثنائي القطب هنا قد يحتاج الشخص لتناول مـضـادات الاكتئاب حتى تـسـرع بـزوال الأعـراض وتعيد للشخص قدرته على التفكير والعمل، وتساعده على تلقي الـعـلاج النفسي والتغير نحو الأفضل ومنع احتمالات الانـتـحـار، ومـن الـعـوامـل المـهـمـة في العلاج أن يجد الشخص اليائس دعما ومساعدة وتفهما ممن حوله من الأهل والأصـدقـاء، وهـذا يشحنه بطاقة من الأمل والحماس والدافعية ربما هي ليست موجودة لديه في لحظات يأسه، وقد ورد في الأحاديث الشريفة أهمية إغـاثـة المـلـهـوف، والـسـعـي فـي قضاء حاجات الناس وتخفيف كرب المكروبين، وكلها شمائل راقية في الإنسان، بجانب كونها دعامات مهمة لمن يسقطون في هوة اليأس، ومن الأشياء التي تقصر من عمر اليأس أن يكون لدى الإنسان منظومة معرفية عقائدية ترى أن الله يدبر الكون، وأنـه قـادر على كل شـيء فيه، وهذه القدرة ليس لها حدود، وهو الذي وعد بأن كل عسر حتما سيتبعه يـسـر، وأن هــذا هــو قــانــون الـحـيـاة، وأنـه كلما أغلقت الأبـواب المعتادة في وجوهنا، فإن أبـواب الله لا تغلق، وأن رحمته وسعت كل شيء.

د.المهدي: اليائس يفقد إيمانه بذاته وربما يفقد الثقة بالعون الإلهي

وذكـر المـهـدي أنـه حـين تـتـرسـخ في نفوسنا هذه المعاني الروحية العميقة فـإن هـذا ينعكس فـي نـظـرة إيـجـابـيـة للذات وللآخرين وللحياة وللمستقبل، وثقة بلا حدود في عون الله وقدرته ورحمته، وثقة في أن كل مشكلة لها حل، وأنه بعد كل عسر يسرا، وأن ما لا نستطيعه اليوم قد نستطيعه غدا، وهـذا كله يصاحبه حالة من السعادة والطمأنينة والرضا وانشراح الصدر وراحـة الـضـمـيـر، والـقـدرة عـلى حل المشكلات وعلى الإبداع، وينعكس هذا على صحة الإنسان النفسية والجسدية، وعلى علاقته بالله وعلاقته بالناس.

حسن الظن

فـي هــذا الـسـيـاق، يـقـول الـدكـتـور عبدالله محمد كامل، الباحث والكاتب الإسـلامي، إن الإسـلام حث على الفأل والنظر إلـى المستقبل بـروح متفائلة طيبة، كما أنه يربي أبناءه على التفاؤل وحسن الـظـن بـالله وعـدم الإحـبـاط، وعلى أن يستبشروا بالمستقبل، ليس هـذا فحسب، بل إنـه في الوقت ذاته يحذر من اليأس والخروج عن المألوف، فهو يدعو المسلمين إلى أن يعيشوا في الأمل في الله، لأن اليأس معناه اليأس من رحمة الله، وهذا يناقض ويناقي مع ما يجب أن يكون عليه كل مسلم، فالذي يجب على المسلم هو حسن الظن بالله والتوكل عليه والـفـرح دائما وانتظار الفرج من الله، فالمسلم دائما ومهما كانت الضغوط من حوله أو عليه، ينبغي عليه أن يثق في رحمة الله، وهذه هي طبيعة المؤمن الصالح، وعليه أن يثق في حكمة الله، وفي الخير من الله، وأن الله لا يحب الشر لعبده، ولكن الشر يأتي من العبد نفسه يقول الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ (النساء:٧٩).

وتـابـع أنـه إذا كـان المؤمن ينظر إلى المستقبل بيأس فليعلم أن اليأس منه هو، وأن تصرفاته وعمله السيئ والبعد عن الله والجفاء ومعاملة المسلمين معاملة سيئة وعدم الإحسان للخلق، كل هذا يؤدي إلى حالة نفسية سيئة، لأنه ينبغي على المسلم التعامل بالإحسان وطاعة الله وعـدم ارتكاب المعاصي والذنوب والتوبة حال الخطأ، حتى على صعيد الإحـسـان للناس والتعامل بألفة وود يجازي الله عليه كثيرا، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعين ضعفا إلى سبعمائة ضعف، أما السيئة فلا يجازى مرتكبها إلا بها، وهذا يدعو للتفاؤل أيضا وإلى الـحـرص على الإحـسـان وفعل الخير، وبالتالي عدم اليأس أو الشعور بالحزن والهم، لكن الإنسان الذي يهتز إيمانه ينظر إلى المستقبل بيأس ويبتعد عن الله، فبالتالي لا ينتظر من ربه الفرج، لأن الـفـرج هـو مـن الله وحـده، فكلما كان الإيمـان قويا ازداد الأمل في الله وزاد انتظار الفرج منه، وهـذه مرحلة يصل إليها المسلم بكثرة ذكر الله أولا، ومصاحبة الصالحين ثانيا، لأنـه إذا صاحب أهل المعاصي والذنوب زادوه يأسا وإذا صاحب الصالحين إذا فرح هنأوه، وإذا كان في سرور أعانوه، وإذا كان في يأس جبروا خاطره وحاولوا أن يواسوه ويبشروه، فالمؤمن دائما بعيد

عن اليأس، ودائما متفائل، ودائما بعيد عن المعاصي وترك طاعة الله، لأن طاعة الله معناها الأمل في الله، وطاعة الله تعني السعادة بما ينتظره من فرج من الله، فخير أفعال المؤمن انتظار الفرج، فإذا كان الإنسان في كرب فعليه تقوى الله وعبادته وانتظار الفرج، وإذا كان سعيدا فعليه أن يسعد غيره وأن يدخل السرور عليهم، وعليه أن يزداد حبا لله تعالى.

القوة المحركة

بدوره، ذكر الدكتور هشام ماجد، أستاذ علم النفس والاجتماع، إنه حينما نتساءل عن الدافع الأساسي والقوة المحركة التي تدفع الإنسان إلى الاستمرار في الحياة والقيام بمهمته في إعمار الأرض مثلما أمره الله سوف نجد أن العامل الأساسي الذي يساعد الإنسان على مجابهة تقلبات القدر هو التمسك بالأمل والابتعاد عن اليأس والقنوط، مشيرا إلى أن بعض مدارس الطب النفسي ترى أن ردود أفعال كل إنسان تجاه المواقف الصعبة نفسيا وعلى أرض الواقع تختلف من شخص إلى آخر بناء على الطريقة التي ينظر بها كل منهم إلى ذلك الموقف، وإدراكه وطريقة تفسيره له وبالتالي تختلف الآليات الدفاعية التي يستخدمها في التعامل مع هذه المواقف، ومن هنا تتضح خطورة أن يسيطر اليأس على مشاعر الإنسان وتفكيره، فينظر للحياة بعد ذلك من خلال نظارة سوداء تمنعه عن رؤية حقيقة الأمور، فتلقي بظلالها الداكنة على كل المواقف التي يتعرض لها خلال حياته اليومية بشكل مستمر.

وأكمل أن هذا قد يتضمن حتى المشاكل الصغيرة التي يسهل التعامل معها بقدر يسير من الحكمة والتفكير، فتجده ينفعل بشدة إذا صادفه أي تعسر عادي لمساعيه اليومية، ويبالغ في الغضب والانفعال والحزن أيضا

د.هشام ماجد: الالتجاء إلى الله من أهم وسائل تحصين النفس من اليأس ومخاطره

بسبب هذه المواقف التي لا تستدعي كل هذا التأثر، ذلك أنه علينا أن ندرك قوة الفكرة وقدرتها على السيطرة على عقل الإنسان، فقد تتردد تلك الفكرة في رأسه بشكل متكرر، وإذا كانت هذه الأفكار سلبية ومليئة باليأس والحزن فقد تدفع به إلى مرحلة الاكتئاب الإكلينيكي الذي يعيقه عن القيام بوظيفته ومهامه اليومية وواجباته تجاه أسرته ويؤدي به إلى الانسحاب من التجمعات العائلية أو الاجتماعية عموما، ويتحول الأمر حينها إلى مشقة كبيرة وشيء من المعاناة التي يكابدها مريض الاكتئاب والمحيطون به على حد سواء، مما يلقي بظلاله على قدرة الفرد الإنتاجية ويقللها مما يؤثر سلبا على اقتصاد المجتمع في حالة تزايد عدد مرضى الاكتئاب في هذه الدولة، وحدث كل ذلك بسبب فكرة خرجت عن السيطرة ونشرت اليأس في نفس الإنسان من كل شيء، ومن جميع جوانب حياته عمليا أو أسريا أو اجتماعيا.

وتابع أنه لذلك أصبح لزاما علينا أن نحمي أنفسنا من اليأس ومخاطره وآثاره السلبية بعدة وسائل، بعضها الوسائل الدينية وتعتبر أكثرها أهمية، ذلك أن الاتصال الدائم مع الله روحانيا يبعث على السكينة وأن يتحلى الإنسان بالصبر في مواجهة الشدائد وصعوبات الحياة المختلفة، أما عن الوسيلة الأخرى التي لا تقل أهمية عن التمسك بتعاليم ديننا الحنيف، فهي المتابعة الطبية والاستشارات والجلسات النفسية لدى طبيب نفسي متمرس، إذا استدعت الحالة ذلك.. أما عن الطرق والوسائل المتعلقة بالطب النفسي فهي كثيرة ومتعددة ولعل أهمها جلسات العلاج النفسي والسلوكي على اختلاف أنواعها كالعلاج الجدلي السلوكي DBT، والعلاج السلوكي المعرفي CBT، والتي تؤدي عند المواظبة عليها إلى نتائج مبهرة في تعديل طريقة تفكير الإنسان وطريقة نظرته إلى الأمور لتجعلها أكثر أملا وتفاؤلا بالمستقبل، وما يحمله له من أحداث سارة بمشيئة الله، ما يؤدي للتخلص من النظرة السوداوية إلى الحياة ويتعلم كيف يضيء شمعة وسط الظلام بدلا من أن يلعن تلك الظلمات.

وأكمل «ماجد» أن تأثير ذلك التعافي والشفاء النفسي ينعكس على المجتمع بصورة إيجابية، فتتحسن قدرة الفرد الإنتاجية حينما يعود للقيام بعمله متحمسا ونشيطا ومتفائلا بالخير، ما يؤدي لتحسن اقتصاديات الدولة بشكل ملحوظ ويسهم في بناء أركانها وتعميرها وزيادة المشروعات الجديدة في مختلف المجالات، ومن ثم انتعاش الاقتصاد ما يسهم إيجابيا في تقدم المجتمع ونهضته ورخائه.

ما بعد العسر

وقال محمد عز الدين عبد الستار، وكيل وزارة الأوقاف المصرية لشؤون الدعوة: إن المسلمين يؤمنون بدين يدعوهم إلى التفاؤل بالله والأمل فيه وعدم اليأس، وأن يكون الإنسان دائما على ثقة بالله وعلى يقين بأن الله تعالى سيغير الأحوال إلى أفضل كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ (الشرح:٦-٥)، وسنجد هذا الكلام أيضا في سنة رسول الله ﷺ، فإنه لم يفقد الأمل قط، ففي رحلته إلى الطائف آذوه

وتعرضوا له بالمنكر والسوء، وعندما جاءه ملك الجبال وخيره إن أراد أن يطبق عليهم الأخشبين: فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، لا يشرك به شيئا»، فهنا لم يفقد الأمل في أن يخرج من بين من عارضوه وآذوه من يعبد الله وقد كان.

وفي الهجرة عندما لاحقه سراقة رضي الله عنه، وفي هذا الجو الذي هو مطارد فيه، يقول لسراقة: كيف بك يا سراقة وقد ألبسك الله سواري كسرى، فهنا يبشره بسواري أحد أعظم ملوك الأرض حينها، ولم يتمكن اليأس منه ﷺ في هذه الحال الصعبة، وتحققت نبوءة النبي ﷺ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وذكر عبد الستار، أنه من صور الأمل في الله أيضا وعدم اليأس وأن الإنسان يطمع في المستقبل أن سيدنا يعقوب عليه السلام لم يفقد الأمل أبدا في أنه سيلتقي ابنه يوسف عليه السلام مرة أخرى، وتجلى هذا في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧)، فهنا ضرب أروع الأمثلة في عدم اليأس وفي الأمل في الله تعالى، فعلى المسلم أيضا عدم اليأس، والاعتصام بالله، وأن يوقن أن دوام الحال من المحال، وأن ما عند الله خير وأبقى.

أضرار صحية كبيرة

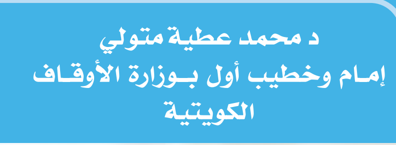
أما الدكتور جمال فرويز أستاذ الطب النفسي، فيقول إن تأثير اليأس لا ينعكس فقط على الحالة النفسية أو المزاجية للفرد، لكن يمتد إلى صور تمثل أضرارا صحية أكبر مثل الأمراض العضوية التي تصيب أكثر أجهزة الجسم أهمية وحساسية، لافتا إلى أنه بمجرد أن يسيطر اليأس على الحالة النفسية، أو بمجرد أن يفكر الإنسان بطريقة سلبية، فإنه يحدث تغييرا في النواقل العصبية داخل المخ، ويقل مستوى الهرمونات المسؤولة عن التركيز والسعادة، والانتباه، مع زيادة المادة القابضة للأوعية الدموية، وبالتالي يحدث صداع وارتفاع في ضغط الدم، وأزمة في السكر مع الشعور بألم في المعدة والقولون العصبي، حتى إن ٧٠٪ من مرضى القولون العصبي أصيبوا بسبب تأثير الإحباط والتوتر والاكتئابية العالية، مع الشعور بألم في المخ وأسفل الظهر ووجود آلام عنقية وحدوث اضطرابات في الطعام والنوم، كل هذا يحدث نتيجة الشعور بالاكتئابية أو التشاؤمية، وهذا يعني أن أثر اليأس ينقلب إلى آثار عضوية خطيرة بعد فترة من معاناة المرء من المشكلة.

وعن العلاج أو التعامل مع هذه الحالة، أكد «فرويز» أهمية النظر أولا إلى دواعي اليأس التي تسيطر على أحدنا، فإنها إذا كانت عامة لا تخص الفرد فقط، وإنما تخص البلد أو العالم فلا داعي لليأس أو الشعور بالإحباط، لأن هذا الشعور يكون مفهوما لو أن الفرد فشل أو لم يحقق المرجو منه أو أنه فقد طموحاته، إنما عندما يكون الأمر عاما وعلى الناس جميعا، فهذا يشير إلى أن الجميع يعانون، وبالتالي لا مشكلة شخصية تقريبا هنا، لأن الناس كلهم متساوون في هذه الأزمة، بالتالي باستطاعة المرء التعويض والنجاح لاحقا بعد الإخفاق، أو بعد زوال هذه العوامل، أما إذا كانت الأزمة شخصية أو فردية، فهنا يختلف الأمر، وهنا يجب أن نعلم أن النجاحات تأتي من رحم الفشل، ودائما الفشل إذا استسلمت له فإنه سيزيد من الفشل، ومن المشكلة التي نعاني منها، وهنا أمر مهم تجب الإشارة إليه عند المواجهة أو محاولة الحل، وهو النظر إلى أسباب الفشل الشخصية، وعدم إلقاء اللوم على العوامل الخارجية، لأنه في حال عدم الاعتراف بوجود اسباب شخصية أو ذاتية للفشل لدى المرء نفسه، فإنه لن يحقق نجاحا أبدا، ولن يعالج مشكلة اليأس التي يعاني منها، ولن يحقق النجاح في أي شيء، إذن بإمكاننا القول إنه لابد من النظر إلى أسباب الفشل الداخلية، ودواعي اليأس الشخصية، مع محاولة الإصلاح منها، وبالتالي البدء في اتخاذ خطوات النجاح.

عز الدين: ديننا يدعونا للثقة بالله وأنه سيغير العسر إلى يسر مهما طال الأمد

وعن أكثر الأمور فعالية في تغيير الحالة النفسية للفرد الذي يشعر باليأس، وإحداث التغيير المطلوب على الصعيد النفسي، قال فرويز: إن الأمر يختلف من شخص إلى آخر، موضحا أنه على كل إنسان النظر فيما يحتاج إليه، وما الذي يجعله سعيدا، هل هو وجود المال؟ هل هو النجاح في العمل؟ هل هو النجاح في الحياة الشخصية، هل هو النجاح في مباراة كرة قدم؟ هل في أكلة معينة؟ لافتا إلى أن لكل فرد له مصدر سعادة، وكلما نظر المرء في مصدر سعادته بدون النظر إلى الآخرين وما يحققونه كان سعيدا وناجحا في حياته.

وفي نفس الإطار حذر من أن أي أحد يهتم بالآخرين وما يحققونه وينظر إلى نجاحهم باعتباره فشلا له، فإنه في هذا الحالة لن يحقق أي نجاح في حياته، وبالتالي تتضح هنا أهمية أن يبحث الإنسان في داخل نفسه عما يسعده ويجعله ناجحا، مع عدم التركيز مع الآخرين.



د محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بـوزارة الأوقـاف الكويتية

إنها لكبيرة

تنقسم ذنوب العباد إلى صغائر وكبائر، وأكبر الكبائر وللعلماء عدة تعريفات للكبائر اختار الإمام ابن حجر في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر أن الكبيرة «هي كل ذنب قرن به وعيد أو لعن بنص كتاب أو سنة أو علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو حد أو لعن أو أكثر من مفسدته، أو أشعر بتهاون مرتكبه في دينه» وذكر بعض الكبائر فكان اليأس من رحمة الله هي الكبيرة الأربعون وقال عنه: «عد هذا(اليأس) كبيرة هو ما أطبقوا عليه وهو ظاهر، لما فيه من الوعيد الشديد، بل في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- التصريح بأنه من الكبائر حيث قال: «كان رسول الله ﷺ متكئا»، فدخل عليه رجل فقال: ما الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من

رحمة الله»[1]، كما جاء عن ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما أنه أكبر الكبائر.[2] وقد خلط البعض بين سوء الظن واليأس والقنوط فهي عندهم بمعنى واحد لكن الإمام ابن حجر يرى أن بينها تلازما، وينقل عن أبي زرعة قوله: والظاهر أنه (القنوط) أبلغ منه (اليأس) للترقي إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾(فصلت:٤٩)، والظاهر أيضا أن سوء الظن أبلغ منهما لأنه يأس، وقنوط، وزيادة لتجويزه على الله تعالى أشياء لا تليق بكرمه وجوده ولأنه يستلزم شيئا آخر وهو تكذيب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على سعة رحمته سبحانه وتعالى.

ومن مظاهر اليأس استسلام الإنسان لمرض أصابه أو حزن على خسارة مالية أو فقد لوظيفة أو عدم التوفيق في الزواج فلا يبحث عن مخرج من هذا الضيق وربما حمله القنوط على استعجال الموت ولذا قال النبي ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي» (صحيح مسلم). «ولا يتمنين أحدكم الموت: إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئا فلعله أن يستعتب». (صحيح البخاري)، وكراهة لقاء الله تعالى وليس ذلك بسبب حب البقاء فهو غريزة إنسانية بل بسبب اليأس من رحمته جل جلاله.

الإيمان يطرد اليأس بما لله تعالى من قدرة

وتوجيه النبي ﷺ لهؤلاء الذين ضاقت أعينهم عن رؤية رحمة الله تعالى فتمنوا الموت بالدعاء لله تعالى فهو جل جلاله يعلم ما فيه خير العباد وصلاحهم ولعلهم يصلحون ما أفسدوا فيما يستقبل من أيامهم أو يزدادون من الخير إن كانوا من أهل الصلاح.

إن استعراض بعض النصوص القرآنية والنبوية وتدبرها يوقف المسلم على ما يجب عليه إن مسه ضر أو أصابته أزمة حتى لا يقع في كبيرة اليأس ولا يسقط في آباره المظلمة التي تنغص عليه حياته وتحرمه من فضيلة كبيرة للمؤمنين وحدهم لا يشاركهم غيرهم وهي حسن الظن بالله تعالى ومنبع ذلك هو الإيمان بما لله تعالى من قدرة حدثتنا عنها آيات القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٠)، وقد جاءت هذه الجملة القرآنية في كتاب الله تعالى خمسا وثلاثين مرة بهذه الألفاظ وبغيرها وتطالعنا آيات الكتاب الكريم بما يثبت الإيمان بقدرة الله عز وجل: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧)، فإذا استقر ذلك في القلب انشرح وزالت ظلمات اليأس بمثل قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧) ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ (الشرح: ٥- ٦).

مما يطرد اليأس الإيمان بما لله تعالى من قدرة مطلقة ورحمة واسعة أدركت يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ (الأنبياء: ٨٧-٨٨)، وأدركت يوسف عليه السلام وهو في قاع البئر فأرسل الله تعالى إليه من يخرجه وأدركت إبراهيم عليه السلام وهو في النار ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾ (الأنبياء: ٦٩-٧٠)، وأدركت موسى والعدو من خلفه والبحر أمامه وكان أمرهم ما حكاه الله في كتابه: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ (الشعراء: ٦١-٦٢)، غاب يوسف عليه السلام عن أبيه سنين لكن الطمع في رحمة الله تعالى لم يغب حتى ضجر بنوه من كثرة



ذكره ليوسف: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۝٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾ (يوسف: ٨٥-٨٦)، إن علم يعقوب عليه السلام بسعة رحمة الله تعالى وما عنده من فرج هو الذي أبقى تعلقه بيوسف.

ويمكن أن نرجع اليأس إلى عدة أسباب منها:

١- الجهل بطبيعة الدنيا: بعض الناس يتصور أن رحلته في الدنيا ستكون جولة في حديقة غناء عامرة بالزهور والرياحين سيجد فيها كل ما يسره ولن يعاني من ألم فقد الأحبة أو تأثر الصحة أو نقص في المال أو عجز عن تحقيق أمنية.

٢- الهشاشة النفسية: تغيب هذه الحقائق عن الإنسان فلا يتحمل أي صدمة مهما كانت خفيفة وتظلم الدنيا في عينه عند أول أزمة يلاقيها.

٣- عدم المعرفة بالله تعالى وأسمائه وصفاته: وانقطاع صلة المخلوق والخالق ونسيان ما لله تعالى من فضل على العبد حين أخرجه من مآزق عدة وحين فرج على الناس من كربات شتى إن ضعف الصلة بالله تعالى وانقطاع العبد عن ربه فلا يدعوه ولا يرجوه ولا يوقن أن عنده سبحانه وتعالى الفرج يضيق الدنيا على العبد.

ويمكن علاج هذه الأسباب من منطلق إيماني:

١- معرفة أن اليأس من رحمة الله كبيرة يجعل المسلم يفر منه كفراره من الأسد أو أكثر فإن الكبائر جالبة لمقت الله تعالى وغضبه في الدنيا والآخرة.

٢- التنفير من كل ما يفتح باب اليأس قال الخطابي في معالم السنن مبينا علة نهي النبي ﷺ من التسمية برباح وأفلح ويسار ونجيح فقال: إنهم إنما كانوا يقصدون بهذه الأسماء وبما في معانيها: إما التبرك بها أو التفاؤل بحسن ألفاظها، فحذرهم أن يفعلوه لئلا ينقلب عليهم ما قصدوه في هذه التسميات إلى الضد، وذلك إذا سألوا، فقالوا: أثم يسار؟ أثم رباح؟ فإذا قيل: لا، تطيروا بذلك، وتشاءموا به، وأضمروا على الإياس من اليسر والرباح، فنهاهم عن السبب الذي يجلب لهم سوء الظن بالله سبحانه، ويورثهم الإياس من خيره.

٣- تلاوة آيات القرآن حق تلاوتها وتدبرها تورث العبد إدراكا للحقائق الكبرى في الحياة وتعنيه على حسن التعامل مع أحداثها فالله تعالى يخاطب الخلق ويبين لهم طبيعة الدنيا وما يعتري الإنسان خلال رحلته للحياة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ (البلد:٤)، بل توارث الناس الحديث عن الدنيا وما فيها من الآلام:

جبلت على كدر وأنت تريدها
صفوا من الآلام والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار

فلا يتوقع الإنسان أن حياته ستسير بلا مشاكل ولا عقبات.

٤- أداء العبادات بطريقة صحيحة تعين الإنسان على مواجهة الأزمات فالصلاة التي يطمأن فيها العبد وتخشع جوارحه تعطيه طاقة كبرى على مواجهة الشدائد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٣)، والصيام يقوي الإرادة والتنشئة الصحيحة تعود الإنسان على التعامل مع الأزمات بالصبر الجميل والتفكير السليم والاستعانة بمن يثق بهم وقبل ذلك وبعده اللجوء إلى الله تعالى.

٥- من أعظم ما يطرد اليأس معرفة الله تعالى واللجوء إليه فإنه سبحانه ينزل من رحماته على المستغيثين به حتى لو كانوا كفارا ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٦٤﴾ (الأنعام: ٦٣-٦٤).

٦- مشاركة المجتمع لليائس ومد يد العون ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣).

٧- ثم إن النظر في مصائب الخلق وكم هي شديدة أليمة والنظر إلى ما أصابنا ومقارنته بما أصاب الآخرين يهون من المصائب ويطارد اليأس فإن الناس مع ما اصابهم لم تتوقف حياتهم بل بقوا نماذج للصبر والإقبال على الحياة، قدم رجل من عبس، ضرير محطوم الوجه، على الوليد؛ فسأله عن سبب ضره، فقال: بت ليلة في بطن واد ولا أعلم على الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل فأذهب ما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا، فند (هرب) البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لأحبسه، فما جاوزت إلا ورأس الذئب في بطنه (الصبي) قد أكله، فتركته وأتبعت البعير، فاستدار فرمحني رمحة حطم بها وجهي وأذهب عيني، فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد. فقال الوليد: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه؛ وكان عروة بن الزبير أصيب بابن له وأصابه الداء الخبيث في إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة- يعني بنيه- فأبقيت ثلاثة وأخذت واحدا، وكن أربعا- يعني يديه ورجليه- فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثا. أحمدك، لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت أبقيت لقد عافيت.

على كل يائس إعادة تقييم موقفه

إن ارتفاع صوت اليائسين لما يرون من أحوال لا تسر قد يثبط الآخرين ويعوقهم وخصوصا أن جزءا من الواقع يؤيدهم لكن أهل البصيرة الذين استنارت قلوبهم بنور القرآن والإيمان يدركون ما في الناس من خير وما عند الله تعالى خير للأبرار يدركون أن معونة الله تتنزل على الصالحين من عباد الله الذين يظنون بربهم الخير.

وعلى كل يائس أن يعيد تقييم موقفه فإن لم ير بصيصا من النور أمسك عن نشر اليأس فإن شر الناس من قال هلك الناس وعلى كل صاحب صوت مسموع أن يقدم للناس ما ينير لهم طريق الحياة من خلال النماذج الإيجابية التي استطاعت التغلب على عقبات الحياة وهم بحمد الله موجودون في كل زمان ومكان فإن في ذلك نشرا لحسن الظن بالله وحسن الظن بالله تعالى عبادة من أعظم العبادات والدعوة إليها من أعظم القربات.

الهوامش

١- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد.

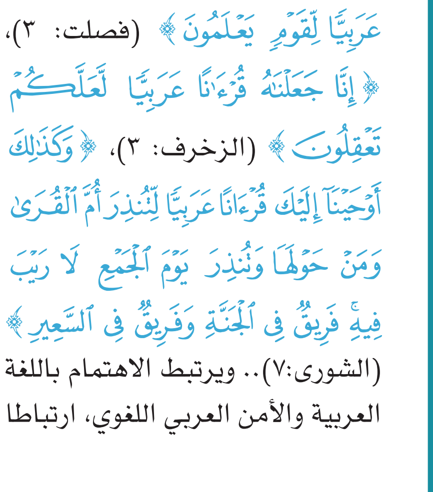
٢- الزواجر عن اقتراف الكبائر.

إسلام لطفي
دار الإعلام العربية



احتفى القرآن الكريم في كثير من آياته باللغة العربية، فقال الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه: ١١٣)، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٢٨)، ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: ٣)، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى:٧).. ويرتبط الاهتمام باللغة العربية والأمن العربي اللغوي، ارتباطا وثيقا بالهوية العربية، هذا ما يؤكد عليه عدد من الخبراء المتخصصين لمجلة «الوعي الإسلامي»، وأنها أولت اهتماما كبيرا بالكلمة الطيبة، ونفرت من الكلمات الخبيثة حماية للمجتمع وهويته.

نبدأ مع د. محمد عبد الناصر محمد العنتبلي عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر، الذي قال: يعد الانتماء من أرقى صور التفاني والإخلاص التي يعبر بها الإنسان عن اعتزازه بهويته، والاعتزاز بالهوية من الأمور المهمة التي تشكل حياة الأفراد داخل المجتمعات المختلفة؛ لذا فمن الضروري أن يشعر الإنسان بالانتماء لوطنه ولغته وثقافته، والاعتزاز باللغة هو المكون الرئيس للهوية الثقافية، فهي ليست مجرد ألفاظ وكلمات يتم التفاهم من خلالها بين أفراد المجتمع، بل هي وعاء يحتوي على المكونات العقلية والوجدانية والمعتقدات الراسخة للمجتمعات، هي حياة شاملة لمن يتحدث بها؛ لأن هذه اللغة قد تكون وسيلة لجلب الود وجبر الخواطر بين الأفراد عن طريق الكلمة الطيبة، والتغافل عن الكلمة الخبيثة التي تعمل على التفرق والعنف، وقد تكون غير ذلك إذا استخدمها الإنسان في الوقيعة والتفريق بين أفراد المجتمع، لذلك تعد اللغة من أهم المقومات التي تؤدي إلى وحدة الشعوب، ونشر الألفة والمحبة بين الأفراد، ومن هذا المنطلق نناشد كل المجتمعات العربية أن تعتز بلغتها العربية التي تحافظ من خلالها على الهوية الثقافية العربية.



د. محمد العنتبلي: الاعتزاز باللغة هو المكون الرئيس للهوية الثقافية

لغة التخاطب وأثرها

أضاف د.العنتبلي: لقد وضح لنا القرآن الكريم أهمية الكلمة الطيبة ودورها الفاعل، وعظيم أثرها، واستمرار خيرها، على الفرد والمجتمع، وأشار أيضا إلى خطورة الكلمة الخبيثة وجسيم ضررها، يقول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ

﴿... خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ (إبراهيم: ٢٤ -٢٦).

فإن الكلمة الطيبة لها أثر عظيم في نفوس المتلقين، وهي من الأسباب الرئيسة لجلب الألفة والمحبة فمن لانت كلمته وطابت، وجبت محبته، وحسنت بين الناس سيرته، وتعطشت قلوب الناس للقائه، وتبارى الجميع في مودته، فالكلام اللين والطيب من الأسباب التي تؤلف بين القلوب، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣).

وختم د.العنتبلي قائلا: فإن رسول الله ﷺ هو المثل الأعلى لأمته؛ ولم يكن ﷺ فظا غليظا، بل كان سهلا سمحا، لينا، دائم البشر، يواجه الناس بابتسامة حلوة، ويبادرهم بالسلام والتحية والمصافحة وحسن المحادثة، ورقيق ألفاظه، فقد علمنا ﷺ أدب التخاطب وعفة اللسان، فقال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» (رواه ابن الحاكم في المستدرك على الصحيحين)، لذا وجب علينا أن نقتدي به ﷺ: لتتعطر ألسنتنا بالكلام الطيب، فتنتشر المحبة والود بين أفراد المجتمع، وبذلك تكون اللغة حققت أهم وأسمى أهدافها.. فلتكن كلماتنا مفتاحا للخير مغلاقا للشر، امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣).

لغة الانتماء والهوية

أما الدكتور صابر عبدالدايم، رئيس لجنة اللغة العربية بالاتحاد الأفروآسيوي، ورئيس لجنة اللغة العربية برابطة الجامعات العربية سابقا، فيؤكد أن قضية الهوية العربية ترتبط ارتباطا وثيقا باللغة العربية وأساسياتها، فإذا أردنا الاعتزاز بالهوية العربية علينا وأن نهتم باللغة العربية في المقام الأول.

صابر عبدالدايم: الاعتزاز باللغة حماية لهوية وأخلاق المجتمع

وأضاف أن الاعتزاز باللغة العربية يعني الهوية العربية والشخصية والاهتمام بها يعني الانتماء للوطن، والأسرة والبيت والدراسة وغيرها، ومن هنا تتجدد كل عام القضية حيث تحتفل الأمة العربية باليوم العالمي للغة العربية الموافق (١٨ ديسمبر، ويوم اللغات الأم الموافق ٢١ نوفمبر).

وأضاف أن الهوية العربية تمر بأزمة كبيرة في الوقت الراهن، لعدم فهم الناس باللغة العربية الصحيحة، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة منها الإقبال المتزايد على المدارس الأجنبية في الدول العربية، خاصة أن بعضها يدرس المنهج المزدوج لغة عربية مع لغة أجنبية، والبعض الآخر لا يدرس العربية، ما يجعل الهوية العربية في خطر.

وتدخل ضمن هذه الأزمة إغلاق أقسام اللغة العربية في الدول العربية، بحجة أن سوق العمل لا يحتاج الى لغة عربية، ولكنه يحتاج إلى لغات متعددة، وهذا ليس صحيحا خاصة أن اللغة العربية تلزم قطاعات كثيرة مثل الإعلام والقضاء بضرورة فهم ونطق اللغة العربية الصحيحة، فمن يعتز بلغته يعتز بهوية ويفتخر بها.





ويندرج التعليم أيضا ضمن هذه الأزمة، خاصة أن دراسة الكليات العملية جميعها باللغة الأجنبية، حتى أصبحت اللغة الأم غريبة، وهو أمر يجعلنا نطالب بتعريب كليات العلوم، على غرار ما فعلته بعض الدول الحريصة على حضارتها وهويتها، وليس معنى ذلك هجر اللغة الأجنبية؛ بل دراستها ضرورة إلى جانب اللغة العربية.

وشدد عبد الدايم على ضرورة غرس وتعزيز اللغة العربية لدى الأبناء والأجيال الناشئة، ومن ثم تعزيز الهوية العربية في نفوسهم، وذلك من خلال حرص الأسر على تردد الأبناء على حفظ القرآن، وإعادة النظر في تدريس اللغة العربية في المدارس، الخاصة بربط النصوص والقواعد والمطالعة.

لغة الفكر

بينما أشار الدكتور مأمون وجيه عضو مجمع اللغة العربية، إلى أن الاعتزاز باللغة العربية يعد ركن أصيل من أركان الأمن القومي للمجتمعات العربية، فهي الفكر الذي نحيا به وهي الحبل السري الذي يصل الماضي بالحاضر والمستقبل، وينقل منظومة القيم والعادات والتقاليد والدين والتراث من جيل إلى جيل، ومن ثم فالمحافظة عليها واجب قومي وديني.

مأمون وجيه: الكلم الطيب أساس ديننا ولغتنا.. وجسر القيم من جيل إلى جيل

أضاف أن الهوية العربية كانت وما زالت في صراع دائم من أجل البقاء، بسبب التحديات التي تواجهها اللغة العربية، وتداخل الثقافات الغربية، والعولمة، لافتا إلى أنها تواجه تحديات كثيرة ناجمة عن غياب التخطيط اللغوي السديد على مستوى الوطن العربي، فضلا عن تحديات الهيمنة اللغوية والصراع المستمر مع اللغات العالمية، وكذلك التحديات المتعلقة بطرائق تعلمها وتعليمها في مدارسنا وجامعاتنا، علاوة على تحديات اقتحامها لمجال الحوسبة اللغوية والسيطرة على هذه الفضاءات الجديدة، بالإضافة إلى صراعها مع العاميات وتأسيسا على ذلك كله فاللغة تحتاج إلى دعم الحكومات والمؤسسات والأفراد، فهي في حاجة ماسة إلى تخطيط لغوي على مستوى جامعة الدول العربية يرعى تعلمها وتعليمها تعليما صحيحا مثمرا يوجب جعلها لغة للعلم والحياة، ويسن القوانين للمحافظة عليها في المؤسسات وأروقة المجتمعات من تداخلات الغرب.

عبدالوهاب عبدالحافظ: غرس روح الهوية العربية في نفوس الأجيال الناشئة

غرس الهوية

بدوره، قال الدكتور عبدالوهاب عبدالحافظ عضو مجمع اللغة العربية، إن الهوية العربية تعني التمسك باللغة، والاعتزاز بها في كل شؤون حياتنا، وليس كما هو الآن حال الكثير من الشوارع والأحياء وأسماء المحال التجارية وغيرها والتي تسمت بلغات أجنبية، وكأننا نتنصل من هويتها التي نعتز بها.

أضاف: الكثير من الدول العربية لديها تشريعات تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الأم، وتجرم المساس بها، ومن ثم ينبغي أن تقوم المؤسسات الدينية والتعليمية، والثقافية والإعلامية، بدورها في غرس روح الهوية العربية في الأجيال الناشئة بالوسائل المتعددة، وضرورة فرض رقابة على وسائل التواصل الاجتماعي كونها تعد سببا من أسباب الانسلاخ من الهوية العربية، في ظل بث الغرب مواد تتنافى مع مجتماعتنا العربية والإسلامية.

وأوضح أن معظم الأوروبيين يحترمون هويتهم وثقافاتهم ولغتهم رغم معرفتهم بلغات أخرى، فيتمسكون بلغتهم ويتعاملون بها، مشيرا إلى أن مجمع اللغة العربية تقدم بطلب للبرلمان المصري، من شأنه سن تشريع يجرم استخدام غير اللغة العربية في الإعلام والمحال والعناوين وخلافه.

أثر إيجابي

وفي السياق ذاته، أكد الدكتور محمود

مهنا عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، أن الكلمة الطيبة، تترك أثرا إيجابيا في نفوس البشر، فهي رحمة من الله تعالى، ووصانا بها الرسول ﷺ، في أكثر من موضع، وجاء على لسان أبي هريرة رضي الله عنه: قال «الكلمة الطيبة صدقة»، فللكلمة الطيبة أهمية كبيرة في الإسلام خاصة أنها قد تدخل الإنسان الجنة وتعتق رقابه من النار، وفي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها،... قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائما والناس نيام».

وأضاف مهنا، أن الكلمة الطيبة تعد شعبة من شعب الإيمان؛ حيث قال الرسول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»، وقال أيضا قال ﷺ: «إن من موجبات المغفرة بذل السلام، وحسن الكلام» الطبراني.

وأضاف أن الرسول ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة» رواه البخاري.

وتابع أن ضمن الكلمات التي تطيب الخاطر عندما أوصت الأم أبنتها في ليلة الزواج وقالت «أي بنية.. إنك قد فارقت بيتك، الذي منه خرج، ووكرك الذي فيه نشأت، إلى وكر لم تألفيه، وقرين لم تعرفيه، فكوني له أمة، يكن لك عبدا، إلى آخر الوصية».

وشدد عضو هيئة كبار العلماء على ضرورة الابتعاد عن الكلمات الخبيثة التي تترك أثرا سلبيا في نفوس الأشخاص، حيث قال الله تعالى في كتابة العزيز في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٧).

محمود مهنا: الكلمة الطيبة شعبة من شعب الإيمان

الهوية الشخصية

وفي الإطار ذاته، قال الدكتور عبدالحميد زيد، أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة الفيوم، إن الهوية العربية تعني اللغة والثقافة، التي تشمل العقيدة، الأخلاق، المعايير، والقيم، مضيفا: «وسيلة غرس هذه القيم كلها هي اللغة»، فكلما كانت اللغة سليمة ورصينة، ولغة الأم، والأم هنا تعني «القومية»، كلما كانت المحافظة على تراث الأمة، والتي يعد أهم عنصر من عناصر الهوية الشخصية، خاصة أن الهوية العربية والشخصية وسيلة صنعها هي اللغة العربية.

وأضاف أن هناك مؤثرات كثيرة حالت دون أن تكون في المرتبة الأولى، أول تلك المؤثرات: هي أن لغة التدول العالمية، أو عالمية الثقافة وعولمة السلوك الإنساني، جاءت بفرض السلوك الإنساني الغربي على الدول الأقل نموا وهي «الدول العربية».

عبدالحميد زيد: العولمة فرضت السلوكيات الغربية في مجتمعاتنا

وأوضح أن مصادر الثقافة في الوطن العربي جاءت بلغات متعددة، وأصبحت المدارس الأجنبية هي وسيلة تعلم ونقل الخبرة والتكنولوجيا لأبناء الطبقة العليا، وأبناء من يملكون الملاءة الاقتصادية لتعليم أبنائهم ليحتلوا فرصا اقتصاديا أفضل.

كما أن هناك مصادر غربية وأجنبية لنهل الثقافة والتعليم، حيث أصبح التعامل في الاقتصاد يحتاج إلى لغة دولية مثل اللغة الإنجليزية والألمانية والفرنسية وغيرها، وفق ما أكدة عبدالحميد زيد.

وتابع أن الشعوب العربية فقدت عنصرا هاما من عناصر التربية أولها: دور الأسرة، فالأسر لم تقم بالدور المنوط به، خاصة أن دورها إنجاب أطفال بطريقة شرعية، وتربية من أنجبتهم بطريقة شرعية وفق قيم وأخلاق المجتمع الذي يرتضيه، وتربيتهم على النهج والشخصية والهوية العربية.

وأضاف أن أصحاب هذه الأسر أصبحوا يتساهلون في غرس تعلم العربية بالشكل السليم، وبالتالي فقدوا أهم القيم التي تحملها اللغة العربية بمفرداتها من نصوص وشعر وقيم.

ثانيا: المدارس، فالمدارس الحكومية لم تعد تعلم بالشكل النموذجي المطلوب، كما أن المدارس الأجنبية لا تركز على اللغة العربية.

ثالثا: الإعلام، فهو حاليا لا يهتم بغرس اللغة العربية بأركانها وأسسها، ويقدم نماذج غير جديرة كي يحتذى بها الشباب والأجيال الناشئة.

د. نادية هشام عدلي
باحثة أكاديمية



الترجمة و تطور العلوم والحضارات

كان للترجمة الأثر الكبير في تطور العلوم ومعرفة الأقطار البعيدة والمختلفة، ومما لاشك فيه ساهمت الترجمة بنقل الثقافات المختلفة بجانب نشر وتطور العلوم العقلية والنقلية، وتعددت الآراء حول بدايات ظهورها ومن أين نشأت؟ وأيا كان بداية ظهورها فالأهم هو الأثر الذي تركته وخلدته إلى وقتنا هذا، ويرجع الفضل لمساهمة ودعم الخلفاء في ازدهارها وتطورها فلهم الدور البارز في انتشارها وظهورها متمثلا في تشجيعهم للعلماء والمترجمين وإنشاء المكتبات؛ وذلك لنشر العلم والمعرفة في جميع الأقطار.

عرف العرب الترجمة منذ أقدم عصورهم، ولقد أشار الدكتور «محمد عبدالسلام كفافي» -أستاذ الآداب الإسلامية بجامعة القاهرة- في كتابه «الأدب المقارن» إلى أن العرب كانوا يرتحلون للتجارة صيفا وشتاء ويتأثرون بجيرانهم في مختلف نواحي الحياة.

ويرجع تاريخ الترجمة إلى ما قبل الميلاد منذ الإسكندر الأكبر الذي اهتم بإنشاء المكتبات، وزودها بالكتب وأحضر العلماء والفلاسفة وبحركة الترجمة خاصة؛ حتى يتمكن الجميع من الاطلاع على شتى أنواع العلوم، فكان هدفه هو توحيد الجنس البشري، وأن الرابط الذي يؤلف بين جميع الناس هو العلم والدين واللغة؛ لذا كان يحرص على نشر العلم والاطلاع على ما توصل إليه الآخرون من علوم مختلفة في شتى البقاع وترجمته وتواجده في المكتبات الخاصة بإمبراطوريته، وهنا يبرز دور وأهمية الترجمة التي كان يحرص عليها الحكام والملوك الذين يرغبون في بناء وترك حضارات تخلد أسماءهم في التاريخ.

حيث برز العديد من المترجمين الغربيين في العصور القديمة، لعل أبرزهم الخطيب الروماني «شيشرون» (١٠٦-٤٣ ق.م) وترجمته التي تقوم على حرية النقل مع التمسك بالقيم البلاغية والجمالية في التعبير، حيث ترجم كتاب لـ«زينوفون» (ولكن ضاعت هذه الترجمة) وكتاب «البروثا جوراس» لـ«أفلاطون»، وأيضا الراهب «جيروم سافرونيك» (٣٤٠-٤٣٠م) الذي اشتهر بترجمته للأناجيل من اليونان ية والعبرية إلى اللاتينية، والإيطالي «ليوناردو ارتينو» (١٣٧٤-١٤٤٤م) الذي ركز على ضرورة نقل خصائص النص الأصلي نقلا كاملا، والربط بين اللفظ والمضمون، و«إتين دولبير» (١٥٠٩-١٥٨٦م) الذي عرف بالمنهج التصحيحي في الترجمة وضرورة فهم المترجم لمحتوى النص الأصلي، وإدراك مقصد وهدف المؤلف من



النص.
فبفضل الترجمة اطلع المسلمون على كتب التشريح مما ترجم لـ«أبقراط» و«جالينيوس» وغيرهما، ودفعت الترجمة إلى حركة التأليف والإضافة في بعض المعارف وخاصة الطبية، فقد ترجم المسلمون لأمم كثيرة كاليونان والفرس، واهتم الحكام بإرسال البعثات إلى البلاد المختلفة للبحث عن الكتب وترجمتها ونقلها للبلاد الإسلامية، وكذلك اهتموا بإنشاء المكتبات التي ازدانت بالكتب العربية والمترجمة، ولم يكتفوا بالترجمة والنقل بل أضافوا وابتكروا لتلك العلوم في مختلف الحقول كالعلوم الإنسانية والهندسية والرياضية والطبية وغيرها؛ لذا أطلق على تلك القرون الستة (من ٨٢ حتى ٦٩٩هـ) العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.
فالترجمة هي لغة التواصل وهي السبيل إلى معرفة الآخر وخلق التفاعل الحضاري والفكري معه، فمنذ قديم الزمان كان الرابط المشترك بين جميع الدول ومختلف الشعوب هو الرابط الاقتصادي المتمثل في التجارة، حيث كان يتقن أغلب التجار عدة لغات بجانب لغتهم الأم وإن لم يتقن أحدهم لغة أخرى كان يوجد برفقته مترجم؛ لتيسير المعاملات التجارية.
وكانت العلوم الدنيوية كالطب والفلك والرياضيات غير متوفرة باللغة العربية آنذاك، لذا كان لابد من ترجمتها من اللغة اليونانية والسريانية والفارسية والسنسكريتية إلى العربية، والعكس ترجمة الكتب العربية والفارسية وعلى رأسهم كتاب «القانون في الطب» لابن سينا فقد تم اكتشاف أول ترجمة إيرلندية لكتاب ابن سينا تعود إلى حقبة القرن الخامس عشر الميلادي.
فقد حرص الخلفاء المسلمون على أن تزدان قصورهم بالمكتبات الضخمة وتواجد العلماء والفلاسفة والمترجمون في بلاطهم؛ وذلك لعدة جوانب أهمها هنا الجانب الثقافي ونشر العلم والمعرفة، لذا انتشر المترجمون ومن أشهر من تعلم السريانية في عهد الرسول ﷺ هو «زيد بن ثابت» رضي الله عنه، تعلمها في ستين يوما وتعلم الفارسية والرومية والعبرية، وتعود أقدم بردة في الإسلام إلى سنة ٢٢هـ، وعليها نص باسم «عمرو بن العاص» رضي الله عنه، وبها ثلاثة أسطر باليونانية والترجمة بالعربية تحتها، وبالتالي الترجمة ظهرت في صدر الإسلام، وتستكمل مسيرتها في العصر الأموي ومعاصرة الطبيب الشهير «ماسرجويه البصري» لمروان بن الحكم الذي ترجم من السريانية إلى العربية كتاب مهم في الطب لـ«القس اهرون بن أعين» وكانوا قديما يطلقون على هذا الكتاب اسم «كناش» -لفظ سرياني معرب معناه المجموعة أو التذكرة-.
ويبرز بعد ذلك «خالد بن يزيد بن معاوية» الذي أتقن الصنعة (الكيمياء) وكان محبا للعلوم والكيمياء والطب خاصة، ومن شدة ولعه بهذين العلمين أرسل للإسكندرية يريد بعض الكتب في الطب والصنعة وترجمتها من السريانية للعربية، واستقدم من الإسكندرية راهبا بيزنطيا اسمه «مريانس»؛ ليزداد علما في الكيمياء، ولم يكتف بذلك بل طلب من آخر يدعى «اصطفن بن بسيل» ترجمة ما أتى به «مريانس» إلى العربية، وأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كانوا ينزلون مصر بنقل الكثير من الكتب العلمية من اليونانية والقبطية إلى العربية، وترجمت له بعض الكتب عن الفارسية على يد «جبلة بن سالم»، وعد من أساتذته «يحيى النحوي»، ويذكر أن أول ما ترجم لخالد بن يزيد هو كتاب: «مفتاح النجوم أو مفتاح أسرار النجوم» لـ«هرمس» الحكيم الفيلسوف.
ومن أشهر المترجمين الذين ذاع صيتهم «يعقوب الرهاوي»، و«عدي العبادي» من قبيلة تميم العربية ترجم من العربية للفارسية لدى «كسرى برويز» -آخر ملوك الإمبراطورية الساسانية في إيران وأعظمهم-، و«ابن المقفع» ترجم «كليلة ودمنة»، و«حنين بن إسحاق» الذي ترجم التوراة إلى العربية عن الترجمة السبعينية، وكان يترأس المكتبات الخاصة بالترجمة في عهد المأمون، ويساعدانه في الترجمة ابنه «إسحاق» وابن أخته «حبيش»، و«يحيى بن البطريق» ترجم كتاب «الحيوان» لأرسطو ترجمة سريانية.
ولم تقتصر الترجمة على العرب وحدهم بل ترجم السريان العلم اليوناني وفسروا متونه، فترجم «بولس الفارسي» كتاب «المنطقيات» لأرسطو، وكذلك الصابئة كان من أشهر علمائهم «ثابت بن قرة» يتقن العربية والسريانية واليونانية، ويعزو إليه «ابن العبري» ١٥٠ رسالة بالعربية و١٦ رسالة بالسريانية، و«محمد بن جابر البتاني» و«أبي جعفر الخازن» نقل من السريانية للعربية، وكان صديقا للفيلسوف المسلم «أبي زيد البلخي».
وبفضل الترجمة تم نشر العديد من العلوم والمعارف التي أفادت البشرية منذ قديم الأزل إلى يومنا هذا، كترجمة كتب الطب العربية إلى اللاتينية منذ القرن ٥هـ/ ١١م والتي أصبحت مقررات دراسية في الجامعات الغربية ككتاب القانون في الطب لابن سينا، وكتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، الذي يعد أحد أهم المراجع العالمية بتاريخ الطب وترجم إلى عدة لغات أوروبية.

أحمد سليم عوض
باحث في التراث





عبد السلام هارون... إمام المحققين اللغويين

تحقيق النصوص هو بعث لتراث الأمة وأحياء لأمجادها، وهو مهمة صعبة وعمل شاق لا ينهض به إلا من وهبه الله فكرا ثاقبا وإرادة نافذة وعزيمة ماضية وصبرا على العمل، وهو ما اجتمع في عبد السلام هارون أشهر محققي التراث العربي في القرن العشرين، الذي تميز بكثرة مراجعاته اللغويه وضبطه للأعلام ومعرفته بالمواضع وحفظه للنصوص، ومعاملته الطويلة مع أمهات الكتب والمراجع، حيث بلغت عدد الكتب التي قام بتحققيها: (٤١) عنوانا، وعدد المؤلفين الذين قام بتحقيق كتب لهم: (٣١) مؤلفا.

ولقد كان موضوع الأدب العربي هو أكثر الموضوعات التي قام بتناولها وتحقيق أحد عشر كتابا، وتأتي المعاجم العربية في المرتبة الثانية، بنصيب سبعة كتب، وتضم: معجم تاج العروس، والتكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، تهذيب الصحاح، تهذيب اللغة، فهارس المخصص لابن سيدة، وفهارس معجم تهذيب اللغة ومعجم مقاييس اللغة.

وفي مكانة مقاربة نجد الشعر العربي بستة كتب هي: الأصمعيات، شرح ديوان الحماسة، شروح سقط الزند، شرح القصائد السبع، المفضليات، وهمزيات أبي تمام.

ثم النحو والصرف، وتضم خمس كتب: هي إصلاح المنطق، التنبيه والايضاح عما وقع في الصحاح، خزانة الأدب، كتاب سيبويه، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع.

كما حقق كتابين في كل من الحديث الشريف والتراجم العربية والتاريخ وكتاب واحد في كل من السيرة والتصوف والاشتقاق والرسائل العربية والجغرافيا.

ويعتبر هارون هو أول من وضع كتابا خاصا بمنهج تحقيق النصوص، والتي صدرت الطبعة الأولى منه عام: (١٩٥٤م)، فقد تميز بوقوفه عند المشكلات العملية التي تواجه المحققين في مراحل عملهم واقتراحات بشانها، وهي اقتراحات أقرب في مجموعها الى أن تكون ثمرة عمليه لما استقرت عليه تقاليد التحقيق عند المحققين، كما حقق في عددا كبير من الكتب التراثية في موضوعات مختلفة.

ولد عبد السلام هارون بمدينة الإسكندرية في الثامن عشر من يناير سنة: (١٩٠٩م)، ولقد أتم عبد السلام هارون حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، والتحق بالمدارس الأولية، ولكنه وجه بعد ذلك إلى الأزهر سنة: (١٩٢١م)، حيث درس العلوم الدينية والعربية، وفي سنة: (١٩٢٤م) التحق بتجهيزية دار العلوم، ونال منها شهادة البكالوريا سنة: (١٩٢٨م)، ثم أتم دراسته بمدرسة دار العلوم العليا، وتخرج منها سنة: (١٩٣٢م)، وعين مدرسا بالتعليم الابتدائي، لتميزه عين

في كليه الآداب بجامعة الإسكندرية سنة: (١٩٤٥م) في وظيفة (مدرس).
ونقل بعد ذلك أستاذا بكلية دار العلوم سنة: (١٩٥٠م)، فرئيسا لقسم النحو بها سنة: (١٩٥٢م)، وفي سنة: (١٩٦٦م) اختير مع نخبة من أساتذة الجامعات المصرية لإنشاء جامعة الكويت، وتولى تأسيس قسم اللغة العربية وقسم الدراسات العليا بها تحت رئاسته إلى سنة: (١٩٧٥م)، وفي أثناء ذلك اختير عضوا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في سنة: (١٩٦٩م)، ثم اختير أمينا عاما للمجمع في السابع من يناير عام: (١٩٨٤م).
حتى توفي في السادس عشر من أبريل سنة: (١٩٨٨م).
بدأ نشاطه العلمي في سن مبكرة، إذ ظهر له تحقيق كتاب «متن أبي شجاع» بضبطه وتصحيحه ومراجعته في سنة: (١٩٢٥م)، وهو في السادسة عشرة من عمره، ثم ظهر له تحقيق أول جزء من خزانة الأدب للبغدادي في سنة: (١٩٢٧م) أي في التاسعة عشرة من عمره ثم أكمل أربعة أجزاء من الخزانة وهو طالب بدار العلوم.
وفي سنة: (١٩٤٣م) اختاره الدكتور طه حسين ليكون عضوا بلجنة إحياء تراث أبي العلاء المعري مع الأساتذة مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود وإبراهيم الأبناري، والدكتور حامد عبدالمجيد، وقد أخرجت هذه اللجنة في أول إنتاجها مجلدا ضخما كان عنوانه: «تعريف القدماء بأبي العلاء»، أعقبته بخمسة مجلدات من شروح ديوان «سقط الزند» للتبريزي، والبطليوسي، والخوارزمي.
وقد حصل على الجائزة الأولى لمجمع اللغة العربية في التحقيق والنشر سنة: (١٩٥٠م) وجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي سنة: (١٩٨١م).
ومن أهم أعماله: مكتبة الجاحظ التي اهتم فيها بتحقيق الشعر في كتب التراث التي هي نثرية بطبيعتها، لكنها لا تخلو من الشاهد الشعري، وعدد مجلداتها: (١٨) مجلدا، أولها كتاب: (الحيوان) في ثمانية مجلدات، وثانيها: (البيان والتبيين) في أربعة مجلدات، وثالثا: (الرسائل) في أربعة مجلدات تضم (٤٥) رسالة وكتابا، ثم (العثمانية)، فـ(البرصان والعرجان).
وكذلك تحقيقه مجموعة نوادر المخطوطات التي اشتملت على (٢٠) كتابا ورسالة.
وقد قام مع الأستاذ أحمد محمد شاكر بنشر نفائس الشعر في سلسله ديوان العرب- مجموعات من عيون الشعر العربي التي ضمت أربعة كتب هي كتب القصيد (المفضليات وتضم (١٣٠) قصيدة سنة: (١٩٤٢م)، والأصمعيات وتضم (٩٢) قصيدة سنة: (١٩٥٥م)، وجمهرة أشعار العرب لابي زيد محمد أبي الخطاب القرشي وتضم (٤٩) قصيدة، ومختارات ابن الشجري المسماة مختارات شعراء العرب وتضم (٦٥) قصيدة، أي أن جمله هذه القصائد في كتب القصيد هذه بلغ (٣٣٦) قصيدة، وعدد أبياتها: (٨١٥٧) بيتا، وشعراؤها: (١٥٥) شاعرا.
ومن أشهر مؤلفاته: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، وبحوث في اللغة والأدب، وتحقيق النصوص ونشرها.. وتحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب لابن منظور، والتراث العربي في سلسلة: (كتابك) لدار المعارف، وحول ديوان البحتري، وقطوف أدبية، وقواعد الإملاء، وكناشة النوادر، ومجموعة المعاني، ومعجم شواهد العربية جزءان، ومعجم مقيدات ابن خلكان، ومقتطفات من كتب الأدب العربي مع طه حسين وآخرين، والميسر، والأزلام.
وكان منهج التحقيق الذي اتبعه له قواعد وأصول ثابتة ذكرها بنفسه في مقدمات كتبه التي حققها، وهي اختيار النصوص التراثية ذات القيمة، وجمع النسخ المخطوطة، ووصف كل نسخة منها وصفا كاملا يتناول زمن كتابة النسخة، والخط، ومسطره، وعدد الكلمات في السطر، وما قد يكون فيها من مقابلات أو تعقيبات، وترتيب النسخ في الأهمية طبقا لقيمتها العلمية، وتسجيل ما بينها من اختلاف، وتخريج الشواهد من القرآن والأشعار والأرجاز والأمثال ونحوها، وتوثيق النقول، وعزو الآراء، والتعريف بالأعلام من الأشخاص والأشياء والطوائف والجماعات والبلدان، والتنبيه عمه ما قد يكون في النسخ من أغلاط، ووضع علامات الترقيم التي تساعد على فهم النص، والمحافظة على النص دون تغيير مع النص في الحاشية على ما يحتاج إلى نظر، ووضع الكشافات الفنية وفقا لطبيعة وحاجة كل كتاب.
وهكذا فقد أمضى عبد السلام هارون رحلة معرفية امتدت لثلاث وستين سنة في تحقيق كتب التراث، وجلاء الكنوز الأدبية واللغوية مما رانها، إلى أن توفاه الله في عام: (١٩٨٨م)، وهي رحلة أثرى من خلالها هارون المكتبة العربية، حتى صار رائدا من رواد الحركة العلمية المعنية بالتراث العربي والإسلامي، فهو كما قيل عنه «محقق الكتب العمد، والأسفار الرئيسية في مكتبة العرب».
ومما أثر عنه أيضا أنه: لم يخط أحد في التراث العربي سطرا إلا وللعالم الجليل عبد السلام هارون منة عليه، ويندر أن يتعامل أحد مع المصادر العربية دون أن يستعين بمصدر من تحقيقاته، فقد قدم للمكتبة العربية دواوين التراث مجلوة في صورة بهية، وزينها بتعليقات وفهارس.



عبد الله بن محمد بن مسعد
كاتب وشاعر

العلم والمال

أصحوت أم أنت الغداة نؤوم … والرزق بالسعي الحثيث يدوم

تعتاد في وقت التكسب راحة … خف الجميع له وأنت مقيم

هل يستوي من قام يسعى باكرا … سبق الضياء وللفلاح يروم

مع راقد أضحى أنيس فراشه … طابت له الراحات وهو مليم

إن الحياة إذا نظرت قصيرة … والصحو فيها للمنام قسيم

والوقت إن لم تستعد لحفظه … ضاعت عليك فضائل وعلوم

والعلم أولى ما عنيت بشأنه … نور العقول إذا ادلهم بهيم

رفع الإله كما قرأنا قدره … شرف الأنام وللأنام نديم

خذ من فرائده بحظ وافر … واترك كثير القول فهو هشيم

واسلك سبيل الفالحين وقد مضوا … فهو السبيل وما عداه سقيم

فطنوا إلى قصر الحياة فبادروا … فالعمر يمضي والرضيع فطيم

نالوا من العلم المفيد ثماره … والعجز للعلم المفيد خصيم

لم يسأموا مما ينال بهمة … سأم اللبيب إذا يطول ذميم

يبقى أنيس المرء علم نافع … ما سار في فلك السماء نجوم

والمال عز في الحياة ورفعة … قد عاش بؤسا في الحياة عديم

أنعم به إن كان من حل أتى … عصب الحياة وشأنه معلوم

والقصد في الإنفاق محمود كما … ينهى عن الإسراف فهو وخيم

والبر والإحسان لا ينساهما … شخص كريم النفس وهو رحيم

بالعلم والمال اللذين توافرا … بكليهما عيش الحياة كريم



نبيل الهواري
كاتب وشاعر

ما بين ظلي وبيني

هنا وحيدا
أقص الطول والعرضا
على مسافة حزن
يسبق الومضا
أعيد ترتيب آلامي وذاكرتي
جرحا فجرحا
أريق الفيض والغيضا
وأسحب الخيط من وضع
رأيت به ظلي طويلا
يعاني البسط والقبضا
دنوت
كي تحمل الأيام لي أملا
أروي به ظمئي
في هذه الفوضى
وبت في وحدة بالحب تؤنسني

وصرت فيها
أجيد الرفع والخفضا
في وحدتي خلوة بالنفس
من ريب تزداد فينا
وتخفي الحقد والبغضا
أكون حرا
إذا أمسيت منفردا وحدي
بعيدا عن العاهات
والمرضى
لما فتحت لقلبي الباب
قد سكنت روحي
وآنست نورا
أطفأ الرمضا
وكان ظلي مريدا
راح يتبعني

ما باح سري لإنسان
ولا أفضى
أقنعت ظلي بأن الماء يجمعنا
روحا وقلبا
وشكلا واحدا أيضا
إذا اهتديت اهتدى
واختار خارطتي
وإن ضللت
أضاع النفل والفرضا
إنا غريبان في الدنيا
وثورتنا على الحياة تفوق الصد
والرفضا
فليتني كنت درويشا
ينام على عكازه حافيا
أو يقطع الأرضا
أو ليتني كنت عصفورا
يحلق من غصن لغصن
ويشجي الطير
والروضا
ما بين ظلي وبيني
في السكينة ما لا يقبل الشك
أو قد يخلق الضوضا
حتى نعود
سيبقى القلب مشتعلا
خلف السديم
ويأبى الطعن
والنقضا





علاء الدين حسن
ناقد أدبي سوري



قراءة نقدية في إبداعات الوعي الشعرية

للنقد دور كاشف في بيان النصوص الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/ الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.



نقف اليوم عند عدد من القصائد التي نشرتها «الوعي الإسلامي»، في أعدادها الخمسة الأخيرة؛ لعدد من الشعراء المبدعين.

في عدد ذي الحجة: (١٤٤٣هـ)، نقرأ قصيدة للشاعر الأستاذ الدكتور عبد المنعم عبدالله حسن، تحت عنوان (الله أكبر.. إنها عرفات)، وفيها:

النور والخيرات والبركات
آي تفيض بسرها عرفات
سبحت بها مهج الحجيج وسبحت
والذكر والتهليل والدعوات
ملأ الفؤاد الرحب إشراق الهدى
وتجلت الأسرار والآيات

إنه يتحدث عن عرفات؛ حيث النور يتجلى وتتجلى الخيرات والبركات في ذلك اليوم الأغر؛ فيه من الأسرار ما لا يمكن لعقل الإنسان أن يصل إلى الإحاطة بها.. في ذلك اليوم: تطوى الدنيا وتوضع عند جبل الرحمة في عرفات، مع الذكر والتسبيح وصادق الدعوات التي تنطلق من حناجر المؤمنين، وتملأ الكون بنسائم الهدى وروعة الآيات.. هناك: تتعدد صور التقرب إلى الله، في كل ركن، ومع كل خطوة، وتتشكل لمكرمة التقوى إضاءات الحسن والجمال، وكأنها هالات اكتمال القمر..
والقصيدة هذه، تفيض بصور شعرية انبثقت من معين اليقين، واستطاع الشاعر أن يؤدي الرسالة السامية لجوهر الكلمات، فقدم المفعول به على الفاعل في قوله: ملأ الفؤاد الرحب إشراق الهدى؛ فكانت النتيجة أن بلغ الشطر الثاني غاية التجليات، ثم إنه ينقلنا إلى:

روض من الإيمان يورق زهره
حسنا زهت بجماله الطاعات

ولعمري، ما جمالية الطاعة إلا وفق ما قد أشار إليه، حين يورق الزهر، وينضج الثمر؛ بالحسن والإيقاع.

ولمن يجيب السائلين تضرعت
كل القلوب وتجاوب الخفقات

لقد تضرعت القلوب إلى بارئها، وخشعت الأرواح لخالقها، وتقربت الأنفس إلى منشئها، وجاء الوعد من الله بالإجابة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ (غافر:٦٠). إنها دعوات الإقبال في يوم الجلال والجمال، وكأنها نهر نمير زلال، فيما تنهزم الشياطين صاغرة تبوء بالخسران والحسرة.. إنه يوم الرحمة، يصوره الشاعر بملء عاطفته، ويهتف واثقا:

الله أكبر إنها ساح الهدى
الله أكبر إنها عرفات



❖ في عدد محرم: (١٤٤٤هـ)، نقف عند قصيدة الشاعر حسن متولي عبيد (من وحي المولد):

إن لاذ بالصمت المحبون انبرت
أشواقهم تجتاحهم تتدفق
أو أفصحوا عجزوا عن الوصف الذي
بشفيعهم مهما أجادوا عقوا
فهم حيارى بين إفصاح على
خجل وصمت بالصبابة يخنق

يتحدث الشاعر كما هو واضح، يتحدث عن مولد الهدى، عن مولد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام، يتحدث عن ذلك اليوم المشراق؛ بلغة فيها الشوق والهيام، وفيها القلب متوج بالمحبة الرقراقة لصاحب الذكرى؛ حيث تجلى الإحسان، وأشرق الإيمان، وتلألأت المكارم، مع إشراقة الولادة؛ هذه الإشراقة التي ألبست الحياة رونقها الأجمل، وأعادت صياغة القيم في أكمل صورة.

ورفعت للتوحيد سامق راية
فغدت بآفاق الوضاءة تخفق

ومع هذه الوضاءة، زال خوف الحائرين، ومهدت سبل السالكين، وتعانقت أفئدة المتخاصمين؛ فصاروا إخوة في الله متحابين، وإلى الحق داعين، وإلى الخيرات ساعين.

ومع هذه الوضاءة بلغ الشاعر أفقا كثيرا ما ينتظره القارئ؛ بل ولأجله القلب يخفق، وذلك عندما قال: (ورفعت للتوحيد سامق راية).. وهو بهذا يؤكد على أن كلمة الله هي العليا، في صورة استخدم فيها كلمة (سامق)؛ ليدفع بالقارئ إلى تفهم المعنى بنفسه بالعودة إلى أمات مراجع اللغة؛ سعيا منه للبحث والتتبع.

وإذا أناخ الليل في ساحاتهم
غمر العيون من الخشوع ترقرق
فالحب ميثاق وأوجب ذمة
قد عز بعدك من يحب ويصدق

❖ في عدد صفر: (١٤٤٤هـ)، نقرأ قصيدة (اليتيم)؛ للشاعر محمد أحمد أمان، وفيها إشارة إلى أن هذه الحياة الدنيا مصيرها إلى زوال، ومادامت الحياة هكذا؛ فجدير ببني الإنسان أن يكون رحيما بهذا الذي فقد أباه.. هذا الذي لأجله السماء قد بكت، وتضرعت إلى الله في عليائه:

الكون ينظر لليتيم برحمة
والطير سار يهيم بالأحزان
والنجم يرثي لليتيم برقة
وتذوب أضلعه من الخفقان
كل الخلائق تستجير بربها
من أجل طفل فاته الأبوان

إنه ذلك الضعيف؛ كشجرة ذبلت أغصانها.. نراه مهيض الجناح؛ فيذوب القلب من كمد، كيف لا، وقلبه الغض مترع بالألم الأعمق، إلا أن ما يخفف عنه شيئا من وطأة ذلك الألم: تلك السكينة التي يتفضل الله بها عليه، وهو أرحم الراحمين.

ويشير الشاعر إلى أن قهر اليتيم ظلم خطير، نهى الله عنه في محكم التنزيل: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ (الضحى:٩):

قهر اليتيم جريرة وجريمة
قد حرمت في محكم القرآن

وهنا تناص غير مباشر مع الآية الكريمة، وهذا التناص يلجأ إليه الشاعر ليكتشف الناقد علاقته الوثقى مع آي الذكر الحكيم.

وقهر اليتيم خيانة للأمانة؛ فالأصل أن يتكفل الإنسان ويرعى، لا أن يظلم ويهين، وأن يتطلع إلى جزيل الأجر المترتب على حسن الكفالة: «أنا وكافل اليتيم في الجنة؛ كهاتين». والأصل أن ينأى المرء بنفسه عن شديد الوعيد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ (النساء:١٠).

ومعروف أن خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن





إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، وهذا ما يشير إليه الشاعر في تناص جديد، وهذه المرة مع الحديث الشريف..

بيت به الطفل اليتيم مكرم
أسمى بيوت الأرض للرحمن

فاضمم يتيما تحت ظلك راحما
واكفله بالإنعام والإحسان
إن اليتيم عزاؤه بمحمد
خير البرية سيد الأكوان

❖ **وفي عدد صفر، نقرأ أيضا: (الروضة الشريفة)؛ للشاعر الدكتور خالد برادة، يقول في مطلعها:**

هذا الجمال شعاع نور مبهر
تحدوه نبض الكون حسن المنظر
إني أتيه به فخورا في الورى
وأشم نفح أريجه المتعطر

لقد وصف الشاعر الجمال بشعاع نور مبهر، ووظف قلمه لخدمة الوصف؛ فإذا به يتيه من شدة روعة البيان..

ولا تلام يا صديقي إذ تتيه فخورا في الورى حين تتحدث عن هذه الروضة الأرقى، وكيف لا نتيه معك، ونحن أمام هذا الجمال المزهر المبهر.. كيف لا نتيه ورونق البهاء يختال في ذلك الروض الفسيح الأخضر:

هلت منارته كبدر ساطع
وسمت نضارته بصنع مصور
قد نلت مكرمة المدينة لاهجا
والروح تسمو بالجمال المزهر

والبلبل الصداح يشدو حولنا
يهفو كولهان بغير تحذر

لقد شبه المنارة بالبدر الساطع، واستطاع أن يأخذ بأيدينا إلى تلكم الروضة التي تشتاقها القلوب، ومما زاد في جمالية المشهد هو ذكر البلبل الذي يصدح بصوته المتفرد الغرد؛ فيدع الفؤاد يذوب هياما من شدة الوله.



❖ **في عدد ربيع الأول: (١٤٤٤هـ): (تأملات في الناس والحياة)؛ للشاعر محمد محمد السنباطي، يصف فيها الحياة، متأملا أحوال الناس، وما هم عليه من مواقف:**

هي ذي الحياة، وشابها جور عتا، وتشابها
لبس الحرام رؤى الحلال؛ فهل خبرت ذئابها؟!
ويل الضعيف إذ رأى ظفر الحياة ونابها
عين العدالة أغمضت والليل أغمض بابها
ومشى اللئيم يوزع الصدقات أو ما شابها
متبخترا وكأنما الدنيا دنت فأصابها
هو سارق الدرر الثمينة قاتلا أصحابها
فانظر إليه تر السماحة أسبلت أهدابها

ومتاع الدنيا كله عرض زائل.. الدنيا إذا حلت





أوحلت، وإذا جلت أوجلت، وإذا كست أوكست، وإذا أينعت نعت... من هنا كان لزاما على الإنسان أن يوازن بينها وبين دار البقاء، وأن يعمل فيها من الصالحات؛ حتى يحظى برضا اللّه، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم.

ما نلحظه بجلاء في قصيدة السنباطي هو الحرص الواضح من الشاعر على الحفاظ على وحدة القافية في كلا الشطرين من كل بيت، وهذا ما أكسب القصيدة تناغما يؤدي فيه الإيقاع دوره الصحيح؛ فيتمكن القارئ من حفظ القصيدة للوهلة الأولى.

❖ في عدد ربيع الآخر، نقرأ: (جهابذة زانوا سما العلم)، كتبها أمين عبد الجبار، وأعدها د. تركي النصر، وفيها:

على اسم الذي أوحى الكتاب منجما ... أقمنا احتفالا للسماوات قد سما
يضاهي فيها الحافظون خطى الذي ... عليه إله العرش صلى وسلما
هنا في كويت الخير لله أهلها ... بما خدموا الكتاب المكرما

وهذه القصيدة؛ ألقيت في ختام جائزة الكويت الدولية الحادية عشرة (٢٠٢٢م).

ولا شك أن القرآن الكريم هو كتاب اللّه الخالد، يتنافس في حفظه الجهابذة؛ حبا لهذا الكتاب الحكيم، وحرصا على إيصال آياته وسوره إلى أرجاء الكون؛ بأصوات من السماء، أكرمها اللّه بروعة الأداء، ودقة الإتقان.

القصيدة احتفالية، وفي الوقت ذاته تؤسس ذكرى لأجلها قد رسمت؛ فتبقى تحافظ على بقائها في قادم الأيام والأعوام.

نبضة القدس، قصيدة للشاعر الدكتور خالد برادة- عضو رابطة الأدب الإسلامي، يقول فيها:

أودع القدس بالفؤاد شجونه ... وأهاجت لظى الغرام حنينه
في الغياب الطويل أضناه شوق ... هب يشكو إلى حبيب أنينه
أنا يا قدس من رباك قريب ... بهيام.. بلوعة.. بسكينه

نعم يا صديقي! ونحن أيضا قريبون من ربا القدس، وبمزيد من ود وشوق وهيام.. القدس في القلب سكناها، والقلب إليها يروم حبا ووئاما.. نبضة القلب هي القدس.. عروس المدائن وزهرتها.. القدس لنا، وإلينا -بإذن اللّه؛ تعود.

ولقد وفق الشاعر حين استنهض همة القارئ مشيرا إلى أن القدس هو الذي أودع شجونه في أفئدتنا ابتداء، ورفع الهمة يتكرر ثانية مع الشكوى والأنين أيضا من القدس ابتداء، وهذه الشكوى عندما توجه إلى الحبيب؛ فإنها تجد في فؤاده مكانها اللائق الكريم.

وكتب الدكتور عبد المنعم عبداللّه قصيدة عذبة في مدح خير الأنام، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، جاء فيها:

وقبلك عاش الورى في ظلام ... وخيم فوق القلوب الخصام
فجئت لكل الورى رحمة ... وهديا يبيد العمى والقتام

وهذا المعنى الجميل مستقى من قوله تعالى عن خاتم أنبيائه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

نعم، لقد جئت يا سيدي يا رسول اللّه!

جئت الحياة فكنت الهدى والتقى، وكنت السنا وكنت الوئام.

وأنت الأمان وأنت الرضا، وأنت المجتبى وأنت الإمام.

عليك تنزل شرع الله سما ... وهديك أمن لكل الأنام



أمين حميد عبد الجبار
شاعر وكاتب

حدود العلاقة بين الناقد والشاعر

شهد القرن العشرون ميلادا جديدا للعربية، يذكر بعهدها المجيد، في قرونها الأولى، على يد ثلة مصطفاة من عباقرة العربية، في فنونها المختلفة.

بيد أن هذه النهضة لم تكن قائمة على أصول العربية الأولى، صافية خالصة، كما قد يتبادر لذهن المفتون بجمال هذا الإحياء، وإنما شيبت بأمشاج من فنون وعلوم وآداب الأمم الغالبة على هذا العصر!

ولا يغيب عن عين قارئ التاريخ أن يلمح الخيوط الواصلة بين فروع الحضارة الغربية المعاصرة والتي تصلها بالجذور اليونانية والإغريقية، حيث ولد المعنى الأول للحضارة الغربية فكرة وجغرافيا..

ولأن الشعر في الذهنية الغربية قد ولد في أحضان الفلسفة على يد أرسطو في كتابه «فن الشعر»، فقد بقيت الفلسفة تمارس عليه سلطة أبوية توجه خطاه عبر مقولاتها القائمة على العلاقات المنطقية بين الأشياء، وهو ما يتنافى مع روح الشعر وجوهره!

وحين ولجت هذه الأمشاج الفلسفية إلى الدرس اللغوي والأدبي العربي المعاصر، فإنها أرادت أن تفرض شروطها على سائر الأنشطة الأدبية العربية بما فيها الشعر..

وقد شرع النقاد العرب المحدثون، على اختلاف مدارسهم، في وضع تصورات فلسفية لما يجب أن تكون عليه القصيدة.

وأخذوا يطبقون تلك القواعد على الشعراء المعاصرين لهم، فيرفعون ويخفضون، بناء على تقيد الشعراء بتلك المعايير، التي زعموا أنها هي من تعطي صفة الشعر لقصيدة، وتنزعها عن أخرى!

ولقد قالوا كلاما كثيرا، أدخلوا بموجبه شعراء وأخرجوا آخرين من رحاب جنة النقد التي أقاموها على أعمدة تلك القواعد..

بيد أن نهر الشعر ظل متدفقا على سجيته، غير عابئ بما قيل وما يقال.. وظلت الأزمان المتلاحقة والأجيال المتعاقبة من بداية القرن العشرين، حتى يوم الناس هذا، تصغي بطرب لشعراء العربية الكبار، دون أن تلقي بالا لما قاله جماعة الديوان وجماعة أبولو.. وغيرهما من جماعات النقد.

ذلك أن الشاعر الذي يكتب بروح النقد، لا يغادر شعره حدود دولة النقاد، وكذلك كان شعر العقاد وسيد والرافعي، رحمة الله عليهم، وشعر وغيرهم من العلماء العباقرة.. أستثني منهم أبا فهر، رحمه الله، فهو استثناء حيث حل فكره وقلمه.

وبقي الشعر العربي يسرح ويمرح في دولة، لا سلطان فيها لغير الشعر والشعراء!

لا تقيد انطلاقتهم قواعد المنطق، ولا تحد صهيل قصائدهم أسوار النقاد.

بقيت دولة الشعر خالصة مخلصة، للبارودي وحافظ وشوقي وغنيم ومحمود حسن إسماعيل وطه وناجي وأبي فاشا..

وأغلقت أسوارها أمام أساطين النثر، حين كتبوا شعرا، بل لقد بالغت في نفي الشاعرية عن شعرهم، حتى نسي الناس أنهم شعراء، ونسيت الأيام والمطابع أعمالهم الشعرية، وهي تحتفي على مر الأيام، بما أنجزته عقولهم الجبارة من فرائد الفكر والنقد والأدب.



عمرو طه
قاص مصري

أسوأ ما قد يُصيب الإنسان أن يفقد شهيته في القول، في الضحك، في إظهار ردات الفعل، أسوأ ما قد يُصيبه أن يموت حيًا.

إميل سيوران

ثق دائمًا بأنك حين تذهب إلى الله مكسور الجناحين تعود مُحلقًا.

جلال الدين الرومي

أتدري ما هو الخُلق عندي؟ هو شعور المرء أنه مسؤول أمام ضميره عما يجب أن يفعل. لذلك لا أُسمي الكريم كريمًا حتى تستوي عنده صدقة السر وصدقة العلانية، ولا العفيف عفيفًا حتى يعفّ في حالة الأمن كما يعف في حالة الخوف، ولا الرحيم رحيمًا حتى يبكي قلبه قبل أن تبكي عيناه.

المنفلوطي

على الإنسان أن لا ينبش في الذاكرة إذا أراد أن يعيش سعيدًا

دوستويفسكي

في الحياة إن لم تتعلم من الضربة الأولى فأنت تستحق الثانية

نجيب محفوظ

يقضي الناس معظم أوقات حياتهم يأكلهم القلق على أمورٍ لن تحدث.

موليير

هبة محمد أبو الفتوح
باحثة وكاتبة



المثالية في التعامل بين الزوجين

عنى الإسلام بالأسرة عناية عظيمة لحمايتها من التفكك والتصدع والانهيار، وذلك باعتبارها اللبنة الأولى للمجتمع المسلم. ومن أجل دوام الاستقرار الأسرى، شرع الإسلام عدة تشريعات لضبط العلاقات الأسرية، مما يشجع على تماسكها وترابطها، لذلك حرص الإسلام على استمرار رابطة الزوجية، ووضع الأسس والضمانات التي تساعد على ذلك.

فعمل على توزيع المسئوليات والمهام بطريقة عادلة بين الزوجين، وأمرهما بحسن المعاملة والاحترام المتبادل لبعضهما البعض، مما يمهد لبيئة أسرية آمنة مستقرة، يتلقى فيها الأبناء التربية الجسدية والعقلية والروحية والنفسية، وتغرس فيهم مكارم الأخلاق، ومشاعر المحبة والمودة والرحمة، فتصبح سجية راسخة، وجبلة ملازمة مدى الحياة، مما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير والتقدم والازدهار[1].

حسن المعاملة بين الزوجين

لحسن المعاملة أثر عظيم في تقوية العلاقة بين الناس بل حتى فيمن كان بينهم عداوة، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت: ٣٤)

فما بالنا إذا كانت العلاقة بين الزوجين، خاصة أن هناك توجيه من الخالق -عز وجل- لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ (النساء:١٩)، وقول النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (أخرجه الترمذي)، وقوله ﷺ: «واستوصوا بالنساء خيرا...» (أخرجه البخاري)، وهذا ليس لأن الرجل له القوامة فقط، بل لأنه إذا قام الرجل بواجبه تجاه زوجته كاملا، وعاملها معاملة حسنة فإن المرأة مهما كان بها من اعوجاج سوف تقابل هذه المعاملة الحسنة بالمثل، كما أن المرأة سريعة التأثر والاستجابة تجاه المواقف النبيلة والمشاعر الطيبة لغلبة العاطفة عليها، مما يؤكد دور الرجل الكبير في إصلاح شأن الأسرة واستقامتها واستقرارها وقوة تماسكها. لقد جعل الله -سبحانه وتعالى- للاستقرار الأسرى أهمية في الحياة، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١).

والأسرة المستقرة هي عبارة عن وحدة حية مكونة من مجموعة من أفراد (الزوج والزوجة والأولاد) تتفاعل مشاعرهم وتتحد أمزجتهم وتنصهر اتجاهاتهم وتتفق مواقفهم وتتوحد غاياتهم، وتكون المودة والرحمة هي المظلة التي يستظل بها الجميع، ومن ثم يستطيع أن يلعب أفراد الأسرة المتماسكة المستقرة دورا هاما في إحداث التنمية التي يستهدفها أي مجتمع ينشد التقدم[٢].

متطلبات حسن التعامل بين الزوجين

مما له أثر كبير في حسن المعاملة بين الزوجين: طاعة المرأة لزوجها، ولكن يجب على الزوج أن يكون طلبه من المرأة بطريقة رقيقة رفيقة مما يدعو الزوجة إلى الاستجابة لطلبه عن طيب نفس ورغبة أكيدة في فعل ما يريده، بخلاف ما لو كان هذا الأمر بطريقة فظة مصداقا لقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩)، لكن يجب أن يكون الطلب سواء للزوج من زوجته أو للزوجة من زوجها، يكون بالرفق لقول النبي ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (أخرجه مسلم). كما أن من أوجه المعاملة الحسنة بين الزوجين: معرفة الرجل لطبيعة المرأة، وقد بين رسول الله ﷺ هذه الطبيعة مخاطبا الرجال مع التوصية بها خيرا «واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج..» (أخرجه البخاري). والمقصود من هذا الحديث النبوي الشريف، فهم طبيعة المرأة العاطفية، لأن العناية بالأطفال تتطلب ذلك، وليس في ذلك أي نقص من قدرها ومكانتها، بل تنويه للرجل حتى لا يطلب منها أن تكون مثله، لأن ذلك ينافي وظيفتها، كما أن الضلع طبيعة وظيفته هي حماية القلب والصدر وهذا يتطلب اعوجاجه، فتشبيه المرأة بالضلع لتقريب المعنى، فالضلع إذا استقام لا يؤدى مهمته، وكذا المرأة إن كانت مثل الرجل لا تستطيع أداء مهمتها، والتي في جوهرها تتعلق بالطفل الذي يحتاج إلى العطف واللين، والذي جعله الله -جلت قدرته- في أصل خلق الأنثى. فها هو رسول الله ﷺ يسامح إحدى زوجاته على ما بدر منها على الرغم من حدوثه أمام ضيوفه فيتجاوز عن ذلك مراعاة لغيرتها، عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصفحة فيها طعام إلى النبي ﷺ فضربت التي في بيتها النبي ﷺ يد الخادم فسقطت الصفحة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصفحة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصفحة، ويقول: «غارت أمكم ثم حبس الخادم حتى أتى بصفحة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصفحة الصحيحة إلى التي كسرت صفحتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت» (أخرجه البخاري)[٣].

لقد استمدت الأسرة المسلمة أسباب استقرارها من هدى القرآن الكريم وتعاليم النبي ﷺ فظلت الأسرة المسلمة عبر مراحل التاريخ الإسلامي تتمتع بقسط وافر من القيم الإسلامية، قيم التراحم والتعاطف والتآلف والتكافل، وقيم الإحسان والتعاون على البر والتقوى، وقيم احترام الزوج لزوجته والزوجة لزوجها، واحترام الكبير والعطف على الصغير، وقيم الإيثار والمحبة والكلمة الطيبة، ومن ثم كان لها دورها الفاعل في حياة الأسرة فالمجتمع فالأمة.

المراجع

١- د. قمر محمد بخيت العجوز، دعم الاستقرار الأسرى في القرآن الكريم، المؤتمر الدولي القرآني الأول: توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة، جامعة الملك خالد - كلية الشريعة وأصول الدين عام ٢٠١٦م، ص٦.

٢- محمد حسن محمد عبيد، تصور مقترح لدور أخصائي خدمة الفرد بمحاكم الأسرة، رسالة ماجستير-كلية التربية بجامعة الأزهر بالقاهرة، ص١٢.

٣- شادية الصادق الحسن، المعاملة الحسنة وأثرها في الاستقرار الأسرى، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - معهد العلوم والبحوث الإسلامية عدد يونيو ٢٠٢٢م، ص٦٢.

صابر علي عبد الحليم
دكتوراه الفلسفة الإسلامية



العنف الأسري

يجب على المربي أن يتنبه للمرحلة العمرية التي يعيشها الطفل؛ إذ نرى في كثير من الأحيان الأب، أو الأم، أو أحد أفراد العائلة يعنف الطفل الذي لا يميز فيعامله بقسوة وشدة، وكأنه يعي، أو يدرك ما يفعل؛ مما يكون سببا في ضربه، أو تعنيفه.

وإذا كان لفظ الضرب للأطفال قد ورد في الحديث الذي قال فيه رسول اللّه ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»[1]، فالضرب هنا من جنس الضرب بالسواك، الذي يكون سببه التهذيب والاستقامة، وهو نوع من الترويض وإظهار العتاب واللوم وعدم الرضا والقبول، وليس الضرب المبرح الذي يؤذي الطفل في جسمه، أو عقله؛ فيؤدي إلى تلفه، وتعطله دراسيا.

يقول ابن خلدون مبينا أن استعمال العنف والقهر مع الطفل مضر به، وبمستقبله وتحصيله الدراسي لآثاره السيئة على النفس؛ فهو

يدفعه إلى التخاذل والجبن والهروب من تكاليف الحياة: «من كان مرباه بالعنف والقهر من المتعلمين، أو المماليك، أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك صارت له عادة وخلقا، وفسدت معاني الإنسانية التي له»[٢].

ومما يجب مراعاته أثناء تقويم اعوجاج سلوك الطفل التدرج في المعالجة من الأخف إلى الأشد، يقول الغزالي: «فكما أن الطبيب لا يجوز له أن يعالج بعلاج واحد مخافة الضرر، كذلك المربي لا يجوز أن يعالج مشاكل الأولاد ويقوم اعوجاجهم بعلاج التوبيخ وحده؛ مخافة ازدياد الانحراف عند البعض؛ أو الشذوذ عند الآخرين»[٣].

معنى هذا أن يعامل كل طفل على حسب ما يلائمه، وعلى حسب الاعوجاج الذي يراه فيه، فلا يخلط في الدواء عند معالجة الاعوجاج، فلكل اعوجاج، أو انحراف له ما يناسبه من دواء، كأن يبحث عن الباعث الذي أدى إلى الاعوجاج، أو الانحراف، فيتعرف على عمر الطفل، والبيئة التي يعيش فيها، وعاداته وتقاليده، والمستوى الثقافي والاقتصادي للأبوين، ودورهما في حياة الطفل؛ حتى يمكنه من أن يحدد الدواء الذي يدفع الطفل إلى الاستقامة والانتظام والتحصيل الدراسي بعيدا عن أجواء العنف وأضراره.

العنف بين الزوجين

الأصل في العلاقة الزوجية أن تكون قائمة على المودة والرحمة بين الزوجين، لكن قد تتعكر الحياة بين الزوجين، ويكون السبب فيها الزوجة، أو الزوج، فكيف للحياة الزوجية والأسرية أن تعود لما كانت عليه من قبل؟ الجواب: الشريعة الإسلامية عالجت هذه المشكلة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾(النساء:٣٤). وقد تدرج القرآن الكريم في علاجه لداء النشوز إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الوعظ، والوعظ دواء نافع في علاج داء النشوز، ومعناه أن يعظها ويعمل على إقناعها ويتركها وقتا لعلها تراجع نفسها وتتوب وتعود إلى رشدها وذلك بعد أن يذكرها بالآيات والأحاديث التي تحضها على طاعة ربها وطاعة زوجها، فيذكرها ترغيبا وترهيبا، وبما ستؤول إليه الأمور في حالة نشوزها، ثم يأتيها من ناحية الأولاد ومستقبلهم الدراسي، فلعلها بعد فترة يعالج هذا الدواء داء العصيان، فإن لم تعد الحياة الزوجية إلى ما كانت عليه بدواء الوعظ، فلعلها تكون في حاجة إلى دواء الهجر، فله أن يجمع بين دوائي الوعظ، والهجر.

المرحلة الثانية: الهجر، وهو ألا يلبي طلبها في المعاشرة الزوجية، في أن يمنعها نفسه، وعندما يجتمع دواء الوعظ في جانبه الروحي مع دواء الهجر في جانبه الحسي يكون أشد وقعا عليها، فالهجر يكون في المضاجع، كأن يعطيها ظهره، فإن لم يفلح دواء الهجر، فإنه يلجأ إلى الدواء الأخير، وحينئذ يكون قد اجتمع معه أدواء ثلاثة: «الوعظ، والهجر، والضرب».

المرحلة الثالثة: الضرب، وضربها يكون ضربا خفيفا غير مبرح، فلا يكسر لها عظما، ولا يجرح لها جلدا؛ فضرب الزوجة في الشريعة الإسلامية غايته هو تهذيبها وإصلاحها، وحملها على طاعة زوجها، لا المقصود منه إهانتها وإذلالها والتنقيص من قيمتها وشأنها، فهي زوجة وأم - دورها لا يقل أهمية عن دور الزوج في نجاح الأسرة وفلاحها.

ومن ناحية الزوج، فقد يكون العنف السبب فيه الزوج كأن يضربها لا لأسباب حقيقية، وإنما غاية الضرب هو الانتقام منها، أو من أهلها، أو حملها على ارتكاب معصية، فلا يكون الضرب مباحا، ويعاقب عليه الزوج لضربه زوجته من غير سبب شرعي.

فعلى الزوجة حينئذ أن ترفع أمرها إلى القاضي؛ ليرفع عنها العنف الواقع من قبل الزوج، يقول الطاهر بن عاشور: «يجوز لولاة الأمور إذا علموا أن الأزواج لا يحسنون معاملة أزواجهم، ووضع العقوبات الشرعية مواضعها، ولا الوقوف عند حدودها أن يضربوا على أيديهم استعمال هذه العقوبة، ويعلنوا لهم أن من ضرب امرأته عوقب؛ كيلا لا يتفاقم أمر الإضرار بين الأزواج، ولا سيما

عند ضعف الوازع الديني»[٤].

ومما يعد علاجا مهما لما يمكن أن يكون سببا في العنف الأسري، هو أن يشبع كل منهما حاجة الآخر؛ فإشباع الرغبة للزوجين لا يقل أهمية عن الحاجة إلى الطعام والشراب، فإن امتنعت الزوجة عن زوجها، أو الزوج عن زوجته حيث إن كل منهما يريد استفزازه وإذلاله، فقد عرض نفسه للعنف، واضطراب الحياة الأسرية، إلا إذا كان هناك ما يمنع من المعاشرة لأسباب شرعية من المرض ونحوه.

يقول ابن القيم: «إذا دام احتقان المني، فإنه يحدث أمراضا رديئة منها: الوسواس، والجنون، والصرع، وغير ذلك يبرىء استعماله من هذه الأمراض كثيرا، فإنه إذا طال احتباسه فسد واستحال إلى كيفية سمية توجب أمراضا رديئة»[٥].

فالأمراض الثلاثة كلاهم شر يضرب الحياة الزوجية والأسرية في مقتل، فإن لم يتنبه الزوجان لهذا الأمر فقد عرضت الحياة الزوجية للخطر.

ومع كل هذا فلابد وأن يعلم الزوجان أن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة، فلا فرح يدوم، ولا حزن يستمر، وأن الحياة الأسرية تكليف بين الزوجين، بما له من حقوق، وما عليه من واجبات، فلا يركز الزوج على أخطاء زوجته، وكأنه لا يرى لها صوابا أبدا في حياته، وكأنها لم تقدم شيئا، بل عليه أن يفكر فيما قدمته، لا فيما تقدمه، وأن يفهم قول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (النساء: ١٩).

العنف الأسري الموجه للوالدين

اعتنى الإسلام بالوالدين عناية بالغة؛ فقد قرن الله عز وجل عبادته بالإحسان إلى الوالدين، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ (الإسراء:٢٣).

وقد أوصى الإسلام بالوالدين في حسن الصحبة لهما وبرهما خاصة الأم عند الكبر، ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»[٦].

ومنذ أن يعي الإنسان ويدرك مكانة الأبوين في حياته يتعين عليه برهما والإحسان إليهما على الدوام والاستمرار، ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف»، قيل: من؟ يا رسول الله. قال: «من أدرك أبويه عند الكبر، أو أحدهما، أو كليهما فلم يدخل الجنة»[٧].

وقد حذر الإسلام من عقوق الوالدين، واتباع العنف معهما، سواء أكان بالقول، أو بالفعل، ففي الحديث، عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الذنوب يغفر الله منها ما شاء، إلا عقوق الوالدين، فإنه يعجل لصاحبه في الحياة قبل الممات»[٨].

فلتحذر الأسرة العنف؛ فإنه يعكر صفو حياتها؛ ويدفع إلى التأخر والتخلف، مما يؤثر سلبا على مستقبل الأولاد وتحصيلهم الدراسي. ولكي تعيش الأسرة في جو يملأه الحب والتراحم بعيدا عن كل مظاهر العنف وأضراره عليها اتباع المنهج الإسلامي في تربية الأبناء؛ حتى يعرف الأبناء ما لهم من حقوق، وما عليهم من واجبات تجاه آباءهم، وكذلك الآباء، ومن قبل في حسن اختيار الزوجين، وبما لكل على الآخر من واجبات، وما له من حقوق، فإذا ما تم إيصال الحقوق إلى أصحابها في ضوء تعاليم الإسلام وتوجيهاته السمحة؛ أمكن للأسرة بجميع أفرادها أن تنعم بحياة طيبة، وعيش كريم.

الهوامش

١- أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم: (٦٧٥٦).

٢- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق، عبد الله محمد الدرويش، الطبعة الأولى، دار البلخي، دمشق، (٢/ ٣٥٧).

٣- سميرة جميل مسكي، دور المرأة المسلمة في توجيه الأبناء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، محمد على بيضون، (ص: ٢١٦).

٤- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، (٤/ ١١٨).

٥- ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق، محمد بيومي، د. عمر الفرماوي، عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، (٤/ ١٧٢).

٦- أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، حديث رقم: (٥٩٧١).

٧- أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، حديث رقم: (٢٥٥١).

٨- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم: (٧٥٠٦).



اقتصاد

سعيد حسن السعيد
كاتب وباحث

حوالة الحق في القانون المدني الكويتي

حوالة الحق هو اتفاق بين الدائن وشخص آخر يقصد به نقل حق الدائن قبل المدين إلى هذا الشخص ويسمى الدائن المحيل ويسمى الشخص الآخر المحال إليه.

ولحوالة الحق طرفين هما الدائن المحيل والغير المحال إليه، أما المدين فليس طرف في الحوالة، ولذلك فرضاؤه ليس شرطا لانعقادها، وذلك لأن عبء الالتزام لا يتغير بتغيير شخصي الدائن.

وحوالة الحق لها أركان وهي التي تتطلبها القواعد العامة لانعقاد العقود وهي التراضي والمحل والسبب، ومحل حوالة الحق هو الذي يراد نقله إلى المحال إليه.

والأصل أن الحق الشخصي قابل للحوالة أيا كان محله، والغالب أن يكون محل الحق مبلغا من النقود ولكن يجوز أن يكون محله أشياء غير النقود.

فتنص المادة ٣٦٤ من القانون المدني: يجوز للدائن أن يحيل إلى غيره ماله من حق في ذمة مدينه إلا إذا منع من ذلك نص في القانون أو اتفاق المتعاقدين أو طبيعة الالتزام، وتتم الحوالة دون حاجه إلى رضاء المدين. وقد ورد بالمذكرة التفسيرية لنص المادة ٣٦٤ أن حوالة الحق لا يجري على إطلاقه، إذ إن للطرفين الاتفاق على عدم جواز الحوالة كما يحول دونها أن يكون الحق نافيا بطبيعته لمكنة الانتقال إلى دائن آخر، كما هو الشأن في العقود التي ينظر فيها إلى الشخص المتعاقد الذاتية وكذلك قد ينص القانون صراحة على عدم جواز الحوالة لاعتبارات معينة.

وقد جاءت المادة ٣٦٦ لتبين وقف نفاذ حوالة الحق في حق المدين وهو من وقف قبولها من المدين أو إعلانه بها ويترتب على نفاذها في حق المدين حلول المحال له محل الدائن المحيل في نفس الحق المحال به بالحالة التي يكون عليها وقت قبول المدين الحوالة أو إعلانه بها، ويكفي في إعلان المدين بالحوالة لتنفذ في حقه بحصول علمه بأية ورقه رسمية.

فتنص المادة ٣٦٦ من القانون المدني: لا تكون الحوالة نافذة في حق المدين أو في حق الغير إلا إذا قبلها المدين أو أعلنت له، على أن نفاذها في حق الغير بقبول المدين يستلزم أن يكون القبول ثابت التاريخ.

وتطبيقا لذلك أنه قد يقبل المدين بحوالة الحق، ومن ثم تعد نافذة في حقه دون الحاجة إلى إعلانه، وقد لا يقبلها المدين، ومن ثم وجب إعلانه رسميا بها وتنفذ في حقه بعد إعلانه بها وفقا للأوضاع المقررة في قانون المرفقات.

كما أن حوالة الحق قد تكون بعوض للدائن من المحال إليه أو بدون عوض، وهو ما جاءت به المادة ٣٧١ من القانون المدني والتي تنص على:

١- إذا كانت الحوالة بعوض فلا يضمن المحيل -أي الذي أحال الحوالة وأرسلها- إلا وجود الحق المحال به وقت الحوالة ما لم يوجد اتفاق يقضي بغير ذلك.

٢- أما إذا كانت الحوالة بغير عوض فلا يكون المحيل ضامنا حتى لوجود الحق.

ومن أمثلة حوالة الحق بعوض كما لو أن شخصا تعرض إلى حادث سيارة ووقع عليه ضرر وقامت شركة التأمين بتعويضه عن هذا الضرر فيقوم المتضرر -الدائن- بعمل حوالة حق إلى شركة التأمين -المحال إليها- بالرجوع على المتسبب -المدين- بما لحقه من ضرر، ومن ثم ينتقل الحق إلى المحال له -شركة التأمين- بما يلازم هذا الحق من صفات وخصائص وما يلحقه من توابع.

حاصل ما تقدم أنه يجوز للدائن أن يحيل للغير ما له في ذمة مدينة بشرط أن لا يكون هناك نص في القانون أو اتفاق بينه وبين المدين يمنعه من ذلك، كما أن حوالة الحق لا تكون نافذة في حق المدين إلا إذا قبلها أو أعلنت له على النحو المتقدم.

حسن عباس
محرر صحفي



التربية واليوم العالمي للتعليم

التعليم حق من حقوق الإنسان في شتى بقاع الأرض، وصالح عام ومسؤولية عامة، وانطلاقاً من هذا السياق، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعلان يوم ٢٤ يناير يومًا دوليًا للتعليم، احتفاءً بدور التعليم من أجل تحقيق السلام والتنمية، وتأكيدًا على دوره الأساسي في بناء المجتمعات وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

والتعليم في الكويت من أهم المجالات التي ترعاها الدولة حيث يشكل الإنفاق على التعليم ما نسبته ٣,٨٪ من إجمالي الناتج القومي للدولة، وقد نصت المادة الأربعين في الدستور الكويتي على أن التعليم حق للكويتيين، تكفله الدولة وهو إلزامي حتى إنهاء المرحلة الثانوية، وقد شهدت الكويت صحوة في التعليم منذ تأسيس المدرسة المباركية عام ١٩١١م، والتي تعد أول مدرسة نظامية في تاريخ الكويت.

والحق في التعليم منصوص عليه في المادة ٢٦ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ويدعو الإعلان إلى التعليم الابتدائي المجاني والإلزامي، فبدون تعليم جيد ومنصف وشامل للجميع لن تنجح البلدان في تحقيق التقدم وكسر حلقة الفقر التي تترك ملايين الأطفال والشباب والكبار وراء الركب.

أهداف اليوم العالمي للتعليم

- تحقيق أهداف التنمية المستدامة:

في عام ٢٠١٥ تبنّى المجتمع الدولي خطة التنمية المستدامة للعام ٢٠٣٠، وأقرّ فيها بأن التعليم هو شرط أساسي لنجاح أهداف هذه الخطة التي يعتبر أحد أهدافها الرئيسية العمل على توفير فرصة التعلم الجيد والشامل للجميع على حد سواء (الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة). فالتعليم يعتبر الطريق لبناء التنمية المستدامة وأيضا اللبنة الأولى لبناء مجتمعات قوية تستطيع الصمود في مواجهة التحديات.

- تحسين مستوى التعليم:

من إحدى أهداف اليوم العالمي للتعليم العمل على تحسين جودة ومستوى التعليم بمختلف مراحله، والعمل أيضا على حماية حقوق الطلاب والكوادر التعليمية على حد سواء.

- الدعوة للتكاتف والتضامن الدولي:

بعد تفشي جائحة كورونا مسببة الهلع في العالم، ترتب على إثرها إغلاق المدارس والجامعات وكافة المؤسسات التعليمية، وأيضا توقفت برامج تعليمية أخرى كمحو

الأمية وغيرها مؤشرا هذا على ملايين الطلاب في كل أنحاء العالم. كل هذا يستدعي ضرورة تكاتف الجهود الدولية للوصول لمجتمعات أكثر استدامة وقادرة على النهوض بعد جائحة كورونا.

- حل مشكلة الفقر بالتعليم:

يهدف اليوم العالمي للتعليم إلى تسليط الضوء على أهم المشاكل في كثير من بلدان العالم وخصوصاً بلدان العالم الثالث بشكل غير مباشر، ومن أهم هذه المشاكل الفقر. حيث يلاحظ الارتباط الوثيق ما بين الأمية والفقر في هذه المجتمعات، حتى تكاد تتساوى المعادلة (فقر = أمية وجهل).

المدرسة «المباركية» باكورة التعليم الأساسي في الكويت

وتعد المدرسة المباركية باكورة التعليم النظامي واللبنة الأساسية التي ارتكز عليها التعليم الحديث في دولة الكويت، فقد شكل يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩١١م نقطة تحول رئيسية في الحركة التعليمية في الكويت بإنشاء المدرسة المباركية.

ففي ذلك اليوم فتحت المدرسة المباركية أبوابها أمام طلبة العلم من أبناء دولة الكويت لتلقي تحصيلهم العلمي وفق أسس جديدة فرضتها متطلبات العصر والحداثة والنمو الذي تشهده البلاد آنذاك.

فقبل إنشاء «المباركية» كان التعليم محدودا عن طريق المساجد والكتاتيب المنتشرة في أنحاء البلاد واختص بحلقات للوعظ وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وفق إمكانيات شيخ الدين «الملا» أو «المطوع».

وأتت فكرة إنشاء المدرسة التي سميت بـ«المباركية» نسبة لأمير الكويت الراحل الشيخ مبارك الصباح، من قبل ثلاثة أشخاص هم: يوسف بن عيسى القناعي والشيخ ناصر المبارك الصباح وياسين الطبطبائي الذي كان أول من أثار فكرة إنشاء مدرسة بنمط حديث لتعليم الطلاب خاصة بعد النمو الاقتصادي الذي شهدته الكويت في مجال تجارة اللؤلؤ والسفر في بدايات القرن العشرين والحاجة لمتعلمين من ذوي المهارات العالية في القراءة والكتابة وإتقان لغات أجنبية.

في البداية قامت المدرسة على مساهمات وتبرعات من أهالي الكويت بالإضافة إلى تحصيل رسوم دراسية رمزية من الطلبة الذين بلغ عددهم عند افتتاح المدرسة ٢٥٤ طالبا، ولم يختلف المنهج التعليمي للمرحلة التأسيسية بالمدرسة عن نظام «الكتاتيب» المعمول به سابقا، إلا أنه تطور لاحقا بإضافة مناهج جديدة وأكثر اتساعا إضافة إلى إقامة النشاطات العلمية والثقافية والرياضية.

وفي عام ١٩٣٦م تم تشكيل أول مجلس للمعارف برئاسة الشيخ عبدالله الجابر الصباح رحمه الله وعضوية ١٢ من رجال الكويت للإشراف على العملية التعليمية وتعزيز التعليم النظامي في البلاد والبت في مناهج الدراسة وتعيين مدراء المدارس وتقرير شؤون البعثات وتعيين أعضائها وانتخاب المرشحين ووضع اللوائح القانونية والأنظمة الخاصة بإدارة المعارف.

وفي إطار النظام الجديد تم في ذلك العام ضم المدرسة المباركية تحت الإدارة الحكومية المتمثلة بمجلس المعارف الذي كان نواة لوزارة التربية فيما بعد، واستمر التدريس في المباركية حتى عام ١٩٨٥م ليتحول مبنى المدرسة بعد ذلك إلى مقر للمكتبة المركزية في الكويت.

ولعبت المدرسة المباركية دورًا مهمًا وكبيرًا في نشر الثقافة والعلم كونها أول مدرسة نظامية في الكويت. ولم يكن تأثيرها مقتصراً على الطلبة بل امتد ليشمل أعضاء المجتمع، حيث كانت تحيا فيها المناسبات الدينية وتقام المحاضرات والمواعظ الإسلامية.

لقد شكلت مدرسة المباركية حجر أساس قامت عليه تجربة التعليم النظامي في دولة الكويت من حيث وضع المناهج وخطط التدريس وإقرار الأهداف التربوية والتعليمية وإرساء نظم إدارة البرامج التعليمية وإدارة شؤون الطلاب من أجل الدفع بعملية التنمية والتطوير فكانت نافذة في العلم والأدب والثقافة والتنوير.



علاء عبد الفتاح
كاتب وصحافي



د. فهد الجنفاوي

معرض بالأوقاف الكويتية للنساء فقط

أسعد إنجاز.. يبهج كل البيوت

تحت رعاية الوكيل المساعد لشؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية د. فهد الجنفاوي أقام نادي مسرة عن ملتقى موظفات القطاع معرض أسعد إنجاز.
وذلك في الفترة من ١٨ إلى ٢٢ ديسمبر الماضي في بهو وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمنطقة الرقعي .. الفاعلية كانت مخصصة للنساء فقط ولكن هذا لا يعني ألا تلتفت إليها الوسائط الإعلامية فهن كما هو معروف نصف المجتمع كما أن النشاط المعروض مكثف ويدعو إلى الاستبصار بهذه الجهود المباركة التي تصب في إصلاح بيوتنا وتربية أبنائنا على النحو الذي يرضي الله .

«لوعي الإسلامي» تابعت «أسعد إنجاز» وماقدمه من مشاريع وأفكار إبداعية ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما تم الإعلان عنه كنشاط لمركز سعد العبد الله دار القرآن (نساء- صباحي) تحت إدارة فاتن السويط من خلال مشروع تقني يهدف فيما يهدف إلى تنظيم الفصول الدراسية وإضافة ملاحظات السلوك للطلاب وإنشاء مخطط تصنيف وتسجيل درجاتهم وقد أطلق على هذه المشروع **teacher Kit** كما لاحظنا الإعلان عن مشروع آخر لنفس المركز تحت عنوان برنامج **Trello** الهادف إلى رقمنة مفيدة للعمل الورقي التقليدي كذلك ثمة مشاريع واعدة تم إطلاقها تحت عناوين: مهارات التميز للعمل الجماعي، واتلوها صح في المقرأة الالكترونية ودليل الطالب المستجد وأخيرا بوابة سعد العبد الله الالكترونية. ولأن «أسعد إنجاز» مرتبط بـ «قلوب تواقة» بحثا عن نشاط هذه القلوب فوجدنا قناة على التليغرام عامرة بالدورات الشرعية المفيدة والنشاطات التفاعلية التي من شأنها أن تفيد النساء في أماكن عملهن أو في بيوتهن وهو لاشك

جهد محمود .

وشهد بهو وزارة الأوقاف أيضا استعراضا لنشاط السراج المنير بالعارضية من خلال فريق ارتقاء تحت مظلة قسم الارتقاء والتطوير والتدريب، وهي فكرة وإشراف نجاح الديحاني وتحت إشراف فاطمة المخيال وفي ركن آخر من المعرض تم تخصيصه لمسابقات نادي مسرة كانت البالونات الملونة تضفي جمالا وبهجة إلى المكان يعلوها كلمات محفزة هي شارك واربح واستمتع.



على الجانب الآخر ثمة ركن لأترجة مسفر جالي المطيري (نسائي صباحي) مع شاشة تعرف الحضور بنشاط الأترجة وهو نشاط مفيد قدم ومازال يقدم الحافظات لكتاب الله ولو أردنا ذكر كل المراكز المشاركة في معرض اسعد إنجاز وما تقدمه من خير لاتسع المقال وفاض الشعور على الحال لكن العزاء أن مجرد كتابة هذه الأسماء على محرك البحث تدل على الطريق لمن يريد لأهل بيته نشاطا نافعا فمن هذه المراكز: عبد العزيز النغميشي وصباح الناصر ويوسف الغانم والفردوس والقصر وعواطف العذبي وسراج جابر الأحمد.

وقد نقلت «جريدة تعليم» عن الوكيل المساعد لقطاع شؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية د.فهد الجنفاوي أن حملة «أسعد إنجاز» للفصل الدراسي الأول انطلقت في مراكز دور القرآن الكريم والأترجة والسراج المنير وحلقات التحفيظ للعام الدراسي الحالي ٢٠٢٢-٢٠٢٣م.

كما استقبل قطاع شؤون القرآن الكريم الدارسين والطلبة والطالبات الجدد الراغبين بتعلم العلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم من خلال مراكزه المتعددة والمنتشرة في مختلف المحافظات.

وإن من المراكز المتميزة بالوزارة مركز القارئ الصغير الذي يستقبل الطلبة في أعمار من ٥ إلى ١٠ سنوات، ومراكز السراج المنير من ٧ إلى ١٤ سنة، بينما دور القرآن الكريم والأترجة من ١٦ عاما فما فوق.

وأوضح الجنفاوي في تصريحه الصحفي أن هذه المراكز تستقبل الطلبة في الفترتين الصباحية والمسائية، مشيرا إلى أنها تعطي الدارسين القدر الكافي من الثقافة الشرعية إضافة إلى تعلم القرآن الكريم انطلاقا من قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، لافتا إلى أن الدراسة في تلك المراكز المختلفة تسهم في تقويم اللسان ومخارج الحروف بالنسبة للطلبة الصغار علاوة على تعلم القراءة الصحيحة وأن في مراكز دور القرآن الكريم يتعلم الطلبة كل ما يهمهم فيما يتعلق بالفقه والعقيدة والحديث الشريف، وغيرها من العلوم الشرعية التي لا يستغني عنها المسلم.

ولفت إلى أن مراكز الأترجة التي تعتبر من المراكز المتميزة يتعلم فيها الطالب مخارج الحروف والقراءة الصحيحة حتى يتمكن من حفظ القرآن الكريم كاملا والحصول على السند المتصل إلى النبي ﷺ.

فالحمد لله أن دولة الكويت تقدم كل نشاطات هذه المراكز المشعة أمام الراغبين بالمجان في مراكز دور القرآن الكريم والأترجة للرجال والنساء وتفتح أبوابها لمختلف الجنسيات، فلا يتحمل فيها الطلبة أو أولياء أمورهم أي تكاليف مالية بل على العكس فإن الطلبة المتفوقين يحصلون على مكافآت مالية إضافة إلى ممارسة الأنشطة الثقافية المختلفة التي تنمي مداركهم وتكسبهم العديد من المهارات التي تعينهم في الحياة.

وفي الختام لعله من المفيد التذكير بأن إدارة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن الكريم لمحافظتي الأحمدي ومبارك الكبير قد أقامت البرنامج الثقافي لنشاط المصلى المكثف للموظفات لمدارسة وحفظ سورة البقرة تحت إشراف هذا الملتقى المبارك أي ملتقى: «قلوب تواقة».

د. راوية نور الدين عتر
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة
دمشق



تحيتهم سلام

إن الله تعالى شرع لعباده من الأحكام ما من شأنه أن يقيم الوئام والوداد في حياتهم، وينشر الصلات الجميلة بينهم، ومن ذلك تشريع إفشاء السلام.

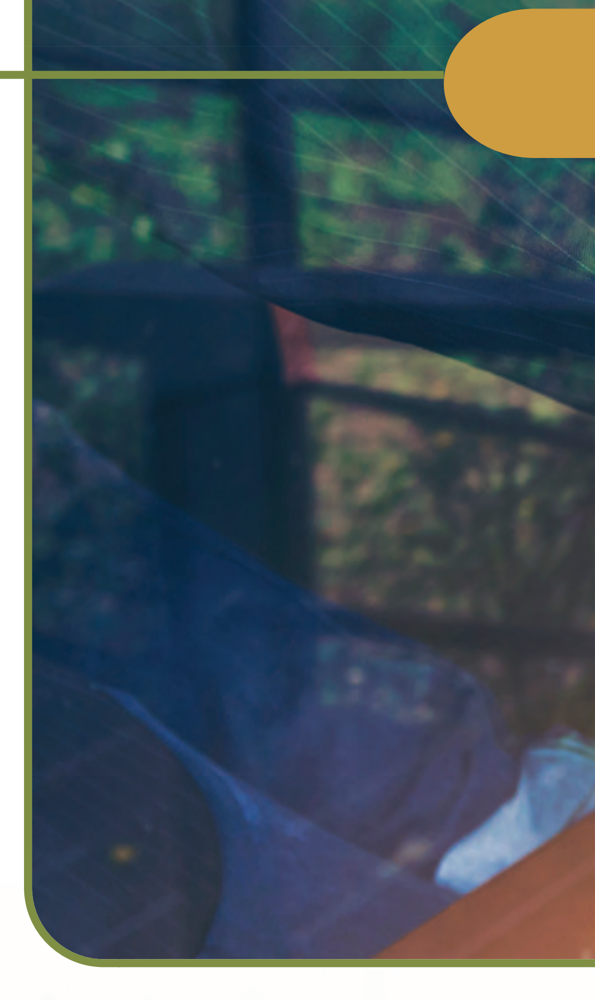
«عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١].

في هذا الحديث الشريف يقسم النبي ﷺ قسما مؤكدا لما يقوله، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان مؤمنا، ثم يرشدهم إلى ما فيه كمال الإيمان وصلاح الحال في الإيمان وهو التحابب والتوادد بينهم، ثم دلهم على مفتاح هام للمحبة والمودة، وهو إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرف منهم ومن لم يعرف، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس والتواضع وإعظام حرمات المسلمين.

والسلام في الأصل من السلامة والعافية، وهو دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات والبلايا في نفسه ودينه ودنياه، ولذلك سميت الجنة دار السلام، فلا نقيصة فيها ولا ضر ولا مرض، والسلام تحية المسلمين التي فضلوا بها على غيرهم من الأمم، وقد ورد أن تحية النصارى كانت: وضع اليد على الفم، وتحية اليهود الإشارة بالإصبع، أما المجوس فالانحناء، وأما العرب فقولهم «حياك الله»، وملوكهم: «أنعم صباحا»، واختص الله تعالى أمة الإسلام بتحية: (السلام عليكم) وهي أشرف التحيات وأكرمها، وقد ورد «عن عائشة، عن النبي ﷺ، قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على السلام والتأمين»[٢]، مما يدل على أن السلام شرع لأمتنا دونهم.

وقد وردت الأحاديث الشريفة بالترغيب بالسلام على عموم المسلمين، جاء في الحديث الشريف: (تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[٣]، لأن المؤمنين إخوة كلهم، متساوون في حقوق الأخوة الإيمانية العامة، والسلام بينهم إنما هو لله تعالى لا لحظ نفس أو هوى أو غرض خاص، فلا يخص به أصحابه وأحبابه، بل يفشيه وينشره، وهذا لتأليف القلوب وجمع الكلمة بين المسلمين كلهم.

وتحية السلام مكرمة عظيمة وأدب جميل شرعه الله تعالى لنا وبين لنا كيفيته، فصيغته المشروعة: «السلام عليكم»، والصيغة الأفضل



لابتداء السلام: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وأفضل صيغ الرد: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»، ويستحب في رد السلام الزيادة على الابتداء أخذا من الآية الكريمة ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ (النساء:٨٦) ولكن اختلفوا إن كان ابتداء السلام بقوله «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» فهل تشرع الزيادة في الرد أم لا؟ وكذلك هل تشرع الزيادة في الابتداء؟ في هذا قولان: الاقتصار على الصيغة الواردة دون زيادة، ويؤيده قول ابن عباس رضي الله عنه: «انتهى السلام إلى البركة»، وجاء رجل إلى بن عمر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فقال حسبك إلى وبركاته، والقول الآخر، جواز الزيادة أخذا من الآية السابقة، وجاء عن زيد بن ثابت أنه كتب إلى معاوية السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته وطيب صلواته. وروي في الزيادة أحاديث ضعيفة إذا انضمت قوي ما اجتمعت عليه من مشروعية الزيادة على «وبركاته» والله أعلم.

ومن جميل ما ورد في تنفيذ الصحابة لهذا التشريع الرباني العظيم ما جاء عن صديق الصحابي المؤتسي برسول الله ﷺ عبدالله بن عمر، صديقه الطفيل بن أبي بن كعب الذي أخبر أنه كان يأتي عبدالله بن عمر فيغدو معه إلى السوق قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبدالله بن عمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا يسلم عليه قال الطفيل فجئت عبدالله بن عمر يوما فاستتبعني إلى السوق فقلت: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق فاجلس بنا هاهنا نتحدث فقال لي: عبدالله يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن[٤] إنما نغدو من أجل السلام على من لقينا»[٥].

وهذا الحديث الموقوف فيه تأكيد حرص شديد من سيدنا ابن عمر على إفشاء السلام، وقد بلغنا ذلك صديقه بصورة واضحة مفصلة تماما، فهو يخبر أنه ما كان يدع بائع سقط، ولا صاحب صفقة، ولا ذا حاجة، ولا أحدا أبدا إلا سلم عليه، وأنه استغرب ذهابه إلى السوق رغم أنه لا يشتري متاعا، ولا يسأل عن ثمن شيء وقيمته، ولا يتنزه ويتفرج، فطلب منه المكث في مكانهم الذي كانوا فيه وعدم الذهاب، فكان ذلك الجواب المعبر عن صورة من أبهى صور اتباع تعاليم الدين، وهو أنه إنما يذهب للسوق وهو محل غفلة عن الله وشغل بالدنيا لمطلوب أسمى وغرض أرقى وهو السلام على من فيها، المتضمن لذكر الله تعالى في ذلك المكان البعيد عن ذكر الله، وإفشاء السلام المستتبع لاستجلاب المودة والألفة، وتحصيل فضيلته سواء بالابتداء أو الرد، وفعله هذا في عموم السلام معبر عن أصل كبير في السنة، لأن القصد من مشروعيته تحصيل الألفة، وبالتخصيص لا يحصل ذلك.

وقد بينت الأحاديث الشريفة أحكاما وآدابا تتصل بالسلام على أتم وجه، وذلك كله ضمن تشريع ما فيه زيادة تآلف قلوب المسلمين وتوادهم وجمع كلمتهم، رحمة من الله تعالى بهذه الأمة.

ألا فليحرص المسلم أن يكون حقا أخا للمسلم، يدخل على حياته السرور والحبور، أما قولنا إن عليه البعد عن مجافاته وإيذائه فهو من البديهيات التي صرنا بحاجة لها في هذا الزمن!

الهوامش

١- صحيح مسلم: (٥٤)
٢- سنن ابن ماجه: (٨٥٦).
٣- صحيح البخاري: (١٢).
٤- خاطب ابن عمر صديقه بقوله «يا أبا بطن» ملاطفة، لأنه كان كبير البطن، لا لأنه صاحب أكل كثير.
٥- الموطأ: كتاب السلام: (٦)، والأدب المفرد: (٢٣٦).



جاسم الجاسم
كاتب وباحث

الشتاء غنيمة العابدين

بين فصلي الخريف والربيع يدخل الشتاء بأجوائه الباردة والماطرة، معلنا عن تغير مناخي وتبدل درجات الحرارة وساعات الليل والنهار.

ومع حلول الشتاء الذي يعد أبرد فصول السنة يصبح اليوم أقصر في النهار وأطول في الليل، في حين أن درجات الحرارة تنخفض إلى أرقام متدنية تصل إلى ما دون الصفر المئوي على بعض المناطق في العالم.

ويشهد فصل الشتاء إضافة إلى هطول الأمطار التي تروي الزرع وتحيي الأرض وتملأ السدود والوديان، تساقط الثلوج وتراكم الجليد في الكثير من بلدان العالم خصوصا المتميزة بأجوائها الباردة.

وجاء ذكر لفظ الشتاء في القرآن الكريم في سورة قريش. قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣﴾ (قريش: ١ - ٣).

وكذلك ورد لفظ البرد في القرآن الكريم في سورة النور، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ (النور: ٤٣).

وجاء ذكر الشتاء في الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا. فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير». مسلم (٦١٧) والبخاري (٣٢٦٠).

وعن عامر بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة». أخرجه الترمذي (٧٩٧)، وأحمد (١٨٩٧٩)، وابن خزيمة (٢١٤٥)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (٨٤٥٤).

ولا شك أن تبدل فصول السنة ما بين خريف وشتاء وربيع وصيف آية من آيات الله ودليل على عظمته سبحانه وتعالى. ولعل أكثر ما يميز الشتاء لياليه الطويلة ونهاره القصير جدا، والذي يكاد يكون منعدما خصوصا في بعض المناطق في القطبين الشمالي والجنوبي.

ويمثل الشتاء موسم العبادات والأعمال الصالحات إذ يغتنم الكثيرون هذا الفصل في قيام الليل الطويل وصيام النهار القصير والصلاة وقراءة القرآن وغيرها من ذكر وقربات. وهذا ما يجب على كل مسلم أن يقوم به في استثمار الأوقات واستغلال أفضل الفرص في العبادة والعمل الصالح فعله لا يدرك الشتاء القادم.

يقول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الشتاء غنيمة العابد». أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٤٦٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١/ ٥١).

محمد فيض خالد
عضو اتحاد كتاب مصر



عود خميس الفزيع في ذمة الله

ودعت الكويت منذ أيام أحد رجالات العمل الخيري المعدودين، ووجهًا لامعًا من أولئك القلائل الذين أثروا الساحة الإنسانية بجهودهم الإغاثية الوافرة، والتي انطلقت في عنفوان تطوف مشارق الأرض ومغاربها؛ بحثا عن أصحاب الحاجة من فقراء العالم المعدمين، إنه العم الشيخ: (عود خميس الفزيع) يرحمه الله، والذي وافته المنية يوم الجمعة (٢) نوفمبر (٢٠٢٢م)، بعد إلقائه لخطبة الجمعة من مسجده في منطقة خيطان بالكويت.

ومآثر الفقيد أكثر من أن تحصى، كونه من أعلام الرعيل الأول المؤسس للحركة الخيرية الحديثة، ومن بناة نهضتها منذ إنشائه «لجنة زكاة كيفان» الشهيرة عام: (١٩٧٠م) وحتى انطوائها تحت مظلة «جمعية النجاة الخيرية»، بعد إشهارها عام: (١٩٨٦م)، لتبدأ ملامح مرحلة جديدة من مراحل العطاء أشد أثرا، لتتجاوز حدودها المحلية الضيقة فضاءات عالمية أوسع رحابة، تحمل في مضامينها رسالة الكويت للإنسانية، لتتوج بجدارة في النهاية مركزا للعمل الإنساني، وأن ينادى أميرها الراحل المغفور له الشيخ صباح الأحمد - طيب الله ثراه - أميرا للإنسانية.

لقد كان الفقيد دأبه سباقا متفردا في هذا الميدان، تتشبع روحه بحب الكويت وأهلها، وخاصة أولئك الذين عاشوا على هامش الحياة من الأسر المتعففة، الذين كان لهم من عاطفته نصيبا موفورا، لا تلين عزيمته، ولا تفتر همته، رسالته المساكين، وشاغله الفقراء والمحتاجين.



طاف الراحل سفيرا فوق العادة في ركاب مشاريع الكويت الخيرية، مؤمنا على مسيرتها العامرة في أغلب دول العالم، شاهد عيان على مرحلة فاصلة من تاريخ العمل الميداني، أفنى الرجل حياته عن طيب خاطر بين الجد والسعي؛ يؤازر المعوزين من أهل الفاقة دونما تمييز، مع ما انتهجه طوال مسيرته الحافلة، ومن فوق منبر الجمعة بمسجده في خيطان؛ يستنهض الهمم، ويستفز حماس أهل الخير؛ للمساهمة في تجفيف منابع الفقر، ودعواته الصريحة تقي الإنسانية آفاتها، والتي كانت مبعث فخر، ومحل إشادة وحفاوة داخليا وخارجيا، وعلامة فارقة في التاريخ الخيري للكويت، وإنا حين ننعى الفقيد بهذه الكلمات الموجزة، فإننا نعزي الكويت شعبا وحكومة وقيادة نبيلة، بل ونعزي مساكين الإنسانية، ممن فقدوا رافدا حنونا، وهب عمره لقضاياهم المصيرية، رحم الله الفزيع رحمة واسعة، وعوض الكويت وأسرته خير العوض.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٧٦)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (السرقسطي):

١- السرقسطي (ت: ٣٠٢هـ):

هو أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، عالم بالحديث واللغة، رحل مع أبيه من سرقسطة إلى مصر ومكة، من أبرز مصنفاته: (الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل)، مات قبل إتمامه، وأكمله أبوه وقد عاش بعده، و(شرح غريب الحديث ومعانيه)، توفي بسرقسطة[1].



٢- السرقسطي (ت: ٣١٣هـ):

هو أبو القاسم ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف العوفي السرقسطي، من حفاظ الحديث.

من أبرز مصنفاته: أكمل كتاب (الدلائل) لابنه، في شرح ما أغفله أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث، وكان قد بدأ به ابنه (القاسم) فأتمه ثابت، توفي بسرقسطة(٢).

٣- السرقسطي (ت: ٤٤٨هـ):

هو عبد الله بن أحمد السرقسطي، عالم في الهندسة والعدد والنجوم، من آثاره: (رسالة في حركات الكواكب وتعديلها)، توفي بمدينة بلنسية(٣).

٤- السرقسطي (ت: ٤٥٥هـ):

هو أبو الطاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد السرقسطي الأندلسي الأنصاري، عالم بالقراءات.

من أبرز مصنفاته: (العنوان في قراءات السبعة القراء)، و(إعراب القرآن)، مات بسرقسطة(٤).

٥- السرقسطي (ت: ٥٣٥هـ):

هو أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري السرقسطي الأندلسي، مؤرخ، إمام الحرمين، جاور بمكة زمنا طويلا.

من أبرز مصنفاته: (التجريد في الجمع بين الصحاح الستة)، و(أخبار مكة)، توفي بمكة(٥).

٦- السرقسطي (ت: ٥٣٨هـ):

هو أبو جعفر محمد بن حكم بن محمد الجذامي السرقسطي، فقيه أصولي، عالم بالعربية والأدب، جده ذو الوزارتين محمد بن أحمد، كان صاحب مدينة سالم، واستقر محمد بمدينة فاس، وولي أحكامها.

من أبرز مصنفاته: (شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي)، وتصانيف في الجدل والعقائد، توفي بتلمسان(٦).

٧- السرقسطي (كان حيا: ١٠٨٨هـ):

هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي السرقسطي.

من أبرز مصنفاته: (الهبة والعطا في شرح العقيدة الوسطى) للسنوسي، أتمها سنة: (١٠٨٨هـ)(٧).

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (١٧٤/٥) ومعجم المؤلفين (٩٦/٨).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (٩٧/٢) ومعجم المؤلفين (٩٩/٣).

٣- انظر: معجم المؤلفين (٢٤/٦).

٤- انظر: الأعلام للزركلي (٣١٣/١).

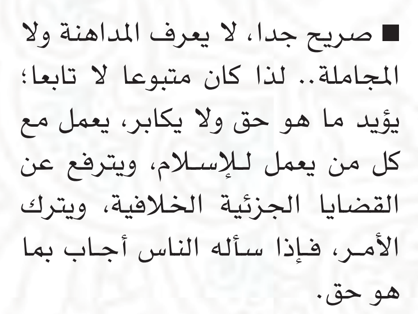
٥- انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٢٠) ومعجم المؤلفين (١٥٥/٤).

٦- انظر: الأعلام للزركلي (١٠٨/٦) ومعجم المؤلفين (٢٦٧/٩).

٧- انظر: معجم المؤلفين (٦٥/١).



هشام الصباغ
باحث لغوي



أبو حنيفة الصغير

الشيخ أمجد الزهاوي

■ صريح جدا، لا يعرف المداهنة ولا المجاملة.. لذا كان متبوعا لا تابعا؛ يؤيد ما هو حق ولا يكابر، يعمل مع كل من يعمل للإسلام، ويترفع عن القضايا الجزئية الخلافية، ويترك الأمر، فإذا سأله الناس أجاب بما هو حق.

■ يكره المتفرنجين ويضيق صدره بالحديث عنهم، لكنه يقرأ ما يصل إليه من كتبهم، ويروي النافع من أقوالهم، ويألف المشايخ وأهل الدين، يجلس حيث يجلسون، ويأكل معهم ما يأكلون.

■ استمر في تحصيله العلمي حتى غدا فقيها حنفيا متمكنا وبارزا بين علماء المسلمين في عصره، وأديبا لغويا بارعا له مشاركاته في كل علم.. قال عنه الشيخ علي الطنطاوي: «بقيت معه أكثر من ٧ أشهر، أجالسه كل يوم ٤ ساعات أو ٥ على الأقل، كان يتكلم فيها، على الغالب، وحده، فما سمعت منه من الأحاديث المعادة أو الآراء المكررة إلا القليل».

■ حديثه يحرك سواكن النفوس، ويبعث الهمة فيها، ويدفعها نحو الخير حيثما وجد وحيثما كان، إذ حباه الله بذهن عجيب نفاذ يخترق كل معضلة علمية، لا بالرأي المقول، بل برأيه هو.

■ كان رئيسا لمجلس التمييز الشرعي العراقي فصدر أمر وزاري بعدم جواز الجمع بين المجلس والتدريس، فترك الرئاسة من فوره واستقال، آثرا التدريس على المنصب؛ فالتدريس وتربية النشء على الفضيلة ومكارم الأخلاق كانا أحب إلى نفسه من سائر الوظائف والمناصب مهما علت.

■ أجمع الشعب العراقي، بمختلف فئاته ومذاهبه، على محبته، وبكى رحيله وبكى فيه الرجولة والعلم والجهاد حتى آخر نفس من أنفاسه الطاهرة.

■ لُقِّب بـ«أبي حنيفة الصغير»؛ لإحاطته بالمذهب، واستيعابه الواسع وإدراكه الذكي لدقائق المسائل الفقهية فيه، حتى قال قائلهم: «لو فقد المذهب الحنفي، واندثرت كتبه، لأملاه الشيخ عن ظهر قلب، من أول أبوابه حتى خواتيمها».. إنه الشيخ الأديب الفقيه العلامة: أبو سعيد أمجد بن الإمام محمد سعيد بن الإمام محمد فيضي الزهاوي ابن الملا أحمد بن حسن بك بن رستم بن خسرو بن الأمير سليمان باشا.

المولد والنشأة

■ لأبوين كريمين، ولأسرة علم وفضل ودين وإفتاء، ولد الشيخ أمجد في مدينة بغداد في النصف الثاني من القرن الـ١٩ (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)؛ أبوه هو الشيخ محمد سعيد كان مفتي بغداد، وكذلك كان جده الشيخ محمد فيضي مفتي بغداد أيضا، وهو ابن الشيخ أحمد بن حسن بيك بن رستم ابن خسرو بن الأمير سليمان باشا (رئيس الأسرة البابانية).

■ أسرته البابانية تعود أصولها إلى أرومة عربية عريقة تتحدر من بني مخزوم، وهم من سلالة البطل العظيم خالد بن الوليد سيف الله المسلول رضي الله عنه.

■ وفي كردستان، التي استوطنتها الأسرة البابانية وكونت فيها إمارة حكمت زمنا طويلا، أنشأ إبراهيم باشا (حفيد رئيس الأسرة) مدينة «السليمانية» التي سماها على اسم جده الأمير سليمان باشا.. وإثر نزاع هاجر بعض أفرادها إلى مدينة «زهاوى» في منطقة كرمنشاه في إيران، وعندما عادوا إلى العراق مرة أخرى نسبوا إلى «زهاوى» فقيل لمنتسبهم «زهاوي».

■ لكن الأسرة الزهاوية سكنت في محلة عريقة من محلات بغداد تدعى «جديد حسن باشا» تقع قريبا من جامع السراي.. وتلك الأسرة أنجبت علماء فضلاء في الفكر والفلسفة والدين والشعر كانوا نجوم علم ومعرفة في سماء العراق كله.. وفي كنف هؤلاء وفي بيئة اجتماعية دينية نشأ الشيخ أمجد يرعاه جده الشيخ محمد فيضي.

■ تلقى الزهاوي بواكير تعليمه على يد والده وجده أولا.. وبالتوازي مع دراسته الابتدائية والإعدادية، انخرط في مجالس العلماء في

بغداد، ينهل من علمهم؛ يستمع إليهم ويحاورهم فيما يشكل عليه، وهم يلقون آذانهم إلى ذلك الفتى الذي غدا بعد ذلك لغويا أديبا وعالما فقيها في الشريعة، يقتنص الشوارد في الفتاوى والأحكام.

■ ثم رحل إلى الآستانة (إسطنبول) عاصمة الدولة العثمانية، ليكمل دراسته الأكاديمية فدرس في مدرسة الحقوق ومعهد القضاء العالي بإسطنبول وتخرج فيه بتفوق عام ١٩٠٦م، ومنحه السلطان عبدالحميد الثاني وسام الشرف، ليصبح قاضيا من الرعيل الأول، واشتغل حاكما في الموصل، ثم نقل إلى بغداد.

حياته العملية

■ بعد عودته من الآستانة عام ١٩٠٦م، عين مفتيا في الأحساء، ثم عضوا في محكمة استئناف بغداد، ثم رئيس محكمة حقوق الموصل، ثم اعتزل الوظيفة، وعمل محاميا، بعد دخول القوات الإنجليزية إلى بغداد، ثم عاد إلى الوظيفة وعمل مستشارا للحقوق في وزارة الأوقاف، وأستاذا في كلية الحقوق العراقية، ثم رئيس مجلس التمييز الشرعي، وكان في الوقت نفسه يدرس في المدرسة السليمانية في بغداد.

■ تجسد النشاط الدعوي للزهاوي بتأسيس الجمعيات الدينية، ويمكننا القول إن الشيخ ترأس كل جمعية خيرية وعلمية وتربوية في العراق، فقد انتخب رئيسا لرابطة علماء العراق، ورئيسا لجمعية إنقاذ فلسطين، ورئيسا لجمعية الآداب الإسلامية، ورئيسا لجمعية «الأخوة الإسلامية»، التي تفرعت منها جمعية «الأخت المسلمة» التي رأستها ابنته العالمة الفاضلة الأديبة نهال أمجد الزهاوي.

■ الإسلام والعروبة كانا على رأس اهتماماته، وقد بذل الزهاوي جهدا كبيرا في توجيه سياسة وزارة المعارف العراقية آنذاك، لجعل العقيدة الإسلامية الأساس الذي تبنى عليه فلسفة التعليم في العراق، كما كان له دور مهم في مساعدة الثورة الجزائرية، إذ استطاع إقناع الدولة العراقية بالوقوف مع الجزائريين.

رحلات الزهاوي

■ لم تكن رحلات الزهاوي يوما للراحة والاستجمام والسياحة، بل من أجل نصرة قضايا العرب عامة والمسلمين خاصة، لاسيما قضية فلسطين والجزائر، فقد سافر إلى بلاد الشام، والحجاز، ومصر وباكستان والهند، وشمال أفريقيا، وإندونيسيا، وماليزيا، يلتقي العلماء العاملين، والزعماء الصالحين، ويشرع لهم المهمات التي ارتحل من أجلها، ويحثهم على العمل الجاد لإصلاح أحوال المسلمين.

الزهاوي وفلسطين

■ في عام ١٩٤٧م مع بدايات القضية الفلسطينية، ذاع صيت الزهاوي كثيرا إذ أصبحت فلسطين همه الكبير، وشغله الشاغل، من أجلها أسس الجمعيات وحضر المؤتمرات، وجمع المعونات، وجند المجاهدين، وأرسلهم إليها من أجل استنقاذها من براثن اليهود المحتلين، وحاضر من أجلها في العديد من الدول والمدن والجمعيات، وبين خطورة هذه القضية على العرب والمسلمين، ما لم يبادروا إلى العمل الجاد المكافئ لأعمال اليهود ومن يقف وراءهم من دول الاستكبار العالمي المعادية للإسلام والمسلمين.

■ وكما نجح الزهاوي ورفاقه في تجميع الشباب وإرسالهم ضمن الجيوش العربية إلى فلسطين ليسطروا بطولات كبيرة، نجح في استنهاض حماسة النساء العراقيات اللائي توافدن إلى جمعية إنقاذ فلسطين للتبرع بذهبن وأموالهن، لنصرة القضية الفلسطينية.

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للشيخ رحمه الله مشاركة وحيدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «فوائد الأموال المودعة في المصارف»، في العدد السابع.

وفاته

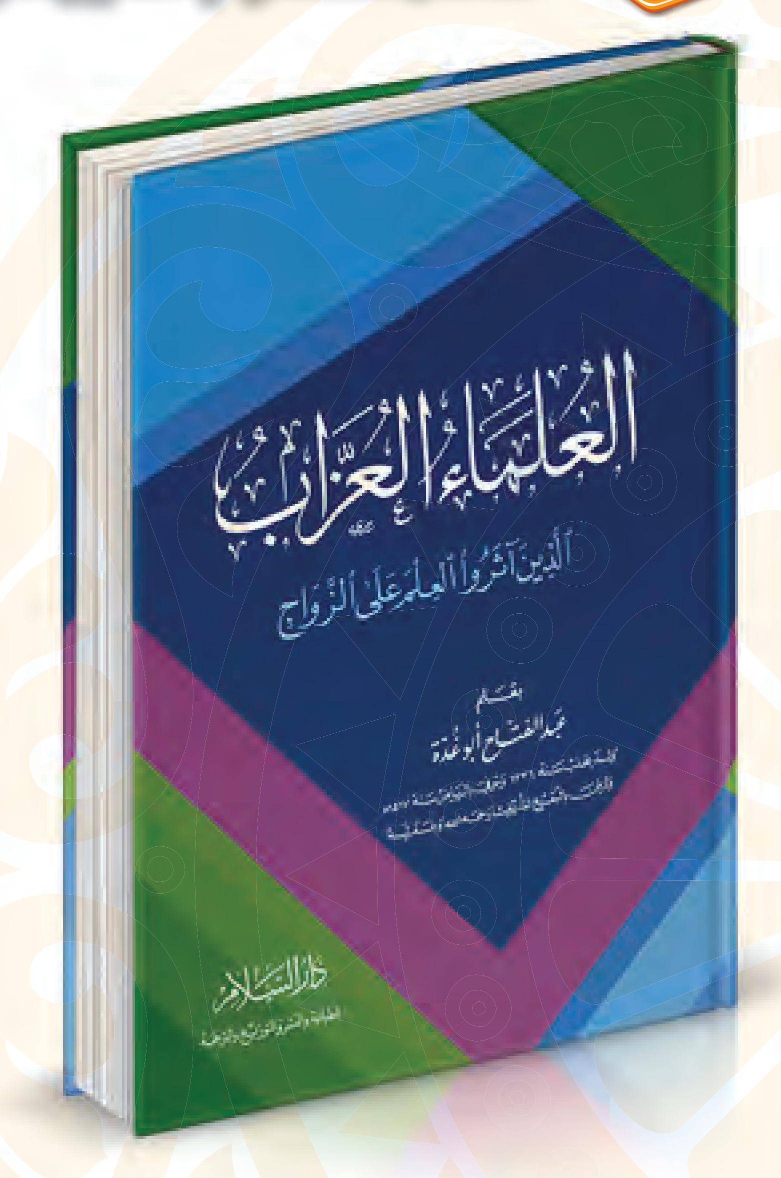
توفي الشيخ عصر الجمعة، الرابع عشر من شعبان ١٣٨٧هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٩٦٧م، وشيع جثمانه من داره في حي الوزيرية ببغداد، إلى مثواه الأخير في مقبرة الإمام الأعظم في حي الأعظمية في بغداد، بعد تشييع مهيب حضره أعلام بغداد ووزراؤها ووفود من مختلف طبقات المجتمع العراقي وكل من تناهى إليه خبر نعيه.

المصادر

- كتاب «الكشاف» (ج١)، مجلة «الوعي الإسلامي».
- موقع «إضاءات»، محمد السيد أبو ريان.
- كتاب علماء أعلام عرفتهم العراق، عبدالله العقيل.
- مجلة التربية الإسلامية، ع:٢، بغداد، (محرم ١٤٢٥هـ/مارس ٢٠٠٤م)، ص:٥٤.
- موقع «الجزيرة»، طه العاني.
- موقع «مجلس علماء العراق».
- موقع «رابطة أدباء الشام».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية الإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

هو كتاب للعلامة عبد الفتاح أبو غدة، تناول فيه ترجمات للعلماء العزاب الذين فضلوا العلم على الزواج كـ: ابن تيمية والزمخشري والنووي. مرتبة ترتيبا زمنيا. وقد أكد الكاتب في مقدمة كتابه أن هذه الشخصيات التي تناولها لم تدع إلى عدم الزواج أو تحبب في العزوبية، لأن الزواج شرع شرعه الله، وإنما آثرت عدم الزواج كموقف شخصي لشغفهم بالعلم والاطلاع.

التعريف بالكاتب

هو أبو الفتوح وأبو زاهد عبد الفتاح بن محمد بن بشير بن حسن أبوغدة الخالدي الحلبي. ولد في مدينة حلب شمال سورية في: (١٧ رجب ١٣٣٦هـ/ الموافق: ٩ مايو ١٩١٧م)، في بيت ستر ودين فقد كان والده محمد رجلا مشهورا بين معارفه بالتقوى وكان يعمل في تجارة المنسوجات.

دخل المدرسة العربية الإسلامية الخاصة ودرس فيها من الصف الأول حتى الرابع، تعلم فيها ما محا عنه الأمية. ثم دخل مدرسة الشيخ محمد

علي الخطيب بحلب ودرس فيها القرآن الكريم وتعلم حسن الخط. ثم دخل المدرسة الخسروية التي بناها خسرو باشا، التي تعرف الآن بالثانوية الشرعية وذلك عندما بلغ التاسعة عشرة من عمره، ثم التحق بكلية الشريعة بالجامع الأزهر الشريف وتخرج منها في عام: (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م) حائزا على الشهادة العالمية من كلية الشريعة. ثم درس في (تخصص أصول التدريس) في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر أيضا وتخرج منها في عام: (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) وبعد ذلك عاد إلى موطنه حلب.

وبعد عودته إلى سورية سنة: (١٩٥١م)؛ اختير مدرسا للتربية الإسلامية لدى وزارة المعارف. فدرس أحد عشر عاما مادة التربية الإسلامية في ثانويات حلب، وشارك في تأليف الكتب المدرسية المقررة لهذه المادة. كما درس في عدة مدارس ومعاهد وكليات أخرى.

ثم انتقل بعدها إلى المملكة العربية السعودية، متعاقدا مع جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض حيث عمل مدرسا فيها، وفي المعهد العالي للقضاء، وأستاذا لطلبة الدراسات العليا، ومشرفا على الرسائل العلمية العالية، فتخرج به الكثير من الأساتذة والعلماء. وقد شارك خلال هذه الفترة في وضع خطط جامعة الإمام محمد بن سعود ومناهجها، واختير عضوا في المجلس العلمي فيها، ولقي من إدارة الجامعة كل تكريم وتقدير.

ثم انتدب بعدها أستاذا زائرا لجامعة أم درمان الإسلامية في السودان ولمعاهد الهند وجامعاتها، وشارك في الكثير من الندوات والمؤتمرات الإسلامية العلمية، التي تعقد على مستوى العالم الإسلامي. وكانت له جهود طيبة في جميع هذه المجالات.

توفي الشيخ يرحمه الله، فجر يوم الأحد (٩ شوال١٤١٧ هـ/ الموافق: ١٦ فبراير ١٩٩٧م) عن عمر يناهز الثمانين عاما.

مؤلفات أبو غدة

للشيخ عبد الفتاح مؤلفات عدة، نذكر منها:

- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ومؤلفه هو الإمام اللكنوي الذي اهتم بكتبه حتى إنه حقق أغلبها وطبعها.
- إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس ببدعة: للإمام اللكنوي أيضا حققه.
- التصريح بما تواتر في نزول المسيح: لإمام العصر في الهند الشيخ محمد أنور كشميري، حققه.
- فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية: وهو في فقه الإمام أبي حنيفة.
- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل: وهو كتاب نافع ممتع لا يستغني عنه طالب علم.
- قواعد في علم الحديث: لشيخه الشيخ ظفر أحمد التهانوي الباكستاني الحنفي، حققه.
- العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج. وغيرها كثير.....

المحتوى العام

جمع عبد الفتاح أبو غدة في كتابه «العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج» نبذة عن (٣٥) عالما وفقيها، منهم من لم يتزوج إطلاقا، ومنهم من طلق زوجته ليلة الدخلة وراح يراجع الكتب، مثل (الخالدي)، وآخرون مثل: (الزمخشري)، حيث إنهم كانوا يرون أن إنجاب الكتب أحسن من إنجاب الأبناء، ومثل ابن النفيس والشيخ طاهر الجزائري ممن كان العلم شغفهم الأول والأخير؛ فلم يكن لهم متسع للزواج في فكرهم، وحتى مثل النورسي الذي خاف أن يقصر في حق زوجته، وبالإضافة إلى كل هؤلاء، ولم يقتصر هذا الكتاب على الرجال فقط، بل هناك «عالمة» مميزة اختارت أن تكون مدرسة للرجال، لا زوجة لأحدهم، وهي العالمة الفاضلة (كريمة المروزية)! يأخذك هذا التقرير في رحلة مع الكتاب ومن عاشوا في قصصه بين طلب العلم والزواج.

ومن الذين ذكرهم أبو غدة في كتابه:

- عبد الله بن أبي نجيح المكي، وهو عالم من تابعي التابعين، وهو إمام ثقة مفسر.
- أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب البصري، وهو أديب نحوي، روى عنه سيبويه، وسمع منه الكسائي والفراء.
- بشر الحافي، وهو أبو نصر بشر بن الحارث، إمام عابد زاهد محدث فقيه.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، محدث مفسر فقيه أصولي غني عن التعريف.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أديب لغوي مفسر.
- أبو زكريا يحي بن شرف النووي، محدث فقيه صاحب التصانيف.

ابن تيمة الحراني، شيخ الإسلام الغني عن التعريف.

- كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية، عالة فاضلة، ومحدثة، كانت تلقب بأم الكرام، أو ست الكرام.

نسخة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذا الكتاب الماتع، وهو في متناول قرائها الكرام المهتمين بالسير والتراجم.

المصادر

- العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج.
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
- العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج؛ لعبد الفتاح أبو غدة، مقال منشور على موقع: اجتهاد نت، بتاريخ: (٦/١٠/٢٠١٦م).

إعداد / تركي محمد النصر ❖

ترك العداوة أحوط

قال أبو حاتم الدارمي البستي رحمه الله تعالى: (الواجب على العاقل: أن يعلم أن من يوده لم يحسده، ومن لم يحسده لم يعاده، فيكون للعدو المكاتم أشد حذرا منه للعدو المبارز، ومن وجد عنده مغترا وكان ممن لا يعفو، ثم لا ينتصف منه أصابته الندامة، والرأي إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها).

(انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: ص/٩٨)

حكم

❖ من طلب من البخيل حاجة، كمن طلب السمك في المفازة.

❖ من كان الناس عنده سواء، لم يكن له أصدقاء.

❖ من صبر على مودة الكاذب؛ فهو مثله.

❖ أول المروءة: طلاقة الوجه، والثانية: التودد، والثالثة: الفصاحة.

❖ لا تحقر الفقير الشريف، ولا ترغب في الغني الدنيء.

❖ ما أجمل الصبر على ما لا بد لك منه.

❖ خذلان الجار لؤم.

❖ قرابة بلا منفعة؛ بلية عظيمة.

❖ ليس مع الحسد سرور، ولا مع الحرص راحة.

❖ الحاسد يظهر وده في كلامه، وبغضه في أفعاله.

(انظر: الكنز المدفون والفلك المشحون للسيوطي: ص/٦٧)

الزهد الحقيقي

(أفضل الزهد: الزهد في الرياسة على الناس، وفي المنزلة والجاه عندهم، والزهد في حب الثناء والمدح منهم؛ لأن هذه المعاني هي أكبر أبواب الدنيا عند العلماء، فالزهد فيها هو زهد العلماء، وقيل: لا يثبت لأحد مقام في التوكل حتى يستوي عنده المدح والذم من الخلق فيسقطا).

(انظر: الوعظ المطلوب للقاسمي: ص/٥٧)

الصبر والجزع

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه معزيا رجلا بابنه: (إنك إن صبرت جرى عليك القدر؛ وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر؛ وأنت مأزور).

(انظر: التعازي لأبي الحسن المدائني: ص/٨٢)

خطر العلم المجرد

قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله: (العلم الخالي من التربية ضرره أكثر من نفعه، وما أصيب المسلمون في عزتهم؛ إلا يوم فارقت التربية الصالحة العلم، وكم شقي أصحاب العلم المجرد بالعلم وأشقوا أممهم، والسعادة غاية لا يسلك إليها طريق العلم وحده من غير أن تصاحبه التربية، وأن الجمع بين التربية والتعليم هو وظيفة النبوة التي تبينها الآية: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾).

(انظر: آثار الإبراهيمي: ١٧٣/٤)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

فائدة دراسة علم السير والتواريخ

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: (واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها...: أنه إذا ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله؛ أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذكرت سيرة مفرط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول).

(انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ١/١١٧)

الكلام بالخير غنيمة

ذكر عند الأحنف بن قيس: الصمت والكلام، فقال قوم: الصمت أفضل. فقال الأحنف: (الكلام أفضل لأن الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرجال تلقيح لعقولهم).

وقالوا: السكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم.

(بهجة المجالس وأنس المجالس ١/٥٥)

اللسان لا يسكت

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (إن اللسان لا يسكت البتة، فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغ، ولا بد من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل).

(انظر: الوابل الصيب: ص/١٩٨)

من طلب الفقه.. نبل قدره

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: (من حفظ القرآن عظمت حرمته، ومن طلب الفقه نبل قدره، ومن وعى الحديث قويت حجته، ومن نظر في النحو رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم).

(انظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: ص/٢٢١)



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

مختلفون ولكن!

الأشخاص المختلفون في شكلهم أو هيئتهم أو ظروفهم أيا كانت، كل واحد منهم هو مخلوق خلقه الخالق العظيم لحكمة وحده يعلمها، ربما لاختبار إنسانية غيره في كيفية التعامل معه، وربما لجعله حجة على الأشخاص الناقمين الساخطين على أقدارهم الربانية، وربما لأسباب أخرى لا نعلمها، إلا أنه يغيب عن الكثير أن الأشخاص المختلفين متصالحون مع أقدارهم ولكن ما قد يزعجهم ويكدر صفو حياتهم هو عدم مراعاة عدة معايير في التعامل معهم مما قد ينجم عنه ممارسات سلبية وسيئة إلى أبعد الحدود من قبل الغير، غير المدرك لعدم إنسانية ذلك، وهو الأمر الذي قد يصل إلى أن يدمي نفسيتهم ونفسية ذويهم، وربما يصل إلى ما هو أبعد من ذلك!

لذا فهناك عدة معايير ينبغي للجميع وضعها في الحسبان عند التعامل مع أي شخص مختلف، وهي:

أي تجاوز في التعامل والخروج عن حدود الأدب واللباقة في التعامل مع أي شخص مختلف يعد تجاوزا مع الخالق سبحانه وتعالى فهو وحده يصور الناس ويقدر لهم أقدارهم كيف يشاء ولا اعتراض على حكمه تعالى.

علينا جميعا أن نتعلم فن النظرة، فلا نطيل النظر إلى أي إنسان مختلف وندرب عيوننا على أن تنظر للجميع نظرة متساوية، فالبعض يتوقف ويستمر مكانه ويشخص ببصره عند رؤية أي شخص مختلف.

كما أنه ليس من اللائق أن يكتب أحدهم تعليقا موحشا مؤلما ينتهك فيه إنسانيته هو قبل أن يتوجه بشظايا كلماته إلى قلب هذا الشخص، ومن يكتب مثل هذه التعليقات الجارحة فعلى الجميع استهجانها والتصدي لها، وكتابة كل ما من شأنه أن يدعم الشخص المختلف ويرسل له برسائل إيجابية محفزة.

إن دعم الأشخاص المختلفين يكون على مستوى الأفراد والحكومات، فالأفراد على اختلاف مواقعهم عليهم الدعم النفسي المستمر، والحكومات عليها الدعم المادي وتوفير السبل التي تتيح لهم فرص المعيشة الكريمة التي تساعدهم على العمل والإنتاج.

علياء ناصف

العمل ثمرة العلم

رفع الله درجة العلماء فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

وقال ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (رواه أبو داود).

وثمرة العلم العمل به، فالعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، وكان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع كما روى مسلم في صحيحه.

لا ريب أن المعلم والمتعلم وجهان مهمان من أهميات العلم والفكر، لابد أن يكون المتعلم متعلما في عمله كأنه يضيء.

فالإمام المجدد حجة الاسلام والمسلمين أبو حامد الغزالي رحمه الله يسدي في كتابه «أيها الولد» بعضا من النصائح، إحداها: أن لا تناظر أحدا في مسألة ما استطعت، لأن فيها آفة كبيرة وإثمها أكبر من منافعها، إذ هي منبع كل خلف كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها، والثاني: أن تكون خلته من الحماقة وهو أيضا لا يقبل علاجا فينبغي أن لا يشتغل بجوابه لأن جواب الأحمق السكوت، يعلّم الإمام التلميذ الذي يطلب العلم عما عمل بالعلم وهو يقول: ما لم تعمل لم تجد الأجر، العلم بلا عمل... حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن (رواه ابن المبارك في الزهد).

فارس بن عبد الرحيم

غزوة بُوَاط

الصحيح أنها كانت في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة، وبُوَاط (بضم الباء وفتح الواو وتخفيفها) جبل بينبع تجمع فيه المسلمون لاعتراض عير قريش ولذلك سميت بهذا الاسم.

وهي ثاني غزوات الرسول ﷺ بعد غزوة الأبواء.

وسببها أن عيرا لقريش كانت تضم أموالا وتجارة كبيرة حيث كان فيها ألفان وخمسمئة بعير، وكانت راجعة من الشام يصحبها مئة رجل معهم أمية بن خلف ذاهبة إلى مكة، فخرج رسول الله ﷺ في مئتين من المهاجرين والأنصار لاعتراضها؛ لأن المسلمين تركوا أموالهم كلها في مكة واستولى عليها كفار قريش، فهذه الغزوة كانت محاولة لاستعادة بعض أموال المسلمين التي استولت عليها قريش وحمل اللواء سعد بن أبي وقاص، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون وقيل سعد بن معاذ، وانتهى ﷺ إلى بُوَاط فوجد العير قد مرت وفاتته فرجع إلى المدينة بدون حرب.

حسن عثمان حسن

مسك الختام

من حقوق الخادم في الإسلام

إن ممّا أنعم الله سبحانه وتعالى على بعض المسلمين وجود الخدم في بيوتهم، وهو ما ييسر لهم كثيرا من الأعمال ويكفيهم مهنة أهلهم: من طبخ وكنس وغسل ورعاية أبناء.

وهذا من المُلك الذي حباه الله سبحانه لبني إسرائيل، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ المائدة: ٢٠، قال الإمام أبو عبد الله القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) معلّقًا على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قال الحسن البصري وزيد بن أسلم رحمهما الله: مَن كان له دارٌ وزوجة وخادم فهو مَلكٌ.

لكن النعمة سرعان ما تتحوّل إلى نقمة إذا لم يُؤدَّ شكرُها ولم يُقَم بحقها.

ويمكن أن نقول: إن القيام بحق هذه النعمة، المتمثلة بالخدم:

إما أن يكون على أساس العدل، الذي تبرأ به الذمة.

أو على أساس الإحسان، الذي تتضاعف به الدرجات، وتكثر به الحسنات.

أما حقوق الخادم بناءً على العدل فأهمها الالتزام بالعقد الذي هو شريعة المتعاقدين، من طبيعة عمل وكمية أجر وغير ذلك، وهو ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١)، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «قال الله: ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يُعطه أجرَه».

أما حقوق الخادم بناءً على الإحسان فهي أرقى وأعلى؛ فالإحسان فوق العدل؛ إذ العدل أن يعطيَ الإنسان ما عليه ويأخذَ ما له، أما الإحسان فأن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقلَّ مما له، وتحرّي العدل واجب، أما تحري الإحسان فهو ندب وتطوع؛ إذ لا يقدر عليه ولا يفعله كل إنسان، ولذلك عظّم الله تعالى ثواب المحسنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥).

والمطلوب فوق الحقوق التي نصّ عليها العقد، حسنُ معاملة الخادم، التي تصل إلى أن تعدلَه بنفسك: فتطعمَه مما تأكل، وتُلبسَه مما تلبَس، ويكفيك أن رسول الله ﷺ عدّ العبد المملوك -وهو دون الخادم بلا شك؛ إذ هو وما ملكت يداه لسيده- بمنزلة الأخ، فقال -كما في صحيح البخاري عن أبي ذر ﵁: «إخوانُكم خوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده: فليُطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يَلبَس، ولا تكلفوهم ما يَغلبهم، فإن كلّفتموهم فأعينوهم».

وهكذا يترجم رسول الله ﷺ وصيتَه بأخلاق رفيعة مع خدَمه، تحول دون توجيه ولو كلمة (أفّ) أو شيءٍ من العتب واللوم لهم على تقصيرهم، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك ﵁ قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفّ. ولا: لم صنعتَ. ولا: ألا صنعتَ».

وهذا من عجيب أخلاقه ﷺ أن يداوم على تلك المعاملة الحسنة على مدى سنينَ طويلة دون تغيّر ولا تبدل، تبعًا لتغير أحوال الإنسان من: رضًا وغضب، وسرور وحزن.

فحبّذا لو ارتقينا إلى مقام الإحسان في معاملة الخدم؛ علّنا ندخل في ثلة النبي ﷺ وآله وأصحابه، فإن عجَزنا عن ذلك فلا ينبغي أن ننزل عن مقام العدل الذي تبرأ به الذمة.

د. زياد عبدالوهاب
باحث شرعي

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .





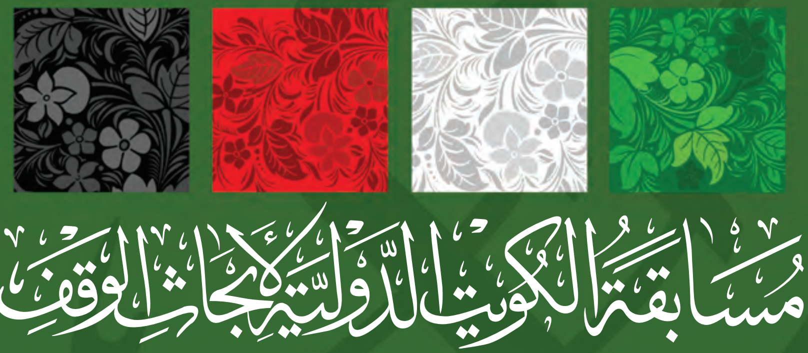












مُسابقة الكويت الدّولية لأبحاث الوقف

الدورة الثالثة عشرة

(١٤٤٣ - ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٢ - ٢٠٢٣م)

تحت رعاية كريمة من سمو ولي العهد الشيخ

مِشعل الأحمد الجابر الصُّباح

تدعو الباحثين والمهتمين بشؤون الوقف إلى المشاركة في تقديم أبحاثهم ضمن موضوعات المسابقة

تُجرى المسابقة في ثلاثة مواضيع، يختار الباحث أحدها:

الموضوع الأول: مخالفة شرط الواقف للحاجة أو الضرورة (تأصيلاً، وتفريعًا)

الموضوع الثاني: دور الوقف في تحقيق الأمن الغذائي

الموضوع الثالث: توظيف التكنولوجيا المالية في تنمية الوقف واستثماره

شروط المسابقة:

١- يحق للباحثين: (الأفراد- المجموعات- المؤسسات العلمية) المشاركة في المسابقة.

٢- تُقدم الأبحاث بإحدى اللغات الثلاث (العربية، الإنجليزية، الفرنسية)، بشرط أن يكون البحث مصحوبًا بترجمة كاملة إلى العربية.

٣- ألّا يقل البحث عن (٩٠) صفحة ولا يتجاوز (١٠٥) صفحات.

٤- الالتزام باستيفاء الكتابة في العناصر الاسترشادية، كحد أدنى، وللباحث أن يضيف ما يراه مفيدًا ومثريًا، بحيث يكون له علاقة بموضوع البحث.

٥- الالتزام بشروط البحث العلمي مع مراعاة المنهج النقدي، ومناقشة وجهات النظر المختلفة حول موضوع البحث، مع التوثيق العلمي للآراء وفقًا للقواعد المتعارف عليها.

٦- المعايير الأساسية لتحكيم الأبحاث هي: سلامة المنهج العلمي، وتسلسل الأفكار، ووضوح العرض، والقدرة على ربط النتائج بالمقدمات، وسلامة لغة البحث.

٧- يحق للأمانة العامة للأوقاف حجب أي من الجوائز إذا لم ترقَ الأبحاث المقدمة إلى المستوى المطلوب، وهي غير ملزمة برد الأبحاث التي تصلها، سواء أكانت فائزة أم غير فائزة.

٨- يحق للأمانة العامة للأوقاف سحب الجائزة من الأبحاث الفائزة، التي يتبين مخالفتها للقواعد العلمية.

٩- الأبحاث التي تخالف الشروط السابقة لا تدخل تحكيم المسابقة.

١٠- ألّا يكون البحث قد سبق أن حصل على جائزة أخرى أو على شهادة علمية، ويحق للأمانة العامة للأوقاف سحب قيمة الجائزة إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقًا، أو قدم إلى جهة أخرى لغرض آخر أو كان مستلًا من رسالة علمية.

١١- لا يحق للفائزين نشر أبحاثهم الفائزة بأنفسهم، أو التصرف فيها للغير إلا بموافقة خطية من الأمانة العامة للأوقاف.

١٢- تُقدم الأبحاث مطبوعة على الكمبيوتر بحجم ورق A4 وفقًا للتخطيط المعتمد للصفحة، الذي هو على النحو الآتي:

أ- هوامش الصفحة:
- الفراغ أعلى الصفحة وأسفلها: ٢,٥٤ سم.
- الفراغ يمين الصفحة ويسارها: ٣ سم.

ب- الخط في المتن:
- نوعية الخط: Traditional Arabic.
- حجم الخط: Bold 18 للعناوين، 16 للكتابة.
- المسافة بين الأسطر: single.

ج- الخط في الهامش المرجعي أسفل الصفحة:
- نوعية الخط: Traditional Arabic.
- حجم الخط: ١١.
- المسافة بين الأسطر: single.

١٣- يرفق مع البحث السيرة الذاتية لصاحبه + صورة شخصية.

١٤- تُقدم أصول الأبحاث في موعد أقصاه ١٥ صفر ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٠٢٣/٨/٣١م.

١) الحصول على نسخة من الكتيب التعريفي لموضوعات المسابقة، وعناصرها الاسترشادية، من خلال الموقع الإلكتروني للأمانة العامة للأوقاف:
. http://www.awqaf.org.kw

٢) إرسال نموذج الاشتراك في المسابقة، والسيرة الذاتية إلى (إيميل) المسابقة لأخذ الموافقة على الكتابة، ومن ثَمّ ترسل الأبحاث إلى الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، من خلال البريد الإلكتروني لإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية: serd@awqaf.org
serd.kwt@gmail.com

٣) لمزيد من المعلومات حول المسابقة يرجى الاتصال على:
هاتف: ٢٢٠٦٥٣٩١-٢٢٠٦٥٤٥٦-٢٢٠٦٥٧١٣-٢٢٠٦٥٤٥٢
(الرمز الدولي: ٠٠٩٦٥).
فاكس: ٢٢٥٤٢٥٢٦ (٠٠٩٦٥).

جوائز المسابقة:

تقسم جوائز المسابقة إلى ثلاث جوائز لكل موضوع على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: (٦) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثانية: (٥) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثالثة: (٤) آلاف دولار أمريكي.

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٩٥) رجب ١٤٤٤ هـ - فبراير ٢٠٢٣م

مع العدد: براعم الإيمان

الكويت ترتدي ثوب الفرحة





مكانة الكبير في الإسلام

من دروس الإسراء والمعراج

الرحمة المهداة

مجلة الوعي الإسلامي  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي 



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الأيام الوطنية ذكرى حافلة بالإنجازات

لله سبحانه وتعالى نعم كثيرة وعطايا متتابعة على دولة الكويت، وإن أبرز هذه النعم التي أنعم الله تعالى على هذه الدولة: نعمة التحرير من الغزو الغاشم الذي أهل العباد والبلاد، والحجر والشجر، فكانت نعمة التحرير من أعظم النعم على هذه البلدة الطيبة، الطيبة بأهلها وخيراتها.

لهذا يجب علينا أن نشكر الله تعالى أولاً على هذه النعمة للمحافظة عليها واستمرارها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم:٧).

كما يجب علينا ثانياً أن نقدم لهذا البلد المعطاء: الانتماء الصادق والمواطنة الصالحة، وذلك من خلال الحفاظ على هويتها الإسلامية، وبث الخير في نفوس أهلها، وتحقيق الأمن والعدالة والكرامة مع محاربة الفساد وأهله من جذوره، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، ونبذ الفرقة والفتن التي تؤدي إلى التفرقة والتنافر، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال:٤٦).

وبفضل الله وكرمه ينعم بلدنا الكويت ببيئة اجتماعية متآلفة، وتماسك داخلي متميز وفريد في ظل رعاية الله تعالى أولاً، ثم بقيادة حكيمة رشيدة ومتوازنة، مدافعة عن كرامته ومكانته العزيزة بين دول العالم المتقدم.

وفي الختام: لا ننسى أن الشريعة الإسلامية أَوْلَت بالاعتناء بالشيوخ وكبار السن، وحثت على مساعدتهم والاهتمام بهم، بسبب ضعف قدراتهم البدنية في أداء بعض الأعمال التي كان يؤديها في فترات سابقة من عمره، مع احتياجهم لمن يهتم بصحتهم ويساعدهم في أداء ما يحتاجونه.

وهذا ما صرح به الله تعالى في محكم كتابه قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤)، وصرح به النبي ﷺ بقوله: (إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط) (أخرجه أبو داود).



مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٩٥/ رجب ١٤٤٤ هـ
العام الستون
فبراير ٢٠٢٣م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان: ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر: دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





حرية تعبير لا استفزاز!

عندما تفتح فمك وتطلق كلماتك الجارحة المستفزة فحتما أنت بعيد عن حرية التعبير، وعندما تهين رمزا لمجموعة بشرية كبيرة كانت أم صغيرة فأنت بالتأكيد كذلك في واد وحرية التعبير في آخر، وعندما تسن قانون معاداة السامية لتحاكم به الذين يعبرون عن رأيهم بحرية في مسألة تاريخية بينما تعادي أنت مليارى نسمة بحرق نسخة من كتابهم المقدس علنا فأنت تكيل بمكيالين، فضلا عن ارتكاب جريمة شنعاء لا ممارسة حرية شخصية.

قل ما شئت محترما نفسك والآخرين أو لتصمت. عبِّر عما يجول في خاطرك بتحضر وتأدب وإنسانية وإلا فليسعك بيتك.

والحمد لله أن جعل الغيرة على الإسلام في قلوب من أدانوا بتعقل وحكمة ومواقف صلبة فصدرت الإدانات الرسمية والاحتجاجات الشعبية وعرف المسيء قدره. ومع كل ذلك نقول إن التطرف لا يقابل بتطرف، والفعل الجبان لا يقابل بفعل من نفس جنسه، فالقدوة ثم القدوة هي السبيل لتوصيل صورة الإسلام الصحيحة إلى هؤلاء الجاهلين به البعيدين عنه.. إن رأوا فينا خلق المسلم الكريم المعطاء المتسامح في قوة المجتهد بعمله في صدق ذي المروءة والنخوة فسيدركون من تلقاء أنفسهم أن كتابنا العظيم هو نبراسنا الذي علمنا خلقنا، ولذا فهو جدير بالتقديس والتكريم لا إهانة إحدى نسخه.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير . للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



عرض: الزبير مهداد
باحث تربوي

كتاب: اللّه، العلم، البراهين

في بداية القرن العشرين كان الإيمان بوجود إله خالق للكون يبدو كأنه خرافة مضادة للعلم والعقل في الغرب، على الرغم من أنه كانت هناك دائما أسباب للإيمان بالله، مثل جمال الكون أو عظمته أو نظامه. ومع توالي الكشوفات، انعكست الآية، فالاكتشافات تنتهي بشيء واحد: إن الكون له خالق. والإيمان بوجود الله أصبح يلقى قبولا.

المؤلف أوليفيه بوناسيي خريج الكلية المتعددة الاختصاصات بباريس، كان ملحدا في شبابه، لكن بفضل النضج الفكري، والبحث، اقتنع بوجود خالق للكون، وأن الإيمان بذلك ليس من باب التفكير الخرافي، ولا يتعارض مع العقلانية.

وفي عام: (٢٠١٣م)، اقترح مدرس فلسفة على ابنة بوناسيي أن تقدم عرضا تشرح فيه البراهين التي جعلتها تؤمن بوجود خالق للكون، فأعد بوناسيي عرضا في الموضوع، قدمه في المدرسة التي تدرس فيها ابنته، ونشر العرض في شبكة اليوتيوب، فلقي إقبالا كبيرا من المشاهدين. وكان أحدهم مهندس المعلومات والدكتور في مجال العلوم وإدارة شؤون الأعمال: ميشال إيف بولوري، الذي عرض على بوناسيي أن يؤلف كتابا يجيب فيه بإسهاب عن الأسئلة التي طرحها في الشريط. وعلى مدى ثلاث سنوات، وبمشاركة عدة علماء، تم تجميع مادة الكتاب، بتعاون محكم بين المؤلفين: بوناسيي وبولوري.

الكتاب يقع في (٥٥٠) صفحة، مقسم إلى قسمين، يتناول القسم الأول البراهين العلمية المرتبطة بالاكتشافات والبحث العلمي، يستعرض النظريات العلمية في الفيزياء والبيولوجيا التي تؤيد فكرة وجود إله خالق للكون، في حين يعالج القسم الثاني البراهين غير العلمية المستخرجة من الحقول التاريخية والدينية والثقافية الأخرى.

يقول المؤلفان إنهما جمعا جملة من المعلومات والحقائق التي يعرفها



أهل الاختصاص، وألفا بها الكتاب، الذي أراداه أن يكون مختصرا، سهلا، ميسرا لعموم القراء غير المتخصصين. وأضافا للكتاب عددا من الملاحق المهمة التي تمكن القارئ من تعميق معرفته العلمية.

المنعطف العلمي في القرن العشرين

استهل المؤلفان كتابهما، بجرد للفتوحات العلمية في القرن التاسع عشر، هذه الاكتشافات الجديدة المبهرة وكان وقعها قويا على الفكر الحديث، فتوهم الناس بأنه يمكن تفسير العالم من دون اللجوء إلى فكرة وجود إله خالق للكون. هذا الرأي الذي كان يدعمه عدد من العلماء من أمثال كوبرنيك وغاليليو ولابلاس وداروين ولامارك وفويرباخ وفرويد ونيتشه، الذين رفضوا مبدأ الوجود الإلهي الماورائي المتافيزيائي. فانتصرت الفلسفة المادية في الغرب، واستفحلت وضيقت على الفكر الإيماني واستخفت به، ووصفته بأنه لاعقلاني.

أما في القرن العشرين، فجرى تحول مهم في مسار العلوم بعد التأكد من توسع الكون، وفقده التدريجي لحرارته، وبعد إثبات ميلاد الكون بواقعة الانفجار العظيم.

فالكشوفات العلمية التي كان يتسلح بها الملحدون لإثبات رأيهم، أصبحت تدعم فكر المؤمنين بوجود الخالق. فنظرية النسبية، ونظرية الانفجار العظيم، وعلوم الميكانيكا الحرارية، والفلك الكوني، والميكانيك الكمي والموجي، والبيولوجيا، واكتشاف الجينوم الوراثي للإنسان. وغير ذلك من الفتوحات العلمية، قربت الإنسان من الإيمان وتشكل براهين على وجود خالق عظيم للكون، وتنسف اليقينيات المادية الإلحادية.

إشكالية مقولة البرهان العلمي

في مدخل الكتاب، حدد المؤلفان المراد بالمفاهيم التي استعملوها، فتطرقا إلى تعريف البرهان، والبرهان العلمي، في المجال التطبيقي، وفي المجال النظري المنطقي ليخلصا إلى إبراز الفرق بين البرهان العلمي والحجة المنطقية، ثم تطرقا إلى شرح المراد من البرهان غير العلمي.

ثم واصلا الحديث باستعراض الفكرين المتناقضين اللذين يشكلان مادة الكتاب، وهما الفكر الإيماني القائل بوجود إله خالق للكون، والفكر المادي الإلحادي الذي ينكر وجود الإله. فاستعرضا مضامين الفكر المادي الذي يؤسس اعتقاده على الزعم أن الكون أزلي بلا بداية ولا نهاية، وأن الصدفة والعشوائية هما المتحكمتان فيه، ولا وجود للوحي ولا للنبوة، ولا للملائكة أو الشياطين، وكل مكونات العالم الروحي هي خرافة، وما يعتقده الناس معجزة إلهية، هي مجرد صدفة. أما الفكر الإيماني فهو يتأسس على الاعتقاد بوجود غاية من خلق الكون والحياة بقواعد منظمة وقوانين مضبوطة ودقيقة، وأن للكون نهاية حتمية، وبداية أيضا، ويتعقد بوجود النبوات والوحي والمعجزات.

يوضح المؤلفان أنه لا يمكن الادعاء بوجود برهان علمي قاطع على وجود الله، إنما هناك مجموعة من البراهين المبثوثة في الحقول العلمية المختلفة، من شأنها أن تدعم فكرة وجود الأصل الإلهي الخالق للكون.

البراهين العلمية

كان لإنشتاين فضل كبير على تطور علوم الفيزياء، فنظرية النسبية العامة كان لها أثر واضح في عدة نظريات حول نشوء الكون، وإنشتاين نفسه، كان يرى أن الكون ساكن لا يتغير، ولا مبدأ له ولا نهاية. ولكنه، بعد دراسات مستفيضة، أقر باستحالة إنكار وجود قوة عظمى وراء خلق الكون، فنظرية الموت الحراري تدعم بقوة الرأي القائل بنهاية الكون، ما يفيد بوجود بداية له.

نظرية الموت الحراري للكون أسس لها ويليام تومسون، الذي يحوز فضل تطوير مفاهيم الطاقة الميكانيكية، وإثبات مفاقيد حرارية

في الكون. الأمر الذي يقوي توقع نهاية الكون، حين يفقد كل حرارته، فيفقد الحركة والحياة.

ثم كانت نظرية الانفجار العظيم ظهرت في العشرينيات من القرن الماضي، وتكاملت بفضل جهود عدة علماء اشتغلوا عليها ما يزيد عن أربعين سنة، فقدمت تفسيرا متكاملا لنشأة الكون التي افترضت أنه ولد منذ حوالي أربعة عشر مليار سنة، من نقطة تفرد ذات كثافة وحرارة عاليتين جدا، تفوقان كل تصور، ولا تخضعان لقوانين الفيزياء. وتبعا لنشأة الكون، نشأت القوى الطبيعية الأساسية (الجاذبية، والكهرومغناطيسية والنووية).

فنظرية الانفجار الكوني العظيم لما أكدها العلم، فتحت المجال أمام رؤى لاهوتية، فأحدثت خلخلة في الفكر المادي، لأن الانفجار كان بداية لخلق الكون، والزمن ولد مع الحدث. فلا يوجد زمان ولا كون قبل ذلك. لذلك لقيت هذه النظرية معارضة الأنظمة التي تتبنى الفكر المادي. وفي عام: (١٩٦٤م) اكتشف الباحثان أرنو بنزياس وروبرت ويلسون ما يسمى في الفيزياء الكونية: «إشعاع الخلفية الكونية الميكروي»، التي يعتقد أنها من مخلفات الحرارة المتبقية من الانفجار العظيم، هذه الإشعاعات منتشرة في الكون كله، ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة لشدة برودتها، ولا تكون مرئية إلا في الجزء الميكروي من الطيف الكهرومغناطيسي.

نشأت عن الانفجار مجرات، ونجوم وكواكب، ثم نشأت الحياة في أشكالها المتنوعة. وتعد نشأة الظروف المواتية للحياة في الكون لغزا علميا، إذ تبين للعلماء أن الكون محكوم بنظام دقيق، وأن شروطا خاصة محكمة، توفرت في الكون لتنشأ الحياة، فالقوى الكهرومغناطيسية حين نقارنها بقوى الجاذبية نجدها أقوى منها بمقدار كبير، ولكنه فرق مناسب، حتى تتمكن النجوم من الاتقاد لمدة كافية سمحت بتكون الحياة في الكون. ولو اختلف التناسب، لما قامت الحياة ولا ظهر الإنسان. المبدأ «الأنثروبي» يؤكد أن ذلك لا يمكن أن يخضع لمجرد صدفة غير عاقلة.

في عام: (١٩١٨م) نال الفيزيائي الألماني ماكس بلانك جائزة نوبل في الفيزياء تقديرا لبحوثه في الفيزياء، فقد اكتشف أن الموجات الكهرومغناطيسية لا تصدر بشكل مستمر متصل، بل على شكل كميات متقطعة أطلق عليها لفظ: «فوتون»، وتعد أصغر مقدار معين من الطاقة يمكن تبادله بين الأجسام وفق تردد معين. ولحسابها يستخدم الثابت الذي يسمى: «ثابت بلانك»، وبذلك ظهر مجال فيزيائي جديد تماما، هو «فيزياء الكم»، فأصبح ممكنا تطبيق الفيزياء على عالم دقيق جدا، مختلف عن العالم المرئي الذي تحكمه الفيزياء التقليدية. فتوالت الاكتشافات المبهرة على مستوى الذرة. ففي الذرة والجسيمات بالغة الصغر، تسلك الطاقة أحيانا سلوك الموجة وأحيانا أخرى سلوك الجسيمات، المعروفة بالفوتونات.

على مستوى الخلية

الحياة التي نشأت في المجموعة الشمسية توفرت لها كل الشروط الملائمة لظهورها، شروط معقدة مضبوطة بدقة، تنم عن حكمة عالية ومقدرة كبيرة لا حد لها ولا وصف.

نشأة الحياة تمثل لغزا علميا، لأن ما توصل إليه العلماء من كشوفات، يدل على أنه لا مجال لأي صدفة في تدبير الحياة الكونية. فالكائن وحيد الخلية، الذي يعد أصغر كائن حي، يتحدى العلماء بتعقيد تركيبه الخلوي. فهو ينطوي على عالم من التقنيات الخارقة والتعقيد المذهل، فنجد في الخلية بوابات محصنة للحماية، وممرات ومصانع، ومخازن أيضا، ووحدات إنتاج طاقي، وغرف حرق النفايات، كل ذلك وغيره مما يضيق المجال بذكره، يدل على وجود مخطط محكم، ذكي ودقيق

الضبط، لإدارة الحياة على مستوى الخلية. إنها إشارات توحي بوجود الصنع المتقن.

أما إذا تفحصنا الحمض النووي في الخلية، فإننا لا نزداد إلا انبهارا. فشريط واحد من الحمض الذي قد ينطوي عليه أي نتفة من الجسم البشري مهما ضؤلت (نقطة دم أو لعاب، أو مجرد شعرة)، يمكن أن تكشف عن هوية صاحبها ووالديه وأسلافه، لأن فيها «بصمة الحمض النووي»، التي تحتوي على جميع التعليمات الوراثية لتطوير وظيفة الكائنات الحية، وكذلك التعليمات البيولوجية والجينية، وبها يتم تخزين المعلومات الوراثية التي تتحكم في الوظيفة اليومية لخلايا الجسم على المدى الطويل، كما يحتوي على الخرائط الموجهة لبناء المكونات الاخرى للخلايا مثل البروتينات والحمض النووي الريبي (حمض ريبونوكليك) ويتم تخزين هذه المعلومات الوراثية داخل التركيب الكيميائي لذرات الحمض النووي. وهو خيوط رفيعة من شفرات وراثية متراصة مجموع أطوالها في الشخص الواحد حوالي (٢٠٠) مليار كيلومتر. لذلك، لم يجد دارسو الحمض النووي بدا من التصريح بأن دراسة تركيب الحمض، لا يمكن أن تقود إلى شيء آخر سوى الإيمان بوجود خالق عظيم.

ثم خصص الكتاب فصولا هامة عرضت أقوال الكثير من كبار علماء من مختلف التخصصات، وما يعتقدونه.

الحجج الدينية

في القسم الثاني تطرق المؤلفان إلى الأدلة من خارج العلم، وهي الحجج الدينية التوراتية، فكان هذا القسم بمثابة شرخ فكري وعقلي كبير، لأن ما ورد فيه بعيد كل البعد عن المنطق العقلي والمنهج العلمي، حيث تضمن اختلالات كبيرة في عرض الحجج وتحليلها ومعالجتها، وتبدت للقارئ أن الغاية ليست بريئة ولا نزيهة، بل حاول الكاتبان إثبات ألوهية سيدنا عيسى عليه السلام. كما لم يقصر الكاتبان في جهدهما، لتمجيد العرق اليهودي، والتدليل على نقائه، واعتبار ذلك أيضا حجة على وجود اللّه عز وجل. فسرد المؤلفان من التاريخ السياسي للشرق الأوسط، ورجال الكشوفات العلمية، عدة وقائع وأحداث قرآها بشكل محرف مبالغ فيه، واستخلصا منها النتائج التي توخياها، ما يدل بوضوح على تسرب الدعاية الصهيونية إلى المؤسسات العلمية، ورسوخها في عقول العلماء في الغرب. لأن كل ما ساقه المؤلفان من حجج، لا تستقيم عقلا، ولا تصمد أمام التحليل العلمي، ولا الفحص المنطقي.

العودة إلى الإيمان

يستنتج مما ورد في القسم الأول من عناصر علمية، أن الكون ليس أزليا، فالكشوفات العلمية أثبتت ما أصرت الأديان السماوية على تبليغه للناس، من أن الكون بزمانه ومكانه ومادته له بداية ونهاية، ما يؤكد أنه مخلوق، وأن وراء الخلق قوة وقدرة ربانية عليا. وتدل على هذه القدرة أيضا الضوابط والقوانين الدقيقة التي يخضع لها الكون، والتي لولاها لما نشأت الحياة، ولما تطورت بالشكل الذي نراه اليوم، على مستوى الكون نفسه، وعلى مستوى الخلية الصغرى أيضا، فلا يستقيم اعتقاد أمور الكون بدقة نظامها موكولة إلى الصدفة العشوائية والعبث.

هذا الكتاب من أكثر الكتب مبيعا في فرنسا حاليا، ما يؤشر لرغبة عارمة قوية لدى الناس في العودة إلى أحضان الإيمان، واستجابة لنداء الفطرة التي فطر اللّه عليها الخلق، والتي حاولت النظريات المادية خنقها، متحدية نداء العقل والتاريخ والحقيقة، وقد خفت صوت الفطرة في النفوس، لكنه ما زال حيا يقظا في أعماق كل الناس، فالإيمان بقوة عليا فوق الطبيعة، أمر مشترك بين كل الخلق من كل الأجناس والأقوام.



زهراء محمد هلال محايري
باحث دراسات إسلامية

الرحمة المهداة

جبل الإنسان على حب من أحسن إليه، وأسدى له الخير، فينشأ صغيرا على حب أمه وأبيه لما يرى من عطائهما الفياض له، وشفقتهما عليه وحنوهما، ويتعامل مع محيطه كذلك، فيفرح للكلمة الطيبة، ويأنس للسؤال عن حاله، ويبتهج للهدية تهدى له وتترك أثرا عظيما في نفسه.

فكيف إذا كانت الهدية التي سنتحدث عنها في مقالتنا هذه هدية من رب الأكوان ذي الجلال والجمال لعباده جميعا الذين قال عنهم:﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (البقرة:٢٠٧)، فيا سعدنا يا ربنا أن أكرمتنا بهديتنا العظمى التي تجلت ببعثة رسولنا ﷺ «إنما أنا رحمة مهداة» (أخرجه الحاكم)، هدية بها صلح أمر ماضينا وبها يصلح أمر حاضرنا ومستقبلنا.

هو رحمة؛ لأنه رسول الدين الخاتم ومرشد البشرية لطريقها المحتم.

وهو ورحمة! لأن سعادة الدنيا والآخرة مرتبطة بنهجه.
وهو رحمة! لأن أكمل وأشرف الخصال قد تجسدت في شخصه المبارك فكلما ازددت به حبا ازدادت كمالا ورفعة في نفسك.

وهو رحمة! لأنه نبي كريم صاحب قلب رحيم.. يقول: أمتي أمتي.
أرسل رسولنا ﷺ بقلب حريص علينا، بدين رحيم بنا، من رب عليم بتكويننا وخلقتنا، أمرنا بما هو خير لنا، ونهانا عما هو شر لنا، نأوي لتعاليمه ككهف رصين ليمدنا بالأمان في كل حين، فهذا الدين العظيم دين العلم والمجد والتطور، كان سباقا بـ(اقرأ) قبل ألف وأربعمئة عام، معلنا أن هذا الدين قد ارتضى العلم شعارا له، فما هو بدين جهل ولا خرافة، بل وحثنا على المثابرة والتميز (أيكم أحسن عملا)، وهدانا للعزم والتشمير والتنافس على الخير.
هو دين أبي بكر الصديق العالم بالأنساب والقيافة.
ودين عائشة الصديقة العالمة بالفقه والطب والشعر.
ودين زيد بن ثابت متقن العبرية بعد (١٧) يوما من الهمة.
عندما كانت الحضارات الأخرى تعج بالجهل والتخلف والوحشية.
هدي النبي ﷺ معجزة العالم فقد أقام لأمته بنهجه القويم

أقام النبي ﷺ لأمته صرح المجد في الدين والدنيا

بيت مجد ديني ودنيوي، فأمرنا بإصلاح دنيانا هذه التي نعيشها، (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه) (أخرجه الأربعة)، لكن بقدر، (ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك) (أخرجه أبو داود والترمذي)، لأنه ارتضى لنا ألا تخدعنا بهارج الدنيا وزخرفها عن مستقبلنا الحقيقي وعن الاستعداد ليوم يجعل الولدان شيبا، فهو صاحب النظرة الحكيمة للحاضر والمستقبل مشيد حضارتهما معا قائد خلفاء الله في أرضه.
نبينا المصطفى قائد عظيم آخذ بمنطق الأسباب ومتضرع للمولى إمام المتقين، يدعو ويبل لحيته الكريمة خشوعا للمولى.
أمضى سيدنا محمد ﷺ حياته المباركة داعيا إلى الله بحاله وعمله، معلما إيانا العزة

أمضى النبي ﷺ حياته داعيا إلى الله بحاله ومقاله

والشرف في ديننا، فنحن أمة خاتم الأنبياء مالنا بسواه وسوى دينه عز، عسى ألا نغفل عن ذلك فنكون كالساعين على السراب.
أيها الإنسان.. المكرم عند الخالق والكائنات، المخلوق من عجل، هلوعا جزوعا منوعا، لقد أوتيت بعطاء الله القدرة على الارتقاء بروحك وقلبك لتسبق الملائكة قدرا، وأن تلوث عالمك الداخلي بالفجور والفساد لتنافس الشياطين شرا.
فارحم نفسك بدين الرحمة! ارحم نفسك باتباع نهج خالقك لتسعد دنيا وأخرى، ارحم تلك الخلايا العاملة ليل نهار من أجلك، وكن وفيا لها بتأديتك فرض الله وواجبه، لتدخلها جنة النعيم والحبور، وتنجو من كلاليب جهنم يوم يجوز الخلق أجمع، إن لك ربا وسعت رحمته كل شيء، فاهرع إليه في كل حين، واجعل رضاه نبراسا فلن يزيدك التذلل له إلا عزا لا يفنى وشرفا لا يزول.
لا تجعل قلبك مجدبا ببعده عن نبي بالمؤمنين رؤوف رحيم، فصل عليه كل يوم، واستشعر واستحضر أنك واحد من أمته، وهو بك شفوق.

إعداد
التحرير



القضاء والقدر

المحاضرة (٩-٢)❖

يظن الناس أنه يجب عليهم الاعتقاد بخير عبادات الله ليفعلوها، نقول لهم: لا؛ يجب أن تفعلوها؛ لأن الله أمر بها، ثم بعد ذلك سترون حلاوتها، فهناك حلاوة تسبق الفعل، وحلاوة تتأخر عن الفعل، البشري لا يستطيع إقناع بشري مثله بقضية إلا إذا أثبت له نفعها وخيرها، حين يأتي لك بقضية البشر للبشر، قضية من بشر يراد بها إقناع بشر، تقول له: لماذا تقنعني؟ أثبت لي أنها نافعة لي؛ لأنه لا فرق بين بشر وبشر، فما الذي جعلك ترى ذلك نافعا ولا أراه أنا كذلك؟! ما الفرق بين عقلي وعقلك؟ أثبت لي أنها نافعة لأقبل عليها. ولكن العبد لا يقول للرب: أثبت لي أنها نافعة لأقبل عليها؛ لأنك لو قلت له ذلك سويت الرب بغيره، فميزة أوامر الله أن تقبل أولا ليدرك نفعها بعد مزاولتها، ومبادئ البشر يقتنع أولا بنفعها، وبعد ذلك تفعل، وإلا يكون الخلق مساويا الحق، فالعبادات يجب أن تزاولها لتدرك آثارها.

ثبت أخيرا بالتحليلات على الخنزير ما فيه من مضار، وهذه التحليلات لم تأت إلا بعد أن تقدم العلم التجريبي التحليلي، أكنا نؤخر حكم الله في تحريم لحم الخنزير إلى أن يأتي العصر الذي نحلل فيه؟! ثبت في قضية واحدة أن الله حرم شيئا لم نكن ندري علته، وبعد قرنا أثبت العلم أن في الخنزير ضررا، ألا يعطينا ذلك الثقة في منهج الله أنه حين يأمرني بأمر يجب أن ألتزمه؟! وستثبت الأيام أن الله حكيم محق في تقريره ذلك، فإذا عرفت ذلك في جزئية فاعرف الجزئيات التي تعرفها بواقع الجزئيات التي عرفتها، إذن: فالفرق بين منهج الخلق للخلق ومنهج الحق للخلق أنك تقبل على المنهج لتعرف نفعه وفائدته، فأنا لا أقنعك بالصلاة وأنها تعطيك كذا وكذا لتصلي، ولكن أقول لك: صل؛ لأن الله رغب في أن تتقرب إليه بهذه الشعيرة، إذن: فطلب الله هو الحجة، تقبل أنت على الصلاة، ثم تجد لنفسك راحة، ولوجدانك غذاء، ولمشاعرك صفاء، وهدوءا يأمرك، واطمئنانا يستوعبك، ويجعلك تواجه الحياة لا بنفسك، ولكن بأن لك ربا يحمي تصرفاتك كلها. ويعينك على ما تقدر، من يدرك ذلك؛ الذي علمه الصلاة وأمره بها، أم الذي صلى بالفعل؟! لذلك أقبل على عبادة الله؛ لتذوق حلاوة ما أمر الله، وإلا، فلو أقبل الإنسان على أي عبادة؛ لأنه أدرك نفعها قبل أن يقبل، فربما كان إقباله عليها لأنها نافعة، ولو كلفه غير



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.
وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)

إله بالنافع لفعله، فما الفرق بين غير الإله والإلـه؟! الإنسان يقبل على عبادة الله لينتفع، ولا يطلب إلينا أن نقنعه بالنفع ليقبل، وإلا كان الإنسان مقبلا على الأمر لعلة الأمر، والدين يتطلب من الناس أن يقبلوا على الأمر إيمانا بحكمة الآمر.

كنت أحب أن أطيل معكم الحديث في مثل هـذا اللـون، إلا أن أخي المقدم قدم لي ورقة، قيل لي: إنه طلب إلي أن أتحدث في موضوع سبق أن سئلت فيه أسئلة كثيرة، وهو موضوع القضاء والقدر:

القضاء والقدر

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الموضوع من الموضوعات التي جعلت رأس حربة وسنان خنجر؛ ليطعن به الإسلام في شبابه، ربما أسـأل: لـم اختير هـذا الموضوع من جانب خصوم الإسـلام كما اختير موضـوع المـرأة؟ فأجيب: لأن الإيمان في المؤمنين بالقضاء والقدر هو الصفة الإيمانية التي أغاظت أعـداء الإسـلام، فحينما اشتركوا معهم في حرب ساخنة أيام الحروب الصليبية كانوا أمما متجمعة من كل أوروبا، وبعد ذلك حـاولوا في المسلمين ما حاولوا، فوجـدوا أمـة ظلت قرنين تكافح الغزو الصليبي، ولم تيأس من بعد الانتصارات الجزئية في المعارك، ورأوا تكاتفا بين أقطار الإسـلام كلـها، وأن الـذي يقـود العـرب والمسلـمين جميعا غيـر عربـي، فعلموا أن الإسلام هو الذي صنع هـذا، صـلاح الـدين ليس عربيا، وكذلك الظاهر بيبرس، وأعـلام الإسلام، إذن: فكل ما يتمتع بـه الإسـلام من انتصارات ليس راجعا إلى عنصر قومي، وإنما إلى عنصر إيماني، جمع الناس جميعا عبيدا لرب واحد، ولم يستنكف[٢١] العربي أن يقوده غير عربي؛ لأن الحق أعز عليهم من نفوسهم. ووجـدوا أن المسلم حين يدخل الحرب يستبسل استبسالا من يلح على أن يموت، فبحثوا في هذه المسألة، فوجدوا أن المسلم يعتقد اعتقادا أنه سيموت؛ سواء حارب أم لم يحارب، وأن أجله لا يتعداه، إذن: فولوجه الحرب لا يعني أنه يموت، وهو إذا ظل في بيته سيأتيه أجله ولـو كـان في حصن أو برج مشيدين كما قال القرآن: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (النساء:٧٨)، إذن: فهو ميت لا محالة، فورود الحرب لا يقدم له المـوت، وجبنه لا يؤخره عنه، وإيمانه بقدر الله في الأجل دفعه ليستبسل.

يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ (التوبة:٥٢)، تلك مسألة غاظتهم حربيا، فالإيمان بالقضاء والقدر كـان مما أغـاظ أعـداء الإسـلام؛ لأنه مبدأ أذلهم في الحروب، وقد كان مبدأ نصر المسلمين في تلك الحـروب، فجاؤوا بعد أن أخفقوا فـي الـغـزو العـسكري والحـربـي ليستعملوا سـلاح الـغزو الفكري والعـقـائدي، فـقـدم المستشرقون وخـصـوم الإسـلام مطاعـن في

الإيمـان فـي المؤمنـين بالقضاء والقدر هو الصفة الإيمانية التي أغاظت أعداء الإسلام

الإيمـان بالقضاء والقدر كان مبدأ انتصار المسلمين في الحروب

الإســـلام، ردهــا الـغـيـورون من المسلمين، ولم تفلح هذه المسألة، فهل يفلحون في أن يخلقوا من المسلمين أنفسهم مشككين في الإسلام؟! قد تم لهم ذلك المراد، واستطاعوا أن يسيطروا على قوم ضعاف العقيدة من المسلمين، ويجعلوهم أداة في المسلمين للتشكيك في قضايا الإسلام، فأدخلوا حرية البحث، أو ما يسمى بمنهجية البحث أو موضوعيته، أو نقد التاريخ، أسماء جاءت لنا؛ حتى لا تجعل المسلم يتهيب البحث في أي قضية إيمانية بعد أن كان يتهيب أن يبحث في أي شيء، ومن هذه الأشياء موضوع القضاء والقدر، طرح السؤال أولا مستشرق، وردده بعد ذلك مستغربون من المسلمين، وهذه طريقة طرح السؤال: إذا كان الله قد قضى كل شيء وقدره، ولا مندوحة[٢٢] من حصوله، وقدر على العاصي أن يعصي، فلماذا يعذبه في الآخرة؟ سؤال رائع براق، قد يكون سلوة للمنحرفين الذين أسرفوا على أنفسهم، يبررون بها انحرافهم، يقولون: الله قضى بالمعصية، فلماذا يعذبني؟! نقول: انظروا إلى أن القضية ليست قضية وقفة عقلية، وإنما هي وقفة تبريرية؛ لأن القضية العقلية حين تناقش لابد أن تناقش مع مقابلها، أما أن تناقش وحدها فذلك دليل على أنه التبرير، ولو أن الوقفة عقلية، وهم منهجيون في البحث وموضوعيون، ولا غرض لهم إلا موضوعيته، كان الواجب أن يقولوا: إذا كان الله قد كتب على الإنسان المعصية فلماذا يعذبه؟ وإذا كان قد كتب عليه الطاعة فلماذا يثيبه؟ ولكن السؤال الثاني لم يرد قط، والسؤال الأول هو الوارد؛ لأن السؤال بهذه الصيغة يحرم الإنسان من مغنم، فالذي يحقق له مغنما رضي به وسكت عنه وقبله عقله، والذي يأتي إليه بالغرم -وهو حسابه على المعصية- ناقشه يريد أن يرده، لو كنت تريد أن ترد واحدة فيجب أن ترد مقابلها أيضا، فتقول: إذا كان الله قد قضى علي المعصية فلماذا يعذبني؟! وتقول: وإذا كان قد قضى علي الطاعة فلماذا يثيبني؟! لماذا سكت عن هذه وقبلها عقلك، ووقفت في هذه ورفضها عقلك؟! أين منهجية البحث وموضوعيته يا هذا؟ بهذا عرفنا أن ذلك السؤال تبرير من المسرفين على أنفسهم، ومعنى ذلك إعطاء الأعذار للذين ينحرفون عن منهج الله، بأنهم انحرفوا بقضاء الله.

بعد ذلك طرحوا السؤال بهذه الكيفية: هل الإنسان مسير أم مخير؟! ومعنى مسير: لا إرادة له فيما يقع منه، ومعنى مخير: له إرادة فيما يقع، نقول: متى تنشأ المشكلة بين شيء ونقيضه، أو شيء وضده، أو شيء ومقابله؟ إذا سئلت عن واحد لك به صلة، فيقال لك: أفلان هذا كريم أم بخيل؟ فتقول له: والله لا أدري، فأحكم على فلان أهو كريم أم بخيل. لماذا ترددت؟! لابد أن تكون في المظاهر السلوكية لفلان أفعال تدل على أنه كريم وأخرى تدل على أنه بخيل، لذلك ترددت؛ لا تستطيع أن تقول: إنه كريم؛ لأن فيه تصرفات بخل، ولا تستطيع أن تقول إنه بخيل؛ لأن فيه تصرفات أخرى، فعنده كرم مثلا. إذن: فلا يتردد السؤال بين شيء وضده، أو شيء ونقيضه، أو شيء ومقابله إلا إذا كانت هناك تصرفات تناسب الأول وأخرى تناسب الثاني، تقول مثلا: لا أدري كيف أحكم عليه؛ أهو شجاع أم جبان؟! معنى ذلك أنك شهدت له مواقف شجاعة ومواقف جبن أيضا، فإذا أردت أن تحكم بالشجاعة قامت مواقف الجبن، وإذا أردت أن تحكم بالجبن قامت مواقف الشجاعة، فطرح السؤال: هل الإنسان مسير أم مخير؟ يدل على أن الإنسان يلحظ في واقع نفسه أن أمورا تجري عليه بلا اختيار منه، فهو يمرض بلا اختيار منه، ويصيبه حجر وهو سائر في الشارع دون اختيار منه، ولكنه يرى أنه يريد أن يسافر إلى المكان الفلاني في الطائرة، فتيسر له الطائرة، ويذهب، ويقطع التذكرة، أو يريد أن يلبس ثوبا أبيض، فيذهب إلى التاجر ليأتي بثوب أبيض، يريد أن يذهب إلى السوق ليأكل لحما، فيأتي بلحم، يريد أن يذهب اليوم ليأكل سمكا فيأتي بالسمك، إذن: فهناك مظاهر تدل على اختياره، ومظاهر أخرى تدل على قهره، هذان المظهران تضاربا، فلم ندر؛ أنحكم بأنه مسير أم مخير؟! نقول: حين يسأل سؤال يكون هناك موضوع ومحمول ومتعلقات؛ أي: بتعبير أسهل: يكون في السؤال مفردات، فهل مطلوب بها الاستفهام؟! وما الإنسان؟ وما معنى مسير؟ وما معنى مخير؟ فإذا عرفنا معاني هذه الألفاظ نستطيع بعد ذلك أن نبحث فيها بحثا عمليا، ما الإنسان

يا أخي؟ حينما تريد أن تعرف ماهية الإنسان تقول: هذا الفرد العاقل الذي نراه، لكن عندما نريد أن نحدده تحديدا علميا نقول: الإنسان حيوان، هذا صحيح، ولكن هل هو محض حيوان أم متميز بشيء ما؟! هو حيوان، إنما تميز بالفكر، وقد عرفنا أنه يفكر؛ لأن نطقه يدل على أنه مفكر، إذن: فالإنسان حيوان يزيد بأنه ناطق؛ أي: مفكر. فهو حيوان مفكر؛ حيوان من جنس الحيوان، ولكن صار نوعا بفكره، وظل الحيوان حيوانا بعدم فكره، والإنسان ليس وحده في الكون، بل هناك أجناس دونه؛ الجنس الذي دونه بصفة واحدة، هو الجنس التالي، والجنس الذي دونه بصفتين هو الجنس تالي التالي، والجنس الذي دونه بثلاثة أصناف هو الجنس التالي لتالي التالي، يسأل أحدهم: ألم تقل إن الإنسان حيوان ولكنه ناطق؟! إذن: فالذي ميز الإنسان عن الحيوان تفكيره، فما الذي ميز الحيوان عما تحته؛ أي: النبات؟! قال: الحس والحركة، وما الذي ميز النبات عما تحته؛ الجماد؟! قال: النمو. وهذا يعني أن الأجناس جماد، فإذا أخذ امتياز النمو فهو نبات، فإذا أخذ امتياز الحس والحركة فهو الحيوان، فإذا أخذ الحيوان امتياز الفكر فهو الإنسان، لكن حين أخذ الإنسان امتياز الفكر صار إنسانا، هل الفكر منع ما فيه من حيوانية؛ أي: الحس والحركة، أم لا تزال الصفات الحيوانية فيه؟! فيه صفات الحيوانية من الحس والحركة. وهل منع ما فيه من خاصية النبات وهي النمو؟! لا؛ فيه صفة النمو. وهل منع ما فيه من خاصية الجماد، وهي أن له حجما وجرما(٢٣)، وجاذبية الأرض والكتلة تتحكم فيه؟! لا؛ لم يمنعها. قل: فإذا أردت أن تعرف الإنسان إن كان مسيرا أم مخيرا فابحث فيما في الإنسان من عناصر الأجناس المتكونة؛ الإنسان فيه جمادية لأن له جرما وجسدا، وإذا رفع نفسه إلى أعلى لا يملك أن يمسكها في الجو حتى لا يقع، بل تتحكم فيه قوانين الجاذبية، لتنزل به إلى الأرض كالحجر تماما، وعلى ذلك تكون قوانين الجمادية فيه، وهو ينمو أيضا، فلا اختيار له في النمو، إذن: وعلى ذلك تكون خاصية النبات فيه، وأجزاؤه وأجهزته كلها من حس وحركة وهضم وتنفس وجهاز كذا وكذا تعمل عملها دون إرادة منه؛ لأنها تعمل ولا إرادة له بعملها، فتعمل وهو صغير قبل أن تكون له إرادة، وكذلك وهو نائم بعد أن خمدت إرادته، إذن: فلا إرادة له فيها؛ فالإنسان -لما فيه من جمادية ونباتية وحيوانية- مملوك بقانون التسيير، ولا اختيار له في شيء من ذلك البتة، ولكن المنطقة التي تميز بها -وهي الفكر- هي مهمة العقل، ومهمة العقل: الاختيار بين البديلات؛ أي: بين شيء وبديله، يقول العقل: أأفعل هذا أم هذا؟! يأتي فيقارن بين إيجابيات هذا وسلبيات ذاك، فيقول: أختار هذا. إذن: فالأمور التي لا بديل لها لا عمل للعقل فيها البتة، ومنطقة الفكر الاختيار بين البديلات، والأمر الذي لا بديل له اختيار لا عمل للعقل فيه البتة، وقد



تميز الإنسان بالفكر عن الحيوان والنبات والجماد، تلك هي منطقة التخيير، أما منطقة التسيير فما فيه من حيوانية ونباتية وجمادية لا يتحكم فيها البتة، فلا يملك ألا يقع إذا كان في الجو، ولا يقول: اليوم أنمو وغدا لا، أو: اليوم أنمو نصف مليمترا أو مترا. ولا يتحكم في أجهزته الداخلية كجهاز التنفس، ولا في قلبه فيقول له: انبض. ولا في أمعائه فيقول لها: أدي الحركة الدودية. ولا إرادة له في كل ما يتعلق بحيوانيته ونباتيته وجماديته، وإنما إرادته وفكره في منطقة الفكر، فما جاء في منطقة الفكر -والفكر معناه الاختيار بين البديلات- فتلك منطقة اختياره، ولذلك لا يكلف الله إنسانا مجنونا؛ لأن أداة الاختيار ساقطة عنده، ولو أن الإنسان مسير في كل شيء لكلف الله المجنون، إنما أسقط التكليف عنه؛ لأن منطقة الاختيار بين البديلات لا وجود لها، وكذلك لو كانت الأمور تسخيرية لكلف الله الطفل ساعة يولد، لكنه أخر تكليفه إلى أن ينضج عقله، ويبلغ سن الرشد، فالفكر- وهو ما تميز به الإنسان- هو منطقة الاختيار؛ لأن الفكر معناه الاختيار بين البديلات، فالذي يقول: هل الإنسان مسير أم مخير؟! نقول له: حلل ذلك الإنسان إلى عناصره، فستجد جمادية ونباتية وحيوانية هو مسخر ومسير في قوانينها كلها، وتجد منطقة فكر، والفكر هو الاختيار بين البديلات، فما لا فكر له لا يكلف، وما لم يكتمل فكره لا يكلف، معنى ذلك أن منطقة الشيء

الذي تفكر فيه أيفعل أم لا يفعل هي منطقة الاختيار، إذن: فلا يصح أن تقول: الإنسان مسير. ولا أن تقول الإنسان مخير، بل نقول: الإنسان مسير في كل عمل لا فكر فيه ولا اختيار بين البديلات له فيه، وفي كل عمل يصله بالحيوانية أو النباتية أو الجمادية، أما الأعمال الإرادية التي تمر على الفكر، وفيها بديلات، فتلك منطقة الاختيار، وعلى ذلك: الإنسان ليس مسيرا مطلقا، ولا مختارا مطلقا، وإنما هو مسير في كذا، ومخير في كذا، وعلى هذا الضوء نستطيع أن نقارن بين الأفعال، فالأفعال التي تتصل بالإنسان ثلاثة أنواع: فعل يقع في الإنسان؛ كالحركات التي تحدث في أجهزتي: تحدث وأنا نائم، أو صغير، لا أدرك لهذه الحركات سرا، فالفعل الذي يقع في الإنسان أنا مسير فيه، ومن رحمة الله بي أن جعلني مسيرا فيه، وإلا، لو كان الإنسان مخيرا في أن يتنفس أو لا فكيف يتنفس الصغير الذي لا يدرك سر التنفس ولا ضرورته، أو كيف يتنفس النائم وقد خمدت إرادته واختياره؟! إذن: من رحمة الله بالإنسان أن جعله مسيرا في كل فعل يقع فيه، وفعل آخر يقع عليه من الخارج؛ وهذا لا إرادة فيه، ولا اختيار بين بديلات، ولا عمل للفكر فيه، وهو مخير في فعل يقع منه؛ أي: يطرحه على العقل أولا، وبعد ذلك يقارن، ويقول: أفعل أو لا أفعل. مثلا: أختار هذا اللون، فيقول لي أحدهم:

اللون هذا يذهب رونقه، وقد جربه فلان. فتختار غيره، إذن: فالأفعال ثلاثة: فعل يقع في وأنا مسير فيه، وفعل يقع علي وأنا مسير فيه، وفعل يقع مني، وتلك منطقة الاختيار، ولا بد أن يؤمن بها المؤمن، العلماء الذين اخترعوا مصطلحات مجبر ومخير هم جبرية وأهل سنة ومعتزلة، نحن نحسن الظن بخلافهم، فكل واحد منهم يتعصب لصفة من صفات الله، فالذي يقول: إن العبد يخلق أفعال نفسه نقول له: لا تقل: يخلق. وقل: مختار في أفعال نفسه؛ لأن العبد لا يخلق فعلا، فالفعل توجيه طاقة إلى إيجاد حدث بمرجح يراه العقل، فهل خلق الإنسان الفكر أو الطاقة التي تفعل؟ لا؛ فهل فكر العقل؟! لا، فماذا حصل؟! أنت وجهت الطاقة لما تصلح له فقط، لذلك لا نقول: الإنسان خلق الفعل. هذا قول شديد، والإنسان لم يخلق شيئا، قل: إنه وجه الطاقة المخلوقة لله إلى فعل فعل. يأتي متعصب إلى صفة العدل لله، وآخر متعصب إلى أن الله خالق كل شيء، وما من شيء إلا خلقه الله، فيقول الذي يتعصب إلى صفة العدل: لا يمكن أن يكون الله هو الذي خلق فعل الإنسان الاختياري، وإلا، يكون ظالما لو أنه عذب العاصي

الهوامش

٢١- استنكف: أنف وامتنع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٩/٣٤٠).
٢٢- المندوحة: السعة أو المتسع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٧/١٦٧).
٢٣- الجرم: الجسد، وقيل: البدن. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣١/٣٨٨).

جاسم الجاسم
كاتب وباحث



صلاة الجمعة.. كفارة الذنوب

لا يتميز بكونه أفضل أيام الأسبوع، وخير يوم طلعت فيه الشمس. إنما أيضا لانه تقام فيه صلاة الجمعة «كفارة ذنوب العباد».

وعندما نتحدث عن يوم الجمعة لابد أن نتطرق إلى صلاة الجمعة، وهي الصلاة التي يؤديها المسلمون جماعة بدلا عن صلاة الظهر كل يوم جمعة.

وصلاة الجمعة ركعتين فقط، وهي صلاة جهرية على عكس صلاة الظهر.

والجمعة يوم مبارك لدى المسلمين، والاسم مأخوذ من الاجتماع، وهناك سورة من سور القرآن الكريم اسمها «الجمعة».

وجاء ذكره صلاة الجمعة في سورة الجمعة وهي إحدى السور المدنية التي يبلغ عدد آياتها ١١ آية.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ (الجمعة: ٩ - ١٠).

وورد في السنة النبوية الشريفة الكثير من الأحاديث عن يوم الجمعة وصلاة الجمعة وفضلهما الكبير، منها ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة. صحيح مسلم (٨٥٤).

وعن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل ثم أتى الجمعة، فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام». صحيح مسلم (٨٥٧).

وعن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر». صحيح مسلم (٢٣٣)

ومن الأمور المستحبة في صلاة الجمعة ويوم الجمعة بشكل عام الاغتسال والتطيب قبل الذهاب إلى المسجد وارتداء أحسن الثياب والملابس النظيفة والتبكير في الذهاب إلى الصلاة، وقراءة سورة الكهف والإكثار من الدعاء ومن الصلاة على النبي محمد ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا».

أخرجه البيهقي في (الكبرى) (٣/ ٢٤٩)، والقطيعي في (جزء الألف دينار) (ص ٢١٧)، والبيهقي في (فضائل الأوقات) (ص ٤٩٩).



التحرير

من أجل مصالحة وطنية شاملة سمو الأمير يطلق سراح عدد من المدانين

عفو كريم من أمير كريم

عندما أعلنت الحكومة الكويتية في ١٧ يناير الماضي، صدور مرسوم أميري بالعفو عن مدانين بأحكام بالسجن في «إطار مصالحة وطنية»، استبشر جميع سكان الكويت بمضي سفينة التنمية قدما دون عرقلة أو ضغائن؛ فالمصالحة الوطنية هي أساس التنمية في الأوطان. وقد سبق هذا العفو عفو آخر منح الفرصة لبعض النشطاء كي يعودوا إلى وطنهم بعد أن هجروه بسبب أحكام واستقروا في دول خارجية، حتى اكتمل لم شمل الأسرة الكويتية، و هذا العفو لم يكن الأول كمبادرة من أمير الكويت وولي عهده، وطبيعي أن تعمل المصالحة الطيبة هذه على تهيئة أجواء تعاون مثمر بين السلطتين وفق الأسس الدستورية، وكما أوضح مجلس الوزراء للمشمولين بالعفو فإن جزاء الإحسان لا يكون إلا بإحسان من خلال الحفاظ على هذا البلد المعطاء والالتزام والاحتكام إلى قوانينه.

وقد أكد مجلس الوزراء في بيان له أن الإرادة الأميرية السامية كشفت عن رغبتها في استعمال حقها الأصيل الجليل دستورا وقانونا في العفو عن شريحة واسعة من أبناء الوطن، ممن هم على أرضه داخل المؤسسات الإصلاحية بعد أن قضوا مدة في تنفيذ العقوبات المحكوم بها عليهم. وشملت الرغبة الأميرية السامية شريحة من أبناء الوطن المتواجدين بالخارج، والتي أكدت على أن عهود الازدهار



والاستقرار والإنتاج المليء بالبناء والعطاء والإعلاء لا تتم وتكتمل وتزهو وتسمو إلا بمصالحة وطنية تعود بالخير على أبناء هذا الوطن وفتح صفحة جديدة مضيئة مشرقة يكون عنوانها تصحيح المسار من أجل الاستقرار، والتأكيد على أن الكويت أولى بأبنائها وأن مكانة الشعب لدى قيادته محفوظة ومذكورة ومذخورة. ويأمل المجلس أن يكون من شأن هذه الخطوة تسهيل العلاقة بين السلطتين.

وشمل مرسوم العفو الأميري الصادر في الكويت بالرقم ٨ لعام ٢٠٢٣م شريحة واسعة من المواطنين الكويتيين، وبحسب بيان مجلس الوزراء الصادر يوم الثلاثاء ١٧ يناير ٢٠٢٣م، فإنه يمكن تصنيف المشمولين بمرسوم العفو الأميري ضمن الفئتين التاليتين:

- المواطنون المشمولون بالعفو الأميري في الكويت؛ تضمن مرسوم العفو الأميري رقم ٨ الصادر عام ٢٠٢٣م قائمة من أسماء المواطنين الكويتيين المتواجدين داخل الكويت، الذين قضوا مدة في المؤسسات الإصلاحية الكويتية ينفذون العقوبات والأحكام الصادرة بحقهم جراء ارتكابهم مخالفات بحق الوطن.

- المواطنون المشمولون بالعفو الأميري خارج الكويت؛ شملت قائمة أسماء المشمولين بمرسوم العفو الأميري رقم ٨ الصادر عام ٢٠٢٣م مجموعة من المواطنين الكويتيين المتواجدين في الغربة، الذين ظنوا أن العودة للوطن باتت غير ممكنة بعد الآن، إلا أن القيادة الكويتية جعلت منهم جزءا مهما لإتمام مشروع الاستقرار والتطور المنشود في البلاد. وتقدم رئيس وأعضاء مجلس الأمة بالشكر الجزيل والعرفان والامتنان إلى صاحب السمو الأمير الشيخ نواف الأحمد، حفظه الله ورعاه، وسمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد، حفظه الله، بالمكرمة الأميرية واللفتة الأبوية بصدور مرسوم العفو رقم ٨ لسنة ٢٠٢٣م، بالعفو عن العقوبة المقيدة للحرية المحكوم بها على بعض الأشخاص.

د. سعيد عبيدي
باحث في الفكر الإسلامي



تسامح الإسلام في كتابات الغربيين المنصفين

شهدت السنوات الأخيرة مجموعة من الأحداث المأساوية التي عزتها بعض الدراسات إلى التطرف الديني، وتزامنا مع ذلك تعالت أصوات من مختلف البيئات موضحة مزايا ديننا الحنيف، وفي مقدمتها تسامحه وتعايشه مع الآخرين. في هذا الصدد شهد عدد من المفكرين الغربيين الذين لم يعمهم الحقد والتعصب عن ذكر الحق والجهر به بأن الدين الإسلامي دين تسامح وتعايش منذ أن ظهر إلى اليوم، هذا الأمر هو ما سأبينه في هذه الورقة التي أوردت فيها شهادات بعض ممن أعجبوا بالتسامح الإسلامي، بل منهم من قاده هذا التسامح إلى سلك طريق الهداية واعتناق الدين الحق.

زيغريد هونكه (١٩١٣- ١٩٩٩م)

وهي مستشرقة ألمانية وهبت كل

وقتها للدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين، في كتابها الشهير «شمس العرب تسطع على الغرب» تحدثت بإسهاب عن الإسلام والحضارة الإسلامية محاولة إبراز سماحة هذا الدين الحنيف، تقول: لا إكراه في الدين هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الإسبان واضطهادات اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا بأنفسهم في شؤون تلك الشعوب الداخلية، فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: «إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف».

توماس أرلوند (١٨٦٤-١٩٢٠م)
وهو مفكر إنجليزي ذكر أهله من الغرب أن الدين الإسلامي انتشر بفعل الحرية الدينية والتسامح، ولم ينتشر كما هو متداول بالقوة وحد السيف؛ يقول في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»: إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى، لقد ظل الكفار على وجه الإجمال ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلا في أوروبا حتى عصور حديثة جدا، وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم طبقا لتعاليم القرآن، وإن مجرد وجود كثير من الفرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلت قرونا في ظل الحكم الإسلامي لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نعم به هؤلاء المسيحيون.

ول وايريل ديورانت (١٨٨٥-١٩٨١م)
وهو صاحب الكتاب الشهير «قصة الحضارة»، ذهب إلى أن المسيحيين واليهود وغيرهم من أهل الذمة كانوا يعيشون في بلاد المسلمين بأمان كبير وكأنهم يعيشون في ديارهم، فلم يحدث في يوم من الأيام أن أساء إليهم أحد الحكام المسلمين، ولا ألزمهم بتغيير معتقداتهم أو هدم معابدهم، يقول بخصوص ذلك: ولقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون، واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائرهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص وأداء فرضة عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير، ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان والنساء والذكور الذين هم دون البلوغ، والأرقاء، والشيوخ، والعجزة، والعمي...، وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم، وقضاتهم وقوانينهم، وكان تسامح الحكام المسلمين معهم يختلف باختلاف الأسر الحاكمة...، وكان اليهود يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم في بيت المقدس، وكان المسيحيون يمارسون دينهم بكامل حريتهم؛ إذ يحدثنا المؤرخون أنه كان في بلاد الإسلام في عصر المأمون أحد عشر ألف كنيسة، كما كان فيها عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار، وكان المسيحيون أحرارا في الاحتفال بأعيادهم علنا، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجا آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين، لقد أصبحوا أحرارا آمنين تحت حكم المسلمين الذين لم يكونوا يجدون لنقاشهم ومنازعاتهم معنى يفهمونه، ولقد ذهب المسلمون في حماية المسيحيين إلى أبعد من هذا؛ إذ عين والي أنطاكية في القرن التاسع الميلادي حرسا خاصا ليمنع الطوائف المسيحية المختلفة من أن



يقتل بعضها بعضا في الكنائس.

جابرييلي فرانشسكو (١٩٠٤-١٩٩٦م)

وهو مستشرق إيطالي، قام بترجمة نصوص الفكر الإسلامي إلى الإيطالية، له مجموعة من المؤلفات في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، وبعد دراسته الطويلة للإسلام تأكد له بالملموس أن الدين الإسلامي دين تسامح، ولم يكن أبدا دين تعصب، يقول في «الإسلام في عالم البحر المتوسط»: إن الإسلام أضفى على عقائد أهل الكتاب (أي المسيحية واليهودية) مكانة خاصة يحميها الشرع، وإن تكن ذات مرتبة أدنى في الدولة، ولم يدم التزمت والاضطهاد فترات طويلة إلا في أوقات الشدة وعدم الشعور بالأمان، أما قانون المسيحية فليس فيه أي مكان لأي دين آخر، لذا فقد انتقل بسرعة وبتطور منطقي عندما انتصر على الإسلام إلى التعصب والاضطهاد...، لقد انتشر دين بلاد العرب الذي جلبه الفاتحون معهم في شبه الجزيرة بسرعة، كما حدث في جميع البلاد التي فتحها العرب، وأصبح هو السائد بسرعة بين سكان البلاد الأصليين الذين اعتنقوه، وإن لم يصبح هو الدين الوحيد؛ فإلى جانب إسلام الفاتحين الأجانب كان هناك تسامح مع الدين المسيحي الذي طورته إسبانيا، بحيث أصبح لها أعيادها الدينية والثقافية وطقوسها الخاصة وكتابها وقديسوها، ورغم أن مكانته كانت دون الإسلام فقد كان له وضع قانوني كامل، على أن هذه المسيحية قد استعربت بسرعة، لغويا وثقافيا، وأصبحت هناك كلمة عربية تدل على سكان البلاد الذين بقوا على دين آبائهم تحت الحكم الإسلامي، لكنهم أصبحوا ناطقين بالعربية أو يتكلمون اللغتين على الأقل.

ليفي بروفنسال (١٨٩٤-١٩٥٦م)

يعد هذا المستشرق أحد زعماء البحث في الفكر الإسلامي في فرنسا، وهو من أصل يهودي تنقل بين الجزائر وفرنسا وإيطاليا، تركزت أبحاثه على تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، كتب المئات من الأبحاث والدراسات، والتي نشرت في مصنفات مستقلة، ونشر بعضها الآخر في أشهر المجلات والحوليات الاستشراقية، أعجب هو الآخر بسماحة المسلمين عند حكمهم

للأندلس، والذين لم يكرهوا أحدا على تغيير دينه، بل بالعكس وفروا الجو المناسب للمسيحيين من أجل أداء شعائرهم، يقول في «حضارة العرب في الأندلس»: ما من مكان كانت فيه العلاقات الدائمة ضرورية بين الإسلام والمسيحية أكثر منها في إسبانيا العربية، فإن معظم سكانها قد احتفظوا، على الأقل في القرن الأول من حكم الإسلام، بالديانة القديمة في دولة الفيزيقوت (القوات الغربيون)، وفيما بعد، حتى عقب اعتناق أعداد غفيرة من الرعايا النصارى أهل الذمة للإسلام، للاستفادة من نظام مالي أفضل، بقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحيين تشكل في المدن الأندلسية وحدات مزدهرة، لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول وجابيها الخاص وقاضيها الذي يطبق في محكمته، تحت إشراف الإدارة الأموية، القانون القوطي القديم. أما الاضطهادات التي عانتها فقد كان يسببها دوما مسيحيون متهوسون يرفضون أن يتراجعوا عن القدح في معتقد سادة البلاد. وكان أمراء الأندلس وخلفاؤها يقرون بصورة دائمة تقريبا اختيار أصحاب الرتب الكهنوتية: مطران طليطلة وأسقف قرطبة، حتى إنهم كانوا يستعملون هؤلاء الأحبار في سفارات أو مهمات سياسية سرية في الوقت المناسب...، وهذا ما يجعلنا نفترض وجود اختلاط ودي، واثق ومتصل بين مختلف عناصر السكان، بل نملك على هذه الناحية شهادة معاصرة لا نستطيع الارتياب في قيمتها، ذلك لأنها صادرة عن واحد من أنشط أبطال المقاومة ضد الإسلام في شبه الجزيرة في القرن التاسع ألا وهو ألفارو القرطبي فبينما يحزن لفتور مسيحيي إسبانيا وجهلهم باللاتينية، نراه يمجد بفصاحة نادرة الثقافة الإسلامية الإسبانية التي كانت في طور التكوين.

إميل درمنغم (١٨٩٢- ١٩٧١م)

هو أحد كبار المستشرقين الفرنسيين الذين أعجبوا بالإسلام وسماحته التي جعلت منه دينا مقبولا وعالميا على حد قوله، فالمسلمون لم يقابلوا الإساءة بالإساءة وإنما قابلوها بالصفح والتسامح؛ يقول في كتابه «حياة محمد»: وتم النصر للإسلام لأنه عنوان رسالة كان الشرق كثير الاحتياج إليها، واحتمل المسلمون ضروب العذاب قبل الهجرة ولم يستطيعوا لها ردا، فلما كانت الهجرة وكان ما أبدوه من المقاومة والنصر، اتخذوا التسامح الواسع دستورا لهم. أجل لم يبق للمشركين مقام في دار الإسلام، ولكنه أصبح لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيها حق الحماية وحرية العبادة وما إليهما، وصاروا من المجتمع إذا ما أعطوا الجزية. قال النبي ﷺ: «من آذى ذميا فأنا خصمه»، وما أكثر ما في القرآن والحديث من الأمر بالتسامح.

إدوارد بروي (١٨٨٧-١٩٧٢م)

هو صاحب كتاب «تاريخ الحضارات العام: القرون الوسطى»، وهو جزء من أكبر وأفضل الموسوعات التاريخية الشاملة، والتي تسرد تاريخ الأمم ابتداء من حضارة الشرق واليونان القديمة وانتهاء بعهدنا المعاصر، ذكر فيه مما ذكر أن الحضارة الإسلامية استطاعت أن تصل إلى مستوى العالمية بسبب سماحة المسلمين وعدم تعصبهم تجاه المسيحيين، الذين كانوا يكيلون للمسلمين التهم بإسبانيا ويعرضونهم لشتى أنواع العذاب يقول: ما لابد من التنويه به عاليا أن هؤلاء السلاطين العثمانيين لم يظهروا أي تحرج أو تعصب تجاه المسيحيين، في وقت وزمان كان فيه ديوان التفتيش يبطش بالناس بطشا وينزل بهم الهلع، وفي عهد كان اليهود والمسلمون يطردون دونما رحمة أو شفقة من إسبانيا، وبالرغم من إسكان عدد كبير من الجاليات الإسلامية في البلقان، واعتناق بعض الجماعات البلقانية الإسلام فلم يأت العثمانيون شيئا مهما ليمنعوا السواد الأكبر من سكان البلاد البلقانية من الاحتفاظ بنصرانيتهم.

هكذا إذن وبعد استقراء شهادات هؤلاء الغربيين المنصفين الذين صدحوا بالحق ولم يؤسسوا أفكارهم على الباطل والشبهات يمكن أن نقول إن هذه الشهادات أجمعت على أن الإسلام كان يحترم ويوقر الأديان الأخرى، ويسمح لأتباعها في ظل الدولة المسلمة بممارسة كافة الشعائر الدينية؛ فالنصارى واليهود هم أهل ذمة عند المسلمين ما لم يحاربوهم، وقد تمتعوا عبر التاريخ الإسلامي الطويل بكل امتيازات المواطنين، ولم يحدث في يوم من الأيام أن أساء إليهم أحد أو اغتصب حقهم وحريتهم في معتقدهم، لأن الإسلام بكل بساطة دين صفح وتسامح لا دين إكراه وإرهاب.

محمد شوقي
كاتب وباحث



في أجواء تسودها المحبة والإخاء بمناسبة عيدها الوطني الـ٦٣

الكويت ترتدي ثوب الفرحة

تحتفل الكويت في الخامس والعشرين من فبراير بالذكرى الـ٦٣ باليوم الوطني، تلك المناسبة الغالية التي تجسد أعظم معاني وقيم الانتماء للوطن وقيادته التي حرصت طوال العقود الماضية على تعزيز مكانته والمحافظة على أمنه واستقراره، ودفع عملية التنمية فيه بشتى المجالات. وتحيي البلاد احتفالاتها بأيامها الوطنية في ظل القيادة الحكيمة لسمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح وسمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح حفظهما الله ورعاهما، والتفاف أبناء الشعب حول قيادتهما الحكيمة لتمضي بسفينة الوطن نحو شاطئ الأمان والاستقرار والازدهار.

إن الفرح والاحتفال بهذا اليوم الوطني المجيد في ظل القيادة الحكيمة لهو استحقاق وطني لهذا الشعب الوفي والمخلص الذي يعيش على هذه الأرض الطيبة التي تسودها المحبة والإخاء فقد عاش الكويتيين طوال تاريخهم وسط لحمة وطنية راسخة وتلاحم شعبي فريد.

بداية الاحتفال

بدأت الكويت احتفالها باليوم الوطني الأول في ١٩ يونيو عام (١٩٦٢م)، وأقيم بهذه المناسبة حينها عرض عسكري كبير في المطار القديم الواقع قرب دروازة (البريعصي)، حضره عدد كبير من المسؤولين والمواطنين في أجواء من البهجة والسرور. وفي ذلك اليوم ألقى الأمير الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح كلمة قال فيها: «إن دولة الكويت تستقبل الذكرى الأولى لعيدها الوطني بقلوب ملؤها البهجة والحبور بما حقق لشعبها من عزة وكرامة ونفوس كلها عزيمة ومضي في السير قدما في بناء هذا الوطن والعمل بروح وثابة بما يحقق لأبنائه الرفعة والرفاهية والعدالة الاجتماعية لجميع المواطنين»[1].

واستمر الكويتيون يحيون اليوم الوطني في: ١٩ يونيو كل عام ما بين عامي:

(١٩٦٢-١٩٦٤م) حتى صدر في: (١٨مايو ١٩٦٤م) مرسوم أميري جرى بموجبه دمج عيد الاستقلال بعيد جلوس الأمير الراحل عبدالله السالم الصباح الموافق يوم (٢٥ فبراير من كل عام بداية من عام ١٩٦٥م).

مناسبات وطنية

ولم يكن فبراير شهرا عاديا في تاريخ الكويت لأن المناسبات الوطنية التي تقام فيه تشكل علامة فارقة يجب الوقوف عندها كل عام والتذكير بأحداثها ودور رجالات الرعيل الأول وتضحياتهم من أجل استقلال الوطن وبنائه فهو تاريخ مشرف لا ينسى رسمه الآباء والأجداد ويواصل مسيرته الأبناء جيل بعد آخر[٢].

وتشهد الاحتفالات بالأيام الوطنية مراحل عدة لكل منها خصوصيتها وجمالها ومرت بالعديد من التغييرات عبر التاريخ مجسدة ذكريات وأياما جميلة محفورة في الوجدان بدءا من ستينيات القرن الماضي حتى وقتنا الحالي.

وكذلك كان الأمر في السبعينيات والثمانينيات إذ كانت الاحتفالات اليوم الوطني تقام على امتداد شارع الخليج العربي بمشاركة مختلف مؤسسات الدولة العامة والخاصة وكان طالب وطالبات المدارس يشاركون في هذه الاحتفالات إضافة إلى الفرق الشعبية كما كان لمحافظات الكويت نصيب وافر من هذه الاحتفالات.

ساحة العلم

وفي عام: (١٩٨٥م) وبمناسبة مرور ربع قرن على الاستقلال تم إعداد ساحة العلم بموقعها المميز والقريب من شاطئ البحر لإقامة احتفالات باليوم الوطني وتم رفع أطول سارية لعلم الكويت في هذه الساحة ولهذا سميت باسمها وتقدر مساحتها بـ(١٠٠) ألف متر مربع تقريبا ويصل ارتفاع السارية إلى (٣٦) مترا تقريبا.

تقنيات حديثة

وخلال السنوات الأخيرة ومع تطور الزمن و تقنياته الحديثة اعتادت الكويت أن تزدان مبانيها وميادينها وشوارعها بحلل الفرح والسعادة متلألئة بصور رائعة من أضواء الزينة التي جسدت أبهى صور حب الوطن والولاء والتفاف الكويتيين حول قيادتهم السياسية الرشيدة.

وتتخلل الاحتفالات العديد من الفعاليات والأنشطة والعروض ومنها العروض العسكرية المرافقة لهذه الاحتفالات والتي تعكس انطباعا جميلا في ذاكرة الكويتيين وخصوصا المشاركة الواسعة لوحدات الجيش البرية والجوية والبحرية إلى جانب وزارة الداخلية والحرس الوطني.

عروض عسكرية

وجرت العادة أن تفتتح العروض العسكرية بتحية العلم وسط حضور كبير من المواطنين في حين تحتشد الوحدات العسكرية في تراص منظم لتبدأ عرضها المهيب الذي يتخلله عزف الفرق الموسيقية التابعة للجيش و«المارش» العسكري راسمين لوحة فنية تتجلى فيها القيم الوطنية والاستبسال دفاعا عن الوطن.

ويشارك في العروض مشاة من قوات المغاوير التابعة للجيش وقوات الصاعقة من الحرس الوطني وطلائع الفرسان من الشرطة وآليات وزارة الداخلية بكل قطاعاتها والسفن البرمائية ومقاتلات حربية كويتية مختلفة، إضافة إلى تلك القوات يأتي العرض الجوي الذي يضم مختلف أنواع الطائرات لرسم تشكيلات ثلاثية ورباعية [٣].

كما تشارك قرية صباح الأحمد التراثية فرحة الكويت في الاحتفالات الوطنية بإقامتها العديد من الفعاليات والأنشطة والمتمثلة في مسابقات وتوزيع جوائز وفقرات الألعاب النارية والفرق الشعبية الغنائية وغيرها.

الانتماء للوطن

ومن أبرز مظاهر الاحتفالات إطلاق العديد من الجهات المعنية للأناشيد الوطنية، التي تبث الحماس والروح الوطنية، والحب والانتماء للوطن، تخليداً للذكرى الوطنية، ومن شأن تلك الأغنيات أن تبعث الفخر والأمل والحب والانتماء للدولة، كما يرددها الصغار، ويحفر في ذاتهم تلك المعاني الخالدة الجميلة.

كما تقدم العديد من المبادرات الشبابية، التي ينظمها أبناء الوطن، من الشباب حباً واعتزاز وفخر بالوطن الذي دوماً محل للثقة والفخر والاعتزاز، والتي تضمن تنظيم للاحتفال وتجمعات شبابية، تنظم مبادرات قيمة تخدم الدولة وأبناء الوطن.

ومن بين مظاهر الاحتفالات ارتداء المواطنين للملابس التراثية التقليدية، وهو ما يعد زي وطني يعبر عن الانتماء لذلك الوطن العريق، كما إن ذلك يعتبر إعلان عن الفخر بالتاريخ والماضي، إذ إن هذا الزي زي الأجداد والآباء، الذين شاركوا في النصر، وحرصوا على استقلال بلادهم مضحين بالأرواح والأنفس في سبيل أمن وسلامة البلاد، كما ترتدي البنات فساتين جميلة، على ألوان العلم الكويتي [٤].

المصادر

- (١)،(٢)،وكالة الأنباء الكويتية (كونا)
- (٣)،(٤) ويكيبيديا

عثمان إسماعيل محمد حسين
كاتب وباحث



الكويت.. إعجاز وإنجاز

في مسيرة الأوطان أيام محفورة في ذاكرتها يقف أمامها التاريخ إجلالا واحتراما... أيام تتلذذ بنطقها الألسنة وتنتشي بذكراها القلوب والمشاعر... أيام شاهدة على عراقة الماضي وسمو الحاضر ونافذة تطل على آمال المستقبل... أيام يأبى النسيان أن يدنو منها بعد أن تعلقت بها الأفئدة والعقول انتماء وزهوا وفخرا.

فما إن تهل علينا بشائر شهر فبراير من كل عام إلا وتستعيد دولة الكويت كعادتها نضارتها وشبابها، وتتجدد معها روح الحياة في سعادة لها مذاق خاص، وفرحة تسري في دمائها أرضا وبشرا وحياة... إنها الفرحة بيومي الاستقلال والتحرير، فرحة مبدأ المسيرة وميلاد التأسيس، فرحة الانطلاق والبناء، فرحة الوفاء بالعهد وإتقان أداء الأمانة، يومان: هما الإنسان والوطن والحياة، هما الكويت وبهما ستظل -بمشيئة الله تعالى- الكويت كيانا راسخا وهوية مستقلة.

لقد استطاعت دولة الكويت أن تجعل من ذاتها درة البلدان وزهرة الأوطان بفضل الله تعالى وتوفيقه وبما تتمتع به القيادة الرشيدة من وسائل ترجمة الطموح إلى واقع وبلوغ أقصى الغايات إنجازا وتحقيقا، اعتمادا على موروثها الأخلاقي، بدءا بالنية الصادقة والحكمة البالغة ورجاحة العقل وصواب الرأي والتطلع لما هو أفضل للوطن والمواطن.

من هذا المنطلق كان نهج الحكومة الرشيدة نهجا فعالا فلسفة وتطبيقا، حيث أخذت على عاتقها أن تبدأ من حيث انتهى العالم، فحطمت كل القيود ساحقة ما يعترضها من عوائق وتحديات واضعة نصب أعينها هدفا وحلما ورسالة بأن المواطن في قلبها وعقلها أمانة ورعاية ومسئولية، فالمواطن كما تراه قيادته هو صانع الحاضر وسر المستقبل.

وبتلك القيم والمبادئ وعظيم الانتماء أصبح الحلم حقيقة والخيال واقعا، فأصبحت الكويت كويت الأرض والإنسان والحياة، كويت النهضة الشاملة التي اقتحمت كافة المجالات الإنسانية والحياتية خاصة وقد جعلت القيادة الرشيدة من الوطن والمواطن (رسالة) تفوقت حيالها على ذاتها في ترجمتها إلى واقع ملموس فانطلقت مسيرات التقدم تغزو أرجاء أرض الكويت وجنباتها ملتزمة الأمانة والصدق والإخلاص قولا وفعلا فكان البناء والتنمية وكان التغيير والتجديد والازدهار فأصبحت الكويت وستظل كويت الطموح والتطلع والمنافسة.

ولقد كانت البداية القوية لترسيخ بناء هذا الكيان الوطني تلك القيادة الرشيدة صاحبة النظرة الثاقبة للأمور

وذلك عندما أتقنت حسن التعامل في علاقتها بالدول المختلفة حيث نجحت في ترويض السياسة الخارجية حسب ما يتفق ويتلاءم مع مبادئها ومواقفها فاتبعت سياسة عدم الانحياز وموقف الحياد الايجابي تجاه القضايا العربية والدولية بكل حكمة واقتدار.

ولن ينسى التاريخ دور دولة الكويت قيادة وحكومة في إنهاء الخلافات، واللجوء إلى أسلوب المصالحات وإنجاحه بين دول الجوار، حرصا على ترسيخ روابط الدين والدم والتاريخ، ومن هنا صنعت الكويت لذاتها خصوصية الهوية والمكانة والكيان بعدما اكتسبت حب واحترام الجميع دون استثناء.

ومن الركائز التي أولتها القيادة الرشيدة جل اهتمامها ابتغاء التلاحم والتماسك المجتمعي «الأعمال الخيرية والإنسانية»، فقد أخذت الكويت على عاتقها تلك الرسالة فبذلت من الجهد ما بذلت من تأسيس هيئات وجمعيات وأمانات وصناديق وبيوت ومكاتب خيرية تفجرت منها ينابيع الجود والكرم وفيوض العطاء دون نهاية وبلا حدود في ترجمة حقيقية لحديث رسول الله ﷺ «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عن كربة، أو تقضى عنه دينا، او تطرد عنه جوعا...»[١].

ولا أحد ينكر أن مناهل الخير قد تعدت حدود الكويت وتخطتها خارجيا، فكانت الكويت من الدول التي حازت السبق على مستوى بقاع العالم في الإغاثة والإعانة والتخفيف عن الشعوب إذا ما ألمت بها نازلة أو نكبة، وهذا النهج الإنساني جبلت عليه القيادة الحكيمة عهدا بينها وبين الله أن يمتد هذا العطاء جوانب المعمورة، دون النظر أو الاعتبار إلى جنس أو لون أو دين أو لغة.

والمتأمل بدقة في ذلك النهج الإنساني يجد أنه قد تحقق ما ينبغي أن يكون عليه هدفا ورسالة وأمانة ورعاية... تلك الرعاية الحقة وأسس ممارستها وغايتها لنرى وقد تحقق الإعجاز الإداري كما ورد في حديث رسول الله ﷺ.. عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع...»[٢]، فكانت تلك الرعاية التي أساسها تقوى الله عز وجل، والإخلاص له والصدق مع النفس ومع الآخرين والإحساس بعظم تلك الأمانة التي أؤتمنت عليها القيادة الحكيمة وما اتسمت به من صفات تجعل الطريق دائما ممهدا ومضيئا لترى الكويت ذاتها وتجبر الجميع على توهج الانبهار والدهشة والإعجاب بها.

وحقيقة القول أن كل ما تسعى إليه القيادة الرشيدة من نجاح وتميز يكمن في النية الصادقة التي تميزت بها وتمتعت بها قلوب جميع من وكل إليهم أمر كل قيادة وإدارة على أرض ذلك الوطن إدراكا ووعيا وإيمانا بحديث رسول الله ﷺ.. فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..»[٣].

فكانت الرعاية الإلهية والعناية الربانية للتوفيق والسداد في تحقيق ما تصبو إليه حكومة دولة الكويت وكان هذا الإعجاز الذي تحقق نتاج تقوى القلوب ونقاء الضمائر وصلاح النفوس.. ومما يثير الإنسان منا إعجابا أنه ما من عمل تقوم به القيادة الحكيمة أو بإسناد منها إلا ويزينه التمام والكمال ولا يشوبه عيب أو نقص أو تقصير وذلك إعلاء وحفاظا على مكانة الوطن وهويته وعلى آدمية المواطن الكويتي الذي اعتاد على ثقته المفرطة في قيادته وحكومته ومسئوليه، ودورهم المنوط بهم في الارتقاء به، ومن هنا كان الشعار النابع من قيم ومبادئ الدين الإسلامي «إتقان العمل» تطبيقا لما دعا إليه رسولنا الكريم ﷺ. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه...»[٤].

وبذلك صارت صورة الوطن كما ينبغي أن تكون وكما يتمناها كل من تطأ قدمه أرض ذلك الوطن.

إن ما تعيشه الكويت من نهضة شاملة خير شاهد ودليل على إتقان ما أسند إلى القيادة الرشيدة من أمانة ومسئولية ورعاية وتأدية أمانة ومتابعة والتزام حرصا على تحقيق الأمان النفسي والاجتماعي حتى صارت تلك النهضة ترجمة حقيقية لما دعا إليه ديننا الحنيف من قيم ومبادئ وفضائل التزمت بها الدولة فكانت ثمارا يانعة في أرض طيبة الغرس والحرث...

إنها الكويت، كويت كل عام وقد آلت إلى حال يسعد به المواطن والمقيم، إنها الكويت، القيادة والمواطن والأرض والطموح الذي لا ينتهي ولن يتوقف، إنها الكويت، إعجاز وإنجاز.

الهوامش

١- رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).

٢- صحيح البخاري كتاب العتق، رقم: (٢٥٥٤).

٣- أخرجه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

٤- رواه البيهقي في شعب الإيمان وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠).

أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر
عضو الاتحاد الدولي للغة العربية



من يوميات بطل كويتي

تظل الأمجاد مرهونة بالدماء، والبطولة مشهودة بالدفاع عن العرض والأرض، فأي سماء تظلل ذلك الذي تقاعس عن الدفاع عن أرضه ووطنه، وسماء الكويت قبة احتضنت شعبا أبيا وأبطالا مغاوير أبوا إلا أن يبذلوا الغالي والنفيس من أجل استرداد حقهم والدفاع عن وطنهم الذي توج أخيرا بالتحرير المجيد.

تحتفل دولة الكويت بأيامها الوطنية، متمثلة بالذكرى الـ(٦٢) للاستقلال، والـ (٣٢) للتحرير، ليجدد الشعب الكويتي عهد محبتهم لوطنهم، والتفافهم حول قيادتهم، لترفرف أعلام الكويت على كل منزل وفوق كل ربوة، وتتزين الشوارع والمباني والأسواق، في تظاهرة احتفالية تبعث على البهجة والسرور.

وخلف هذه المظاهر الاحتفالية تضحيات كتبها رجالات الكويت بدمائهم ليسطروا بذلك واحدا من أروع دروس التاريخ المليئة بحب الأوطان والذود عنها والدفاع عن ترابها والتمسك بقيادتها الشرعية، مخلفين وراءهم حكايات وأسرارا لا تنتهي.

تشكلت المقاومة الشعبية الكويتية بعد دخول قوات الإحتلال العراقية إبان النظام السابق الكويت بساعات، حيث تداعى أبطال الشعب الكويتي لخوض معارك شرسة تحولت فيما بعد لمقاومة سرية، بعد أن سقطت منطقة «كيفان» التي صمدت لسبعة أيام أمام الجيش العراقي الغازي الذي لم يستطع اقتحامها طوال تلك الفترة.

وبعد ذلك، تمت محاصرة جميع المناطق التي تركزت فيها المقاومة الكويتية، لتقوم خلايا المقاومة بتكوين خلايا سرية، بغرض التأثير على الجيش العراقي الغازي وتوجيه ضربات



موجعة له، والحد من الضرر الذي يلحقه بالشعب الكويتي، وبث الذعر والرعب في نفوس الجنود والضباط المعتدين ورفع معنويات الشعب الكويتي وحمايته، وتوجيه رسالة للخارج أن الشعب الكويتي يرفض الاحتلال العراقي الغاشم ويقاوم وجوده فيها، ويقاتل من أجل حريته.

وتعددت أشكال المقاومة الكويتية، وتفنن الكويتيون في فنون المقاومة حيث قاموا بابتكارات جديدة لم تخطر في بال أحد، من بينها استغلال خدمة توصيل الأطعمة والمشروبات للمنازل في نقل الأسلحة لأجل حماية أنفسهم، والدفاع عن وطنهم، وتطورت طبيعة المقاومة حيث انتقلت إلى استخدام أسلحة أخرى استطاعت المقاومة الاستيلاء عليها من مخازن وزارة الدفاع الكويتية في الأيام الأولى للاحتلال. وتزامنا مع ذلك، بدأت خلايا للمقاومة تتمركز في منازل المواطنين في مناطق الجهراء وبيان والأندلس والرميثية، ثم انتشرت في جميع مناطق الكويت حتى وصلت أعداد الأفراد الذين يقومون بتنفيذ هذه العمليات قبيل التحرير إلى نحو (٢٠٠٠) فرد.

وفي إحدى صور توثيق تلك المرحلة يأتي في أكثر من ثلاثمئة صفحة، كتاب «يوميات أسير كويتي في المعتقلات العراقية – لن ننسى» للعقيد الركن المتقاعد ناصر سلطان سالمين الذي عاش تجربة الأسر بكل معاناتها وقسوتها وتنقله مع مئات الأسرى الكويتيين بين المعتقلات العراقية إبان حكم النظام السابق قبل أن يمن الله تعالى على الكويت بالحرية وعودة الشرعية إلى أهلها.

إن فترة الأسر كانت من أصعب الفترات التي عايشها كل أسير كويتي، كانت خليطا من العذاب والتنكيل والتعذيب، وكان حب الكويت المزروع في قلب كل أسير كويتي هو بصيص الأمل للنجاة.

يوضح سالمين في كتابه مرحلة الأسر منذ بدايتها حتى نهايتها ومحاولة المحتل في البداية استمالة الأسرى للتعاون دون جدوى، حيث ازداد الضغط والعذاب عليهم في معتقلهم وسط شروط صحية غير لائقة بالبشر، فضلا عن غياب ظروف التغذية الطبيعية أو التداوي، وغياب أي أخبار عن الأهل والوطن لتطمئنهم وتزيد من صمودهم في المعتقل إلى أن يقضي الله أمره.

ويبين سالمين أن الأسرى كانوا يعيشون في البداية حالة من الصدمة والحزن لفراق الوطن، يسترجعون ذكريات حياتهم في وطنهم مفعما بالأمل بالتحرير، ينتقلون من معتقل إلى آخر ومعاناة كبيرة وخوف على الأهل والأصدقاء، متذرعين بالأمل متسلحين بالصبر والإيمان بالله متيقنين بعودة الشرعية إلى أهلها.

ويتناول الكاتب كيف وزع الأسرى المهام بعضهم على بعض لتنظيم الأمور الحياتية وشد بعضهم أزر بعض واتفاقهم على الصمود والبقاء صفا واحدا في هذه المحنة والصدمة الكبيرة ومحاولة إخفاء هوية بعض الأسرى من الشخصيات العسكرية والمهمة في الدولة.

ويعرض الكتاب بعد فشل كل المحاولات للانسحاب من الكويت المحتلة كيف لجأت الأمم المتحدة إلى تطبيق قرار مجلس الأمن ذي الصلة، وبداية الهجوم البري بعد ذلك وصولا إلى تحرير الكويت ووصول القيادة الشرعية إليه ممثلة بالأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح وولي عهده الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح رحمهما الله، حيث بزغ فجر جديد وميلاد آخر للوطن وانسحاب المحتل ووقف إطلاق النار وإطلاق سراح جميع الأسرى والمعتلقين وتباشير الفرح.

إن يوميات البطل ستبقى ذكرى مؤلمة، لكنها آلام كللت بأفراح لا تزال تعم الكويت والعالم العربي إلى اليوم، وستظل بإذن الله إلى الأبد.



حسن عباس
محرر صحفي

(شهيدات الكويت علامة فارقة في سجل البطولات والتضحية)

قصة.. وفاء

تضحيات أبناء الكويت البواسل تظل نبراسا للوطنية الحقيقية ومنارة للعزة والحرية، ملأت قلوب وأفكار الآباء والأجداد وساروا على هديها في بناء الدولة العصرية. ويتذكر الكويتيون في ذكرى التحرير والاستقلال كل الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم خلال الغزو العراقي الغاشم عام ١٩٩٠م من أجل الحرية والسلام ومن أجل أن تنعم الكويت وأهلها.

نستذكر في هذا الصدد الشهداء الذين ضربوا أروع الأمثلة في الوطنية وسجلوا أسماءهم بأحرف من نور في سجل البطولات، بعد أن وقفوا في مواجهة الموت والطغيان ليرفعوا راية الوطن مستقلة آمنة.

فلم يقتصر العمل الوطني والتضحيات في دولة الكويت على الرجال فحسب، بل استطاعت نساء الكويت أيضا أن تقدمن أرواحهن من أجل حماية هذا الوطن والحصول على استقلاله، كما شاركن في نهضة البلاد وتقدمها، كالجبال الشامخات في مواجهة الشدائد والمحن، ونحتن في الصخر من أجل رفعة الكويت وسموها وتحملن الصعاب والشدائد التي فاقت في بعض الأحيان ما يتحمله الرجال.

وتجلى دور المرأة الكويتية في أروع صورة وأبدعها أثناء محنة الغزو الغاشم، حيث شاركت الرجل في أعمال المقاومة والدفاع عن أرض الوطن وعرضه، حتى حملن السلاح في مواجهة العدو، ثم شاركن بعد ذلك في مرحلة الإعمار وتقدم البلاد خطوة بخطوة.

وفاء العامر.. جسدت الوفاء في أبهى صورة

الشخصيات الكويتية التي فدت الكويت بدمها كثيرة، وفي كل قصَّة تتمثل الشجاعة والإيثار وحب الوطن وإنكار الذات، ومن الصعب أن أتكلم عن جميع الأبطال الأبرار، ولعلِّي أخصُ في هذه العجالة واحدة من الشخصيات التي فدت الكويت بدمها ونفسها، وذلك بعد لقاء مع ذويها الذين أثروا هذا المقال بالمعلومات المفيدة إنها الشهيدة الشابة وفاء العامر التي ناضلت من

أجل رفعة الوطن وسلامة أراضيه الشهيدة وفاء العامر.. صاحبة الـ ٢٣ عاما التي جسدت البطولة في أبهى صورها وأشكالها، بكل معاني الإقدام والصبر. واستشهادها يضيف وساما على صدورنا جميعا، إنها الشهيدة وفاء أحمد العامر.

ولدت وفاء في الثالث من مايو عام ١٩٦٧م في مستشفى دار الشفاء بمنطقة شرق في مدينة الكويت. وفي عام ١٩٧٠م التحقت بروضة الشامية، وبعد ثلاث سنوات التحقت بالمرحلة الابتدائية في المدرسة نفسها. ثم بعد أربع سنوات انتقلت إلى مدرسة غرناطة المتوسطة، وفي عام ١٩٨١م انتقلت إلى المرحلة الثانوية فدخلت إلى ثانوية الجزائر، وفي عام ١٩٨٤م دخلت المعهد التجاري في حولي وتركت الدراسة في شهر نوفمبر من عام ١٩٨٥م إثر حادث تصادم سيارة أحدث كسرا في رجلها. وبعد عام واحد انتسبت إلى معهد التكنولوجيا التابع للهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب الكائن في الشويخ، حيث كانت دراستها عملية، وتخرجت من المعهد عام ١٩٨٨م. وبعد تخرجها عملت الشهيدة العامر في وزارة الصحة كفنية بقسم الوقاية من الإشعاع. وكانت رحمها الله تحب أن تكون بجانب المرضى حتى تواسيهم وتخفف عنهم آلامهم.

ولم تتأخر وفاء في تلبية نداء الوطن والدفاع عن الكويت لحظة واحدة، ومواقفها البطولية أثناء الغزو الغاشم مشهودة لدى الجميع، ونظرا إلى ما عرف عنها من شجاعة وإقدام فقد انضمت إلى مجموعة ٢٥ فبراير وهي إحدى خلايا المقاومة الكويتية البطلة. وساعدت وفاء المجموعة بشكل كبير فقد أسند إليها رئاسة خليتين لما كان في شخصيتها من الحكمة والقيادة وبعد النظر، وكانت لها الصلاحية لتضم من تراه مناسبا. وقامت مجموعة ٢٥ فبراير بأعمال بطولية خلدها التاريخ منها: عملية منطقة الحساوي القريبة من مطار الكويت، فقد كانت هذه المنطقة تعج بأزلام العدو، وهناك عمليات أخرى عظيمة مثل عملية الشاحنات وعملية فندق الهيلتون.

قصة الاستشهاد

لم تعلم الأسرة باشتراك وفاء بالمقاومة الكويتية بصفة رسمية إلا بمنتصف أكتوبر، وقد اشتركت في الكثير من الأعمال والبطولات منها قيامها بعملية وضع حقيبة مليئة بالمتفجرات في الطابق الأخير بفندق هيلتون الكويت، وكذلك قامت بعملية تفجير ببعض الساحات التي يتجمع فيها جنود الاحتلال في منطقة التجمع العسكري، وكذلك قامت بنقل الأسلحة من الجابرية إلى أماكن أخرى متعددة بدولة الكويت حيث يتم التغيير والتمويه باستمرار حسب المجموعة ومكان نشاطها في مقاومة المحتلين.

وفي تاريخ ١١ يناير اعتقلت الشهيدة وفاء مع الأسرة بالكامل وتضم أخاها وأختها وابنة عمتهم ومواطنة أميركية كانوا يخبئونها عن عيون جنود الاحتلال لينقلوا عنوة إلى «قصر نايف» -وهو مقر الأمن العام سابقا- بعد أن تعرضوا إلى الكثير من الكلام القاسي والمعاملة السيئة، ثم أفرج عنهم فيما عدا الشهيدة وفاء، واستمرت وفاء معتقلة بقصر نايف لمدة تسعة عشر يوما بعدها نقلت لمقر إدارة الأحداث في منطقة الفردوس، وكان يعد هذا المكان معتقلا كبيرا، وفي الخامس من فبراير عام ١٩٩١م وفي حوالي الساعة الحادية عشر ليلا، شاهد ذووها جثة ملقاة أمام المنزل ومغطاة بالعباءة وعندما كشفوا وجهها، فإذا هي الشهيدة وفاء.

رحم الله الشهيدة وفاء العامر وأسكنها فسيح جناته فقد خاضت مع زملائها وزميلاتها المعارك العظيمة في سبيل تحرير بلدها من غزو المعتدين واستشهدت يوم الخامس من فبراير من عام ١٩٩١م، وكانت رحمها الله تستعد ليوم التحرير فقد عملت كتافات بيضاء رسمت عليها علم الكويت وكتبت عليها «دولة الكويت - قوة ٢٥ فبراير» وجرى إعداد مئة كتافة حيث كانت تحلم بالسير في شوارع الكويت يوم التحرير العظيم، ولكن القدر لم يمهلها لتشهد يوم التحرير. وأما عن شعور أهلها فيؤكدون بأنهم تملؤهم كل مشاعر العزة والفخر والاعتزاز، كونهم يحتسبون وفاء من الشهداء الذين ينعمون في جنان الرحمن، رغم أن والدتها ووالدها كانوا مسافرين قبل الغزو ولم يعرفوا بخبر استشهاد ابنتهم إلا بعد التحرير.

كم جميل أن يبقى شهداؤنا الذين سطروا بدمائهم البطولات، أحياء في ذاكرتنا، وأن يكونوا قدوة حسنة للأجيال القادمة، ليتعلموا منهم معنى حب الوطن والتضحية من أجله.. فهنيئا للكويت بابنتها البارة وفاء العامر وطوبى لها بجنات النعيم.

محمد ثابت توفيق
كاتب وقاص وناقد



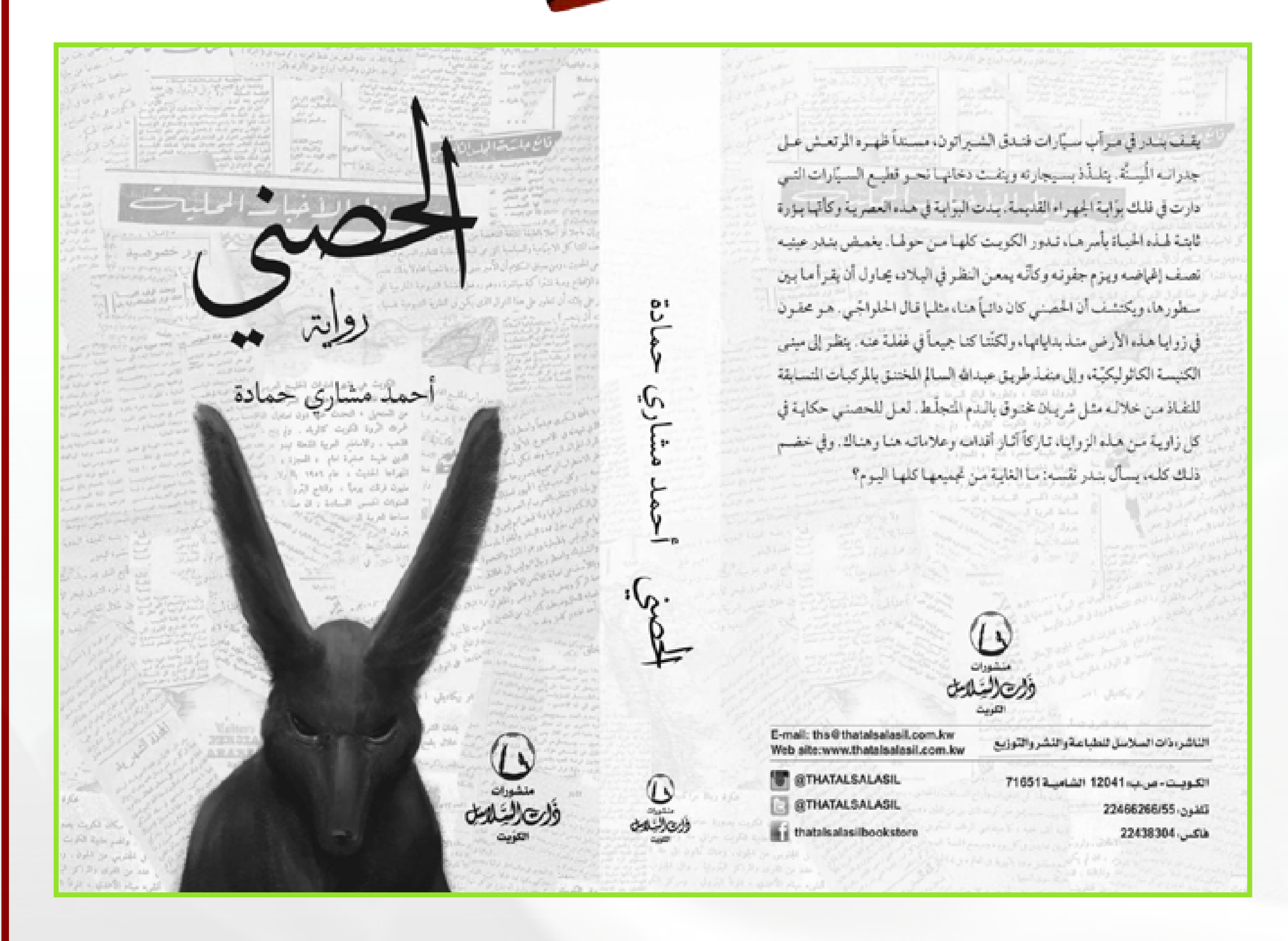
في اليوم الوطني وذكرى الاستقلال

٣ روايات خليجية تختزل التاريخ

تقاس قدرة الدول على الاستمرار والتعامل مع التحديات بأمور من أبرزها التقدم العملي وأيضا وجود أدباء يعبرون عن تفاصيل أبرز أيامها، ويصلون حاضرها بماضيها ويحاولون إحسان النظر إلى المستقبل، وفي اليوم الوطني الكويتي الذي يحل سنويا في ٢٥ من فبراير، وفيه تستعيد البلاد ذكرى استقلالها عن الاحتلال البريطاني في عام ١٩٦١م، كما يليه مباشرة يوم التحرير الذي حل في عام ١٩٩١م بعد أحداث مأساوية هزت الأمة العربية، وفي ذكرى هذين اليومين نطالع تحديا واجه اثنين من الروائيين الكويتيين المعاصرين وثالثا بحرانيا ذابوا حبا في الكويت، فأبدعوا روايات ثلاث عبرت عن روح المثابرة والتحدي والتطلع للفكاك من أسر الماضي لكن مع حسن استحضاره ودون نسيان لدروسه، فجاء سابق التاريخ بما فيه يوما الاستقلال وتحرير البلاد محملين بنكهة إبداعية مختلفة لدى كل واحد منهم، حسب إمكانياته وقدراته الأدبية وأيضا مقدار الشجن والتطلع للغد!

الحصني والواقعية السحرية

نبدأ مع رواية «الحصني» لأستاذ



الإعلام بكلية الإعلام في جامعة الكويت أحمد مشاري حمادة، وهي من منشورات دار ذات السلاسل الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع في عام ٢٠١٩م، ففي مزيج خيالي خلطت «الحصني» بين الرمزية الأدبية المعروفة، أو تحميل بطل العمل الأدبي «بندر» في حالتنا دلالات أدبية ذات مغزى، خاصة مع مفارقة كون الأخير مقيد الجسد، أو من ذوي الاحتياجات الخاصة، ومع محبة الشخصية لروح الوطن يعمد المؤلف لمزج رمزيتها بـ«الواقعية السحرية» المتعارف عليها في أدب أميركا اللاتينة؛ بعد قدومها من ألمانيا في الخمسينيات من القرن الماضي كرد فعل على الإغراق في الواقعية و«تأزيم» روح التعبير الأدبي عن الحياة.

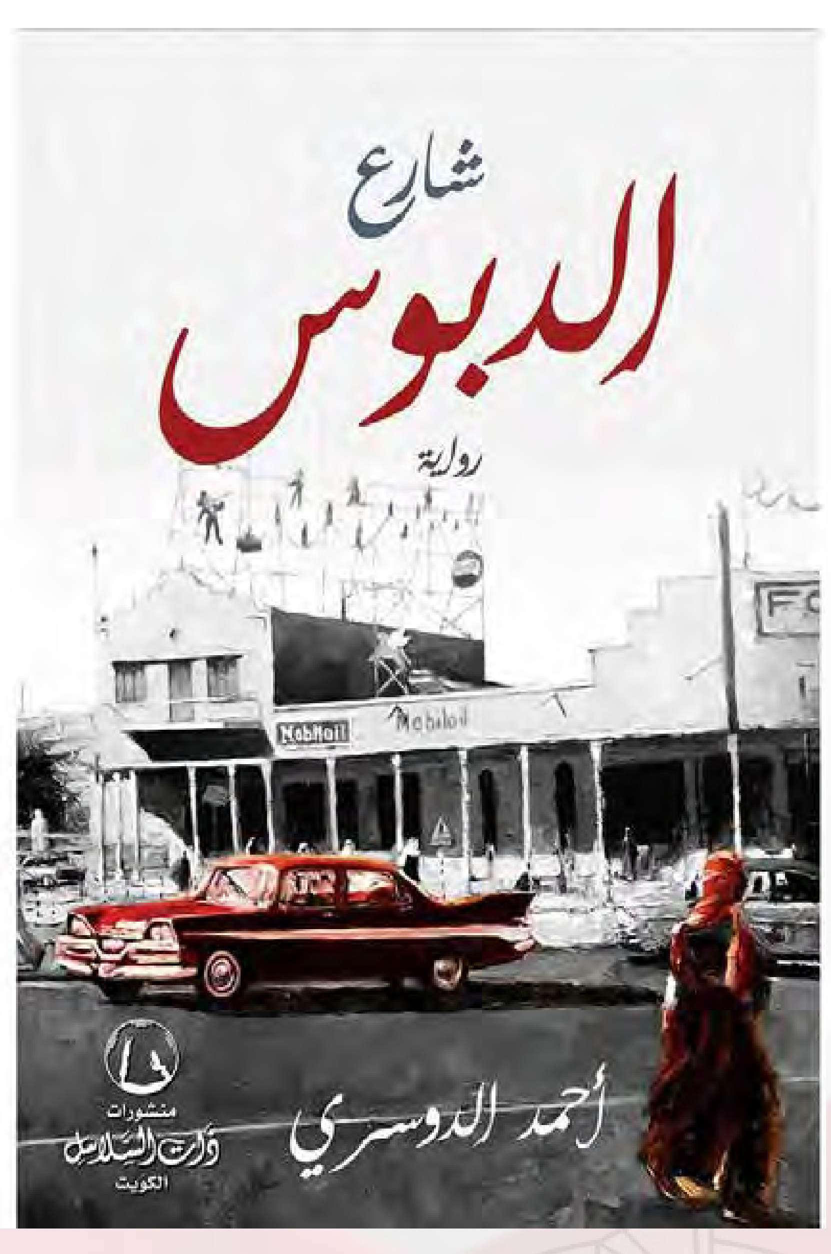
يبرز تحويل الماضي والواقع لأسطورة تجعلها رمزين سحريين عبر «الحصني» أو نوع الثعالب المفترض الذي تعود بدايته إلى عام ١٩٢٠م، وهو يتنقل عبر الأحداث المهمة، يؤدي أدوارا مفصلية، وفي أثناء هذا يتعرف القارئ خاصة الشباب من أبناء الوطن إلى أبرز أحداثه وما عاناه ليصل إليهم في الصورة التي يرونها ويتعاملون معها كواقع، ومن أبرز تلك الأيام التي تحمل حدثا مفصليا أثناء غزو الكويت، وهو ما يعبر عنه المؤلف بالتأكيد على أهمية هذا النوع من الروايات لإنه يعيد قراءة النص التاريخي وكتابته في ظل وجود «استدعائي» لأصوات مهمشة لم تسلط الكتابة التاريخية الضوء عليها.

«جليلة» ورواية الأجيال

عمل حمود أحمد الشايجي دبلوماسيا وإعلاميا حتى تفرغ للكتابة منذ نحو ١٠ سنوات، صدرت له عدة دواوين شعرية بالإضافة لرواية أخرى وكتاب تفاعلي، جاءت روايته «جليلة» التي تعد من أبرز ما أبدع عام ٢٠١٨م عن دار ذات السلاسل

الكويتية أيضا، ففي أجواء رمزية محملة بالأسطورية هذه المرة تنساب الرواية منذ عام ١٨٧١م، وعبر أحداث متداخلة وأشخاص يتجاوزون العشرين بطلا أساسيا بالإضافة لغيرهم من الثانويين تتدفق الرواية، بالإضافة إلى آفاق من تنقل عبر ٦ فصول مختلفة الطول، مع تناول خاص لشخصية «جليلة» الطفلة التي لا يتعدى عمرها ٥ سنوات فحسب، وتنتهي الرواية بها وتبدأ كذلك دون دخول في تفاصيل توضح كيف جاءت للوجود، ورغم أن القص يطول قبل العثور عليها عقب موتها، وصولا لعام ١٩٦١م بعد أشهر قليلة من اليوم الوطني، مع إبراز الشايجي لحقيقة أنها عاشت بين عامي ١٩٤٣ و١٩٤٨م، وفي العام الأخير تم قتلها.

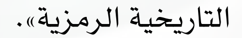
نشعر بالأسى لرحيلها المبكر في عام يمثل جرحا للأمة يستشعره المؤلف فلا يفسر ما حدث فيه بل يكتفي بتعبير مرير محمل بالألم والدلالة الرمزية على صعوبة التحمل: «السر هو ما تراه بقلبك ولا تراه بعينك، لكن السر لا تراه ولا تحسه، إنه يتخلك من الداخل، لا تستعجله»، وعبر الانتقال الزمني يذهب المؤلف لعام ١٨٧١م، فيتم اختطاف «حسينة» لتباع لعجوز (الشيخ مراد) وزوجته، ورغم كونها وافدة إلا أنها تؤمن بأن: «(كل أمر الله خير) ودعت حسينة كل واحد من أهل البيت إلى عمله الذي عليه أن يقوم به، سكنت صدورهم بهذه الكلمات، شعروا بأنهم إلى أمر



جلل سائرون، لكن إلى حق يجب أن يتحقق».

وعبر التنقل التاريخي والمكاني بين عدن ونجد والحجاز وجزيرة فيلكا الكويتية تتطور الأحداث خاصة مع بروز الاحتلال والاكتشافات النفطية ثم المتغيرات التاريخية المصاحبة لاستقلال البلاد، وعن مسار الرواية يقول عنها مؤلفها: «رواية جليلة هي رواية أجيال،

ترصد تاريخ الكويت والمنطقة الممتد من الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى استقلال دولة الكويت. وهذا السرد لم يعتمد على المادة التاريخية الجافة، بل أخذ من أسرة الشيخ مراد، وتعدد وتنوع الطبقات والفئات فيها رموزا تمثل التنوع والتعدد في المجتمع الكويتي والخليجي، لذلك وصف النقاد رواية جليلة بالرواية



التاريخية الرمزية».

«شارع الدبوس» وتلاقي الأبناء والأجداد

آخر الروايات المتناولة لسيرة الكويت خاصة الاستقلال والتحرير هي «شارع الدبوس» للبحريني أحمد الدوسري، وهي صادرة عام ٢٠١٩م عن نفس الدار التي أصدرت الروايتين السابقتين، وهي تتناول منطقة الفحيحيل عامة، وقد كانت قديما تعرف بأنها مركز تجاري وسوق معروف للأسماك، وتتناول الرواية خاصة شارع الدبوس التجاري الذي كان يمثل قلب المنطقة، وهو يكشف خلال الرواية تاريخا وعبقا قويين آخاذين عبر سرد من مستويين، فسيرة «صلاح» الطفل المحمل بالدهشة والنابض بحب المكان تمثل مستوى، وسيرة الكويت تمثل آخر، تتحول الأولى مع الأيام وتقدم السنين لشغف من صبي ثم لرغبات من شاب، ويتضافر هذا مع تغييرات عميقة مرت بالشارع والبلاد، بدأها صلاح في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي وبالتالي التحرر من الإنجليز، ونمت معه حتى الثمانينيات وبداية التسعينيات والاستقلال.

يذوب الطفل في حب المنطقة والشارع والدولة وأيضا الشغف بقرب الجد رمز الآصالة الذي يقود خطاه عبر دروب الحياة، فيتعرف لنفسه عبر الأسرة ثم تاريخ العائلة، يجدها هائمة في محبة الكويت كلها وأدق تفاصيلها مهما كانت ذات خصوصية: دخول الهاتف الأرضي للبيوت ومعرفة الأخبار عن طريقه وما صاحبه من وعي اجتماعي، قصة أول مدرسة، وفود جنسيات مختلفة، فلكأن البطل لا ينمو إلا مع تغير الأماكن واتساعها ثم صدمة الحروب بالجوار والدماء.

إنها الرواية التاريخية تبرز بروح جديدة مختلفة عن «الحصني» و«جليلة» في تحديد المكان الواضح «الفحيحيل» والمحدد «شارع الدبوس»، والذوبان فيهما كتعبير عن روح الوطن كله، في ظل التناول الزمني المتصاعد الواضح، خاصة لما تتعلق الأمور بالشجن والحنين وإيقاع روح إنسانية تتناول الأحداث من عين لها خصوصية، قال الدوسري عنها: «إن العمل استغرق منه سنوات طويلة، وذلك لأنه أرخ لحقبة من المجتمع الكويتي والخليجي بالذات منذ أواخر الخمسينيات ومطلع الستينيات إلى مطلع الثمانينات، مشيرا إلى أنه رصد التحولات العامة في المجتمع الكويتي الاجتماعية والثقافية والنفسية خلال هذه الفترة، وجاءت في قالب روائي، يحكي قصة طفل مع جده، والفارق بين الطفل وجده أجيال».

تتفجر الرواية بالقالب الاجتماعي التاريخي السردي الواضح فمن شارع الدبوس البسيط يتم تناول حياة الكويت منذ الاستقلال وبداية الدولة الحديثة حتى التحرير والمعاصرة، وبث الروح في الأحداث التاريخية والتمسك بالآصالة في مقابل المعاصرة حتى أن البطل تمنى لو يظل جده إلى جواره دائما. يمثل الدوسري الكاتب الخليجي الغارق في حب الكويت، فهو كاتب بحريني حاصل على الدكتوراه في الأدب العربي، وهو صاحب أعمال سردية وبحثية تكاثفت لجعل «شارع الدبوس» سيرة روائية مميزة برأي بعض النقاد.



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

رؤية حضارية في رعاية كبار السن

نستطيع أن نلاحظ في توجيهات الإسلام أنها تأتي في تناسب طردي مع حالة الإنسان من الضعف؛ فكلما كان أكثر ضعفا وأشد احتياجا، جاءت التوجيهات متلاحقة في الدعوة إلى العناية به والتوصية عليه..
فاليتيم، مثلا، لأنه عرضة لضياع حقوقه وأكل أمواله، أو لإهماله تربويا وخلقيا؛ فقد جاءت النصوص الكثيرة توصي به، وتبين كيفية التعامل مع أمواله، وتحذر من الاعتداء عليها، بأشد أساليب التحذير، وبأقسى أنواع العقاب. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ (النساء: ١٠).

وفي المقابل، جاءت النصوص تبين فضل العناية باليتيم، وترصد لذلك كبرى الجوائز وجزيل العطاء؛ فعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى[1]. وكفى بذلك جائزة وعطاء!

ويمكن أن نقول مثل ذلك في العناية بكبار السن؛ تلك الفئة الكريمة من الناس، الذين يكونون على حالة من الضعف والاحتياج، ويلتمسون العون من غيرهم، ممن قد تشغلهم الحياة عن ملاحظة ذلك والقيام به. فتأتي التوجيهات تلفت النظر لذلك، وتحث على القيام به.

ويدخل في المقصود بـ«كبار السن» من تربطنا بهم علاقة نسب، مثل الوالدين، أو عموم هذه الفئة من الناس.

● وفي حالة الوالدين، نرى التوجيه القرآني: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

جاء في تفسير القرطبي: «قوله تعالى ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾: هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما، والتذلل لهما. ثم أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك؛ إذ ولياك صغيرا جاهلا محتاجا فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكسواك؛ فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتلي منهما ما وليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم»[٢].

● وأما في حالة عموم كبار السن، فنرى هذا التوجيه النبوي العملي؛ فعن أنس بن مالك قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»[٣].

قال المناوي: (ليس منا): أي ليس مثلنا. (من لم يرحم صغيرنا): لعجزه وبراءته عن قبائح الأعمال، وقد يكون صغيرا في المعنى مع تقدم سنه لجهله وغباوته وخرقه وغفلته؛ فيرحم بالتعليم والإرشاد والشفقة. (ويوقر كبيرنا): لما خص به من السبق في الوجود وتجربة الأمور[٤].

وبجانب هذه النصوص وغيرها يمكن أن نلاحظ أن ثمة قيما حضارية مهمة تتجسد في أمر العناية بكبار السن، من المهم أن نلتفت إليها ونلقي الضوء عليها؛ حتى ندرك ما يمثله ذلك من ضرورة إنسانية، تحمل معها العديد من القيم والأخلاق.

المجموع لا الفردية

وأول ما نود الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن العناية بكبار السن فيها تأكيد على أن المجتمع ينبغي أن يسير بمجموعه متماسكا، لا بأفراده مشتتا.. لأن المجتمع لو سار أبناؤه فرادى، فإن كل واحد منهم سينال حظه تبعا لما يملكه من قوة، وما يحوز من أسباب؛ فإن فقد ذلك ضاعت منه احتياجاته، ولم يجد من يقوم على أمره ويعتني به.

إن المجتمع كتلة واحدة، أو هكذا ينبغي أن يكون.. وكل إنسان فيه ينبغي أن يتمتع بحقوقه الأساسية، وبالرعاية الكاملة، في جميع مراحله العمرية وأحواله المادية؛ دون أن يتوقف هذا على ما لديه من أسباب مادية قد يفقدها لسبب أو لآخر.

ولعل من المهم هنا، أن نشير إلى أن الإسلام في توجيهاته وتكاليفه إنما يخاطب أتباعه بصيغة الجمع لا المفرد؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ (النور: ٥٦).

فالإسلام يريد أن يربي أتباعه على هذا الحس الجمعي؛ سواء وهم يمارسون العبادة، أو وهم يتحركون في جنبات الحياة.. فلا مكان للفردية، بما تستتبعه من أنانية وتنازع وشقاق؛ وإنما تحضر العلاقة الجمعية، بما تعنيه من تشاركية وتشابكية وتراحمية.

الرحمة لا النفعية

كما أن العناية بالكبار تجعلنا نلحظ قيمة الرحمة بادية في العلاقات الإنسانية والمجتمعية.. هذه الرحمة التي هي قيمة حضارية كبرى، تعلي من شأن من يعطيها ومن شأن من تعطى له أيضا؛ فهي قيمة عليا تثبت أن مانحها إنسان قد فاض الخير من جوانحه بعد أن امتلأت به نفسه، وأن من تعطى له إنسان يستحق أن يعامل باحترام وتقدير، حتى لو تجرد من الأسباب المادية التي توفر له حقوقه. فهنا، لا نعتني بإنسان لأنه يملك المقابل يدفعه جزاء هذا الاعتناء؛ وإنما نعتني بإنسان قد لا يملك ما يعطيه ولا ما يمنحه، يسوقنا لذلك اعتباره إنسانا فحسب، وكفى بذلك!

أما الحضارة المعاصرة التي خدعتها فلسفة القوة، والصخب النيتشوي (نسبة إلى نيتشه)، وغرها التطلع إلى نموذج «السوبرمان»، الذي تستخلصه من الجينات الوراثية القوية للبشرية، بعد أن تتخلص من العجزة والمرضى.. هذا الوجه من الحضارة لا يعرف قيمة «الرحمة» بل يراها «ضعفا»، ولا يعرف «الإنسان» وإنما هو يبحث عن «آلة خارقة» في إهاب إنسان!

إن الإنسان- فردا أو مجموعا- لا ينفك عن تلك الأحوال المتغيرة تعتريه وتتقلب عليه، من الغنى والفقر، ومن الصحة والمرض، ومن الفتوة والكهولة.. أفيليق بهذا الإنسان أن يحظى بالعناية والرعاية في حالة، ويهمل في أخرى! هل هذا هو احترام للإنسان، أم تقدير لمادة تنتزع هذا الاحترام انتزاعا ممن لا يقبل إلا قانون المادة!

تواصل لا انقطاع

وهذه قيمة حضارية أخرى كامنة في قضية رعاية كبار السن؛ حيث ينشأ الأطفال وهم يرون الأجداد والجدات يحيطون بهم من كل

جانب، يشاركونهم الابتسامة الهادئة، والألعاب غير الصاخبة، ويسدون إليهم النصائح الحانية.
هذا في داخل البيت الواحد، أو «الأسرة الممتدة» التي تتجاوز العلاقة الصغيرة بين الوالدين والأبناء.. وقل مثل ذلك عن داخل «المجتمع الكبير» أيضا؛ فتنشأ الأجيال وهم يرون كبار السن يغدون ويروحون، لا منعزلين في تجمعات خاصة بهم، كأنها «معازل طبية» لمن ابتلوا بالأمراض الخطيرة المعدية!
ما أقسى ذلك على النفس! وما أبعده عن الإنسانية! وما أشد ضرره في حرمان الأجيال اليافعة من النشأة في أحضان أجيال أكبر منها سنا، وأكثر منها خبرة ودراية بالحياة..!
إن الحياة لا ينقصها انقطاع، حتى نحدث فيها انقطاعا جديدا بين الأجيال! أليس الوصل والاتصال والتواصل هو ما ينبغي أن يكون سلوكا بين الأجيال؛ يعززه الاحترام، وتحوطه العناية، وينميه التراحم؛ فيثمر كل ذلك دفئا إنسانيا، ورؤى متكاملة، وعلاقات متساندة..!

توريث الخبرات الحياتية

وبجانب هذا الدفء الإنساني الذي نجنيه من تواصل الأجيال، هناك ثمرة أخرى مهمة، وهي توارث الخبرات، وتبادل المعارف والآراء.. مما لا يكون إلا في تجاور أجيال متفاوتة الأعمار، ومن ثم متفاوتة الخبرات والمهارات..
إن الحياة تحتاج للكثير من المعرفة والدراية. والأساليب المتبعة في التنشئة والتعليم تعجز عن توفير هذا؛ لأنها أساليب تهتم بتعليم الأساسيات والنظريات، وبأسلوب تلقيني نظري.. فضلا عن صعوبة الحصر لما ينبغي تعلمه عن الحياة، في سنوات دراسية قليلة.. بينما يتوافر لدى كبار السن-نتيجة لما مروا به من تجارب وأحداث- الكثير والكثير جدا من الدراية بالحياة، ومن الخبرة بفنون العيش فيها والتعامل معها..
وكم نحرم الأجيال الناشئة حين لا نتيح لهم مناخات التواصل والتراحم هذه، لاسيما إذا انشغل عنهم الآباء في توفير ضرورات الحياة؛ فلا يجدون أمامهم إلا نظراءهم في المعرفة أو أقل!
إن الشاب قد يمر بتجربة تكاد تعصف بحياته، وتورثه القلق والتوتر؛ فإذا هو يجد نصيحة عند جده أو عند كبير في العائلة أو في محيطه الاجتماعي، فتنفتح أمامه المغاليق، ويتراءى له ما كان قد خفي عنه؛ فيعود وهو أقدر على التعامل مع مشكلاته، ومجابهة تحدياته.. وحقا، إن الحياة هي أكبر كتاب، وهو كتاب غير ما تعودناه في قاعات الدراسة!

غرس القيم التربوية

ولا تسل بعد ذلك عما في العناية بكبار السن من قيم تربوية؛ من الرحمة -كما أشرنا- ومن بر الآباء، ومن إدراك زوال الدنيا وعدم ثبات أحوالها من العافية أو الغنى! فإذا كان الإنسان الفرد يجري عليه هذا التغير الذي ينقله من النقيض إلى النقيض، ومن أقصى الاتجاه إلى مقابله؛ فإن الدنيا برمتها لاشك زائلة، والأحوال بالتأكيد متقلبة.. فهل يليق بعد ذلك الانخداع بمظهر براق، أو بضوء لامع!
إن دقائق يقضيها الشاب في صحبة رجل من كبار السن قد أصابه وهن أو نزلت به فاقة؛ لهي كفيلة بأن تغرس فيه وبصورة عملية قيما تربوية لا تغيب عن باله، ويتأثر بها أشد التأثر.. فإن المرء وهو على مشارف نهاية حياته، كأنما تتجسد فيه نهاية الحياة بأسرها! أو نهاية حالة ما من حالات قوتها أو غناها أو سطوتها أو نفوذها!
لا شيء من ذلك باق.. والدليل هم هؤلاء الأكارم من كبار السن، الذين كانوا يوما يتمتعون بوسامة أو بعافية أو بثروة أو بمنصب، وكانت الآمال لديهم عريضة، والآفاق ممتدة؛ ثم انقضى ذلك أو كاد وهم لم ينالوا بغيتهم الكاملة، ولم يستبقوا لحظات السعادة والفتوة والقوة!
أليست هذه دروسا مجانية نمنحها للأجيال الناشئة، بطريقة عفوية من دون تكلف، وبصورة عملية من غير ثرثرة..!
هذه كانت إطلالة غاية في الإيجاز على أهم القيم الحضارية التي تتجسد في مسألة العناية بكبار السن.. حاولت بها أن أجلي بعض ما في هذه العناية من ضرورة إنسانية ومجتمعية، تحمل معها العديد من القيم والأخلاق..
وما أحوجنا لذلك.. سواء بداعي الإسلام؛ الذي حثنا عليه ورغبنا فيه.. أو بداعي التحضر؛ الذي لا يمكن إلا أن يكون عناية بالإنسان، من حيث هو إنسان، وفي جميع ظروفه وأحواله..!
والله سبحانه يهدي إنسانيتنا وحضارتنا إلى ما فيه خيرها وسعادتها في الدارين.. اللهم آمين..

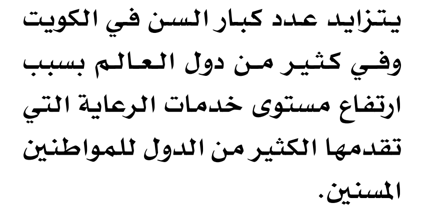
الهوامش
١- صحيح البخاري، حديث رقم (٦٠٠٥).
٢- تفسير القرطبي، ٢/ ٢٤٤.
٣- صحيح الجامع، حديث رقم (٥٤٤٥).
٤- فيض القدير، ٥/ ٣٨٩.



عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

معاملة الكبار





يتزايد عدد كبار السن في الكويت وفي كثير من دول العالم بسبب ارتفاع مستوى خدمات الرعاية التي تقدمها الكثير من الدول للمواطنين المسنين.

واهتمت الكويت في فئة كبار السن الذين هم من ٦٥ عاما فما فوق من خلال تقديم خدمات الرعاية الطبية والصحية والاجتماعية والإرشادية والنفسية بالإضافة الى توفير كل المستلزمات التي يحتاجونها تقديرا لهم وحفظا لكرامتهم.

وجاء القانون رقم ١٨ لسنة ٢٠١٦م، في شأن كبار السن تأكيدا لالتزام الكويت في رعاية هذه الفئة العمرية من خلال مواد القانون التي تتضمن بنودا تحفظ كرامة المسنين، وتعاقب من يهملهم ويسيء معاملتهم.

ولا يقتصر الاهتمام في فئة كبار السن على توفير السكن الملائم والرعاية الصحية والاجتماعية من خلال خدمات الرعاية الإيوائية، إنما أيضا يتم تقديم كل أنواع الرعاية في منازل المسنين وبين أسرهم من خلال مراكز الخدمة المتنقلة التي توفر خدمات متكاملة لرعاية كبار السن.

وكذلك تم إنشاء أندية لكبار السن من أجل الاستفادة من خبراتهم وتفعيل دورهم في المجتمع وشغل أوقات فراغهم.

ولا تشكل الشيخوخة سوى مرحلة من مراحل العمر التي تتطلب التعامل معها بتقديم أفضل خدمات الرعاية حتى تتم المحافظة على الصحة الجسدية والنفسية للمسنين ويتمكنوا من ممارسة حياتهم والقيام بمختلف الأنشطة التي تتناسب مع أعمارهم وإمكاناتهم بما يشعرهم بالأمان والسعادة.

وأولت الشريعة الإسلامية كبار السن عناية خاصة ومنحتهم الحقوق والواجبات التي تحفظ لهم قدرهم ومكانتهم لما لهم من فضائل كثيرة.

ومن الأمور التي بينها الإسلام في شأن حقوق كبار السن ضرورة حسن معاملتهم بطيب الكلام والفعل وتوقيرهم وإكرامهم واحترامهم وعدم الإساءة إليهم أو رفع الصوت عليهم، إنما يجب منحهم منزلتهم في المجتمع وقدرهم وتقديمهم في المجالس والكلام والدخول والخروج وحتى في الطعام والشراب لهم الأولوية وتقديمهم على غيرهم ممن هم أقل عمرا منهم. وكذلك من حقوق كبار السن احترامهم والتأدب معهم والمبادرة بإلقاء التحية والسلام عليهم، والدعاء لهم بطول العمر والصحة والعافية وحسن الخاتمة.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: خياركم أطولكم أعمارا، وأحسنكم أخلاقا» (أخرجه أحمد، ٩٢٣٥).

وعن عبدالله بن بسر أن أعرابيا قال: «يا رسول الله من خير الناس؟ قال: من طال عمره، وحسن عمله» (صحيح الترمذي، ٢٣٢٩)

تحقيق - نادر أبو الفتوح
صحافي مصري



طريقك إلى الجنة

حثت الشريعة الإسلامية على رعاية كبار السن، وشددت على رعايتهم واحترامهم وتوقيرهم والقيام على شؤونهم، لكون ذلك من أعظم الطاعات، ورعاية كبار السن في المجتمع هي مسؤولية جماعية يتحملها كل من يتعامل معهم، ولذلك ينبغي ترسيخ قيمة احترام وتوقير كبار السن، والتوعية بأهمية تكريمهم ومنحهم كافة الامتيازات التي تخفف عنهم، وعدم نبذهم عند الوصول لسن المعاش، بل يجب الاستفادة بهم في تدريب الشباب ووضع الخطط في مجال عملهم، بهدف تواصل الأجيال ونقل الخبرات.

علماء دين أكدوا من جانبهم في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» أن رعاية كبار السن هي دليل على الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية، وطالبوا بضرورة أن يتضمن الخطاب الديني والإعلامي والثقافي ومناهج التعليم قيم احترام وتقدير كبار السن، وأن نبذ كبار السن من الظواهر المرفوضة، لأنها تعني عدم الوفاء لهم بعد مسيرتهم وجهودهم التي بذلوها عبر سنوات عمرهم.

الاستفادة من خبراتهم

في البداية يقول الدكتور أحمد كريمة أستاذ الشريعة الإسلامية جامعة

الأزهر بالقاهرة، أن كبار السن يحملون خبرة الحياة، نتيجة التجارب والمواقف التي عاصروها، ولذلك ينبغي الاستفادة منهم في مجالات العمل المختلفة، وأن يكون رأيهم محل تقدير واحترام، لأنه من الظواهر المرفوضة نبذ وإقصاء كبار السن بعد الوصول لسن المعاش، وهذا أمر يؤثر على الأجيال المقبلة ويقلل الحماس لدى الشباب، كما أن نبذ كبار السن هو نوع من الجحود وعدم الوفاء، وكل ذلك يتنافى مع تعاليم الشريعة الإسلامية، ومن ناحية أخرى فإن الأجيال الجديدة في مواقع العمل المختلفة في حاجة للتدريب والتأهيل، وهذا يتحقق فقط على يد كبار السن، الذين لديهم تجارب عملية على أرض الواقع، ولذلك لابد أن تقوم الجهات المختلفة بتكريم كبار السن من العاملين لديها، والدفع بهم في مجالات وإدارات التأهيل والتدريب والتخطيط وإدارة الأزمات، بهدف نقل الخبرات للشباب والاستفادة من خبرات كبار السن، وكل ذلك يؤدي لصالح العمل وخدمة المجتمع.

الجزاء من جنس العمل

ويضيف الدكتور كريمة، أن الإسلام هو دين الرحمة والإنسانية في أرقى معانيها، والشريعة الإسلامية قد حفظت حقوق كبار السن انطلاقا من مبادئها التي جاءت تعلي من قيمة الإنسان وتحفظ حقوقه وكرامته، والمؤكد أن رعاية كبار السن من أفضل الطاعات والأعمال التي يتقرب بها المسلم إلى الله سبحانه وتعالى، وهذه الرسالة لها عدة مستويات، المستوى الأول يتمثل في دور المجتمع تجاه كبار السن، وهذا يتحقق من خلال إكرامهم وتخفيف ضغوط الحياة عنهم، من خلال سرعة إنهاء كافة شؤونهم في الجهات التي تتعامل مع المواطنين، وتخصيص مقاعد لهم في وسائل المواصلات وساحات الانتظار والأندية الرياضية والاجتماعية، أما المستوى الثاني يتمثل في معاملة الأفراد في المجتمع لكبار السن سواء في جهات العمل أو غيرها من الأماكن العامة، وينبغي احترامهم ومراعاة مشاعرهم وعدم التضييق عليهم، أما المستوى الثالث يتمثل في رعاية كبار السن داخل محيط الأسرة سواء الوالدين أو الأقارب، وهنا ينبغي أن تكون الرعاية قضاء حوائجهم والسهر على راحتهم، وبذل كل الجهد في طاعتهم، وضرورة الاستماع إلى رأيهم، وبشكل عام عند التعامل مع كبار السن فإن كل إنسان عليه أن يعلم أنه سوف يحصد ما زرعه، والجزاء من جنس العمل.

طريق إلى الجنة

ومن جانبه أكد الدكتور محمد نجيب عوضين أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن رعاية كبار السن طريق المسلم إلى الجنة، وتحمل لنا تعاليم الشريعة الإسلامية الكثير من النصوص التي تحث المسلم على رعاية كبار السن، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» رواه أبو داود، ونجد في هذا الحديث أن النبي الكريم ﷺ قد قدم ذي الشيبة المسلم على حامل القرآن والحاكم العادل مع علو منزلتها، وهذه رسالة بضرورة تكريم كبار السن ورعايتهم باعتبار ذلك من الطاعات والأفعال الطيبة التي ترفع صاحبها في الدنيا والآخرة، وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في الحديث الشريف: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» رواه أبو داود والترمذي، وكل هذه المعاني تدل على حرص الشريعة الإسلامية على رعاية كبار السن وتوقيرهم، والتعامل معهم بطريقة تحفظ كرامتهم، وهذه رسالة بضرورة احترام الزملاء كبار السن في أماكن العمل، والاعتراف بجهودهم ودورهم، وليس نبذهم والتعالي عليهم أو تكليفهم ما لا يطيقون.

التيسير في أداء العبادات

ومن جانبه يؤكد الشيخ عبد الحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن اهتمام الشريعة الإسلامية بكبار السن لم يقف فقط عند الحث على رعايتهم والعناية بهم، لكن امتد ذلك لأن رخصت الشريعة لكبار السن رخصا عديدة بهدف التيسير عليهم في أداء العبادات، ونجد أن النبي الكريم ﷺ قد أمر بالتخفيف في صلاة الجماعة من أجل مراعاة ظروف كبار السن الصحية، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه، فليطول ما شاء» متفق عليه، كذلك بالنسبة لصيام رمضان فقد رخص الإسلام لكبار السن بالإفطار في نهار رمضان مراعاة لظروفهم الصحية ومنعا للمشقة، فقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ (سورة البقرة: ١٨٤)، كذلك في مناسك الحج فقد رخص الإسلام لكبار السن في الكثير من الأحكام بهدف التيسير ورفع المشقة عنهم، وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد يسرت لكبار السن في أداء العبادات، فذلك رسالة بضرورة أن يقوم المجتمع والأفراد بمد يد العون لهم، والاستفادة من جهودهم.

مدحت عبيد
كاتب وباحث



الشيخوخة مرحلة موقوتة

تدمع العين ويحزن القلب حين يتوفى الله أحد كبار السن ولا أحد حولهم، وقد تمر على المتوفى منهم أيام وشهور ولا يعرف أحد خبره إلا بعد انبعاث الرائحة المنفرة من مسكنه، بينما أبناؤه وبناته على مرمى حجر من إقامته! وربما كان في دقائقه الأخيرة يحتاج إلى شربة ماء فلا يجدها، أو كان يحتاج إلى إسعاف دون جدوى، وهذه المشاهد المتكررة تحدث بانتظام في أعرق عواصم الحضارة الغربية العرجاء التي تنامت فيها حضارة المادة ومات فيها ضمير الإنسان.

إنها أخبار حية واقعية من أحداث الحياة الدنيا التي أخلد فيها جل البشر إلى نبذ القيم والانتكاس والفوضى الأخلاقية المدمرة، وصار احترام النفس البشرية بمعناها الحقيقي محنطا في سجل الذكريات.

أما في ربوع الإسلام العظيم فقد نال الآباء والأجداد والأمهات بالغ العطف والحنان والإكرام بكل أجنحة المعاني فيه من تقدير وعطاء وإمداد بكل ما تروم إليه نفوس الكبار من رغائب وآمال.

وليس في الإسلام حد لتكريم الشيوخ من الآباء والأمهات والأجداد إلا أن يكون شيئا قد حرمه الله تعالى، فليهنأ آباؤنا وأهلونا من الأجداد والشيوخ بما أفاءه عليهم الدين الكامل في تعاليمه، وليتق الله جيل الأبناء والبنات من التردي في شقوة العقوق أو الإهمال لحقوق جلية أثبتها الإسلام وتحاول أن تبعثرها الأيام.

وقد قضت سنة الله في العالمين أن يمر بنو آدم بمراحل طبيعية لا يهرب منها أحد مهما حاول أو اجتهد، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤)، ففي هذه الآية يلفت الله تعالى إلى تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالا بعد حال، فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم يصير عظاما ثم يُكسى لحما، وينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واهن القوى ثم يشب قليلا قليلا حتى يكون صغيرا، ثم حدثا، ثم مراهقا، ثم شابا. وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة، فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة.[1]

وهذه عوارض بشرية لا يستثنى منها أي أحد، وكلما زاد السن ذهبت.

القوة وبأس الشباب

إذا بلغ الفتى ستين عاما
فقد ذهب المسرة والفتاء

ويصور البيت السابق حال المسنين منتهى الضيق والتبرم بما ألم به من عاديات الهرم والضعف حتى تفترسه الملالة والسآمة من حاله حتى قال بعض المسنين:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

فهذا المسن لا يستطيع أن يستمتع بالنعم ولا أن يتحمل آلام المرض ولا يقوم في سفر ولا يعمل في حضر.

شخص قد لازمه الفقر منذ شبابه إلى أن أسن فانفتحت له الدنيا وأثرى ففرح بالمال وحزن على شبابه الذي لم يتمتع به لفقره، فقال متحسرا على شبابه الذي ضاع مع الفقر والحرمان:

ما كنت أرجوه إذ كنت ابن عشرينا
ملكته بعد أن جاوزت سبعينا
تطيف بي من بنات الترك أغزلة
مثل الغصون على كثبان يبرينا
وخرد من بنات الروم رائعة
يحكين بالحسن حور الجنة العينا
يغمزنني بأساريع منعمة
تكاد تنقض من أطرافها لينا
يردن إحياء ميت لا حراك به
فكيف يحيين ميتا صار مدفونا
قالوا أنينك طول الليل يقلقنا
فما الذي تشتكي؟ قلت: الثمانينا

ومن منطق حال الشيوخ وكبار السن:

إذا جاء الشتاء فأدفئوني
فإن الشيخ يهزمه الشتاء

وقال أبو الطيب المتنبي:

ولذيذ الحياة أنفس في النفس
وأشهى من أن يمل وأحلى
وإذا الشيخ قال أف فما
مل حياة وإنما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب
فإذا وليا عن المرء ولى

بقايا الأعمار

وما تبقى من أرزاق العمر هبة من الله تعالى ونعمة منه وفضل يستحق الرعاية والحفظ والاغتنام حتى يعوض الشيخ الكبير فيه بعض ما يستطيع تعويضه في ختام حياته فإنما الأعمال بالخواتيم أو على الأقل يموت على نية الصلاح للنفس والإصلاح للخلق، كأن يعاود وصل الأرحام التي قطعها في شبابه ويتذوق طعم التوبة المستدامة حتى يلقى الله تعالى ويعدل بين أولاده ويحافظ على العبادات وغيرها من صور العوض المستحب شرعا فلربما يقدم طاعة من هذه الصور يعم بها النفع عليه في قبره وآخرته ويكون بها الخير العميم لذريته من بعده، أو على الأقل يوصي من بعده بإتمام ما قد يعجز عنه من أعمال، قال الله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة: ١٣) وقد تزود الكثيرون في صحيفة أعمالهم بالأعمال الصالحة وهم في سن المشيب فسددوا ديونهم مع الخالق والمخلوقين وامتازوا بين الناس بالحكمة والعطاء والأخلاق المرضية، ومنهم كثيرون لا تشعر معهم من حلاوة منطقهم وعرف مجالسهم أنهم ناهزوا السبعين، بل هم في عمر الشباب من وقدة العزيمة وتتابع العطاء، ولعل ابن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى كان مقدمهم في ذلك لما قال وهو في الثمانين:

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا
خلقي ولا ولائي ولا ديني ولا كرمي
وإنما اعتاض شعري غير صبغته
والشيب في الشعر غير الشيب في الهمم.

التعامل مع كبار السن

وقد نبه الدين الحنيف على احترام الكبير وإنزاله منزلته الكريمة

التي تتناسب مع سنه وقدره، وخصوصا مع الوالدين، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء ٢٣-٢٤)، ولم يرض الله تعالى أن يتعامل الولد مع والديه إلا مثل معاملة الملوك، فلا ترتفع لغة الخطاب إلى التبرم منهما ولو بكلمة «أف» ولا أن ينظر إليهما نظرة تنبئ عن فقد التقدير والهيبة والحنان، ومن بديع أدب الإسلام مع الوالدين حرصه على إدخال السرور عليهما وطرد الحزن والبكاء، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: «جاء رجل إلى النبي يبايعه على الهجرة، و ترك أبويه يبكيان، فقال: ارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما» (الألباني في صحيح الأدب المفرد/١٠).

وإكرام الوالدين الطاعنين في السن من أسباب الفرج وكشف البلوى، وقد جاء في حديث الثلاثة نفر: «... فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فناء بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج ...» (صحيح البخاري/٢٢٧٢ - عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما).

وقد راعى الإسلام حفظ حقوق كبار السن حتى في الصلاة وشرع التخفيف من أجلهم، فقد قال النبي الكريم ﷺ: «إذا أمّ أحدكم الناس فليخفف. فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض. فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء» (صحيح مسلم ٤٦٧ - عن أبي هريرة رضي الله عنه).

وحفظ لهم حقهم في التكرمة في المبادرة بالسلام والتحية وفي هذا قال النبي الكريم ﷺ: «يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير» (صحيح البخاري/٦٢٣١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه).

وقبل النبي الكريم ﷺ العذر عن كبار السن إذا شق عليهم الأمر، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج أفأحج عنه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم، فحج عن أبيك» (صحيح ابن حبان/٤٣٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه).

وإذا ضم المجلس في حضرة النبي الكريم ﷺ الكبير والصغير فكان يأمر الصغير لزوم الصمت وترك المجال للكبير، فعن سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج: خرج عبدالله بن سهل بن زيد ومحيصة بن مسعود بن زيد حتى إذا كانا بخيبر تفرقا في بعض ما هنالك، ثم إذا محيصة يجد عبدالله بن سهل قتيلا فدفنه، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ هو وحويصة ابن مسعود وعبدالرحمن بن سهل، وكان أصغر القوم فذهب عبد الرحمن ليتكلم قبل صاحبيه فقال له رسول الله ﷺ «كبر» (الكبر في السن) فصمت فتكلم صاحباه، وتكلم معهما. فذكروا لرسول الله ﷺ مقتل عبدالله بن سهل. فقال لهم: «أتحلفون خمسين يمينا فتستحقون صاحبكم؟ أو قاتلكم» قالوا: وكيف نحلف ولم نشهد؟ قال: «فتبرئكم يهود بخمسين يمينا؟» قالوا: وكيف نقبل أيمان قوم كفار؟ فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ أعطى عقله» (صحيح مسلم/١٦٦٩).

وعلى العموم فإن كبير السن يدخل في كنف مولاه إذا تداعت عليه أعلام الشيخوخة من بياض الشعر ورقة العظم ووهن البدن فعن عمرو بن عبسة عن النبي الكريم ﷺ أنه قال: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة، ومن رمى بسهم في سبيل الله فبلغ به العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة، ومن أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار عضوا بعضو» (المنذري في الترغيب والترهيب ٢٤٩/٢، وقال: إسناده صحيح)، وعن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا بلغ العبد أربعين سنة عافاه الله تعالى من أنواع البلاء: من الجنون، والجذام، والبرص، فإذا بلغ خمسين رزقه الله الإنابة إليه، فإذا بلغ الستين حببه الله إلى أهل سمائه وأهل أرضه، فإذا بلغ السبعين سنة استحى الله منه أن يعذبه، فإذا بلغ تسعين كان أسير الله في أرضه، ولم يخط عليه القلم بحرف» (الشوكاني في الفتح الرباني ٥٣٦٤/١١، وقال: حسن لغيره).

بعد المشرقين

ومن الملاحظ في بلادنا العربية أن المسنين لا يظفرون بما توفره البلاد الأخرى للمسنين عندهم من رعاية غذائية وطبية ونفسية قد لا يتصورها الكثير منا، حيث لا يقفون في طوابير طويلة للحصول على بعض أقراص الدواء أو الغذاء ولا يتركون فريسة للمرض يهد قوتهم ويقطع أوصالهم ويحلحل أركانهم، وفوق هذا فقد بدأ الكثير من الأبناء والبنات في سباق من العقوق والإهمال للآباء والأمهات والجدود لم يكن قبل اليوم موجودا عندنا، كأنهم لا يضارعون الغرب ولا الشرق إلا في السخائم والرغائم، أما المكرمات فبيننا وبينها بعد المشرقين!.

إن الوفاء في معاملة الكرام وأهل الخبرة من كبار السن والشيوخ مطلوب، والحكمة المنثالة من بيانهم تحتاج إلى فهم عميق واستنباط يوحي بوراثة الخبرات واستلام الأمانات من جيل إلى جيل.

وهؤلاء النجوم المزهرة بالدعاء والحماية الإلهية ليسو عبئا على المجتمع، ولكنهم ينابيع حكمة وموارد رحمة وأبواب دعاء وتحقيق رجاء، ووجودهم صمام أمان للمجتمع من العذاب الدنيوي والإهلاك، فقد جاء الخبر مرفوعا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مهلا عن الله، مهلا، فإنه لولا شيوخ ركع، وشباب خشع، وأطفال رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صبا» (مسند أبي يعلى الموصلي/٦٥٩٧).

هوامش

١- (الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي/ تفسير القرآن العظيم/ ج٦ ص ٣٢٧ تحقيق: سامي بن محمد سلامة/ دار طيبة للنشر والتوزيع - ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).


عايد الجاسم
صحافي وباحث

مكانة الكبير في الإسلام

حظى كبار السن بمنزلة رفيعة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ليس فقط لأن الدين الإسلامي يدعونا إلى الاهتمام بهم وتقديرهم وحفظ كراماتهم، إنما أيضا لأن موروثنا الاجتماعي والعادات والتقاليد تلزمنا برعاية وحسن التعامل مع المسنين.

ومن يقرأ القرآن الكريم ويطلع على السنة النبوية الشريفة يكتشف مقدار العناية الكبيرة التي أولاها الإسلام إلى فئة كبار السن من ناحية رعايتهم وتوقيرهم والتأدب معهم والالتزام بتوفير كل احتياجاتهم.

ولا يعتبر كبر السن مرضا أو حالة خاصة مرتبطة بظروف معينة، إنما هو مرحلة طبيعية من مراحل حياة الإنسان الذي يبدأ طفلا ثم شابا ثم يصل إلى الشيخوخة والكبر.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ (غافر:٦٧).

وعندما يصل الإنسان إلى مرحلة متأخرة في العمر فإنه يكون بأمس الحاجة إلى المساعدة والعون، لأن طلباته تزداد واحتياجاته تكثر سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو طبية وغيرها من أنواع الخدمات التي يحتاج إليها من تضعف قوته وتقل حيلته ولم يعد يقوى على القيام بأي عمل.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ (الروم:٥٤).

ورغم أن الدول العربية والإسلامية تهتم في فئة كبار السن وتحرص على توفير كل أنواع الرعاية الكريمة لهم سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي من خلال إنشاء دور الرعاية والأندية والمصحات وغيرها من مرافق مختلفة، فإن الأسرة والأبناء يقع عليهم العبء الأكبر في الاهتمام ورعاية آبائهم وأمهاتهم المسنين بتوفير كل احتياجاتهم والسهر على راحتهم، وعدم نبذهم وتركهم في دور الإيواء أو في بيوتهم وحيدين بلا أنيس أو ونيس.

وتزداد مسؤولية الأبناء كلما كبر الوالدان بالعمر لأنهما يصبحان بحاجة ماسة إلى من يساعدهما ويؤنس وحشتهما. وقد أوصى الدين الإسلامي الأبناء بحسن التعامل مع الوالدين ونهى عن الضجر والتأفف من طلباتهما، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣و٢٤).

الواجب على كل إنسان أن يهتم ليس فقط بوالديه وأقربائه من كبار السن إنما عليه أن يقدر ويوقر كل كبير في السن ويمنحه المنزلة المناسبة له وأن يعطيه حقوقه التي حرص الإسلام على الاهتمام بها وتبيانها لتكون منهجا في تعاملنا مع فئة المسنين.

د. آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي

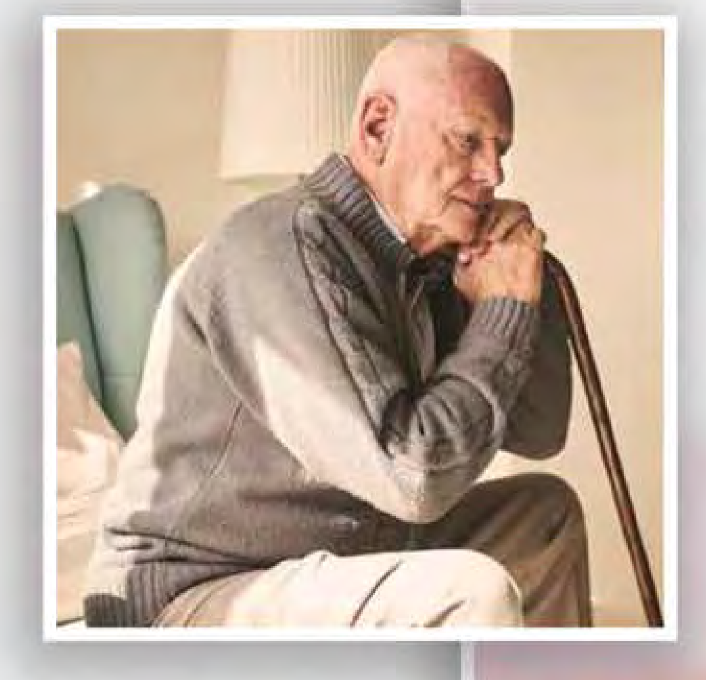


الاكتئاب لدى كبار السن

يعد كبار السن منجما للخبرات والتجارب في الحياة وثروة من الحكم والمعرفة، ولابد من الاستفادة من تجاربهم في الحياة بمعرفة كيف نتعامل معهم ونستخلص منهم تلك الفوائد والعبر لنستفيد منها في واقع الحياة ولا نكرر نفس أخطاء الآخرين، فكم عاش كبار السن هؤلاء من أحداث وحروب وتغيرات في الأحوال والأزمان! وخاصة في زماننا الذي حجم التغيرات فيه هائلة ومتسارعة بشكل لا يمكن وصفه ولكننا ندرك حجمه نوعا ما.

ونحن والحمد لله كمسلمين حثنا ديننا الإسلامي على الاهتمام بكبار السن وتوقيرهم؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا» (صححه الألباني في صحيحه الجامع، ح: ٥٤٤٥). وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (سورة الروم: ٥٤). وقال الله تعالى توصية بالوالدين وخاصة في كبرهما: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (سورة الإسراء: ٢٣-٢٤)، فلابد من احترامهما عند تقدمهم في العمر وتوقيرهما ورحمتهما والاهتمام بهم وعدم التذمر أو رفع الصوت عليهم، بل تقديم الحب والحنان والرعاية لهم والأدب معهم.

ويعيش كبار السن اليوم حياة مختلفة تماما عما كانوا عليه في السابق؛ فهم يعيشون حاليا في ظل تغيرات وتطورات



كثيرة متسارعة تحدث في المجتمعات، وهذا التقدم أفادهم ووفر لهم الرعاية الصحية اللازمة من مستشفيات وعلاجات وإسعافات ومراكز صحية ومقدمي رعاية؛ مما قلل من معدلات الوفاة لديهم وساعدهم على العلاج من الأمراض التي غالبا ما يعانون منها وقلل من معاناتهم مع تلك الأمراض، بالإضافة إلى توفير جمعيات للأنشطة الاجتماعية للشباب ولفئة كبار السن، وخدمات رعاية جسدية لهم كتوفير مراكز رياضية تتضمن أجهزة رياضية ومسابح وتمارين مخصصة لهم، وكثير من الدول المتطورة اليوم تهتم بتوفير الحدائق لسكانها والمماشي والأجهزة الرياضية الثابتة في الحدائق العامة والتي يستفيد منها فئات الشعب المختلفة ومنهم كبار السن.

ولكن بالرغم من هذه الخدمات لكبار السن وجد بالدراسات ان غالب كبار السن يعانون من الاكتئاب وحالات من الحزن والانعزال، فما أسباب الحالة النفسية التي يعاني منها كبار السن وحالات الاكتئاب؟

الأمراض التي يعاني منها كبار السن:

فغالبا ما يعاني كبار السن الذين تجاوزوا عمر الخمسة وستين عاما من مرض مزمن أو أكثر، جسدي أو نفسي أو الاثنين معا كأمراض الضغط والسكري والباركنسون والفشل الكلوي والزهايمر وغيرها، ويأخذون الأدوية المختلفة، وهذا الوضع يوصلهم لحالة من الحزن على ذاتهم وما آلوا إليه.

فقد رفيق العمر

كثيرا ما يفقد كبار السن رفيق عمرهم فالزوجة قد تفقد زوجها، أو الزوج يفقد زوجته التي عاش معها غالبا شبابه وعمره وبالتالي يفتقدون كثيرا لرفيق دربهم ولا يجدون من يملأ عليهم حياتهم بدلا منه، وهذا الفراغ الكبير يؤدي بهم للشعور بالوحدة والانعزال، ويجعلهم دائمي التفكير بالموت وباقترابه فيدخلون بحالة من الحزن والاكتئاب.

انشغال من حولهم

غالبا ما يكون الأبناء وخاصة في زماننا؛ يعيشون في مسكن بعيدا عن آبائهم أو يعملون في وظائف أو أعمال طويلة فينشغلون بأعمالهم تلك عن والديهم، وقد لا يستطيعون زيارتهم في كل يوم، بالتالي ينتج تقصير منهم تجاه والديهم، ما يجعل الآباء كبار السن يعانون من حالة من الاكتئاب المستمر لشعورهم بقلة الاهتمام ممن حولهم.

فقد الأصدقاء

فغالبا ما إن يبلغ الشخص عمر الستين حتى يصبح يفقد رفاقه واحدا تلو الآخر، ففي كل عام يسمع عن أحد أقاربه او رفقائه قد توفي، فيشعر بالحزن ويدرك أن الأجل قد اقترب، ولم يبق من عمره كما مضى، وبالتالي يدخل في حالة من الصمت والحزن على رفاقه وعلى نفسه، فلم يعد يرى أو يزور من يحبهم ومن عاش معهم أجمل أيام طفولته أو شبابه.

الاعتماد على الآخرين

وكثير من كبار السن يجدون أنفسهم مضطرين للاعتماد على الآخرين وذلك نتيجة حالتهم الصحية، وقد يكون في بعض أمور حياتهم اليومية البسيطة أو في امور حركتهم ومشيهم، وبالتالي فإن هذا الحال يؤدي بهم للحزن على أنفسهم وكيف كانوا في طفولتهم وشبابهم يمتلئون بالطاقة والنشاط والحيوية واليوم هم يعانون ما يعانون، ولا يقدرون على خدمة أنفسهم؛ فيدخلون بحالة من الاكتئاب المزمن او شبه المزمن.

قلة الدخل والمصروف

وغالبا فإن الكثير من فئة كبار السن



يقل دخلهم بعد تجاوز عمر الخمس وستين عاما حيث يتقاعد غالبهم بهذا السن أو قبل ذلك أو يترك عمله، ويبدأ يعتمد على أبنائه أو على راتبه التقاعدي أو بعض مصادر الدخل كالعقارات ولكن غالبا ما تقل تلك الموارد مع العمر، وهم بأمس الحاجة لها لمصروفاتهم اليومية ومصروفات الأدوية والعلاجات المستمرة وغيرها، ما يؤدي بهم للهموم والحزن.

قلة النشاطات الحركية

يعاني غالب كبار السن وخاصة في بلداننا العربية من قلة النشاطات الحركية، مع أنهم بحاجة ماسة لممارسة الرياضة كالمشي والسباحة وبعض التمارين التي تساعدهم على تقليل الأمراض وتنشيط الدورة الدموية وتقليل الاعتماد على العلاجات والادوية، وهذا ما يتميز به كبار السن الأجانب عننا أنهم يستمرون في ممارسة الرياضية بشتى أنواعها كالمشي والسباحة والركض وركوب الدراجات والسفر رغم كبر سنهم، فتجد الواحد منهم تجاوز الثمانين والتسعين ومازال يمارس أنشطة رياضية تعود عليها في حياته، فهي تنشطه وتخفف الاكتئاب لديه والأمراض.

قلة النشاطات الاجتماعية

ونلحظ في زماننا قلة الزيارات العائلية بين الأسر والأقارب مع الأسف، فأصبحت الزيارات تقتصر على الأعياد والمناسبات الاجتماعية كالزواج والنجاح والوفاة، ما جعل كبار السن يعانون من الوحدة المستمرة أغلب أيام العام ويزيد من حالات الاكتئاب لديهم، خاصة إن لم يجدوا ما يملؤون به أوقاتهم.

فقد الاهتمام بمظاهر الحياة

فغالب كبار السن يفقدون الاهتمام بمظاهر الحياة المختلفة نتيجة شعورهم بدنو أجلهم ونتيجة الأمراض وفقد الأحبة، فتجدهم لا يبالون بطعامهم ونوعيته وكميته ويعانون من فقد الوزن وضعف القوة، وتجد كثير منهم لا يشاركون بأي حوارات أو أنشطة ترفيهية مع العائلة ولا يرغبون بالزيارات أو السفر أو الخروج بنزهات، أو تجدهم يبكون او ينعزلون وحدهم وتزداد العصبية لدى بعضهم أحيانا، وكل هذه الامور تدخلهم في دوامة التوتر والانعزال والاكتئاب المزمن.

قلة الاهتمام بالقراءة

من الأمور المهمة التي تؤثر كثيرا على كبير السن، فقد الاهتمام بالقراءة أو أنه لم يعد قادرا عليها، فتنحدر معنوياته كثيرا ويكتئب طويلا، بينما تجد كبير السن الذي يتابع الأخبار ويقرأ الكتب والمقالات ويقرأ القرآن الكريم يوميا أو حتى يلعب الشطرنج ويحل المسابقات بأنواعها ويساعد أحفاده في دراستهم مثلا، تجده نشيطا وذا معنويات مرتفعة مقارنة بمن لا يقرأ ولا يهتم بصحته العقلية ويعتقد يائسا أن القطار قد فاته وأن لا فائدة من تجديد معلوماته أو زيادة رصيدها، وهذا خطأ في التفكير لأن الإنسان يبقى يتعلم حتى نهاية حياته وهذا ما يميزنا عن

باقي الكائنات.

استراتيجيات مساعدة

بناء على ما سبق فإننا نقترح بعض الاستراتيجيات المساعدة لكبار السن لإخراجهم من حالة التوتر والاكتئاب العزلة والحزن التي يضعون نفسهم بها أو تضعهم ظروف الحياة بها؛ ومنها التالي:

أولا: تشجع كبار السن على المشاركة في النشاطات المختلفة

ونقصد النشاطات الاجتماعية والرياضة بشتى أنواعها كالزيارات العائلية والترفيهية وتشجيعهم على السفر والتنقل وممارسة الرياضية وتوفير سبل ذلك لهم، كإشراكهم في نواد اجتماعية ورياضية قريبة من المنزل وتوفير وسيلة النقل لهم، والخروج معهم للتنزه والتحدث.

ثانيا: تخصيص جزء من الوقت يوميا لكبار السن

ونقصد الأشخاص الذين حولهم من مقدمي الرعاية كالأبناء والأحفاد وذلك من خلال الجلوس معهم والتحدث معهم والاستماع لهم ولقصصهم ونصائحهم وحكمهم، والمزاح معهم وإدخال السرور عليهم وإخبارهم بالأخبار السارة لا المحزنة، وأخذهم في رحلات وإلى الحدائق العامة وأماكن الترفيه والمطاعم أو زيارة أقارب فهم يحبون ذلك.

ثالثا: إشعارهم بالأهمية والتقدير والاحترام

وهذا الجانب المعنوي مهم جدا للصحة النفسية والجسدية للكبار، ويتم من خلال الجلوس معهم ومناقشتهم والاستماع لهم وأخذ آرائهم ببعض القضايا والمشكلات الأسرية أو التي في العمل، خاصة ممن لديهم خبرة في ذلك، فهذا يرفع كثيرا من معنوياتهم ويشعرهم بالتقدير والاحترام وأنهم مازالوا ذوي قيمة وتقدير من الآخرين لهم ولخبراتهم في الحياة، وهي بالفعل قد تنقذ الابن الحائر أو التائه عن الصواب أحيانا.

رابعا: تشجيع كبار السن على النشاطات العقلية

من المهم جدا تشجيع كبار السن على المشاركة بالنشاطات التي تنشط الذاكرة أو التي تحفز التفكير بأنواعه كالتفكير الناقد والتفكير المنتج والإبداعي، فمثلا من المهم جدا تشجيع كبار السن على القراءة اليومية لأنها تنشط خلايا الدماغ والقشرة الدماغية، ولابد من توفير كتب مناسبة وممتعة لهم وفق ميولهم، كالتي تتحدث مثلا عن الجنة ونعيمها أو سيرة الرسول ﷺ أو قصص الصحابة الكرام أو تفسير القرآن الكريم أو الكتب العلمية إن كانوا يحبون هذا النوع من الكتب، وتشجيع كبار السن على أن يكون لديهم ورد يومي من التلاوة للقرآن الكريم بل والقليل من الحفظ اليومي لبعض الآيات أو الأحاديث الشريفة، فكل هذه تبقي الذاكرة لديهم نشيطة وتقلل من فرص الوصول لأمراض عقلية كالزهايمر وغيرها.

خامسا: تشجيعهم حضور جلسات علم عبر مواقع التواصل

فاليوم أصبحت الكثير من الدروس الدينية والتثقيفية تنقل عبر وسائل التواصل الاجتماعي كبرامج الزوم والتلغرام والفيسبوك، وتنقل الكثير من المواعظ التربوية وقصص السيرة النبوية والصحابة وتوفر شروحا لكتب الأحاديث الصحيحة وغيرها، وهذه الدروس تكون مناسبة لكبار السن أيضا لأن الإنسان يستمر بالتعلم حتى نهاية حياته ولا ينقطع التعلم ما دام عقله يعمل، وهذه الدروس سهلة الحضور على كبير السن لأنها لا تتطلب منه الخروج من بيته، وتفيده بالتعرف على بعض الأصدقاء الجدد عبر مواقع التواصل بطريقة مفيدة ومنشطة ومحفزة لمعنوياته، بدلا من أن يشعر نفسه منعزلا عن العالم.

سادسا: الابتعاد عن الممارسات السلبية

كتجنب تعريض كبير السن لمواقف الانفعال والعصبية وممارسة التدخين، وأيضا تجنب التعنيف له سواء التعنيف الجسدي او اللفظي أو الإهمال له، فكما ذكرنا أن ديننا الإسلامي يمنع ذلك تجاه كبار السن ويحثنا على توقيرهم والاهتمام بهم وتقديم الرعاية الصحية والجسدية الملائمة والمسكن والمأكل النظيف الحسن لهم. قال الله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ (سورة المزمل: آية ٢٠).

سابعا: توفير أماكن الترفيه والرعاية لكبار السن

وهذه مسؤولية الحكومات والبلديات توفير خدمات وأماكن ترفيه وأماكن رعاية مناسبة لكبار السن، وتوفير خدمات صحية وعلاجية مناسبة ومراكز صحية خاصة لهم، وأنشطة اجتماعية تليق بكبار السن، وحدائق وممشي وأجهزة رياضية داخلها تناسب تلك الفئة، بالإضافة إلى تنظيم لقاءات وندوات يتم استضافة كبار السن إليها ومحاورتهم والاستفادة من خبراتهم وآرائهم وحكمتهم.

فالكبار فئة مهمة في المجتمع وفي ديننا فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن الرسول ﷺ قال: «الخير مع أكابركم»، وفي رواية: «البركة مع أكابركم» (أخرجه ابن حبان: ٥٥٩)، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا» (مسند الإمام أحمد: ٩٢٣٥).

الطيب حسين
دار الإعلام العربية



البركة مع أكابركم

حرصت الشريعة الإسلامية على الاهتمام بكبار السن وتقديرهم وتوقيرهم وإعلاء مكانتهم، استجابة لتوجيهات واضحة الدلالة من الهدي النبوي الشريف: «البركة مع أكابركم» (ابن حبان:٥٥٩، والطبراني في «المعجم الأوسط»:٨٩٩١، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء»:٢/٧٧) وما ورد عن خيرية من يعمر في الإسلام. وهذا ما يؤكد عليه خبراء في مجالات متنوعة رأوا من الضروري إيلاء كبار السن المكانة التي يستحقونها، لأنهم ليسوا عبئًا على مجتمعاتهم كما يتصور البعض، بل ركيزة أساسية في بناء واستقرار المجتمعات.

يقول الدكتور مختار مرزوق، العميد السابق لكلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع أسيوط، إن الإسلام عني عناية كبيرة بكبار السن وبأصحاب الحاجات عموما، واعتبرهم من عوامل البركة والنماء في مجتمعاتهم كما في قوله: «البركة مع أكابركم» فهنا يقرر الصادق الأمين أن كبار السن ليسوا عالة على مجتمعاتهم، بل إنهم من عوامل البركة وزيادة الخير في هذه المجتمعات.

تقدير سماوي

وأضاف الدكتور مرزوق أن الله تعالى كرم كبار السن جميعا عندما قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤)، وذكر أنه على وجه العموم بإمكاننا القول بشأن كبار السن إن الحث على رعايتهم وحسن الاعتناء بهم قد حفلت بهما آيات عديدة، فضلا عما ورد في السنة المطهرة في هذا الصدد، حيث مما جاء فيها الحث على أن يعرف الناس قدرهم وقد أمر النبي ﷺ بتخفيف الصلاة من أجل الكبير والمريض وذي الحاجة، عندما اشتكى له أحد الأشخاص من أن فلانا يطيل في الصلاة، وحينها قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما رأيت رسول الله ﷺ أشد غضبا في موعظة منه مثل يومئذ، ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فمن أم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة» (رواه البخاري).

د. مختار مرزوق: شريعتنا الغراء أولت عناية خاصة بكبار السن

وتابع: من هنا نعرف منزلة كبار السن ومكانتهم في شريعتنا الغراء، حتى أن النبي ﷺ في أفرض فرائض الإسلام يوصي بهم ويأمر بالتخفيف عنهم وهذا أمر عام في كل زمان ومكان لا يقتصر على حالة أو عصر بعينه، وفيه من الإشارة إلى ضرورة تمييز هؤلاء المسنين فيما يعيشونه يوميا عن سواهم ما لا يخفى على أحد، نظير حالتهم الصحية ونتيجة ما يعانونه عادة من عدم اهتمام كثيرين بهم، وتشوه اعتقاد البعض بشأنهم من كونهم غير معاصرين لما نحياه وأن آراءهم وأفكارهم قديمة غير مناسبة للعصر، ويكفي كبار السن هذا الشرف الذي نالوه من تقدير النبي ﷺ لهم.

وأضاف: جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره» (صحيح مسلم:٢٨٥٤)، موضحا أن الأشعث في الحديث هو كبير السن الذي يرتدي ملابس غير متناسقة أو قديمة، وأكمل أن أبا بكر رضي الله عنه حين ولي الخلافة أكد بعد البيعة أنه مع حق الضعيف حتى يعود إليه، وهو يحمل أيضا إشارات لحق

د. المحمدي: الدائرة التي وضعها الإسلام لا تترك كبير سن يضار نهائيا أو يهمل

الضعفاء، ولا شك أن منهم كبار السن، فيجب على كل فرد في المجتمع الاعتناء بهم وليس أسرهم فقط إنما هو واجب تنهض به الحكومات والمجتمعات والأمة كلها.

إحسان يشمل الجميع

أما الدكتور محمد المحمدي الأستاذ بجامعة القاهرة فيرى أنه لو كل أسرة أو بيت اعتنى بكبار السن الذين يعيشون فيه أو معهم سواء كانوا والدين مباشرين أو أقارب للموجودين فإن هذا الأمر سيحل المشكلة، وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم وأسلوبه في هذا الجانب وما حمله في شأن كبار السن فسنجد أنه أولى هذا الأمر عناية واضحة، سواء كان لكبار السن هؤلاء أبناء أو كان لهم أحفاد أو لم يكن لهم لا أبناء أو أحفاد، أي يكون لهم فيمن يكون في حكمهم من الدوائر المحيطة بهم، لأن الأولى بالرعاية بكبار السن هم الأقرب.

ولفت إلى أن المتأمل في التوجيهات الإسلامية يرى أمرا في غاية الأهمية والدقة، وهو أن دائرة الاهتمام بالمسنين تتسع لتبدأ من الوالدين وتنتهي إلى مختلف المحيطين من الجار إلى القريب إلى المسكين إلى حتى غير المسلم، وكل هذا نصت عليه آيات قرآنية واضحة وصريحة ونصوص نبوية بينة الدلالة تنهي المشكلة قبل وجودها من الأساس شريطة العمل وفقها، وباتساع هذه الدائرة واستقصاء كل من يندرج تحت كل مرحلة من مراحلها لن يوجد كبير سن يفتقد الرعاية على الإطلاق، فبداية جعل الإسلام ولاية الابن للأب فرض عين، ففرض عليه كفالة والديه والإنفاق عليهما، فورد أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مالا وولدا، وإن والدي يحتاج مالي.



قال: أنت ومالك لوالدك» (سنن أبي داود: ٣٥٣٠).

وأكمل: تتسع الدائرة وفقا لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ (النساء:٣٦)، إلى آخر هذه الصلات التي تحتال لكل العلاقات قربة وصلة من أجل استيفائها حقها، فإن كان كبار السن من كل هؤلاء فهم أولى، فالإحسان دائرة تشمل الجميع.

وقال المحمدي إنه في الجانب المالي نجد أنت ومالك لأبيك، وفي جانب التعاملات نجد قواعد سورة الإسراء الدقيقة جدا جدا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤)، حتى في حالة الشرك بالله نجد قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (لقمان:١٥)، حتى إذا أصيب كبير السن بالخرف نجد العلاج في التوجيهات القرآنية بالغة الدقة: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ (النساء:٥)، وإذا لم يكن له مال نحسن إليه.

وأوضح أن الدائرة التي وضعها الإسلام لا تترك كبير سن يضار نهائيا أو يهمل أو يبحث عن مكان يضعوه فيه، والأمر لا يتعلق فقط بالإطعام إنما يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾، الجوانب الثلاثة معنوية بحتة لابد أن يكون المعنوي والنفسي مقدما يعني هناك أثرياء جدا يضعون آباءهم في دور مسنين ومنهم من لا يحسنون معاملتهم ولا يهتمون بمشاعرهم ولا يحسنون إليهم مع توفير كل ما يحتاجون إليه ماديا وهذا خطأ كبير، ويسبب معاناة بالغة لكبار السن، ونرى هذا في المجتمعات الغربية التي انهارت فيها أركان الأسرة فلم تعد قائمة على جذور أو فروع

لهذا نرى أن من أبرز ضحاياها هم كبار السن.

رد اعتبار

وفي هذا الإطار، تؤكد الدكتورة سامية خضر أستاذ علم الاجتماع، أن المجتمعات العربية تحتاج إلى تصحيح منهجية تعاملها مع كبار السن وعدم اعتبارهم عبئا اقتصاديا وصحيا، مشيرة إلى أن أحد أبرز الأسباب التي أدت إلى ذلك هو الدور السلبي للإعلام، الذي تناقض تماما مع رسالته التي كان يقدمها وعاصرتها أجيال سابقة وبرزت خلالها عدة مواد وبرامج ترمي إلى بناء الأسرة والحفاظ على أركانها.

وذكرت أننا بحاجة إلى رسالة إعلامية ترد الاعتبار لكبار السن، وتبرز ما قدموه خلال مسيرتهم المهنية والإنسانية، وعدم اعتبارهم عبئا اقتصاديا على كاهل مجتمعاتهم، مشيرة إلى ضرورة أن يتبنى الإعلام المعاصر الرؤية الإسلامية للتعامل مع كبار السن.

ولفتت إلى أن صور الاعتناء بهم متنوعة، يجب أن تشمل التوعية بحقوقهم، وتخصيص أماكن لهم بالمواصلات مجانا، والاعتناء بهم في المصالح الحكومية، وعلى الأسر يقع الدور الأهم، من إشراكهم في أمور الحياة اليومية، والأخذ في الاعتبار ما يبدونه من نصح أو تصويب أو رأي، وعدم تهميشهم معنويا وماديا أيضا، وتربية الأبناء والنشء على أن هؤلاء لهم حقوق وإنهم إن كانوا قد كبروا في السن حاليا، لكنهم قدموا كثيرا لأسرهم ولأبنائهم وللمجتمع، فلابد عند التعامل معهم من معرفة هذا القدر والعمل وفقا لما يستدعيه

د. سامية خضر: مجتمعاتنا بحاجة إلى تصحيح منهجية تعاملها معهم

والإحسان إليهم على طول الخط.

الاستماع لهم

وقال الدكتور جمال فرويز أستاذ الطب النفسي، إن من الأمور المهمة في التعامل مع كبار السن ضرورة الاستماع لآرائهم وإبداء الاهتمام حيالها فهؤلاء يمتلكون خبرات كبيرة ومتنوعة سواء على الصعيد المهني بناء على ما كانوا يقومون به من أعمال أو على الصعيد الاجتماعي وفق ما راكموه من خبرات حياتية واسعة، لكن للأسف الشديد الجيل الحالي لا يريد أن يسمع إلا لنفسه، ولا يرى إلا ذاته، ويرى دائما أنه على صواب وأن كبار السن جيل قديم، وأن آراءهم قد عفا عليها الزمن ولم تعد تصلح للعصر الحالي كونها غير مواتية لتقلبات الحياة وما استجد فيها.

وذكر فرويز أنه من الضروري بمكان الاستماع لآراء كبار السن والأخذ بنصائحهم والاهتمام بمشورتهم فهنا لن نخسر شيئا، كما أنهم يتمتعون بخبرات كبيرة جدا وهذا الأمر سيشعرهم بالسعادة والراحة وسيعود

د. جمال فرويز: تقديرهم والاستماع إليهم يعززان صحتهم النفسية

على صحتهم بالنفع الأكيد، فلو أن في كل حي أو مدينة مكانا مخصصا لهم يجتمعون فيه ويحدث تواصل معهم ويطلقون خبراتهم ويستعين بهم المسؤولون يأتون إليهم أيضا ويأخذون منهم وهذا ليس عيبا بل إنهم سيجدون عندهم حلولا كثيرة وربما مجدية جدا.

وحذر أستاذ الطب النفسي الأسر وخاصة الأبناء من إهمال كبار السن، موضحا أن الذي يزيد من معاناتهم ويسبب لهم ضيقا وألما كبيرين هو الإهمال والإنكار، وبالتالي يسأل نفسه: لماذا أحيا؟.. ويشعر أن حياته لا معنى لها وأنها لا داعي منها طالما أنه مهمل ولا يجد أدنى اهتمام، فهي أيام تمر بلا قيمة، وهنا يتعجل الموت، وهذه الحالة النفسية التي يصل إليها كبار السن تنتهي بالوفاة لبعض الحالات نتيجة الضغط النفسي وإهمال الذات وشعورهم بأن الآخرين استغنوا عنهم فبالتالي يصل عمليا إلى حالة تعرف في العلم بالقلب المفتوح والتي تفضي بصاحبها إلى الموت، وكل هذا بسبب التعامل مع هذه الحالات التي تكون أحوج ما يكون ليد حانية ترعى فيها الحاجة الملحة للاهتمام بالمشاعر والاعتناء بما يبدونه أيا كان هذا الأمر الذي يتكلمون عنه أو فيه.

وشدد على أهمية عناية الأسر والمجتمع بهذه الفئة، والاستماع لهم وعدم اعتبارهم بلا جدوى، ما يسبب أذى ملحوظا لكثيرين منهم، فكل واحد منهم كيان وروح ونفس لها كيانها وشخصيتها وتفكيرها وآراؤها التي يجب أن تلقى اهتماما من محيطهم الأسري، ولتفادي كوارث صحية قد تحدث لهم، واتباعا للقرآن الذي حث على الاهتمام بهم، ولا شك أن هذا سيترتب عليه مجتمع سليم لا يعاني شروخات أو تسلطا تجاه فئة من فئاته.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية



من أبواب البركة

يبحث الناس جميعا عن الزيادة الحسية والمعنوية في أرزاقهم وأحوالهم فيما يعرف في الاسلام بالبركة، وهم في ذلك يذهبون مذاهب شتى ويسلكون طرقا متعددة بعضها يوصل للمقصود وكثير منها لا يبلغ بصاحبه الهدف المرجو.

وترشدنا السنة المطهرة إلى باب من أبواب البركة، وهو في ذات الوقت أحد الواجبات المنوطة بالمجتمع قياما بحق فئة منه وحفاظا على تماسكه واستجلابا لرحمات الله تعالى على المجتمع الذي يرحم بعضه بعضا، يقول النبي ﷺ: «البركة مع أكابركم»[1]

وتأتي هذه الرعاية في إطار حصول كل فرد وفئة في المجتمع المسلم على ما يستحقه من العناية والتكريم، ويوجهنا القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى التماس أعظم الأنصبة من البركة برعاية الكبار والإحسان إليهم، والكف عن أذاهم والدعاء لهم، فنجد قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤)، في هذا التوجيه الإلهي نهي عن الإساءة ولو بأبسط التعبيرات، فإن حساسية الكبير مفرطة لكل لفظة بل لكل تعبير يبدو على الوجه، ولذلك أمر المسلم أن يكرم الكبير بالقول والفعل والمشاعر وتعبيرات الوجه الصادقة.

ومما تجلبه رعاية كبار السن من بركات الحفاظ على الكيان الأسري، فإن التقصير في حقوق الوالدين والأجداد من العقوق الذي يفرق الشمل ويستجلب مقت الله وغضبه، بينما القيام بحقوق كبار السن يجمع الأسرة على البر والخير ويقوي الروابط الأسرية وذلك من بركات بر الكبار وسبب لنزول البركات والخيرات على القائمين بحقوق آبائهم وأجدادهم حتى نحصل على البركة، ومما يستجلب البركة من خلال رعاية كبار السن مجموعة من السلوكيات الحميدة التي يتعلمها المسلم من السنة المطهرة:

١- صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى صور من المعروف يمكن أن نقدمها قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في

أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»[٢]، فكل معروف تقدمه لكبار السن يصرف الله تعالى به عنك من السوء ما لا تعلمه وما لا تقدر على صرفه إذا علمته، وهذا يشجع على رعاية كبار السن دفعا للأذى عن النفس والمال والأهل والولد وعن المجتمع، وكلما زدت فيما تقدمه من معروف كلما أحسنت لنفسك ولمن تحب وحميتهم من الشرور، وقد قيل: صانع المعروف لا يقع وإذا وقع وجد متكئا.

٢- «ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة»[٣]، ومن الكربات التي يعانيها كبار السن كربة الوحدة القاتلة وكربة الحاجة التي لا يستطيع أن يبلغها، كل هذه الكربات وغيرها يبشر النبي ﷺ من يزيلها أو يخففها بأن الله تعالى سيفرج كرباته في الدنيا وفي الآخرة. إن (كسر دائرة الوحدة النفسية للمسن يعد من أهم القوى المحددة لجودة حياته لتصبح ذات معنى وأكثر توافقا)[٤].

من بركات رعايتهم

جاء في السنة النبوية دلالة على ما يمكن أن يناله المسلم من بركة بإحسانه إلى كبار السن:

١- ومن بركات رعايتهم التي ينالها المسلم في الآخرة أن البر بهما والقيام بحقوقهما والدعاء لهما والسعي فيما يرضيهما - بما لا يؤدي إلى معصية- سبب لدخول الجنة، قال رسول الله ﷺ: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة» (صحيح مسلم)، ويتسع الشعور بالإحسان لينتقل من الوالدين إلى كل كبير في السن.

٢- رعايتهم سبب لتفريج الكربات: قال النبي ﷺ: «خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي به أبوي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي (يصيحون ويبكون)، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم»[٥]، هذا الرجل الذي يسعى ويجد ويجتهد لتحصيل قوته وقوت من يعول لكنه يقدم حق والديه الكبيرين على حق امرأته وأولاده فيسقيهما قبل أن يسقي الزوجة والأطفال كان هذا المعروف سببا في تفريج كربته حين عجز عن التواصل مع الآخرين وطلب المساعدة، لكن الله تعالى ألهمه أن يتوسل إليه سبحانه بالأعمال الصالحة فلم يجد عنده خيرا من هذا العمل الصالح.

٣- رعايتهم ترفع العمل الصالح إلى أعلى مستوياته، فالنبي ﷺ يجعل العمل لتوفير نفقات كبار السن سعيا في سبيل الله وذلك تعظيما لتلبية حاجاتهم وإكرامهم بما يمكن من أنواع الإكرام، عن كعب بن عجرة، قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[٦]، فأعظم ما يمكن أن يوصف به عمل صالح أنه في سبيل الله، وقد جعل النبي ﷺ السعي على كبار السن في سبيل الله.

٤- قال رسول الله ﷺ: «عائد المريض في مخرفة[٧] الجنة حتى يرجع»[٨]، فما بالنا إذا كان هذا المريض قد اجتمع عليه مع مرضه كبر سنه وهي حالة أشد في الاحتياج إلى الزيارة ونحن أحوج ما نكون إلى نزول رحمات الله تعالى علينا.

يحافظ المجتمع المسلم على نسيجه ويعزز الترابط بين أفراده ويستفيد من كل القوى المعنوية والبدنية والفكرية المتواجدة كما يحرص على التواصل بين الأجيال، وهو في إطار شعوره بالقوة والعزة لا ينسى فضل من أسس وشيد ولا يؤخر التقدير حتى يموت أصحاب الفضل فيذكرهم بمقالة في صحيفة أو تقرير في أحد وسائل الإعلام أو بتسمية شارع أو صفحة في كتاب التاريخ أو تكريم بأحد الجوائز.

الهوامش

١- المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.
٢- سنن الترمذي قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.
٣- الصحيحين.
٤- أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة وعلاقتها بالوحدة النفسية لدى عينة من المسنين د آمال عبد القادر جودة (ص: ٧١).
٥- الصحيحين واللفظ للبخاري.
٦- الطبراني في معاجمه الثلاثة.
٧- المخرفة: سكة بين صفين من نخل يخترف من أيهما شاء أي يجتني وقيل المخرفة الطريق أي أنه على طريق تؤديه إلى الجنة.
٩- صحيح مسلم.

د.صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي



المسنون في ظلال الإسلام

تتعاقب الأجيال على المجتمعات وتستمر وتتنوع ما بين أطفالها وفتياتها شبابها وشيوخها، ولكن للمسنين وضعا خاصا في المجتمعات التي يعيشون بها، يعكس حالة الأوضاع الإنسانية في هذه المجتمعات والحقوق التي يتمتعون بها.

تعريف المسن:
أطلقت العرب لفظ المسن على الرجل الكبير، يقال «أسن أي كبر وكبرت سنه، يسن إسنانا فهو مسن» والأنثى مسنة، والجمع مسان.

والشيخوخة هي مجموعة تغيرات جسمية ونفسية تحدث بعد سن الرد وفى الحلقة الأخيرة من الحياة، ومن التغيرات الجسمية «العضوية» الضعف العام في الصحة ومن المتغيرات النفسية ضعف الانتباه والذاكرة وضيق الاهتمامات وشدة التأثر الانفعالي والحساسية النفسية [1].

والشيخوخة حالة نسبية تختلف من مجتمع لآخر بحسب الثقافة السائدة، فرغم أنه ثمة اتفاق عام بين مختلف المجتمعات المتحضرة على أن السن (٦٥) سنة هو البداية الأولى للشيخوخة تذهب العديد من المجتمعات البدائية على إطلاقها على كل من تدهورت حالته الصحية والعقلية دون التقيد بالمرحلة العمرية، كما أن بعض الدول اعتبرت السن من (٦٠-٦٥) سنة، هو بدء التقدم في العمر وصرف المستحقات، بينما حدد سن (٦٠) سنة لصرف الاستحقاقات للرجل وسن (٦٥) سنة للمرأة في دول أخرى.

تزايد أعداد المسنين عالميا

وفقا لتقارير الأمم المتحدة تعد الشريحة العمرية لمن هم في سن

الـ(٦٥) عاما أو أكبر، أسرع الشرائح الاجتماعية نموا على الصعيد العالمية، ويتوقع بحلول عام: (٢٠٥٠م) سيكون (١٦٪) من عدد سكان العالم (واحدا من كل ستة أفراد في العالم) أكبر من سن (٦٥) عاما، أي بزيادة: (٧٪) (واحدا من كل ١١ فرد) عن عام: (٢٠١٩م).

وتحليل هذه البيانات الإحصائية يشير إلى: توقع أن تكون الشيخوخة واحدة من أبرز التحولات الاجتماعية في القرن الحادي والعشرين، حيث ستؤثر في جميع قطاعات المجتمع، بما في ذلك سوق العمل والأسواق المالية، والطلب على السلع والخدمات، مثل السكن والنقل والحماية الاجتماعية، فضلا عن البنى الأسرية والروابط بين الأجيال.

الاهتمام الدولي بقضايا وحقوق المسنين

نالت أوضاع المسنين في العالم وما يتعلق بها من قضايا وحقوق خاصة بهم، اهتمام هيئة الأمم المتحدة، والتي بدأت في عام: (١٩٨٢م) عندما عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة «الجمعية العالمية الأولى للشيخوخة» التي تمخضت عن خطة عمل فيينا الدولية للشيخوخة عام: (١٩٨٨م).

وفي (١٤) ديسمبر (١٩٩٠م) حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة، بموجب القرار: (٤٥/١٠٦) الأول من أكتوبر من كل عام يوما دوليا لكبار السن.

وفي عام: (١٩٩١م) اعتمدت الجمعية العامة مبادئ الأمم المتحدة المتعلقة بكبار السن، وعقد في العام التالي: (١٩٩٢م) المؤتمر الدولي للشيخوخة، واختتم بإعلان عام: (١٩٩٩م) بوصفه العام الدولي لكبار السن.

وفي عام: (٢٠٠٢م) عقدت الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة في مدريد، واعتمد الإعلان السياسي وخطة عمل مدريد الدولية للشيخوخة بهدف وضع سياسات دولية للشيخوخة مواءمة للقرن الحادي والعشرين.

وفي عام: (٢٠٠٢م) لفتت منظمة الصحة العالمية الانتباه الدولي إلى قضية إساءة معاملة المسنين كظاهرة ومشكلة اجتماعية متفشية على مستوى دول العالم، وفي عام: (٢٠٠٦م) حددت الشبكة الدولية لمنع إساءة معاملة المسنين يوم (١٥) يونيو يوما عالميا لزيادة الوعي بإساءة معاملة المسنين وتسليط الضوء على طرق معالجة ومنع مثل هذه الانتهاكات، وقد أقرت الأمم المتحدة هذا اليوم ضمن أيامها العالمية بقرارها رقم: (٦٦/١٢٧).

كما تم الموافقة في مايو: (٢٠٢٠م) على إعلان عقد التمتع بالصحة في مرحلة الشيخوخة (٢٠٢١-٢٠٣٠)[٢].

أوضاع المسنين في الدول الغربية

على الرغم من أن الاهتمام الدولي بالمسنين هو في أصله دعوات ومقترحات من الدول الغربية، وعلى الرغم أيضا من التقدم الهائل في الخدمات التي تقدم للمسنين، والقوانين والقرارات التي تكفل لهم العديد من الحقوق والتي يفترض أن تكفل للمسنين حياة كريمة، إلا أن الواقع يشير إلى خلاف ذلك حيث أن النظرة الفعلية للمسنين في الكثير من الدول الغربية تشير إلى أن أنهم يمثلون عبئا اجتماعيا واقتصاديا على المجتمع، وبالتالي عدم الرغبة في وجودهم، فحدث ولا حرج عن الانتهاكات التي يتعرض لها المسنين في الدول الاوربية مثل السرقة، والضرب، والطرد من محل الإقامة، والتنمر، والاعتداءات الجنسية،.. ليس هذا فقط، بل سعت الكثير من هذه الدول إلى إيجاد السند القانوني للتخلص من المسنين، عن طريق إقرار قانون القتل الرحيم، والذي يبيح للمسن أن يتقدم قانونيا بطلب لإنهاء حياته، لمؤسسات تقوم بهذا الأمر مرخص لها وفقا للقانون.

ولا عجب في ذلك فهذا كله تطبيق لفلسفات النزعة الفردية المادية، التي تقوم عليها المجتمعات الغربية، وتطبيقا لمبادئ الداروينية الاجتماعية وأفكار مالتوس الاقتصادية، والتي تمت إعادة صياغتها وفقا لمعيار «الأحقية لمن»، والذي يتعلق ببشر لا يستحقون الحياة، ومن ثم لم يكن هناك أدنى حرج في الدعوة إلى التخلص ذوي الإعاقة والمسنين، على اعتبار أنهم «أغبياء غير قابلين للشفاء»، وأنهم «مجرد قشور بشرية فارغة»، وظيفتها المجتمعية الوحيدة هي استهلاك الموارد الثمينة مع عدم المساهمة في المجتمع في المقابل! وأن حياتهم لا معنى لها على الإطلاق، حيث إنهم يشكلون عبئا ثقيلا ورهيبا على أقاربهم وعلى المجتمع ككل[٣].

رعاية الإسلام للمسنين

نظرة الإسلام إلى المسنين هي نظرة فطرية باعتبار مرحلة الشيخوخة إحدى مراحل الخلق التي يمر بها الإنسان، وقد أشار القرآن الكريم في عدد من آياته المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان وأجمل في خصائصها المميزة لها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (غافر:٦٧)، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ



ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ (الروم:٥٤)

ورغم أن مصطلح المسن لم يرد ذكره صراحة في آيات القرآن الكريم، إلا أنه تم الإشارة إليه عبر ألفاظ أخرى لها نفس الدلالة: مثل:

الشيخ: قال تعالى: ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ (القصص:٢٣)

الكهل: قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران:٤٦)

العجوز: قال تعالى: ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ (الذاريات:٢٩)

أرذل العمر: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ (الحج:٥).

مظاهر الرعاية بالمسنين في الإسلام:

ترتبط مظاهر الرعاية والتكريم التي يلقاها المسنون في ظلال الإسلام بمجموعة الخصائص التي ترتبط بهذه المرحلة العمرية، حيث يكونون في أشد الحاجة إلى الرعاية والاهتمام، يتميز المسنون بمجموعة من الخصائص ترتبط بالمرحلة العمرية التي يعشونها على أننا نرى أن أهم مظاهرها تتجلى في الخصائص التالية:

- بدنيا وصحيا: الضعف البدني والصحي العام حيث وضعف الحواس مثل السمع والبصر وبطء الحركة مع التعرض للإصابة بالأمراض المزمنة مثل أمراض الرئة والقلب والضغط والسكر، وضعف المناعة بصفة عامة مما يجعله أكثر عرضة للإصابة بالأمراض.

- اجتماعيا: يعاني المسن من عدد من التغيرات الاجتماعية حيث يفقد الكثير من علاقاته الاجتماعية ويقل تواصله مع محيطه الاجتماعي ولا سيما مع أصدقاء العمر والجيران، وذوي الرحم، واستقلال الابناء في حياة اسرية جديدة منفصلين عن الأب والأم، فيجد نفسه وحيدا يعاني آثار الوحدة الاجتماعية وقسوتها النفسية، ولا سيما في حالة موت أحد الزوجين، مما يجعله زاهدا في الحياة محجما عن أي تجمع أو مناسبة عائلية أو اجتماعية.

- نفسيا: يعاني المسن من عدد من التغيرات النفسية وتعتبر هذه التغيرات نتيجة للتغيرات الاجتماعية التي يتعرض لها، فيصاب بنوبات الاكتئاب والصرع والتشنجات، والوساوس القهري، ويزداد شعوره بأنه عالة على الآخرين، ويكون أكثر حساسية للمواقف والكلمات، مما يجعله يحجم لا شعوريا عن الحياة ذاتها فيمتنع عن الطعام والشراب، والأدوية التي يتناولها.

عظم مكانة المسنين في الإسلام

المسنون لهم مكانة عظيمة في الإسلام بينها النبي ﷺ في عدد من الأحاديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ﷺ: «إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم» (رواه أبوداود) أي: إن من تبجيل الله وتعظيمه وأداء حقه، «إكرام» أي: تعظيم وتوقير«ذي الشيبة المسلم» أي: الشيخ الكبير في السن،

وكفى بهذا الحديث دليلا على عظم حق المسن ومكانته في الإسلام.

التخفيف في الأحكام الشرعية

راعت الشريعة الإسلامية في احكامها كبار السن، فقد خفف الشرع عن المسن في الكفارات والفرائض والواجبات، ففي الصلاة أجاز له الصلاة جالسا حال عجزه عن القيام أو راقدا إن عجز عن الجلوس وإن عجز عن ذلك كله يصلى بالإيماء بالرأس وقد فصل الفقهاء في ذلك حسب كل حالة، وفي الصيام أباح له الفطر والكفارة إن شق عليه الصيام، وفي الحج ورخص للمسن أن يرسل من يحج عنه إن حال ضعفه البدني عن الذهاب للحج، ففي الحديث: عن عبد الله بن عباس رَضِوَلِللَّهُ عن الفضل أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج، وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، فقال لها النبي ﷺ: فحجي عنه» (رواه البخاري).

التوقير المجتمعي

المسن لا يعيش بمعزل عن الناس ولكنه يتعامل مع كل فئات المجتمع وأفراده بمختلف مراحله العمرية، وقد كفل له الإسلام حق التوقير والاحترام وقد بين لنا النبي ﷺ الآداب التي يتعامل بها المسلم مع المسن منها:

التوقير: عن عبد الله بن عمرو رَضِوَلِللَّهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا» (رواه الترمذي).

بدؤه بالسلام: عن أبي هريرة رَضِوَلِللَّهُ عن النبي ﷺ قال: «يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير» (رواه البخاري).

تقديم المسن في وجوه الإكرام عامة: عن ابن عمر رَضِوَلِللَّهُ عن النبي ﷺ قال: أمرني جبريل أن أقدم الأكابر» (رواه أبو بكر الشافعي في الفوائد).

الرعاية الأسرية

فرض الإسلام على الأبناء رعاية الوالدين ولا سيما في مرحلة الكبر وتلبية احتياجاتهم والإحسان إليهم قولا وفعلا، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء:٢٣).

الرعاية في وقت الحروب والأزمات

غالبا ما يكون المسنين هم أكثرية ضحايا الحروب والأزمات نظرا لضعفهم وعجزهم عن التعامل مع هذه الظروف، وإهمال الدول والمجتمعات ولكن الإسلام أمر بحماية المسنين في وقت الحروب والأزمات وعدم التعرض لهم حتى ولو كانوا من الأعداء، وكانت هذه وصية النبي ﷺ إلى جيوش المسلمين ففي الحديث: عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين» (رواه الترمذي).

رعاية المسن غير المسلم

الإسلام في تعامله مع غير المسلمين راعي أيضا حالة الشيخوخة والتقدم في العمر فكفل لهم ألوان الرعاية بما يضمن لهم العيش الكريم باعتبارهم مواطنين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية يقع كاهل الدولة رعايتهم والاهتمام بهم وندلل على ذلك بما أورده أبي يوسف في «الخراج» أن عمر رَضِوَلِللَّهُ أبصر شيخا كبيرا من أهل الذمة يسأله، فقال: ما لك؟ قال: ليس لي مال وإن الجزية تؤخذ مني، وفي رواية: قال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجده، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال، وقال له: انظر هذا وضرباءه، فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.

وحري بنا كمسلمين أن نتعامل مع المسنين بما شرعه الإسلام من حقوق تخص هذه الفئة كأفراد في التخلق بخلق الإسلام الراقي في التعامل مع المسنين في أسرنا وفي مجتمعنا عامة، فنكون أبناء لمن لا ابناء لهم ورحم لمن لا رحم لهم وعونا لمن لا عون لهم وكحكومات بأن تتخذ ما يلزم من القرارات والإجراءات والخطط والبرامج التي تكفل لهم العيش الكريم، والحماية من تقلبات الأيام، كل حسب حالته، كما يقع على عاتق الدعاة والإعلام التوعية بحقوق المسنين وتسليط الضوء على مشكلاتهم واحتياجاتهم.

الهوامش

١- حامد عبد السلام زهران: الصحة النفسية والعلاج النفس، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٨، (ص: ٢).

٢- الاحصائيات وفقا لموقع منظمة الأمم المتحدة https://www.un.org

٣- كوثر الفراوي: الضعفاء بين ميزان القتل الرحيم وصبغة الإسلام (بتصرف من الكاتب) https://al-sabeel.net

علاء عبد الفتاح
كاتب وصحافي



الكويت ودول العالم المنصفة تستنكر قيام متطرف بحرق نسخة من المصحف الشريف

تأجيج مشاعر المسلمين بحجة حرية التعبير

إحراق نسخة من القرآن الكريم لا شك فعل غير مسؤول لا مبرر منطقي له، ولا عذر لصاحبه مهما تستر وراء حرية التعبير.

فالفارق كبير بين أن تعبر عن رأيك وبين أن تستفز مشاعر الآخرين، بين أن تمارس حريتك الشخصية في بيتك وأن تحاول إهانة معتقد ملياري نسمة علنا.

وقد كان للكويت - كما هو دوما - موقفها المشرف إزاء هذا الحدث الذي امتعضت له النفوس قبل أيام فعبر وزير خارجيتها الشيخ سالم عبدالله الجابر الصباح عن إدانته واستنكاره الشديدين، لقيام أحد المتطرفين بحرق نسخة من المصحف الشريف أمام مبنى سفارة الجمهورية التركية في العاصمة ستوكهولم، فهي حادثة من شأنها تأجيج مشاعر المسلمين حول العالم وتشكل استفزازا خطيرا لهم.

ودعا الوزير في تصريح له المجتمع الدولي إلى تحمل مسؤولياته لوقف مثل هذه الأعمال المرفوضة، ونبذ كافة أشكال الكراهية والتطرف ومحاسبة مرتكبيها، والعمل على عدم الربط بين السياسة والدين، ونشر قيم الحوار والتسامح والتعايش السلمي بين الشعوب، ومنع أي شكل من أشكال الإساءة لكافة الأديان السماوية.

ومن ناحية أخرى أصدر عدد من أعضاء مجلس الأمة أمس بيانا حول حرق نسخة من القرآن الكريم في السويد، أعربوا فيه عن الإدانة والاستنكار لموقف الحكومة السويدية بالسماح بهذا العمل الإجرامي، وناشدوا البرلمانيين العالميين استنكار العمل الهمجي، داعين إياهم إلى مقاطعة السويد وكل دولة لا تحترم الثوابت الإسلامية. ونص البيان على ما يلي:

«ندين ونستنكر بشدة نحن أعضاء مجلس الأمة حرق نسخة من المصحف الشريف بدولة السويد في مشهد متكرر يدل على الإساءة المتكررة والمتعمدة للمقدسات الإسلامية ومخالفة صارخة للحقوق والمبادئ والمواثيق الدولية واستفزاز لمشاعر المسلمين حول العالم». وأضاف البيان «كما نعرب عن إدانتنا لموقف الحكومة السويدية بالسماح بهذا العمل الإجرامي، ونناشد البرلمانيين في العالم استنكار هذا العمل الهمجي، وندعوهم جميعا إلى مقاطعة السويد وكل دولة لا تحترم ثوابت الأمة

الإسلامية».
كما شهد العالم إدانات عربية ودولية لإحراق نسخة المصحف من متطرف يدعى راسموس بالودان، وهو زعيم حزب «الخط المتشدد» الدنماركي اليميني المتطرف، حيث أدانت وزارة الخارجية التركية بشدة الأمر، لافتة إلى أن «هذا العمل الدنيء مؤشر جديد على المستوى المقلق الذي وصلت إليه أوربا في معاداة الإسلام والعنصرية والتمييز».
وقالت الخارجية التركية في بيان: «ندين بأشد العبارات الاعتداء الدنيء على كتابنا المقدس القرآن الكريم»، وأضافت: «لا نقبل بأي شكل من الأشكال السماح لهذا العمل الاستفزازي الذي يستهدف المسلمين ويهين قيمنا المقدسة تحت غطاء حرية التعبير، لأن هذه جريمة كراهية ومعاداة الإسلام».
والمدهش أن يعلن هذا المستفز أمام أقرانه عند حرق نسخة كتاب الله المكرم والمحفوظ إلى أبد الآبدين قوله: «إذا لم نكن مقتنعين بأهمية حرية التعبير، فيجب أن نعيش في مكان آخر». فأي حرية تعبير يؤمن بها! وأي سلوك انتهجه حين أعلن قيامه في أبريل الماضي بجولة في السويد لزيارة الأحياء التي تقطنها نسبة عالية من المسلمين لإحراق نسخ من المصحف فيها».
كذلك أعلنت مصر في بيان صادر عن وزارة الخارجية عن إدانتها الشديدة لإحراق نسخة من القرآن الكريم في العاصمة السويدية ستوكهولم، في تصرف مشين يستفز مشاعر مئات الملايين من المسلمين في كافة أنحاء العالم.
وحذرت من مخاطر انتشار هذه الأعمال التي تسيء إلى الأديان وتؤجج خطاب الكراهية والعنف، داعية إلى إعلاء قيم التسامح والتعايش السلمي، ومنع الإساءة لجميع الأديان ومقدساتها من خلال مثل تلك الممارسات المتطرفة التي تتنافى مع قيم احترام الآخر وحرية المعتقد وحقوق الإنسان وحرياته الأساسية.


الشيخ سالم عبدالله الجابر الصباح وزير الخارجية

كما أدانت وزارة الخارجية السعودية سماح السلطات السويدية لأحد المتطرفين بإحراق نسخة من المصحف الشريف.
وأعربت وزارة الخارجية، في بيان أوردته وكالة الأنباء السعودية الرسمية، عن «إدانة واستنكار المملكة العربية السعودية الشديدين، لسماح السلطات السويدية لأحد المتطرفين بإحراق نسخة من المصحف الشريف أمام سفارة جمهورية تركيا في ستوكهولم».
وأكدت الخارجية: «موقف المملكة الثابت الداعي إلى أهمية نشر قيم الحوار والتسامح والتعايش، ونبذ الكراهية والتطرف».
وأدانت دولة قطر واستنكرت بأشد العبارات، سماح السلطات السويدية بإحراق نسخة من المصحف الشريف أمام سفارة الجمهورية التركية في ستوكهولم.
وشددت على أن هذه الواقعة الشنيعة تعد عملا تحريضيا، واستفزازا خطيرا لمشاعر أكثر من ملياري مسلم في العالم.
وبالمثل فعلت قطر والإمارات والأردن والمغرب وباكستان والعديد من دول العالم المنصفة.
كما أدان الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي نايف فلاح مبارك الحجرف «الحادثة» مشددا على أنها: «تأجيج لمشاعر المسلمين حول العالم واستفزازهم».
وأكد الحجرف في بيان: «موقف مجلس التعاون الثابت والداعي إلى أهمية نشر قيم الحوار والتسامح والتعايش السلمي ونبذ الكراهية والتطرف، داعيا المجتمع الدولي إلى تحمُّل المسؤوليات لوقف مثل هذه الأعمال المرفوضة».
وبالمثل أدان حسين طه الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي «بأشد العبارات العمل الدنيء الذي أقدم عليه نشطاء من اليمين المتطرف بحرق نسخة من القرآن الكريم أمام السفارة التركية في ستوكهولم وبترخيص من السلطات السويدية».





د. محمد خليل محمود
باحث ومحاضر أكاديمي

عالمية الإسلام من خلال الإسراء والمعراج

تعد رحلة الإسراء والمعراج حدثا عظيما ومهما في تاريخ الإسلام، وذلك لما تضمنته من أحداث وعبر ومعجزات، كان لها أثر عظيم على عبادات ومعاملات وأخلاق وسلوكيات المسلمين. هذه الأهمية جعلت المسلمين على مر العصور يولون حادثة الإسراء والمعراج اهتماما كبيرا، لأنها تعني ارتقاء هذه الأمة على غيرها من الأمم، عندما صلى رسول ﷺ بالنبيين إماما، فذلك يعني أننا خير أمة أخرجت للناس.

والإسراء معجزة ربط الله -عز وجل- بها بين المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس، ربطا عقائديا إيمانيا، قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١). في سماء المسجد الأقصى فرضت الصلاة على المسلمين ليظل المسلم على صلة بالمسجد الأقصى كلما توجه إلى ربه، وللتأكيد على قدسية الأرض التي باركها الله (باركنا حوله).

وعبارة «المسجد الأقصى» تعني مدينة القدس -كل القدس- ولا تعني «المسجد» بمعنى البناء المعماري للجامع، فلم يكن هذا البناء قائما بالقدس سنة ٦٢١م ليلة الإسراء، وكذلك عبارة «المسجد الحرام»، تعني مكة -كل مكة- ولا تقتصر على الكعبة والمسجد الحرام، فرسول الله ﷺ عندما أُسري به لم يكن ساكنا ولا نائما في المسجد الحرام (الجامع) وإنما كان في مكة، فالإسراء به قد تم من «المسجد الحرام» -أي مكة- إلى «المسجد الأقصى» -أي مدينة القدس[١]. ولذلك كله، وصفت القدس، أو مسجد القدس، بأولى القبلتين، لأن الرسول ﷺ أُمر هو وسار المسلمين، بأن يتجهوا في صلواتهم إليه قبل أن تحول القبلة إلى البيت الحرام بمكة[٢].

وحدة الدين

لقد أطلق القرآن الكريم على مدينة القدس مصطلح «المسجد» قبل الفتح الإسلامي لها، وقبل بناء المساجد فيها، فهي «مسجد» كما أن مكة «مسجد» -أي قبلة للساجدين- فالإسراء قد حدث من مكة إلى القدس (المسجد)، وهو قد أقام رباطا بين هذين الحرمين المقدسين، هو آية من آيات الله -عز وجل- وهو رباط يجسد وحدة الدين الإلهي عبر كل النبوات والرسالات، فالمسجد الحرام، الذي هو أول بيت وُضع للناس في الأرض، والذي أصبح قبلة أمة الرسالة الخاتمة، عندما يربط الله -عز وجل- بالإسراء بينه وبين القدس -قبلة النبوات السابقة- إنما يرمز بذلك إلى وحدة الدين الإلهي، وإلى اكتماله بالإسلام، وإلى جمع العقيدة الإسلامية الإيمان بكل الرسل والرسالات من آدم إلى محمد عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

ولتقديس الإسلام لهذه المدينة، باعتبارها مسجدا وحرما وقبلة

للنبوات السابقة. ولأن الإسلام وحده هو الذي جعل الإيمان بالنبوات والرسالات السابقة جزءا من عقيدته، تميزت السلطة الإسلامية عبر تاريخ سيادة الدولة الإسلامية على مدينة القدس، بإشاعة قدسيتها لكل أصحاب المقدسات من أبناء كل الديانات السماوية، فكانت الدولة الإسلامية وحدها والسلطة الإسلامية دون سواها هي المؤتمنة والأمينة على المقدسات غير الإسلامية في هذا الحرم القدسي الشريف، بينما كان العكس -أي الاحتكار- هو موقف كل السلطات غير الإسلامية التي استولت على القدس[٣].

ولقد شاءت إرادة الله -عز وجل- أن يجعل مكان هذا الواقعة العظيمة -الإسراء والمعراج- بيت المقدس، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومجمع الأنبياء ليثبت في يقين الأمة المحمدية ومشاعرها معنى الوحدة بين أرجاء الوطن المسلم، ويرمز إلى الرباط الوثيق بين المسلمين أينما كانوا، وبين مسرى نبيهم الكريم ﷺ ومعراجه.

لقد ابتدأت رحلة الإسراء والمعراج مسيرتها من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولم تكن من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة، فلهذا الترتيب حكمة بليغة. وهذا الترتيب يوحي من أول وهلة بأن رسالات السماء كلها تدور في فلك واحد، وتسعى إلى غاية واحدة وأن اللاحق منها يكمل السابق، وأن مثل هذه الرسالات كمثل البناء الشامخ الذي يتكون في مجموعة أجزاء متفرقة يكمل بعضها بعضا، ولا يستغني بعضها عن الآخر، فجميع الديانات السماوية خرجت من مشكاة واحدة، ومن ثم اتفقت في الأصول والجوهر وإن تباينت في التفصيلات والجزئيات، فهي كلها تقوم على التوحيد لله -عز وجل- وتحض على الأخلاق الفاضلة، وتنهى عن ارتكاب الكبائر، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (الشورى:١٣)، وقول النبي ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد». وقوله ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» (أخرجه البخاري)[٤]. فهي-أي الديانات السماوية السابقة- كلها جاءت لإسلام الحياة لله سبحانه وتعالى، فجمعها بذلك اسم الإسلام، فالإسلام بهذا المعنى هو دين الأنبياء جميعا ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ (آل عمران:١٩).

تأكيد عالمية الإسلام

ولما كان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقد اقتضت حكمة الله -عز وجل- أن يتم العروج بالنبي ﷺ إلى سدرة المنتهى، لتأصيل عالمية الإسلام، وتعميم دعوة التوحيد التي رفع أعلامها الأنبياء والمرسلون من لدن آدم -عليه السلام- حتى خاتمهم محمد ﷺ، تعميم هذه الدعوة على آفاق الأرض من الجزيرة العربية حيث بعث نبي الإسلام ﷺ إلى أرض الشام، وحيث عرج به ﷺ منه إلى سدرة المنتهى.

إن الباحث في تاريخ النبوات يلمح أن بيت المقدس كان مشرق النور الإلهي على الأرض، وإدماج الأديان في حقيقة واحدة، فكان المسجد الأقصى مركزا من أهم مراكز اللقاء بين الأنبياء، إذ كانوا جميعا في استقبال خاتم المرسلين ﷺ، فقد جمع الله -عز وجل- له جميع الأنبياء والمرسلين، فقام فيهم رسول ﷺ مقام الإمام في المسجد الأقصى المبارك، وتولى إمامة الدين، ليتحقق الختام للإسلام في كل شيء: الرسالة الخاتمة، والنبي الخاتم، والدين الخاتم، والكتاب السماوي الخاتم، والأمة الخاتمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

المراجع

١- د. محمد عمارة، القدس بين اليهودية والإسلام، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ص:٣٩.

٢-الأزهر والقدس، تأليف لفيف من العلماء، تقديم د. نظير محمد عياد، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ص:١٢١.

٣- المرجع السابق، ص:٤٩.

٤- د. صوفي أبو طالب، حقوق موقف الإسلام من غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص:٩.

علي سلطان علي السيد
إمام وخطيب

زاد المحتاج من دروس الإسراء والمعراج



كانت معجزة الإسراء والمعراج إطلالة سريعة وومضة عابرة على عالم الغيب، ليزداد الذين آمنوا إيمانا وثباتا على الحق، وليعلموا أنهم يأوون إلى ركن شديد.

فتعال معي أخي القارئ الحصيف لننهل من هذا المعين الرقراق قبسات من العبر والعظات، نستحضر فيها عظمة الله وقدرته لنؤمن إيمانا لا يخالطه شك بوقوع المعجزة، ولا نقحم عقولنا في فهم كيفية وقوعها، ذلك لأن الذي تولى الأمر في هذه الرحلة المباركة ذو قدرة مطلقة ولا يعجزه شيء، فاستحق -سبحانه- التمجيد والتعظيم، فافتتحت السورة بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

ولنعلم بأن ما عند الله تعالى لا ينال إلا بطاعته، فما وصل النبي ﷺ إلى هذه المنزلة الرفيعة، ونال هذا العطاء الفياض إلا بالعبودية الخاصة لله تعالى.

وما وصل أيوب عليه السلام إلى ما وصل إليه من الشفاء التام والعطاء الوفير إلا بعد أن وصل إلى مرتبة عالية من العبادة لدرجة أن الله تعالى أثنى عليه فمنحه هذا الوسام الرفيع «نعم العبد».

وكذا سليمان عليه السلام ما استحق هذا الملك الواسع.. هذا الملك الذي لم ينله أحد من بعده.. إلا بعد أن وصل إلى منزلة «نعم العبد».

فمن أراد العزة والعطاء الوفير فليلزم العبودية للعزيز القدير، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأعراف:٩٦).

وبالرغم من عروج النبي ﷺ ووصوله إلى هذه المنزلة الرفيعة إلا أن الله تعالى وصفه بالعبودية لله قائلا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ «فأنت أيها النبي -والناس جميعا- مهما ارتفعت وعلوت لا تنس أنك (عبد) فقير محتاج إلى ربك ومولاك».

وليفرق الناس بين منزلة الإله ومنزلة النبي، فيخلصون العبادة لله وحده دون سواه ولو كان نبيا.

ولأهمية الصلاة ومنزلها فرضت على النبي ﷺ وعلى أمته في السماوات العلا، في حين أن كل العبادات الأخرى نزلت على رسوله ﷺ وهو في الأرض.

وعلو مكانة الصلاة وفرضها في السماوات العلا، فيه إشارة إلى أنها - أي الصلاة- الطريق إلى العلو عن الهموم والأحزان، كما في الحديث: «وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وأمر من رأى في منامه ما يكره أن يصلي».

وثمة لطيفة أخرى وهي أن فرض الصلاة في السماوات العلا فيه دعوة للتوجه إلى العلي الكبير -سبحانه- بالعبادة ونبذ ما سواه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الانعام:١٦٢).

وفي هذه الرحلة تجلت مكانة النبي ﷺ إمامته لإخوانه الأنبياء في المسجد الأقصى، وفي وصوله ﷺ إلى سدرة المنتهى، وفي ترحيب الأنبياء به ﷺ وحسن استقبالهم له.

ثم إن رحلة الإسراء والمعراج جاءت تفريجا عن النبي ﷺ بعد (عام الحزن) الذي فقد فيه زوجته خديجة رضي الله عنها التي كانت سنده بمالها ورعايتها، وفقد عمه أبا طالب الذي كان درعه الواقي -بعد الله تعالى- ضد كفار قريش، وفي هذا العام قوبل ﷺ بالصدود الشديد من أهل الطائف حين خرج لدعوتهم.. فجاء الفرج بعد الكرب والنصر بعد الصبر، فكانت رحلة الإسراء والمعراج.

وكأن رحلة الاسراء والمعراج جاءت تقول بلسان الحال: يا رسول الله.. لإن فقدت المعين والنصير على ظهر الأرض فالله معك وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير. لإن صدك أهل الطائف وهجروك فـ «ما ودعك ربك وما قلى».. وإن أدمى أهل الطائف قدميك فالحق بربك ولذ بجنابه يواسك ويربط على قلبك.

لإن أعلنت ضعفك وشكوت إلينا قلة حيلتك وتبرأت من حولك وقوتك.. فاطمئن يا رسول الله.. فأنت تأوي إلى ركن شديد.. فثق بربك إنه «فعال لما يريد».

د. هانئ محمد
باحث أكاديمي







الإسراء والمعراج.. رسالة سلام

رحلة الإسراء والمعراج، ذكرى عظيمة في حياة المسلمين، تجلت فيها منزلة الرسول الكريم ﷺ، كما تجلى من خلالها معنى تكريم المولى -عز وجل- له، فكانت معجزة كرّم بها الله نبيه المصطفى ﷺ بعد أن حاربته قوى الأرض، وفقد العزيز والنصير، فكان التكريم له من العلي القدير. نعم رحلة الإسراء والمعراج، معجزتان شريفتان ودليلان من دلائل النبوة، أكرم الله بهما عبده ورسوله ومصطفاه محمد ﷺ فكانتا حدثا مهما في تاريخ الإسلام. فالإسراء والمعراج كانا خطة إلهية، وترجمة عملية، وإعلانا ربانيا لوراثة الرسول ﷺ لمقدسات أسلافه من الأنبياء والرسل الكرام، أبناء سيدنا إبراهيم-عليه السلام- إلى يوم الدين، وليكون ذخيرة حية وصورة مشرقة للأجيال المتعاقبة، يرى

فيه الناس عظمة الخالق وقدرته -جل في علاه-ومكانة الرسول ﷺ عند خلقه، الذي اصطفاه من بين الخلق، لينشر رسالة الإسلام والمحبة على الناس أجمعين.

ومعجزتا الإسراء والمعراج ثبتتا بنص القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

لقد كانت الإسراء والمعراج -بحق- معجزتين خلدهما القرآن الكريم في سورتين من سوره المباركة، سورة الإسراء، وسورة النجم، فسمى سورة من سور القرآن باسمها، ليلفت أنظارنا إلى ما فيها من دروس وعظات وعبر[١].

دلالات مهمة

وللإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك دلالتان:

الأولى: عقدية، وذلك أن حادثة الإسراء أسست لنظرية التكامل الديني التي جاء بها الإسلام، فالأنبياء يشتركون جميعا في إقرار مبدأ التوحيد وإشاعة الخير والقيم والفضائل بين الناس جميعا.

أما الدلالة الثانية: فهي التأكيد على التواصل والترابط بين الأديان والحضارات، حيث إنها أصلت للعلاقة المستقبلية بين الإسلام وسائر الأديان السماوية، ووضعت الخطوط العريضة للتعايش السلمي بين الشعوب، الذي يقوم على التعاون والحوار والاحترام المتبادل والمنفعة المشتركة. فحادثة الإسراء مناسبة لتأصيل الأمن في نفوس الناس، سواء الأمن النفسي من خلال المعراج الروحي كل يوم نحو الله تعالى بالصلاة والدعاء، والأمن الاجتماعي، ويقصد به الاستقرار والإحساس بالأمان في المسكن والحل والترحال، وتأمين العمل والغذاء، وكل ما تتوقف عليه حياة الفرد.

دروس مستفادة

شاءت حكمة الله -سبحانه وتعالى- أن تكون المهمة الكبرى التي أُنيطت بالنبي ﷺ، والتي تبرز أثر النبوة المعجز في أمته والأمم الأخرى، هي مهمة القدوة، والأسوة، والمثل، لأن أكثر الناس يحسنون الحديث عن المثل العليا، ولكنهم لا يعيشونها، لهذا كانت حياة الأنبياء إعجازا ونتائج دعوتهم إعجازا، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ..﴾ (الأحزاب:٢١) [٢].

إن من يقلب صفحات التاريخ الإسلامي وسيرة النبي ﷺ سيجد أبوابا ناصعة وعلامات مضيئة حيث يتعامل المسلمون دائما بروح المودة والمحبة والتسامح مع الغير، وحرصوا دائما على إقامة صروح لعلاقات قوية مع الجميع، إعمالا لقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة:٢). لقد ضرب الرسول ﷺأروع أمثلة التسامح في حياته، فكان المثل والقدوة الحسنة[٣].

وختاماً: إن الدين الحنيف هو دين السلام، وهو نعمة من نعم الله -عز وجل- على البشرية، يجمعها على معاني المحبة والتقارب ليسود السلام شتى بقاع المعمورة، وبهذا فقد أرسى الإسلام مبدأ قويا للتعايش السلمي، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً .﴾ (البقرة: ٢٠٨). إذن فلابد من تعزيز الأمن والسلام الدوليين، وذلك من خلال تحقيق معاني التواصل والتقارب بين الشعوب، ونبذ العنف الذي بات يهدد مصير الإنسانية، فالمسلم في هذا العالم، لا يستطيع أن يعيش بمنأى عن الآخرين، ولن تتحقق مصالحه إلا بالتواصل والتفاعل معهم بما يحقق الخير والنفع للإنسانية جمعاء، خاصة في حالات الكوارث، فإنه يندفع بمقتضى إيمانه لتخفيف آلام المنكوبين، ومساعدتهم ودفع البلاء عنهم، وذلك من أفضل الأعمال والقربات.

المراجع

١- د. بدر عبد الحميد هميسة، في مدرسة الإسراء والمعراج، (ص: ٢).

٢- موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية: الإسراء والمعراج د.محمد راتب النابلسي، (ص: ٣).

٣- د. جعفر عبد السلام، التسامح في الفكر الإسلامي، الأمانة العامة لرابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة، (ص: ٤).



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد

من العلماء الأدباء



يعد محمد جمال الدين الفندي أحد الرموز العربية الذين جمعوا بين الثقافتين العلمية والأدبية، فنبغ في تبسيط المعارف الطبيعية والتطبيقية بشكل راق، ومنهج كتابي ماتع يجمع في ملامحه وتكوينه بين سمات الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي، مع امتلاك لناصية اللغة، التي كان يحسن التعبير بها عن أعوص المسائل العلمية من أقصر طريق، وبأقل مؤنة، وبأسلوب عربي مبين، لا يشعر معه المتلقي بوطأة النظريات العلمية المعقدة، وثقل حقائق العلم المجردة، كل ذلك جعل أحد طلابه المبرزين يتحدث عنه قائلا: «كان أكثر ما يجذبنا إليه تبسيطه لأعوض المسائل في فروع العلم المختلفة، وليس فقط في علم الفلك... هذه الحقائق، والمعارف، والنظريات، يتم عرضها في أسلوب سهل، وبيان واضح، وعبارة سلسة رقراقة، لا يتشتت معها تركيز القارئ فيما يقرأ، وفي الوقت ذاته لا يمل من مواصلة القراءة واستكمال ما بدأه من جهد»[1].

د. محمد جمال الدين الفندي وتبسيط العلوم الطبيعية

سيرة ومسيرة[2]

ولد الدكتور محمد جمال الدين الفندي في السودان سنة: (١٩١٣م)، لأسرة مصرية حيث كان والده يعمل هناك؛ فأتم دراسته الابتدائية بمدرسة عطبرة، ثم انتقل مع أسرته إلى مصر سنة: (١٩٢٥م)، فالتحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية، فمدرسة الإبراهيمية الثانوية، وبعد تخرجه فيها التحق بكلية الطب؛ تلبية لرغبة أسرته، إلا أنه سرعان ما قام بسحب أوراقه منها؛ ليلتحق بكلية العلوم الوليدة؛ لرغبته الشديدة في دراسة العلوم الأساسية، وتخرج فيها (١٩٣٥م) بتقدير ممتاز، ومن ثم ابتعث لدراسة الأرصاد الجوية فنال دبلومها من جامعة لندن (١٩٣٧م)، ثم قام بنشر مجموعة من البحوث العلمية المهمة نشرتها وزارة الطيران البريطانية والمجمع الملكي البريطاني حصل من خلالها على درجة الدكتوراه، وفور عودته إلى أرض الوطن عمل مدرسا بقسم الطبيعة بعلوم الإسكندرية عام: (١٩٤٢م)، فأستاذا مساعدا، ثم أستاذا، وفي عام: (١٩٥٦م) انتقل إلى كلية العلوم بجامعة القاهرة؛ للعمل أستاذا للطبيعة الجوية.

بعض نشاطاته العلمية

أسس وحدة الطبيعة الجوية: (١٩٥٨م) بالمركز القومي للبحوث، ثم أنشأ قسم علم الفلك والأرصاد الجوية بعلوم القاهرة، وتولى رياسته من عام: (١٩٦٦م) حتى عام: (١٩٧٣م)؛ ثم أعير في العام التالي أستاذا ورئيسا لقسم الأرصاد الجوية، بمعهد الأرصاد

الجوية بجامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية: (١٩٧٤-١٩٨٠م)، وكذا قام بإنشاء قسم الفلك والأرصاد الجوية بكلية العلوم جامعة الأزهر، وظل يعمل أستاذا متفرغا في كلية علوم القاهرة حتى وفاته عام: (١٩٩٨م).

بعض جوائزه

نال الدكتور الفندي من أوجه التكريم في حياته الكثير؛ حيث منح جائزة الدولة عام: (١٩٤٧م) وعام: (١٩٥٠م)، كما نال جائزة الجمعية المصرية للعلوم الرياضية عام: (١٩٤٨م)، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام: (١٩٨٣م).

من مؤلفاته

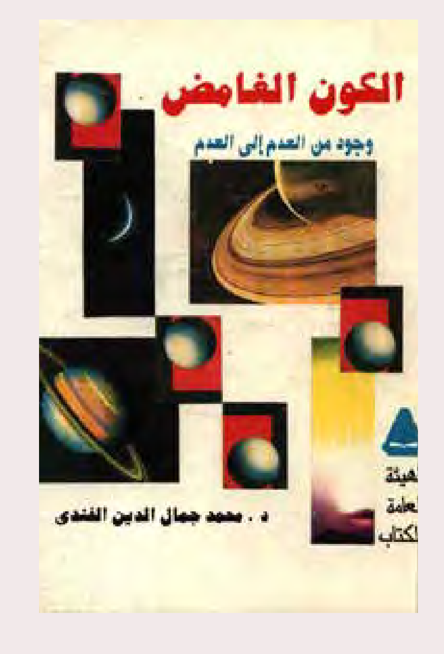
وفق الله الرجل لوضع طائفة من المؤلفات العلمية في مجال تخصصه علم الفلك والطبيعة الجوية، منها: انخفاضات الخماسين الجوية في الربيع، انخفاضات قبرص الجوية في الشتاء، عواصف الرعد والسيول في الشرق الأوسط في الخريف، فيزياء الأجواء المترية.

كما قدم في تاريخ العلم وفلسفته: البيروني، مقدمة في تاريخ العلوم عند العرب.

ومن الكتب العلمية التي قدمها لغير المتخصصين: الصعود إلى المريخ (وهو أول كتاب ظهر بالعربية في مجال غزو الفضاء)، الغبار الذري، قوى الطبيعة في خدمتك، العوالم الأخرى.

وفاته

ظل الرجل في نشاطه الجم، وعطائه المتواصل، طاقة مضيئة ومنتجة حتى أواخر أيامه، وبرغم تقدمه في السن؛ فقد كان حريصا على حضور المؤتمرات العلمية، ونشر المقالات، حتى وافته



المنية، وصعدت روحه إلى بارئها في شهر يونيو سنة: (١٩٩٨م) بعد حياة حافلة بالجهاد والنشاط العلمي، في خدمة دينه وأمته.

سمات المقال العلمي المتأدب لدى جمال الدين الفندي.

احتوى المقال لدى الدكتور (الفندي) على سمات عديدة ازدحمت بها مقالاته، غير أن المجال يضيق عن سردها جميعا، ولذا فقد انتخبت منها على سبيل المثال:

توظيف الأسلوب الحواري

الأسلوب الحواري من الأساليب الفنية الماتعة؛ إذ إنه يضفي على المقال إثارة وجاذبية؛ بما يمنحه من خصيصة تحويل المسائل العلمية العويصة إلى موضوعات قابلة للحوار المتبادل بين طرفين، سواء أكان حوارا واقعيا حدث بالفعل، أم متوهما مبتدعا من خيال الكاتب الخصب؛ بغية تيسير العسير من مسائل العلم التطبيقي.

الحوار الواقعي

يعتمد الكاتب على الحوار الواقعي بينه وبين غيره، عندما يكون المتحاور ذا وجود خارجي حقيقي، يقوم الكاتب بمناقشته في ظاهرة أو مسألة علمية هي دائرة الحوار، وعن طريق هذه المحاورة التي قد تكون على هيئة سؤال وجواب يضيء الكاتب جوانب القضية التي يناقشها من زواياها المختلفة بعيدا عن الأسلوب المباشر، ومن أمثلة ذلك عند (الفندي) قيامه بمناقشة بعض ملاحظات الدكتور (أحمد فؤاد الأهواني) بعد نقل مقتطفات من كلامه عن نظرية إقليدس، وأسباب سقوطها في العصر الحاضر، ثم رد عليه بما يدعمه العلم من نظريات كأن يقول: «ولكي يثبت القضية الثانية الخط المستقيم هو أقصر طريق بين نقطتين مثلا قال: (إن أقصر طريق بين القاهرة وبرلين هو قوس دائرة؛ لأنه لو كان خطا مستقيما لاحتجت أن تشق الأرض وهذا مستحيل)[٣]، وهكذا ترى أنه يرتكن في برهانه الرياضي على استحالة شق الأرض، وهذا فيما ترى ليس معهودا في أساليب البرهان الرياضي، فكثير من فروض الرياضة وبراهينها ما يقبلها العقل ويعدها حقيقة واقعة، بينما لا نستطيع إجراءها عمليا... فهل نستطيع حقا الوصول إلى ما لا نهاية؟ لا شك أن هذا مستحيل؛ ولكنك ترى أننا نستطيع إجراء ذلك بكل سهولة في العقل المجرد»[٤].

الحوار المتخيل

قد يستند الكاتب إلى حوار متخيل باصطناع شخص آخر أو كيان غير حي ينفخ فيه روح الحياة، ويجري معه الحوار، فهو ذو وجود داخلي، ومن صوره أيضا اصطناع طرفين يتحاوران؛ فيجري الكاتب على لسانهما ما يريد أن يقدمه من رؤى وأفكار، ويكون الحوار هنا داخليا قد اصطنعه الكاتب بغية تجلية الفكرة وتبسيطها عن طريق المحاورة بدل السرد المباشر،

الذي قد يعسر فهمه على المتلقي غير المتخصص.

ومن الأمثلة الشاهدة على تلك الصورة ما ورد لدى (الفندي) عندما ساق محاورة خيالية تسهيلا للفهم وتقريبا إلى الذهن بين عالم رياضي، وآخر لا يؤمن إلا بالمادة؛ فبعدما تحدث عن النظرية النسبية أراد أن يبين كيف صورت ظواهرها بقوانين رياضية بحتة، وكيف جعلت الرياضيات مفتاحا لمغاليق هذا الكون، ومن ثم وصل في نهاية الحوار إلى إثبات وجود قوة قادرة على تسيير وإدارة حركة هذا الكون نحو الكمال المطلق، فجاء الحوار على هذا النحو:

«العالم الرياضي: لقد استطاعت رياضة النسبية أن تعطينا صورة جديدة لكل ما في الكون، فهي مفتاح جميع ظواهره.

العالم المادي: إذا كنت تدعي ذلك فبم تعلل سقوط الحجر المطلق إلى الأرض مثلا؟

العالم الرياضي: إن الحجر المطلق يسقط إلى الأرض لا لخاصيته، أو سر كالجاذبية التي تدعونها؛ بل لأن تركيب معادلته الرياضية تؤدي إلى تلك الظاهرة.

العالم المادي: إذا كنت تنكر أمثال هذه الخواص، فكيف تعلل هذا النظام الميكانيكي الذي نشاهده؟

العالم الرياضي: إن الكون مبني على نظام رياضي بحت، وهو ليس كما تدعي نظاما ميكانيكيا، فليس في الكون أي حكم أو خاصية مطلقة (Absolute)، وأنت قد تحكم على شيء في زمان ومكان خاص بحكم ما، ثم تعود فتحكم على نفس الشيء بضد هذا الحكم في مكان وزمان آخر.

العالم المادي: وكيف إذن نحكم الحكم المطلق على هذا الكون؟

العالم الرياضي: لو أنا تدبرنا هذا الكون ودرسنا خواصه رياضيا؛ لأرغمنا على الاعتقاد بوجود قوة مفكرة، ومخيلة رياضية هائلة مستقلة عن مظاهره، فهي وحدها المطلقة، وهي وحدها التي تديره بمهارة منذ خلقته... وهي لا تشابه زمانه أو مكانه في شيء؛ بل هي قوة واعية، ولو أنها أخطأت مرة واحدة لاختل الكون... ولا غرو إذن إذا قال السير (إدينجتون) العالم الرياضي الشهير: «إن الكون خلق من مادة العقل الأول».

العالم المادي: إذن فنحن خاطئون في كل أحكامنا المادية، ولا سبيل إلى معرفة الحقيقة المطلقة ما لم نصبح خارج الزمان والمكان؛ حتى نستقل بمعادلاتنا الرياضية ولا يكون ثمة خلاف.

العالم الرياضي: هذا ما كنت أروم الوصول إليه، فهنالك فقط تدرك الحقيقة بعينها، وهنالك فقط ترى أي عقل رياضي صار يدير هذا الكون، ذلك هو قوة الله، ونوره الذي يهدي به الخلق، فالله نور السموات والأرض، وما أوتينا من العلم إلا قليلا»[٥].

التأثر بالنصوص البليغة

زخر المقال العلمي المتأدب لدى الدكتور (الفندي) بكثير من صور التأثر بالنصوص البليغة؛ حتى قل أن تجد مقالا يخلو من استشهاد بقول بليغ بلفظه، أو باستلهام روحه ومعناه؛ لإيمانه بأن النصوص المقتبسة تضفي على الأدب المقالي نصاعة وبهاء، ومن المصادر البلاغية الرائقة التي استقى بعض جواهرها: القرآن الكريم، الذي اقتبس من حكمه الخالدة ومن معانيه البديعة الرائعة ما يوشي به كلامه، ويزين مقاله، ومن أمثلة ذلك ما ورد في مقال تحدث فيه عن الكون الشاسع، وما فيه من نجوم تبعد عن كوكبنا مسافات فلكية مذهلة، تبلغ آلاف السنوات الضوئية، فكان استدلاله واقتباسه من القرآن على النحو التالي: «وقد أبدع القرآن الكريم، وأعجز في وصف مواقع النجوم حيث قال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾(الواقعة: ٧٥-٧٦)»[٦].

ومن المصادر البلاغية الرائقة التي استقى (الفندي) بعض جواهرها: الحديث الشريف الذي قد يقتبسه كاملا بنصه، مشيرا إلى ذلك بعبارة مشعرة بأنه قول رسول الله ﷺ، ومن الشواهد على ذلك ما جاء في مقال تحدث فيه عن المطر الصناعي، وقد مهد للموضوع بذكر طرق استدرار الديانات المختلفة والثقافات المتعددة للمطر عند شحه قائلا: «وكان الرسول عليه السلام يستسقي فيدعو الله تعالى ومن دعائه: «اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والجوع والضنك ما لا نشكو إلا إليك، اللهم أنبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، وأنزل علينا من بركات السماء، وأنبت لنا من بركات الأرض، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك، اللهم إنا نستغفرك، إنك كنت غفارا، فأرسل السماء علينا مدرارا»[٧].

الاستعانة بالجملة الاعتراضية

الجملة الاعتراضية هي عبارة عن جملة تأتي وسط جملة أخرى، وتفيد معنى طارئا عليها، وتكون ذات علاقة بالكلام الذي اعترضت بين جزأيه، فلا تقحم حشوا، ولا تبث سدى، ويجدر أن يكون للبليغ في الاعتراض غرض يرمي إليه.

وعند تدقيق النظر في صور الاستعانة بالجملة الاعتراضية، والأغراض التي يتوخى (الفندي) تحقيقها من خلال اللجوء إليها؛ تجد التوضيح والتفسير أكثرها انتشارا؛ ويتبلور في استدعائها؛ لتوضيح بعض المعاني التي قد ينبهم فهمها على القراء، أو لتفسير بعض الأفكار التي قد يصعب استيعابها، وقد يستعين بها لبيان مفهوم مصطلح علمي بشكل موجز، كتوضيحه لمعنى السنة الضوئية حين قال: «وهي لا تبعد عنا إلا بنحو ٤ ونصف من السنين الضوئية علما أن السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة بسرعته البالغة ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية... »[٨].

ومن الاعتراض التوضيحي ما يجلبه الدكتور (الفندي) للتعليل كقوله: «ثم المناطق الجرداء المعروفة باسم: ركاب الخيل ربما لأن خيل مرتاديها في العصور الماضية كثيرا ما كانت تنفق بسبب الجفاف والتي تغطي مساحات واسعة من اليابس...»[٩].

التنوع في الخاتمة

تعد خاتمة المقال بمنزلة الرسالة الأخيرة التي يمررها الكاتب على عقل وشعور القارئ إيذانا بأن رحلته عبر منازل المقال، وتجوله بين تفاصيله وعناصره على وشك الانتهاء ومن ثم فإن لها أثرا يبقى، بعد أن يفرغ القارئ من مطالعة المقال بكل دقائقه، وللخاتمة في مقال (الفندي) طرائق وأشكال متعددة، منها:

الخاتمة القرآنية

حين تأتي الخاتمة بها اقتباس من القرآن؛ إما بشكل مباشر؛ كأن تذكر الآية الكريمة بنصها، وإما بشكل ضمني؛ حين تذكر بالمعنى الذي لا تخطئه العين؛ تأثرا ببعض آيات الكتاب



الكريم، ومن هذه الصورة تلك الخاتمة التي جاءت للدكتور (الفندي): «ذلك أيها العالم الطبيعي هو قوة الله ونوره، الذي يهدي الخلق، فالله نور السموات والأرض، وما أوتينا من العلم إلا قليلا»[١٠].

وفي هذا إشارة واضحة لقوله سبحانه تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (النور:٣٥) وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(الإسراء:٨٥).

الخاتمة التوجيهية

وهذه الصورة خاصة بالمقال الذي يعرض لكتاب بالتحليل والنقد، حيث يوجه (الفندي) المتلقي إلى قراءة الكتاب موضوع المقال، ويحضه على الاستزادة مما فيه من علوم؛ إرواء الشغف العلمي، وإطفاء للفضول المعرفي، ومن أمثلة ذلك خاتمة فيها: «كان بودي أن ألخص للقارئ بعض تفاصيل هذه الموضوعات العلمية، المختلفة إلى حد كبير، التي تتناول جانبا كبيرا مما نستخدم في حياتنا العملية؛ إلا أنني أوثر أن يدفعه الشوق، ويحمله حب المعرفة على الرجوع إلى الكتاب نفسه»[١١].

الخاتمة المغلقة

ويمكن أن يطلق على هذا اللون: مقال بدون خاتمة؛ لأن العرض يقوم محل الخاتمة؛ حيث ينتهي تدفق معلومات الكاتب مع نهاية المقال، دون انتباه المتلقي أن المقال قد وصل مرفأ النهاية، ومن ذلك ما جاء عند الفندي خاتمة مقال كان عرضا وتحليلا لأحد الكتب: «ولقد صاغ المؤلف عباراته بطريقة علمية مقنعة، كما تمت الترجمة بأسلوب سهل أخاذ»[١٢].

الهوامش

١- فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، (ص: ١٣٠).
٢- ينظر: السابق، (ص: ١٢٨: ١٣٢).
٣- مقال: فلسفة العلوم الرياضية: أحمد فؤاد الأهواني، (ص: ٤٩٥)، مجلة المعرفة، العدد رقم ٤، ١ أبريل ١٩٣٢م.
٤- مقال: فلسفة العلوم الرياضية.. تقييم وتوضيح: د. محمد جمال الدين الفندي، (ص: ٦٦٨)، مجلة المعرفة، العدد رقم ٦، ١ يوليو ١٩٣٢م.
٥- مقال: فناء عالم المادة وإثبات وجود الله رياضيا: د. محمد جمال الدين الفندي، (ص: ٤٩٩)، (ص: ٥٠٠) مجلة المعرفة، العدد رقم ٦٠٥،١ أغسطس ١٩٣٣م.
٦- مقال: الفضاء الكوني وأسفاره: د. محمد جمال الدين الفندي، (ص: ٢٩). المجلة، العدد رقم ٤١، ١ مايو ١٩٦٠م.
٧- مقال: المطر الصناعي، (ص: ٥٩).
٨- مقال: القمر والأرض والمستقبل: د. محمد جمال الدين الفندي، (ص: ٣١)، الهلال، العدد ١٢، ١ ديسمبر ١٩٧٢م.
٩- مقال: المطر الصناعي: د. محمد جمال الدين الفندي، (ص: ٥٩)، مجلة المجلة، العدد رقم ٥٠، ١ فبراير ١٩٦١م.
١٠- مقال: فناء عالم المادة وإثبات وجود الله رياضيا، (ص: ٥٠٠).
١١- مقال: عجائب العلم الحديث: د. محمد جمال الفندي، (ص: ٢٨)، مجلة الكتاب العربي، العدد رقم ٩، ١٠ فبراير ١٩٦٥م.
١٢- مقال: مشكلات المستقبل: د. محمد جمال الفندي، (ص: ٥١)، مجلة الكتاب العربي، العدد رقم ١٦، ١٠ سبتمبر ١٩٦٥م.

خلف أحمد محمود أبوزيد
باحث تربوي



من قامات الأدب الإسلامي

الدكتور نجيب الكيلاني

الدكتور نجيب الكيلاني رائد كبير من رواد الأدب الإسلامي، فهو على رأس الأدباء الإسلاميين المعاصرين، من حيث غزارة الإنتاج وتنوع التأليف بين الرواية والقصة القصيرة، والشعر والمسرح والدراسة الأدبية، حيث امتلأت حياته بالنشاط في ميادين الأدب والفكر والثقافة، كما كان له أسلوبه المميز الذي اتسم بالتحليل الدقيق والشعور الدائم بالمسؤولية تجاه القارئ، الأمر الذي جعل أعماله تتسم بالوضوح، وتنشر قيم التسامح والخير وتعلي من شأن القيم الإسلامية والمبادئ الإنسانية، بحيث يمكننا اتخاذ إبداعاته المتعددة نموذجا فريدا للأدب الإسلامي، من حيث مستواها الفني الرفيع وتجربته الموضوعية الناضجة.

المولد والنشأة

ولد الدكتور نجيب الكيلاني في قرية «شرشابة» مركز زفتى بمحافظة الغربية في مصر عام ١٩٣١م. حصل على شهادة الثقافة العامة عام ١٩٤٨م، ثم التوجيهية القسم العلمي عام ١٩٤٩م، والتحق بكلية طب قصر العيني (جامعة فؤاد الأول)، هذا على الرغم من نبوغه وتفوقه في مجال الأدب والشعر في المرحلة الثانوية، فقد كان له في هذه المرحلة أكثر من ديوان شعري، وأثناء المرحلة الجامعية تقدم لمسابقة وزارة التربية والتعليم في الرواية الطويلة عام ١٩٥٧م، وفاز بالجائزة الأولى عن روايته الطريق الطويل، وفي عام ١٩٦٠م تخرج في كلية الطب، وعمل عقب تخرجه في

مسقط رأسه «شرشابة»، ثم انتقل بعد ذلك للعمل في وزارة الموصلات حتى عام ١٩٦٥م، ترك مصر في مارس من عام ١٩٦٨م للعمل في دولة الكويت، وانتقل في العام نفسه إلى الإمارات عن طريق الكويت طبيبا عاما، تابعا للبعثة الكويتية، فظل في مستشفى الكويت في دبي، حتى قيام اتحاد دولة الإمارات، فكلف بإنشاء المجلس الطبي والصحة المدرسية وإدارة التثقيف الصحي، وكان مديرا للثلاثة، إلى أن اتسعت المهام، فاكتفى بإدارة التثقيف الصحي، التي ظل مديرا لها حتى سن التقاعد، وقد توفي في مارس من عام ١٩٩٥م، بعد عمر حافل بالعطاء في المجالين الطبي والأدبي.

رحلته في عالم الإبداع الأدبي

امتلك الأديب نجيب الكيلاني موهبة أدبية فذة ثقلها بقراءته المتنوعة في مجالات الطب، والأدب والسياسة والنظم الإسلامية والاجتماعية والتاريخ، وقد ساعد ذلك على تنوع كتاباته الإبداعية بين الرواية والقصة القصيرة والشعر والنقد الأدبي، حيث دارت أعماله كلها حول آفاق التجربة الإنسانية وفضاء القيم الروحية وصراع الإنسان لإثبات وجوده في وجه الطغاة، وانتصار الخير في النهاية، ونتعرف فيما يلي على أهم المجالات الإبداعية التي مارسها الكيلاني.

الكتابة الروائية

تبلورت رؤية الدكتور نجيب الكيلاني في مجال كتابة الرواية حول اتجاهين أساسيين: الاتجاه الأول هو ما يمكن أن نطلق عليه استدعاء التاريخ والسيرة النبوية العطرة، حيث كتب الكيلاني مجموعة كبيرة من الروايات التاريخية، التي استمد أحداثها من داخل التاريخ الإسلامي، فأغلب رواياته التاريخية تدور في إطار ما نطلق عليه «رواية النضج» التي كتبها باقتدار ومهارة كبيرة وبناء فني محكم، حيث عالج الكيلاني التاريخ من تصور إسلامي خالص وناضج أيضا، ومن أبرز أعماله الروائية في استدعاء التاريخ الإسلامي رواية «نور الله» التي تناول فيها مرحلة صدر الإسلام، والصراع الذي دار بين المسلمين وأعداء الدعوة، وهي رواية تقع في جزئين، وتعد من أطول رواياته، وتصور المواجهة الشديدة بين المسلمين من جهة، واليهود والمنافقين والمشركين من جهة أخرى.. «عمر يظهر في القدس»، حيث تعد مثالا للرواية الجادة العميقة، التي تصور المثل الأعلى الذي ينبغي أن يقتدي به المسلمون، حيث تركز الرواية على القيم والمبادئ التي تحلى بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، من عدل وصدق وأمانة وتواضع وشجاعة، فهو يركز في هذه الرواية على الشخصية من جانب أخلاقي، لتذكر الناس بالقدوة وتحثهم على الاقتداء بهذه الشخصية العظيمة، التي كان لها دور كبير في انتصار الدعوة الإسلامية وتوطيد أركانها.. وفي رواية «قاتل حمزة» يحلل شخصية وحشي قاتل حمزة عم الرسول ﷺ، ويستنهض نفسيته وانتقاله من مرحلة الكفر والوحشية إلى مرحلة الإيمان والجهاد في سبيل الله.. وفي رواية «اليوم الموعود»، يتناول الكيلاني مرحلة مهمة من مراحل التاريخ الإسلامي، هي مرحلة الحملة الصليبية السابعة، التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا، حيث تمت هزيمته وأسره في دار ابن لقمان بعد معركة المنصورة، وهي المعركة التي ألح عليها أكثر من كاتب نظرا لخصوبتها وثراء أحداثها وكونها تمثل ملحمة جهادية وروحية للمسلمين جميعا.. وغيرها من روايات الاستدعاء التاريخي نذكر منها: «النداء الخالد» و«أرض الأشواق» و«رأس الشيطان» و«الربيع العاصف» و«طلائع الفجر» و«ليل العبيد» و«عذراء القرية» و«الرايات السود» و«ابتسامة في قلب شيطان».. وغيرها.

أما الاتجاه الثاني، فهو ما نطلق عليه الواقعية الإسلامية، التي قفز الكيلاني من خلالها قفزة فنية هائلة، وانتقل إلى رصد الواقع المعاصر ومعالجته روائيا، من خلال القيم المادية الغربية التي استجدت على أهله، وأفسدت النفوس والقلوب والعقول، وجعلت المقاييس الاجتماعية تبتعد عن تحقيق العدل والحرية والتسامح والرحمة، فقد استطاع الكيلاني في هذه الروايات



أن يستبطن الواقع المعاش في رؤية إسلامية نقدية مصحوبة بأسلوب أدبي متميز، استطاع عبره أن يعتمد السرد الحي والحوار الشفاف، محققا ربما لأول مرة، قدرة فريدة على تضمين الحوار الروائي آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، من دون أن يشعر القاري بالافتعال أو التكلف، ونذكر من هذه الأعمال: «اعترافات عبد المتجلي» و«امرأة عبد المتجلي» و«مملكة البلعوطي» و«أقوال أبو الفتوح الشرقاوي» و«أهل الحميدية» و«الرجل الذي آمن» و«مملكة العنب». كما امتدت الرواية عند نجيب الكيلاني من ناحية الفضاء المكاني، فنراه يرصد أحوال المسلمين في مناطق عديدة في العالم، حيث كتب العديد من الأعمال الروائية، حول قضايا الإنسان المسلم في العديد من البلدان، وتتبع أحوال المسلمين بها في أسلوب فني محكم وتسلسل منطقي للأحداث، من خلال وصف سردي حي ومتدفق، وحوار معبر عن نفسية الشخصيات وأفكارها، وبهدف تعريف الأجيال الجديدة شيئا من مشاكل العالم الإسلامي بأسلوب قصصي، ومن أشهر هذه الأعمال: «ليالي تركستان» و«عذراء جاكرتا» و«عمالقة الشمال».. كما خص مأساة فلسطين بثلاث روايات، تناول عبرها قيام إسرائيل وطبيعة اليهود، وكيفية مقاومتهم، وهذه الروايات هي: «أرض الأنبياء» و«دم لفطير صهيون» و«عمر يظهر في القدس».

القصة القصيرة

كما جال الكيلاني في مجال القصة القصيرة، فترك لنا ست مجموعات قصصية، اتسمت جميعها بمقومات القصة ذات الطابع الإسلامي، حيث اشتملت هذه المجموعات على أكثر من مئة قصة قصيرة، تراوح حجم الواحدة منها بين عشر صفحات وخمس عشرة صفحة، دار معظمها حول التاريخ الإسلامي ورجاله الأبطال، الذين ضحوا في سبيل هذا الدين، كما حملت طابعا اجتماعيا وإنسانيا من حيث الصراع بين قوى الخير والشر، وتناول العادات والتقاليد الاجتماعية، وهذ المجموعات هي: «دموع الأمير» التي اشتملت على اثنتي عشرة قصة من التاريخ الإسلامي قديما وحديثا، وقد نال عليها الكيلاني الميدالية الذهبية المهداة من الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي، «فارس هوازن وقصص أخرى» و«العالم الضيق» و«موعدنا غدا» و«الكابوس» و«عند الرحيل» و«حكايات طبيب»، التي شملت التجارب والحوادث التي مر بها وهو طبيب، حيث نجده يشير إلى أوضاع اجتماعية وتقاليد وعادات راسخة، فنرى في هذه القصص الرؤية الإسلامية الواضحة المعالم.

الشاعر

ونجيب الكيلاني الشاعر لا يقل أهمية عن نجيب الكيلاني الروائي والقصاص، فهو شاعر الأمل الطريد، الذي امتلك ناصية اللغة والإيقاع والإبداع، عبر دواوينه الثمانية، التي تنطق بالشعر الأصيل ذي الضوابط والغايات المثلى، عبر استخدام الألفاظ الموحية والإحساس المرهف الذي يصدح بالشعر الجميل، كما أنه في شعره استطاع أن يوظف كثيرا من آليات الفن القصصي، باستخدام الرمز والقناع والحوار والسرد والتعبير المتلاحق، وقد نشر أول دواوينه الشعرية وهو في السنة الرابعة الثانوية تحت عنوان، «نحو العلا»، ثم توالت هذه الدواوين وهي: «أغاني الغرباء» عام ١٩٦٣م، و«عصر الشهداء» و«كيف ألقاك» عام ١٩٧٨م، و«مهاجر» ١٩٨٦م، و«مدينة الكبائر» عام ١٩٨٨م، و«أغنيات الليل الطويل» عام ١٩٩٠م، و«الأمل الطريد» و«لؤلؤة الخليج».

عطاءات إبداعية أخرى

وللدكتور نجيب الكيلاني عطاءات إبداعية أخرى لا تقل أهمية عن عطاءاته السابقة، فنجد له إسهامات ثرية في مجال الإبداع المسرحي والنقد الأدبي، فقدم عددا من المسرحيات، نذكر منها: «على أسوار دمشق» و«محاكمة الأسود العنسي» و«الوجه المظلم للقمر» و«على أبواب خيبر». كما دعا إلى تأسيس مسرح إسلامي يساهم في علاج قضايا الأمة المسلمة، كما في كتابيه: «نحو مسرح إسلامي» و«حول المسرح الإسلامي». وإذا تركنا مجال المسرح إلى مجال النقد الأدبي، فسنجد أن له العديد من الدراسات والأبحاث النقدية في مجال الأدب الإسلامي، نذكر منهاك «مدخل إلى الأدب الإسلامي» و«الإسلامية والمذاهب الأدبية» الذي تناول فيه الفن الإسلامي خاصة، والأدب الإسلامي عامة، والتصور الإسلامي للكون والإنسان والطبيعة، و«الدين والفن» الذي قدم مقارنة فيه بين الدين والفن، حيث يقول «إن غاية الدين هي إسعاد البشر، أما غاية الفن فهي الإفادة» بين الحرية والالتزام، حيث يقول الكيلاني إن الأديب المسلم مسؤول عن منهج شامل في حياته، كما أن المسلم مسؤول عن قول وفعل حسب حسن نيته، «مفهوم الأدب الإسلامي»، حيث قال الكيلاني في هذا الكتاب إن الأدب الإسلامي أدب مسؤول، وهو يلتزم بالمفهوم الفكري له، الذي ينبع من القيم الإسلامية العريقة. ومن مؤلفاته أيضا في هذا المجال «آفاق الأدب الإسلامي» و«الأدب الإسلامي

بين النظرية والتطبيق» و«تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية» و«إقبال الشاعر الثائر» و«شوقي في ركاب الخالدين».. هذا إلى جانب العديد من المؤلفات التي تحمل طابع التثقيف الصحي نذكر منها: «الدين والصحة» و«الغذاء والصحة» و«مستقبل العالم في صحة الطفل» و«في رحاب الطب النبوي» و«احترس من ضغط الدم». كما كتب سيرته الذاتية بعنوان «لمحات من حياتي»، وتقع في خمسة أجزاء، وفيها يكشف لنا الكيلاني عن شخصيته ومراحل مختلفة من حياته.

جوائز وتكريم

وعبر هذه الرحلة الثرية والمتنوعة في حقول أدبية متعددة مختلفة، أثمرت نحو سبعين مؤلفا بين الرواية والقصة والشعر والكتابة النقدية، حصل الكيلاني على العديد من الجوائز والتكريمات، منها جائزة وزارة التربية والتعليم في مصر عن رواية «الطريق الطويل» عام ١٩٥٧م، وقد حظيت هذه الرواية باهتمام خاص، فقررتها وزارة التربية والتعليم في مصر على التعليم الثانوي عام ١٩٥٩م، وتحكي الرواية قصة أسرة بسيطة تكافح من أجل تعليم أبنائها وتحرز نجاحا كبيرا مع وجود المعوقات والصعوبات المادية والاجتماعية، كما حصل على جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عن رواية «اليوم الموعود» عام ١٩٦٢م، وفي أوائل السبعينيات حصل على جائزة مجمع اللغة العربية بمصر عن رواية «قاتل حمزة»، كما فازت مجموعته القصصية «دموع الأمير» بجائزة القصص الإسلامية والتاريخية، كما قدم له الرئيس الباكستاني ضياء الحق، ميدالية الشاعر محمد إقبال الذهبية، تقديرا له عن كتابه عن الشاعر الكبير، كما ترجمت العديد من أعماله إلى لغات مختلفة منها الإنجليزية والفرنسية والتركية والصينية والإيطالية وغيرها، هذا إلى جانب أنه قدم العديد من البرامج الدينية والصحية والثقافية على شاشة التلفاز، منها برنامج الصحة للجميع، وبرنامج آداب وفنون، وبرنامج دعوة الحق، كما تحولت العديد من أعماله الروائية والقصصية إلى إعمال فنية، حيث فاز فيلم «ليل وقضبان» المأخوذ عن روايته «ليل العبيد» بالجائزة الأولى لمهرجان طشقند السينمائي عام ١٩٦٤م، كما تحولت رواية «اليوم الموعود» إلى مسلسل تليفزيوني إنتاج مصري ليبي مشترك، قدم في شهر رمضان باسم ياقوتة ملحمة الحب والسلام عام ١٩٧٢م.

أخيرا

هذه ملامح من حياة المبدع الكبير الدكتور نجيب الكيلاني، الذي استطاع عبر نتاجه الأدبي المتعدد والثري أن يقدم أدبا وثيق الصلة بواقع الحياة وتقلباتها، وأن هذا الأدب يقف شامخا في مواجهة آداب أخرى استخفت بالحياة الإنسانية، فاستطاع من خلال إبداعه أن يثبت أركان القصة والرواية الإسلامية، حتى إن أديبا مثل نجيب محفوظ يشيد بإبداع الكيلاني المميز في حقل الرواية الإسلامية بقوله: «إن نجيب الكيلاني هو منظر الأدب الإسلامي الآن، ذلك لأن مقولاته النقدية وأعماله الروائية والقصصية تشكل ملامح نظرية أدبية لها حجمها وشواهدها القوية، التي عززها بدراساته حول الأدب الإسلامي».

المصادر

١- الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، د. حلمي محمد القاعود، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، أكتوبر عام ٢٠٠٣م.

٢- إسهامات الدكتور نجيب الكيلاني في الأدب العربي والإسلامي، محمد سيف الرحمن، مجلة القسم العربي، جامعة باكستان، العدد الرابع والعشرون، عام ٢٠١٧م.

٣- الأدب الإسلامي بين الإبداع والتأصيل الفكري، حوار مع الدكتور نجيب الكيلاني أجراه حسن على دبا، مجلة الفيصل السعودية، العدد ١٧٤، ذو الحجة ١٤١١هـ يوليو عام ١٩٩١م.

٤- الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني، د. عبدالفتاح عثمان، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٣٨، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.

٥- نجيب الكيلاني ودوره في الأدب الإسلامي، د. محمد أحمد عبدالهادي، مجلة منار الإسلام، العدد ٣٧٦، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ- مايو ٢٠٠٦م.





محمود مصطفى حلمي
كاتب وقاص

الظل الناصح

جلست وحيدا تحاصرني الأحزان والهموم والوحدة، أخذت تهاجمني ذكريات الماضي الأليم ولحظات الحاضر الثقيل وأيام المستقبل الغامض، كل ذلك كان هينا سوى أني كنت وحيدا، لم يكن هناك من يؤنس وحدتي أو يشاركني همومي أو يقطع صمت عزلتي، أخذت أنظر حولي في كل مكان علي أجد من يكون بالقرب مني لكني لم أجد سوى فراغ وصمت وخواء ووحدة، طأطأت رأسي للأسفل حزنا، لكني فوجئت أني لست وحدي...!

رأيته، كان أمامي مباشرة، طويل مثلي، ملامحه تشبهني تماما بل نسخة مني، حدثته فلم يرد بالرغم من أني رأيت حركة شفتيه دون سماع صوت يخرج من بينهما، ناديت عليه بصوت أعلى فنادى مثلي ولكن دون صوت أيضا، أدرت رأسي للجانب الآخر حزنا فأدار رأسه مثلما فعلت، غضبت منه فقمت متجاهلا له ومبتعدا عنه، لكنه لم يفارقني بل لازمني، في النهاية يئست من البعد عنه فجلست حزينا على تجاهل الرفيق الوحيد الذي وجدته والذي تعشمت في أنسه لي.

فاجأني بصوته الذي نادى أخيرا باسمي، التفت نحوه بسرعة سائلا.

– هل تعرف اسمي؟

– نعم.. بل أعرف كل شيء عنك.

تعجبت من نبرته الواثقة ورده السريع القاطع، فبادرته سائلا.

– ومن أنت حتى تعرف كل شيء عني؟

– أنا ظلك.

سكت متعجبا فاستطرد قائلا.

– أنا ظلك الذي ولد معك، رافقتك منذ لحظتك الأولى، ذهبت معك أينما كنت، رأيت حسناتك وموبقاتك، وشهدت على شهقاتك وعثراتك، بل على كل شيء فعلته.

شعرت بالتوتر يجتاحني لكني تصنعت التماسك وأنا أقول بثقة.

– وما يضيرني أنك رأيت كل شيء، فأنا لم أفعل أي شيء أخاف منه أو من مطاردته لي.

ضحك بسخرية قائلا.

– لا تخف يا صديقي، فأنا مثلك قد فعلت، فلم أكن ذو إرادة يوما ولم أستطع مفارقتك أو الانفصال عنك حين كنت أغضب على أفعالك، كل ما استطعت فعله فقط هو الحزن، كنت أحزن على ما تفعل، وكنت أحاول نصحك لترجع أو تستكين لكنك لم تكن لتسمع، كنت فقط تنطلق بلا رادع وكأن الدنيا قد حيزت لك دون حساب أو رقيب، والآن ها أنت وحيدا ترتجي ونيسا ولكنك ما زلت جاهلا، جاهل أن أفعالك هي ما أودت بك إلى تلك العزلة، وجاهل أنك حتى وإن وجدت لك شريكا فهو فان دون بقاء مهما طالت مرافقته لك.

تجهمت في وجهه من وقع كلماته القاسية فصرخت قائلا.

– ليس لك شأن بي، أنا حر، أنا عاقل وكبير وناضج وأنت لست بوصي علي.

سكت قليلا والحسرة بادية على وجهه ثم قال بصوت متحشرج:

أنت أيضا غبي ومتسلط ومتكبر وجاهل، وها أنت تريد القضاء على ونيسك الوحيد الذي بدا لك ناصحا.

بكيت وانهمرت دموعي بل علا صوت نحيبي، بدوت كطفل قد تاه من أمه للتو ويشعر بالضياع في فلاة ليس لها نهاية، اقترب مني وربت على ظهري وهو يقول:

أعتذر لقسوتي لكني لن أتركك.

بدت الفرحة على ملامحي المكسورة، فقال باسما:

ربما لكن أتركك لأني هو أنت وربما لأني بدونك عدم وربما لأني.. أحبك.

لكن الواقع أنني لن أتركك أبدا ولن أستطيع أن أفعل، فأنا ولدت معك وسرت مرافقا لك بكل مكان وبالتأكيد سأموت معك، أنا ظلك الذي يلازمك والذي يراك والذي ربما لا تهتم له لكنه يهتم لك، ينفذ كل حركاتك ويطابق كل أفعالك ويلتصق بك ويسير معك إلى الأبد...ولو نسيت أو تجاهلت وجودي، فلن أفعل أنا أبدا، وإن أنت أردت يوما أن ترى نفسك، فانظر إلي لتراك واضحا، وفي النهاية لابد أن تعلم أن حياتنا واحدة وأن مصيرنا واحد أيضا.

غمست عقلي في بحر كلماته، لم تكن سوى رشقات حامية تنطلق نحوي، نظرت إلى السماء وأدمعت عيني، بكيت أكثر وزاد نحيبي، اقترب مني، ربت على كتفي مواسيا، قلت له بصوت لا يكاد يخرج من حلقي من فرط بكائي: سامحني يا رفيقي.

عمرو طه
قاص مصري

شذرات



إن الحياة لا تعاش بالأوهام، وإنما يعيشها من أراد أن يعيش بالإرادة الصادقة، وبالرأي الصريح، وبالهدف البين، وبالحق الذي لا يتجزأ.

أبوفهر محمود شاكر

الحقيقيون ... لا يحتملهم أحد.

إيف بونفوا

إنني أنسى معظم ما أقرأه، تماما كما يحدث مع معظم ما أتناوله من طعام، لكنني أعلم أن كلاهما يساهم في إثراء عقلي وجسدي.

جورج كريستوف

المهم في الحياة ليس ما يحدث لك، ولكن ما تتذكره، وكيف تتذكره.

جابرييل جارسيا ماركيز

هناك فراغ، رغم ازدحام كل شيء.

نجيب محفوظ

هل أنا هو أنا، أم أن المجتمع هو الذي شكَّل الشخص الذي أنا عليه؟

فرانز كافكا

جميلة محمد
باحثة تربوية



الأطفال.. ومعايير التربية السليمة

التربية هي عملية تغيير مقصود؛ تتضمن مجموعة إجراءات متداخلة، تهدف بالمحصلة إلى المحافظة على استمرارية الفرد وحسن تكيفه مع بيئته واندماجه في مجتمعه، والانتقال به إلى واقع أمثل، من خلال العناية بكل ما من شأنه تحقيق النمو، وإيصال المعارف والمهارات والقيم إلى المتلقي، وبالتالي تعديل سلوكياته ومساعدته على تكوين عادات مفيدة في الحياة. والتربية -في الوقت عينه- أداة فاعلة في تحقيق أهداف المجتمع، وتطوير ثقافته وتغييرها نحو اتجاهات تخدم أغراضه ومتطلباته.

يرى أفلاطون: أن الغرض من التربية هو أن يصبح الفرد عضوا صالحا في المجتمع. ويراها أرسطو: بأن يستطيع الفرد عمل كل ما هو مفيد وضروري في الحرب والسلم، وأن يقوم بما هو نبيل وخير من الأعمال، ليصل إلى حالة السعادة. أما الإمام الغزالي فيشير إلى معنى التربية: بأنها تشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل ريعه. ويعرفها جون ديوي: بأنها عملية صوغ وتكوين لفعالية الأفراد، ثم صبها في قوالب معينة، أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول لدى الجماعة.

لقد كانت أهداف التربية في المجتمعات قديما هي تنشئة الأطفال بحسب ما كان عليه الراشدون، وإعدادهم جسديا وعقليا لمرحلة الرشد. لكن مع تقدم الفكر الإنساني والتربوي خاصة، دفع إلى تغيير شامل في مجال التربية؛ يسير باتجاه النمو المتكامل لأوجه الشخصية الطفلية كافة. فأصبحت أهم أهداف التربية الحديثة أن تجعل حياة الطفل -في أي مؤسسة

تشرف على تربيته- حياة غنية وزاخرة بالمثير والمتنوع من الخبرات، من خلال الاعتماد على الطرائق والأساليب التي تجعله مركزا لعملية التربية، وغايتها التي لا تدانيها غاية. والأطفال بوصفهم أنشودة الوجود وأغنيتها العذبة الحالمة؛ يحتاجون باستمرار للاهتمام الفعلي بجوانب حياتهم، وتأمين احتياجاتهم ومتطلباتهم.

ولعل التربية -التي تمارسها مؤسسات عديدة- هي الأداة الأساسية في تحقيق ذلك، إذ تؤدي الدور الأهم في الارتقاء بذواتهم والكشف عن ميولهم ومواهبهم. ولكي تكون عملية التربية جديرة بأهمية الطفولة كمرحلة، وما لها من تأثيرات فكرية وسلوكية وقيمية في المستقبل، كان لا بد أن تحقق شروطا أهمها: توفير الرعاية الكافية وتهيئة الظروف المناسبة، التي تقود إلى نمو سليم جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا. ثم تحقيق احتياج الأطفال إلى احترام شخصياتهم، وإعطائهم فرص التعبير عن الرأي والموقف، وتزويدهم بمختلف المهارات ومساعدتهم على اكتسابها، وحثهم على البحث والتقصي عن الحقائق بأنفسهم، بأحسن الأساليب وأفضلها ووفق معطيات التربية الحديثة. ومن جهة أخرى غرس المفاهيم الإيجابية فيهم، والعمل على الاستغلال الأمثل لميولهم وهواياتهم، بما يطور قدراتهم ويحرر طاقاتهم وإمكاناتهم.

ويشكل الجانب النفسي أو الانفعالي أهم جوانب تربية الأطفال، إذ إن أساليبها المتبعة تترسب في الذهن وتستقر في الوجدان، وتفرز تأثيراتها في مجمل حياتهم مستقبلا. ولعل أهم ما يحتاجه الطفل نفسيا؛ احتياجه إلى الحب والحنان والعطف والشعور بالأمن والطمأنينة والجو المفعم بالمودة ودفء العاطفة دون مبالغة أو إرهاق للطفل. فإهمال حاجاته النفسية هذه أو ما يدعى «الحرمان العاطفي» يمثل أكثر الخبرات المؤلمة لديه. أيضا احتياجه الحرية الكافية لينشئ في ظلها واثقا من نفسه وقدراته. الأمر المهم الآخر من الناحية النفسية، هو استقرار العلاقات الأسرية وتحاشي مظاهر الخلافات بين الآباء والأمهات، والتي من شأنها التأثير سلبا على نفسية الطفل ونشاطه. كذلك تحاشي التفرقة في المعاملة بين الأبناء أو مقارنتهم بأطفال آخرين، وعدم إظهار اللهفة والقلق الزائدين عليهم.

كما لا بد للقائمين على التربية، وبهدف الحفاظ على توازن الطفل النفسي والانفعالي النأي عن أساليب القسر في معاملته. وهنا يتفق المربون وعلماء النفس على نتائجها السلبية على حياة الطفل. إلى جانب احتياجات نفسية أخرى كالحاجة إلى التقدير الاجتماعي، وإقامة علاقات إنسانية تتسم بالود والتبادل العاطفي. وللعب دور كبير في الاستقرار النفسي للطفل، إذ يرتبط بنواحي النمو في شخصيته ارتباطا تاما، حيث تؤكد الدراسات تأثيره البالغ في تكوين هذه الشخصية، وتثبت مزاياه في تحقيق نموها السليم. وقد ذهب روسو باعتقاده إلى أن حركة الطفل ولعبه لهما فائدة أكثر من تعليمه القراءة، خاصة من الناحية الحسية والعقلية.

ومن أهم خصائص التربية الحديثة بحسب كتاب (التربية وطرق التدريس) هي الاهتمام بالطفل ونموه الجسمي والعقلي والوجداني والاجتماعي: وكان هذا الاهتمام نتيجة لتقدم علم النفس وتجاربه، وتقدم تجارب العلوم الأخرى، واحترام شخصية الطفل فقد أحاطته التربية الحديثة بالثقة والطمأنينة، وأشعرته بشخصيته وفرديته، ذلك بتمكينه من التعبير عما في نفسه بكل أنواع التعبير كالكلام، واللعب، والرسم، والأشغال. ويمثل التعليم عن طريق اللعب والتجربة والممارسة: ضرورة لنمو الفرد الجسمي والعقلي، وأنه ميل طبيعي، له غايته التربوية العظيمة. ويعتبر التعليم عن طريق العمل والخبرة الشخصية: وجعل المدرسة صورة من الحياة، تقوية للاعتماد على النفس، وتنظيم عملية التفكير، وتنمية روح التعاون مع الجماعة، والعناية بأسلوب العمل، أكثر من تحصيل المعرفة نفسها.

وقد قيل أنه: إذا عاش الطفل في جو من المشاركة تعلم الكرم، وإذا عاش في جو من الأمانة تعلم العدل، وإذا عاش في جو من الرضى تعلم الحب، وإذا عاش في جو من التسامح تعلم الصبر، وإذا عاش في جو من المعرفة تعلم قيمة الأشياء.

ولاء أيمن كامل
باحثة تربوية



لا تميتوا زرعكم

فطر الله الآباء على حب الأبناء، وألقى في قلوبهم الرحمة عليهم والرأفة والشفقة بهم، وهي جميعها من أعظم مسالك تربية الأبناء وتوجيههم، إذ إنها تلجئ الآباء إلى اللين في القول والعمل مع أبنائهم، والأخذ باليسر والدفع بالتي هي أحسن، وقد حثنا النبي، ﷺ، على ملازمة الرقة والرفق في جميع أمورنا، قال ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله (رواه البخاري)، ولا شك أن أولى الناس بهذا التعامل هم ذوو القربى والأرحام، وليس أقرب للإنسان من أولاده الذين هم بضعةٌ منه، فيصبحون مع سلك هذا النهج في التربية أسرع إلى الاستجابة والمبادرة من لجوء الآباء إلى أسلوب الترهيب والعنف، الذي قد يستجيب معه الأبناء تحت وطأة الخوف، لكنه سينشئهم معتادين على العمل وسوط العقاب على ظهورهم، حتى إذا ما غاب عنهم أو ارتفع، انقلبوا على عقبيهم.

والآباء في حاجة إلى صبر على مشقة تربية الأبناء، وإلى تقوى الله فيما استأمنهم من أولاد، وإلى تثقيف وقراءة واستقراء واجترار خبرات الآخرين؛ الإيجابية والسلبية، فلا يستعجلون، بدافع الرفق والإشفاق، والرحمة، فينقضون غزلهم ويميتون زرعهم، وأن يحذروا أن يأخذ بهم فرط المحبة إلى مهالك أبنائهم فيهدمون بنيان مستقبلهم؛ فلا إفراط في غمرهم بالحب والرفقة واللين ما يصل بهم إلى التدليل الزائد، ولا تفريط في العقاب بالكلية.. فإذا تغيا الآباء شأوا عظيما لولدهم في قابل أيامه فلا يضرهم أن يشدوا عليه في الصغر، ولا ضير من حرمانه بعض ما يشتهي وعدم الإذعان لكل رغباته، وأن يلزموهم بحفظ القرآن الذي يعبد طريق حاضره ومستقبله، ودفعه إلى درس ما ينفعه في كبره، وإن رأوا وجنتيه حمراوين، وإن رأوا عينيه ذابلتين، وإن سمعوا بكاءه ذلك البكاء الذي لا صوت معه يرون العينين تذرفان ولا صوت.. هذا البكاء القاتل لهم الذي يهد بناءهم هدا.. ومع ذلك لا ينبغي لهم أن يرحماه لأن رحمتهم في إلزامه بما يكون خيرا له في دنياه وآخراه، فهناك أوقات وأمور يكون منعه عطاء، وعقابه حنانا ورحمة.. يقول أبو العلاء:

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما
فليقس أحيانا على من يرحم

فمن العجب أن يتبع العاقل (الآباء) الأحمق (الولد) أو أن يسعف ذوو النهية من لا نهية له فيما لا خير فيه وهو يعلم أنه لا خير له فيه، ولكنه حب الآباء لأبنائهم.

فقسوة الآباء مع ولدهم هي في ما يظهر له قسوة لكنها رحمة في الواقع، وصوت الولد المبحوح ودمعاته المخنوقة إثر ذهابه لدروس العلم أو مجالس القرآن أو تدريبه على الالتزام بالصلاة وبقية العبادات والطاعات وتمكين الأخلاق الفاضلة في شخصيته ليكون مؤثرا فاعلا بين أقرانه مصلحا في مجتمعه ستتلاشى مع كبره ومع أول تكريم له؛ فالآباء هم المسؤولون عن بناء شخصية أبنائهم في سنواتهم الأولى، فحذاري أن تضروا أولادكم بمبالغة حبكم لهم؛ فتتركوهم وما يشتهون، فلا معرفة لهم بعواقب الأمور، واعلموا أنهم على خير ما داموا يسلكون طريق العلم، وينهلون من معينه، فقد قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ (المجادلة: ١١)، وقال الرسول صلوات ربي وتسليمه عليه مبشرا: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به، أخذ بحظ وافر» (رواه أبوداود).

يحكى أن رجلا كان له ابنة صغيرة يأخذها كل يوم مذ سنوات دراستها الأولى إلى الكتاب ليقوم الشيخ على تدريسها القرآن وتحفيظها إياه، وهي كانت لا تفهم: لم يخصها أبوها بهذا العذاب المبين؟!.. كل صويحباتها إذا خرجن من المدرسة لعبن ولهون.. بينما هي يأخذها أبوها إلى الكتاب ليتولى أمرها الشيخ: احفظي.. سمعي..

فقالت له مرة: «يا أبي لم تصنع بي هذا؟! ألست ابنتك؟! ألا تحبني؟! فما بالك تعذبني هذا العذاب وفلانة وفلانة تذهبان إلى بيتهما وأبو كلا منهما لا يفعل بها ذلك!».

فكان يؤلمه ما تلقيه له ابنته في أذنه، لكن ربه وفقه إلى أن يقف صامدا في وجه تلك العواصف العاتية؛ عواصف مشاعر الرأفة بالأبناء التي تقتلع القلوب من أماكنها.. فمكثت تلك البنت تحفظ القرآن إلى أن ختمته.. وبعد أن أخذت الثانوية هي وصويحباتها اللائي كن معها صغيرات...

قال لها أبوها: «يا بنيتي، أتذكرين إذ كنت صغيرة وتبكين وتعترضين وتقولين ما لك تصنع بي كذا وكذا.. أرأيت لو أني أطعتك في ذلك الوقت أكان ذلك يكون خيرا لك أم الآن والقرآن في صدرك هو خير لك؟».

فقالت له: «جزاك الله من والد خيرا، نعم الوالد أنت، بل الآن.. كيف أجزيك وهذا الذي صنعت سبب في أن استودعني ربي هذا القرآن في صدري؟!» فيقول لها: «هاهن صويحباتك مثلك مثلهن لكنهن لا قرآن معهن.. أتذكرين التعب؟ أتذكرين شيئا من تلك الشدة؟ من ذلك الضغط؟».

فقالت: «لا أذكر شيئا من ذلك، لا أذكر سوى أن معي الآن هذا الفضل العظيم.. كلام الله».



اقتصاد

سعيد حسن السعيد
كاتب وباحث

التعاقد بالعربون في القانون المدني الكويتي

– العربون هو ما يقدمه أحد العاقدين إلى الآخر عند إنشاء العقد، وقد يريد العاقدان بالاتفاق عليه أن يجعلا عقدهما مبرما بينهما على وجه نهائي، وقد يريدان أن يجعلا لكل منهما الحق في العدول عن العقد، وهنا يكون تعاقد بالعربون، ومرجع الأمر إلى نية المتعاقدين في إعطاء العربون حكمه القانوني.

– وحاصل ذلك أن التعاقد بالعربون هو إعطاء حق العدول للمتعاقدين، فإذا عدل المشتري عن إتمام العقد فقد العربون الذي دفعه، وإذا عدل البائع عن إتمام العقد رد العربون للمشتري مضاعف، حتى وإن لم يترتب على العدول أي ضرر، ففقد أو رد العربون ليس بصورة تعويض عن ضرر وإنما هو أقرب لأن يكون غرما على العدول عن إبرام العقد، وليس أيضا بمعنى الشرط الجزائي فالتعويض في مجال العقد يكون عند الإخلال بالالتزام الناشئ عنه والمتعاقد بالعربون الذي يعدل عن العقد يستعمل حقا ثابت له، ومن يستعمل حقه لا يخل.

– وقد عمد المشرع الكويتي إلى تنظيم التعاقد بالعربون وخصه بأربع مواد من المادة ٧٤ وحتى المادة ٧٧ وذلك اعتبارا منه بأهمية هذا النوع من التعاقد وشيوعه في المعاملات المالية المدنية منها والتجارية على حد سواء.

– فالمادة ٧٤ من القانون المدني الكويتي تنص على أن «دفع العربون وقت إبرام العقد يفيد أن لكل من طرفيه خيار العدول عنه ما لم يظهر أنهما قصدا غير ذلك أو كان العرف يقضي بخلافه».

– وتنص المادة ٧٥ على أن «إذا عدل من دفع العربون فقده، وإذا عدل من قبضه التزم برده ودفع مثله، وذلك كله دون اعتبار لما يترتب على العدول من ضرر».

– ومفاد ذلك أنه إذا لم يتفق العاقدان صراحة أو ضمنا على أن العربون إنما دفع لتأكيد الثبات في التعاقد كان دفعه دليلا على أن لكل من طرفي العقد خيار العدول عنه، فإذا كان من عدل هو الذي دفع العربون فقده، وأصبح العربون الذي دفعه حقا خالصا للمتعاقد الآخر، أما إذا كان من عدل هو من قبض العربون كان عليه رده ودفع مثله.

– والمادة ٧٦ من ذات القانون تنص على أن «إذا لم يحدد الاتفاق أو العرف ميعاد لمباشرة خيار العدول، بقى هذا الخيار إلى الوقت الذي يصدر فيه من المتعاقد ما يدل على رغبته في تأكيد قيام العقد، على أنه إذا قعد أحد المتعاقدين عن تنفيذ التزاماته في الأجل المحدد أو تراخى في ذلك مدة تتجاوز المألوف، جاز للمتعاقد الآخر أن يعتبر ذلك عدولا منه».

– وقد تناولت المادة ٢/٧٧ من ذات القانون لتواجه حالة استحالة التنفيذ الراجعة إلى سبب أجنبي لا يد لأحد المتعاقدين فيه كما إذا هلك محل الالتزام بقوة قاهرة، ففي هذه الحالة وجب رد العربون إلى دافعه ودون أي التزام على طرفي العقد.

– فتنص المادة ٢/٧٧ من القانون المدني الكويتي «فإن كانت استحالة تنفيذ الالتزامات الناشئة عن العقد راجعة إلى سبب أجنبي لا يد لاحد المتعاقدين فيه، وجب رد العربون إلى دافعه».

– وحاصل ما تقدم أن التعاقد أو البيع بالعربون هو إثبات حق الرجوع لأي من طرفي العقد نظير خسارته له أن عدل من دفعه وإذا عدل من قبضه التزم برده ودفع مثله، وفي حالة استحالة تنفيذ الالتزام لقوة قاهرة لا يد لأحد المتعاقدين فيه وجب رد العربون إلى دافعه، ولا يترتب أي التزام على أحدهما.

– وهناك العديد من المعاملات التي تتم في هذه الصورة كأن يتعاقد شخص مع آخر على شراء عقار ويقوما بتوقيع عقد ابتدائي اتفقا فيه على سداد مبلغ مالي على سبيل العربون وعدل أحدهما عن إتمامه، ففي هذه الحالة تطبق أحكام العربون على النحو المتقدم.

عبدالله بن عبدالكريم الثلاج البدراني
باحث شرعي




أعلام متأخرون.. طواهم النسيان
بدر الدين النعساني الحلبي



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وآله الطيبين وصحابته الأكرمين، أما بعد:
فقد كان القرنان الأخيران من حياة الأمة المسلمة مليئين بالأحداث المدوية التي أثرت على مسيرتها، وكان لكثير من رجال العلم والثقافة فيها أثر بارز في مناح شتى من حياتها الفكرية والسياسية والثقافية، ومن حقوق أولئك العظماء أن نعرف بهم الأجيال القادمة، حتى تستقي من تجاربهم وتنهل من معينهم وتعرف الأجيال تاريخ أسلافها فتحذو حذوه.
مع نهاية القرن الثالث العشر وبداية القرن الرابع عشر الهجريين (أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين الميلاديين) كانت الحجاز ومصر والشام أكثر الأقطار الإسلامية التي طوحت فيها رياح التغيير والأفكار، ومنها بزغ شمس كثير من أعلام الفكر والثقافة والعلم، تزامن ذلك مع تقهقر الدولة العثمانية وتردي إحكامها السيطرة على الممالك والأقطار وشيوع الظلم والفساد في كثير من إداراتها وبين ولاتها، فكان أن حمل هؤلاء الأعلام على عاقتهم هم الإصلاح ومحاولة رأب الصدع لحفظ ما تبقى من رسوم الشريعة قبل اندراسها.
ومن أعلام تلك الطبقة المغمورين العلامة الأديب المحقق بدرالدين النعساني الحلبي رحمه الله رحمة واسعة.
هو أبو فراس محمد بن مصطفى بن رسلان النعساني الحلبي[١]، ولقب ببدر الدين على عادة الناس في اختيار الألقاب لأبنائهم، كان مولده رحمه الله سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م) في مدينة حلب في منطقة يقال لها (ابن يعقوب) واسمها القديم (بانقوسا)[٢] ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان، وقال: جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال[٣]، وهذا الجبل ذكره البحتري في أحد قصائده[٤].

وقد ذكر المؤرخ الأديب كامل بن حسين الغزي (١٣٥١هـ/١٩٣٣م) صاحب كتاب «نهر الذهب في تاريخ حلب» أن محلة (ابن يعقوب) هذه خرج فيها أبيات أنجبت من اشتهر بالعلم، منهم آل الزرقا وعلى رأسهم الشيخ العالم محمد بن عثمان الزرقا والد الفقيه المشهور أحمد الزرقا وجد الأستاذ مصطفى بن أحمد الزرقا.
ثم واصل قائلا: «وأسرة آل النعساني المتصل نسبهم بولي الله الشيخ رسلان ووجيه هذه الأسرة الأديب الناظم الناثر الأستاذ بدر الدين النعساني»[٥]، ورسلان هو المذكور في نسب النعساني السابق، وسيكون لنا وقفة مع وصف الغزي له بالثائر.
شهدت المدارس الشرعية في بلاد الشام في تلك الحقبة تقهقرا وتراجعا لأسباب كثيرة ليس هذا مقامها(٦)، لكن ما نحتاج الإشارة إليه هنا أن عائلة الشيخ النعساني آثرت إرسال ابنها إلى مصر في سنة (١٣١٠هـ/١٨٩٢م) ليؤم الجامع الأزهر فينهل من معين علمائه في ذلك الوقت، وقد أتم الفتى عامه الثاني عشر، وهناك في مصر سيمكث ٨ سنين التقى فيها بكبار مشاهير علماء الأزهر ويستفيد من علومهم حتى عام (١٣١٨هـ/١٩٠٠م)، ثم انتقل بعدها إلى الهند.. هذا الشاب بعد سنوات قليلة في عام ١٣٢٤هـ وقد بلغ السادسة والعشرين من عمره نشر كتابا يعد من أهم الكتب المصنفة في بابه وهو كتاب «التعليم والإرشاد» وكتبا أخرى سيأتي الحديث عنها مفصلا إن شاء الله.
في عام (١٣١٩هـ/١٩٠١م) رحل النعساني إلى الهند ومكث فيها سنة ونصف وكان على صلة هناك بـ«جمعية علماء المسلمين»، وهناك سيصدق عليه وصفه بالثائر -مع صغر سنه وغضارة عوده- فقد كان له دور بارز في نشر الدعوة وتصحيح المعتقدات وحث المسلمين على مقاومة الإنجليز،

وحصلت له مناظرات ومناكفات هناك جعلته يخرج من الهند متخفيا تحت الطلب، ثم انتقل بعدها وهو في الثامنة والعشرين إلى ليبيا فالجزائر ثم تونس، ومكث في تونس مدة فعل فيها ما فعل الهند من التحريض على مقاومة الاحتلال الفرنسي هناك وسجن ثم أفرج عنه وأبعد عنها.
بعد ذلك عاد إلى مصر وكان رحمه الله قد اشتغل بتحقيق الكتب وتصحيحها ونشرها، وقد حقق الكثير من الكتب التي تعد من أمهات الفنون في أبوابها، والناظر في تنوع الكتب التي حققها وأخرجها يقف مذهولا من عجيب اطلاعه رحمه الله وسرعة إنجازه، ففي مدة لا تزيد على ست سنوات ابتدأها -حسب التقدير والتتبع- سنة ١٣٢٢هـ واختتمها مع نهاية سنة ١٣٢٧هـ أصدر أكثر من ٣٧ كتابا محققا في اللغة والشعر والأدب والنحو والتجويد والتفسير وأصول الفقه وعلم الحديث والجرح والتعديل والفلسفة والتاريخ والتراجم والفلسفة والتصوف والسلوك والعقيدة وغير ذلك!
فمن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، في الجرح والتعديل ميزان الاعتدال للإمام الذهبي، وفي الشعر العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق والشعر والشعراء لابن قتيبة، وفي الأدب عدد من كتب الجاحظ كالبيان والتبين والحيوان، في التصوف والسلوك منازل السائرين لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي، وفي النحو همع الهوامع للسيوطي ومعالم الاهتداء في شرح شواهد قطر الندى للزبيدي، وفي السيرة الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري، وفي العقيدة كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية، وغير ذلك كثير يطول المقام بتعداده وذكره.
زد على ما سبق اشتغاله بالتأليف مبكرا في المدة السابقة نفسها، فألف كتبا عدة، منها:
١- التعليم والإرشاد، طبع في حياته سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) وطبع قريبا بتحقيق د. حسن السماحي سويدان، وطبع حديثا بتحقيق الأستاذ الداني آل زهوي ويأتي الحديث عنه.
٢- المفضل في شرح أبيات كتاب المفصل للزمخشري فرغ منه سنة ١٣٢٣هـ.
٣- «نهاية الأرب في شرح معلقات العرب» صدر سنة ١٣٢٤هـ، وقد فرغ الدكتور حسن السماحي سويدان على إعادة تحقيقه وطباعته ويصدر قريبا عن دار القلم.
٤- شرح كتاب الدر النضيد لمجموعة ابن حفيد، ومجموعة ابن حفيد هو كتاب للعلامة أحمد بن يحيى بن محمد الهروي ت٩٠٦هـ شهيدا رحمه الله، يجمع المسائل المهمة في ١٤ فنا، وضع الشيخ النعساني عليه حاشية نفيسة، وفرغ منها سنة ١٣٢٢هـ.
٥- شرح أسماء أهل بدر وأحد.
٦- النصوص على كتاب الفصوص، وهو شرح لكتاب فصوص الحكم للفيلسوف أبي نصر الفارابي، وقد طبع قريبا طبعة جديدة في إيران.
ولك أن تتخيل أيها القارئ أن غالب هذه الكتب فرغ من تصنيفها الشيخ النعساني ولما يتم السادسة والعشرين من عمره! فأي رجل ألمعي كان رحمه الله وغفر له.
أما كتابه «التعليم والإرشاد» فهو كتاب درة فريدة وخريدة بهية في بابه، صنفه رحمه الله في نقد طرائق التعليم ومسالك التدريس في الأزهر خاصة وفي الأمصار الإسلامية عامة، وفيه محاولة لإعادة نظامها ليكون مؤثرا في أبناء الزمان نافعا لهم نفعا حقيقيا، وحري بكل مهتم بمجال التعليم أن يجعل لهذا الكتاب حظا من درسه وتأمله والاستفادة وهو كتاب لا يقل أهمية عن كتاب العلامة التونسي الطاهر ابن عاشور «أليس الصبح بقريب».
ولا ننس أن نشير إلى أنه شارك في تحرير جريدة المؤيد في مصر، وكانت تضم ثلة من وجوه الأدباء والكتاب الكبار كالأستاذ محمد كرد علي وغيره.
وقبيل الحرب العالمية في عام ١٣٣٢هـ عاد إلى مسقط رأسه في حلب، واشتغل هناك بتدريس العلوم العربية وآدابها في المدرسة المعروفة في ذلك الوقت بالمدرسة السلطانية، وشارك أيضا في تحرير جريدة الشرق بالاشتراك مع أمير البيان والأدب شكيب أرسلان ومحمد كرد علي وغيرهما من مشاهير أدباء عصرهم.
وفي تلك الفترة في سنة (١٣٣٣هـ/١٩١٥م) زار رحمه الله الأستانة مع وفد منتخب من علماء الشام ووجهائها، وكان الشيخ النعساني ممثلا عن علماء حلب ووجهائها ولما يتم الخامسة والثلاثين من عمره بعد! وفي رحلته تلك وقف على بعض المعارك التي جرت في مضيق الدردنيل

بين جيوش العثمانيين والجيوش الأوربية، ونظم قصيدة في مدح قائد المعركة، والتقى بشيخ الإسلام في الدولة العثمانية مصطفى صبري أفندي وأمر بمنحه قلادة اللياقة الفضية (أحد أوسمة التشريفات) ولا زال كتاب الشيخ مصطفى صبري محفوظا بخطه في دائرة الأرشيف العثماني.

وقد كتب الشيخ النعساني مذكرات لنفسه لكن لا يعرف أي خبر عنها، ولم تطبع أو تنشر لا في حياته ولا بعد مماته.

ومما يحسن الإشارة إليه أنه كان رحمه اللّٰه محبا لمصر وأهلها، وقد وصفها بوصف بديع إذ يقول: «هي محط رحال العلوم الدينية وكعبة العلوم التي يفد إليها الحجاج من جميع الآفاق، والقدوة لكافة أهل الأمصار»، وحين بويع أحمد شوقي أميرا للشعراء نظم قصيدة بديعة في مدحه ومدح أرض الكنانة، وكان مما جاء فيها:

بـنـي مـصـر فـديـتـكـم بـنـفـسـي
وذلــك كــل مــا تـحــوي الـيــدان
غـبـرت بـأرضـكـم زمـنـا طـويـلا
قـلـيـل الـبـث مـوفـور الأمــان
وفــوق مـهـادكـم نـشـزت عظامي
وتـحـت سـمـائـكـم طـال بـنـاني
ولــو خـيـرت لـم أخـتـر سـواكـم
ولـكـن لا خـيـار عـلـى الـزمـان
زعـيـمـكـم لـه الأرواح مـلـك
وشـاعـركـم لـه مـلـك المـعـاني
فـمـا أبـصـرت وصـافـا كـشـوقي
ولا بـصـرت بـذلـك مـقـلـتـان
إذا وصــف الـجـنـان نـعـمـت فـيـهـا
كـأنـك مـنـه فـي وسـط الـجـنـان
فـمـا المـرآة أصــدق مـنـه نـعـتـا
ولا أقـوى عـلـى حـفـظ الـكـيـان
تـريـك ظـواهـرا ويـريـك حـقـا
بـواطـن لـيـس تـدرك بـالـعـيـان
فـإن بـاهـت بـه مـصـر سـواهـا
فـقـد بـاهـت بـه لـغـة الـقـران
وإن طـعـنـوا عـلـيـه فـغـيـر بـدع
فـقـد طـعـنـوا عـلـى السـبـع المـثـاني
وتـلـك طـبـيـعـة الإنـسـان قـدمـا
طـعـون بـالـلـسـان وبـالـسـنـان

وحين قرئت القصيدة على شوقي في حفل تتويجه قال: «إن صاحب هذه القصيدة شاعر مطبوع» ومما يشهد لكلمة شوقي أبيات جميلة تبوح بضيق الزمان وتبدل الإخوان يقول فيها[٧]:

لـمـا رأيـتـك لا تـدوم لـصـاحـب
ورأيـت ودك كـالـخـيـال الـزائـل
أزمـعـت عـنـك تـجـافـيـا وتـبـاعـدا
ونـفـضـت كـفـي مـن غـرور بـاطـل
قـد يـخـدع الحـر الـلـبـيـب كـغـيـره
فـيـرى الفـضـيـلة عـنـد غـيـر الفاضـل
فـي كـل يـوم لـي صـديـق راحـل
واحـر قـلـبـي لـلـصـديـق الـراحـل
ابـكـي عـلـيـه بـعـبـرة مـسـفـوحـة
ونـصـالـه مـغـروزة بـمـقـاتـلـي

بعد عودته من الأستانة اعتزل أكثر الأعمال العملية والأدبية والسياسية وتفرغ لتدرس الطلاب في المدرسة السلطانية كما ذكرنا، وكانت حينها أعلى مدرسة في حلب ومدرس العلوم العربية فيها أعلى مرتبة تسند إلى مشتغل بالثقافة والأدب.

ومن أبياته التي تصلح مثلا سيارا قوله[٨]:

ومـن طـلـب العـلـيـاء والمجد لـم يـكـن
إذا رقـد الـغـر المـفـرط راقـدا

هكذا عاش رحمه اللّٰه مغمورا ومات مغمورا لا يعرف عنه الكثيرون من أبناء قطره فضلا عن أبناء العالم الإسلامي، وصدق فيه وصف تلميذه الأستاذ الأديب سامي الدهان حين قال: «كان يكره الشهرة والإعلان»، توفي رحمه اللّٰه في حلب سنة (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م).

الهوامش

١- «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٠٢).
٢- «علماء من حلب في القرن الرابع عشر» محمد عدنان كاتبي، (١/١٧٧-١٧٨).
٣- «معجم البلدان» (١/٣٣١).
٤- «ديوان البحتري» ت: حسن الصيرفي، (٢/١١٤٧).
٥- «نهر الذهب في تاريخ حلب» (٢/٢٥٧).
٦- ينظر: مذكرات الأستاذ أسعد الكوراني المسماة: «ذكريات وخواطر» (ص:٤٣)، وهو من طلاب بدر الدين النعساني.
٧- مجلة «الثقافة» السورية العدد ٤ - بتاريخ: ٥ - ٧ - ١٩٣٣.
٨- قدماء ومعاصرون، سامي الدهان، (ص:٢٥٤).

إعداد: عبد السلام الشبراوي
باحث دراسات إسلامية



الأوقاف توقع اتفاقية الحج وتختبر (٥٧٠٠) من حفظة كتاب الله

وقع وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووزير دولة لشؤون تعزيز النزاهة الكويتي عبد العزيز الماجد ووزير الحج والعمرة السعودي الدكتور توفيق الربيعة اتفاقية الحج للعام: (١٤٤٤هـ) التي تضمنت تخصيص (٨٠٠٠) حاج من دولة الكويت.

جاء ذلك خلال مشاركة الوزير الماجد في مؤتمر ومعرض «خدمات الحج والعمرة» لعام: (٢٠٢٣م)، وذلك تلبية لدعوة من حكومة خادم الحرمين الشريفين ممثلة بوزارة الحج والعمرة، واطلع الماجد خلال جولة في المعرض على الخدمات المقدمة للحجاج في شتى القطاعات المتعلقة بخدمات الحجاج من نقل وإعاشة.

وأعرب الوزير في تصريح له على هامش المعرض عن شكره للجهود المبذولة في إقامة المعرض والذي يساهم بشكل مباشر في رفع جودة الخدمات المقدمة للحجاج ومواكبة للتطوير الرقمي وتقديمه للحلول المبتكرة في خدمات الحج والعمرة.

على صعيد آخر وفي إطار أنشطة وزارة الأوقاف الكويتية لخدمة القرآن الكريم وعلومه أجريت اختبارات الدورة الشتوية (٢٠٢٢م): (٨٧) لطلاب حلقات القرآن الكريم والتي أقيمت في مسجد الدولة الكبير.

وأعلن مراقب شؤون القرآن الكريم عبداللطيف الكندري أن عدد حفاظ كتاب الله بالمراكز التابعة لإدارة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن لمحافظتي العاصمة وحولي بلغ: (٣٢٠٠) حافظ، بينما بلغ عدد الحافظات: (٢٥٠٠) حافظة، يمثلن (١٦) مركز دار قرآن كريم.

وأشار إلى أنه تم تخصيص عدد كاف من لجان التحكيم في هذه الاختبارات لاستقبال الحافظين والحافظات، وذلك في إطار سعي الإدارة لتخريج مجموعة من الحافظين والحافظات المتمكنين من أحكام التجويد وتعاليم القرآن الكريم، وتقام هذه الاختبارات (٣) مرات في العام بشكل دوري في نهاية كل دورة، وتخدم هذه الاختبارات كلا من القارئ الصغير وحلقات القرآن الكريم.

ومن جهته، أعلن رئيس لجان الاختبارات في مسجد الدولة الكبير فهد المعتوق أن وزارة الأوقاف وفرت جميع التجهيزات لاختبارات الطلاب في مسجد الدولة الكبير، مشيرا إلى أن إقبال الطلاب في الدورة الشتوية يكون أكبر بكثير من الطلاب في الدورة الصيفية نظرا لأن الجميع موجود في الكويت حاليا بخلاف فترة الصيف التي يسافر فيها العديد من الطلاب مع ذويهم في الإجازة الصيفية.

وأشار المعتوق إلى أن الإقبال على حفظ كتاب الله والاختبارات كبير جدا بفضل الله ولم يمنعهم المطر من الحضور للاختبارات في المسجد الكبير، لافتا إلى أن الوزارة تداركت المشاكل السابقة ووفرت المزيد من أعضاء لجان التنظيم والاختبارات لاستيعاب كل هؤلاء الطلاب خلال فترة الاختبارات.

مفرح الشمري
صحافي وكاتب



مؤتمر ومعرض «اكسبو الحج»

في إطار سعي وزارة الحج والعمرة في المملكة العربية السعودية الدائم إلى جمع واستقطاب قادة الفكر وصناع التغيير من باحثين ومبتكرين ورواد أعمال، واستعراض أحدث المشاريع والمبادرات التي تهدف إلى تجويد الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن واستدامتها، من خلال إقامة المؤتمرات والمعارض السنوية، نظمت وزارة الحج والعمرة مؤتمر ومعرض خدمات الحج والعمرة لعام ٢٠٢٣م «اكسبو الحج» خلال الفترة من ٩ - ١٢ يناير ٢٠٢٣م الموافق ١٦-١٩ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ.

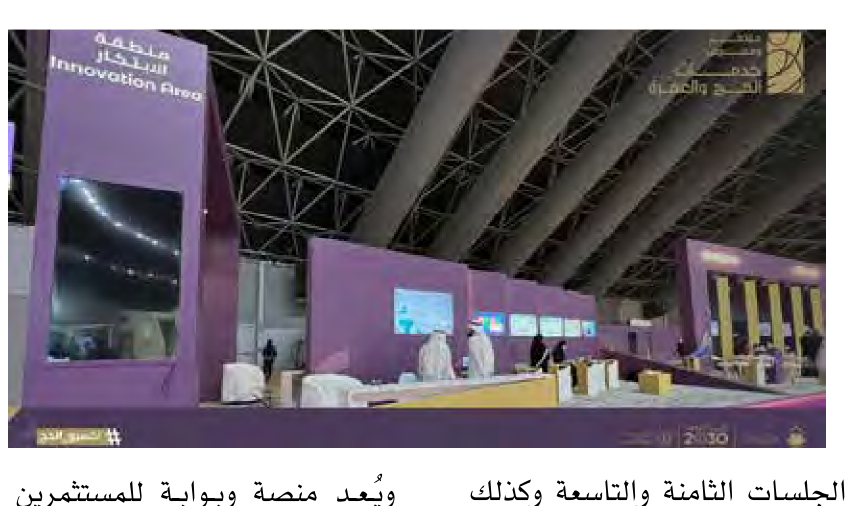
مؤتمر «اكسبو الحج»

جاء مؤتمر ومعرض خدمات الحج والعمرة ٢٠٢٣م ليشكل نافذة مهمة لتعزيز وتطوير التواصل مع مختلف دول وشعوب العالم العربي والإسلامي إقليميا وعالميا، انطلاقا في ذلك من رؤية المملكة ٢٠٣٠ التي تقدم استراتيجية متكاملة لتطوير منظومة الحج والعمرة عبر تسخير الطاقات والإمكانات لخدمة ضيوف الرحمن. ويتسق شعار «اكسبو الحج» مع التوسع الذي تقدمه المملكة العربية السعودية عبر تعزيز الجودة في منظومة خدماتها المتكاملة للنهوض بخدمات الحج والعمرة وتقديم البرامج والمبادرات النوعية، لتحسين وتسهيل رحلة ضيوف الرحمن، والعمل على تطوير عمليات اتخاذ القرار واستدامة جودة الخدمات.

كما تميز مؤتمر ومعرض «اكسبو الحج» لعام ٢٠٢٣ باعتباره أكبر مؤتمر دولي يقدم عددا من الجلسات العلمية وورش العمل والدورات التدريبية، بالإضافة إلى الميزات والأنشطة المصاحبة، حيث سجلت النسخة الثانية منه، التي عقدت تحت شعار «الجودة في منظومة الخدمات»، عددا من الأرقام القياسية، منها: حضور أكثر من ٦٠ ألف زائر من جميع أنحاء العالم، ومشاركة أكثر من ٢٠٠ جهة حكومية وشركة عاملة في منظومة الحج والعمرة، وتوقيع أكثر من ٤٠٠ اتفاقية دولية منها أكثر من ٥٧ اتفاقية حج.

وشهد المؤتمر خلال اليوم الأول

إقامة أربع جلسات رئيسية جاءت الأولى بعنوان «التخطيط للابتكار: رؤية مستقبلية لخدمات الحج الرقمية».
فيما اشتملت الجلسة الرئيسية الثانية على عدد من الموضوعات والعناوين مثل: «فقه التيسير في الحج وانعكاساته على تسهيل الخدمات» و«الجودة والتميز المؤسسي والحكومي» و«تطوير منظومة الحج والعمرة من خلال البرامج البحثية والتدريبية» و«جودة خدمات وصول واستقبال ضيوف الرحمن».
وكذلك الجلسة الرئيسية الثالثة تحت عنوان: «تأهيل العاملين في منظومة الحج والعمرة» و«نموذج التشاركية لتحول منظومة خدمة ضيوف الرحمن».
أما الجلسة الرئيسية الرابعة للمؤتمر فقد ضمت المواضيع التالية: «البنية التحتية وصيانة مرافق المشاعر المقدسة» و«الحلول الرقمية وتقنيات الاتصالات والمعلومات في خدمة ضيوف الرحمن».
اليوم الثاني للمؤتمر اشتمل على الجلسات الخامسة والسادسة والسابعة، حيث جاءت الجلسة الرئيسية الخامسة بعنوان: «خدمات النقل وإدارة الحشود: الفعالية والسلامة»، والجلسة السادسة بعنوان: «خدمات الإسكان والضيافة: ضمان جودة الخدمات ورفع الطاقة الاستيعابية» و«الخدمات المساندة في استقبال وإدارة تفويج ضيوف الرحمن»، والجلسة السابعة بعنوان: «تطوير خدمات الإعاشة والتغذية لحجاج بيت الله الحرام» و«شركات الحج وخدمة ضيوف الرحمن: تجارب ناجحة».
اليوم الثالث للمؤتمر اشتمل على



الجلسات الثامنة والتاسعة وكذلك تكريم المشاركين في تحدي الحج والعمرة، حيث جاءت الجلسة الرئيسية الثامنة تحت عنوان: «دور الأوقاف والقطاع غير الربحي في الحج والعمرة» و«منصة نسك: تحسين تجربة ضيوف الرحمن» و«الطاقة الكهربائية في المشاعر المقدسة والحلول البديلة». فيما كانت الجلسة التاسعة بعنوان: «إثراء التجربة الثقافية لضيوف الرحمن» و«بيئة الحج المستدامة من خلال إدارة الموارد الفعالة وإعادة التدوير» و«شركات الحج وخدمة ضيوف الرحمن: تجارب ناجحة ٢».
معرض «اكسبو الحج» هو أكبر معرض على مستوى العالم، متخصص في طرح وتقديم الخدمات والحلول المبتكرة للارتقاء بالخدمات المقدمة لضيوف الرحمن، ويُعد منصة وبوابة للمستثمرين والمبتكرين والمهتمين بتطوير قطاع الحج والعمرة.

أهداف «اكسبو الحج»

- عقد اتفاقيات ثنائية بين وزارة الحج والعمرة في المملكة العربية السعودية وأكثر من ٥٧ دولة من ممثلي البعثات الخارجية لتعزيز أوجه التعاون وتنمية فرص الشراكة.
- توقيع اتفاقيات وشراكات استراتيجية بين المستثمرين السعوديين والعالميين.
- إلقاء الضوء على مشاريع المملكة العربية السعودية المستقبلية المتعلقة بالحج والعمرة.
- تعزيز ثقافة جودة الخدمات في منظومة الحج والعمرة.
- إطلاق خدمات ومنتجات جديدة تخدم قطاع الحج والعمرة.



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٧٧)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الرهاوي):

١- الرهاوي (ت: ٦١٢هـ):

هو أبو محمد عبد القادر بن عبد الله بن عبد الله الفهمي، بالولاء، الرهاوي ثم الحراني، عالم بالتراجم، من حفاظ الحديث.

ولد بالرها سنة: (٥٣٦هـ)، كان من موالي بني فهم الرانيين، وأعتقوه صغيرا، فنسب إليهم، طاف بلاد العراق وفارس والشام ومصر في طلب الحديث.



من أبرز مصنفاته: (كتاب الأربعين المتباينة الإسناد والبلاد) في الحديث، و(المادح والممدوح) يتضمن ترجمة شيخ الإسلام الأنصاري، وذكر من مدحه وتراجم مادحيه ومادحي مادحيه، و(رسالة في الفرائض والحساب)، وتوفي بحران[١].

٢- الرهاوي (ت بعد: ٩٤٢هـ):

هو شرف الدين يحيى بن قراجا الرهاوي الحنفي المصري، فقيه، أصله من الرها (بين الموصل والشام). ولد بمصر وأقام زمنا في دمشق، وعاد إلى مصر، من أبرز مصنفاته: (حاشية على شرح الوقاية لصدر الشريعة)، توفي بمصر[٢].

٣- الرهاوي (ت: ١٠٩٠هـ):

هو محمد الرهاوي، واعظ.

من أبرز مصنفاته: (جامع المعجزات)[٣].

٤- الرهاوي (ت: ١١١٥هـ):

هو عمر بن محمد الرهاوي، الواعظ.

من تصانيفه: (مغناطيس العلوم)[٤].

المتفق والمفترق في اسم (البجيرمي):

١- البجيرمي (ت: ١١٩٧هـ):

هو أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد البجيرمي المصري، فقيه شافعي، من المشتغلين في الحديث. وكان يسكن خانقاه سعيد السعداء، أكب على إقراء الحديث وألف فيه، من أبرز مصنفاته: (اللطائف الذوقية في الألغاز الفقهية)، و(الأسئلة النحوية)، و(إجابة الكريم الغفار لمحاجة الجنة والنار)، توفي بالقاهرة[٥].

٢- البجيرمي (ت: ١٢٢١هـ):

هو سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المصري، فقيه شافعي. ولد في بجيرم (من قرى الغربية بمصر) سنة: (١١٣١هـ) وقدم القاهرة فتعلم في الأزهر، ودرس، وكف بصره.

من أبرز مصنفاته: (التجريد لنفع العبيد) حاشية على (فتح الوهاب في شرح منهج الطلاب) لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، و(تحفة الحبيب) حاشية على (الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع) للخطيب الشربيني. وتوفي في قرية مصطية، بالقرب من بجيرم[٦].

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٤٠) ومعجم المؤلفين (٥/ ٢٩٢).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ١٦٣) ومعجم المؤلفين (٣/ ٩٩).

٣- انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ٣) (١٢/ ٩٤).

٤- انظر: هدية العارفين (١/ ٣٩٨) ومعجم المؤلفين (٧/ ٣١٠).

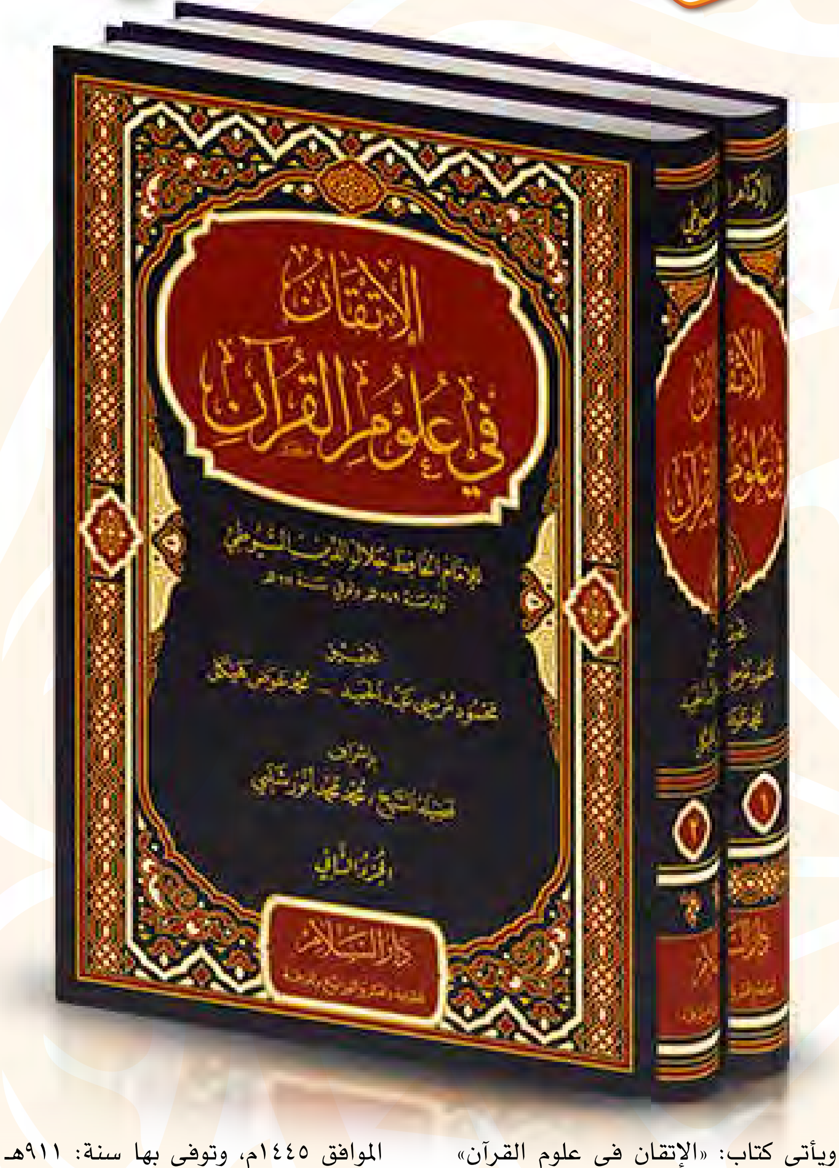
٥- انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٩٣) ومعجم المؤلفين (١/ ١٤٥).

٦- انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ١٣٣) معجم المؤلفين (٤/ ٢٧٥).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

الإتقان في علوم القرآن

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.



ويأتي كتاب: «الإتقان في علوم القرآن» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بكتاب الإتقان في علوم القرآن:

هو كتاب من تأليف جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة: ٩١١هـ)، ويعد الكتاب من أشهر ما ألف في علوم القرآن قديما وحديثا، وأكثرها فائدة، وأوسعها مادة.

التعريف بجلال الدين السيوطي:

هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي المشهور باسم: (جلال الدين السيوطي (ولد بالقاهرة سنة: (٨٤٩هـ الموافق ١٤٤٥م، وتوفي بها سنة: ٩١١هـ الموافق ١٥٠٥م)، إمام حافظ، مفسر، مؤرخ، أديب، وفقيه شافعي. له نحو: (٦٠٠ مصنف). نشأ في القاهرة يتيما؛ إذ مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها، وبقي على ذلك إلى أن توفي. وكان يلقب بـ«ابن الكتب»؛ لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب.

كان السيوطي من أبرز معالم الحركة العلمية والدينية والأدبية في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، حيث ملأ نشاطه العلمي في التأليف مختلف الفروع في ذلك الزمان من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وطبقات ونحو ولغة وأدب وغيرها، فقد كان موسوعي الثقافة والاطلاع.

أعانه على كثرة تأليفه انقطاعه التام للعمل وهو في سن الأربعين حتى وفاته، وثراء مكتبته وغزارة علمه وكثرة شيوخه ورحلاته، وسرعة كتابته، حيث بدأ التأليف وهو في السابعة عشرة من عمره، وانقطع له (٢٢) عاما متواصلة.

مؤلفاته

زادت مؤلفات السيوطي على الثلاثمائة كتاب ورسالة، عد له «بروكلمان»: (٤١٥) مؤلفا، وأحصى له «حاجي خليفة» في كتابه: «كشف الظنون» حوالي: (٥٧٦) مؤلفا، ووصل بها البعض كابن إياس إلى: (٦٠٠) مؤلف.

ومن هذه المؤلفات نذكر

من مؤلفاته في علوم القرآن والتفسير: الإتقان في علوم التفسير، متشابه القرآن، الإكليل في استنباط التنزيل، مفاتح الغيب في التفسير، طبقات المفسرين، والألفية في القراءات العشر».

من مؤلفاته في الحديث وعلومه: إسعاف المبطأ في رجال الموطأ، تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك، جمع الجوامع، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، المنتقى من شعب الإيمان للبيهقي، أسماء المدلسين، آداب الفتيا، وطبقات الحفاظ

من مؤلفاته في الفقه: الأشباه والنظائر في فقه الإمام الشافعي، الحاوي في الفتاوي، الجامع في الفرائض، تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع.

من مؤلفاته في اللغة وعلومها: المزهر في اللغة، الأشباه والنظائر في اللغة، الاقتراح في النحو، التوشيح على التوضيح، المهذب فيما ورد في القرآن من المعرب، والبهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك. وفي ميدان البديع كان له: عقود الجمان في علم المعاني والبيان، الجمع والتفريق في شرح النظم البديع، وفتح الجليل للعبد الذليل.

من مؤلفاته في التاريخ والطبقات: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تاريخ الخلفاء، الشماريخ في علم التاريخ، تاريخ الملك الأشرف قايتباي، عين الإصابة في معرفة الصحابة، ... وغيرها الكثير...

وفاته

توفي الإمام السيوطي في منزله بروضة المقياس على النيل في القاهرة، في: (١٩ جمادى الأولى سنة: ٩١١هـ- الموافق: ٢٠ أكتوبر ١٥٠٥م)، ودفن خارج باب القرافة في القاهرة، ومنطقة مدفنه تعرف الآن بمقابر (سيدي جلال) نسبة إليه.

منهج السيوطي في تأليف كتاب الإتقان

اتسم منهج السيوطي في تأليف هذا الكتاب النافع بالتلخيص والاختصار في معظم مباحثه، مما يؤكد هذه حبه لاستيعاب الأقوال في تأليفه، ولكونه جعل الإتقان مقدمة لتفسيره الكبير (مجمع البحرين) فلم يتأنق في تحبيره كما فعل في غيره من الكتب.

ويقابل هذه الظاهرة أسلوب النقل المجرد، كصنيعه في نوع إعجاز القرآن فقد سرد فيه (١٧) قولا دون تعليق، ومع ذلك فقد ظهرت مواقف تدل على ترويه وتأنيه.

- كثرة تكرار المباحث المتشابهة في مؤلفاته المتعددة - وهي صفة عند الكثيرين - فقد كرر مباحث من الإتقان في (معترك الأقران).

- ومن منهجه أنه يضيف إلى الإتقان ما ظهر له لاحقا أو توصل إليه من معلومات لم يكن أضافها سابقا.

استشهاده ببعض الأبيات الشعرية التي فيها شاهد لقوله، كما أنه يعزو الأحاديث والآثار التي ينقلها - غالبا - من مجاميع السنة والأجزاء الحديثية.

ومن منهجه أنه يوافق الزركشي في ذكر مسألة بعينها لكنه يخالفه في المصدر الذي نقل منه فقد ينقل الزركشي مسألة من كتاب الداني، ثم يذكر السيوطي نفس المسألة لكنه ينقلها من المصاحف لبن أبي داود.

أحيانا ينقل من البرهان دون ذكر اسم الكتاب أو مؤلفه ويكتفي بعبارة: (قال بعضهم) أو (وقال آخرون) وقد ورد ذلك في (٦٠) موضعا، وقد صرح باسم الزركشي أو بكتابه في (٤٣) موضعا.

ومن الكتب التي نقل منها الزركشي نصوصا: (المرشد الوجيز، النشر، عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي، البرهان، مغني اللبيب، فتح الباري)، ومعظم ما ينقله بالمعنى، فإذا نقله بنصه عقبه بقول: (انتهى)، وحين ينقل بالمعنى فقد يقع بتر في عبارته تغير المعنى المراد.

خصائص كتاب الإتقان

تميز كتاب الإتقان عن غيره من كتب علوم القرآن بإجادته في بعض أنواع علوم القرآن، كعامه وخاصه، وطبقات المفسرين، واهتمامه بالمسائل المهمة، والإعراض في الغالب عن الأمور التي لا يرى طائل تحتها.

وانتقاده لبعض الأقوال التي حكاها في كتابه، بسبب ضعف القول أو لأنه لا مستند له، أو لقصور في القول، وتصدر كثيرا من المباحث بأهم المصنفات في النوع المندرج تحته، ولقد يسر السيوطي بما جمعه سبل البحث والدراسة، كونه جمع مادة علمية يصعب على الكثير الاطلاع عليها في مظانها. ويعد الإتقان من أمهات الكتب المعتمد عليها في الدراسات القرآنية. وبهذا فقد استطاع السيوطي في كثير من أنواع علوم القرآن تلخيص كلام أهل العلم بعبارة سهلة واضحة.

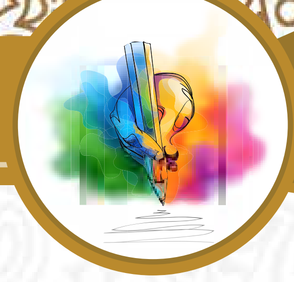
كما بلغت مصادر الإتقان (٥٠) مصدرا على وجه الإجمال، وشملت أحد عشر علما: في التفسير وعلوم القرآن والعقيدة، والفقه والأصول والسيرة، والزهد والسلوك، واللغة والتراجم العامة والخاصة، والفنون العامة. وقد نقل من بعض الكتب التي بخط مؤلفيها كجمال القراء للسخاوي، ومختصر المستدرك للذهبي.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذا الكتاب النافع القيم، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بالقرآن وعلومه.

المصادر

الإتقان في علوم القرآن.
الأعلام لزركلي.
سير أعلام النبلاء.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.



هشام الصباغ
باحث لغوي

أشبه الشعراء بالبحتري

أنور العطار

■ شاعر سوري، أحب العزلة وآثر البعد عن السياسة فتعرض للإهمال والنسيان، من القريب والبعيد، ومن العدو والصديق، ولفه التغافل، وخيم النسيان في ركابه، ولم يسمع عنه إلا القليل من مثقفي الأمة، بينما لو قيض له أن يكون عضوا في حزب سياسي، أو قريبا على نحو ما من أي بوابة سلطة لكان له شأن آخر، لكنه لم يكن.

■ اقترب في نفسيته وفي شعره من الرومانسيين، يعزف بينهم على أوتار الشعر الغنائي الذاتي، ويغني معهم أعذب الأشعار.. مقطوعاته الشعرية تنساب كترقرق الماء في الجدول الهادئ، يغلفها هدوء حزين.

■ قصائده صدحت بوصف الجمال والافتتان بجمال خلق الله.. وأسلوبه جول أنيق مشرق، فيه عذوبة ولين، وتدفق ومضاء، وهو ذو إيقاع موسيقي واضح.

■ إلى جانب عنايته بالكلمة والجملة يعنى بالفكرة.. وقد تطغى عنايته بسحر الكلمة على جمال الفكرة.. وهو في ذلك ذو شاعرية قوية، وقريحة فياضة، ولا غرو، فقد أسعفته موهبته الشعرية، وذائقته الفنية، وما حفظه في مطلع حياته من جيد أشعار العرب (زاد على عشرة آلاف بيت) فانصهر ذلك كله شعرا رقيق الديباجة.

■ شاعر الحياة التي نعرفها في الآلام والمسرات، في الحظوظ اللامعة والباكية في آن، بل لا نبالغ إن وصفناه بالقيثارة، بعض أوتارها للغناء، والأخرى للبكاء.

■ مثل صادق للأدب السوري الحديث، غير أنه ظل محافظا -كما أهله وتربيتهم- يسفر ولا يغيم، ويجدد ولا يشتط، ويستقيم ولا ينحرف.. وهو من حيث رقة الأسلوب والميل إلى الوصف أشبه الشعراء بالبحتري (كما وصفه النقاد).. إنه الشاعر الأستاذ المربي أنور بن سعيد أنيس العطار.

المولد والنشأة

■ ولد العطار سنة: (١٩١٣م)- (وقيل ١٩٠٨م) في دمشق من أسرة بعلبكية عريقة.. نشأ يتيما فقيرا فكفله أخوه الأكبر.. دراسته الابتدائية تلقاها وأكملها في مدرسة البحصة، ثم انتقل إلى مكتب عنبر (كبرى مدارس دمشق آنئذ) لإكمال دراسته الثانوية.

■ بعد الثانوية انتسب إلى دار المعلمين، حيث نال شهادة أهلية التعليم الثانوي التي أهلته للعمل مديرا لمدرسة منين الابتدائية في ريف دمشق، ثم جمع بين العمل والدراسة ليتخرج عام: (١٩٣٥م)، من كلية الآداب من قسم اللغة العربية في الجامعة السورية، وكانت شهادته هذه خامس شهادة تعطى من كلية الآداب بدمشق.

■ إبان نشأة العطار شهد حياة دمشق في عهد الدولة العثمانية ثم عاصر فترة الانتداب الفرنسي التي كانت فيها سورية متأثرة بثقافته، فأعجب بكتابات لامارتين وألفرد دو موسه، وترجم الكثير من قصائدهما نظما إلى اللغة العربية، كما أحب الشاعر أحمد شوقي وحفظ الكثير من شعره.

حياته العملية

■ صرف الشاعر أنور العطار جزءا كبيرا من اهتمامه للتربية والتعليم، فكان أول عمل له بعد تخرجه هو إدارته مدرسة ابتدائية في ريف دمشق، ثم عمل معلما ومدرسا للغة العربية وآدابها في مدارس حلب ودمشق، ثم انتدب لتدريس اللغة العربية في العراق لمدة خمس سنوات.

■ بعد انتهاء فترة انتدابه في العراق، عاد إلى دمشق وزاول التدريس والإدارة، ثم عمل مفتشا للأدب العربي بوزارة التربية في سورية.. بعدها سافر إلى المملكة العربية السعودية، حيث درّس الأدب العربي في كلية اللغة العربية في جامعة الرياض، بين عامي: (١٩٦٤م و١٩٦٦م).

■ في عام: (١٩٣٤م)، شارك العطار في تأسيس المجمع الأدبي في دمشق، وكان له شرف الانتماء إليه والإسهام في لجنته الإدارية.. كما تولى رئاسة

ديوان الإنشاء في وزارة المعارف مدة قصيرة.

■ اتصل العطار بالكاتب والمفكر محمد كرد علي، ومعروف الأرناؤوط، ومجلة الزهراء التي كان يرأس تحريرها العلامة محب الدين الخطيب، ورافق علي الطنطاوي في دمشق وفي بغداد أثناء التدريس؛ أحدهما يكتب والثاني ينظم.

علاقته بالطنطاوي

■ علاقة مميزة ربطته بالشيخ علي الطنطاوي، ففضلا عما كان من تآلف الأرواح بينهما، كانت هناك عوامل واقعية دعمت تلك الألفة؛ منها أنهما كانا طالبين في المدرسة نفسها (مكتب عنبر)، وأن ظروفهما الاجتماعية كانت على قدر كبير من التشابه فكلاهما كانا من العوائل الكريمة المعروفة وكلاهما عانيا من اليتم ورقة الحال، بل إن من تصاريف القدر أن كان والداهما يرقدان في المقبرة نفسها (مقبرة الدحداح).

■ رغم ما سبق من روابط، فإنهما لم يركنا إليها، بل تكفلا بعد ذلك بتوجيه تلك العلاقة لتزداد ترابطا يوما بعد يوم، حتى صار لا يذكر أحدهما إلا ويذكر الآخر معه، فعملا مدرسين في المدرسة نفسها، وكتبا في المجلة نفسها، واستمتعا معا بجلسات أدبية ودية.. ثم جمعتهما الغربة عندما رحلا معا ليعملا مدرسين في بغداد، وإذا كان الشيخ الطنطاوي بعد ذلك سلك دروبا في الحياة متشعبة، حتى صار أشهر من نار على علم، لم يترك بيتا إلا دخله، إما فوق صفحة كتاب أو مجلة، وإما مطلا عبر الشاشة الصغيرة، أما أنور العطار فقد ظل وفيا لأسلوبه في الحياة لم يفارقه حبه للعزلة، وعشقه لمهنة التدريس وتربية النشء حتى آخر حياته.

الاتجاه الإسلامي في شعره

■ العطار شاعر إسلامي، نشأ في أسرة متدينة، ورافق العلماء، وتربى في مساجد دمشق، فلا عجب أن تشغل الموضوعات الإسلامية مساحة واسعة من شعره، ومن ذلك: تصويره آفاق البعثة المحمدية في ديوانه «ظلال الأيام» وقد عطرت بها السماء، وأمرعت الصحراء، وأزهر القفر:

الصحارى تفتحت أحلاما
كرياض تفتحت أكماما
عبقت هذه السموات بالعطر
ورف السنا عليها وحاما
أزهر القفر وازدهى الصخر الصلد
وفاضت منه العيون سجاما
نضرته خلال أحمد فاهتز
ربيعا مزوقا بساما

■ وغمس العطار ريشة فنه ليصور لنا قيم البعثة المحمدية الإنسانية؛ فيفضي إلى بعثة الرسول ﷺ من خلال إطار من الأطياف، والرؤى العذبة، فيجدها قد فتحت العقول والبصائر، ومسحت عن القلوب الأحقاد ونوازع الشرور، وسمت بالنفوس صعدا حتى باتت أشف من النقاء، وأصفى من النور:

يا حبيب الأرواح أنت المرجى
أنت سر النجوى، وأنت الصفاء
شع منك الهدى ففاض على
الكون وضاءت بنورك الجوزاء
وصقلت العقول صقلا عجيبا
حار فيه الهداة والحكماء
وأعدت النفوس أصفى من النور
تباهى بها السنا والنقاء
رحمة تنعش القلوب ونعمى
بعثتها الرسالة الزهراء

مؤلفاته

■ كان العطار شاعرا غزير الإنتاج له الكثير من الدواوين الشعرية والدراسات الأدبية المخطوطة، منها: من دواوينه الشعرية: «ظلال الأيام»، و«ربيع بلا أحبة»، و«البواكير»، و«أشواق»، و«البلبل المسحور»، و«منعطف النهر»، و«وادي الأحلام».. وله في النثر: «الزاد» (في الأدب)، و«الوصف والتزويق عند البحتري»، و«أسرة الغزل في العصر الأموي»، و«شوقيات لم تنشرها الشوقيات».. وله دراستان: واحدة لنثر أحمد شوقي والثانية عن خير الدين الزركلي.

إسهاماته مع «الوعي»

■ للأستاذ المربي الشاعر أنور العطار ٣ مساهمات مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عناوين: «علمتني الحياة (رباعيات) (١ و٢)»، ع:٦١ و٩٠، و«شاعر الإسلام إقبال (قصيدة)»، ع:٦٦.

وفاته

■ توفي الشاعر الكبير أنور العطار صباح: (الأحد ٢٣ يوليو عام: ١٩٧٢م)، عن عمر ناهز (٦٤ عاما) إثر عملية جراحية أجراها في مستشفى المواساة، ودفن، رحمه الله، في مقبرة الدحداح في دمشق.

المصادر

- كتاب الكشاف مجلة «الوعي الإسلامي»، (ج١).
- موقع الموسوعة العربية.
- موقع بوابة الشعراء.
- موقع رابطة أدباء الشام.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد / تركي محمد النصر

جودة السبك

قال الجاحظ: (المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتمييز اللفظ وسهولته، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع: وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من الصبغ، وجنس من التصوير، وقد قيل للخليل بن أحمد: مالك لا تقول الشعر صناعة؟ فقال: الذي يجيئني لا أرضاه، والذي أرضاه لا يجيئني. فأنا أستحسن هذا الكلام).

(الحيوان ١/٤٠٨)

مخالفة الهوى

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله؛ وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفتهم الهوى).

(روضة المحبين ص/٦٤٨)

مكارم الأخلاق عشر

قالت عائشة رضي الله عنها: (مكارم الأخلاق عشر: صدق الحديث، وصدق البأس، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذل المعروف، والتذمم للصاحب، والتذمم للجار، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء).

(مواعظ الصحابة ووصاياهم ص ٣٢٩)

أربعة كتب

قال الإمام الذهبي رحمه الله: (قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام -وكان أحد المجتهدين-: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل: المحلى لابن حزم، وكتاب المغني للشيخ موفق الدين... وثالثهما: السنن الكبير للبيهقي، ورابعها: التمهيد لابن عبد البر. فمن حصل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها؛ فهو العالم حقا).

(سير أعلام النبلاء ١٩٣/٨)

طريقة القوم

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: (قال سهل بن عبد الله التستري: مذهبنا مبني على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الاعمال).

(الاعتصام ٣٥٠/٢)

خطورة العجب

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (إذا فتح الله عليك في باب قيام الليل؛ فلا تنظر للنائمين نظرة ازدراء، وإذا فتح الله عليك في باب الصيام؛ فلا تنظر للمفطرين نظرة ازدراء، وإذا فتح الله عليك في باب الجهاد؛ فلا تنظر للقاعدين نظرة ازدراء.. فرب نائم ومفطر وقاعد؛ أقرب إلى الله منك.. وإنك أن تبيت نائما وتصبح نادما خير من أن تبيت قائما وتصبح معجبا، فإن المعجب لا يصعد له عمل).

(مدارج السالكين ١/١٧٧)

مشاركة: يعقوب الجناع

علم السير والتواريخ

قال العلامة ابن الجوزي (ت: ٥٧٩) رحمه الله: (واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها ...: أنه إذا ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله؛ أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذكرت سيرة مفرط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول).

(المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١/ ١١٧)

الكلام بالخير غنيمة

ذكر عند الأحنف بن قيس: الصمت والكلام، فقال قوم: الصمت أفضل. فقال الأحنف: (الكلام أفضل لأن الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرجال تلقيح لعقولهم).

وقالوا: السكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم.

(بهجة المجالس وأنس المجالس ١/ ٥٥)

من منثور الحكم

إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء.

وقال الشعبي: العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبرا شمخ بأنفه، وظن أنه ناله، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه، وعلم أنه لم ينله؛ وأما الشبر الثالث فهيهات، لا يناله أحد أبدا.

وقال حكيم: من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم، فحسبك جهلا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم.

(أدب الدنيا والدين ص/ ٨٠)

عندما تطيب العزلة

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: (... فيه إباحة لزوم البادية، واكتساب الغنم، وأنه ينبغي للمرء أن يحب الغنم والبادية اقتداء بالسلف، وفرارا من شرور الناس، واعتزالا عنهم، ولكن في البعد عن الجماعة والجمعة ما فيه من البعد عن الفضائل، إلا أن الزمان إذا كثر فيه الشر، وتعذرت فيه السلامة؛ طابت العزلة).

(الاستذكار ٢/ ٢٨)



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

تحية إلى مجلة «الوعي الإسلامي»

تعتبر مجلة الوعي الإسلامي من أقدم المجلات الإسلامية التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، وهي مجلة شهرية تصدر غرة كل شهر عربي، وقد صدر العدد الأول منها في غرة شهر محرم ١٣٨٥هـ الموافق شهر مايو ١٩٦٥م، وقد أسسها وترأس تحريرها الدكتور عبدالمنعم أحمد النمر مدير إدارة الدعوة والإرشاد، وأشرف عليها سعادة وكيل الوزارة آنذاك عبدالرحمن عبدالله المجحم، وتوزع معها مجلة الأطفال -براعم الإيمان- ومن أهدافها العمل على تعزيز الخطاب الإسلامي الإعلامي الوسطي وترسيخ قيم الاعتدال والفهم الصحيح للدين الإسلامي الحنيف.

وقد قمت بزيارة مقر المجلة قبل بضع سنين في أحد مباني مجمع مسجد الدولة الكبير، والتقيت برئيس تحريرها آنذاك الدكتور صالح النهام، واطلعت على النشاطات المختلفة التي تحتويها المجلة، ويشارك في تحريرها وكتابة المقالات فيها نخبة من المختصين في مواضيع وأبحاث قيمة تعكس أهداف المجلة في خدمة الإسلام والمسلمين، وقد أبديت إعجابي وتقديري لرئيس التحرير وجميع العاملين في المجلة ونشاطهم المتميز، ومن ذلك الوقت تصلني أعداد المجلة بانتظام.

وتجب الإشارة إلى أن مجلة الأطفال -براعم الإيمان- تحتوي على مواضيع ومعلومات يستفيد منها الصغير والكبير وطلاب العلم والمعرفة بأسلوب تربوي للنشء يثري معلوماتهم ويوسع مداركهم ولا يقتصر على مناهج الكتاب والسنة والقيم والمبادئ الإسلامية فقط، بل يتعداها إلى الجغرافيا والتاريخ وإنجازات العلماء المسلمين وقصص اجتماعية هادفة.

لذلك أرى من الواجب أن أسجل شكري وتقديري وتحياتي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والقائمين على إصدار هذه المجلة والمجلة المرادفة معها -براعم الإيمان-، وخاصة رؤساء التحرير الذين تعاقبوا في العمل بهذه المجلة وجهودهم المميزة في إخراج هذه المطبوعات في طابعها الإسلامي المشرف، والشكر موصول لجميع الكتاب والصحافيين العاملين فيها. كذلك النشاط البارز الذي يبديه رئيس تحريرها الحالي الأخ الفاضل فهد محمد الخزي في تطويرها وسعة انتشارها ومواضيعها المفيدة للجميع.

والجدير بالذكر أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لديها إصدارات مختلفة أخرى وتنظم وتشرف على مسابقات إسلامية محلية وعالمية وتوزع الشهادات والجوائز على الفائزين.

نسأل الله التوفيق والسداد لجميع المخلصين لخدمة الإسلام والمسلمين.. إنه سميع مجيب.

● **محمد سعود البدر**

لعلها لم تستيقظ بعد

متعجلا..

لملم أوراقه بعد انتهاء ساعات العمل، ومهرولا نزل من الطابق الخامس إلى الطابق الأرضي في ثوان معدودة، يبدو أن شيئا ما جعله لا يهتم بمتاعب ركبتيه، وأنه كان يئن منها لمجرد طلوعه طابقا واحدا، حتى أنه كان ينتظر المصعد كل يوم، استقل أول أتوبيس توقفت أمامه، ظل واقفا طوال الطريق، لم يبال بالزحام، ولم يطلب من أحد الجلوس مكانه، بسبب أوجاع ركبتيه التي أدمن تسكينها بالأدوية، لم يلتفت يمينا أو يسارا، ظل واقفا ينظر للفضاء البعيد، يتأمل من خلال النافذة أشياء لا وجود لها إلا في خياله، يتعجل الطريق، كمن يريد اللحاق بموعد ما، قطع شريط أفكاره بائع التذاكر وهو يقول: تذاكر. أخرج ثمن التذكرة في هدوء، ثم عاود النظر للفضاء البعيد، قبل أن يعلن السائق عن اسم المحطة القادمة، فقد يكون من بين الركاب غريب لا يعرف الطريق، صارع من أجل الوصول إلى الباب الأمامي، هبط وقد شعر بانفراجة، وكأن العالم قد فتح له زراعيه.

اتجه ناحية أحد محلات الحلويات القريبة من المنزل، الوقت مازال فيه متسع لشراء بعض الحلوى وتورتة صغيرة، استدار برأسه لأعلى، ينظر إلى الطابق العلوي، شباكه مازال مغلقا، تمتم في صمت: لعلها لم تستيقظ بعد، صعد درجات السلم سريعا، لم تنازعه اليوم أنفاسه المتقطعة، لم يرتكن إلى درابزين السلم ليساعده في الصعود، أدار مفتاح الباب، تعمد ألا يشعر به أحد، وضع التورتة على الطاولة وراح يتفحص أرجاء الشقة بحثا عنها، هي ليست هنا، يبدو أنها خرجت لشراء هدية كعادتها دون أن تخبرني وتجعلها مفاجأة، أو أنها ذهبت إلى مصفف الشعر، أنا أيضا سوف أفاجئها بمهارتي في الطبخ وإعداد السفرة.

نظر إلى ساعة الحائط، دقت الساعة السابعة، لقد تأخرت كثيرا، رائحة الطعام تغزو أوردتي، وضع أطباق الطعام على السفرة، تتوسطها التورتة والشموع، مازال يشعر بأن شيئا ناقص، بالفعل أضاء الشموع، أطفأ الأنوار استعدادا لوصولها، استلقى على كرسي يشاهد التلفزيون، نظر إلى ساعة الحائط مرة أخرى، تململ في جلسته، أرهقه الانتظار طويلا، استسلم لنداء جسده قليلا من النوم، أيقظته دقات يد متسارعة على الباب، ليفاجأ بابنته الوحيدة وزوجها، حدق طويلا في وجهها، نظرت إلى طاولة السفرة، التورتة والشموع، انهمرت دموعه ساخنة على وجنتيه، احتضنته وهي تبكي وتقول: «كل سنة وأنت طيب يا بابا»، بينما راح هو بعينيه يتأمل صورتها على الحائط.

● **مراد ناجح عزيز**

المشاورة في الحياة الأسرية

بما أن الأسرة هي أساس كل مجتمع فجدير أن تبنى على أفضل المعايير والسجايا، وكلما نقصت من أمرها ازداد تدهور الأمم على مر العصور. فلا يتم بناء أسرة مثالية إلا اذا طبقت معايير المشاورة والتفاهم في أفرادها. وجل الأخبار اليومية وراء انهيار النظام الأسري ينم عن تقليل شأن المشاورة أو التجاهل بها من حيث يستقل كل برأيه ولا تسعه آراء الآخرين من العائلة نفسها وبعكسه، فلا يلبث أن تزيد بينهم المشاكل غليانا تذوب فيها العاطفة والمشاعر ومن ثم تتحول إلى عصبية وكراهية تؤديان بالأسرة إلى هاوية الهلاك الأبدي. ومن أجل ألا يحدث في الأسرة ما لا يستطيبه القلب قد تم التذكير بأهمية التشاور في أمر الرضاعة حيث قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة:٢٣٣).

ومن يدري..!! لعل المشكلات الهائلة التي تحول بين الزوجين تحل عقدها بتبادل كلام لا يزيد على دقيقتين، والصمت المديد للسنوات الطويلة بين الإخوة والأولاد تكسره ابتسامة أو سلام من أحدهم للآخر.

فيمكن للزوج إذا ارتابه أمر ما أن يتشاور مع زوجته قبل أن يحل بنفسه الأمر ويصل إلى النتيجة السيئة عواقبها، وللولد أن يسمع من والديه النصائح فيما يتعلق بمستقبله لتتأثر تجربتهما العظيمة بمراحل حياته.

● **محمد شهيد**

مِسكُ الختام

كثرة النقد بلاء

ما أحسن النقد حين يكون بناء، وما أجود التعليق حين يكون دافعا إلى الأفضل، محفزا على التقدم والتطوير، باعثا للهمم، مشجعا على المزيد، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ولا يبلغ البنيان التمام إلا بتضافر الجهود والتشاور والتناصح.

وما أسوأ النقد حين يغدو بلاء، وداء عياء، لا نجاة منه ولا شفاء.

إذ إن بعض الناس يستمرئ أمر النقد، ويبالغ في تتبع الهفوات والأخطاء، ويغلو في تكبير الهنات، فترى أحدهم لا هم له إلا إبراز أخطاء الدعاة أو الكتاب أو الخطباء، كأنه موكل بتتبع عثرات الناس، وفضح خباياهم، والوقوف على عوراتهم.

وهو في هذا كله يحسب أنه يحسن صنعا، ويفعل خيرا، ويكشف ضرا، ولا يدري أنه يسيء من حيث يظن أنه يحسن، ويضر من حيث يظن أنه ينفع، ويفضح من حيث يظن أنه ينصح.

وإذا ما اختبرت هذا المنتقد وجدته فارغا من كل شيء، لا يكاد ينفع الناس بشيء، ولا يشارك في بناء شيء، فتعجب والله لأمره، ولا تملك إلا أن تقول له ما قاله المتنبي لنفسه:

لا خيل عندك تهديها ولا مال — فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

وإذا عجزت يا أخي عن النطق بما يسعد وما يسر فالسكوت أولى بك، وأدب المصطفى صلى الله عليه وسلم أخلق بالاتباع حيث قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

والصمت أجمل بالفتى — من منطق في غير حينه

لا خير في حشو الكلام — إذا اهتديت إلى عيونه

كل امرى في نفسه أعلى — وأشرف من خدينه

والحق أن البيت الأخير من هذه الأبيات يصور مكمن العلة عند هؤلاء؛ لأنهم يظنون أنفسهم فوق الآخرين، ويبرئون أنفسهم مما يتهمون به الآخرين، وهي علة وبيلة من علل النفوس المريضة، يحتاج المبتلى بها إلى علاج سريع قبل استفحال دائه واليأس من شفائه.

ولعل من صور العلاج أن يحسن المرء الظن بالآخرين، ويلتمس لهم المعاذير.

تأن ولا تعجل بلومك صاحبا — لعل له عذرا وأنت تلوم

ومن صور العلاج أن يحاول المرء صنع ما يفيد، وتأليف ما ينفع، وسد الثغرات التي ينبغي أن تسد.

يا أيها المولع بالنقد، يا من لا يعرف إلا الهدم! قل لي بربك: أي كتاب ألفت؟ وأي مقال حبرت؟ وأي خير فعلت؟ وأي نفع قدمت؟!

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى — وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا شدوا

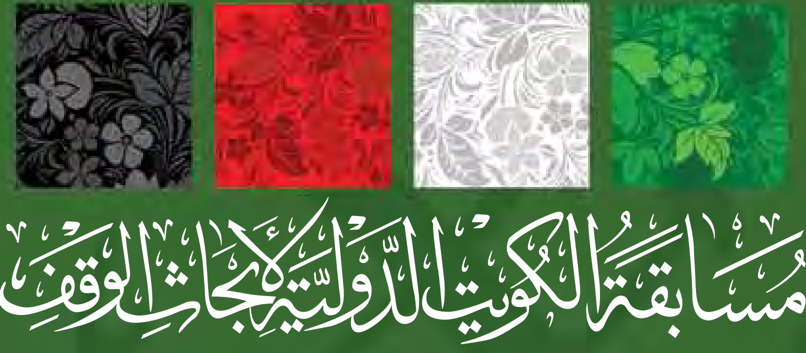
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم — أو سدوا المكان الذي سدوا

أ.د. محمد حسان الطيان
كلية القانون الكويتية العالمية









مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف

الدورة الثالثة عشرة

(١٤٤٣ - ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٢ - ٢٠٢٣م)

تحت رعاية كريمة من سمو ولي العهد الشيخ

مشعل الأحمد الجابر الصباح

تدعو الباحثين والمهتمين بشؤون الوقف إلى المشاركة في تقديم أبحاثهم ضمن موضوعات المسابقة

تُجرى المسابقة في ثلاثة مواضيع، يختار الباحث أحدها:

الموضوع الأول: مخالفة شرط الواقف للحاجة أو الضرورة (تأصيلاً، وتفريعًا)

الموضوع الثاني: دور الوقف في تحقيق الأمن الغذائي

الموضوع الثالث: توظيف التكنولوجيا المالية في تنمية الوقف واستثماره

شروط المسابقة:

١- يحق للباحثين: (الأفراد- المجموعات- المؤسسات العلمية) المشاركة في المسابقة.

٢- تُقدم الأبحاث بإحدى اللغات الثلاث (العربية، الإنجليزية، الفرنسية)، بشرط أن يكون البحث مصحوبًا بترجمة كاملة إلى العربية.

٣- ألّا يقل البحث عن (٩٠) صفحة ولا يتجاوز (١٠٥) صفحات.

٤- الالتزام باستيفاء الكتابة في العناصر الاسترشادية، كحد أدنى، وللباحث أن يضيف ما يراه مفيدًا ومثريًا، بحيث يكون له علاقة بموضوع البحث.

٥- الالتزام بشروط البحث العلمي مع مراعاة المنهج النقدي، ومناقشة وجهات النظر المختلفة حول موضوع البحث، مع التوثيق العلمي للآراء وفقًا للقواعد المتعارف عليها.

٦- المعايير الأساسية لتحكيم الأبحاث هي: سلامة المنهج العلمي، وتسلسل الأفكار، ووضوح العرض، والقدرة على ربط النتائج بالمقدمات، وسلامة لغة البحث.

٧- يحق للأمانة العامة للأوقاف حجب أي من الجوائز إذا لم ترقَ الأبحاث المقدمة إلى المستوى المطلوب، وهي غير ملزمة برد الأبحاث التي تصلها، سواء أكانت فائزة أم غير فائزة.

٨- يحق للأمانة العامة للأوقاف سحب الجائزة من الأبحاث الفائزة، التي يتبين مخالفتها للقواعد العلمية.

٩- الأبحاث التي تخالف الشروط السابقة لا تدخل تحكيم المسابقة.

١٠- ألّا يكون البحث قد سبق أن حصل على جائزة أخرى أو على شهادة علمية، ويحق للأمانة العامة للأوقاف سحب قيمة الجائزة إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقًا، أو قدم إلى جهة أخرى لغرض آخر أو كان مستلًا من رسالة علمية.

١١- لا يحق للفائزين نشر أبحاثهم الفائزة بأنفسهم، أو التصرف فيها للغير إلا بموافقة خطية من الأمانة العامة للأوقاف.

١٢- تُقدم الأبحاث مطبوعة على الكمبيوتر بحجم ورق A4 وفقًا للتخطيط المعتمد للصفحة، الذي هو على النحو الآتي:

أ- هوامش الصفحة: - الفراغ أعلى الصفحة وأسفلها: ٢,٥٤ سم. - الفراغ يمين الصفحة ويسارها: ٣ سم.
ب - الخط في المتن: - نوعية الخط: Traditional Arabic. - حجم الخط: 18 Bold للعناوين، 16 للكتابة. - المسافة بين الأسطر: single.
ج- الخط في الهامش المرجعي أسفل الصفحة: - نوعية الخط: Traditional Arabic. - حجم الخط: ١١. - المسافة بين الأسطر: single.

١٣- يرفق مع البحث السيرة الذاتية لصاحبه + صورة شخصية.

١٤- تُقدم أصول الأبحاث في موعد أقصاه ١٥ صفر ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٠٢٣/٨/٣١م.

١) الحصول على نسخة من الكتيب التعريفي لموضوعات المسابقة، وعناصرها الاسترشادية، من خلال الموقع الإلكتروني للأمانة العامة للأوقاف: http://www.awqaf.org.kw .

٢) إرسال نموذج الاشتراك في المسابقة، والسيرة الذاتية إلى (إيميل) المسابقة لأخذ الموافقة على الكتابة، ومن ثَمّ ترسل الأبحاث إلى الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، من خلال البريد الإلكتروني لإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية: serd@awqaf.org
serd.kwt@gmail.com

٣) لمزيد من المعلومات حول المسابقة يرجى الاتصال على:
هاتف: ٢٢٠٦٥٣٩١-٢٢٠٦٥٤٥٦-٢٢٠٦٥٧١٣-٢٢٠٦٥٤٥٢
(الرمز الدولي: ٠٠٩٦٥).
فاكس: ٢٢٥٤٢٥٢٦ (٠٠٩٦٥).

جوائز المسابقة:

تقسم جوائز المسابقة إلى ثلاث جوائز لكل موضوع على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: (٦) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثانية: (٥) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثالثة: (٤) آلاف دولار أمريكي.

العدد (٦٩٦) شعبان/ رمضان ١٤٤٤هـ -مارس ٢٠٢٣م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

رمضان شهر العفو

أمّة الجسد الواحد

الكويت لمتضرري الزلزال: نحن بجانبكم

لبيك اللهم عمرة

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

مجلة الوعى الإسلامى

www.alwaei.gov.kw



alwaeiq8@gmail.com



موقع مجلة الوعي الإسلامي





فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

رمضان.. شهر التضامن والألفة

شهر مضان، شهر البركة والإحسان، أقبل بخيراته التي لا تنتهي ليصقل الإيمان في وقلوبنا، ويعطينا دروسا في البر والطهر والنقاء والإخاء والتكاتف والتعاضد، فنرتوي من نميره العذب، ونرتشف من رحيقه، فرمضان فرصة سانحة للمفرطين، وحصن حصين للطائعين، فيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفد الشياطين، قال في النبي ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

رمضان ضيف عزيز، تشحذ فيه الأرواح، وتصلح فيه النفوس، وتكبح فيه الشهوات، فقدومه فضل من الله على هذه الأمة، خصص لها فيه من العطايا والهبات والخصائص والميزات ما لم تحظ به أمة من الأمم قبلها ولا بعدها، فهو الفترة السامية للروح، هذه الفترة التي تصلح الأمة أوضاعها المتخلخلة، وتراجع قراءة أمجادها وتاريخها المشرق، وتعمل على تعبئة إيمانية تهذب فيها الأخلاق، وتقوى فيها الإرادة؛ لتحقيق الوحدة والمحبة والتماسك والتعاضد، ولاسيما في هذه الأيام التي يواجه فيها العالم أجمع الأوبئة والزلازل والمحن التي تسببت في إزهاق الأرواح، وخلخلة الاقتصاد، وفرض ظروف استثنائية لم يسبق لها مثيل على المدى المنظور.

وفي خضم هذه الأوضاع الاستثنائية؛ أقبل شهر رمضان ليهيئ الأمة لمواقف التضامن والإخاء ووقوف الأخ بجانب أخيه في المحن والبلايا والرزايا، والشعور بحال المحتاجين؛ فتصفو الروح، ويرق القلب، وتصلح النفس، وترهف المشاعر من خلال استلهام أحكام الصيام والإفادة من معطياته، والنهل من معين بركاته وخيراته.

هذه المعاني العظيمة رأيناها متجسدة في كثير من المجتمعات المسلمة، وأخص بالذكر منها بلدي الكويت الذي تظافرت فيه الجهود، ورأينا تعاليم ديننا الحنيف تطبق عمليا على أرض الواقع في ظل هذه الظروف الاستثنائية التي يعيشها العالم؛ حيث استنفرت الدولة وزاراتها ومؤسساتها للحفاظ على مجتمع متماسك متعاضد، ليكون نواة يعين على تماسك الدولة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وأمنيا، رأينا في هذه الأوبئة والكوارث والمحن كيف ساهمت الدولة في تخفيف الألم عن المتضررين في محيطنا العربي والإسلامي، وأخذ كل فرد من أفراد المجتمع على عاتقه المسؤولية التي يؤدي من خلالها دوره كفرد صالح في هذا المجتمع الطيب الذي يضرب أروع الأمثلة في التضامن والتماسك وبذل الخير بمختلف طرقه، وخصوصا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي قامت بدورها في تثبيت الإيمان في القلوب، والتحذير من الخوف والهلع، وذلك من خلال توعية الناس وحثهم على الصبر والعطاء، وتوعيتهم بما يجب عليهم في ظل هذه الظروف التي يعيشها العالم أجمع.

تعيش الكويت -بفضل الله ومنه وكرمه- في رغد من العيش الكريم، وإننا لنسأل الله أن يعيننا على شكر هذه النعمة، ومن أشكال الشكر ما رأينا من أهل الكويت وشبابها وشيبها من تماسك في الحفاظ على دولتهم ومجتمعهم، ومشاركتهم في تخفيف المعاناة عن إخوانهم العرب والمسلمين من مناطق الكوارث والزلازل والمحن، يشاركهم في هذا إخوانهم المقيمون معهم في هذه البلاد المباركة، في مشهد تعاوني إيماني واجتماعي يجسد قول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم.

نسأل الله أن يحفظ الكويت وبلاد المسلمين والعالم من كل شر وبلاء.. اللهم آمين.



مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٩٦/ شعبان . رمضان ١٤٤٤ هـ
العام الستون
مارس ٢٠٢٣م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

● المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	● السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
● مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	● لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
● قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	● المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
● الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	● تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
● سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	● فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
● الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	● لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
● مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	● كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

● الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٥ ريالات ● البحرين: ٥٠٠ فلس ● قطر: ٥ ريالات ● الإمارات: ٥ درهم
● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن: دينار واحد ● مصر: ٥ جنيه ● السودان: ٠,٥ جنيه ● لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
● المغرب: ١٠دراهم ● تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

إيمان مع صالحات

نقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ في عشرة مواضع في القرآن الكريم (البقرة: ٢٧٧، ويونس: ٩، وهود: ٢٣، والكهف: ٣٠، والكهف: ١٠٧، ومريم: ٩٦، ولقمان: ٨، وفصلت: ٨، والبروج: ١١، والبينة: ٧) وهذا إن دل فإنما يدل على أن الإيمان مقترن بالعمل الصالح، وكأنهما وجهان لعملة مباركة واحدة.

والصيام عبادة فرضها الله تعالى على عباده المؤمنين شهرا واحدا في العام، لكن البعض ينأى بالصوم عن العمل ولا ينتبه إلى أن الله لا ينظر إلى صورنا وأجسامنا، لكنه عزوجل ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا، ورب صائم لا يناله من صومه إلا الجوع والعطش.

ولو تخيل الصائم أن عليه واجبا مضاعفا في هذا الشهر الفضيل وأن له أجرا عظيما بمشيئة الله لفعل ما لم يفعله في رمضان، ولتبسم في وجه الجميع، ولسعى في قضاء حاجة أخيه المسلم، ولكان قدوة ينظر إليها حتى غير المسلم، ليعرف كيف يحسن الإسلام سلوك من يعتنقه.. وكيف يكون الإيمان مع العمل الصالح.. صوما مقبولا وعملا صالحا إن شاء الله.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت: للأفراد ٧،٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك باسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. عبد الله رمضاني
باحث في الفكر والتربية والأدب



مبادئ التعلم في القرآن الكريم

لقد زود الله تعالى الإنسان، فضلا منه، باستعداد فطري للتعلم واكتساب العلوم والمعرفة والمهارات وغيرها مما يزيد من قدرته على تحمل مسؤولية الحياة على الأرض وعمارتها، ومما يمكنه من تنمية قدراته ومهاراته...

يكتسب الإنسان العلم أو المعرفة من مصدرين رئيسين، هما: مصدر إلهي الذي يأتينا مباشرة عن الله تعالى عن طريق الوحي. ومصدر بشري وهو العلم الذي يتعلمه الإنسان عن طريق التربية والتعليم من المؤسسات التعليمية أو غيرها، أو عن طريق البحث العلمي.

إن عملية التعلم تتم بنجاح إذا توافرت مبادئ معينة، والعكس صحيح. وإذا درسنا المنهج الذي اتبعه القرآن في دعوته لعقيدة

التوحيد، وفي تربيته للمؤمنين على المبادئ والقيم الإسلامية، سنرى أن هذه المبادئ التي استخدمها القرآن في التربية الروحية للمؤمنين لم يكشف علماء النفس عن أهميتها في عملية التعلم إلا في أوائل القرن العشرين. وسنحاول من خلال هذا المقال المتواضع أن نستعرض أبرز مبادئ التعلم في القرآن.

توزيع عملية التعلم

لقد بينت الدراسات التجريبية التي قام بها علماء النفس المحدثون أن توزيع التعلم على فترات تفصل بينها مسافة زمنية، وتتخللها راحة، يساعد على سرعة التعلم وترسيخه في الذاكرة، وأن هذا النوع من التعلم يكون فعالا ومجديا من التعلم الذي يتم في فترة زمنية متصلة غير مصحوبة بفترات راحة. وقد طبق هذا المبدأ في القرآن الكريم، إذ إنه نزل على فترات متباعدة في مدة طويلة قدرها ثلاث وعشرون سنة، وقد ساعد ذلك الناس على إتقان تعلمه وحفظه وفهمه. ولو كان نزل كله دفعة واحدة لاستعصى تعلمه، وفهم ومعانيه وأغراضه: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾(الإسراء:١٠٦).

التدرج في تعديل السلوك

إن التخلص من بعض العادات السيئة التي استقرت في سوكنا ليس بالأمر السهل بالنسبة لكثير من الناس، فهو يحتاج إلى إرادة قوية، وجهد كبير، ومران طويل، وهذا أمر قد لا يتحمله كثير من الناس. ولذلك فإن الطريقة المثلى للتخلص من تلك العادات أن نعمل على التخلي عنها تدريجيا.

أ- علاج شرب الخمر

اتبع القرآن الكريم في علاج مشكلة شرب الخمر التي كانت قد تمكنت من نفوس المسلمين منذ العصر الجاهلي، أسلوب التدرج، بدءا من تنفير المسلمين من شرب الخمر، وتكريههم لها، دون أن يلجأ إلى تحريمها بشكل تام، ثم تدرج بهم إلى التحريم النهائي القطعي. وقد ورد ذلك في القرآن الكريم عبر مراحل على الشكل التي تشير إليه الآيات القرآنية التالية:

المرحلة الأولى

ذكر أن مضار الخمر من منافعها مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾(البقرة:٢١٩).

المرحلة الثانية

الامتناع عن شرب الخمر في أوقات الصلوات الخمس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء:٤٣).

المرحلة الثالثة

الامتناع النهائي عن شرب الخمر (التحريم).

لقد جعلهم التدريب السابق مستعدين نفسيا للانتقال إلى المرحلة التالية وهي الامتناع نهائيا عن تعاطي الخمر، وذلك حينما نزلت الآية التي حرمت الخمر تحريما تاما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

إن هذا الأسلوب في التدرج في تحريم الخمر عمل على إضعاف حب المسلمين لها تدريجيا، وأحل محله استجابة معارضة له، هي استجابة الإعراض والمقت. وقد تمت هذه العملية تدريجيا، وتكللت بنجاح تام [(١)].

ب- علاج التعامل بالربا

وقد اتبع القرآن الأسلوب ذاته في علاج الربا الذي كان شائعا بين العرب في الجاهلية. ويمكن أن نجمل المراحل التي مرّ بها تحريم الربا[(٢)] في الآتي:

- المرحلة الأولى: أبان الله تعالى عدم رضاه عن الربا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾(الروم:٣٩).

- المرحلة الثانية: نزلت آية تحمل في طياتها وعيدا لليهود بسبب ممارستهم للربا، وإن لم يكن نصا صريحا بالتحريم: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ۝١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٦١﴾ (النساء:١٦٠-١٦١).

- المرحلة الثالثة: حرّم الله تعالى الربا الفاحش الذي كان

متفشيا بين العرب في الجاهلية، وذلك بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(آل عمران:١٣٠).

- المرحلة الرابعة: حرّم الله تعالى الربا تحريما قاطعا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ (البقرة:٢٧٨-٢٧٩).

يتبين مما سبق أن التحريم القاطع للربا قد نزل بعد أن استقر الإيمان في قلوب المسلمين، وترسخ في أفئدتهم، واقتنعت به ألبابهم وعقولهم.

والأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم في علاج الخمر والربا هو التكوين التدريجي لاستجابة الإعراض والمقت لهما حتى تصل إلى درجة من القوة يمكنها أن تتغلب على استجابة النزوع إليهما.

وقد توصل بعض المعالجين النفسيين حديثا إلى أسلوب التدرج في العلاج النفسي مستقاة من أبحاث سكنر، ويعرف هذا الأسلوب في العلاج النفسي بـ (التشكيل). وهو يشبه كثيرا الأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم من قبل في علاج تعاطي الخمر والتعامل بالربا. فمثلا، إذا أردنا أن نعلم الطفل استجابة صعبة، فإنه يمكن أن نقوم بتكوين هذه الاستجابة لديه تدريجيا مع تحفيزه على ذلك ببعض المحفزات، كإعطائه بعض الأشياء التي يحبها ويفضلها ويرغب في الحصول عليها[٣].

وقد اتبع جوزف وولبه أيضا طريقة التدرج في علاج الخوف المرتبط بأشياء معينة، وذلك عن طريق تكوين استجابة معارضة للخوف والتخلص منه، كالاسترخاء لسلسلة متدرجة من الأشياء المماثلة للشيء الأصلي المثير للخوف، ولكنها ترتب في نظام متدرج من أقلها إثارة للخوف إلى أكثرها إثارة له، وبحيث يكون الشيء الأصلي المثير للخوف والمطلوب علاج الفرد منه في أعلى السلسلة[٤].

الدوافع

للدوافع أهمية كبيرة في عملية التعلم. وقد بينت دراسات كثيرة أجريت على الحيوان والإنسان أهمية الدوافع في حدوث التعلم. وقد استخدم القرآن الكريم في تربيته الروحية للمسلمين أساليب مختلفة في إثارة دوافعهم إلى التعلم. ويمكن إجمال هذه الدوافع في الآتي:

أ- إثارة الدافع بالترغيب والترهيب

لقد اهتم القرآن الكريم في دعوته إلى الإيمان بعقيدة التوحيد بإثارة دوافع الناس بترغيبهم في الثواب الذي سيحظى به المؤمنون في نعيم الجنة، وبترهيبهم من العقاب أو العذاب الذي سيلحق بالكافرين في نار جهنم. وقد عبر القرآن عن ذلك بمجموعة من الآيات البينات، نذكر منها يأتي:

- ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(البقرة:٨١-٨٢).

- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾(المائدة:٩-١٠).

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾(الحج:٥٠-٥١).

وقد أثبتت التجارب الكثيرة التي أجراها علماء النفس المحدثون هذه الحقيقة. لأن الإنسان ميال بطبعه إلى تعلم الاستجابات أو الأفعال التي تؤدي إلى الحصول على الثواب، وإلى تجنب الاستجابات والأفعال التي تؤدي إلى الفشل والعقاب.

ب- الاستعانة بالأحداث العامة

من أبرز العوامل التي استخدمها القرآن كذلك في إثارة الدافع وقوع بعض الأحداث أو المشكلات الهامة التي تمر بالمسلمين لتعليمهم بعض العبر المفيدة لهم في حياتهم. ومن الطبيعي أن يكون المسلمون في أوقات حدوث هذه الوقائع المثيرة لوجدانهم أكثر تهيؤا، وأكثر قبولا لتعلم العبرة واستيعابها[٥].

ومن أمثلة ذلك، ما حدث في غزوة حنين حينما ظن المسلمون أن قوتهم وكثرتهم ستجعلهم ينتصرون على أعدائهم فاطمأنوا لذلك، ونسوا مشيئة الله القاهرة، فأراد الله

تعالى أن يعلمهم أن الكثرة لا تؤدي حتما إلى النصر، وإنما ينصر الله من يشاء من عباده الأتقياء حتى ولو كانوا قلة[٦]. يقول الله عز وجل في هذا الشأن: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (التوبة:٢٥-٢٦).

ج- إثارة الدافع بالقصص

تعتبر القصص من أهم الوسائل التي استخدمها القرآن لإثارة الدافع قصد التعلم، لما تشتمل عليه من إثارة وتشويق لدى المستمعين. وكان القرآن الكريم يبث في ثنايا القصص أغراضا دينية عقدية، أو عبرا وحكما ذات أبعاد تربوية هادفة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف:١١١).

ومما يلاحظ في بعض قصص القرآن أنها، تارة تبدأ بذكر ملخص القصة قبل سرد تفصيلاتها كما هو واضح في قصة أصحاب الكهف، أو تبدأ بذكر عاقبة القصة ومغزاها قبل إيراد تفصيلاتها كما هو ملاحظ في قصة موسى عليه السلام، وذلك يؤدي إلى تشويق المستمعين وإثارة انتباههم لتتبع تفصيلات القصة لمعرفة كيف تحققت هذه الغاية[٧].

إن ما يمتاز به القصص القرآني من جمال فني يجعل ورود الأغراض الدينية إلى النفس أيسر، وتأثيرها في وجدانهم أعمق[٨].

عملية التكرار

مما يلاحظ من خلال كثير من الآيات القرآنية الكريمة تكرار بعض الحقائق المتعلقة بالعقيدة والأمور الغيبية كعقيدة التوحيد والإيمان بالبعث ويوم القيامة والحساب والثواب والعقاب في الحياة الآخرة، والغرض من ذلك تثبيت تلك الحقائق في أذهان الناس. ومن أمثلة تكرار عقيدة التوحيد ما جاء في سورة النمل من تكرار عبارة: (أإله مع الله) خمس مرات حتى تثبت هذه العقيدة في الأذهان[٩].

كما تكررت الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد أربع مرات في سورة هود[١٠]. وفي القرآن الكريم أيضا تكرار آيات تتحدث عن الأمور الغيبية السالفة الذكر، ويهدف من تكرارها إلى تثبيت الإيمان بها في النفوس، وإلى ترسيخها في الأفئدة[١١].

والتكرار، عادة، يثبت التعلم سواء ما كان يتعلمه الإنسان عادة حسنة أم سيئة. وقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى ما عاناه الأنبياء عبر جميع الأحقاب والعصور من صعوبة في إقناع المشركين بعقيدة التوحيد بسبب تمسكهم بعبادتهم القديمة التي ترعرعوا وشبّوا عليها.

وفي هذا السياق، نجد دراسات علماء النفس المحدثين تبين أهمية التكرار في عملية التعلم. وقد فطنت المؤسسات التجارية والصناعية إلى أهمية التكرار، فراحوا ينفقون أموالا طائلة على الإعلانات التجارية قصد التأثير في اتجاهات الناس لترويج سلعهم ومنتجاتهم التجارية[١٢].

المشاركة الناجعة

يتضح هذا المبدأ من خلال الأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم في تعليم المسلمين الخصال النفسية الحميدة، والأخلاق الفاضلة عن طريق تدريبهم العملي عليها بما كلفهم القيام به من عبادات مختلفة. وقد عني القرآن الكريم عناية فائقة، إلى جانب تعليم المسلمين الإيمان والعقائد الدينية، توجيههم إلى العمل الصالح. وقد ورد الإيمان في آيات كثيرة مصحوبا بالعمل الصالح، ومن أمثلة ذلك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٢٧٧).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:٩).

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (طه:٨٢).

وليست الممارسة العملية مهمة فقط في تعلم المهارات الحركية، بل إنها مهمة أيضا في تعلم العلوم النظرية، وفي تعلم السلوك الخلقي والقيم وآداب السلوك الاجتماعي. وقد بينت نتائج إحدى الدراسات

التجريبية أهمية المشاركة الفعالة في عملية التعلم[١٣].

إثارة الانتباه

يعتبر الانتباه عاملا مهما في عملية التعلم، ولذلك فإن المعلمين والمربين يحرصون دائما على إثارة انتباه تلاميذهم حتى يمكنهم استيعاب الدروس وفهمها وتعلمها. وقد نوه القرآن الكريم بأهمية الانتباه في استيعاب المعلومات وذلك في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق:٣٧).

ويشير القرآن الكريم كذلك إلى أهمية الانتباه حينما ذكر أن القيام بعد النوم يجعل الإنسان أكثر انتباها لمعاني القرآن، وأكثر تفهما لها. يقول تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[١٤].

وفي موضع آخر أشار القرآن إلى أهمية الانتباه في التعلم بقوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٤).

ومما يشد الانتباه ويسهل عملية التعلم عرض المعاني المجردة بطريقة مبسطة وموضحة وذلك بتمثيلها بأمور محسوسة حتى يمكن إدراكها وفهمها.

والقصص والأمثال في القرآن الكريم إنما هي أساليب استخدمها القرآن لتجسيد المعاني العقدية للدعوة الإسلامية وتقريبها إلى الأذهان[١٥].

ومما ورد في القرآن الكريم في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ (إبراهيم:١٨).

ومن أمثلة ذلك أيضا المثال الذي شبه به الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة التي تفيد الناس بثمرها الطيب... كما شبه الله تعالى الكلمة الخبيثة بشجرة خبيثة اقتلعت من الأرض فليس لها ثبات فيها...

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٥-٢٦).

إن الأسلوب القرآني الذي يتميز بالإعجاز البلاغي، والإيقاع الموسيقي إنما يهز الوجدان، ويشد إليه الانتباه. ولا شك أن ذلك يخلق في الإنسان إحساسا بالموقف الذي يصوره القرآن مما يؤدي إلى دقة الاستيعاب والفهم[١٦].

كانت تلك، أهم المبادئ التعليمية التي أشار إليها القرآن الكريم، وهي كما لاحظ الدارسون والباحثون في القضايا التربوية أنها تنطوي على أهمية قصوى في إنجاح عملية التعلم والاكتساب العلمي والمعرفي. حبذا لو تنبه لها علماؤنا ومدرسونا والمشتغلون في الحقل التعليمي والتربوي، وعملوا على الإفادة منها وتفعيلها في ميدان التربية والتعليم.

الهوامش

١- ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (١٩/ ٤٨).
٢- ينظر: «الإسلام ومشكلات العصر» مصطفى الرافعي، دار الكتاب اللبناني بيروت، (١٩٧٢م- ص: ٢٠٠، ٢٠١).
٣- ينظر كتاب: «علم النفس الإكلينيكي» جوليان دونز، ترجمة عطية محمود هنا، دار القلم الكويت، (١٩٧٧م- ص: ١٨٥، ١٨٦).
٤- ينظر كتاب: «علم الأمراض النفسية والعقلية» ريتشارد م. شوبن، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، دار النهضة العربية القاهرة، (١٩٧٩م ص: ٨٤٦، ٨٥٤).
٥- «منهج القرآن في التربية» محمد شديد، مؤسسة الرسالة بيروت، (١٩٧٩م ص: ٢٧٧).
٦- «الأصول التربوية في الإسلام» عبد الفتاح جلال، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي بجمهورية مصر العربية، (١٩٧٧م ص: ١١٩).
٧- نفس المرجع.
٨- نفس المرجع السابق، (ص: ١٤٨، ١٤٩).
٩- تنظر سورة النمل، الآيات: (٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤).
١٠- تنظر سورة هود، الآيات: (٢٦، ٥٠، ٦١، ٨٤).
١١- ينظر في ظاهرة التكرار في القرآن وأهميته: كتاب «القرآن وعلم النفس» عبد الوهاب حمودة، دار القلم القاهرة، (١٩٦٢م- ص: ٩٥، ٩٦).
١٢- «القرآن وعلم النفس» محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، (ط/١ ١٩٨٢- ص: ١٥٩- ١٦٢).
١٣- ينظر في ذلك كتاب «علم النفس في حياتنا اليومية» محمد عثمان نجاتي، دار القلم الكويت، (ط/٨ ١٩٨٠- ص: ١٩٥- ١٩٧).
١٤- المزمل، الآية: ٦. وينظر في شرحها «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣٥).
١٥- ينظر كتاب: التوازن في الإسلام، محمد السخيري، الدار الإسلامية بيروت، (١٩٧٩م- ص: ١٤١، ١٤٢).
١٦- «التوازن في الإسلام» محمد السخيري، (ص: ١٤٣، ١٤٤).

ضوابط النشر



حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقـام تـشتمـل علـى اسم الكـاتب واسـم المـؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.



الطيب حسين:
دار الإعلام العربية



كلكم مسؤول عن رعيته

بين الحديث النبوي الشريف، المتفق عليه، والذي رواه عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».. فلم يترك الإسلام أمور الحياة هباء، بل جعلها مسؤولية وأمانة في عنق كل امرئ في مكانه.. سواء كان هذا العائل رب أسرة أو مسؤولا في عمل، أو ولي أمر مجموعة من البشر، أو غير ذلك، ما يجعل الاضطلاع بهذه المسؤوليات أمرا بالغ الأهمية، يوجب أداء الرعاية والمسؤولية على أكمل وجه، حتى لا يقع المقصر في إثم تضييع من يعول.

ويوضح الدكتور عبدالله محمد كامل، الأستاذ بجامعة الأزهر، أن هناك خطأ يقع فيه كثيرون حيال الرعاية أو المسؤولية، خصوصا ما يكون من الأب حيال أسرته أو الأم نحو أبنائها، وهذا الخطأ يكون بإيلاء الجانب المادي الرعاية الأكبر مقابل الجانب المعنوي، وهذه علاقة قائمة على خلل، فمما لا شك فيه أن ما سيسفر عنها سيكون فيه خلل أيضا، فإذا بنا ننتهي إلى ما حذرنا منه في الأساس وهو ضياع من نعول، ولكي يكون الأمر صحيحا لا بد من إحداث توازن في كلا الجانبين.

مسؤولية شاملة

وتابع الدكتور عبدالله كامل بأن

مسؤولية العائل شمولية تتضمن الجانبين المادي والمعنوي، فالعائل الذي ينفق الأموال فقط لا ينطبق عليه مفهوم العائل، فقد يكون الأب فقيرا لكنه يحظى بتقدير وتوقير أبنائه، لأنه أشبعهم برعايته في مفهومها الشامل، ومن ذلك تنشئتهم على صحيح الدين، وإشباعهم بحنانه، كذلك يقدر الأبناء الأم ويحبونها على الرغم من حظها غير الموجود عادة فيما يتعلق بالإنفاق، بل بسبب عوامل أخرى، فالاحترام ناتج عن الحب والتعظيم معا، وهذا ينطبق ربما على المسؤوليات بشكلها الأكبر، وما يقترن به التعظيم والتقدير والاحترام.

وكشف كامل أن المسؤولية تشمل إطعامهم حلالا، وعدم التقصير في تبيين الحلال والحرام، ويجب التزام أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والأخذ على أيديهم حال الخطأ أو التقصير، فكل هذه أدوار تقع على عاتق من يعول أحدا، لابد أن تتغلف بالتوجيه والإرشاد والنصيحة والتعليم والتربية، لأن كل راع مسؤول عن رعيته.

وأكد أن هناك صورا تكشف كيف يضيع الإنسان من يعول، وتكون بضياع هذه الحقوق، ومن يضيع هذه الحقوق يضيع المجتمع بأسره، لأن مراعاتها في حدودها الصغيرة ستوجد في النهاية مجتمعا صالحا.

وذكر أن المسؤول أيضا راع ويجب عليه عدم تضييع رعيته، فعليه أن يقدر مرؤوسيه ويسعى لتمكينهم من نيل حقوقهم وعدم ظلمهم، وأن يؤدي واجبه على أكمل وجه، وأن يكون مثالا للجد والمثابرة والإتقان،

د. عبدالله كامل: يخطئ كثيرون بإيلاء الجانب المادي من الرعاية الاهتمام الأكبر مقابل الجانب المعنوي

وعدم التخاذل أو الغش أو الخداع، ويجب عليه أن يعلم أنه قائم على أمانة ولا بد من أدائها كاملة، لأنه سيسأل عنها يوم القيامة.

أدوار مهمة

وفي هذا السياق، قال الدكتور نبيل الزهار، عميد كلية التربية السابق بجامعة قناة السويس، إن الراعي ذو مسؤولية كبيرة، ولا بد من إدراك حجمها ومن ثم العمل وفق ما تقتضيه هذه المسؤولية، وهناك أمور هي أول ما ينبغي على من يرعى أحدا سواء كان أبا أو أما أو ولي أمر أن يعيها مثل الوعي بهذه المسؤولية، وهذا يشمل جميع من يمكن أن يكون راعيا.

وأضاف الزهار أن الأدوار التي تلازم كل مسؤول، يجب أن تؤدى على أكمل وجه، لتجنب النتيجة الكارثية التي قد تترتب على التقصير تجاه هذا الدور، هذه النتيجة هي ضياع من يقع في إعالة الراعي، ففي مجال

د. نبيل الزهار: التنشئة الدينية والنفسية من أهم مسؤوليات ولي الأمر نحو من يعول

تربية الأبناء على سبيل المثال، يجب أن يكون هناك فهم دقيق للمرحلة السنية التي يمرون بها، لأن كل مرحلة عمرية لها متطلبات معينة، فضلا عن القواعد التي لابد أن تراعى مع الأبناء خلال هذه المراحل، وخطورة ضياع من نعول تؤكدها مبادئ التربية التي ترتبط بالنمو، هذه المبادئ تعطي كل مرحلة متطلباتها، فهناك متطلبات بيولوجية مثل الطعام والشراب والنوم في مرحلة الطفولة المبكرة، فهل مطلوب من الوالدين تعديل السلوك، المطلوب إشباع المتطلبات البيولوجية؟ الحقيقة إن التقصير في القيام بهذا الدور يحمل صورة من صور ضياع من نعول.

وأوضح عميد كلية التربية السابق بجامعة قناة السويس، أن التقصير في المسؤولية ينتج عن قلة وعي، لأن السلوك غير الطبيعي الذي تمارسه الأمهات في هذه السن بعدم الاقتصار على الجانب البيولوجي، ومحاولة تعديل السلوك بطرق عقابية سيولد عند الطفل الخوف من الأم، وسيكون لديه سلوك انسحابي، يخاف من الكلام أمام الآخرين مثلا، ويولد عنده ضعف الثقة في النفس، ما فعلته الأم ربما يكون سلوكا بسيطا، يحدث خاصة عند الأمهات الحديثات، لكن انعكاساته تمتد، وهذا من باب ضياع من نعول.

وقال عميد التربية السابق في جامعة قناة السويس، إن مرحلة المراهقة أيضا فيها صور من الصور التي تعد ضياعا لمن نعول، وخطورة هذه المرحلة في كونها تمثل



انتقالا من الطفولة إلى الرجولة، أو الطفولة إلى الأنوثة، وهنا تحدث عملية رفض لسطلة الوالدين، من أبسط الأشياء مثل الملابس أو شكلها أو لونها، انتهاء بالاعتقاد، لأن حالة الرفض تزرع في الأناء روح التمرد، وقد تلازمها أسئلة في العقيدة والكون والخلق، وهنا المسؤولية التي تقع على الوالدين شديدة الخطورة، لأنه ربما ينجر بعض الأبناء إلى الإلحاد، فيجب التسلح بما يمكنهما من التعامل مع هذه الحالات، وإلا فإن إهمالها يعد من أبرز صور ضياع من نعول.

أمانة شرعية

أما د. محمد نجيب عوضين أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة والأمين العام الأسبق للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فيقول: من يكلف بالولاية سواء الرجل الذي يعول زوجة وأولادا وأقارب يجب عليه نفقتهم كالآباء، كذلك يسري هذا الأمر على من يعولهم الإنسان في العمل أيضا إذا كان في مقام الرئاسة أو الولاية لمن كانوا يعملون معه، وهذه أمانة شرعية في المقام الأول كما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(الأحزاب:٧٢)، والأمانة هنا هي مسؤولية التكليف، فقد نهى الشرع عن تقصير صاحب المسؤولية عن أداء مهمته على الوجه الأكمل حتى لا يضيع هؤلاء الضعاف المسؤولون منه، فالأب أو الزوج لا يترك زوجته أو أبناءه بلا رعاية لأن مقصود الزواج هو إقامة الأسرة وتنفيذ مسؤوليات القوامة من طعام ومسكن ومشرب وتعليم إلى آخره، وإذا كان الإنسان قادرا وقصر في ذلك فهو آثم شرعا، لأن النبي ﷺ يقول: «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول».. وقد منع الشرع زكاة الأبناء للآباء لأن الإنفاق عليهم عند عجزهم وعدم قدرتهم إنما هو حفظ للإعالة التي حث الإسلام عليها، وعلى الأب والأم أن يبحثا عن حقهما في هذا رضاء وشرعا وقضاء، كما أن الإنسان مسؤول عن وصل أقاربه الذين هم في حكم إعالته ولو مجازا، بتيسير أحوالهم إذا كانت له قدرة أو مكنة لتحقيق ذلك.

وتابع: على ولي الأمر القيام بالواجبات الشرعية المختلفة على الإنسان والداخلة في إطار التكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى الذي تتسع دائرته لتشمل قدرة المستطيع على تحقيق ذلك ووعد اللّه من يقوم بذلك بالحسنى وحسن المآل والثواب من اللّه الحسنة بعشرة أضعافها إلى ٧٠٠ ضعف

أو يزيد، وما مشاكل المجتمعات الآن من ظاهرة التسول أو أطفال الشوارع أو نحو ذلك إلا من تقصير الإنسان.. في تنفيذ أوامر الله في تحقيق مسؤوليته في إعالتهم وعدم تضييعهم. أهم علاج يقع على عاتق المرء هو الحفاظ على من يعول بكافة جوانبه حسب طاقته، فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها.. وكثيرا ما نرى رجالا قادرين أنعم الله عليهم بالميسرة وقد أهملوا من يعولون، ويكون ذلك سببا في هلاك الأمم والمجتمعات والتي لا يصلح لها سوى العودة لتنفيذ شرع الله في هذا المقام.

وتتعدد صور الإعالة، فقد تكون صدقة جارية، أو جزءا من زكاة، أو جزءا من إطعام، كما حث النبي ﷺ على إطعام الطعام، ولأن الطعام يقرب بين الناس في لقاءاتهم واجتماعاتهم، كما يشعرهم بالأمان تصديقا لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ (قريش:٤).

وتتدرج المسؤولية هنا ليتسع نطاقها لتشمل بالإضافة إلى الإنسان ولي الأمر في المجتمع، في نظرته للمحتاجين ورعاية مصالحهم وتحقيق التوازن الاجتماعي.

دبلوماسية الاستقرار والبناء

ومن مسؤولية البيت إلى مسؤولية الدولة، يضرب السفير حسن هريدي مساعد وزير الخارجية المصري، مثالا بدولة الكويت، مؤكدا أن قادتها على مر العصور كانوا أمناء على وطنهم، يبذلون كل غال للحفاظ على ترابه، ولا أدل على ذلك من تضحياتهم بالنفس

السفير حسن هريدي: قادة الكويت انتهجوا دبلوماسية الاستقرار والبناء

والنفيس في سبيل تحرير وطنهم بعد المحنة التي تعرض لها، ومن ثم استكمالهم رحل البناء والتعمير ما كان له بالغ الأثر في نهضة البلاد واستقرارها لاحقا، مثنيا على أدوار الأمراء الشيخ جابر الأحمد الصباح الذي كان أميرا للبلاد إبان التحرير من الغزو، ثم شقيقه صباح الأحمد الصباح، الذي كان نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية حينها، حيث أثبتا أنهما رجال دولة من الطراز الأول، ولعبا دورا كبيرا في حشد الدعم العربي والدولي في إطار حل قضية شعبهما العادلة، وتحرير بلادهما، ما جعل بصماتهما باقية إلى الآن ولا تنسى في هذه المعركة.

وذكر السفير حسن هريدي مساعد وزير الخارجية، أن سمو أمير دولة الكويت الشيخ نواف الأحمد الصباح استكمل مسيرة البناء، إذ تشهد الكويت نهضة ملحوظة في كافة المجالات اليوم، واتخذت خطوات كبيرة ومميزة نحو التطوير والإصلاح، كما أثبتت الدبلوماسية

السفير العرابي: محنة الغزو كانت خير شاهد على قيام قادة الكويت بمسؤولياتهم نحو وطنهم ومواطنيهم

الكويتية أنها قومية الأبعاد، بعيدة النظر، تتسم بالمرونة في خط واحد يعمل لمصلحة البلاد ونهضتها واستقرارها دائما.

حس وطني

في السياق ذاته، يقول السفير محمد العرابي وزير الخارجية المصري الأسبق، إنه مما لا شك فيه أن ما نراه من نهضة واستقرار في الكويت يعود في الأساس إلى الدور الذي لعبه حكامها في سبيل تحريرها واستعادة تعميرها، وهو يميز ما يتمتعون به من حس وطني وعروبي لا يخفى على أحد، فالشيخ جابر، رحمه الله، كان له موقف يذكره التاريخ دائما، وصمود غير مستغرب بالطبع، وبالتالي استطاع أن يعيد تحرير بلاده كاملة.

وأكد وزير الخارجية الأسبق أن موقف الحكومة الكويتية كان وطنيا وتعامل على قدر المسؤولية، خصوصا حيال الرعايا الكويتيين والذين منهم من كان داخل البلاد أو خارجها، حيث قدم لهم الرعاية الكاملة، ولا يستطيع أي قائد أن يؤدي هذا الدور بهذه الحكمة ويعمل على مصلحة شعبه بسهولة، ما يوضح حجم الإنجاز الذي حققه حكام الكويت لتحرير بلادهم، وهو ما نجحوا فيه في النهاية، ثم التصدي لمسؤولية بناء بلادهم، التي تشهد نهضة تنموية كبيرة يشهد لها القاصي والداني حاليا، فمما لا شك فيه أنه لولا الحكمة الكويتية في التعامل مع ملف الغزو الخطير وإدارته بحنكة وقدرة كبيرتين، لما تحقق للكويت الآن ما يعيش فيه مواطنوها من تقدم ملموس وتنمية واضحة للجميع.

إعداد
التحرير

القضاء والقدر

المحاضرة (٩-٣)❖



محاضراتٌ تربويةٌ وثقافيةٌ وتوجيهيةٌ أسداها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراويُّ - رحمه الله - أثناء زيارته الميمونة إلى دولة الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها.
وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)

يريد البعض أن يثبت صفة العدل لله، ولكنه يقول صفة أخرى، وهي أن أمرا يجري في الكون دون قدرة الله، والآخر يتعصب لقدرة الله، فيقول: كل شيء من الله. نقول لهم: قاربوا بين وجهات النظر، ثمة فرق بين توجيه الطاقة وإيجادها، فمثلا: التلفاز آلة، عندما أريد أن آتي بموجة أو محطة ما هل أكون قد أتيت بالصورة بنفسي، وسببت الحركة؟! أم وجهت الطاقة لتأتي بها فقط؟! عندما أستعمل المفتاح لآتي بها لا أكون قد أتيت بها بنفسي، صحيح أن الصورة أتت لأني أدرت المفتاح فقط، لكني لست الأجهزة التي أتت بالصورة ونقلتها، الجهاز أتى بها، وأنا وجهت الطاقة إلى ما تصلح له؛ لأنها صالحة لتأتي بأي موجة، وما دمت قد وجهت الطاقة إلى ما تصلح له فإنني صادق إذا قلت: أدرت الراديو؛ لأنني السبب الأخير المباشر للمحطة، والذي يقول: لا؛ بل أدارته أجهزته والمهندس الذي صنعه. نقول له: صدقت؛ فلولا عمله ما كنت لأفعل ذلك، فكل واحد ينظر إلى زاوية في الفعل؛ فالمعتزلة ينظرون إلى صفة العدل، فيثبتون للإنسان اختيارا في أفعاله، وغيرهم يثبتون صفة القدرة وأن الله خالق كل شيء، والذي يتعصب لصفة يهمل الصفة الأخرى، نقول: لا؛ يجب أن ينظر إلى الله لا على أنه أبعاض؛ فالله سبحانه وتعالى له ذاته وصفاته من غير أن تبعضه هذه الصفات، وقد وجب أن يكون كل فعل فيه مماشيا صفاته كلها، فنقول: الله هو الذي أوجد الطاقة لتفعل، فأنا لم أخلق شيئا، إنما لي اختيار أحد الطريقين اللذين خلق الله الآلة صالحة لهما، وما دام الله قد خلق الآلة صالحة لهذه وهذه فإنها من خلق الله أيا كان الذي أدارها، ولو أن الله خلق هذه لهذه، فجئت بجهة أخرى لأفعل، تقول له: أنت فعلت، لكن الحق خلق الآلة صالحة لكذا وكذا، فإن وجهتها لتفعل كذا فهي من خلق الله، وإن وجهتها لتفعل المقابل فهي من خلق الله، وعملك توجيه الطاقة لإحدى الطريقين التي تصلح الطاقة لهما معا، فالطاقة لم تكن صالحة لوجه واحد، وأنا خلقت الوجه الثاني، لا؛ الطاقة مخلوقة لله صالحة، مثل اللسان الذي خلقه الله، وهو صالح لتقول به: الله أحد. ويصلح عند الكافرين -والعياذ بالله- أو المثلثين ليقولوا: الله ثالث ثلاثة. إذن: فاللسان صالح للنطق بهذه الكلمة وغيرها، وترجيح النطق بالكلمة دون غيرها هو عملي، حين أوجه الطاقة إلى جهة خلقها الله لها أعلم أنني لم أخلق شيئا، ولكنني وجهت الطاقة المخلوقة لله إلى ما تصلح له من الشيء ومقابله، فثوابي وعقابي على توجيه الطاقة فقط، أما الطاقة فلا عمل لي فيها البتة.

تأتي نصوص القرآن فيأخذها قوم ليبرروا بها سلوكهم، يقولون: يا أخي! ألا تعلم أن القرآن الذي تتعصب له يقول: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ (النحل:٩٣)، نقول له: صدقت، وكذلك قال الله، ولكن ينطبق عليك قول الشاعر أبي نواس:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة

حفظت شيئا وغابت عنك أشياء[٢٤]

يقول الله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ (الحجر:٩١)؛ أي: جعلوه أجزاء يؤمنون ببعضه ويتركون بعضه، والقرآن كله كلام الله، فيجب أن تأخذ في هذه القضية كل قول تعرض للهدى والضلالة، فالقرآن قال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ ولكن إذا كان الله قد بين في القرآن من شاء أن يهديه ومن شاء أن يضله أتقول: ذلك مطلق وعام؟ لا يا سيدي، لقد قيدت الآيات الأخرى، صحيح أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولكنه قد بين من يهديه، ومن يضله، فقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٢٦٤)، إذن: فقد شاء ألا يهدي الكافرين والظالمين والفاسقين، أيكون الإنسان كافرا به أو فاسقا ويهديه؟! لا يتأتى. لا تأخذ قول الله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ على عمومه، بل قيده كما قيده القرآن، فقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، إذن: فكفر الكافر هو السبب في عدم هداية الله له، وكفر الكافر منه، ومعنى ذلك: ما دام الإنسان صالحا للإيمان والكفر فكل من الله، ولو أراد الله الناس مؤمنين جميعا ما استطاع واحد أن يكفر، كما لو أن مهندس التلفاز وضع محطة واحدة لما استطعت أن توجد محطة ثانية، ولو أن الله أراد الناس مهديين لما استطاع واحد أن يكفر، ولكنه خلقهم صالحين ليكونوا مؤمنين أو كفارا، إذن: فالكافر لا يكفر قهرا عن الله، ولو أن الله أراده غير كافر لما كفر، فتوجيه الاختيار إلى شيء مخلوق لله لا يعني أن الإنسان خلقه؛ لأنه وجه الطاقة إلى أمر خلق الله، والطاقة صالحة للفعل هذا ومقابله، فإذا احتججت بقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ نقول لك: قد بين من يهديه، وهو الذي لا يكون كافرا؛ لأن الله لا يهدي الكافر، وهذا هو المقابل، فيهدي المؤمن والطائع ولا يهدي الفاسق، ولكن ما معنى الهداية؟ تقول: كأنك لم تنظر إلى معنى الكلمة. أقول: يقرأ شخص ما لفظا في القرآن فيأخذه على المعنى الشائع عند الناس، واللفظ قد يكون له معنى في خصوصه وواقعه ووضعه، انظر إلى القرآن، كله من عند الله، وإنه لكتاب ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ (فصلت:٤٢)، أليس يقول الله لرسوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾، نفى عن الرسول الهداية، ويقول له في آية أخرى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الشورى:٥٢)، فمرة قال: لا تهدي. ومرة قال: تهدي. كيف يكون ذلك؟! أينفي الهداية عن الرسول ثم يثبتها له في آيات أخرى، والقرآن كله كلام الله؟! نقول: فهمت أن الفعلين هنا بمعنى واحد، ولذلك أحلت، وقلت: هذا تضارب. نقول لك: انظر إلى القرآن حين قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ (فصلت:١٧)،



مـادام الإنسان صالحا للإيمان والكفر فكل من الله

الكافر لا يكفر قهرا عن الله ولو أن الله أراده غير كافر لما كفر

منطق القرآن يدل على أن ثمود كانوا موضع هداية الله، لكن عجز الآية ينفي ذلك: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ (فصلت:١٧)، فالفعل: هديناهم ليس بمعنى: مكناهم من الهداية أو أعناهم عليها بالفعل، بل بمعنى: دللنا على الطريق، والله هدى الناس جميعا؛ بمعنى أنه دلهم على طريق الخير، فمنهم من آمن، فأقبل على منهج الله، فكان موضعا لمعونة الله؛ يعينه على الهداية ويمكنه منها، فقول الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ (القصص:٥٦)؛ أي: لا تعينهم وتمكنهم من أن يكونوا مهتدين بالفعل؛ لأن هذه عملية الله، أما أنت فلك أن تهدي فقط؛ أي: تدل. لذلك قال له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي﴾؛ أي: تدل. و﴿لَا تَهۡدِي﴾؛ أي: لا تعين ولا تمكن من الهداية؛ لأن هذا عمل ربك. إذن: فالهداية بمعنيين؛ هداية بمعنى الدلالة، وهداية بمعنى التمكين والمعونة، فإذا أثبتها للرسول فتلك هي الدلالة، وإذا نفاها عن الرسول فتلك هي المعونة؛ لأن الذي يعين وييسر ويسهل هو الله. يقول الله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي: فدللناهم على طريق الخير؛ لكنهم لم يمتثلوا، فلم نعنهم على الهداية، فاستحبوا العمى على الهدى.

أريد أن أضرب مثلا من المحس الشاهد على القضية الغيبية المختلف عليها: أنا غريب في مكان، وسائر على طريق لا أعرف اتجاهاته، وبعد ذلك وجدت شرطي المرور، فقلت له: أريد أن أذهب إلى البلد الفلاني. فيقول لي: اذهب من هذا الطريق. يكون بهذا قد دلني؛ أي: هداني إلى الطريق الموصلة إلى المطلوب، فما موقفي منه؟! إذا قلت له: ما أدراك أن هذه الطريق هي الموصلة إلى وجهتي؟! أكون قد أنكرت هدايته ورددتها، وعندها سيتركني الشرطي لأتيه وأضل، لكن إذا قلت له: الحمد لله الذي جعلك هنا في هذا الوقت، لقد أعنتني، يسر لك الله. يقول لي: أنت رجل طيب، صدقتني وآمنت بمشورتي، الطريق محفوفة بشيء من المكاره، وأنا سأركب معك لأوصلك إلى المكان الفلاني، فهو هداني بمعنى دلني، فلما صدقته وآمنت به أعانني وساعدني ويسر لي السبل كلها، ولما نهرته وكفرت به تركني فضللت. ولله المثل الأعلى حين يقول: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾؛ أي: دللناهم على الطريق، لكنهم لم يؤمنوا بالدال، وكفروا بمن يدل، فلا أعينهم. إذن: فالهداية تأتي بمعنيين؛ بمعنى الدلالة، وهذه عامة، فقد هدى الله الناس جميعا؛ فمن استمع إليه وآمن به أعانه بمعونته، ومكنه من بلوغ مراده، ولذلك تجد مفتاح المسألة والقرب من الله بعد الإيمان به، يجعله الله في يد المؤمن بعد إيمانه، يقول ربنا عن عبده: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[٢٦]، فبعد أن آمنت بالله يجعل الله مفتاح القرب منه في يدك؛ فإن أردت أن يذكرك الله في نفسه فاذكره أنت في نفسك، وإذا أردت أن يذكرك في ملأ خير من ملئك فاذكره في ملأ، وإذا أردت أن يتقرب إليك ذراعا تقرب إليه شبرا على قدر مجهودك بوصفك عبدا، وهو يتقرب على قدر قدرته بوصفه ربا، فإن اقتربت شبرا يتقرب إليك ذراعا، وإن تقربت ذراعا يتقرب منك باعا، وإن أتيته تمشي جاءك هرولة؛ أي: جاءك جريا. فكأن الله هدى الناس جميعا ودلهم، فمن آمن به وصدقه قال له: أنت عبدي، وأهل لمعونتي، سأخلي الطاعة لك، وأيسر لك العقبات كلها، وأخفف عنك المشقات. فيحب المتقربون إلى الله التكليفات بعد أن تكون شاقة، لذلك يقول الله في الصلاة؛ لأنها مكررة دائما: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ (البقرة:٤٥)، ويقول الرسول: «قرة عيني في الصلاة، قرة عيني في الصلاة»[٢٧]، وساعة يأتي وقتها يقول لبلال: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»[٢٨]، انظروا إلى دقة التعبير الأدائي، قال: «أرحنا بها»، وليس: أرحنا حتى ننتهي منها. لا؛ أرحنا بها، فكأن الذي ينظر إليه الناس على أنه مشقة هو المريح عينه، الذي يريح الإنسان في مناهج الحياة. يقول أحدهم: الصلاة على أكتافي، أؤديها لأرتاح منها. والرسول يقول: «أرحنا بها». فهي سبب الراحة، نقبل عليها لنرتاح، فإذا نظرنا إلى هذا وجدنا أن القرآن يجب ألا يبعض، وألا يجعل عضين، وأن يكون الباحث في آيات الله عليما بدلالة الألفاظ على طريقة اللغة العربية التي نزلت بها الألفاظ، فإذا سمع ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ (فصلت:١٧) علم أن للغة هدايتين؛ هداية بمعنى الدلالة، فمن استمع إلى دلالة الله وآمن به

جاءته الهداية الأخرى بمعنى المعونة والتيسير، ولذلك اقرأ إن شئت قول الله بوصفه مذكرة تفسيرية لهذا، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد:١٧)، فكانت المسألة في منطقة اختيار في التكليف، ولذلك لا يكلف الله إلا عاقلا، فالمجنون لا يكلف، والعقل قبل النضج لا يكلف، والأفعال ثلاثة أقسام؛ فعل في، وفعل علي، وفعل مني، فلماذا يقال: إن المسائل كتبها الله قديما وقضاها؟! ما دام كتبها وقضاها فالاختيار له. نجيب السائل: لقد عرفت شيئا وغابت عنك أشياء، لله صفات؛ فصفة القدرة تخضع لها التسخيرات، والله قادر على أن يقهر الشيء على أن يكون كذا دون اختيار منه، تلك تتجلى فيها صفة القدرة، وله صفة العلم؛ فعلمه الأزلي القديم عرف ما يختاره عبده، فكتب قديما: عبدي فلان، سأهديه وأدله، ولكنه سيختار الطريق الفلاني والفلاني، فقد كتب أزلا لأنه علم، والعلم صفة تنكشف بها الأشياء، لكنها لا تؤثر في إيجاد الأشياء؛ لأن التأثير في إيجاد الأشياء صفة القدرة، مثلا: يأتي أستاذ في كلية، ويقول للعميد: نريد أن نجرب نظاما جديدا في الامتحان، لا ضرورة لمتاعب الامتحان، يستطيع أستاذ المادة أن يعطي طلابه الدرجات التي يستحقونها دون امتحان؛ لأنه يعلمهم، وقد خبرهم، فيتشكك مدير الجامعة في ذلك، ويقول له: لا؛ أنا لا آمن هذا. فيرد أستاذ الكلية: لماذا لا تأمن هذا؟! سأقيم لك طلابي الذين أدرسهم، وأعطي لكل واحد درجة، ثم أصنع لهم امتحانا، وأكون بعيدا منه؛ فلا أضع أسئلته، ولا أتدخل في تصحيحه. وبعد ذلك نقارن النتائج والدرجات المقدرة، فنجد أن النتيجة هي ذاتها، أو قريبة منها. وهذا دليل على أن الأستاذ كان دقيقا في معرفة طلابه، فقيم طلابه على وصف ما علم، فهل أمسك بيد كل طالب ساعة الاختبار؛ ليرغمه على أن يكتب الكلام الذي يعطيه الدرجة التي اقترحها له عند المدير؟! لا؛ كان يكتب باختياره، ولكن عظمة معرفته أنها قررت له درجة كما توحيها العدالة باختيار الطالب في الإجابة، إذن: فكتابته لم ترغم الطالب على أن يفعل؛ لأن كتابته الأولى من مؤثرات صفة العلم، وهذه من مؤثرات صفة القدرة، فالله كتب قديما؛ لأنه علم ما يختاره عبده، فتلك صفة العلم، والعلم صفة تنكشف بها الأشياء، ولا تؤثر في حدوث الأشياء؛ لأن التي تؤثر في حدوث الأشياء إنما هي صفة القدرة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفيت بعض ما طلب إلي، وأسأله سبحانه أن يجمعني بكم على خير ما أحب وتحبون، وأشكر لكم حفاوتكم وحسن لقائكم واستجاباتكم، وأسأل الله أن يجعل هذه الأنفاس مني إليه، وهذا الإقبال منكم إليه، وأن ييسر لهذه اللجنة مهمتها، ويعينها على أداء منهجها كما يريده الله تبشيرا بمنهج الله، وتبصيرا للناس بحلاوة طاعة الله، والسلام عليكم ورحمة الله.

مفتاح القرب من الله يجعله الله في يد المؤمن بعد إيمانه

علم الله صفة تنكشف بها الأشياء ولا تؤثر في إيجاد الأشياء

الهوامش

٢٤- انظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، لشوقي ضيف (١/١٠٦).

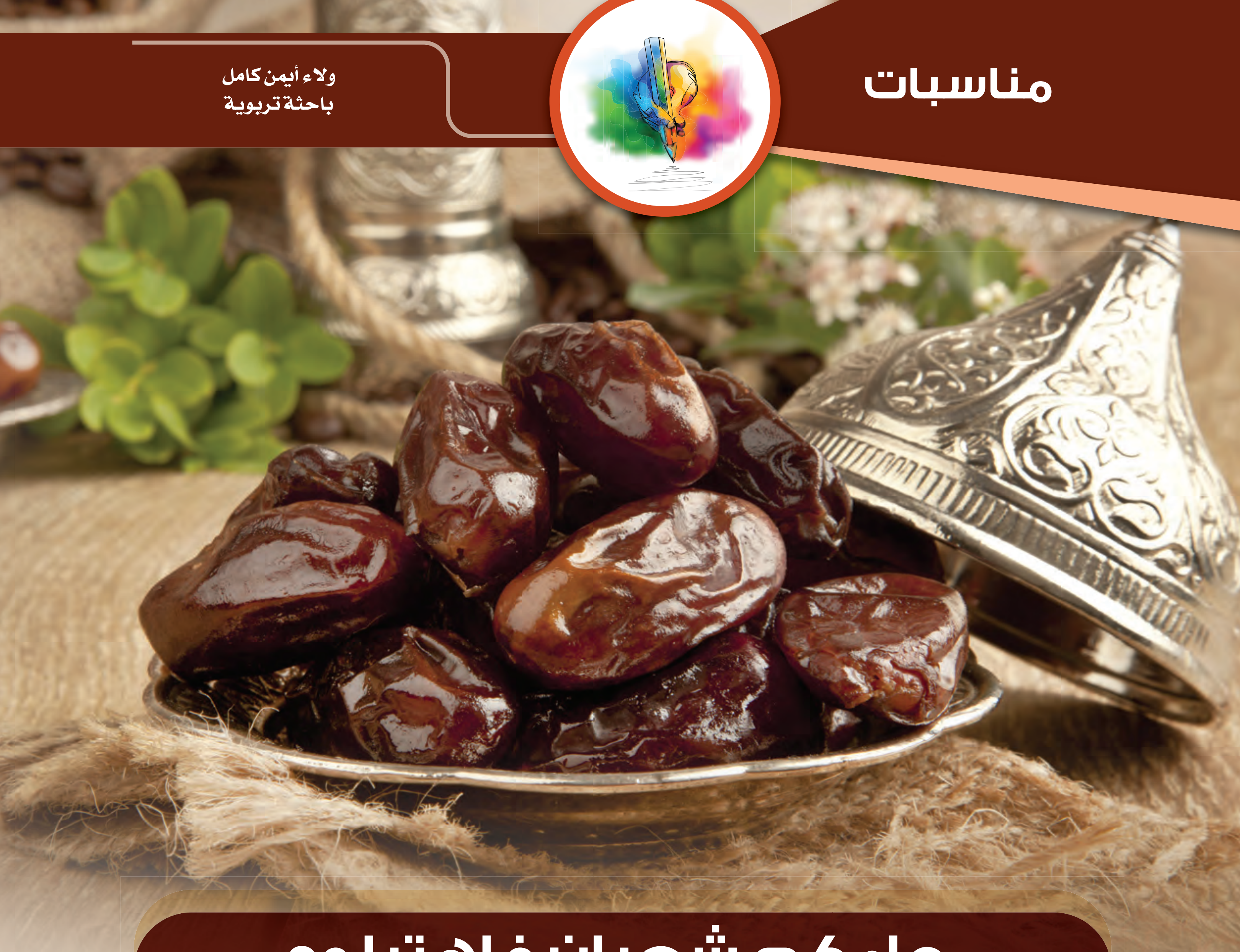
٢٥- عجز الشيء: آخره. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٥/١٩٩).

٢٦- رواه البخاري، رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم، رقم: (٢٦٧٥).

٢٧-رواه النسائي، رقم: (٨٨٨٨).

٢٨- رواه أبو داود، رقم: (٤٩٨٥).

ولاء أيمن كامل
باحثة تربوية



جاءكم شعبان فاهتبلوه

أنعم الله على عباده بمواسم خير، خصها بنفحات، وجعلها مضمار سباق بين مغتنميها من عباده؛ بزيادة قرباتهم لله فيها يتنافسون، وبإكثار نوافلهم له سبحانه يتملقون.. هي بمنولة مضمار نبيلة غايته، طيب مراده، من حاز فيه قصب السبق حظي برضوان الله، ومن نال رضوان الله فقد سعد وهنئ وفاز بالدارين.. وقد حضنا رسول الله ﷺ على التعرض لتلك الأزمان؛ لعل نفحات خصها الله بها تصيبنا فلا نشقى بعدها أبدا، روى الإمام الطبراني من حديث محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا»[1].

وها هي الأيام تدور وتتقلب، وينقضي معها العام بأكمله، ولنا هنا وقفات مع بعض فضائل وأحكام شعبان الذي أناخ رحاله عندنا ليبشرنا بأن وراءه أياما فضيلة، وينبهنا إلى أن كل يوم نحياه فيه هو غنيمة، وينصحنا «ألا ابذروا في ما استطعتم من غرسكم»، وينادينا: «أيها المتأهبون؛ اتخذوا زادكم وعدتكم للشهر الفضيل، تحفزوا وقفوا على أعتاب الجنان وعتباتها، وابذلوا وسعكم في قرع أبوابها تهيؤوا لفتحها في رمضان، قدموا لمغفرة الذنوب ونول البركات وإنزال الرحمات وحط الخطيات واستجابة الدعوات، انفروا لإعتاق رقابكم من النيران، سارعوا وسابقوا وتنافسوا قبل أن أنقضي ويدرككم شهر القرآن، ألا قد

بلغت، اللهم فاشهد».

استحباب الصيام في شعبان وفضله

كان النبي ﷺ أعبد الناس لله، وأحرصهم على مرضاته، ومع هذا فقد علمنا اليسر في العبادة، وأخذ النفس بما تستطيع، وترك التشديد عليها، حتى يجمع الإنسان بين دنياه وآخرته، فأبشر يا من ترجو الله واليوم الآخر إذا اهتديت بهديه ﷺ واستننت بسنته، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)، ومما أثر عن الحبيب صلوات الله وسلامه عليه أنه كان يزيد من العبادة في شعبان، لا سيما الصوم، ما لا يزيده في غيره من الشهور؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله يصوم ولا يفطر حتى نقول: ما في نفس رسول الله أن يفطر العام. ثم يفطر فلا يصوم حتى نقول: ما في نفسه أن يصوم العام. وكان أحب الصوم إليه في شعبان»[٢].

ومن شدة محافظته ﷺ على الصوم في شعبان أن أزواجه، رضي الله عنهن، كن يقلن: إنه يصوم شعبان كله، مع أنه ﷺ لم يستكمل صيام شهر غير رمضان، فها هي أمنا عائشة، رضي الله عنها، تخبرنا: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان». وتزيدنا أمنا أم سلمة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين، إلا أنه كان يصل شعبان برمضان»[٤].

استحباب التنفل

ومن أوضح ما يدل على استحباب التنفل بالصيام في شعبان، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «إن كانت إحدانا لتفطر في زمان رسول الله ﷺ فما تقدر على أن تقضيه مع رسول الله ﷺ حتى يأتي شعبان»[٥]. إذ كان شغل نسائه به ﷺ طيلة العام يمنعهن عن قضاء ما يفطرنه من أيام في رمضان، وإنما كن يصمن في شعبان لأن النبي ﷺ كان يصوم معظم شعبان، فلا حاجة له فيهن حينئذ في النهار، يقول الإمام النووي: «كل واحدة منهن كانت مهيئة نفسها لرسول الله ﷺ، مترصدة لاستمتاعه في جميع أوقاتها إن أراد ذلك، ولا تدري متى يريده، ولم تستأذنه في الصوم مخافة أن يأذن، وقد يكون له حاجة فيها فتفوتها عليه، وهذا من الأدب»[٦].

عمارة أوقات الغفلة بالطاعة

ولقد ذم الله سبحانه وتعالى الغفلة والغافلين في كتابه فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩)، وقال: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف:٢٠٥)، ووفق هذا نفهم وصفه ﷺ لشهر شعبان بأنه شهر يغفل الناس عنه، في حديث أسامة ابن زيد، قال: «قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان! قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي، وأنا صائم»[٧]؛ وذلك لأن شعبان يقع بين شهرين عظيمين: رجب الحرام وشهر الصيام (رمضان الذي أنزل فيه القرآن)، ومن ثم ينشغل أكثر الناس بهما عن تحصيل فضيلة ما ليس بمشهور عندهم (شعبان)، وهذا فيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة.

ومن هذا الباب أيضا نفهم لم قال النبي ﷺ: «إن أفضل الصلاة بعد المفروضة الصلاة في جوف الليل»[٨]؛ لأن وسط الليل تشمل فيه الغفلة أكثر الناس عن الطاعة، ولهذه القيمة كان النبي ﷺ يريد تأخير العشاء لنصف الليل.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ شغل عن العشاء ليلة فأخرها حتى رقدنا في المسجد ثم استيقظنا، ثم رقدنا، ثم استيقظنا، ثم خرج علينا رسول الله ﷺ ثم قال: «ليس أحد من أهل الأرض الليلة ينتظر الصلاة غيركم». ولمسلم عنه قال: مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة. فخرج علينا حين ذهب ثلث الليل أو بعضه –ولا ندري أي شيء شغله من أهله

أو غير ذلك- فقال حين خرج: «إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة. ثم أمر المؤذن فأقام الصلاة وصلى». ولمسلم أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت: «اعتم رسول الله ﷺ ذات ليلة حتى ذهب عامة الليل وحتى نام أهل المسجد ثم خرج فصلى. فقال: «إنه لوقتها؛ لولا أن أشق على أمتي»[٩].

الصيام أوقات الغفلة

وما سبق يدلل على فضل الطاعة واستحبابها وقت غفلة الناس عنها وانشغالهم بالحياة الدنيا، لأن التقرب والتضرع إلى الله بالنوافل حينها يكون أخفى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل، خصوصا الصيام لأنه سر بين العبد وربه؛ ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء. كما أن العبادة في تلك الأوقات تكون شاقة على النفس لقلة المتأسى بهم، وأفضل الأعمال وأسماها (إن كانت على سنة الحبيب) أشقها على النفس، لأن النفس تتأسى بما تشاهد من أحوال من يعيش معها في محيطها، فإذا كثرت يقظتهم وطاعاتهم سهلت الطاعات وكثر أهلها لفشو الاهتداء والاقتداء.. ألا ترون الناس يسهل عليهم الصيام والقيام في رمضان، فيما تشق العبادتان على أكثرهم في غير رمضان، ولهذا المعنى قال ﷺ: «لهم أجر خمسين منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون على الخير أعوانا»[١٠]، وعن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «العبادة في الهرج كالهجرة إلي»[١١]، وعند الإمام أحمد بلفظ: «العبادة في الفتنة كالهجرة إلي»، والسبب في ذلك يعود إلى أن الناس في وقت الفتن تستولي الغفلة عليهم، فإذا انفرد بينهم من يتتبع مراضي ربه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ، ولهذا قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك»[١٢].



وقد قال بعض السلف: «ذاكر الله في الغافلين كمثل الذي يحمي الفئة المنهزمة ولولا من يذكر الله في غفلة الناس لهلك الناس»[١٣]؛ فالمفرد بالطاعة بين أهل المعاصي والغفلة قد يدفع البلاء عن الناس كلهم، فكأنه يحميهم ويدافع عنهم.

والعمل والانشغال بالطاعة في أوقات غفلة الناس يجعل المسلم أكثر إقبالا على الله ويحصل له من التضرع ما لا يحصل له في أي وقت آخر، كدعاء الصائم عند فطره، إذ ورد استحبابه في هذا الوقت وأنه مجاب؛ لأن ذاك الوقت تقبل فيه النفس على ما حرمت منه فترة الصيام، لكن أهل اليقظة يصرفون قلوبهم وقتئذ -على شوق منهم لما حرموا منه طيلة يومهم مما لذ وطاب- إلى ربهم بالدعاء، ويكونون أكثر إقبالا على الله، ويحصل لهم من التضرع ما لا يحصل في وقت آخر.

ليلة النصف من شعبان

في فضل ليلة النصف من شعبان وردت روايات عدة؛ منها حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليطلع في ليلة النصف

من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن»[١٤]، لكن العلماء اختلفوا في صحة الأحاديث الواردة في فضل ليلة النصف من شعبان، وعلى الرغم أن منهم من صحح بعضها، فإن الجمهور ذهب إلى تضعيفها كلها، مؤكدين أنها كغيرها من ليالي العام، «وأن جميع ما ورد فضل ليلة النصف من شعبان ضعيف لا تقوم به حجة، فلا تخص بقيام، ولا يومها بصيام، لعدم ورود ذلك رسول الله ﷺ، لكن لو صام الأيام الثلاثة البيض فإن صيامها من السنة»[١٥]. وقد ورد عن الإمامين القرطبي وأبو بكر بن العربي: «وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه، لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليه»[١٦].

حكم الصيام إذا انتصف شعبان

وعن الصيام بعد نصف شعبان ورد النهي في حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا»[١٧]. لكن العلماء اختلفوا حول صحة هذا الحديث وحول العمل به، ففي حين أخذ به الشافعية وبعض الحنابلة وقالوا: لا يصام بعد النصف من شعبان، إلا لمن كان له عادة بالصيام، فإن جمهور العلماء ضعفوه وذهبوا إلى جواز الصوم بعد النصف من شعبان تطوعا. يقول الحافظ ابن رجب: «اختلف العلماء في صحة هذا الحديث ثم في العمل به: فأما تصحيحه فصححه غير واحد، منهم: الترمذي وابن حبان والحاكم والطحاوي وابن عبد البر. وتكلم فيه من هو أكبر من هؤلاء وأعلم، وقالوا: هو حديث منكر. منهم: عبدالرحمن بن المهدي والإمام أحمد وأبو زرعة الرازي والأثرم، وقال الإمام أحمد: لم يرو العلاء حديثا أنكر منه، ورده بحديث: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين»؛ فإن مفهومه جواز التقدم بأكثر من يومين. وقال الأثرم: الأحاديث كلها تخالفه. يشير إلى أحاديث صيام النبي ﷺ شعبان كله، ووصله برمضان، ونهيه عن التقدم على رمضان بيومين، فصار الحديث حينئذ شاذا مخالفا للأحاديث الصحيحة. وقال الطحاوي: هو منسوخ، وحكى الإجماع على ترك العمل به. وأكثر العلماء على أنه لا يعمل به»[١٨].

صيام آخر يومين من شعبان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم»[١٩]. والحديث يشير إلى النهي عن صيام آخر يومين من شعبان، إلا من كانت له عادة بالتطوع فيه، ولم يكن قصده الصيام بنية الاحتياط لرمضان، وذلك لئلا يزاد في صيام رمضان ما ليس منه، وللفصل بين صيام الفرض والنفل، وللتقوي على صيام رمضان لمن تضعفه مواصلة الصيام.

الهوامش

١- المعجم الكبير للطبراني؛ حكم عليه السيوطي والألباني بالضعف. وهو وإن كان ضعيفا، فإن أدلة الشرع متوافرة على ذلك من الحث على استباق الخيرات وتحين الفرص، كالدعاء يوم عرفة، وليلة القدر، وفي الثلث الأخير من الليل، وساعة يوم الجمعة، والدعاء حال السفر.
٢- مسند أحمد، الرسالة، (٢١/٩٥).
٣- صحيح البخاري، رقم: (١٩٦٩).
٤- سنن النسائي، (٣/١١٩).
٥- مسلم، (٢/٨٠٣).
٦- شرح النووي على مسلم، (٨/٢٢).
٧- سنن النسائي، الرسالة، (٣/١٧٦).
٨- السنن الكبرى، البيهقي، (٤/٤٨١).
٩- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢١/٣٩٢).
١٠- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١١/٣٧١).
١١- سنن الترمذي، (٤/٦٥).
١٢- رواه الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.
١٣- لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٣).
١٤- ابن ماجه، رقم: (١٣٩٠).
١٥- مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، (ص:٢٨٠-٢٨١)، بتصرف بسيط.
١٦- تفسير القرطبي، (١٦/١٢٨).
١٧- أبو داود، رقم: (٢٣٣٧)، الترمذي، رقم: (٧٣٨).
١٨- لطائف المعارف، (ص:١٣٥).
١٩- البخاري، رقم: (١٩١٤)، مسلم، رقم: (١٠٨٢).

محمد محمود القعقاع
باحث وكاتب



فضل شهر شعبان

ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله». وفي رواية لهما عنها رضي الله عنها: «كان يصوم شعبان إلا قليلا».

قال ابن المبارك رحمه الله: «جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقال صام الشهر كله»[٢].

سبب صوم شعبان

هذه مسألة بينها رسول الله ﷺ، ومثل هذا لا نحتاج معه إلى قول غيره. فقد حدث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين؛ فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» (رواه النسائي).

فاشتمل الحديث على سببين:

الأول: أنه شهر يغفل عن الصوم فيه.

والعبادة في وقت الغفلة.

ويدل لهذا خمسة أدلة:

الأول: قول النبي ﷺ: «سبق المفردون». ثم عرفهم بقوله: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» رواه مسلم. قال المناوي رحمه الله: «المفردون: أي المنفردون المعتزلون عن الناس، من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله تعالى»[٣]. فهؤلاء لما ذكروا الله وقد غفل غيرهم كان السبق لهم.

الثاني: قول النبي ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» رواه الترمذي.

وجوف الليل: نصفه.

وجوف الليل الآخر: نصف نصفه الثاني، أي: سدسه الخامس. وهو وقت النزول الإلهي، وقد قال النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» (رواه الشيخان). ومثل هذه النصوص يتعين حيالها أمران: الإقرار والإمرار. الإقرار: الإيمان بما فيها. والإمرار: الإيمان الذي لا يعتريه ما يقدح فيه، من التأويل، والتفويض، والتشبيه.

الثالث:

قول النبي ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرة إلي» رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله: «المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد»[٤].

الرابع: قول النبي ﷺ: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة» (رواه الترمذي).

وإنما خص السوق بذلك لكونه مكان غفلة.

الخامس: قول النبي ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله: الرجل يلقى العدو في الفئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض، فينزلون، فيتنحى أحدهم، فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جواره، فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن» رواه أحمد. فالذي قام إنما قام في حال تكون فيها الغفلة فأصاب فضلا عظيما بذلك.

السبب الثاني: لإكثار النبي ﷺ الصوم في شعبان:

أنه شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله تعالى، والأعمال ترفع كل يوم وكل عام، ففي شعبان ترفع الأعمال كما أخبر نبينا ﷺ.

وفي كل يوم ترفع. فقد ثبت في صحيح مسلم، عن أبي موسى - قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات[٥] فقال: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

قال النووي رحمه الله: «قيل: المراد بالقسط: الرزق الذي هو قسط كل مخلوق، يخفضه فيقتره ويرفعه فيوسعه، والله أعلم»[٦].

فضل ليلة النصف من شعبان

صحت ثلاثة أحاديث في ليلة النصف من شعبان:

الحديث الأول: خرجه الطبراني في الكبير والأوسط، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، قال فيه نبي الله ﷺ: «يطلع الله عز وجل على خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن».

والحديث الثاني:

فقد خرجه البيهقي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب وقال: صحيح لغيره، وهو قول نبينا ﷺ: «يطلع الله إلى عباده ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين، ويمهل الكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه».

وأما الحديث الثالث:

فخرجه ابن أبي عاصم في السنة، وقال الألباني في ظلال الجنة: صحيح لغيره، وهو قول نبينا ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان، فيغفر لأهل الأرض، إلا مشرك أو مشاحن».

الهوامش

١- فتح الباري (٢١٣/٤).
٢- سنن الترمذي (١١٤/٣).
٣- فيض القدير (١٢٢/٤).
٤- شرح مسلم للنووي (٨٨/١٨).
٥- تتبع الفاصلة لتعرف عدها.
٦- شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/٣).

وليد عابد
باحث دراسات إسلامية



شعبان شهر للانطلاقة في رمضان

يعد فقد الأحبة منذرا لاقتراب الأجل، ومضي الأيام محذرا بانقضاء التي تليها، ولحب الله لعباده اليقظين يهبهم نفحات تظلهم بين وقت وآخر؛ ليسهل عليهم تحصيل الأجور المضاعفة في عمرهم القصير؛ منحة منه وفضلا، ولما كان شهر رمضان دورة روحانية مركزة يشتغل العبد فيه بالذكر والقرآن والدعاء والصلاة، مع خشوع ورجاء وطمع، خشي الرسول ﷺ أن ينصرم رمضان وينفرط من بين أيدينا من غير أن نحقق فيه المقاصد، ونصل فيه إلى الصفاء الروحي المؤهل للدخول في رمضان بتميز؛ فنبه بفعاله ﷺ قبل الدخول في شهر رمضان على المران المسبق في شهر شعبان؛ لأن الذي يطير في الفضاء لابد له في مرحلة ما قبل الطيران من السير تأهبا للانطلاق، ومن لم يزرع في رجب، ويسق في شعبان، فكيف له أن يحصد في رمضان؟! وكيف له أن يجد في قلبه حلاوة الطاعة في رمضان؟!

فحلاوة الإيمان حينما يتذوقها القلب في شعبان يجد ثمرتها في رمضان يفوح عبيرها على الطاعات، فالقلب هو الذواق؛ به يقع الشوق إلى الله، ويتدفق إليه نور الهداية والقبول، فيجرف سيل ذلك النور نسيج الذنوب الذي ران على القلب فيما سلف، فتعود النفس إلى أصل خلقتها خصبة لزراعة الخير فيها وتلقيه، ويدخل القلب رياض الجنان فيرتع منها، فيجد حريته فتعود العافية للروح لتسبح متفكرة في ملكوت الله، ملتقطة من مكنون أسرار النور والهداية، فتجمعه في القلب حتى يمتلئ ويفيض على من حوله حكمة وعلما، فيتعود الخير وينكر الشر، وإذا ما اعتاد العبد فعل الخير داوم عليه وإن قل، حتى يرتقي فلا يحسن أن يعصي الله.

الخير عادة

قال رسول الله ﷺ: «الخير عادة والشر لجاجة، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[1]، فمن لم يعتد على الإحسان في الطاعة طيلة عامه؛ فليمرن نفسه عليها من شعبان حتى يسلم له رمضان، ولينقذ نفسه من مكيدة التسويف الشيطانية التي يحيكها له عدوه المبين؛ إذ يوسوس له: لا بأس بقليل من الراحة والسباحة في بحار المعاصي قبل بلوغ بر رمضان، ويمنيه أن في رمضان ليلة القدر وهي خير من ألف شهر، فلم المبادرة بالطاعة؟! فيفوت عليه اللحاق بسفينة السابقين المبكرين، حتى إذا ما أراد

بذل الطاقة حينما يصله رمضان لا يجد بنفسه قوة أن يبلغ مقصده، ويترحل عنه الشهر وهو في بداية الاستعداد، فكيف أن يسلم له رمضان؟!

من فوائد البكور بالطاعة في شعبان توطين النفس وتهيئتها لصيام رمضان، فإذا أقبل كانت مستعدة لصيامه بقوة ونشاط؛ قادرة عليه دون عناء وتكلف؛ متأهبة لغيره من العبادات والطاعات، فتعظيم شعبان من تعظيم رمضان كالسنة القبلية للصلاة المفروضة، تعظيما لحقها، وتأهبا لأدائها.

ولعظيم شرف هذه الأوقات يهزك الشاعر بالكلمات لتفيق من غفلة مرور الأيام الفاضلة من غير عمارتها بالنافع من الأعمال فيقول:

مضى رجب وما أحسنت فيه
وهذا شهر شعبان المبارك
فيا من ضيع الأوقات جهلا
بحرمتها أفق واحذر بوارك
فسوف تفارق اللذات قسرا
ويخلي الموت كرها منك دارك
تدارك ما استطعت من الخطايا
بتوبة مخلص واجعل مدارك
على طلب السلامة من جحيم
فخير ذوي الجرائم من تدارك

فلتسبق غيرك، فالبركة في البكور، ومن نهض قبل غيره سبق إلى نيل المعالي، وحسرة المسبوق يوم القيامة أشد فلا تكن من أهل الحسرات، ولا يزال قوم يتأخرون عن العمل الصالح حتى يؤخرهم الله عن رحمته وعظيم فضله، فشهر شعبان يخاطبك: أسرع في السير إلى الله فقد سبقتك قوافل المتقربين، فأجب.

شعبان شهر لرفع كشف حساب عن الأعمال السنوية

ويعد شعبان هو شهر الجرد والتقويم الأخروي لرفع كشف حساب عن الأعمال السنوية الأخروية التي أنفق عليها العبد من وقته طيلة عام كامل، فعن أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، قال: قلت: يا رسول الله؛ لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»[٢].

وهذا العرض السنوي للأعمال يقتضي عرض أفضل ما عندك من أعمال وقربات، فيتأكد لك وفي قرارة نفسك أنك مراقب من ناقد بصير فتحسن عملك، وهو ما يحفز النفس على بذل أقصى ما عندها وقد قارب السباق على الانتهاء، ليكون ختام العرض مسكا، وتأنس الطاعة بأختها، حين يختم العام بطاعة في شعبان، ويبدأ بأخرى في رمضان.

انسحب من حزب الغافلين عن شعبان

فحينما قال النبي ﷺ: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان»، فهو يحفزك على سرعة الانسحاب من حزب الغافلين، ومعرفة أثر البكور بالطاعة في شعبان، فأكثر الناس غافلون؛ لكنك يا همام ستكون بفضل الله من أول من يخرق هذه الغفلة بهمة ونشاط؛ مع انتباه يستلهم منك من يرافقك سرعة اليقظة فينهض معك، فالعمل وقت الغفلة محبوب عند الله تعالى، لذا حث عليه رسول الله ﷺ؛ فاستحب القيام وسط الليل في غفلة الناس فقال ﷺ لأحد أصحابه: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[٣].

قال الإمام ابن الجوزي، رحمه الله: واعلم أن الأوقات التي يغفل الناس عنها معظمة القدر؛ لاشتغال الناس بالعادات والشهوات، فإذا ثابر عليها طالب الفضل دل على حرصه على الخير؛ ولهذا فضل شهود الفجر في جماعة؛ لغفلة كثير من الناس عن ذلك الوقت، وفضل ما بين العشاءين، وفضل قيام نصف الليل ووقت السحر[٤].

فعبادتك لربك وقت غفلة الناس تثبت بها أنك رباني، لا تنتظر الموسم لتسير مع الركبان تأسيا بما تشاهد من أحوال الطائعين، بل إن همتك عالية أبت إلا أن تسير مع الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، فيستدل بك الناس في السير إلى الله بما يرون منك من يقظة وربانية في شهر يغفل الناس عنه، فتتضاعف لك الأجور إذ لا تجد لك على الخير أعوانا مثلما كانت القرون الأولى، فتكون أنت المصباح المنير لقلبك ولمن



طهرت نفسه وسار على مثل ما أنت عليه، فيتأسى بك آخرون، فيكثر أهل الطاعة؛ لكثرة المقتدين بهم، فتسهل الطاعة على الآخرين بالمشاهدة.

خطوات الاستعداد للانطلاق

بعدما عرفنا أهمية الاستعداد أرى فيك الحماسة في البكور قبل دخول سباق رمضان، والبركة حاصلة في البكور، فمن ثواب الهدى الهدى بعده، وأول الغيث قطر ثم ينهمر، فلتتو بعملك الصالح في شعبان تعجيل توبتك الآن فقد لا يمهلك الأجل، ولتكن توبتك توبة نادم لا عزم له ولا إصرار على العود إلى ما يغضب الله، توبة لا انتكاسة بعدها.

والاستعداد في شعبان يكون عن طريق أمور تحصل بعد تجريد القصد لله؛ هذه الأمور تفيد العبد في ضبط نفسه في السير إلى الله جل وعلا، خصوصا في رمضان، لأن النية الصافية والقصد الخالص قل ما يصبر عليه الناس، وتحتاج إلى أمور مساعدة؛ لتترجم القصد إلى عمل، هذه الأمور قال عنها ابن رجب، رحمه الله: ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن ليحصل التأهب لتلقي رمضان وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن(٥).

الخطوة الأولى: قراءة القرآن

قال سلمة بن كهيل: كان يقال: شهر شعبان شهر القراء.

وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القراء.

وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن(٦).

وليكن لك عهد جديد مع القراءة؛ وذلك بأن تقرأ لتعمل، فعلى أساس العمل بالقرآن تتفاوت مقادير الرجال وتختلف أوزانهم، وهذا ما قرره عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: لا يغرنكم من قرأ القرآن، إنما هو كلام يتكلم به! ولكن انظروا من يعمل بالقرآن(٧).

وذلك يتأتى من خلال الفهم للقرآن والانتفاع بما فيه من حجج وبراهين، وحكم وأمثال، وقصص وأحكام.

قال الحسن بن علي، رضي الله عنهما: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم؛ فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في بالنهار(٨).

الخطوة الثانية: المحافظة على الفرائض

قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قال: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»، فابدأ يومك بضبط ما افترض الله عليك من صلاة وغيرها، وكن وقافا عند حدود الله، واجتنب ما حرم الله، ولا ينسيك فضل النوافل فرضية الفرائض، فينبغي عليك أن تعتني بها، فالعمل بالفرض يقرب إلى الله أكثر من العمل بالنوافل، وفي إتيان الفرائض بالوجه المطلوب امتثال الأمر واحتمال الآمر وتعظيمه بالانقياد له.

فالنافلة لا يمكن أن تقدم على الفريضة؛ لأن النافلة ما سميت نافلة إلا لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فما لم تؤد الفريضة لم تحصل النافلة، وقد جرت عادة الناس أن طلب القرب يكون بغير الواجب كالهدايا والعطايا بخلاف من يقضي ما عليه من ديون، ولذا قال بعض الصالحين: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

وهذا هو الأساس الذي تبني عليه استعدادك لرمضان، وفرض عين عليك أن تراجعه وتضعه في رأس أولوياتك في شعبان.

الخطوة الثالثة: الصيام

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان»[٩].

وعن الحكمة من الصيام في شهر شعبان قال ابن القيم، رحمه الله: وفي صومه ﷺ شعبان أكثر من غيره ثلاثة معان:

أحدها: أنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، فربما شغل عن الصيام أشهرا، فجمع ذلك في شعبان؛ ليدركه قبل الصيام الفرض.

الثاني: أن هذا الصوم يشبه سنة فرض الصلاة قبلها تعظيما لحقها.

الثالث: أنه شهر ترفع فيه الأعمال؛ فأحب ﷺ أن يرفع عمله وهو صائم[١٠].

فصيام شعبان كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط.

الخطوة الرابعة: سلامة الصدر

فقد خص الله شهر شعبان بليلة النصف المباركة التي قال النبي ﷺ عنها: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن»[١١].

ولنا مع الحديث وقفتان مدارهما على أعمال القلوب:

أولاهما: بينك وبين الخالق عز وجل وهي: أن تفتش في قلبك -فأنت الأعلم بحالك- فقد تكون مصابا بمرض الرياء القلبي وأنت لا تعلم؛ وهذا المرض له مسمى آخر وهو «الشرك الأصغر»، فتحتاج إلى إجراء عملية تطهير لقلبك منه؛ ليكون مؤهلا لاستقبال المنحة الربانية بالمغفرة، فالله يغفر في ليلة النصف من شعبان لكل عباده إلا المشرك.

الأخرى: بينك وبين الخلق وذلك بأن تنظف قلبك من الحقد على إخوانك المسلمين لهوى في نفسك، فهذه تمنع المغفرة في أكثر أوقات المغفرة والرحمة، ألا تحب أن يغفر الله لك؟! فمن جماليات الدين أنه جعل تلك الليلة فرصة للتسامي على الذات، والتغلب على النزوات والشهوات، وتقديم السماحة والعفو عن الزلات، وترك الشحناء التى لا تجعل المسلم يعيش هادئ النفس؛ إذ عقله يظل منشغلا بمن يحقد عليه، ولا يهنأ له بال، فالله يحب لقلب عبده المؤمن أن يكون سليما، يعيش بحال أهل الجنة وإن لم يدخلها.

فتلك الليلة يريد الله أن يسلمك فيها من الآفات التي تبعدك عنه، ومن كل أمر ربما يشغل قلبك عنه؛ حتى تكون مقبلا عليه بكليتك، وتصبح مستحقا للمغفرة التي تليها الإعانة على الإحسان في رمضان بالطاعات، بعدما تنقى قلبك من كل ما يعيق سيره إلى الله والفرار إليه، فتدخل على تلك الأوقات الشريفة وقد تفرغ قلبك مما يحزنه ثم يمتلئ بما ينفعه، ويعينه على حياته.

والله أسأل أن يبارك لنا في شعبان، وأن يبلغنا رمضان، ويسلمنا إليه، ويسلمه لنا، وأن يتسلمه منا متقبلا.

الهوامش

١- رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني.
٢- رواه أحمد والنسائي، وحسنه الألباني.
٣- رواه الترمذي، وصححه الألباني.
٤- التبصرة: ٢/ ٥٠.
٥- لطائف المعارف لابن رجب، ص:٢٥٨.
٦- لطائف المعارف لابن رجب، ص:٢٥٨.
٧- رواه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل، ص:٧١.
٨- التبيان في آداب حملة القرآن، ص:٥٤.
٩- صحيح البخاري.
١٠- تهذيب السنن: ٣/ ٣١٨.
١١- رواه ابن ماجه وابن حبان وابن أبي عاصم، وحسنه الألباني.



محمد عبدالباقي
كاتب وباحث

تحويل القبلة.. دروس وعبر

إن حادثة تحويل القبلة حدث مهم في تاريخ الأمة الإسلامية، فيه من الدروس والعبر ما هو كفيل بإصلاح وبناء شخصية المسلم، كغيره من أحداث عظام في تاريخنا المشرق الوضاء، والتي إذا قرأناها بتؤدة وتأن لتغيرت كثير من مجريات حياتنا.

في القرآن قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤﴾ (البقرة:١٤٢-١٤٤).

وفي السنة النبوية كما في صحيحي البخاري ومسلم: «عن البراء، أن النبي ﷺ: كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت، أنكروا ذلك. قال زهير: حدثنا أبو إسحاق عن البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ (البقرة:١٤٣)»[١].

عن البراء بن عازب قال: «صليت مع النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا، حتى نزلت الآية التي في البقرة ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ (البقرة:١٤٤) فنزلت بعد ما صلى النبي ﷺ، فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون فحدثهم، فولوا وجوههم قبل البيت»[٢]

دروس الحادثة

١- دليل على صدق نبوة الرسول

ﷺ: أخبر الله تعالى نبيه في القرآن بما سيقوله اليهود عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ من إثارة الشكوك والتساؤلات وهذا يدل على نبوة محمد ﷺ؛ إذ هو أمر غيبي، فأخبر به قبل وقوعه، ثم وقع، كما قال الله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (البقرة:١٤٢).

«وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله عزوجل: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ أي نحوه، فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾»[٣].

٢- اختبار وابتلاء ليميز الله الخبيث من الطيب، فالمسلم الصادق شأنه أن يقول: سمعنا وأطعنا، وأما غير المسلم فشأنه الاعتراض والتكذيب كما قال الله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾، وكانت الحادثة كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ (البقرة:١٤٣)، وكانت محنة من الله، امتحن بها عباده؛ ليرى من يتبع الرسول منهم ممن ينقلب على عقبيه، ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾. يقول ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى: إنما شرعنا لك -يا محمد- التوجه أولا إلى بيت المقدس، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة، ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه، أي: مرتدا عن دينه ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً﴾ أي: هذه الفعلة، وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة، أي: وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس، إلا على الذين هدى الله قلوبهم، وأيقنوا بتصديق الرسول، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فله أن يكلف عباده بما شاء، وينسخ ما يشاء، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك، بخلاف الذين في قلوبهم مرض، فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا، كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق»[٤].

٣- الوسطية التي كرم الله بها هذه الأمة، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ يقول ابن كثير: يقول الله تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم؛ لنجعلكم خيار الأمم؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، فهي أمة وسط في التصور والاعتقاد، وفي التفكير والشعور في التنظيم والتنسيق، والارتباطات والعلاقات، وفي المكان في سرة الأرض وأوسط بقاعها.

٤- استقلال وتميز شخصية المسلم عن غيره، فالمسلم متميز في عقيدته وعبادته وأخلاقه وقبلته فلا يقلد؛ لذلك كان النهي عن التشبه بغير المسلمين في مظهر أو سلوك أو احتفال وليس هذا تعصبا، وإنما كان تمسكا باستقلالية المسلم وإغناء له بما عنده في دينه، فلا يحتاج تقليدا أو تشبها بأحد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وباعا فباعا، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه»، قالوا: ومن هم؟ يا رسول الله، أهل الكتاب؟ قال: «فمه»[٥].

فالأمة المسلمة اليوم في أمس الحاجة إلى التميز والتفرد بشخصية واضحة مستقلة.

٥- الاستجابة المطلقة لله ورسوله، وتنفيذ ما أمر الله به، عندما جاء خبر تحويل القبلة، كما في صحيح البخاري عن البراء: «أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا -أو سبعة عشر شهرا- وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وإنه صلى أول صلاة صلاها العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى مع النبي ﷺ فمر على أهل المسجد وهم راكعون، فقال أشهد بالله، لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت»، لقد تحولوا وهو في هيئة الركوع من قبلة بيت المقدس إلى اتجاه البيت الحرام، لم ينتظروا حتى ينتهوا من صلاتهم أو يرفعوا رؤوسهم من الركوع، بل استداروا وهم ركوع.

فالأمة تحتاج الآن إلى التحول إلى منهج الله بدون قيد أو شرط، الاستجابة الفورية لله ورسوله، حينها نستحق الاستخلاف والتمكين.

الهوامش

١- صحيح البخاري١/ ٢٣ ت البغا.
٢- صحيح مسلم٢/ ٦٥ ط التركية.
٣- تفسير ابن كثير - ط العلمية١/ ٣٢٥.
٤- تفسير القرآن العظيم١/٣٢٩أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) تح: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ
٥- مسند أحمد١٤/ ٨١ ط الرسالة.



حسن عباس
محرر صحفي

تهيئة ١٥٩٠ مسجدا لاستقبال المصلين

«الأوقاف» إستعدت للشهر الفضيل

مع اقتراب حلول شهر رمضان المبارك، في ٢٣ مارس المقبل ٢٠٢٣م، بدأت وزارة الأوقاف استعداداتها المبكرة لاستقبال هذا الشهر الفضيل، وتهيئة بيوت الرحمن لاستقبال آلاف المصلين لأداء صلوات التراويح والقيام في هذا الشهر الفضيل الذي يتميز بأجواء إيمانية خاصة.

وفي هذا الصدد ترأس وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون تعزيز النزاهة عبدالعزيز الماجد اجتماعا تنسيقيا مع كافة قيادات وزارة الأوقاف ومديري إدارات المساجد بالمحافظات، وذلك لمناقشة استعدادات الوزارة لاستقبال شهر رمضان المبارك.

واطلع الوزير الماجد خلال الاجتماع على آلية الاستقبال والتجهيزات التي أعدتها الوزارة في مسجد الدولة الكبير والمراكز الرمضانية بكافة محافظات البلاد، والاستعدادات التي تمت في المساجد وتهيئة الأجواء بها لاستقبال المصلين بالشهر الفضيل.

وكثفت وزارة الأوقاف جهودها في الفترة الأخيرة من أجل تهيئة الأجواء الإيمانية وتوفير كل سبل الراحة والأمان للمصلين في أكثر من ١٥٩٠ مسجداً في البلاد، وقد استمع وزير الأوقاف عبدالعزيز الماجد لعرض حول الاستعدادات الخاصة بالمسجد الكبير ومدى جهوزيته لاستقبال المصلين هذا العام، حيث إن عملية الصيانة تجري حالياً في المسجد وسيتم تأكيد الصلاة من عدمها في حال تمت بشكل كامل قبل قدوم رمضان بفترة قصيرة.

وشدد الماجد خلال اجتماعه بمسؤولي وزارة الأوقاف على ضرورة تضافر كل الجهود، داعيا مديري المساجد في المحافظات الست إلى وضع سلامة المصلين وتوفير سبل الراحة والأجواء المناسبة لهم على رأس أولوياتهم لتقديم أفضل ما يمكن للمصلين.

وأكد على ضرورة الانتهاء من كافة التجهيزات والاستعدادات اللازمة لجميع مساجد البلاد، كما وجه المسؤولين بالوزارة بمواصلة الاجتماعات بشكل أسبوعي للوقوف على ما تم من إنجازات ومتابعة الإجراءات للانتهاء من باقي الاستعدادات.

اشتراطات السلامة

وبخصوص سلامة المصلين شدد وزير الأوقاف على التأكد من جميع اشتراطات السلامة في بيوت الرحمن قبل قدوم الشهر الفضيل، وعدم فتح أي مسجد لم ينته من أعمال الصيانة بشكل كامل، حفاظاً على سلامة وأمان المصلين، إضافة إلى أن هناك اجتماعات عديدة سيتم عقدها لاعتماد العديد من الآليات وبحث كل المتطلبات.

كما ستعقد اجتماعات مع جهات عدة في وزارات الداخلية والشؤون والصحة والإطفاء والدفاع المدني لاعتماد آليات توفير سبل الراحة والأمان للمصلين، ووضع آليات لضبط التبرعات في شهر رمضان، وتوفير المتطوعين وسيارات الإسعاف والطوارئ الطبية في المراكز الرمضانية.



وسوف يتم اعتماد آليات لحماية المساجد والمصلين، من أبرزها منع المتسولين وضبط جمع التبرعات وفق الجداول التي ستعتمدها الشؤون، وحماية مركبات المصلين من السرقة، وتنظيم الازدحام المروري أمام المساجد التي يُقبل عليها المصلون بأعداد غفيرة.
كما ستخصص وزارة الأوقاف مراكز للطوارئ في رمضان لتلقي شكاوى ومقترحات المصلين على مدار اليوم، والعمل على حلها بشكل فوري وسيتم تخصيص أرقام «واتس اب» لاستقبالها.

أجواء إيمانية

يُشار إلى أن وزارة الأوقاف ستستعين بالقراء من الخارج هذا العام، وتحرص على الاستعانة بعدد من القراء أصحاب الأصوات المميزة لإمامة المصلين في مختلف المساجد، حيث يتوافد المصلون على مختلف المساجد في مختلف المحافظات لأداء صلاة القيام مع دخول العشر الأواخر من شهر رمضان.
كما تسمح الوزارة بإقامة موائد الإفطار بشرط أن تكون خارج المسجد، إما عن طريق أخذ الصائم لوجبته أو تناولها في خيمة خارجية.

مراكز رمضانية

يتم تخصيص المراكز الرمضانية في كل محافظة على حسب إمكانياتها واحتياجها، كما سيتم نصب الخيام خارج المسجد بالتنسيق مع البلدية، بشرط أن تكون توصيلاتها الكهربائية منفصلة عنه تجنبا لأي ضغط.
إضافة إلى أن الوزارة ستنظم المعتكفات الرمضانية، من أجل توفير الأجواء الإيمانية وغرس القيم الوطنية ونبذ الغلو والطائفية بين المعتكفين.

دروس وحلقات وعظية

تخصص وزارة الأوقاف هذا العام العديد من المحاضرات الإيمانية والدروس الفقهية وحلقات الوعظ في جميع المحافظات بالبلاد عن طريق الدعاة والمشايخ، وستتناول العديد من القضايا والظواهر المنتشرة في المجتمع؛ وأبرزها المخدرات والطلاق والابتعاد عن نشر الشائعات والعنف.

تهيئة المساجد

وأشارت مصادر بوزارة الأوقاف إلى أنه سوف يتم فرش أكثر من ١٢٠ مسجداً، إضافة إلى توفير مئات المصاحف وكراسي المصحف في المساجد التي تحتاج، كما سيتم توزيع المطبوعات المختلفة، لإعلان الأنشطة والفعاليات الثقافية والدينية والدعوية، والإعلان عن أماكن المراكز والمعتكفات، وأماكن تواجد ضيوف الوزارة، وجداول القراء من الداخل والخارج، إضافة إلى بعض المطبوعات الإرشادية للمصلين، كما ستجرى صيانة الصوتيات ودورات المياه وتوفير المنظفات والمعطرات بكافة مساجد البلاد.
بينما لفتت المصادر إلى أن الوزارة ستوفر وجبات السحور والتمور والمياه والعصائر للمصلين في المراكز الرمضانية، وأشارت إلى أنه سيتم تخصيص مشرفين لمراقبة جودة الأغذية المقدمة للمعتكفين والمصلين في المساجد.









أحمد أبو زيد
كاتب وباحث

هلال رمضان..
حفاوة تاريخية وابتهاج أدبي

تعتني الدول الإسلامية بهلال شهر رمضان عناية فائقة، وترصد مطالعه كل عام، حتى تتثبت من رؤيته، فيتحقق أول الشهر ويبدأ الصيام، ويكون ذلك من الليالي الغر المشهورة، فتضاء مآذن المساجد، وتحتفل به وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وتعم البشائر والتهاني وتطلق المدافع، وينشط رجال العلم والوعظ والإرشاد، وتكثر المحاضرات في الجمعيات الدينية.

فلم يحظ هلال من أهلة الشهور العربية بما حظي به هلال شهر رمضان من حفاوة واهتمام على المستوى الفقهي والعلمي والأدبي، ذلك لارتباطه بأفضل الشهور عند الله تعالى، وهو شهر الصيام الذي خصه الله سبحانه بفيض من الخيرات والرحمات والبركات، فاهتم الفقهاء بأحكام رؤيته ودلائلها وشروطها، واهتم علماء الفلك والحساب بمطالع الهلال ووسائل رصده ووقت ولادته والحسابات

الفلكية التي تحدد عمر الأهلية.

ونجد الأدباء والشعراء يستقبلون هلال رمضان بالابتهاج والحفاوة والترحيب، ويجسدون مشاعر الفرحة به في قلوب الناس، ويترقبون ظهوره الذي يبشر ببداية الشهر الفضيل، ولذلك حظي هلال رمضان بحفاوة عظيمة في الشعر والأدب العربي، واحتل مساحة كبيرة في دواوين وقصائد الأدب العربي، نثره وشعره، عبر العصور.

في نهاية شهر شعبان من كل عام جرت العادة منذ العصور الإسلامية الأولى على خروج المسلمين لرؤية هلال رمضان، حيث إن رؤية الأهلة اعتبرها الفقهاء من فروض الكفاية، لما يترتب عليها من الأحكام الفقهية والشرعية، وكان الرسول ﷺ لا يأمر بصوم رمضان إلا بعد رؤية هلاله على التحقيق، أو بشهادة الواحد العدل، فصامه مرة بشهادة أعرابي، ومرة بشهادة ابن عمر مكتفيا بمجرد الإخبار.. فعن ابن عمر قال: «تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصامه وأمر الناس بصيامه»، فإن لم ير الهلال، ولم يشهد أحد برؤيته أكمل شعبان ثلاثين يوما ثم صام، وأمر الناس بالصوم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ابتداء صوم رمضان قبل رؤية الهلال فقال: «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» (رواه البخاري ومسلم). وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له».

موكب الرؤية

وقد جرت العادة في المدن الإسلامية على خروج القاضي لرؤية هلال رجب وما بعده احتياطا لشهر رمضان، واختلف المؤرخون في أول من خرج لرؤية هلال رمضان من قضاة مصر، فذكر السيوطي أن أول من خرج لرؤيته في مصر، هو القاضي غوث بن سليمان، الذي توفي سنة ١٦٨هـ، وقيل إن أول قاض ركب في الشهود إلى رؤية الهلال هو أبو عبدالرحمن بن لهيعة، الذي تولى قضاء مصر بعد وفاة أبي خزيمة سنة ١٥٥هـ (٧٧١م)، وقال الكندي طلب الناس هلال شهر رمضان وابن لهيعة على القضاء، فلم يره أحد، وأتى رجلان وزعما أنهما رأيا الهلال فبعث بهما الأمير موسى بن علي بن رباح إلى ابن لهيعة فسأل عن عدالتهما فلم يعرفا، واختلف الناس وشكوا، فلما كان العام المقبل خرج عبدالله ابن لهيعة في نفر من أهل المسجد عرفوا بالصلاح فطلبوا الهلال، وكانوا يطلبونه بالجيزة، ثم تعدوا الجسر في زمن هشام بن أبي بكر البكري وطلبوا الهلال في جنان بن أبي حبيش.

دكة القضاة

وقد سن ابن لهيعة لمن بعده من القضاة هذه السنة الحسنة، فكانوا يخرجون إلى جامع عبود بسفح المقطم لترائي الهلال في شهري رجب وشعبان احتياطا لإثبات هلال رمضان.. ولتحقيق هذا الغرض أعدت للقضاة دكة عرفت بـ«دكة القضاة» بجبل المقطم ترتفع عن المساجد، يجلسون عليها لنظر الأهلة منها، وقد بني في العهد الفاطمي مسجد مكان هذه الدكة.

وكانوا قديما يستزيدون من إنارة المساجد عند رؤية الهلال، يقول أحمد بن يوسف، الكاتب العباسي الشهير: «أمرني الخليفة المأمون أن أكتب إلى جميع العمال في أخذ الناس بالاستكثار من المصابيح في شهر رمضان وتعريفهم ما في ذلك من الفضل قال: فما دريت ما أكتب ولا ما أقول في ذلك، إذ لم يسبقن إليه أحد فأسلك طريقه ومذهبه، واتفق أن نمت وقت القيلولة فآتاني آت في منامي فقال اكتب: فإن ذلك أنس للسابلة، وإضاءة للمتهجدين، ونفي لمظان الريب، وتنزيه لبيوت الله - عز وجل - من وحشة الظلمة، فانتبهت وقد انفتح لي ما أريد، فابتدأت بهذا وأتممت عليه». ولم يكن الخلفاء والولاة يتكبرون على الصعود مع القضاة والشهود إلى الأماكن العالية لرؤية هلال رمضان.

ولم تستمر رؤية القضاة لهلال رمضان في العصر الفاطمي، حيث أبطل الخلفاء رؤية القاضي للهلال، وجعلوا الشهور الرمضانية شهرا تسعة وعشرين يوما وشهرا ثلاثين، فإذا وقع رمضان في أحدهما أمضوه كما هو، وأصبح ركوب الخليفة الفاطمي أول رمضان يقوم مقام الرؤية عندهم، ولكن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أباح صوم رمضان بالرؤية لمن يريد، وقد ترك القضاة في العهود الأخيرة الخروج للرؤية وتحول ذلك إلى المفتين الذين يقومون بهذه المهمة.

وصف ابن بطوطة

وقد وصف ابن بطوطة موكب الرؤية في بلدة مصرية، وذلك في رحلته الأولى لمصر عام ٧٢٧هـ، وكان يسمى «يوم الركبة»، وهو يوم ارتقاب رمضان فقال: «ولقيت بأبيار قاضيها عز الدين المليجي الشافعي وهو كريم الشمائل كبير القدر، حضرت عنده مرة يوم الركبة، وعادتهم فيه أن يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي، ويقف على الباب نقيب المتعممين وهو ذو شارة وهيئة حسنة

فإذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب ومشى بين يديه قائلا باسم الله سيدنا فلان الدين، فيسمع القاضي ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب في موضع يليق به، فإذا تكاملوا هنالك ركب القاضي وركب من معه أجمعون وتبعه جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان، وينتهون إلى موضع مرتفع خارج المدينة وهو مرتقب الهلال عندهم وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش فينزل فيه القاضي ومن معه يترقبون الهلال، ثم يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع، ويصل الناس مع القاضي إلى داره، ثم ينصرفون هكذا فعلهم في كل سنة».

وفى العصر الحديث تطورت وسائل رؤية الهلال تطورا كبيرا فدخلت فيها المراصد والأقمار الصناعية، وفي كل عام يسعى العلماء لإضافة وسائل جديدة لرصد الهلال تسهل من الرؤية السليمة له لحظة ميلاده، وتذلل من الصعوبات الرئيسية التي تواجه عملية الاستطلاع، حيث يولد الهلال بجوار قرص الشمس ويكون ضوؤه ضعيفا خافتا وتؤثر أشعة الشمس على ظهوره بوضوح في صفحة السماء كما تؤثر عوامل التلوث بالغلاف الجوي على الرؤية العادية له وهذا هو سبب اختلاف رؤيته من بلد لآخر.

ولإيجاد حل لهذه المشكلة، تم مؤخرا استخدام مجموعة جديدة من المناظير المحمولة والكاميرات السريعة الإلكترونية التي تعمل بالحاسب الآلي والكمبيوتر وكاميرات رادار بالليزر لتتبع الأقمار الصناعية بسرعة فائقة لتوفير استطلاع دقيق للهلال.

حفاوة أدبية

وتمتد الحفاوة بهلال رمضان إلى التراث الأدبي، فنجد الشعراء في مختلف العصور، قد رحبوا بالهلال وابتهجوا برؤيته، وأجادوا في وصفه والتغزل فيه، فنجد الشاعر أبا عبدالله الأندلسي، الذي عاش في أواخر دولة الموحدين بالمغرب العربي، يحيي هلال رمضان في قصيدة يحض فيها على تعظيم الشهر، واغتنام أيامه ولياليه بالأعمال الصالحات والتقرب الى الله، فيقول:

هذا هلال الصوم من رمضان
بالأفق بان فلا تكن بالواني
وافاك ضيفا فالتزم تعظيمه
واجعل قراه قراءة القرآن
صمه وصنه واغتنم أيامه
واجبر ضعاف الناس بالإحسان
واغسل به خط الخطايا جاهدا
بهمول وابل دمعك الهتان
لا غرو أن الدمع يمحو جريه
بالخد سكبا ما جناه الجاني
لله قوم أخلصوا فتخلصوا
من آفة الخسران والخذلان
هجروا مضاجعهم وقاموا ليله
وتوسلوا بالذل والإذعان

ويقول الشاعر ابن حمديس الصقلي الذي عاش في الأندلس وبلاد المغرب العربي خلال القرنين الخامس والسادس الهجري:

قلت والناس يرقبون هلالا
يشبه الصب من نحافة جسمه
من يكن صائما فذا رمضان
خط بالنور للورى أول اسمه

ويذكر البحتري هلال شهر شعبان حين أصبح قمرا يؤذن بطلوع شهر رمضان وبزوغ هلاله، فيقول:

قم نبادر بها الصيام فقد
أقمر ذاك الهلال من شعبان

الرافعي وتحية الهلال

ونجد أديب العروبة مصطفى صادق الرافعي، يبدع في تحية هلال رمضان ووصفه شعرا جميلا يردده الكثيرون، اذ يقول:

فديتك زائرا في كل عام
تحيي بالسلامة والسلام
وتقبل كالغمام يفيض حينا
ويبقى بعده أثر الغمام

ثم يصف لهفة الملايين وشوقهم إلى رؤية هذا الهلال، الذي طالما انتظروه، فهو بشير بمقدم الأجواء النورانية العطرة، ذلك أنه شهر الرحمة والمغفرة والنور والسعادة الروحية، فيقول:

تبدو وثغرك للأحبة باسم
كالروض يزكو في الربيع ويسعد
والمسلمون عيونهم ظمأى إلى
شلال ضوء في السماء يزغرد
يدعو عباد الله: هيا استبشروا
فالسعد لاح وفجره المتورد

شوقي والهلال

ويستقبل أمير الشعراء أحمد شوقي، شهر رمضان وهلاله بقصيدة رائعة تحت عنوان «هلال الصيام»، نشرتها جريدة

«المؤيد» عام ١٨٩٥م، ولم ترد ضمن ديوانه، ولكن أوردها الدكتور محمد صبري في كتابه: «الشوقيات المجهولة»، يقول فيها:

يا هلال الصيام مثلك في السامين
للعز من طوى الأفلاكا
مرحبا للثواب منك وأهلا
بليال جماله لقياك
كل عال أو كابر أو نبيل
أو وجيه من النجوم فداكا
أنت مهد الشهور والحسن والإشراق
مهد الوجود منذ صباكا
فوق هام الظلام ضوء جبين الكون
تاج للكائنات ضياكا

الإشادة بالهلال

ويشيد الشاعر الأردني محمد درويش بالهلال، ويعدد ما في رمضان من الخيرات والرحمات وفضائل الأعمال، فيقول:

أشرق النور هلالا من حنايا الداجيات
يحمل البشرى رجاء للنفوس القانطات
فينير الروح صفوا كالدراري الزاهرات
يتجلى الحق فيه للقلوب الطاهرات
والمعاني فيه تسمو عن وضيع الرغبات
والأماني في شذاها كالزهور اليانعات
فيك يحلو ذكر آي وابتهال في الصلاة
والتسابيح اشتياق وعناق الصالحات
في ثنايا العشر يخفى كنز كل الأمنيات
ليلة القدر تجلى للقلوب الزاكيات
تنزل الأملاك والروح بأنواع الهبات
من لدن رب كريم خالق للكائنات

ويقول الشاعر الجزائري محمد الأخضر يمتدح هلال رمضان:

امـلأ الدنيا شعاعا
أيها النور الحبيب
قد طغا الناس عليها
وهو كالليل رهيب
ذكر الناس عهودا
هي من خير العهود
يوم كان الصوم معنى
للتسامي والصعود
ينشر الرحمة في الأرض على هذا الوجود

أشواق رمضانية

ونجد الشاعر السعودي ناصر بن علي عليان، يبث أشواقه إلى رمضان وهلاله، وما فيه من رحمات وفضائل وخيرات، ويرسم صورة كلية لفرحة البشر بهذا الشهر، وتميزه بين الشهور، فيقول في قصيدته «بوابة الغفران»:

تاقت الأنفس الظماء لرياك
فشدت للأفق قلبا وناظر
تتراءى هلالك الباسم الثغر
يحيي سناه باد وحاضر
فأكبت عليك تلثمك الروح
اشتياقا وتجتليك المحاجر

فالأنفس قد هفت إليه هياما وشوقا، وترقبت القلوب هلاله الوضاء رغبة ومحبة، يحدوها الأمل في نوال المغفرة وقبول الأعمال.

ثم يستكمل الشاعر مبينا فضائل رمضان ومآثره، فقد أنزل الخالق - جل شأنه- فيه القرآن الكريم، وبسناه ينجلي ظلام اليأس، فيقول:

فيك لا في سواك قد أنزل الذكر
وطافت بالعالمين البشائر
فيك هب الأولى إلى النصر سلوا
كل سيف وأسرجوا كل ضامر
بسناك الدفاق تجلو ظلام اليأس
تهدي إلى الهدى كل حائر

هلال الرحمة

ويقول الشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين في ديوانه «هلال الرحمة»:

وإني هلال الصوم من ذا يفوقني
أهل على الإنسان في خير طلعة
ففي جهاد النفس تغدو كليلة
وتسمو على الدنيا المتاع الرخيصة
ويعلو هتاف العقل صوتا مدويا
ليسري بقاعات الضمير برعشة
وفي تشف الروح ترقى لتعتلي
لتنعم في وصل العوالي الزهية
وتضحى قلوب المؤمنين رهيفة
وتشرق أغوار الفؤاد برحمة

عثمان إسماعيل محمد حسين
كاتب وباحث



عظمة التشريف وجلال التكريم

تبدو دلائل الإعجاز الإلهي واضحة جلية في شهر رمضان المبارك؛ هوية وفضائل ومنحة ربانية لتلك الأمة التي شرفها الله تعالى بوصفه الكريم بأنها خير أمة أخرجت للناس آمنت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا وبالقرآن الكريم كتابا وإماما.

فلقد نال شهر رمضان المبارك من التكريم والتشريف الإلهي حتى ارتقى إلى درجة الخصوصية هبة ومنة ورخصة من الخالق عز وجل لأمة الإسلام كل عام تجديدا لإيمانهم وترسيخا لشريعتهم الغراء.

وتبدو خصوصية التميز والتفرد لهذا الشهر الكريم منذ بشرى ظهور هلاله إلى الختام بالعيد السعيد، تلك الأيام المعدودات التي يحياها المسلم الحق صلحا مع الله تعالى وصلحا مع النفس وهو يمارس تلك الفريضة الرابعة من أركان الإسلام الخمسة في معية الله تعالى عبادة وطاعة وتقربا إليه وإحياء لسنة رسول الله ﷺ وتمسكا بها، وهنا تكمن عظمة هذا الشهر الكريم بأنه عهد وميثاق بين بني أمة الإسلام وخالقهم عز وجل صقلا للإيمان وزيادة في الطاعات وإنماء للخيرات ورفعة للدرجات وغفرانا للذنوب وأملا في الرضا والقبول وسبيلا للسعادة في الدنيا وحسن ختام الآخرة.

ومن هنا كان هذا التكريم الإلهي لهذا الشهر الكريم بأن وهبه الله عز وجل من التكريم والتشريف ما جعله من أعظم الشهور، ومما تسعد به النفس المسلمة من مظاهر فضائل هذا الشهر الكريم:

فطرة «الاستقبال»

فهذا الشهر الكريم له استقباله الخاص الروحي والوجداني والعقلي، تهفو إليه النفس والقلب شوقا ولقاء وحياة، حتى أن المسلمين يعيشون عبق روحانياته منذ مجيء شهر رجب، حيث يبدأون في العد التنازلي استعدادا لقدومه وبدئه فلا حديث على الألسنة الرطبة غير دعائهم «اللهم بلغنا رمضان».

ينقل ابن رجب عن معلى بن الفضل، حيث كان منهج السلف الصالح، أنهم كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ويدعون ستة أشهر أن يتقبل منهم، وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم «اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني متقبلا»[1].

ويبدو الإعجاز الرباني في بشرى قدوم أول ليلة من ليالي هذا الشهر العظيم وهبة الله لهذا الكون ورضاه عن عباده رحمة بهم وحبا وخيرا لهم والتهيئة بتطهير الأرض والقلوب، قال ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل

ويا باغي الشر أقصر» (رواه الترمذي).

القرآن الكريم

ومن فيوضات ولآلئ التكريم الإلهي لشهر رمضان أن الله عز وجل أنزل فيه القرآن الكريم نورا ودستورا وهدى وشريعة لأهل الأرض، فجاء هذا التكريم صريحا بلفظه قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ (البقرة:١٨٥)، فهو شهر القرآن قراءة وتدبرا وإدراكا وعملا به، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة[٢].

ليلة القدر

وزاد التكريم تكريما بأن الله تعالى خص هذا الشهر العظيم بليلة بلغ من قيمتها وعظمتها وقدرها أنها خير من ألف شهر وهي الليلة المباركة التي شرفت بنزول القرآن الكريم فيها دستور المسلمين وشريعتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ (القدر:١-٣)، هذه الليلة التي قال عنها رسول الله ﷺ: «من حرم خيرها فقد حرم» والتي من عظيم شأنها وأسرارها أنه ﷺ جعلها سبيلا آمنا لغفران الذنوب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣]، فهي الليلة التي لها شوق انتظارها والظفر بها والتلذذ بثمارها.

❖ **الزكاة: ومن فضائله ومكرماته سبحانه** وتعالى لهذا الشهر الكريم أن خصه بزكاة الفطر الركن الثالث من أركان الإسلام والتي فرضت على أمة محمد ﷺ في السنة الثانية للهجرة طهرة للصائم، وطعمة للمساكين، وبها يتحقق التساند الاجتماعي وكذلك حق الفقراء على الأغنياء فجعل رسول الله ﷺ تأديتها في وقتها شرطا من شروط قبول الصيام، روى أبو حفص بن شاهين أن رسول الله ﷺ قال: «صوم رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر»[٤]، فذلك غاية المقصد لاستثمار تلك المنحة الربانية أملا في الفوز برضا الله سبحانه وتعالى والسعادة في الدار الآخرة.

الصدقات وأبواب الخير

وامتدادا لثمار الزكاة وآثارها كذلك تكثر في هذا الشهر الكريم أيادي الجود والكرم والخير والإحساس بالفقراء والمحتاجين وأحوالهم، روى الطبراني في معجمه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في هذا الشهر من الخيرات، لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها»[٦]، وذلك عندما يعيش الجميع شريعة الحقوق بين أغنياء المسلمين وفقرائهم ولذة ثمار التكافل والمواساة وجبر الخاطر يتمنى الجميع أن يكون العام كله رمضان.

الاعتكاف

ومن سنن الطاعات التي اختص بها شهر رمضان المبارك سنة الاعتكاف في العشر الأواخر من هذا الشهر العظيم، وهي تكون في المسجد تفرغا للعبادة وصونا للنفس من الشهوات والملذات وتربية روحية لها وإقناعها بأن متاع الدنيا قليل والآخرة خير وأبقى، فعن عائشة، رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله[٥].

باب الريان

ويبلغ التكريم الرباني لأهل شهر رمضان وخاصته أعظم الثواب بأن جعل لهم بابا خاصا بهم يدخلون منه إلى الجنة وهو «باب الريان»، فما أعظمه من ثواب وما أجلها من مكافأة إلهية، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له باب الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل أحد غيرهم، وإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»[٧].

عيد الفطر

وأخيرا يكون ختام هذا الشهر الكريم رضا الله على عباده الصائمين بتلك الهبة الربانية وهي نعمة «العيد» عيد الفطر المبارك، وهو يوم الجائزة، جائزة من أخلص في النية في صيامه مع خالقه طاعة وعبادة، فمن حقه أن يكون في كنف الله ورعايته فرحة وسعادة وبهجة، حيث أمرنا رسول الله ﷺ بأن نحيي ليلة العيد بالذكر والحمد والدعاء، روى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلتي العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[٨].

هذه ملامح من الهبات الربانية التي ميز بها الله عز وجل شهر رمضان المعظم وزاده بها تشريفا وتكريما ليكون سيد الشهور وأعظمها وأفضلها عبادة وتقربا إلى الله وإحياء لسنة رسوله الكريم ﷺ.

ولأن شهر رمضان شهر أمة الإسلام.. كانت نفحة الله عز وجل على أمته مغفرة وقبولا وعتقا من النار.

وبعد ... فإن شهر رمضان المبارك يكمن الإعجاز الرباني في هويته كونه رسالة ربانية ومنحة كل عام لها غايتها المثلى هداية وإرشادا واستقامة وبناء تربويا شاملا له مقاصده المتباينة فردا وجماعة ومجتمعا مما تتحقق معه صورة المجتمع المسلم كما ينبغي أن تكون وكما دعا إليها الدين الإسلامي الحنيف.

الهوامش

١- لطائف المعارف: ابن رجب الحنبلي، ص:١٤٧.
٢- صحيح البخاري، كتاب الصيام، فتح الباري ٥/ ٢٣٣.
٣- صحيح البخاري، كتاب الإيمان برقم ٣٥.
٤- ذكره السيوطي في الجامع الكبير برقم:١٥٠٥٧.
٥- رواه البخاري، كتاب الاعتكاف: ٢٠٢٦.
٦- معجم الطبري (الكبير) برقم ٩٦٧ من حديث أبي مسعود الغفاري رضي الله عنه.
٧- صحيح البخاري: ١٨٩٦، ومسلم: ١١٥٢.
٨- من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: ١٧٨٢.



د . أمان قحيف
أستاذ الفكر الإسلامي المعاصر
عضو اتحاد كتاب مصر

لهذا لا يفهم الماديون حكمة الصيام!



ثمة تساؤل جوهري وعلى درجة كبيرة من الأهمية نطرحه في بداية هذه السطور، ثم نحاول الإجابة عليه إجابة تشفي غليل الطامحين إلى المعرفة الرصينة وتروي ظمأ المتطلعين إلى إدراك الحقيقة.. هذا التساؤل هو: لماذا يخفق أنصار الفكر المادي في فهم واستيعاب الحكمة الكامنة والمتضمنة في العديد من الشعائر الدينية التعبدية؟ ولماذا يخرج بعضهم بين الحين والآخر للحديث عن عدم وجود حكمة معينة أو دلالات واضحة في الأمور التعبدية؟

الحق أنه كثيرا ما تتعالى أصوات بعض أنصار الفكر المادي معلنة أنها لم تقف على حكمة معينة تكمن في هذه العبادة أو تلك، فقد ذهب بعضهم إلى الزعم بأن الصوم -كشعيرة تعبدية- لا سبيل إلى إدراك مراميها أو فهم أغراضها، بالتالي فهو يعد -في نظرهم- قرارا سياديا من الله، أي إن الله تعالى قد فرضه على عباده من دون توضيح أهدافه أو تبيين غاياته، أو من دون الإشارة إلى الحكمة من فرضه على العباد. والمعنى عندهم أن العقل الإنساني لا يجد مسوغا أو مبررا لتعذيب النفس الإنسانية بفرض شعيرة عليها تحرمها من الاستمتاع بلذات الحياة ومتعها على مدى ساعات النهار طوال شهر كامل من شهور السنة كل عام!

وإذا ما أخضع العقل الذي يمتلك وعيا دينيا مستنيرا تلك الرؤية للمناقشة الفكرية والتحليل النقدي فسيتبين أنها تعبر تعبيرا صارخا عن عجز في الفهم وعدم قدرة على الاستيعاب الحقيقي لجوهر تشريعات الدين الإسلامي الحنيف، فللعبادات -في الإسلام- مدلولاتها وحكمتها التي لا يدركها إلا أهل العلم الراسخ، الذين لديهم القدرة والمقدرة على التفاعل الإيجابي مع ما تطرحه النصوص المنزلة سواء كانت قرآنا كريما أم سنة نبوية مشرفة.. وهذا لا يعني أننا نقول باحتكار العلم الديني، ولا يعني الإشارة إلى انفراد فئة معينة بالمعرفة الدينية دون بقية الخلق بحال من الأحوال، بل يعني الإشارة إلى أنه بما أن لكل علم سبله وأساليبه فإن للمعرفة الدينية هي الأخرى أدواتها وآلياتها التي تعين الباحث في العلوم الشرعية على تعليل الأحكام وفهمها وإدراك مراميها.

جوهر الدين

من هنا نؤكد أن امتلاك آليات البحث في العلوم الشرعية يعين الباحث المتخصص على إدراك جوهر أطروحات الدين ومعطياته، ومن تسلح بتلك الأدوات والآليات فإنه يتمكن من الوصول إلى نتائج سليمة وأحكاما صائبة شأنه في ذلك شأن من امتلك آليات البحث والتنقيب في أي علم من العلوم الأخرى.

واللافت أن أكثر أنصار الفكر المادي يذهبون إلى الحكم بإدانة التشريعات التي يعز عليهم فهمها -لعدم امتلاكهم أدوات وآليات معرفتها- بدلا من أن يستفرغ الواحد منهم جهده في البحث والتنقيب بهدف الوصول إلى المعرفة الحقة أو بهدف الارتقاء بمستوى نفسه في الفهم والإدراك لقضايا الدين وأصول التشريع.

فقد عجزوا عن الفهم والاستيعاب لقضايا الصوم -كشعيرة تعبدية- فلم يكن من الواحد منهم إلا أن «ذهب يوجه سهام نقده إلى الصيام كشعيرة دينية بدلا من التوقف معه وقفة علمية ومعرفية ليستكنه سره ويدرك جميل أثره.. ولقد ظن هؤلاء أن نقدهم للصيام هو قول في محله غير مدركين أنهم يعبثون في أقوالهم كمن عز عليه استيعاب القواعد الأساسية لعلم الفيزياء -لضيق أفقه- فلم يفعل شيئا غير أن ذهب يهاجم هذا الفرع من العلوم ويتهمه بأنه لا يتوافق مع العقل الإنساني والروح العلمية.

والحق أن ثمة ملاحظات على تعامل أنصار الفكر المادي مع قضية الصوم، نشير إلى بعضها على النحو التالي:

الاستلاب الثقافي

إن الإشكالية التي تواجه منطق هؤلاء وفكرهم أن الواحد منهم -عند تناوله للقضايا الدينية- لا يفعل شيئا غير أن يضع النص الديني أمامه ثم ينطلق يعمل ذهنه -المتسلح بمناهج مادية بحتة- فيه من دون الاستعانة بآراء أهل التخصص وعلماء الاختصاص.

إن استكانتهم للأطروحات المادية التي تقوم عليها مناهج البحث الغربية تسبب لهم العديد من المشكلات والإشكاليات عند التعامل مع النصوص الدينية.. إنهم مستلبون فكريا لصالح الحضارات المادية التي لا تؤمن بالروح قدر ما تؤمن بالجانب المادي في الحياة الإنسانية.

الأسلوب الإقصائي

إن الفكر المادي ينطلق من أسس أيديولوجية لا يحيد عنها بحال من الأحوال، وأبرز هذه الأسس وأعلاها قدرا في نظرهم أن كل طرح يخالفهم معرفيا أو لا يتوافق معهم فكريا هو بالضرورة باطل ومزيف وغير حقيقي، بمعنى أن تمسكهم بأسس مرجعيتهم يجعل الواحد منهم يتصور أو يتخيل أنه يمتلك الحقيقة المطلقة أو الصواب الذي ليس بعده صواب.

ونتبين هنا وجود درجة ما من التوافق بين الماديين وبين المتشددين أصحاب المذاهب الفكرية الجامدة التي ترى أن ما عندها هو بالضرورة الصواب الذي ليس بعده إلا الخطأ الذي يجب تغييره أو -على الأقل- تعديله.. بمعنى أن الماديين ومعهم الجامدين فكريا يمارسون التهميش والإقصاء بغير حق تجاه كل من يخالفهم الرأي أو الرؤية أو التصور!

واللافت أن تيارات الفكر المادي تمارس هذا الفعل الإقصائي في حق بعضهم بعضا، فلا الماركسية ترى في الرأسمالية خيرا ولا الرأسمالية ترى في الشيوعية نورا أو تنويرا.. غير أنهما يتفقان على أن الأديان تعد أفيون الشعوب ومخدرا للعقول.. ناسين أو متناسين أن الدين الإسلامي أحدث نقلة تنويرية كبيرة في ذهن البشرية جمعاء من خلال دعواته المتكررة إلى ضرورة -بل حتمية- إعمال العقل ومن خلال تأكيده على أهمية المحافظة على الكرامة الإنسانية على كافة مستوياتها.

غياب الحيادية والموضوعية

لا يدخل أكثر الماديين إلى قضايا الدين من باب البحث فيها بموضوعية وحيادية، بل يدخل بعضهم -وربما أكثرهم- إليها وقد حسم في ذهنه النتيجة التي سيتوصل إليها، بالتالي تراه يسعى إلى إثباتها ويحاول البرهنة على صدقها بكل ما يستطيع من سبل وأساليب.. يحدث ذلك منهم مع أن أبسط وأول قواعد المنهج العلمي السليم تؤكد أن على الباحث أن يدخل إلى مجال بحثه خالي الوفاض من الأحكام المسبقة وأن يضع نفسه في موضع المحايد لا موضع الخصم اللدود الذي يحاول تصيد أي شيء أو أي رؤية تعينه على

تأكيد ما في ذهنه من تصورات، أو تعضد نتيجة كان قد خزنها سلفا في رأسه وفكره، وحالهم هنا كحال من يضع العربة أمام الحصان.. وهذا هو أهم مظهر من مظاهر غياب الموضوعية أو الحيادية في البحث العلمي والتنقيب المعرفي.

قصور الرؤية

من الأخطاء التي تبرهن على تهافت الفكر المادي فيما يتعلق بفهم واستيعاب المعنى العام للصوم أن أكثرهم -أو كلهم- يرون أن معنى الصوم لا ينطوي إلا على الحرمان من الطعام والشراب والمتع الأخرى، في حين أن الصيام بمعناه العام يتجاوز هذا الحد؛ إذ هو كما يرى ابن منظور «ترك الطعام والشراب والكلام..»[1].. فالامتناع عن الكلام يعد هو الآخر نوعا من أنواع الصيام، ونفهم هذا المعنى من قول ربنا في كتابه العزيز على لسان السيدة مريم: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم: ٢٦).

أيضا من البراهين الدالة والدامغة على وجود قصور لدى الماديين في فهمهم لقضية الصوم أن الواحد منهم يتحدث عن الصوم باعتباره شعيرة دينية إسلامية فحسب، جاهلا أو متجاهلا أن الصوم فرض في جميع الشرائع السابقة على الشريعة الإسلامية.. ولقد



أكد القرآن الكريم هذا المعنى في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

الأمر الذي يشير إلى وجود قصور شديد لديهم في الربط بين الشرائع المتعددة التي نزلت من السماء، ويشير في الوقت نفسه إلى تعمدهم اجتزاء الموضوعات وعدم الإلمام بالقضايا الإيمانية إلماما كاملا متكاملا.

سطحية التناول

ومما يبرهن أيضا على افتقاد الماديين للمنهجية السليمة في التعامل مع العديد من التشريعات الدينية أن أكثرهم ينظر إلى ظاهر الأمر الإلهي أو ظاهر التشريع من دون أن يعمل عقله أو يرهق ذهنه في البحث عن جوهره أو كنهه وحقيقته؛ إذ لا يرى بعضهم -مثلا- في الصوم غير أنه يمثل دعوة تؤدي إلى الحرمان من الطعام والشراب وباقي المفطرات! ويتوقف بعضهم -أو أكثرهم- عند هذا الحد من الفهم والاستيعاب ولا يحاول تجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة تالية لها تعد أكثر عمقا وأشمل فكرا.

إن البحث الدقيق والنظر المتأني العميق في فريضة الصوم يجعل المرء يكتشف بالتحقيق القائم على حسن الفهم وسلامة الاستيعاب أن الحرمان من الأكل والشرب وبقية المفطرات ليس هو الغاية أو الهدف من الصوم، بل إن للصوم غايات نبيلة وسامية لا يقف عليها إلا من يدقق النظر ويمعن التفكير.. فبجانب تعميق التقوى في القلوب المؤمنة يهدف الصوم إلى الارتقاء بأخلاق المكلفين بأداء هذه الفريضة، ويهدف أيضا إلى تقوية الإرادة الإنسانية...إلخ.

ونزيد الأمر وضوحا فنقول: إذا كان الصوم لغة هو ترك الطعام والشراب والنكاح...إلخ. فإن معناه عند علماء التفسير: «الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة»[٢].

فالصوم لا يهدف بهذا المعنى إلى الحرمان من المفطرات -كما يتخيل الماديون- بل يذهب إلى غاية سامية وهدف نبيل ألا وهو تزكية الروح وتطهير النفس وتنقيتها من الآفات المرذولة سلوكيا ومعنويا، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى الارتقاء بأخلاق الصائمين، ويؤدي بالتالي إلى تحقيق التقوى في نفوسهم، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

وهذا هو المعنى الغائب عن الماديين الذين لا يعرفون عن معنى الصوم -كما قلنا- إلا الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح ويغفلون عن جوهره وكنهه وحقيقته وغاياته وأهدافه.. من ثم فلا عجب ولا تعجب ولا دهشة ولا اندهاش من أن يعجز بعضهم عن الوقوف على حكمة للصوم وتعوزه المعرفة الواعية بغاياته البعيدة.

وإذا كان الفكر المادي يرى أن العقل -عندهم- - غير قادر على إدراك حكمة الصوم فنحن نسأل هؤلاء: إذا كان ذلك كذلك فما قولكم في الصوم الذي كان سائدا ومنتشرا لدى مختلف الأمم والحضارات والشعوب الأخرى قبل نزول الإسلام؟ حيث إن «المتواتر من أقوال الباحثين عن عادات الأجناس البشرية أن الصيام بجميع أنواعه قديم في أمم العالمين: القديم والحديث.. ففي حضارات أمريكا آثار تدل على قدم الصيام بين شعائر العبادة التي دان بها سكانها الأصلاء قبل ميلاد السيد المسيح، وقد اشتهر الصيام البرهمي والبوذي منذ أقدم العصور التاريخية، مع تحريم أكل اللحوم كما هو معلوم، واشتهر مثله صيام البابليين والآشوريين على نحو قريب من الصيام الذي تعلمه منهم اليهود أيام السبي متابعة للشعائر الدينية التي جاء بها الرسل الأسبقون فيما بين النهرين، وأولهم نوح عليه السلام على القول المشهور.. وكان الصيام معروفا عند المجوس الزرادشتيين ولكنهم -أو طائفة منهم- حرموه أخيرا لثورتهم على العبادات البرهمية والعبادات الآشورية بعد اصطدام العقائد الجديدة بالعقائد الموروثة السابقة عليهم.. ولا يندر الصيام في أمة من الأمم الكبيرة غير الأمم التيوتونية من أبناء الشمال، فإنه قليل في تاريخهم القديم وإن لم يكن مهملا كل الإهمال، ولعلهم قللوا منه لصعوبة الاستغناء عن الطعام زمنا طويلا في البرد الشديد أو لصعوبة توقيت المواعيد حيث تقل الفترة بين شروق الشمس وغروبها فلا ينتظم التوفيق بينها وبين وجبات الطعام»[٣].

والخلاصة أن الأمم السابقة على الأمة الإسلامية عرفت الصيام أيا ما كانت هذه الأمم كتابية أم غير كتابية، وهذا ما تؤكده الدراسات السسيولوجية والأنثربولوجية الحديثة، الأمر الذي يضع رؤية الماديين في مأزق كبير؛ ذلك لأن الصوم ظاهرة إنسانية بمعنى أن الإنسان صام وعرف الصوم منذ أزمنة بعيدة وقرون مديدة.. فلا مجال هنا للكلام على الصوم باعتباره ظاهرة إسلامية تفرد بها الشرع الحنيف من دون بقية الملل والشرائع والأديان.. من ثم حق لنا أن نقول بأن حديثهم عن الصيام باعتباره -كما يزعمون أو يتوهمون- لا حكمة له هو حديث غير العارفين بتاريخ الإنسان وغير المدركين لمنهجية التعامل مع النصوص الشرعية.

الهوامش

(١) ابن منظور. لسان العرب. (١/ ٤٣٤/).

(٢) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. دار التراث العربي للطباعة والنشر. القاهرة. (١/ ٢١٣).

(٣) العقاد. يوميات. دار المعارف. القاهرة. (١/ ٦٤٥).

شهنج مورياد
باحث في اللغة والأدب- كيرلا، الهند



رمضان شهر العفو والعرفان

رمضان هو الشهر الذي ملئ بالرحمة والغفران، والعفو والعرفان، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، والشهر الذي اختصت به أمة خاتم النبيين. قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وسلسلت الشياطين» (متفق عليه). تتنزل الملائكة فيه كل يوم رحمة من الله على عباده المؤمنين.

وقد فضل الله شهر رمضان من بين سائر الشهور مثلما فضل النبي ﷺ --على الأنبياء كلهم. وبالنسبة للمؤمن فهو فرصة عظيمة لتنقيح القلوب والأبدان من الأخلاق الرذيلة والأعمال القبيحة، وتزويدها بالنور الإلهي والنمو الروحي، وعد الله بغفران الذنوب كلها لمن تاب وأحسن عملا، مصداقا لقوله ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»، وإن الله يصب فيه الرحمة والبركة على الناس مدرارا.

والمرء إذا فاتته الفرصة لاستضافة رمضان بأحسن وجه فمحال عليه أن يستدركها بشهر آخر عوضا عنه، لأن رمضان أجلّ وأعظم شأنا من سائر الشهور، فينبغي للجميع القيام في أيامه ولياليه بإكثار الأذكار والأدعية، وزيادة الأعمال والخيرات للحصول على القرب من الله.

إن الله يغفر الذنوب كلها لمن رفع إليه يديه في هذا الشهر الذي بورك فيه. وكذلك العفو أيضا صفة من صفات الله الجلية، وهو وصف نفسه في قوله سبحانه: (عفوا غفورا). وذلك في رمضان خاصة، وفي ليلة القدر أخص، فقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ فقالت: قلت يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» (حديث صحيح رواه الترمذي). على ضوء هذا الحديث نفهم أهمية حقيقة العفو وسماتها. والله يحب من يسأل العفو من عباده.

العفو والعرفان بين العباد

يحب الله من يقوم بالعفو لأخيه كما يحب العفو لعباده المذنبين، وبما أن الإنسان يعيش مختلطا بين البشر فأمر طبيعي أن يحتاج المرء لغيره في المسرات والمضرات، بينما تقع الأخطاء بينهم في الفينة بعد الأخرى. ويجب أن يصاحب المرء بالعفو والتسامح طيلة حياته حتى لا يتسبب في كسر القلوب عند وقوع الأخطاء بينهم، كما قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢). وشعور المؤمن بأن يعفو عن أخيه أيضا من رحمة الله الواسعة. وقد كان النبي ﷺكثير العفو لأصحابه وأهله وعدوه، ضره بعض أقاربه في بدء الإسلام غاية الضرر ولكنه التزم الصمت والعفو، وضره أهل الطائف فكان جوابه أيضا الصفح الجميل. وإن في رسول الله أسوة حسنة، حيث كان خلقه القرآن وشعاره العفو لغيره.

سعادة الحياة

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، وفي هذا الحديث النبوي عبر عديدة لكل من يتفكر ويتدبر، حيث سعادة الحياة تأتي لأهلها إثر الجد والجهد الذي بذلوه في سبيلها. فتمالك النفس وهو من أعظم الجهاد الذي يواجهه الإنسان، والسماحة والعرفان لا تسكنان إلا في القلوب الحليمة. فمن اجتمع له العفو من الله والعفو عن الإخوان فهو عظيم في الدنيا والآخرة، لأن الخصال الحميدة التي قام بها صاحبها ستنقذه من ظروف الحياة القاسية وتهديه إلى سلوكيات الحياة العالية. فالصبر والعفو هما العنصران المهمان لتكون الحياة سعيدة في الدارين. فاصبر صبرا جميلا مهما كانت الظروف حولك. وادع الله كثيرا أن يساعدك في القيام بالخيرات طيلة رمضان وبعده، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

د. فاطمة عبدالقادر مفتاح
باحثة دراسات إسلامية



المرأة ورمضان.. رسائل وتوجيهات

شهر الصيام شهر مبارك فيه بركات كثيرة، وفضائل عظيمة، واغتنامه بالخيرات والقربات واجب على كل مسلم ومسلمة؛ لأن خطاب الشارع في أوامره ونواهيه يعنى به الرجل والمرأة على حد سواء كأصل عام إلا ما خرج استثناء لحكمة يقدرها الشارع.

١- تشريع الصيام للمرأة والرجل

والصيام من العبادات التي تجب على الرجل والمرأة، والأدلة كثيرة ذلك، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥). روى الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ، فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء! فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ....﴾[١].

فقد سوى الله تعالى في عشر صفات بين الرجل والمرأة منها، صوم الفرض والنفل لإشراقة الروح وقوة النفس، والتسامي عن الماديات والشهوات، والإقبال على الله تعالى تشبها بالملائكة[٢].

تجربة صحابية في تدريب الصغار على الصيام

والمخاطب بفرضية الصيام هو البالغ، فلا يجب الصوم على صبي؛ لعدم أهليته، لكن ذلك لا يمنع من تدريبه على الصيام حتى يتعود على الطاعة شيئا فشيئا، وقد جاء هذا التوجيه في قول النبي: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»[٣]. ويقاس على الصلاة سائر العبادات.

وهنا تجربة عملية لصحابية جليلة هي الربيع بنت معوذ في جعل تلك الأوامر موضع التنفيذ، قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «من أصبح مفطرا، فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما،

فليصم»، قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف المصبوغ)، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[٤].

ففي الحديث حجة على مشروعية تمرين الصبيان على الصيام؛ لأن من كان في مثل السن الذي ذكر في هذا الحديث فهو غير مكلف وإنما صنع لهم ذلك للتمرين[٥].

٢-أبرز أعذار المرأة في الصيام

أ- صيام الحائض والنساء: لا يصح صوم الحائض والنفساء بإجماع المسلمين؛ لأن النقاء من الحيض والنفاس شرط في صحة الصوم للمرأة، فلو نزل الدم في اللحظة الأخيرة من النهار قبيل غروب الشمس فسد الصوم ووجب القضاء على المرأة، وإنما حرم الشارع عليهما الصوم رحمة بهما ورعاية لحالتهما البدنية والعصبية. والواجب عليها أن تقضى الأيام التي لم تصمها بسبب الحيض أو النفاس، فعن معاذة، قالت: سألت عائشة فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة. فقالت: أحرورية أنت؟ قلت: لست بحرورية، ولكني أسأل. قالت: «كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[٦].

وهذا ومن رحمة الله بالمرأة، فأوجب قضاء الصوم الذي فاتها بسبب الحيض دون إيجاب قضاء الصلاة؛ لأن الصلاة تتكرر في اليوم خمس مرات فيشق على المرأة قضاؤها مشقة تؤدي إلى الحرج، بخلاف الصيام فهو في كل سنة مرة.

● هل للمرأة عبادة أثناء الحيض في رمضان؟

– المرأة المسلمة لا تصلي ولا تصوم ولا تقرأ القرآن ولا تمس المصحف حال حيضها، لكن لها أن تتعبد الله وتتقرب إليه بالدعاء، والصلاة على النبي، وبذكره سبحانه وتعالى، من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وغيرها من الأذكار، فعن السيدة عائشة، قالت: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»[٧].

والمقصود أنه ﷺ كان يذكر الله تعالى متطهرا ومحدثا وجنبا وقائما وقاعدا ومضطجعا وماشيا[٨].

فاحرصي أيتها المسلمة على ذكر الله في كل وقت، وبالأخص في صباحك، ومسائك، وقبل نومك، بما تيسر لك من ذكر.

ب- المرأة الحامل والمرضع: إذا كانت المرأة حاملا أو مرضعا وخافتا على أنفسهما أو على الولد أو عليهما معا، فقد أجاز لها الشرع الإفطار وعليهما القضاء[٩] على الراجح؛ لقوله ﷺ: «إن الله عزوجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحبلى والمرضع الصوم»[١٠].

٣- المرأة في ميدان الطاعة في رمضان

اغتنام الوقت في رمضان بكل أصناف القربات والمبرات لهو أكبر دليل على تعظيم ذلك الشهر، فمن قصر في رمضان، فهو بقية عمره أكثر تقصيرا، والمرأة والرجل في ذلك سواء، قال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(النحل:٩٧).

أ- المرأة والقيام في رمضان: المراد بقيام رمضان إحياء لياليه بصلاة التراويح، وكذلك بغيرها من الطاعات[١١]، وصلاة التراويح سنة مؤكدة للرجال والنساء بإجماع العلماء قال النبي: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» [١٢]، وصلاة التراويح في جماعة في المسجد أفضل من صلاتها فرادى؛ لفعل النبي والصحابة، ولا بأس للمرأة أن تخرج للمساجد لأداء التراويح فيها، وفقا للضوابط الشرعية[١٣]، لقول النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» وفي رواية: «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها»[١٤].

ب- الصدقة والإنفاق في رمضان: الإنفاق في سبيل الله والتصدق على المحتاجين والفقراء ثوابه عظيمه في الدنيا والأخرة، والمرأة إذا كانت صاحبة مال أو من الأغنياء أو الميسورين ينبغي لها أن تبادر في شهر رمضان بالتصدق وإخراج الأموال في سبيل الله، فالمرأة لها ذمة مالية مستقلة، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١).

وقد جاء الأمر بذلك للنساء، فعن زينب امرأة عبد الله قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن...»[١٥]، بل قد نبه النبي المرأة إلى أنه لا تقلل من شأن أي معروف أو خير تقوم به، لقوله ﷺ: لا تحقرن جارة لجارتها

ولو فرسن[١٦] شاة[١٧].

ج- الإكثار من تلاوة القرآن وتدبره: مما ينبغي أن يكون على جدول أعمال المرأة في رمضان القرب من القرآن؛ لأنه شهر نزل فيه القرآن،

قال تعالى: قال الله عزوجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥).

فينبغي أن يكون لك ورد محدد من كتاب الله لتنال الشفاعة بالصيام والقرآن، قال النبي ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ري منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان »[١٨].

٤- إيجابية دور المرأة في المشاركة في الطاعة (العشر الأواخر أنموذجا)

النبي كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها، والاجتهاد إنما يكون للرجل وللمرأة ولسائر أفراد الأهل، تحقيقا للتعاون على البر والتقوى، ومشاركة بين أفراد الأسرة في الطاعة والعبادة تحصيلا لمزيد من الفضل والخير؛ ومن هنا يأتي دور المرأة الصالحة التي تعين زوجها على الطاعة، ويعينها زوجها على الطاعة، قال رسول الله ﷺ: رحم الله رجلا قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فإن أبي نضحت في وجهه الماء[١٩].

وهذا ما كان يفعله النبي مع أهله في رمضان وينبغي لنا أن نتمثله، فقد «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله»[٢٠].

ومعنى قوله: (وأيقظ أهله) أي ليقضوا فترة منه في الصلاة وقيام الليل وطلب ليلة القدر، لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢) تنبيها لهم على فضل تلك الأوقات واغتنام صالح العمل فيها.[٢١]

٥- السيدة عائشة تسأل لنتعلم دعاء ليلة القدر!

ليلة القدر ليلة مباركة قال الحق سبحانه وتعالى في شأنها ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ (القدر:٣). وكل مسلمة يجب عليها إحياء ليلة القدر، ويكون إحياءها بالصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء وغير ذلك من الأعمال الصالحة، ودعاء ليلة القدر تعلمناه من النبي بفضل سؤال السيدة عائشة رضي الله عنها، فروي أنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني»[٢٢].

٦- أخلاقياتك وأفعالك مرآة لصيامك الحقيقي

كما أن الرجل واجب عليه أن يحسن في صيامه في يومه وليلته بكل جميل من الأقوال والأفعال، وأن يجتنب كل محرم أو رديء من الأقوال والأفعال والتصرفات، فأنتن أيتها النساء مطلوب منكن ذلك أيضا، فلا يعقل أن تصومي لله، وتكثرن مع النسوة من الغيبة والنميمة والخوض في الأعراض، وانتهاك الحرمات، فلا يليق هذا بأخلاق الصائمين والصائمات.

ولذلك قال بعض العلماء: كم من صائم مفطر، وكم من مفطر صائم، والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام، ويأكل ويشرب. والصائم المفطر: هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه[٢٣].

وهذا مشار إليه بقول النبي ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[٢٤].

٧- مبادئ لبيتك في رمضان

أ- رمضان فرصة للتعود على الاعتدال والتوسط في المأكل والمشرب، وهذا بالدرجة الأولى تقوده المرأة في بيتها، فلا تجعلي الشهر ميدانا للإسراف التبذير وتضييع الوقت في مزيد من الأطعمة والأشربة فوق الحاجة،

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

ب- رمضان ليس لتضييع الوقت في اللهو واللعب والنوم وما لا فائدة منه، فلا تجعلي وقتك في رمضان يضيع هباء منثورا، وليكن دورك إيجابيا في شحذ همم أفراد أسرتك نحو الطاعة والعبادة بالنصيحة والتوجيه، وهذا من واجبات رعايتك لبيتك، عن نبينا ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» [٢٥].

ج- الجماعية والاجتماع والمشاركة في الأعمال سمة ينبغي أن تكون حاضرا بين أفراد أسرتك، فالجماعية من أسرار القوة، وداعية للمحبة، ومن أسباب البركة بين أفراد الأسرة، ومن أمثلة ذلك المشاركة

في الطعام والشراب، وأداء بعض الصلوات في جماعة، والتعاون في بعض أعمال البيت، وصلة الرحم، وغير ذلك الكثير. قال رسول الله: «يد الله مع الجماعة»[٢٦].

٨- همسات في إذن المرأة الصائمة

أ- رمضان فرصة للتقرب من الله ليس في الصيام فقط بل في كل أوامر الشرع ونواهيه؛ ولذلك فإن المرأة التي تصوم رمضان ولا تصلي في خطر عظيم!، ينبغي أن تتذكر أن الصلاة عماد الدين، وأنها شعار لكل مسلم، وأن التهاون فيها يعرض الإنسان لسخط ربه عليه في الدنيا والآخرة. قال الرسول ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد: بصلاته. فإن صلحت؛ فقد أفلح وأنجح. وإن فسدت؛ فقد خاب وخسر»[٢٧].

ب- المرأة المسلمة هي التي تحافظ على حشمتها وعفافها وسترها في رمضان وفي غيره، فلا يعقل أن تتمسك المرأة بالصيام مع مشقته على النفوس، وتترك حجابها وتمشي بين الناس غير مراعية لحدود الله في لباسها، وقد علمتي أن الحجاب فرض عليك، فلتجعلي رمضان فرصة للتمسك بكل الأوامر الربانية ومنها الحجاب، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور:٣١).

٩- احتسابك في رمضان

المرأة عندما تعمل في بيتها تحتسب الأجر من ربها يكون عملها طاعة تؤجر عليه.. فعند اعدادها الطعام لزوجها وأولادها محتسبة الثواب من الله يصير عملها طاعة، فإن نوت بذلك مثلا إفطار صائم تنال ذلك بفضل الله، وتدخل في قول النبي ﷺ: من فطر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا[٢٨]. وهكذا كل عمل مباح أو دنيوي تنوي به القربة والطاعة لله تثاب عليه.

وفي الختام ينبغي للمرأة أن تكثر من الطاعات والقربات، وأن تصون جوارحها عن الذنوب والآثام، وأن تجعل كل وقتها في طاعة ربها، ونفع نفسها، والإحسان إلى زوجها وأولادها، بغير هذا يكون الخسران والضياع، قال ﷺ: رغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له.[٢٩].

الهوامش

١- سنن الترمذي ٣٥٤/٥، وقال «هذا حديث حسن غريب وإنما نعرف هذا الحديث من هذا الوجه».
٢- التفسير الوسيط، للزحيلي ٢٠٧٠/٣.
٣- سنن الترمذي، ج ٢٥٩/٢، وقال: حديث حسن.
٤- البخاري، رقم: ١٩٦٠.
٥- فتح الباري ٢٠١/٤.
٦- مسلم، رقم: ٣٣٥.
٧- مسلم، رقم: ١١٧.
٨- شرح النووي ٦٨/٤.
٩- اتفق الفقهاء على أن الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا من الصوم على أنفسهما فعليهما القضاء ولا فدية عليهما كالمريض، وكذا إن خافتا على أنفسهما وولديهما. لكنهم اختلفوا فيما إذا أفطرتا خوفا على ولديهما، فذهب فريق إلى أن عليهما القضاء وإطعام مسكين عن كل يوم، وذهب فريق آخر إلى أنه لا تجب عليهما الفدية بل تستحب لهما. وذهب بعض علماء السلف ومنهم ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم إلى أنهما يفطران ويطعمان ولا قضاء عليهما. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٧٠/٣٢.
١٠- رواه الخمسة (أحمد وأصحاب السنن) عن أنس بن مالك الكعبي، نيل الأوطار: ٤/ ٢٣٠.
١١- شرح النووي ٢٩٨/٣.
١٢- البخاري، رقم: ٣٧.
١٣- وهذه الضوابط: أن تكون بلباسها الشرعي الذي لا يصف ولا يشف، وأن يكون ذلك بإذن الزوج، وأن يكون هناك أمن من الفتنة والخطر من خروجها.
١٤- أخرجه أبو داود ١/ ٤٢٣، والحاكم ٣٢٧/١ وصححه ووافقه الذهبي.
١٥- مسلم، رقم: ١٠٠٠.
١٦- الفرسن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير، كالحافر للدابة. النهاية، لابن الأثير ج ٤٢٩/٣.
١٧- البخاري، رقم: ٢٥٦٦
١٨- أحمد في المسند، ١٧٤/٢، والحاكم، ٥٥٤/١.
١٩- سنن أبو داود٣/ ٣٣، وابن حبان في صحيحه ٦/ ٣٠٦. والمراد التلطف معها والسعي في قيامها لطاعة ربها مهما أمكن، قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ (المائدة:٢). مرقاة المفاتيح ٩٢٨/٣.
٢٠- البخاري رقم: ١١٢٩.
٢١- مرقاة المفاتيح، جـ١٤٤١/٤.
٢٢- الترمذي ٥/ ٥٣٤، وقال: حديث حسن صحيح
٢٣- إحياء علوم الدين ٢٣٦/١.
٢٤- سنن ابن ماجة، رقم: ١٦٩٠والحاكم، وقال: صحيح على شرط البخاري.
٢٥- متفق عليه.
٢٦- سنن الترمذي٤٦٦/٤، وقال: هذا حديث حسن غريب.
٢٧- رواه الترمذي وقال: حسن غريب.
٢٨- أخرجه الترمذي، ٣/ ١٦٢، وقال: حسن صحيح.
٢٩- سنن الترمذي، ٤٤٣/٥، وحديث أنس هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

د. شاذلي عبدالغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية



الخضر حسين ومقاصد الصيام

لم يقتصر اهتمام الشيخ محمد الخضر حسين (١٨٧٦م - ١٩٥٨م) رحمه الله في حديثه عن أركان الإسلام على شرحها وبيان قواعدها، وإنما اهتم أيضا بتوضيح ما تشتمل عليه من مقاصد سامية، تهدف إلى إصلاح الفرد وتطهير نفسه وإرشاده إلى القيم والسلوكيات التي تؤسس لمجتمع متماسك تسوده الرحمة وتحكمه قيم التعاون والمحبة ويزدهر بطاعة لله عزوجل، وهذا المقال يعرض بعض مقاصد الصيام التي عني الشيخ بتفصيل الحديث فيها، ومنه:

التقوى

يقول الشيخ رحمه الله: «من تفقه في التقوى عرف أنها الوسيلة الكبرى للعظمة الصادقة» «وهي الفوز بالهدى والفلاح»، بل إنه كان يرى أن «التقوى ملاك السعادة كلها»؛ وذلك لأنها تمنع صاحبها من الخضوع لوساوس النفس الأمارة بالسوء وتنأى به بعيدا عن طرق الغي والضلالة، وبها تعتاد النفس على فعل الخيرات والإقبال عليها، وهل تتشكل السعادة، ويأتي الفوز بالهدى والفلاح وتكون العظمة الصادقة إلا بالقدرة على كف النفس عن خواطر السوء وترويضها على الإقبال على فعل الخير؟

يقول الشيخ في تفسير ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣): هذه الجملة واقعة موقع التعليل لقوله تعالى: «كتب عليكم الصيام». والمعنى: «فرض عليكم الصيام؛ لتدخلوا في زمرة أهل التقوى، ذلك أن الصيام يكف النفوس عن كثير مما تنزع إليه النفس من خواطر السوء، ويربي فيها ملكة الصبر، ومغالبة طغيان الشهوات، ويروضها إلى عمل الخير مقبلة عليه راغبة فيه، وبهذه السيرة يبلغ العاملون أسمى منازل البر والتقوى»[٤]، فالصيام تمرين للنفس يمنحها القوة التي من الممكن أن ترقى بها إلى أشرف المكارم والفضائل، ويجعلها تتعفف عن الوقوع في كل ما يمكنه أن يقود إلى المعاصي والرذائل، يقول الشيخ في مقاله «الصيام»: «لعلكم تتقون» تصيرون أتقياء، فإن الصوم يقهر النفس ويخطمها عن مألوفاتها، وذلك مما يورث التقوى، وقد فسرت «الجنة» في حديث «الصيام جنة» (صحيح البخاري) بالوقاية والسترة من المعاصي رعاية لهذا المعنى».

والتقوى لا تنبع إلا من إرادة قوية صادقة لا تعجز أمام الرغائب والشهوات والأطماع، ويوضح الشيخ رحمه الله ما للصيام من أثر في تقوية هذه الإرادة؛ فالصائم يمتنع إرضاء لله تعالى عما هو حاضر لديه، والنفس التي تمتنع عما تشتهيه وهو في

حوزتها لاشك أنها تصبح أقوى في مواجهة الأوطار والشهوات من تلك التي لا يمنعها من الوصول إلى رغائبها إلا عجزها عن الوصول إليها، ومن هنا يتساءل الشيخ: «أو ليس في الصيام رياضة النفوس، وتدريبها على احتمال المكاره، والصبر عن الشهوات حتى لا تكون أسيرة في ملاذها؟! وفي النفوس التي اعتادت الصبر عما تشتهي -وهو حاضر لديها- قوة وجلادة لا تجدها في النفوس التي لا تكف عن المشتهيات إلا عند فقدانها، فالصيام بحق يشفي النفوس من علة الانحطاط في الشهوات كلما عرضت، ويسبكها في صورة النفوس القوية التي يسهل عليها أن تتصرف عن ملاذها ساعة ترى الخير في الانصراف عنها». ويوضح الشيخ جانبا آخر في تأثير الصيام على ترويض النفس على التقوى عندما يتحدث عن العلة في أن يأتي التحذير من أكل أموال الناس بالباطل بعد آيات الصيام حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٨) فيذكر الشيخ أن الله تعالى بين قبل هذه الآية الكريمة «أحكاما عملية، منها: صيام شهر رمضان، وهو أي: الصيام - يتضمن النهي عن أكل الطعام في أيام ذلك الشهر، ولو كان المأكول حلالا، ومن راض نفسه عن الامتناع من أكل الحلال في نحو ثلاثين يوما نهارا من السنة، صار مستعدا لأن يمتثل النهي عن أكل الحرام في جميع حياته، فكان المقام بعد ذكر شرع الصيام مناسبا للنهي عن أكل المال بغير حق في جميع أيام الحياة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾...».

والتقوى النابعة عن الإخلاص تبقى بما تتضمنه من إقبال عن الطاعات وابتعاد عن المحرمات بعد انقضاء شهر رمضان، «فمن اتقى في شهر رمضان بعض المحارم، ورأيته يصوم مع الصائمين، ويصلي مع المصلين، حتى إذا انقضى هذا الشهر، جعل يتباطأ عن أداء الواجبات، ويبادر إلى ما كان يتقيه من المحرمات، فذلك الذي أقام أعماله على غير إخلاص، ولم يخالط قلبه بشاشة الاستقامة على ما أمر الله».

الأخلاق الكريمة

يحذر الشيخ من أن يكون الصيام امتناعا عن الطعام والشراب دون أن يكون لذلك أثره في إصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق والتمسك بالمعاني السامية التي حاز بها شهر رمضان فضلا وملاحة، فهذه المعاني «جديرة بأن يكون لنا فيها مأخذ عبرة، وموضع قدوة، فنتجه بعزيمة نافذة إلى الدعوة إلى الخير، والذود عن الحق، ومكافحة الباطل والبغي، والطموح إلى العزة، والرسوخ في الأخلاق السنية، والأخذ بوسائل المنعة، والعيش في حرية وطمأنينة، والتنافس في حسن الطاعة للخالق -جل شأنه-.

وغفل بعض الناس عن هذه المعاني المنبئة أن رمضان شهر العمل لكمال الإنسانية، وحسبوه شهر عبادة لا تتجاوز الإمساك عن الأكل والشرب بياض النهار، فلم يبالوا بعد هذا الإمساك أن يشغلوا أوقاتهم النفيسة بما لا يقربهم من الفلاح شبرا ولا يرفع لأمتهم ذكرا». فالذين لا يبالون باقتراف الآثام مع امتناعهم عن شهوتي البطن والفرج ليس لهم من صيامهم إلا الجوع والعطش، وقد منعوا أنفسهم من الوصول إلى ما في الصيام من مقاصد جليلة تتمثل في سمو النفس وتهذيبها بترويضها على مكارم الأخلاق وجميل الطباع، كما أنهم قد حرموا بقيامهم في ذلك الشهر الكريم بما يناقض قيم الدين وأخلاقه من منح ربانية عظمية قد أعدها الله لعباده الصائمين الطائعين، يقول الشيخ رحمه الله: «يسمع الناس بحديث «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»، وحديث «كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به»، وحديث «الصيام جنة»، فيضعونها في غير مواضعها، ويحملونها على غير محاملها، باعتقاد أنها صادقة على أهل الدرجة الأولى وهو خطأ صراح. كيف تكون رائحة فم تقذر بتناول الأعراض، والتمضمض بنحو الكذب والهذيان والمراء أطيب عند الله من ريح المسك؟ وكيف يستأهل صيام تجهم وجهه بسماجة المعاصي أن يضاف إلى ملك الملوك جل جلاله ويتولى جزاءه بنفسه؟ وكيف يكون الصيام جنة ووقاية من عذاب الله، وقد انخرق سياجه وتدنس ذيله بقول الزور، والتلبس بالآثام التي تهيئ له في نار جهنم وطاء وغطاء؟ نعم لأهل تلك الدرجة ثواب عن صيامهم، ولكنه لا يبلغ في الموازنة مبلغ ثقل أوزارهم فيستحقون هذه الكرامات».

إن وراء الصيام فضائل عظيمة يؤدي تحقيقها إلى بث مشاعر الطمأنينة وتأكيد دعائم الثقة والإخوة بين أبناء المجتمع من الذين يلتزمون بآداب الصيام ويحرصون على التمسك بالأخلاق النبيلة؛ لتصبح هذه الأخلاق منهج حياة يقودهم إلى الخير والفلاح والمحبة بقية أعمارهم، ومن ثم كان للصوم تلك المكانة العظيمة، يقول الشيخ رحمه الله: «ولعظم ما يترتب على الصيام من إصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق، جعلت فريضته في القواعد التي يقوم عليها الإسلام، والدليل على أن القصد من الصيام: الإصلاح والتهذيب، لا تعذيب النفوس بنحو الجوع والعطش: قوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». (صحيح البخاري)...».

د. حسن بن أحمد بلحبيب
باحث أكاديمي



الصيام والدعوة إلى الله

فضل الله تعالى بعض الأشخاص على بعض، وبعض الأمكنة على بعض، وبعض الأزمنة على بعض، ومن الأزمنة التي فضلها الله عز وجل شهر رمضان المعظم، فهو الشهر الوحيد المذكور في القرآن الكريم باسمه الصريح، وإذا تساءلت أيها القارئ الكريم عن سبب ذلك، فهو نزول القرآن الكريم فيه، فحيثما حل القرآن الكريم حلت البركة والرفعة والعزة والمجد والغنى والذكر والثناء الحسن، قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥). وللسبب ذاته فضلت ليلة القدر على باقي الليالي. فهنيئا لأهل القرآن، أهل الله وخاصته.

ومن تعظيم الله تعالى لهذا الشهر أن ضاعف فيه وزر المعصية وأجر الطاعة. فتبا وسحقا وبعدا لمن عصى الله في رمضان، وأما من وفق للطاعة في هذا الشهر الفضيل فهو ذو حظ عظيم عظيم.

ومن البورصات التي تعرف أسهمها ارتفاعا كبيرا في شهر القرآن والصيام والصدقة... بورصة الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن القلوب ترق، والإيمان يزيد، وبغاة الخير تفتح لهم أبواب القبول، وبغاة الشر يدبرون، وتفتح أبواب الجنة، وتوصد أبواب النار.

فرمضان فرصة عظيمة لورثة الأنبياء، من أجل دعوة الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم دنيا وآخرة، لأن قلوب الناس تكون مفتحة مستعدة لقبول الخير، كالأرض الخصبة المنتظرة الغيث.

والداعي إلى الله يتشبه بسيد الخلق حبيبنا محمد ﷺ، إمام الدعاة وسيد الهداة، ولهذا استحق عليه الصلاة والسلام أعلى درجات الجنة، وهي الوسيلة، قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله لي الوسيلة»، قالوا: يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: «أعلى درجة في الجنة؛ لا ينالها إلا رجل واحد، أرجو أن أكون أنا هو»[١]. لأن كل ما فعله ويفعله وسيفعله أي مسلم أو مسلمة من خصال الخير والصلاح، يكتب في ميزانه الشريف عليه الصلاة والسلام، كما ورد في الحديث النبوي الطاهر: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الطويل: « ... فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٣].

فإذا هدى الله بك أحدا إلى عمل صالح، قريبا أو بعيدا -ودعوة الأقارب أولى- أو جعلك سببا في ثباته عليه، كان لك مثل أجره، فإذا هو دعا آخرين إلى ذلك العمل فعملوا به، ثم هم بدورهم دعوا غيرهم، وهكذا ما استمر نمو تلك البذرة الصالحة، حتى يشتد عودها وتضحي شجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، كان لك مثل أجورهم جميعا، وهذا فضل كبير ولا شك، والأفضل منه أن يمتد ذلك النفع بعد الموت، حيث تقطع الأسباب، وتغلق الأبواب، فإذا بباب دعوتك الناس للخير، وتعليمهم ما ينفعهم، يفتح لك هناك في قبرك، بيت الوحشة والغربة والوحدة، تأتيك منه الحسنات، وترفع لك به الدرجات.

والدعوة إلى الله تعالى في هذا الشهر الفضيل تكون بالأقوال والأفعال، ولنا في رسول الله ﷺ إسوة حسنة في ذلك، فقد كان يحث صحابته الكرام ويذكرهم بالأجر الكبير لمن صام رمضان وقامه إيمانا واحتسابا، كما كان يرغبهم في الإنفاق والذكر، وكان عليه السلام يجسد ذلك عمليا، فكان يخص رمضان بالعبادة والعمل الصالح بما لا يخص غيره من الشهور، وكان يعتكف في العشر الأواخر ويجتهد ما لا يجتهد في غيرها، وكان عليه السلام أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان. لأن القول المقرون بالعمل أحرى أن يؤثر في الناس، وقد قرن سبحانه وتعالى بين الدعوة إلى الله والعمل الصالح والاعتزاز بالانتماء إلى جماعة المسلمين، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣).

الهوامش

١- رواه الترمذي في الجامع، رقم الحديث: ٣٧٠٢، وصححه الألباني.

٢- رواه مسلم في الصحيح، رقم الحديث: ٢٦٧٤.

٣- رواه البخاري في الصحيح، تحت رقم: ٤٢١٠؛ وأحمد في المسند، تحت رقم: ٢٢٣١٣.

د. علاء الدين حسن
باحث دراسات إسلامية



تجليات النور في رمضان

اسم من أسماء الله الحسنى، جاء لفظه في خمسة وأربعين موضعا في كتاب الله، ولم يرد لفظ (النور) بصيغة الفعل. وهذا اللفظ، له معان عدة، هي:

❖ بمعنى (الإسلام)، من ذلك قوله عزوجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ (التوبة: ٣٢). قال المفسرون: يريدون أن يطفئوا الإسلام بكلامهم.

وجاء النور بمعنى (الإيمان)، ومن ذلك قول الحق سبحانه: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

وجاء لفظ النور بمعنى (القرآن)،

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ (الأنعام: ١٢٢). ومن هذا الباب أيضا، قوله عز من قائل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤).

وجاء النور بمعنى (الهادي)، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥). قال الطبري: هادي من في السماوات والأرض؛ فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

وجاء النور بمعنى (الهدى)، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (الزمر: ٢٢).

جاء النور بمعنى (النبي) ﷺ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ (المائدة: ١٥). قال الطبري: يعني بـ (النور) محمدا ﷺ، الذي أنار الله به الحق.

وشهر رمضان هو شهر النور، يقدم إلينا في كل عام مرة؛ لينير قلوبنا، وينير مساجدنا، ويضيء ظلمة ليالينا، ويجدد الإيمان في أعماقنا.. شهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته؛ فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب.

وإن كان في يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاء إخوته حين قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ (يوسف: ٩٢).

فكذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات والأنوار والعتق من النار، والغفران من الملك القهار، ما يغلب جميع الشهور، وفي قصيدة لي عن هذا الشهر المبارك:

الراء فيه رحمة منسابة
من دوحة الإعتاق والغفران
والميم منه موطن يعتاده الـ
مشتاق للإعلاء بالإحسان
والضاد ضوء من صدى أنواره
تتعانق الأنسام كالولهان
ألف أمان عابق بمودة
لكأنها من جنة العدنان
نون نقاء واصطفاء طبائع
تسمو شموخا سابح الإمنان

د. علوي أحمد الملجمي
مدرس الأدب والنقد بجامعة البيضاء



«اللهم»: دراسة تأصيلية في ضوء الدراسات الفيلولوجية

حار اللغويون العرب القدماء في لفظ «اللهم»، فاختلفوا، وأكثروا فيه القول، وذهبوا بعيدا، وقدروا وعللوا. فاللفظ وارد في القرآن الكريم في أكثر من موضع[1] وورد في الحديث النبوي، وفي شعر العرب ونثرها. و«تستعمل اللهم على ثلاثة أنحاء: أحدها: النداء المحض نحو: اللهم أثبنا. ثانيها: أن يذكرها المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع، كأن يقول لك القائل: أزيد قائم، فتقول له: اللهم نعم أو اللهم لا. ثالثها: أن تستعمل دليلا على الندرة وقلة وقوع المذكور نحو قولك: أنا أزورك اللهم إذا لم تدعني»[2].

وخلاصة ما توصل إليه القدماء أنهم جعلوا الميم المشددة في آخر اللفظ (اللهم) عوضا عن محذوف، واختلفوا في تقدير ذلك المحذوف على رأيين:

البصريون: يذهبون إلى أن أصله «يا الله»، والميم بدل من «يا» بدليل أنك لو أسقطت الميم لوجب ذكر «يا» فتقول: «يا الله».

الكوفيون: يرون أن الميم مقتطعة من جملة «أمنا بخير»، وليست عوضا عن حرف النداء؛ ولذلك أجازوا الجمع بينهما في الاختيار [3].

تخريج البصريين ينقضه ما جاء في شعر العرب من الجمع بين ياء النداء والميم؛ إذ كيف يجمع بين العوض والمعوض عنه، يقول الشاعر: (الرجز)

إني إذا ما حدث ألما ... أقول يا اللهم يا اللهما

وقال الآخر: (الرجز)

وما عليك أن تقولي كلما ... صليت أو سبحت يا اللهما

اردد علينا شيخنا مسلما[4]

ويرد رأيهم – أيضا – أن «اللهم» تستخدم في غير النداء، مثل: «اللهم نعم» في الجواب، و«اللهم إلا كذا» في الاستثناء.

وتخريج الكوفيين بعيد جدا، و«فاسد؛ لأنه لو كان الأمر على ما ذكروا وذهبوا إليه، لما جاز أن ي-ستعمل هذا اللفظ إلا في ما يؤدي إلى هذا المعنى، ولا شك أنه يجوز أن يقال: اللهم العنه، اللهم أخزه.. وما أشبه ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (الأنفال:٣٢)، ولو كان الأمر على ما ذهبوا إليه؛ لكان التقدير فيه: أمنا بخير إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. ولا شك أن هذا التقدير ظاهر الفساد، إذ لا يكون أمهم بالخير أن يمطر عليهم حجارة من السماء؛ أو يؤتوا بعذاب أليم»[5].



والظاهر أن الخلل في التخريجين السابقين ناتج عن عدم اعتماد اللغويين القدماء على أدلة مادية، بل هي مجرد تكهنات وتخمينات نظرية.

لذلك فإن للدراسات الفيلولوجية الحديثة رأيا آخر؛ فقد كشفت هذه الدراسات أن الظاهرة (اللهم) - وغيرها من الظواهر التي وقف عندها اللغويون العرب - موجودة في اللغات القديمة، التي يطلق عليها المستشرقون «اللغة السامية». فالدكتور فاضل السامرائي يرى أن أصل «اللهم» عبري، يقول: «وقد دلت الدراسات الحديثة على أن أصلها عبري، هو «ألوهيم»، ومعناها «الآلهة» وهم يريدون به الواحد وإنما جعلوه للتعظيم»[٦]. إذ نجد في العهد القديم كلمة «ألوهيم alohim»[٧] التي تعني الله، ووردت أكثر من ٢٦٠٠ مرة في العهد القديم، وهو في العبرية القديمة مكتوب بطريقة مميزة، وأثار إشكالية عند دارسي العبرية في أصله ووظيفة علامة الجمع فيه. فقيل في تعليله إنه يدل على صيغة الجمع الدال على المفرد، أو إنه جمع جلالة أو عظمة كما يخاطب الملوك.

وقد تنبه ابن عابدين (المتوفى: ١٢٥٢هـ) إلى هاتين العلتين فقال: «اللهم مجمع الدعاء. وقال بعضهم: الميم في قول (اللهم) فيه تسعة وتسعون اسما من أسماء الله تعالى. وأوضحه بعضهم بأن الميم تكون علامة للجمع، لأنك تقول: (عليه) للواحد، و(عليهم) للجمع، فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدالة على الجمع في قولك: (ضربوا) و (قاموا) فلما كانت كذلك زيدت في آخر اسم الله تعالى لتشعر وتؤذن بأن هذا الاسم قد جمعت فيه أسماء الله تعالى كلها. فإذا قال الداعي: اللهم، فكأنه قال: يا الله الذي له الأسماء الحسنى. قال: ولاستغراقه أيضا لجميع أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته لا يجوز أن يوصف لأنها قد اجتمعت فيه، وهو حجة لما قال سيبويه في منعه وصفه»[٨].

كشفت الدراسات الفيلولوجية أيضا أن هذه الظاهرة يمكن أن تكون من بقايا العربية القديمة أو العربية الجنوبية (اللغات اليمنية القديمة)، فالميم يأتي فيها للتنكير، لكنها قد تأتي لغير التنكير في حالتين:

تلحق أسماء الأعلام، رغم أنها معرفة بحد ذاتها، وتكون الميم كالتنوين في العربية،[٩] فتقول في العربية: حمير، أسد، ود، وهي في اليمنية القديمة: حميرم (اسم قبيلة)، أسدم (اسم شخص)، ودم (اسم أحد معبوداتهم).

تأتي الميم أحيانا زائدة، فتلحق نهاية الكلمة دون أن يؤدي ذلك إلى تغير المعنى، ولعلها أداة تفيد التوكيد، مثل «م» في الأكادية، فيكون المقصود: نفسه، وحده، حقا[١٠].

وبناء على ما تسمح به المقدمات السابقة؛ فإنه يمكن تخريج هذا اللفظ (اللهم) على أن الميم التي لحقته هي الميم التي تلحق الأسماء المشهورة في العربية القديمة للتعظيم. ولعل الأصل كان بميم واحدة، أي بميم مخففة، وقد ورد التخفيف في شعر العرب، يقول الأعشى[١١]: (مخلع البسيط)

بحلفة من أبي رباح ... يسمعها اللهم الكبار

فالأصل هو التخفيف، بعكس ما ذهب إليه بعض النحاة، [١٢] وأما التشديد فطارئ، ويمكن أن يخرج على وجهين:

الأول: أن تكون الميم الثانية ميم الجمع للتعظيم، فتجتمع فيه ميمان: الأولى الميم التي تلحق الأسماء المشهورة وأسماء الأعلام في العربية القديمة، وتكون كالتنوين، والأخرى: ميم الجمع للتعظيم. والعرب تزيد الميم في آخر الأسماء للمبالغة والتعظيم، يقول ابن جني: «اعلم أن الميم حرف مجهور يكون أصلا، وبدلا، وزائدا»[١٣]. فمما زيدت فيه الميم: شدقم؛ لأنه العظيم الشدق. وشجعم، ودردم من الأدرد، ودلقم من الدلق. وقالوا: امرأة خدلم للخدلة، وشيخ كهكم، وهو الذي يكهكه في يده»[١٤].

والآخر: أن تكون الزيادة صوتية، فزادوها في «اللهم» كما زادوها في «فم» فـ«التشديد وكيف وجه دخوله إياها؟ فالجواب أن أصل ذلك أنهم ثقلوا الميم في الوقف فقالوا فم، كما يقولون هذا خالد وهو يجعل، ثم إنهم أجروا الوصل مجرى الوقف فقالوا هذا فم ورأيت فما، كما أجروا الوصل مجرى الوقف»[١٥].

نستنتج مما سبق أن الميم في «اللهم» ليست عوضا عن يا النداء المحذوفة، ولا هي مقتطعة من جملة «أمنا بخير»، بل هي كلمة احتفظت ببعض ظواهر اللغات القديمة التي تطورت منها، أو شاركتها في الأصل نفسه.

الهوامش

١- ينظر: آل عمران: ٢٦، المائدة: ١١٤، الأنفال: ٣٢، يونس: ١٠، الزمر: ٤٦.

٢- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٣١/٣.

٣- أسرار العربية، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص:١٧٦.

٤- أسرار العربية، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، كمال الدين الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٩٩٩، ص:١٧٦-١٧٧.

٥- المرجع السابق، ص:١٧٧.

٦- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ٣٢٦/٤.

٧- العهد القديم: ترجمة بين السطور، الأبوان: بولس الفغالي، وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطونية، بيروت، ٢٠٠٧م، سفر التكوين، الاصحاح الأول، وهناك مواضع أخرى تكرر فيها.

٨- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، ابن عابدين، محمد أمين الدمشقي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص:٢٩.

٩- اللغة اليمنية القديمة، فاروق إسماعيل، دار الكتب العلمية، تعز، اليمن، ٢٠٠٠م، ص:٨٧.

١٠- المرجع السابق، ص:١٣٧.

١١- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، (د.ت)، ص:٢٨٣.

١٢- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٢٢٥/٦.

١٣- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ١٠٥/٢.

١٤- المرجع السابق، ٨٩/٢.

١٥- المرجع السابق، ٩٢/٢.



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد

من العلماء الأدباء

يعد الدكتور محمد رشاد الطوبي أحد رواد المقال العلمي المتأدب، وأحد العلماء الأفذاذ الذين كانت لهم إسهامات غزيرة في إشاعة الثقافة المعرفية النافعة؛ فقد اهتم الرجل بالعمل على التثقيف العلمي العام، ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية عن طريق المحاضرات، والأحاديث الإذاعية، وتدبيج المقالات الرصينة الميسرة في شتى مناحي العلم التطبيقي، كما أسهم في تأليف وترجمة ومراجعة الكتب العلمية، سواء أكانت مراجع متخصصة لطلاب العلم والبحث العلمي، أم كتبا مبسطة للقارئ غير المتخصص؛ بغية إشاعة الثقافة العلمية في ربوع مصر، وغيرها من البلاد الناطقة بالضاد.



د. محمد رشاد الطوبى ونشر الثقافة العلمية

ولد د. الطوبى بمدينة طنطا شمال مصر سنة ١٩٠٩م، وتخرج في كلية العلوم بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٢م، محققا مرتبة الشرف الأولى في البكالوريوس، ثم حصل على درجة الماجستير في العلوم عام ١٩٣٦م، ثم ابتعث إلى إنجلترا لمواصلة دراساته العليا؛ فحصل على دكتوراه الفلسفة في العلوم في مجال علم الحيوان (علم الأجنة والتشريح المقارن) من جامعة لندن عام ١٩٤٠م، وبعد عودته إلى أرض الوطن تدرج في وظائف التدريس الجامعي إلى أن أصبح أستاذا لعلم التشريح المقارن للفقاريات، ثم عين وكيلا لكلية العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٥٢م، ونال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الأساسية سنة ١٩٨٩م، ثم لبى نداء ربه سنة ٢٠٠٢م، بعد عمر مديد قضاه في تبسيط مسائل العلوم التطبيقية؛ نشرا للثقافة العلمية؛ ونفعا للدين، ورغبة في ارتقاء الأمة[1].

نشاطاته العلمية

عين مستشارا لوزارة البحث العلمي ١٩٥٤م، ثم عضوا بمجمع اللغة العربية، وكان عضو جمعية علم الحيوان البريطانية بلندن، والجمعية المصرية لعلم الحيوان، والمجمع المصري للثقافة العلمية، ومجلس بحوث العلوم الأساسية بأكاديمية البحث العلمي، واللجنة القومية للعلوم البيولوجية، والمجمع العلمي المصري، وكان سكرتير تحرير مجلة «رسالة العلم»، وعضو مجلس إدارة مجلة «العلم» التي تصدرها أكاديمية البحث العلمي[2].

وله مؤلفات كثيرة باللغتين العربية والإنجليزية منها: «علم الحيوان العام»، «وجعلنا من الماء كل شيء حي»، «طبائع النحل» و«صراع مع

الميكروب».
ومن الكتب التي قام بترجمتها: «قصة الحلقة المفقودة» و«الفقاريات».
كما قام بمراجعة كثير من الكتب المترجمة -لخبرته الواسعة في مجال الترجمة العلمية- منها: «الفيروس والإنسان» و«شخصية الحيوان»[٣].

سمات المقال العلمي المتأدب لدى الطوبي

غص المقال لدى د.الطوبي بسمات فنية عديدة يضيق المقام عن سردها جميعا، منها على سبيل المثال:

التنوع في المقدمة

من البدهيات أن أي عمل لا يبتدئ بداية جيدة واعية قد لا يثمر عملا جيدا ناضجا، كذلك فإن المقالة التي لا يكون استهلالها قويا مؤثرا ممتعا قد لا تفلح في جذب القارئ، وحثه على الاستمرار في متابعة القراءة، واستطلاع جزئيات المقال حتى الوصول إلى منتهاه.
ومن هنا فإن هذه الخصائص -التي ترقى بالمقدمة إلى الإمتاع والتشويق بالإضافة إلى التعليم والتثقيف- لم تكن بعيدة عن ذهن الطوبي وهو ينشئ مقالاته؛ فالمتتبع للمقدمات لديه يجد أنها حظيت بأهمية بالغة؛ فقد منحها من التنسيق والتنويع والتشويق ما ينم عن معرفة تامة بهدفها الجليل في البناء المقالي المتين؛ فتجده يخرجها بصور وأشكال مختلفة، ومن هذه الصور المقدمة التمهيدية، وهي عبارة عن تمهيد



ذي صلة ورباط وثيق بموضوع المقال، ومن ثم يتخلص منها الكاتب في براعة، لعرض القضية الرئيسية في مقاله، فلا يجد القارئ حينئذ هوة بين المقدمة والعرض؛ لالتصاق كل منهما بقرينه.
ومن هذا اللون من المقدمات لدى الطوبي ما جاء في مقال «الأذن السحرية»، حيث جاءت المقدمة تمهيدا لموضوع المقال، ومتصلة بشكل مباشر بمضمونه، وتناقش أهمية دور العلماء في البحث والاختراع أثناء الحروب، ومن ذلك ما حدث في الحرب العالمية الثانية، ومحاولة ألمانيا تجييش الطائرات للقضاء المبرم على بريطانيا، ولكنها فشلت في ذلك فشلا ذريعا؛ لامتلاك بريطانيا أذنا سحرية (الرادار) أجهضت بها المحاولات الألمانية المعادية، ثم شرح الطوبي آلية عمل الرادار، وبين أن ذلك ليس جديدا؛ لأن هذه الآلية هي نفس آلية عمل الخفاش منذ زمن بعيد على ظهر الأرض، وبعدما قرر ذلك تحدث عن الخفافيش، وطريقة عيشهم، وتعرفهم على مسار طرقهم في الظلام الدامس، وتجارب العلماء لمعرفة هذه الحقائق العلمية المدهشة، فجاءت المقدمة على هذا النحو: «كلما اكفهر جو السياسة الدولية، وتلبدت فيها الغيوم منذرة باحتمال قيام الحرب، نشطت السلطات المختصة في كل دولة لتجنيد الرجال العسكريين والعلماء، والواقع أن تجنيد العلماء للبحث والاختراع لا يقل أهمية من الوجهة الحربية عن تجنيد العسكريين»[٤].
واهتم الطوبي في كتاباته بالمقدمة التلخيصية، من خلال هذه المقدمة يطرح الكاتب أهم النقاط التي سوف يتعرض لها في مقاله؛ ملخصا جوانبه الأساسية، وأفكاره العامة التي سوف يطرقها، ومن نماذج هذا اللون، مقال: «عن النسور والعقبان» حيث قرر الطوبي في البداية اختلافات في الطبائع وطريقة العيش بين جنسي النسور والعقبان، وجاء عرض المقال ليفصل في هذه الاختلافات وتلك الطرائق: «مع أن النسور والعقبان ترد أسماؤها في كثير من الأحيان مرتبطة بعضها ببعض؛ إلا أن هناك اختلافات واضحة فيما يتعلق بطبائع تلك الطيور، أو طريقة معيشتها»[٥].
كما اعتمد أسلوب المقدمة التأكيدية باستهلال بعض مقالاته ببدهيات علمية يدركها كل مرتاد لميادين الثقافة، أو مسلمات واقعية مشاهدة لا يماري فيها ذو لب، ثم

ينطلق من هذه المسلمات المتفق عليها إلى ما يخاله إضافة جديدة للقارئ، تثري فكره، وتنير عقله ببعض ما كان يجهل.
ومن النماذج التي تدلل على هذا النمط -عند الطوبي- ما ورد في مقال: «ثعبان يبتلع عنزا»، فقد أورد المقدمة عبارة عن مسلمات واقعية محسة؛ ثم أردفها بالحديث عن الثعابين؛ كمصدر للخوف والفزع، ثم استفاض في مقاله بجزئياته وتفصيلاته: «كثير من الحيوانات يخافها الإنسان، ويخشى بأسها، ولكن الثعابين هي بلا ريب أكثر هذه الحيوانات قدرة على إلقاء الرعب في النفوس»(٦).

توظيف الأسلوب القصصي

يطمح المقال العلمي المتأدب -عامة- إلى تقديم المادة العلمية في قوالب مبسطة، تيسر الاتصال بجماهير القراء، ويتوسل بها الكاتب في طرح موضوعه لأكبر عدد من المخاطبين، باستهداف عقولهم ومشاعرهم جميعا، ومن هذه القوالب التي يعمد إلى التوسل بها القالب القصصي، عوضا عن استخدام الخطاب المباشر؛ لأن غرض الكاتب من استخدام هذا القالب في مقاله؛ إثارة القارئ، وجذب انتباهه مع ما به من تبسيط لمسائل العلم ونظرياته، فلا يشعر المتلقي بكد الذهن، وعسر الفهم.
والقصة القصيرة أو المشهد العابر أو اللمحة السريعة هي الشكل السائد في هذا اللون لدى الطوبي استمالة للقارئ، أو تفسيرا لفكرة



ملحة، أو تمهيدا لموضوع ما، ومن ذلك هاتان القصتان اللتان جاءتا في مقال له، وقد سردهما تمهيدا للاستفاضة في موضوعه، الذي يرمي من خلاله إلى تعرف عادة سيئة تمارسها بعض الطيور؛ فهي تجترئ على الخطف خلسة لبعض المقتنيات البشرية الثمينة، ومن ثم يروي أول حادثة رصدت في هذا الشأن بقوله: «وهي تتلخص في أن أحد سكان أستراليا في حوض نهر الأورد وكانت المنطقة التي يسكنها تكاد تكون خالية من السكان؛ لأنها توجد في منطقة منعزلة تماما، وقد وضع هذا الرجل نظارته الطبية فوق منضدة في شرفة المنزل، ثم ترك الشرفة وذهب إلى الداخل؛ ليستبدل بالكتاب الذي كان يقرأ فيه كتابا آخر، ولم يبق في الداخل سوى ثوان معدودة، ولما عاد إلى الشرفة مرة أخرى لم يجد النظارة الطبية، بل إنها اختفت تماما، كما لو كانت الأرض قد انشقت وابتلعتها. وفي حادثة مماثلة كان هناك شخص آخر اعتاد وضع عينه الزجاجية أثناء الليل على الطاولة الصغيرة المجاورة للفراش، وفي صباح أحد الأيام -كما كانت عادته في كل صباح- مد يده ليأخذها من مكانها، ويضعها في محجر عينه أثناء النهار، ولكنه لم يجد لها أي أثر على الإطلاق، وقد عثر عليها فيما بعد في أحد الأعشاش القريبة من المنزل، وهو عش واحد من تلك الطيور الخطافة»(٧).

التأثر بالنصوص البليغة

زخر المقال العلمي المتأدب لدى الطوبي بكثير من صور التأثر بالنصوص البليغة؛ إيمانا منه بأن فصيح الكلام يغلف المقالة بغلالة رقيقة من المتعة والرواء، ولمعرفته التامة بأن النصوص المقتبسة تضفي على الأدب المقالي نصاعة وبهاء، فكان من المصادر الفصيحة الرائقة التي نثر كاتبنا بعض جواهرها بين جنبات مقالاته: القرآن الكريم (اقتباسا)، والشعر العربي البليغ (تضمينا).
فمن صور الاقتباس القرآني أن يقتبس الكاتب الآية الكريمة لفظا ومعنى مع استعمال لفظ مشعر بأن هذا النص من القرآن على نحو ما جاء في مقال: «حديث الألوان في عالم الأحياء» والذي شرح علميا أسباب اختلاف ألوان الجلد في عالم البشر، والدور الحيوي لصبغ أسود أو بني يطلق عليه اسم «الميلانين» ثم عقب على ذلك بقوله: «وعن اختلاف تلك الألوان البشرية تحدثنا الآية الكريمة التالية: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ﴾ (الروم:٢٢)[٨].

وكذلك فإن الطوبي كان يستأنس بالشعر العربي الفصيح؛ لإثراء صوره، أو تأكيد فكرة عنت له، أو كان يوظفه في مكانه اللائق للتدليل على معنى ارتضاه، أو لخدمة لغرض ارتآه؛ كأن يشوب المادة العلمية الصرف بشيء منه؛ تخفيفا من ثقل وقعها، أو دفعا للسأم الناشئ جرائها، ومن ذلك ما ورد في مقال «عن النسور والعقبان»: «وكان العرب كثيرا ما يطلقون على العقاب كلمة العنقاء، وهو ذلك الطائر الأسطوري الذي كان محورا لكثير من القصص والخرافات، ومن ذلك على سبيل المثال ما ورد في شعر أبي العلاء المعري:

أرى العنقاء تكبر أن تصادا
فعاند من تطيق له عنادا»[٩].

ومن هذا القبيل ما ورد في المقال ذاته: «كما ذكر العقاب أيضا في شعرنا المعاصر، ومن ذلك مثلا بيت الشعر الذي بدأ به شاعرنا الكبير أحمد شوقي إحدى قصائده الرائعة:

أعقاب في سماء الجو لاح
أم سحاب فر من هوج الرياح؟»[١٠].

الاستعانة بالتجارب العلمية

التجارب العلمية عبارة عن جهود ناضجة مثمرة أجراها العلماء؛ لاستنباط نظرية، أو تأكيدها بعد استخلاصها، أو اختبار فرض علمي ضمن مقترحات عدة لاحت أمام أنظار الباحثين، وحين يستأنس الكاتب بها في مقاله؛



فإنما يفعل ذلك توضيحا للمادة العلمية المقدمة للقراء؛ لترسيخها في نفوسهم وعقولهم؛ بغية تسهيل ما صعب، وتذليل ما نفر من مسائل العلم.

ومن النماذج الشاهدة على هذه السمة، ما جاء في مقال «لغة الطير والحيوان» الذي يسرد فيه الطوبي بعض تجارب العلماء على الخفافيش، حين عنوا بالبحث عن الحاسة التي تعتمد عليها الخفافيش في تحركاتها الليلية السريعة، وكان من أوائل هؤلاء العلماء، وأكثرهم شهرة في هذا المجال؛ عالم إيطالي قام بعديد من التجارب، كان بعضها يتسم بالقسوة الشديدة؛ مما جعله -فيما بعد- موضعا للنقد من جمهرة العلماء: «فقد كان يفقأ عيون الخفافيش؛ حتى لا تبصر على الإطلاق، ثم يتركها تطير في غرفة متسعة، مدت بها الأحبال في مختلف الاتجاهات، وقد علقت بها أجراس صغيرة حتى إذا لامستها الخفافيش أثناء طيرانها دقت تلك الأجراس، ثم أظلم الغرفة إظلاما تاما، وقبع في ركن منها دون حراك؛ ليرى ما تفعله الخفافيش العمياء أثناء طيرانها في هذا الظلام، وقد وجد أنها تطير من مكان إلى مكان داخل الغرفة في مختلف الاتجاهات، دون أن يدق جرس واحد من تلك الأجراس، وكانت تقترب من وجهه أحيانا، ويحس برفيف أجنحتها دون أن تلمسه، أو تصطدم به»[١١].

الهوامش

١- ينظر: من أعلام الثقافة العربية.. معجم تراجم: مجمع اللغة العربية، ص:٦٦١، الطبعة: الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م؛ وينظر كذلك: فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص:١١٣.

٢- ينظر: موقع كلية العلوم جامعة القاهرة، تحت عنوان: أساتذة قسم الحيوان الذين شغلوا مناصب قيادية وريادية داخل الجامعة وخارجها.

٣- ينظر: فرسان الثقافتين، ص:١١٣-١١٤.

٤- مقال: الأذن السحرية: د. الطوبي، ص:١٢٧، مجلة الهلال، العدد رقم ٥، امايو١٩٥٠م.

٥- مقال: عن النسور والعقبان: د. الطوبي، ص:١٥٦، مجلة العربي، العدد رقم ٣٦٧، ايونيو ١٩٨٩م.

٦- مقال: ثعبان يبتلع عنزا: د. الطوبي، ص:١٤٧، الهلال، العدد رقم١٢، ١ ديسمبر ١٩٤٩م.

٧- مقال: طيور تخطف الجواهر والحلي: د. الطوبي، ص:٩٠، مجلة العربي، العدد رقم ٣٧٢، ١ نوفمبر ١٩٨٩م.

٨- مقال: حديث الألوان في عالم الأحياء: د.الطوبي، ص:٩٢. العدد رقم ٧،١ يوليو ١٩٨٦م.

٩- مقال: عن النسور والعقبان، ص:١٥٩. والبيت في ديوان سقط الزند: أبو العلاء المعري، ص:١٩٧.

١٠- ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: د. أحمد محمد الحوفي، ج ١، ص:٤٤٧، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة.

١١- مقال: لغة الطير والحيوان: د. الطوبي، ص:٩٧، مجلة الدوحة، العدد رقم ٨، ١أغسطس ١٩٨٦م.

عبدالسلام الشبراوي
باحث دراسات إسلامية

الكويت بجانبكم

أمة الجسد الواحد



في الشدائد تظهر معادن الرجال والأمم، وتُضرب آيات من الصمود والتحدي في مواجهتها، ويظهر تلاحم الأمة التي قال عنها النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم)، ظهر هذا المثال جليا في الحدث الذي هز العالم صباح الاثنين ٢ فبراير ٢٠٢٣، فقد استيقظ العالم على أصداء أخبار الهزات الأرضية المتتالية التي ضربت جنوب تركيا ومناطق الشمال السوري، والتي قضى على إثرها آلاف الضحايا وعشرات الآلاف من المصابين، ومئات الآلاف من المشردين الذين أصبحوا بلا مأوى، فهب المسلمون وأصحاب الضمائر الحية في أنحاء العالم لنجدة إخوانهم في البلدين المنكوبين، بينما رأينا تخاذلا غير مبرر من جانب البعض الذين سقطت مروءتهم وظهرت خبيئتهم خلال هذه الأزمة الإنسانية.

وكعادتها نهضت دولة الكويت على المستويين الرسمي والشعبي لنجدة المضارين من الزلزال، فعلى المستوى الرسمي وبعد ساعات من الحدث أعلنت الكويت إرسال جسر جوي يضم فرق إنقاذ وطواقم طبية، ومساعدات إغاثية ومستلزمات أخرى، فضلًا عن تخصيص أكثر من ٨٦٠ ألف دولار لمواجهة تداعيات الكارثة، كما تبرعت الدولة في الأربعاء التالي للزلزالين بـ٣٠ مليون دولار، حسب وكالة الأنباء الرسمية «كونا»، وأطلقت وزارة الشؤون الاجتماعية بالتعاون مع وزارة الخارجية حملة «الكويت بجانبكم» التي استمرت مدة ١٢ ساعة من ظهر السبت ١١ فبراير حتى منتصف الليل وانتهت بجمع ٢٠,٧١٦,٥٠٠ دينار كويتي وهو ما يعادل ٦٧,٧ مليون دولار، شارك فيها رجال الأعمال والجمعيات التعاونية والمواطنون الكويتيون والمقيمون على أرض الكويت.

حملات جمع التبرعات

وعلى الصعيد الشعبي أعلنت الجمعيات الخيرية الكويتية حملات إغاثة عاجلة لاحتواء آثار الزلزال المدمر بإشراف من وزارتي الشؤون الاجتماعية والخارجية، لتسابق الزمن في تلبية نداء الواجب تجاه الشعبين التركي والسوري، فأطلقت الجمعيات الخيرية حملة إغاثية مشتركة تعهدت خلالها أكثر من ٢٠ جمعية خيرية بإرسال مبالغ مالية وصلت حصيلتها أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ دينار كويتي، ولم تقتصر المساعدات على هذه الحملة فقط، وإنما بدأت كل جمعية مباشرة بجمع التبرعات لصالح المتضررين من الغذاء والدواء والإيواء للتخفيف عن المتضررين ولو بجزء بسيط.

يقول سعد العتيبي مدير عام لجنة نماء الخيرية: تقوم «نماء الخيرية» بتنفيذ برنامج إغاثي لإخواننا المتضررين من الزلزال وسافر وفد من اللجنة للإشراف على تنفيذ هذا البرنامج.

ويعطي د. جابر الوندة نائب مدير جمعية النجاة الخيرية الأولوية في المرحلة الأولى بعد الزلزال لتقديم الأدوية والتغذية ومواد التدفئة نظرا لشدة الحاجة إلى هذه المواد خلال الساعات الأولى من وقوع الزلزال.

وتبنت «الرحمة العالمية مشروع إغاثة عاجلة للمنكوبين بالكارثة الإنسانية لإنقاذ الأرواح وتقديم وجبات الطعام وتوفير الإيواء للمشردين والدواء للمصابين والمستشفيات بلغت حصيلتها حوالي مليون دينار كويتي خلال أسبوع من وقوع الزلزال، ووصل عدد المستفيدين من هذا المشروع ٣٣,١٠٠ أسرة.

كما أطلقت جمعية «العون المباشر» حملة إغاثة لتخفيف معاناة المتضررين وذويهم وتحسين ظروف معيشتهم إلى الأفضل قدر الإمكان تبرع خلالها ٤٠,٢٩٦ متبرعا وبلغت حصيلة التبرعات ١,١٩٢,٣٤٥ دينار كويتي.

وأعلنت «جمعية السلام للأعمال الإنسانية والخيرية» تخصيص أكثر من ٣٥٠ ألف دينار كويتي من حملتها السنوية «شاحنات الكويت» لمصلحة متضرري الزلزال في سورية وتركيا.

هذا غيض من فيض مما تقوم به الكويت رسميا وشعبيا في كل أزمة أو كارثة إنسانية تحل بالإنسان، ففي أي مكان وفي كل حدث نرى يد الخير التي ورثت عن آبائها وقيم دينها نجدة المستغيث وإغاثة الملهوف وإعالة المحتاج.



إهداء من الشعب الكويتي إلى الشعب التركي الشقيق
Gift from people of Kuwait to the people of Turkish
جمعية الهلال الأحمر الكويتي
Kuwait Red Crescent Society
(February 2023)
الكويت بجانبكم
KUWAIT IS BY YOUR SIDE
Kuwait Red Crescent Society



"شتاء سوريا ... دفء وإيواء"
Kuwait Respond
"Syria Winter ... Warmth & Shelter"
2016
بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
INDEPENDENT GOVT. AUTHORITY
دولة الكويت
State of Kuwait



Gift from Kuwaiti people to the Turkish people
Kuwait Red Crescent Society






iHH
K.R.C.S
مشروع الإغاثة العاجلة لأهالي
تمويل : الهلال الأحمر الكويتي
تنفيذ : هيئة الإغاثة الإنسانية - IHH
سوريا - الغوطة - فبراير - 2018


Kuwait
K.R.C.S
الكويت بجانبكم


الكويت بجانبكم
KUWAIT IS BY YOUR SIDE
النجاة الخيرية
ALNAJAT CHARITY
اغاثة عاجلة
لمتضرري الزلزال
النقطة
الطبية
تركيا والشمال السوري



محمود طعمة
باحث وكاتب



سوريا وتركيا
يا الله مالنا غيرك يا الله

لم تكن تلك المصيبة الأولى التي نشهدها، إلا أن التأقلم مع المصائب مستحيل ، لم يكن المطر أو الثلج من الأمور التي تلتف انتباهي قط ولست من هواة الشتاء أصلا، سبحان الله أنام على صوت الأمطار والثلوج. واستفيق على أخبار مخيفة ومزعجة وقاهرة، إن محدثات الأمور التي تحصل تجعلك دائما تعيد الكرة تلو الأخرى لتعاود حساباتك مع ربك ونفسك وأمورك الدنيوية.

برد قارص و زلازل مدمر

صحونا فجأة على خبر الزلازل التي ضربت جنوب تركيا وشمال سوريا، حجم الكارثة لا يمكن أن يختصر بالعنوان ولا حتى بآلاف الروايات، كانوا آمنين مطمئنين وجاء قدر الله وفجأة بدأنا نرى أخبار الوفيات تتصدر مواقع التواصل الاجتماعي نسأل الله يتقبلهم من الشهداء.

وميض من الذاكرة لمع في مخيلتي وتذكرت ما عشناه في غوطة دمشق تلك الأيام السوداء.. الخالية من كل شيء إلا من الصبر، أيام الغوطة التي عانينا فيها من القصف والحصار والكيماوي وأشياء كثيرة لإبادتنا لا يتسع القاموس لذكرها.

في الأمس زلزال تزيد مدته عن ٤٠ ثانية كان كافيا لإنهاء حياة آلاف الناس واقتلاع ناطحات سحاب أيضا، تالله شيء فوق الإدراك، عظمة وقوة الله سبحانه وتعالى أعظم مما نظن





بآلاف المرات.

الحياة دار ابتلاء وامتحانات، وجميع الأنبياء والمرسلين والصحابة مروا بحقب صعبة للغاية.. الرسول ﷺ تعرض للحصار والتهجير وفقدان ابنه وقذف محصناته وتعرض لإصابات في جسده وأكثر من ذلك.

الصحابي خباب بن الأرت

إنه الصحابي خباب بن الأرت رضي الله عنه، أعلن إسلامه ليصبح من أوائل المسلمين. وتعرض خباب لشتى ألوان العذاب، لكنه تحمل وصبر في سبيل الله، فقد كانوا يضعون الحديد المحمي على جسده فما يطفئ النار إلا الدهن الموجود في ظهره، وقد سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما عما لقي من المشركين، فقال خباب: ياأمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فنظر عمر فقال: ما رأيت كاليوم! قال خباب: لقد أوقدت لي نار، وسحبت عليها، فما أطفأها إلا ودك ظهري (أي دهن الظهر).

كان التعذيب على خباب وإخوانه المسلمين المستضعفين، فذهب مع بعض أصحابه إلى رسول الله، وكان متكئا في ظل الكعبة، وقالوا يا رسول الله، ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال لهم رسول الله: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه»، فصبروا واحتسبوا ما يحدث لهم عند الله عزوجل.

وكانت أم أنمار تأخذ الحديد الملتهب ثم تضعه فوق رأس خباب الذي كان يتلوى من شدة الألم، ولكن الله أخذ بحق خباب من هذه المرأة المشركة «حيث أصيبت بسعار جعلها تعوي مثل الكلاب، ولا علاج لها إلا أن تكوى رأسها بالنار فكان الجزاء من جنس العمل».

لعل أحداث الزلازل يوجد فيها أوجه تشابه بما حصل مع خباب رضي الله عنه.

المشاهد المؤلمة التي نراها ونستطيع كتابتها أصوات الناس يستنجدون، حجم الدمار الذي لحق بالبيوت، انتشار الغبار واختلاطه مع البرد، أصوات سيارات الإسعاف، الثلوج مع الهواء والدماء، بشر حتى أكوام من الركام، أطفال نصفها في العراء وآخر تحت السقف، مشاهد أشبه بفيلم من الخيال.

تعلمنا الشريعة الصبر على المحن والشدائد مهما بلغت بنا الأحوال.

مصيبتنا اليوم بالزلزال فقدنا أحبابنا وأهلنا وبيوتنا، وعسى الله أن يبدلنا خيرا منها، الصبر مع الرضا من أسمى درجات العبادة.

إنما الصبر بالتصبر،
والحلم بالتحلم،
والعلم بالتعلم.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠).

اللهم إنا نسألك الصبر على الشدائد ونسألك أن ترضينا بما كتبته لنا.

وختاما يالله ما لنا غيرك يا الله..

محمد ثابت توفيق
كاتب وأديب وناقد مصري



أمة تنهض في الملمات

رغم حجم الذين رحلوا إلى بارئهم والذين نسأل الله أن يتقبلهم في الشهداء بإذنه تعالى، وحجم الدمار الهائل الذي تسبب فيه الزلزالان اللذان ضربا تركيا قرب الحدود السورية ومناطق واسعة من شمال وغرب سورية في الساعات الأولى من صباح الإثنين ٦ من فبراير ٢٠٢٣م، إلا أنهما أثبتا أن الأمة الإسلامية عائدة إلى ربها بشدة في جزء كبير من أفضل أبنائها، خاصة الذين يواجهون الموت ببسالة وتسليم ويقين ومحبة جارفة لله تعالى.

ضرب الزلزال الأول بقوة ٧,٨ ريختر مدينة غازي عنتاب التركية بمركز قريب منها ومن سطح الأرض معا، مما تسبب بأضرار جسيمة مع كون السكان نائمين، ثم ضرب الزلزال التالي شمال المدينة نفسها بدرجة مقاربة بعد قليل، مما أدى إلى تفاقم عدد الضحايا من راحلين -نحسبهم شهداء عند الله- ثم مصابين، ومضارين بفقد الملاذ والمأوى والسكن وكل ما يملكون عوضا عن أهاليهم وخاصة أحبابهم، ولا ينسى أحد الشاب السوري الذي قال على البداهة في مقطع مصور: «جميع أهلي بخير إلا أنا، فقد رحلوا وبقيت»، واعتبر الشاب كون أهله لدى ربهم يجعلهم بخير كامل وتام من شرور هذه الحياة، انتهت رحلتهم ولعل الله قدر لهم الخير في النهاية، أما ما تنوقل عن الشاب بعد هذا فدليل إخلاص -نسأل الله أن يثيبه عليه- إذ رحل إلى ربه بعدهم بقليل، فلعله تعالى أنت يكون جمع بينهم في مستقر رحمته.

حصيلة كارثية

جاء الزلزالان في موجة صقيع عارم لفت البلدين فعطلت المدارس والجامعات التركية، وضاعفت الأزمة، فوصلت لنحو ١٠ مدن كبرى، وتعدت الحصيلة الأولية للقتلى في اليوم الأول ٥٠٠٠، فيما أعلنت تركيا رسميا وعلى

أعلى مستوى أن هذه الأزمة لم تصبها منذ عام ١٩٣٩م حينما أصابها زلزال تسبب ببدايته بوفاة ١٠ آلاف ودمار قرى ومدن بأكملها.

وقد هب شرفاء العالم اليوم لنجدة إخوانهم في تركيا وسوريا، ووفي مقدمة هؤلاء كانت دولة الكويت المشهود لها بالنجدة والعطاء في مثل هذه المواقف على المستوى الرسمي والشعبي.

أعلنت تركيا مساء السبت التالي للحدثين وصول عدد الضحايا إلى ٢٤ ألفا و٦١٧، وأكثر من ٨٠ ألف جريح، أما في سورية فوصل عدد الراحلين الذين نحسبهم شهداء لـ٤٥٠٠، وأكثر من ٨ آلاف جريح، فيما لا تزال الهزات الارتدادية التي تتراوح بين ٣ و٤,٧ درجات على «مقياس ريختر» مستمرة، وفيما يتوقع ارتفاع الأعداد خاصة مع إعلان الدفاع المدني في الشمال السوري انتهاء عمليات الإنقاذ، ومع هذا لاتزال الآمال برحمة الله تعالى مستمرة أن يلطف بالعالقين أسفل الأنقاض وأهاليهم.

لمحة إيمانية

أتت آيات الزلازل في القرآن الكريم مذكرة برب العزة وهديه ومشاهد يوم القيامة وهولها وأيضا مثبتة للمؤمنين في الدارين فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ (الحج:١)، ولعظم الزلازل استدل بها رب العزة لبيان هول بعض المواقف التي يمر المؤمنون بها فقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ (البقرة:٢١٤).



فيما أخرج الإمام البخاري حديثا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج، وهو القتل القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض».

والمتعارف عليه أن جميع مجريات الأمور التي يقضيها رب العزة إنما تجيء لصالح عباده وإن لم يدروا سببها الواضح، فالذين توفاهم الزلزالان لم يتوفوا قبل الموعد الذي حدده الله لهم للذهاب إليه، لكن لعل رحمته تعالى تشملهم، ولعل في الأحداث الجسيمة ما لا نراه على حقيقته، فكم من أمر باطنه فيه الرحمة وظاهره العذاب لعقولنا القاصرة التي لا تستوعب كل ما يقضيه علينا أو يجريه بكونه رب العزة.

تسليم مطلق لرب العزة

ولعل مشاهد الناجين من الأنقاض وهم غير حريصين إلا على رضاه تعالى في هذه الأوقات الصعبة العسيرة التي شكلت محنا كبرى لبعض فلاسفة وعلماء غربيين قدامى ومحدثين، ضلت فيها عقول البعض وزاغوا، فاستسلموا للبكاء والحسرة ورجاء التدخل ممن حولهم لدفع شرورا ومهالك لم يرها عنها غيرها، أما المرأة التركية التي تبدو متوسطة المكانة الاجتماعية، فضربت مثلا للإنسانية من الصعب أن تتناساه، فبعد مجهودات تفوق الممكن بإرادة وتصميم شديدين كبيرين وصل المنقذون الأتراك إليها، وصار ممكنا لها أن تخرج ولكن السيدة التي ضربت آية للعفة في إنسانية وحضارة اليوم الاستهلاكية رفضت الخروج، فلما سألوها عن السبب قالت بتصميم المسلمة الحقيقية الملتزمة بدينها المحبة لربها الواثقة بجميع قضائه: «أريد حجابا وإلا فلن أخرج!».

أما التركي عثمان فرات (٤٧ عاما) فأخرجته فرق الإنقاذ من أسفل منزله وهو يقرأ آيات من سورة البقرة بصوت عذب وبصورة صحيحة فاستمر بالقراءة، وثقت



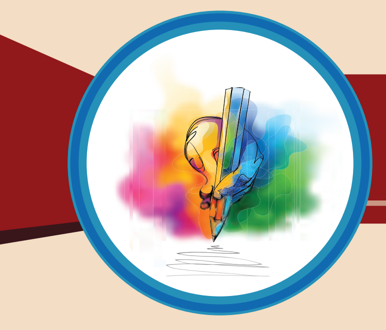
المقطع المصور «وكالة الأناضول» الرسمية التركية على موقعها على «إنستغرام»، وبقي رقيب الشرطة فرات أسفل الأنقاض لمدة أكثر من مئة ساعة في ولاية كهرمان مرعش حسب صحيفة «سي إن إن ترك»، أما صحيفة «يني شفق» فأبرزت تركيا آخر يقرأ آيات من سورة يس عقب إنقاذه ونقله في سيارة الإسعاف لأحد المستشفيات، ومن المعروف أن الإنسان في لحظات الكرب الشديد وأقصاها احتمالية مفارقة الحياة لا ينطق إلا بما امتلأ به ضميره ويقينه، فما بالنا بما ذكرته صحيفة «آهابر» أن تركيا آخر ظل يقرأ القرآن الكريم وهو أسفل الأنقاض؟ وخرج السوري جمعة بايزيد من أسفل الأنقاض بعد ٤ أيام موقنا برحيل أسرته، فلما قاده المسعفون لابنه إبراهيم الذي لم يتجاوز عمره العامين وقد أبقاه الله إليه بكى حمدا وشكرا لله تعالى!

المساعدات الكويتية رسمية وشعبية

لم تتأخر المساعدات الكويتية للمضارين في تركيا وسورية فبدأت بعد ساعات من الحدث بإرسال جسر جوي يضم فرق إنقاذ وطواقم طبية، بالإضافة إلى مساعدات إغاثية منها الخيام ومستلزمات أخرى، ثم ما لبث أن أعلن رئيس فرق البحث والإنقاذ أيمن المفرح الأحد التالي للحدثين أن الفريق يواصل عملياته على مدار ٢٤ ساعة في المواقع المتضررة من الزلزال والمناطق المنكوبة في تركيا- بحسب وكالة الأنباء الكويتية الرسمية «كونا»- لعلاج المصابين والمشاركة في البحث عن أحياء.

هذا فضلا عن تبرع الدولة رسميا الأربعاء ٨ فبراير بـ٣٠ مليون دولار، حسب وكالة الأنباء الرسمية «كونا»، وخصصت الكويت أكثر من ٨٦٠ ألف دولار لمواجهة تداعيات الزلزالين، أما حملة «الكويت بجانبكم» التي أطلقتها وزارة الشؤون الاجتماعية فانتهت مساء السبت ١١ فبراير بجمع ما يعادل ٦٧,٧ ملايين دولار، وكانت طائرتان تابعتان للقوات الجوية الكويتية وعلى متنهما ٨٠ طنا من المواد الإغاثية والمستلزمات الطبية والمواد الغذائية اتجهتا لتركيا الخميس ٩ من فبراير، وأوضحت وزارة الدفاع الكويتية في بيان لها أن ذلك أتى تنفيذا لتوجيهات أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، القائد الأعلى للقوات المسلحة بإنشاء جسر جوي لإرسال المساعدات الإغاثية للمتضررين من الزلزال المدمر الذي وقع جنوب تركيا.

هذا فضلا عن الجهود الشعبية التي استجابت لنداءات الجمعيات الخيرية لنجدة إخوانهم المسلمين في سورية وتركيا.



د. عايد عرفج
كاتب وباحث اقتصادي

الخيال أهم من المعرفة ولكن..

قد تبدو جملة العنوان غريبة بعض الشيء للبعض وليس للكل، لكن أتبعت فيها كلمة (لكن) لسبب ستعلمه عزيزي القارئ بالفقرة قبل الأخيرة.

كثير من العلماء والمفكرين والأدباء والمبدعين أكدوا على أن الخيال والتفكير غير العقلاني وغير المنطقي أهم بكثير من المعرفة والعلوم المتواجدة في الزمن الموجود نفسه، وذلك عن تجارب عدة جميعها صبت في هذا الاتجاه، ومن العلماء الذي أكدوا على تفوق الخيال على العلوم هو ألبرت آينشتاين والكاتب الإنجليزي برنارند شو، عندما قالا: إن المعرفة محدودة، والخيال لا يحده أي حد.

ولك عزيز القارئ أن تبحر بخيالك لتقارنهما مع بعضهما البعض، ولتكتشف بنفسك فارق القدرات والنجاحات التي -إن عملا كل في طريقه- ستجد أن كل ما سيحققه هذان الأسلوبان كل على حدة مختلف كليا عن الآخر، وستتضح الصورة للجميع من الذي سيتفوق على الآخر بالإنتاج الأخير في هذا السباق، وعلى نفس السياق ستكتشف بنفسك الفوارق بينهما عندما تلتفت لما حولك من أشياء واختراعات ووسائل رفاهية ووسائل نقل في كل زاوية وركن ومكان في حياتنا هي كانت من وحي الخيال وغريبة عن واقعهم عندما تم التفكير فيها، ومن ثم اختراعها فيما بعد.

فإذا جمعنا مليارات المعلومات وملايين الكتب وآلاف العلوم، وقمنا بالمقارنة مع الخيال، فبلا أدنى شك سترجح كفة الكلمة صاحبة الستة أحرف، لأنه وبكل بساطة الخيال هو من يحسم المعركة لصالحه منذ الأزل وإلى قيام الساعة.

فكثير من التغيرات التي حدثت وتجددت معها عناصر البيئة المحيطة بنا، وحتى البيئة البعيدة عنا هي بفعل ووحي من الخيال.

ومع توالي العقود والقرون وتجدد الحياة وولادة وموت ملايين من الناس كل عقد من الزمن ستتسع دائرة الخيال في عقلية أبناء آدم، وسيفكر الكبير والصغير كما هو الحال منذ آلاف السنين في أشياء تبدو من الوهلة الأولى غريبة وغير منطقية وخيالية، ولا تمت للواقع بأي صلة (وهذا هو المطلوب حرفيا أن نبحر بخيالاتنا وأفكارنا للتفكير في أمور ومنتجات وعلوم واختراعات غير موجودة من الأساس حتى تسهل علينا الحياة وتتطور الأعمال بنا).

الخيال بلا أي نقاش هو الفيصل في تقدمنا المذهل الذي نعيشه ونشاهده اليوم، ودخل في كل مفاصل الحياة المدنية وفي كافة المجالات، فكل ما كنا نعتبره جنونا أو لن ينجح من منتجات أو سلع اليوم لا نستطيع أن نتخلى عنها من الطائرة نزولا للإبرة وحتى الأصغر منها والتي لا ترى بالعين المجردة من اختراعات أفادت البشرية والعلماء في التطوير.

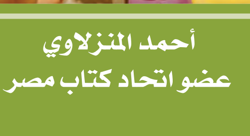
«وتحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر».

فأنا وأنت ونحن وهم قادرون على المضي قدما بالتفكير خارج الصندوق والتخيل الذي لا يمت للواقع بأي صلة، ومن ثم محاولة تنفيذه لتجربته، وستقع بالخطأ فيه ويتكرر الخطأ إلى أن يصل الاختراع للإبداع وتطبيقه ونشره للعالم أجمع، فالشخص منا ليس صغيرا أو قليلا، وهو قادر على الكثير من الإنجازات.

السبب في كتابة كلمة: (لكن) في آخر سطر من العنوان هي في إمكانية اندماج العنصرين اللذين تفوقا على بعضهما البعض حتى نصل لغايات كبيرة تفيدنا جميعا، وتنفع كل من لم يولد حتى الآن، فإن دمجنا الخيال مع المعرفة والعلوم سنصل لمستويات لم تصلها البشرية خلال آلاف السنين السالفة.

العالم الفيزيائي الفرنسي «بيير كوري» الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام: (١٩٠٣م)، قال: تمكنا من تقسيم الذرة بالاستعانة بـ: (٣٠) كتاب، بقيت لنا من الحضارة الأندلسية، يكمل: ولو كانت لدينا الفرصة لمطالعة الآلاف من كتب المسلمين التي تعرضت للاحتراق، لكنا اليوم نتجول بين المجرات.





أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر



قراءة نقدية في إبداعات الوعي القصصية

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/ الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.
ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.



نقد قصص الأعداد ٦٩٣-٦٩٥

قصة «ورقة من دفتر أمل»

نسج القاص (أحمد راشد أحمد) في قصته «ورقة من دفتر أمل» نسجا بديعا لمعنى الغربة، في مقاربة بين مشاعر الحفيد (أمل) الآتي من غربته خارج الوطن، ليجد غربة أخرى في بيته الذي اعتاد فيه الأمل والرفق والالتفاف الأسري والحنو على الفقراء، تغيرت قريته كثيرا لمجرد موت جده، وإذا به يتفقد أعمالا صالحة كان يقوم بها جده في مواسم الخير في شهر رمضان، «توجهت مباشرة إلى خارج المنزل، فلم أجد إلا أعمامي وأولادهم، كانوا ينتظرون أذان المغرب وكل منهم يلهو بهاتفه، أين ذهبت المائدة التي كان جدي يزينها بهيبته ووقاره؟ أين الضيوف والفقراء؟ انطلق الأذان، ولم أجد من رائحة جدي إلا تلك التمرات، حتى طعام المحبين له مذاق مختلف، انشغل الجميع بالطعام بينما روح جدي تحوم حزينة حول المكان..
يذبح الذبائح، يلتف الوجهاء والفقراء حول مائدة واحدة، يصر على إطعام المارة، ولا يتناول طعامه إلا بعد إفطار الجميع، وفي نهاية اليوم يأتي الشيخ عرابي يقرأ ما تيسر من القرآن، نلتف حوله بخشوع، وبعد أن يفرغ ينظر



جدي لنا مبتسما ويخرج لنا البلح والفول السوداني وأطباق الحلوى، فنظل في حضرة الطعام حتى يحين أذان الفجر».
واستطاع الكاتب أن يبني القصة بناء محكما، وذلك باختياره الراوي المشارك راويا للقصة، وسرد القصة بضمير السرد «أنا»، فاستطاع الراوي أن يخبر عن نفسه بصدق في الدوافع والأهداف والخواطر والمشاعر والأحاسيس، مما يجعله قريبا من القارئ وأكثر واقعية من الراوي العليم الذي يعلم الحكاية سابقا.
وكذلك اختياره البداية بالحدث مباشرة دون الاعتماد على المقدمات الكلاسيكية القديمة، فيبدأ من حيث عزمه السفر إلى بلدته، ونعيش الأحداث بين حادث الرحلة والذكريات التي تتدافع على ذهن (أمل) وهو يتذكر جده وجدته، ثم نعيش المفارقة مع الأحداث التي يمر بها (أمل)، والذي نجد الكاتب يرمز في اسمه إلى هدفه من القصة، فإنه يريد أن يقول



لنا: مهما تغيرت الأحوال وتبدلت المفاهيم، وانتكس الناس عن أعرافهم، وعن خيرهم، فلا يزال هناك أمل ينير دياجير الظلام، ويبدد السراب بالماء، الأمل فينا إن بادرنا وغيرنا وبذلنا ما كنا نرجوه... هذا الذي قرره بطل القصة (أمل أخيرا.. إنه لا يزال يحن إلى مشاهد جده، فليكن هو وريث جده الحقيقي، «كنت قد عزمت الأمر، ولم يعد الأمر يحتاج إلى استشارة أحد.

وفي الصباح، اجتمعت مع المقربين لي من أبناء أعمامي، وبعد نقاش قصير توجهنا حيث ترقد البهائم، اخترت أسمنها، كبرنا عليها بكل ما نملك من صوت... انطلقت الزغاريد من نساء الدار، مبتهجات بعادات اشتاقت لها أرواحهن، وسارعن إلى صحن الدار، يشاركننا في التجهيز.

لم يكن الأمر يحتاج إلى صعوبة في دعوة وجهاء وفقراء القرية، وكأنهم وجدوا ضالتهم في المائدة التي لمت شملهم مرة أخرى.

أحسست بنسمة هواء خفيفة تمس روحي وأنا منشغل بإطعام الضيوف على مرمى البصر، كانت جدتي ترفع يدها للسماء، أسرعت إليها، وجدتها تترحم على جدي، وتدعو لي وله، قبلت يدها، احتضنتني بينما عيناها تهطلان بدموع الفرحة، نهضت من مكانها، ألبستني جلباب جدي، أعطتني عصاه».

كل ذلك صاغه الكاتب بلغة قصصية بديعة لم يضيع رونقها في البداية إلا إكثاره من استخدام (كان) وسيطا للحكي، فلا شك أنها تمثل عائقا ذهنيا يمنع من استرسال وتدفق الحكي، خصوصا مع تخلصه من سطوة الراوي العليم ووساطته وحكيه القصة على لسان الراوي المشارك.

كما أن القصة كانت بحاجة إلى بعض التعمق في وصف الشخصيات، مع تحديد لمكان القصة؛ فكل ذلك يعين القارئ على الغوص داخل الحكاية والتماهي بها أكثر.

قصة «الظل الناصح»

في قصته «الظل الناصح» يأخذنا القاص (محمود مصطفى حلمي) إلى معنى معاتبة النفس ومساءلتها، فيتصور حكاية شخص يجلس إلى نفسه يجتر الذكريات الأليمة والحاضر الثقيل، ويعيش الوحدة، ويناجي نفسه بالهموم والأحزان، ليبدأ حوارا مع ظله، يقوم فيها الظل بدور البطل المضاد، الذي يحاول توجيه صاحبه إلى الرشاد، وإيقاظه من غفلته، وبث الأمل في دواخله، ونصحه للخير.

وتجيء القصة مرتكزة على الراوي المشارك الذي يحكي لنا هذه اللحظة، والذي يتفاجأ بظله يحدثه من وحدته ويناجيه، «رأيته، كان أمامي مباشرة، طويل مثلي، ملامحه تشبهني تماما بل نسخة مني، حدثته فلم يرد بالرغم من أني رأيت حركة شفتيه دون سماع صوت يخرج من بينهما، ناديت عليه بصوت أعلى فنادى مثلي ولكن دون صوت أيضا، أدرت رأسي للجانب الآخر حزنا فـأدار رأسه مثلما فعلت، غضبت منه فقمت متجاهلا له ومبتعدا عنه، لكنه لم يفارقني بل لازمني، في النهاية يئست من البعد عنه فجلست حزينا على تجاهل الرفيق الوحيد الذي وجدته والذي تعشمت في أنسه لي».

فاجأني بصوته الذي نادى أخيرا باسمي، التفت نحوه بسرعة سائلا.

- هل تعرف اسمي؟
- نعم.. بل أعرف كل شيء عنك.

تعجبت من نبرته الواثقة ورده السريع القاطع، فبادرته سائلا.

- ومن أنت حتى تعرف كل شيء عني؟
- أنا ظلك...».

ورغم أن الكاتب بنى حكايته على الحوارية فإنه كان حوارا فنيا بديعا يحمل سمات القص حينما يتداخل مع الخطاب السردي، ورغم أن الكاتب لجأ إلى حيلة فنية بديعة مفعمة بالخيال، فنرى وقوعه في المباشرة في سرده كما في العنوان، فإننا نذكره بأن القص الأدبي وإن رام منه قيمة جليلة، فهو فن الخداع، والتضليل، والإغواء، أن تلعب بأعصاب القارئ، توقعه في لغز يعجز أن يجد له حلا ويلهث وراء الأحداث من أجله، حتى إذا انكشف أخذته الدهشة. دون أن يكون البناء مباشرا بالنصح والتوجيه والوعظ، هذا ما نطمح إليه في أعماله القادمة بإذن الله.


لغة وأدب

الظل الناصح

ياسر عرفه توفيق عرفه
باحث وكاتب



رمضان في وجدان صاحب القنديل

«تقرر منح الأستاذ يحيى حقي محمد حقي الجائزة؛ وذلك لأنه رائد من رواد القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث، جمع بين الموهبة والثقافة والتجربة الواعية حتى بلغ بقصصه مستوى رفيعا من الجودة والأصالة (مع التحفظ على بعض أعماله التي تم إخراجها دراميا). وقد ظل خلال المراحل الفنية التي واكبت بها قصصه تحولات المجتمع يرى أن الفن لا قيمة له إن لم يكن إيمانا وتواصلا يدفعان الحياة ويصنعان الجمال والأمل، كما ظل حريصا على أسلوبه العربي الرفيع الذي يجمع بين رصانة التراث ويسر اللغة العصرية، مثبتا إمكانات العربية في التحليل والوصف والتصوير. وقد جمع بكتابته عن الرعيل الأول من الـرواد، ورعـايـتـه كثيرا مـن المـواهـب الناشئة، بـين عطاء الموهبة الكبيرة ورسالة المعلم المخلص».[1]

كانت هـذه هـي حيثيات منح الأديب والـروائي الـراحـل يحيى حقي جائزة الملك فيصل للأدب العربي عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م والتي سطرت على الشهادة الممنوحة له كما جاء في البيان الصحفي عن الجائزة الممنوحة له:

«... والأستاذ يحيى حقي رائد معروف من رواد القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث وعلم من أعلام هذا الفن في الوطن العربي وقد بدا يمارس كتابة القصة منذ أمد طويل جامعا بين الموهبة والثقافة والتجربة الواعية حتى بلغ بقصصه مستوى رفيعا من الجودة والأصالة».

وقد لخصت هذه الكلمات الموجزات كل ما قيل عن يحيى حقي الذي جعل من

أدبه وفنه سبيلا لإرساء القيم الجمالية العليا التي ما إن يرسي إحداها حتى ينتصب لإعلاء أخرى فقد كان يحيى حقي أكثر أدباء جيله تأثيرا على الأجيال اللاحقة من الكتاب، وقد جعل من أولويات أهدافه إرساء القيم الأدبية والفكرية والأخلاقية، وظل يرسى تلك المبادئ والقيم حتى أنفاسه الأخيرة[٢].

يقول الدكتور صبري حافظ عن يحيى حقي: «فيحيى حقي من الكتاب الذي يكرسون حياتهم لإرساء القيم الأدبية والفكرية والأخلاقية معا وما أن تترسخ قيمة من القيم التي يرسيها حتى يتركها ويصرف كل همه لإرساء قيمة جديدة تكتمل بها منظومة القيم التي كرس لها حياته الأدبية ونشاطه الثقافي الكبير»[٣].

«مثالا للكاتب الملتزم بشرف الكلمة وقدسية الإبداع وهموم مجتمعه وصبواته معا إذ حاول أن يرسي من خلال كم إنتاجه وكيفه ومن خلال الأدوار التي لعبها مجموعة من القيم الأدبية والفكرية والجمالية الرائدة»[٤]

وعلى هذا المدى الزمنى الطويل مرت قصصه بمراحل فنية مختلفة تواكب تحولات المجتمع وتغير الاتجاهات والمذاهب الأدبية، فتنوعت تجاربها وتعددت صورها وأشكالها، فكان منها الواقعي الذي يرصد ظواهر المجتمع وأوضاع أفراده والنفسي الذي يكشف خبايا النفوس وتركيبها وكان ما يمتزج فيه الاتجاه الواقعي أو النفسي بنزعة ظاهرة إلى الخيال.

وقد ظل يحيى حقي خلال كل هذه التحولات حريصا على أسلوبه العربي الرفيع الذي يجمع بين رصانة التراث ويسر اللغة العصرية مع قدر كبير من الشاعرية الرقيقة وقد أثبت بهذا السلوب إمكانات اللغة العربية في التحليل والوصف والتصوير».

هو قنديل الأدب المصري، عازف الكلمات وعاشقها، الأديب الخجول صاحب القلب النبيل، والقلم الفريد، أمير المقالة القصصية، سفير القصة العربية، خادم العربية وغيرها من الأوصاف والألقاب التي تعبر عنه مكانة خاصة تبوأها بفضل صدقه وإخلاصه لرسالته ويضيق المقام بالحديث عنه وعن سيرته الأخلاقية التي قلما تكررت في سابقيه ولاحقيه.

في عدد مجلة أدب ونقد المصرية والذي خصصته المجلة عددا خاصا عن يحيى حقي بمناسبة بلوغه المئة عام يقول الأديب المصري خيري شلبي: «تظل كتابات الرائد العملاق يحيى حقي تجسيدا عظيما شديد الثراء لمعنى شرف الكلمة وإن أردت نموذجا مجسدا لما تقرأه وتسمعه عن شرف الكلمة وقدسية الحرف ويقظة الضمير، فاقرأ كتب يحيى حقي، وإنني لأقرأ كتبه فتنتابني حالة من الورع والصفاء والاستنارة كأنني أقرا في الكتب السماوية، لا عجب فالصلة بينهما قائمة في وشائج لا حصر لها»[٥].

ثم يعبر الأديب خيري شلبي عن تأثير كتابات يحيى حقي وهو يعبر عن كل من قرأ لأدب يحيى حقي وكأنه يتحدث عني وعنك وعن كل من قرأ لحقي فيقول: «وأشعر لدى قراءة يحيى حقي أن أسلوبي يتحسن من تلقاء نفسه، ليس في الكتابة فحسب، بل في الحديث العادي وفى تناول الأفكار والحياة، وكذلك أشعر على الدوام أنى أعيش في فيضه وأتمنى لو توفر لي ولو ضئيل من عقليته.. من رقته.. من ثقافته.. من عمق بصيرته.. من نفاذ نظرته.. من حسن إحاطته.. من شموليته»[٦].

أما الكاتب والروائي المصري بهاء طاهر في كتابه أبناء رفاعة فيقول: «من يستطيع حقيقة أن يكتب مقالا عن سيد المقال؟! كيف يمكن لكاتب وهو مطمئن النفس أن يستخدم الكلمات العارية الخشنة ليصف بها لغة يحيى حقي؟ يوشك أن يكون عدوانا على كلماته التي تشع بلورا صافيا تخلص من كل الشوائب والزوائد وانتظم في بناء موسيقى ما إن تقرأه حتى يتحرك في داخلك نغم متصل من جملة إلى جملة تمتزج فيها البسمة بالأمل بالمتعة بالشجن، فأنت هنا مع أديب على قدر ما في كتابته من تسامح وإنسانية وقدرة على الفكاهة لا تبارى، يفتح عينيك على هموم كنت غافلا عنها ويفجر ألغاما لم تكن تتوقعها، ثم سرعان ما يمسح الهم عن نفسك بابتسامة حانية»[٧].

سجل يحيى حقي ذكرياته مع رمضان في مواضع عدة حفلت بها مقالاته عبر كتبه التي شملت ذكرياته وخواطره وتأملاته الذاتية ورويته الروحانية والاجتماعية والتربوية للشهر الفضيل فكان منه كتابه الجميل «من فيض الكريم» وكان فيضا من الروحانيات التي جالت بقلبه وفاضت على جوارحه وتفاعل قلمه معها؛ وقلم يحيى حقي ليس كقلم غيره أنه يغوص في خبايا وثنايا النفس البشرية ليقودها نحو القيم العليا هكذا عاش يحيى حقي ولعل هذا يتضح من رؤيته للشهر الفضيل.

يقول يحيى حقي في كتابه «من فيض الكريم»:

«رمضان كريم»

أحب رمضان لأنه إلى جانب فضائله هو الذي سينفرد بانتزاع الأسرة من التشتيت ويلم في البيت شملها على مائدة الإفطار، من الفطيم إلى الأهتم. هو الشهر الذي لابد أن تسأل ربة البيت وترى: هل أكلت الشغالة أم لم تأكل؟

كذلك هو الشهر الذي يبرز فيه شعب الكادحين يمنة ويسرة وهم مجتمعون حول أطباق الفول المدمس والسلطة على موائد صغيرة فوق أرصفة المطاعم الشعبية يحثون المدفع بقطع لقمة من الرغيف وإمساكها باليد المتحفزة للوثب، ومع ذلك إذا أكلوا أكلوا بصبر وتأن، إطالة لشكرهم الله على نعمته ولا تقل لمط القليل حتى يأخذ في الوهم صورة الكثير».

وكشأن يحيى حقي وولعه بالتفاصيل؛ وهو ابن حي السيدة زينب أشهر وأعرق الأحياء الشعبية والسرد عنده ليس لمجرد السرد، بل ينتقى من التفاصيل الحية التي تعبر عن الحدث فينقلك وأنت تقرأ له إلى المعايشة عبر مشاهد حية ليست مشاهد عادية بل ينتقى لك المشهد الأغلب والأوسع والمعبر بصدق عن جو الحدث، لذا هو ينتقى صورة رمضان في كل بيت في كل شارع لاسيما في المجتمع المصري الذي عشقه يحيى حقي ذو الأصول التركية الذي عشق المجتمع المصري وغاص فيه حتى النخاع وأخرج روائعه مثل قنديل أم هاشم والبوسطجي وغيرها.

كما يقص يحيى حقي كيف أنه في تركيا وفي رمضان كان سفراء العالم يلتقون في شرفة مسجد أيا صوفيا الرائع في ليل رمضان يشاهدون صلاة التراويح كأحد التقاليد الدبلوماسية المتعارف عليها في تركيا والتي يصف فيها حاله هو، فيقول وهو يختار كعادته من الألفاظ والمترادفات ما يمكنه من إيصال المعنى، انظر إليه وهو يصف حزنه على عدم تواجده بين المصلين الذين أكتظ بهم ساح مسجد أيا صوفيا: «وكنت أنا أتلوى خلف ربطة العنق وربطة التقييد الدبلوماسي. وبين شوقي إلى النزول والانغماس في المصلين. أصلي وأهلل وأكبر لله رب العالمين».

ولا تفوت حقي روحانية الشهر الفضيل فهو يفتتح كتابه الرائع «كناسة الدكان» بعنوان شقشقة الفجر فيقول: من فضائل رمضان أنه يتيح لعدد كبير من الصائمين أن يتذوقوا بعد السحور متعة تفوتهم هم وأغلب الناس بقية العام لأنهم من حزب نوم الضحى..

وفي كتابه الممتع «من فيض الكريم» حيث ترتبط تأملاته الروحية بمناسبات ومواسم دينية معينة مثل مولد النبي ﷺ وشهر رمضان وليلة القدر والحج والأعياد. أما رمضان فيسميه حقي «مروض الوحوش» لقدرته على تغيير طبائع البشر وعاداتهم. فهذا هو رجل ابتلي، فهو سائر السنة وحش ينشر الفوضى ويعتدي على الآخرين، فإذا جاء رمضان «لا تذوق شفته قطرة خمر، بل يلزم داره وسط عياله يقيم سفرتهم أمام الباب، يدعو كل من يمر ليشاركه نعمة الله عليهم».

كما يتحدث عن قيمة أخلاقية اجتماعية لم يفلح شهر كرمضان في أن يحققها وهي لمّ شمل الأسرة حين يعبر عن رمضان: «سينفرد بانتزاع الأسرة من التشتيت ويلم في البيت شملها على مائدة الإفطار»[8].

أما حديثه الحاضر الماثل عن ذكريات رمضان أيام طفولته فهو يرسم لوحة فنية ربما لا يفلح غيره أن يرسمها ذلك أنها نابعة من ذكريات حقيقة نجح في أن يحولها لصورة حية يقول حقي: «من الكنوز المغلقة عليها خزانتي، هيهات للأيام أن تبددها، هذا الشعور الذى كان يغمر قلبي وأنا صبي حين تقدم علينا ليلة الرؤية مقدم حورية من الجنة في زي عروس يوم زفافها، تلعلط بالحلى والزواق وتزيد عليها بأن النور رغم بهمة الليل يفج حولها وبين قدميها. شعور لذيذ لأنه عجيب يختلط فيه الفرح بالخشوع ونغمة الاعتراف بالعجز.

هو شوق يتجدد نجح حقي في تصويره بصورة رائعة تجد كل من يقرأها يحس أن حقي يتحدث عنه هو تأمله وهو يواصل الوصف: «كنا نعلم طوال العام أن أقدامنا تسعى إليها ونعرف من سابق كل ملامحها، لكنها حين تقابلنا وجها لوجه نجد سحرها جديدا كأنما نراه لأول مرة».

أما ليلة الرؤية حيث لم يكن هناك تلفاز أو مذياع لإذاعة أو بث استطلاع هلال الشهر الفضيل، فينقلنا نقلة عبر الزمان حيث المكان هناك حاضرا والوصف حيا كأنك أما بثا حيا مباشرا: «نصبح في يوم ليس فيه للناس إلا سؤال واحد يشغلهم عن كل هم آخر؛ أفطور من غد أم صيام! الانتباه مركز على المحكمة الشرعية في سراي رياض باشا في شارع نور الظلام، حيث يجلس قاضى الإسلام وعلى باب المحكمة خلق غفير ستعلم نبأه بعد حين. ولابد أن يتقدم للقاضي في تلك الليلة اثنان من المسلمين، يزكيهما سرا وعلنا ليشهد كل منهما أنه رأى هلال رمضان بعينه، وهو

بذلك شهيد على نفسه، شهيد على المجتمع الإسلامي كله الذي ينطق هو بفمه، ويتكفل عنه بأداء واجب هو عند الشريعة فرض كفاية. ويوقع القاضي على المحضر وتدار أكواب الشربات على الحاضرين وهم يتبادلون التهنئة، ثم يعلن النبأ، فيصيح الصبية على باب المحكمة.

«صيام صيام بذا حكم قاضى الإسلام»

وفي وصف حقي لشهادة الشاهدين إلماحة ذكية للأمانة والشهادة والمسؤولية الجسيمة، ثم يبدأ موكب الرؤية فيصف الشعور الطفولي الذي هو في الحقيقة شعور المحبين العاشقين المنتظرين للشهر الفضيل وهو كالعادة يجيد توظيف العامية المصرية في وصف الحال فيقول:

«نحن الصبية وقوف في شوارعنا نترقب بلهفة منذ ساعات مروره، ونلوم القاضي في قلوبنا لوما شديدا إذا أجل الرؤية إلى غد مع أن الغد قريب، ولكننا لا نحب أن نعود إلى بيوتنا وقفانا «يقمّر عيش» (تعبير مصري دارج يدل على عدم الظفر بالغاية التي كان يسعى لها صاحبها وأنه لم ينل ما كان يأمل وينتظر يعادل: عاد بخفي حنين). في مقدمة الموكب موسيقى السواري يبهرنا ضارب الطبلة المغلفة بجلد النمر فوق حصانه دون أن يمسك بلجامه، ثم تأتى شلة من المشاة فتدمع عيوننا ونحن نحس لرؤيتهم بالعزة والمنعة، ثم. ثم. يا للفرحة! موكب أرباب المهن الشعبية، المعلم وحده يمشي مشية البطل وراءه صفوف من تلاميذه وأولاده».

ويواصل حقي رسم لوحته التي أجمع العديد من النقاد أنه لم يفلح أحد في رسم هذه الصورة الحية المعبرة عن ليلة الرؤية كيحيى حقي يقول: «ولا نذهب إلى بيوتنا إلا بعد أن نسمع المدفع المؤذن بثبوت الرؤية، وإلا بعد أن نرى المآذن كلها قد أضيئت. ما أجمل القاهرة في تلك الليلة، المآذن زينة وفرح وابتهال يشرف عليها من مسجد القلعة مئذنتان نحيفتان متوجتان بالنور.».

ولم يهمل يحيى حقي من حضور رمضان في رواياته وقصصه فها هي رائعته الرائعة «قنديل أم هاشم».

وفي الفصل الثاني عشر؛ الفصل قبل الأخير يختار يحيى حقي ليلة القدر وهي ليلة الفرج جاعلا منها محطة الفرج للدكتور إسماعيل يفتتح يحيى حقي:

«وجاء رمضان. ودار بعينيه في الميدان وتريث نظرته على الجموع فاحتملتها. ما يظن أن هناك شعبا كالمصريين حافظ على طابعه وميزته رغم تقلب الحوادث وتغير الحاكمين. اطمأنت نفس إسماعيل وهو يشعر أن تحت أقدامه أرضا صلبة».

وفى رمضان وفى ليلة الفرج يؤقت حقي الانفراجة حين يدخل المسجد باحثا عن النور في شهر النور والهدى: كانت ليلة القدر بكل ما تحمله من دلالات روحانية، وتجليات ربانية ليلة فاصلة «فانتبه إسماعيل، ففي قلبه لذكراها حنين غريب، ربي على إجلالها والإيمان بفضائلها»[٩].

فلا يهمل حقي هنا النفس وتقلباتها لكن تظل بفطرتها توقر الشعائر وترنو إلى أيام الله ونفحاته وتنجذب إليها بدافع التغيير وقد غمرتها فيوض النفحات وهذا شأنه في أدبه وهو رسالته نحو إعلاء القيم الأخلاقية والجمالية العليا.

ولعل يحيى حقي من القلائل الذين تناولوا الشهر الفضيل بهذا العمق الروحاني وقد نجح في الربط بالبيئة الشعبية مصورا الدقائق الحية لرمضان بتفاصيلها الموحية الموجهة التي تخدم المثل العليا التي عاش لها يحيى حقي ادبا وقدوة ومثالا.

الهوامش

١- البراءة التي سلمت للفائز http://kfip.org/wp-content/1990Mr./09/2013/uploads Yahia-M.Haqqi.pdf

http://kfip.org/wp-content/-2 -1990-AL/09/2013/uploads Arabic-PR.pdf

٣- الدكتور صبري حافظ مقالة بعنوان (يحيى حقي أكثر الرواد إرساء للقيم الأدبية والثقافية - مجلة الهلال العدد ١ يناير ١٩٩٣م، ص١١٦، كما ضمن نفس هذه الكلمات في كتابه (سرادقات من ورق - الجزء الثاني في حديثه عن يحيى حقي).

٤- الدكتور صبري حافظ من دراسة له بعنوان (حصاد العين الهادئة) دراسة في أقاصيص يحيى حقي مجلة إبداع العدد ٩ سبتمبر ١٩٨٣، ص٢٣.

٥- الروائي المصري خيري شلبي - في مرآة يحيى حقي استنشاق عطر الاحباب - مجلة أدب ونقد المصرية العدد ٧٢ أغسطس ١٩٩١م، ص٣٨.

٦- المصدر السابق ص٣٨.

٧- أبناء رفاعة الثقافة والحرية، بهاء طاهر، دار الشروق.

٨- من فيض الكريم، ص٤٠.

٩- يحيى حقي: قنديل أم هاشم، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١١٦.



د. عبدالمنعم عبدالله حسن
الأستاذ في كلية اللغة العربية





صوموا لرؤيته

صوموا لرؤيته فقد وافانا ... بالخير يغمرنا هدى وأمانا

تلقى الصدور الشرح في أفيائه ... وترى القلوب بظله اطمئنانا

وترى النفوس سكينة وسعادة ... ورضا يفيض فيغمر الوجدانا

والروح تسبح في سناه حفية ... بقدومه، تلقى الهدى ألوانا

قد طاب للقيم الرفيعة واحة ... وغدا لكل فضيلة بستانا

يحوي زهورا يانعات للهدى ... متنوعات في العطاء..حسانا

فالصوم داع للتقى وهما صدى ... عبر الضمير يؤكد الإيمانا

والذكر أشرق في القلوب ونوره ... فيض يرطب بالضياء لسانا

صدح القيام به يرتل باعثا ... في الليل فجرا يسعد الأكوانا

ملأ الخشوع الكائنات جميعها ... وسرى ليصدع للجبال كيانا

إن الحياة إذا أتيت تحولت ... يا خير شهر كلها قرآنا

قد نزلت آياته بك رحمة ... فبها عظمت مكانة ومكانا

وذكرت وحدك في الكتاب مفاخرا ... كل الشهور فقتهن زمانا

نقضي شهور العام نرتقب الهدى ... والبدر في أفق السماء منانا

فإذا أهل، نصوم في فرح به ... وسعادة.. إن الهناء أتانا

وتطيب بالمعروف فيك نفوسنا ... فتضاعف الإعطاء والإحسانا

صوموا لرؤيته فرؤيته الهدى ... والخير من بركاته يلقانا



عمرو طه
قاص مصري

مع الوقت ستنسى أسباب الخصام، وتنقطع من ذاكرتك التفاصيل السيئة جميعها، وسيلازمك سؤال واحد لا يفنى: هل كان يستدعي ما حدث كل ما حدث؟

مصطفى محمود

ولا يمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ البال.

الجاحظ

فإن الصمت الذي يعقب كارثة هائلة، هو أشد الأصوات التي يمكنك سماعها هدوءا على سطح البسيطة.

اليف شافاك

إن كنت شجاعا بما يكفي لتقول وداعا، فستكافئك الحياة بمرحبا جديدة.

باولو كويلو

لا يوجد سطح مدهش بدون عمق مرعب.

فريدريك نيتشه

حين لا تستطيع الكلمات أن تكون أكثر وقارا من الصمت، فالصمت أفضل.

إدواردو غاليانو

علاء عبدالفتاح
كاتب وصحافي

من الكويت إلى الحرمين الشريفين:

لبيك اللهم عمرة

ربما تذوق من تعب الطريق شيئا يسيرا مما ذاقه الأولون في رحلاتهم إلى بيت الله الحرام، لكنك حتما ستتذوق حلاوة ذاك التعب عندما تكون مخلص النية لزيارة الحرم الشريف وأداء الحج أو العمرة ثم التوجه إلى المدينة المنورة والسلام على رسول الله ﷺ والصلاة في ما بين بيته ﷺ ومنبره؛ أي بالروضة الشريفة التي هي روضة من رياض الجنة.

إذا كنت مثلا منطلقا بالسيارة من النويصيب (حيث الحدود الكويتية السعودية)، إلى الخفجي (أول منطقة تقابلها في البلد الجديد) فمن الأفضل أن تنطلق فجرا وقد ملأت خزان وقود سيارتك (الوقود بالكويت لا شك أرخص)، كما يفضل أن تشترك في باقة للإنترنت المحلي قبل أن تعبر الحدود، فإن لم تستطع فلتحمل تطبيق الخرائط المجانية مثل maps me أو تشتري باقة من الخفجي نفسها.

الطريق أمامك يقترب من ألف وخمسمئة كيلومترا يمكنك أن تقطعها مباشرة في نحو خمس عشرة ساعة أو تستريح في منتصف الطريق أو تتبادل القيادة كما فعلنا ولا تتوقف إلا للتزود بالوقود.

إنه الطريق المبارك إلى مكة، فلو كان معك بعض الوسائط المسموعة محملة سلفا ومختارة بعناية من قرآن كريم ودروس دينية جديدة عليك أو أناشيد أو سيرة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه سيكون الأمر ممتعا أثناء الرحلة.

بعض الاستراحات تعرض لك ركنا هادئا تتذوق فيه طعامك بثمن بسيط، وبعضها يبيع لك مستلزمات للطريق، ولكن المهم أن تلحق صلواتك جمعا وقصرا في المساجد التي تعمر هذه الاستراحات.

في المواسم بالطبع ترتفع أسعار الفنادق، لذا فمن الأفضل الحجز قبل فترة معقولة أو الاستعانة بخدمات بيوت الضيافة على التطبيقات المختلفة، ويمكنك أن ترتاح ليلة في الرياض مثلا بعد نحو ستمئة وثلاثين كيلومترا وسبع ساعات من القيادة، ومتوسط سعر الليلة في الفندق ما بين ٢٥٠ و٣٠٠ ريال للغرفة المزدوجة وبها سرير إضافي لطفل أو طفلين.

ستمر في الطريق ببعض المناطق العاصفة فتجد الرياح المحملة بالرمال تنطلق من يمين الطريق إلى يساره أو بالعكس وقد تكون الرياح شديدة تهتز لها مركبتك، ولذا فلا يفضل أن تتجاوز سرعتك هنا مئة كيلو مترا بالساعة عدا ذلك فالسرعة المسموح بها على طريق مكة في أغلب المسافات ١٤٠ كيلومترا بالساعة، أما الجانب المشرق المرئي في الطريق فهو جمال الطبيعة وأنت تنطلق بين جبال أو مطالع النخيل على الصفين.

ويالها من لهفة للمشتاق لا تبرد بل تزداد عند الميقات بالسيل الكبير ترتدي ملابس الإحرام بعد التطهر والاغتسال ثم تصلي ركعتين وتقول لبيك اللهم عمرة وتنطلق إلى بيت الله الحرام والشوق يتملكك، فما إن ترى الحجر الأسود وترفع يدك ببسم الله والله أكبر وتبدأ الطواف مع الجموع متأملا في مقام إبراهيم عليه السلام مستذكرا التاريخ مستحضرا الحال قبل ألف وأربعمئة عام ومتأملا في الوقت نفسه الجموع من كل بلد وبكل لغة وهيئة تطوف معك سبعة أشواط ثم تقف لتصلي ركعتين ومقام إبراهيم عليه السلام بين ناظريك والكعبة، وأخيرا تمضي لتسعى بين الصفا والمروة مستذكرا قصة هاجر عليها السلام ساعية مهرولة في بعض الطريق بحثا عن ماء لطفلها إسماعيل عليه السلام حتى يأذن الله وتتفجر الأرض بالماء فتقول زم زم وتحيط الماء بكفيها حرصا عليه من الانداح في الرمال.

والمدهش أنك سترى الطفل الرضيع محمولا والشيخ الكبير على الكرسي المتحرك والمرأة العجوز مستندة إلى ذراع ابنها أو زوجها الكل يطوف أو يسعى أو يصلي حريصا على أن يتقبل الله عبادته بلا رفث أو فسوق أو جدال.

وينتهي السعي ومعه العمرة الأولى فتقصر أو تحلق وتتحلل لتبدأ عمرة جديدة إن أردت بالانطلاق، حيث مسجد السيدة عائشة على حدود مكة (ربع الساعة بالسيارة) وبتكلفة تتراوح ما بين عشرين ريالا وثلاثين لتنوي من جديد لبيك اللهم عمرة وتصلي ركعتين بمسجد عائشة رضي الله عنها



وتتجه مرة أخرى إلى الكعبة للطواف ثم للسعي ثم للتحلل.
في شوارع مكة بالقرب من الحرم مشهد يثلج الصدور لاشك، فالمصلون في أفواج لا تنقطع من فنادقهم وبيوتهم للصلوات الخمس.. سيل من البشر يتدفق أمام ناظريك.. صلوات ودموع وابتهالات وأكف الضراعة ترتفع لله رب العالمين الكل يسأل حاجته والكل مأخوذ بحالته.

أما التجارة فحدث ولا حرج: الأسواق والباعة الجائلون على الصفين ومن اعتمر وأراد شراء الهدايا يستطيع بكل يسر اختيار من البضائع ما يشاء؛ هنا الرخيص والغالي، ولكن هناك دوما أسواق الجملة لمن أراد السعر الأفضل وكان لديه الوقت للذهاب بسيارة خاصة.

من النصائح التي يفضل اتباعها أن يكون فندقك بالقرب من الحرم فلا تحتاج إلى ركوب سيارتك ذهابا وإيابا وبالتالي إلى البحث عن موقف لها لأن مواقف السيارات بالقرب من الحرم مكلفة للغاية الساعة الواحدة تكلفك من ١٠-٣٠ ريالا.

حان الوقت للانطلاق إلى مدينة رسول الله ﷺ، حيث استقبله الأنصار وحيث أسس الدولة، والطريق من مكة إلى المدينة يسير إلا في بضعة كيلومترات من المنحنيات الخطرة ولن يكون بمستغرب أن تستشعر منذ وصولك للحرم النبوي محدقا في المنارة والقبة الخضراوين للمسجد النبوي تلك الراحة والطمأنينة اللتين ستقيمان معك طول مدة بقائك بالمدينة.

سينبغي عليك التسجيل في تطبيق نسك قبل انطلاقك من مكة إذا أردت الحجز للصلاة بالروضة الشريفة ركعتين لأن الزحام شديد والرغبة أشد. لكن إن لم تتمكن فالمرور أمام قبر الرسول ﷺ متاح للجميع والصلاة بساحة المسجد إن لم تجد لك مكانا داخله متاحة للجميع.

وبما أنك بالمدينة فلا تنس الصلاة في مسجد قباء الأبيض ولا الوقوف على جبل الرماة ناظرا إلى جبل أحد أو التوقف عند مقبرة شهداء أحد رضي الله عنهم مستذكرا التاريخ والعبرة منه.

تقترب الرحلة من نهايتها ويرى البعض أن شراء التمور من المدينة ربما كان أفضل مع عبوات ماء زمزم، التي يعمل على مشروع استخراجها المئات من الجنود المجهولين، فلا داع لأن تحمل معك من مكة ثقلا في سيارتك وأنت متجها إلى المدينة كما أن شراء الملابس والهدايا متاح من أسواق الجملة وبأسعار تنافسية.

وأخيرا تتجه إلى حيث أتيت مرة أخرى عائدا محملا بطاقة إيجابية لا مثل لها وقد رميت أحمالك من فوق ظهرك وسلمت أمرك تماما لله القادر العادل الرازق غافر الذنب وقابل التوب فتقابل جنود الحدود ورجال الجمارك تجدهم مبتسمين لك كما ودعوك أول مرة فتدعو لهم كما دعوت لكل من تعرف بالخير والبركة وحسن الخاتمة.

جعفر بن أشرف الوافي
محاضر في كلية وادي الرحمة - الهند



الأمهات.. مصانع الأجيال

لا شك أن للمرأة دورا مهما في صناعة الأجيال الواعية والتربية الصالحة، لأنها أول مدرسة يتعلم فيها الأبناء منذ صغرهم وهي التي تدرسهم الأخلاق والمعاملة والاحترام، وهي التي تميز لهم الصالح من الطالح، وهي التي تزرع في قلوبهم العزيمة والشجاعة وتغرس فيهم فسيلة الإيمان، وتدلهم على الطريق الصحيح والصواب لينالوا في الآخرة الأجر والثواب ولينقذوا أنفسكم من الذل والعذاب. ولها تأثير عظيم في تربية أولادها الأنقياء ليصبحوا رجالا أتقياء وقادة أوفياء.

ومن المعلوم لدى الجميع أن للمرأة مكانة مرموقة في تربية الأولاد وتنشئتهم وتثقيفهم، لأنها أول مدرسة يتعلم منها طفلها العتبات الأولى للحياة والمعاملة، فإذا أحسنت التهذيب قد نجحت في قيامها بتربية الأولاد وإذا أخطأت خسرت فيه. ومن الأسف الشديد أن الفتيات في يومنا هذا أصبحن مأخوذات بالإنترنت وتيكتوك وانستجرام ويعشن في أعماق بحر الشبكة (الإنترنت) وصار همهن الوحيد هو الهاتف المحمول ورسائل واتسابية، وانشغلن في ثرثرات عبثية وأعرضن عن القيام بمهمتهن وأحيانا يلتزمن بسريرهن مغرسات العيون على شاشات الهواتف الذكية بدون اهتمام ببكاء الأطفال ولا يشعرن بما يحدث حوله كأنهن سكارى. في الحقيقة أنهن يعشن في عالم الخيالات والإنترنت. أجل! إنه عالم رقمي وقد سيطرت على عقولهن فكرة زائفة تعلمهن أن العالم الرقمي هو العالم الحقيقي، وتفكر تلك الفتيات أن سعادة الحياة لا يجدنها إلا من العالم الرقمي.

ومما لا بد من التنبه إليه أن الفتيات المسلمات في أيامنا هذه قد ابتعدن عن ديننا وغبن عن قصص الأمهات والنساء المسلمات في تاريخ العالم وتاريخ الإسلام، وغفلن عن قصة بطولة الأمهات ودورهن في تنشئة الأبطال البواسل الذين غيروا مجرى التاريخ وقدموا الأرواح في سبيل الله بدون خوف ولا جزع. وافتخرت أمهاتهم باستشهاد الأولاد في سبيل الحق بل قدمن أرواح جميع قرة أعينهن واحدا إثر واحد لله الواحد القهار ولتكون كلمة الله هي العليا.

وعلى مر العصور، تغيرت الدنيا وأحوالها كثيرا وانقلبت الأمور رأسا على عقب، وأصبح الجميع محبين للدنيا وزينتها وقد غرتهم الحياة الدنيا ونسوا مبادئ الدين، وصار همهم الأكبر أرباح الدنيا واتخذوا الدين لعبا ولهوا، قال الله عز وجل عن هؤلاء الناس في كتابه المبين: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ (الأعراف:٥١).

وأكبر دليل على هذا أن الوالدان في هذا العصر الحديث يفضلون لأبنائهم علوم الفيزياء والتكنوجيا أكثر من تعليمهم العلوم الدينية والقرآن والأحاديث النبوية. وهؤلاء الأولاد يترعرعون بدون تلقي العلوم الأساسية الدينية غافلين عن قيمة الدين وأهمية تعلم أمورها القيمة التي حافظ عليها الآباء والأجداد كابرا عن كابر وقاموا بتعليمها لنا ونصحونا بالحفاظ عليها، وأن نصب على الأجيال القادمة مبادئ ديننا الإسلامي وأن نكون منهم شخصيات عظيمة وذوي أخلاق كريمة سيسجل التاريخ أسماءهم في قائمة الأبطال البواسل الذين غيروا مجرى التاريخ ونبهوا الأمة النائمة من غفلتها وأعدوها لاسترجاع عزتها وكرامتها.

ومما يعلم الجميع أن دور الأمهات في تربية الأولاد وصنع الرجال مهم جدا لأنها صلب المجتمع وقوة سرية لنشاط الأمة ومنها يقتبس الأولاد شعاع الأمل والأحلام، ومنها يتلقى الأطفال الدروس الأولى للحياة ويستمد منها القوة والعزيمة فإذا أخطأت في التربية أخطأت الأمة وإذا أحسنت فإنها تقوي الأمة وتكون الأجيال أهل الدين والوعي. وكم من أمهات صنعن أبطالا ورو ادا في قالب العزة والفخامة... وكم من أمهات قمن بالتضحية بأرواحهن من أجل الأولاد!

ويا للعزة والفخر! أن مصدر القوة والصبر التي يستمدها المقاومون في ساحة القتال والحصار هي الأمهات وأقوالهن المثبتة التي بقوتها يتجاوز الأبناء مواقف الصعوبات رافعين رؤوسهم وشامخين أمام العدو. وكذلك بالنسبة لجميع الأبناء أن أمهاتهم هن مصدر قوتهم وهن من علمهم الصبر والعزيمة، كما سجل بعض الشعراء في قصائدهم ومنها قصيدة «أماه» للشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي حيث قال في أبياته عن أمه:

وطنت قلبي على حمل الهموم، فما
يعضه البؤس إلا زاد إيمانا
منك استقيت صمودي في الحياة فما
أعلنت يأسا، ولا أعلنت خذلانا
مضيت في رحلتي والقيظ ملتهب
فكنت ظلا على دربي وأغصانا
وكنت في ظلمتي نورا أسير به
وفي صحارى الأسى وردا وريحانا

وكذا أوضح الشاعر عن مصدر صموده في الحياة في المواقف الصعبة حيث قال إن أمه كانت كل شيء بالنسبة له. وأردف قائلا إن كل شعور وعواطف موجودة في نفسه كانت تأتي من أمه الحنون وكانت ظلا له في حر لا يطاق وكانت مأوى له في الحالات الشاقة. كما سجل الشاعر في شعره المذكور:

منك ابتدأت مسيري في الوجود،
ومن ينبوع عطفك، صار القلب ريانا
على ذراعيك جاوزت الطفولة في
أمن، وكان ربيع العمر هتانا
عبرت لجة ضعفي دونما تعب
وكنت لي زورقا فيها وربانا

وكذلك يعبر كل من يحمل ذكرياته الجميلة مع أمه التي ربته حسن التربية والتي تمكنت من بناء شخصيات عظيمة للعالم لا سيما الأمة المسلمة. والأمهات هن قوة رئيسية لصب الأخلاق في قلوب الأطفال وبناء شخصيتهم

وهن قوالب لبناء شخصيات وأخلاق أطفالهن لأنهم يدرسون أول دروس الحياة من عند الأمهات.

وها نحن نعيش اليوم في عالم يعيش فيه الجميع منشغلين بأعمالهم لا وقت لدى أحد لأن يتكلم مع صديقه وأقرانه وأقربائه. وأصبح الإنسان -رجالا ونساء- مشغولا في كل حين كأنه خلق من أجل الشغل والعمل فقط. كلما حاول الأصدقاء الاتصال به يقول: أنا مشغول جدا... لا وقت لدي الآن.. لدي عمل كثير لأكمله.... هكذا حال الجميع أو معظم الناس. ومما يأسفنا جميعا أن الجميع أصبحوا أهل الشغل والعمل حتى الأمهات لا وقت لديهن ليقمن بتربية الأولاد بأحسن وجه. لكن للأسف، أن معظم فتياتنا اليوم ينشغلن بأعمالهن في القطاع العام والقطاع الخاص وفي مجالات مختلفة ويقمن بتربية الأولاد كما يقمن بوظيفة أو مهمة كلفتهن بها الشركة، حيث يقمن بتربية الأولاد باتخاذ خادمة وحاضنة أجيرة تقوم بتطهير الملابس وتحسين ظاهر الطفل فقط ولا تصب في قلب الطفل دراسات الحياة والتربية التي تطلبها طبيعة الحياة الإنسانية. كأنهن بنات الشغل ويفضلن الأعمال الخارجية على الأعمال المنزلية والتربية التي كانت عليها أمهاتنا والجدات في العصور الماضية. وكم كانت جميلة تلك الأيام التي تعد فيها الأمهات أبناءهن للذهاب إلى المدرسة بتعليمهن قصة الطهارة وأهميتها في الإسلام كما تلبس الأمهات أبناءهن ملابس جديدة في أيام العيد وهن يقصصن عليهم قصة الأنبياء والمرسلين كما يقصصن عليهم قصة الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام في يوم عيد الأضحى. وهكذا كانت الأمهات في قديم الزمان وكن يغتنمن كل فرص لتعليم الأولاد بمعالم الدين وقصة بسالة الغزوات الإسلامية ومناكب الأبطال المسلمين وقصة تاريخ هذه الأمة والسبل التي تجاوز عنها الدين الإسلامي عبر القرون.

على أي حال، كيف نعلم فتياتنا أن يكن أمهات مثالية كما كانت جداتنا في العصور الماضية؟ وكيف نتمكن من توعية الفتيات؟ وكيف نستطيع أن نجعلهن أفضل زوجات وأمهات ليقمن بتربية الأولاد بأحسن وجه ليكون المجتمع مجتمع وعي ودين. إذا صلح المجتمع صلحت البشرية بأكملها وصلح العالم كله. وتتحسن أوضاع الحياة البشرية في كل أصقاع الأرض وسيمر العالم في المستقبل بالازدهار في كل نواحي الحياة. على الرغم من كثرة المدارس والمعاهد في عصرنا الحديث لم تتحقق حتى الآن الأحلام البشرية التي يطمح بها العالم منذ زمن بعيد لكن للأسف انهارت منا مكارم الأخلاق والقيم الإنسانية. وتخلت النسوة عن تربية الأولاد بطريق صحيح ومطلوب وغافلن عن مسؤولياتهن في المجتمع والدين وسيطر عليهن النسيان وطعم الحياة الرفاهية وأصبحن يركضن وراء كل غرور الدنيا وخمرتها وهن لا يذكرن أن هذه الدنيا فانية ومتاع الغرور كما قال الله عز وجل في كتابه المبين: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (الحديد:٢٠).

أجل! إن فتياتنا اليوم يسرن مسيرة مكائد الشيطان ويبتعدن عن معالم الدين ومبادئه وهن يذهبن إلى الأسواق صباحا ومساء ويقمن بالطواف حول كل حوانيت في مركز التجارة ويزرن كل زاوية من زوايا مكان التسوق. وتمر أعينهن على كل الأشياء الممتعة في الحياة الدنيا. ويا- الآباء والولاة- يجب علينا أن ننجي فتياتنا من مخالب تلك المشاكل التي ستدمر نظام المجتمع والحياة البشرية بأسرها. وعلينا أن نهذبهن بشكل يليق بالدين والمجتمع الصالح وعلينا أن نقوم بتوعيتهن لأنهن أحجار أساسية لبناء المجتمع وأن لهن مهمات هامة ودورا مهما في بناء مجتمع مثقف وفي تحسين الأوضاع التي تعاني منها هذه الأمة التي تتعرض لهجمات من كل اتجاه. وعيون الشياطين تحيط بفتياتنا ويحاولون إضلالهن ويلقون إليهن أفكار التكفير ويبعدونهن عن الدين والأخلاق الكريمة ويخدعونها بأن الدنيا هي الحياة الحقيقية وزينتها زينة الحق ويجعلونهن عباد الدراهم والدينار ويوقعونهن في مكيدة الشيطان الذي قال عنه ربنا عز وجل في مواضع كثيرة أنه عدونا المبين حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة:١٦٨). و﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (فاطر:٦)، و﴿يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الزخرف:٦٢). والشيطان الذي قال بنفسه بعد أن طرده الله من الجنة أنه سيغوي جميع أبناء آدم إلى يوم القيامة كما في كتاب الله الكريم: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (ص:٧٧-٨٣).

هبه فوزي
باحثة تربوية



صيام الأطفال مصدرا لسعادتهم

يعد الصيام الركن الرابع من أركان الإسلام، وهو الشهر التاسع الهجري، قبله رمضان وبعده شوال، يجيئ في أوقات مختلفة مناخيا، وجاء ذكر لفظ الصيام (١٥ مرة)، بمعان مختلفة منها صيام رمضان. وصوم رمضان كما أكد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يزكي النفس والبدن ويطهرهما، ويهذب اللسان، ويرشد إلى فضائل الأخلاق والطباع، ومحاسن السلوك، وطيب العبادات، كما يعد حافزا ربانيا لتحمل الشدائد والصعاب وقهر الشهوات، ولذلك فقد اهتم المسلمون عبر العصور بتنشئة أطفالهم علي صوم الشهر الفضيل، حيث إن المسلم مخاطب ومكلف بالالتزام بأركان الإسلام من وقت بلوغه، ويكون للفتى بالاحتلام، والفتاة بظهور الحيض، فإن لم يظهر ذلك فيهما فببلوغ خمسة عشر سنة لكليهما.

وقد يأتي رمضان في شهور الصيف حيث شدة الحرارة، أو في شهور الشتاء حيث شدة البرودة، وتطول ساعات الصوم، مما يصعب على الطفل صيام الشهر بأكمله وخاصة قبل البلوغ، الأمر الذي يتطلب تدريبه على الصيام، وذلك من خلال ما يعرف بصيام درجات المئذنة، حيث يصوم الطفل خلال العشرة أيام الأولى حتى أذان الظهر، ثم إلى أذان العصر، ثم إلى أذان المغرب، تدريجيا.

ومن المفيد تعويضه عن اللعب، بتركه لمشاهدة البرامج التلفزيونية وخاصة الدينية وقصص الصحابة رضي الله عنهم وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد يدفعه الفضول لمعرفة ما تقوم به الأم داخل المطبخ، فيساعدها، وتتكون لديه الحاسة الشمية والتمييز بين الأطعمة، كما يحمل أطباق الطعام إلى الجيران، فيتعلم حق الجار، ومن المستحب اصطحاب الأب لابنه إلى المساجد ثم تركه ليلعب مع أقرانه دون خوف، في الشوارع والطرقات المضاءة.



عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

أكبر الآثام تضييع من تعول

لا يكتفي بعض الناس في إهمال واجبات بيته وأسرته وأبنائه، إنما يقصر حتى في الإنفاق عليهم وتوفير احتياجاتهم المعيشية ومستلزماتهم الأساسية التي يتطلبونها للحصول على معيشة كريمة.

ويهمل البعض بقصد أو غير قصد توفير ما تحتاجه أسرته من مال لتأمين المعيشة والصرف على متطلبات الحياة، وكأنه ليس رب أسرة ولا مسؤولا عن عائلة لها احتياجاتها ومتطلباتها.

وربما يظهر البعض بمظهر السخي والكريم أمام الناس من خلال تقديم الأموال والعطايا والصرف المبالغ فيه من أجل المباهاة والحصول على التقدير، بينما هو في حقيقة الأمر عكس ذلك في بيته وأمام أسرته، إذ يكون بخيلا شحيحا في الصرف والإنفاق.

ويعود تصرف البعض بهذه الطريقة إلى مجموعة من الأسباب التي منها أن البعض لا يكترث لحال أسرته منشغلا عنها في حياة أخرى، فلا يعلم عن بيته وأولاده شيئا ولا يهتم إذا كانت لديهم أموال ونفقة كافية أم لا، أو أن طبعه يتسم بالبخل الشديد والحرص على المال، فيتشدد في عملية الصرف والإنفاق، خصوصا على بيته أو أن تكون ثمة مشاكل أسرية وخلافات عائلية، يكون ضحيتها الأبناء الذين قد لا يجدون من ينفق عليهم.

لكن مهما كانت الأسباب فإن النفقة واجبة على الآباء لا يجوز التخلي عنها وحرمان الأبناء منها تحت أية مبررات.

بل إن الأولى في الصرف والإنفاق الأسرة والأبناء، إذ يقعون تحت مسؤولية رب الأسرة الذي عليه واجب توفير المسكن الملائم والطعام والشراب والكسوة وكل ما يحتاجونه من متطلبات الحياة الضرورية.

عن عبدالله بن عمر انه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كلكم راع ومسئول عن رعيته، والإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه). (صحيح البخاري، رقم الحديث: ٢٧٥١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته». (رقم الحديث: ١٦٣٦).

أما حرمان الأبناء والأسرة من النفقة والمال فعواقبها وخيمة، لأنها تؤدي إلى تأثيرات سلبية وضياع للأبناء وانجراف نحو مسارات خاطئة، فمن أخطر الأفعال وأكبر الآثام أن يقوم الإنسان بتضييع من يعول.

وروى عبدالله بن عمرو أنه قال: كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو، إذ جاءه قهرمان له، فدخل، فقال: أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا، قال: فانطلق فأعطهم، قال: قال رسول الله ﷺ: (كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته). (صحيح مسلم، رقم الحديث: ٩٩٦).



عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

إهمال التربية ضياع للأبناء

يظن البعض أن واجبه تجاه أبنائه يقتصر فقط على توفير المال وتأمين احتياجاتهم المادية والمعيشية من دون أن يكون له أي دور آخر في تربيتهم ورعايتهم والاهتمام بهم.

ويقضي البعض جل حياته في الانشغال بالعمل وجمع المال وزيادة الأرصدة البنكية، بحجة تأمين حياة المستقبل وتوفير المعيشة الكريمة للأسرة والأبناء، في حين أنه قد لا يعلم عن أسرته وأبنائه شيئا، ولم يهتم يوما إلى أمرهم ومتطلباتهم أو يقف على مشاكلهم واحتياجاتهم النفسية والاجتماعية، خصوصا في المراحل العمرية الأولى التي يكون فيها الأبناء بحاجة ماسة إلى آبائهم وأمهاتهم للتقرب منهم والاستماع إليهم، لأنهم أكثر تعلقا بهم.

لكن البعض لا يهتم لهذه الأمور ويركز فقط على هدف وحيد، وهو كيفية تضخيم الحسابات المالية، لأنه يعتقد أن المال هو الشيء الوحيد الذي يوفر الأمان ويبني مستقبل أبنائه وأسرته.

بينما الواقع أن التربية السليمة والتنشئة الصالحة والاقتراب من الأبناء والاهتمام بهم، هو الذي يحميهم من مخاطر الدنيا ومشاكلها وصعوباتها المختلفة.

وكلما تسلح الأبناء بسلاح الدين والعلم والمعرفة كانوا أقدر على مواجهة تقلبات الحياة ودورات السنين، من دون أن ينجرفوا في اتجاهات سلبية تؤثر عليهم وعلى أسرهم.

ولا تقتصر التأثيرات السلبية لعملية إهمال الأسرة وعدم الاهتمام بها على الأبناء وحدهم وحسب، إنما تعود انعكاساتها على الوالدين أنفسهم الذين سيشعرون مع الوقت بأن هناك فجوة بينهم وبين أبنائهم وقسوة وجفاء في التعامل معهم، نتيجة البعد وعدم الارتباط عاطفي مع أبنائهم، بسبب تعودهم على الغياب وعدم وجودهم في حياتهم.

فعندما تفرط في تربية الأبناء وتهمل رعايتهم، ولا تكون حاضرا لمساعدتهم وحل مشاكلهم النفسية والاجتماعية، فإن النتيجة تكون حتما عقوق وعدم احترام وسوء أدب في التعامل معهم.

ولا تقتصر مسؤولية تربية الأبناء على الآباء وحدهم، إنما الأمهات أيضا عليهن مسؤولية كبيرة، فبعض الأمهات تكون مشغولة في الحياة، ولا تدري عن أبنائها وأسرتها شيئا، فتجدها في حالة انشغال دائم في العمل والمناسبات والزيارات الاجتماعية من دون أن تخصص وقتا لبيتها وأسرتها، وتهتم لوضع أبنائها ومشاكلهم.

ولا شك أن تربية الأبناء والاهتمام بشؤونهم والمحافظة على الأسرة واجب على كل ولي أمر، حتى لا يؤدي الإهمال والتفريط إلى تضييعهم، فهذا من أعظم الآثام والجرائم.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول». وفي رواية: (أن يضيع من يقوت). (أخرجه الحاكم، رقم الحديث: ٨٧٥٠).

عبد الله إياد البعيجان
مراقب شؤون الحج والعمرة



أمن المجتمع

يعتبر غرس وتعزيز الهوية الوطنية مسؤولية مجتمعية تبدأ من الأسرة إلى كافة القطاعات في الدولة، ليكون مسؤولية مجتمعية لتحقيق تنمية المجتمع والمشاركة في التصدي للتحديات المختلفة، من خلال برامج ومبادرات متنوعة وتعتبر مسألة تعزيز الهوية الوطنية ودعم المسؤولية الاجتماعية قضية واحدة، فترتبط المسؤولية المجتمعية تلقائيا بالأمن والأمان، وتبث في المجتمع القيم السامية والنبيلة النزيهة، فتكون هي السمة المميزة لأبنائها لحفظ وجودها، فلا نخشى الانفتاح ونستطيع التعامل مع الآخر بثقة وعلاقة بناءة من أجل عالم أفضل، وحتى يتم تعزيز الهوية الوطنية بالشكل اللائق لا بد أن يكون انطلاق هذه المبادرات من الأسرة، وذلك لأن الأسرة الصالحة نواة لمجتمع سعيد، ولأن هذه الأسرة هي مصنع المجتمع وبها صلاحه وفلاحه، ولذا لا بد أن يكون منطلق مشاريع ومبادرات تعزيز الهوية الوطنية من الأسرة بدءا من تحديد هوية المجتمع ويلي ذلك هوية الأسرة.

هوية المجتمع انطلاقا من عوامل مهمه وأولاها: الدين، اللغة:

العامل الديني

فالدين هو أحد مكونات الثقافة، والدين الإسلامي ساهم في الهوية الإسلامية التي تقوم على أربعة أسس وعناصر: «العقيدة، التاريخ، اللغة، الأرض». وتجمعت هذه العناصر الأربعة في الأمة

بمجموعها عن الهوية الإسلامية، وتضيع هوية المجتمع إن ضاع الفرد عن دينه؛ لذلك قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢)، وقال جل علا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (آل عمران:١١٠)، وخيرية هذه الأمة نابعة من استقلاليتها التشريعية، والعقائدية، والسلوكية عن غيرها من الأمم الأخرى، وهنالك متربصون بهويتنا وثقافتنا لما لهم من مرجعية واحدة مضمون ملزم للجميع، فجميعهم على حد سواء فقيرهم وغنيهم وحقيرهم وكريمهم ورجالهم ونساءهم، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ (البقرة: ١٠٩-١١٠)، نعم هي الحقيقة الجلية التي نتعامى عنها رغم وضوحها وجلاءها كما أخبرنا ربنا عز وجل، لذلك أمرنا بالتمسك بالدين وتوحيد العبادة له سبحانه، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير، فقال: «يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا»)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

التوحيد أعظم سبب للنجاة من النار؛ قال النبي ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار»، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة».

وما نشهده من تفشي سلوكيات دخيلة على مجتمعاتنا العربية المسلمة ومن ظواهر بدعية وشركية سببه التغريب وقطع الجذور بلا هدف يضاف للإنسانية والوجود غير شهوة وقتية منتهية ساهمت في انتشار الإلحاد وأثرت سلبا على واقعنا وقيمنا خوفا على أنفسنا ومجتمعنا وتنذر بعواقب وخيمة إنسانيا.

اللغة

هي من العناصر الأساسية للهوية، واللغة هي مكون أساسي من مكونات الثقافة، واللغة العربية مقوم أساسي من مقومات الحضارة العربية الإسلامية، ذلك أن العربية ليست أداة فحسب، ولكنها فكر وثقافة أساسا ترسخت كونها اللغة التي نزل بها القرآن، وحتى الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام، وإن كانت احتفظت بلغتها الوطنية، فإنها اتخذت من اللغة العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري، وأدخلت الحروف العربية إلى لغاتها، فصارت تكتب بها، وعلى هذا الأساس فإن الثقافة العربية هي ثقافة الأمة العربية والإسلامية؛ التي هي أمة الإسلام الذي منه اكتسبت صبغتها، وحملت صفتها، واستمدت طبيعتها، فلم يكن لهذه الأمة كيان قائم الذات قبل الإسلام، وإنما كانت قبائل وعشائر تجمعها عقيدة القوة والمصلحة والشخصانية بلا رادع، ولا يوحدها إيمان بالرسالة الخالدة للإسلام، فهذبها الإسلام وجعلها الروح والأصول، ثقافة استوعبت كل الأمم والشعوب؛ التي انضوت تحت لواء الأمة العربية الإسلامية، ووسعت كل الثقافات التي تعايشت معها، فصارت بذلك ثقافة العرب المسلمين، غنية المحتوى، متعددة الروافد، متنوعة المصادر، ولكنها ذات روح واحدة، وهوية متميزة متفردة.

إن ما نراه اليوم من غزو فكري وثقافي على مجتمعنا يهدد أمنه واستقراره ويوجب دق ناقوس الخطر للحفاظ على هويتنا التي بها ارتفع شأننا وحقق أمننا واستقرارنا، لنهتم معا باللغة والدين اللذين هما العاملين الأساسيين في بناء هوية صالحة تبني المجتمع وتحافظ عليه.



هشام الصباغ
باحث لغوي

فنان الخط العربي

أمين المؤذن

■ أحد فناني الخط العربي الأصيل الذي كان هواية له في مقتبل عمره ثم صار له حرفة وعملا.. استطاع أن يطوع جماليات الحروف العربية بروائع هندسية وأشكال سمترية، ويطور أسلوبه في مجال الألوان والزخارف المصاحبة كخلفية لعمله الفني، ليصنع تناغما جميلا في مفردات أعماله.

■ له تمكن غير محدود من أدواته التعبيرية في الخط العربي، إذ يجمع في إبداعه بين جمالية الخط العربي من ناحية وجمالية الفنون التطبيقية الإسلامية من ناحية أخرى، وقد استخدم الخط وطوعه لخدمة أفقه التشكيلي.

■ هو أول من عمل إعلانات بالطرق في الكويت في طريقي الجهراء والأحمدي وغيرهما، كما أنه أول من زخرف الإعلانات بالألوان.. وكان زبائنه من كبار تجار الكويت.

■ من المجددين للقوالب التراثية لأنواع الخط العربي من حيث الإلمام التام بالقواعد المتعارف عليها فيرسم الخطوط ومن ثم تطويعها لتناسب تكوين اللوحة.

■ يمزج بين جماليات الحروف والرؤية البصرية.. وأعماله تنهل من فنون الزخرفة الإسلامية والخط العربي والتشكيل، مستلهما محتواها من الآيات القرآنية والحكم المأثورة والشعر، ومجسدا رؤيته الشخصية عبر شكل فني يخدم فكرته.. إنه الخطاط الفنان والرسام التشكيلي: أمين حسين المؤذن.

المولد والنشأة

■ المؤذن من جنوب لبنان، وتحديدا من بلدة النميرية التي تقع في قضاء النبطية.. غير أنه ولد في بيروت عام: (١٩٣٥م)، وفيها قضى السنوات الخمس الأولى من عمره، إذ كان والده يعمل هناك، لكن نار الحرب العالمية الثانية أعادته إلى جذوره الجنوبية ثلاث سنوات حتى إذا صار في الثامنة من عمره عاد ثانية إلى بيروت.

■ وفي بيروت عاش في منطقة الأشرفية ودرس في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية (مدرسة علي بن أبي طالب)، وكانت حصة الرسم تستهويه في ذلك الوقت بشكل كبير.

■ استمر في الدراسة إلى مرحلة المتوسطة ولم يكمل تعليمه واتجه من فوره إلى سوق العمل.. وبين عامي: (١٩٥٣ و١٩٥٥م)، تتلمذ على يد خبير الخطوط الفنان جوزيف شاهين لطيف ودرس في معهد سامي صليبا.

موهبة لافتة

■ مقومات موهبته تتمثل في صبره وإتقانه وشدة تركيزه وطول باله وكثرة تكراره للعمل ذاته حتى يصل به إلى أبهى صورة.. ويجمع في إنتاجه بين جماليات الخط العربي وتفرد الفنون الإسلامية التطبيقية، خصوصا في طريقة تطويعه الحرف لخدمة أفقه التشكيلي الرحب.

■ يتميز بموهبة فريدة ومعرفة فائقة بقواعد رسم الخط العربي وأنواعه المتعددة، ويظهر ذلك جليا في لوحاته التي تعتبر كل واحدة منها عملا فنيا متكاملا على حدة.

■ متميز في اختيار العبارات أو الآيات المقتبسة من القرآن الكريم ثم وضعها في القالب الخطي المراد، ودقيق في تطويعه القاعدة لرسم العبارة في قالب فني له كل مقومات اللوحة من جمال التكوين والاتزان والتنوع.

■ مبدع في استخدام «السمترية» (تماثل الشكل من الجانبين) وفي ملء فراغات المشهد الخلفي بالقباب والمآذن والحليات الزخرفية لعمل اتزان في اللوحة.

(١٩٥٢م)

■ في البداية، مارس أعمالا وحرفا مختلفة، لكن هواية الرسم بداخله لم يستطع مقاومتها، فظل يمارسها إلى جانب ما يعمل، وكان كلما رآه أحد الرسامين أو الفنانين أثنى على موهبته وحضه على امتهانها وضرورة صقلها بالتعليم.

■ كان (١٩٥٢م)، عاما فارقا في

حياة المؤذن، إذ بدأ فيه تحصيل أجر لقاء موهبته، وفي العام نفسه أيضا، تلقى عرضا من أحد أصحاب محال الخطوط للعمل معه في محله، يقول المؤذن عن ذاك العرض: «جاءني أحد الأفراد وقال لي: هناك خطاط له محل يريدك أن تشتغل معه؛ يعلمك الخط وترسم أنت له ما يُطلب منه. فكنت أساعده وأتعلم منه في الوقت نفسه الخط وأصوله وقواعده.. بعد ذلك وفي عام: (١٩٥٣م)، انتقلت للعمل في شركة كبيرة متخصصة في الإعلانات، ثم تركتها إلى مكتب صاحبه خبير خطوط ومحلف لدى المحاكم اللبنانية وقد تعلمت منه الكثير عن قواعد الخط وأصوله، ويعد ذلك الرجل إلى جانب آخر فلسطيني هما أستاذاي في فن الخط».

العراق أولا ثم الكويت مستقرا

■ في أواخر عام: (١٩٥٧م)، وبعدما رأى المؤذن أقارب له تركوا لبنان في: (١٩٥٢م)، قاصدين العراق والكويت، ونجحوا بمشاريعهم فيهما، داعبه حلم السفر وأغراه، فتكلم مع أحد أصدقائه وتواعدا على السفر معا إلى العراق، حيث كان لصاحبه تجارب في العراق إذ كان يسوق أعمالا له هناك.

■ وفي العراق، قصد بغداد أولا ثم البصرة، ولم يمكث بهما طويلا (ظل في البصرة عشرة أيام فقط)، ثم طرح على صديقه رأيا يحكي عنه بنفسه: «قلت لصديقي ما رأيك لو أكملنا رحلتنا إلى الكويت فلنا فيها معارف وأقارب وأخي محمد هناك، فركبنا تاكسي من البصرة يوم: (١٢ يناير ١٩٥٨م)، ودخلنا الكويت في اليوم نفسه من بوابة الجهراء بختم للعمل لثلاثة أشهر، إذ كان التنقل بين الدول وقتها سهلا جدا عكس الآن».



■ يكمل المؤذن: «مرت بنا السيارة من تحت (قوس البوابة) إلى أن وصلنا لساحة الصفا ونزلنا هناك، وكانت الساحة ترابية في ذلك الوقت والمباني لا تتعدى الطابق الواحد، وذهبنا للمبيت عند أخي في المرقاب.. لكن العجيب هو ذاك الشعور بالارتياح الذي تملكني لدى وصولي الكويت وإحساسي بأن وجوه الناس مألوفة لي وليست غريبة».

التوهج في الكويت

■ وفي الكويت، أصدر المؤذن عام: (١٩٥٩م) جريدة إخبارية وإعلانية على واجهة سطح إحدى العمارات المطلة على ساحة الصفاة.. ثم في عام: (١٩٦٠م)، توظف في جيشها الوطني (الفرع الثقافي العسكري) خطاطا ورساما في مجلة: «حماة الوطن»، وبدأ الدوام في قصر نايف، ثم انتقل إلى مقر وزارة الدفاع بساحة الصفا آنذاك، حيث تم تكليفه وقتها بعمل تصميم أوسمة وأنواط وشعارات (ما زالت مستمرة إلى يومنا ويمنحها الديوان) لتصنع في لندن، وكذلك صمم مجموعة كبيرة من الطوابع البريدية للاتحاد الرياضي العسكري.. ثم عمل بعدها في عدد من الجرائد والمجلات؛ منها: «الرأي العام» و«السياسة» و«الأنباء»، و«الخفجي» و«الوعي الإسلامي» و«التقدم العلمي»..

■ نتيجة ظروف المعيشة وضغط العمل، تأخر كثيرا في عمل اللوحات إلى أن وجد وقتا فرسم بعض اللوحات والخطوط، وكان أول معرض له عام: (٢٠٠٠م)، في قاعة الفنون (ضاحية عبد الله السالم) عبر المجلس الوطني للفنون والآداب وأمينه العام د. محمد الرميحي وكان به حوالي: (٧٢) لوحة.. أما معرضه الثاني فقد جاء نتيجة لنجاح المعرض الأول وكان لمناسبة الكويت عاصمة للثقافة العربية.. ثم توالت معارضه.

مساهمته مع «الوعي»

■ ساهم الفنان أمين المؤذن بلوحاته وصوره ورسومه في العديد من أعداد المجلة.

المصادر

- كتاب الكشاف مجلة «الوعي الإسلامي»، (ج١).
- جرائد: «الرأي العام» و«الجريدة» و«الأنباء» و«الوطن».

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٧٨)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (البركلي أو البركوي):

١- محيي الدين البركلي (ت: ٩٨١هـ):

هو محيي الدين محمد بن بير علي بن إسكندر البركلي الرومي الحنفي، عالم بالعربية نحوا وصرفا، وله اشتغال بالفرائض ومعرفة بالتجويد، تركي الأصل والمنشأ.

ولد سنة: (٩٢٩هـ) من أهل قصبة (بالي كسرى)، كان مدرسا في قصبة (بركي)، فنسب إليها.

من أبرز مصنفات: (إظهار الأسرار) في النحو، و(امتحان الأذكياء) في النحو، و(متن العوامل) في النحو، و(إمعان الأنظار) وهو شرح المقصود



في الصرف، و(الدرة اليتيمة) تجويد، و(دامغة المبتدعين في الرد على الملحدين)، و(رسالة في أصول الحديث)[1].

٢- البركلي (ت: ٩٩٤هـ):

هو محمد بن عبدالكريم بن عبدالوهاب البركلي الرومي الحنفي، المعروف بزلف نكار، متكلم، نحوي، فقيه.

من أبرز مصنفاته: (كشف القناع والنقاب لإزالة الشبه عن قواعد الإعراب)، و(حاشية على تجريد الكلام للشريف الجرجاني)، و(رسائل في علم البيان)، و(رسالة على أول كتاب العتاق من الهداية)، فيه خلاف في وفاته[2].

٣- البركوي (ت: ٩٩٥هـ):

هو مصطفى بن پير محمد البركوي، من القضاة.

من أبرز مصنفاته: (حاشية على شرح المفتاح) في المعاني، و(حاشية على شرح الهداية) في الفروع، و(خزينة الأسرار وهتك الأستار) في الكيمياء، و(نجاة الأحباب وتحفة ذوي الألباب)[3].

٤- البركوي (ت: ١٠٧٦هـ):

هو محمد بن فضل الله بن محمد البركوي الحنفي الرومي المتخلص بعصمتي.

تولى صدارة: (روم إيلي)، من أبرز مصنفاته: (ديوان شعر) تركي، و(مجمع المهمات في فعل الطاعات)، وله مجالس أدبية[4].

٥- ولي الدين البركوي (ت: ١٣٠٧هـ):

هو ولي الدين بن عثمان البركوي الرومي الحنفي، منطقي، وهو من المدرسين.

من آثاره: (المطارحية على شرح الرسالة الموسوية) في المنطق[5].

المتفق والمفترق في اسم (العلقمي)

١- العلقمي (كان حيا: ٧٩٧هـ):

هو خليل بن مقبل بن عبدالله العلقمي الحلبي الحنفي، فقيه، محدث.

ولد بحلب، وانتقل إلى القدس، من أبرز تصانيفه: (شرح مقدمة أبي الليث السمرقندي) في الصلاة، و(شرح مشكاة المصابيح) في الحديث[6].

٢- العلقمي (كان حيا قبل: ٩١١هـ):

هو إبراهيم بن عبدالرحمن العلقمي المصري الشافعي، عارف بالفقه والأصول.

تتلمذ على جلال الدين السيوطي، وتصدر بمصر للإقراء، وقرأ عليه جماعة، منهم: منصور الطبلاوي، وأحمد بن محمد الخفاجي، من أبرز مؤلفاته: (تهذيب الروضة للنووي)[7].

٣- العلقمي (ت: ٩٦٩هـ):

هو شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن علي العلقمي القاهري الشافعي، فقيه، محدث.

ولد سنة: (٨٩٧هـ)، وتتلمذ على جلال الدين السيوطي، ودرس بالأزهر.

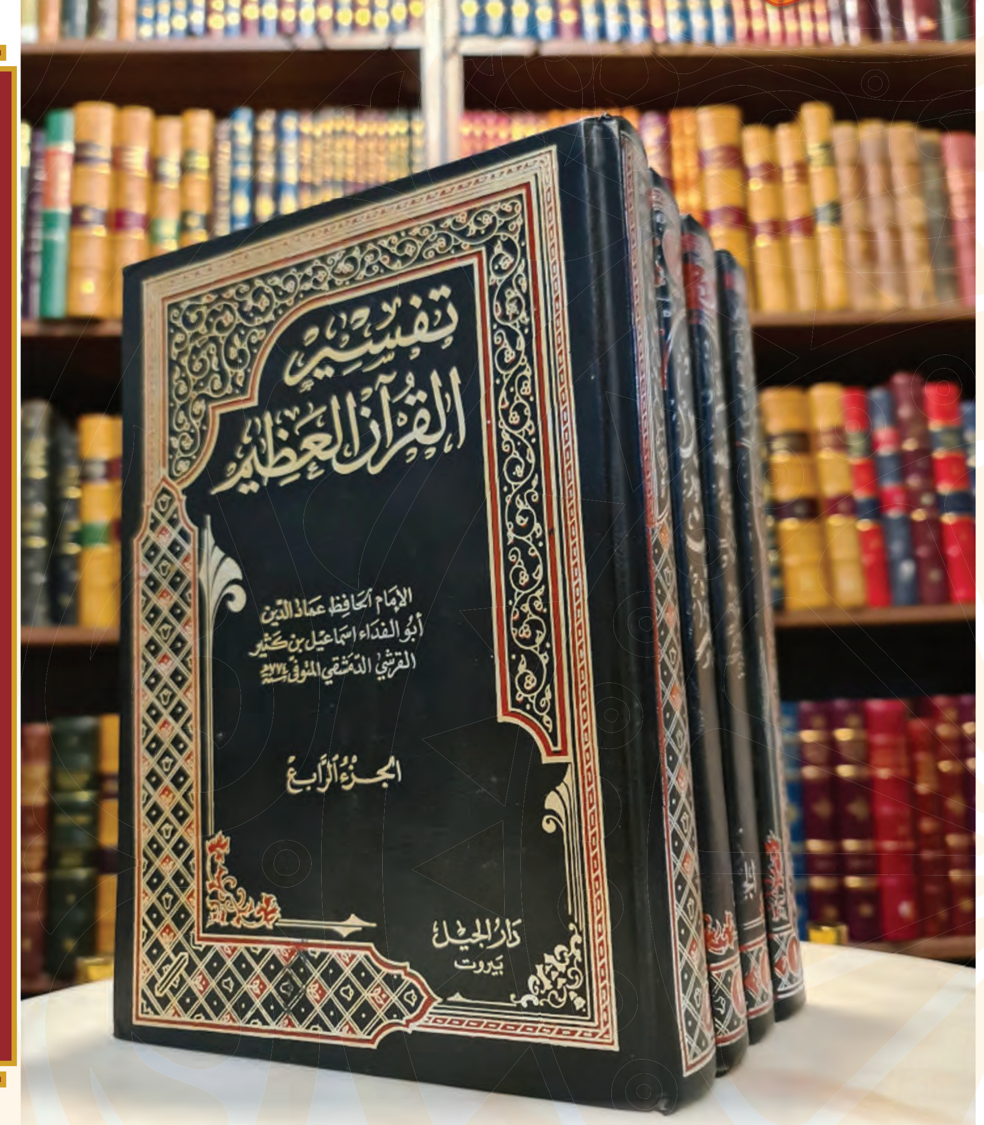
من أبرز آثاره: (قبس النيرين على تفسير الجلالين)، و(الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير)، و(ملتقى البحرين بين الجمع بين كلام الشيخين)، فيه خلاف في وفاته[8].

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (٦١/٦) ومعجم المؤلفين (١٢٣/٩).
٢- انظر: هدية العارفين (٢٤٥/٢) ومعجم المؤلفين (١٨٩/١٠).
٣- انظر: هدية العارفين (٤٣٦/٢).
٤- انظر: الأعلام للزركلي (٣٣١/٦) هدية العارفين (٢٩١/٢).
٥- انظر: هدية العارفين (٥٠١/٢) ومعجم المؤلفين (١٦٨/١٣).
٦- انظر: الأعلام للزركلي (٣٢٣/٢) معجم المؤلفين (١٢٨/٤).
٧- انظر: معجم المؤلفين (٤٥/١).
٨- انظر: الأعلام للزركلي (١٩٥/٦) معجم المؤلفين (١٤٤/١٠).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

تفسير القرآن العظيم



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «تفسير القرآن العظيم» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بكتاب تفسير القرآن العظيم

كتاب عظيم القدر من أشهر كتب تفسير القرآن الكريم، وأشهر ما دون في موضوع التفسير بالمأثور أو تفسير القرآن بالقرآن، اعتمد فيه صاحبه على تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة النبوية، وكذلك الأحاديث والآثار المسندة إلى أصحابها، وأقوال الصحابة والتابعين، كما اهتم باللغة العربية وعلومها، واهتم بالأسانيد ونقدها، وبذكر القراءات المختلفة وأسباب نزول الآيات، كما اشتمل على الأحكام الفقهية، ومما اشتهر به أنه يخلو من الإسرائيليات تقريبا، ويضعه البعض بعد تفسير الطبري في المنزلة، ومنهم من فضله عليه.

التعريف بابن كثير

هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الحصلي، البصروي، الشافعي، ثم الدمشقي، محدث ومفسر وفقيه، ولد بمجدل من أعمال دمشق سنة: (٧٠١هـ)، وتربى يتيما حيث مات أبوه سنة: (٧٠٣هـ)، فانتقل إلى دمشق مع أخيه كمال الدين سنة: (٧٠٧هـ)، حفظ القرآن الكريم وختم حفظه في سنة: (٧١١هـ)، وقرأ القراءات

وجمع التفسير، وحفظ متن «التنبيه» في فقه الشافعي سنة: (٧١٨هـ)، وحفظ مختصر ابن الحاجب، وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري، وكمال الدين ابن قاضي شهبة. سمع الحديث من ابن الشحنة، وابن الزراد، وإسحاق الآمدي، وابن عساكر، والمزي، وابن الرضى، وشرع في شرح صحيح البخاري ولازم المزي، وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاهره على ابنته، وصاحب ابن تيمية، وولي العديد من المدارس العلمية في ذلك العصر، منها: دار الحديث الأشرفية، والمدرسة الصالحية، والمدرسة النجيبية، والمدرسة التنكزية، والمدرسة النورية الكبرى.

توفي في شعبان سنة: (٧٧٤هـ)، ودفن بجوار ابن تيمية في مقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق.

له عدة تصنيفات أشهرها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وطبقات الشافعية، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، والسيرة النبوية، وله رسالة في الجهاد، وشرع في كتاب كبير للأحكام ولم يكمله، وله شرح صحيح البخاري وهو مفقود.

منهج ابن كثير في الكتاب

اعتمد ابن كثير في تفسيره على التفسير بالمأثور، وهو تفسير القرآن بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وقد ذكر ذلك في مقدمة التفسير فقال: «إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبدالله بن مسعود.

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير، ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى... وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالا وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي».

وكان من منهجه في التفسير الآتي:

- توضيح المعنى: تفسير الآية بعبارة سهلة، وبأسلوب مختصر، يوضح المعنى العام.
- تفسير القرآن بالقرآن: تفسير الآية بآية أخرى إن وجدت؛ حتى يتبين المعنى، ويظهر المراد، وقد يذكر ابن كثير عدة آيات في تفسير الآية الأولى، وكأنه يجمع بين الآيات المتشابهة والمتماثلة في المعنى، والمتحدة في الموضوع، فتأتي الآيات المتناسبة في مكان واحد.
- رواية الأحاديث: إن لم يجد ما يفسره بالقرآن فسره بالأحاديث النبوية، فيروي الأحاديث بأسانيدها غالبا، وبغير إسناد أحيانا.
- التفسير بأقوال الصحابة: يردف ابن كثير في تفسير الآية ما وصله من أقوال الصحابة في تفسير هذه الآية، حسب المؤهلات التي يمتلكونها.
- ذكر أقوال التابعين وتابعي التابعين: يذكر أقوال التابعين، وتابعي التابعين، ومن يليهم من علماء السلف، خصوصا أهل القرون الأولى.
- الإسرائيليات: كان ابن كثير ينبه على الإسرائيليات في التفسير، تارة يذكرها ويعقب عليها بأنها دخيلة على الرواية الإسلامية، ويبين أنها من الإسرائيليات الباطلة المكذوبة، وتارة لا يذكرها بل يشير إليها، ويبين رأيه فيها، وقد نوه على وجود هذه الإسرائيليات في مقدمة تفسيره، فقال: «تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد».
- الأحكام الفقهية: يتعرض ابن كثير عند تفسير آيات الأحكام إلى بيان الأحكام الشرعية، ويستطرد في ذكر أقوال العلماء وأدلتهم، ويخوض في المذاهب ويعرض أدلتهم.
- الشواهد اللغوية والشعرية: اعتمد ابن كثير على اللغة العربية في فهم القرآن، فيأخذ في الاعتبار مقتضى الألفاظ، وأساليب اللغة، ودلالات الألفاظ، وشواهد الشعر التي تدل على المعنى، وتوضح المراد.
- الأعلام والرجال: حرص ابن كثير على ذكر الأعلام الذين نقلت عنهم الآراء، فذكر العديد من أسماء العلماء وأعلام الرجال.
- الاقتباس: اعتمد على من سبقه من المفسرين، وينقل عنهم، ويصرح بذلك؛ ومنهم ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن عطية، وأقوال ابن تيمية.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذا الكتاب النفيس، وهو في متناول قرائها الكرام المهتمين بالقرآن الكريم وتفسيره.

المصادر

- تفسير القرآن العظيم.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- الأعلام للزركلي.
- سير أعلام النبلاء.
- ابن كثير الدمشقي لمحمد الزحيلي.

إعداد / تركي محمد النصر

أول من سن قيام شهر رمضان

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، تولى الخلافة بعد الصديق وبعهد منه، وهو أول من سن قيام شهر رمضان، وهو أول من عس بالمدينة المنورة ليلا، وهو أول من حمل الدرة وضرب بها، وهو أول من أرخ بالتاريخ الهجري، وهو أول من قدر رواتب العمال وحددها.

(ينظر: الأوائل لأبي الهلال العسكري، ٢/٢٥)

العالم العامل أنفع صحبة

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «لقيت مشايخ، أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته؛ العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه. ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب، لئلا ينكسر الجاه، وإن وقع خطأ».

(ينظر: صيد الخاطر، ص:١٥٨)

نصيحة وتحذير

حذر بعض الحكماء صديقا له صحبة رجل، فقال: احذر فلانا فإنه كثير المسألة، حسن البحث، لطيف الاستدراج، يحفظ أول كلامك على آخره، ويعتبر ما أخرت بما قدمت، فلا تظهر له المخافة، فيرى أن قد تحرزت، واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر، فباثثه مباثثة الآمن، وتحفظ منه تحفظ الخائف، فإن البحث يظهر الخفي الباطن، ويبدي المستكن الكامن.

(ينظر: زهرة الآداب، ٣/٨٧٠)

٧. إني أخاف أن نصطحب

أراد الحسن بن علي رضي الله عنه الحج فطلب منه ثابت البناي أن يصاحبه؛ فقال: «ويحك، دعنا نتعايش بستر الله، إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه».

(ينظر: مواعظ الصحابة ووصاياهم، ص:٣٢٢)

طريقة القوم

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «قال سهل بن عبدالله التستري: مذهبنا مبني على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال».

(ينظر: الاعتصام، ٢/٣٥٠)

مشاركة: يعقوب الجناع

إلا الصوم

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به. والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم. إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». (متفق عليه)

موعظة موجزة

قال إبراهيم بن أدهم: بلغني أن عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، قال لخالد بن صفوان رحمه الله: عظني وأوجز، فقال خالد: يا أمير المؤمنين إن أقواما غرهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين. قال: فبكى عمر ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى.

(ينظر: الحلية، ٢/٤٨٥)

إخلاص واحتساب

صام داود الطائي أربعين سنة -صوم تطوع- وما علم به أهله، وكان خرازا، وكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق، ويرجع إلى أهله يفطر عشاء، لا يعلمون أنه صائم.

(ينظر: تاريخ بغداد، ٨/٣٥٠)

لا يضر هذا الاختلاف

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: «فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار، ومجالا للظنون، وقد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق عليها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف».

(ينظر: الاعتصام، ٣/٩٣)

العدل في الخلاف

قال العلامة ابن أبي العز رحمه الله: إذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف.

(ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص:٣٦٣)



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

النخلة في القرآن

رغم أن القرآن اهتم أساسا بهداية البشر، فإن حوالي ٦/١ آياته له محتوى علمي ويتعلق بقضايا
Biology,embryology,geology، archaeology
ولقد حظيت المملكة النباتية بمكانة عالية في القرآن، حيث جاء ذكر ٢٢ نباتا تنتمي إلى ١٧ عائلة نباتية، وجاءت فيه العديد من الألفاظ مثل النباتات والبذور والحبوب والحدائق والأشجار والفاكهة، كما تم التعرض للعديد من القضايا مثل الـ Biodiversity, seed germination, photosynthesis

وبالإضافة إلى الاستخدامات المختلفة للنباتات جاء ذكر التنوع في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد:٤).

وجاء ذكر النخلة في القرآن ٢٢ مرة أكثر من أي شجرة فاكهة أخرى.

منها: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة:٢٦٦).

وجاء ذكر العديد من أجزاء النخلة:

❖ العرجون: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ (ق:١٠).

❖ جذع النخلة: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة:٧).

❖ جاء ذكر ثلاث مكونات لنواة التمر:

- الفتيل (وهو خيط رفيع يتوسط النواة): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء:٤٩).
- النقير (وهو موضع خروج نبته النخلة): ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ (النساء:٥٣).
- القطمير (وهو غلالة رقيقة تحيط بالنواة): ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (فاطر:١٣).

وكانت النخلة حيث وضعت السيدة مريم عليها السلام نبي الله عيسي، وكان طعامها بعد الولادة الرطب: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ (مريم: ٢٥-٢٦).

وفي سورة إبراهيم مثل الله تعالى كلمة لا اله الا الله (وفقا لرأي المفسرين) بالنخلة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (ابراهيم:٢٤-٢٥).

● حامد الموصلي

السلام الداخلي يغير حياتك للأفضل *

هل نحن أسرى لجيناتنا الوراثية، تتحكم فينا كيف تشاء؟.. هل نحن ضحايا لما تركه آباؤنا وأجدادنا في خلايانا من شرائط وراثية؟!.. هل يمكن للإنسان أن يصنع سعادته بنفسه، ويغير مصيره للأفضل؟!.

حول هذه المحاور تدور فكرة هذا المقال العلمي المهم؛ والذي يناقش دور العوامل النفسية والبيئية المحيطة بالإنسان في كبح جماح الجينات الضارة الموجودة في خلاياه، ونجاته من الإصابة بالأمراض الوراثية. لكن الأهم من ذلك -وهو ما لم يذكره كاتب المقال في سياق حججه العلمية- أن حالة الإيمان بالله، والثقة في أنه لن يخذل الإنسان المؤمن، والتسليم بقضائه، والسعي للأخذ بالأسباب؛ كلها عوامل محورية في تغيير مصير الإنسان للأفضل بإذن الله. إن الإيمان والسلام الداخلي، وحالة السكينة التي تسبغ على الإنسان المؤمن بشاشة ونضارة؛ يمكنها أن تصنع المستحيل.

اعتاد عالم الأحياء (بروس ليبتون)، أن يعلم طلاب الطب أن الجينات تتحكم في الجسم، لكن ذلك كان قبل خمسين عاما تقريبا.

لكنه بعد بضع سنوات، اكتشف شيئا غير اعتقاده: الوسيط المزروع (أي المكونات الموجودة في أطباق المزرعة التي يتحكم فيها في مختبره)؛ تحدد كيفية التعبير عن جينات الخلية. الخلية الجذعية -على سبيل المثال- يمكن أن تصبح خلية دهنية، أو خلية عضلية، أو خلية عظمية؛ اعتمادا على المكونات الموجودة في طبق المزرعة.

لقد أشار(ليبتون) في بحثه؛ إلى أن البيئة التي تعيش فيها الخلايا تحدد تعبيرها الجيني. ولا يقتصر الأمر على أن الجينات تتحكم في الجسم؛ فبدلا من ذلك، فإن السياق البيئي للجسم هو الذي يتحكم في التعبير عن الجينات، وبالتالي يتحكم في التأثير على الخلايا.

وتشمل العوامل البيئية: التغذية، ومدى توفر العناصر الغذائية، والانفعالات، والأفكار، والأوساط الاجتماعية المحيطة، ومستويات التوتر الذي يتعرض له الفرد.

ولتوضيح الرؤية حول دور الخلايا داخل الجسم؛ يستخدم (ليبتون) هذا المثال: «انظر إلى المرآة، فماذا ترى؟ ترى نفسك ككيان بشري فردي». ويعلق: «إنه تصور خاطئ للوحدة الموجودة في جسمك. فالحقيقة أن جسمك يتكون مما يصل إلى خمسين تريليون خلية. إن جسمك هو بمثابة مجتمع متكامل، والخلايا هي الكيانات الحية في هذا المجتمع. فعندما أقول اسمك، فهذا الاسم قد أعطي لمجتمع يضم خمسين تريليون خلية؛ فجسمك الذي يتكون من تريليونات الخلايا، أقرب إلى طبق (بتري) مغطى بالجلد، ويوجد تحت جلدك خمسون تريليون خلية تنمو في طبق التجارب هذا».

ويقول (ليبتون)، أنه عندما تقوم بتغيير التركيب الكيميائي للدم؛ فإنك تغير مصير الخلايا. ويتساءل: «ما الذي يتحكم في كيمياء الدم؟» ويجيب بأن المخ هو الذي يقوم بدور الكيميائي، لكن العقل الذي يحكم الدماغ؛ يلعب دورا حاسما في تحديد المواد الكيميائية التي يضخها الدماغ في الدم. فالعقل هو الذي يقوم بتفسير ما يحدث في العالم المحيط، وبعد ذلك -ومن خلال هذا التفسير- يطلق الدماغ المواد الكيميائية؛ ولذلك يتم تعديل البيولوجيا الخاصة بك باستمرار، عن طريق كيمياء الدم؛ والتي تتغير أيضا باستمرار بناءً على تصوراتك عن الحياة.

وعندما يتغير إدراكك، أو تتغيّر نظرتك إلى الحياة، فسوف تتغير الكيمياء، ثم تتغير الجينات. وعلى سبيل المثال، إذا أغمضت عينيك ثم فتحتهما، وكان هناك شخص تحبه أمامك؛ فحينئذ يدرك العقل الحب، ويُحَّوِل الدماغ تلك الصورة إلى كيمياءٍ تتوافق مع حالة الحب.

إن الدماغ تحت تأثير الحب؛ يطلق مواد كيميائية مثل (الدوبامين) في الدم، ويشعر الجسم بالمتعة، ويطلق (الأوكسيتوسين) المرتبط بالتواصل، و(الفازوبريسين)، وهو مادة كيميائية تجعلك تبدو جذابا للآخرين؛ وهرمون النمو، الذي يلعب دورا في نمو وصيانة النظام بأكمله.

وخلاصة أبحاث العالم (ليبتون)، تقول لك: «غَيِّر تصورك للحياة؛ وسوف تتغير الكيمياء بالتالي في خلاياك، ثم تتغير الجينات».

● ترجمة، وإعداد: محمد زين العابدين

❖ مجلة **Wellbeing Journal magazine** الإنجليزية- عدد أكتوبر-٢٠١٧م.

العنوان الأصلي للمقال: «ما الذي يتحكم في مصير الخلايا؟».



المنافح عن العربية والإسلام

يعد الدكتور عمر فروخ أحد النوابغ الأعلام الموسوعين الذين رفدوا الثقافة العربية والإسلامية في القرن العشرين بموسوعات تمثل فيها جهد عظيم وضخم في مجال التشريع، واللغة وآدبها، والفلسفة، والتاريخ الإسلامي، وتاريخ العلوم.

وكان من أبرز المدافعين عن لغة الضاد المقدسة ومن الذين وفقوا لإبراز مواضع جمالها وبلاغتها وتأثر اللغات الأجنبية بها.

حاول أن يبني منهجا عربيا خالصا في تأريخ الأدب لا يأخذ من المناهج الغربية إلا بمقدار ضيق جدا، وقد أراد أن يجري مسحا شاملا للشعراء والأدباء، لكنه عدل عن هذا قائلا: (فلو أنني أطلقت لقلمي العنان في تقليب الألفاظ على وجوهها المختلفة لوصلت إلى الصفحة الأولى بعد الألف قبل أن أغادر الشعراء الأوائل في الجاهلية).

لقد كان يريد أن يغطي مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل شاعر أو أديب، لكنه عدل عن هذا خشية الإطالة.

إنه عمر بن عبدالله فروخ، الأديب الناقد، والمؤرخ، والباحث في الفلسفة وعلم الاجتماع.

دافع عن اللغة العربية ونادى أن تكون الفصحى لغة للتخاطب ولغة للإعلام المسموع والمكتوب في جميع وسائل الإعلام، وله كلمة خالدة في معرض دفاعه عن العربية في وجه من يحاول طمسها يقول فيها: (أعجب من الذين يدرسون اللغات الميتة، ثم يريدون أن يميتوا لغة حية كالعربية)، كما كشف اللثام عن عبقرية اللغة العربية وحيويتها.

وصحح كثيرا من الآراء الشعوبية المنحرفة التي وجهت إلى تراث الأمة، نجد ذلك في تعليقاته على الكتب التي ترجمها إلى العربية، ومنها كتاب (الإسلام على مفترق الطريق) لمحمد أسد (ليوبولد فابس)، وكذا الكتب التي ترجمها غيره وطلب منه التعليق عليها.

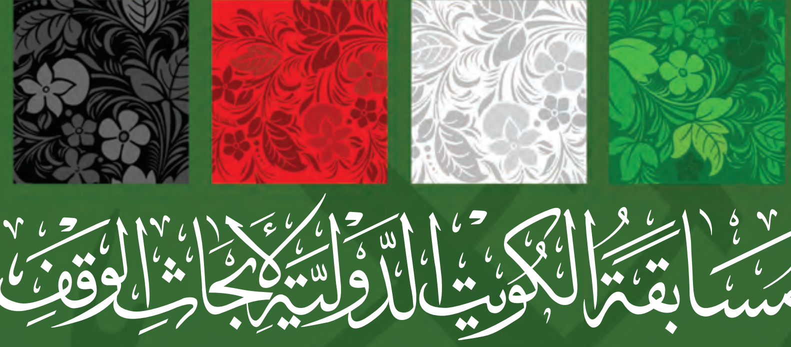
وله مقالات ودراسات وأبحاث كثيرة نشرها في مجلات عربية وإسلامية وأجنبية، أو في المجلة الأسبوعية الثقافية التي أصدرها في بيروت باسم «الأمالي» مع نفر من زملائه بين عامي (١٩٣٩-١٩٤١م)، وقد استمر يرفد الصحافة بكتابته أكثر من ستين سنة.

د. بديع السيد اللحام
عميد كلية الشريعة
بجامعة دمشق سابقا









مُسابقةُ الكُويتِ الدَّوليّةِ لأبحاثِ الوَقفِ

الدورة الثالثة عشرة

(١٤٤٣ - ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٢ - ٢٠٢٣م)

تحت رعاية كريمة من سمو ولي العهد الشيخ

مِشْعَلُ الأحمدِ الجابرِ الصُّباحِ

تدعو الباحثين والمهتمين بشؤون الوقف إلى المشاركة في تقديم أبحاثهم ضمن موضوعات المسابقة

تُجرى المسابقة في ثلاثة مواضيع، يختار الباحث أحدها:

الموضوع الأول: مخالفة شرط الواقف للحاجة أو الضرورة (تأصيلاً، وتفريعًا)

الموضوع الثاني: دور الوقف في تحقيق الأمن الغذائي

الموضوع الثالث: توظيف التكنولوجيا المالية في تنمية الوقف واستثماره

شروط المسابقة:

١- يحق للباحثين: (الأفراد- المجموعات- المؤسسات العلمية) المشاركة في المسابقة.

٢- تُقدم الأبحاث بإحدى اللغات الثلاث (العربية، الإنجليزية، الفرنسية)، بشرط أن يكون البحث مصحوبًا بترجمة كاملة إلى العربية.

٣- ألّا يقل البحث عن (٩٠) صفحة ولا يتجاوز (١٠٥) صفحات.

٤- الالتزام باستيفاء الكتابة في العناصر الاسترشادية، كحد أدنى، وللباحث أن يضيف ما يراه مفيدًا ومثريًا، بحيث يكون له علاقة بموضوع البحث.

٥- الالتزام بشروط البحث العلمي مع مراعاة المنهج النقدي، ومناقشة وجهات النظر المختلفة حول موضوع البحث، مع التوثيق العلمي للآراء وفقًا للقواعد المتعارف عليها.

٦- المعايير الأساسية لتحكيم الأبحاث هي: سلامة المنهج العلمي، وتسلسل الأفكار، ووضوح العرض، والقدرة على ربط النتائج بالمقدمات، وسلامة لغة البحث.

٧- يحق للأمانة العامة للأوقاف حجب أي من الجوائز إذا لم ترقَ الأبحاث المقدمة إلى المستوى المطلوب، وهي غير ملزمة برد الأبحاث التي تصلها، سواء أكانت فائزة أم غير فائزة.

٨- يحق للأمانة العامة للأوقاف سحب الجائزة من الأبحاث الفائزة، التي يتبين مخالفتها للقواعد العلمية.

٩- الأبحاث التي تخالف الشروط السابقة لا تدخل تحكيم المسابقة.

١٠- ألّا يكون البحث قد سبق أن حصل على جائزة أخرى أو على شهادة علمية، ويحق للأمانة العامة للأوقاف سحب قيمة الجائزة إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقًا، أو قدم إلى جهة أخرى لغرض آخر أو كان مستلًا من رسالة علمية.

١١- لا يحق للفائزين نشر أبحاثهم الفائزة بأنفسهم، أو التصرف فيها للغير إلا بموافقة خطية من الأمانة العامة للأوقاف.

١٢- تُقدم الأبحاث مطبوعة على الكمبيوتر بحجم ورق A4 وفقًا للتخطيط المعتمد للصفحة، الذي هو على النحو الآتي:

أ- هوامش الصفحة:
- الفراغ أعلى الصفحة وأسفلها: ٢,٥٤ سم.
- الفراغ يمين الصفحة ويسارها: ٣ سم.

ب - الخط في المتن:
- نوعية الخط: Traditional Arabic.
- حجم الخط: 18 Bold للعناوين، 16 للكتابة.
- المسافة بين الأسطر: single.

ج- الخط في الهامش المرجعي أسفل الصفحة:
- نوعية الخط: Traditional Arabic.
- حجم الخط: ١١.
- المسافة بين الأسطر: single.

١٣- يرفق مع البحث السيرة الذاتية لصاحبه + صورة شخصية.

١٤- تُقدم أصول الأبحاث في موعد أقصاه ١٥ صفر ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٠٢٣/٨/٣١م.

١) الحصول على نسخة من الكتيب التعريفي لموضوعات المسابقة، وعناصرها الاسترشادية، من خلال الموقع الإلكتروني للأمانة العامة للأوقاف: http://www.awqaf.org.kw .

٢) إرسال نموذج الاشتراك في المسابقة، والسيرة الذاتية إلى (إيميل) المسابقة لأخذ الموافقة على الكتابة، ومن ثَمّ ترسل الأبحاث إلى الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، من خلال البريد الإلكتروني لإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية: serd@awqaf.org
serd.kwt@gmail.com

٣) لمزيد من المعلومات حول المسابقة يرجى الاتصال على:
هاتف: ٢٢٠٦٥٣٩١-٢٢٠٦٥٤٥٦-٢٢٠٦٥٧١٣-٢٢٠٦٥٤٥٢
(الرمز الدولي: ٠٠٩٦٥).
فاكس: ٢٢٥٤٢٥٢٦ (٠٠٩٦٥).

جوائز المسابقة:

تقسم جوائز المسابقة إلى ثلاث جوائز لكل موضوع على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: (٦) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثانية: (٥) آلاف دولار أمريكي.

الجائزة الثالثة: (٤) آلاف دولار أمريكي.

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية جامعة



مجانا مع العدد: براعم الإيمان

لا تُضَيِّعْ مَنْ تَعُول

حملاتُ الحجِّ في معرضِ الأوقاف

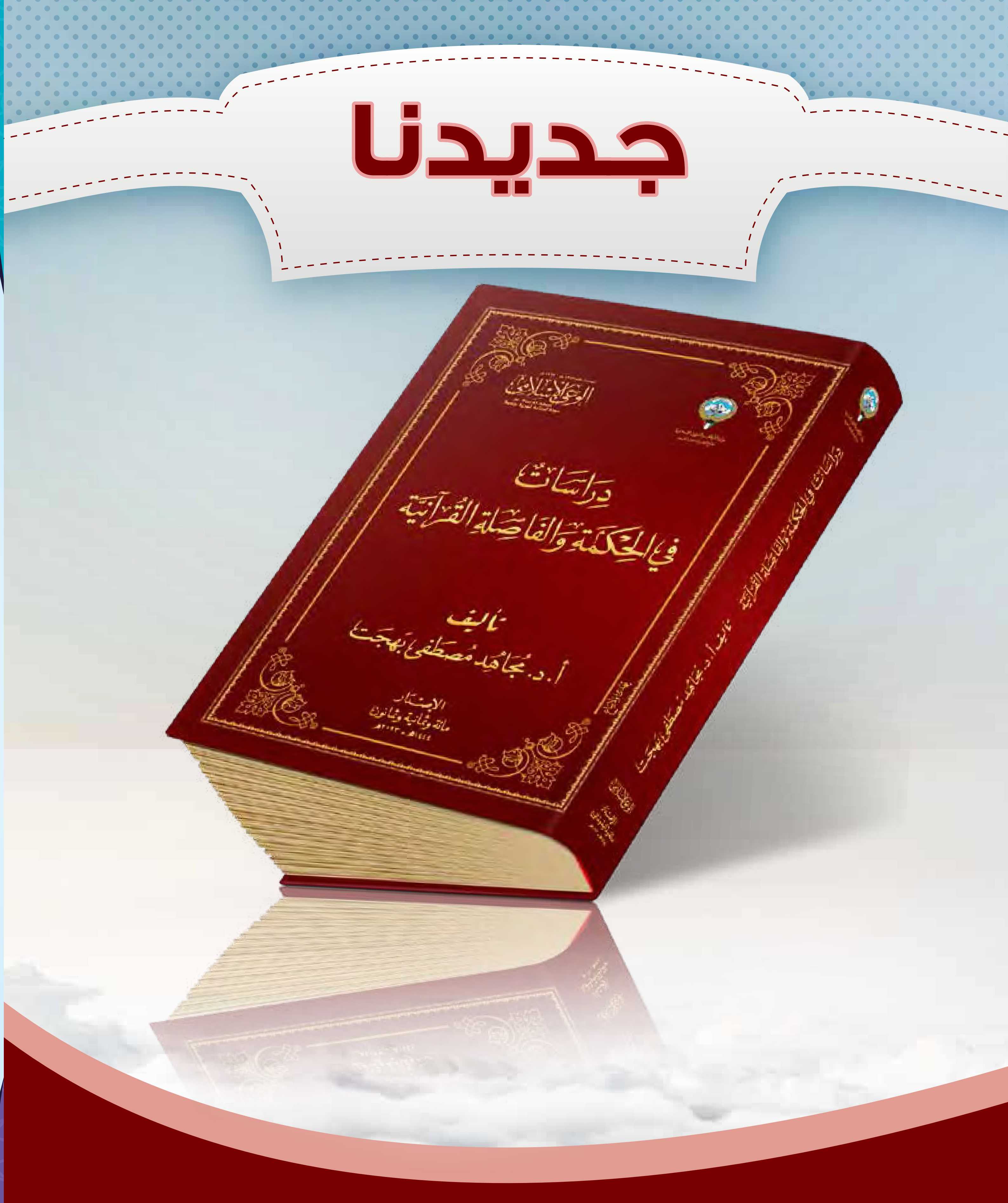
العيدُ أحكامٌ وضوابطُ وفرحٌ



مجلة الوعى الإسلامى

www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com
موقع مجلة الوعي الإسلامي



دراسات في الحكمة والفاصلة

إصدار جديد من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور مجاهد مصطفى بهجت، ويتناول الكتاب معنى الحكمة ودلالاتها في أسماء الله تعالى وصفاته مع بيان معناها في السياق القرآني، بطريقة علمية إيمانية.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

قطف الثمار

لقد جعل الله سبحانه هذه الأيام المباركة مواسم للطاعات وميدانا للتنافس في الخيرات، ولا تزال نعم الله تترى علينا في مواسم الطاعات التي يفرح فيها الطائعون، لما فيها من التعرض لنفحات ربهم، ونزول رحماته عليهم؛ فترتفع درجاتهم، وتكفر خطاياهم، وتمحى سيئاتهم.

ومن هذه المواسم ما شرعه الله لعباده من الأعياد الشرعية، التي تعود عليهم كل عام، وتتكرر عليهم بالخير والفضل والإحسان كل سنة ليظهر المسلمون شعائر دينهم، ويتعارفون ويتآلفون وتسود بينهم حياة الصلة والمحبة والوئام، ويجتمعون على ذكر الله سبحانه وتعالى، وتكبيره في مظهر جليل من مظاهر العبودية الحقيقية لخالقهم ورازقهم.

إن المسلم الواعي ليدرك أن سعادة العيد لا تحصر بالتحلي بالجديد، إنما السعيد حقا من جعل الإيمان والتقوى شعاره، وروض نفسه على الخير فعلا وإسداء، وقياما بصنائع المعروف التي تضفي على المجتمع طابع الترابط والتآلف والتآخي، وتقيه مصارع السوء، وأوائل الشرور، ليفتش كل مسلم عن جيرانه وأقاربه وإخوانه، فيسأل عن أحوالهم، ويتفقد شؤونهم، ويسد حاجاتهم، ويعينهم في إدخال البهجة والسرور على قلوب أبنائهم، يسعفهم بالكلمة الطيبة، والابتسامة الحانية، والبشاشة المؤثرة، مراعيا بذلك المقصد الشرعي العظيم الذي حث عليه الإسلام وهو التراحم الذي ذكره نبينا ﷺ بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم).

هذا، وينبغي أن يجتهد المسلم في شكر ربه على ما من به عليه من إدراك صيام رمضان وقيامه، واغتنام أوقاته بالدعاء والصلاة والصدقات، ثم ختم له بعيد سعيد يتقرب فيه الجميع إلى الله، بأعمال جليلة، وعبادات عظيمة، يظهر في ثناياها الفرح بفضل الله الذي أتم لهم شهرهم وبارك لهم في أعمالهم وأعمارهم.

إن اجتماع الإنسان بعائلته في يوم العيد من أفضل الأعمال التي ينبغي على المسلم أن يبدأها في يوم العيد بعد أداء صلاة العيد المباركة، متذكرا من خلال لقائه هذا أطفالا يتامى، ونساء أيامى، لا يجدون ابتسامة الأب الحنون، وحنان الأم الرؤوم، ويتذكر جموعا من المسلمين، في بقاع كثيرة من الأرض، يعيشون أوضاعا مؤلمة بسبب الحروب والزلازل والمحن، ويخيم عليهم في هذا اليوم الحزن والأسى.

كل هذا يدفعنا في هذا البلد الطيب (الكويت) إلى الاجتهاد في شكر المنعم جل جلاله ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ (قريش:٣-٤)، والعمل على الحفاظ على أمنه واستقراره، والشعور بالمسؤولية الشخصية لدى كل من يعيش على أرضه بأن أمنه واستقراره من أولوياته، سائلا الله عز وجل أن يعيد هذه المواسم المباركة على الكويت والأمة الإسلامية وهي ترفل بثوب الصحة والمنعة والأمن والاستقرار، وتقبل الله طاعتكم، وكل عام وأنتم بخير.



مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٩٧/ رمضان / شوال ١٤٤٤ هـ
العام الستون
أبريل ٢٠٢٣م

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي – ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية–٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ – ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ –٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ – فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ – فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ – فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





فرحة لنا ولغيرنا

يفرح الصائمون الذين صاموا وقاموا وأحسنوا العبادة في الشهر الكريم بأيام العيد التي جعلها الله مكافأة للمسلمين، يتزاورون، ويود بعضهم الآخر، ويشكرون الله على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى.

لكن قد ننسى ونحن في خضم فرحتنا أن لنا أخوة في ابتلاءات قدرها الله -لحكمة يعلمها سبحانه- عليهم.

فما المانع أن نفرح ونكون سبباً لفرحتهم أيضاً؟!

ما المانع أن نذيقهم بعضا مما أكرمنا الله به؟!

وما المانع في أن نبذل جهداً حتى نعرف كيف الوصول إليهم وما الذي يحتاجونه فيدخل الخير والسعادة والفرح عليهم وعلى أسرهم.

في كل حيّ وفي كل منطقة وفي كل مدينة هناك من لا يسألون الناس إلحافاً وهم المتعففون.

وفي كل بلد هناك المحتاجون لإيواء أو نفقة أو حتى توسعة.

والفرح عندما يكون قاصراً علينا فقط فهو فرح أحادي لا يتعدى غيرنا، لكنه عندما يكون فرحاً متعدياً للآخرين يكون ذا طعم مختلف وثواب أكبر بإذن الله.

دعونا نفرح ونفرحهم في يوم عيد سنَّه الله مكافأة لمن آمن به واتبع سبيل دينه القويم.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

عبد الناصر سلامة
باحث دراسات قرآنية



فضل ليلة القدر من خلال سورة القدر

خص الله تعالى ليلة القدر بسورة جليلة تبين فضلها وتكشف قدرها، وهي سورة القدر، حيث احتوت هذه السورة -مع وجازتها- على معان عديدة تدل على هذا المقصد، بيد أن من هذه المعاني ما جاء جليا يمكن إدراكه بظاهر اللفظ والتركيب، ومنها ما جاء خفيا يحتاج إلى إمعان نظر من أجل استنباطه وتجليته، كما هي عادة القرآن في كثير من تقريراته، وفيما يلي بيان جملة من تلك المعاني:

التسمية بليلة القدر

إن أول ما يتبادر من المعاني الدالة على فضل هذه الليلة من السورة الكريمة تسميتها بليلة القدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ (القدر:١). وقد ذهب المفسرون مذاهب عديدة في بيان سبب هذه التسمية التي صارت كالعلم لهذه الليلة، فقيل: إنها سميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق وغيره. وقيل: إنها سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها؛ من قولهم: لفلان قدر، أي شرف ومنزلة. وقيل إنها: سميت بذلك لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة، كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ (الطلاق:٧) أي: ضيق، وهذا قول الخليل الفراهيدي[1]. ولعل في إيثار هذا الاسم ليكون علما لهذه الليلة رعيا لهذه المعاني جميعها، ولغيرها أيضا مما تساعد عليه دلالة اللفظ وتعضده النصوص والشواهد. ولا جرم أن في هذا التعدد في المعاني المقولة في سبب التسمية دليلا على عظم فضلها؛ إذ تعدد الأوصاف

الجليلة دليل على شرف الموصوف بها.

نزول القرآن في ليلة القدر

ومن المعاني الجليلة المبينة لفضل هذه الليلة أيضا التنبيه على أنها وقت نزول القرآن، كما هو ظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر:١). ولا شك أن ليلة اصطفيت لتكون وقتا لبداية تنزيل القرآن ومبعثا لسيد الأنام لهي ليلة جديرة بالتشريف والتعظيم، ونظير ذلك قوله ﷺ في بيان علة صيامه يوم الإثنين: «ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل علي فيه»[٢]، فبين أن هذا اليوم الذي أنزل عليه فيه القرآن وبعث فيه جدير بأن يعظم ويصام لشرفه. وقد أومأ إلى هذا المعنى أيضا قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة:١٨٥)، فنبه الله في الآية الكريمة إلى أن رمضان حقيق بأن يصام شكرا له سبحانه وتعالى؛ لأن فيه أنزل القرآن هدى للناس؛ وذلك أعظم نعم الله. وفي هذا الصدد يقول العلامة ابن عاشور: «وهذا تعليم للمسلمين أن يعظموا أيام فضلهم الديني وأيام نعم الله عليهم، وهو مماثل لما شرع الله لموسى من تفضيل بعض أيام السنين التي توافق أياما حصلت فيها نعم عظمى من الله على موسى، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ (إبراهيم:٥)، فينبغي أن تعد ليلة القدر عيد نزول القرآن»[٣].

تفخيم ليلة القدر وإخفاؤها

ومن المعاني الدالة كذلك على فضل ليلة القدر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر:٢). فهذا الأسلوب من الاستفهام يراد به تعظيم الشيء وتفخيمه، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ (الانفطار:١٧)، والمعنى: أي شيء يعرفك ما هي ليلة القدر، أي يعسر على شيء أن يعرفك مقدارها[٤]، أي: أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق ولا يدريها إلا علام الغيوب[٥]. فهذا التفخيم فيه دلالة جلية على عظم شأن هذه الليلة المباركة، كما أن فيه إشارة إلى توقع إخفاء وقتها بحيث لا يدرى على وجه التحديد؛ إذ من شأن ما هو مثلها في الفخامة والشرف أن يخفى حتى لا يدرك بسهولة، وإنما ينال بحرص وجهد لنفاسته ومكانته؛ وهو في معنى قوله ﷺ: «ألا إن سلعة الله غالية»[٦]. فلا بد ممن يريد تحصيل فضل هذه الليلة من الكد، والكشف عن ساعد الجد.

تكرار ذكر ليلة القدر

ومن أهم المعاني المبينة لفضل ليلة القدر تكرار ذكرها في السورة ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ (القدر:١-٣). وهذا التكرار يقصد به التنويه بهذه الليلة وتفخيم أمرها أيضا؛ وفي هذا يقول ابن عاشور: «وإظهار لفظ ليلة القدر في مقام الإضمار للاهتمام»[٧]، ويقول أبوالسعود: «وفي إظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى»[٨]. وهذا مثل قوله تعالى في شأن يوم القيامة: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ (الحاقة:١-٣)، فكرر ذكرها ثلاثا تعظيما لها وتهويلا لأمرها.

خيرية ليلة القدر

ومما اشتملت عليه السورة أيضا من المعاني الظاهرة في بيان فضل ليلة القدر ما جاء فيها من التصريح بخيريتها على ألف شهر في قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر:٣) وقد نحا المفسرون في تفسير هذا العدد المذكور في الآية منحيين؛ فمنهم من ذهب إلى أن المقصود به التحديد، حيث قال أبو حيان: «والظاهر أن ألف شهر يراد به حقيقة العدد، وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام»[٩]. وعلى هذا الاعتبار يكون العمل الصالح في هذه الليلة معادلا لمثله طيلة هذا العمر المديد؛ فتكون الركعة بثلاثين ألف ركعة. بينما نحا آخرون -وهم الأكثرون- إلى أن العدد هنا للتكثير وليس للتحديد؛ إذ المقصود جميع الدهر، قال القرطبي: «عنى بألف

شهر جميع الدهر»[١٠]؛ وقال ابن عاشور: «وعدد الألف يظهر أنه مستعمل في وفرة التكثير، كقوله: «واحد كألف»، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (البقرة:٩٦)، وإنما جعل تمييز عدد الكثرة هنا بالشهر للرعي على الفاصلة التي هي بحرف الراء»[١١].

وأما حقيقة الخيرية المنصوص عليها هنا فلا نملك إلا أن نقول إن ذلك مما يرجع إلى علم الله تعالى ويفوض إليه، إذ لا يحيط بذلك الأمر وصف ولا يبلغه فهم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ الذي صدر به قوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ والمعنى – كما تقدم– أن شرف هذه الليلة وخيريتها ليس مما يسهل درايته.

وفي هذا يقول الإمام الماتريدي: «ثم لا ندري أن تلك الفضيلة التي جعلت لهذه الليلة؛ لفضل عبادة جعلت فيها امتحن الخلق بأدائها على الترغيب والأدب، أو فضلت لمكان ما امتحن الملائكة وكلفهم بالنزول فيها والعبادة لله في الأرض، وإنزال القرآن، ونحو ذلك؛ أو لحكمة ومعنى فضلت لم يطلع على ذلك المعنى أحد »[١٢]، ويقول القاسمي أيضا: «ولك أن تقف في التفضيل عند النص، وتفوض الأمر في تحديد ما فضلت عليه الليلة بألف شهر إلى الله تعالى »[١٣]. ولا شك أن هذا التفويض في مدلول هذه الخيرية أبلغ في الدلالة على شرفها وعظم قدرها مما لو حدد لنا وعرفناه، وقريب من ذلك ما جاء في فضل الصيام في قوله ﷺ: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به»[١٤]، حيث جعل الثواب عليه خافيا وموكولا إلى الله تعالى؛ زيادة في تفخيمه وتعظيمه.

تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر

ومما اشتملت عليه السورة كذلك من المعاني في فضل هذه الليلة ما جاء من الإخبار بتنزّل الملائكة والروح فيها في قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر:٤). فهذا التنزّل دليل على عظم هذه الليلة، لاسيما بوجود جبريل –عليه السلام– فيمن ينزل من أهل السماوات إلى الأرض؛ ولذلك خص بالذكر بعد التعميم؛ فإن نزوله لا يكون إلا للأمور العظيمة والأحداث الجليلة. يقول ابن عاشور: «وكان نزوله في هذه الليلة ليعود عليها من الفضل مثل الذي حصل في مماثلتها الأولى ليلة نزوله بالوحي في غار حراء»[١٥].

وفي التعبير أيضا بالتنزّل بدل النزول في الآية الكريمة زيادة تنبيه إلى فضل هذه الليلة لما يفيده ذلك من الندرة والتكلف الذي لا يقع من الملائكة إلا حين يتعلق الأمر بخطب عظيم؛ يقول ابن عاشور أيضا: «وأصل التنزل: تكلف النزول، فأطلق ذلك على نزول الملائكة من السماء إلى الأرض لأنه نزول نادر وخروج عن عالمهم فكأنه متكلف، قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر:٤)»[١٦]. مع ما يفيده هذا المصدر أيضا من التدرج في النزول؛ أي أن نزولهم إلى الأرض يكون المرة بعد المرة وليس نزولهم دفعة واحدة، وذلك إشارة إلى كثرتهم بحيث يقسمون أفواجا فينزل البعض ويصعد البعض الآخر؛ وفي هذا يقول الفخر الرازي: «إن قوله تعالى: تنزل الملائكة يقتضي ظاهره نزول كل الملائكة، ثم الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتمل كلهم الأرض... والمروي أنهم ينزلون فوجا فوجا، فمن نازل وصاعد، كأهل الحج فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة بالكلية لكن الناس بين داخل وخارج، ولهذا السبب مدت إلى غاية طلوع الفجر، فلذلك ذكر بلفظ: «تنزل» الذي يفيد المرة بعد المرة»[١٧]. ولا شك أن تنزل الملائكة بهذه الكثرة العظيمة مشعر بفضل هذه الليلة وعظمها، فاعلم ذلك.

ومن المعاني اللطيفة التي يمكن التقاطها من الآية المتقدمة في بيان فضل ليلة القدر ما جاء فيها من الإشارة إلى نزول الروح في الملائكة، وهو جبريل عليه السلام –كما تقدم آنفا–. ولعل في إيثار ذكره هنا بلقبه «الروح» تلميحا إلى معنى آخر يفيده هذا اللفظ؛ وهو أن هذه الليلة تبث الحياة في قلب من قدر له شهودها وقيامها امتثالا لأمر الله تعالى بحيث يصير ذا شأن بعد أن لم يكن كذلك، ومما يعضد هذا المعنى تأويل جماعة من المفسرين للروح هنا بالرحمة تتنزل بها الملائكة على المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ

﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ (النحل:٢) أي: بالرحمة[١٨]. وقد روى المفسرون عن أبي بكر الوراق قوله: سميت هذه الليلة ليلة قدر لأن من لم يكن له قدر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا أحياها[١٩]. والمعنى المقصود: أن هذه الليلة كالروح تبث الحياة فيمن يحييها.

تقدير الأمور في ليلة القدر

ومن المعاني الدالة على فضل ليلة القدر تخصيصها لتكون ليلة تقدير لأمور العباد، كما هو المعنى في قوله تعالى في تنزل الملائكة: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾ (القدر:٤) أي: من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة إلى قابل، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان:٤)[٢٠]. ففي تخصيص هذه الليلة لتكون ليلة تقدير للأرزاق والآجال وسائر ما يهم الناس من الأقدار لدليل واضح على شرفها وفضلها وأنها عند الله بمكان.

هذا، وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أن الله لا يقدر في هذه الليلة إلا أمور الخير دون أمور الشر؛ بناء على قوله تعالى بعد: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ (القدر:٥)، أي: أنها سلامة وخير كلها لا شر فيها، أو أن الله لا يقضي فيها إلا بخير ويقضي في غيرها بالخير وغيره[٢١].

السلام في ليلة القدر

ومن المعاني الدالة كذلك على فضل هذه الليلة ما جاء في ختام السورة من وصفها بالسلام في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ (القدر:٥). يقول العلامة ابن عاشور مبينا حقيقة هذا الوصف: «والسلام: مصدر أو اسم مصدر معناه السلامة، قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ (الانبياء:٦٩). ويطلق السلام على التحية والمدحة، وفسر السلام بالخير، والمعنيان حاصلان في هذه الآية؛ فالسلامة تشمل كل خير، لأن الخير سلامة من الشر ومن الأذى، فيشمل السلام الغفران وإجزال الثواب واستجابة الدعاء بخير الدنيا والآخرة. والسلام بمعنى التحية والقول الحسن مراد به ثناء الملائكة على أهل ليلة القدر كدأبهم مع أهل الجنة فيما حكاه قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ (الرعد:٢٣-٢٤).

وتنكير (سلام) للتعظيم. وأخبر عن الليلة بأنها سلام للمبالغة، لأنه إخبار بالمصدر.

وتقديم المسند وهو سلام على المسند إليه لإفادة الاختصاص؛ أي ما هي إلا سلام»[٢٢].

فهذه جملة معان تدل على فضل ليلة القدر اشتملت عليها هذه السورة الجليلة القدر، ولا شك أنها معان كفيلة بأن تبعث النفس على اغتنام هذه الليلة والظفر بفضائلها التي لا يدرك حقيقتها سوى البارئ لها سبحانه وتعالى. فوصف هذه الليلة بأنها ليلة «مباركة» هو وصف حقيق بها لما تكتنزه من الخيرات العاجلة والآجلة؛ ولذلك صح عن النبي ﷺ قوله عن رمضان: «فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها، فقد حرم»، وهو يعني بذلك ليلة القدر. لا حرمنا الله فضلها.

الهوامش

١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/ ٣٩١-٣٩٢).
٢- صحيح مسلم، برقم: (١١٦٢).
٣- التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣٠/ ٤٦٢).
٤- التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٨).
٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٩/ ١٨٢).
٦- سنن الترمذي، برقم: (٢٤٥٠)، وقال: حديث حسن (٤/ ٦٣٣).
٧- التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٩).
٨- إرشاد العقل السليم (٩/ ١٨٢).
٩- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (١٠/ ٥١٤).
١٠- الجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ٣٩٣).
١١- التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٩).
١٢- تأويلات أهل السنة، للماتريدي (١٠/ ٥٨٣).
١٣- محاسن التأويل، للقاسمي (٩/ ٥١٦-٥١٧).
١٤- صحيح البخاري، برقم: (١٩٠٤).
١٥- التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٣).
١٦- التحرير والتنوير (١٦/ ١٤٠).
١٧- التفسير الكبير، للفخر الرازي (٣٢/ ٢٣٣).
١٨- الجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ٣٩٦).
١٩- الجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ٣٩٢).
٢٠- إرشاد العقل السليم (٩/ ١٨٣).
٢١- الجامع لأحكام القرآن (٢٢/ ٣٩٧).
٢٢- التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٦٥).



د. علي مدني رضوان
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

في ليلة القدر

ليلة القدر هي ثمرة من ثمرات هذا الشهر الفضيل، حيث البركة والمنزلة وعلو الشأن والسلامة والخير والظفر والتوفيق والعطاء والمدد والفيض والجود والإعانة والإثابة والهداية والستر والتقدير والنور والسداد والرشاد ولم لا؟ وقد نزل في هذه الليلة أشرف كتاب على خير نبي على خير أمة أخرجت للناس.

ونزول القرآن في هذه الليلة، يعني الكثير والكثير، فهو أمر له ما بعده، فلا شقاء بعد اليوم ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ (طه:١-٢)، قال قتادة: «لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة» (ابن كثير، ٥/٢٧٢)، لا حزن ولا خوف كذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت:٣٠)، ولا ضياع بعد اليوم ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ (فصلت:٣١-٣٢)، فهم الفاروق رضي الله عنه هذا المعنى حينما شنفت أذنيه تلك الآية فأسلم من ساعته، هذه الليلة المباركة يحدد فيها مصيرك ومستقبلك لعام قادم، ففيها نسخ الآجال والأعمار، فيها السعادة أو الشقاء، أنزل الله عز وجل القرآن الكريم في ليلة مباركة هي خير الليالي، ليلة اختصها الله عز وجل من بين الليالي، ليلة العبادة فيها هي خير من عبادة ألف شهر، وهي ثلاث وثمانين سنة وثلاثة أشهر تقريبا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ (القدر:١-٥).

ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»[1] (أخرجه النسائي في الصيام، باب: فضل شهر رمضان؛ برقم: ١٠٥؛ وأحمد؛ برقم: ٢/٢٣٠؛ وعبد الرزاق ٧٣٨٣، وله شاهد من حديث أنس عند ابن ماجه في الصيام، باب: ما جاء في فضل شهر رمضان، ١٦٤٤، وحسنه المنذري في الترغيب؛ برقم: ٢/٩٩، وقال الألباني في صحيح الترغيب؛ برقم: ٩٩٩: «صحيح لغيره»).

وقال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ (الدخان:١-٥).

يقول ابن كثير: «أي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها» (ابن كثير، ٧/٢٤٦)، وبنص الآيات فإن العمل والطاعة في هذه الليلة خير من

ألف عمل ومن ألفا طاعة ومن ألف عبادة، حدث ولا حرج مما يعني زيادة الخير وفرصة لإطالة العمر الإنتاجي فلو أن رجلا أو امرأة أدرك ليلة القدر فأحياها بالطاعة مدة عشرين سنة فكأنه عاش ألف وستمئة وثمانين عاما، إذن هي لحظة فارقة في حياة المسلم ونقطة بداية لخير قادم وهي ليلة النصيب كما جاء عن جويبر قوله: قلت للضحاك: أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب؟ فقال: كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر (وظائف رمضان، عبدالرحمن النجدي، ص:٦٢).

نحن الصائمون شعارنا في هذه الليلة ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف:٨٨).

والسؤال: إذا كانت ليلة القدر هي ليلة النصيب وهو على هذا القدر من المكانة والمنزلة فلماذا أخفى الله وقتها رغم هذا الخير المتدفق؟

والجواب: أخفاها بسبب الخلاف والعراك والنزاع والجدال والخصام. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان، فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم، فالتمسوها في التاسعة، والسابعة، والخامسة» (البخاري، برقم ٢٠٢٣).

وفي رواية لمسلم «وإني خرجت لأخبركم بها، فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان، فنسيتها» (صحيح مسلم، برقم ١١٦٧)، هذا أولا وثانيا حتى يحصل الاجتهاد والسعي والترقب ومواصلة العبادة المتنوعة من «الذكر والدعاء والقيام والصدقة والتلاوة» للوصول لرتبة المجتهد الذي يدور بين الأجر والأجرين، فالله تعالى أخفى رضاه في طاعته كي نطيعه طول الوقت، وأخفى سخطه في معصيته كي نخشاه طول الوقت، وأخفى الإجابة في الدعاء كي ندعوه طول الوقت، وأخفى اسمه الأعظم حتى ندعوه بكل الأسماء الحسنى التي ترضيه، وأخفى ساعة الإجابة يوم الجمعة ليكون الاجتهاد اليوم كله، وأخفى الموت ليخاف المكلف طول الوقت، وكذلك أخفى ليلة القدر ليقع الاجتهاد بالصائمين في الليالي العشر كلها وينبغي أن يتقرب المسلم إلى الله تعالى في هذه الليلة بأنواع القربات مثل:

القيام والدعاء

«من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (البخاري، برقم ١٩٠١)، وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة، وقد أمر عائشة بالدعاء فيها أيضا. قال سفيان الثوري: الدعاء في تلك الليلة أحب إلي من الصلاة. قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق. ومراده: أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وإن قرأ ودعا كان حسنا. وأفضل الدعاء ما كان جامعا لخيري الدنيا والآخرة كما في حديث عائشة قلت: يا رسول الله، إذا أنا وافقت ليلة القدر، ما أسأل الله؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني». (قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه النووي في «الأذكار»، ص:٢٤٨، وفي المجموع (٦/ ٤٥٩)، قال النووي: ويستحب أن يكثر فيها من الدعوات بمهمات المسلمين، فهذا شعار الصالحين، وعباد الله العارفين).

والإكثار من تلاوة القرآن وذكر الله تعالى وغير ذلك من الطاعات، ولا يجب على المرء ختم القرآن في هذه الليلة، ولكن إن أمكنه ختمه فقد حاز أجرا عظيما إن شاء الله، وأما صلاة الليل فتؤدى مثنى مثنى، كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى» (البخاري برقم٩٩٠، ومسلم برقم ٧٤٩).

ويدل ظاهر كلام بعض الفقهاء على أنه لا حرج في تحري تلك الليالي المرجو فيها ليلة القدر بكثرة الصدقة، قال الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله: ولا سيما في العشر الأخير في الشهر أي شهر رمضان فإنه أولى من بقية الشهر بكثرة الصدقة، والقرى، والاعتكاف، والقراءة، والتهجد لطلب ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ولأنه ﷺ كان يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها.

الدكتور بديع السيد اللحام
عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق سابقا



مقاصد الصيام من حديث سيد الأنام

(فإنه لي)

إن المولى سبحانه وتعالى لما خلق الخلق، وضع لهم نظاما لصلاح أحوالهم في دنياهم وآخرتهم، عاجلهم وآجلهم، ومن ذلك أنه سبحانه كلفهم بعبادات متنوعة، جعل لكل عبادة من تلك العبادات خصائص ومقاصد، فإذا أحكم الإنسان من خلال تلك العبادات صلته بربه، ظهرت آثار تلك الصلة في بناء شخصيته فيصبح بذلك عالما ربانيا، على قدم الثلة الصالحة المباركة من الأئمة الأعلام الذين أحيا الله بهم القلوب والعقول، والأمم والشعوب.

ولابد للعبد من أن يؤدي العبادة على وجهها كما أمره الشارع سبحانه فإذا به يرتقي بسلوكه في حياته، ويصبح عنصرا فاعلا في مجتمعه، إذ إن من كان ذلك حاله يتخلى عن أغراضه وأهوائه ومصالحه، في سبيل صلاح مجتمعه وأمته، فيحفظ الله به الدين، حفظا ينطوي تحته كل مصلحة تعود بالخيرات والبركات على الأفراد والمجتمعات.

فمن خصائص الصلاة مثلا أن الله تعالى جعلها عماد الدين، وأما الزكاة فهي برهان صدق العبودية للرزاق ذي القوة المتين، واختص الحج بأنه كافل لأن يطهر ذنوب العبد فتعود صحيفته بيضاء نقية كيوم ولدته أمه.

وللصيام من الخصائص ما يحسن أن نجعلها في هذه الأيام ماثلة في أذهاننا، رجاء أن يثمر في حياتنا محبة وتعاضدا، ويثمر في آخرتنا درجات ترقى بنا في المقامات العلى عند خالقنا.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الصوم لا يعدله عمل آخر، فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: مرني بعمل يدخلني الجنة، قال: «عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له». ثم أتيته الثانية فقال لي: «عليك بالصيام»[1].

ومن أجمع ما ورد في بيان خصائص الصوم وفضائله، ما روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزوجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ ولا يسخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله، يوم القيامة، من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»[2].

وفي رواية أخرى للحديث قال ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، قال الله عزوجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي. وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك».

١ - فمن أعظم خصائص الصوم أن خصه المولى بنسبته وإضافته إليه، مع كون جميع الطاعات لله سبحانه وتعالى، وهذا ما جعل العلماء يقفون عند هذه المسألة وقفة تأمل وتفكر وتدبر علهم يوفقوا للوصول إلى كنه معناها، وأبدى كل منهم في فهم مراده سبحانه منها وجها، فمن تلك الوجوه والأقوال على سبيل المثال:

- أن سبب إضافة الصوم إلى

اللّه تعالى أنه لم يعبد أحد غير اللّه تعالى به، فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبودا لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمون معبودهم أحيانا بصورة الصلاة، أو السجود، أو الصدقة، أو تقريب القرابين والذبائح، أو الذكر، أو غير ذلك.

– وقيل: لأن الصوم بعيد من الرياء لخفائه، بخلاف الصلاة والحج والصدقة والجهاد في سبيل اللّه وغيرها من العبادات في غالبها ظاهرة.

– وقيل: لأنه ليس للصائم فيه حظ نفس.

– وقيل: لأن الاستغناء عن الطعام من صفات اللّه تعالى، فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة، وإن كانت صفات اللّه تعالى لا يشبهها شيء.

– وقيل: معناه أنه المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات أظهر سبحانه مقدار ثوابها.

– وقيل: هي إضافة تشريف كقوله تعالى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ (الأعراف: ٧٣) مع أن العالم كله للّه تعالى.

٢ – ومن خصائص الصوم التي تفرد أن أجره مبهم لا حد له، فقوله: «وأنا أجزي به» بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه، لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء. وقد زاد ذلك وضوحا بقوله: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، قال اللّه عزوجل: إلا الصوم...» وعلل هذه المضاعفة في الأجر بقوله: «يدع شهوته وطعامه من أجلي» وفي هذا التعليل تنبيه على الجهة التي بها يستحق الصوم أن يكون كذلك، وهو الإخلاص الخاص به.

٣ – ومن خصائص الصوم أنه جنة للمؤمن من النار، فهو حصن من حصون الإيمان، كما ثبت في الأحاديث الكثيرة، فعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال»[٣]، وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «الصيام جنة وهو حصن من حصون المؤمن»[٤].

والجنة: هي ما يستجن به الإنسان كالدرع الذي يقيه عند القتال من الضرب، فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا، فإذا كان له جنة من المعاصي كان له في الآخرة جنة من النار، ومن لم يكن له جنة في الدنيا من المعاصي لم يكن له جنة في الآخرة من النار. يقول الحافظ زين الدين العراقي[٥]: «كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات».

ولذا قيل: إن الصوم لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين.

وقد زاد هذا بيانا الإمام أبو العباس القرطبي[٦] قائلا:

– يصح أن يكون (جنة) بحسب مشروعيته؛ أي: ينبغي للصائم أن يعريه مما يفسده، ومما ينقص ثوابه؛ كمناقضات الصيام، ومعاصي اللسان، وإلى هذه الأمور وقعت الإشارة بقوله: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يسخب...» إلخ.

– ويصح أن يسمى: (جنة) بحسب فائدته، وهو إضعاف شهوات النفس، وإليه الإشارة بقوله: «ويذر شهوته وطعامه من أجلي».

– ويصح أن يكون (جنة) بحسب ثوابه، وإليه التصريح بقوله: «من صام يوما في سبيل اللّه باعد اللّه بذلك اليوم وجه عن النار سبعين خريفا»[٧].

٤ – ومن خصائص الصيام أن جعل اللّه عزوجل رائحة فم الصائم المتغيرة مستطابة عنده: «لخلوف فم الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسك يوم القيامة» ولا يتوهم من ذلك أن اللّه تعالى يستطيب الروائح، ويستلذها، كما يقع للإنسان من اللذة، والاستطابة؛ إذ ذاك من صفات افتقار المخلوقات، واستكمال نقصهم، وهو سبحانه غني بذاته كامل بجلاله وتقدسه.

وما جاء في الحديث من باب المجاز والاستعارة لما جرت به العادة بتقريب الروائح الطيبة منا، فاستعير ذلك في الصوم لتقريبه من اللّه تعالى.

وقد تعددت

الأقوال في توجيه المعنى:
- فقيل: يجازيه الله تعالى به في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك، كما جاء في الحديث أن دم الشهيد يكون ريحه يوم القيامة ريح المسك[٨].
- وقيل: رائحته عند ملائكة الله تعالى أطيب من رائحة المسك عندنا، وإن كانت رائحة الخلوف عندنا خلافه.
- وقيل: إن الخلوف أكثر ثوابا من المسك، حيث ندب إليه في الجمع والأعياد ومجالس الحديث والذكر ومجامع الخير.
يقول الإمام أبو العباس القرطبي[٩]: «وإنما معنى هذه الأطيبية عند الله تعالى راجعة إلى أن الله تعالى يثيب على خلوف فم الصائم ثوابا أكثر مما يثيب على استعمال روائح المسك، حيث ندب الشرع إلى استعماله فيها، كالجمع والأعياد وغير ذلك».
٥ - ومن ثمار الصوم وخصائصه كما أن أجره مضاعف أضعافا لا حصر لها كذلك فرح العبد به مضاعف، فهو يفرح بصومه عند فطره، ويفرح عند لقاء ربه.
إما فرحه بفطره: فهو فرح بزوال جوعه وعطشه حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم.
- وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو بوجدان التوفيق لإتمام الصوم وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه.
- أو بخلوص الصوم وسلامته من المفسدات والرفث واللغو.
- أو بما يرجوه من حصول الثواب.
ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحا وهو الطبيعي، ومنهم من يكون مستحبا وهو من يكون سببه شيء مما ذكره.
وأما فرحه إذا لقي ربه فلما يجده من قبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه.
❖ هذا وقد تضمن الحديث النهي عن سوء الأخلاق أثناء الصيام فقال: «فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ ولا يسخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم».
والرفث: الكلام القبيح، والتشاتم، والتلاعن، ونحو ذلك من قبيح الكلام الذي هو عدة اللئام وعادتهم، ومنه اللغو كله والباطل والزور.
والسخب: رفع الصوت عند الغضب بالكلام السيء.
ولا يجهل: أي لا يفعل خلاف الصواب من قول أو فعل. والجهل: العدوان على الناس.
سابه أحد: أي إن سبه إنسان متعرضا لمشاتمته.
أو قاتله: أي دافعه ونازعه، فليمتنع فلا يقاتله ولا يسابه، وليذكر نفسه بصومه بقوله: «إني صائم» كي يرتدع بذلك عن مجاراة الساب والمقاتل.
وقال البغوي[١٠]: قوله: «فليقل: إني صائم» يتأول على وجهين:
- أحدهما: يقول ذلك لصاحبه نطقا، يرده بذلك عن نفسه.
- والآخر: أن يقول ذلك في نفسه؛ أي: ليتفكر أنه صائم، فلا يخوض معه، ولا يكافئه على شتمه، لئلا يحبط أجر عمله، وثواب صومه.
وفي رواية: «فليقل إني صائم مرتين» أي بقلبه ولسانه لتكون فائدة ذكره بقلبه كف نفسه عن مقاتلة خصمه، وذكره بلسانه كف لخصمه عن الزيادة، وهو من أسرار الشريعة.
وإنما يقول «إني صائم» ليدفع عن نفسه العجز عن المدافعة، ويبين لصاحبه أنه لولا الصيام لقابلتك بمثل ما فعلت بي، فيبقى عزيزا لا ذليلا، لكنه ذل عبودية لله تعالى وطاعته، ونظيره قول النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور» يعني: قول المحرم «والعمل به» أي بالمحرم، «فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[١١] لأن الله تعالى إنما أوجب الصيام لشيء أهم وهو القيام بالواجبات وترك المحرمات.
وهنا ينبغي التأكيد على أن النهي عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس مختصا بالصيام، ولا بالصائم بل هو مما نهى عنه الشرع في كل الأوقات، ولكل إنسان، ولكنه في حق الصائم آكد وأوجب، وقد خص الصوم بالذكر لأنه مظنة سوء الخلق، وبخاصة لمن لم يعتد عليه.
وقال القرطبي[١٢]: «لا يفهم من هذا الشرط: أن غير يوم الصيام يباح فيه الرفث والسخب، فإنهما

ممنوعان على الإطلاق، وإنما تأكد منعهما بالنسبة إلى الصوم».

ومن فقه الحديث

- احتج السادة الشافعية بهذا الحديث على كراهة السواك للصائم بعد الزوال، لأنه يزيل الخلوف الذي هذه صفته وفضيلته، وإن كان السواك فيه فضل أيضا، لأن فضيلة الخلوف أعظم.

وقالوا: كما أن دم الشهداء مشهود له بالطيب ويترك له غسل الشهيد مع أن غسل الميت واجب فإذا ترك الواجب للمحافظة على بقاء الدم المشهود له بالطيب فترك السواك الذي ليس واجبا للمحافظة على بقاء الخلوف المشهود له بذلك أولى.

وأما جمهور الفقهاء فلا يرون بالسواك للصائم بأسا قبل الزوال وبعده رطبا كان السواك أو يابسا، وبذلك قال مالك وأبو حنيفة والشافعي على ما حكى عنه الترمذي، واحتجوا بحديث أبي هريرة: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك...»[١٣] وبالأحاديث التي رويت في فضل السواك، فإنها بإطلاقها تقتضي إباحة السواك في كل وقت وعلى كل حال.

وقالوا: إن تغير رائحة الفم الحاصلة للصائم سببها خلو المعدة وذلك لا يزيله السواك، وإنما يزيل السواك أثره الظاهر عن الأسنان من الإصفرار، وقد روي عن عبد الرحمن بن غنم أنه سأل معاذ بن جبل رضي الله عنه: أتسوك وأنا صائم؟ قال: نعم، قلت: أي النهار أتسوك؟ قال: أي النهار شئت، غدوة وعشية. قلت: إن الناس يكرهونه عشية، ويقولون: إن رسول الله ﷺ قال: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»؟ فقال معاذ رضي الله عنه: سبحان الله لقد أمرهم بالسواك وهو يعلم أنه لا بد بفم الصائم خلوف وإن استاك، وما كان بالذي يأمرهم أن ينتنوا أفواههم عمدا، ما في ذلك من الخير شيء، بل فيه شر، إلا من ابتلى ببلاء لا يجد منه بدا، قلت: والغبار في سبيل الله أيضا كذلك إنما يؤجر من اضطر إليه ولا يجد عنه محيصا؟ قال: نعم، فأما من ألقى نفسه في البلاء عمدا فما له في ذلك من أجر.

وكره بعضهم السواك للصائم بالعود الرطب لما فيه من الطعم، وأجاب التابعي الجليل محمد بن سيرين رحمه الله تعالى عن ذلك جوابا حسنا، قال البخاري في (صحيحه)[١٤]: قال ابن سيرين لا بأس بالسواك الرطب. قيل: له طعم؟ قال: والماء له طعم وأنت تمضمض به.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «لا بأس أن يستاك الصائم بالسواك الرطب واليابس»[١٥].

وهذا هو الأحق، لأن أقصى ما يخشى من السواك الرطب أن يتحلل منه في الفم شيء، وذلك الشيء كماء المضمضة، فإذا أخرجه من فمه لا يضره بعد ذلك والله أعلم.

الهوامش

١- أخرجه أحمد في مسنده (٢٢١٤٩)، والنسائي (٢٢٢٢) وابن خزيمة في صحيحه (١٨٩٣).

٢- أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) واللفظ له.

٣- أخرجه أحمد في مسنده (١٦٢٧٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٨٩١).

٤- أخرجه الطبراني في الكبير (٥٩/٢٢).

٥- طرح التثريب (٩١/٤).

٦- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٢١٣/٣ - ٢١٤).

٧- أخرجه مسلم (١١٥٣)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٨- أخرجه مسلم (١٨٧٦) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم، وريحه ريح مسك».

٩- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٢١٥/٣).

١٠- شرح السنة (٢٢٦/٦).

١١- أخرجه البخاري (١٩٠٣).

١٢- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٢١٤/٣).

١٣- أخرجه البخاري (٧٢٤٠) ومسلم (٢٥٢).

١٤- باب اغتسال الصائم، قبل الحديث (١٩٣٠).

١٥- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٩١٧٣).

ولاء أيمن كامل
كاتبة مصرية

يا باغي الخير.. أقبل واغتنم



لما كان عمر المرء في هذه الدنيا محدودا، وأنفاسه فيها معدودة، امتن الله عليه بمواسم وأيام وليال خصها بمزيد من الشرف والفضل وعظيم الثواب ومضاعفة الأجر، وجعل، للموفقين من عباده، بمنّه وكرمه، ما يعوضون فيها قصر حياتهم وتقصير أعمالهم.. وإن شهركم هذا من أفضل الأزمان وأشرفها.. إنه شهر رمضان.. وما أدراك ما رمضان: فلم يكفه من شرف إنزال منهاج المسلم ودستور حياته فيه (القرآن): ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥) فحوى ليلة واحدة خير من ألف شهر: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ

﴿ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ (القدر:١-٣).

إن إدراكنا لهذا الشهر نعمة من الله جليلة وفضل وكرم منه عظيم، نسأله سبحانه أن يمن علينا بجوده وإحسانه ويفتح لنا أبواب الطاعات فيه، فما زمن أفضل منه فرصة لنغتنمها من أجل التغيير والتصحيح والإصلاح، والرسول ﷺ يقول عنه: «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»[1]!؟

إنه ذاك الشهر الذي جعله الله مضمار سباق بين شاهديه؛ تتفاوت فيه المسافات بينهم؛ كل يريد خير الزاد: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧)، فمنهم ذوو نفوس كبيرة وهمم عالية يغتنمون ذاك الزمن، لا يفرطون فيه، يستنفدون كل لحظاته في الاستزادة من صالح الأعمال، يرفعون أكف الضراعة بالأوبة والإنابة، ويداومون على قرع أبواب التوبة، موقنين أن الواقف بغير باب الله عظيم هوانه، والمؤمل غير فضل الله خائبة آماله، والعامل لغير الله ضائعة أعماله، وأن الغافل في ذاك السوق سيمنع الربح، وستقود غفلته تجارته إلى بوار؛ والرابح هو الملتذ بطاعة مولاه فنصبه في قربه راحة وفقره إلى مولاه غنى، حاديهم في ذلك وسائقهم همم عالية ونفوس قوية، تطلب الكمالات وتأبى الدون من القربات، يذهبون في هممهم إلى الغايات البعيدة ويسعون إليها سعيها لا ينصرفون عنها إلا حيث ينفد جهدهم ويستفرغون وسعهم، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ (النور:٣٧)؛ يقول ابن القيم رحمه الله: «إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة وردفه قمر العزيمة أشرقت أرض القلب بنور ربها إذا جن الليل تغالب النوم والسهر فالخوف والشوق في مقدم عسكر اليقظة والكسل والتواني في كتيبة الغفلة»[2].

أهمية اغتنام الوقت

ينبغي على المرء أن يعلم أن الوقت هو رأس ماله في الدنيا، والفطن هو من يراعيه ويحفظه ويحذر من إهداره وإضاعته في غير طاعة واجتهاد، إذ أكثر سبحانه في محكم التنزيل من الإشارة إلى أهميته؛ فقد أقسم سبحانه بالليل والنهار، والشمس والقمر، والفجر والصبح والضحى والعصر وغيرها من أوقات الليل والنهار، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩١).

والغفلة عن الوقت وعدم الاستفادة منه خسارة عظيمة، وهي في هذا الشهر الكريم آفة قاتلة، وداء فتاك، وطريق يكثر فيه السالكون إلا من رحم ربي، لكن الصراط القويم ونهج الحكمة ومنهج سعادة المسلم أن يصرف وقته، لا سيما في أشرف الأزمان، في سبل تعود عليه وعلى دينه بالفائدة دنيا وآخرة قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (المنافقون:٩)، وألا يقضيه في ركون إلى دنيا، وتله عن قربى، إذ العاقبة هي عض أصابع الندم وتمني العودة لإدراك ما فات: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ (المؤمنون:٩٩-١٠٠)، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[3].

المبادرة إلى اغتنام الأوقات الفاضلة

ولكي يكون المسلم دائما مغتنما للفرص ينبغي له أن يقبل على الله بنية وعبودية خالصتين، وأن ينيب إليه ويستقيم على شرعه، وأن يعيش مع كلامه في كل أوقاته، وأن يحيا بالقرآن في جميع أحواله، فالذي استخلفه في الدنيا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (فاطر:٣٩)، وحثه

على عمارتها: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هـود:٦١).. هو هو من نبهه إلى أنها نقيض العليا وينبغي ألا تشغله حاجته وما يؤمله منها عن أنها وقت للتزود إلى حيوانه ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (النور:٣٧)؛ ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت:٦٤).

وها هو رمضان بين أيدينا، فكيف يستقيم للغافلين عدم استثمار نهاره واغتنام لياليه وهذا ابن القيم يصف إضاعة أي وقت وإهدار قيمته بأنها أشد من الموت؟! فما بالكم بأوقات رمضان؟! بل إنه يجعلها إحدى أعظم اثنتين هما أصل كل إضاعة يضيعهما المسلم: هي «أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها»[٤]. و«إن أعظم ما يضيعه المسلم إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب، وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء»[٥]. وعن عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»[٦].

والفراغ ليس فرصة للتنعم بنعيم الدنيا، وإنما هو نعمة لنيل نعيم الآخرة، وهو الأمر الذي يعلي من قيمة الوقت وشأنه.. وقد جاء الهدي النبوي حاضا على المسارعة إلى اغتنام الوقت، لا سيما في بذل الطاعات؛ خوفا من عدم إتاحة فرصتها في وقت آخر؛ عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا قبل ألا تصدقوا، تصدق رجل من ديناره، تصدق رجل من درهمه، تصدق رجل من بره، تصدق رجل من تمره، من شعيره، لا تحقرن شيئا من الصدقة، ولو بشق تمرة»[٧]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحدا يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة، يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء»[٨]، وفي التوجيهين الشريفين حض على الصدقة وترغيب فيها بأي قدر، واغتنام فرصة القدرة على بذلها، ولو بالقليل.

قدوات في اغتنام الفرص

إن استيلاء حب الدنيا واتباع الهوى على قلب الإنسان ينسيه ذكر ربه ويورده موارد العطب والهلاك، إذ يتولد عن ذلك استغراق وقت الإنسان في ما يعمر دار الفناء، وهو ما بيّن ﷺ شؤمه وخطره على دين المرء في قوله: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[٩]، بينما الصورة التي ينبغي أن يكون المسلم عليها هي ما بيّنها الله في معرض ثنائه على أنبيائه ورسله حين قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء:٩٠)، أي: يبادرون إلى الخيرات ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها إلا اغتنموا فرصتها؛ فكيف لا نتأسى بهم وبين أيدينا هذا الزمن الشريف، فنحن نرى نبي الله موسى يغتنم فرصة تكليم الله له ويطلب منه مباشرة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ (طه:٢٥-٣٢)، فيستجيب له ربه من فوره: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه:٣٦)، وهذا نبي الله زكريا يسأل متعجبا مريم العابدة القانتة عما لديها من رزق وهي التي لا كسب لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ﴾؟ فأجابته: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران:٣٧)، وعندما لمس برد ردها قلبه اغتنم الفرصة ودعا مسبب الأسباب: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ (آل عمران:٣٨) فلبى الله دعاءه وهو في محراب الطاعة والذكر منتبه غير لاه عنه ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران:٣٩).

وهذا كثير الأوب سليمان غفل عن ذكر ربه وقت العشي فقط ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ

﴿بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾ (ص:٣١)، فـأنـاب إلـى مـولاه مقدما القربات ندما وتوبة: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾(ص:٣٣)، واغتنم فرصة الندم والتوبة ونفحات المغفرة والـرحـمـة، ونـادى مـولاه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ (ص:٣٥)، فجاء عطاء مولاه له عظيما: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ (ص:٣٦-٤٠).

اغتنم وكن كعكاشة

وهـذا الحبيب ﷺ كـان يتجول مع بعض صحبه الكرام بسوق المدينة، فـمـروا بـجـدي ميـت أسـك (صغير الأذنين أو مقطوعهما)، وفيما الكل مشغول بالبيع والـشـراء، اغتنم ﷺ الفرصة ليذكر المسلمين بقيمة الدنيا وليضبط ميزان تجارتهم حتى لا تثقل لديهم كفة الدنيا أمـام كفة الآخرة، فأخذ بأذن الجدي ورفع صوته يزاود على بيعه قائلا: «أيكم يحب أن هذا لـه بـدرهـم؟ أيكم يحب أن هـذا له بدرهم؟ أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء؛ وما نصنع به؟ فقال ﷺ: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه؛ لأنـه أسـك فكيف وهـو ميت؟! فقال ﷺ: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»[١٠].

ومن أجلى صـور اغتنام الفرص ما جاء في حديث ابـن عـبـاس لما ذكر النبي أن سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقام عكاشة بـن محصن رضي الله عنه فـقـال: «يـا رسـول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم قـام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة»[١١].

فأيهما تحب أن تـكـون وكـل منهما صحابي جليل: عكاشة الذي بلحظة واحدة فاز بالجنة ونجا من العذاب بسرعة اغتنامه الـفـرصـة أم أخـاه الأنصاري؟!

الفرصة مغنم.. صغرت أم خفت

ويـجـب عـلـى المسلم ألا يستصغر الفرص صغر حجمها أو خف وزنها، فهي بالنهاية مغنم، وقـد قـال ﷺ: «فاتقوا الله ولو بشق تمرة»[١٢]، فمن لم يجد فبكلمة طيبة، و«لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[١٣]، وقال: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس»[١٤].

وكلما تـرفـع المـرء منا عـن الـنـزوات والشهوات وشمر عن سواعد الخير وجَـدَّ فـي تـقـديـم الـقـربـات واغتنم فـرص الـطـاعـات تـقـدم عـلـى غيره ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢﴾ (الواقعة:١٠-١٢)، ويقول الشاعر:

بـادر الـفـرصـة واحـذر فوتها
فبلوغ العـز فـي نيـل الفـرص
واغتـنـم عمـرك إذ بـان الصبا
فهو إن زاد مـع الشيب نقص

وإن مما تفضل به الله علينا أن جعل الـفـرص قـائـمـة حـتـى آخـر سـاعـة، يقول ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[١٥]. فما علينا إلا اغتنام الفرص قبل فواتها، والتذكر بأن الفرص نعمة، والنعم إذا ذهبت ربما لا ترجع، قال ابن القيم: «والله يعاقب مـن فتح لـه بـابـا من الخير فلم ينتهزه؛ بأن يحول بين قلبه وإرادتـه فلا يمكنه بعد من إرادتـه؛ عقوبة لـه»[١٦]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ (الأنـفـال:٢٤)، فمن آثر عجزه وكسله، وفوت الفرص على نفسه ندم في وقت لا ينفع فيه الندم ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ (الفجر:٢٣-٢٤).

الهوامش

١- الترمذي: ٦٨٢، وابن ماجه: ١٦٤٢.
٢- الفوائد، ابن القيم، ط: العلمية، ص:٥١.
٣- البخاري: ٦٤١٢.
٤- الفوائد، ابن القيم، ط: العلمية، ص:٣١.
٥- الفوائد، ابن القيم، ط: العلمية، ص:١١٢.
٦- صححه الألباني في صحيح الجامع: ١٠٧٧.
٧- صححه الألباني في صحيح الجامع: ١٣٥٤.
٨- مسلم: ١٠١٢.
٩- رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.
١٠- مسلم: ٢٩٥٧.
١١- البخاري:٦٥٤١.
١٢- مسلم:١٠١٦.
١٣- مسلم:٢٦٢٦.
١٤- مسلم:١٩١٤.
١٥- صحيح الجامع، ١٤٢٤.
١٦- زاد المعاد، ص:٧٢٢-٧٢٣.

علاء الدين حسن
أديب ومفكر سوري



وداع رمضان ومقدم العيد

مضى رمضان بعد أن ربانا على قوة الإرادة والإيمان.. فيا أيها الذي كان يمر باللغو كريما يقابل السيئة بالحسنة، ويبادل بالقطيعة الصلة.. ويا من رأيناك في رمضان عائدا إلى الله، محافظا على طاعته.. لماذا لا تبقي نفسك في عداد عباد الرحمن الطائعين؟

ويا أيها الغني الذي استطعت أن تخفف عناء الفقر عن فقير، وقدرت أن تدفع محنة الحاجة عن محتاج؛ لماذا لا تشعر بأن للسائل والمحروم حقا لا يتقيد أداؤه بشهر أو يوم؟ إن الذين أدركوا قيمة رمضان سيستمرون في امتثال آدابه وتذكر ذكرياته التي أثبتت بأن جولة الباطل ساعة، وأن جولة الحق إلى قيام الساعة.

سلام عليك يا شهر القرآن وضياء المساجد.. يا شهر الذكر والمحامد.. سلام عليك يا شهر التراويح.. يا شهر الغفران الصريح..

لقد هذبت نفوسنا، وأذهبت ما قد ران على قلوبنا.. أما من كان عاصيا، فهو ليس في عيد، ولو لبس الجديد! فسعادة الإنسان مرتبطة بطاعة الله، وبالدعوة إلى دين الله، وما عمت الجهالة، ولا ظهر الفساد إلا حين ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان»[1].

والتغيير باليد يكون لولاة الأمور ولمن يسند له القيام بذلك، والتغيير باللسان يكون للعلماء بما حباهم الله من حكمة وموعظة حسنة، وأوامر الشرع مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن غفل عن تطبيق هذه القاعدة، كان فساده أكبر من صلاحه.

عظة وعبرة

ولنا في انقضاء رمضان بهذه السرعة الفائقة عبرة وعظة، فقد كنا نعيش روعة أيامه وأنس لياليه، ثم انقضت تلكم الأيام وتلكم الليالي، وكأنها ملمح خيال، مضت تلك الأيام وتلك الليالي؛ لنقطع بها مرحلة من حياتنا لن تعود إلينا أبدا، وإنما يبقى لنا ما أودعناه فيها من خير أو شر، وهكذا الأيام التي تمر علينا تنقص من أعمارنا، وتقربنا من آجالنا.

قال الحسن البصري رحمه الله: «ابن آدم! إنما أنت أيام مجموعة، كلما مضى يوم مضى بعضك»

تزود من الدنيا فإنك راحل ... وسارع إلى الخيرات فيمن يسارع

فما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يوما أن ترد الودائع

حب وإخاء

وفي العيد، يلتقي المسلمون على الحب والإخاء، ويحمدون الله على نعمة الإسلام التي شدت بعضهم إلى بعض؛ فأصبح مثلهم في التسامح والتعاطف مثل الجسد الواحد أو البناء المرصوص. ولو كبرت قلوب المسلمين كما تكبر ألسنتهم لكان لهم أعظم الشأن، ولو تصافحت نفوسهم كما تتصافح أيديهم لكانوا خير أمة.

وإن فهمنا للعيد ينبغي ألا يكون فهم لهو وعبث تقتحم فيه الحرمات، إنما ينبغي أن يكون فهم توفيق بين مطالب المادة والروح..

عن أنس ﵁ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ما هذان اليومان؟». قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله قد أبدلكم خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر»[2].

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: دخل علي أبو بكر في يوم عيد وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان، فقال: أمزمور الشيطان في بيت رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «يا أبا بكر! إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا»[3].

وبعد: لقد رحلت أيام رمضان الشذية، وانقضت مساءاته المضيئة، وغادرت ساعاته البريئة.

أيكون لي بعد ارتحالك رؤية ... ويكون من بعد الوداع تلاقي؟

بالله عد لي يا حبيب ولا تزد ... بالبعد من وجدي ومن أشواقي

فسناك يا رمضان يملأ خافقي ... وشذاك دوما ساكن أعماقي

مضى رمضان، وها هو العيد قد أقبل مع عود حميد، بعد رحلة حلقت بها الروح في فضاء الصفاء، فعانقت هناك نجوم السمو الجميل؛ واقتبست من أنوارها مشاعل هداية ممتدة.

ولا نجاة من الكرب العظيم إلا بالإيمان والعمل الصالح، في رمضان، وبعد رمضان.

مضى رمضان، وأقبل العيد، والعيد ولادة جديدة من رحم شهر التربية والاستقامة؛ يخرج منه المؤمن بقلب جديد.

تسارع أفئدة المؤمنين إلى أحب البقاع، وتلهج ألسنتهم بذكر الله، وعلى وجوههم ترتسم البسمة، وفي قلوبهم تزداد المحبة.

تتلاقى الأعناق، وتتصافح الأيدي، وتزهر بينهم عبارات التهنئة.

في العيد تبتهج النفوس، وتتداح دائرة السرور؛ فأكمل الناس حظا من أدخلوا المسرة إلى قلوب البؤساء، يمسحون دمعة يتيم، ويخففون وجد أرملة، ويمدون أغصان الإحسان إلى مسكين؛ فينبعث من أكفهم السخاء، ويسمع من نواطقهم قول المعروف.

وأسعد الناس من أسعد الناس. «والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه»[٤].

وفرحة العيد إنما هي لأهل الاجتهاد في رمضان، الذين بذلوا وقدموا وصبروا، فحق لهم أن يبتهجوا بيوم الجوائز للفائز، وكأن حالهم في هذا اليوم كحال المؤمنين يوم القيامة؛ الذين صبروا ابتغاء وجه الله في الدنيا، وعملوا لذلك اليوم؛ فهنيئا لهم أن يقال لهم: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (النحل:٣٢).

أخيرا

وداعا أيها الحبيب الراحل، والأنيس المسافر؛ وداعا لأيام اللقاء، ولحظات الصفاء؛ وداعا يا شهر الخير والبركات، والبر والحسنات، واللطف والنفحات، وداعا يا ميدان الطاعة؛ وموسم العبادة، وداعا لأيام صفت فيها النفس، وزكا بها الفؤاد، وسما بها الفكر؛ وداعا لليال نشطت فيها الأجسام، وحسن الخشوع، وعذب الخضوع، ونثرت الدموع؛ وداعا لأيام تعطرت فيها الأجواء بعبير الدعاء، وتزينت فيها الأرجاء بأريج الثناء.

أيها الحبيب الراحل!

أضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

يا خير شهر نناجي فيه خالقنا ... وتنتشي فيه أرواح المحبينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

يا رب فامنن علينا باللقاء به ... واغفر لنا فيه يا رحمن، آمينا

وداعا يا شهر الصيام والقيام.. يا شهر التجاوز عن الذنوب العظام.

وداعا يا شهر الذكر والتسبيح.. يا شهر المصابيح.. يا شهر التجارات المرابيح.

يا ليت شعري من المقبول منا فنهنيه، ومن المردود منا فنعزيه.

أيها المقبول! هنيئا لك، أيها المردود! جبر الله مصيبتك.

الهوامش

١- رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان النهي عن المنكر، رقم ٤٩.

٢- رواه أحمد: ٣/١٠٣، والنسائي، ك١٩، ب ١.

٣- رواه البخاري في صحيحه: ٢/٢٠.

٤- رواه مسلم عن أبي هريرة، ك: الذكر والدعاء والتوبة، ح: ٧٠٢٨.

عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية



العيد.. أحكام وضوابط وآداب

يمثل العيد في الإسلام يوم فرح وسرور وزينة، يتبادل فيه المسلمون التهاني وزيارة الأهل والأقارب والأصدقاء ولبس الثياب الجديدة.

ويأتي احتفال المسلمين بعيدي الفطر والأضحى في كل بلدان العالم بمظاهر من البهجة والسعادة والمحبة لأن إظهار الفرح في الأعياد من شعائر الله التي يتوجب علينا إحياؤها والالتزام بآدابها وأحكامها وضوابطها.

ويعتبر عيدا الفطر «وهو أول يوم من شوال» والأضحى «وهو اليوم العاشر من ذي الحجة» العيدين الوحيدين للمسلمين، فلا يوجد أعياد غيرهما في الإسلام إلا يوم الجمعة.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما؛ يوم الفطر والأضحى». أخرجه أبو داود (١١٣٤)، والنسائي (١٥٥٦)، وأحمد (١٢٠٠٦) باختلاف يسير.

ورغم أن الأعياد تعتبر محطة للراحة والفرح والسعادة والترويح عن النفس، فإن ثمة ضوابط وأحكاما وآدابا ينبغي الالتزام بها وعدم تجاوزها. ومن آداب العيد الاغتسال والتطيب والتجمل ولبس أحسن الثياب لأنه يوم اجتماع والتقاء بالناس فينبغي أن يكون الإنسان في أحسن مظهر من باب إظهار النعمة والتعبير عن الفرح في هذا اليوم.

ومما يستحب في العيد التكبير، والذي يشرع من ليلة العيد بعد غروب شمس آخر يوم من رمضان، وحتى صلاة العيد. قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة:١٨٥).

أما صفة التكبير فهي أن يقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

ويعتبر صيام يوم العيد محرما في الاسلام. فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ نهى عن صيام يومين، يوم الفطر، ويوم النحر (صحيح مسلم ١١٣٨).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه صلى قبل الخطبة، ثم خطب الناس فقال: «يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قد نهاكم عن صيام هذين العيدين، أما أحدهما فيوم فطركم من صيامكم، وأما الآخر فيوم تأكلون نسككم» (صحيح البخاري ٥٥٧١).

ويستحب للمسلم إذا أراد الخروج لصلاة العيد، خصوصا عيد الفطر، أن يأكل تمرات. عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات. وقال مرجأ بن رجاء...: ويأكلهن وترا. (صحيح البخاري ٩٥٣).

وتعتبر التهنئة بالعيد من الآداب والعادات الحسنة والطيبة التي تتميز فيها الأعياد لما فيها من جلب للمحبة والألفة بين الناس.

ولا يوجد لفظ معين للتهنئة بالعيد إنما يمكن استخدام أي لفظ مباح مما يسعد الناس سماعه. ومن هذه الألفاظ «عيدكم مبارك» و«كل عام وأنتم بخير» و«تقبل الله منا ومنك».

عن جبير بن نفير، قال: كان أصحاب النبي ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك. (تمام المنة ٣٥٤).



عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

العيد.. يوم فرح وسرور

يحتفل المسلمون في كل أرجاء الأرض من مشرقها إلى مغربها بالأعياد مرتين في كل عام؛ العيد الأول هو عيد الفطر الذي يحل في أول يوم من شوال بعد انتهاء شهر رمضان، والثاني هو عيد الأضحى الذي يأتي في اليوم العاشر من ذي الحجة بعد انقضاء يوم الحج الأكبر.

ولا أعياد للمسلمين غير الفطر والأضحى لذلك يشعر المسلم خلال أيام العيد بفرحة غامرة وسعادة بالغة وقوة دافعة نحو الفرح والمرح والبهجة واستذكار الأيام الجميلة واللحظات السعيدة بما تمثله من شعور بالسرور.

ولا تقتصر فرحة المسلمين في عيدي الفطر والأضحى على فئة معينة أو مرحلة عمرية محددة، إنما تشمل الكبار والصغار والذكور والإناث في كل بقاع الأرض، سواء كانوا في بلدان إسلامية أو غير ذلك.

ويأتي إظهار الفرح والسرور في هذه الأعياد انطلاقا من شعائر الله التي يتوجب علينا إحياؤها واستشعار معانيها، خصوصا أن العيد يمثل أحد مظاهر الدين وإحدى شعائره العظيمة.

وتختلف الأعياد في الإسلام في معانيها ومقاصدها عن أعياد غير المسلمين، لأن عيد المسلمين عبارة عن عبادة ونسك، بالإضافة إلى كونه يوم فرح وسرور وزينة.

ولعل أول عمل يقوم به المسلم يوم العيد وبعد شروق الشمس هو صلاة العيد التي يؤديها في المصليات والمساجد، فتجد الرجال والنساء والطفال يتوجهون إلى الساحات وبيوت الله لأداء صلاة العيد فرحين مستبشرين في هذا اليوم المبارك، وبعد الانتهاء من الصلاة يتبادلون التهاني والتبريكات بأحسن الألفاظ والعبارات لأن التهنئة في العيد من العادات الحسنة التي تؤلف القلوب وتزرع المودة بين الناس. فتسمع المسلمين يتسابقون في قول «عيدكم مبارك» و«تقبل الله منا ومنك» وغيرها من ألفاظ وكلمات جميلة تدخل السرور إلى النفوس.

ويمثل يوم العيد فرصة ثمينة لتجاوز الخلافات وتوطيد العلاقات وصلة الأرحام وتصفية النفوس وجبر الخواطر وجمع الأهل والأحباب، فالنفوس مهيأة للرضا والقلوب مستعدة للصفح وطي الخلاف والابتعاد عن المشاحنات والمشادات، لذلك يجب اغتنام هذه الفرصة العظيمة لتصفية النفوس وإدخال البهجة والسرور على الأهل والأحباب.

ولا تعني الدعوة إلى الفرح والسرور في يوم العيد إلى الانفلات والتحرر من القيود وارتكاب المحرمات والدخول في الشبهات وإطلاق العنان للشهوات، إنما تكون باللهو المباح وبما لا يتجاوز الحدود الشرعية. فأيام العيد تعتبر عنوان الفرح وأوقاتا مناسبة للتغيير والترويح عن الذات والاستمتاع بما أحل الله تعالى من طيبات بما يدخل البهجة إلى النفوس مع الالتزام بالآداب الإسلامية، ولتكن أعيادنا الإسلامية عبادة لله تعالى وتوبة من معصية ومحطة للراحة والفرح والسرور.

محمد شامل
كاتب من الهند



يوم تفطرون

بعد انقضاء شهر الحلم والسلام يحتفل المسلمون في ربوع الدنيا بعيد الفطر في ذروة الفرح والسعادة. ودع رمضان الذي نقى قلوب المؤمنين كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس فجر شوال. من أجل أن يرتفع شعار العيد على الألسنة خلال صوت التكبير، يجب أن تملأ القلوب بنشاط الصيام.

احتفل المسلمون بأول عيد الفطر في الإسلام في السنة الثانية للهجرة بعد صيام أول رمضان في تلك السنة. قال النبي ﷺ: «الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون». سمي بعيد الفطر لأنه يوم الصدقة الواجبة (زكاة الفطر). العمل المهم في هذا اليوم هو زكاة الفطر. زكاة الفطر واجبة على كل من بقي من ماله فيما عدا المأكل والملبس يوم العيد.

زكاة الفطر تشير إلى أهمية المسؤولية الاجتماعية في الإسلام. فهي رسالة أنها ينبغي لكل أحد أن لا يجوع خلال يوم العيد. وسيؤدي هذا إلى تقوية العلاقة بين الأغنياء والفقراء. ينقل هذا رسالة مفادها أنه من خلال تبادل الأعمال الصالحة بين قلوب البشر، سيتم أيضا تقوية العلاقات الاجتماعية. علاوة على ذلك، فإن الزكاة ستؤدي أيضا إلى تزكية النفس البشرية. قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣) كما أن زكاة الفطر فرصة أعطاها الله تعالى للتعويض عن قصور الأعمال الصالحة التي قام بها عباده طوال الشهر.

عيد الفطر هو عبادة بالإضافة إلى أنه احتفال. في حديث ابن عباس: إذا كان يوم عيد الفطر هبطت الملائكة إلى الأرض في كل بلد فيقفون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله إلا الجن والإنس يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم فإذا برزوا إلى مصلاهم قال الله تعالى: «يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله فيقولون: إلهنا وسيدنا أن توفيه أجره، فيقول عزوجل: أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضاي ومغفرتي، ويقول: سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئا في جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتكموه ولا لدنياكم إلا نظرت لكم، انصرفوا مغفورا لكم، قد أرضيتموني ورضيت عنكم».

التكبير وارتداء اللباس الجديد مندوب في هذا اليوم. وفي السورة الثانية من القرآن الكريم، البقرة، في بيان الآية ١٨٥، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «كبر على الله في آخر رمضان، احتراما للفرصة التي أتيحت لكم لتكمل شهر رمضان المبارك وطاعة الله فيه، فتكون من الشاكرين».

يتضح من الأحاديث أن النبي محمد ﷺ كان يرتدي ملابس مصنوعة من اليمن في العيد. يجب إيلاء اهتمام خاص للأطفال والفقراء في أمر الملابس الجديدة. لأن كل عيد يعطي المؤمن رسالة إلهية عن المحبة والأخوة. يجب أن تكون الاحتفالات مبهجة للجميع بالتساوي.

لقد أعطى النبي ﷺ تعليمات صارمة بأن الاحتفال بالعيد لا ينبغي أن يكون رفضا للقيم الإسلامية ويجب ألا ينتهك حدود الكرامة. يجب على المرء أن يزور منازل الأقارب، وتقوية الروابط الأسرية. ينبغي أن يقدم كل مهرجان رسائل جميلة من المحبة والأخوة من خلال أداء الأعمال الصالحة للمجتمع. وفقنا الله جميعا. الحمد لله والله أكبر.

أحمد عبدالمنعم عيد
كاتب وباحث إسلامي



في كل طاعة عيدٌ

إذا كان العيد هو عبارة عن فرحة تغمر القلب وتغير ملامح الوجه وتسكن معها النفس القلقة، فإن كل أيام المسلم بكل لحظاته أعياد بفضل الله تعالى، ففرحة المسلم تأتي مع كل طاعة يؤديها ومع كل معصية يتركها لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ (يونس:٥٨)، قال ابن كثير: أي بهذا الذي جاءهم من الله من الحق والهدى فليفرحوا به فإنه أولى ما يفرحون به[1].

فكل لحظة ينشغل فيها العبد بطاعة الله هي عيد للمسلم وكل لحظة يبتعد فيها المسلم عن معصية الله هي في حد ذاتها عيد يفرح به المسلم.

قال الحسن البصري: كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد وكل يوم يقطعه المسلم في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد.

والنبي ﷺ كان يخبر بحاله أن لحظات الطاعة هي أعياد له من خلال أثرها في النفس وخيرها المردود على القائم بها فقد كان في ظل جهاده وتعبه من أذى الكافرين وهو يدعوهم إلى الطريق المستقيم يجد راحته وهناءته في طاعة وفريضة يتقرب بها إلى الله -تعالى - فيقول لبلال وقت الصلاة: «أرحنا بها يا بلال». ولم لا تكون عيدا للمسلم وبها يرتاح من الهموم ويطمئن بها قلبا ويسعد نفسا؟!

فإذا كان العيد هو الفرح والسرور الذي يأتي للإنسان المسلم فالفرح والسرور هو محصول كل طاعة، وإذا كانت زينة الأعياد بالتكبير فالتكبير والتهليل زينة كل طاعة وأول الذكر بعد كل طاعة وأمر الله تعالى في القرآن بالتكبير جاء مقرونا بالطاعات قال تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥).

وقال عز من قائل: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (الحج:٣٧).

بارك الله لنا أعيادنا وجعل كل أيامنا في طاعته ورزقنا ربنا الفرح بدينه.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير، ج٤، تحقيق: د. حكمت بشير، ص:٤٠٥

محمد شوقي
كاتب وباحث



العيد في الكويت

عيد الفطر مناسبة دينية يحتفل بها المسلمون في كل بقاع الأرض، إذ يعد رمزا من رموز المحبة والتآلف فيما بينهم، تلك القيم التي حض ديننا الإسلامي عليها، وأهل الكويت كسائر المسلمين يحتفلون بالعيد ويفرحون بقدومه رغم التطور الحاصل، وعلى الرغم من التغير الذي طرأ على المجتمع ودخول بعض العادات عليه، إلا إنه مازال المجتمع الكويتي محافظا على بعض من هذه العادات التي كانت موجودة في الماضي إذ كانت مناسبة العيد أكثر بهجة وفرحة، ينتظره الناس بفارغ الصبر ويستعدون له كامل الاستعداد لأنه بالنسبة إليهم يعني التغيير والتجديد، فهم يلبسون فيه الجديد، ويأكلون ويلعبون، كان له بريق خاص ورونق وجمال قديما كان يختلف عما هو عليه في هذا الوقت الحالي من حيث العادات التي كان الكويتيون يقومون بها قبل قدومه والتي اندثر بعضها ومازال بعضها قائما.

العيد قديما

يقول عبد العزيز الرشيد في كتاب تاريخ الكويت عن العادات التي كان أهل الكويت يقومون بها في العيد قديما والتي هي جزء لا يتجزأ من تراثنا العريق والذي يدل على مدى الترابط والتلاحم بين أهل الكويت قديما: «فمنذ الصباح يقوم الكبار والصغار باكرا لأداء صلاة العيد مهللين مكبرين وحامدين الله على ما خصهم به من جزيل النعم وقد لبسوا أفخر ملابسهم وتجملوا بما عندهم من زينة وبعد الصلاة تبدأ مراسيم وعادات ومظاهر العيد في الكويت»[1].

الجميع يقوم لأداء صلاة العيد مهللين مكبرين منذ الصباح الباكر

و للعيد قديما مراسيم متعارف عليها عند أهل الكويت، ولاتزال موجودة وأهمها تهنئة الأسرة الحاكمة... في اليوم الأول وبعد الصلاة يذهب أهل الكويت إلى الأمير لتهنئة الأسرة الحاكمة بحلول العيد حيث يتواجد أفراد أسرة آل صباح الكرام في قصر الأمير يستقبلون المهنئين من أهل الكويت ولا تزال هذه العادة موجودة إلى الآن.

تبادل الزيارات

ومن عادات العيد تبادل الزيارات بين الأهالي، إذ يتبادل الكويتيون الزيارات فيما بينهم للتهنئة حيث يقوم الأهالي بزيارة بعضهم البعض في مختلف المناطق في تلاحم يدل على مدى رقي ومحبة أهل الكويت لبعضهم، وتقدم خلال الزيارات القهوة والشاي ويتم تقديم ماء الورد والعود حيث يقوم الأهالي بتهنئة بعضهم البعض ويقول المهنئ لأخيه: «عيدك مبارك» فيجيب علية بقوله: «أعاده الله علينا بخير وعليكم بخير وعافية» وغيرها الكثير من العبارات التي تقال في هذه المناسبة.

وأيضا «من مظاهر العيد.. تعطيل الأعمال، إذ يعطل الكويتيون أشغالهم وأعمالهم لمدة أسبوع كامل ويتم التحضير للعيد قبل قدومه بفترة، كذلك ترتيب البيت إذ يقوم أهل البيت بتنظيفه وترتيبه حتى يكون لائقا بهذه المناسبة ويرش بماء الورد مخلوطا بالعطور الخاصة إضافة إلى البخور والمعمول وغيرها، علاوة على ذلك الملابس الجديدة حيث تفصل الملابس للكبار وللصغار، كالدشداشة للأولاد والدراعة والبخنق للبنات، وكانت بعض السيدات يخطن ملابس أولادهن بأنفسهن».

عادات مهمة

ومن العادات المهمة في العيد تجهيز الحلويات الشعبية التي تصنع في البيوت والبعض يقوم بشرائها من السوق، من هذه الحلويات (قرص عكيلي - البقصم - لسان الثور - بيض القطا - الغريبية) وغيرها من الحلويات المعروفة قديما في الكويت، كذلك صلاة العيد إذ يذهب الأهالي إلى المسجد لأداء صلاة العيد وبعد الصلاة يتجمع الأطفال بكثرة خارج المسجد وأصواتهم تتعالى ويسمعها من في الداخل ويتباهون بملابسهم الجديدة وكل منهم ينظر إلى ملابس الآخر.

ويعد طعام العيد أحد العادات المهمة إذ كان للكويتيين اهتماما خاصا بالطعام خلال فترة العيد سواء الفطر أو الأضحى فمنهم من يخصه لعائلته وبأقاربه ومنهم من يفتح أبوابه للفقراء من أهل الخير وهم كثير في الكويت، وهي عادة جميلة تدل على أخلاق وشهامة وكرم أهل الكويت، ومن عادات الطعام في تلك المناسبة إفطار العيد.. بعد الصلاة يجتمع شمل الأسرة مرة أخرى في البيت للإفطار (ريوق العيد) الذي يتكون من أصناف عدة مثل الكيك

مراسم وعادات ومظاهر الاحتفال تبدأ بعد صلاة العيد مباشرة

والفول المطبوخ (الباجيلا) والحمص المطبوخ (النخي) وخبز الرقاق وبعض الحلويات الشعبية كالدرابيل ويتبادلون الأحاديث الطريفة في ما بينهم، كذلك الغداء ففي العادة يكون غداء عيد الفطر باكرا ويكون في الغالب سمكا «محمرا» وفي عيد الأضحى يكون من لحم الأضاحي لاتزال عادة الغداء والمحمر موجودة عند بعض العوائل في الوقت الحالي.

تقديم التهاني

ومن مظاهر عيد الفطر تبادل الزيارات للنساء: بالنسبة للنساء يذهبن لتبادل الزيارات وتقديم التهاني للأقارب والجيران من النساء، كلك هناك عرضة العيد إذ تقام حفلات العرضة كل نهار ويقوم الرجال بالعرضة بالبنادق والسيوف وينشدون الأناشيد الحماسية.

وتبقى العيدية أحد مظاهر العيد والتي لاتزال باقية حتى الآن وهي هدية مالية تقدم إلى الأبناء في العيد وينتظرها الصغار ببالغ الشغف قديما، وقد كانت لها نكهتها الخاصة في المجتمع الكويتي.

مظاهر حديثة

«أما حديثا وبرغم اختلاف مظاهر الاحتفالات بالأعياد ومنها عيد الفطر،

تبادل الزيارات بين الأهالي من العادات المهمة في العيد

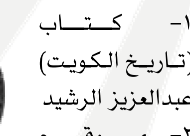
إلا أنه لا يزال له رونقه والفرحة به هي نفسها مع بعض الاختلافات الطفيفة إذ يحرص الكثير من الأشخاص حاليا على التنزه في أماكن مختلفة خلال فترة العيد، فمنها الأماكن الترفيهية والمتنزهات والحدائق العامة التي يكون للأطفال النصيب الأوفر من الاستمتاع بها، والبعض الآخر يحتفل به في المطاعم الفاخرة، لتناول وجبة الإفطار»[٢].

كما اختلفت حديثا مظاهر احتفالات عيد الفطر في الكويت من منطقة إلى أخرى، والتقاليد والثقافات، حيث تحتضن الكويت العديد من الجنسيات العربية والأجنبية. وبالرغم من ذلك تظل فرحة العيد بجمالها ورونقها كما هي في المجتمع مهما اختلفت طرق الاحتفال.

ويعد الإقبال على سوق المباركية التراثية خلال أيام العيد من المظاهر الحديثة للعيد وهو أهم الأماكن التي يرتادها خلال أيام عيد الفطر، حيث تمتلئ المطاعم هناك بالزائرين. كما ينجذب إليها أعداد كبيرة من السياح خصوصا من دول منطقة الخليج العربي، لقضاء إجازة العيد والشراء من محالها التراثية، وطوال فترة عيد الفطر المبارك تعيش الكويت أجواء الفرحة والبهجة متمسكة بعاداتها وقيمها الإسلامية الأصلية.

الهوامش

١- كتاب (تاريخ الكويت عبدالعزيز الرشيد
٢- موقع جريدة المرسال الإلكترونية.



محمد ثابت توفيق
كاتب وقاص وناقد



الابتلاء وسبل النجاة

يدخل الشيطان والنفس لأحدنا فيسألانه، ويعددان عليه طرق السؤال وأبواب الحيرة ومفازات التعجب آناء الليل وأطراف النهار، فلهما مداخل أبرزها الأوقات الحرجة في حياتنا:

- «أو لأنك عابد لربك مطيع وإيمانك يدفعك لئلا تقترب من الخطايا والموبقات تصاب بما لا ترى له سببا، بينما أولئك العاصون الذين ينهلون وينهبون من الملذات مرتاحون آمنون تتسارع إليهم النعم؟!».

يعرف إبليس كيف يدرب ذريته على زعزعة مستقر الإيمان في قلوب البعض، وأيضا تتألم نفوس بشرية اعتادت بعض النعم حتى صار وجودها طقسا تراه لازما في حياتها؛ فإذا أراد رب العزة - سبحانه وتعالى - وقدر وسلبت تلك النعم بدأت غزارة الأسئلة السلبية تعرف طريقها المرير إلى الذهن، خاصة عندما يكون فقد النعمة بأمر نشعر أنه مركزي كوفاة عزيز يعتقد أحدنا أنهم باقون ببقاء حياته، وتزداد المعاناة ألما لما يقضي رب العزة سبحانه أن يتوفى ابن أو ابنة في سن الشباب ويبقى أب أو أم يعانيان.

يدبر الله تعالى أمور الحياة بما يدق ويخفى على عقولنا ومداركنا، ويشاء - سبحانه - وفق تخطيط نوراني علوي لفائدتنا وحفظ أنفسنا في الدارين أن نبتلى، وفيما نعاني بدرجات نوقن أنه ما في الحياة بشر جمعت له أسباب السعادة من أطرافها، أو كما قال الشاعر الأندلسي أبو البقاء الرندي - رحمه الله -:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان!

وفيما يروح أحدنا وقد خسر عزيزا أو بعض مال أو إنسان غال يتذكر مرارة الفراق ويستشعر آلام الابتلاء، وقد تتدخل النفس ويوسوس الشيطان، فيقول الإيمان بأعماقنا إذا يتجلى عندما بعد ركعتين لله واستغفار وتوبة وإنابة: إن ما لا نرى له حكمة تتجلى فيه روعة وعظمة واقتدار أحسن الخالقين سبحانه، ولربما شهدنا في حياتنا السبب لما دق وخفي عنا، وربما فوضنا الله تعالى راضين بحكمته مستبشرين الحكمة في قضائه وقدره، وفق قوله تعالى الذي لا تجد الروح في المصائب أعز وأجل منه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، ولنا بلقاء

العبد الصالح الخضر بسيدنا موسى في سورة «الكهف» الأسوة في هذا السياق، فقتل الغلام كان رحمة بوالديه لكن لعلهما لم يدركانها، إذ كان في علم الله تعالى أنه سيرهقهما طغيانا وكفرا، وبناء عليه أبدلهما الله من هو خير منه وأقرب إليهما، كما أن خرق السفينة وترك الماء يتسرب إليها كان رحمة بالمساكين من أصحابها الذين يعملون في البحر ولا يعلمون وهم يسافرون بها أن الملك الظالم وراءهم لو وجدها سليمة مبرأة لانتزعها منهم، وبالتالي ففيما بعد عالجوا الخرق وبقيت السفينة سلمة خالصة لهم، وأيضا كان بناؤهما جدارا متعبا مجهدا يكاد يتهدم في قرية رفض أهلها مجرد إطعام غريبين جائعين أمرا غامضا بالبداية، خاصة أن طلب الطعام من العبد الصالح الخضر وموسى عليه السلام أصدق طلب إنساني لأنه لا تكلف فيه ولا ادخار منه، إذ يأكل الجائع أمام من يطعمونه ولا يأخذ منه شيئا معه، ورغم ذلك رفض جميع أهل القرية إطعام الرجل الصالح ونبي الله موسى، فما كان من الأول إلا أن قام ببناء الجدار، وكان السبب الخفي أن غلامين يتيمين في المدينة لهما كنز أسفل الجدار، ولو وجده أهل القرية لنهبوه، مع ما هو سابق المعرفة من بخلهم، فأراد الرحمن الرحيم أن يجعل الغلامين يكبران ليستخرجا كنزهما ويحتفظا به، وكان أبوهما صالحا، وقد قيل إن الأب هو الجد السادس.

والشاهد أننا نبصر من الحياة ما هو أسفل قدمينا، وإن وعينا وتدبرنا وفكرنا فلربما رأينا ما هو أعلى رؤوسنا، فكيف نحيط بالمنظومة الكلية للحياة التي يديرها رب الأرباب الذي ليس مثله شيء مما نرى ونعلم بل ندرك ونفهم!

ما نصاب به نراه بلية وخسارة كبرى، فيما ما يدرينا لعله رحمة من رب العالمين بنا وتدبير لإحسان الباقي من حياتنا، ولكن محدودية عقولنا وقصور أفهامنا تمنع من استيعاب المشهد بكامله، وليس لنا - من قبل ومن بعد-، وإن عظم المصاب وشعورنا بالفجيعة في البداية، ليس لنا إلا الرضا والتسليم لله من قبل ومن بعد، وإن لم نفعل جمعنا على أنفسنا الفقدان والخسارة وأيضا للأسف نقصان الإيمان، وفي ذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن الله يقضي بالقضاء فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»، وذلك هو الفارق بين نفس راضية مطمئنة وأخرى تعبد الله على حرف كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (الحج:١١).

إننا بإيماننا بالله تعالى لا يعني بحال إننا معصومون من حدوث ما لا يسرنا في الحياة الدنيا، بحيث يعتقد أحدنا أنه مميز مبعد عما يراه شرا فيما يصاب الآخرون به من حوله، وحاشا لله تعالى أن يجامل أو يحابي، فما نتيجة إيماننا إلا لأنفسنا؛ ونحن مجازون به طمأنينة وراحة نفس تبدوان في الحياة الدنيا قبل الآخرة، وصدق عز من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨)، وإن من ضرورات إيماننا لا أن نسلم للأقدار فحسب بل أن يعلو بنا ذلك الإيمان واليقين في أن كل ما يأتي من عند الله تعالى إنما هو فيه الخير المطلق لنا، وإن لم يبد لنا ذلك أولا، أو حتى فهمنا مجرد سببه في الحياة الدنيا، وأن نطرد وساوس أنفسنا فنفهم جيدا أنها والشيطان قد يغرران بنا أحيانا فإنما نحن نعبد الله ليرضى تعالى عنا، لا العكس - والعياذ لله، فإذا عبدنا الله حق عبادته، فلامس الإيمان شغاف القلوب، وتوطن وتعزز في أقصى بقعة من الروح، وهذب النفس والوجدان، واقتنع العقل بالحسنى فاطمأن واستكان وارعوى عن التمني، وطلب الحياة الدنيا، ووضع الطاقات والإمكانات التي نملكها في جحيم المقارنات مع الآخرين وما يمت لكون.

ويبقى في هذا السياق أننا يجب أن نرى الدنيا حينها مجرد ممر، ونومة قليلة تحت شجرة منها نقوم عما قليل فنواصل المسير نحو الله تعالى والخير والأبقى الذي لديه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه؛ فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها. (رواه الترمذي). فإن أصابتنا الأقدار بفقد من وما نحب في هذه الرحلة فإننا يجب أن نوطن أنفسنا على أن إيماننا يكفينا وقتها ليعرفنا أننا راجعون آيبون لله بجميع ما نملك في النهاية، فكيف نفقد إيماننا أو بعضه مهما قل - والعياذ بالله - لمجرد فقدنا شيئا آخر، فندرك أهمية مواصلة الطريق والتصبر على صعوبات الدنيا حتى نلقى الله ثم الأحبة جميعا في الحياة الآخرة وجنتها على خير بعد النجاة من الدنيا وأحزانها وابتلاءاتها، فلا نفارقهم بعدها أبدا، ونبقى عندها بلا متاعب أو مشكلات أو هموم - بإذن الله تعالى ورحمته وفضله.

محمد فتحي النادي
باحث في الفكر الإسلامي

الأيديولوجيا وتشكيل الرؤية عن الآخر

الأيديولوجيا باعتبارها إطارا جامعا لمجموعة من الأفراد حول فكرة معينة فإنها تحاول أن تحيط أتباعها بسياج يحافظ على فكرتهم الجامعة، ويعمل على عدم تسريبهم إلى غيرها من الأيديولوجيات والأفكار.
وتمسك هؤلاء الأفراد الأيديولوجيين بفكرتهم وتعصبهم لها وإيمانهم بفوقيتها وتميزها -في بعض الأحيان- يجعلهم يصنفون الآخرين حسب قربهم أو بعدهم من أيديولوجيتهم، أو حسب اصطفافهم معها أو ضدها.

والأيديولوجيا قد ترسم صورة عامة عن الآخر، وتحاول أن يلتزمها المجموع، ولكنه «ليس من الضروري أن يكون جميع أفراد الجماعة موافقين إطلاقا على الصورة التي ترسمها الأيديولوجية عن هذا الآخر أو عن ذاك ممن يحملهم التاريخ على التفاعل معهم»[1]؛ وذلك لأن تشبع الأفراد العقلي بالأيديولوجيا يختلف من فرد لآخر، إلى جانب التفاوت النفسي من شخص لآخر في قضية التعامل مع الآخر.

وإن بحث الآخر والاهتمام به ومعرفته أمر يهم التفكير الأيديولوجي من «وجهة القصد إلى تأمين أكبر قدر ممكن من مصالح الجماعة التي يرتبط هذا التفكير بها».

فالمعلومات الدقيقة والصحيحة عن

الآخر مطلوبة في الأيديولوجية، لا من أجل معرفة الآخر في حد ذاته ولذاته، بل من أجل معرفته في علاقته التأثيرية مع جماعة الأيديولوجية»[٢].

وكلما كانت الأيديولوجيا منغلقة على نفسها أعطت صورة انطباعية عن الآخر، دون بحث دقيق أو حقيقي عنه، بل إنها قد لا تعرف شيئاً عن الآخر من مصادره هو، وقد تأخذ معلوماتها عن الآخر مما كتبه عنه الآخرون سلبا أو إيجابا.

فصورة الآخر في التعامل الأيديولوجي تعتبر «صورة إجمالية ترسمها جماعة أيديولوجية عن غيرها من الجماعات، بكيفية مصلحية، تجعل منها صورة غير محايدة، مشحونة عاطفيا، هادفة إلى نتائج معينة ومصنوعة مع نزعة إلى التبسيط والتضخيم»[٣].

هذه الصورة في الغالب قد تكون لتشويه الآخر والتنفير منه، وفي النادر تكون لتعظيمه والإعلاء من شأنه.

وهذا يفهم في باب المنافسة والصراع، واستقطاب الأتباع، والحفاظ على المصالح والمكتسبات، أو الخداع، أو التقاء المصالح ولو وقتيا.

ولا يخفى ما للمؤسسات الإعلامية من دور في توظيف صورة الآخر في التعامل الأيديولوجي، وبخاصة بعد الثورة التي عرفتها البشرية في العقود الأخيرة في مجال وسائل الاتصال والإعلام.

وفي الواقع تشارك المؤسسات الإعلامية -إلى حد ما- في إنتاج هذه الصورة كما يحددها قادة الجماعة الأيديولوجية.

المؤسسة الإعلامية بما تتيحه من إمكانية واسعة جدا للنشر والتوصيل، بالصحيفة أو بالراديو أو بالتلفزيون، تستثير المخيلة الأيديولوجية، وتحملها على إبداع صور للآخر، يعجز عن إبداعها الخطاب الكلامي المحدود النطاق.

ولكن إذا كان من الضروري عدم إغفال هذا الجانب من عمل المؤسسة الإعلامية، فإنه من الضروري -أيضا- عدم المبالغة في تقديره. فالدور الرئيسي للمؤسسة الإعلامية، في خدمة الجماعة الأيديولوجية، هو دور تبليغي.

وفي قيامها بهذا الدور، تستطيع تسخير إمكانياتها التقنية الخاصة، بأكبر قدر من التفنن؛ لكي ترتسم صورة الآخر على الشكل الذي تريده الأيديولوجية في مخيلة الألوف والملايين من الناس»[٤].

وحتى في غياب الوسائل الإعلامية الحديثة، فقد كانت هناك وسائل مؤثرة جدا في الجماهير، والجماعات الأيديولوجية؛ فالشعر كان له التأثير العظيم عند العرب؛ فيكفي أن ينشد أحد الشعراء الكبار شعرا في شخص أو جماعة حتى يطير بها الناس في كل صوب وحدب.

وكذا الخطبة كان لها ولا يزال التوجيه المعنوي العظيم؛ ويستغلها الفصحاء البلغاء للتوجيه إلى ما يرومون إليه من فكرة.

والكلمة المكتوبة تبقى شاهدة على التأثير الكبير لها؛ ويمتد تأثيرها بعد وفاة صاحبها، بل قد تبقى آمادا طويلة.

وكذا المؤسسات التربوية والتي لها مشاركة بقوة وفعالية في تشكيل الرؤية عن هذا الآخر؛ حيث يكون وعي الصغار مجرد صفحة بيضاء ينقش فيها ما يحب لهم المسؤولون؛ وأدوات النقد للصغار غير متوفرة، والقابلية عندهم للرضوخ والاستسلام لتلك التوجيهات عظيمة.

ويتم هذا التشكيل من خلال إجراءات وترتيبات عديدة، بعضها منظور وبعضها غير منظور، بعضها علني وبعضها الآخر مستور.

يبدأ الأمر أحيانا باسم المؤسسة، حيث يشير إلى انتماء اجتماعي معين، ثم يأتي دور القسط والأفضلية في التسجيل والجو العام والنشاطات غير الصفية واختيار الأساتذة والمنهاج والكتب ورابطة القدامى، وسوى ذلك من الشروط والنشاطات التي يعيش التلامذة في جوها ويشاركون فيها.

فهذه كلها مجالات تستطيع الإدارة التربوية استخدامها لبث صورة معينة عن الآخر، المحدد بوعي أو بلا وعي على أساس التمييز الطبقي، أو الطائفي، أو الديني، أو المناطقي، أو الاثني، أو العرقي، أو القومي، أو المهني، أو سوى ذلك، من شأنها أن تؤثر لمدة طويلة في سلوك حامليها.

فالصورة المنطبعة عن الآخر في نفوس التلامذة، بأسلوب ناعم، والراسخة بفضل التكرار والأشكال المتنوعة، والمقترنة بخبرة عاطفية شخصية، ترافقهم طيلة حياتهم، ولو تعرضت بعد خروجهم من المدرسة للامتحان والتعديل.

«إن الموقف من الآخر وكيفية التعامل الأيديولوجي معه أمر يستبطنه الفرد في المدرسة، ويبقى مقيما في لا وعيه وفاعلا في تصرفاته، إلى أن يتغير بالخبرة المباشرة ويحل محله



ما يخالفه.

ولـذلـك تحـرص الجمـاعـات الأيديولوجية السياسية، الواعية والقادرة، على تلقين الناشئة سياستها تجاه الآخر عن طريق العناية الخاصة بالمؤسسة التربوية، فتراقب، وتخترع، وتستبعد، وتفسر، وتتوسع، وتكرر، وتسكت، وتحذف، وتضيف، حتى تأتي صورة الآخر على الشكل الذي تريده وتراه مناسبا لأعمار التلامذة. وهكذا يتربى جيل بكامله على كراهية الآخر والنفور منه، أو على قبول التعايش معه، أو على الخوف والحذر الدائم منه، أو على الإعجاب به ومحبته والاطمئنان إليه، أو على احتقاره والسعي إلى السيطرة عليه، أو على الاعتراف به واحترامه والتعاون معه بإخلاص، تنفيذا لسياسة عامة تتبعها الجماعة الأيديولوجية تجاه ذلك الآخر»[٥].

تلك الصورة المنغرسة والمنطبعة في العقول والنفوس عن الآخر قد تتغير في أنفس بعض المتلقين، بل قد ينقلب الأمر تماما؛ فقد يكون القائمون على تلك المناهج التربوية لا يؤمنون ولا يحملون رسالة بقدر ما يقومون بوظيفة، فيكون التأثير على المتلقي ضعيفا.

وتغير الصورة عن الآخر غير منحصرة في الأفراد، بل قد تتغير صورة الآخر عند الجماعة الأيديولوجية؛ لتغير في الرؤية لديها بتغير الظروف والأحوال أو القادة الذين لا يسيرون على خط أسلافهم لسبب أو لآخر.

ويؤكد على قضية التغير الدكتور ناصيف؛ حيث يرى أن «الجماعة الأيديولوجية لا تحتفظ بالصورة نفسها عن أي جماعة تتعامل معها، سلبا أو إيجابا، من دون أن يطرأ عليها أي تغير.. فالوقائع تدل على أن التغير يصيب العلاقات بين الجماعات الأيديولوجية، والصور المصاحبة لهذه العلاقات كجزء منها، ويطول المنطلقات الأيديولوجية نفسها»[٦].

وقد تؤدي هذه الصور المرتسمة عن الآخر -إن كانت سلبية- إلى انشقاقات وتصدعات في المجتمعات، بل وقد تحدث حروب أيديولوجية يذهب ضحيتها الكثير من الطرفين. لكن إن كانت الصورة حقيقية دون تهوين أو تهويل فهو أمر محمود؛ حتى تعرف من تتعامل معه، وكيف تتعامل معه.

الهوامش

١- د. ناصيف نصار: الأيديولوجية على المحك، ص(١٠٨).
٢- السابق، ص(١١٠).
٣- السابق، ص(١١٣).
٤- السابق، ص(١٢٥-١٢٦).
٥- السابق، ص(١٢٦-١٢٧).
٦- السابق، ص(١٣٢).



سمير أحمد الشريف
كاتب وباحث

صفحة من كتاب الخالدين

عبدالله بن عبد نهم المزني ذو البجادين

كان يستشعر رضي الله عنه أن إسلامه سيضعه في مكانة عالية من العقيدة الراسخة، وشموخ نفسي وطمأنينة، تعادل وتزيد على أبهة الثراء، ورغد العيش، ولين الثياب، منذ القطرة الأولى التي وقعت على قلبه بردا وحبا لله، ورسوله ودينه القويم، لكن، هل كان يخطر بباله أن تكون نهاية عمره القصير خدمته لرسول الله ودعوته التي لم تكن شيئا أمام الثلة الأولى من الذين سارعوا للإسلام وقدموا في سبيله الغالي والنفيس؟ أي مكانة حزتها يا عبدالله عند الله وعند رسوله حتى تغادر الدنيا في عامك السادس والعشرين وقد أسلمت وأنت ابن السادسة عشرة ولم تعمر في بستان المصطفى ومدرسته الإيمانية غير سنوات عشر، لتنال رضا الله ومحبة رسوله، وتنال شرف دعوة حبيبك المصطفى ﷺ، ورضاه عنك ودفنك بيديه الكريمتين؟

الصحابي الذي عرف بلقبه دون اسمه وطبقت سيرته الآفاق، وقد كان راسخ اليقين بالله وبدعوة نبيه الكريم ﷺ، وهو الذي شكل أنموذجا حيا للمؤمن الذي لم تغره الدنيا بزخارفها ومغرياتها.

ذاق صاحبنا اليتم صغيرا، وتنعم في مباهج الحياة في كنف عمه الذي أغناه، لكن «ذو البجادين» آثر أن يتاجر مع الله، ضاربا عرض الحائط بتلك المباهج، أملا في حياة أخرى حيث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أصل اسمه قبل إسلامه رضي الله عنه عبد العزى، وقد أسلم وهو ابن ستة عشر، وما إن علم عمه بذلك حتى نزع من ابن أخيه كل ما أعطاه، حتى ثوبه، فانطلق إلى أمه عاريا فقامت إلى كساء مخطط لها من شعر وصوف فقطعته قسمين، فائتزر بأحدهما وارتدى الآخر.

صلى مع رسول الله ﷺ الفجر فسأله: «من أنت؟»، فأجاب: عبد العزى، فقال الرسول ﷺ: «أنت عبدالله ذو البجادين، فالزم بابي». ففعل، وكان يرفع صوته بالقرآن والذكر.

تعلم الإسلام رضي الله عنه بطريقة فريدة، فقد كان يلجأ للصحابة المارين من قريته، يسير معهم ووراءهم يسمع كلام الله وأحكام دينه ماشيا، وهو يلح على الصحابة «علموني، علموني»، وكان رضي الله عنه يطمع في إسلام عمه، فقد رفض بداية مرافقتهم للرسول ﷺ أملا في تحقيق أمنيته بإسلام عمه، إلى أن صارح عمه يوما بإسلامه وعرض عليه الإسلام فرفض بشدة وغضب.

أسكنه رسول الله ﷺ مع أهل الصفة، حتى حضرت غزوة تبوك، فخرج للجهاد، وفي الطريق طلب من رسول الله ﷺ الدعاء له بأن يموت شهيدا، لكن النبي ﷺ رفع يديه وقال: «اللهم حرم دمه على سيوف الكفار». فقال عبدالله ذو البجادين: ما هذا قصدت. فقال النبي ﷺ: «يا عبدالله إن من عباد الله من يخرج في سبيل الله فتصيبه الحمى فيموت، فيكون شهيدا، وإن من عباد الله من يخرج في سبيل الله، فيسقط من فرسه، فيموت فيكون شهيدا».

توفي رضي الله عنه في غزوة تبوك، وقد ذكر ابن مسعود تفصيل ذلك بقوله: أصابنا جوع شديد فخرجت ذات ليلة فرأيت نويرة تبص فقلت: لأدنون منها لعلي أصيب عندها طعاما، قال: فدنوت فإذا رسول الله ﷺ، في القبر يحفر، يناول أبا بكر وعمر التراب، وإذا عبدالله ذو البجادين مسجى، فلما دفنوه قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني راض عنه فارض عنه» ثلاثا، أما ابن مسعود فقال: فوالله لوددت أني مكانه، ولقد أسلمت قبله بخمس عشرة سنة.

ومما قيل في حق هذا الصحابي وكرامته: لم ينزل رسول الله ﷺ في قبر أحد إلا خمسة، منهم عبدالله بن عبد نهم المزني «ذو البجادين» رضي الله عنه.

المراجع

❖ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١٢م.
❖ سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه وأصوله



فقه رعاية العائلة في ضوء مقاصد الشريعة

وضع الإسلام نظاما للناس في حياتهم، وخط لهم معالمه، وبين لهم حدوده، وقدم لهم منظومة تشريعية وأخلاقية؛ تحمي ذلك الكيان الاجتماعي، فأقل وحدة في المجتمع هو الإنسان الذي كرمه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسله - عليهم الصلاة والسلام-، وهذا النظام هو نوع من تكريم الله تعالى لبني آدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، وجعل لهذا الإنسان أزواجا وذرية، وهو ما يعرف بالعائلة أو الأسرة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (النحل: ٧٢).

كما جعل الرجل هو المسؤول عن هذه العائلة والقائم على أمرها، كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤)، ومعنى كون الرجل مسؤولا، يعني أن الله تعالى يسأله ويحاسبه على القيام بواجبه تجاه زوجته وأولاده وأهله، كما قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤)، فالمسؤولية في الإسلام تكليف قبل أن تكون تشريفا، فهي تكليف يحاسب عليها المرء في الدنيا والآخرة، وهو تشريف أن يقوم بهذا الواجب؛ فيثاب عليه عند ربه، ويحمد به عند أهله، إن قام بما يجب عليه.

معنى العول والعيال

ولذلك كان من معاني (العيال) أنهم الأشخاص الذين ينفق عليهم الإنسان، قال الجوهري: «وعال عياله يعولهم عولا وعيالة، أي قاتهم وأنفق عليهم»[1]. وقال الكسائي: «يقال: عال الرجل يعول

إذا كثر عياله»[٢]. وقال ابن الأثير: «يقال: عال الرجل عياله يعولهم إذا قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة وغيرهما»[٣].

الرعاية تكليف

وإن من سوء الفهم عند بعض الرجال أن يظن أن القوامة له تعني أنه مطلق التصرف في أهله كيف شاء، وأنه مطاع بلا قيد ولا قانون، وأنه سيد حاكم عليهم كيفما شاء، متذرعا بأن الشرع أعطى له ذلك الحق، وذلك فهم للدين سقيم، وبعد عن فهم العالمين، وحيد عن نهج الصالحين، فإن القوامة تعني الخدمة والمسؤولية والتربية والعناية والمتابعة، وقد أشار النبي ﷺ إلى أناس سيضيعون أماناتهم ويخونون عهودهم مع ذويهم وأهليهم، ويضيعونهم بتقصيرهم في حقهم وعدم القيام بما يجب أن يقوموا به تجاههم من النفقة عليه والرعاية لهم وحمايتهم، كما في الحديث عند أبي داود والحاكم وصححه: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول».

والعائل قد يكو رجلا؛ كما هو الحال غالبا، وقد يكون امرأة، كتب الله تعالى عليها ذلك؛ كأن تكون أرمل توفي عنها زوجها، أو تكون مطلقة، أو كل امرأة ليس عندها من يعولها وعندها من تعوله هي.

تغيير مفهوم المسؤولية

كما أن مفهوم المسؤولية أصابه شيء من العطب في عصرنا، فظن كثير من الآباء والأمهات أن المسؤولية هي أن يطعموا أبناءهم أفضل الطعام، وأن يلبسوهم أحسن الثياب، وأن يلحقوهم بأرقى المدارس والجامعات الأجنبية، دون عناية بالتربية الحميدة، أو إكسابهم الأخلاق الفاضلة، فكأن التربية عندهم حشو البطون بالملذات، والأوقات بالتفاهات، والتسلية بالألعاب في غالب الأوقات، ونسوا أن الإنسان قبل أن يكون جسدا، فهو عقل يفكر، وروح تسمو، وقلب يعقل، فإن شهوة الطعام والشراب يتساوى فيها الإنسان والحيوان، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢)، فحري بالآباء ذوي القلوب، والأمهات ذات الأفئدة أن يتقوا الله في أولادهم، وألا يضيعوهم بترك التربية والأدب، الذي هو: «رياضة النفوس ومحاسن الأخلاق، ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»[٤]، فيجمعون في رعاية أبنائهم بين الأدب والتعليم، «والفرق بينه وبين التعليم: أن التأديب يتعلق بالمروءات، والتعليم بالشرعيات، أي: أن الأول عرفي، والثاني شرعي، أو: الأول دنيوي، والثاني أخروي ديني. وقال بعضهم: الأدب مجالسة الخلق على بساط الصدق، ومطابقة الحقائق»[٥].

الرعاية المشتركة

ولابد في القيام بالرعاية أن تكون متكاملة في الأسرة، فيشترك فيها الزوج والزوجة، لا أن يقوم أحدهما بالتربية والآخر كأنه غريب في البيت، أو ضيف عليه، بل لابد من القيام بالمسؤولية من كلاهما، كما في الحديث عند البخاري ومسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته».

ومن جميل ما قيل في ذلك، ما قاله الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر – رحمه الله–: «ومما صدر من الخواطر: أن الرجل والمرأة كالبيت من الشعر، ولا يحسن في البيت من الشعر أن يكون شطره محكما، والشطر الآخر متخاذلا»[٦]، وإن أعظم ما يسديه الوالدان إلى أولادهم؛ أخلاق تكتسب، وآداب تلتزم، وقرآن يحفظ، وسنة يهتدى بها، فتلك جواهر الحياة، وأنهارها الجارية التي لا ينقطع خيرها، ولا ينتهي فضلها.

الرعاية الأسرية

الناظر في مقاصد الشريعة ليدرك أنها تساهم إسهاما كبيرا في رعاية من نعول من أبناء وزوجات وآباء، ومن أهم تلك المعالم ما يلي:

حفظ الأديان

إن أول الواجبات الشرعية التي يجب على المرء أن يقوم بها تجاه من يعوله هو حفظ دينهم، ذلك

أن أول مقاصد الشريعة العظمى، هو حفظ الدين، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (التحريم: ٦).
قال أبوطالب المكي: «فأضاف الأهل إلى النفس وأمرنا أن نقيهم النار بتعليم الأمر والنهي كما نقي أنفسنا النار باجتناب النهي، وجاء في تفسير ذلك: علموهن وأدبوهن»[٧].

بل إن رعاية الأهل من أعظم المجاهدة، ولها أعظم الثواب، كما قال الإمام الغزالي: «مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعي في إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فإنها رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم»[٨].

العناية بالعقيدة

ومن مظاهر حفظ الدين فيمن نعولهم العناية بتعليمهم الإيمان والعقيدة الصحيحة، كما في حديث ابن عباس: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٨٠٢).
ذلك أن العقيدة هي أساس الحياة، والعقيدة ليست كلمات تحفظ، أو مناقشات تسجل، بل هي روح سارية في الإنسان تضبط حركاته وسكناته، ولهذا كان تأثيرها في حياة الإنسان ممتدا، فـ«الانحراف في العقيدة لا تقف آثاره عند حدود العقيدة، بل يتمشى في أوضاع الحياة الاجتماعية وتقاليدها. فالعقيدة هي المحرك الأول للحياة، سواء ظهرت، أو كمنت»»[٩].

التدريب على العبادات

ومنها: تعويد الأبناء على العبادات كالصلاة والصوم والحجاب، وتذكير الزوجة والكبار، وتعليمهم القرآن الكريم، فإنه من أوجب الواجبات في حقهم.
وقد ورد فيها عدة أحاديث، من ذلك: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين وأضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه ابن ماجه).
ومنها: تعليمهم شيئا من القرآن. وفي الصحيحين: عن الربيع بنت معوذ بن عفراء: «فكنا بعد ذلك نصومه، ونصوم صبياننا الصغار منهم».

تعليم الأخلاق والآداب

ومنها: تعليمهم الأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية، من آداب الطعام والشراب واللباس والخروج والدخول وغيرها، ومن ذلك ما رد في الصحيحين من حديث النبي ﷺ: «يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، ولهذا قال أبو حامد الغزالي يقول: «إن الصبي إذا أهمل في ابتداء نشوه؛ خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذابا، حسودا، سروقا، نماما، لحوحا، ذا فضول وضحك، وكياد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب»[١٠]، ولهذا كان الولد أحوج ما يكون إلى الأخلاق، ولا يسهل تربيته إلا في الصغر، ولهذا قال ابن القيم - رحمه الله-: «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج: الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره، من حرد، وغضب، ولجاج، وعجلة، وخفة مع هواه، وطيش، وحدة، وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز؛ فضحته ولا بد يوما ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها»[١١].

حفظ النفوس

ومن واجب الرعاية لمن نعول حفظ النفس، وهذا يشمل ألا نعرضهم للخطر، أو الأذية، فإن الصغار لا يفقهون ذلك، فكان واجبا علينا حمايتهم ورعايتهم، وإن من المؤسف أن ينشغل بعض الآباء والأمهات تاركين أولادهم يتعرضون لأخطار؛ قد تصل بذلك إلى حد الموت، أو الإصابة الخطيرة، ومن ذلك القيام بشأن مداواتهم إذا مرضوا والسعي نحو الحفاظ على صحتهم وأبدانهم، ومنها: تعويدهم الآداب الصحية التي تحفظ عليهم صحتهم، فلا يصابون بالتخمة أو غيرها مما

يعيق مسيرتهم في الحياة، وقد وضع النبي ﷺ في السنة نظاما صحيا؛ يحفظ على الإنسان حياته، وقد كان النبي ﷺ يتفقد صحة الصغار، من ذلك تفقده أبناء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بعد موته، فقال لأمهم أسماء بنت أبي عميس: «ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة؟! أتصيبهم الحاجة. قالت: لا، ولكن العين تسرع إليهم، قال: «ارقيهم». قالت: فعرضت عليه، فقال: «ارقيهم» رواه مسلم.

ومن ذلك:

النفقة على العيال

فمن الواجبات الشرعية التي تلزم الإنسان النفقة على عياله وزوجته ومن يعولهم، وهو فرض عين عليه؛ يأثم بتركه، كما قال السرخسي: «إن كان له عيال من زوجة وأولاد فإنه يفترض عليه الكسب بقدر كفايتهم عينا لأن الإنفاق على زوجته مستحق عليه قال الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ (الطلاق:٦) الآية معناه وأنفقوا عليهم من وجدكم»[١٢].

وقال الحارث المحاسبي - رحمه الله-: «فالرجل راع لما استرعى يجب عليه القيام بأمرهم من أمر الدين والدنيا وكذلك من أوجب الله تعالى عليه عيلته وفرض عليه القيام بأمره من الآباء والأمهات والأزواج وصغار الأولاد الذين لم يختلف المسلمون في أن أمورهم واجبة وأن تركهم معصية إذا كانوا في حال الحاجة»[١٣].

على أن الإطعام والنفقة يجب أن تكون من حلال وإلا كانت وبالا على كاسبها يوم القيامة، «ويقال: أول من يتعلق بالرجل يوم القيامة زوجته وولده، فيوقفونه بين يدي الله عز وجل فيقولون: يا ربنا خذ لنا حقا من هذا، فإنه ما علمنا ما نجهل، وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم، قال: فيقتص لهم منه»[١٤].

حفظ العقول

ومما يغفل عنه كثير من الناس العناية بتربية العقول، ولأهميتها جعلت من مقاصد الشريعة العظمى، ومظاهر العناية بحفظ العقل كثيرة، منها: تحريم شرب الخمر وغيرها مما يضره، وكذلك وجوب التعليم، كما في حديث ابن ماجه: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وكذلك القراءة والثقافة، فإن لها أثرا كبيرا في تربية العقول، فيرشدهم إلى قراءة القصص النافعة والكتب الماتعة، كما عليه أن يرشده إلى مهارات التفكير.

ومن مظاهر حفظ العقل «أنه ربى العقل على روح الاستقلال في الفهم والنظر واتباع البرهان ونبذ التقليد غير القائم على الحجة كما في قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (الأنبياء:٢٤)، ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ (المؤمنون:١١٧). كما دعا إلى تنمية العقل ماديا ومعنويا:... كما أتاح فرصة التعليم للجميع وجعله حقا مشاعا بين أفراد المجتمع، بل جعل حدا أدنى منه واجبا على كل مسلم ومسلمة.. ورفع مكانة العقل وتكريم أولي العقول في أكثر من آية من القرآن الكريم،.. وحرر العقل من سلطان الخرافة وإطلاقه من إسار الأوهام، ودعا إلى تدريب العقل على الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة»[١٥].

وفي الجملة، فإن الناظر إلى مقاصد الشريعة الكبرى ليدرك أنها تساهم في الرعاية بمن نعولهم من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم وأموالهم، وأن تلك الرعاية من أوجب الواجبات الشرعية.

الهوامش

١ - «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (١٧٧٦/٥).
٢ - «الغريبين في القرآن والحديث، للهروي» (١٣٤٣/٤).
٣ - «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣٢١/٣).
٤ - «التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي» (ص/٤٢)، و«الكليات، الكفوي» (ص/٦٥).
٥ - «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني» (٨٩/٢).
٦ - «الأعمال الكاملة- جمع علي الرضا الحسيني، محمد الخضر حسين» (١١١/٢).
٧ - «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» (٤١٥/٢).
٨ - «إحياء علوم الدين» (٣١/٢).
٩ - «في ظلال القرآن، سيد قطب» (٢١٧٧/٤).
١٠ - «إحياء علوم الدين» (٧٢/٣).
١١ - «تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم» (ص/٢٤٠).
١٢ - «الكسب - بشرح السرخسي -» (ص/٥٧).
١٣ - «المكاسب والورع والشبهة» الحارث المحاسبي (ص/ ٣٢).
١٤ - «قوت القلوب، أبو طالب المكي» (٤١٥/٢).
١٥ - راجع: مقاصد الشريعة الإسلامية، للطاهر ابن عاشور، (ص/ ١٩-٢٣).

السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية



لا تضيع من تعول

الإسلام يريد أن يغرس في أبنائه القيم التي تجعلهم فاعلين في الحياة، يملأونها عمرانا وحيوية ونماء؛ ومن هذه القيم التربية على المسؤولية، والشعور بالآخرين، والحرص على التواصل الإنساني، سواء بين من تجمعهم علاقة القربى أو بين عموم أفراد المجتمع. وفي هذا الصدد يأتي التوجيه النبوي المهم: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول»، وفي رواية «من يقوت». فعن جابر الخيواني، قال: كنت عند عبدالله بن عمرو فقدم عليه قهرمان من الشام، وقد بقيت ليلتان من رمضان، فقال له عبدالله: هل تركت عند أهلي ما يكفيهم؟ قال: قد تركت عندهم نفقة، فقال عبدالله: عزمت عليك لما رجعت فتركت لهم ما يكفيهم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول»[1].

فهذا التوجيه النبوي له دلالات كثيرة ينبغي أن نتوقف عندها؛ وهي تدل في مجملها على ما يريد الإسلام أن ينشئ أبناءه عليه من التربية على المسؤولية، وحفظ الأمانة، والتواصل الإنساني بين الأجيال.. إلى غير ذلك من القيم التي لا غناء عنها لإقامة مجتمع سوي فاعل.

التربية على المسؤولية

فالمسلم في هذه الحياة لا يعيش عابثا لاهيا، لا هدف له ولا غاية؛ وإنما هو إنسان يدرك جيدا أنه خلق لغاية محددة، وأنيطت به وظيفة سامية، وأنه لا يعيش عبثا ولن يترك سدى؛ فقد خلقه الله

تعالى وكرمه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وجعله في هذه الدنيا دار العمل والاختبار، ثم سيبعثه ليحاسبه على ما قدم، ويجازيه جنة أو نارا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون:١١٥-١١٦).

فالإنسان مكلف ومسؤول ومحاسب، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تأتي سائر تصرفاته؛ سواء في علاقته بالله تعالى، أو علاقته مع نفسه، أو علاقته مع الآخرين.

وإذا كان الإسلام قد شرع الزواج ليحقق للإنسان العفاف والإحصان؛ فإن هذا الزواج الذي يتم بكلمة الله تعالى تترتب عليه مسؤولية كبرى على الإنسان تجاه من يختارها زوجا له، وتجاه من ينشأ من هذا الزواج من أبناء وبنات.

عن عبدالله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته»[٢].

إذن، الإسلام يربي أتباعه على المسؤولية، ويغرس فيه هذه الروح التي تجعلهم يتفانون في تقديم الرعاية والعناية لمن جعلهم الله تعالى تحت أيديهم، ويبذلون ذلك عن طيب خاطر وشهامة نفس؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٣٣). بل ورتب الإسلام لذلك جزاء حسنا، وعد هذا العمل في «سبيل الله»؛ لأنه كما توجد عقوبة على التضييع، يوجد جزاء على الحفظ والأداء. عن كعب بن عجرة قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب النبي ﷺ من جلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء وتفاخرا فهو في سبيل الشيطان»[٣].

وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله». قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال، ثم قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيال صغار، يعفهم أو ينفعهم الله به، ويغنيهم؟![٤].

حفظ الأمانة

ويمكن أن نلاحظ أيضا أن الحث على عدم إضاعة من نعول داخل في مفهوم «الأمانة» وضرورة حفظها وعدم تضييعها؛ فإن الأمانة مفهوم يتسع لكل ما أمرنا بصيانته وأدائه؛ فالزوجة عند زوجها أمانة، والأبناء عند آبائهم أمانة، بل والجوارح عند الإنسان أمانة؛ فلا يصح أن يضيع هذه الأمانات أو يفرط في حفظها.

وحفظ الأمانة فيما يخص الزوجة يقتضي حسن معاشرتها والقيام على حقوقها وعدم الإساءة إليها؛ وإنما يكون معها كما بيّن الحديث الشريف، فيما رواه حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟، قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت». قال أبو داود: «ولا تقبح»: أن تقول: قبحك الله[٥].

وحفظ الأمانة في الأبناء أن نوفر لهم حاجاتهم المادية من مأكل ومشرب ولبس وغيره، وأن نعتني أيضا بحاجاتهم المعنوية من التربية والتوجيه والتأديب، برفق وصبر؛ قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢). وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[٦].

وهكذا لم يجعل الله تعالى الزوجة والأبناء عند الرجل ليتسلط عليهم ولا ليهملهم؛ وإنما ليقوم عليهم خير قيام، ويعتني بهم جيد الاعتناء، وهو يعلم أن هذا من تمام مسؤوليته تجاههم، وقوامته عليهم،



وأمانتهم عنده، وأن له بذلك جزاء حسنا عند الله سبحانه.

اتساع دائرة المسؤولية

وإذا كان المسلم يعيش في هذه الحياة بروح المسؤولية؛ فإن دائرة المسؤولية هذه تتسع حتى تشمل الجماد والنبات والحيوان؛ ولهذا نهينا عن الإفساد في الأرض، أو إيذاء الحيوانات، أو غير ذلك من صور الإفساد وعدم المسؤولية.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف:٥٦). ففي هذه الآية نهى سبحانه «عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر. فهو على العموم على الصحيح من الأقوال. وقال الضحاك: معناه لا تغوروا الماء المعين، ولا تقطعوا الشجر المثمر ضرارا»[٧].

قال ابن كثير: ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضر ما يكون على العباد. فنهى الله تعالى عن ذلك، وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه، فقال: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: خوفا مما عنده من وبيل العقاب، وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب. ثم قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إن رحمته مرصدة للمحسنين، الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره[٨].

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلا»[٩].

إذن، دائرة المسؤولية التي يتحرك المسلم فيها تتسع حتى تشمل سائر الكائنات من حوله، بل وتشمل كل ما سخره الله تعالى له من سماء وأرض وبحار؛ فعليه أن يديم حالة الصلاح التي خلق الله هذه الأشياء عليها، ولا يدخل عليها الفساد بسوء أفعاله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١).

التواصل بين الأجيال

والقيام بحقوق من نعول يحقق أيضا قيمة التواصل بين الأجيال؛

فالمسلم ليس مسؤولا عن نفسه فحسب، كما أشرنا، وإنما عن أبنائه وعن كل من يمت لهم بصلة قرابة، متى عجز صاحب الحق الأصيل عن ذلك؛ والقاعدة الأساسية التي توجب ذلك هي «الغنم بالغرم» وأن الإنسان كما يستحق الإرث من أقاربه، حسب التقسيم المشروع، فإن عليه النفقة تجاههم أيضا، حسب درجة القرابة وانعدام من هو أولى منه بالإنفاق.

وبهذا تتواصل الأجيال، ويعيش المجتمع كأنه أسرة واحدة ذات دوائر متداخلة، ولا يعيش أفراده منعزلين، حتى داخل الأسرة الصغيرة، كما نرى في الغرب الذي بلغت به الفردية حدا يدفع فيه الزوج ثمن مشروباته هو وحده إن جلس مع زوجه في مقهى عام!

أولى الناس بالإعالة

وإذا كانت دائرة من يعوله الإنسان تتسع هكذا، فينبغي عليه ألا ينسى أمرا أساسيا هنا، وهو أن نفسه التي بين جنبيه هي أولى الناس بالرعاية. وهذا معنى مهم، لاسيما إذا قصدنا بالرعاية هنا جانبها المعنوي، أي حسن تعهدها بالتوجيه والمراقبة والمحاسبة.

وقد لفت القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ (التحريم:٦). وعن أبي هريرة، قال: أمر النبي ﷺ بالصدقة، فقال رجل: يا رسول الله، عندي دينار، فقال: «تصدق به على نفسك»، قال: عندي آخر، قال: «تصدق به على ولدك»، قال: عندي آخر، قال: «تصدق به على زوجتك»، أو قال: «زوجك»، قال: عندي آخر، قال: «تصدق به على خادمك»، قال: عندي آخر، قال: «أنت أبصر»[١٠].

وهذا الأمر يعلمنا ترتيب الأولويات، ويرشدنا إلى ضرورة العناية بالنفس أولا، ليس من قبيل الشح والأنانية؛ وإنما لأن نفس الإنسان هي منطلقه في الإصلاح، وقاعدته التي يستند إليها؛ وكما يتوجه إليها بالتربية أولا حتى يصح قوله في الآخرين، عليه أن يعود عليها أولا بالنفقة قبل الآخرين.

الإعالة ليست مادية فحسب

إذن، كما سبقت الإشارة، فالإعالة ليست مقصورة على الجوانب المادية فحسب، وإنما تضم إليها الجوانب الروحية والنفسية والخلقية؛ وبهذه الناحية الثانية تتحقق النجاة من النار؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾، أي -كما ذكر ابن عباس- اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار[١١].

وهذا درس مهم للآباء بأن يعتنوا بتربية أبنائهم روحيا ونفسيا وخلقيا، كما يهتمون بتربيتهم ماديا، بل أشد؛ فإن حاجة الجسد يسهل تدبيرها وتداركها، بخلاف حاجة الروح..

وكم نتسبب في تضييع أبنائنا حين نهتم فحسب بجوانب التربية المادية من الطعام والشراب، ونغفل عن التربية الحقة! فهذا هو تضييع لمن نعول، وعدم قيام بالأمانة الموكلة إلينا.

وهكذا نرى أن الأمر بعدم تضييع من نعول، يتضمن العديد من القيم والتوجيهات المهمة، وأنه دائرة متسعة جدا من المسؤولية والأمانة؛ دائرة تلقي بظلالها على الإنسان تجاه الكون المحيط به وما يشمله من جماد ونبات وحيوان.. كما أن إعالتنا لمن هم أمانة عندنا من الزوجة والأبناء وغيرهم، هي إعالة شاملة غير مقصورة على النواحي المادية.. وبهذا يتربى المسلم على الشعور بالمسؤولية وحفظ الأمانة.

وهل الدين إلا أمانة كبرى من الله تعالى، رضي الإنسان بتحملها، وعليه تجاهها مسؤولية ثقيلة!

نسأل الله تعالى أن يعيننا على أداء ذلك خير أداء؛ حتى يرضى عنا ويجزينا الجزاء الأوفى.. اللهم آمين.

الهوامش

١- رواه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. الحديث رقم (٨٥٢٦).
٢- متفق عليه.
٣- قال العراقي: رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة، من حديث كعب بن عجرة، بسند ضعيف.
٤- صحيح مسلم، حديث رقم (٩٩٤).
٥- سنن أبي داود، حديث رقم (٢١٤٢). وقال الألباني: حسن صحيح.
٦- سنن أبي داود، حديث رقم (٤٩٥). وقال الألباني: حسن صحيح.
٧- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٢٦/٧.
٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٢٩/٣.
٩- متفق عليه.
١٠- سنن أبي داود، حديث رقم (١٦٩١). وحسنه الألباني.
١١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٦٧/٨.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية



خير ما نورثه لأبنائنا

يفرض الإسلام مسؤوليات تجاه الراعي حول من يرعاهم، منها أن يحفظ عليهم أديانهم وأبدانهم وما وهبوا من قدرات قسمها الله تعالى بين خلقه وفق الحكمة والرحمة.

ونحب أن نلفت النظر إلى أن من أهم الجوانب التي ينبغي على المسلم أن يحفظها على من جعلهم الله تعالى تحت رعايته أن يعتني عناية فائقة بجانب التزكية فهو الذي يجمع الخير كله.

وإذا اعتنى الناس بتوفير المأكل الطيب والمسكن الواسع والملبس الأنيق ومستوى التعليم الذي يؤهل لفرص وظيفية ذات رواتب عالية، فإن المسلم يعتني قبل ذلك وبعده بالتزكية؛ فهي التي تحفظ إنسانية الإنسان وتجعله بارا بوالديه نافعا للناس قائما بما يجب عليه نحو الله ونحو البشر ويكفينا قول الله تعالى في بيان شأن التزكية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ (الشمس:٧-٩)، وماذا ترجو لأهلك وولدك ومن تحب أكثر من الفلاح؟!

ولعل من أهم جوانب التزكية أن يكون بين الإنسان وربه من الحب والإقبال على الله تعالى والخشية والخوف ما يجعله ملبيا لندائه سبحانه وتعالى، فالمؤذن ينادي على المؤمنين حي على الصلاة حي على الفلاح وقد نادى من قبله خليل الرحمن أبو الأنبياء على الناس: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ (الحج:٢٧)، فمن أجاب هذا النداء قال لبيك اللهم لبيك، يبادر المؤمنون إلى تلبية نداء الله تعالى في الصلاة وفي الحج ويتركون ما بين أيديهم من أعمال تربطهم بالحياة ويتكسبون من خلالها رغبة في رضوان الله تعالى وتجديدا لعقد الإيمان وتغذية للقلوب والعقول والأرواح.

كوننا نزكي أبناءنا بالاستجابات المتكررة لنداء الله تعالى يصلهم بحبل الله ويصلهم بأهل المساجد ويصلهم بمحل تنزل الرحمات والبركات والفضل الإلهي.

ونذكر أنفسنا وإياهم بأن نداء الله تعالى للخلق ليس في الأذان فحسب ولا في الحج فقط بل في القرآن الكريم نداءات كثيرة للمؤمنين منها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾

(البقرة:١٥٣)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ (الأنفال:٢٤)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (الأنفال:٢٧).

وقد كانت عناية النبي ﷺ بالتزكية عناية فائقة فكان لا يترك فرصة يمكن أن يلقي كلمة ينفع الله تعالى بها من حوله إلا ألقاها عن عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال لي: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا».

في هذا المشهد الأسري الذي يجمع بين النبي ﷺ وابن عمه وبينهما ما بينهما من التفاوت في السن والمقام إلا أن هذه المسافة التي هي بين جيلين لم تمنع رسول الله ﷺ من التواصل مع واحد من أبناء جيل غير جيله قياما بحق الرعاية وأداء لواجب التزكية.

وهذه المقدرة على التواصل التي كان النبي ﷺ يمتلكها ينبغي أن نحرص نحن أيضا على امتلاكها حتى ينتقل الخير عبر الأجيال وحتى يتواصل المعروف بل حتى نتمكن من التعايش مع أبنائنا.

إن إغلاق قنوات الحوار يوصل إلى الحياة في جزر منعزلة وإلى العقوق من جانب الوالدين ومن جانب الأبناء، إذ البر نتيجة للمحبة ونتيجة لطاعة الله إن لم تكن محبة. إن إغلاق قنوات الحوار يؤدي إلى الغربة بين أفراد البيت الواحد، فكيف نطمع في تحقيق مجتمع مترابط ولبنته الأولى غير موجودة.

ثم إن النبي ﷺ يستحضر ملكات هذا الصبي في الاستماع والفهم فيناديه: «يا غلام»، ليلتفت بكليته ببصره وبصيرته بأذنه وعقله وقلبه، وهذا درس قبل إلقاء الأمور المهمة على سمع من تريد تنبيهه بالنداء ليعلم أنه المقصود وتشحذ فيه ملكاته ومواهبه حتى لا يضيع الخطاب أدراج الرياح.

وانظر إلى هذه الدرر الثمينة والوصية الخالدة التي اشتملت على جملة من الأمور العظيمة ينتظم بها دين المسلم ودنياه، ويعلمنا النبي ﷺ كيف تكون الوصية موجزة وفي ذات الوقت معبرة حتى تجد طريقها إلى العقل ليتفكر فيها وإلى القلب لتعيش فيه، فيكبر الصغير ويزداد وعيه بقيمة الوصية، ويزداد إدراكه لما فيها من صلاح وإصلاح وخير له وللآخرين.

ومما ينبغي على المسلم الحفاظ عليه:

١- الوضوء، وقد مدح النبي ﷺ من يحافظ عليه فقال: «لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[1]. والوضوء طهارة حسية وطهارة معنوية من الخطايا، قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء)، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء)، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء) حتى يخرج نقيا من الذنوب»[2]. وينبغي أن نستصحب هذا المعنى ونحن نتوضأ، وأن نعمل على تطهير أعضاء الوضوء مما تقع فيه مما يغضب الله تعالى، وأن نتسامى عن الصغائر.

وأمرنا بالمحافظة على الصلاة: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة:٢٣٨)، وللصلاة دورها في تنقية العبد من الذنوب، ودورها في صلة المؤمنين بعضهم ببعض وتحقيق الأخوة الإيمانية وفتح آفاق التعاون على البر والتقوى عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه: ذكر الصلاة يوما فقال: «من حافظ عليها، كانت له نورا، وبرهانا، ونجاة يوم القيامة»[3].

ومما يطلب من المؤمن المحافظة عليه الأيمان ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ (المائدة:٨٩)، واليمين التزام وتعظيم لمن تقسم به؛ فينبغي على العبد أن يتأكد من قدرته على الوفاء بما تعهد به حتى لو لم يقسم، والحنث باليمين يزعزع الثقة بين المسلمين ويوغر صدور بعضهم على بعض.

ومما يطلب المحافظة عليه الوقت وهو رأس مال الإنسان، ومن علامات المقت ضياع الوقت فيما لا يعود على الانسان بفائدة في دينه أو دنياه،



وانظر إلى من حافظوا على أوقاتهم فكانت عامرة بالإنجاز مليئة بالعمل الصالح الذي ينفع صاحبه وينفع الناس في الحياة وبعد الممات.

ومما يطلب من المؤمن المحافظة عليه رأسه وبطنه، والمحافظة عليهما هي الترجمة العملية للاستحياء من الله تعالى الذي هو حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ونجد فيها العقل والسمع والبصر واللسان ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور:٣٠)، ونجد في البطن المعدة ومحافظة المسلم عليها ألا يدخل جوفه طعاما محرما ولا يأكل من مال حرام.

وحفظ القلب من الغفلة والأمراض الأخرى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٣٥)، المحافظة على أداء حقوق الخلق من والدين وزوجة وأبناء وأقارب وذوي أرحام وخدم وعمال يعملون عندك وأجراء تستأجرهم لبعض الوقت وشركاء في عمل أو تجارة وزملاء وجيران وكل من تتعامل معهم لهم حق ينبغي أن تحفظه فتعرفه وتؤديه قدر الطاقة.

يحفظك: فإذا حفظ الانسان ما أمره به ربه حصل على ما وعده الحق سبحانه وتعالى في الآخرة وفي الدنيا كذلك، أما عن مكافآت الدنيا فمنها حفظ الله تعالى للعبد من أمور كثيرة مثل:

حفظه من التعاسة ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)، والتعاسة تحيط بالإنسان المادي المضيع لأمر ربه.

حفظ الله للعبد من اليأس عندما يعلمه أن الله تعالى قريب منه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦)، ونبهه سبحانه وتعالى على الاقتران بين اليأس والكفر ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧)، لأن اليائس يظن أنه ما به من بلاء لا يستطيع الرب جل جلاله أن يصرفه عنه، الذين يعرفون ربهم برحمته وفضله وإحسانه إلى خلقه لا يمكن أن ييأسوا أبدا منه سبحانه وتعالى، واليائس من التعليم لا يمكن أن ينجح واليائس من الشفاء لا يمكن أن ينتفع بالدواء، والجندي اليائس من النصر مهزوم قبل أن يلقى الأعداء فاليأس قتال لصاحبه.

حفظ الله تعالى للعبد من الوساوس وهي تحول حياة أصحابها إلى جحيم لا يطاق فيشك في طهارته وفي صلاته وفي زوجته وفي زميله وفي شريكه وفي الناس جميعا، ويشك في نفسه، يحفظ الله تعالى المؤمنين من الوساوس بما يزرع في قلوبهم من اليقين به سبحانه وبما يتعوذون به من مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (الناس:١-٦)، حفظه للعبد من الضيق وقد كان النبي ﷺ يصيبه الضيق لكنه ضيق من أجل الدين وليس من أجل أمور الدنيا، ولاشك أن الهم بسبب الدين أعظم من الهم بسبب الدنيا ومع ذلك أرشده الله إلى الحفظ من هذا الضيق فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ (الحجر:٩٧-٩٩).

إن خير ما يقوم به المسلم أن يعتني بمن يعول عناية تشمل الجسد والروح والعقل والقلب، عناية تظللها المحبة ويحوطها الود والرغبة في غد أفضل مليء بالخيرات والخبرات النافعة.

الهوامش

١- الموطأ.

٢- صحيح مسلم.

٣- مسند أحمد، وقال محققوه: إسناده حسن.



د. محمد منصور الهدوي
باحث أكاديمي



كتاب أذهل العالم بمحتواه ومبتغاه

«الدليل المصور الموجز لفهم الإسلام»

كتاب «الدليل المصور الموجز لفهم الإسلام» للمؤلف أ. إبراهيم، باللغة العربية المترجم عن الإنجليزية الأصلية إلى عدة لغات عالمية ومحلية، والذي يتحدث بصفة خاصة عن الإعجاز العلمي في القرآن، وأيضا يعنى بمفاهيم الإسلام وتصوره تجاه الفرد والمجتمع، والمكاسب التي تتحقق لك حال كونك مسلما ملتزما بتعاليم الشريعة الإسلامية. هذا الكتاب تصدر قائمة الكتب الدعوية الموجهة لغير المسلمين في عظيم أثره، وكان سببا بعد الله في هداية آلاف البشر إلى الإسلام، كتاب مذهل ليس في محتواه فقط بل أيضا في سعره، فهو كتاب متوسط عدد صفحاته ٧٥ صفحة مطبوعة طباعة ملونة، صدر عن جمعية تبليغ الإسلام بمدينة الإسكندرية المصرية.

يتناول الكتاب الإعجاز العلمي في القرآن منذ بداية نمو الجنين ومنشأ الكون وخلق السماء والأرض والجبال، وربط القرآن مع الحقائق المثبتة في العصر الحالي، وبيان تحدي الله بالإتيان بسورة من القرآن، واستعراض نبوءات الكتاب المقدس على بعثة نبينا ﷺ والمعجزات التي حدثت على يد نبينا ﷺ، ويكشف أيضا حياة النبي ﷺ وأخلاقه وبساطة حياته وتأثيرها على العالم أجمع.

ويتحدث أيضا عن مزايا الإسلام وأنه سبب السعادة الحقيقية وأنه الخلاص والسلام للنفس والمجتمع، وأركان التوحيد والإيمان، وأركان الإسلام، والتعريف بالسنة النبوية وبأحاديث النبي ﷺ وكيف يؤمن المسلم بنبوة عيسى عليه السلام، وكيف يمكن أن يصبح الشخص مسلما، وما هو يوم القيامة، وكيف ساعد الإسلام على التقدم العلمي والتطور، كما يصحح الكتاب الفكرة المغلوطة عن الإسلام أنه دين الإرهاب، مثلما يسلط الضوء على حقوق الإنسان والعدل في الإسلام وحقوق المرأة التي كفلها والترابط الأسري وصلة الرحم وكيف يعامل المسلمون كبار السن والكثير والكثير من المواضيع التي يناقشها هذا الكتاب الرائع بكل ما تعني الكلمة من معنى.

أهداف الكتاب ومحتوياته ومزاياه

هذا الكتاب كتب خصيصا من أجل دعوة غير المسلمين (خصوصا في أميركا) وحثهم على الدخول في الإسلام، مقسما إلى ثلاثة فصول، وتفصيل ذلك فيما يلي:

الفصل الأول من أدلة صدق الإسلام: هذا الفصل يذكر عددا من الأدلة التي تثبت صدق الإسلام

وأن القرآن كلام الله وأن محمدا ﷺ رسول الله، وهي:

١ - الإعجاز العلمي في القرآن: يذكر الكتاب هنا بعض الحقائق العلمية التي لم تكتشف إلا في العصر الحديث وكيف أن القرآن ذكرها مع أنه أنزل قبل قرابة ١٤٠٠ سنة. وقد وثقت المعلومات العلمية في هذا الموضوع بالصور العلمية المأخوذة من الكتب العلمية الغربية (في الغالب) والتي يدرس بعضها في الجامعات الغربية، وتم ذكر اسم الكتاب ورقم الصفحة عند كل صورة حتى يكون أبلغ في إقناعهم بإذن الله.

وتحت هذا الدليل تكلم الكتاب عن الإعجاز العلمي في القرآن في: علم الأجنة - الجبال - أصل الكون - الناصية - البحار والأنهار - البحار العميقة والموج الداخلي - السحاب الركامي. وفي نهاية هذا الدليل ذكر الكتاب أقوال عدد من أساتذة الجامعات من أميركا وكندا وأوروبا وغيرهم الذين يذكرون أن القرآن ذكر معلومات علمية لم تكتشف إلا في العصر الحديث ويقرون في أقوالهم هذه أن القرآن وحي من عند الله، وواحد منهم أعلن في ختام قوله الشهادتين والدخول في الإسلام. وجميع أقوال هؤلاء الأساتذة مأخوذة بالنص من شريط فيديو بعنوان This is the Truth (إنه الحق)، وقد ذكر في الكتاب عناوين للحصول على هذا الشريط لمن أحب أن يشاهدهم ويسمعهم بنفسه حتى لا يكون في نفس القارئ شك في صحة هذه الأقوال بإذن الله، كما أنه ذكر في الكتاب أسماء وأماكن الجامعات التي يدرس فيها هؤلاء الأساتذة.

٢ - التحدي بأن يأتي أحد بسورة من مثل هذا القرآن.

٣ - نبوءات إنجيلية عن قدوم محمد ﷺ.

٤ - تنبؤ القرآن بأمور مستقبلية وقعت: مثل انتصار الروم على الفرس.

٥ - المعجزات التي حصلت للرسول ﷺ: مثل انشقاق القمر وخروج الماء من بين أصابعه.

٦ - زهد الرسول ﷺ.

وفي نهاية الفصل الأول تم ذكر عدد من أقوال غير المسلمين من أميركا والتي يقرون فيها بأن الإسلام هو أكثر الأديان انتشارا في أميركا وفي العالم، وقد تم أخذ هذه الأقوال من صحف أميركية واسعة الانتشار مثل USA Today، ووثقت هذه الأقوال بذكر اسم الصحيفة وتاريخها ورقم الصفحة. وسبب ذكر هذه الأقوال هو ألا يشعر القارئ بأنه وحيد عندما يدخل في الإسلام، وفي ذلك تشجيع له على أن يسلم إن شاء الله.

الفصل الثاني من فوائد الإسلام: هذا الفصل يذكر بعض فوائد الدخول في الإسلام، وهي:

١ - دخول الجنة: والأحاديث التي ذكرت هنا هي: حديث أن أدنى أهل الجنة له عشرة أمثال الدنيا، حديث «أن أدنى أهل الجنة له ما يتمنى وعشرة أمثاله»، موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها حديث «إن غمسة واحدة في الجنة تنسي كل بؤس وشدة الدنيا»، حديث «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

٢ - النجاة من النار.

٣ - السعادة الحقيقية والطمأنينة.

٤ - مغفرة جميع الذنوب.

الفصل الثالث معلومات عامة عن الإسلام: وهو يذكر معلومات عامة عن الإسلام، بعضها أساسي للدخول في الإسلام وبعضها يهدف إلى إزالة بعض الشبهات الخاطئة عن الإسلام، ومن الموضوعات التي ذكرت هنا ما يلي:

● ما هو الإسلام؟

● ما المعتقدات الأساسية في الإسلام: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

● هل يوجد مصدر تشريعي آخر غير القرآن؟ هنا يذكر الكتاب أن السنة هي المصدر الثاني في الإسلام.

● أمثلة من أحاديث الرسول ﷺ: وهنا ذكر بعض الأحاديث التي تشعرهم بعظمة الإسلام مثل: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد»، «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخيارهم خيارهم لنسائهم»، «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، «الكلمة الطيبة صدقة»، حديث الذي سقى الكلب فغفر الله له وفي آخره «في كل ذات كبد رطبة أجر»، «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»، «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»، «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».. وغيرها من الأحاديث.

● ماذا يقول الإسلام عن اليوم الآخر؟ وهنا يذكر الكتاب كيف أن الله يبعث الناس للحساب يوم

القيامة، وكيف أن المسلم في هذا اليوم يدخل الجنة إلى الأبد، وكيف أن غير المسلم يحرم من الجنة إلى الأبد ويدخل النار كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران:٨٥)، وبهذا تكون الحجة إن شاء الله قد قامت على القارئ ولم يعد له عذر في ترك الإسلام، لأنه قد علم مما ذكر من الأدلة في الفصل الأول أن القرآن كلام الله، وهنا يعلم أن القرآن يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

- كيف يدخل المرء في الإسلام؟
- من هو الرسول محمد ﷺ؟
- كيف أثر انتشار الإسلام على التقدم العلمي؟
- ماذا يعتقد المسلمون عن عيسى؟
- ماذا يقول الإسلام عن الإرهاب؟

ومن الأحاديث التي ذكرت هنا والتي تدل بوضوح على أن الإسلام يرفض الإرهاب حديث أن رسول الله ﷺ نهى الغزاة عن قتل النساء والصبيان، حديث أن رسول الله ﷺ كان ينصح الجنود «لا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا»، «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة»، الحديث الذي عد فيه رسول الله ﷺ قتل النفس ثاني أكبر الكبائر، حديث المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت، «إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».. وما إلى ذلك من الأحاديث.

- حقوق الإنسان في الإسلام.
- ما هي مكانة المرأة في الإسلام؟
- كيف يعامل المسلمون كبار السن؟
- ما هي أركان الإسلام الخمسة؟
- الإسلام في الولايات المتحدة.

وغيرها من الموضوعات المختلفة.

وقد قام بمراجعة الكتاب من الناحية الشرعية والدعوية عدد من الدعاة وطلبة العلم (الأميركان والعرب) في أميركا وفي السعودية، وقام بمراجعة الكتاب من الناحية اللغوية اثنان من الأساتذة الأميركان المسلمين في جامعة الملك سعود – الرياض، كما قام بمراجعة المعلومات العلمية فيه عدد من أساتذة الجامعات، كل واحد منهم راجع موضوعات تخصصه. وجميع صفحات الكتاب وصوره الـ٤٣ ملونة (ما عدا ٤ صور علمية). وبالإضافة إلى الصور العلمية فإن الكتاب يضم بين ثناياه عددا من الصور والرسومات الجمالية التعبيرية من أجل لفت انتباه القارئ وترغيبه في الاستمرار في القراءة، كما أنه يضم عددا من الصور لبعض مقدسات المسلمين مثل المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، وكذلك فيه صورة لأحد مخترعات المسلمين القديمة وصورة لبعض كتاباتهم القديمة في مجال الطب، وغيرها من الصور.

ماذا قالوا عنه:

رجل بريطاني يقول:

بالإشارة إلى دليل مختصر لفهم الإسلام أود أن أهنئكم على هذا الكتاب الرائع وأدعو الله أن يجزل لكم الأجر في الدنيا والآخرة، وبعد قراءته أعانني الكتاب على اتخاذ قراري وسرعان ما نطقت بالشهادة.

وهذه فلبينة كانت منصرة ومبشرة تقول:

لقد كان هذا الكتاب «دليل مختصر مصور لفهم الإسلام» أحد الأسباب التي جعلتني أقتنع بدرجة كبيرة جدا أن الإسلام دين الله الحق، إذ كنت مبشرة منصرة نصرانية كاثولوكية لمدة ١٣ سنة.. إنني اعتنقت الإسلام منذ عشرة أشهر، لقد كان الكتاب شاملا ومختصرا ومذهلا وسهلا يعين في الدعوة إلى الإسلام.

وهذا رجل أميركي يقول:

لقد تلقيت الكتاب وقرأته وأجاب على الكثير من أسئلتي وجعلني أشرع في رحلة نهايتها اعتناقي للإسلام.

وهذه أيضا امرأة يابانية تقول:

لعلمك إن كتابك رائع ويتميز بالسهولة وإني متأكدة أن تلك الترجمة اليابانية سيكون لها أثر على اليابانيين في اتباع طريق الله.

المجلس الإسلامي لولاية فيكتوريا بأستراليا يقول:

إننا بالمجلس الإسلامي لولاية فيكتوريا بأستراليا نحاول أن نعنى بشؤون المسلمين في هذه الولاية وكثيرا ما تصلنا تساؤلات من غير المسلمين حول الإسلام وقد أثبت كتاب «دليل مختصر مصور لفهم الإسلام» شعبية كبيرة بين كل من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، وهو ما حدا بعدد كبير إلى اعتناق الإسلام بعد قراءته بفضل الله ولكن جميع النسخ التي لدينا قد نفدت.



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد



من العلماء الأدباء

د. عبد العظيم أنيس والتكامل الأدبي والعلمي

الدكتور عبد العظيم أنيس من النماذج القليلة التي جمعت بين العلم -والتخصص الدقيق فيه- ومجالات فكرية وثقافية رحبة؛ إذ كان أستاذا للرياضيات (الرياضة البحتة) وقام بتدريسها في عدة جامعات في مصر ولندن، ثم إنه أضاف إلى هذا التخصص الدقيق في العلم اهتمامه بالأدب ونقده، بل والتنظير لهذا النقد منذ بواكير حياته العلمية.

سيرة ومسيرة

ولد الدكتور عبد العظيم أنيس في حي الأزهر بالقاهرة، في الخامس عشر من يوليو ١٩٢٣م، وقد تلقى تعليمه قبل الجامعي في هذا الحي العريق، ثم حصل على درجة البكالوريوس في الرياضيات من كلية العلوم جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) مشفوعة بمرتبة الشرف عام ١٩٤٤م؛ فعين معيدا بكلية العلوم بالجامعة ذاتها، ثم سافر في بعثة علمية إلى بريطانيا عام ١٩٥٤م لدراسة الإحصاء الرياضي؛ فحصل على درجة الدكتوراه، وعمل مدرسا بجامعة لندن لفترة، ثم عين عقب عودته مدرسا للرياضيات بكلية العلوم جامعة القاهرة، وقد شغل بعد ذلك وظيفة أستاذ الإحصاء الرياضي في كلية العلوم بجامعة عين شمس، ثم فصل من الجامعة بسبب بعض الأحداث السياسية؛ فسافر إلى لبنان لعدة أشهر، ثم إلى لندن، ثم عاد إلى الجامعة عام ١٩٦٦م وبقي يدرس بعلوم عين شمس، ويشرف على رسائل علمية، حتى لقي ربه يوم الخميس ١٥ يناير ٢٠٠٩م[١].

من مؤلفاته

- العلم والحضارة.
- رسائل الحب والحزن والثورة.
- ذكريات من حياتي[٢].

مشواره في عالم الأدب

اتجه عبد العظيم أنيس للصحافة؛



فنشر عددا من المقالات في بعض المجلات المصرية، وعندما سافر إلى لندن -بعد فصله من الجامعة- ظل يرسل مقالاته التي تدور حول قضايا الثقافة، والعلم، والأدب إلى مجلة (روز اليوسف) ولما عاد إلى مصر ١٩٥٦م عمل في جريدة المساء، ومجلة العربي، والهلال، وغيرها[٣].

«كان الرجل بحق الأستاذ الجامعي المهموم بقضايا بلده، المشارك بفاعلية فيها، والقارئ الموسوعي، الذي قد يثير من القضايا والاهتمامات ما قد يعده البعض من مهام المتخصصين، مثلما قال له عميد الأدب العربي يوما: أنت أستاذ في كلية العلوم، ما لك أنت والكلام في قضايا النقد الأدبي؟»[٤].

وعن تكوينه الثقافي يقول الدكتورأنيس: «وفي هذه المرحلة مرحلة المدرسة الثانوية واظبت طوال الصيف على الذهاب إلى دار الكتب في ميدان باب الخلق؛ للقراءة واستعارة الكتب، فقد كانت ظروفنا المالية لا تسمح بشراء كتب للقراءة العامة، وإن كنت قد استفدت من مكتبة أخي إبراهيم بالمنزل التي تركها عند ذهابه إلى بريطانيا، ومنها قرأت مقامات الحريري، وديوان المتنبي، وديوان الحماسة لأبي تمام، وكتاب قدامة بن جعفر في نقد النثر، وغيرها»[٥].

وكان يسعى جاهدا إلى رفع لواء الثقافة الشاملة؛ بحيث تتكامل الجوانب الأدبية والعلمية لدى الإنسان، بل إنه عد عدم السماح بالجمع بين الدراسات الأدبية والعلمية في الجامعات المصرية من أسباب الجمود، ونقاط الضعف في النظام التعليمي، وفي هذا الصدد يقول: «ولقد واجهت مشكلة عسيرة عام ١٩٣٩ إثر حصولي على شهادة الثقافة العامة؛ إذ كان علي أن أختار إحدى الشعب الثلاث للسنة التوجيهية (آداب، علوم، رياضيات) فقد كنت محبا للغة العربية والأدب والفلسفة، كما كنت محبا أيضا للرياضيات ومتفوقا فيها، ومع أنه بدا لي أن الجمع بين الرياضيات والفلسفة هو أمر طبيعي؛ لأن أفلاطون كتب على باب أكاديميته: «لا يدخلها إلا المشتغلون بالهندسة» إلا أن نظام التعليم في جامعاتنا لم يكن يسمح بذلك... ولقد اكتشفت فيما بعد أن الجمع بين الدراستين يتحقق بسهولة في الجامعات الأوروبية والأمريكية... وفي ظني أن إحدى نقاط الضعف الأساسية في جامعاتنا هو هذا الوضع الجامد الذي لا يسمح بالجمع بين الفلسفة والرياضيات معا، أو بين الرياضيات والاقتصاد... وهكذا»[٦].

سمات المقال العلمي المتأدب لدى عبد العظيم أنيس

اشتمل المقال لدى الدكتور أنيس على سمات عديدة ازدحمت بها مقالاته، غير أن المجال يضيق عن سردها جميعا، ولذا فقد انتخبت منها على سبيل المثال:

التنوع في المقدمة

من البدهيات أن أي عمل لا يبتدئ بداية جيدة واعية قد لا يثمر عملا جيدا ناضجا، كذلك فإن المقالة التي لا يكون استهلالها قويا مؤثرا ممتعا قد لا تفلح في جذب القارئ، وحثه على الاستمرار في متابعة القراءة، واستطلاع جزئيات المقال حتى الوصول إلى منتهاه.

ومن هنا فإن هذه الخصائص التي ترقى بالمقدمة إلى الإمتاع والتشويق بالإضافة إلى التعليم والتثقيف لم تكن بعيدة عن ذهن عبد العظيم أنيس وهو ينشئ مقالاته؛ فالمتتبع للمقدمات لديه يجد أنها حظيت بأهمية بالغة؛ فقد منحها من التنسيق والتنويع والتشويق ما ينم عن معرفة تامة بهدفها الجليل في البناء المقالي المتين؛ فتجده يخرجها بصور وأشكال مختلفة، ومن هذه الصور:

المقدمة التمهيدية

هي عبارة عن تمهيد ذي صلة ورباط وثيق بموضوع المقال، ومن ثم يتخلص منها الكاتب في براعة، لعرض القضية الرئيسة في مقاله، فلا يجد القارئ حينئذ هوة بين المقدمة والعرض؛ لالتصاق كل منهما بقرينه.

وتتوافر المقدمة التمهيدية لدى عبد العظيم أنيس على نحو ما جاء في مقال (العلم والمجتمع في الحضارات القديمة) وأتت المقدمة طويلة مستفيضة حيث غطت حيزا فسيحا من فضاء المقال قبل الولوج إلى فكرته الرئيسة، وفي نهايتها يقول الكاتب: «لقد أردت في هذه العجالة السريعة ضرب بعض الأمثلة، التي تحتم التعرض للإطار الاجتماعي، والاقتصادي، ودراسة قوى الإنتاج الأساسية؛ غير أن ثمة فرقا بين بحث يكتب لهذا الغرض،

وبين بحث يتناول قصة العلوم الطبيعية، وتطورها، ومن هنا آثرت التركيز على إعطاء مقدمة عامة، تتناول في إيجاز كامل طبيعة المجتمع القديم وظروفه»[٧]. ولعل طول المقدمة في هذا المقال أتى لأنه كان بداية بحث استقصائي عن العلم في الحضارات الغابرة نجم على عدة مقالات، نشرت تباعا على صفحات مجلة الهلال.

لا مقدمات

لإن كان تنظيم المقالة إلى مقدمة، وموضوع، وخاتمة، هو الدأب السائد بين كتاب المقال العلمي المتأدب، فإن بعضهم قد يخرج عن هذا الأصل بهجومه على موضوعه دون اعتبار للمقدمة؛ خضوعا لنزعاته الفنية، وما تمليه عليه ظروف مقاله؛ الذي يحتم عليه الولوج إلى لب موضوعه بشكل مباشر، وبناء على هذا يسترسل الكاتب في موضوع مقاله دون أن يضع في اعتباره أهمية التمهيد؛ خصوصا إذا كان المضمون لا يحتمل المقدمات الطويلة «ويمتاز هذا المقال بأن القارئ يجد نفسه مباشرة في قلب المقال، مطالعا موضوعه وتفاصيله بشكل مباشر تماما»[٨].

ومن النماذج الشاهدة على هذا النمط عند الدكتور أنيس ما ورد في مقال (الحاسب الآلي والبحث العلمي) الذي افتتحه قائلا: «بعض الناس يظنون أن الحاسب (الكمبيوتر) هو مجرد مسطرة حاسبة شديدة السرعة، مهمتها القيام بالحسابات المعقدة، وبالطبع فإن هذا فهم قاصر لهذا الجهاز الخطير»[٩]. فهو هنا في هذا الاستهلال نفذ إلى لب الموضوع وتفاصيله بشكل مباشر، لا يخرج عن الفكرة العامة للمقال.

توظيف الأسلوب القصصي

يطمح المقال العلمي المتأدب عامة إلى تقديم المادة العلمية في قوالب مبسطة، تيسر الاتصال بجماهير القراء، ويتوسل بها الكاتب في طرح موضوعه لأكبر عدد من المخاطبين، باستهداف عقولهم ومشاعرهم جميعا، ومن هذه القوالب التي يعمد إلى التوسل بها القالب القصصي، عوضا عن استخدام الخطاب المباشر؛ لأن غرض الكاتب من استخدام هذا القالب في مقاله؛ إثارة القارئ، وجذب انتباهه مع ما به من تبسيط لمسائل العلم ونظرياته فلا يشعر المتلقي بكد الذهن، وعسر الفهم.

والقصة القصيرة أو المشهد العابر أو اللمحة السريعة هي الشكل السائد في هذا اللون لدى عبد العظيم أنيس استمالة للقارئ، أو تفسيرا لفكرة ملحة، أو تمهيدا لموضوع ما، ومن ذلك القصة التي وردت في مقال: (خبرتي في الرياضيات) حين تحدث عن خبرته كباحث في مجال الرياضيات؛ فقد يحدث أحيانا أن تتعقد الأمور في البحث لمدة، وهو دائم التفكير في المشكلة دون نتيجة، وقد يجرب طرقا لا تؤدي إلى الحل، وفجأة يصحو من نومه فيجد فكرة جديدة قد اختمرت في ذهنه، فيجربها فيجد أنها قد أوصلته إلى المطلوب، وأكد أن هذا الإلهام العلمي الذي يحدث له في سنوات البحث يحدث لرياضيين كثيرين، وهو ما يذكره «بالقصة الشهيرة عن (أرشميدس)، العالم الرياضي العظيم، وأحد ثلاثة يجلسون وحدهم على القمة: (أرشميدس)، و(نيوتن)، و(جاوس)، فقد قيل إن (أرشميدس) كان يعمل في بلاط الملك الذي كلفه أن يبحث مسألة الكثافة النوعية للذهب والفضة، وقيل إنه اكتشف الحل الصحيح وهو في الحمام؛ فخرج عاريا وهو يصيح: وجدتها، وجدتها»[١٠].

العناية بسير العلماء

من خلال التدقيق في أشكال المقال العلمي المتأدب، يتبين أنه يجيء مرتديا عدة هيئات: فقد يخرج للقراء وهذا الأعم الأغلب على صورة تبسيط نظرية علمية أو ظاهرة كونية، بما في ذلك عرض بعض المستحدثات في عالم التطور والتقنية، أو توصيف ظاهرة من غرائب المخلوقات، أو عجائب الموجودات التي تعج بها عوالم البحار، أو الحيوان، أو الطيور أو غيرها، وقد يأتي على صورة عرض وتحليل لكتاب علمي، سواء أكان من الكتب العريقة التي كان لها باع عريض في مجالها، وأفاد منها العلماء على مر الزمان، أم كان من كتب المحدثين من العلماء، وأخيرا قد يصدر المقال على هيئة ترجمة لعلم من أساطين العلم المبرزين في مجالي العلوم الطبيعية أو التطبيقية.

وهذه الصورة الأخيرة تتبلور حين يتحدث الكاتب عن أحد جهابذة العلماء في ترجمة يسيرة لحياته، وإنجازاته في الميدان العلمي الذي ذاع فيه صيته، مع تسليط الضوء

على ملاحظاته وتجاربه وإسهاماته التي أحدثت دويا في حقل ما من حقول العلم، وعلى هذا فإن الكاتب قد يعالج أبرز النظريات العلمية التي أثارها ذلك العالم بالشرح والتبسيط، أو يتناول الظواهر التي له فيها فضل اكتشاف مطمورها، أو استجلاء غامضها؛ الأمر الذي أسفر عن تخليد ذكره عبر العصور وسط أساطين العلم.

وقد عرض عبد العظيم أنيس لسير العلماء كثيرا في مقالاته، ومن ذلك على سبيل المثال مقال: «من أخلاق العلماء.. من نيوتن إلى هوكنج»[11]. ومقال: «تخليد عالم رغم أنفه.. حكاية جودفري هارولد هاردى»[12]. ومقال: «أندرية كولموجورف.. واحد من أعظم خمسة علماء»[13].

التنوع في الخاتمة

تعد خاتمة المقال بمنزلة الرسالة الأخيرة التي يمررها الكاتب على عقل وشعور القارئ إيذانا بأن رحلته عبر منازل المقال، وتجوله بين تفاصيله وعناصره على وشك الانتهاء ومن ثم فإن لها أثرا يبقى، بعد أن يفرغ القارئ من مطالعة المقال بكل دقائقه، وللخاتمة في مقال أنيس طرائق وأشكال متعددة، فربما تأتي خاتمة مستقبلية، كتلك التي ختم بها مقال (الحاسب الآلي والبحث العلمي): «ولا يزال المستقبل يحمل إمكانيات أخرى، في المدى الأطول، منها ما أشرنا إليه في صدر هذا المقال، من إمكانية استخدام الحاسب للتحقق آليا من صحة النظريات الرياضية، ثم استخدامها بعد ذلك في البرهنة الآلية للنظريات الرياضية، وهو فتح لو تحقق سوف يكون عظيم الأهمية»[14].

وقد تشتمل الخاتمة لديه على عبارات ترهص بنهاية المقال، وتؤذن بالإجمال بعد التفصيل، والخلاصة بعد البسط، كهذه الخاتمة الواردة في مقال (المستقبليات...) قائلا: «والحاصل أن اهتمام السياسيين في الغرب بمثل هذه الدراسات قد فتر حاليا... ولعل هذا الفتور مصدره حالة الشك التي أثارتها الانتقادات الجادة التي وجهت إلى منهجية هذه الدراسات... إن كل محاولة للتنبؤ هي بمعنى من المعاني اختلاق، فهو تقرير عن وضع ليس موجودا بعد، لكن هذا لا يجعله بالضرورة محاولة متعمدة للتضليل... لكن ادعاء عمليته وحياده لا يزال أمرا بعيدا»[15].

الهوامش

١ - ينظر: فرسان الثقافتين: د.محمد فتحي فرج، ص١٦٢-١٧٢.

٢- ينظر: السابق، ص١٦٨.

٣- ينظر: السابق، ص١٦٣.

٤- فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص١٦٨.

٥- التكوين.. حياة المفكرين والأدباء والفنانين.. بأقلامهم: فصل عبد العظيم أنيس، ص٩٩، كتاب الهلال فبراير ١٩٩٨، العدد ٥٦٦.

٦- السابق، ص١٠١.

٧- مقال: العلم والمجتمع في الحضارات القديمة: د. عبدالعظيم أنيس، ص ١٠٥، مجلة الهلال، العدد ١٠، ١ أكتوبر ١٩٦٦م.

٨- المقال العرضي بين النظرية والتطبيق: د. منال غنيم وآخرون، ص ٣٩.

٩- مقال: الحاسب الآلي والبحث العلمي: د. عبد العظيم أنيس، ص٥٣، مجلة الهلال، العدد رقم ١١، ١ نوفمبر ١٩٩٤م.

١٠- مقال: خبرتي في الرياضيات: د. عبد العظيم أنيس، ص٢٧، مجلة الهلال، العدد رقم ١، ١ يناير ١٩٩٨م.

١١- ينظر: مجلة العربي، ص٥٧، العدد رقم ٣٦٩، ١ أغسطس ١٩٨٩م.

١٢- ينظر: مجلة الهلال، ص ١٨، العدد رقم ٧، ١ يوليو ١٩٩٦م.

١٣- ينظر: مجلة الهلال، العدد ٢، ١فبراير ٢٠٠٣م.

١٤- مقال: الحاسب الآلي والبحث العلمي، ص ٥٧.

١٥- مقال: المستقبليات.. علم أم أيديولوجيا؟، ص٣٨، مجلة الهلال، العدد ٣، ١ مارس ١٩٨٩م.





عثمان إسماعيل محمد حسين
كاتب تربوي أدبي

من الوسائل التربوية.. القصة الشعرية

إذا كان المفهوم العام والغالب للقصة أنها فن من فنون الأدب العربي له هويته وقواعده ومقومات إبداعه، إلا أن الوجه الآخر للقصة أنها من أرقى وأهم مصادر الفكر التربوي ومن أسمى وسائل التربية السلوكية الإنسانية تفعيلا وتأثيرا. وليس أدل على ذلك من «القصص القرآني» التي تزينت بها آيات الذكر الحكيم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ (يوسف:٣) وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (يوسف:١١١)، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (هود:١٢٠)، حيث جاءت القصة القرآنية لها مقاصدها المتباينة وبيان العبرة منها والعظة كطريق للبناء والتقويم.. والارتقاء بهوية الآدمية.

❖ وجاءت القصة أيضا في سياق الحديث النبوي الشريف ابتغاء الفهم والاستيعاب وسبيل الإدراك بأمور الإنسان الحياتية منهجا ودعوة والتزاما وتطبيقا، وامتد فن «القصة» إلى مضمون الشعر العربي عبر عصوره المتعاقبة، حيث استطاع أن يسخر هذا الفن ويطوعه لتحقيق رسالته، حتى إن خبراء المناهج الدراسية في العصر الحديث استعانوا بالقصة الشعرية كوسيلة تعليمية تربوية لبناء شخصية أبناء المدارس الصغار تهيئة لحياتهم وما ينبغي عليها أن تكون، فكان لها بالغ الأثر في البناء السلوكي والنفسي والاجتماعي.

❖ ومن روائع القصص الشعري قصيدة «الثعلب والديك» لأمير الشعراء أحمد شوقي والتي تعد أنموذجا حقيقيا لما ينبغي أن تكون عليه المناهج الدراسية، والتي وإن ارتكز فيها شاعرنا على الرمزية كثيرا، إلا أن غايته التربوية فاقت حدودها أثرا وتأثيرا واستيعابا وإدراكا.

والقارئ لتلك القصيدة إبان قراءته لها يتوهم لأول وهلة أنها طرفة أو أقصوصة فكاهية أو أنها حكاية مسلية لعالم الأطفال والصبيان والغلمان، ولكنه بالتذوق والتأمل يجد أنه أمام دعوة تربوية سلوكية حقيقية إلى نبذ الرذيلة والنفور منها وتمسك الإنسان بعالم الفضيلة والقيم، بل وتكشف عن قضية اجتماعية سلوكية بلغت ذروتها في جسد المجتمع وهي آفة النفاق.

❖ ومضمون القصيدة أن «الثعلب»، الذي إذا ذكر ذكرت معه صفات المكر والخداع والخبث والدهاء، ظهر يوما على غير عادته في غرابة ودهشة ممن حوله وقد ارتدى عباءة الوعظ والإرشاد وتقمص شخصية أصحاب

التقوى والورع والدعوة إلى الفضيلة.

بـــرز الـثـعـلـب يـومـــا
فــي ثـيـاب الـواعـظـيـنـا
فمشى في الأرض يهدي
ويـســب المـاكـريـنـا
ويـقـــول الحـمـد لله
إلــــه... الـعـالمـيـنـا

فها هو يعلن خلاف ما يخفي ويظهر ضد ما يبطن ويبوح عكس ما يضمر... إنها آفة النفاق التي تمارسها بمهارة الشخصية التي تصارع ذاتها وتسيء إلى الآخرين في تحير وحيرة مضلة، حيث يبلغ الأمر ذروته فيكون الفعل غير القول وتلك الكارثة تلك الصفة التي نفر منها القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف:٣)، بل وقد بين جزاء هؤلاء فقال في عقابهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء:١٤٥).

❖ ويستمر الثعلب في ممارسة سلوكه المشين من مكر ودهاء وإتقان الحيل المختلفة والتحايل المذموم.. فها هو يتنكر في شخص «الداعية» وإذا به يحث الناس على التوبة والزهد والحفاظ على نعم الله وأداء الصلاة على وقتها.

يـا عـبـاد الله تـوبـوا...
فـهـو كـهـف الـتـائـبـيـنـا
وازهــــدوا فــي الـعـيـش
إن العيش عيش الزاهدينا
واطـلـبـوا الـديـك يـؤذن
لـصـلاة الـصـبـح فـيـنـا

لكن المنافق لا تؤمن عواقب أفعاله وينعدم حياله الثقة فيه، ففطن الديك لذلك الأمر المريب من رسول الثعلب ودناءة المؤامرة التي يريد بها الثعلب أن يوقع الديك فيها في موقف يسخر منه كل من حوله وهو أن يؤذن في وقت لا صلاة فيه.. إنها رذائل الخبث والتفكير في أذى البشر والاستهزاء والسخرية منهم موقفا ووسيلة.

فـأتـى الـديـك رسـول
مــن إمـــام الـنـاسـكـيـنـا
عـــرض الأمــــر عـلـيـه
وهـــو يـــرجـــو أن يـلـيـنـا
فـأجـاب الـديـك عـذرا
يــا أضـــل المـهـتـديـنـا
بـلـغ الـثـعـلـب عـنـي
عــن جـدودي الصالحينا
عـــن ذوي الـتـيـجـان
ممن دخل البطن اللعينا

هكذا كان رد الديك الذي وهبه الله تعالى الفطنة وحنكة التعامل مع مثل هؤلاء في مثل تلك المواقف إزاء ممن ترسخت في نفوسهم رذيلة النفاق... وزاد من حكمته ونظرته الثاقبة للأمور ورجاحة العقل وصواب الرأي معلنا قوله الفصل مما ورثه من أقوال جدوده.

إنـهـم قـالـوا وخـيـر
الـقـول قـول الـعـارفـيـنـا
مـخـطـئ مـن ظـن يـومـا
أن لـلـثـعـلـب ديـنـا

لقد كان شوقي بارعا في صقل خاتمته بتلك الحكمة الشعرية التي ما زالت ولا تزال ترددها الأجيال.

مـخـطـئ مـن ظـن يـومـا
أن لـلـثـعـلـب ديـنـا

هذه القصة الشعرية تجسد حدة الصراع بين الفضيلة وسعادة الإنسان في عالمها وبين الرذيلة وشقاء الإنسان في تعاستها، ولقد نجح شوقي ببراعة في تطويع الرمزية ليجعل منها وثيقة تربوية غايتها الفرار إلى عالم القيم والفضائل.. فاستخدم الديك رمزا لعالم البراءة وطيب الأخلاق والمبادئ والقيم، الديك الذي ذكره رسول الله ﷺ فقال عنه: «لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة»[1]. الديك رمز الفطرة والخير والحب وهذه سمات الآدمية الحقة.

واستخدم شاعرنا الثعلب رمزا لرذيلة المكر والدهاء والخبث.. تلك الرذائل التي تنفر منها النفس الإنسانية وتأنفها وتأبى أن تتصف بها.

ويمكن القول إن تلك الرائعة من روائع شوقي قد أصابت الهدف عندما حققت غايتها وبعد أن رسخت ماهيتها ورسالتها التربوية وتعرضت لأخطر الأوبئة الاجتماعية وهو آفة النفاق وما يصاحبها من مكر وخبث ودهاء وتحايل وكذب.

ومن هنا فالمتأمل لقصيدة شوقي القصصية يجد أنها جرعة تربوية مؤثرة تزينت بها مناهج اللغة العربية منذ ستين عاما حتى إننا كنا نرددها في الفصل والشارع والبيت أغنية وأرجوزة وقصيدة.. حتى إنها أثرت فينا كثيرا فغرست في الأجيال الصدق والصراحة والعزة والشجاعة الأدبية.. تعلمنا منها أنه من شب على شيء شاب عليه.

تعلمنا أن أروع سمة للشخصية الإنسانية أن تكون على الفطرة التي فطرنا الله عليها.. تعلمنا قول كلمة الحق حتى ولو على أنفسنا.. إننا في مسيس الحاجة إلى أن تحتوي مناهجنا الدراسية على مثل تلك الوسائل والمصادر التربوية المؤثرة، ويكفينا شرفا أن تراثنا يكتظ بمثل هذه القصص وتلك المصادر.. فهل آن الأوان أن نرى أثر ذلك على أبنائنا بناء وصفات وسلوكا؟!

الهوامش

١- أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، ج٢، ص:٢٠٧، ورواه أبو داود عن زيد بن خالد ورمز له بالصحة والحسن.

شـــذرات

عمرو طه

قاص مصري

لا شيء يـؤذي الـروح أكثر من بقائها عالقة في مكان لا تنتمي إليه.

عباس محمود العقاد

يؤدي الألم بالبعض إلى الجنون؛ لكننا لا نرى الألم، نرى الجنون فقط.

سيوران

حدسك ربما لا يخطئ، الغرائز الداخلية ومشاعر عدم الارتياح ما وُجدت عبثاً، هذه طريقة جسدك لإخبارك بأن هناك خطأ ما.

باولو كويلو

الشيء الأكثر إزعاجاً في الحياة، هو أن الشخص الصادق يخسر دائماً في صراع الكلمات، لأنه مقيد بالحقيقة، بينما الشخص الكاذب يمكنه أن يقول أي شيء.

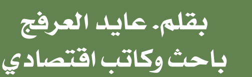
روبرت شيكلي

كل عز لم يؤيد بعلم فإلى الذل يصير.

مصطفى لطفي المنفلوطي

فكلما عظمت الأهداف طال الطريق.

د.مصطفى محمود


بقلم. عايد العرفج
باحث وكاتب اقتصادي

بين الأمل والألم العربي

لماذا توقفنا عن التقدم والتطور في كافة مجالات الحياة ونحن من المفترض أن نكون جاهزين ولدينا العروة الوثقى التي لا انفصام معها أو بعدها وذلك منذ ما يزيد عن (١٣٩٠) عاماً؟!

فالله سبحانه وتعالى أنزل إلينا دستور حياة يصلح لكل زمان ومكان «القرآن الكريم» عن طريق أكرم وأفضل خلق الله رسولنا الكريم النبي الأمي ﷺ الذي بعث رحمة للعالمين عام: (٥٧١م) وبعد أربعين عاماً بعث نبياً للعالمين ورسولاً للمهتدين بدين الإسلام واستمر لمدة (٢٣) عاماً وهو يدعو البشر للإسلام والإيمان بالله ورسوله والملائكة واليوم الآخر، وتوفى في عام: (٦٣٣م)، بعد خطبة الوداع في السنة الحادية عشرة من الهجرة. لذلك يجب الأخذ بالحسبان أن يكون لدينا نظام حياة كامل متكامل في كل مجالات الحياة «life system» لا يحتاج لغيره، يستطيع أن يصل لأهدافه الدنيوية والأخروية يسير برضى الله جل في علاه وفي حياته المعيشية كذلك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾.

وفي هذا الإطار ليس من المعقول أن يتكرر كل عام في كل مناسبة دينية أو اجتماعية الأسئلة البديهية والمعتادة على المفطرات والمبطلات للوضوء وغيرها من أمور حياتية يومية يفترض أننا انتهينا منها وتصل لكل مسلم ومسلمة منذ مئات السنين موحدة وسهلة الوصول للجميع ولا تحتاج النقاش والاختلاف فيها لننطلق بعدها لتحقيق النجاحات ولقيادة الأمم وتخطي القمم واحدة تلو الأخرى.

ومن هذا المنطلق توسعت دائرتنا من صحراء مكة للمدينة المنورة لكل أطراف الجزيرة العربية ومن ثم للعراق ومصر والشام واليمن لبلاد فارس حتى وصلة صوت الإسلام لكل أصقاع وبقاع الكرة الأرضية وتطورنا علمياً ودينياً وثقافياً وعسكرياً وأصبحنا منارة لكل البشر ليخرج منا علماء ومشايخ ودعاة ومفكرين وأدباء ومخترعين وفلاسفة، وقمنا بتأسيس أسس علمية للعديد من العلوم الحياتية مثل الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات والترجمات وإدارات الدولة وبيوت المال وبناء أفخم القصور والمدارس والجامعات والمعاهد والنوافير والحمامات الأندلسية الراقية التي والعديد من النجاحات المبهرة.

وماذا بعد...

أتى الانهيار الكبير والمستمر لعقود وقرون متتالية ومتوالية لعدة أزمان على أهل الإسلام لندخل في دوامة التراجع على كافة الأصعدة ونخسر ما بنيناه من فجر الإسلام حتى خسارة الأندلس وإحراق وإغراق مكتبة بغداد في نهري دجلة والفرات، ولا مناص من القول أن نؤكد بعد هذه الأعوام التاريخية المجيدة غرقنا في عصور الظلام والجهل وتخرج أوروبا من باب الظلام والجهل للنور وتصل للحضارة والعلوم الإسلامية.

هل يعقل أن نقبع في أواخر الحضارات والمنارات العالمية ونحن أمة المليار نسمة من المسلمين و(٤٥٠) مليون نسمة من العرب ونشكل (٥٪) من العالم موزعين على (٢٥) دولة شرق أوسطية وتبلغ نسبة الشباب في الوطن العربي الذين تقل أعمارهم عن (١٨) عاماً ما يزيد عن (٣٣٪) بعدد يفوق الـ (١٠٠) مليون نسمة، وهم يعتبرون ثلثي العرب، وهذه النسبة أكبر بكثير من أمريكا الشمالية والجنوبية وحتى اليابان التي تعتبر دولة العواجيز بلا منازع.

وعلى ضوء كل هذه المعلومات السابقة أيعقل أننا نعاني من نقص الغذاء والدواء ونستوردهما لنصبح الإقليم الأكبر عالمياً للاستيراد لكل المنتجات الاستهلاكية، فإذا كانت أراضي الوطن العربي تصل لنحو (١٤) مليون كيلو متر مربع وهي مساحة هائلة، وتصل مساحة الأراضي الزراعية لنحو (٢٠٠) مليون هكتار بنسبة تبلغ (١٤٪) من المساحة الكلية للوطن العربي لكن المستفاد منها للزراعة فقط (٨٠) مليون هكتار!!

إبراهيم شعبان مصطفى
باحث تربوي



العنوسة ظاهرة اجتماعية خطيرة

إن الناظر عن قرب إلى بيوتات المسلمين يجد مشكلة من أكبر المشاكل التي تهدد كيان الأسر وتعرقل توازنها وتحطم نفوس الآباء والأبناء على السواء، ألا وهي مشكلة العنوس بين الفتيات، وإن الناظر عن كثب لجذور هذه المشكلة يجد أنه تكمن في جملة نقاط:

إن الناس على اختلاف ثقافتهم وطبقاتهم لا يزالون في حاجة لفهم دقيق نحو نظر الإسلام إلى تشريع الزواج وتكييفه على أنه علاقة بين زوجين تربطهما أواصر المودة والرحمة لبناء الحياة السعيدة بما ارتضاه الله لعباده وذلك كي يتحقق السكن المنشود والمودة المرجوة، إذا فهم ذلك الأمر وصار مؤصلا تأصيلا دافعا للعقول ومحركا للقرائح لم يعد للنظرة المادية مجال بعدئذ.

أولياء الأمور

إن البعض من أولياء الأمور نظروا إلى الإسلام بمفهوم ضيق فضيقوا واسعا وكادوا أن يحرموا حلالا، وشقوا على بناتهم فلحق الناس من جراء ذلك عنت وحرج فأخذوا يبتغون أمورا فيها تعسف من جانب، وحرج من جانب آخر بدلا من أن تحقق النعمة والسعادة لكلا الزوجين.

ولم ذلك كله؟ ألمصلحة تعود على الفتاة؟ أو لمصلحة تعود على بعلها أم لمصلحة كليهما؟ الأمر غير ذلك فلا نظلم المصلحة الداخلة في إطار الشريعة فنضعها في غير محلها، بل إنهم فعلوا ذلك ليرضوا هوى في نفوس تمردت على إثبات الذات وتنزيل الناس جبرا على احترامهم، وضربوا عرض الحائط بمصلحة الفتاة البالغة الراشدة ومصلحة الفتى المكافئ لها وفوتوا على المجتمع فرصة المحافظة على الفضيلة فقدموا المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ومصلحة الفرد على مصلحة المجموع فتعثرت الخطى وزادت البلية وعظمت المشكلة.

ارتفاع المهور

استفحلت ظاهرة ارتفاع المهور حتى كاد أن يصبح ذلك عرفا متبعا وعادة محكمة وفي ذلك من تضييق الواسع بالناس مالا يخفى على أحد حتى وصل الأمر بالفقير أن عجز عن أن يتقدم لامرأة ذات مستوى معين وجد فيها عفة وصلاحا.

وإن حدث ذلك منه فربما كان مسارا للسخرية والنكال به، وأعرف رجلا تقدم لابنته رجل وأن هذا الأخير دونه في الجاه والنفوذ، فما كان من ولي الفتاة إلا أن أرسل رجلا ليأخذ بالهدايا التي أحضرها الخاطب ثم قام بوضعها أمام بيته على شاطئ ترعة صغيرة تحقيرا له وعقابا، فعوقب بكسر نفسه بعد كسر قلبه لتحطيم كل معنويات الإنسان أمام جبروت الكبر والطغيان وغمط الناس.

العوامل الاقتصادية

إن بعض بلدان المسلمين تعيش ظروفا غير عادية ولا يستطيع الرجل العادي فضلا عن الفقير أن يعيش فيها، من حيث افتقاد المأوى وارتفاع قيم الأشياء ارتفاعا يمثل شبحا مروعا للشباب قبل أن يتقدم، فيضعف إقدامه ويبدد ثقته ويحطم أمله ويجعله بعيدا يتطلع إلى الأماني والأحلام.

العصبيات الموروثة

إن كثيرا من الفتيات يصلن إلى سن العنوس مبكرا بسبب العصبيات الموروثة من أن عائلة كذا لا تصاهر عائلة كذا وأن ابنته لابد وأن تتزوج من شاب من نفس العائلة بحجة أن بناتهم لا تخرج إلى زوج غريب عن العائلة فيدنس هذا الشرف المصون في نظرهم، كما يعارض أولياء الأمور، تزويج بناتهن، لأنهن موظفات طمعا فيما تدره عليه في نهاية كل شهر من مال، وهناك الألاف من الفتيات فاتهن قطار الزواج بسبب كثرة رفض الخطاب من أجل تصميم الآباء على تكملة التعليم الجامعي، أو الرجل الغني ذو السلطان، مع أن الحق سبحانه وتعالى يحتم أنه متى نضجت الفتاة وتفتحت في سنوات النضارة، وتقدم لها الزوج المناسب، لا يؤجل زواجها لأي سبب، لكننا نرفض ذلك، حتى تذبل الزهور، ويقل الجمال، وتظهر آثار الزمن، وتضيع أجمل سنوات العمر بين الحسرة والانتظار.

ومن العجب أن بعض الأهل يمنعون فتياتهم حلالا، ويسمحون لهن بالتزين خارج البيت، ليتمتع بها الناظرون حراما في كل مكان، دون أن تتمتع هي نفسها بما أودع اللّه فيها من نعم.

تعنت الفتيات

ما يحدث من بعض الفتيات أنفسهن من رفض من يتقدم لهن إذا كان من خارج البلد التي هي فيه، كأن تكون إقامتها في بلد مثلا ويتقدم كفؤ لها من بلد آخر فترفض متعللة بأن مثل هذا الزواج سيباعد بينها وبين محلة أهلها، ولعمر اللّه ما يضر المرأة أن تجد كفؤا لها صاحب سريرة نقية وخلق فاضل حتى ولو كان من أقصى الدنيا، ولو رجعنا إلى تكييف الشرع لهذه المسألة لوجدنا أن مصلحة المرأة الضرورية والجوهرية هو زوجها من صاحب الدين والخلق الحسن الذي إن أحبها أكرمها وإن بغضها لم يظلمها.

أما كون أن هذا الخاطب يقترب من بيت أسرتها موطن محلتها فهذا أمر تحسيني لا يترتب عليه مشقة

أو عنت أو تفويت أمر شرعي، وإذا ترتب عليه ذلك ينبغي مراعاته إذ لا ضرر ولا ضرار، وقد حدث لي أنا شخصيا أن تقدمت لأكثر من فتاة بعيدة عن مكان إقامتي وتكون الموافقة شريطة أن أقطن بجوار أسرتها.

آثار المشكلة

ومشكلة العنوس في بيوتات المسلمين كأي مشكلة تترك آثارا متعددة في مناحي الحياة على اختلافها وتعددها وليست هذه الآثار على طرف بعينه يكتوي بنارها ويلتهب بلسعها ولكنها تصيب الفتيات الفضليات، وتصيب أسرهن، وتصيب المجتمع بل وتصيب الأمة بأسرها.

فهذه المشكلة تترك آثارا نفسية على نفوس الفتيات اللائي ينظرن إلى أترابهن من الفتيات، وقد تزوجت كل واحدة منهن، فيعود ذلك على الفتاة العانس بآلام نفسية مبرحة ربما أودت بمسار حياتها الطبيعي فيظهر ذلك على تصرفاتها وتعاملها مع المخالطين لها، يترتب على هذه الآثار النفسية آثارا صحية فتكاد الفتاة العانس أن تذهب نضارتها خاصة الوجه الذي يحوي جملة المحاسن.

وقد يتطور الأمر أكثر من ذلك فتصاب الفتاة بآلام عضوية نتيجة الحزن والاكتئاب ونفور الناس منها، فقد يحدث في وظائف الجسم خلل لا يجبر أبدا، وللحزن تأثير كبير على الصحة العامة للإنسان، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ (يوسف:٨٤)، وأشد ما يخاف على المرأة منه من آثار خلقية مدمرة، وفقد تنحرف الفتاة عن طريق الجادة في ساعة ضعف إرادتها، خاصة إذا لم تكن على التربية الإسلامية الراشدة، ومع انسياح الأسرة على حياة المجتمعات المتفلتة التي ربما تكون قد انغمست في سيئات الرذيلة وعرضت نفسها لسخط الله تعالى وعقابه.

وهذه الآثار وخاصة النفسية لا تصيب الفتاة فقط، بل تصيب الأسرة كذلك، لأن العضو المصاب يؤثر على بقية الجسد في شدة الألم ومعاناته، فكذلك الأسرة في الإسلام كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

يترتب على هذه المشكلة أيضا آثار خلقية مدمرة على المجتمع لأننا كما ذكرنا إن لم يكن لهؤلاء الفتيات وازع من دين أو خلق أو ضمير ولم يعد لهن قليل من حياء فإن كثيرات منهن -وهنا مكمن الخطر- سيتمردن إلى حمأة الفساد بعيدا عن تعاليم الإسلام، وقيوده الرشيدة لتهذيب السلوك، وتقوية الروابط الكريمة في إطار إسلامي كريم.

كيفية القضاء على هذه المشكلة

إن القضاء على مشكلة ما يستتبع حتما القضاء على جذورها وأسبابها الناشئة عنها، ولما عرفنا فيما مضى أسباب هذه المشكلة كان علاج ذلك ما يلي:

أولا: تصحيح مفاهيم الجاهلية الراسخة في الأذهان واستبدال مناهج الدين بها.

ثانيا: ترغيب الشباب في الزواج المبكر وطرد الخوف من الأذهان.

ثالثا: حث أولياء الأمور على تيسير أمر الزواج عند توفر الدين والخلق. فليس مطلوبا في الزوج المتقدم صاحب الدين والخلق الذي جاء لستر ابنتك ويرضاها زوجة له يغزوها بحنانه وعطفه، ويرضاك صهرا له، أن يكون من أصحاب الثراء الذين يملكون المال والعقار والذهب والفضة ويرفل فيما منعه الإسلام من حلل الحرير والديباج، بل الأمر أيسر من ذلك، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، الأمر أهون من أن تجلس ابنتك قعيدة الدار حبيسة الأوهام فتصاب بكثير من الأمراض العصبية والعضوية، فالذي يحتاجه المرء لأمر زواجه أن يكون لديه مكان يأويهما ولباس يستر عورتهما، والذي يعول عليه ليست هذه الشكليات الزائفة، بل ما ينبغي أن يشدد عليه ولي أمر الفتاة هو توافر الأخلاق الفاضلة والصفات الكريمة مع كمال السيرة وجمال السريرة.

يقول ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»، وفي رواية (وفساد عريض)، (رواه الترمذي).

وأخيرا يبقى دور العلماء والمربين والموجهين بأن يذكروا هؤلاء الفتيان وهؤلاء الفتيات بالعودة إلى إسلامهم والحث على الترغيب في الزواج وبيان مقاصده، الفردية، والأسرية والخلقية والاجتماعية، والاقتصادية والحياتية.



مدحت عبيد
باحث دراسات إسلامية

ظاهرة التنمر عند الأطفال

التنمر ظاهرة عدوانية تجاه الآخر، تتلخص في إظهار السلوك العدواني والعنف تجاه الأفراد، ومن ثم يظهر التنمر بشكل كبير بين طلاب المدارس، يتعرض الأطفال في مرحلة السنوات الأولى من الدراسة، للتنمر من زملائهم وأقرانهم، وهذه للأسف ظاهرة يجب أن يكون للبيت دور كبير في محاربتها. وقد ينتج من خلاله وجود اختلال في ميزان السيطرة تجاه الأشخاص، وأغلب الذين يمارسون التنمر يلجؤون إلى استخدام القوة البدنية لتحقيق نفوذهم على الآخرين، فإن الطفل أو الشخص المصاب بالتنمر يعاني من مشاكل نفسية خطيرة، فكيف نحاول مساعدة الطفل في ابتعاده عن التنمر، حيث إن أغلب المصابين بهذا الداء هم الأطفال في المراحل العمرية المتفاوتة، ما بين خمس سنوات إلى خمسة عشر سنة، فإذا تعرض طفلك للتنمر، شجعه على عدم الرد، طمأنه بأنه يستطيع إخبارك بأي شيء وهو لا يخشى من العقاب، أخبر طفلك بأن هؤلاء المتنمرين ليسوا أقوياء بل يقومون بهذه التصرفات لنقص في أنفسهم، ويريدون الظهور والتباهي، وهذه الأفعال تجرفهم إلى الغطرسة والغرور، وأرشده على الكيفية التي من خلالها يمكنه التعرف على الأصدقاء الأسوياء.

والتنمر اللفظي هو المضايقة اللفظية والسخرية واستخدام ألقاب مهينة عند النداء، هي من خلال استخدام أسماء أو ألقاب غير محببة للأشخاص ولقد نهانا ديننا الحنيف عن ذلك فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الحجرات:١١).

أما التنمر الجسدي، بالتهديد والضرب وإلحاق الأذى بجسده، وخصوصا إن كانت إصابة ظاهرة، واستخدام العنف هو أيضا وسيلة مذمومة، كالتمييز العنصري أيضا.

التنمر الاجتماعي، وهو إفساد العلاقة الاجتماعية للطفل واستبعاده من المشاركات الاجتماعية عمدا، وإخبار الأخرين ألا يصادقوه وإحراجه أمامهم، وهي من علامات تعرض الطفل للتنمر، والتي قد يلاحظها الأهل أو المعلمين والتي تدلهم على أن هذا الطفل يتعرض للتنمر، تحول الطالب لشخص عدواني، الشعور بالخوف أو عدم الأمان، تراجع مستواه التعليمي، تحول مزاجه تجاه النوم والأكل، والدموع المتكررة.

الحد من التنمر

من وسائل الحد من التنمر المشاركة الفعالة تجاه الطفل أو الشخص المصاب بالتنمر، أهمية الترفيه وتجديد الطاقة، مساعدتهم على الخطوات المناسبة لاتخاذ القرارات التي تريكهم، مساعدتهم في كيفية معاملة الناس بشكل صحيح، بحيث يكونوا مطمئنين لمن حولهم، مساعدتهم في طريقة استخدام التكنولوجيا من هواتف نقالة إلى أنترنت وخلافه بما يناسب هويتهم، إعطائهم الثقة في من حولهم حتى يكونوا مجموعات صداقة في المدرسة والنوادي، وهذا سوف يزيد من شعورهم بالاهتمام والقوة التي يسعى إليها المتنمرون، ننصحهم بعدم الانخراط في الغيرة، نحاول أن نجد لهم البيئة الجيدة للحياة البسيطة، تقربهم إلينا ونتحدث إليهم دائما عن معاني الوفاء وأنواع الصداقات العظيمة التي نشأت بين الآخرين ولا ضير أن كانت بين أشخاص كرتونية أو نجوم هم يحبونهم، نسعى لتشجيعهم على التحدث عما يلعبون أو ما يقرأون أو ما يشاهدون.

وقد عرف الباحث النرويجي دان أولويس التنمر على أنه «تعرض شخص بشكل متكرر وعلى مدار الوقت إلى الأفعال السلبية من جانب واحد أو أكثر من الأشخاص الآخرين». وعرف العمل السلبي على أنه «عندما يتعمد شخص إصابة أو إزعاج راحة شخص آخر، من خلال الاتصال الجسدي، أو من خلال الكلمات أو بطرق أخرى».

فلا يقتصر تأثير التنمر على الصحة الجسدية بل يمتد ليؤثر على الصحة النفسية ويسبب مشاكل في التواصل الاجتماعي التأثير الجسدي للتنمر معروف مثل: الكدمات والصداع وآلام المعدة وصعوبات في النوم لكن التأثير الذي يدعونا للقلق هو التأثير النفسي وخاصة الاكتئاب، والتنمر يدمر قدرة الطفل على رؤية نفسه بإيجابية، ويؤدي إلى فقدان الطفل الثقة بالنفس، فعلينا أن نشجعهم على إيجاد طرق مفيدة، حيث تؤدي الثقة بالنفس إلى التحفيز، ويؤدي التحفيز إلى طريقة تفكير أفضل وأوسع آفاقا، وتؤدي طريقة التفكير الجيدة إلى الثقة بالنفس، فيبدأ في الشعور بالعزلة والانسحاب من حياته الاجتماعية، كما أنه توجد علاقة بين تعرض الشخص للتنمر في صغره وبين معاناته في الكبر من اضطرابات نفسية مثل اضطراب القلق والاكتئاب والميل إلى أذية النفس بالمخدرات والسلوك الإجرامي بتهديد الآخرين.



أحمد نصيب علي حسين
كاتب وباحث

التفاهم بين الزوجين

التفاهم بين الزوجين ليس شيئًا يولد معهما، ولكنه مهارة تكتسب، وتنمى مع مرور الأيام والسنوات، والوعي بأهمية التفاهم بين الزوجين من أعظم ما يعين على اكتسابه، فالتفاهم بين الزوجين يساهم في تحقيق السعادة الأسرية، وتقارب وجهات النظر وتحقيق الأهداف الأسرية، وغرس الحب في البيت المسلم، وتخطي العقبات ومواجهة المشكلات، ومن أجل تنمية التفاهم بين الزوجين، نقف مع القراء في هذا المقال لنذكر عددا من السبل والأسباب المعينة على تحصيله.

اختيار الكلمات الطيبة

قد يكون القصد حسن، لكن قد لا يحسن أحد الزوجين اختيار الكلمات المعبرة عن ذلك، فيحدث سوء الفهم، فينبغي للزوج أن ينتقى أحسن العبارات المعبرة عما يريد، وهذا منهج إسلامي فقد قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (الإسراء: ٥٣)، وقال النبي ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» (البخاري).

الكلمة الطيبة لها أثر عظيم في تآلف القلوب وتقارب النفوس وغرس الود بين الزوجين، فينبغي للزوجين البعد عن الكلمات القاسية والعبارات المنفرة التي تثير حفائظ النفوس وتستخرج

الضغائن، وينبغي أن نفكر في الكلام قبل النطق به، ومما ينبغي التفطن له البعد عن ألفاظ العموم في الحديث، مثل قول: أنت دائما تفعل هذا، أو أنت دائما لا تصغي إلي، فهذه العبارات تشعر المرء بالإحباط وعدم القدرة على التغير وكراهية التحدث مع الطرف الآخر، الكلام الجميل فن ينبغي أن نتدرب عليه لنكتسبه فيصير لنا ملكة راسخة في نفوسنا.

حسن الظن بالطرف الآخر

ينبغي أن نحمل المواقف والكلمات على أحسن محمل، فنحسن الظن فيما يصدر من بعضنا من مواقف وكلمات حتى ولو ظهر عليها خلاف ذلك، ولا نبادر بسوء الظن، حتى يبقى الود بيننا، فمهما صدر من سلوك من الطرف الآخر نستطيع أن نجد لها محملا حسنا، هكذا يفعل حسن الظن بأصحابه، لكن ينبغي ألا يضع المرء نفسه في أماكن أو مواقف تعرضه لسوء الظن من الطرف الآخر، فقد قيل: إياك وما يسبق للعقول إنكاره ولو كان لديك اعتذاره.

الحوار المخملي

ينبغي أن يكون الحوار بين الزوجين حوارا جميلا، فيمتلئ بالكلمات الرقيقة، والإنصات الجيد، وعدم المقاطعة، وعدم القصد من الحوار غلبة المحاور، فالهدف من الحوار أن يضيء كل طرف للآخر نقطة لا يراها لا أن ينتصر عليه، ولا أن يحرجه، وينبغي أيضا اختيار الوقت المناسب للحوار فلا يصلح للحوار وقت الغضب ولا وقت الشدائد أو المشكلات.

تخطي وقت الغضب

ينبغي أن نتعامل مع وقت الغضب بحذر، فلا نتحدث فيه، ولا نناقش فيه شيئا، ولا يقترب بعضنا من بعض، بل ولا نجلس معا فيه، فالرؤية في وقت الغضب مشوهة، والكلام فيه مشوش، والبصيرة فيه غائبة، والرأي فيه خاطئ، فوقت الغضب من أخطر الأوقات التي تقع فيها الحوادث، ويحدث فيها الانفصال بين الزوجين، فليتعاملا الزوجان مع الغضب بحذر شديد كما يتعاملان مع المواد الخطرة.

فهم خصائص الطرف الآخر

وهذا من أهم أسباب غرس التفاهم بين الزوجين، فالزوجة العاقلة هي التي تعرف ما يحب زوجها فتفعله، وتدري ما يكرهه فتدعه، والزوج أيضا يحرص على فعل ما تفضله زوجته، وترك ما تكره، وهذه الخصلة تدرك وتنمى بقوة الملاحظة والاهتمام بالطرف الآخر.

الجلسات الرائعة

ينبغي أن يكثر الزوجان من الجلسات الرائعة بينهما، بل ولجميع أفراد الأسرة أيضا، فالجلسات الأسرية التي يتخللها التعليقات الجميلة والطرائف الحسنة، والقبلات الحانية واللمسات الودودة والضحكات المعتدلة، والحكايات الطيبة والذكريات الجميلة، تترك أثرا في القلوب وتساهم في غرس التفاهم بين الزوجين.

الاستفادة من جميع المواقف والمناسبات

ينبغي للزوجين أن يغتنما جميع المواقف والمناسبات لترسيخ التفاهم والحب بينهما، ففي العيد يقدم الزوج لزوجته هدية، وفي وقت الجوع تستغل الزوجة هذه الفرصة لتقديم وجبة من الطعام يحبها زوجها، وفي وقت اعتذار الزوجة عن خطأ فعلته، يبادر الزوج بقول: لأنني أحبك فلذلك أقبل عذرك وأسامحك، وفي وقت التنزه يتذكران الذكريات الجميلة والمواقف الطيبة وهكذا فجميع المواقف والمناسبات فرصة لترسيخ التفاهم بين الزوجين وغرس الحب.

التدرب على المصارحة الجيدة

وهذه نقطة مهمة جدا في بناء التفاهم بين الزوجين وهي التدرب على المصارحة، والمصارحة بين الزوجين ليست سهلة، بل هي سلاح ذو حدين، فقد تكون وسيلة بناء وتقارب، وقد تكون وسيلة هدم ونفور، فلا تكون المصارحة في ذكر أخطاء الماضي، أو ما يدعو لإساءة الظن بالطرف الآخر، وإنما ينبغي أن تكون في معرفة ما يحب كل طرف من الآخر ويكره مما قد يخجل من ذكره، مثل أوضاع المعاشرة الحميمية وما يحب منها وما يكره وفي استخراج ما في نفوس من ضغائن قديمة بسبب مواقف ماضية، لتحصل التصفية النفسية ويكتمل الود ويحصل الاستمتاع، وينبغي الحذر من المسارعة في المصارحة حتى لا يحصل النفور، بل التدبر لعواقب المصارحة والنظر للكلمات الممهدة لذلك واختيار الوقت والأسلوب المناسبين، حتى تؤتي المصارحة أكلها.

التفاهم شجرة من الود، تغرس في بداية الزواج، وتروى على مرور الايام والسنوات بالأفعال الجميلة والكلمات الطيبة والتخطيط الناجح، والحوار المخملي والجلسات الرائعة واللمسات الحانية، حتى تعيش الأسرة الحياة الطيبة وتحقق أهدافها وتصل لرضا مولاها.

متابعة: علاء عبدالفتاح
كاتب صحفي

دشنت معرضا للحملات وانتهت من جميع الإجراءات قبل رمضان

الأوقاف الكويتية مهدت لموسم حج ناجح


محمد العليم

قلبك يسبق خطوك.. اللهفة إلى البيت العتيق تطغى على كل حسابات أخرى. ومع ذلك تنبهر عيناك من حسن تنظيم هذا المعرض ولا تملك إلا أن تدعو لمسؤولي وزارة الأوقاف الكويتية الذين وجّهوا وخططوا وأشرفوا على إنجازه بالخير كله.

ومعرض الحج والعمرة هذا الذي أقيم بدورته الرابعة خلال الفترة من ١ إلى ٧ مارس الماضي، تحت رعاية الوزارة بمنطقة مشرف، وضم عددا كبيرا من الحملات واللجان المسجلة لدى الوزارة، لا شك نجح المعرض في طرح وتقديم الخدمات والحلول المبتكرة للارتقاء بالخدمات المقدمة لضيوف الرحمن، ونقل أفضل الممارسات والتجارب الناجحة للحملات في منظومة الحج والعمرة وعرضها للزوار.

ونجحت وزارة الأوقاف الكويتية في نقل الحملات وشركات السفر والسياحة الدينية إلى مكان واحد في أرض المعارض، لتتنافس فيما بينها منافسة عادلة مقدمة أفضل الخدمات لرعاياها من حجاج بيت الله ومعتمريه. وصرح الوكيل المساعد لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية محمد العليم: إن جمع الحملات في مكان واحد يمكن الراغبين في أداء فريضة الحج من اختيار حملاتهم المناسبة بعد تسجيلهم في منصة الحج الإلكترونية، مبشرا بقبول ٨ آلاف راغب في هذا الموسم المبارك لم يسبق لهم أداء الفريضة. وأضاف أن رسائل تضمنت أسماء الحملات وأسعارها وصلت إلى المسجلين بالمنصة تيسيرا عليهم. وقال إن المعرض يستكمل مسيرة التجهيزات لهذا العام من حيث تنوع الخدمات والأسعار بحيث تكتمل منظومة التسجيل والقبول الإلكتروني به.

أما مدير إدارة شؤون الحج والعمرة بالوزارة سطام المزين فيضيف: هذه آلية جديدة للوزارة تطبق لأول مرة الهدف منها تمكين الشريحة المستهدفة وهم المواطنون الذين لم يسبق لهم الحج خصوصا الأكبر سنا مع المرافقين اللازمين لهم، موضحا أن من أهداف المعرض فتح باب المنافسة بين تعدد الخدمات لحملات الحج للوصول للقيمة العادلة للحج، مما أدى إلى انخفاض كبير للأسعار بنحو ٣٠ في المئة بنفس الخدمة المضافة وهذا هدف من أهداف التسجيل الإلكتروني بفضل الله تحقق.

وأضاف المزين: معرفة أعداد الراغبين في وقت مبكر جعلتنا نتمكن من إغلاق الحملات قبل شهر رمضان بنسبة كبيرة لأول مرة مما يتيح لنا الفرصة لمتابعة تعاقدات المشاعر بوقت كاف.

وختم حديثه قائلا: فوجئنا بزيادة عدد المسجلين وارتفاعه لـ ٤٢ ألف راغب بالحج، منهم ٢٧ ألفا لم يسبق لهم أداء الفريضة.

فالمنصة الإلكترونية منحتنا رؤية للسنوات المقبلة من حيث التعرف



محرر الوعي في حديثه مع المراقب السعيدي

سطام المزين

أهداف معرض الحج والعمرة

- تواصل الراغبين في أداء فريضة الحج مع أصحاب الحملات والشركات ومعرفة الأسعار المقدمة من الحملات وأنواع الخدمات.
- التواصل بشكل مباشر مع إدارة شؤون الحج والعمرة للاستفسار عن الحملات وعن خدمات إدارة الحج.
- التواصل مع أعضاء بعثة الحج.
- تعريف المقبولين للحج بالتطعيمات اللازمة.
- توجيه الحاج أو المعتمر بتقديم شكواه ضد الحملة عند التقصير.
- إعطاء الفرصة للحاج أثناء تواجده بالمعرض للتعرف على جميع الخدمات المقدمة من الحملات والشركات لتواجدها في مكان واحد.
- تمكن للحاج الاستعلام والاستفسار من الخط الساخن والخاص بإدارة شؤون الحج والعمرة على مدار الـ٢٤ ساعة.
- تمكن الحاج من متابعة أخبار معرض الحج والعمرة من خلال الموقع الإلكتروني للإدارة عن طريق بوابة الأوقاف.

على الشرائح المستهدفة وتوزيع الأعداد.

توجهنا إلى مراقب شؤون اللجنة العليا للحج والعمرة ورئيس فريق الخدمات الإدارية في بعثة الحج الكويتية محمد شباب السعيدي للتعرف على المزيد من التجهيزات لموسم الحج فقال: بعثة الحج زارت المملكة العربية السعودية للتأكد من أن المباني الموجودة والفنادق المخصصة متوافقة مع العدد المخصص للحجاج ومناسبة لهم، وخلال الزيارة عقدنا اجتماعات مع وزارة الحج والعمرة السعودية وشركة مطوفي حجاج الدول العربية تكللت بالنجاح، وقد تقدمنا بطلب إلى السلطات السعودية لتسجيل ألف حاج من غير محددي الجنسية كما طالبنا بزيادة حصة الكويت إلى ٣ آلاف حاج وهما طلبان قيد الدراسة حاليا.

وعن الآلية الجديدة قال السعيدي: لأول مرة نطبق بالكويت نظام التسجيل المركزي وهذه الآلية ساعدت في تخفيض الأسعار بنسبة كبيرة وكثير من الحملات صارت أسعارها إلى أقل من ألف دينار وهذا إنجاز بسبب التنافسية العادلة التي طبقها هذا النظام ووضع قائمة الأسعار على منصة التسجيل المركزي، مشيرا إلى أن الأولوية في القبول لمن لم يسبق لهم الحج خاصة كبار السن.

وأوضح السعيدي: بدأنا التجهيزات مبكرا لإتاحة الفرصة كاملة لموسم حج ناجح ولأول مرة يتم الانتهاء من كل الترتيبات قبل رمضان من حيث التسجيل والقبول.

أما عن مركز الحج والعمرة فعلق السعيدي: تواجد حملات الحج الكويتية في المعرض الذي أقامته إدارة شؤون الحج والعمرة أعطى الناس فرصة للتعرف عن قرب على الخدمات المقدمة وأسعارها مما جعل الحاج يختار الحملة المناسبة عن قناعة ودراية وقد رأيت الزوار يمرون على الحملات المتاحة لاختيار ما يناسبهم بعد تدقيق وتمحيص فالمعرض عزز التنافسية بين الحملات وحقق تكافؤ الفرص.

وختم السعيدي: حملات الحج التي تشرف عليها وزارة الأوقاف الكويتية مميزة تحوز دائما رضا الحجاج الكويتيين والسلطات السعودية في نفس الوقت بسبب جودة ونوعية الخدمات التي تقدمها وتعتبر حملاتنا في المراتب الأولى على مستوى حملات دول العالم الإسلامي.

إعداد
عبدالسلام الشبراوي

«التنمية الأسرية» بالتعاون مع فريق «اكسبو ٩٦٥» تطلق «مستقبل ماضينا»

إطلالة على الماضي بعين المستقبل



تطأ قدماك مدخل مبنى إدارة التنمية الأسرية في ذلك اليوم ٢٠٢٣/٣/٧م، فتشعر أنك انتقلت من الحاضر إلى ذكريات لها في النفس مذاق خاص.

فهذا عبداللطيف الشطي حرفي تشكيل السيراميك يعرض لوحاته وفيها صورة الغواص الكويتي، وصور أخرى لاحتفالات الكويتيين في الزمن القديم، ثم الحرفي «القلاف» يعرض نماذج لمهنة القفاص والخواص.

ثم تتوقف عند معرض «مستقبل ماضينا» ضمن احتفالات إدارة التنمية الأسرية بالأعياد الوطنية بهدف تفعيل دورها في خدمة المجتمع وتعزيز مبادئها الاجتماعية وقيمها الإنسانية تنفيذا لرؤية واستراتيجية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمشاركة فريق اكسبو ٩٦٥ وإدارة التأهيل والتقويم، وبحضور وكيل قطاع الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية طراد العنزي، ومدير إدارة التنمية الأسرية رقية اللوغاني، واستضافة كل من الفريق الإعلامي في المسجد الكبير وضيوف دار المسنين ودار رعاية الأيتام.

بدأت الفعالية بكلمة رئيس مركز العاصمة بإدارة التنمية الأسرية مي العبيدان، التي أشارت إلى أن الهدف الأساسي لتنظيم هذا المعرض هو توعية الزوار والرواد بالإرث الحضاري لدولة الكويت من خلال الأنشطة والفعاليات التي يشملها المعرض. وأكدت العبيدان أن المعرض يهدف أيضا إلى تعزيز الهوية الثقافية الإسلامية العربية من أجل تربية جيل من الأبناء يتمسك بهذه الهوية ويفتخر بها في ظل المتغيرات التي يموج بها العالم.

ثم افتتح المعرض بكلمة وكيل قطاع الشؤون الثقافية طراد العنزي الذي أعرب عن سعادته بهذا النشاط الوطني وقدم الشكر للقائمين على



المعرض ورئيس وأعضاء فريق اكسبو ٩٦٥.



تعريف بـ«التنمية الأسرية»

هي إحدى الإدارات التابعة لقطاع الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والتي تنطلق لتأدية دورها المجتمعي من خلال دراسات علمية ينفذها قسم المكتب الفني بالإدارة، تنظيرا للمشاريع التثقيفية والتوعوية وفق مبادرات الإدارة لدعم الخطة التشغيلية والبرامج المنوعة لمراقبات الإدارة وأقسامها (مراقبة التوجيه الأسري، مراقبة الدراسات الحرة) التي تسهم في تطوير الشرائح المجتمعية بمحافظات دولة الكويت فيما يخص المرأة والطفل والأسرة، تحقيقا لأهداف الإدارة وفق استراتيجية الوزارة نحو الريادة عالميا في العمل الإسلامي، وتؤدي «التنمية الأسرية» دورها في تعزيز التواصل المجتمعي الهادف والتوعية والتأهيل لشرائح المجتمع، وإعداد دراسات لتنمية وتطوير الكوادر الفنية ونشر القيم المجتمعية حسب حاجة المجتمع من خلال صياغة مناهج علمية وتثقيفية مؤصلة لدور المرأة والأسرة، بالتعاون مع إدارات الوزارة والمؤسسات المجتمعية لتطوير الشراكة التنموية والتأهيلية ولتعزيز الوسطية والقيم الإسلامية ومعالجة المشكلات الأسرية حسب متطلبات المجتمع واحتياجاته وفقا لمعايير الجودة لتحسين أدائها في المجتمع.

وتتبنى «التنمية الأسرية» مجموعة من الأهداف منها تطوير منهج علمي وثقافي مؤصل لدعم الأسرة والإسهام في تعريف أفرادها بواجباتها والتزاماتهم الأسرية، واتخاذ ما يلزم لتعزيز أدوارهم من منظور إسلامي، وتزويد المرأة بالثقافة الإسلامية وتقديم المناهج والمقررات وغيرها من الوسائل والأدوات التي تهدف إلى إعداد المرأة للمواطنة الواعية التي تقوم على فهم حقوقها وواجباتها، وتحمل مسؤولياتها، ومشاركتها في تقدم المجتمع، وتنميتها روحيا وعقليا ووجدانيا واجتماعيا بما يرتكز على أحكام الدين الإسلامي الحنيف، ويستلهم قيمه السامية، كما تهدف إلى تعزيز مبادرات لرعاية الطفولة وحمايتها من التطرف والعنف الأسري والتوعية بالوحدة الوطنية والمجتمعية، وتقديم الدعم للمبادرات القيمة والمجتمعية المتوافقة مع الخطة الاستراتيجية للوزارة.

كذلك تهدف إلى توعية المرأة بقضايا الأسرة والمحافظة عليها لمواجهة المشكلات المجتمعية بإيجابية ومن منظور إسلامي وترسيخ قيم الوسطية والأخلاق والوعي الديني، وتطوير الشراكة المجتمعية بين مؤسسات الدولة المختلفة ذات الأهداف المشتركة بما يتوافق مع رؤية ورسالة وزارة الأوقاف، والإبداع والتنوع في البرامج التنموية للطفل والأسرة بما يخدم احتياجات المجتمع وتنمية الموارد البشرية وفقا للممارسات العالمية، وتأهيل وتخريج كوادر فنية في الإرشاد الديني والزواجي والطفولة لتفعيل أدوارها المجتمعية.

بلال المريسي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية



صحوٌ.. وغيث

يقال: إن الشيء الوحيد الثابت في هذه الحياة هو التغيير المستمر، فدوام الحال من المحال، وما إن يذهب الصيف بسمومه وحرارته؛ إلا ويقبل علينا الشتاء بزمهريره وبرودته، وبين هذا وذاك يتعاقب فينا الصحو والغيث، ولا تكاد تخلو الحياة من هاتين الحالتين، وكلتاهما نعمة ظاهرة وأخرى باطنة، ولله در أبي تمام حين قال:

مطر يذوب الصحو فيه وبعده
صحو يكاد من الغضارة يمطر
غيثان فالأنواء غيث ظاهر
لك وجهه والصحو غيث مضمر

إن بين الصحو والغيث علاقة وطيدة، فحين يشتد سلطان الحر، وتفترش الأرض ببساط الجمر، وتتوسط الشمس كبد السماء وقت الهاجرة، ينتج عن حرارتها تبخر مياه البحار والمحيطات، ثم يعلو ذلك البخار ويتكور في طبقات الجو العليا؛ فيصبح سحابا ثقالا مسيراً تحمله الريح إلى بلد ميت، فما إن يصادف تيارا باردا في طريقه إلا ويتحول إلى أمطار منهمرة على أرض مجدبة، وما هي إلا أيام قلائل وإذا بتلك الأرض القاحلة قد أصبحت واحة خضراء وروضة غناء.

ولتعاقب الصحو والغيث حكمة بالغة يتدبرها أولو البصائر والألباب، إذ إن ربنا تعالى جعل تعاقبهما لمصلحة هذا العالم بأسره، ولك أن تتخيل لو أن أحدهما استمر دون انقطاع وتوقف، كيف سيكون الحال؟!

فالأمطار على سبيل المثال لو أنها انهمرت بغزارة لأشهر؛ لغرقت الأرض وتعفنت الزروع والنباتات، ولهدمت البيوت والمساكن، ولقطعت السبل والطرقات، ولو دام الصحو؛ لجفت الأبدان والنباتات، وتعفن الماء في العيون، وجف جريانه في السواقي والأودية، وأصبحت تلك الوديان النضيرة أشباحا موحشة، ورسوما دارسة، ولأعقب ذلك فساد الهواء، وانتشار الأمراض والأوبئة، وغلو الأسعار، وموت البهائم، حيث إنها لا تجد ما تأكله، ومن هنا كانت الحكمة في تعاقب الصحو والغيث، لما فيه مصالح العباد والبلاد، واستقامة الحياة وخلوها من منغصات الإقامة فيها[1].

ما أروع أيام وليالي الشتاء الجميل، ونسمات الهواء الفاتن العليل، حين تأوي إلى خيمة قد ضربت، وسماء بسحاب داكن قد تلبدت، وجادت بماء عذب سلسبيل، ولكأني بلسعات البرد القارص تمتص حرارة توقدت في جسدك لأشهر انصرمت، وكأني بتلك الشمس القابعة في كبد السماء أيام الصيف، اختفت ذات صباح فأبصرت في الأفق فرأيت السماء ملبدة بالغيوم الداكنة تضيء مع هزيم الرعد وومضات البرق، وإذا



بقطرات المطر تتناثر بانسياب فتان، كأنها حبات الجمان، حقاً لقد أخذني ذلك الجمال البديع بعيدا، وأرجعني إلى الورى قليلاً، حيث إني ما زلت أشعر بحرارة الصيف تغلي بداخلي، وتجلت أيام الطفولة البريئة أمام ناظري، حيث كنا نمشي وقطرات المطر تنساب فوق رؤوسنا، وتبلل ثيابنا، يا لرقة تلك القطرات! وهي تهوي نحو أرض موعودة بالحياة، وكأنها في شوق عارم لتلك الساعة الحميمة واللقاء الذي طال انتظاره، ما أروع تلك المشاهد حين تهمس تلك القطرات في أذاننا بصوت مسموع: (تفاءلوا بالحياة.. لا يحطمنكم اليأس.. وأبشروا وأملوا.. فبعد كل شدة فرج قريب)!

ولما كان الشتاء كله ربيعا عند العرب كان المطر كذلك ربيعهم متى جاء، ومن هنا حظي المطر عند العرب بحب جم، وقدر رفيع، واهتمام بليغ، فوضعوا له أسماء عديدة، وغريبة وفريدة، فهل سمعت يوما بالشعفة؟ فإن كنت لأول مرة تسمعها، أو تمر على أذنيك؛ فإنها القطرة الواحدة من المطر.

وهل أتاك خبر (جار الضبع)؟! ولعل هذا أغرب اسم للمطر وقفت عليه، حيث تقول العرب: (أصابتنا السماء بجار الضبع)، أي أشد ما يكون من المطر، وسر تسميته بذلك: أن المطر مع شدته لا يترك شيئاً إلا أساله وجره، وقيل: إن الغيث الغزير يتسبب في سيل عارم يدخل إلى وِجار الضباع ويخرجها من وجرها.

ودعني بخطفة سريعة أسرد لك أغرب أسماء المطر التي لربما لم تسمع بعضها حتى اللحظة، فأول مطر جاء بعد انقطاع يسمى (العهد)، وأخف المطر وأضعفه (الطل)، ثم (الرذاذ)، ثم (البغش)، ثم (الدّث)، فإن أحيا الأرض بعد موتها فهو (الحياء)، ويسمى (المحوة)؛ لأنه يمحو الجدب، وضعيف المطر (الهتلان)، وشديده (الهكُّ)، ويسمى أيضا بـ (الهفن)، ويسمى (القاحف) إذا جاء بغتة واقتحف كل شيء، وتسمي العرب المطر الساكن، بـ (الرّهو)، فإن دام مع سكون فهو (الديمة)، و(الضرب) و(الهطل)، فإن كان مستمرا فهو (الودق)، فإن كان ضخم القطر شديد الوقع فهو (الوابل)، وإن تبعّق بالماء صار اسمه (البعاق)، وإن روى كل شيء صار (الجود)، وإن دام لأيام صار (العين)، وإن كان مسترسلا (المرثعن)، وإن كثر قطره فهو (الغدق)، وإن تكرر سقوطه فهو (الرجع)، ويصبح (اليعلول) إذا تتابع الرجع، وإن جاء المطر على دفعات فهو (الشآبيب)، وإن اقتصر هطل الغيث على وجه الأرض فدهنها فهو (الدهن)، أما إذا أصاب أرضا هناك وترك أرضا هنا فاسمه (النفضة)، وإذا جاء بعد مطر معهود كالوسمي فهو (الولي)، وسمي المطر (الخدر)؛ لأنه يخدر الناس في بيوتهم، ويسمي المطر الذي يأتي بعد اشتداد حر الأرض بـ (الحميم) [٢].

ودعوني أنحو بكم منحى آخر عما سبق الحديث عنه، ولعل ما سنقوله هو مربط الفرس، وأروع فائدة وأعظم درس.. أتدري إن من الناس من يكون قدومه في حياتك قدوم الغيث في أرض مجدبة؛ فتنبت وتزهو وتزدهر، وتكسى سندسا وحريرا، ومنهم من يكون كالصحو والقحط الذي لا حياة معه ولا ابتسامة ولا أمل..

قدمت قدوم الغيث والحي مجدب
وعدت كعود البدر والأفق غيهب

تأمل ف تلك الزوجة الصالحة التي لديك، كيف تحفك بحبها، وتكون بلسما لجراحاتك، وعونا لك على أمور دينك ودنياك، تربي أبناءك على الخير والصلاح، والأخلاق الملاح، فإذا بك تفخر بهم، وتنعم ببرهم، ولم تر الناس إلا يلهجون بمديحهم، أليست تلك الزوجة سحابة غيث أمطرت على قلبك؟! وأولئك الأبناء أليسوا ثمرة خرجت واشتدت على أصولها من تلك السحابة التي أمطرت؟!

تأمل في أصدقائك الذين صافيتهم وصفوا لك، وكانوا معك في محنتك وضيقتك، يشتد بهم أزرك، ويكونون لك ناصحين ومحبين، وعزوة معينين، أليست تلك الصداقة الصالحة بمنزلة الغيث المدرار بالنسبة لك؟! وفي المقابل من الناس من كانت صداقتهم قحطا وشدة، إذ إن تلك الصداقة افتقرت لمقوماتها فهي مفتقرة للأخلاق، وللصدق، وللوفاء.. وهلم جرا، فهم شدة وصحو لا نبات معه ولا حياة.

إن أعظم غيث هبت أنسامه، وأمطرت سحائبه على قلوب قحطت، وعقول تصحرت هم الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- وعلى رأسهم سيد الورى نبينا محمد ﷺ إذ به انتشل الناس من دياجير الظلمات، إلى أنوار العدالة والسلام، لقد أنار الله به العقول، وشرح به الصدور، وفتح به القلوب ففتحت الأفاق، وكل من حمل هم رسالته من أمته، وبلغها للناس فهو كالغيث أينما حل نفع..

لقد كانت رؤيا عزيز مصر التي أرعبته، وعجز الملأ عن تفسيرها بقولهم: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ (يوسف: ٤٤)، تحتاج إلى مفسر بارع يتصدر لها، فكانت ليوسف وكان لها، وإن الناظر إلى تلك الرؤيا يجد أنها قد اشتملت على سبع سنوات فيها الخضرة والثمار، جاءت بعدهن سبع سنوات شداد عجاف، وأكلت هذه تلك، ثم جاء بعدهن ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف: ٤٩)، فكان تفسير يوسف غيث وفرح لعزيز مصر وملائه، فبعد نزول الشدائد وتكالب الهموم كن على يقين بأن الغيث والفرج قادمان لا محالة، فلا تيأس!

أيها القارئ الكريم تأمل في تلك النعم التي ترفل بين يديك، ودقق في حسنها وحاجتك إليها، أليست أشبه ما تكون بالغيث المدرار على أرض يباب؟! وتأمل الحالة الأخرى حين تنزل بك الشدائد، وتخنقك المصائب، أليست أشبه ما تكون بالصحو الشديد؟! ولكن.. ثق بأن ذلك الصحو الذي اشتدت وطأته بك، هو محطة لتراجع حساباتك، وتنظر في جوانب تقصيرك فتصلحها وتسددها، وما إن تفرغ من تلك المحاسبة ستجد سحائب الكرم بانتظارك لتحف بك.

إن توفيق الله لعبد من عباده لشكر النعم، والصبر على المحن، والمبادرة إلى فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، والسعي إلى إدخال الفرح والسرور في قلوب كسرها الحزن، وبطون أوجعها الجوع والفقر، إن ذلك التوفيق هو غيث إذا أذن الله بهطوله على حياتك، لن تشقى بعده أبداً..

إنني حين التمست الصحو والغيث في كتاب الله تعالى، وجدت أن الصحو جاء بمعنى الموت كالأرض الميتة والبلد الميت، أما لفظتي (المطر والغيث) وجدت أن كلمة الغيث صريحة في احتواء معنى الرخاء والرحمة؛ لما فيها من الغوث، وأما كلمة المطر فيصح أن نطلقها على الخير والشر، ويرى الإمام سفيان بن عيينة أنها لا تطلق إلا في العذاب فيقول: «ما سمى الله مطرا في القرآن إلا عذابا»[٢]، إلا في موضع في سورة النساء جاء المطر بمعنى الغيث والرحمة، فلم يستعمل في العذاب، وإنما في حصول الأذى من حمل السلاح وقد ابتل بالماء وأصبح ثقيلا، وكانت الآية تتحدث عن صلاة الخوف.

أما الغيث فقد ورد في ثلاثة مواضع:

الأول: في سورة لقمان وقد كان في سياق أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله.

والثاني: في سورة الحديد وفيه بيان مرحلة من مراحل الحياة وهي مرحلة الحرث وما يعقبه من نزول



الغيث.
والموضع الثالث: في سورة الشورى، وهلموا بنا نتأمل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨)، وهذه الآية تحمل في طياتها لمسة من لمسات القرآن، تذكر العباد بجانب من فضل الله العميم، حين غاب عنهم الغيث، وانقطع عنهم المطر، ووقفوا عاجزين عن سبب الحياة الأول الماء، وأدركهم اليأس والقنوط، ثم ينزل الله الغيث، ويسعفهم بالمطر، وينشر رحمته، فتحيا الأرض، ويخضر اليابس، وينبت البذر، ويترعرع النبات، ويلطف الجو، وتنطلق الحياة، ويدب النشاط، وتنفرج الأسارير، وتتفتح القلوب، وينبض الأمل، ويفيض الرجاء.. وما بين القنوط والرحمة إلا لحظات تتفتح فيها أبواب الرحمة، فتتفتح أبواب السماء بالماء.
وقد جاء اللفظ القرآني المختار للمطر في هذه المناسبة (الغيث) يلقي ظل الغوث والنجدة، وتلبية المضطر في الضيق والكربة، كما أن تعبيره عن آثار الغيث (وينشر رحمته) يلقي ظلال النداوة والخضرة والرجاء والفرح، التي تنشأ فعلا عن تفتح النبات في الأرض، وارتقاب الثمار، وما من مشهد يريح الحس والأعصاب، ويندّي القلب والمشاعر، كمشهد الغيث بعد الجفاف، وما من مشهد ينفض هموم القلب، وتعب النفس، كمشهد الأرض تتفتح بالنبت بعد الغيث، وتنتشي بالخضرة بعد الموات[٤].

همسة وموعظة

إن شدة الحر والزمهرير، تجعل نار جهنم شاخصة أمامنا للعيان، فالحر والبرد الشديدان المهلكان هما نفسان لجهنم، فقد أذن لها في كل عام بنفسين: «نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم، وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم» (متفق عليه)، ومن هنا جاء التخفيف عند اشتداد الحر بتأخير الصلاة إلى وقت البرود: «إذا اشتد الحر فابردوا بالصلاة؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم» (متفق عليه).
لقد كان الصحابة الكرام يبادرون إلى الأعمال الصالحة في أيام الصيف، من صيام يكون فيه ظمأ الهواجر، يقول أبو الدرداء: «صوموا يوما شديدا حره؛ لحر يوم النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل؛ لظلمة القبور»، فكيف حالنا نحن مع الغنيمة الباردة، وهي الصوم في الشتاء، إذ ينال به الأجر دون تعب ولا عطش ولا جوع، والصائم هنا أشبه ما يكون بالمجاهد الذي يغنم دون أن يصطلي بنار الحرب ويخوض غمارها.
وبينما تمضي بنا أيام الشتاء، والشمس تأتي على استحياء، أوشك المطر على التوقف، وبدأ الصحو يأخذ دوره في قيادة عجلة الحياة، ولم تنفع المناشدات لسماء انقشعت سحبها، وانقطع ماؤها، وما هي إلا أيام قلائل ويرجع إلينا الصيف بحروره وقيظه رويدا رويدا، وبين هذه الحال وتلك التي مضت، يبقى الإنسان غير راض عن كلتيهما، ولله در القائل:

يتمنى المرء في الصيف الشتا
فـإذا جـاء الشتـاء أنكـره
فهو لا يرضى بحال واحد
قـتـل الإنـسان مـا أكفـره!

الهوامش

١- المفرد العلم في رسم القلم، للسيد/ أحمد الهاشمي.
٢- فقه اللغة، وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي.
٣- في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥/٣١٥٧).
٤- صحيح البخاري، تفسير سورة الأنفال.

د. علاء عبدالغني حسن شعبان
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية



المؤيد (أي أبه) القائد الذي أحيا الدولة السلجوقية

يعد الأمير المؤيد (أي أبه) من الشخصيات السياسية المهمة في خراسان ظهر على الساحة السياسية في فترة شابها التوتر في نواحي خراسان أجمع، حيث كانت بداية النهاية للوجود السلجوقي في خراسان في ذلك الوقت العصيب، أثناء الفتنة التي قامت بين الغز والسلطان سنجر (٥١١ هـ /٥٤٨ هـ – ١١١٦م /١١٥٣م)، تميز بالنبوغ والذكاء، لذا فقد لفت أنظار القوى السياسية، وأخذ الشرعية من الخليفة العباسي، ولكنه لم يسلم من الأمراء السنجرية، فدخل معهم في صراعات، ولكنه استطاع القضاء عليهم، وظهر براعة عظيمة في القضاء على الغز، حيث انتصر عليهم في الكثير من المواقع، غير أنه لم يخرج على حكام السلاجقة، بعد السلطان سنجر، فقد ضاق ذرعا من ضعف هؤلاء الحكام، فاستطاع التخلص من الخاقان محمود وابنه، وبدأ إجراءاته الجادة في تأسيس دولة جديدة، وفي النهاية لم يوفق.[1]

كان للمؤيد (أي أبه) أثره السياسي العظيم في بلاد خراسان في

الفترة (٥٤٨ هـ - ١١٥٣م /٥٦٨ هـ /١١٧٣م)، فلم يكن يعرف من قبل، حيث لقب وعرف في كتب التاريخ والتراجم بالمؤيد (أي أبه)، ولا يوجد له ذكر على الإطلاق إلا بهذا الاسم، وحصل بذلك على بعض الألقاب؛ منها ملك الشرق والملك المؤيد، والغريب أن المصادر لم تذكر شيء عن حياته ونشأته الأولى، فقد ظهر فجأة في الفتنة التي حصلت في خرسان بين السلطان سنجر والغز، والتي انتهت بهزيمة السلطان سنجر السلجوقي ووقوعه في الأثر، فاستطاع المؤيد تحرير السلطان سنجر من اسر الغز، وانتصر عليهم في مواقع متعددة وطردهم من كثير من مدن خراسان، واتسمت فترة حكمه بالعدل فأحبته الرعية وأخذ صفة الشرعية على حكمه من الدولة العباسية، وبناء على ذلك فقد حاول تأسيس دولة مستقلة، والسؤال الذي يطرح نفسه هل حالفه الحظ أم لا؟ أما عن نشأته، فذكرت كتب التاريخ والتراجم أنه كان عبدا تركيا للسلطان سنجر عرف المؤيد (أي أبه) بهذا الاسم ولم يعرف باسم غيره، أما عن اسمه الأصلي فلم يذكر إلا الملك المؤيد، وله عدة القاب منها مؤيد الدولة والدين كسرى خراسان، ملك الشرق، (أي أبه) بن عبد الله السنجري الملك[٢]، والذي دفعه على حمل تلك المهمة الصعبة في هذا الوقت العصيب، ما قام به الغز بعد أسر السلطان سنجر ٥٤٨ هـ /١١٥٣م، حيث خربوا أغلب مدن خراسان[٣]، فلم يقف مكتوف الأيدي تجاه الغز، حيث فرض عليه الوضع أن يقف لهم بالمرصاد فلم يكن يدور في نفسه أن يصل لهذه المنزلة على الإطلاق، بل كل ما كان يطمع إليه أن يكون خادما مخلصا للسلطان سنجر، يحظى عنده بمكانة رفيعة، فلولا قهر الغز للسلطان سنجر لم يصل لهذه المنزلة، حيث أراد المؤيد الانتقام من الغز، فانتصر عليهم في الكثير من المواقع، وغنم من أموالهم الكثير واستطاع على مر الأيام أن يكون القوى العظمى في خراسان، والتي لا يستطيع الغز الوقوف في وجهه، ولكن على الرغم من ذلك كان تابعا لسلاطين السلاجقة سواء سليمان شاه أو محمود بن بغراخان[٤]، ولما ولاه الخليفة العباسي على نيسابور فقط، لم يأخذ لقب سلطان بل أقصى ما لقب به الملك المؤيد (أي أبه)، وكان عنده من رجاحة العقل وحسن إدراك للأمور فلم يقع في قبضة الغز، ولم يأمن جانبهم خوفا من أن يغدروا به ويجعلوه تابعا لهم مثلما فعلوا بالسلطان سنجر والسلطان سليمان شاه ومحمود بن بغراخان لذا كانت له الغلبة والسيطرة، وقويت شوكته، فأصبح قوة لا يستهان بها في خراسان، فقد هابه الغز لذا أثنى عليه الكثير من المؤرخين. توفي على يد علاء الدين تكش، سنة ٥٦٨ هـ /٦٧٣م.[٥]

الهوامش

١- ابن فندمه، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندمه (ت: ٥٦٥هـ)، تاريخ بيهق، دار اقرأ، دمشق، ط١، ١٤٢٥ هـ، ص ٥٠١.

٢- الجوزجاني، أبو عمر منهاج الدين عثمان المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني، طبقات ناصري، ترجمة وتدقيق عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة ١٨٢٧ م (٤٢١/١)، البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٥٠١؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣ م، ٣٩١/١٢.

٣- الراوندي، محمد بن علي بن سلمان الراوندي: راحة الصدور وأية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة أمين الشواربي، عبد النعيم محمد حسانين، فؤاد عبد المعطي الصياد، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، سنة ٢٠٠٥م، ص ٢٧٣.

٤- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣/٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ١٥١/١؛ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ٣٢٢/٥؛ خواندمير، (ت ٩٤٢ هـ)، حبيب السير في أخبار أفراد البشر، طبعة طهران ١٢٧١ هـ، ٥١١/٢.

٥- الجوزجاني، أبو عمر منهاج الدين عثمان المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني، طبقات ناصري، ترجمة وتدقيق عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة ١(٨٢٧م ٤٢١/١)، البيهقي، تاريخ بيهق، ص ٥٠١؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م، ٣٩١/١٢.

ضوابط النشر



حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.



حسن عباس
محرر صحفي

يوم الأسير الفلسطيني.. آلامٌ وآمال

يُحيي الفلسطينيون في ١٧ من أبريل من كل عام يوم الأسير الفلسطيني، تخليداً لذكرى آلاف الفلسطينيين الذين يقبعون في سجون الاحتلال الإسرائيلي، ويعانون أوضاعاً مأساوية نتيجة احتجازهم فترات طويلة وبسبب الإهمال الطبي اللاحق بهم.

وقد أقر المجلس الوطني الفلسطيني -باعتباره السلطة العليا لمنظمة التحرير الفلسطينية- في عام ١٩٧٤م، خلال دورته العادية يوم السابع عشر من أبريل، يوماً لنصرة الأسرى والمعتقلين وفاءً لتضحياتهم وتكريماً لدماء من سقطوا شهداء خلف القضبان.

ومنذ إقراره يحييه الفلسطينيون، داخل فلسطين وفي الشتات، سنويا، بوسائل وأشكال متعددة، بما يليق بالأسرى وتضحياتهم، ويشاركهم في ذلك الكثير من الأشقاء العرب والأحرار في عواصم ومدن عربية وعالمية عديدة، نصرة لهم وتعزيزاً لمكانتهم القانونية ومشروعية كفاحهم، وتأكيدا على عدالة قضيتهم التي حفرت عميقاً في وجدان ووعي الشعب الفلسطيني، لما تمثله من قيمة معنوية ونضالية وسياسية لدى كل الفلسطينيين، باعتبارها جزءاً أساسياً من نضال ومسيرة كفاح الشعب الفلسطيني نحو انتزاع حريته وتجسيد الاستقلال.

تحل ذكرى «يوم الأسير» والحركة الأسيرة تمر بظروف عصيبة، حيث يُعاني الأسرى قسوة سجون الاحتلال واستمرار القمع والتنكيل والحرمان، بينما تتواصل الاعتقالات اليومية في ظل استهتار الاحتلال بحياة الأسرى وأوضاعهم الصحية.

ويعيش مئات المرضى من الأسرى ظروفا مأساوية جراء الإهمال الطبي الذي يعانونه، والذي يهدد حياتهم. فبينهم أكثر من ٥٠٠ أسير بحاجة إلى عمليات جراحية وعلاج عاجل، ومن بينهم العشرات الذين يعانون أمراضا مزمنة وخطيرة جدا، بالإضافة إلى العشرات ممن يعانون آلاما ومضاعفات خطيرة جراء إصاباتهم أثناء عمليات الاعتقال، وفي ظل تردي الأوضاع الصحية واستمرار سياسة الإهمال الطبي المتعمد.

وتتهم المنظمات الحقوقية سلطات الاحتلال الإسرائيلي بممارسة الإهمال الطبي ضد الأسرى، وذلك ضمن سياسة القتل البطيء التي تمارسها ضدهم.

وهناك من بين الأسرى أكثر من ٥٤٥ أسيراً يقضون أحكاماً بالسجن المؤبد «مدى الحياة» لمرة واحدة أو لمرات عدة، ويُعد الأسير «عبد الله البرغوثي» الأعلى حكما، حيث صدر بحقه حكما بالسجن المؤبد ٦٧ مرة.

وبحسب بيان لمؤسسات فلسطينية عام ٢٠٢٢م فإن عدد الأسرى في سجون الاحتلال يبلغ نحو ٤٤٥٠ أسيرا بينهم ٣٢ أسيرة و١٦٠ طفلا و٥٣٠ معتقلا إداريا، كما وصل عدد شهداء الحركة الأسيرة إلى ٢٢٧ شهيدا، فيما يواصل الاحتلال احتجاز جثامين ٨ أسرى استشهدوا داخل السجون.

وبمناسبة يوم الأسير الفلسطيني، يبقى من حق الأسرى علينا ومن واجبنا تجاههم، مواصلة نضالنا المشروع من أجل توفير الحماية لهم ولفت نظر العالم تجاههم، وضمان الإفراج عنهم إلى أن يستنشقوا هواء الحرية.

عبد الله بن عبد الكريم الثلاج البدراني
باحث شرعي



مقامات السابقين .. مع كتاب رب العالمين

«حادثوا هذه القلوب بذكر الله، فإنها سريعة الدثور، وربيعها القرآن، فإنه إمام المؤمنين، اتهموا عليه رأيكم، واستغشوا عليه أنفسكم، وإياكم والأهواء والعجب والتزكية، القرآنَ القرآنَ، فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق، والله ما دون القرآن من غنى، وما بعد القرآن من فقر»[1].

بهذه الكلمات الجليلة والموعظة البليغة خاطب شمس الواعظين في زمانه الحسن البصري -رحمه الله- أبناء زمانه، وكأنه اقتبس شعبة من الدعاء المروي عن النبي ﷺ: «أسألك بكل اسم هو لك...أن تجعل القرآن ربيع قلبي»[2].

إن الناظر في حياة السلف مع القرآن لا ينقضي عجبه ولا ينقطع ذهوله! حياة بالقرآن وفي القرآن وللقرآن! وكأنهم لما سمعوا عائشة رضي الله عنها واصفة النبي ﷺ: «كان خلقه القرآن»[3] راموا التخلق بهذه الأخلاق، فقرأوه وتدبروه، وعرضوا أنفسهم عليه وعرضوه على أنفسهم، حتى جعلوه مقياسا يزنون به أحوالهم

فقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله»[٤]، وهو رضي الله عنه القائل: «من أحب القرآن فليبشر»[٥]، وهذه المركزية والمعيارية القرآنية ليست بغريبة على ذاك الجيل المبارك، فهذا ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: «لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا»[٦].

لقد سمع أصحاب رسول الله ﷺ وصيته وأمره: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»[٧] فعقلوها والتزموها، بل بلغ الأمر بأن يعد بعضهم قراءته أعظم القربات وأجل الطاعات، فعن فروة بن نوفل الأشجعي –وكان من التابعين– قال: «كنت جارا لخباب بن الأرت رضي الله عنه، فخرجت يوما من المسجد، وهو آخذ بيدي، فقال: تقرب إلى الله عز وجل بما استطعت؛ فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه»[٨].

وكان من عادتهم المداومة على قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، بل وعلى كل الأحوال، فقد صح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إني لأقرأ عامة حزبي، وأنا مضطجعة على فراشي»[٩] ولا عجب! فهي القائلة: «كان رسولُ الله ﷺ يتَّكئ في حجري وأنا حائض، ويقرأ القرآن»[١٠]، ومما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: «إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره»[١١].

وقد كان القرآن مفزعهم عند الكروب وأنيسهم عند الشدائد، فقد سئل عبدالله بن عياش الزُّرَقي –وكان من أصحاب علي رضي الله عنه: أخبرنا عن هذا الرجل –علي بن أبي طالب–، فقال: «كان إذا فزع، فزع إلى ضرس حديد» فقيل له: ما ضرس حديد؟ قال: «قراءة القرآن، وفقه في الدين، وشجاعة وسماحة»[١٢].

وكان من دأب ذلك الرعيل المبارك أخذ القرآن بالتؤدة وقراءته بالتدبر، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «لا تهذوا القرآن كهَذِّ الشِّعر»[١٣]، وقد رأت صفية زوج النبي ﷺ، قوما قرأوا سجدة فسجدوا، فنادتهم: «هذا السجود والدعاء فأين البكاء»[١٤]، وهذه الحال هي ما كان يرجوه الصحابة رضي الله عنهم ويحرصون عليه، فقد قدم قوم من أهل اليمن في زمن أبي بكر رضي الله عنه فسمعوا القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر الصديق: «هكذا كنا ثم قست القلوب»[١٥]، وفسر الحافظ أبو نعيم الأصبهاني كلمة أبي بكر الصديق فقال: «ومعنى قوله: قست القلوب، قويت واطمأنت بمعرفة الله تعالى».

وكذلك كان الفاروق عمر رضي الله عنه، فقد حكى ابنه عبدالله قال: «صليت خلف عمر فسمعت حنينه – يعني أنينه– من وراء ثلاثة صفوف»[١٦]، وعمر هو الذي حكي عنه أنه: «كان يمر بالآية في ورده فتخنقه فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضا»[١٧]، وقد قرأ يوما: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾(الطور:٧) قال: فربا منها ربوة عِيْدَ منها عشرين يوما[١٨].

وهذا التابعي أبو رجاء العطاردي يقول: «كان هذا الموضع من ابن عباس –مجرى الدموع–، كأنه الشراك البالي من الدموع»[١٩].

وما ذكرناه عن عثمان رضي الله عنه ألَّا يخلو يوم المسلم وليلته هو ما درج عليه الصحابة والتابعون من بعدهم، وقد أوصى ابن مسعود رضي الله عنه أصحابه يوما: «أديموا النظر في المصاحف»[٢٠]، وقال لهم: «إنما هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره»[٢١]، وأما التابعون من بعدهم فهذا أبو العالية الرياحي رحمه الله يقول: «كنا نعد من أعظم الذنب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام لا يقرأ منه شيئا»[٢٢]، وكان عروة بن الزبير «يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم به ليله فما تركه إلا ليلة قطع رجله»[٢٣]، وعن يونس بن عُبيد قال: «حدّثني مولى للأحنف بن قيس –وكان من سادة زمانه شرفا ومكانة– أنّه قال: إنّ الأحنف كان قَلّ ما خلا إلَّا دعا بالمصحف، قال يونس: وكان النظر في المصاحف خُلقًا من الأوّلين»[٢٤]، و«قيل لأخت مالك بن أنس ما كان شغل مالك بن أنس في بيته؟ قالت: المصحف والتلاوة»[٢٥].

وهذا التابعي الجليل أبو إسحاق السبيعي رحمه الله يوصي الشباب فيقول لهم: «يا معشر الشباب، اغتنموا –يعني: قوتكم وشبابكم– قلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية، وإني لأقرأ البقرة في ركعة»[٢٦]، ومن قبله حكى ابن جريج، قال: «أخبرني نافع، أن ابن عمر رضي الله عنه كان يقرأ البقرة في ركعة، وكان بطيء القراءة»[٢٧].

وهذه الهمة العلية إنما أورثها خوف الآخرة ورجاء الجنة، وقد دخل الأشتر النخعي يوما على علي بن أبي طالب وهو قائم يصلي بالليل وقد تولى الخلافة، فقال له: «يا أمير المؤمنين، صوم بالنهار وسهر بالليل، وتعب فيما بين! فلما فرغ علي من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل»[٢٨]، ومن ذلك ما روي عن صالح بن بشير المري –وكان واعظ البصرة في زمانه– أنه كان إذا قص – أي: وعظ– قال: «هات جؤنة المسك والترياق المجرب» –



يعني القرآن - فلا يزال يقرأ ويدعو ويبكي حتى ينصرف[29].

وكانوا يقرأون القرآن للعمل كما قال الحسن البصري رحمه الله: «إن من كان قبلكم رأوه -أي: القرآن- رسائل إليهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار»[30]، وما أحسن كلمة مجاهد بن جبر رحمه الله: «القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة فيقول رب جعلتني في جوفه فأسهرت ليله ومنعته كثيرا من شهواته ولكل عامل عمالة، فيقول: ابسط يدك أو يمينك، فيملأها من رضوانه ولا يسخط عليه بعدها»[31].

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: «قال بعض السلف: نزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا، ولهذا كان أهل القرآن هم العاملون به، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم»[32].

هكذا كان حال الأولين من السابقين الصادقين، الأنصار والمهاجرين، ومن تبعهم من المحسنين.. حالهم في أيامهم المعتادة.. فأما إذا ما أقبل رمضان فذاك العجب العجاب، والخبر الذي يأخذ الألباب، وناهيك ما حكاه ابن عباس رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[33].

اللهم اسلكنا في نظام العابدين، واجعلنا لكتابك من التالين الذاكرين.. آمين آمين..

الهوامش

١- «الزهد» لابن المبارك (ص:٩١)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي (ص:١٦٩)، و«أدب النفوس» للآجري (ص:٢٧١).

٢- مسند أحمد: ٣٧١٢، (ط الرسالة)، وانظر تخريجه بتوسع هناك.

٣- مسند أحمد: ٢٤٦٠١، (ط الرسالة)، وانظر تخريجه بتوسع هناك، وأصل الحديث في «صحيح مسلم» (١٤١ - ٧٤٦) دون اللفظة المقصودة.

٤- «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص:٥٢).

٥- سنن الدارمي (٢٠٩٣/٤) «٣٣٦٧».

٦- «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل، برقم: ٦٨٠، وهذا الخبر من زوائد عبدالله بن الإمام على أصل أبيه.

٧- «صحيح مسلم» (٢٥٢ - ٨٠٤).

٨- «فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص:٧٧)، و «المصنف» لابن أبي شيبة (٤٤٥/١٦) «٣٢٠٩٥» وغيرهما.

٩- «المصنف» لابن أبي شيبة (٥/ ٣٧٦) «٨٧٩٩».

١٠- متفق عليه، «صحيح البخاري» «٢٩٧»، و«صحيح مسلم» (١٥ - ٣٠١).

١١- مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٦).

١٢- «فضائل الصحابة» للإمام أحمد «٩٧٥».

١٣- «الآثار» لأبي يوسف القاضي «٢٣٣»، «سنن سعيد بن منصور - بداية التفسير» ت: الحميد (٤٤٤/٢) «١٤٧».

١٤- «المصنف» لابن أبي شيبة «٣٨٢٧٠».

١٥- «فضائل القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص:١٣٥)، و«حلية الأولياء» (٣٣/١).

١٦- «الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا «٤١٦» ، و«حلية الأولياء» (٥٣/١).

١٧- «حلية الأولياء» (٥١/١).

١٨- «فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ١٣٦).

١٩- «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٩٥٢/٢).

٢٠- «المصنف» لابن أبي شيبة «٣٢١٧٨».

٢١- «المصنف» لابن أبي شيبة «٣٢٠٠٥».

٢٢- «الزهد» للإمام أحمد (ص: ٢٤٥).

٢٣- «حلية الأولياء» (١٧٨/٢).

٢٤- «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٩٤/٩).

٢٥- «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١٨/١).

٢٦- «المحجة في سير الدلجة» لابن رجب الحنبلي (ص:٤٢١).

٢٧- «المصنف» لعبدالرزاق الصنعاني (٥٤٣/٢).

٢٨- «حلية الأولياء» (١٧٨/٢).

٢٩- «حلية الأولياء» (١٦٧/٦).

٣٠- «قوت القلوب في معاملة المحبوب» لأبي طالب المكي (١٠٧/١).

٣١- «الزهد والرقائق» لابن المبارك «٨٠٦».

٣٢- «زاد المعاد» (٤٠٢/١).

٣٣- متفق عليه، «صحيح البخاري» (٦)، و«صحيح مسلم» (٥٠ - ٢٣٠٨).



اقتصاد

حقوق الأشخاص ذوي الهمم في القانون الكويتي

سعيد حسن السعيد
كاتب وباحث

ذوو الهمم مصطلح أطلق على الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة الذين لديهم بعض الإعاقات الجسدية أو العقلية التي تؤدي إلى قصور في قدراتهم البدنية أو العقلية أو الحسيه قد تمنعهم من العمل أو المشاركة بصورة كاملة وفعالة في المجتمع على قدم المساواة مع الآخرين.

وانطلاقاً من المفهوم الإسلامي القائم على التكافل والتضامن واعتبار رعاية الأشخاص ذوي الإعاقة - ذوي الهمم- ليست منة أو شفقة وإنما واجب على المجتمع والتزام باتجاه الدولة نحو ضمان تمتع الأشخاص ذوي الإعاقة بحقوقهم المدنية والسياسية -إذ هم يمثلون شريحة من نسيج المجتمع- على قدم المساواة مع الآخرين من غير ذوي الإعاقة دون تمييز بسبب إعاقتهم، وترسيخاً لهذه الحقوق وتقنينها أدرجها المشرع الكويتي بالقانون رقم: (٤٩ لسنة ١٩٩٦م) بشان رعاية المعاقين.

ونظراً للتطور الحاصل على المستوين المحلى والدولي في مجال تحقيق مزيد من الرعاية للأشخاص ذوي الهمم وبما يضمن تمتعهم بالحقوق الأساسية التي كفلها الدستور وأكدتها المواثيق الدولية، وإعمالاً لهذه المبادئ ووضعها موضع التطبيق كان القانون رقم: (٨ لسنة ٢٠١٠م) بشأن حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة الصادر بتاريخ: (٢٠١٠/٢/٢١).

وقد شمل هذا القانون في مادته الثانية المواطن الكويتي وأبناء الكويتية من زوج غير كويتي، كما أجاز سريان بعض أحكامه على ذوي الإعاقة من غير الكويتيين بقرار يصدر من الهيئة العامة لشؤون ذوي الإعاقة بعد موافقة المجلس الأعلى للهيئة العامة لشؤون ذوي الإعاقة.

كما تضمن القانون في مادته الثالثة معاملة الشخص ذي الإعاقة غير الكويتي من أم كويتية معاملة الكويتي منذ ميلاده ومدى حياته.

وتضمن القانون في مادته الرابعة الخدمات التي تقدمها الحكومة للأشخاص ذوي الإعاقة والتي أوردها حصراً في سبع مجالات وهي:

١- الوقائية والطبية والتأهيلية والعلاج النفسي والإرشاد الوراثي قبل الزواج، وقبل وأثناء الحمل.
٢- الاجتماعية والنفسية.
٣- التربوية والتعليمية والثقافية في جميع المراحل التعليمية بما فيها الحضانة ورياض الأطفال وبما يتناسب مع قدرات ذوي الإعاقة البدنية والحسية والعقلية.
٤- الرياضية والترفيهية.
٥- الإسكانية، بما يتفق مع أحكام القانون رقم: (٤٧ لسنة ١٩٩٣م) في شأن الرعاية السكنية.
٦- المواصلات.
٧- التأهيل المهني والعمل والتشغيل، ويجوز بقرار من الهيئة استحداث مجالات أخرى.

إن القانون المار بيانه قد وضع التزاماً على الحكومة نحو توفير مكاتب لتقديم خدمات خاصة لذوي الإعاقة في جميع مؤسساتها وجهاتها الحكومية، وهو ما نشاهده اليوم نحو القيام بتنفيذ هذا الالتزام في جميع المرافق لضمان تمتع الأشخاص من ذوي الهمم بحقوقهم على قدم المساواة مع الآخرين.

كما إن القانون ولائحته التنفيذية تضمن حقوقا مالية منها زيادة العلاوة الاجتماعية المقررة للأولاد بنسبة ١٠٠٪ من قيمتها الأصلية عن كل ولد من ذوي الإعاقة الشديدة أو المتوسطة.

وتضمن القانون أيضا إعفاء الشخص ذي الإعاقة من دفع الرسوم الحكومية مقابل الخدمات العامة.

كما تضمن القانون ولائحته التنفيذية حقوقا مالية بشكل شهري على حسب درجة الإعاقة، فالمعاق ذو الإعاقة الشديدة يحصل على (٢٧٧ دينار كويتي) مساعدات اجتماعية، بالإضافة إلى (١٥٠ د.ك) كبدل خادم أو سائق، والمعاق ذو الإعاقة المتوسطة يحصل على (٢٢٥ دينار كويتي) مساعدات اجتماعية بالإضافة إلى (١٠٠ دينار كويتي) كبدل خادم أو سائق، والمعاق ذو الإعاقة البسيطة أو التعليمية يحصل على (١٨٥ دينار كويتي) مساعدات اجتماعية.

حاصل ما تقدم أن دولة الكويت وحماية لأصحاب الهمم (ذوي الإعاقة) أصدرت القانون سالف الذكر ليضمن حقوقهم في جميع المجالات الصحة والتعليمية والمهنية والاجتماعية، ولتمكنهم من مشاركتهم الفعالة والفرص المتكافئة لهم في ظل مجتمع دامج، فضلا عن حماية أصحاب الهمم من الإساءة ومكافحة جميع أشكال الاستغلال والإساءات التي قد يتعرض لها أصحاب الهمم.

وختاما فإننا نطالب المشرع الكويتي بإلغاء عبارة «ذوي الإعاقة» وكل العبارات المشتقة منها، واستبدالها بعبارة «ذوي الهمم» في كل مواد القانون ولائحته التنفيذية وفي جميع اللوحات الإرشادية.

محمد عبدالله
كاتب وباحث

أبو حيان الأندلسي حياته ومؤلفاته

ظلت الأندلس ما يقارب ثمانية قرون تحت الحكم الإسلامي تنطق بلسان العرب، وكانت طيلة هذه الفترة متميزة في العلوم والفنون والآداب، وقد سطع في هذا الزمن نجوم أسهموا في إثراء التراث العربي والإسلامي، ومن بين هؤلاء أبو حيان ذاك العلم الذي برع في اللغة والتفسير والقراءات وغيرها من العلوم، فحري بنا أن نعرف بهذا العالم ونلقي الضوء على بعض من مؤلفاته، وهاك أخي القارئ طرفا من ذلك.

نسبه ومولده

هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي النفزي، نسبة إلى قبيلة من البربر[١] ولد بمطخشارش، مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمئة[٢]، وليس هناك تعارض بين من يقول إنه ولد بمطخشارش[٣]، ومن يقول إنه ولد بغرناطة[٤]؛ لأن مطخارش جزء من غرناطة[٥].

نشأته

ليس هناك في كتب التراجم أخبار عن أبيه أو أسرته، ويبدو أن أباه لم يكن من ذوي العلم والسلطان؛ لتتناقل أخباره الكتب[٦].

سبب رحيله عن الأندلس

قال السيوطي عن سبب رحيله عن الأندلس: «وكان سبب رحلته عن غرناطة أنه حملته حدة الشبيبة على التعرض للأستاذ أبي جعفر ابن الطباع[٧]، وقد وقعت بينه وبين أستاذه أبي جعفر بن الزبير[٨] وقعة، فنال منه وتصدى لتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته، فرفع أمره إلى السلطان، فأمر بإحضاره وتنكيله فاختفى، ثم ركب البحر، ولحق بالمشرق».

قلت: ورأيت في كتابه النضار الذي ألفه في ذكر مبدئه، واشتغاله، وشيوخه، ورحلته أن مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق، والفلسفة، والرياضي، والطبيعي قال للسلطان: إني قد كبرت، وأخاف أن أموت،

فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم، لينفعوا السلطان من بعدي. قال أبو حيان: «فأشير إلي أن أكون من أولئك، ويرتب لي راتب جيد وكسا، وإحسان، فتمنعت ورحلت مخافة أن أكره على ذلك»[٩].

شيوخه

قال أبو حيان عمن تلقى عنهم: «وعدة من أخذت عنه أربعمئة وخمسون شخصا»، وأما من أجازني فكثير جدا[١٠]. وهاك بعض شيوخه

١- الأبذي:

هو: علي بن محمد بن محمد بن عبدالرحيم الخشني الأبذي أبو الحسن، أخذ العربية والآداب على أبي الحسن الدباج، وأبي علي ابن الشلوبين، له إملاء على كتاب سيبويه، وعلى الإيضاح والجمل، ومشكل الأشعار الستة الجاهلية، والجزولية، توفي سنة ٦٨٠هـ[١١].

٢- ابن الضائع:

هو: علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي الإشبيلي أبو الحسن المعروف بابن الضائع، لازم الشلوبين، وفاق أصحابه بأسرهم، عاش نحو سبعين سنة. من كتبه: شرح كتاب سيبويه، وشرح الجمل للزجاجي، توفي سنة ٦٨٠هـ[١٢].

٣- الشيخ بهاء الدين ابن النحاس:

هو: محمد بن إبراهيم بن محمد ابن أبي نصر، الإمام العلامة حجة العرب، بهاء الدين ابن النحاس الحلبي النحوي، شيخ العربية بالديار المصرية، سمع ابن يعيش، وأبا القاسم ابن رواحة، وابن خليل، وقرأ القرآن على أبي عبدالله الفاسي، وأخذ عن جمال الدين ابن عمرون، له: «إملاء على كتاب المقرب» لابن عصفور، من أول الكتاب إلى باب



الوقف، والتعليقة في شرح ديوان امرئ القيس. توفي سنة ٦٩٨هـ بالقاهرة[١٣].

٤- المالقي:

هو: أحمد بن عبدالنور بن أحمد بن راشد أبو جعفر المالقي، ولد سنة ٦٣٠هـ، أخذ القراءات عن الحجاج ابن أبي ريحانة، وسمع منه التيسير وغيره، وقرأ الجزولية على ابن المفرج المالقي، من تصانيفه: رصف المباني في حروف المعاني، وشرح المقرب في النحو، وشرح الجمل الكبيرة للزجاجي في النحو، وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة ٧٠٢هـ[١٤].

تلامذته

أخذ عنه أكابر عصره، ومن هؤلاء:

١- السمين الحلبي:

هو: أحمد بن يوسف بن عبدالدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات. شافعي، من أهل حلب. استقر واشتهر في القاهرة. قرأ النحو على أبي حيان، والقراءات على ابن الصائغ، من كتبه: «تفسير القرآن»، و«القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز»، و«الدر المصون» في إعراب القرآن، و«عمدة الحفاظ.. في تفسير أشرف الألفاظ» توفي سنة ٧٥٦هـ[١٥].

٢- ابن عقيل:

هو: أبو محمد، بهاء الدين، عبدالله ابن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد ابن عقيل، ولد بمصر سنة ٦٩٤هـ، وقيل: ٦٩٨هـ، وقيل: ٧٠٠هـ. برع في النحو، حتى عد نحوي الديار المصرية في زمانه. أخذ عن القزويني، ولازم أبا حيان اثنتي عشرة سنة. قال فيه أبو حيان: «ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل» من مصنفاته: شرحه على الألفية، والمساعد على تسهيل الفوائد، مات بالقاهرة سنة ٧٦٩هـ[١٦].

٣- ناظر الجيش:

هو: محمد بن يوسف بن أحمد بن عبدالدائم الحلبي محب الدين ناظر الجيش، من تلامذة أبي حيان، أصله من حلب، ومولده ووفاته بالقاهرة. رقي إلى أن ولي نظارة الجيش بالديار المصرية. وفاق غيره في المروءة ومساعدة من يقصده، لا سيما طلبة العلم، وألف «تمهيد القواعد» في شرح «التسهيل لابن مالك» في النحو، و«شرح التلخيص» في المعاني والبيان، توفي سنة ٧٧٨هـ[١٧].

٤- المرادي:

هو: الحسن بن قاسم بن عبدالله المرادي، المعروف بابن أم قاسم، وهي جدته لأبيه، عالم مشارك في النحو، والتفسير، والقراءات، ولد بمصر، وأخذ العلم عن أبي حيان، والسراج الدمنهوري، وابن اللبان وغيرهم، وألف كتبا كثيرة منها: شرح التسهيل، وتوضيح المقاصد، وشرح المفصل، والجنى الداني في حروف المعاني، وكان تقيا صالحا، مات في عيد الفطر سنة ٧٤٩ هـ[١٨].

٥- الجمال الإسنوي:

هو: عبدالرحيم بن علي بن الحسين

ابن شيث، القاضي الرئيس جمال الدين الأموي القرشي الإسناوي القوصي، نشأ بقوص، وتفنن بها، وبرع في الآداب والعلم. وكان دينا، خيرا، ورعا، حسن النظم، والنثر، منشئا بليغا. ولي الديوان بقوص، ثم بالإسكندرية ثم بالقدس، له كتب، منها «معالم الكتابة ومغانم الإصابة» في فن الإنشاء و«آداب كتاب الملوك» توفي: ٦٢٥ هـ[١٩].

مكانته

قال الصفدي: «ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالا منه؛ لأني لم أره إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب، ولم أره على غير ذلك، وله إقبال على الطلبة الأذكياء، وعنده تعظيم لهم، نظم ونثر، وله الموشحات البديعة، وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في العربية، وله اليد الطولى في التفسير، والحديث، والفروع، وتراجم الناس، وطبقاتهم، وتواريخهم، وحوادثهم»[٢٠].

وفاته

توفي رحمه الله تعالى في الثامن عشر من صفر سنة سبعمئة وخمس وأربعين من الهجرة، وصلي عليه بجامع دمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الأول[٢١].

مؤلفاته[٢٢]

ترك أبو حيان للمكتبة العربية تراثا هائلا من الكتب في النحو، والصرف، والتفسير، وغيرها، ومن أهم هذه الكتب:

١- التذييل والتكميل في شرح التسهيل

وهو كتاب يتناول كتاب «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» لابن مالك بالشرح والتحليل. وقد حقق هذا الكتاب في ثماني رسائل دكتوراه للأساتذة: مصطفى أحمد حبالة، والسيد تقي الدين عبدالسيد، وحماد حمزة البحيري، والشربيني إبراهيم أبو طالب، وجميل أمين عبدالرحيم، وعبدالحميد محمود حسان، وعلي حسن علوان، وسليمان محمد الحلفاوي، كما طبع منه إلى الآن، ستة عشر جزءا بتحقيق د. حسن هنداوي، طبعة دار كنوز إشبيليا -الرياض.



٢- منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك

وهو شرح لمعظم ألفية ابن مالك، ويظهر أن أبا حيان توقف عن الكتاب ليتم كتبه الأخرى على أن يعود له مرة أخرى لكن المنية عاجلته، وقد حققه من المعاصرين أ.د. علي فاخر وآخران في مجلدين، كل مجلد به جزآن، وطبعته له دار الطباعة المحمدية عام٢٠١٣م، وقد وصل فيه إلى: أفعل التفضيل.

٣- ارتشاف الضرب من لسان العرب

وقد كان هذا الكتاب اختصارا لكتابه التذييل والتكميل، وتكملة له في بعض المواضع والمسائل التي لم يذكرها هناك، ولا تختلف موضوعات الارتشاف عن موضوعات التذييل والتكميل إلا في التبويب والتفصيل، والموضوعات التي أضافها هي: فصل في نوادر التأليف، باب صيغ من التعجب لم يبوب لها النحاة السابقون، باب الضرائر، وهذا الباب من أهم محاور دراستي في الرسالة بإذن الله.

ومن طبعات الارتشاف طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة حققها أ. رجب عثمان محمد، وأ. رمضان عبدالتواب.

٤- غاية الإحسان في علم اللسان

وقد ألفه أبو حيان للمبتدئين في علم النحو، واحتذى فيه طريقة البصريين، واتبع مذهبهم، وطبعت هذا الكتاب دار البيان للطباعة والنشر، وقامت بتحقيقه د. هدى سمير مجذوب.

٥- النكت الحسان في شرح غاية الإحسان

هو شرح لكتابه «غاية الإحسان في علم اللسان» والكتاب به فصل مختصر عن الضرائر، وقد أفدت من نصوصه في البحث، وقد طبعته مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٥م بتحقيق د. عبدالحسين الفتلي- كلية

الآداب - جامعة بغداد.

٦- تذكرة النحاة

وقد طبع عام ١٩٨٦م بمؤسسة الرسالة- بيروت، وقد تضمن الكتاب العديد من مجالس العلماء، وبعض الأبواب النحوية إضافة إلى نقولات من بعض الكتب، ككتاب: شرح المعلقات السبع للنحاس، ومسائل أبي نزار الملقب بملك النحاة، والنكاح لعلي بن جعفر السعدي، والصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري، وغير ذلك من الكتب الموجودة والمفقودة في النحو وفي غيره من العلوم.

٧- تقريب المقرب

وفيه هذب كتاب المقرب لابن عصفور، واستخرج لبه وجوهره، وإن كان قد خالف ابن عصفور في ترتيب كتابه، والكتاب به فصل عن الضرائر في نهايته لا يتجاوز بضعة أسطر، والكتاب مطبوع بتحقيق محمد جاسم الديلمي بيروت ١٩٨٧م، كما طبع بتحقيق د. عفيف عبدالرحمن، ونشرته دار المسيرة ببيروت سنة ١٩٨٧م.

٨- البحر المحيط

من أهم كتبه في التفسير، والتي عني فيها بالنحو كتاب «البحر المحيط» وقد طبع في مصر بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٨هـ وعلى حاشيته مختصره النهر الماد لأبي حيان نفسه، ومن طبعاته الحديثة طبعة دار الفكر - بيروت للمحقق: صدقي محمد جميل، سنة: ١٤٢٠هـ. ولقد ألفه أبو حيان في مصر بعد أن ألقى عصا التسيار فيها، وهو من أواخر مصنفاته التي كتبها في عهد نضجه الفكري، وقد اهتم فيه بالنحو والصرف.

٩- النهر الماد

اختصر أبو حيان كتابه البحر المحيط تحت عنوان: «النهر الماد من البحر» والكتاب مطبوع كما سبق على حاشية البحر، وقد ألفه أبو حيان رغبة في التسهيل على الباحثين؛ لما رأى عظم حجم كتابه البحر المحيط.

كذلك من كتبه المفقودة القول الفصل في أحكام الفصل، وشرح كتاب سيبويه، والتجريد لأحكام سيبويه، والإسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار، ونهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب، وفضل النحو.

الهوامش

١- ينظر الوافي بالوفيات ١٧٥/٥، وبغية الوعاة ٢٨٠/١، والأعلام للزركلي١٥٢/٧.

٢- بغية الوعاة ٢٨٠/١.

٣- رجعت إلى معجم البلدان وغيره، ولم استطع الوقوف على اسمها الآن.

٤- قال بذلك الصفدي. ينظر الوافي بالوفيات ١٧٥/١.

٥- ينظر نفح الطيب٥٥٩/٢، وطبقات المفسرين للداوودي ٢٨٧/٢، وأبو حيان حياته وآثاره للدكتورة خديجة الحديثي، ص:٣١.

٦- ينظر أبو حيان حياته وآثاره، ص:٣٣.

٧- هو: أحمد بن علي بن أحمد بن عيسى، شيخ القراء بغرناطة مولده بعد الستمئة قرأ بالروايات على الخطيب عبدالله بن محمد الكواب، وولي القضاء كرها فحكم حكومة واحدة وعزل نفسه، وأخذ عنه القراءات أبو حيان، وأبو القاسم ابن سهل، وتوفي سنة ٥٨٠هـ. ينظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٥٨/٧.

٨- هو: الإمام الحافظ العلامة شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد = بن إبراهيم العاصمي الغرناطي النحوي، وهو شيخ أبي حيان من كتبه: صلة الصلة، وملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل والبرهان في ترتيب سور القرآن، توفي سنة ٧٠٨هـ. ينظر ترجمته في طبقات الحفاظ للذهبي ١٨٤/٤، والوافي بالوفيات ١٤٠/٦، وبغية الوعاة ٢٩١/١، والأعلام للزركلي ٨٦/١.

٩- بغية الوعاة ٢٨١/١.

١٠- الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٥٨/٦، وينظر بغية الوعاة ٢٨٠/١.

١١- ينظر ترجمته في الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ٢٠٩/٣، والبلغة ص:٢١٧، وبغية الوعاة ١٩٩/٢.

١٢- ينظر بغية الوعاة ٢٠٤/٢، والأعلام للزركلي ٣٣٣/٤.

١٣- ينظر ترجمته في فوات الوفيات ٢٩٤/٣، وبغية الوعاة ١٣/١.

١٤- ينظر ترجمته في الدرر الكامنة ٢٢٨/١، وبغية الوعاة ٣٣١/١، ومعجم المؤلفين ٣٠٥/١.

١٥- ينظر ترجمته في أعيان العصر وأعوان النصر ٤٤١/١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٨/٣، والأعلام للزركلي ٢٧٤/١.

١٦- ينظر ترجمته في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩٦/٣، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٤٢/٣، والأعلام للزركلي ٩٦/٤.

١٧- ينظر ترجمته في بغية الوعاة ٢٧٥/١، وطبقات المفسرين للداوودي ٢٨٠/٢، والأعلام للزركلي ١٥٣/٧.

١٨- ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء ٢٢٧/١، وبغية الوعاة ٥١٧/١، والأعلام للزركلي ٢١١/٢.

١٩- ينظر ترجمته في تاريخ الإسلام تحقيق بشار ٧٩٨/١٣، والوافي بالوفيات ٢٣٠/١٨، والأعلام للزركلي ٣/ ٣٤٧.

٢٠- الوافي بالوفيات ١٧٥/٥.

٢١- الوافي بالوفيات ١٨٥/٥.

٢٢- ينظر كتاب أبو حيان النحوي للدكتورة خديجة الحديثي من ص: ٢٨ إلى ص:١٩٠، وتاريخ النحو العربي د. علي فاخر ص:٢٦٧: ٢٦٤.

إيمان بازرباشي
كاتبة وباحثة



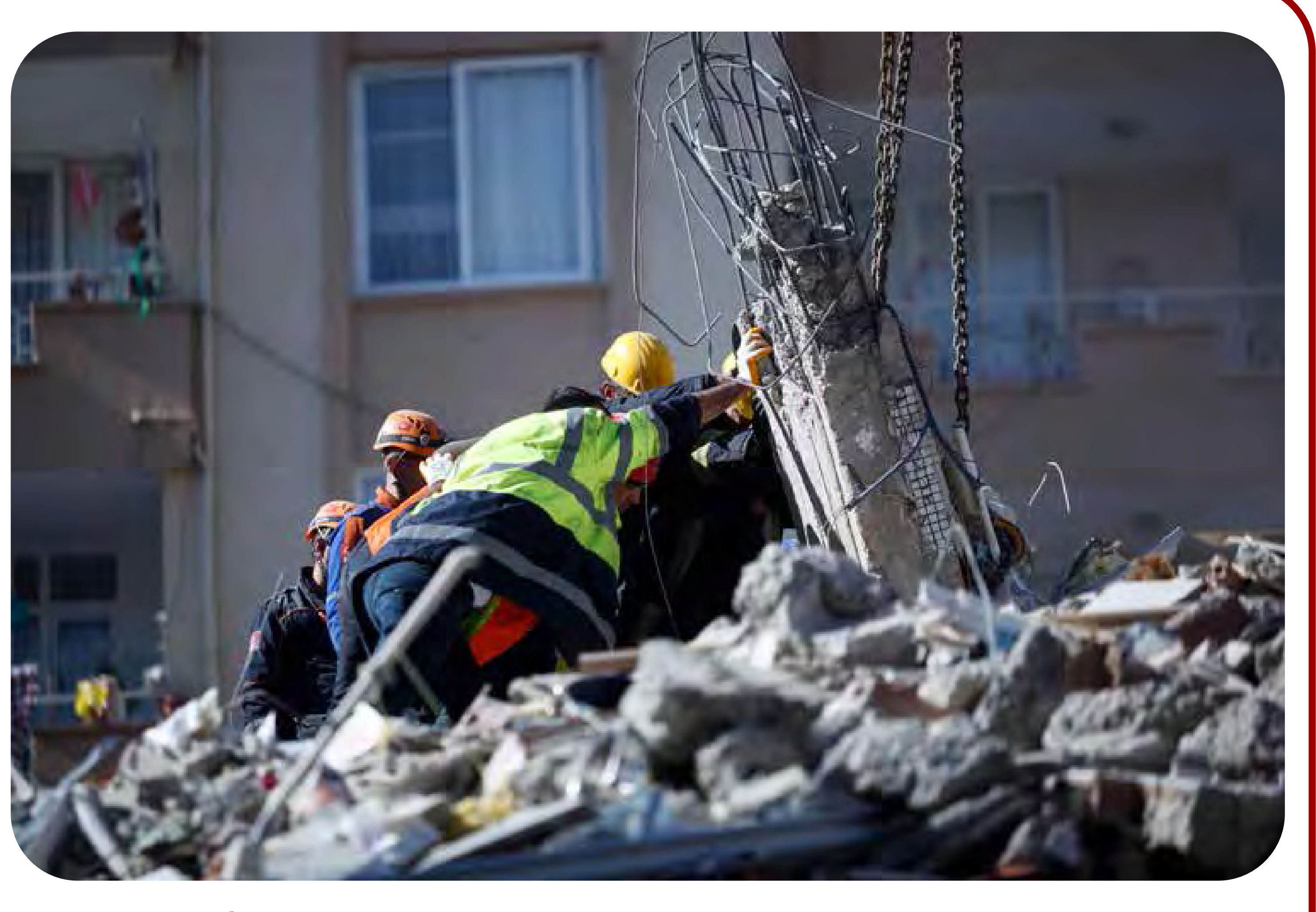
الموت خوفاً من الموت

بالأمس قرأت أكثر من نعي هنا في بلدي سورية سبب الوفاة كان جلطة نتيجة الحزن والرعب والخوف من الزلزال!! أيعقل أن نموت خوفاً من الموت؟!! لماذا كل هذا الخوف من الموت؟!! أليس هو نهايتنا الحتمية؟!! هل ثمة إنسان سيخلد على وجه هذه الأرض؟!! أعلم أن الزلزال شيء مرعب ولكن علينا أن نسيطر على أنفسنا ونهدئها وننشر ثقافة الهدوء لا ثقافة الرعب... ثقافة الرعب عواقبها وخيمة، ولنتذكر كلنا سنموت إن كان بزلزال أو بسواه فلم كل هذا الخوف والرعب؟!! أعلم أن الزلزال شيء مرعب ومحزن وأنا لا أقلل من رهبة الزلزال، لكن في الوقت ذاته علينا أن نكون على يقين أن ثمة إله حكيم هو من يدير هذا الكون وهذا الإله رحيم وكريم وعظيم... والله لو علمت فائدة واحدة للرعب وللحزن والخوف لما كتبت هذه المقالة، لكن لا فائدة ترجى من الرعب ومن الحزن والخوف. على العكس تماماً الخوف والرعب والحزن أشياء تدمر النفسية تشل التفكير وتسبب أمراضاً خطيرة قد تؤدي للوفاة وهذا ما رأيناه عند بعض الناس، خافوا وحزنوا وانجلطوا وماتوا!! بدل الخوف والحزن علينا أن نعيد حساباتنا مع الله... من كان يظلم ليعد عن ظلمه! من كان يأكل حقوق الناس ليرد حقوق الناس.. من كان يسيء معاملة زوجته ليصحح خطأه وهكذا...للأسف إلى الآن ثمة أناس لم تتعظ مما حدث ويحدث.. للأسف هذه هي الحقيقة المرة أن معظم الناس لم يحرك الزلزال فيها شيء بل على العكس البعض فضل أن يستغل الزلزال ليحقق مكاسب مادية!! شيء مؤسف وجود هؤلاء... ولكن في الوقت ذاته نجد بعض الطيبين راحوا يستغلون الزلزال للإكثار من عمل الخير لأنهم يعلمون أن ثواب عمل الخير في هذه الظروف



الاستثنائية ثواب مضاعف.. فرأيت من سارع بالتبرع بالمال أو المساعدة بتأمين مأوى للعائلات المتضررة أو أي شيء يقدمونه ليثبتوا لله قبل كل أحد أنهم عباد للرحمن يسعون لطلب رضاه ويعلمون أن الله يحب من يساعد عباده قال الرسول ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» (رواه الطبراني). وهنا سؤال يطرح نفسه: هل يستوي هؤلاء مع هؤلاء عند الله؟!! هل يمكن أن يعامل الله تعالى من يتاجر بآلام الناس كما يعامل من يخدم الناس ويقدم لهم المعونات؟!! حاش لله... قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية:٢١)، مستحيل وألف مستحيل أن يعامل الله الطيب كما يعامل الخبيث.. الطيب حياته طيبة ومماته طيب، في حياته يتقلب من توفيق إلى توفيق ومن إكرام إلى إكرام ومن ثم تكون له ميتة طيبة وقد تكون هذه الميتة الطيبة تحت الأنقاض، عسى أن يتقبله ربه مع الشهداء، فقد ثبت عن الرسول ﷺ أن من يموت بالزلزال شهيد. قال الرسول ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله» (متفق عليه).

إذاً ليس مهماً أن تموت بالزلزال أو على فراشك، المهم أن تموت على صلاح. أن تموت وأنت مطيع لله ولرسوله حتى تنال الشهادة أو مرافقة الشهداء كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩)، فحتى تنال هذه الرفقة الطيبة مطلوب منك طاعة



اللّه ورسوله... فإذا كنت كذلك لا خوف عليك سواء مت بالزلزال أو مت ميتة أخرى...

إذاً لا داعي للرعب وللخوف وللحزن... المطلوب منا بدل الرعب والخوف والحزن الذين لا جدوى منهم، المطلوب منا أن نعيد حساباتنا مع اللّه... كل إنسان يحاسب نفسه، كل واحد منا يعرف نفسه جيداً ويعرف أين التقصير عنده قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾(القيامة: ١٤- ١٥).

إذاً دعونا نتلافى التقصير، وهذا الكلام موجه لنا جميعاً، حتى الإنسان المستقيم المحسن مطلوب منك أن تزيد في إحسانك.. أن تزيد في تقواك... أن تزيد في خوفك من مقام اللّه... الخوف الإيجابي الوحيد في هذا الكون هو الخوف من مقام اللّه، هذا الخوف هو الذي ينتشلك من هاوية الشقاء والأحزان والخوف إلى جنة القرب من اللّه.. هذا الخوف يدخلك جنة الدنيا قبل جنة الآخرة. نعم ثمة جنة في هذه الدنيا من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهذه الجنة لا تكون إلا لمن يخاف مقام اللّه، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن:٤٦).

خوف مقام اللّه يعني أن تضع اللّه في كل حساباتك... أن تراقب اللّه في السر والعلن... هذا الأمر يجعلك تعيش في جنة هنا في الدنيا، ثم تموت فتجد الجنة الأكبر تنتظرك... أي فوز هذا!؟ وأي فلاح هذا!؟ إنه الفوز العظيم، الذي قال عنه اللّه تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(سورة النساء:١٣).

المؤمن الصادق يجب أن تكون حياته جنة وموته جنة.

أنا لدي قناعة راسخة أنه مستحيل وألف مستحيل أن يسعى الإنسان في إغاثة الناس ومساعدتهم مادياً ومعنوياً ثم يسوق له اللّه الشدائد، اللّه حيي يا إخوان.

مستحيل أنك تبذل كل طاقتك في مساعدة الناس ابتغاء مرضاة اللّه ثم ينالك ضرر من اللّه.

يقول قائل: هل يعني هذا أن من هم واقعون تحت الأنقاض رب العالمين غاضب عليهم حتى حصل لهم ما

حصل؟... أقول: لا تخوضوا في تفسير الآيات التكونية لله تعالى... لأنه وحده سبحانه وتعالى من يعلم الحكمة منها...لله تعالى في هذا الوجود آيات كونية هي خلق الله تعالى والمطلوب منا حيالها التفكر قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٩١)، وثمة آيات تكونية هي أفعال الله تعالى... هي القدر والمطلوب منا حيالها هو التسليم فقط... أن نسلم أن ثمة إله حكيم هو من سمح بحدوث هذه الآية لحكمة ما، لأننا إن حاولنا تفسير الآيات التكونية في هذا الكون قد نفلح وقد نخطئ... فلماذا الخوض في أمر غير مطلوب منا أصلاً... يعني سأضرب مثلا بسيطا أوضح به هذا الأمر. طالب جامعي دخل إلى الامتحان فوجد سؤالا صعبا جداً في ورقة الأسئلة ومكتوب عليه (اختياري)، يعني بإمكانك أن تحله وبإمكانك أن تتجاهله ولن تنقص علامتك شيئاً إن لم تحله، ولكن إذا حاولت حله وأخطأت في الحل ستنقص علامتك، هل سيبادر أحد من الطلاب لحله؟ مؤكد أن كل الطلاب ستتجاهل هذا السؤال لأنه صعب أصلاً... ونحن أيضاً لسنا مطالبين في فهم وتحليل الآيات التكونية في هذا الكون. لأننا لن نستطيع معها صبرا... قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾(الكهف:٦٧- ٦٨).

دعونا من الخوض في الآيات التكونية إذاً، ونترك أمرها إلى الله. فقط علينا أن نسلم أنه لا وجود للشر المطلق في هذا الكون... لذا إياك أن تقول: أن من تحت الأنقاض كلهم عصاة والله غاضب عليهم...لا يحق لك أن تقول ذلك أبداً... فتحت الأنقاض هناك المحسن والمسيء... المحسن ربما أراد الله أن يريحه من عذاباته ويختم له بالشهادة وينقله إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين... والمسيء أراد الله أن يخلص الناس من شره... ولنتذكر أننا في امتحان وأن الموت هو نهاية هذا الامتحان والمؤمن الصادق لا يخاف من الموت بل يستعد له. الموت بوابة دخولنا إلى الجنة... الموت يعني انتهاء الامتحان والابتلاء... يعني بداية الجزاء... بداية الثواب... بداية النعيم... الموت يعني لقاء الله...لقاء الكريم لقاء الرحيم... فيا مرحباً بلقاء الله...المحسن لا يخاف الموت... يقول قائل: أنا لا أحب الموت...أقول كلنا لا يحب الموت... فرق كبير بين أن لا تحب الموت وبين أن تخاف من الموت... المؤمن عنده نفس مطمئنة مقتنعة تماماً أن كل أمره خير... وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (رواه مسلم)، إذاً فكل أمر المؤمن خير، أما غير المؤمن والمسيء فالموت هو بداية الحساب والعذاب... لذلك المطلوب منك أن تكون محسن... صادق... أن تتقي الله فقط...أن تتوب وتعمل على تزكية نفسك... حينها تكون جاهزا لاستقبال قضاء الله تعالى وقدره مها يكن...

ولنتذكر أمر غاية في الأهمية وهو أن الزلزال جندي من جنود الله يضرب الله تعالى به من يشاء، ولكن الضرب ليس عشوائياً هناك أخطاء ارتكبها الإنسان سببت هذا الابتلاء، ولأن الله يحب عباده ويحب لهم أن يعودوا إلى الطريق المستقيم يرسل لهم هذه الابتلاءات قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم:٤١).

وفي هذا السياق ثمة نقطة هامة يجب أن نذكرها وهي أنه ليس كل من أصيب بالزلزال هو مغضوب عليه وليس كل من نجا من الزلزال هو مرضي عنه قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(النحل: ٦١).

معنى هذه الآية أن معظم الناس ظالمون ولو أراد الله أن يحاسبهم على ظلمهم لما ترك على الأرض أحداً منهم ولكن الله تعالى حليم ويؤخرهم إلى أجل مسمى عسى أن يعودوا أو يتوبوا، فإن ظلوا على ضلالهم إلى أن حان أجلهم فهذا من سوء خاتمتهم. فلا يظن أحد أن من لم يصب بالزلزال هو إنسان تقي بالضرورة وأن الله يحبه، هناك مجرمون ولم يصبهم الزلزال، هذا لا يعني أن الله راض عنهم، هو يمهلهم ولا يهملهم... فإذا أخذهم كان أخذه أخذ عزيز مقتدر.

د. عمران صبره الناهوي
كاتب وباحث



الجدل وحاجتنا إليه

مما اتصف به الإنسان، وامتاز به عن غيره من مخلوقات الله - عز وجل - كثرة المجادلة، إذ كثيرا ما تتأتى منه المخاصمة ومعارضة الحق بالباطل، وهذه الصفة بدورها تنسحب على جميع بني آدم إلا من رحمه الله وهداه، وأخذ بيده وبصره بطريق النجاة، وقد ذكر القرآن هذه الصفة للإنسان، وأثبتها له.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف:٥٤)، وتمثل بها صلوات الله وسلامه عليه سيدنا محمد ﷺ حينما طرق عليا بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمة ابنته ليلة، فقال: ألا تصليان؟ فقال علي: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف -كما يقول علي - حين قلت ذلك، ولم يرجع إلى شيئا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه، ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[١]، فما الجدل؟

معنى الجدل لغة واصطلاحا

الجدل في اللغة اللدُّ في الخصومة، والقدرة عليها[٢]، أما في الاصطلاح فقد عرف بتعريفات كثيرة منها:

هو فتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله، وإبطال قول غيره[٣]، أو هو إخبار كل واحد من المختلفين بحجته، أو بما يقدر أنه حجته، وقد يكون كلاهما مبطلا، وقد يكون أحدهما محقا، والآخر مبطلا، إما في لفظه، وإما في مراده، أو في كليهما، ولا سبيل أن يكونا معا محقين في ألفاظهما ومعانيهما[٤]، أو هو إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة.[٥]

أقسام الجدل

ينقسم الجدل إلى قسمين: محمود، ومذموم، وفي التفرقة بينهما يقول الجويني: «ثم من الجدل ما يكون محمودا مرضيا، ومنه ما يكون مذموما محرما[٦]، ثم يوضح ذلك بقوله: فالمذموم منه ما يكون لدفع الحق، أو تحقيق العناد، أو ليلبس الحق بالباطل، أو لما لا يطلب به تعرف ولا تقرب، أو للمماراة، وطلب الجاه والتقدم إلى غير ذلك من الوجوه المنهي عنها، وهي التي نص الله سبحانه في كتابه على تحريمها، فقال: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف:٥٨)، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف:٥٤)، وغيرهما من الآيات.

وأما الجدال المحمود المدعو إليه، فهو الذي يحق الحق، ويكشف عن الباطل، ويهدي إلى الرشد، مع من يرجى رجوعه عن الباطل إلى الحق، وفيه قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ﴾ (النحل:١٢٥)»[٧].

حكمه

الجدل حكمه الوجوب إذا ما تعلق الأمر بالدفاع عن المعتقد الصحيح، وفي ذلك يقول الإمام الأشعري: «فأما النظر إذا كان بمعنى الجدل فقد يكون واجبا، وفي حال ندبا وتطوعا، وذلك عند استرشاد مسترشد، وطعن طاعن لتنبيه غافل، وتبيين طاعن خلاف ما يتوهمه، فيكشف له الحق بدلائله، ويتضح له

وجهه بأماراته اللائحة...»[٨].

منزلته

الجدل من أولى المهمات، وآكد الواجبات؛ ولذا جعله الله سبحانه وتعالى أحد طرق ثلاثة في الدعوة إليه، فقال عز من قائل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ (النحل:١٢٥)، فالدعوة إلى الله تكون بإحدى ثلاث: بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والحكمة في تعدد طرق الدعوة ترجع إلى اختلاف مراتب الناس، وتفاوت منازلهم في مدارك العقول، فالطريقة التي تصلح لأقوام قد لا تصلح لآخرين، فالناس مختلفون جد الاختلاف، ولذا كان للحكماء طريقة، ولعوام الخلق وواسطتهم ثانية، ولأرباب الجدل والمشاغبة ثالثة، وفي ذلك يقول الفخر الرازي: «واعلم أن أهل العلم ثلاث طوائف: الكاملون – على حد قوله – الطالبون للمعارف الحقيقية، والعلوم اليقينية، والمكالمة مع هـؤلاء لا تمكن إلا بالدلائل القطعية اليقينية، وهي الحكمة. والقسم الثاني: الذين تغلب على طباعهم المشاغبة والمخاصمة، لا طلب المعرفة الحقيقية، والعلوم اليقينية، والمكالمة اللائقة بهؤلاء المجادلة التي تفيد الإفحام والإلزام، وهذان القسمان هما الطرفان. فالأول: هو طرف الكمال، والثاني: طرف النقصان.

وأما القسم الثالث: فهم الواسطة، وهم الذين ما بلغوا في الكمال إلى حد الحكماء المتحققين، وفي النقصان والرذالة إلى حد المشاغبين، بل هم أقوام بقوا على الفطرة الأصلية، والسلامة الخلقية، وما بلغوا إلى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية، والمعارف الحكمية، والمكالمة مع هـؤلاء لا تمكن إلا بالموعظة الحسنة...»[٩].

أهميته، وحاجتنا إليه

للجدل –وأعني المحمود منه– أهمية كبرى، إذ باتباع مراسمه يتبين الحق من الباطل، ويتميز به صحيح الكلام من فاسده، وهـذا ما عبر عنه سبط ابن الجـوزي قائلا: «اعلم –وفقنا الله وإياك– أن معرفة هذا العلم لا يستغنى عنها ناظر، ولا يتمشى بدونها كلام مناظر...»[١٠]، ويعلل ذلك بقوله: لأنه به يتبين صحة الدليل من فساده تحريرا وتقريرا، وتتضح الأسئلة الواردة من المردودة إجمالا وتفصيلا، ولولاه لاشتبه التحقيق في المناظرة بالمكابرة، ولو خلي كل مدع، ودعوى ما يرومه على الوجه الذي يختار، ولو مكن كل مانع من ممانعة ما يسمعه –متى شاء– لأدى إلى الخبط وعدم الضبط، وإنما المراسم الجدلية تفصل بين الحق والباطل، وتميز المستقيم من السقيم فمن لم يحط بها علما كان في مناظرته كحاطب ليل...»[١١].

وإذا كان أسلافنا العظام –رحمهم اللّه– قد أدركوا أهمية الجدل، وأفصحوا عن حاجتهم إليه، فنحن أحوج إليه منهم خاصة بعد تباعد المسلمين، وتفرقهم أيادي سبأ، وظهور مالا يحصى كثرة من الفرق على الساحة الإسلامية، وتعصب كل منها لآرائها ومعتقداتها، وتخطئة كل فرقة منها للأخرى، وتعديهم إلى حيز التفسيق والتكفير، الأمر الذي يحتم علينا التـزام المنهج العلمي في الجـدل؛ ليكون جـدلا بناء ينشد الوصول إلى الحق، ولا يبالي طرفاه أن يظهر الحق على لسان أحدهما، أو لسان الآخر، وإن كان ذلك مطلبا عزيز المنال، والسبب في ذلك يرجع –كما يقول الشيخ محمد الغزالي– إلى عدم الإخلاص، وعدم النزاهة والموضوعية في البحث...»[١٢]، ثم يقول: «وكلما كان الخلاف بين علماء مخلصين، فإن هذا الخلاف لن يطول أجله، وإذا قدر له أن يطول فلن يترك في النفوس حقدا، ولا في الصفوف صدعا، وإذا حدث من ذلك شيء فلابد أن يكون لأسباب مصطنعة بعيدة عن دائرة العلم، أو عن دائرة الإخلاص، أو عن كلتيهما جميعا...»[١٣].

هذا هو الجدل المحمود الذي ننشده، ونبحث عنه، الجدل الذي يبني ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، ولن يتسنى لنا تحقيقه إلا إذا خلصت النوايا، وصح المنهج، وروعيت الضوابط والآداب.

الهوامش

١- الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، طبع جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، (١٢٣/٣).

٢- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، (١٤١٦هـ -١٩٩٦م)، (ص: ١٢٦١).

٣- ابن النجار الحنبلي: مختصر التحرير في أصول الفقه، ضبط نصه وصححه وعلق عليه د/محمد مصطفى محمد رمضان، دار الأرقم، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، (١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م)، (ص: ٢٢٩).

٤- ابن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، حققه وراجعه: لجنة من العلماء، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، (١/ ٤٥).

٥- الجويني: الكافية في الجدل، تقديم وتحقيق وتعليق دكتورة فوقية حسين محمود، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ص/ ٢١).

٦- المصدر السابق والصفحة.

٧- الجويني: الكافية في الجدل (ص ٢١-٢٢).

٨- ابن فورك: مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، تحقيق/ دانيال جيماريه، بحوث ودراسات كلية الآداب بجامعة القديس يوسف، بيروت، سلسلة جديدة «أ» اللغة العربية والفكر الإسلامي رقم: (١٤)، دار الشرق، بيروت، (١٩٨٧م)، (ص: ٢٩٣).

٩- الفخر الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، (٢٠/ ١١١-١١٢).

١٠- سبط ابن الجوزي: كتاب الإيضاح لقوانين الاصطلاح في الجدل والمناظرة، تحقيق/محمود بن محمد السيد الدغيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ-١٩٩٩م)، (ص: ٩٩).

١١- المصدر السابق والصفحة.

١٢- الشيخ محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (١٩٧٩م)، (ص: ٢٠٨).

١٣- المرجع السابق والصفحة.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٧٩)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (ابن النقيب):

١- ناصر الدين بن النقيب (ت: ٦٨٧هـ):

هو ناصر الدين الحسن بن شاور بن طرخان ابن النقيب الكناني النفيسي، شاعر، من أفاضل مصر.

من أبرز مصنفاته: (ديوان مقاطيع)، (منازل الأحباب ومنازه الألباب) في المحاورات التي جرت بينه وبين أدباء عصره[1].

٢- جمال الدين بن النقيب (ت: ٦٩٨هـ):

هو جمال الدين أبو عبد الله، محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي، المعروف بابن النقيب، مفسر، من فقهاء الحنفية.

ولد بالقدس سنة: (٦١١هـ)، انتقل إلى القاهرة وأقرأ في بعض مدارسها، وعاد إلى القدس.

من أبرز مصنفاته: تفسير كبير حافل، سماه: (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير)، قال المقريزي: في سبعين مجلدة، توفي بالقدس[2].

٣- شهاب الدين بن النقيب (ت: ٧٦٩هـ):

هو شهاب الدين أبو العباس، أحمد ابن لؤلؤ بن عبد الله الرومي المصري، الشافعي، المعروف بابن النقيب.



ولد بالقاهرة سنة: (٧٠٢هـ)، كان أبوه روميا من نصارى أنطاكية، من كتبه: (تسهيل الهداية وتحصيل الكفاية)، و(السراج في نكت المنهاج) للنووي، و(الترشيح المذهب في تصحيح المهذب) للشيرازي، و(عمدة السالك وعدة الناسك)، توفي بالقاهرة بسبب الطاعون[٣].

٤- برهان الدين بن النقيب (ت: ٨٠٣هـ):

هو برهان الدين إبراهيم بن النقيب إسماعيل بن إبراهيم المقدسي النابلسي الحنبلي، أقضى القضاة، فقيه، فرائضي، ناب في الحكم.

من أبرز مصنفاته: (تعليقة على المقنع)، و(نظم الآجرومية) في النحو[٤].

٥- غرس الدين بن النقيب (ت: ٩٧١هـ):

هو غرس الدين خليل بن أحمد بن خليل، المعروف بابن النقيب، طبيب، عالم بالحساب والفلك، عارف بالهندسة والموسيقى.

ولد بحلب سنة: (٩٠٠هـ)، ودرس بالقاهرة،، كان صاحب فنون غريبة، ماهرا في وضع الآلات النجومية والهندسية كالربع والإسطرلاب وسائر الأسباب.

من كتبه: (تذكرة الكتاب في علم الحساب)، و(كتاب في الفرائض)، و(كتاب في علم الزايرجة)، و(رسالة في العمل بالربع المجيب)، و(رسالة في معرفة القبلة بربع المقنطرات)، توفي بالقسطنطينية[٥].

٦- ابن النقيب الحلبي (ت: ١٠٥٦هـ):

هو أحمد بن السيد محمد الحسني الحلبي الحنفي، المعروف بابن النقيب، فقيه، من أدباء حلب.

ولد بحلب سنة: (١٠٠٣هـ)، له شعر ونثر، وصنف (حاشية على الغرر والدرر لمنلا خسرو) في الفقه[٦].

٧- ابن النقيب (ت: ١٠٦٤هـ):

هو محمد بن عبد الله، المعروف بابن النقيب الشافعي.

نزل دمياط، ودرس بها، من أبرز مصنفاته: (حاشية فتح التجلي على المنهاج والمحلي)[٧].

٨- ابن النقيب (ت: ١٠٧٢هـ):

هو الحسين بن السيد كمال الدين بن محمد الحراني الحسيني الطالبي الدمشقي، فاضل، من أعيان دمشق.

ولد سنة: (١٠٣١هـ)، من أبرز مصنفاته (التذكرة الحسينية) ذكر فيها شعراء متقدمين وختمها بذكر بعض معاصريه من الشعراء، ثم بحصة وافية من نظمه، كانت نسخته في خزانة سعيد حمزة بدمشق ولعله أهداها إلى مكتبة المجمع، و(درر الكلام ويواقيت النظام)[٨].

٩- ابن النقيب (ت: ١٠٨١هـ):

هو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد الحسيني المعروف ابن النقيب، أديب دمشق في عصره.

ولد بدمشق سنة: (١٠٤٨هـ)، له الشعر الحسن والأخبار المستعذبة، من أبرز مصنفاته: (الحدائق والغرف)، اقتبس منه رسالة لطيفة سماها: (دستجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف)، و(ديوان شعر) جمعه ابنه سعدي وشرحه عبد الله الجبوري، توفي في دمشق[٩].

١٠- ابن النقيب (ت: ١١٠٧هـ):

هو عبد القادر بن السيد يوسف النقيب الحلبي، ويقال له: نقيب زاده، فقيه حنفي.

ولد ونشأ بحلب، وسكن المدينة، من أبرز مصنفاته: (لسان الحكام)، و(معرفة الرمي بالسهام)، و(شرح شواهد الرضي على الكافية)، توفي بالمدينة المنورة[١٠].

الهوامش

١- انظر: هدية العارفين (١/ ٢٨٢) والأعلام للزركلي (١٩٢/٢) ومعجم المؤلفين (٢٢٩/٣).

٢- انظر: هدية العارفين (٢/ ١٣٩) والأعلام للزركلي (١٥٠/٦) معجم المؤلفين (٤٩/١٠).

٣- انظر: هدية العارفين (١/ ١١٢) الأعلام للزركلي (٢٠٠/١) ومعجم المؤلفين (٥٥/٢).

٤- انظر: الأعلام للزركلي (٣٣/١) ومعجم المؤلفين (١٢٣/٩).

٥- انظر: الأعلام للزركلي (٣١٤/٢) معجم المؤلفين (١١١/٤).

٦- انظر: هدية العارفين (١/ ١٦٠) الأعلام للزركلي (٢٣٨/١) ومعجم المؤلفين (٩٣/٢).

٧- انظر: هدية العارفين (٢/ ٢٨٦) ومعجم المؤلفين (٢٥١/١٠).

٨- انظر: هدية العارفين (١/ ٣٢٢) الأعلام للزركلي (٢٥٢/٢) ومعجم المؤلفين (٤٢/٤).

٩- انظر: الأعلام للزركلي (٣٣٢/٣) معجم المؤلفين (١٩١/٥).

١٠- انظر: هدية العارفين (١/ ٦٠٣) والأعلام للزركلي (٤٨/٤).

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٩٠)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريـات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

د. عبد الوهاب المسيري
موسوعة
اليهود واليهودية والصهيونية
الموسوعة الموجزة في جزأين

المجلد الثاني


ويأتي كتاب: «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بـ «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»

هي عمل موسوعي ضخم قام على إعداده وتقديمه الدكتور الراحل: عبدالوهاب المسيري، وذلك في ثمانية مجلدات كبيرة، تناول فيها كل جوانب تاريخ العبرانيين في العالم القديم، وتواريخ الجماعات اليهودية بامتداد بلدان العالم، وتعداداتها وتوزيعاتها، وسماتها الأساسية، وهياكلها التنظيمية، وعلاقات أفراد الجماعات اليهودية بالمجتمعات والدول التي يوجدون فيها وبالدولة الصهيونية. وتشمل كل الأحوال الاجتماعية والسياسية وجميع الشؤون الحياتية التي صاحبتهم منذ زمن العبرانيين في العالم القديم حتى العصر الحديث انتهاء بدولة إسرائيل.

التعريف بعبدالوهاب المسيري

مفكر وعالم اجتماع مصري، ولد بمصر في مدينة دمنهور عام: (١٩٣٨م)، تلقى تعليمه الأولي (الابتدائي والثانوي) في مقر نشأته، ثم التحق عام: (١٩٥٥م) بقسم اللغة الإنجليزية في جامعة الإسكندرية التي تخرج فيها عام: (١٩٥٩م)، وعين معيدا فيها عند تخرجه. أتم دراسته في الولايات المتحدة، حيث حصل على الماجستير في الأدب الإنجليزي المقارن من جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك عام: (١٩٦٤م)، ثم على الدكتوراه من جامعة رتجرز بنيوجيرسي عام: (١٩٦٩م).

وعند عودته إلى مصر قام بالتدريس في جامعة عين شمس وفي عدة جامعات عربية من أهمها: جامعة الملك سعود، كما عمل أستاذا زائرا في أكاديمية ناصر العسكرية، والجامعة الإسلامية العالمية (ماليزيا)، وعضو مجلس الخبراء في مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ومستشارا ثقافيا للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك. وهو عضو مجلس الأمناء في جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بليسبرغ، بولاية فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفاته

توفي فجر يوم الخميس (٢٩جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ/ ٣ يوليو ٢٠٠٨م) بالقاهرة، عن عمر ناهز السبعين عاما بعد صراع طويل مع المرض، وقد شارك في صلاة الجنازة آلاف المشيعين، إضافة إلى عشرات العلماء والمفكرين، ودفن في مدينة دمنهور. يرحمه اللّه تعالى.

من مؤلفاته

ألف عبدالوهاب عدة مؤلفات خاصة فيما يتعلق باليهود نذكر منها:

- نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني.
- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية.
- العنصرية الصهيونية.
- اليهودية والصهيونية وإسرائيل: دراسة في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع.
- الفردوس الأرضي: دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية.
- الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة.
- الغرب والعالم: تأليف كيفين رايلي (ترجمة بالاشتراك).
- الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية: دراسة في الإدراك والكرامة.
- الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية: دراسات في بعض المفاهيم الصهيونية والممارسات الإسرائيلية.
- أسرار العقل الصهيوني.
- من هو اليهودي؟
- موسوعة تاريخ الصهيونية.
- اليهود في عقل هؤلاء.
- اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية.
- انهيار إسرائيل من الداخل.
- الإنسان والحضارة والنماذج المركبة: دراسات نظرية وتطبيقية.
- مقدمة لدراسة الصراع العربي - الإسرائيلي: جذوره ومساره ومستقبله.
- البروتوكولات واليهودية والصهيونية.

المحتوى العام للكتاب

تتكون هذه الموسوعة من ثمانية مجلدات، كل مجلد يتناول موضوعا منفردا. المجلد الأول: يضم الإطار النظري الخاص بالموسوعة وقضايا المنهج. المجلدات من الثاني وحتى الرابع تتناول موضوع الجماعات اليهودية.

المجلد السادس: يتناول موضوع الصهيونية.

المجلد السابع: يتكلم عن إسرائيل.

المجلد الثامن: خصص للفهارس. كما أن كل مجلد يضم عدة أجزاء، وكل جزء يحتوي على عدة أبواب، وكل باب يحتوي على عدة مداخل. وقد أشار الدكتور عبدالوهاب إلى أن عدد مداخل الموسوعة قرابة الـ (٢٣٠٠) مدخل.

نسخة مجلة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة كاملة من هذه الموسوعة القيمة، والتي تتكون من ٨ مجلدات، وهي في متناول قرائها الكرام المهتمين بالتاريخ.

المصادر

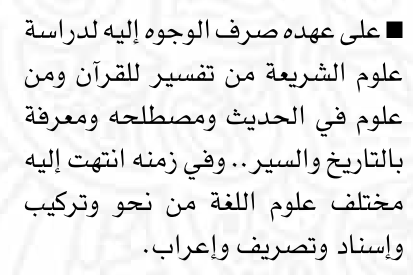
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي

محدث المغرب

الرحالي الفاروقي



■ على عهده صرف الوجوه إليه لدراسة علوم الشريعة من تفسير للقرآن ومن علوم في الحديث ومصطلحه ومعرفة بالتاريخ والسير.. وفي زمنه انتهت إليه مختلف علوم اللغة من نحو وتركيب وإسناد وتصريف وإعراب.

■ اهتمامه شديد بالجانب الفقهي واللغوي من المعرفة والاستدلال.. وفصاحته في خطبه وعلمه في محاضراته ودروسه جذبا كثيرا من الأتباع.. وعقله المتوهج العالم بالقرآن والسنة والبصير بالعربية وآدابها والخبير بأحوال الناس وقضاياهم، صاغه شخصا قوي الرأي نابه القياس.

■ نجابته لفتت أنظار معاصريه من العلماء، وبلغ من اجتهاده في طلب العلم أن شيوخه أجازوه بالفتوى وهو لا يزال صغيرا.. ولغته تعتبر -في معظمها- لغة تأمل، سليمة، صافية من المبالغات، خالية من الغريب.

■ تحققت فيه صفات العالمية الفذة بأصدق مدلولاتها مما يعز له النظير ويتعذر تعويضه ولو بالعدد الكثير؛ فلا يخلط علمه بالغيبيات التي لا ثبوت لها ولا يجعله مطية التدجيل وفتنة الناس.. إنه أحد أبرز علماء المغرب ومحدثيه الأفذاذ في العقود الأخيرة من هذا العصر، وعلم من أعلام اللغة العربية، وعالم زمانه في العلوم الشرعية الفقيه المحدث الرحالي بن رحال بن العربي الحمومي السرغيني، الشهير بالرحالي الفاروقي.

المولد والنشأة

■ محل مولد الشيخ لا خلاف عليه، فقد ولد في إقليم سوس (أحواز مدينة مراكش) جنوب المغرب، لكن تاريخ ميلاده يكتنفه اضطراب كبير، ففي حين يقول في ترجمته الصغرى إنه ولد عام: (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)، نجده يذكر في ترجمته الوسطى إنه ولد عام: (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م).. لكن على الأغلب أنه ولد عام: (١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، وفق ما وجد في بطاقة تعريف قديمة له بتاريخ: (٢٨ يناير ١٩٣٣م)، ترجع إلى أيام الحماية الفرنسية.

■ وفي إقليم سوس نشأ الشيخ في قبائل السراغنة، ولازم شيوخها وعلماءها وفقهاءها، وتدرج في مدارسها، وكان لتلك الملازمة أثر كبير على فصاحته وبلاغته وتضلعه في اللغة والأدب والنحو فيما يقول ويكتب، حتى أصبح يرجع إليه بعد ذلك في اللغة وعلوم البيان والبلاغة والبديع.

■ لكن الشيخ بدأ دراسته قبل ذلك طفلا، إذ عمل والداه على تنشئته على أحسن ما تكون التنشئة، فعمدا إلى تحفيظه: «القرآن» منذ نعومة أظفاره حتى أتقنه بقراءة نافع ثم بقراءة حمزة ثم رسمه بالقراءات السبع، وكتاب «الموطأ» للإمام مالك، وكان أستاذه في كل ذلك الشيخ أحمد بن المختار الرحالي (ت:١٣٤٥هـ).

■ بعدها أقبل الشيخ على المتون الأساسية والعلوم الأولية يلتهمها التهاما على يد العلامة السيد محمد أجسيم السوسي، الذي استدعاه والده (الذي كان من أهل الفضل والخير والفراسة، واسع الفلاحة كثير الماشية معدودا من أعيان السراغنة ووجهائها) من مراكش، فمكث في ضيافة الأسرة بالسراغنة ثلاثة أعوام بأجرة شهرية لتربية ذلك البرعم الناشئ علميا.

■ في أواخر عام: (١٣٤١هـ)، ولما أحس الشيخ تقدمه في طلب العلم والمعرفة، بدأت مرحلة علمية جديدة من حياته، إذ تاقت نفسه إلى الاغتراف من حياض جامعة ابن يوسف بمدينة مراكش (وهي يومئذ جامعة جنوب المغرب كله)، فدرس بمراكش والقرويين، وخطب في جامع الكتبية، كما ألقى دروسا بمختلف مساجد مراكش، قبل أن يتولى رئاسة الجامعة اليوسفية بها، كما أسند إليه الملك الحسن الثاني، عمادة كلية اللغة العربية في مراكش، وتدريس مادة الحديث بدار الحديث الحسنية، ورئاسة المجلس العلمي بتانسيفت.

شيوخه بمراكش

■ تتلمذ الشيخ في مراكش على يد نخبة من علماء عصره، وقرأ عليهم عددا من أمهات الكتب ونفائسها، فعلى

سبيل المثال قرأ على العلامة محمد بن التاودي السرغيني (ت:١٣٤٧هـ) كتاب (المنهج للزقاق في قواعد المذهب ومقدمة جمع الجوامع لابن السبكي)، وقرأ على العلامة أبو شعيب الشاوي البهلولي (المعروف بابن الرامي، وهو عمدته وسنده، ت:١٣٤٩هـ) مختصر خليل بالزرقاني والرهوني وبناني وألفية ابن مالك بالأشموني والصبان، ومفتاح الأقفال في تصريف الأفعال، وصحيح الإمام البخاري بإرشاد الساري للقسطلاني، والتلخيص للقزويني بمختصر السعد التفتزاني، ونظم العمريطي ورقات إمام الحرمين بشرح الشيخ نفسه.. وغيرهما الكثير.

شيوخه بفاس

■ وبعد أن صال وجال في رياض مراكش العلمية، تاقت نفسه للرحيل إلى مدينة فاس لإرواء ظمئه من معينها، فاستأذن شيخه وعمدته أبا شعيب ابن الرامي للذهاب، فأذن له، فرحل إليها رفقة والده، وعندما وصلا إلى العاصمة الإدريسية العريقة وجداها تغص بأفواج لا تعد ولا تحصى من الطلبة الوافدين عليها، حتى إنهما لم يجدا بمدارس سكنى الطلبة محلا إلا بعد جهد جهيد، حيث انتهى بالشيخ المطاف إلى بيت بالمدرسة الرشيدية قال عنه: «إنه سافل مظلم ثافل، فكان المصباح ليلا ونهارا».

■ وفي جامعة القرويين (أخت جامعة ابن يوسف الكبرى وإحدى أعرق الجامعات في العالم) جلس الرحالي للأخذ عن نخبة من علمائها الأجلاء، فقرأ على العلامة القاضي عبدالرحمن بن محمد بن القرشي الإمامي (ت:١٣٥٨هـ) صحيح الإمام مسلم وجمع الجوامع في أصول الفقه، وقرأ على العلامة محمد بن أحمد بن الحاج السلمي (عمدته وسنده بمدينة فاس وكان يزلفه ويقربه، ت:١٣٦٤هـ)، مختصر خليل بشروحه المختلفة، والموطأ للإمام مالك.

■ وبعد أن تمكن الرحالي من الفقه وأصوله وألم إلماما واسعا بشتى العلوم والمعارف الإسلامية، وجد نفسه منجذبا إلى الحديث النبوي الشريف، وإلى إمامه الحافظ أبي شعيب الدكالي، الذي أشار عليه بملازمة دروسه بمدينة الرباط، لما رأى من نجابته وقوة حافظته ومتانة تكوينه، فذهب الرحالي إليه في الرباط، وظل هناك نحو ثلاث سنوات عاد بعدها وقد علا سنده واكتمل تكوينه، وغدا طاقة عظيمة قابلة للعطاء الثر السخي.

■ بعد إتمام دراسته عاد الرحالي إلى مسقط رأسه وتراب نعله، وبدأ يتهيأ لتحقيق الحلم الذي ظل يراوده ويتمناه أبوه وأهله وهو أن يصبح قاضيا في بلده، غير أنه عدل عن ذلك وقرر إنشاء مدرسة لنشر العلم وتوجيه الناس، يكون عليه إرشاد طلبتها، وعلى أبيه نفقتهم.

■ وفعلا لبى الوالد المستهام بحب ابنه الطلب، وبنى المدرسة المذكورة بمدينة قلعة السراغنة، التي كانت إذ ذاك مركزا سياسيا واقتصاديا مهما في تلك الناحية من المملكة المغربية.

من وصاياه لطلابه

■ كان مما نص عليه، رحمه الله، في إجازاته لطلابه قوله: «وخير الثقافة ثقافة الدين، وخير الحضارة حضارة الروح، ثم الشرط الأكيد الذي ليس عليه من مزيد هو: الإقامة على التقوى والبراءة من الدعوى، والسلامة من تزكية النفس، فإن الظهور يقصم الظهور، وإن الرضا عن النفس من أمارات السقوط والهبوط، ومن علامات الاستدراج والخذلان ونعوذ بالله أن نكون من المستدرجين ومن الساقطين».

سنده عال لصحيح البخاري

■ عند إجازة الرحالي الفاروق، رحمه الله، لأحد طلابه كان يذكر في نص إجازته: «.. ومن كمال العناية بموضوع إجازتك، أنني أهدي إليك سندا عاليا لصحيح البخاري وهو: عن الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي عن الشيخ سليم البشري عن الشيخ منة الله عن الشيخ الأمير، عن أبي الحسن الصعيدي عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي عن الشيخ حسن العجيمي عن أحمد بن العجل اليمني عن الشيخ ابراهيم ابن صدقة الدمشقي عن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالأول الفرغاني عن أبي عبدالرحمن محمد بن شاذ بخت الفرغاني عن يحيى بن عمار الختلاني عن محمد بن يوسف الفربري عن أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ورضي عنه وأرضاه».

إسهاماته مع «الوعي»

■ كان للشيخ رحمه الله مشاركة وحيدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «المؤتمر الرابع لعلماء المغرب»، في العدد: (٨٦).

وفاته

■ بعد عمر طويل جاوز المئة، توفي العالم الحافظ الفاروقي الرحالي، رحمه الله، (يوم الإثنين ١٨ جمادى الآخرة عام: ١٤٠٥هـ الموافق ١١ مارس ١٩٨٥م)، وحضرت جنازته بمراكش، جحافل من الناس، وجموع غفيرة.

المصادر
- موقع «هاسبريس» (محمد القنور).
- المكتبة الشاملة الحديثة (عزالدين المعيار الإدريسي).

إعداد / تركي محمد النصر ❖

الحزم والعجز

قال حكيم لرجل يجلس إليه: ما حرفتك؟ قال: التوكل على ربي والثقة بما عنده، فقال الحكيم: الثقة بربك تحرم عليك إصلاح معيشك! أوما علمت أن طلب ما تعف به عن المسألة حزم، والعجز عنه فشل، والفقر مفسدة للتقى، متهم للبريء، ولا يرضى به إلا الدنيء.

(انظر: محاضرات الأدباء للأصبهاني ١/١٢٥)

الوحدة خير من جليس السوء

قال الأحنف بن قيس رحمه اللّه: (الكلام بالخير أفضل من السكوت، والسكوت خير من الكلام باللغو والباطل، والجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء).

(انظر: التمهيد ١٠/٢٩)

أخلاق الكبار

قالت امرأة سعيد بن المسيب رحمهما اللّه: (ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلموا أمراءكم؛ أصلحك اللّه، عافاك اللّه...).

(انظر: حلية الأولياء ٥/١٩٨)

إياك وطول المجالسة

قال ابن شبرمة لابنه: (يا بني، إياك وطول المجالسة، فإن الأسد إنما يجترىء عليها من أدام النظر إليها).

وقال أزدشير لابنه: (يا بني لا تمكن الناس من نفسك، فإن أجرأ الناس على السباع، أكثرهم لها معاينة).

وقيل لداود الطائي: لم تركت مجالسة الناس؟ قال: (ما بقي إلا كبير يتحفظ عليك، أو صغير لا يوقرك).

وقيل: من سوء أدب المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به منه، خبرا كان أو شعرا، تتم له البيت الذي بدأ به، تريه أنك أحفظ له منه؛ فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه.

(انظر: بهجة المجالس وأنس المجالس ١/٤٩)

أهمية قراءة علم السير والتاريخ

قال العلامة ابن الجوزي رحمة اللّه: (واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها...: أنه إذا ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله؛ أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذكرت سيرة مفرط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول).

(انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١/١١٧)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

فضل نفع الخلق

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (من أحب أن يلحق بدرجة الأبرار، ويتشبه بالأخيار؛ فلينو في كل يوم تطلع فيه الشمس نفع الخلق فيما يسر الله من مصالحهم على يديه، وليطع الله في أخذ ما حل وترك ما حرم، وليتورع عن الشبهات ما استطاع؛ فإن طلب الحلال والنفقة على العيال باب عظيم لا يعدله شيء من أعمال البر).

(انظر: الإيمان الأوسط ص/٦٠٩)

العلم أنفع ما كسبه الكاسب

العلم أنفع ما كسبه الكاسب، لأن شرفه ينم على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه، وقد منع الله المساواة بين العالم والجاهل؛ لما خص به العالم من فضيلة العلم.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم، فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم.

(انظر: الكشكول، للياسين ص/٦٠)

تعزية

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب معزيا رجلا بابنه: (إنك إن صبرت؛ جرى عليك القدر، وأنت مأجور، وإن جزعت؛ جرى عليك القدر؛ وأنت مأزور).

(انظر: التعازي لأبي الحسن المدائني ص/٨٢)

التوكل والسعي

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: (إذا جلس الرجل ولم يحترف؛ دعته نفسه إلى أن يأخذ ما في أيدي الناس، فإذا شغل نفسه بالعمل والاكتساب؛ ترك الطمع).

وقال المروذي: قيل لأبي عبد الله: أي شيء صدق المتوكل على الله عز وجل؟ قال: (أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذلك؛ كان الله يرزقه وكان متوكلا).

(انظر: الآداب الشرعية ٣/٤٣١)

من لطائف الحكم

- ❖ من طلب من البخيل حاجة، كمن طلب السمك في المفازة.
- ❖ من كان الناس عنده سواء، لم يكن له أصدقاء.
- ❖ من صبر على مودة الكاذب؛ فهو مثله.
- ❖ أول المروءة: طلاقة الوجه، والثانية: التودد، والثالثة: الفصاحة.
- ❖ لا تحقر الفقير الشريف، ولا ترغب في الغني الدنيء.
- ❖ ما أجمل الصبر على ما لا بد لك منه.
- ❖ خذلان الجار لؤم.
- ❖ قرابة بلا منفعة؛ بلية عظيمة.
- ❖ ليس مع الحسد سرور، ولا مع الحرص راحة.
- ❖ الحاسد يظهر وده في كلامه، وبغضه في أفعاله.

(انظر: الكنز المدفون والفلك المشحون، للسيوطي ص/٦٧)



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

رمضان... ما أعظمك!!

❖ رمضان.. ما أعظمك!! وقد نلت العظمة من العظيم عزوجل، فوهبك خصوصية الهوية وهيبة القداسة وإطلالة الروح والهالة الملائكية.. تتلألأ أنوار أيامك ولياليك بآي الذكر الحكيم قراءة وتلاوة وتدبرا وتدارسا.. إيقاظا وإحياء وتجديدا للروح المسلمة التي تظل تتضرع وتدعو ربها فرحة مستبشرة شاكرة خالقها بأن من عليها وبلغها شهر رمضان المبارك....

❖ رمضان... ما أعظمك!! استقبالا وعبادة وطاعة وتقربا إلى الله عز وجل، وقد تزينت خاتمة لياليك بليلة هي خير من ألف شهر «ليلة القدر» التي تشرفت بنزول القرآن الكريم فيها.. دستور السماء لأهل الأرض، فهنيئا لمن يلتمسها ويتحراها أملا في كسب رضا الله تعالى في الدنيا والظفر بنعيم الآخرة..

❖ رمضان... ما أعظمك..!!

منحة ونفحة ورخصة ربانية.. فرارا وملجأ وملاذا إلى الله تعالى.. ترفع الأكف دعاء وتضرعا وتذللا سائلة خالقها الغفران والرحمة وقبول صالح الأعمال والعتق من النار...

❖ رمضان... ما أعظمك!!

وقد فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وتسلسلت الشياطين وأفاقت النفس من غفوتها وغفلتها صلحا مع خالقها ومع ذاتها تردد «قول رسولنا الكريم ﷺ»: «من صام – رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

رمضان... ما أعظمك!!

ونحن في معية رسول الله ﷺ سيرة عطرة وسنة شريفة ومنهجا وأسلوبا.. أقوالا وأفعالا.. قدوة وأسوة.. بناء واستقامة.. طريقا لن نضل بعده أبدا...

رمضان... ما أعظمك!!

وقد تطهرت القلوب وصفت النفوس وتآلفت الأفئدة وتلاقت الأرواح واستيقظت الضمائر معاتبة ذاتها ومحاسبة لها ندما وتوبة.. أملا ورجاء.. بشاشة وتفاؤلا..

رمضان... ما أعظمك!!

وقد فاز أهلك وخاصتك بالثواب الأعظم فوهبهم الله تعالى بابا يدخلون منه إلى الجنة ثوابا وفخرا وتفردا إنه «باب الريان» وكفى.

رمضان... ما أعظمك!!

وقد تبسمت الحياة في عيون الفقراء والمحتاجين فرحين لما هم فيه وبما جادت به أيادي الخير والجود والرحمة... يعيشون لذة ثمار المؤاخاة والتكافل الاجتماعي من صدقة وزكاة في شهر البر والخيرات والإحسان...

حقيقة... ما أعظمك يا رمضان!!!

● **عثمان إسماعيل محمد حسين**

ألوان الحب

هل الحب لون واحد؟ كلا، إنه ألوان متعددة، متباينة، لا يغني أحدها عن الآخر: حب الله تعالى، وحب الأبوين، وحب الزوجة، وحب الأبناء، وحب الأصدقاء، وحب الذات، وحب الجمال، وحب الحياة.. وهكذا.

نحن بحاجة لكل ألوان الحب، لا يغني حب الأم عن حب الزوجة، ولا يغني حب الحياة عن حب الله، ولا يغني حب الزوجة عن حب الأصدقاء.

لكل لون من ألوان الحب مذاق خاص، وإحساس متفرد، حب الله تعالى، والإحساس بفضله ونعمه، وحب الصديق المخلص، الذي تجده وقت الشدة، يشد عضدك، ويقوي عزيمتك، وحب الأم الحنون، والطمأنينة على صدرها، والراحة عند سماع دقات قلبها، وحب الزوجة الوفية، وحب الوالد المكافح، وعشق يديه، وقسمات وجه.

ألوان الحب كباقة من الورد، تتكامل ألوانها، وتختلط عطورها، ويتنافس فيها الجمال، لتسحر العين، وتبهر القلب.

وكما يحتاج الجسد لكل ألوان الطعام والشراب، ليتمتع بالصحة، وتتجدد فيه الأنسجة، ويستمد منها الطاقة، تحتاج الروح، ويحتاج القلب، لكل ألوان الحب، لتصبح الروح روحا مشرقة، ويصبح القلب قلبا مفعما بالحياة.

• د. يحيى سنبل

غزوة بدر الأولى

وقعت هذه الغزوة في السنة الثانية من الهجرة بعد عودة النبي ﷺ من غزوة العشيرة ببضعة أيام، وسبب هذه الغزوة أن كرز بن جابر الفهري أغار في جماعة من المشركين على سرح المدينة أي على ماشيتها من الإبل والغنم والبقر التي تسرح بالغداة ثم هرب، فخرج رسول الله ﷺ مع أصحابه في طلبه حتى بلغ وادي سفوان من ناحية بدر، ولم يلق كرزا ولم يحاربه ورجع إلى المدينة، وكان ﷺ قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة، وحمل لواءه علي بن أبي طالب.

وتسمى هذه الغزوة غزوة سفوان (بفتح السين والفاء والواو) وتسمى غزوة بدر الأولى إذ وصل فيها الرسول ﷺ إلى قرب بدر ووصفت بالأولى لأن بعدها غزوة بدر الكبرى التي حدث فيها قتال بين المسلمين والمشركين والتي نصر الله فيها نبيه والمسلمين، وكانت حدثا فاصلا في تاريخ الدعوة الإسلامية وورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، كما أن هناك غزوة أخرى تسمى غزوة بدر الآخرة.

• حسن عثمان حسن



فرحة العيد من شعائر الدين

تتجسد مظاهر الفرح والسرور بأبهى صورها في أيام العيد عندما يرتدي الناس الثياب الجديدة ويتبادلون التهاني والزيارات بين الأهل والأقارب والأحباب.

ويعتبر عيدي الفطر والأضحى أعظم مناسبتين يتجمع فيها المسلمون للاحتفال وإظهار مشاعر الفرح والسرور بهذه الأيام المباركة لأن إظهار الفرح في الأعياد من شعائر الدين.

ولا تقتصر الفرحة في العيد على الدول الإسلامية، إنما تسود مظاهر الفرح والسرور المسلمين أينما تواجدوا في كل أقطار العالم.

ويعتبر التكبير مما يستحب عمله في العيد، إذ يشرع التكبير من ليلة العيد وحتى صلاة العيد. قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥).

ويسن أن يقرأ في صلاة العيد بسورتي الأعلى والغاشية، أو سورتي ق والقمر، وأن تكون القراءة جهرية.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ وربما اجتمعا في يوم واحد فيقرأ بهما». صحيح الترمذي (٥٣٣)

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الفطر والأضحى بـ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾». صحيح مسلم (٨٩١).

وجاء في السنة النبوية الشريفة الكثير من الأحاديث عن العيد وصلاته وأحكامه.

عن أنس رضي الله عنه، قال: قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما؛ يوم الفطر والأضحى». أخرجه أبو داود (١١٣٤)، والنسائي (١٥٥٦)، وأحمد (١٢٠٠٦) باختلاف يسير.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش، وحول وجهه، ودخل أبو بكر، فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد، يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألت النبي ﷺ، وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة. حتى إذا مللت، قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي». أخرجه البخاري (٩٤٩)، ومسلم (٨٩٢).

وما يشير إلى الحرص على صلاة العيد والحض على الخروج إليها، ما جاء عن أم عطية، قالت: أمرنا رسول الله ﷺ، أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق، والحيض، وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: لتلبسها أختها من جلبابها. صحيح مسلم (٨٨٣).

جاسم الجاسم
باحث دراسات إسلامية

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .











موسوعة شمائل المصطفى ﷺ

إصدار جديد ومميز من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العمري، أستاذ السيرة النبوية، وهذه الموسوعة القيمة تتناول علم الشمائل والصفات النبوية بطريقة علمية تدلُّ على غزارة علم مؤلفها وسعة معرفته، وتقع الموسوعة في سبعة أجزاء.

موسوعة شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم
إصدار جديد ومميز من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العمري، أستاذ السيرة النبوية، وهذه الموسوعة القيمة تتناول علم الشمائل والصفات النبوية بطريقة علمية تدلُّ على غزارة علم مؤلفها وسعة معرفته.

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٩٨) شوال/ ذو القعدة ١٤٤٤هـ - مايو ٢٠٢٣م

الإسلام دين علم وعمل

- التعليم في عصر الذكاء الاصطناعي
- قواعد في قراءة التاريخ

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

مجلة الوعي الإسلامي



www.alwaei.gov.kw

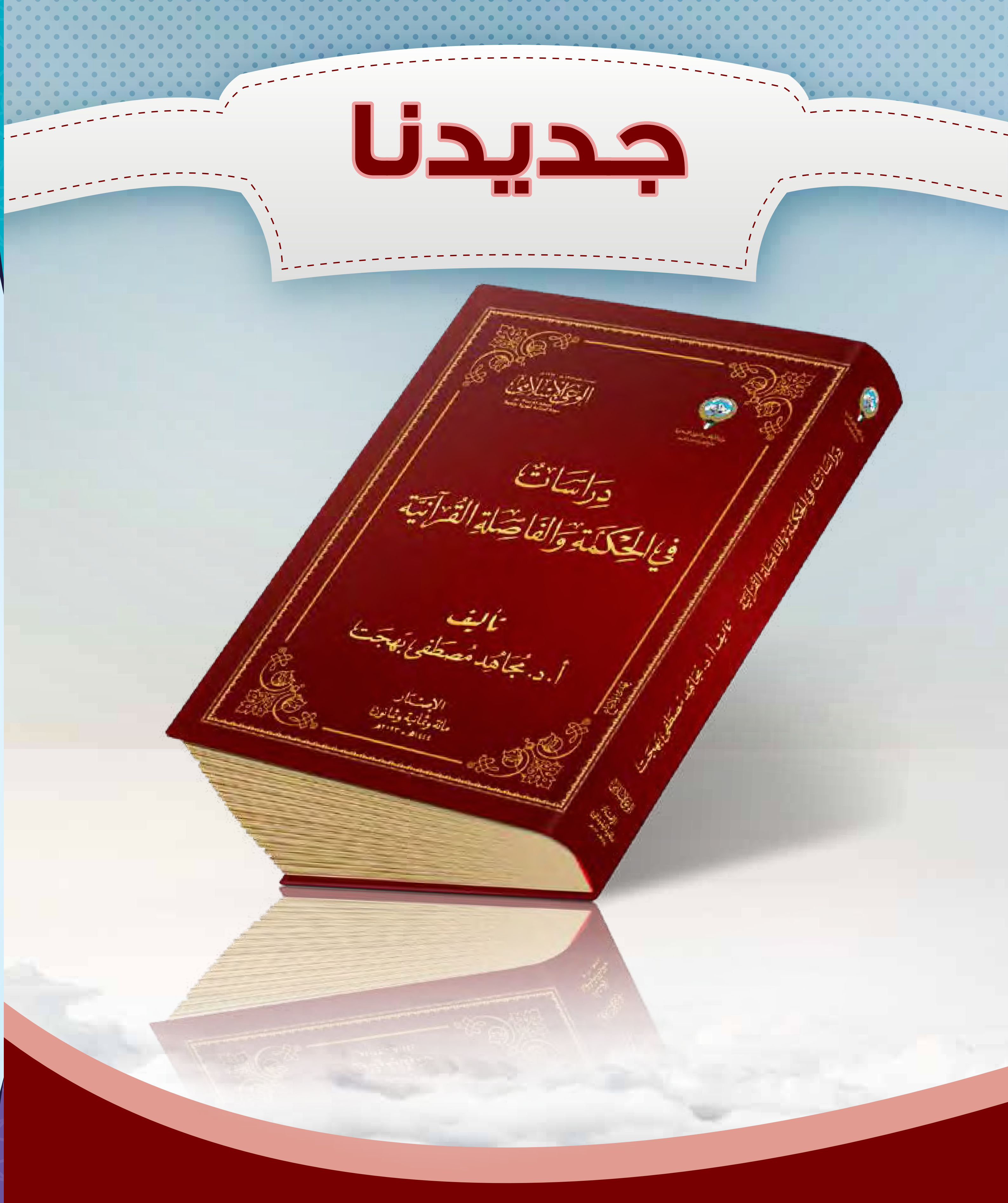


alwaeiq8@gmail.com



موقع مجلة الوعي الإسلامي





دراسات في الحكمة والفاصلة

إصدار جديد من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور مجاهد مصطفى بهجت، ويتناول الكتاب معنى الحكمة ودلالاتها في أسماء الله تعالى وصفاته مع بيان معناها في السياق القرآني، بطريقة علمية إيمانية.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الشريعة علم وعمل

لقد دعت الشريعة أتباعها إلى عمارة الأرض واتخاذ أسباب العيش عليها؛ من زراعة وتجارة وصناعة وغيرها؛ وكان من فضل الله علينا أن جعل لنا الأرض ذلولا لنسعى فيها ونبتغي من فضله، وسخر سبحانه ما فيها من مخلوقات لخدمتنا، قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ (الحجر ١٩-٢١).

لقد حثنا ديننا الحنيف على السعي في الأرض، وحذرنا من الاتكال بغير عمل، وجعله مذموما؛ لأن في ذلك ظلم للنفس وإهانة لها، قال نبينا ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه» (رواه البخاري)، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لرعيته: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق»، وكان يقول أيضا: «إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني»؛ فعلى المسلم أن يسعى ويجتهد في طرق الكسب المشروعة حتى يتحصل له ما يريد وكذلك تتحقق قيمته في هذه الحياة؛ لأنه بقدر ما يبذل يسعى ينال ويكسب، وصدق الشاعر، حيث قال:

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن طلب العلا من غير كد ... أضاع العمر في طلب المحال

فلا شك أن سعي نبينا ﷺ في العمل والتكسب دليل على شرف العمل الداعي إلى حفظ النفس عن السؤال، كما أن في هذا يعتبر تأكيدا على سمو هذا الدين الذي حث على العمل وبين فضله وثمرته.

وعليه؛ فإنه ينبغي على علينا أن نشكر الله سبحانه على نعمه المتتالية وأن نسعى في ميادين الحياة مكافحين ساعين إلى أبواب الرزق لنحقق قوله تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥).

ولم تكتف شريعتنا المطهرة بالحث على العمل والتكسب فحسب، بل وجهت الساعين في ميادين الرزق إلى التحلي بالآداب الشرعية والتزامها، ومن ذلك أوصتنا شريعتنا بإتقان العمل، والأمانة، وتجنب الغش والخيانة فـ «من غش فليس منا» (رواه مسلم)، كما حثنا ديننا الحنيف على عدم استغلال المنصب في العمل لأجل تحقيق مصالح شخصية دون وجه حق شرعي، لقوله ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» (رواه أبو داود).

ومن الحكم المبذولة في الحث على العمل والكسب الحلال ما قاله لقمان الحكيم لابنه: «يا بني استعن بالكسب الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد قط، إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الخصال استخفاف الناس به».

وختاما: بالعمل الدؤوب بعد كمال التوكل على الله؛ تبنى الأوطان، وتنهض المجتمعات، وتزدهر الحضارات.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٩٨/ شوال / ذوالقعدة ١٤٤٤ هـ
العام الستون
مايو ٢٠٢٣م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net



في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





الوقت الثمين

العطلة الدراسية ليست عطلة عن الحياة وكلنا يعرف ذلك، لكن الغريب في الأمر أن يرث الأبناء مفهوما مغايرا لهذه الحقيقة فالطلاب منهم يسارعون إلى اللهو الذي لا مردود له سوى إضاعة الوقت الثمين ومن لم يدخل منهم مرحلة الدراسة النظامية يستشعر بما يدب في البيت من حركة غير منتظمة أن حياتهم ستكون قريبا كذلك دراسة ثم فراغا.

واللافت في كثير من بلدان العالم المتقدمة أن برامج العطلة الدراسية المتاحة للطلاب ولغير الطلاب متعددة وتصب في خدمة المجتمع ككل، ولله الفضل والمنة نجد في بلادنا أيضا بعض هذه النوادي الصيفية وهذه البرامج ولكنها تحتاج إلى تسليط ضوء إعلامي عليها مما يشجع أبناءنا على ارتيادها والاستفادة من أوقاتهم التي بلاشك سنحاسب عليها وسيحاسبون.

كثير من تلك البرامج تستثمر الوقت في إطار ترفيهي نافع مثل نوادي العلوم والنوادي الرياضية وبرامج السياحة الإسلامية وبرامج خدمة المجتمع وبرامج حفظ وتلاوة القرآن الكريم بالأساس، وما علينا نحن أولياء الأمور سوى أخذ زمام المبادرة بقوة ودفع الأبناء دفعا محببا إلى هذا الاستثمار الأمثل للوقت الثمين بكل طريقة ممكنة تجعلهم يقبلون على هذه البرامج بشوق ولهفة كما يقبلون على الألعاب الإلكترونية التي لا طائل من ورائها.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



عبد الناصر سلامة
باحث في الدراسات القرآنية

دلالات آية الزواج في سورة الروم

تحتل العلاقة الزوجية مكانة عظيمة في القرآن الكريم، وهي مكانة تدل عليها الآيات العديدة التي أوردها الله سبحانه وتعالى في هذا الموضوع، بيد أن هذه الآيات تتخذ في القرآن المكي طابعا يختلف عنه في القرآن المدني؛ إذ تتخذ في المكي طابع الإجمال والاختصار؛ وذلك بأن تتضمن الإشارة إلى أساسيات العلاقة الزوجية دون تفصيل في أحكامها - كما نجد ذلك في القرآن المدني-، هذا إلى جانب تضمنها أيضا لدلائل عقدية تثبت الوحدانية والبعث؛ إذ تعد هاتان القضيتان العقديتان أهم ما استأثر به القرآن المكي واهتم بمعالجته، بل يعد ذلك هو المقصد الأساس من تنزيل القرآن خلال هذه الفترة من الوحي.

وعلى وفق هذا الطابع المكي - المتميز بالإجمال والتركيز على قضايا العقيدة- جاءت الآية من سورة الروم في موضوع الزواج؛ وهي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١). فهذه الآية الكريمة - مع وجازتها- اشتملت على دلائل بينة على وحدانية الله وإمكان البعث، كما تضمنت أيضا التنبيه على دعائم الحياة الزوجية التي لا تستقيم حياة زوجية دون وجودها.

دليل على الوحدانية

إن أول ما تلفت الآية الكريمة النظر إليه هو كون «الزواج» آية من آيات الله الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى، ولذلك جاءت في سياق واحد مع دلائل أخرى عديدة تدل على هذا الأمر، وذلك بداية من قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(الروم:١٩) إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الروم:٢٧)، فكل ما ذكر الله تعالى هنا من الآيات الكونية هو من مظاهر قدرته وحكمته الدالتين على وحدانيته سبحانه وتعالى، ووجه ذلك في آية «الزواج» أن الله خلق هذه العلاقة قائمة على ذكر وأنثى قد صمما تصميما متناسبا بحيث يكمل بعضهما بعضا؛ إذ جعل الله تركيب الأنثى مهيأ للذكر، وتركيب الذكر مناسبا للأنثى، وجعل فيهما من مشاعر الانجذاب والاحتياج إلى

الآخر والميل إليه ما يتحقق به دوام النسل الآدمي، وفي كل ذلك دلالة جلية على أن وراء هذا الخلق إلهًا قادرا وحكيما، وأنه من المستحيل أن يكون هذا النظام الدقيق الذي يحكم حياة الإنسان وليد صدفة أو نتاج طبيعة، فـ«وجود الأنثى بجانب الذكر لأجل التناسل، ودوام بقاء الحياة للنوع الإنساني من البراهين القوية على وجود القصد في هذا الكون... وقد كتب الأستاذ «مومنيه»[1] في مجلة «الكوسموس» الفرنسية بحثا قال فيه: إذا افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل أن الكون خلق اتفاقا بلا فاعل مريد مختار، وأن الاتفاقات المتكررة توصلت إلى تكوين رجل، فهل يعقل أن الاتفاقات والمصادفات تكون كائنا آخر مماثلا له تماما في الشكل الظاهري ومباينا له في التركيب الداخلي وهو المرأة، بقصد عمارة الأرض بالناس وإدامة النسل فيها؟ ألا يدل هذا وحده على أن في الوجود خالقا مريدا مختارا أبدع الكائنات»[2]. ولا شك أن التفكر في هذه الثنائية بين الذكر والأنثى من شأنه أن يفضي بالإنسان إلى الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته إذا ما هو تجرد عن داعية الهوى والتزم الصدق في النظر؛ مصداقا لقوله تعالى في آخر الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

دليل على البعث

لا تقتصر دلالة آية «الزواج» على الوحدانية فحسب، بل تتضمن دليلا على إمكان البعث أيضا؛ إذ غالبا ما تدمج الدلالتان معا في الآيات الكونية التي يسوقها الله في كتابه، ومما يدل على أن من مقاصد هذه الآية عن «الزواج» إثبات البعث بها ورودها في سياق الاستدلال على ذلك في هذه السورة المكية الكريمة، إذ يقول العلامة ابن عاشور متحدثا عن أغراض هذه السورة: «ومن ذلك إهمالهم - أي: كفار مكة- النظر في الحياة الثانية، ولم يتعظوا بهلاك الأمم السالفة المماثلة لهم في الإشراك بالله، وانتقل - الله- من ذلك - أي: من تذكيرهم بمصائر تلك الأمم- إلى ذكر البعث. واستدل لذلك ولوحدانيته تعالى بدلائل من آيات الله في تكوين نظام العالم، ونظام حياة الإنسان»[3]. وما ذكره ابن عاشور يظهر بأدنى نظر في الآيات القرآنية التي تسبق الآيات التي استدل الله بها على وحدانيته وعلى البعث إذ تشير تلك الآيات إلى إنكار الكفار للآخرة، على غرار قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾(الروم:٨)، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾(الروم:١٦)، وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾(الروم:١٩)؛ فهذه الآيات جميعا تدل على أن الغرض الأساس من السورة هو إثبات البعث. وأما وجه الدلالة الموجود في آية «الزواج» على قضية البعث فيتجلى في أن هذه العلاقة الاجتماعية قائمة على ذكر وأنثى، وذلك محل تفكر في قدرة الله على إحياء



الموتى؛ إذ القادر على خلق زوجين اثنين متباينين في الخصائص النفسية والتركيب الجسدي مع اتفاق جنسهما ونشوئهما من ماء واحد هو قادر - من باب أولى- على إيجاد الإنسان مرة ثانية؛ إذ إعادة الشيء أيسر من إيجاده أول مرة، كما هو معلوم، فكيف إذا كان الإنشاء الأول مشتملا على هذا التصرف في النطفة وفق هذا التكوين العجيب بإيجاد صنف الذكر تارة، وإيجاد صنف الأنثى تارة أخرى، بل وإيجادهما معا في بطن واحدة، مع ما في كل واحد منهما من بديع التصرف وتمام التدبير، فلا جرم كان القادر على ذلك قادرا على ما هو أهون منه وهو البعث؛ إذ ليس فيه من الخلق والتصرف ما في الخلقة الأولى. وهذا من مناسبات قوله تعالى في سورة الروم نفسها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(الروم:٢٧) في ختام الدلائل الكونية التي سيقت في السورة لإثبات البعث، والتي منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الروم:٢١)؛ فهذه الآية مما يوضح تلك. ونظير هذا الاستدلال في سورة الروم قوله تعالى في أواخر سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾(القيامة: ٣٦-٤٠)، والشاهد هنا قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾.

منة على الإنسان

من مواطن الاعتبار بآية «الزواج» أيضا أنها ضمت إلى كونها آية على وحدانية الله تعالى وإمكان البعث كونها منة إلاهية على الإنسان تستدعي شكر الله عليها، وقد أومأ إلى هذه الدلالة - أعني: كونها منة ونعمة- قوله تعالى: (لكم) في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾؛ ولذلك قال العلامة ابن عاشور: «وهذه الآية كائنة في خلق جوهر الصنفين من الإنسان: صنف الذكر، وصنف الأنثى، وإبداع نظام الإقبال بينهما في جبلتهما... وقد أدمج في الاعتبار بهذه الآية امتنان بنعمة في هذه الآية أشار إليها قوله: (لكم)، أي: لأجل نفعكم»[٤]. ومحل الامتنان الإلهي على الإنسان في هذه الآية أنه جعل الذكور والإناث من جنس واحد؛ ولم يجعل كل صنف منهما من جنس مختلف عن الآخر، كأن يجعل الذكور من الإنس، والإناث من الجن، أو العكس؛ إذ لو كان كذلك لاستحال الاجتماع والجماع بينهما، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾؛ أي: أن حكمة خلق الأنثى من جنس ما خلق منه الذكر هو تحقيق السكينة والألفة بين الطرفين؛ إذ لو كان خلق واحد منهما من جنس مخالف للآخر لما تحققت هذه الألفة، ومن ثم لما كان هناك تناسل وتوالد بين الآدميين. ونظير هذا الامتنان قوله تعالى في سورة النبأ: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ (النبأ:٨)؛ أي: ذكورا وإناثا من جنس واحد؛ ليسكن كل منكما إلى الآخر[٥]. والغرض من دمج هذه الدلالة مع دليل الوحدانية والبعث هو حمل المخاطبين من المشركين على الشكر بالإقبال على النظر فيما بلغ إليهم عن الله الذي أسعفهم بهذه النعمة وغيرها على لسان رسول الله ﷺ، وتعريض بأن إعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامية ومكابرتهم فيما بلغهم من ذلك كفران لنعمة واهب النعم[٦].

دعائم «الزواج»

لم تكتف الآية الكريمة من سورة الروم ببيان الدلالات العقدية لآية «الزواج» فحسب، بل ضمت إلى ذلك التنبيه على الدعائم والأسس التي ينبغي أن تقوم عليها هذه العلاقة بين الذكر والأنثى، وهي: السكينة والمودة والرحمة. وهذه الدعائم الثلاث لا تتحقق إلا بعلاقة الزواج الشرعي؛ إذ هي العلاقة الوحيدة التي يقرها القرآن لأجل التناسل، وما سوى ذلك فسفاح وزنى؛ ويدل على ذلك قوله تعالى هنا: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾؛ إذ جاء التعبير هنا بلفظ «الأزواج» دون غيره من التعبيرات لقصد التأكيد على هذا المعنى؛ كما في الآية الأخرى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (النحل:٧٢)، ويؤيده أيضا قوله هنا: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾؛ «إذ لا تحقق المودة والرحمة إلا بعصمة الزواج قطعا؛ أي: جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما»[٧]. بل من الواجب أن نعتقد أن هذه المعاني الثلاث: السكينة والمودة الرحمة لا

يمكن أن تتحقق بين الذكر والأنثى إلا بعصمة الزواج الذي ارتضاه الله لعباده وشرعه لهم؛ إذ الآية الكريمة فيها امتنان بهذه النعم؛ والله لا يمتن بما يستجلب بسخطه؛ فتعين أنها لا تحصل حقيقة إلا بالزواج الشرعي.

وليس معنى هذا الكلام أن كل زواج شرعي كفيل بتحقيق هذه المعاني المذكورة آنفا، والتي هي: السكينة والمودة والرحمة، وإلا لما شرع الطلاق بعد الزواج؛ إذ من مقاصده التي شرع لأجلها رفع الحرج عن الزوجين أو أحدهما إذا فقدت هذه المعاني بينهما وتعذر -حينئذ- استمرار عشرتهما واجتماعهما؛ مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨). ولكن القصد من ذكر هذه المعاني تنبيه العباد على أنها مقاصد للزواج ليحرصوا على تحقيقها بالسعي في أسبابها المؤدية إليها، وعلى رأس ذلك الدين وحسن الخلق لقول النبي ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»[٨]، وقوله أيضا: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد»[٩]، ونحو ذلك من الأحاديث المرشدة إلى ما يتحقق به الزواج المقصود.

ومن إعجاز القرآن في اختيار هذه الدعائم الثلاث للحياة الزوجية، وهي: السكينة والمودة والرحمة، أنها تمثل مقاصد للزواج قبل انعقاده، كما تمثل في الآن نفسه وسائل لحفظه بعد انعقاده؛ وقد رتبت لأجل هذا الغرض في الآية ترتيبا متناسبا يوضحه لنا الشيخ الشعراوي في تفسيره للآية الكريمة من سورة الروم إذ يقول - رحمه الله-: «ولو تأملنا هذه المراحل الثلاثة لوجدنا السكن بين الزوجين، حيث يرتاح كل منهما إلى الآخر، ويطمئن له ويسعد به، ويجد لديه حاجته.. فإذا ما اهتزت هذه الدرجة ونفر أحدهما من الآخر جاء دور المودة والمحبة التي تمسك بزمام الحياة الزوجية وتوفر لكليهما قدرا كافيا من القبول. فإذا ما ضعف أحدهما عن القيام بواجبه نحو الآخر جاء دور الرحمة، فيرحم كل منهما صاحبه.. يرحم ضعفه.. يرحم مرضه.. وبذلك تستمر الحياة الزوجية، ولا تكون عرضة للعواصف في رحلة الحياة.

فإذا ما استنفدنا هذه المراحل، فلم يعد بينهما سكن ولا مودة، ولا حتى يرحم أحدهما صاحبه فقد استحالت بينهما العشرة، وأصبح من الحكمة مفارقة أحدهما للآخر. وهنا شرع الحق سبحانه الطلاق ليكون حلا لمثل هذه الحالات، ومع ذلك جعله ربنا سبحانه أبغض الحلال؛ حتى لا نقدم عليه إلا مضطرين مجبرين»[١٠].

وأحسب أن ذكر هذه الدعائم الثلاث مدمجة في سياق واحد مع دلالات الزواج على الوحدانية والبعث اللذين تحدثنا عنهما آنفا قد قصد به التنبيه على أن الوصول إلى إدراك هذه الحقائق العقدية من خلال آية الزواج لا يتأتى بسهولة إلا إذا قام هذا الزواج على هذه الأسس الثلاث المذكورة؛ لأنه حينئذ فقط يستشعر المرء حقيقة هذه النعمة على بني آدم لما يرى لها من أثر عظيم في نفسه ومجتمعه من حوله؛ فتتهيأ نفسه عند ذلك للتفكر فيما أودع في الزواج من الآيات والمعاني الدالة على عظم الخالق والمشرع سبحانه وتعالى. أما إذا كانت علاقة الذكر والأنثى قائمة على اتباع الأهواء، مع ما ينتجه ذلك من الفوضى والعبث، أو كانت قائمة على زواج شرعي، ولكنه زواج مفتقر لهذه الدعائم الثلاث فإنها -والحال هذه- بعيدة عن أن تكون آية يهتدى من خلالها إلى معرفة الله ووحدانيته، بله معرفة البعث من خلالها؛ لأنها حينئذ مصدر للتعاسة والشقاء الفردي والجماعي، وأنى لعلاقة تترتب عليها هذه الآثار والمفاسد أن تكون آية على وحدانية الله ولقائه؟!

ومجمل القول هنا هو أن هذه الآية عن «الزواج» الواقعة في سورة الروم قد اكتنزت - مع وجازة ألفاظها- دلالات جليلة جديرة بالتأمل والاعتبار، وهو ما يتناسب مع ختمها الذي جاء فيه لفظ «الآية» جمعا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾؛ للإشارة إلى كثرة ما فيها من الدلالات، مع تقييد حصول ذلك للمتفكرين: ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ إذ لا سبيل لإدراك تلك الدلالات لمن كان من الغافلين عن التفكر في حقيقة هذه العلاقة العظيمة.

الهوامش

١- كاتب ومفكر فرنسي.
٢- روح الدين الإسلامي، لعفيف عبد الفتاح طباره، (ص: ٨٢).
٣- التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/٤١).
٤- التحرير والتنوير (٢١/٧١).
٥- انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: ٩٠٦).
٦- انظر: التحرير والتنوير (٣٠/١٨).
٧- انظر: روح المعاني، للآلوسي (١١/٣٢).
٨- صحيح البخاري، برقم: (٥٠٩٠).
٩- أخرجه الترمذي، برقم: (١٠٨٥)، وقال: حديث حسن.
١٠- تفسير الشعراوي (١٣/ ٨٠٧٨).

صابر علي عبد الحليم مصطفى
إمام وخطيب - مصر



نماذج من سماحة الإسلام مع أهل الأديان الأخرى

امتاز الإسلام بسماحته مع أتباع الديانات الأخرى، والشاهد على ذلك نماذج يتبين فيها مدى سماحة الإسلام مع أصحاب الديانات والملل المختلفة. وإذا كان هناك اختلاف حاصل بين الناس في الدين واللغة واللون والجنس؛ فإنه اختلاف، ليس لمعنى التفريق والتقاتل، وإنما لمعنى التواصل والتكامل إعمارا للأرض، وتحقيقا لمعنى الخلافة فيها، ولو أراد الله أن يخلق الناس على دين واحد، أو لون واحد، أو لغة واحدة لفعل ذلك، لكن شاء سبحانه أن يخلقهم مختلفين، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾(البقرة: ٢٥٦)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ (هود: ١١٨- ١١٩)، وقال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ (الغاشية: ٢١- ٢٢).

إن الإسلام كفل حرية التدين لكل فرد، فلا إكراه ولا إجبار على الدخول في الإسلام، وطريق الدخول في الإسلام هو القناعة التامة بهدايته، فلكل ذي دين دينه، لا يجبر على تركه؛ لأن الإيمان قناعة داخلية برضى وحرية اختيار.

حرية التدين

لقد بلغ الإسلام مبلغا لا مثيل له في احترام غير المسلمين والسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، وفق ما يقضي به دينهم، والدليل على ذلك: قدم على النبي ﷺ في المدينة وفد نجران، وهم من النصارى فدخلوا عليه مسجده بعد العصر فحان وقت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجد الرسول ﷺ، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم»[١].

فهذا إن دل فإنما يدل على مدى سماحة الإسلام مع غير المسلمين في إقامة شعائرهم الدينية. ومن المواقف الطيبة في هذا الشأن: ما كان من نصارى نجران الذين جاءوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون الأمان على أموالهم وكنائسهم وبيعهم حتى قال لهم: «لنجران حاشيتها، وسائر من ينتحل النصرانية في أقطار الأرض جوار الله، وذمة محمد ﷺ على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيدهم.. أن أحمي جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم، وبيعهم، وملتهم، أينما كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي، وأهل الإسلام من ملتي»[٢]، وفي وثيقة المدينة والتي خطها النبي ﷺ بيده الشريفة شاهد على ذلك: «وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم». والحق ما شهد به عقلاء ومفكري العرب، يقول توماس أرنولد شاهدا على هذا التسامح: «إن العرب المسيحيين الذين يعيشون في زمننا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح»[٣].

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: «العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتيون واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعا، دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى. أوليس هذا منتهى التسامح؟.

حق الرعاية الاجتماعية

لا يفرق الإسلام بين مسلم وغيره في الحقوق والواجبات اتجاه الوطن الذي يعيش فيه؛ فغير المسلمين

لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ما أدوا ما عليهم من واجبات اتجاه الوطن الذي يعيشون فيه؛ لضمان حياة كريمة، فقد حدث عمير بن رافع عن أبي بكر قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباؤه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم «إنما الصدقات للفقراء والمساكين»، والفقراء هم المسلمون، وهذا من مساكين أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية، وعن ضربائه»[٤].

ومن قبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوجه بالإحسان إلى أهل الكتاب، فقد كان أبو بكر رضي الله عنه يوصي الجيوش الإسلامية قائلا: «وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله، فدعوهم، ولا تهدموا صوامعهم»[٥].

ولا يزال التسامح حاصل بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى فقد وجاء في كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة: «جعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة»[٦]، وهذا الاحترام المتبادل والأخلاق الطيبة دفع نصارى الشام أن يقولوا لأبي عبيدة بن الجراح ردا على حسن تعامل المسلمين لهم أن قالوا: «يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا»[٧]، وهذا المعاملة الطيبة كانت ولا تزال إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة.

العدل في التعامل معهم

لقد أوجب الإسلام العدل مع غير المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(المائدة: ٢)، يقول الزمخشري في تفسيره الكشاف: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ «الشنئان: شدة البغض»، والمعنى: «لا يحملنكم بغض قوم على عدم العدل»[٨].

والعدل في الإسلام مطلق لا يحده زمان ولا مكان ولا أشخاص ما داموا أدوا ما عليهم من واجبات، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(النساء: ١٣٥).

وقد أرسلت امرأة قبطية تدعى «فرتونة» شكوى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بأن عمالا في مصر هدموا منزلها من أجل بناء مسجد، وعندما استفسر الخليفة من الوالي عمرو بن العاص رضي الله عنه عن خبرها قال: أردنا أن نوسع مسجدا وأعطيناها تعويضا عن مسكنها، وهو ما يعرف في القوانين الحديثة بنزع الملكية لأجل المصلحة العامة، فرد عمر: ولكن المرأة لم تقبل، فرد عمرو: نعم، فغضب عمر، وقال: كيف تعمرون مسجدا على حساب حق للآخرين؟، وأمر بإعادة الأرض «لفرتونة»، وبناء بيتها من بيت المال.

ومن صور العدل والبر بهم: تأكيد إكرامهم إذا كانوا جيرانا، فعن مجاهد قال: كنت عند عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وغلامه يسلخ شاة، فقال: يا غلام، إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجل من القوم: اليهودي. أصلحك الله؟، قال: «إني سمعت النبي ﷺ يوصي بالجار حتى خشينا أنه سيورثه»[٩].

فدل هذا على مدى عمق سماحة الإسلام مع أهل الكتاب وغيرهم من أصحاب الملل والنحل المختلفة.

كذلك من صور البر بهم: وقوف النبي ﷺ لجنازة يهودي مرت أمامه، ففي الحديث عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: كان سهل بن حنين وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست



نفساً؟»[١٠].

وفي جانب المعاملات أباح الإسلام التعامل معهم في البيع والشراء، وشرع للمسلم أن يهدي إليهم ويقبل هديتهم ويواسيهم عند المصيبة، ويهنئهم عند الفرح، ويعود مريضهم، كما يجوز أن يبيع لهم، وأن يشترى منهم، في علاقة قائمة على الحق والعدل، وحسن المعاملة، كما يجوز الرهن عندهم: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «توفي رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير»[١١].

كما تحل ذبائحهم ونكاح نسائهم: فيجوز للمسلم أن يأكل ذبائحهم، وينكح نسائهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(المائدة:٥).

أما المجوس وهم ليسوا أهل كتاب، إذا كان المسلم مريضا فأمر مجوسي أن يذبح ذاكرا اسم الله فلا بأس، والأولى المسلم، وإن أمره في الصحة، فقد أساء، فالمجوس، ومن في حكمهم ممن ليسوا أهل كتاب لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين غير ناكحي نسائهم، ولا آكلي ذبائحهم»[١٢].

ومن صور التسامح قبول هديتهم، فقد قبل رسول ﷺ هدية زينب بنت الحارث اليهودية، امرأة سلام بن مشكم في خيبر، حيث أهدت له شاة مشوية، وقد وضعت فيها السم»[١٣].

ولأجل هذا قرر الفقهاء قبول هدايا من غير المسلمين بجميع أصنافهم؛ لأن النبي ﷺ قبل هدية المقوقس صاحب مصر، وذلك حينما أرسل رسائله إلى ملوك العالم ورؤسائه يدعوهم إلى الإسلام، وقد سار حاطب بالكتاب حتى قدم المقوقس الإسكندرية، فسلم كتاب رسول الله ﷺ فضمه إلى صدره، ووضعه في حق من عاج، واستقبل حاطبا بما يستحق من الكرم، ثم رده بهدايا قيمة: جاريتين: (مارية)، التي اصطفاها النبي ﷺ لنفسه، و(سيرين)، التي أهديت إلى حسان بن ثابت، وبغلة بيضاء سميت (دلدل)، وحمار أشهب سمي (يعفور)، ومقدار من المال[١٤]، فدل ذلك على مدى سماحة واحترام الإسلام لغير المسلمين خاصة أهل الكتاب في قبول هديتهم.

وفي زيارة مريضهم: يباح للمسلم انطلاقا من وصايا القرآن الكريم بالبر بغير المسلمين أن يعود مرضاهم، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾(الممتحنة:٨).

والبر بهم يقضي بزيارة مريضهم، ففي الحديث عن أنس رضي الله عنه أن غلاما ليهود يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: «أسلم، فأسلم، فقال ﷺ: الحمد لله الذي أنقذه من النار»[١٥].

هذا بعض من كل في جانب سماحة المسلمين مع أتباع الديانات الأخرى، مادام أدوا ما عليهم من واجبات اتجاه الوطن الذي يعيشون فيه، وأن الإسلام بجماله وكماله يسع الناس جميعا برسالته العالمية وبنبيه الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(الأنبياء: ١٠٧).

الهوامش

١-ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٥٧٤.
٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ص٦٦.
٣- الدعوة إلى الإسلام، ص٧٠.
٤- أبو يوسف، الخراج، ص١٢٦.
٥- الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٨.
٦- أبو يوسف، الخراج، ص١٤٤.
٧- البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٣.
٨- الكشاف، الزمخشري، ج١، ص٦٨٧.
٩- أخرجه البخاري، الأدب المفرد، حديث رقم (١٢٣).
١٠- أخرجه مسلم، حديث رقم (٩٦١).
١١- أخرجه البخاري، حديث رقم (٢٩١٦).
١٢- الزمخشري، الكشاف ج١، المكتبة التوفيقية، ص٢٩٦.
١٣- أخرجه أبو داود، حديث رقم (٤٥١٢).
١٤- محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،ج٧، ص٤٠٣.
١٥- أخرجه البخاري، حديث رقم (١٣٥٦).



الطيب حسين
كاتب صحافي

الإسلام دين العلم

عني الإسلام بالعلم، وحفلت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ببيان هذا القدر، فكان العلماء ورثة الأنبياء، فضلا عن أن أول كلمة تنزلت في القرآن الكريم كانت «اقرأ»..

وعلى الرغم من كل هذا البيان الواضح، فضلا عن تاريخ الإسلام في حقب مختلفة، والتي برز فيها علماء أفذاذ أسسوا لشتى العلوم، لجأ البعض إلى تأجيج الصراع بين العلم والدين، وهو أمر أبعد ما يكون عن الحقيقة.

وبحسب الدكتور أحمد زارع، المتحدث الرسمي باسم جامعة الأزهر الشريف، لا يوجد صراع على الإطلاق بين الدين والعلم، مؤكدا: نحن أمة بدأ كتابها الكريم بكلمة «اقرأ»، فهي أول كلمة في القرآن الكريم، وكلمة «اقرأ»، بمعناها الواسع، لا تقتصر فقط على ما قد يتوهمه البعض بأنها العلوم الدينية فقط، لكن كل ما ينفع البشرية، أي لا تقرأ فقط في الدين أو التاريخ أو الشريعة، لكن اقرأ وانتج في كل العلوم، الأمر عندما يقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾

(فاطر:٢٨) هناك علماء قالوا إنه ليس المقصود بهذه الآية علماء الشريعة أو الفقه فقط أو القانون، إنما يشمل العلماء المسلمين في الطب والذرة والفلك والحساب والفيزياء والكيمياء والرياضيات إلى آخر هذا الأمر، فالعالم من هؤلاء قد يكون أكثر قربا إلى الله لتعامله مباشرة مع الإعجاز في الكون وعرفوا هذا الإعجاز المذهل الذي توافق فيه القرآن مع العلوم الحديثة وما ورد في هذا الجانب على وجه التحديد غني عن البيان لكثرة وروده وتشعبه ليشمل مجالات الحياة النافعة.

العلم النافع

أضاف د. زارع: كما أن العلم في الإسلام هو العلم المطلق الذي يتعامل مع كل ما ينفع الناس، كل العلوم التي فيها نفع للبشرية ولا تعارض بينها وبين الدين أقرها الإسلام وحث عليها ودعا إلى الاجتهاد فيها وبين فضل العالم على سائر الناس، فإن حقائق الله في الكون نحن نصل إليها بالعلوم الحديثة التي جاءت لتؤكد صدق الإسلام فيما بشر به، فنحن أول الأمم بالعلم، كذلك عد بنا إلى تاريخ الإسلام والمسلمين وعلماء الأمة الأفذاذ، ستجد أنه كان عندنا أعظم الناس في الفلك وفي الطب والجغرافيا والحساب، كانوا يحملون القرآن ويحملون العلم، فهارس العلم الحديث والعلوم الطبيعية تعود كلها إلى علماء الإسلام الأوائل الذين كانوا يعرفون قدر العلم في الإسلام حتى حازوا الخيرين وحققوا ما يوصف بالمعجزة فيما جاءوا به ودونوه وعلموه للعالم أجمع والذي لا يزال يستقي مما وصلوا إليه إلى الآن.

ورأى الدكتور أحمد زارع، المتحدث باسم جامعة الأزهر الشريف، أن

د. أحمد زارع: الإسلام أقر كل العلوم التي تنفع البشرية

الخطأ واللبس والادعاء بوجود صراع بين العلم والدين، سببه الفهم الضيق الذي تبناه بعض المسلمين في تعرضهم لدينهم وفهم ما جاء به الدين، فهم ينظرون إلى بعض الأمور بنظرة ضيقة ويقتصرون على أشياء سطحية ضيقة لا تعبر عن الإسلام بحال، ويحرمون العلوم وما يتوصل إليه العلم بأدلة وأفهام أبعد ما تكون عن الصواب أو الواقع، لهذا يأتون بالعجائب، وهنا استغل أعداء الأمة هذه النماذج، وراحوا يبثون سمومهم ويوهمون أن الدين يحارب العلم، والإسلام لا يرغب في العلم، والإسلام من هذا براء.

بدء الدنيا وختم الرسالات بالعلم

وقال الدكتور أحمد كريمة، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الشريف، إنه من المقرر شرعا أن الله جل وعلا بدأ الدنيا من جهة التكاليف الشرعية وعمارة الأرض بالعلم، قال جل شأنه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:٣١)، وختم الرسالات السماوية بالعلم، فقال في حق النبي ﷺ: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ (النساء:١١٣)، وأول ما أنزل الله تعالى من القرآن الكريم آيات تدعو إلى العلم وتحض عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١).

وذكر أن القرآن الكريم اشتمل على

د. كريمة: الإسلام يتعامل مع العلم بالحقائق.. أما النظريات فهي متغيرة

شتى العلوم والمعارف، فمثلا حقيقة نشأة الكون ما يسمى بالانفجار العظيم، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأنبياء:٣٠)، ومعارف أخرى يطول شرحها في فيزياء الفضاء والكيمياء الحيوية والعضوية وإشارات إلى علوم الفلك وحقائق في مراحل تكون الجنين ومسارات النجوم والكواكب إلى آخر ما تذكره آيات قرآنية في مجالات العلوم الطبيعية، ويكفي الإسلام فخرا وشرفا أن العلماء أيا كانت تخصصاتهم العلمية هم من الشهداء على ربوبية الله عز وجل وألوهيته ووحدانيته قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (آل عمران:١٨).

وقال: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ (النساء:٨٣).

د. مرزوق: العلم الحديث يثبت صدق القرآن الكريم والسنة النبوية

وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢)، وقال تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (المجادلة:١١).

وذكر الدكتور أحمد كريمة أنه ينبغي التنبيه أن الإسلام من جهة الأمور العلمية الطبيعية يركز على الحقائق وليس على النظريات، لأن الحقائق ثابتة، أما النظريات فهي قابلة للتغير، ولا يوجد أدنى تصادم أو تناقض ما بين الحقائق العلمية ويجب على الإنسان عدم الاغترار بآثار موضوعة أو إسرائيليات تبدو في ظاهرها متناقضة بل الواجب الركون إلى القطعيات والثوابت والأصوليات في التشريع الإسلامي.

العلم الحديث

وقال الدكتور مختار مرزوق إنه لا يمكن أبدا أن يكون هناك صراع بين الدين الإسلامي والعالم، وكيف يحدث هذا وقد حفلت النصوص الشرعية بتوجيهات واضحة بشأن أهمية العلم، كما لا يكون هناك تناقض أو تضاد أبدا بين ما جاء به العلم الحديث وما تحدث عن الدين، فإذا جئنا إلى الحقائق العلمية التي تحدث عنها وقررها القرآن الكريم من مثل الفلك وما إلى ذلك، يتضح أن القرآن حق من الله تعالى، وإذا جئنا إلى السنة النبوية المطهرة وما جاءت به، نجد العلم الحديث يوافقه، لأن ما

صدر عن النبي ﷺ يعتبر وحيا من الله عز وجل، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ (النجم:٣-٤)، وبناء على ذلك فإننا نقرر أنه ما من قضية تحدث عنها العلم الحديث وجاءت في القرآن الكريم أو السنة النبوية، نجد أنه لا يوجد هناك تناقض أو تنافر أو تضاد فيما بينها أو نحو ذلك، أي لا تناقض بين القضايا التي تحدث عنها القرآن أو السنة وبين ما تطرق إليه العلم الحديث وما وصل إليه من نتائج في هذا الصدد، مستشهدا بما كان من أحد علماء الأجنة الكبار في الغرب، والذي تمكن في أحد المؤتمرات من قراءة ما جاء في خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ (المؤمنون:١٢-١٧)، إلا أن الرجل قد انبهر مما ورد في هذا الموضوع في هذا الوقت قبل كل هذه السنوات، حيث إنه تأكد من عالم مسلم من صحة نسبة هذا الكلام للقرآن الكريم، فلما تأكد قال إن هذا كتاب وحي، لأن كل معطيات علم الأجنة

الأصور: الغرب هو من قاد تعارض الدين مع العلم

متوافقة مع ما جاء في القرآن بنفس التفصيل والدقة التي وردت، وكذلك ما جاء في الحديث في زمن وبيئة لم تعرف ما يمكن أن يتوصل به إلى هذه النتائج، وقال العالم الغربي هذا الكلام هو لا يزال بعد غير مسلم، إلا أن هذه الدقة قادته إلى الإسلام في الأخير.

وتابع أنه كيف يأتي العلم الحديث ويثبت صدق القرآن الكريم والسنة والنبوية، ثم يأتي شخص يقول إن هناك صراعا بين الدين والعلم، أو إن العلم يخالف الدين، ثم يدعو إلى ترك العلم الحديث بكل فروعه بحجج واهية وأفهام مغلوطة وناقصة لا تصمد للحظة أمام ما حض عليه الدين في شأن العلم وبيان مكانة العلماء في كل المجالات النافعة وفق ما يرضي الله وعدم معصيته.

الإسلام بريء من رفض العلم

بدوره، قال الباحث الإسلامي خالد الأصور إن الجدل حول هذا الأمر والحديث بالصراع بين الدين والعلم قديم، وكم أثار من مشكلات، وكم أسال من دماء، لكن هذا الجدل، والمشكلات والدماء، لم تتعلق يوما بالإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية، بل كان منشؤه الغرب، فالصراع بين الدين والعلم عرفته أوروبا المسيحية، وقادت الكنيسة حربا شعواء ضد العلماء، وأحرقت بعضهم مع كتبهم، ولم يحدث التقدم العلمي في الغرب إلا بعد التخلص من سيطرة وسطوة الكنيسة وتنكيلها بالعلماء.

أما الاسلام، فهو على العكس من ذلك تماما، فهو كدين وعقيدة وشريعة لا خصومة له مع العلم والعلماء، بل إن أول كلمت نزلت في القرآن، هي دعوة للعلم والمعرفة، دعوة للقراءة في كتاب الله المسطور (القرآن الكريم)، وكتاب الله المنظور (الكون)، بل إن هذا الكون وظواهره والدعوة للتفكر والتدبر والتأمل وإعمال الفكر والعلم تناولته ١٣٠٠ آية قرآنية، أي نحو ٢٠ في المئة من القرآن، وهل نجد أوضح من دلالة هذه الآية الكريمة في تقدير مكانة العلم والعلماء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (الزمر:٩)، وهذا هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، السنة النبوية الشريفة، تواكب دعوة القرآن، ففي أحاديث عديدة يأتي الحث على طلب العلم، ومنها: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، و«من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»، بل يصل الأمر بالهدي النبوي إلى اعتبار العلماء ورثة الأنبياء.

وفي رسالة للإنسانية على أن العلم هدية الله لكل البشر، مؤمنهم وكافرهم، نجد الهدي النبوي يحث على الأخذ بالعلم عن الأمم الأخرى، طالما كان غير متعارض مع قواعد الدين الاسلامي: «الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق بها».

ومما يفاخر به المسلمون الأمم الأخرى، أن بعض علماء الدين الاسلامي جمعوا بين علوم الفقه والشريعة وعلوم الكيمياء مثل جابر بن حيان، وعلوم الفيزياء مثل ابن الهيثم، وعلوم الطب مثل الزهراوي، وعلوم الفلسفة مثل ابن رشد، فخلاصة الأمر في هذه المسألة، أن المسلم يرفع رأسه عاليا ويفخر بدينه وتراثه الإسلامي العظيم المنافح عن العلم والعلماء.

السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب
في الدراسات الإسلامية



الدين والعلم.. كتابان متكاملان

تنبني الحضارة على عدة أسس ومرتكزات ترفع قواعدها، وتشيد بناءها؛ حتى تقوم الحضارة صرحا عظيما يلفت الأنظار، ويأخذ بالألباب.. وفي مقدمة هذه الأسس والمرتكزات «العلم»؛ فالخرافة أو العشوائية لا تبني مجدا ولا تقيم حضارة، وقد صدق أحمد شوقي حين قال:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل وإقلال

هذا في شأن الحضارات عامة؛ أما في الحضارة الإسلامية فإن «الدين» يأتي مرتكزا أساسيا من مرتكزات البناء، لا يمكن تجاهله أو التهوين من شأنه أو وضعه زينة على الرف! لأن الدين، وقد جاءنا من عند الله تعالى، إنما أنزل ليكون هداية للناس في دنياهم وأخراهم، وليحقق لهم السعادة في حياتهم وبعد مماتهم، ولينظم لهم شؤون حياتهم، إن تفصيلا أو وضعا للقواعد والأصول والكليات. المهم أن هداية الدين حاضرة ونافذة في كل ما يتصل بالسلوك الإنساني، على المستوى الفردي أو المجتمعي، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (إبراهيم:١) وقال أيضا: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ (طه:١٢٣).

ولهذا، وضع مفكر الحضارة مالك بن نبي «الدين» كمزيج لمعادلته الشهيرة

في إقامة الحضارة، حيث رآها تتكون من: الإنسان + التراب + الوقت. ثم يأتي «الدين» ليمثل وسط تفاعل بين هذه العوامل الثلاثة، ويقيم منها بناء شامخا، يسعد به الإنسان في أولاه وأخراه[1].

وقد رأينا حال المجتمعات التي خدعها بريق العلم، وظنته يغنيها عن هداية الدين ونداء الفطرة؛ كيف شقيت بالعلم وصار وبالا عليها، وكيف انطمس فيها نور الفطرة حتى أنكرت المعروف وعرفت المنكر، وانقلبت لديها المفاهيم وشقيت حياتها..! وهل يمكن أن يسعد الإنسان بعيدا عن منهج ربه، وهداية دينه؟ أو يستقر له حال وهو يتنكر لمقررات الفطرة السليمة ومبادئ الأخلاق القويمة؟!

وأما المجتمعات التي انحرفت عن الطريق المستقيم، وتقولت على الله تعالى بما لم ينزل، وابتدعت في الدين أو اخترعت لنفسها ما زعمته دينا؛ فقد تخبطت في أوهام وأوحال، حتى عبدت الحجر والبشر، واتخذت من دون الله أربابا، وأساءت بذلك لمفهوم الدين نفسه، وجعلت من سلوكها ذريعة لمن يريد أن يخرج على الدين ويرفضه جملة بدعوى الممارسات الخاطئة للدين!

نحن بحاجة إلى الدين الصحيح كما أنزله الله تعالى، ورضيه لخلقه نورا وهداية ومنهاجا.. وبحاجة أيضا إلى العلم الصحيح القائم على البرهان والدليل، والهادف إلى استخراج قوانين الله تعالى المخبوءة في الأنفس والآفاق؛ تمكينا للإنسان من الإفادة من نعم الله في الكون المسخر، وإرشادا له إلى خالقه ورازقه وهاديه والمتفضل عليه سبحانه.

ومن هنا، فالحاجة ماسة إلى الدين والعلم معا، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر.. فضلا عن إحداث صدام وتناقض بينهما.

نطاق الدين

إذا عرفنا أننا بحاجة إلى الدين والعلم معا، وأن من الخطأ افتعال صدام بينهما؛ فينبغي أن نعرف «نطاق الدين»؛ حتى لا نخرج بالدين عن مساره الصحيح، أو نحمله ما لا يحتمل، أو نحدث تناقضا بينه وبين العلم، يمكن تجنبه -أي التناقض- متى عرفنا «نطاق الدين».

وأما «نطاق الدين» فهو يتصل بهداية الإنسان؛ هداية على مستوى الروح، وعلى مستوى الأخلاق، وعلى مستوى التشريع.. وهداية لا تقف عند حدود تعامل الإنسان مع ربه تعالى، أو مع نفسه، وإنما تنطلق من ذلك وتؤسس عليه تعاملا مع الناس، بل ومع الكون كله؛ من حيث الحض على التعرف على آياته وأسراره، وحسن توظيفها.

ويلفتنا في هذا المقام، مقام الهداية، أن أولى آيات سورة البقرة تتحدث عن هذه الهداية باعتبارها المقصود من إنزال الكتاب؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢). كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:٩). وقال أيضا: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (المائدة:١٥-١٦).

فالهداية المتحققة من الدين، في هذه الآيات وغيرها، إنما هي هداية إلى الطريق المستقيم، الطريق الأقوم، وإلى سبل السلام. قال ابن كثير: «أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة. ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة»[2].

فالدين يقدم هداية في العقيدة، وفي العبادة، وفي الأخلاق، وفي التشريع.. وأما ما يقدمه الدين في العلم، فإنما هو حث عليه وترغيب في الاستزادة منه، وفي إحسان توجيه ثمراته فيما ينفع الناس، وفيما يدلهم على ربهم.. وليس تعليما لهم مفردات العلم.

وقد أوضح الشيخ نديم الجسر هذا المعنى المهم للمقصود من القرآن الكريم، ولصلة ذلك بالعلم، فقال: «القرآن ليس بدائرة معارف علمية، ولا من مقاصده إرشاد الناس إلى العلوم الكونية، من باب التعليم؛ ولكن ما ورد فيه من الآيات، التي تشير إلى حقائق

كونية كشفها العلم، إنما ورد بقصد التنبيه إلى ما في خلق العالم من آثار الإرادة، والقدرة، والعلم، والحكمة، والإتقان، والاتزان، الدالة على وجود الله تعالى، النافية للتكوين بالمصادفة؛ ولم يقصد به تقرير العلوم الكونية؛ لأن القرآن خطاب للبشر بلغة البشر، والله أحكم من أن يخاطب الناس بأمور لا يعرفون أسماءها، فضلا عن أسرارها؛ ولكنه أشار إلى دلائل وجوده، وقدرته، وإرادته، وعلمه، وحكمته، ببيان عجيب يفهمه، على ظاهره، البدوي الساذج في القرن السابع، ويفهم أسراره رجل العلم في القرن العشرين. وفي هذا يتجلى إعجاز القرآن، لا في بلاغته وحدها؛ فإعجاز البلاغة والفصاحة إنما يدركه العرب، والقرآن خطاب للناس كافة. وإلى هذا الضرب من الإعجاز أشار العليم الحكيم بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (فصلت:٥٣)»[٣].

نطاق العلم

وأما «نطاق العلم» -والذي نقصد به هنا العلم الكوني التجريبي، وليس العلم الديني أو العقلي- فهو يتصل بالتعرف على طبيعة الإنسان ماديا، وطبيعة الكون بكل ما فيه من علوم وقوانين ومعادلات.

وهذا العلم له منهج يقوم على الفرض والملاحظة والاستقراء والاستنتاج.. ثم ينتهي إلى نتائج أولية، قد تستقر وتتراكم حتى تصبح قوانين ثابتة وحقائق غير مشكوك فيها.

ومن مسيرة العلم في العصر الحديث، والتي هي نتاج قرون من الزمان، وخبرات من حضارات سابقة، يمكن أن نلاحظ أمرين أساسيين:



أولهما: أن العلم ذو أفق مفتوح، لا يعرف الكلمة الأخيرة. وكثيرا ما رأيناه يستقر على أمور كأنها حقائق، ثم لا يلبث أن يأتي اكتشاف ليهز الثقة العلمية بهذه الحقيقة أو تلك.. ومع هذا، فإن هذا التغير لم يمنع من الاستفادة مما يصل إليه العلم من نتائج؛ سواء تعامل معها في لحظتها على أنها نتائج أولية أو حقائق ثابتة.

ثانيهما: أن الإنسان مع اتساع معارفه وعلومه عن الحياة والأحياء والكون، أصبح يدرك أنه يجهل أكثر مما يعلم، وأنه كلما انفتحت أمام آفاقه تكشف له غياب آفاق أكبر؛ بحيث صار أكثر الناس علما هم أشد تقديرا لما يغيب عنهم.

إذن، العلم يدلنا على ما في الأنفس والآفاق من قوانين ومعادلات؛ وليس من وظيفته ولا من نطاقه أن يرسم لنا طريقا لهداية النفس أو تشريع الأحكام. وغاية ما يمكن أن يقوم به العلم في التقاطع مع مساحة الدين، هو أن يدل الناس على أن لهذا الإنسان والكون خالقا ومدبرا، ولا مكان في إيجادهما للمصادفة أو العبثية أو العشوائية أو الحتمية أو الطفرة. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (ص:٢٧). وقال أيضا: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (النمل:٦٤).

فهذا هو نطاق العلم، وهذه هي مساحته التي يتقاطع فيها مع الدين. وهما نطاقان مختلفان ويتكاملان؛ ولا غناء بأحدهما عن الآخر.. ويصدران عن الخالق سبحانه.

يقول الدكتور حسين نصر: المسلم لا يرى قوانين الطبيعة مستقلة تسير في طريقها كما لو أن للعالم استقلاله الخاص فيما يتصل بعلم الوجود؛ بل يرى أن هذه القوانين انعكاسات لحكمة الله ونتيجة لمشيئته

أيضا. فالله تعالى هو الذي شاء أن تشرق الشمس كل صباح من الشرق وأن تغرب في الغرب، وأن تطير المخلوقات في الأثير أو تسبح في البحار. ومذهل ذلك العدد الكبير من آيات القرآن الكريم التي تشير إلى القوانين الأعمق تأثيرا التي تحكم النظام الطبيعي. والقرآن الكريم لا يعارض معرفة الإنسان بالعالم الطبيعي؛ بل على العكس من ذلك، يشجعه باستمرار على دراسة النظام الطبيعي، في الوقت الذي يتقبل فيه أن هذه المعرفة بالعالم يجب أن تكون خاضعة دائما لمعرفة الله، وأن تكون مبنية دائما على الوعي بأن العالم ليس مستقلا تماما بذاته؛ ولكنه يستمد كائناته، وقوانينه، وتناغمه، وتحولاته، من مصدر جميع الكائنات وهو الله تعالى[٤].

كتابان من عند الله

فـ«الدين» كتاب من عند الله نقرأ كلماته بألسنتنا، ونستهدي بهدايته في عقائدنا وعباداتنا وأخلاقنا وتشريعاتنا.. و«العلم» كتاب من عند الله نستكشف كلماته في الأنفس والآفاق كلمة تلو آخرى، كلما ترقينا في المعارف، واجتهدنا في الأسباب والوسائل.

وقد أرشدنا الإسلام إلى أن نتخذ من كتاب العلم -والذي محله الأنفس والآفاق- سبيلا إلى الدلالة على الله تعالى وعلى صدق ما أوحى به لنبيه ﷺ في كتابه المنزل؛ قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت:٥٣).

وقد تعددت آراء المفسرين في المقصود من «الآفاق والأنفس» في الآية الكريمة، ويهمنا هنا ما ذكروه مما يتصل بالدلالة العلمية لهما. فنقل القرطبي عن عطاء وابن زيد قولهما: ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ يعني أقطار السماوات والأرض؛ من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات. ثم قال القرطبي: ﴿وفي أنفسهم﴾: من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول؛ فإن الرجل يشرب ويأكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين[٥].

وإذا كان القرآن يضع عالم الحس الموجود في خارج ذات الإنسان، في مقابل «عالم الفكر» أو «عالم النفس» في داخل ذاته، ويقول إن في كل من العالمين مجالا للتفكير الذي يؤدي إلى معرفة عليا؛ فإنه يشير إلى أن أمام المفكر نوعين من الحقائق: حقائق آيات القرآن، وهي من عند الله، وحقائق آيات الكون، وهي من صنع الله؛ وبينهما تطابق تام يدركه العقل، ويهتدي منه إلى وحدة المصدر لهذين النوعين من الحقائق، وهو الله الخالق القادر الحكيم[٦].

لماذا ينشأ التعارض؟

وهنا، نأتي للسؤال المهم، إذن لماذا ينشأ التعارض بين الدين والعلم، إذا كان كل منهما يتصل بمصدر واحد، أي من عند الله تعالى؟ ونقول: إن هذا يحدث لأمرين أساسيين:

الأول: أن نستخرج دلالة ظنية من الدين، ثم نزعم أنها تخالف ما توصل إليه العلم من حقائق. كما حدث في الغرب من موقف الكنيسة حين قدمت قراءة خاصة بها لنصها الديني وراحت تنفي ما انتهى إليه العلم في زمانها؛ فحدث الصدام[٧].

الثاني: أن نسارع إلى توظيف نتيجة علمية، لم تصل بعد إلى درجة الحقيقة العلمية، ونقابلها بما استقر عليه الفكر الديني. كما يحدث من بعض المشتغلين بـ«الإعجاز العلمي».

وعلاج ذلك ألا نقبل من النص الديني -تجاه العلم- إلا ما كان قطعي الثبوت والدلالة؛ لاسيما إذا كنا في مقام عرض الإسلام أمام الآخرين.. ولا نقبل من العلم -تجاه النص الديني- إلا ما كان حقيقة ثابتة لا يصل إليها شك.. فإن حقائق الدين لا يمكن أن تتصادم مع حقائق الكون؛ لأن كلا الكتابين من عند الله تعالى. وأما المشكلة فتأتي من أفهامنا نحن تجاه الدين أو تجاه العلم.

وفي خلاصة موجزة نقول مع الشيخ نديم الجسر رحمه الله: «الدين الحق لا يتصادم ولا يتنافى مع حقائق العلم؛ التي قام على صحتها البرهان العقلي القاطع»[٨].

الهوامش

١- راجع المزيد في: شروط النهضة، مالك بن نبي.
٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٨/٣.
٣- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، الشيخ نديم الجسر، ص:٢٤٣.
٤- دليل الشباب المسلم في العالم الحديث، د. السيد حسين نصر، ص:٥١-٥٢.
٥- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٧٤/١٥، ٣٧٥.
٦- الإسلام والحضارة، د. محمد عبدالهادي أبو ريدة، ص:١٦٩.
٧- راجع المزيد في تاريخ الصراع بين العلم واللاهوت المسيحي، أندرو ديكسون وايت، ترجمة جلال مظهر.
٨- قصة الإيمان، نديم الجسر، ص:٢٢٧.

د. خالد صلاح حنفي
أستاذ جامعي



التعليم في عصر الذكاء الاصطناعي

يبشر العديد من الباحثين والعلماء بدخول البشرية عصرا جديدا غير مسبوق ستشهد فيه سلسلة من الاختراعات غير المتوقعة، لم تعرفها طيلة تاريخها كما وكيفا تساوى ما عرفته خلال العشرين ألف سنة الماضية، وعلى حسب وصف الباحث الأمريكي «راى كورزويل Ray Kurzweil» كبير مهندسي شركة جوجل فإننا على عتبة قفزة تكنولوجية حاسمة جدا ومصيرية، لا يستطيع أحد أن يصفها، يبدو فيها المستقبل مثل ثقب أسود لا يمكن رؤية ما بعده وما يخفيه.

وما أشبه اليوم بالبارحة! ففي عام ١٩٨١م أطلقت شركة IBM أول حاسوب محمول مما أثار ذلك ضجة كبيرة في مختلف الأوساط؛ فقد وصفته مجلة التايم الأمريكية في عام ١٩٨٢م (بكونه النتيجة النهائية لثورة تكنولوجية كانت قيد الإعداد منذ أربعة عقود وهي الآن حرفيا تصل إلى المنزل). ويشهد العالم اليوم إثارة أكبر بعد إطلاق مجموعة من الأفراد المغمورين روبوت ضمن محرك البحث you.com، وإطلاق مؤسسة OPenAI تطبيق chatGPT المصنف ضمن تطبيقات الذكاء الاصطناعي، والتي تتميز بواجهات نصية مبنية بخوارزميات تهدف للتعلم الآلي من البيانات المدخلة أو المنشورة والمسموح لها بالوصول إليها ومعالجتها، ومن ثم التنبؤ بالكلمة التالية الأكثر احتمالية في الجملة، بناء على الإدخالات السابقة، وتوليد إجابات قصيرة وأخرى طويلة معقدة، كنصوص المقالات والرموز البرمجية كتلك التي ينشئها الإنسان.

وفي كل يوم تقريبا يأتينا تقدم

جديد في مجال الذكاء الاصطناعي، فالتطورات الحديثة في تقنيات التعلم العميق، وانفجار البيانات المتدفقة من هواتفنا الذكية، وأجهزة الكمبيوتر، مكنت تقنيات الذكاء الاصطناعي من أداء مجموعة متزايدة من المهام بشكل أفضل من الإنسان. ولعل تفوق برنامج شركة جوجل Google Deep Mind على اثنين من أفضل لاعبي لعبة جو Go، وهي اللعبة الصينية القديمة والمعقدة قد ساهم في جذب أنظار العالم كله إلى تفوق الذكاء الاصطناعي وتميزه، فقد تفوق برنامج شركة جوجل على ٢٥٠٠ عاما من الحكمة والأفكار المعروفة حول اللعبة، لدرجة أن بعض الباحثين الصينيين وصفوا ذلك بلحظة سبوتنيك للبلاد، وكل ذلك دفع دول العالم إلى تخصيص ميزانيات هائلة للإنفاق على الذكاء الاصطناعي، والحديث عن سباق تسلح تكنولوجي جديد، وقد أشار الرئيس الروسي بوتين إلى أن من سيقود الذكاء الاصطناعي سيحكم العالم.

ويمكن القول إن العالم على أعتاب ثورة شاملة ستغير شكل الحياة البشرية على مختلف المستويات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وذلك لأن تطبيقات الذكاء الاصطناعي تتعدد وتتزايد بصورة يصعب حصرها، وحتى اللحظة لم يتم وضع تصور أو تقييم موضوعي لتداعيات هذه التطبيقات.

نشأة الذكاء الاصطناعي

يعد «جون مكارثي John McCarthy» أول من صاغ هذا المصطلح في عام ١٩٥٦م، ووفقا له فإن الذكاء الاصطناعي هو علم هندسة الأشياء وإنشاء آلات ذكية، وبصورة خاصة برامج الكمبيوتر، ويعني ذلك أن الذكاء الاصطناعي يركز على تطوير تقنيات وتطبيقات وأجهزة قادرة على التفكير بالطريقة نفسها التي يعمل بها العقل البشري، تتعلم مثلما نتعلم وتقرر كما نقرر، وتتصرف كما نتصرف. وتتميز نظم الذكاء الاصطناعي بثلاث صفات هي:

- القدرة على التعلم: أي اكتساب المعلومات ووضع قواعد استخدام هذه المعلومات.
- جمع وتحليل البيانات والمعلومات وخلق علاقات فيما بينها من خلال استخدام البيانات الضخمة (Big Data).
- اتخاذ قرارات بناء على عملية تحليل المعلومات.

وقد مر تطور الذكاء الاصطناعي بأربعة مراحل بدأت من مرحلة الذكاء الاصطناعي القادر على الفهم، والتي تمثل أبسط مراحل الذكاء الاصطناعي والتي تعتمد على استخدام خوارزمية لمراقبة سلوك البشر ورصدها، ومثالها ترشيحات الأخبار في جوجل، ثم الذكاء الاصطناعي القادر على تحليل العلاقات الارتباطية مثل التنبؤ بحالة المريض بناء على تاريخه المرضي، ثم مرحلة الذكاء الاصطناعي الواعي القادر على الإدراك الكامل لبيئته ومن أمثلته تطبيقات الهواتف الذكية التي تقوم بحل الواجبات المنزلية للطلاب، وتقنيات الواقع المعزز، ثم ظهرت مرحلة الذكاء الاصطناعي المستقل ذاتيا ومن أمثلته السيارات ذاتية القيادة، والطائرات من دون طيار.

ويبشر الكثير من الباحثين بالانتقال إلى مرحلة الذكاء الاصطناعي ذاتي التطور، ليصبح أكثر ذكاء من الإنسان فيصير قادرا على تصميم آلة أخرى مشابهة، ويطور أجيالا من نفسه، ويجد حلولا لمشكلات يصعب على الإنسان معالجتها، وتتحقق نبوءات العلماء الذين أقروا بأن الذكاء الاصطناعي سيكون سبب فناء البشرية.

وكشفت دراسة حديثة أجراها باحثون من جامعتي أوكسفورد البريطانية وييل الأمريكية أن هناك احتمالا بنسبة ٥٠٪ بأن يتفوق الذكاء الاصطناعي على الذكاء البشري في جميع المجالات في غضون ٤٥ عاما، كما من المتوقع أن يكون قادرا على تولي كافة الوظائف البشرية في غضون ١٢٠ عاما. ولا تستبعد نتائج الدراسة أن يحدث ذلك قبل هذا التاريخ. ووفقا للدراسة فإن «الآلات ستتفوق على البشر في ترجمة اللغات بحلول عام ٢٠٢٤م، وكتابة المقالات المدرسية بحلول عام ٢٠٢٦م، وقيادة الشاحنات بحلول عام ٢٠٢٧م، والعمل بتجارة التجزئة في٢٠٣١م، بل وفي كتابة واحد من أفضل الكتب مبيعا بحلول عام ٢٠٤٩، وفي إجراء الجراحات بحلول عام ٢٠٥٣».

ومن أمثلة استخدامات نظم الذكاء الاصطناعي في حياة البشر اليومية المحتوى الذي يظهر للمستخدم عبر مواقع التواصل الاجتماعي من صور وتعليقات وتغريدات وترشيحات أصدقاء، وكذلك ترشيحات الأخبار والإعلانات والسلع والفنادق وشركات الطيران والأماكن السياحية التي تظهر للمستخدم عبر مواقع الانترنت. وتشمل برامج المساعدة الصوتية في الهواتف الذكية مثل سيري Siri وفيكي Viki والكاميرات التي تستخدم بصمة العين والوجه لإدراك وتمييز الشخصيات، سواء عبر الهواتف الذكية أو كاميرات المراقبة وجميعها تمثل نظما للذكاء الاصطناعي موجودة بصورة يومية في حياة أقل المجتمعات تقدما. كما تستخدم تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الصناعات الدقيقة والمجالات المعقدة كالطيران، والبتروكيماويات،



وأشباه الموصلات، وصناعة الأدوية والفضاء، والصناعات العسكرية، واكتشاف وتشخيص الأمراض الصعبة كالزهايمر والأورام الخبيثة، والتنبؤ بالأزمات والكوارث، ورسم سيناريوهات مستقبلية للتعامل معها، كما تستخدم في دعم العمليات العسكرية، والقيام بالأعمال التقليدية التي يقوم بها البشر، كالقيادة وأعمال المحاسبة، والتدريس، واستكشاف الفضاء وباطن الأرض وأعماق المحيطات، وتحسين طرق الإدارة، وجمع المعلومات، وإدارة الموارد.

الذكاء الاصطناعي والتعليم

لم تعد فكرة استخدام الذكاء الاصطناعي في التعليم من أفكار المستقبل بل أصبحت واقعا معاشا قد يفوق توقعاتنا؛ فقد اعتمد ممثلو الدول والمنظمات الدولية في المؤتمر الدولي حول الذكاء الاصطناعي والتعليم الذي عقد في بكين في الفترة من ١٦ إلى ١٨ مايو ٢٠١٩م وثيقة إجماع بكين، والتي تعد أول وثيقة تقدم إرشادات وتوصيات حول أفضل السبل التي يمكن أن تستجيب بها الدول للفرص والتحديات التي يطرحها الذكاء الاصطناعي لتسريع التقدم نحو تحقيق الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة والخاص بضمان جودة التعليم. وقد أكدت الوثيقة على ضرورة نشر تقنيات الذكاء الاصطناعي في التعليم لزيادة الذكاء البشري وحماية حقوق الإنسان، وتعزيز التنمية المستدامة من خلال التعاون الفعال بين الإنسان والآلة في الحياة والتعلم والعمل، واستخدام أنظمة التدريس الذكي، وأن يشمل استخدام الذكاء الاصطناعي في التعليم مجالات إدارة التعليم وتقديمه، والتدريس وتمكين المعلمين، وتقييم التعلم والتعليم، وتنمية القيم والمهارات اللازمة للحياة والعمل، وتقديم فرص التعلم مدى الحياة للجميع.

ويرى المتخصصون بإن الإدارة المدرسية يمكن أن تكون من خلال نظم إلكترونية تعتمد على الذكاء الاصطناعي، مما يسهم في اتخاذ القرارات الإدارية الصحيحة، وتوزيع المقررات والحصص الدراسية على المعلمين وفق قدراتهم واتجاهاتهم، واكتشاف الطلاب الموهوبين، وذوي صعوبات التعلم وتعزيزهم، وتوفير برامج خاصة لهم، ومراقبة سير التعلم لكل طالب مع التواصل المباشر مع أولياء أمور الطلبة بشكل متواصل دون مجهود بشري.، وتقديم التغذية الراجعة ومساعدتهم في اتخاذ القرارات الدراسية المناسبة. ومن المتوقع أن تنتقل الفصول الدراسية قريبا إلى استخدام مزيج من الروبوتات والذكاء الاصطناعي المصمم حسب حاجات المتعلمين، وستستفيد نسبة كبيرة من الطلبة من الروبوتات، كما سيتحرر المعلمين من الأعباء الإدارية وسيتفرغون للتركيز على الطلاب. وتعد الصين من أوائل الدول التي حرصت على استخدام تقنية الذكاء الاصطناعي في نظامها التعليمي، وقد أشارت صحيفة تشاينا دايلى China Daily إن المعلمة الآلية كيكو شقت طريقها إلى فصول رياض الأطفال في أكثر من (٢٠٠) مدرسة في شتى أنحاء البلاد. ويشجع هذا الروبوت التفاعلي بواسطة مشاركة القصص ومساعدة الأطفال على حل المشكلات المنطقية، ويتميز برأسه المستدير وعيناه الواسعتان وشكله الطريف إلى جذب انتباه الأطفال تحت سن السابعة.

وتتسع آفاق المستقبل مع التطور المذهل في استخدام روبوتات المحادثة المعتمدة على الذكاء الاصطناعي مثل ChatGPT وهي نماذج لغوية



ذكية مصممة لتبادل الكلمات عبر شبكات الإنترنت مع المستخدمين من البشر، وقد برزت هذه البرمجيات في التسويق والتنسيق مع العملاء وتنفيذ المهام المجدولة وغيرها، وتتميز هذه الروبوتات بقدرتها على استقبال المعلومات والتفاعل معها، واستخدامها في الرد على الاستفسارات، والإجابة عن الأسئلة، وتوفير المعلومات بناء على الكلمات المدخلة في نظامها وبطريقة تشبه التحادث البشري وباللغات الطبيعية، وبذلك فهي تتقارب مع العمليات العقلية التي يجريها الإنسان لحل المشكلات في مواقفه، واتخاذ القرارات من أجل تحقيق أهدافه، وهي بهذه القدرات والامتيازات يمكنها إحداث ثورة في مختلف المجالات، ولكن تقابلها شكوك وأفكار وأسئلة اجتماعية وأخلاقية من حيث أهداف المبرمجين والمستخدمين. إذ يمكن استخدامها لما يحقق المصالح الفردية أو الجماعية دون النظر لما يتبع ذلك من تعديات معرفية، وأخلاقية، واجتماعية. ويبرز تطبيق الشات جي بي تيchatGPT على الساحة التعليمية لقدرته على توفير الإجابات الأكاديمية والتربوية، وكتابة النصوص، والمقالات لأي مستخدم قادر على الوصول لهذه البرمجية. مما يعني إن الباحثين وطلبة المدارس أو الجامعات يمكن أن يستخدموه في إنشاء الأبحاث والمهام والتكليفات المسندة إليهم دون جهد في البحث والقراءة، والتحليل، والتفسير، والتلخيص، وهذا ما يعارضه المعلمون وخبراء التربية.

الخاتمة

إن دمج تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم يعطي القدرة على مواجهة بعض أكبر التحديات في التعليم اليوم، وابتكار ممارسات جديدة في التعليم والتعلم، وتسريع التقدم نحو توفير التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع والذي يمثل الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة، وقد تزايد الاهتمام بالذكاء الاصطناعي، وفي ظل المساعي الحثيثة لأغلب الدول على تضمين الذكاء الاصطناعي وغيره من علوم المستقبل في المقررات الجامعية وإنشاء تخصصات كاملة في مجالاته، وصار من الضروري إعداد الطالب منذ سنوات دراسته الأولى للتعامل مع الذكاء الاصطناعي، ليس هذا وحسب، بل الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في التعليم ليكون هو معلم المستقبل مع وجود قليل من المتابعة من المعلمين أو الاختصاصيين، وتفرغ المعلمين من البشر إلى أدوار أكثر إنسانية وتفاعلية واتصالية أكثر من الأدوار التعليمية التقليدية التي نعرفها، وهو أمر سيحقق بلا أدنى شك ثورة في مجال التعليم على نحو متميز.

المراجع

١- إيهاب خليفة (٢٠١٩): الذكاء الاصطناعي»، سلسلة دراسات المستقبل، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد (٦).

٢- سعيد الكلباني (٢٠٢٣). التعليم في زمن روبوتات نماذج اللغة، https://educationmag.net/٢٠٢٣/٠٢/٢٨/chatgpt/

٣- طارق راشد (٢٠١٩): خمس دول تدمج الروبوتات في الحياة اليومية، مجلة العربي، العدد (٧٣٢)، ص ص ١٥٦- ١٦٢.

٤- اليونسكو (٢٠١٩) الذكاء الاصطناعي في التعليم https://ar.unesco.org/themes/ict-education/action/ai-in-education



بنعلي بو علام بن بوزيان
كاتب وباحث

نهاية الأفكار ونزهة الأبصار

شذرات من التراث الطبي العربي الإسلامي

جاء في كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» للمستشرقة الألمانية - زيغريد هونكه - (لقد علم أقليدس وبطليموس بأن العين المجردة ترسل أشعة إلى الأشياء التي تريد رؤيتها، فجاء ابن الهيثم[١] وأعلن خطأ هذا الادعاء قائلا: «ليس هناك من أشعة تنطلق من العين فتبصرها هذه الأخيرة بواسطة عدستها». وبهذا يكون قد حقق اكتشافا عظيما جاوز به حدود علم القدامى في حقيقة الحواس الخمس وإمكاناتها، ومختلف أنواع الظواهر الضوئية، وأوجد قانونا أيدته تجارب مختلفة كل الاختلاف، والواقع أن روجر باكون.. أو ليوناردو دافنشي أوجاليليو ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي، إنما السباقون في هذا المضمار كانوا هم العرب، والذي حققه ابن الهيثم كما هو معروف عند الأوروبيين لم يكن إلا علم الطبيعة الحديث بفضل التأمل النظري والتجربة الدقيقة، وفي حقل التجارب التي أجراها أثناء سجنه، وفي سنوات حريته المستردة وفق ابن الهيثم في دراسته لعلم البصريات وأحرز نجاحا باهرا حقق له تقدما فاق كل ما كان معروفا شائعا في مجالات هذا العلم، وأوجد بذلك حقلا علميا جديدا واسع الأرجاء)[٢].

إن هذا النص يعد قطرة من بحر العديد من البراهين الساطعة التي تؤكد نبوغ العقل العربي الإسلامي في شتى العلوم والمعارف، ومن هذه الدلائل أيضا مصدر طبي مغمور لكنه نفيس لأحد رجالات الأندلس: فمن يكون هذا الرجل؟

ما هو السياق الذي ألف فيه الكتاب؟

ما هو المنهج الذي اعتمده وأبرز ملامح شخصيته العلمية؟

هل صحيح أن نبوغ العقل العربي الإسلامي مقتصر على الشعر والخطابة والبلاغة؟

١- صاحب الكتاب:

ورد في «معجم المؤلفين» (عبد الله الحريري ٥٩٠هـ - ٦٤٦هـ... عبدالله بن القاسم بن عبد الله اللخمي الإشبيلي، الحريري..محدث، حافظ، نسابة، مؤرخ، أديب، شاعر، طبيب، من مؤلفاته: الدرر والفوائد، معجم شيوخه، حديقة النوار،... نهاية الأفكار ونزهة الأبصار في الطب..)[٣].

فالإشبيلي من علماء القرنين الهجريين السادس والسابع، عاش في زمن شهدت فيه الثقافة العربية الإسلامية ازدهارا مشهودا سطعت شمسه على الغرب الذي عانى ركودا علميا لاتخطئه العين نتيجة سيطرة رجال الكنيسة الذين ضاق صدرهم بالعلم وأهله، وقد أكد هذا الرجل نبوغه الطبي بنفسه منذ حداثة سنه، حيث ورثه أبا عن جد، وبذل المجهودات الجسام (.. وكان حصل لي شمة من علم الطب مما حصل لي بالإرث عن الأب والجد، وما أمكنني بالتحصيل والجد، وما ثبت لي من التجارب المنقولة عن الشيوخ الماهرين والعمل بين أيديهم، وعلى الانفراد في أطراف البلاد)[٤].

٢- سياق تأليفه:

ألف عبد الله بن قاسم الأندلسي الإشبيلي هذا المصدر عام أربع وعشرين وستمائة للهجرة، كما جاء في عبارات المحقق الدكتور حازم البكري[٥]، وبكل تواضع لله عزوجل صرح بالعنوان الذي ارتضاه «.. وقد سميته نهاية الأفكار ونزهة الأبصار، وأعوذ بالله من الزلل، وأسأله التسديد في القول والعمل»[٦]. أما دواعي تأليفه فتتمثل في توضيح الغامض في كتابات الأولين، ونيل

ثواب الله تعالى، وإهدائه إلى أحد ملوك الدولة الأيوبية في مصر والشام إهداء مفعما بالتوقير، وإبراز نعمة العين ومحوريتها في حياة الإنسان، يقول: «أوضح فيه ما لعله يشكل في غيره من الكتب في هذا الفن، أرجو بذلك ثمرة دعاء مستجاب، وثناء مستطاب، وقد عزوته إلى خزانة مولانا السلطان العالم العادل المؤيد المظفر المنصور الملك الأشرف مظفر الدنيا والدين، غياث الإسلام والمسلمين، قامع الكفرة والمشركين، شاه أرمن...ولولا يكن في جمعه فائدة إلا كونه مقويا لهذا العضو الشريف الذي به يشاهد الإنسان هذا الملك الجليل الذي منّ الله به على عباده، ومكنه في أكثر بلاده، لكان كافيا في شرف هذا العلم، وفضيلته، وعلو شأنه، وسمو منزلته، وقد عرضت عرضي فيه للتمزيق، فمن رأى خللا فليسده، وبالله التوفيق»[٧].

٣- منهجه:

في هذا الكتاب «عامة» اعتمد صاحبه الوصف، وهو القسم الأول الذي حققه الباحثان المقتدران: حازم البكري، ومصطفى شريف العاني، وفيه اثنتان ومائتا صفحة، والصفحة الأولى مفقودة، ليبدأ بالثانية عنونها ب: بدء الكتاب[٨] وفيها يبرز دواعي تأليفه، وعلاقته بعلم الطب حتى يبعد عنه تهمة التطفل، ولم ينس ذكر المصادر التي استند إليها، والعنوان الذي اختاره، وبسط أبرز محاوره المتمثلة في: مقدمة، وأربعة أجزاء متفرعة إلى أقسام وفصول، واضعا الترتيب العددي نصب عينيه، إلا أنه في القسم الثاني من الجزء الثاني آثر الترتيب الأبجدي.

بعد هذا التعريف الموجز بالكتاب، أنتقل إلى أهم العناصر التي يضمها



منهجه الوصفي

- اعتماده التقسيم الدقيق لأبواب كتابه وعنونتها، وهذا يدل على عقليته العلمية التي تتوخى التنظيم لتسهيل مهمة القراءة، يقول: «وقد جعلته مرتبا على مقدمة، وأربعة أجزاء، فأما المقدمة فهي فصل واحد في نعت الكحال[٩] وما يجب عليه، ثم قسمت الأجزاء على هذه القسمة ليسهل تناولها...»[١٠].
- المنهج الاستنباطي واضح المعالم في هذا المصدر، وفيه ينتقل من العام إلى الخاص، ويتجلى في العناوين المختارة، وأقسام الكتاب، والمعلومات التي أوردها «وقد ذكرنا الأمراض الكلية وأسبابها وأعراضها وطرق معالجتها بقول كلي، وسنوضح القول من ذلك بقول جزئي في علاج مرض مرض»[١١].
- توثيق معلوماته من أجل تقوية مادته وتطعيمها، وذلك بالاستعانة- مثلا- بآراء علماء بارزين، فمن اليونانيين: جالينوس، أرسطو،..«وأما الكبير أرسطو: فيعتقد في ذلك أن القوة البصرية والشعاع البصري سيتصل بالمبصر، وينعكس راجعا إلى البصر، فيؤدي إلى صورة ما اتصل به، وينفذ في هواء قابل لهذا الفعل من المبصر...»[١٢]. وقد أكثر من الاستشهاد بجالينوس[١٣]. ومن المسلمين نجد «ابن سينا» حيث نعته بالشيخ الرئيس وسيد المحققين «فهذا ما ذكر حذاق الأطباء وهي القوانين التي اختارها الشيخ الرئيس سيد المحققين في هذه الصناعة»[١٤]، غير إنه لم يحدد أسماء علماء آخرين استنار برأيهم، واكتفى بالإشارة إليهم بكلمة (قوم) «اعلم أن الأطباء اختلفوا

في عدد طبقات العين، ولم يختلفوا في رطوبتها..وأما الرطوبات فالجليدية، والزجاجية، والبيضية، وأما من خالف في عدد الطبقات: فعند قوم أنها طبقتان، وعند قوم أنها ثلاث، وعند قوم أنها أربع...»[15]، وقد قوى آراءه أيضا بسيرة السلف الصالح في إطار حديثه عما يجب على الكحال، كسلامة عينيه من الأمراض «فقد حكي أن الشافعي رضي الله عنه رمدت عينه، فأتى بكحال أعمش، فنظر إليه وقال:

جاء الطبيب يجسني فجسسته

فإذا الطبيب لما أجس محال

وغدا يعالجني بفضل عمائه

ومن العجايب أعمش كحال[16].

● مراعاته المعاينة، وإعطاء الأمثلة، والإكثار من فعل «اعلم» ويتجلى ذلك -على التوالي- في:

❖ «سكر العشر: يحد البصر، ويجلو البياض، ومنه أبيض كقطع الملح، ومنه أسود، وهو[17] بلاد مازندران كثير، شاهدته يباع مع حوايج العطر، ويسمونه بغير هذا الاسم»[18].

❖ «نذكر أفعال الأدوية على الاختصار من غير أن نبين أوصافها في غير العين...لئلا يطول الكتاب»[19].

❖ «ويشهد بذلك أن إنسانا لو جعل كفه طولا، أو شيئا حاجزا على الأنف بين العينين لئلا يقع بصرهما على الشيء الذي يقصد، كانت رؤيته له غير تامة، وإن غمض واحدة عادت رؤيته له بالعين الأخرى أبين وأوضح»[20].

❖ «اعلم أن قدام الجليدية رطوبة أرق قواما من الزجاجية يقال لها الرطوبة البيضية»[21].

٤- شخصيته العلمية:

● تواضعه لله عزوجل، واستحضاره لفضله، وتوقير السلطان، وتلك أعظم سمة تطبع العلماء[22].

● اعترافه بمحدودية علمه، يقول: «حرف الضاد والطاء: ليس فيهما شيء أعرفه مما ينفع العين»[23].

● النفي والتعليل: إنه لا يكتفي بالنفي بل يؤكد ذلك بالدليل، يقول:

«اشقيل: وهو بصل الفأر، قيل: إن أكله يحد البصر، وأنا أستبعد ذلك لتبخيره»[24].

● استعانته بمصطلحات أجنبية، وعادات بعض الشعوب

ويتجلى ذلك في هذين النصين:

❖ «...ومنه نوع يشبهه يسمى التكدر، وهو سريع الزوال لضعف أسبابه، ويسمى باليونانية طاركسيس»[25].

❖ «... والترك وإن كانوا يسكنون الإقليم الخامس، ويلاقون البرد الشديد إلا أنهم يكثرون من أكل لحم الخيل، ويكثرون من أكل اللحوم مطلقا والدماء، ويشربون ألبان الخيل، وكل ذلك مسخن، فتسخن أحشاؤهم وأدمغتهم، وتعود قلوبهم يابسة شديدة الحرارة...»[26].

وهكذا فإن الثقافة العربية الإسلامية لم تقتصر على النبوغ البلاغي في مجالي الشعر والخطابة، بل تعدتهما إلى ميادين أخرى اعتمدت فيها اللغة العلمية الواضحة، والأرقام، والرسوم والخرائط، والتجارب المختبرية... فمن الرياضيين لدينا الخوارزمي، ومن الجغرافيين الإدريسي، ومن الأطباء ابن سينا، ومن الفقهاء الأصوليين الإمام الشافعي رضي الله عنه،...وما «نهاية الأفكار ونزهة الأبصار» إلا غيض من فيض العديد من النفائس العلمية التي نجت من الخراب الذي ألحقه المفسدون بمكتبات العديد من الأصقاع كالأندلس... حتى يوقفوا المسيرة العلمية لأمتنا التي شرقت وغربت... لذا فإننا مطالبون بمواصلة المسيرة في شتى المجالات، في عالم تطغى عليه الثقافة الرقمية، وذلك بالانفتاح المفيد على الآخر دون نسيان هويتنا العربية الإسلامية، وعاداتنا وتقاليدنا الأصيلة، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين ٢٦).

الهوامش

١- ابن الهيثم: عالم موسوعي برزفي علم البصريات...عاش في القرنين الهجريين الرابع والخامس (ينظر معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - (١/٥٤٥).

٢- شمس العرب تسطع على الغرب - (ص: ١٤٨-١٤٩).

٣- معجم المؤلفين (٢/٢٧٠).

٤- نهاية الأفكار ونزهة الأبصار - القسم الأول - (ص: ٢٢).

٥- المصدر نفسه (ص: ٩).

٦و٧- المصدر نفسه - (ص: ٢٣).

٨- المصدر نفسه (ص: ١٩ و٢١).

٩- الكحال: طبيب العيون.

١٠- نهاية الأفكار ونزهة الأبصار (ص: ٢٣).

١١- المصدر نفسه (ص: ١١٥).

١٢- المصدر نفسه (ص: ٧٥).

١٣- المصدر نفسه (ص: ٤٥ - ٧٥-٧٦-٩٩)... وجالينوس طبيب يوناني مشهور، عاش في القرنين (٢و٣م)، برز في الطب والتشريح. (ar.wikipedia.org)

١٤- نهاية الأفكار.. (ص: ١٣٧) - ينظر كذلك (ص: ٩٩)، وفيها يخطّئ ابن سينا رأيا لجالينوس. وابن سينا طبيب ورياضي وفلكي عربي مشهور، عاش في القرنين الميلاديين (١٠و١١) (ar.wikipedia.org).

١٥- نهاية الأفكار.. (ص: ٥٥ و ٨٣).

١٦- الشافعي: هو الإمام الشافعي رضي الله عنه، صاحب المذهب الفقهي المعروف، عاش في القرن الهجري الثاني وبداية الثالث. رمدت: أصابها داء الرمد. أجس: وهو تعرف الشيء بمس لطيف - العجايب: العجائب.

١٧- الغالب أن هناك حذفا لحرف «في».

١٨- نهاية الأفكار (ص: ١٧٤).

مازندران: من أعمال بلاد فارس.

حوايج: حوائج.

١٩- المصدر نفسه (ص: ١٦- ١٣٨-١٧١-١٨٠).

٢٠- المصدر نفسه (ص: ٥٢).

٢١- المصدر نفسه (ص: ٦٢- ١١٨ - ١١٩ - ١٢٤).

٢٢- المصدر نفسه (ص: ٢٣ - ١٩٣).

٢٣- المصدر نفسه (ص: ١٩٢ - ١٩٣).

٢٤- المصدر نفسه (ص١٤١).

٢٥- المصدر نفسه (ص: ١٩٥) ومنه: أي ومن أنواع داء الرمد.

٢٦- المصدر نفسه (ص: ٩٠ - ٩١).

عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

الإسلام.. اهتمام بالعلم والعلماء

يرى البعض أن العلاقة بين الدين والعلم قائمة على الصراع والخلاف وعدم التوافق، بينما يرى آخرون أن هناك حالة من الانسجام والتوافق الكبير بين الإثنين، في حين يعتقد غيرهم أنه لا يوجد تفاعل كبير بين الدين والعلم لأن مساراتهم مختلفة ولا تلتقي إلا في بعض المواقع من دون أن يكون ثمة تأثير واضح لهذا التفاعل.

لكن من واقع ما شهدته الحضارة الإسلامية من تطور وازدهار وتقدم فإن علاقة الدين والعلم مبنية على التوافق خصوصا في ديننا الإسلامي الحنيف لأن الإسلام يدعو إلى العلم والتعلم ويحض على اكتساب العلوم والمعارف والاستفادة من منجزات الحضارة والتطور بما يؤدي إلى إسعاد البشر وتسهيل أمور حياتهم ومعيشتهم، وتاليا فلا يوجد صراع أو خلاف بين العلم الصحيح الذي يهدف إلى التنمية والازدهار وبين الدين الإسلامي لأن الغاية مشتركة والهدف واحد وهو تقدم البشرية ونهضة الأمم وتسهيل أمور الحياة المختلفة.

ولا يمكن الحديث عن الاهتمام في العلم والعناية بالعلماء من دون أن تناول دور الدين الإسلامي في هذا الجانب والذي أولى اهتماما كبيرا للعلم والفكر والعلوم والمعارف المختلفة، فضلا عن اهتمامه بالعلماء ورفعه لشأنهم ومنحهم المكانة والتقدير، إضافة إلى حضه على التوسع في البحوث العلمية والفكرية وتعلم العلوم في مجالات الحياة المختلفة سواء في الطب أو الفلك وغيرها من التخصصات التي تحتاجها البشرية في سبيل تحقيق الازدهار والتطور والنهضة الشاملة.

وجاء ذكر العلم في القرآن الكريم والأحاديث النبوية في أكثر من موضع في تأكيد على أن الإسلام يشجع العلم ويرفع من شأن المؤمنين العلماء.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١).

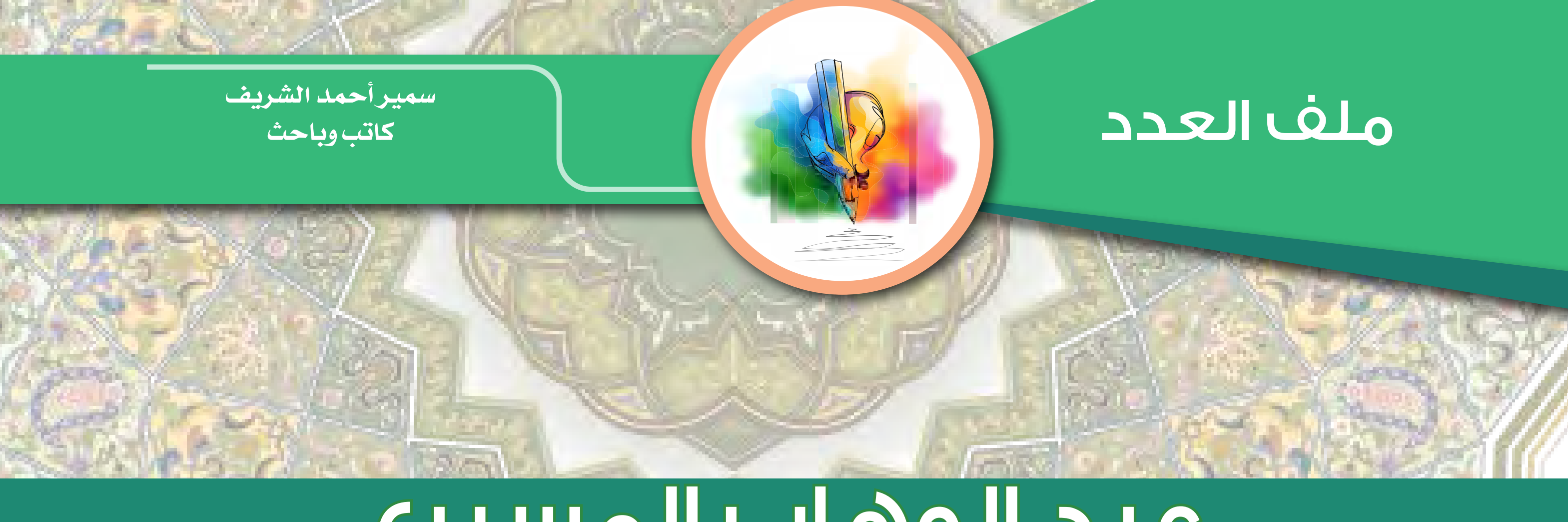
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٨).

ولعل أول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي «اقرأ» لمكانة العلم وعظمته.

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ (العلق: ١ - ٤).

وروى أبو الدرداء عن الرسول ﷺ أنه قال: «من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما». أخرجه أبو داود (٣٦٤١) واللفظ له، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥) باختلاف يسير.

هذه الدلائل وغيرها تؤكد أن الإسلام يشجع العلم ويهتم به اهتماما كبيرا، لأن الإسلام ليس فقط عبادات إنما نظام حياة شامل ومتكامل.



سمير أحمد الشريف
كاتب وباحث

عبد الوهاب المسيري وتفكيك الحضارة الغربية

الحضارة الغربية لا تنكر وجود الله صراحة، ولكنها تحذفه من نظامها الفكري، إذ تحولت لحضارة مادية تدرك الكون بحواس الإنسان فقط، فتتاهى إليها الضعف الفكري، ويكفي دليلا، مقولة الفيلسوف الألماني نيتشه الذي ادعى (موت الإله).

كثيرة هي الأقلام التي تصدت للرد وتفنيد وتفكيك المنطلقات الفكرية للحضارة الغربية، وكشف زيفها وعوارها، ومن ثم رفضها بالكلية، ومن أبرز المفكرين الإسلاميين في القرن العشرين مثالا على ذلك، محمود محمد شاكر، ومحمد محمد حسين، ومحمد البهي وأنور الجندي، الذي أورد في كتابه «عالمية الإسلام، ص ٦٧-٩٩: لما كانت الحضارة تقوم على حركة مادية عمرانية تتحرك في إطار عقدي، فإن هذا الإطار هو منطلقها إلى الاستمرار أو التمزق»، فمتى أغفل الناس هذا الإطار الهام (العقيدة الإسلامية)، وخبا أوارها في نفوسهم - فإن التصدع والانهيار



سيشمل الحضارة؛ ذلك لأن الإنسان هو الذي يبني العمران، ومتى تهدم بنيانه بإعلائه من العنصر المادي، فهذا هو عنوان الانهيار الذي يشمل حضارته؛



لأن الأخلاق ستتردى من حالق، وستنهار البشرية بما سيعتريها من مآزق، في حين وجدت مدرسة فكرية أخرى، انبهرت بحضارة الغرب، وقررت أن تتلقاها كما هي، بل، وطالبت بالسير على خطاها وتمثلها في كل مناحي الحياة.

وقد خرجت في العصر الحديث مدرسة جديدة، قرأت الحضارة الغربية، ونظرت في آراء من ينكرونها بالكلية، ومن يقبلونها بالمطلق، ورأت أن للحضارة الغربية محاسن كما لها فضائح وفظائع، وعلينا كمسلمين، أن نميز بين هذا وذاك، ونأخذ منها ما يناسب عقيدتنا، خاصة في مجال التقدم العلمي والتقني، ومجالات الطب، وما تقدمنا الغرب فيه.

قاد هذه المدرسة، المفكر الدكتور عبد الوهاب المسيري، الذي يرى أن حضارة الغرب حولت الإنسان لشيء مادي، وغيبت الجانب الروحي فيه، محملا فلسفة نيتشه خطايا وأخطاء النظرة العدمية، التي صبغت



الحضارة الغربية، وما جرته على البشرية من ويلات، لأن الصراع فيها يقوم على مطلق القوة، التي لا يضبطها قانون، ولا يؤطرها نظام خلقي، وهي من عملت بفلسفاتها العدمية - خاصة طروحاتها فيما بعد الحداثة، أو ما يسمى بالتفكيكية، على تهميش الإنسان، وتحطيم منظومته المعرفية والأخلاقية، وعدم الإيمان بأية مرجعية، مكتفين فقط، بالإنسان وإمكانياته، وإيصاله إلى اللاعقلانية المادية، ولتصبح الأمور جميعها نسبية، بلا وجود لأي مطلق، فتلغي مركزية الإنسان، وتنزع عنه كافة جوانبه الشخصية، وتجرده من ملكاته وخصائصه، وما أودعه الله فيه من قدرات، تجعله أهلا لتحقيق خلافة الأرض وعمارتها، والفوز في امتحانها، ليصبح في الفلسفة الغربية من ثم، بلا حرمة، ولا قداسة، ولا يمتلك أي تفرد، وهي بذلك تعارض وتضرب بعرض الحائط، التكريم الإلهي للإنسان من فوق سبع سماوات، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤) و﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الأسراء ٧٠).

جاء الدكتور عبد الوهاب المسيري، وسطا بين الرأيين السابقين، وجعل الحضارة الغربية محور دراساته ونقده، بهدف الاستفادة من التجربة الغربية، والأخذ منها، جنبا إلى جنب، مع ما في حضارة الإسلام من ارتقاء، وتسام روحي، وعدل، نتجاوز به الواقع، وصولا لأفق حضاري أوسع إنسانية، فكرس جهده ورؤيته النقدية للحداثة الغربية وفلسفاتها المادية، آملا أن يعيد صياغة المعنى الحقيقي للحداثة، بما يلائم خصوصية البيئة العربية والإسلامية، وقيمهما وحضارتها، خاصة وأن المسيري عاش في بلاد الغرب طويلا، ودرس فلسفاتها عن قرب، وتمكن من كشف المخبوء، وغير المعلن، من أزماتها، وهو في كتبه وأبحاثه التي دارت مضامينها حول الحضارة الغربية، وعلمانيتها، وحداثتها، كالعلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة/ الفلسفة المادية، وتفكيك الإنسان/ الإنسان والحضارة والنماذج المركبة/ العلمانية تحت المجهر/حمل راية التنوير التي تنطلق من مفهوم أن الإنسان هو مركز الكون، وأن الحضارة، والمدنية، والتقدم العلمي، يجب أن تسخر جميعا لمنفعته، وهو المخلوق الذي ميزه الله بالعقل والإرادة، واختاره ليحمل أمانة عمارة الكون، بما لا يخرج عن الدستور الإلهي الذي وضعه الله له، ليسعد في الدنيا وليتمثل قول الحق تطبيقا لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف:٣٢).

فاطمة طاهري
كاتبة وباحثة مغربية



الإعلام التربوي: دراسة في المفهوم

برز مصطلح الإعلام التربوي أواخر السبعينات من القرن العشرين، وذلك عندما تبنته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، للدلالة على التطور الذي طرأ على نظم المعلومات التربوية، وأساليب توثيقها، وتصنيفها، والإفادة منها، وذلك أثناء انعقاد الدورة السادسة والثلاثين للمؤتمر الدولي للتربية عام: (١٩٧٧م). ومع التطور التقني الهائل الذي طرأ على وسائل الإعلام مع بداية الألفية الثالثة، والذي تمثل في إلغاء الحواجز الزمنية والمكانية من خلال تقنية البث الفضائي عبر الأقمار الاصطناعية، وانتشار تقنيات الإعلام الجديد، تطور مفهوم الإعلام التربوي، وامتد ليشمل الواجبات التربوية لوسائل الإعلام العامة، المتمثلة في السعي لتحقيق الأهداف العامة للتربية في المجتمع، والالتزام بالقيم الأخلاقية، ويعزى هذا التطور للأسباب الآتية:

- تطور مفهوم التربية الذي أصبح أوسع مدى، وأكثر دلالة فيما يتصل بالسلوك وتقويمه، والنظرة إلى التربية على أنها عملية شاملة ومستدامة، وتحررها من قيود النمط المؤسسي الرسمي.

- انتشار وسائل الإعلام على نطاق واسع، وتنامي قدرتها على جذب مستقبل الرسالة الإعلامية، وبالتالي قدرتها على القيام بدور تربوي مواز لما تقوم به المؤسسة التربوية الرسمية.

- تسرب بعض القيم السلبية، والعادات الدخيلة على ثقافة المجتمعات، وتحديدا في البلدان الأقل نموا تحت غطاء حرية الإعلام.

١- تعريف الإعلام التربوي

تتعدد التعريفات التي قدمت للإعلام التربوي، ومن أبرزها:

- الإعلام التربوي هو «التطور الذي طرأ على نظم المعلومات التربوية، وأساليب توثيقها وتصنيفها والإفادة منه». ويؤخذ على هذا التعريف أنه يحمل دلالة هي أقرب ما تكون لمفهوم نظم المعلومات التربوية، وليس لمفهوم الإعلام التربوي، فمجالات الإعلام التربوي هي نفسها مجالات العملية التربوية، وحيث إن كل المعارف العلمية والمهنية والاجتماعية يمكن أن تكون موضوعا للعملية التربوية والبحث التربوي، فإنها بالتالي يمكن أن تكون مادة للإعلام التربوي.

- يشمل الإعلام التربوي «الواجبات التربوية لوسائل الإعلام العامة». ويرى

بعض الباحثين أن ما قدمه أصحاب هذا التعريف، لا يعدو كونه رأيا، وليس تعريفا للإعلام التربوي، كونه منقوصا، ويتصف بالعمومية، كما أنه يثير مشكلتين أساسيتين، تتمثل المشكلة الأولى في تحديد المعايير التي يمكن الاستناد إليها في إصدار الأحكام على محتوى وسائل الإعلام العامة، في حين تتمثل المشكلة الثانية في أسس الالتزام التربوي والأخلاقي لوسائل الإعلام.

- يعرف الإعلام التربوي، أيضا، بأنه «المحاولة الجادة للاستفادة من تقنيات الاتصال وعلومه من أجل تحقيق أهداف التربية من غير تفريط في جدية التربية وأصالتها، أو إفراط في سيطرة فنون الاتصال وإثارته عليها».

ويؤخذ على هذا التعريف كونه تعريف توفيقي متأثر بواقع الخلاف بين التربويين والإعلاميين حول تبعية هذا المصطلح، إضافة إلى عدم التمييز بين مفهوم الاتصال ومفهوم الإعلام، وكذلك إغفال بعض الجوانب المهمة مثل مضمون الرسائل الإعلامية للإعلام التربوي.

- تبنى معهد الإنماء العربي تعريفا يرى بأن الإعلام التربوي «يقوم على البرامج التربوية في الإذاعة والتلفزيون، وعلى المجلات والنشرات التربوية، والمحاضرات والندوات».

ومع أن هذا التعريف يحدد عددا من وسائل الإعلام التربوي، غير أنه لا يوضح ماهية البرامج التربوية، وطبيعة محتواها، فهل المقصود هو البرامج التعليمية، كالدروس المنهجية المساندة لطلبة المدارس، وبرامج تدريب المدرسين أثناء الخدمة؟ أم البرامج التربوية بحسب المفهوم الشامل للتربية المستدامة؟

- من التعريفات الأكثر انتشارا التعريف الذي يرى أن الإعلام التربوي: «كل ما تبثه وسائل الإعلام المختلفة من رسائل إعلامية ملتزمة، تسعى للقيام بوظائف التربية في المجتمع، من نقل للتراث الثقافي، وغرس لمشاعر الانتماء للوطن، بحيث تتمكن مختلف فئات المجتمع من إدراك المفاهيم، واكتساب المهارات، والتزود بالخبرات، وتنمية الاتجاهات، وتعديل السلوك».

وهناك تعريف آخر يرى بأن الإعلام التربوي: تسخير الإمكانات التقنية في علوم الاتصال لخدمة الأهداف التربوية(١).

- وهناك تعريف، ارتبط بفكرة استخدام المحتوى العلمي لبعض وسائل الإعلام استخداما مباشرا في خدمة جانب أو أكثر من جوانب العملية التربوية، يقول هذا التعريف، الذي ينسب إلى Good Carter، أن الإعلام التربوي: بيانات صحيحة وقابلة للاستخدام تتعلق بجميع أنواع فرص التدريب والمتطلبات التربوية الحالية والمستقبلية ويشمل ذلك محتويات المنهج وظروف ومشكلات الحياة الطلابية. وهذا يعني أن الإعلام التربوي يهتم بتوجيه وسائل الإعلام نحو واجباتها التربوية مما يفيد العملية التعليمية والتربوية ويثري البحث العلمي(٢).

- كما يعرف بأنه: تطابق مسيرة التربية مع مسيرة الإعلام وأن توظف التربية كل هذه التقنيات الجيدة الحديثة من أجل تحقيق الرسالة والمهمة التربوية المنشودة(٣).

- ويعرف الإعلام التربوي، أيضا، بأنه: توظيف واستغلال الوسائط التربوية الحيوية والمؤثرة (وسائل الإعلام التربوي المتنوعة) من خلال تواصلها مع المؤسسات الاجتماعية والتربوية: المدرسة، والأسرة، والمسجد، والأندية ذات التكامل التربوي، من أجل تفعيل أهداف الإشراف التربوي، ضمانا لتحقيق بعض أهداف وغايات التربية(٤).

- ويعرف الإعلام التربوي، كذلك، بأنه: المواءمة بين التعليم والإعلام من أجل صياغة سلوك البشر خاصة النشء والشباب بشكل متوازن بحيث لا تجر مرونة وسائل الإعلام إلى الانفلات، ولا يقيد حذر التربية مسايرة التطور المتلاحق في العالم(٥).

ويعني هذا أن الإعلام التربوي يوائم بين التعليم والإعلام لصياغة السلوك المتوازن بحيث لا ينقض الإعلام ما تغرسه التربية، بل يساعدها في أداء مهمتها التربوية بكفاءة واقتدار كما يهيئها لمواجهة عالم من التغير والتطور السريعين.

كما يعرف الإعلام التربوي بأنه: العلم يطبق مبادئ التربية وفنونها على علوم الاتصال والمعلومات(٦)، وذلك بوصفهما (التربية والإعلام) عملية تفاهم واتصال العلاقة بينهما قوية ومتينة فهما يعملان على خدمة المجتمع وأفراده ومساعدتهم ومعاونتهم بواسطة مختلف وسائل الاتصال.

ومهما يكن من أمر، فإن مفهوم الإعلام التربوي ما زال في حاجة إلى تقعيد، وما زال هناك خلاف حول هذا المفهوم، فهل هو الإعلام عن الجهود التربوية للاستفادة منها؟ أم هو الاستفادة من علوم الاتصال وتقنياته من أجل الوصول إلى أهداف التربية؟

غير أنه من المتفق عليه هو أن الإعلام التربوي يعد أنسب وسيلة لتنسيق التعاون التكامل بين التعليم والإعلام. كما أن مفهوم الإعلام التربوي أعم وأشمل من الإعلام التعليمي، وأن التربية الإعلامية أعم وأشمل من الإعلام التربوي، وإن كانت جميعها تلتقي عند نقطة واحدة وهدف مشترك هو المساعدة على بناء الإنسان وتحقيق رسالة التربية الخاصة مع تعاظم التقنيات الحديثة في مجال الاتصال

وما يتطلب ذلك من دور أكبر للتربية الإعلامية لتنمية الحس الإعلامي لدى الأفراد ومساعدتهم علي أدراك وانتقاء المفيد من الرسائل الإعلامية، والتمييز من خلال الخبرات والمهارات المكتسبة بين الغث والسمين منها، خاصة في ظل الانتشار الكاسح لاستعمال تقنيات الإعلام والاتصال الجديدة.

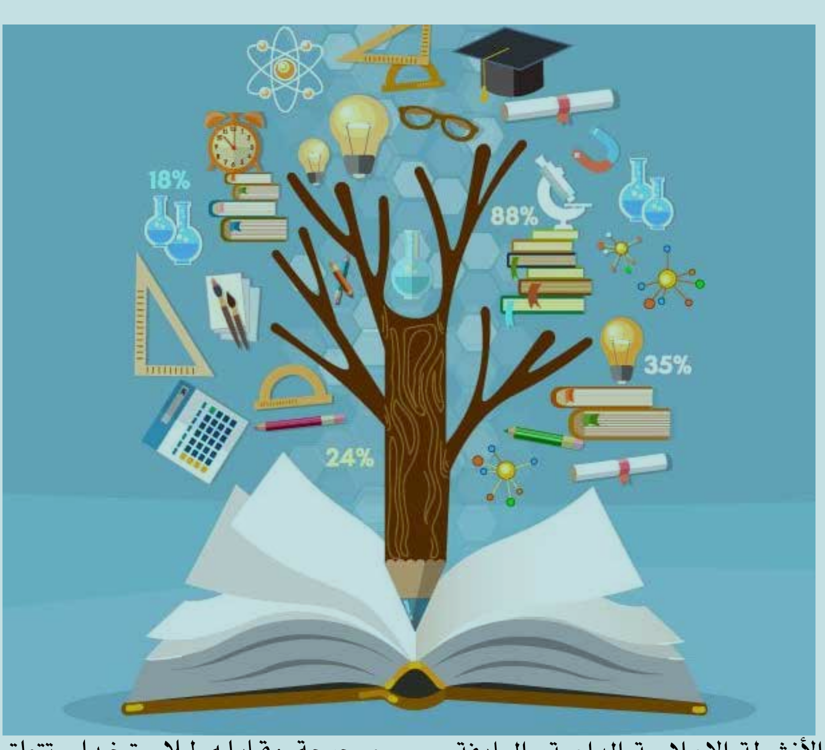
لقد قامت المنظمات الدولية المختصة وفي مقدمتها اليونسكو بدعوة الحكومات إلى بذل الجهود من أجل ترسيخ ثقافة التواصل والتوعية بأهمية استعمال وسائل الاتصال الحديثة داخل المؤسسات التعليمية من أجل نشر ثقافة التواصل والحوار والفهم والتفاهم، وتعزيز انفتاح التلاميذ على وسائل الإعلام والاتصال لتحليل رسائلها واتخاذ مواقف نقدية من مضامينها. كما عملت على تحسيس الدول بأهمية إيلاء مزيد من العناية للإعلام التربوي من خلال دعم الجهود التي تبذلها وزارات التربية والتعليم في هذه الدول على مستوى توظيف تقنيات المعلومات والاتصال كوسائل بيداغوجية مساعدة في تحقيق أهداف العملية التعليمية من جهة، والتربية على استعمال وسائل الاتصال التقليدية والإلكترونية من خلال تشجيع الأنشطة المدرسية الموازية ذات الطابع الإعلامي والاتصالي مثل إعداد المجلات المدرسية، وبرامج الإذاعة والتلفزة المدرسية، وإنشاء المواقع الإلكترونية، واستثمار نوادي الصحافة في المؤسسات التعليمية لتعزيز حرية التعبير المسؤول، ودمقرطة الاتصال وتداول المعلومات.

التربية الإعلامية

من التعريفات المتداولة للتربية الإعلامية هي «جميع الجهود والأنشطة الإعلامية الداعية والهادفة التي تبثها وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية» والتي تساعد على بناء الإنسان وإعداده من جميع النواحي ليتمكن من أداء رسالته نحو مجتمعه وتعمير الكون باعتباره خليفة الله في الأرض. فالتربية الإعلامية لا يمكن أن تتم بشكل مقصود مباشر، وإنما يمكن أن تتم من خلال بث القيم التربوية والأخلاقية في محتوى الرسالة الإعلامية بحيث يكون تأثيرها في المتلقي متدرجا وغير مباشر حتى تؤتى ثمارها.

وهي (أي التربية الإعلامية) «عملية تهدف إلى تعليم الطلاب وتدريبهم على التعامل مع محتوى الإعلام في الانتقاء والإدراك، وتجنب الآثار السلبية، والاستفادة من الآثار الإيجابية، بحيث يتحرر الفرد من الانبهار بالتكنولوجيا، ويكون أكثر إيجابية وترفعا عن منطق السهولة، وأكثر وعيا ومسؤولية في انتقاء منتجات العملية الإعلامية».

إن التربية الإعلامية أعم وأشمل من الإعلام التربوي الذي يهتم بنشر بيانات



صحيحة وقابله للاستخدام تتعلق بجميع أنواع فرص التدريب والمتطلبات التربوية الحالية والمستقبلية، ويشمل ذلك محتويات المناهج وظروف ومشكلات الحياة الطلابية.

الإعلام التعليمي

لم يضع التربويون بشكل قاطع حدودا فاصلة بين كلمتي: التربية Education، والتعليم Instruction، فكثيرا ما تترجم الكلمة الأولى إلى العربية مرة بالتربية ومرة بالتعليم، كما أن الكلمة الثانية تترجم -أحيانا- بالتدريس.

غير أن إجماعا -غير منظم- يكاد ينعقد بين التربويين على أن كلمة التربية أوسع مدى وأكثر دلالة على ما يتصل بالسلوك وتقويمه، في حين ينحصر مفهوم التعليم على علاقة محدودة بين طرفين بهدف إيصال قدر معين من المعلومات أو المهارات، ويؤيد هذا الرأي بعض أساتذة التربية حيث يشترطون أن يكون السلوك المراد تعلمه، أو التغير المراد إحداثه في السلوك مرغوبا فيه حتى يسمى تربية،

وعلى ضوء ما سبق يمكن التوصل إلى أن التعليم نمط مؤسسي من أنماط التربية يتم داخل مؤسسات رسمية، بينما تتم التربية داخل تلك المؤسسات وخارجها، فالأسرة، والأندية، ووسائل الإعلام، ودور العبادة، وغيرها، هي مؤسسات اجتماعية يكتسب الفرد من خلالها كثيرا من مكونات شخصيته وثقافته.

وبناء على هذا الفهم يمكن حصر الإعلام التعليمي في «الصحف والمجلات التي تصدر متجهة إلى المعلمين والطلاب وغيرهم من عناصر العملية التعليمية مضافا إلى ذلك البرامج التعليمية المسوعة والمرئية».

الاتصال التربوي

يعتبر الاتصال التربوي أحد القضايا التي يثيرها الإعلام التربوي من منطلق التداخل بين كلمتي: إعلام، واتصال، حيث إن الكثير من الباحثين لا يميزون بشكل جلي بينهما، فالمقصود بالاتصال هو «عملية تفاعلية يتم من خلالها القيام بنقل المعلومات والأنباء والرسائل الشفوية والمكتوبة بقصد التأثير على السلوك البشري وتعديله»، ويتميز عن الإعلام في أنه يأخذ أشكالا عدة: كالاتصال الذاتي، والاتصال الشخصي، والاتصال الجمعي، والاتصال الجماهيري، كما أن عملية الاتصال تجعل كلا من المستقبل والمرسل يشتركان معا في رسالة واحدة، مما يعني أن رجع الصدى يشكل عنصرا هاما من عناصر عملية الاتصال. ويعرف الاتصال التربوي -في ميدان الإدارة المدرسية- على أنه «نقل للأفكار والمعلومات التربوية والتعليمية بصفة خاصة، من الناظر أو مدير المدرسة إلى المعلم والعكس، أو من الناظر أو المدير إلى مجموعة من المعلمين، أو من مجموعة من المعلمين إلى مجموعة أخرى، سواء بالأسلوب الكتابي أو الشفهي، أو بوسائل أخرى مختلفة بحيث يتحقق الفهم المتبادل بين أسرة المدرسة، وينتج عنه اقتناع من جانب المتصل به مما يؤدي إلى وحدة الهدف والجهود، بحيث تتحقق في النهاية أهداف المدرسة وفلسفتها التربوية والتعليمية.

ويهدف الاتصال التربوي إلى التحكم في سلوك الفرد عن طريق تنظيم بيئته، ومسألة التحكم في سلوك الأفراد تأخذ منحيين من مناحي البحث والمناقشة، أولهما: منحى فلسفي، يبحث ويناقش مدى سلامة تحديد سلوك الأفراد والتحكم فيه مع كفالة حريتهم الشخصية وحقهم في اتخاذ القرارات، والمنحى الثاني: علمي، يبحث ويناقش إمكانية توصل العلم إلى درجة التحكم في سلوك الأفراد في ظل تعقد وتشابك العوامل المؤثرة فيه، والتي تجعل التنبؤ الدقيق بهذا السلوك صعبا إن لم يكن مستحيلا في الوقت الحاضر.

نظم المعلومات التربوية

ويقصد بها أجهزة جمع المعلومات ونشرها مثل: المكتبات، ودور المحفوظات، وأجهزة التوثيق والإحصاء والتصنيف، حيث شهد العالم تطورا ملموسا في إخضاع المعلومات للكمبيوتر، وابتكار أساليب جديدة للإفادة من تلك المعلومات، وذلك نتيجة للانفجار المعرفي الهائل الذي يعتبر سمة العصر الذي نعيشه.

خاتمة

إن الحديث عن الإعلام التربوي لا يمكن بأي حال من الأحوال تصنيفه ضمن خانة الترف الفكري، ببساطة لأنه يمثل أحد مقومات الحياة وسبب في الاستقرار والاستمرار أو العكس، في ظل توفر أدوات الاختراق والهيمنة التي يغذيها صراع المصالح، والسعي الحثيث منذ نهاية القرن الماضي إلى إحداث التغيير الثقافي والفكري على المستوى العالمي بتوظيف الأدوات والأساليب الناعمة، وهذا يؤشر على ارتباط الإعلام التربوي عضويا بهوية الأمم وموروثها الثقافي والحضاري، لذلك نجد أن وحدة الأمم ووحدة فكرها هي هدف رئيس لكل من يريد ضرب استقرار الدول والجماعات، ما يستدعي من الجهات الرسمية والمجتمع المدني وشركاء التنمية تبني استراتيجية متكاملة يمكن من خلالها التصدي لهذا الخطر الذي يهدد أمن الوطن ويزعزع استقرار المجتمع، والسعي بجد لتوفير الآليات الضرورية لتحقيق الأمن الفكري لدى الأفراد، والتي يمكن أن تمثل التربية الإعلامية أحدها لمواجهة التحديات التي يفرضها المد الإعلامي والانفجار المعلوماتي.

الهوامش

١- عبد الرحمن بن إبراهيم الشاعر، إدخال مادة الإعلام التربوي ضمن برامج كليات التربية ومناهجها في جامعة دول الخليج العربي، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٧هـ، (ص ١٧).

٢- مصطفى رجب، الإعلام التربوي في مصر واقعه ومشكلاته، بحث مطبوع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، (ص ٨-١٠).

٣- محمد بن أحمد الرشيد، رؤية مستقبلية للتربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، د. ن، ٢٠٠٠م، (ص ٤).

٤- محمد جميل علوي، الإعلام التربوي ودوره في تفعيل أهداف الإشراف التربوي من خلال تواصله مع المؤسسات الاجتماعية والتربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم المناهج وطرق التدريس، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ، (ص ١١).

٥- حمود عبد العزيز البدر، الحاجة إلى تنسيق وتكامل إعلامي تربوي بين دول الخليج العربي، بحث مقدم للاجتماع المشترك بين التربيين والإعلاميين، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٩هـ، (ص ١٨).

٦- إبراهيم عبد العزيز الدعيلج، الإعلام التربوي، نشرة صوت مدرسة عبد الله بن عمر المتوسطة بمكة المكرمة، العدد الأول، الفصل الدراسي الثاني، ١٤٢٠ - ١٤٢١هـ، (ص ٤).

أ. د. محمد فتحي فرج
أستاذ متفرغ وعضو اتحاد كتاب مصر



من رواد التراث العلمي في العالم العربي

الدكتور قدري حافظ طوقان

الدكتور قدري حافظ طوقان هو بحق واحد من فرسان الثقافة العلمية في وطننا العربي؛ فهذا العلم العربي الفلسطيني المرموق كان من أوائل من فتح عيني على كنوز تراثنا العلمي، وعرفني بـرواده العظام في جميع المجالات، من طب وعلوم ورياضيات، بل وكل ما اشتغل به العقل العربي من علوم فكرية وعقلية وعملية، أثرت العالم ورفدته بكنوز لا تقدر بثمن، فخدمت البشرية لعدة قرون، وسارعت في رقيها وتقدمها عدة قرون أخرى.

الدكتور قدري حافظ طوقان مولده ونشأته

ولد طوقان في مدينة نابلس بفلسطين سنة ١٩١٠م، لأسرة عربية فلسطينية عريقة، تهتم بالقضايا السياسية والوطنية والأدبية، كما تعنى أيضا بشؤون العلم والفكر والثقافة، فهو ابن شقيق الشاعر الفلسطيني الكبير إبراهيم طوقان، ومن عائلته أيضا الشاعرة الفلسطينية الكبيرة فدوى طوقان.. وغيرهما.

وقد رحل أبوه في وقت مبكر من حياته، فشملته والدته بحبها ورعايتها، كما شجعته على الإقبال على القراءة والثقافة بمفهومها العام، فأفاد كثيرا من محتويات مكتبة أبيه الثمينة في مختلف مجالات العلم والمعرفة.

أنهى قدري طوقان تعليمه قبل الجامعي في فلسطين في كلية النجاح الوطنية ولم يتجاوز عمره آنذاك الرابعة عشرة، ثم استكمل تعليمه الجامعي في بيروت، حيث أمضى بالجامعة الأميركية أربع سنوات، فحصل على درجة البكالوريوس في الرياضيات في عام ١٩٢٩م. وقد عين عقب عودته إلى فلسطين أستاذا لعلوم الرياضيات في كلية النجاح بنابلس التي سبق أن تخرج فيها. ولإخلاصه في عمله، وتقدمه اللافت للنظر فيه، فلم تمض إحدى عشرة سنة حتى تقلد رئاسة هذا المعهد العلمي سنة ١٩٥٠م، فعمل على تطويره على جميع الأصعدة، علميا وتعليميا وإداريا، وتوسع في مجالاته التخصصية،

وذلك بإضافة معهد خاص بإعداد المعلمين والمعلمات؛ لينشئ كوادر تربوية على النمط الحديث.

اهتماماته العلمية والتراثية

أقبل طوقان على التوسع في دراسة ما تخصص فيه من علوم رياضية، أضاف إليها اهتمامه بعلوم الفلك والفيزياء والكيمياء. أما اهتمامه الخاص، فقد أولاه للتراث العلمي لدى العرب والمسلمين في كل مجالات العلوم الطبيعية والعقلية، فكان بحق واحدا من الرواد في هذا المجال على مستوى العالم العربي كله. وقد ساعده في التوغل في أضابير التراث العلمي العربي وارتياد مجاهله والتعريف بمجاهله أنه عاش وحيدا؛ إذ لم يتزوج الرجل وآثر حياة العزوبية، فلم تشغله زوجة أو ولد عن تحصيل العلم والاطلاع على خوافيه واستجلاء غوامضه والتعريف به في كل مجالاته، فقدم للمكتبة العربية مجموعة من الكتب الرائدة التي عرفت بالتراث العلمي العربي، لاسيما في مجالات الرياضيات والعلوم.

تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين

اهتم الدكتور طوقان في بعض مؤلفاته بإلقاء الضوء حول دور العرب والمسلمين في تقدم العلم وتطوره مع التركيز على دور الإسلام في تحفيز هذا الدور وتشجيعه لإعمال العقل، واستقبال قرائح الفكر، من اكتشافات واختراعات في كل المجالات. ومن هذه الدراسات والبحوث والتصانيف، التي قدمها الدكتور طوقان في هذا المجال في وقت كانت فيه المكتبة العربية تفتقر لمثل هذه النوعية من المؤلفات ما يلي:

- «مقام العقل عند العرب»، وهو من كتبه البارزة، حيث يقول بصدده في مقدمته: «إن العرب في هذا العصر هم أشد الناس حاجة إلى الروح التي تجلت في التراث العربي الإسلامي.. تلك الروح التي تمجد العقل، وتدعو إلى التجدد، وتقدس حرية الفكر، وتنزع إلى الخلاص والانعتاق من قيود الماضي، وأغلال التقليد، وتنادي بالحرية والتحرر».

غلاف كتاب «مقام العلم عند العرب» للدكتور طوقان

وقد تحدث فيه طوقان عن المعاني المتعددة التي أناطها العرب بكلمة العقل في الإسلام، وعن مقامه في القرآن الكريم، وعند الرسول ﷺ ويجد القارئ من موضوعات الكتاب: العقل في الإسلام، الاجتهاد في الإسلام، سلطان العقل عند المعتزلة، مقام العقل عند بعض الفلاسفة والعلماء وأخيرا: النزعة العلمية في التراث العربي.

واحد من مؤلفاته المهمة بعنوان: «تراث العرب العلمي».

ومن مؤلفاته الأخرى ما يلي:

- نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية (١٩٣٦م، بالاشتراك مع جماعة من المؤلفين المصريين). من إصدارات مجلة المقتطف بالقاهرة.
- تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (١٩٤١م): يبحث في أثر العرب في تقدم الرياضيات والفلك وسير أعلام رياضييهم وكبار فلكييهم، الطبعة الأولى بالقاهرة: مطبعة المقتطف.
- الكون العجيب (١٩٤٣م) الطبعة الأولى بالقاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر (العدد رقم ١١في سلسلة اقرأ).
- بين العلم والأدب (١٩٤٦م). الطبعة الأولى بنابلس: مكتبة فلسطين العلمية.
- محاضرات ابن الهيثم التذكارية: المحاضرة السابعة في الأسلوب العلمي عند العرب (١٩٤٦م) الطبعة الأولى بالقاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول.
- العيون في العلم (١٩٤٩م). الطبعة الأولى بالقاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر (العدد رقم ٧٥ في سلسلة اقرأ).
- وعي المستقبل (١٩٥٣م). الطبعةالأولى في بيروت: دار العلم للملايين. وهو كتاب سياسي مهم على الرغم من أنه ضئيل الحجم؛ إذا لاتتجاوز صفحاته ٩٦ صفحة.
- الخالدون العرب (١٩٥٤م). الطبعة الأولى في بيروت: دار العلم للملايين.
- بين البقاء والفناء (١٩٥٥م). الطبعة الأولى بالقاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر (العدد رقم ١٤٩ في سلسلة اقرأ).
- العلم والحياة (٢٠١٢م). دار ومكتبة العارف. بيروت. وهو من أواخر ما نشر للمؤلف من كتب.

اقتران العلم بالأدب

ومن طريف مؤلفاته كتابه المعنون «بين العلم والأدب»، فقد جمع فيه بعض المقالات والأحاديث الإذاعية

والخطب التي ينشرها في المناسبات المختلفة بأسلوبه الأدبي المميز، ومن ثم فقد جمعها تحت هذا العنوان الجامع. وقد لفت نظري ما أكد عليه في استهلال مقدمته لهذا الكتاب بقوله: «ساقني القدر في أحوال مختلفة ومناسبات متعددة إلى إلقاء كلمة أو تحرير مقال أو إذاعة حديث. وكان شعاري في ذلك الإخلاص للحق وإبراز الحقيقة في أقوى مظاهرها. وقد دفعني هذا الإخلاص إلى السير في كتاباتي على أساس قومي هو خدمة العرب، لاسيما وهم في أولى مراحل نهضتهم التحريرية وعلى عتبة اليقظة الفكرية» (ص:٥ من كتابه: بين العلم والأدب (١٩٤٦م)، مكتبة فلسطين العلمية).

وطنيته

لم ينفصل طوقان عن قضايا بلده الحبيب فلسطين، على الرغم من انغماسه في شؤون العلم والتعليم والثقافة، وقضايا الفكر، والبحث في كنوز التراث، وغيرها من أمور عقلية وأدبية. ولعله خدم بلده من خلال اشتغاله بهذه الأمور ربما أكثر من غيره ممن كرسوا حياتهم للكفاح الوطني الخالص. ومع هذا، فقد شارك الرجل في كثير من المناسبات الوطنية والمؤتمرات السياسية، التي كانت تكشف عن مخططات العدو الصهيوني، وتنوه بالكفاح والمقاومة من خلال العلم والتعليم والتقدم والمواجهة العلمية والحضارية. كما اشترك الرجل في كثير من المظاهرات المنددة بالاحتلال الصهيوني، بل وحمل على الأعناق في بعضها، وذلك لكشف أكاذيب وأساليب العدو في ابتلاع الأرض الفلسطينية، وتكريس احتلالها واستلابها. ولهذا فقد تعرض الرجل للنفي والاعتقال أكثر من مرة؛ بسبب هذا النضال الواعي، والكفاح الرشيد، فقد وجد فيه العدو مخاطر أقوى وأمضى من المواجهة العنيفة المباشرة. فمن قناعات الرجل أنه قد آمن طيلة حياته بأن الوسيلة الحقيقية لمواجهة العدو الصهيوني، ومن ثم تحرير فلسطين من الكابوس الجاثم على صدرها، وصدر الأمة كلها، تتمثل في قيم التقدم المبني على العلم، سواء في مجالات السياسة أو الإدارة أو التقدم التقني والعلمي؛ وذلك لتحقيق القوة الحقيقية التي نستطيع بها التحدي والصمود، وتحقيق النصر المنشود.

وعلى الرغم من تولي الرجل لعدة مناصب سياسية في بلده الثاني الأردن، كان من بينها عضويته للمجالس النيابية وأيضا توليه مهام وزارة الخارجية في منتصف ستينيات القرن الماضي وتمثيله للمملكة الأردنية في المحافل الدولية، كمؤتمر القمة العربي الثاني، ومؤتمر دول عدم الانحياز، أقول على الرغم من كل هذا، فلم ينس الرجل مهامه العلمية ومناشطه الفكرية، من خلال عضويته للكثير من المجامع العلمية واللغوية، في مصر والبلاد العربية، وحضوره الفاعل في الندوات والمؤتمرات العلمية والثقافية المختلفة، على المستويين العربي والدولي.

ولكل هذا النشاط العلمي والفكري، فلم يكن عجيبا أن ينال التكريم على مستوى بلاده ووطنه العربي، بل ومن بعض بلدان العالم المتحضر؛ حيث تمثل هذا التكريم في أحد جوانبه في عضويته للكثير من الهيئات والمعاهد والمجامع العلمية في فلسطين والأردن ومصر وسورية والولايات المتحدة وإيطاليا، وغيرها.

كما نال الرجل عددا كبيرا من الجوائز والأوسمة وأوجه التقدير المختلفة، سواء في حياته أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، من مختلف الدول، ومنها: وسام الاستقلال من الدرجة الأولى من المملكة الأردنية سنة ١٩٥٧م، وسام الجمهورية من الطبقة الأولى من مصر سنة ١٩٦٤م في عيد العلم العاشر، ووسام الكوكب الأردني سنة ١٩٦٤م، ودرجة الدكتوراه الفخرية من جامعة البنجاب بالباكستان سنة ١٩٦٧م، كما لم ينسه وطنه الغالي فلسطين فمنح اسمه بعد وفاته في السادس والعشرين من فبراير سنة ١٩٧١م وسام القدس للثقافة والفنون في العام ١٩٩٠م.

عبدالله الظفيري
كاتب وباحث دراسات إسلامية



بالدين والعلم تتطور البشرية

يثير موضوع العلاقة بين الدين والعلم الكثير من الجدل في كل مرة يتم فيها طرح هذا الموضوع، سواء في أوساط المجتمع أو بين رجال العلم والدين أنفسهم.

وتعود أسباب هذا الجدل إلى تساؤلات تطرح دائما عما إذا كان العلم والدين منفصلان عن بعضهما البعض ولكل منهما مساره الخاص، أم أنهما يشكلان نموذجا واحدا لا انفصال بينهما، خصوصا أن العلم والدين تأثيراتهما كبيرة في حياتنا ومستقبلنا لارتباطهما في النهضة والتطور وحتى في الدمار والخراب. ولذلك فإن هذا الموضوع يطرح باستمرار للوقوف على حقيقة العلاقة بينهما، ربما بغرض التعصب لأحد الجانبين أو لأية أسباب أخرى.

ولاشك أن هذا الجدل نشأ نتيجة جهل وعدم فهم لحقائق الأمور بأن كلا من العلم والدين يكمل بعضهما البعض لأنهما يخدمان البشرية من خلال ما يقدمانه من علوم دينية ومنجزات حضارية وتطور ونهضة.

فعندما نتطرق إلى أهمية العلم فإننا نتحدث عن الكثير من الابتكارات والمعارف والعلوم في مجالات الحياة المختلفة كالطب والفلك والأدوية والاتصالات والتقنيات والمواصلات وغيرها الكثير من الوسائل الحضارية التي سهلت المعيشة ووفرت أسباب الراحة والسعادة للبشرية. أما الدين وتحديدا الإسلامي فإنه نظم أمور الحياة بالقوانين والتشريعات والنظام والأخلاق وغيرها مما تحتاجه أي حضارة للتقدم والتطور.

وتدل الحضارة التي قامت في العالم الإسلامي على اهتمام وعناية كبيرة من الدين الإسلامي في العلوم المختلفة وتشجيع على البحث العلمي وطلب العلم في كل أرجاء الارض.

ولعل المكانة التي وصل إليها العلماء المسلمون في مجالات الطب والفلك والكيمياء إضافة إلى الابتكارات المتنوعة التي سبقوا فيها الكثير من الأمم والشعوب تأكيد على العناية والاهتمام الاسلامي الكبير في العلم والفكر ودعم العلماء وأصحاب الابتكارات لتطوير علومهم ومنجزاتهم وتنمية قدراتهم.

ولاشك أن أحد مقاصد الإسلام هو الحفاظ على الطبيعة والثروات وتسهيل أمور الحياة بما يؤدي إلى سعادة البشرية وتطورها، وهذه لا تكون إلا من خلال الاستفادة من التقدم والتطور الحضاري والعلمي والابتكارات والتقنيات الحديثة التي يتسابق العالم على صناعتها لتحقيق النهضة الشاملة.

ومع هذا فإن الاهتمام بالعلم الذي يحث عليه الدين الإسلامي والذي فتح الباب على مصراعيه أمام العلماء فإنه لا يمكن أن يكون بينه وبين العلم أية صراع أو تضاد إنما بالدين والعلم تنهض الأمم وتتطور البشرية.





أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر
عضو الاتحاد الدولي للغة العربية

قواعد مهمة في قراءة التاريخ الإسلامي

التاريخ هو خارطة المستقبل، والشمس التي تنير الطريق لأجيال متعاقبة، فمن يقرأ التاريخ يفهم ما يحدث على وجه الأرض من أمور، فلا يخدع بسهولة، مهما تفاقمت المؤامرات، ومهما تعددت وسائل المكر والمكيدة وكأنه يرى المستقبل بالفعل ويخطط له!! إنه يعرف بوضوح أين يضع قدمه، ويعرف كذلك كيف يقود نفسه ومجتمعه وأمته.. لذلك تقول الأديبة الأمريكية «بيرل باك» Pearl S. Buck: «لو أردت فهم الحاضر فادرس الماضي».

ولقد قدم التاريخ الإسلامي أكبر ما يمكن من نتائج العلوم والفنون وسائر المعرفة، وساعد على شدة التمسك بالتراث الحضاري للإسلام، وعلى إبقاء التراث القومي لمختلف الشعوب العربية والإسلامية حيا لا يستطيع الزمن -مهما طال- أن يبعد بين ماضي الأمة الإسلامية وحاضرها، فكانت أمتنا الإسلامية هي أغنى الأمم بمادة تاريخها الذي حفظته بالأسانيد الثابتة.

ولقد باتت الأمة الإسلامية محرومة من أغزر ينابيع قوتها، ألا وهو الإيمان بعظمة ماضيها، في حين أنها سليلة سلف لم ير التاريخ سيرة أجمل ولا أبهر ولا أزهر من سيرته، وليس في تاريخنا ما نخجل منه، أو يعاب علينا، حتى وإن احتوى على خطأ سياسي، أو اجتهاد في غير محله، أو مخالفة شرعية، فهو أيضا جميل، يعلن جمال هذا الدين في انفراد العصمة لنبينا ﷺ، وإقرار الخطأ على المخطئ.

فلا تغرنك دعاوي المعتدين، وشبهات الحاقدين، فإن من الحيف الحكم المسبق على الشيء قبل تصوره، وإن من ظلم المعرفة إصدار الرأي قبل الاطلاع والتأمل، وإن من الجور توجيه الاتهام دون سماع الدعوى، ورؤية الحجة، وقراءة البرهان.

ولقد تدارك سلفنا الصالح من المؤرخين الأخبار قبل ضياعها، فجمعوا كل ما وصلت إليه أيديهم من غث وسمين، منبهين على مصادر الأخبار وأسماء رواتها، ليكون القارئ على بينة من صحيحها وسقيمها.

والآن يأتي دورنا نحن الخلف؛ كي نسير على خطى من سلف، ونصفي هذه الكتب، ونميز السقيم من الصحيح، والغث من السمين، فنكون بذلك خير خلف لخير سلف.

لذلك نشير إلى بعض القواعد المهمة في قراءة التاريخ الإسلامي، ولقد وضع الله سبحانه وتعالى في كتابه قاعدة ذهبية، قلما يتنبه لها الكثيرون، ألا وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾(الحجرات: ٦).

فقد أمر سبحانه بالتبين والتثبت في خبر الفاسق دون العدل والثقة حتى لا نصيب أحدا بجهالة وظلم وقالة سوء، والتاريخ الإسلامي في مصادره القديمة علم من علوم الرواية، يتشابه في خصائصه بخصائص رواية الحديث النبوي مع الفارق في حق الأخير في التشريع وعدم أحقية الأول فيه، مما يسمح لنا ببعض المرونة في قبول مروياته، لكن علينا أن نعتبر بطريقة قراءة الحديث النبوي كأساس في قراءة الخبر التاريخي ولن نستطيع أن نعرف صحة الخبر من بطلانه؛ إلا بالنظر إلى الإسناد مع المتن، واستدعاء منهج المحدثين في إعادة قراءة التاريخ لا شك أنه من الأهمية بمكان، لا سيما أن معظم الأخبار التاريخية المتعلقة بتاريخ صدر الإسلام كانت مسندة، وهذا يعني أن «منهج البحث

التاريخي» لا يكفي وحده للتعامل مع المصادر الإسلامية، وقد يكون من العسير تطبيق المنهج النقدي عند علماء الحديث النبوي بكل خطواته على كل الأخبار التاريخية؛ لأن الأخبار التاريخية لا تصل في ثبوتها، وعدالة رواتها، واتصال أسانيدها إلى درجة الأحاديث النبوية، فالتاريخ موضوعه أخبار الناس وأفعالهم، أما الحديث: فالتشريع، فدرجات ثبوت التشريع ليست كدرجات ثبوت أفعال الناس وأخبارهم.

وعليه فإنه يمكن القول بأن الرواية التاريخية إذا كانت تتعلق بموضوع شرعي كتحليل أو تحريم أو ما يدخل في باب سب المسلم وتنقصه أو تدليس حاله على الناس، فإنه لابد من التثبت من رواتها ومعرفة ناقليها ولا يؤخذ في هذا الباب إلا عن العدول الضابطين الذين سلمت مروياتهم من المعارضة.

أما إذا كانت الرواية التاريخية لا يتعلق بها إثبات حكم شرعي أو نفيه كما هو الغالب على الروايات التاريخية، فإن الأمر عندئذ يختلف، ويقبل في هذا الباب من الروايات الضعيفة ما لا يقبل في سابقه، لا سيما وقد قال بعض العلماء بجواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب.

وهذا يعني أنه لا بد من الجمع بين منهج المحدثين، ومنهج المؤرخين.

ولقد أدى الإعجاب بطريقة تثبت المسلمين وتحقيقهم ونقدهم للحديث، أن يتابعهم على هذا النهج المؤرخون المعاصرون، فالمؤرخ والباحث النصراني (أسد رستم) كتب كتابا سماه «مصطلح التاريخ»، وجعل يشاكل به علم «مصطلح الحديث»، وأراد أن يؤصل فيه لعلم حفظ الأخبار التاريخية، ولم يسعه إلا التأثر بقواعد علم مصطلح الحديث، واعترف بأنها طريقة علمية حديثة لتصحيح الأخبار والروايات وقال بعد أن ذكر وجوب التحقق من عدالة الراوي، والأمانة في خبره: «ومما يذكر مع فريد الإعجاب والتقدير ما توصل إليه علماء الحديث منذ مئات السنين في هذا الباب، وإليك بعض ما جاء في مصنفاتهم نورده بحرفه وحذافيره تنويها بتدقيقهم العلمي، واعترافا بفضلهم على التاريخ..». ثم أخذ ينقل نصوصا عن بعض أئمة المسلمين في هذا الشأن[1].

ونشير هنا إلى أهم كتاب في التاريخ الإسلامي، وكثيرا ما ينقل الناس عنه، سواء من أهل السنة وأهل البدعة، وهو تاريخ الطبري المسمى: «تاريخ الرسل والملوك»، لكن الإمام الطبري نبه إلى ضرورة النظر في سند الروايات التي يوردها، فيقول في مقدمة تاريخه: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من خبر ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة؛ فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا»[2].

فهو بهذه المقدمة ألقى العهدة عليك أنت أيها القارئ!!

فهو يقول لك: إذا وجدت في كتابي هذا خبرا تستشنعه، ولا تقبله، فانظر عمن رويناه، والعهدة عليه، وعلي أن أذكر من حدثني بهذا، فإن كان ثقة فاقبل، وإن لم يكن ثقة فلا تقبل.

تقويم المصادر

وذلك من خلال معرفة مؤلف الكتاب أو مؤلفيه من حيث اتجاهاتهم السياسية إن وجدت، والمذهب الديني أو الدين بشكل عام، وهل هو مستشرق غير مسلم يكتب عن الإسلام؟ أم باحث يهودي في الشريعة الإسلامية؟ وكذلك معرفة موقعه الزمني والمكاني من خلال الواقعة التي يؤرخ لها، فهل عاصر الأحداث أم يرويها سماعا أم يبحثها من خلال الوثائق والمصادر الأساسية بعد انقضاء عصرها؟ وهل المؤلف جدير بالرواية التي يخوض فيه؟ هل يتسم بالصدق والأمانة؟ أهو مؤهل علميا فيما كتب؟ على يد من درس؟ ويلاحظ أن كتابنا في العصور الإسلامية كانوا يحرصون على ذكر شيوخهم ومن تلقوا عنهم العلم، كما أن معرفة جنسية المؤلف تساعد أيضا على فهم الأمثلة التي يضربها واللغة التي يكتب بها... إلخ.

وفي ذلك يقول البيروني: «ثم إن الخبر عن الشيء المكن الوجود في العادة الجارية يقابل الصدق والكذب على صورة واحدة وكلاهما لاحقان به من جهة المخبرين لتفاوت الهمم وغلبة الهراش والنزاع على الأمم. فمن مخبر عن أمر كذب يقصد فيه نفسه فيعظم به جنسه لأنها تحته أو يقصدها فيزري بخلاف جنسه لفوزه فيه بإرادته، ومعلوم أن كلا هذين من دواعي الشهوة والغضب المذمومين. ومن مخبر عن كذب في طبقة يحبهم لشكر أو يبغضهم لنكر، وهو مقارب للأول فإن الباعث على فعله من دواعي المحبة والغلبة. ومن مخبر عنه متقربا إلى خير بدناءة الطبع أو متقيا لشر من فشل وفزع. ومن مخبر عنه طباعا كأنه محمول عليه غير متمكن من غيره وذلك من دواعي الشرارة وخبث مخابئ الطبيعة. ومن مخبر عنه جهلا، وهو المقلد للمخبرين وإن كثروا جملة أو تواتروا فرقة بعد فرقة فهو وهم وسائط فيما بين السامع وبين المتعمد الأول»[3].

المقارنة والموازنة بين المراجع

فلا يسلم لكتاب أو مرجع دون أن يقارن الحدث التاريخي في أكثر من مرجع، ولدى مؤلفين لهم أكثر من اتجاه ويتثبت مما أوردته المراجع بالاستعانة بالوثائق والمسكوكات والآثار إن وجدت، فإن المقارنة تظهر معدن الخبر وقيمته، وقد أكد ابن خلدون على ذلك، فقال: «كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط»(٤).

أصل الرواية

وهنا قاعدة جليلة تضبط عرض الوقائع كما جاءت في مصادرها، وعدم الإخلال بها، فلا بد أن ننظر إلى أصل الرواية واعتبار سياقها لا إلى رأي المؤلف وانتزاعه للأخبار، فقد ينقل الخبر بالمعنى الذي تبادر إليه دون أن يوثق لفظه، أو يتصرف فيه بتقديم أو تأخير أو حذف، فهذه الطريقة عرضة للوهم؛ لأن دلالة الخبر الصحيحة قد تكون على غير ما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة.

التجرد من أي ميل

والتجرد لا بد أن يكون أساس القراءة في العموم، وفي التاريخ الإسلامي أدعى، حيث يتصدى فريق لقراءته انطلاقا من نظرية سابقة أو رأي يدعمونه أو قناعة لديهم، أو توجه فئوي أو عقدي، فيتحمس لهذا ويقسو على ذاك ويناقش روايات التاريخ بتلك القناعة فيوجهها توجيها نحوها، ويرغمها إرغاما في اتجاهه، ويستنطقها بمضمون قناعته وفكره. وكثير من الروايات التاريخية قد تتحمل هذا اللي والتوجيه، بل إن القرآن نفسه والأحاديث النبوية تحملت مثل ذلك، ونشأت الفرق الكلامية من أجل توجيه النصوص وفق قواعدهم وقناعاتهم المسبقة.

ولقد طفت -مع الأسف- على الساحة أفكار ورؤى مشوهة عن التاريخ الإسلامي شكلت مع مرور الزمن عقلا جمعيا، وقناعة متوارثة أضحت ضربة لازب على الجيل الجديد وجرفت في سيلها العقول والقلوب والعواطف والأفكار والأقلام وطغت على منصات التعليم والإعلام والثقافة والأدب، فلا يجب الاستسلام لها والانطلاق منها، بل يجب على القارئ للتاريخ التخلي عن جميع تلك الأفكار والتجرد من كل ميوله ونوازعه، ويبدأ بحثه بتحر دقيق وتتبع للحقائق ورصدها وفق منهجية البحث.

بين أخطاء البشر وأحكام الإسلام

كثير من الناس يخطئ في هذه المسألة فيظن أن كل ما حدث في التاريخ الإسلامي هو تطبيق لمبادئ الإسلام أو أن الإسلام أمر بمثل هذه الأفعال التي قام بها المسلمون في ظل الحكم الإسلامي ويعتبر ذلك الحدوث حجة أو مسوغا للاقتداء به على اعتبار أنه سابقة تاريخية حدثت في المجتمع الإسلامي، لكن من المعلوم أن السوابق التاريخية لا يجوز العمل بها إذا خالفت النصوص الشرعية أو حدثت نتيجة انحراف وخطأ في المفهوم الإسلامي أو كانت صادرة عمن لا يحتج بعمله؛ ولذلك تراهم إذا تحدثوا عن حضارة الإسلام وتاريخه يذكرون أنواعا من الأفعال والتنظيمات وهي مناقضة تماما للأحكام الشرعية دون أن يوضحوا بأن مثل هذا مما يخالف الأوامر والنواهي الشرعية.

فعلى القارئ أن يفرق بين أخطاء البشر وبين قيم الإسلام، وموازينه؛ لأن البشر يخطئون ويصيبون، ويستقيمون على الطريق فترة وينحرفون فترات، وتتبدل مفاهيمهم وموازينهم إن لم ترجع إلى ضابط ومقياس شرعي، أما أحكام الإسلام وموازينه فهي ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام: ١١٥).

اعتبار العصر والبيئة

فكثير من أحداث الماضي يأخذ حجما أصغر أو أكبر من حجمه إذا كان منظورا إليه نظرة مجردة من العصر. وبإدخال عنصر الزمن والمكان والبيئة في ثنايا الحدث التاريخي يظهر على حقيقته، دون تضخيم أو تحجيم.

فعلينا أن نقرأ الحدث التاريخي في إطار زمانه التاريخي الذي وقع فيه، ونرده إلى أعرافه ومعاييره لا أن نستدرجه إلى معارفنا ومعاييرنا، ومن ذلك الأبعاد الجغرافية للبلدان، وموروثها الثقافي والقبلي، فلا يمكن فهم أحداث الفتنة -مثلا- على نحو صحيح، بمنأى عن تطرف الشام عن الحجاز وكذا الكوفة، خاصة أن الأحداث مليئة بالمعارك والتحركات العسكرية، مما يجعل فهم هذه الأحداث مستحيلا بغير إلمام بهذه الجغرافيا، وصعوبة التنقل بين البلاد في هذا الوقت، وهذا أيضا يتطلب من القارئ أن يعرف تقدير المسافات بين المدن واعتبار المصطلحات القديمة وفهمها بذلك العصر لا عصر الطيران والمواصلات السريعة.

التنبه لوسائل الإخباريين في تشويه التاريخ

للإخباريين المنحرفين وسائل كثيرة في تشويه التاريخ، لابد للقارئ أن يعرفها ولا تخيل عليه، ونذكر منها:

١ - الاختلاق والكذب:

فكثيرا ما يختلقون قصة ما ويؤلفونها كذبا، ولا نجد لها أصلا صحيحا في الكتب المعتمدة.

٢ - الزيادة على الحادثة أو النقصان منها بقصد التشويه:

فمثلا يكون أصل الحادثة صحيحا كحادثة (السقيفة)، فقصة السقيفة صحيحة، ووقع هناك اجتماع بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة من جانب، والحباب بن المنذر، وسعد بن عبادة، وغيرهما من الأنصار من جانب آخر، فيزيدون على هذه الحادثة أن سعد بن عبادة قال: «أقاتلكم.. وكان لا يصلي معهم ولا يجمع بجمعهم.. ولا يفيض بإفاضتهم وأن الحباب بن المنذر رد على أبي بكر..». وغير ذلك من أباطيل لا تثبت، والقصة جاءت في صحيح مسلم دون هذه الأكاذيب.

٣ - التأويل الباطل للأحداث:

وهو أن يكون الحدث صحيحا ويجتهدون في تأويله تأويلا باطلا يتماشى مع أهوائهم، ولن نشرق ونغرب، فهذا يحدث مع سيرة النبي، وأشهر دليل على ذلك قتل النبي ﷺ بعض يهود بني قريظة عقب غزوة الأحزاب، فإذا ببعض الصيحات الباطلة تسميها مجزرة وإبادة جماعية وغير ذلك من التأويل الباطل الذي ينتزع الأحداث من سياقها التاريخي.

٤ - إبراز المثالب والأخطاء:

هنا تكون القصة صحيحة، ولكن يبرزونها إبرازا يركزون فيه على الأخطاء، ويغطون على أي محاسن، وهذا يحدث كثيرا مع الأحداث التي وقع فيها أخطاء من بعض القادة المسلمين.

٥ - صناعة الأشعار لتأييد حوادث تاريخية:

يصنعون شعرا يؤلفه أحدهم ثم ينسبه إلى أحد الشخصيات البارزة ليوهم بصدق الحدث، ومن ذلك ما نجده في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي، فقد أكثر من حشو المناسبات التاريخية بأشعار وأرجاز وزعم أنها لهذا الرجل أو ذاك دون أن يسميهم -في معظم الأحيان- أو لمن ينسب إليهم من الشعراء، وبالبحث والتدقيق نكتشف أنه لا تصح نسبتها إليهم، لذلك يفترض د. محمد جبر أبو سعدة أنها من نظم ابن أعثم نفسه [٥].

٦ - وضع الكتب والرسائل المزيفة:

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث في عام (٤٤٧هـ)، حينما أظهر بعض اليهود من خيبر كتابا ينسبونه إلى النبي ﷺ فيه إسقاط الجزية عنهم، فأخذه الوزير العباسي علي بن الحسن المعروف بابن مسلمة، وأعطاه إلى الخطيب البغدادي ليتثبت منه. فلما اطلع عليه قال: هذا كذب. فقيل له: وما الدليل على كذبه؟ فقال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس [٦].

وهذا غير الكتب والمؤلفات التي تؤلف وتزيف وتنسب للبعض [٧]، ككتاب (الإمامة والسياسة) الذي نسبوه لابن قتيبة، وقد بين انتحاله وتلفيقه عدد من الباحثين وساقوا أدلة ظاهرة على ذلك [٨].

٧ - استغلال تشابه الأسماء:

فابن حجر -مثلا- اثنان:

الأول: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني من أئمة الحديث.

والآخر: أحمد بن حجر الهيتمي إمام في الفقه وليس له بضاعة في الحديث، وله أخطاء ظاهرة، وعليه بعض المؤاخذات، فيأخذون تصحيح الهيتمي وينسبونه للعسقلاني.

وكذلك ابن جرير الطبري اثنان:

الأول: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، إمام من أئمة أهل السنة وصاحب (التاريخ) و(التفسير).

الثاني: محمد بن جرير بن رستم، أبو جعفر الطبري، فإذا بهم ينسبون كتب الأخير إلى الإمام الطبري المعروف، يلبسوا على أهل الإسلام الوقائع.

وهكذا..

هذه بعض الإضاءات المنهجية والقواعد التي من المهم أن يعرفها كل من أراد الغور في التاريخ الإسلامي والتعرف عليه.

الهوامش

١- «مصطلح التاريخ» للمؤرخ اللبناني د. أسد جبرائيل رستم، (ص ٨٠)، وما بعدها، طبع: المكتبة العصرية بيروت (٢٠٠٢م).

٢- مقدمة (تاريخ الطبري)، (١/٥).

٣- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص: ١٣).

٤- تاريخ ابن خلدون (١= المقدمة/ ١٣)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م).

٥- «ابن أعثم الكوفي ومنهجه التاريخي» د. محمد جبر أبو سعدة، (ص٥٦ ـ ٦١).

٦- «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/١٢٤).

٧- انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/٥٨٩)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/١٢٤)، «وفيات الأعيان» لابن خَلِكان (٣/ ٣١٣).

٨- انظر تفصيل ذلك في كتابنا: «للتاريخ أقوال أخرى» (ص ٤٧)، وما بعدها، الطبعة الرابعة دار السراج، ٢٠٢٢م، وكثير مما أجملناه في هذا المقال تجده مفصلا في الكتاب، فراجعه مشكورا.



د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية

التكاتف قيمة عابرة للزمان والمكان

في الظروف العصيبة تظهر معادن الناس ويبدو لهم واضحا أن التكاتف هو سفينة النجاة وأن الشقاق يوهن من جسد الأمة ويضعف من قوتها بل ربما كان أشد عليها من كل الأزمات التي يمكن أن تصيبها، وفي أعياد الوطن نستذكر ما كنا عليه وقت المحنة من تآلف وتعاون ومحبة وتوحد أمام هذا الخطر الذي مرت به البلاد والعباد.

ولعلنا نستلهم حاجتنا للتكاتف من القيم العربية الأصيلة ومن تعاليم الإسلام التي جاءت الرسالة لتتم معالمها، فقد عبر النبي ﷺ عن الغاية من رسالته فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

التكاتف فريضة شرعية وحاجة بشرية وضرورة إنسانية، وهذا التكاتف يبدأ بالفكر وينمو بالعمل المشترك، كان النبي ﷺ يفتح المجال لأصحابه لكي يعبروا عن شعورهم بأنهم في مركب واحد وأنهم جميعا معنيون بالحفاظ عليه بالمشاعر الطيبة والأفكار النافعة والجهود المخلصة، لما اجتمع المشركون للانقضاض على المدينة في غزوة الأحزاب ظهر تكاتف المسلمين بعضهم مع بعض «وشاورهم رسول الله ﷺ، وكان رسول الله يكثر مشاورتهم في الحرب، فقال: أنبرز لهم من المدينة، أم نكون فيها ونخندقها علينا، أم نكون قريبا ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل؟ فاختلفوا، فقالت طائفة: نكون مما يلي بعاث إلى ثنية الوداع إلى الجرف. فقال قائل: ندع المدينة خلوفا! فقال سلمان: يا رسول الله، إنا إذ كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين»[2].

عود النبي ﷺ أصحابه على تقديم المشورة والمشورة الصحيحة توفر الوقت والجهد وتصون النفس والمال والأرض من الخسارة أو تقللها على أسوأ تقدير، وكما أعطاهم النبي ﷺ الفرصة الكاملة لكي يقدم كل منهم ما يراه نافعا لأمته أتاح لهم الفرصة لكي يعين بعضهم بعضا في تجربة عملية تحقق التكاتف على أرض الواقع، روى الواقدي في مغازيه قال: «حدثني علي بن عيسى، عن أبيه، قال: ما كان في المسلمين يومئذ أحد إلا يحفر في الخندق أو ينقل التراب، ولقد رئي رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمر- وكان أبو بكر وعمر لا يتفرقان في عمل، ولا مسير، ولا منزل- ينقلان التراب في ثيابهما يومئذ من العجلة، إذ لم يجدا مكاتل لعجلة المسلمين».

بعد أن اتضح أن الخندق هو الوسيلة المثلى لحماية المدينة من الخطر، بدأ الصحابة رضوان الله عليهم في مد يد التعاون، وكانوا جميعا يعملون بكل ما أمكنهم من وسائل وموارد متاحة.

وقد نظم النبي ﷺ حفر الخندق فكان تقسيم العمل ليتم إنجازه على أحسن الوجوه وليظهر الجميع مدى ولائه لله

ورسوله: «ووكل رسول الله ﷺ بكل جانب من الخندق قوما يحفرونه، فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذباب، وكانت الأنصار تحفر من ذباب إلى جبل بني عبيد، وكان سائر المدينة مشبكا بالبنيان»[٣]. وترسم الرواية التالية صورة مشرقة لتكاتف المسلمين في العمل ما بين نقل للتراب من مكان الحفر وعودة بالحجارة لتكون أحد أسلحتهم في الدفاع عن المدينة، روى الواقدي في مغازيه قال: «حدثني محمد بن يحيى بن سهل، عن أبيه، عن جده، قال:كنت أنظر إلى المسلمين والشباب ينقلون التراب، والخندق بسطة أو نحوها، وكان المهاجرون والأنصار ينقلون على رؤوسهم في المكاتل، وكانوا إذا رجعوا بالمكاتل جعلوا فيها الحجارة يأتون بها من جبل سلع. وكانوا يجعلون التراب مما يلي النبي ﷺ وأصحابه، وكانوا يسطرون الحجارة مما يليهم كأنها حبال التمر- وكانت الحجارة من أعظم سلاحهم يرمونهم بها».

ولم تتوقف صور التكاتف على تقاسم العمل ومد يد العون بالجهد بل تشارك الصحابة، رضوان الله عليهم، في الطعام الموجود رغم قلته وما ينتظر المدينة من خطر لا يعلم إلا الله متى يزول وفي هذه اللحظات العصيبة تظهر الأخوة الحقيقية، قال جابر بن عبدالله: «رأيت رسول الله ﷺ يحفر، ورأيته خميصا، ورأيت بين عكنه (الطي الذي في البطن) الغبار، فأتيت امرأتي فأخبرتها ما رأيت من خمص (جوع) بطن رسول الله ﷺ فقالت: والله، ما عندنا شيء إلا هذه الشاة ومد من شعير. قال جابر: فاطحني وأصلحي. قالت: فطبخنا بعضها وشوينا بعضها، وخبز الشعير.

(قال جابر): ثم أتيت رسول الله ﷺ، فمكثت حتى رأيت أن الطعام قد بلغ، فقلت: يا رسول الله، قد صنعت لك طعاما فأت أنت ومن أحببت من أصحابك. فشبك رسول الله ﷺ أصابعه في أصابعي، ثم قال: أجيبوا، جابر يدعوكم! فأقبلوا معه فقلت: والله، إنها الفضيحة! فأتيت المرأة فأخبرتها فقالت: أنت دعوتهم أو هو دعاهم؟ فقلت: بل هو دعاهم! قالت: دعهم، هو أعلم.

قال: فأقبل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه، فكانوا فرقا، عشرة عشرة، ثم قال لنا: اغرفوا وغطوا البرمة، وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه. ففعلنا فجعلنا نغرف ونغطي البرمة ثم نفتحها، فما نراها نقصت شيئا، ونخرج الخبز من التنور ثم نغطيه، فما نراه ينقص شيئا. فأكلوا حتى شبعوا، وأكلنا وأهدينا، فعمل الناس يومئذ كلهم والنبي ﷺ»[٤].

ويتأسس الشعور بالتكاتف على عدة توجيهات قرآنية ونبوية منها:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢). والأمة والواحدة تتأثر إيجابا وسلبا بما يصيب بعضها، وهذه الحقيقة اتضحت أكثر وأكثر في ظل العصر الحديث، حيث تتأثر الاقتصادات بمجمل الأحداث السياسية والصحية في الكوكب مهما تباعدت المسافات بين البلدان، وإذا كان هذا التأثر واقعا فلابد من حسن التعامل معه لكي نحصل على أعظم الفوائد ونقلص الأضرار وهذا لن يتأتى إلا بتضافر الجهود.

٢- قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٥]. وأجلى صور التكاتف هي المودة والرحمة والتعاطف، وأعلى درجاتها أن تكون حقيقية لا مصطنعة ولا لأجل تسجيل موقف، وحدة الشعور تقرب البعيد وتجلب النافر وتصحح المسار وتوفر الفرص للتكاتف.

٣- ومنها هيئة المسلمين في صفوف الصلاة عن أبي مسعود، قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال أبو مسعود: «فأنتم اليوم أشد اختلافا»[٦]. فإن هذه الهيئة تؤلف بين المسلمين وتهيئ لهم فرصة للتكاتف.

من ثمرات التكاتف

١- طاعة لله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال:٤٦).

٢- اتساع مجال الرؤية ومن ثم اتخاذ القرار الصحيح المبني على النظر من عدة زوايا والاستفادة من تجارب متنوعة وخبرات متراكمة، وقديما قيل:

الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهي المحل الثاني

٣- في التكاتف تجتمع الجهود الصغيرة لكي تشكل قوة مؤثرة في المحيط الإقليمي والدولي.

٤- كل فرصة للتكاتف توسع من آفاق التضافر بين المتعاونين وتوفر فرصة للتفاهم أكثر.

إن حاجتنا للتكاتف لا تتوقف على مراحل الخطر وفترات الأزمات بل هي مستمرة مستقرة في أوقات الرخاء لنقدم لأنفسنا ومجتمعاتنا ما يصلحها ويصعد بها إلى أعلى القمم ويوفر عليها أعباء أن يحمل أناس الأمانة والمسؤولية بينما البقية لا تقوم بدورها في العمل.

الهوامش

١- مسند البزار.
٢- مغازي الواقدي.
٣- مغازي الواقدي.
٤- مغازي الواقدي.
٥- صحيح مسلم.
٦- صحيح مسلم.

د. شاذلي عبد الغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية



أقوال وآراء حول الصداقة

من المسلم به أن للصداقة تأثيرها العميق على حياة الفرد والمجتمع، فالواقع يؤكد على أن الصداقة كثيرا ما يكون لها دورها في تحديد المسارات التي يختارها الإنسان في هذه الحياة، كما أن لها تأثيرها في فكر الإنسان وتشكيل سلوكه وتحديد أهدافه ومدى النجاح والفشل في تحقيقها، ويمتد تأثيرها للنواحي النفسية وبناء العلاقات الاجتماعية، وهي إما أن يكون لها تأثيرها الإيجابي الذي يجعل من الفرد عضوا نافعا يضيف للمجتمع، ويسعى إلى خيره، أو يكون لها تأثيرها السلبي الذي يحطم القيم الإنسانية والأخلاقية النافعة في ضمير الفرد، ويجعله عبئا ثقيلا يخشى المجتمع جرائمه وشروره، والذي يحدد أحد الاتجاهين هو أخلاق الصديق الذي يتم اختياره والذي يكون تأثيره أحيانا أقوى من تأثير العائلة والمدرسة، من أجل ذلك حازت الصداقة على مساحة كبيرة في فكر الأمم وآدابها وفلسفتها منذ القدم، وظهر ذلك جليا في الحكم والنصائح والأمثال والحكايات وفي كتابات المفكرين والأدباء والفلاسفة عبر العصور، وهذا المقال إطلالة على بعض الأقوال والآراء التي صيغت حول الصداقة وخلدتها صفحات التاريخ.

الصداقة في تراثنا العربي

حازت الصداقة في تراثنا الفكري والأدبي مكانة كبيرة، ظهرت في كتابات العلماء والأدباء، وامتلأت قصائد الشعر العربي بالحديث عنها منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، فعلى سبيل المثال نرى الشاعر عدي بن زيد، يصور قوة تأثير الصديق فيقول:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
فإن كان ذا شر فجانبه سرعة
وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي[٥]

والحديث عن الصداقة ومتطلباتها وندرة الصداقة الحقيقية وشعور



بعضهم باستحالتها، والوفاء للصديق، والصفات التي يجب أن يتم انتقاء الصديق على أساسها يكثر جدا في الشعر العربي على مر العصور، كما أن الحديث عن ذلك كله أخذ مساحة كبيرة من كتابات الأدباء والعلماء، فابن المقفع (١٠٦ - ١٤٢ هـ) على سبيل المثال يكتب بابا في «معاملة الصديق» ضمن كتابه «الأدب الكبير»، ومن جميل ما قاله فيه: «اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء، وعدة في الشدة، ومعونة على خير المعاش والمعاد، فلا تفرطن في اكتسابهم، وابتغاء الوصلات، والأسباب إليهم»[٦]. وقد ضرب ابن المقفع مثلا رائعا ونادرا في الوفاء والاستعداد للتضحية من أجل صديقه، فبعد سقوط الدولة الأموية، اختبأ عبد الحميد بن يحيى كاتب الأمويين في بيت صديقه عبد الله بن المقفع خوفا من العباسيين، الذين استطاعوا أن يتوصلوا إلى مكانه، وعندما دخلوا بيت ابن المقفع سألوهما: أيكما عبد الحميد بن يحيى؟ فقال كلاهما: أنا. خوفا من أن ينال صاحبه مكروه، لكن عبد الحميد عرفهم بنفسه، فقبضوا عليه[٤].

وقد كتب أبو حيان التوحيدي (٣١٠ - ٤١٤ هـ) كتابا كاملا عن الصداقة، سماه «الصداقة والصديق» عرض فيه للصداقة في إطار فلسفي أدبي، واستعان فيه لتأييد آرائه بالكثير من الأقوال والحكم والأشعار والحكايات.

وقد عقد الإمام الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ) في كتابه «أدب الدنيا والدين» فصلا عن المؤاخاة بالمودة، ذكر فيه الأسباب التي تدعو إلى الألفة، ونبه على أن المرء إذا عزم على اصطفاء الإخوان سبر أحوالهم قبل إخائهم، وكشف عن أخلاقهم قبل اصطفائهم حتى يأمن من صحبة أهل النفاق والملق، ويتحرز من دخلاء السوء ويجانب أهل الريب؛ ليكون موفور العرض سليم العيب، فلا يلام بملام غيره، وقد ذكر أن الخصال التي يجب أن يتصف بها الصديق هي العقل والدين وأن يكون محمود الأخلاق مرضي الأفعال، مؤثرا للخير آمرا به، كارها للشر ناهيا عنه، فإن مودة الشرير تكسب الأعداء وتفسد الأخلاق. ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة، ومن الخصال أن يكون من كل واحد من الصديقين ميل إلى صاحبه، ورغبة في مؤاخاته.

وقد كانت الرؤية الواقعية حاضرة في فكر الماوردي، فالصديق لا ينبغي أن يزهد في صديقه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رضي سائر أخلاقه، وحمد أكثر شيمه؛ لأن اليسير مغفور والكمال معوز، والماوردي دائما ما يميل إلى الاعتدال في التعامل مع الصديق، فعلى الصديق ألا يكثر في معاتبة صديقه كي لا تحدث القطيعة، وعليه أن يتوسط في الزيارة لا يقلل ولا يكثر فالتقليل يدعو إلى الهجران والكثرة تدعو إلى الملل، ويتوقى الإفراط في المحبة لأن الإفراط يدعو إلى التقصير، إلا أن هناك أمورا لا إفراط فيها مهما بلغت، مثل بذل المجهود في النصح، والتناهي في رعاية ما بين الصديقين من الحق، فعلى كل منهما أن يعرف لكل واحد منهما حقه، وأن يبالغ في رعاية ذلك الحق[٥].

وما تزال عواطف الأدباء وأفكار الفلاسفة وضمائر المصلحين، تقف أمام تلك القيمة الإنسانية الخالدة، وتفيض في الحديث عن كنهها وسماتها وحدودها وتأثيرها وما يبقيها نابضة في النفوس وما يجب أن يظلل آفاقها من مشاعر المودة والإخلاص والصدق، إلى غير ذلك مما يعكس القيمة العظيمة والضرورية للصداقة في الحياة الإنسانية.

الهوامش

١- د. حسن دقيل: حكايات فرعونية، القاهرة: بلومانيا للنشر والتوزيع، (ص: ١٩١).

٢- ديوان عدي بن زيد، حققه وجمعه محمد جابر المعيبد، بغداد: دار الجمهورية للنشر والتوزيع (١٩٦٥م)، (ص: ١٠٦-١٠٧).

٣- عبد الله بن المقفع: الأدب الكبير والأدب الصغير، بيروت: دار صادر، (١٤٣١هـ)، (ص: ١٠٨).

٤- انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، بيروت: دار صادر، (٣/ ٢٣١).

٥- الماوردي: أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، (ص: ١٧٣- ١٨١).

٩- انظر بداية الهداية: أبو حامد

محمد ثابت توفيق
كاتب وأديب وناقد



قلوبنا والتعلق بالدنيا

يجيء لأحدهم نبأ خاص لم يكن يتوقعه أو يخطر له على بال؛ فيسقط مصابا بمرض عضال أو شلل دائم والعياذ بالله، قصة متكررة فقد يسمع أحدهم أو يرى حريقا بأفضل ممتلكاته، أو يتوفى الله تعالى أحب أبنائه إليه؛ أو زوجته الأثيرة المحببة لقلبه، أو يخسر أغلب أمواله بصفقة كان يعدها رابحة من قبل، ويبقى هذا المصاب في ماله أو شيء من متاع الحياة الدنيا، يبقى من بعدها معذبا مسهدا، وقد يجري العملية الجراحية تلو الأخرى أملا في التعافي، ولربما لا يستطيع مجرد أن ينام في الليل دون عقاقير أو مسكنات، ويسأل المبتلى نفسه: ماذا حدث؟ وكيف؟ ولماذا؟

يقول الرسول ﷺ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» رواه مسلم، يصف الرسول العظيم دنيانا هذه بأنها حلوة المذاق خضراء اللون، وهذا من فرط كونها محببة للنفوس البشرية رغم أن رحلة كل منا فيها بالغة القصر، وإن ظنها أو آمل أن تطول، فما نحن في حياتنا هذه إلا باقون لبعض الوقت، نمر خلاله باختبار دقيق، تعرض علينا الفتن المحببة لأنفسنا؛ فعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربدا كالكوز مجخيا، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه» صحيح الجامع، فالفتن تعرض على القلوب ويتكرر عرضها، فإن مال قلب العبد لإحداها لم تزل تؤثر فيه كما يطبع عود الحصير في جانب النائم، ولا تزال الفتنة بصاحبها حتى لتربط على قلبه، فيكون كآناء الماء «الكوز»، لا يعرف له لون «مربد» أي بين السواد والغبرة، فصار القلب مثل الرماد والعياذ بالله، «مجخي»: مائل منكوس لا يكاد يستقر شيء به، ومن هنا يتشابه لدى صاحب القلب المنكر والمعروف، أو لا يعرف إلا هواه وما تحب نفسه، وبالمقابل فإن القلوب التي لا تتعلق بالفتن بها تصير بيضاء لا تضرها فتنة بعدها!

تولع النفس البشرية بالزينة والبريق وما تراه ماثلا قائما أمام عينيها، تتناسى لأجلهم الحياة الباقية التي لا تزول ولا تفنى، فيقول تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ﴾ (الكهف:٤٦)، ففي المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ودفعا كما يقول «القرطبي» في تفسيره، فلعل الإنسان يحسب أنه إن جمع

المال الوفير مع الأبناء الكثيرين أنه ضمن في الدنيا خيرا وفيرا، مع أنه لم يحصل إلا على زينة أو مظهر براق زائل، فيريد تعالى تهذيب أنفسنا وتربيتها وتعليمها أن الأصل بالدنيا أنها حياة محتقرة فانية يتركها المرء منا برغمه وتتركه، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.
ويجب على المسلم أن يتعهد روحه وقلبه ويربي نفسه آناء الليل وأطراف النهار على أنه ما من «زينة» أو «متعة» من متاع هذه الدار الفانية تستحق تعلقا بها، فإن من رأى من نفسه صحة وشبابا وقوة يظن أنه لن يغادرونه أو يغادره أحدهم إلا بعد حين بعيد؛ فليتذكر أن الأقدار تصيب الواحد منا عافى الله الجميع في برهة قليلة حتى ما يستطيع مجرد التنفس، ومن الشباب من يصاب فجأة في حادثة لم تكن لتخطر له على بال، وربما أتته من حيث يأمن، أو من عارض حياتي لم يكن ليخطر له على بال، فضلا عن «وفاة الفجأة» التي صارت تصيب بعض المقبلين على الحياة نسأل الله اللطف.
فإن حسب البعض أن الربح والمال الوفير والممتلكات المتعددة تعطيه ما لا يأخذ غيره من البشر فليتذكر أن هذه الحياة ما جمعت من حذافيرها وأبعادها لبشر أيا كان، ففي مقابل المال والممتلكات سيجد منغصا يجعله يشعر بحاجته للآخرين، كما جعلهم الله محتاجين إليه، ورحم الله رجلا كان معروفا بين أهل زمانه، أعطاه الله الصحة الوفيرة ومنع عنه المال، فقال في تجمع به موثورون أغنياء: «أتمنى لو أعطاني الله مليونا وسرطانا»، فحاولت إحدى الجالسات إثنائه عن قوله فكره، فما انتهت حياته إلا وقد أعطاه الله ما تمنى وكرر القول به، فكان عندها يتشهى أكل رخيص الطعام مما يتنعم به جميع الفقراء، إذ منعه «سرطان المعدة» نسأل الله السلامة أغلب الطعام، فالمال لا يعني تنعما بجميع ما في الحياة، ففي مقابله تغيب نعمة أخرى مما تقر النفس بها أيضا كصحة، أو ولد، أو طمأنينة، فضلا عن أن المال نفسه إما أن يرحل صاحبه لربه ويتركه، أو يفنى المال ويترك صاحبه!
يأنس بعض البشر لمكانة في قومه أو منزلة تعطيه رفعة واحتراما بين الآخرين، ويروح يتعامل على أنه أوتي المكانة بمميزات فريدة عنده، أو أنها لا تنزع منه أو تزال عنه، ويتناسى أنها من أفضال ربه عليه لينظر إلى أفعاله: هل يعدل بين الآخرين أم يظلمهم، وقد يركن آخر إلى زوجة أثيرة لديه، يتناسى في قربها الدار الآخرة ويشعر بالراحة الدائمة!
إننا بحاجة لتذكر الله في أوقات النعم كما نذكره ونلح عليه في ساعات المحن، نتذكر أن ماله وصحته وأبنائه ومكانته وزوجته إنما هم جميعا ابتلاء من عند الله تعالى، فما الابتلاء فيما تكره النفس فحسب: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء:٣٥)، فإنما نحن مبتلون بما نحب مثلما يبتلينا الله بما نكره، وهو تعالى في الحالين ناظر إلينا ليرى أعمالنا، فمما رواه رب العزة عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل:٤٠)، ففي وقت النعمة المعجزة لم ينس سيدنا سليمان أنه في الحياة الدنيا وأن الله إنما يختبره ليرى كيف يكون حاله معه.
من نعم الله علينا جميعا أن يمن علينا وسط اختبارات هذه الحياة ونعمه علينا وابتلاءاته لنا بتذكر أن كل هذا فان منته لا يساوي عنده شيء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما» رواه الترمذي.
فإن تزينت الدنيا وكثر زخرفها، وزادت سلعها، وتنوع زخرفها، ومالت النفس للتنعم والتلذذ بما فيها فلا نجاة للمسلم والمؤمن إلا بتذكر أنه محاسب على كل ما يدخل إليه منها، وأن بقاءه في هذه الدار وملذاتها محدود: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ (القصص:٦٠-٦١)، وإن المؤمن العاقل يوقن أن كل ما في هذه الحياة لا يستحق العنت أو المشقة أو المرض الشديد أحيانا من أجلها، فكيف يتعلق القلب بدار يوشك أن يغادرها عما قليل وتغادره: عن المستورد بن شداد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما الدنيا في الآخرة إلا كرجل وضع إصبعه في اليم، فلينظر بم رجعت إليه» رواه مسلم.
وإن كثرة التعبد من الصلاة وأيضا ذكر الله بالإضافة للزكاة والتصدق، ومن تذكر ما سيصير إليه كل منا بعد وفاته، وحث الخطى إلى المساجد، وتعهد الفقراء والمحتاجين ومعاونتهم، ومن التعامل مع الحياة على أن كل ما فيها من نعم الله ينبغي الصبر في الشدة والشكر في النعيم، مع المداومة على ذكر الله، كل هذا من المعينات مع الإيمان والتسليم المطلق لرب العزة على تجاوز تعلق القلوب بالدنيا وعاجل زينتها والتشوق لما عند الله من النعيم بإذنه تعالى.

د. محمد أحمد عبدالرحمن عنب
أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية

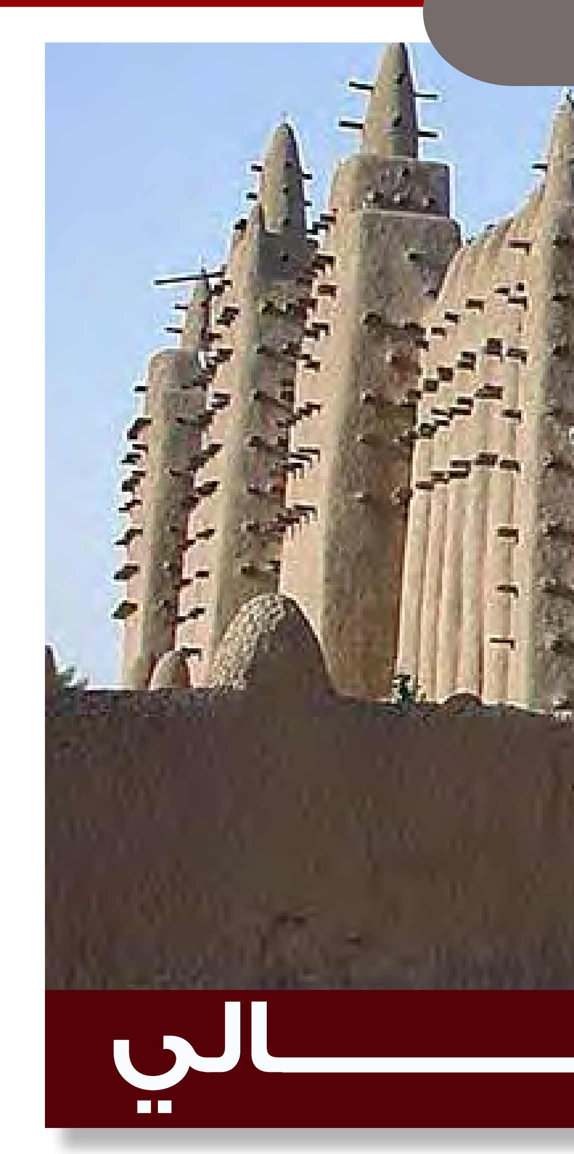


من معالم الحضارة الإسلامية في غرب إفريقية

مسجد موبتي الكبير في مالي

يعتبر مسجد موبتي الكبير في جمهورية مالي واحدا من المعالم الأثرية المميزة والشواهد الحضارية على تاريخ الإسلام في غرب إفريقية، وهو يتميز بطرازه المعماري الفريد على نمط العمارة السودانية السواحلية التقليدية المشيدة بمادة الطين، وهذا الطراز المعماري الذي أصبح السمة المميزة التي يتميز بها شكل عمارة المساجد في إفريقية، ولذا يعتبر مسجد موبتي بمالي جزءا من التراث والموروث الحضاري العريق للقارة الإفريقية، وأصبح أحد الوجهات السياحية المميزة للكثير من الزائرين، ومركزا للحياة الدينية والثقافية في مدينة موبتي المالية.

يقع المسجد في مدينة موبتي على بعد حوالي ٦٣٥ كم من مدينة باماكو عاصمة دولة مالي، وتقع مدينة موبتي على ضفاف نهر النيجر عند التقاء نهري النيجر وباني[1]، وهي ثاني أكبر مدينة في مالي، ونظرا لموقعها المتميز عبر الطريق التجاري البري والنهري فقد شهدت نهضة تجارية كبيرة باعتبارها إحدى المدن التجارية الرئيسية والموانئ المهمة بين العاصمة باماكو وتمبكتو، كما أنها تعد من أهم المناطق الزراعية المهمة، وهي كذلك سوق مهمة من أسواق تجارة الأرز، ومن أهم مراكز صيد السمك النهري، وكانت تلقب بأنها بندقية مالي لكثرة قنواتها المائية، كما تتميز المدينة بإطلالة خلابة بين منحدرات باندياجارا، وسهل بانكاس الممتد، وجبل هومبوري الذي يعتبر أعلى نقطة في مالي،



ويوجد بالمدينة العديد من الأماكن الأثرية والمساجد الإسلامية، وتعتبر إحدى الوجهات السياحية المميزة في مالي، وأنموذجا رائعا للعمارة الطينية للمدينة بأكملها(٢).

تاريخ الإسلام في مالي

في الحقيقة لقد كان للسكان البربر المغاربة أثر كبير في نشر الإسلام في إفريقية الغربية ومنها جمهورية مالي، حيث اتصلوا بالممالك الوثنية القديمة في المنطقة، وبعد تفكك دولة غانا الوثنية التي كانت لها الزعامة في غرب إفريقية عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م على أيدي المرابطين، تأسست عدة دويلات صغيرة، نجحت قبائل الماندنجو المسلمة القاطنة في إقليم كانجاب في السيطرة عليهم، ويرجع لهم الفضل في تأسيس مملكة مالي الإسلامية والتي امتدت حدودها من نهر النيجر إلى المحيط الأطلسي في القرن السابع الهجري، وعرفت المنطقة مجازا باسمهم فعرفت ببلاد الماندينغ، ولقد كان الماندنجو من أكثر شعوب غرب إفريقية تحمسا للإسلام والدعوة له(٣)، ففي عهدهم انتشر الإسلام وازدهر العلم، وكانت مالي أسبق دول إفريقية للحضارة والثقافة، وقد تداول عليها كثير من الحكام الذين كان لهم الدور في تثبيت دعائم هذه المملكة، ومن أبرزهم السلطان منسى موسى، والتي تعتبر فترة حكمه من أزهى فترات مالي سياسيا واقتصاديا وعلميا، الأمر الذي انعكس على عمران الدولة، وازداد عناية الحكام ببناء المساجد في مدن مالي المختلفة(٤).

عمارة المساجد

يعتبر مسجد موبتي مثالا رائعا على فن عمارة المساجد في مالي وغرب إفريقية، والمتأمل في فن العمارة السوداني في هذه المنطقة يجد فيه الخشونة والبساطة اللتين تعبران عن الروح الإفريقية المثيرة للانتباه الدائم، ويعتبر المؤرخون القرن الرابع عشر الميلادي مولد الأسلوب السوداني في العمارة، ويقوم هذا الأسلوب على البساطة والسهولة؛ ويكون الشكل العام للمساجد مستطيلا أو مربعا، وكان منظر المسجد أشبه بالقلعة التي يعلوها برج، فقد ارتفعت الجدران عن سقف المسجد وأخذت شكل سور مسنن، بينما غاصت الأعمدة بانتظام وتناظر في الجدران لتكون سندا لسقف المسجد، وأخذت المآذن أشكالا هرمية تعلوها شرفة صغيرة يقف فيها المؤذن، وقصرت المآذن بعد ذلك فأصبحت ترتفع قليلا عن سطح المسجد، وقلت النقوش والزخارف في المساجد واستعيض عنها بالخطوط الهندسية والآيات القرآنية، وجاءت أشكال المحاريب على النمط المغربي(٥)، وحاول البناءون في غرب إفريقية أن يحققوا قدرا كبيرا من المخططات الكلاسيكية، ووضع كم كبير من العناصر المعمارية والزخرفية التي تتوافق مع الطبيعة والبيئة التي شيدت بها تلك العمائر.

عمارة مسجد موبتي

يعرف المسجد في كتابات الباحثين الغربيين باسم المسجد الكبير بمدينة موبتي، بينما يعرف بين السكان المحليين في تلك المدينة باسم (مسجد كوموغويل)، ويعتبر أول مسجد شيد في مدينة موبتي، ويرجع تاريخ إنشاء المسجد الحالي إلى عام ١٩٣٥م، وقد بني على أطلال مسجد قديم يعود تاريخه لعام ١٩٠٨م، وقد تعرض المسجد للعديد من التجديدات عبر الفترات التاريخية، وآخر هذه التجديدات ما قامت به مؤسسة الآغاخان عام ٢٠٠٨م، التي قامت بترميم المسجد نظرا لكونه أحد



المراكز الفكرية والثقافية في مالي، ولأهميته ومكانته الحضارية الكبيرة ودوره الكبير في انتشار الإسلام عبر إفريقية، ولطرازه المعماري الفريد[٦].

الوصف المعماري للمسجد

صمم مسجد موبتي على نسق مسجد جينيه الكبير بمالي والذي يعد أضخم مبنى مشيد من الطوب الطيني في العالم، وشيد مسجد موبتي بقوالب من الطوب اللبن والذي يسمى محليا (فيري)، وطليت جدرانه بالطين المخلوط بالتبن بطريقة فنية رائعة تشبه النحت، مما أضفى على الشكل العام للمسجد ملمسا ناعما، وذاع استخدام مادة الطين بكثرة في البناء والزخرفة في غرب إفريقية، وبرزت العمارة الطينية في الكثير من البلدان الإفريقية المرتبطة بالصحراء الكبرى خلال العصور الإسلامية، ويعتبر استخدام الطين من المعالجات المعمارية المهمة نظرا لملائمته لمناخ المنطقة البارد شتاء والحار صيفا، حيث تشكل مادة الطين عازلا لحفظ الحرارة والبرودة على عكس البيوت الحجرية، ويبدو أن مسجد موبتي أقل حجما وفخامة مقارنة بمسجد جينيه، لكن تصميمه كان أكثر تناسقا منه ومن المساجد الإقليمية الأخرى، ويتميز المسجد بموقعه وسط البيئة الحضرية بمنظر بديع وسط المدينة بالقرب من نهر النيجر[٧].

ويتكون مسجد موبتي من قسمين: في القسم الأول يقع بيت الصلاة المغطى وهو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل، تدعمه من الخارج مجموعة من الأعمدة، ويتصدر الجدار الشرقي حنية المحراب، وفي القسم الثاني يوجد الفناء أو الساحة الخارجية المفتوحة، هذا بالإضافة لوجود جدار واق يبلغ طوله تقريبا ٢م إلى ٣م، ويعلو الواجهات الخارجية للمسجد أعمدة رفيعة تعلوها قمم، ويتراوح سمك الجدران ٤٠ أو٦٠ سم حسب ارتفاعها، فكلما علا ارتفاعها، زاد سمك الحوائط من أسفل؛ حتى يتسنى لأساساته تحمل هذا الثقل.

ويوجد للمسجد مئذنتان متماثلتان يحيط بهما برجان سفليان في كل جانب، ويتميز المسجد بمنظره الفريد إذ تبرز خارج جدران المسجد مئات القوائم والعوارض الخشبية من النخيل لزيادة التدعيم والصلابة للمسجد، وتستخدم



كسقالات لإعادة طلاء المسجد، وأبواب المسجد ونوافذه، ويتميز المسجد بشكل عام بالبساطة في التفاصيل والزخارف[٨]، وتنتهي قمم الأعمدة الداعمة لجدران المسجد بامتدادات مخروطية الشكل تنتهي بقمم تحمل بيض النعام (رمز الخصوبة والنقاء في مالي)، ويذكر أن الحشرات ومنها العقارب، تكره بيض النعام، وربما يكون ذلك لمنعها والهوام من المسجد.

الحفاظ على الموروث الحضاري للمسجد

سعى أهل مدينة موبتي للحفاظ بشكل عام على الموروث الحضاري والعمراني لمدينتهم الثقافي، فحرصوا على ترميم مسجدهم الكبير بالطرق والأساليب القديمة التقليدية بمادة الطين، لحماية جدران المسجد من التشقق والانهيار فلطالما كانت المساجد في صحراء مالي مهددة بخطر التصدع والانهيار بسبب زحف الرمال عليها في موسم الأمطار، وكان يشترك كل أبناء موبتي في هذا الترميم، بالأسلوب الذي يقوم به أهل بلدة جنينة في ترميم مسجدهم المشيد على نسقه مسجد موبتي في الحدث الشهير المعروف بـ «مهرجان لا كريبيساج» الذي يعقد سنويا، وهذاه الجملة الفرنسية معناها إعادة كساء مبنى المسجد بالطين[٩]، وفي هذا الحدث المهم تساهم المدينة بكاملها في إعادة كسوة الجدار الخارجي للجامع، وذلك عن طريق خلط الطين المصنوع من التربة الغرينية التي يتم جلبها من نهر النيجر ونهر باني.

ويعتبر مسجد موبتي منارة للعلوم والمعارف ويحظى بمكانة مرموقة بين فنون العمارة الاسلامية في إفريقية، ويتميز بطرازه المعماري والفني المميز الذي يعبر عن شكل العمارة الساحلية بطرازها التقليدي، ويعكس تفنن المعمار المالي في استخدامه لمادة الطين كعنصر أساسي يقاوم تغيرات الزمن وينسجم بلا أدنى شك مع البيئة.

الهوامش

١- محمود شاكر، مالي، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٧٧م، ص٧٧.

٢- يحيي شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ص٣٩٣، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج١١، ص٤٨٨.

٣- للمزيد انظر، جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

٤- الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن١٣-١٥م، ص٢٢.

٥- نعيم قداح، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص١٦٤-١٦٥.

٦- سماعيل حامد، حكاية مسجد موبتي في مالي، مجلة روزا ليوسف، الأحد ٢٥ ديسمبر ٢٠٢٢م.

7- http://projects.mcah.columbia.edu/mopti/

8- Leslie Rainer, Terra 2008: The 10th International Conference on the Study and Conservation, p.29-30

٩- ربيع أحمد سيد، الجامع العتيق في مالي درة العمارة التقليدية بإفريقيا، مجلة العربي الكويتي، العدد ٧٤٢، سبتمبر ٢٠٢٠م، ص ١٣٧-١٤٠.

علاء عبدالفتاح

مخيم وقفي لتحفيظ القرآن الكريم يستفيد منه (١٠٠٠) مشارك من (٥٠) دولة

تاج الوقار في تركيا

هو برنامج وقفي تركي تنفذه جمعية وقف أنوار القرآن الكريم للعام الخامس على التوالي. «الوعي الإسلامي» التقت في إسطنبول نائب رئيس مجلس إدارة الجمعية الشيخ مصطفى غنيم داخل مكتبه بمقر الجمعية وسألته عن جديد هذا العام وما استجد من أنشطة دعوية وخدمية للوقف، فأكد الرجل، بعد أن أثنى على الله، أن أعمال الوقف توسعت حتى أصبح له ٤٦ فرعا على مستوى العالم، وتعتبر من أحدث مشروعاته مشروع تاج الوقار الذي بدأ منذ ٤ أعوام بـ ١٣٠ مشاركا، وبات هذا العام يستعد لاستضافة ألف مشارك من ٥٠ دولة في مخيم رباني لبناء جيل شبابي من شباب الأمة على هدي القرآن. ويضيف غنيم: كما توسعت مشروعات تعليم اللغة العربية فصار للوقف ٨ بروتوكولات لتعليم اللغة العربية



استفاد منها ألف شخص خلال ٤ سنوات من الأتراك وغير الأتراك وهذا بالإضافة لمشروع تعليم القرآن من خلال المقرأة الإلكترونية التي تعلم القرآن في العالم أجمع.

وأوضح غنيم أن الوقف يستعد حاليا لافتتاح المنصة الإلكترونية لتعليم العلوم الشرعية واللغة العربية لغير الناطقين بها على مستوى العالم أجمع عن طريق أساتذة متخصصين بالإضافة إلى مشروع رعاية ثلاثة ملايين وخمسمئة ألف سوري في الجنوب التركي محروم أغلبهم من التعليم لقلة ذات اليد، ومن هنا يقوم الوقف بإنشاء ٢٠ فرعا بالتعاون مع جمعيات أخرى، وقد تخرج في هذا المراكز نخبة من الشباب يحفظون القرآن ويتدبرونه بشكل جيد فينشرون قيم الوسطية في الأمة.

ونسأله عن تفاصيل مشروع تاج الوقار والقيمة المضافة التي يقدمها فيقول: كل مشارك يتم حفظ القرآن الكريم داخل المخيم الرباني هذا بعد أن يدخل حافظا ١٠ أجزاء مع توفير البيئة التربوية التعليمية الجيدة في جو إسطنبول الرائق مما يجعل المشارك متشوقا لأن يتم حفظ القرآن الكريم، فإذا كان أتمه يثبته فإذا ثبته يحصل على جائزة فيه وكل هذا يتم في جو ترفيهي سياحي مدته ٤٠ يوما في مكان طبيعي وخدمة فندقية تتخللها رحلات تربوية كما حدث لجيل كبير تخرج من مخيمات تاج الوقار خلال أربعة أعوام ماضية. ونستزيد من نائب رئيس الوقف، فيقول: البرنامج يبدأ في أول يوليو وينتهي في ١٠ أغسطس وله ٣ محاور أساسية: محور تعليمي للقرآن والسنة والسيرة، حيث يدخل المشارك





حافظا ١٠ أجزاء من القرآن نختبره فيها ثم يحفظ كل يوم من ٨ إلى ١٠ صفحات وقد يصل إلى ١٥ صفحة فيتم القرآن في هذه الرحلة، بالإضافة إلى قراءته مختارات من رياض الصالحين ودراسة جزء من السيرة النبوية، أي يحفظ من ٥ إلى ٦ ساعات يوميا مع التعليم ثم يخرج ٣ أو ٤ ساعات ويلعب مع شباب من ٥٠ دولة فيسعد سعادة ما بعدها سعادة.

أما المحور التربوي فيتحقق من خلال بناء شخصية مسلمة جيدة فكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول كان النبي ﷺ قرآنا يمشي على الأرض ونتمثل ذلك كي يتحقق ما حفظه المشارك من القرآن على أرض الواقع داخل المخيم في سلوكياته ثم خارجه فيكون صحيح العقيدة سليم العبادة متين الخلق مثقف الفكر منظم في شؤونه نافعا لغيره ومن هنا نبني شخصية متكاملة في جو ترفيهي جميل.

ويأمل غنيم أن يشارك من الكويت على الأقل ١٠ أفراد بما هو معروف عن الدولة بتشجيع حفاظ القرآن الكريم من خلال مسابقاتها الدولية المعروفة عالميا.

التحرير



قطاع شؤون القرآن بالأوقاف الكويتية نظم مؤتمر (مثاني) الأول

تاريخ التفسير في القرن الخامس عشر



نظم قطاع شؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، متمثلا بإدارة التوجيه الفني العام وبالتعاون مع جامعة الكويت، مؤتمر مثاني الأول تحت عنوان: التفسير في القرن الخامس عشر: ١٤٠٠-١٤٤٤هـ.

حضر المؤتمر نخبة من العلماء والمتخصصين في علم التفسير، تفننوا في تقديم المحتوى النافع الذي يدور فيه أشرف العلوم وأعظمها: علم التفسير وعلوم القرآن.

أقيم المؤتمر في ثلاثة أيام متتابعة تخللتها فعاليات مصاحبة، وكان انعقاد المؤتمر في مركز المؤتمرات في جامعة الكويت حافلا بالجمهور حضوريا في الكويت، مع متابعة عبر البث المباشر من جميع أنحاء العالم من دول الخليج ومصر والمغرب وفلسطين والسودان وتركيا وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا والهند وروسيا وأميركا وغيرها.

وقد بدأ المؤتمر بكلمة تعريفية قدمها: السيد علي حسين المطيري أعقبها تلاوة ندية للشيخ القارئ: أحمد عبدالعزيز النفيس.

أما كلمة المؤتمر فكانت للسيد محمد ناصر المطيري.

وكانت أولى جلسات المؤتمر في المحور الأول: المؤلفات في التفسير، وترأس الجلسة د. فهد فريج الجنفاوي.

وتناول الورقة البحثية الأولى التي كانت بعنوان: المختصرات المعاصرة في التفسير أ.د. مساعد الطيار أستاذ الدراسات العليا بقسم الدراسات القرآنية بجامعة الملك

محاور مؤتمر مثاني

محاور المؤتمر جاءت مختصة في تاريخ التفسير في القرن الخامس عشر وهي:

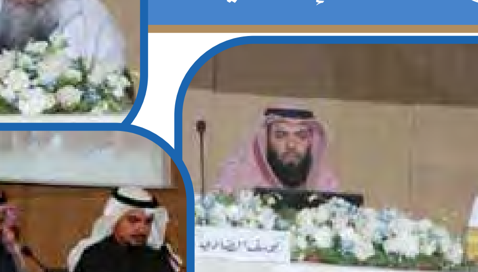
- المؤلفات في التفسير.
- التفسير في الجامعات والمدارس والمعاهد.
- التفسير في دروس المساجد.
- أعلام المفسرين.

الفعاليات المصاحبة للمؤتمر

ضمت الفعاليات المصاحبة للمؤتمر محاضرة مسائية بعنوان علوم الآية للأستاذ الدكتور مساعد الطيار ومعرضا لإصدارات الوزارة شارك فيه كل من:

- الهيئة العامة للقرآن والسنة.
- إدارة المخطوطات.
- إدارة الإفتاء.
- إدارة الثقافة الإسلامية.









سعود- المملكة العربية السعودية.

وتناول الورقة البحثية الثانية التي كانت بعنوان: المطولات المعاصرة في التفسير د. زكي صبري عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ - جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية، وعقب عليهما د. عثمان الخميس.

أما ثاني جلسات المؤتمر في المحور الثاني: التفسير في الجامعات والمدارس والمعاهد.

فترأسها السيد تركي عيسى المطيري، وتناول الورقة البحثية الأولى التي كانت بعنوان: تحقيق المخطوطات د. مصطفى زكاف أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان -المملكة المغربية.

بينما تناول الورقة البحثية الثانية التي كانت بعنوان: دراسة التفاسير ومناهجها د. محمد النجدي الإمام والخطيب في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

وقد تناول د. سعود فهيد العجمي الورقة الثالثة والأخيرة التي كانت بعنوان:

- مقررات التفسير وعلوم القرآن في الجامعات على ضوء الأولويات المعرفية والتعليمية والمهارية، علوم القرآن- أنموذجا.

وقد صحب اليوم الثاني فعالية مسائية هي محاضرة بعنوان: علوم الآية من خلال تطبيقات المفسرين للأستاذ الدكتور مساعد الطيار.

أما ثالث جلسات المؤتمر فتناولت محور التفسير في دروس المساجد وأعلام المفسرين.

وترأس الجلسة فضيلة الشيخ د. عثمان الخميس وتناول الورقة البحثية الأولى التي كانت بعنوان:

- الحركة المعاصرة لتفسير القرآن في الوسط المسجدي بالمغرب الأوسط - عرض وصف وتحليل - د. نبيل صابري أستاذ الدراسات القرآنية بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر.

أما الورقة البحثية الثانية التي كانت بعنوان: نافذة على الجهود خارج الجزيرة؛ شبه القارة الهندية نموذجا فقدمها د. محمد النورستاني باحث أول دراسات إسلامية إمام وخطيب في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

وقدم الورقة البحثية الثالثة والأخيرة التي كانت بعنوان:

- أعلام المفسرين في القرن الخامس عشر محمد بن صالح العثيمين أنموذجا د.يوسف مرزوق الضاوي مدرس مساعد أول في قسم التفسير والحديث بكلية الشريعة في جامعة الكويت.

وختم برنامج المؤتمر بتكريم المشاركين والمساهمين في إنجاح المؤتمر.

وقد بلغ مجموع من حضر المؤتمر حضوريا وعبر الأونلاين قرابة ألف وثمانين مشتركا ومشتركة.

كما تم توثيق جميع فعاليات المؤتمر على قناة مثاني في موقع اليوتيوب.



نجاح عبدالقادر محمد سرور
شاعر وكاتب إسلامي

عبدالله بن رواحة.. الشاعر الشهيد

نسبه: هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا محمد، وقيل: أبو رواحة. وأمه كبشة بنت واقد من بني الحارث بن الخزرج.

كان من الاثني عشر نقيبا الذين اختارهم رسول الله ﷺ ليلة العقبة. وشهد بدرا وأحدا، والخندق، والحديبية، وخيبر، وعمرة القضاء، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد الأمراء الشهداء في غزوة مؤتة.

فضله: عن عبدالرحمن بن أبي ليلى: أن عبدالله بن رواحة أتى النبي ﷺ وهو يخطب، فسمعه يقول: «اجلسوا». فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال له: «زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله»، وكان عبدالله أول خارج إلى الغزو وآخر قافل[1].

قال أبو الدرداء: أعوذ بالله أن يأتي علي يوم، لا أذكر فيه عبدالله بن رواحة، كان إذا لقيني مقبلا ضرب بين ثديي، وإذا لقيني مدبرا ضرب بين كتفي ثم يقول: يا عويمر، اجلس فلنؤمن ساعة. فنجلس، فنذكر الله ما شاء، ثم يقول: يا عويمر، هذه مجالس الإيمان[2].

مكانته وسبقه

كان عبدالله بن رواحة - من كتاب الوحى لرسول الله ﷺ [3]: وكان خارصا[4] للنبى ﷺ حيث كان ﷺ يبعث الخارص إلى من ساقاه من أهل خيبر وزارعه فيخرص عليهم الثمار والزروع ويضمنهم شطرها وكان يبعث إليهم عبد الله بن رواحة[5].

وقد أشار إليه القرآن الكريم إشارة لطيفة بينها رسول الله ﷺ.. وذلك لما نزلت آيات الشعراء: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ (الشعراء ٢٢٤-٢٢٦)، جاء حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ، وهم يبكون فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآيات أنا شعراء. فتلا النبي ﷺ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، قال: «أنتم»، ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ قال: «أنتم»، ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ قال: «أنتم»[6].

شعره

يمتاز شعر عبدالله بن رواحة بالعذوبة والسهولة ووضوح المعنى وجمال التصوير وسمو الفكرة.. وكفى به شرفا أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بشعره.. عن عائشة قيل لها هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحة[7].

وعن البراء بن عازب قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها[8].

فهو من شعراء رسول الله ﷺ مع كعب بن مالك وحسان بن ثابت.

كما كان من حداته[9] ﷺ الذين كانوا يحدون بين يديه في السفر[10].

وكفاه شرفا ثناء رسول الله ﷺ على مضمون شعره بقوله ﷺ: «إن أخا لكم لا يقول الرفث» يعني بذلك عبد الله بن رواحة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع [11]

ولا يخفى ما في هذه الأبيات - إضافة إلى سمو الفكرة - من جمال في الاستعارة والكناية وروعة في المحسنات اللفظية والمعنوية.

وهذه مواقف قال فيها الشعر في حضرة رسول الله ﷺ:

- لما خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية معتمرا في ذي القعدة سنة سبع وقف أهل مكة الرجال والنساء ينظرون إليه ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ يرتجز متوشحا بالسيف يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... قد أنزل الرحمن في تنزيله

في صحف تتلى على رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله
إني رأيت الحق في قبوله
اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله[١٢]

- وعن ابن إسحاق قال: سار عبدالله بن رواحة - يعني إلى مؤته - وكان زيد بن أرقم يتيما في حجره، فحمله في حقيبة رحله، وخرج به غازيا إلى مؤتة، فسمعه زيد من الليل وهو يتمثل أبياته التي قال فيها:

إذا أدنيتني وحملت رحلي
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم
ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون وغادروني
بأرض الشام مشهور الثواء
وردك كل ذي نسب قريب
إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل
ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعه زيد بكى، فخفقه بالدرة وقال: ما عليك أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبيتي الرحل![١٣].. إن هذه المقطوعة المؤثرة صورة تعبيرية رائعة تتمثل في الوحدة العضوية بين أبياتها؛ فالموضوع واحد والجو النفسي فيها مفعم بالصدق العاطفي، في ترابط وانسجام.

- وروى عبدالسلام بن النعمان بن بشير: أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس عبد الله بن رواحة، وهو في جانب العسكر، فتقدم فقاتل: وقال يخاطب نفسه:

يا نفس إلا تقتلي تموتي
هذا حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت
إن تفعلي فعلهما هديت
وأن تأخرت فقد شقيت

يعني زيدا وجعفرا. ثم قال:

يا نفس ما لك تكرهين الجنة
أقسم بالله لتنزلنه
طائعة أو لتكرهنه
فطالما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفة في شنه
قد أجلب الناس وشدوا الرنة[١٤]

.. قصيدة تبدو صادقة العاطفة، منوعة القافية، منسابة الموسيقى باستخدام التصريع في كل أبياتها، مع قافية مؤثرة؛ حيث التاء المكسورة في المقطع الأول، والنون المشددة مع الهاء الساكنة في المقطع الثاني، مع عذوبة داخلية.. تهز النفس وتثير الوجدان.

لقد دعا رسول الله ﷺ لابن رواحة أكثر من مرة حين سمع منه شعرا.. فعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن رواحة: «لو حركت بنا الركاب»، فقال: لقد تركت قولي. فقال له عمر: اسمع وأطع. فقال:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ «اللهم ارحمه»، فقال عمر: وجبت[١٥]، أي وجبت له الجنة.

ولما مدح النبي ﷺ بقوله:

إني تفرست فيك الخير أعرفه
والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته
يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال النبي ﷺ: «وأنت، فثبتك الله يا ابن رواحة». قال هشام بن عروة: فثبته الله أحسن الثبات، فقتل شهيدا، وفتحت له أبواب الجنة، فدخلها شهيدا[١٦].

هذا هو عبدالله بن رواحة رضي الله عنه الشاعر الشهيد.

الهوامش

١- البداية والنهاية (٤/٢٩٤).
٢- السابق.
٣- زاد المعاد لابن القيم (١/١١٣).
٤- الخارص: هو الذي يقدر ما على النخيل والكروم من ثمر لمعرفة مقدار الزكاة فيها. المعجم الوسيط (١/٢٢٧).
٥- ابن حبان (١١/٦٠٨).
٦- رواه ابن أبي حاتم. وابن جرير وابن كثير (٦/١٧٥).
٧- الترمذي (١٠/٦٨).
٨- البخاري (١٣/١٠).
٩- الحداء: الغناء للإبل (أثناء سيرها).. المعجم الوسيط (١/١٦٢).
١٠- زاد المعاد المرجع السابق.
١١- البخاري (٤/٣٣١).
١٢- زاد المعاد (٣/٣٢٧).
١٣- حياة الصحابة (٢/١٤٤).
١٤- الكامل في التاريخ (٢/١١٣).
١٥- تاريخ دمشق (٢٨/١٠٤).
١٦- البداية والنهاية (٤/٢٩٤)، والاستيعاب (٣/٩٠٠).



معروف عبدالرحيم بن محمد
كاتب وقاص

هبلاء في بيت عزاء

خرجت من منزلها الذي يبدو كأنه كوخ يتربع على شبه هضبة مقعرة، يحسبها الناظر من بعد كهفا من الكهوف الموحشة، شقت طريقها المعتاد بين أزقة قريتها.. تارة تمشي صامتة وأخرى غاضبة وثالثة تطرق آذان الناس وقلوبهم بكلام يشع حكمة وبلاغة، تكون شاعرة حينا وواعظة أخرى ومجنونة في باقي الأوقات، ثم تستسلم لصمت مهيب!

اقترب وقت الغداء، استبد بها الجوع وهي طاوية البطن يوما وليلة، لم تطعم طعاما ولا هي شربت شرابا، ولا اكتست كسوة.. وهي على هذه الحال إذ شاهدت منزلا قد نصبت أمامه خيمة عظيمة، تتسع لعشرات الناس.. نظرت لملامح الحزن التي تكسو وجوه أهلها، فأدركت أن الجمع جمع عزاء، هرولت نحو الخيمة، غير أنها وقفت شامخة أمامها، مرفوعة الرأس، كأنها تنتظر دعوة الآدب حتى يأذن لها، فجنونها لم يقتل عزتها وكرامتها.. تقدم نحوها أحد أقارب الميت ودعاها للطعام مرحبا بها.. حيث قدم لها ما طاب ولذ من طعام وفاكهة وشراب، فكان الطعام من لحم الضأن المطبوخ بمرق البرقوق واللوز، ثم الطبق الثاني من لحم طير مما تشتهي الأنفس وتحلم بها البطون، ثم مع الوجبتين شراب من عصير البرتقال والليمون، وكان الختم فواكه لذيذة، وكؤوس شاي ساخنة فريدة.. أكلت الهبلاء حتى شبعت ثم قامت مخاطبة الناس:

أيها الناس ما هذا البخل؟! و ما هذا الحرص على الدنيا ومتاعها!

لم لا تطعموننا مثل هذا الطعام وأنتم أحياء ترزقون؟؟!

ونظل جوعى وعطشى أياما وأياما بل وأسابيع وشهورا حتى تموتون، بل حتى يختطفكم الموت كما تتخطف النسور فرائسها في السماء!.

ألم يعظكم ربكم عزوجل بالتصدق في الحياة قبل أن تموتوا وتصيروا عظاما قد غطها التراب!

وحينئذ تقول لربك أن يرجعك كي تكون من المتصدقين والصالحين.. هيهات هيهات لكم الرجوع آنذاك.

لم تتركوا ورثتكم يتصدقون يوم موتكم.. وهناك من يجعلها حفلا بقدوم الميراث العظيم، من متاع الدنيا؟!.

فتجمعت حولها الأبصار شاخصة وقد صدمت بما تقول الهبلاء.. فخاطبتهم من جديد:

(اللهم ألحق أحدهم بهذا الذي رحل كل يوم حتى لا أجوع كل يوم!)

خرجت من الخيمة وغاصت في أزقة القرية وتركت القوم يضحكون! وقد نسوا أنهم في مجلس العزاء!!



عمرو طه
قاص مصري

خفف الله عن الإنسان، فأودع فيه قوة التخيل، يستريح إليها من الحقائق

مصطفى صادق الرافعي

ما المرفأ الذي يمكن أن يستقبلك بأمان أكثر من مكتبة رائعة؟

إيتالو كالفينو

والغضب لا يزال رذيلة من الرذائل حتى يكون للحق؛ فهو أفضل الفضائل

المنفلوطي

إذا أردت أن تعرف حقيقة إنسان فشاهد كيف يعامل من هم أضعف منه وليس من هم أعلى منه شأنا

ج.ك. رولينج

لا يهم كم تسير ببطء ما دمت لا تتوقف

كونفوشيوس

ومن خلال خبرتي بذلك المرض، فالقولون لا يأتي مما تأكله، بل مما يأكلك.

هنري ميلر



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد

د. محمد عوض محمد

شيخ الجغرافيين العرب والمقال القصصي

حبا الله سبحانه وتعالى العالم العربي بمجموعة من الأدباء والكتاب الذين تسنموا أول نسمات الحياة في الهزيع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، وكان لهم الأثر البالغ، والجهد المشكور في التحليق بالأدب إلى مكانة سامقة؛ ببعثه بعد موات، وإيقاظه بعد رقاد؛ فعاد بإخلاصهم يافعا فتيا، يسرى بين حناياه ماء الحياة، كأنما نشط من عقال؛ فخرج على الناس بصورة لا تقل روعة ونضجا عما كان عليه أيام عزه وسلطانه في الأعصر الأدبية الأولى، ومن هؤلاء الأفذاذ الذين أثروا الحياة الأدبية؛ في تلك الحقبة الزاخرة الدكتور (محمد عوض محمد) الذي عمل مع غيره الرواد بإخلاص وتفان على إرساء قواعد العلم، والأدب، والثقافة في طول العالم العربي وعرضه.

سيرة ومسيرة

ولد الدكتور (محمد عوض محمد يوسف) بمدينة المنصورة في الثالث من شهر مارس عام ١٨٩٥م[١] وخاض غمار الحقل التعليمي بعد أن أنهى مرحلة الكُتّاب التي لابد منها؛ فالتحق بالتعليم الابتدائي وحصل على الشهادة الابتدائية ١٩٠٩م، والتحق بالمدرسة العباسية الثانوية في تلك السنة، ونال منها شهادة الدراسة الثانوية عام ١٩١٣م، والتحق بمدرسة المعلمين العليا، وكان لعوض نشاط ظاهر ضد المستعمر وأعوانه، تُرجم ذلك باعتقاله وهو في السنة النهائية بمدرسة المعلمين، ونفى إلى جزيرة (مالطة) مما أدى إلى تعطله عن الدراسة أربع سنوات، ولم يحصل على دبلوم المعلمين إلا في عام ١٩٢٠م[٢].

ولحصوله عليه بتفوق رُشح لبعثة «إلى انجلترا للتخصص في مادة الجغرافيا؛ فحصل من جامعة ليفربول على البكالوريوس بمرتبة الشرف سنة ١٩٢٤م، وعلى شهادة «الماجستير» سنة ١٩٢٦م، وفي السنة نفسها حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن، وعاد من البعثة في أكتوبر سنة ١٩٢٦م»[٣].

فكان أول من حصل على الدكتوراه في مجال الجغرافيا من الخارج في العالم العربي بأسره[٤]؛ فهو طليعة هذا العلم في العالم العربي.

بعض نشاطاته العلمية

تقلب (محمد عوض) في عدد من المناصب الكثيرة والمتعددة؛ فقد عين

مدرسا بكلية الآداب جامعه القاهرة ١٩٢٦- ١٩٢٨م لمادة الجغرافية، ثم أستاذا مساعدا بجامعه القاهرة سنة ١٩٢٨م، وفي سنة ١٩٣٨م عين أستاذا للجغرافية بكلية الآداب، ثم رئيسا لقسم الجغرافيا سنة ١٩٤٢م، وكان مديرا عاما للثقافة بوزارة المعارف في المدة من ١٩٤٨- ١٩٥٠م، وكذلك عين أستاذا بمعهد الدراسات السودانية، ومديرا له، ثم في سنة ١٩٥٣م عين مديرا لجامعة الإسكندرية، ثم وزيرا للمعارف في إبريل سنة ١٩٥٤م، وفي سنة١٩٤٦م اختير عوض مديرا لشعبة العلوم الاجتماعية لمنظمة «اليونسكو»، وكان عضوا في المجلس التنفيذي لهذه المنظمة الدولية، ثم وصل إلى نائب رئيس المجلس، ثم كان رئيسا للمجلس التنفيذي عامي١٩٦١-١٩٦٢م، وعين عضوا بمجمع اللغة العربية في سنة ١٩٦١م، وعضوا بالمجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦٢م، ومنذ شهر سبتمبر١٩٥٤م إلى يوم وفاته كان يعمل أستاذا غير متفرغ بكلية الآداب جامعة القاهرة[٥].

من نتاجه وجوائزه

كان (محمد عوض محمد) صاحب ثقافة موسوعية؛ أهلته لأن يتبحر في كثير من مجالات العلم وفروعه المختلفة، والأدب وأجناسه المتنوعة؛ فتجده تارة يكتب في الجغرافية بلغة أدبية رائقة، ومن ذلك كتب: نهر النيل- سكان هذا الكوكب- الاستعمار والمذاهب الاستعمارية- السودان الشمالي: سكانه و قبائله.

وتارة يكتب في الأدب؛ ومن نتاجه الأدبي: من حديث الشرق والغرب- سنوحي- ملكات الجمال- محاضرات عن فن المقالة الأدبية.

وتارة ينشر درر الآداب العالمية لمحبي الأدب وعشاق الثقافة؛ عن طريق ترجمة بعض الروائع الإنجليزية والألمانية، ومن ترجماته: قواعد النقد الأدبي «لآبركرمبي»- هرمن ودروتيه، وفاوست «لجوته»- هنري الخامس، وهاملت «لشكسبير».

وكثيرا ما كان يراجع بعض الترجمات لكثير من الكتاب والأدباء الشبان، ومن ذلك: سيدان من فيرونا «لشكسبير» ترجمة: (عبد الحميد يونس) - روميو وجوليت «لشكسبير» ترجمة: (مؤنس طه حسين) - خرافات عن الأجناس «لجوان كوماس». ترجمة. (محمد رياض).

وتقديرا لمجهوداته وعطائه نال (محمد عوض محمد) جائزة الدولة للعلوم الاجتماعية سنة ١٩٥٢م، كما حصل على نوط الجدارة من



الدرجة الأولى سنة ١٩٥٤م.

أسلوبه العلمي المتأدب

كان لمحمد عوض محمد حب وشغف بالأدب واللغة منذ بواكير نشأته؛ فيقول محدثا عن ذلك: «والحقيقة أن ميلي الأول كان للأدب، بدأت أعشقه وأنا في الرابعة عشرة... وقد جعلتني هذه النزعة أحفظ الكثير من الشعر والأدب»، وكانت ميوله الأدبية تطغى على كثير من تطلعاته الأخرى، فحينما سئل: «لو أنك عدت تلميذا فما هو المنهج الذي تختاره لمستقبلك؟» أجاب بقوله: «كنت أسلك المسلك الأقرب إلى الأدب، لأن ميولي الأدبية أقوى بكثير من ميولي العلمية»[٦].

وقد ساعدته مواهبه الأدبية في تخصصه العلمي؛ فكتب الجغرافيا بطريقة رائقة سهلة خالية من تعقيد المصطلحات العلمية؛ فكانت تصل إلى أذهان الباحثين والقراء وطلاب العلم، فكان كما قال عنه الدكتور (محمد مهدي علام): «جغرافي ذو شهرة عالمية، وأديب ممتاز، وهو أول من كتب الجغرافيا بلغة أدبية»[٧].

وكان الرجل ملما بشتى فروع اللغة العربية، وكانت له آراؤه النقدية ذات القيمة العظيمة في ميدان الدراسات النقدية، وأضحت له طريقته الخاصة في الكتابة، قال عنه أحد زملائه في مجمع اللغة العربية: «وعوض أديب كبير، وكاتب ناقد، له قلم مرموق وأسلوب رشيق لا يخلو من فكاهة، وإن كانت فكاهته من ذلك الطراز الهادئ

الرزين، وله في كتابته خيال مبدع، وقصص ممتع»[8].

ووصفه أحد أقرانه بقوله: «مفكر حر، وأديب كبير، ومترجم نابه، ولغوي ضليع... أكبر جغرافي في عصره، وصاحب الغرر الدرر، تفيض كتبه بالأدب والحكمة، والملحة والطرفة... ظل حتى الساعات الأخيرة من عمره أحد أعلام الثقافة العالمية الذين يؤخذ برأيهم في المحافل الدولية»[9].

قال عنه رفيق بعثته الدكتور (محمد مهدي علام) مكبرا ثقافته وأدبه: «وقد زاملته مع أبناء جيلنا في النادي المصري بلندن؛ فكان نجما أديبا ساطعا، ونبعا ثقافياً فياضا»[10].

كان لمحمد عوض إسهاماته المقالية المتنوعة، وكانت «الرسالة» في طليعة المجلات التي نشرت له منذ صدورها عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين من الميلاد، وكان لها دور فاعل في استئناف مشواره الإبداعي، وقد قال في ذلك: «نشأت مجلة الرسالة وأصبحت عضوا في مجلس إدارتها وتحريرها؛ فاضطررت لأن أطلق العنان مرة أخرى لهوايتي الأدبية»[11].

وقد كانت مقالاته الرشيقة وغيرها من تراثه الأدبي سببا لأن ينتدبه الأستاذ (شفيق غربال) ليدرس الأدب لطلاب معهد الدراسات العربية العالية؛ فألقى فيهم محاضرات عن فن المقالة الأدبية[12].

وفاته

بعد حياة حافلة بالعطاء، والعمل الدءوب، والجهد المتواصل توقف قلب (محمد عوض) عن الخفقان، وسكنت أعضاؤه المتحركة، وانتهى عقله المتقد إلى رحلته الأخيرة؛ حين لقي ربه في اليوم التاسع من شهر فبراير من عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين من الميلاد عن عمر يناهز السابعة والسبعين.

ونعاه الأستاذ (زكى المهندس) في حفل تأبينه بمجمع اللغة العربية قائلا: «إننا إذ نبكى الفقيد اليوم لا نبكى فيه عضوا مجمعيا ممتازا فحسب؛ وإنما نبكى فيه عالما جليلا، تجاوزت كفايته العلمية حدود وطنه؛ فأصبح عالما عالميا، له في المحافل الدولية كلمة مسموعة، ومكانة مرموقة»[12].

وودعه د (محمد مهدي علام) بقوله: «سلام على لسان فصيح، وقلم ثَر، وفكر حر، وصرامة في الحق؛ تبث الخير، وتدفع الضر»[13].

ملامح المقال القصصي عند عوض

جعل محمد عوض المقال القصصي إطارا يصب فيه معانيه الفكرية، وقيمه الشعورية، في قالب من التشويق المبدع، والجاذبية الفنية «ومفهوم أن القص أو الحكي يجعل القارئ أقرب إلى التفاعل مع العمل الفني من التعبير المباشر الجاف»[14].

«وإذا كان اللون الغالب على المقال في الصحافة المصرية في فترة ما بين الحربين العالميتين هو المقال الأدبي، فإن المقال القصصي كان من أكثر ألوانه ذيوعا ونموا»[15].

ومما يجدر ذكره أن النقاد قد وضعوا حدودا فاصلة بين القصة القصيرة والمقالة القصصية؛ لأنه قد يحدث خلط في الأذهان، وتعمية على قدر غير قليل من محبي الأدب.

وهذه الحدود الفاصلة والفروق الجوهرية التي فصلها النقاد يضيق المجال عن سردها في هذه الإشارة الموجزة، ولكنها تدعم ما ذهب إليه أحد الباحثين حين تعرض لمقالات (عوض) التي توسل فيها بالقص؛ فقد رأى أنه في بعض مقالاته من القص ما يجعلها تمت بصلة وثيقة إلى فن القصة القصيرة «غير أن الشروط الدقيقة لفن القصة القصيرة خاصة يجعلها قريبة منها، دون أن تنسب لها إلا تجاوزا، ويعود بها إلى نبع المقالة الأدبية في أعلى مستوياتها»[16].

وقد شغلت المقالة ذات الأسلوب القصصي حيزا غير قليل من مقالات (محمد عوض) فكان منها:

● المقالة ذات الخلفية التاريخية؛ غير أنه أسبغ عليها من روحه، وجال فيها بفنه، وأفاض عليها بما جعلها تمت إلى أصلها بالمعنى والنسب لا بالأصل والنص، كما فعل في مقال «عقد من اليشب»[17] الذي استلهم فيه روح (بيدبا) وكتابه كليلة ودمنة، وخلط المقال بشيء غير قليل من الطرافة والفكاهة التي حولته عن أصله إلى طراز يمزج فيه بين السرد القصصي، والسخرية البادية، والحكمة الغالية، ويصهر كل ذلك في بوتقة واحدة؛ فيخرج بمقال جمع فيه بين أكثر من أسلوب سردي وطريقة تعبيرية.

● وقد يسوق المقالة القصصية مستوحاة من الخرافات والأساطير القديمة؛ كما فعل في مقالة «حين تتنافس الربات»[18] حيث أجرى

منافسة بين مجموعة من ربات اليونان القدماء التي توهموها أيتهم أجدر بلقب ملكة جمال الآلهة اليونان، وساق ذلك بأسلوبه الرشيق الذي تتسرب إليه البسمة الرقيقة في عرضه لفكرة متفشية مع خطئها المحض لدى العقلاء قائمة على الترويج لثقافة الجسد، وإعلاء قدره على حساب ثقافة الروح والعلم والحكمة[١٩].

● وقد يسوق المقال القصصي من خياله الخصب الذي يتكئ فيه على الأسطورة والخيال؛ ولكنها من تدبيجه واختراعه على غير مثال خرافي أو ملحمي سابق؛ فليس فيها من القديم غير الإشارة السريعة التي تومئ بأن هذه الحكاية قد تحدث في الثقافات المختلفة بطرق شتى ويعالجها كل أديب حسب بيئته التي يستقي منها أشخاص قصته؛ وخير ما يمثل هذا المنحى مقالة «ليلة القدر» التي جعل فكرتها تدور حول سؤال يمكن أن يصاغ على النحو التالي: ماذا يتمنى الإنسان لو أتيحت له دعوة مستجابة؟ وانتهى إلى حكمة بالغة رددها في مقاله أكثر من مرة طمعا في استقرارها في أذهان المتلقين، وختم بها مقاله: «لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع»[٢٠].

●وقد يكون مقال (عوض) القصصي اقتباسا من بعض وسائل الإعلام؛ فيأتي عرضه بغية استخلاص بعض العبر والدروس التي ينشرها في قلوب القراء؛ كما فعل في مقال «الظلم من طريق العدل» والذي يناقش فيه فكرة اقتران القانون بالرحمة، فبعد أن سرد ملخصا لقصة حدثت في «أمريكا» خرج بقناعة آمن بها ورددها: «لابد من التسليم بأن الظلم قد يجيء عن طريق العدل»[٢١] وجعل علة ذلك طغيان العدل، وما قد يقترف في ظل القانون وتحت رعايته من ظلم؛ بعدم البت في كل حادثة بما يراعي ملابساتها الخاصة بها.

● وقد يبدع (عوض) بعض المقالات في نطاق قصصي من غير اعتماد على حدث سابق أو خرافة سائدة، وقد يخلطها ببعض التأملات النفسية والقيم الشعورية، والتي تكتسي ثوب الحزن الذي قد يصل أحيانا إلى درجة من السخط كما حدث في مقاله «عبث القضاء»، أو يبدع مقالا يحط فيه من شأن التفرقة العنصرية بين البشر كالذي فعله في مقال «جريمة».

من هنا يمكن القول بأن المقالة القصصية عند (عوض) قد تأتي في صورة حكاية يسردها وتستغرق معظم المقالة؛ ومن خلالها يلح على الفكرة الأساسية التي يعالجها.

على أن بعض النقاد يرى أن المقالة بمرونتها «تتسع لأن يورد كاتبها قصة قصيرة في سياق مقالته؛ يستميل بها قارئه، ويستعين بها على توضيح فكرته، أو التمهيد لما يدعو إليه»[٢٢]، وقد استعمل (عوض) هذه الطريقة في بعض مقالاته مثل: «عاصفة في قدح» التي مزج فيها بين التخيل والحقيقة؛ فقد بدأها بقصة ملكين يتجادلان في كيفية قضاء وقت ممتع أثناء راحتهما الأسبوعية كما زعم وبعد مداولة ومناقشة هبطا إلى الأرض، وشاهدا العاصفة التي هبت بين المؤلف والقارئ، وكيف آل الحال بعد ذلك إلى نسيم سرى بينهما؛ فرطب الأجواء، وعطر الهواء.

فالرجل قد لون في عرضه لمقاله القصصي بألوان شتى، ولم يجمد فنه على قالب واحد لا يتعداه؛ وهذا شأن الكاتب المبدع الذي لا يتحجر على طريقة واحدة، أو يكتنز فنه في صورة نمطية غير قابلة لاستقبال الجديد الرائق.

الهوامش

١- ينظر: رسائل طه حسين: إبراهيم عبد العزيز، ص١٢٧.
٢- المجمعيون في خمسين عاما: د. محمد مهدي علام. ص ٣٠٢. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
٣- السابق.
٤- ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية: د. سليمان حزين، الجزء الثلاثون، فبراير ١٩٧٢م، ص٢٥٧.
٥ - من حوار مع زوجه، وابنته؛ بتاريخ١٩/١/٢٠٠٦م.
٦ - رجال الفكر في كهولتهم.. حوار مع محمد عوض: مجله الهلال، ديسمبر ١٩٥٨م، ص٤٣.
٧ - المجمعيون في خمسين عاما. ص٣٠٢.
٨ - مجلة مجمع اللغة العربية، من كلام د. أحمد محمد سليمان، الجزء الثلاثون فبراير ١٩٧٢م، ص٢٤٦.
٩ - شيخ الجغرافيين في ذكراه الثانية: إبراهيم الأسيوطي، الهلال، أبريل ١٩٧٤م، ص١٢٥.
١٠ - المجمعيون في خمسين عاما. ص ٣٠٣.
١١ - مجلة مجمع اللغة العربية، ص٢٤٩.
١٢ - ينظر: السابق.
١٣ - مجلة مجمع اللغة العربية، ص٢٤٤.
١٤ - المجمعيون في خمسين عاما، المقدمة، ص (ل).
١٥ - مدرسة البيان في النثر الحديث: د.حلمي القاعود، ص٢٠٤، دار الاعتصام.
١٦ - فن المقال الصحفي في أدب محمد حسين هيكل: د. عبد العزيز شرف، ص٢٩٥.
١٧ - محمد عوض محمد.. أديبا: د. عمر الفاروق، مجلة العربي، أغسطس ١٩٩٦م، ص٥٨.
١٨ - من حديث الشرق والغرب، ص٦٥.
١٩ - ينظر: ملكات الجمال، ص٣٣ وما بعدها.
٢٠ - السابق، «ليلة القدر» ص١٩ وما بعدها.
٢١ - السابق، ص٨٤.
٢٢ - المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث: د. عطاء كفافي، ص٤١.

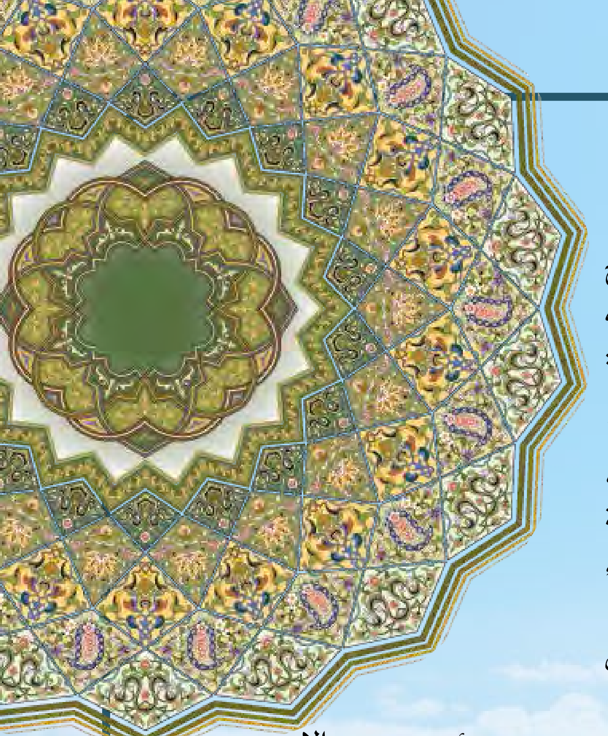
د. راوية نور الدين عتر
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة
جامعة دمشق



قانون الحفظ الإلهي

فإن الإنسان إن أراد أن يقوم بالمقام الذي كرمه الله تعالى، وينال شرف حفظ الله تعالى له وعنايته به، فعليه أن يمتثل للقوانين الربانية التي بينها لنا رسولنا الكريم ﷺ. ومن تلك القوانين ما بينه لنا رسول الله في هذا الحديث الشريف الجليل: عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

قال العلماء: هذا حديث عظيم الموقع، وأصل كبير في رعاية حقوق الله تعالى، والتفويض لأمره، والتوكل عليه، وشهود توحيده وتفرده، وعجز الخلق وافتقارهم إليه، وبهذا التقرير يصح أن يدعى في مثل هذا الحديث أنه نصف الإسلام، بل كله؛ لأن التكاليف إما أن تتعلق بالله سبحانه وتعالى أو بغيره، وهذا فيه بيان لجميع ما يتعلق به تعالى صريحا، وبغيره استلزاما، على أن ذلك كله مفهوم من أول جملة فيه، وهي: (احفظ الله يحفظك).



وهـذه الجملـة الأولـى الشريفة تتضمن قانونا ربانيا يبلغنا إياه رسـول الله فـي هيئة وعـد هـو: «احفظ الله يحفظك» ولعل هذا أهم ما يتوق إليه المرء في حياته: حفظ الله تعالى لـه، وهـو منوط حسب الحديث الشريف بالأمر «احفظ الله»: والمراد به : حفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه، ويكون ذلك بالوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر بـه وأذن فيه إلـى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك، فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه، وقـال عـز وجـل: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ (ق:٣٢-٣٣). وفسر الحفيظ هاهنا بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها.

وقوله ﷺ: «يحفظك» أي: احفظه بالطاعة يحفظك بالرعاية؛ فإذا أطعته بامتثال أوامـره واجتناب نواهيه أحاطك بمعقبات له: ﴿مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ يعني: أن من حفظ حدود الله، وراعـى حقوقه، حفظه الله، فإن الجـزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البـقـرة: ٤٠)، وقـال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البـقـرة: ١٥٢)، وقـال: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧).

أما عن حفظ الله لعبده ومعنى ذلك فيدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنيـاه، كحفظه فـي بدنـه وولـده وأهله وماله، قال الله عز وجل: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد:١١)، قـال ابـن عبـاس: هـم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فـإذا جاء القدر خلوا عنه.

وقـال علي رضي الله عنه: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجـن والإنـس والهـوام، فما من شـيء يأتيه إلا قـال: وراءك، إلا شيئا أذن الله فيه فيصيبه.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي، وآمن روعتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعـن يميني وعـن شمالـي، ومن فوقي وأعـوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي».

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢): أنهما حفظا بصلاح أبيهما. قال سعيد بن المسيب لابنه: لأزيدن في صلاتي من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢)، وقال عمر بن عبدالعزيز: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه.

أما النـوع الثـانـي مـن الحـفـظ، فهو أشرف النوعين، وهـو غاية الغايات التي ما وراءها غاية وهو: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحـفـظ عليه دينـه عند موتـه، فيتوفاه على الإيمان، وقد ورد الأمر بالدعاء بهذا المعنى العظيم، ففي حديث عمر أن «النبي ﷺ علمه أن يقول: اللهم احفظني بالإسلام قائما، واحفظني بالإسلام قاعدا، واحفظني بالإسلام راقدا».

و«كـان النبي ﷺ يـودع مـن أراد سفرا، فيقول: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك» وكان يقول: «إن الله إذا استودع شيئا حفظه».

ومـن أسـبـاب حفظ الله تعالى لـديـن المـؤمـن الـحـافـظ لحـدود دينـه، أن الله تعالى يحـول بينه وبين ما يفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ، وقد لا يشعر العبد ببعضها، وقد يكون كارها له، كما قال في حق يوسف عليه السلام:

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤).

«قال ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ (الأنفال: ٢٤)، قال يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار.

أخرج الطبراني عن أنس عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى قال: «وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، وإن بسطت له أفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني عليم خبير».

وقال ابن مسعود: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له، فينظر الله إليه فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإنه إن يسرته له أدخلته النار، فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير يقول: سبقني فلان دهاني فلان، وما هو إلا فضل الله عز جل.

ثم يأتي بعد ذلك تأكيد لذلك القانون فيقول النبي ﷺ: «احفظ الله تجده تجاهك»: أي يراعيك في أحوالك، ولا تكن مخالفا له فإنك تجده تجاهك في الشدائد وفي كل الأحوال، كما جرى للثلاثة أصحاب الصخرة الثابت في الصحيح.

أي إن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨). قال قتادة: من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه، فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.

وهذه المعية الخاصة هي المذكورة في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه: ٤٦)، وقول موسى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ (الشعراء:٦٢). وفي قول النبي ﷺ لأبي بكر وهما في الغار «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا».

وقوله عليه الصلاة والسلام: «تجده تجاهك» من المجاز البليغ؛ لاستحالة الجهة عليه تعالى، فهو على حد: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فالمعية هنا معنوية لا ظرفية.

وخص الأمام من بين بقية الجهات الست؛ إشعارا بشرف المقصد، وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة غير قار في الدنيا، والمسافر إنما يطلب أمامه لا غير، فكان المعنى: تجده حيثما توجهت وتيممت وقصدت من أمر الدين والدنيا.

والسؤال المتبادر ههنا: ما شأن من نحسبهم من الأتقياء الصالحين وقد ابتلوا بأنواع من البلايا والشدائد، فهل حرموا من حفظ الله تعالى؟

وجواب ذلك أن الله تعالى قد منحهم أشرف النوعين من الحفظ وهو النوع الثاني المقتضي حفظ دينه وحمايته مما من شأنه أن يخل به، فيصرف الله عنه أمورا شتى من أمور الدنيا؛ لو قدرت كانت سببا في إفساد أمر دينه.

أو يكون ذلك الابتلاء من سنة الله في أحبابه من خلقه فهم معرضون للمحن والمصائب، وطروق المنغصات والمتاعب؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الآيات، فيكون ذلك رفعة من شأنه وعلوا لرتبته عند ربه، ويكون هذا النوع الثاني من الحفظ حفظا لأمور الآخرة الباقية، وزيادة في درجاتها.

والمؤمن يضع في باله أنه إن راعى حق الله تعالى من دوام ذكره وتمام فكره وقيام شكره، وتحرى رضاه، فالله عز وجل يحفظه من مكاره الدنيا والآخرة، وقد تكون مكاره الدنيا مكاره في الظاهر ولكنها في حقيقة الأمر صيانة له من نقص الدين، ويكون نال العقبى الخالدة الباقية التي هي أمنية كل طالب وساع، والعاقل من سعى لهذه الغاية حق السعي وأعد لها عدتها.

جاسم الجاسم
كاتب وباحث



الإبل.. بديع الصنع وإعجاز الخلق

تتجلى قدرة الخالق العظيم سبحانه وتعالى في الكثير من مخلوقاته التي تدل على عظمته وبديع صنعه. وتمثل الجمال أو الإبل إحدى آيات إعجاز الله تعالى في مخلوقاته الكثيرة. فكلما تعمقنا في محاولة اكتشاف أسرار هذا المخلوق العجيب، قادتنا هذه الاكتشافات إلى عظمة الخالق وحسن تدبيره وكمال قدرته وصنعه.

ورغم كل الدراسات العلمية الكثيرة التي أجريت فإن ثمة أسرار ومعلومات لم تكتشف عن الإبل وتكوينها وطبيعة خلقها وحياتها. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية: ١٧- ٢٠).

ففي هذه الآية الكريمة يحضنا الله سبحانه وتعالى على التدبر والتفكر في خلقه ومنها الإبل، لما يدل هذا المخلوق على عظمة الخالق وحسن صنعه والإعجاز الكبير في خلقه. ويقود التفكر في مخلوقات الله تعالى إلى الإيمان الصادق والخالص، لما يكتشفه الإنسان من معجزات الخلق.

وارتبطت الإبل في حياة الإنسان العربي بشكل وثيق بسبب طبيعة المعيشة وحالة التنقل والترحال فكان يركب عليها ويحمل متاعه على ظهرها، إضافة إلى أنه يشرب من حليبها ويأكل من لحمها.

وربما الجمل هو الحيوان الوحيد الذي يؤكل لحمه ويشرب حليبه ويحمل عليه من متاع وماء وحمولات مختلفة، فكان بذلك أحد أنفع الحيوانات للبشر.

وتتميز الإبل أو الجمال -ومفردها جمل وهو يطلق على الذكر، أما الأنثى فيقال لها ناقة والجمع نوق- بالقدرة على تحمل العطش لفترات طويلة والتكيف مع قلة الماء والعشب وطبيعة الحياة الصحراوية، لذلك يطلق عليه اسم سفينة الصحراء.

ويعتبر سنام الجمل مكانا لتخزين الدهون المتحولة من فائض طعامه، أما أرجله فإنها مزودة بأخفاف للسير على الرمال بسهولة، في حين أن عيونه قادرة على الرؤية بأصعب الظروف لوجود رموش تقيه الغبار والرمال المتطايرة.

وجاء في السنة النبوية الكثير من الأحاديث عن الإبل وأهميتها وكيفية التعامل معها.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في الجدب فأسرعوا عليها السير». أخرجه أبو داود (٢٥٦٩)، وأحمد (٨٤٢٣) باختلاف يسير، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (٣٥/٣) واللفظ له.

وروى عروة بن أبي الجعد البارقي أن رسول الله ﷺ قال: «الإبل عز لأهلها. والغنم بركة، والخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». أخرجه ابن ماجه (٢٣٠٥) واللفظ له، والبزار (٢٩٤٢)، وأبو يعلى (٦٨٢٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم. صحيح البخاري (٣٣٠١).

أحمد نصيب علي حسين
باحث أسري



كيف نقتلع المشكلات الزوجية من جذورها؟

من أعظم النعم التي خص الله بها بني آدم نعمة العقل، فالعقل إذا اهتدى بشرع الله الحكيم، وسار على هديه القويم، عاش المرء بسببه حياة هانئة، وذاق طعم السعادة الدنيوية، وفاز في الآخرة بالجنة ورضا رب العالمين، ومن أهم خصائص العقل التي تسعد الإنسان الاتعاظ بالغير، والاستفادة من تجارب الآخرين، وعدم تكرار أخطائهم، وفي هذا المقال نذكر أصولا مستفادة من تجارب السابقين في المشكلات الزوجية، من اتبعها اقتلع المشكلات الزوجية من جذورها، وجنب نفسه وبيته عشرات المشكلات، ولم يبق أمامه سوى المشكلات الصغيرة التي لا يخلو منها بيته ولا تضره، بل هي من طبائع الدنيا التي لا تخلو من مكدرات، ولا تصفو منها إلا الجنة. هذه الأسباب من اتبعها صفت له حياته الزوجية من المشكلات المتكررة، لأنه اقتلع جذورها التي تنمو بسببها المشكلات، والسعيد من راعى جميع تلك الأسباب، ولا ينبغي للبعض أن يقول أن ما ذكرته ليس حراما أو غير واجب، وإنما الحديث عن الأسباب التي تجنبك المشكلات ولو لم تكن من الواجبات، ومن أراد أن يخالف بعضها من أجل بعض المغانم فليعلم أن الغنائم بجوارها الغرائم، كمن يريد المال فيختار زوجة عاملة، فلا يأت يشكو من مغبة ما صنع فإنما يشكو صنيع يده.

أولا: التمسك بجميع أحكام الشريعة الإسلامية في جميع الشؤون: هذا هو صمام الأمان من جميع المشكلات الزوجية، فأساس المشكلات وبداية الأزمات هو مخالفة شرع الله ولو في بعض الأمور، فشرع الله متكامل، والله لم يشرع أمرا عبثا، بل كل أمر أو نهي له مصلحة، لذلك من أراد التخلص من جميع المشكلات الزوجية ما عليه إلا التمسك بشرع الله في جميع شؤونه، وصدق الله إذ قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٤).

ثانيا: اختيار زوج صالح ذي خلق حسن قادر على تحمل المسؤولية: وهذا من أهم الأشياء من أجل اقتلاع المشكلات من جذورها، فالزوج الصالح تطيب حياة الزوجة



معه، وصاحب الخلق الحسن تنعم بصحبته، والقادر على تحمل المسؤولية يجنب الأسرة الأزمات والمشكلات؛ لذلك قال النبي ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد»، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه»، ثلاث مرات[1].

ثالثا: اختيار زوجة صالحة من بيت يقوده أب عاقل صالح: وهذا يساهم في استقامة الزوجة وعدم افتعال المشكلات، واستطاعة منع المشكلات من بدايتها، وحسن التفاهم مع والد الزوجة، وللأب العاقل له تأثير عظيم على ابنته واختياره الزوج الصالح لها، ويساعد في تقويمها عند الاعوجاج، ولا ينبغي ألا يغتر بمن ظاهرها الصلاح، بل يفتش في أمرها وهذا يقال في أمر الخاطب أيضا فلا تغتر المخطوبة بمن ظاهره الصلاح دون التحري الجيد، فالغالب أن الناس لا يعرف حقيقتهم إلا من عاشرهم واقترب منهم.

رابعا: اختيار زوجة لا تعتنق الافكار النسوية بنوعيها: سواء الغربية أو المتدثرة بالشرع زعموا، فالفكر النسوي لا يتوافق مع الإسلام، ويجعل الحياة الزوجية شقاء، فهو ضد القوامة وطاعة الزوج وقيادته للأسرة، والنسوية المتدثرة أشد شرا من النسوية الغربية لأنها تريد حقوقا للزوجة دون واجبات، وأن تأخذ السلعة دون أن تدفع الثمن، كالتاجر الذي يريد غنما دون غرم، ومعرفة أن المخطوبة تعتنق الفكر النسوي سيظهر في بعض فلتات لسانها وفكرها وفي صفحة التواصل الاجتماعي الخاصة بها، وينبغي أن يتحرى المقبل على الزواج كثيرا في هذا الأمر، فالفكر النسوي قد أضل كثيرا من النساء وصرفهم عن المحجة البيضاء.

خامسا: اختيار زوجة غير عاملة: وهذا يجنب الأسرة العديد من المشكلات سواء الصراع على راتبها بين الزوجين، وفي إعداد الطعام وتقصيرها في بيتها وكثرة خروجها وغير ذلك، وبيتها اولى بها، ولست أقول أن عمل المرأة المنضبط بالشرع عيبا ولكن ولو كان مباحا لا سيما في حالة عدم حاجة الأسرة إليه، فهو يوقع الأسرة في عدة مشكلات والحكيم من وعظ بغيره، ومن اختار زوجة عاملة فليعلم أن سيظفر بربع زوجة، فلن يجمع الله له بين زوجة كاملة والمال الذي يريده.

سادسا: اختيار زوجة لا تفوقه ماليا أو ثقافيا أو اجتماعيا: فالناس رجالا ونساء يتطلعون للترقي في حياتهم والتطلع للأحسن، فإذا اختار الزوج امرأة تفوقه في بعض هذه الجوانب قد لا يأمن أن تزهد فيه أو تتطلع لغيره من الرجال، واختيار زوجه لا تفوقه من مراعاة التناسب المطلوب بين الزوجين، ورحم الله امرئ عرف قدر نفسه.

سابعا: اختيار زوجة ليست عنيدة أو متسلطة: وهذا يجنب الأسرة الصراعات والدخول في النزاعات حول قيادة الأسرة ويجنبها العديد من المشكلات، فعناد الزوجة يكدر حياة الأسرة فتجنب هذه النوعية من النساء من البداية أولى، والتزوج بواحد لينة ارفق به وبالأسرة، وأصلح لأولاده في التربية.

ثامنا: الاتفاق على بنود الميزانية المالية أول الزواج: وهذا من أهم الأمور التي تقي الأسرة النزاع حول النفقات، فينبغي للزوج أن يتفق مع زوجته على بنود الميزانية المالية للأسرة، ويضع بندا للطوارئ وبندا للادخار غير بنود الأسرة، وينبغي له أن يرفع من نفقاتها مع ازدياد الغلاء، وينبغي للأب أن يكون وسطا بين التبذير والاقتار.

تاسعا: البعد عن الاقتراض لعلاج المشكلات المادية: فالأفضل للأسرة أن تعيش حياتها وفقا لإيراداتها ولا تتطلع لما فوق طاقتها المالية، حتى لا تقع في الاقتراض مما يرهق الأسرة ويكثر من همومها، بل قد يجعل الزوج يلجأ للطرق المشبوهة والمحرمة لسد عجز الميزانية الأسرية.

عاشرا: عدم اتخاذ الزوج السفر الطويل وسيلة للعمل دون أخذ أسرته معه: فسفر الزوج كثيرا قد يساهم في فتنة الزوجة وانحراف الأبناء، والزوجة في الغالب لا تستطيع قيادة الأسرة بنفسها، ومن اتخذ السفر وسيلة لكسب لقمة العيش فعليه أن يأخذ أهله وأسرته معه ليقهم الأخطار، لا سيما في هذا العصر الذي انتشر فيه أسباب

الانحراف، وأصبح سلوكه من أيسر الأشياء.
الحادي عشر: الاشباع العاطفي المتبادل: فينبغي أن يضع الزوجان هذا الأمر نصب أعينهما، ويحرصا على تغذيته عبر الكلمات واللمسات واللقاءات والحوارات الحميمية، فالمرء لا يتطلع للحرام إلا إذا حرم من الحلال.
الثاني عشر: عدم ادخال أطراف خارجية بينهما وقت النزاعات إلا الحكيم الصالح: فكثرة الأطراف لا سيما إن كانوا من الأقارب الغير حكماء قد يزيدون المشكلات ويفسدون العلاقات، فلا ينبغي الإكثار من الأطراف التي تصلح بينهما، والحرص على اختيار من يصلح لذلك، ولا يفشي الأسرار.
الثالث عشر: الاتفاق على أسلوب التربية: فلا ينتهج الأب أسلوبا غير أسلوب الأم، بل يتفقا على ذلك، حتى تكون الجهة واحدة والمنهج التربوي واحد، ليقطفا الثمرات ويتجنبا العقبات والمشكلات.
الرابع عشر: وضع حد لاستخدام الهاتف بالبيت: فإدمان الهاتف من أحد الزوجين يساهم بشكل كبير في كثرة المشكلات الزوجية، فينبغي للزوجين أن يضعا حدا لذلك، فوقت الأسرة لا ينبغي أن يزاحمه الهاتف أو غيره من سائر الملهيات.
الخامس عشر: الاحتفاظ بالأسرار الزوجية: فالأسرار الزوجية من جملة الأمانات التي لا يجوز إفشائها، بل وحفظها وصونها يضمن عدم حدوث المشكلات المستعصية والجراحات النفسية المؤثرة التي لا تندمل سريعا.
السادس عشر: متابعة الزوج لأهله وأولاده: وهذا يجنب الأولاد الوقوع في مشكلات سلوكية أو دراسية أو فكرية، ويسهل علاج المشكلات في مهدها قبل كبرها.
السابع عشر: عدم ترك الملفات الأسرية مفتوحة دون علاج أو حل: فالمشكلات الأسرية لن تحل من تلقاء نفسها، فلا بد من علاجها وحلها وغلقها حتى لا تؤدي للانفجار بعد ذلك، وترك دون علاج قد يعقد ويساهم في تعسير علاجها.
هذه سبعة عشر سببا تقتلع المشكلات الزوجية من جذورها، وما سوى ذلك من المشكلات إنما هي كالأشجار التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلن تضر البيت المسلم، فهي هفوات لا تخلو أسرة منها، رزقنا الله وإياكم السعادة الزوجية ووقانا شرور المشكلات.



الهوامش

١- سنن الترمذي، (ج٣، ص ٣٨٧، ح ١٠٨٥)، نسخة برنامج المكتبة الشاملة، وحسنه الشيخ الألباني في كتاب إرواء الغليل في تخريج منار السبيل (ج٦، ص٢٦٦، ح١٨٦٨) (ط٢)، للمكتب الإسلامي ببيروت، (عام: ١٤٠٥، الموافق: ١٩٨٥م).

هبه فوزي
باحثة تربوية



اختلاف ألوان النباتات حكمة ربانية

من الأسئلة التي يسألها الطفل لأمه، لماذا لم يخلق الله ألوان النباتات لونا واحدا؟

ومن منطلق حق الطفل في المعرفة، تقدم له الإجابة التي تجعله سعيدا بإضافة معلومات جديدة له تشير إليها الأم في البداية، أن الله خلق كل شيء في هذا الكون من أجل صالح وخير الإنسان، وأرشده إليه.

توضح له الأم وبأسلوب بسيط يتناسب مع المرحلة العمرية، أن كل نبات له لون يميزه عن غيره، وأنه يتمتع بميزات صحية يحتاجها الإنسان، وأن هناك ألوان تعرف بالألوان الموجبة مثل: الأحمر، البرتقالي، الأصفر والأسود، وأخرى تعرف بالسالبة مثل الأزرق، الأخضر والبنفسجي.

فاللون الأحمر يفيد البشرة ويزيد من مناعة الجسم، ويوجد في الطماطم والتفاح، ولكن دون إفراط في تناولها ويعد رمزا للطاقة والحيوية والتفاؤل. أما اللون البرتقالي والذي يوجد في البرتقال واليوسفي فإنه يقي من الإنفلونزا ونزلات البرد.

والأصفر الذي يوجد في الجزر يفيد في الحفاظ على قوة الإبصار. وبالنسبة للون الأخضر فإنه يساعد على الإحساس بالتوازن والعطاء، وهو يوجد في الكثير من الخضر والفاكهة.

واللون الأبيض يساعد على الإحساس بالصفاء، كما يعكس أشعة الشمس صيفا، ويستخدم في طلاء الجدران، ولون الملابس، ويوجد في الباذنجان الأبيض على سبيل المثال.

ومن الجدير بالذكر أن اللون البنفسجي الناتج عن خلط اللونين الأحمر والأصفر يساعد على تنمية القدرة الذهنية للإنسان، كما أنه يرتبط بالتفكير والخيال والحكمة والرقي ويوجد في الباذنجان والتوت والعنب الأسود.

واللون البني الذي يوجد في الشاي والبُن، أهمية كبيرة حيث ينقي الجسم من الشوائب ويقيه من الأورام، تلك حكمة الله في تعدد ألوان النباتات، ولذا تنصح الأم طفلها بتناول كل أنواع الخضر والفاكهة، وخاصة في السنوات الأولى من عمره، للاستفادة من فائدة ومزايا كل نوع.



يسري محمد
كاتب وباحث في العلاقات الإنسانية



أولادنا والموبايل

أصبحت الهواتف والأجهزة الذكية من أساسيات حياتنا اليومية، وهي الوسيلة الأهم في التواصل الاجتماعي واكتساب المعرفة ومتابعة الأخبار، فبرغم أن الهواتف الذكية سهلت الحياة بشكل كبير إلا أنها سببت العديد من الأضرار حيث باتت الأخطر على الصحة النفسية والعقلية وبصفة خاصة الأطفال الذين باتوا أكثر التصاقا به من إبهار وألعاب جديدة تجعل صغار السن أكثر تعلقا به.

لذلك ما هو الأثر الخطير لاستخدام أطفالنا للموبايل؟

ووفقا لما توصلت إليه أحدث نتائج الأبحاث العلمية وما يتردد على المواقع الطبية من التأثير الخطير لاستخدام الأطفال للموبايل فإنهم يواجهون مخاطر كبيرة أكثر من البالغين وبشكل مضاعف، حيث سببت الثورة المعلوماتية والتقنيات الحديثة والفضاء الواسع من الإنترنت والإلكترونيات والتقنيات

التي تتطور على مدار الساعة، خصوصا المنصات الاجتماعية والألعاب الذكية التي قد يصل عدد المشتركين والمتابعين لها إلى مئات الملايين من البشر بمختلف الأعمار السنية والشرائح العمرية، ولما كان الإنترنت حديث العهد بالواقع، فتربية الأولاد عليه بشكل معتدل مهم ومطلوب، فالعالم يتغير ووظائف اليوم لن تكون كالغد، وعليه فالأمر يستلزم إلماما بكل التحديثات والتقنيات التي تتم كل دقيقة.

أثر التطور التكنولوجي على أطفالنا

لكن الآن ما يحدث من تطور تكنولوجي يجعلنا نتحدث عن هذا الموضوع من جهة أخرى وهي إدمان واستمرار استخدام عالم الإنترنت عند الأطفال، فهذا الموضوع خطير جدا ويجعلنا كمتخصصين نتحدث في إطار الأطفال وإطلاق إنذارات التحذير؛ لأن إدمان الإنترنت والألعاب الذكية موضوع خطير مهما كان تفاخر الآباء ببراعة الأبناء في فهم التقنيات الحديثة وأجهزة الموبايل والحاسوب، وسعيا منا للحد من الإدمان العجيب للأطفال وتعلقهم الشديد بالإنترنت وتعلقهم بالألعاب عليه فإننا سنذكر في هذا المقال الأسباب الحقيقية والمظاهر الواضحة لتطور هذه العلاقة من فضول بسيط حتى وصلت للإدمان.

حيث نشرت دراسة أمريكية عام ١٩٩٤م من قبل عالمة النفس الأميركية كيمربيل يونغ Young K، حيث تشير إلى أن الجلوس أمام الهاتف والمواقع الإلكترونية لأكثر من ٣٨ ساعة خلال الأسبوع يعتبر إدمان للإنترنت، لذا ينصح الأبوين بضرورة الانتباه على الأطفال وتنظيم عدد ساعات بقائهم على الهاتف، إذا لاحظت أن ابنك أصبح مدمن على الهاتف والإلكترونيات توجه بطلب المساعدة من أحد المتخصصين في الأمراض الشائعة للصغار مثل إدمان الأطفال للإنترنت.

أولا: الأسباب الحقيقية وراء تعلق وإدمان الأطفال على الإنترنت:

١- اقتداء الأطفال بوالديهم:

حيث إن الأطفال تتبع ما يفعله والديهم، فعندما يرى الطفل والده ووالدته ويجدهم ينظرون إلى جوالاتهم ويكون ذلك بسبب إشعارات مواقع التواصل الاجتماعي، لهذا يشعر الطفل بأنه يريد أن يكون مثل والده ويمتلك جوال لكي ينشغل به كما يفعل والده، ويتمنى أن يعطيه الأب بعضا من وقته أو يهتم به كما يهتم بجهازه.

لذلك تتحول أسرة هذا الطفل إلى أسرة مفككة وعلاقات جافة بسبب انشغال أفراد الأسرة بالتكنولوجيا لفترات طويلة، لهذا يجب على الآباء والأمهات الاعتدال في استخدام التكنولوجيا والاهتمام بأطفالهم.

٢- شد انتباه الأطفال عن طريق المحتوى الإلكتروني الجذاب:

في عالم الإلكترونيات الحديثة والألعاب الذكية نجد الطفل ينجذب انتباهه إلى كل شيء يتحرك وذو ألوان براقة، لذلك يجد الطفل متعته في هذه الألعاب الإلكترونية، فلا يهتم بكم الوقت الذي يقضيه أمام الحاسوب أو الهاتف الذكي متنقلا بين مواقعه وألعابه فرحا بنظامه التكنولوجي، سعيدا بما يحققه من تواصل أو مكاسب في الألعاب.

٣- توافر أحدث التطبيقات التي تلفت انتباه الأطفال:

نظرا لأهمية الدور التي تقوم به التطبيقات التكنولوجية في مراحل التعليم عامة ومرحلة الأطفال خاصة، ونتيجة توافر أحدث التطبيقات التي تشد وتجذب انتباه الأطفال فإن تأثر الأطفال بهذه التطبيقات التكنولوجية بما فيها من برامج وتقنيات ومنتجات تعليمية متعددة تعمل على شد انتباه الأطفال إليها بطريقه شديدة، واحتياج الطفل في هذه المرحلة إلى تطوير وإحداث النمو المعرفي لديه يجعلنا نهتم بهذه التطبيقات ومعرفة الأطفال بها وتدريبهم عليها.

٤- توافر الإنترنت لدى الأطفال:

إن الإنترنت اليوم في كل بيت بعروض سهلة ويسيرة خصوصا مع كمية التنافس الرهيب بين الشركات والتي تستهدف المتابعة والاشتراكات الأكثر من الأسر، لذلك فالأجهزة موجودة في كل بيت في مكان ما من زواياه، وأصبح الإنترنت في اليد متنقلا مع صاحبه فلم يعد هنالك مجهود شاق، بل كل ما هنالك هو تشغيل البيانات أو وضع الرقم الخاص بشبكة الإنترنت ثم يبدأ التحليق في هذا الفضاء بمنتهى

اليسر والسهولة.

سهولة استخدام وتوافر الإنترنت وتوفيره في المنزل اعتقادا من الآباء أنه وسيلة آمنة لترفيه وتثقيف الأطفال.

٥- الملل والفراغ الزائد لدى الأطفال:

الملل والفراغ الزائد يدفع الطفل إلى سد هذا الفراغ بالألعاب الذكية الإلكترونية، والتصفح على الهاتف الذكي والكمبيوتر لساعات متواصلة وطويلة.

فقد أدى انتشار الكمبيوتر وألعاب الفيديو والإنترنت في السنوات الأخيرة إلى بروز دورها بوضوح في حياة الأطفال حتى باتوا يفضلونها، واعتادوا ممارستها لتطغى وتفرض نفسها عليهم، بحيث إننا نستطيع القول إنها أصبحت جزءا من نمط حياتهم اليومية حيث إنهم يستخدمونها لسد فراغهم.

ثانيا: مظاهر الإدمان الإلكتروني لدى الأطفال على الإنترنت:

لقد أثبتت الدراسات أن للإنترنت بعدا نفسيا أعمق وأبعد أثرا من وسائل الإعلام الأخرى، فبدلا من أن تصبح تكنولوجيا الإنترنت هي المنقذ في هذا الزمان السريع التغير نجد أن الإدمان على الإنترنت أصبح من أمراض العصر المزمنة متجاوزا بذلك بعض أنواع الإدمان الأخرى مثل الإدمان على الكحول والإدمان على المخدرات لذلك فهو مرض عصري خطير.

لذلك نجد أن مظاهر تعلق الأطفال بالإنترنت متعددة ومنها مور بسيطة للغاية ربما لا يلتفت إليها الوالدان أو يظنان أنها أعراض الإدمان، ويكون الأمر عندهم شيئا عاديا بلا خطر أو مشاكل، لكن الواقع عكس ذلك تماما وعليه فإن هذه المظاهر تتمثل بالآتي:

١- إن إدمان الأطفال على الإنترنت يجعلهم يفقدون شهيتهم للطعام ويظلون ساعات طويلة بدون طعام ولا يجعلهم يشعرون بالجوع أصلا، وذلك بسبب تفكيرهم الزائد في ألعابهم الإلكترونية وانتظارهم لرسائلهم بينهم وبين أصدقائهم.

٢- بحث الأطفال عن أماكن أخرى يتواجد بها إنترنت لكي يلعبوا ألعابهم الإلكترونية بعيدا عن تحكم والديهم وهذا يجعلهم يخرجون كثيرا خارج البيت.

٣- إدمان الإنترنت يجعل الأطفال يكذبون حيث إنهم دائما يقولون بأن لابد وأن يكون لديهم أجهزة الحاسوب والجوالات بدعوى الخصوصية وأن لديهم ما يهتمون به من الأمور الخاصة مثل أن المدرس سيرسل لهم شيئا عبر الإنترنت وهذا كله بسبب إنهم يريدون أن يلعبون ألعابهم الإلكترونية.

٤- شعور الأطفال بحالة من الحزن بسبب عدم توفر الإنترنت لأي سبب من الأسباب مثل حدوث عطل في الشبكة أو انقطاع الكهرباء لفترة من الزمن وهذا يجعلهم في حالة من الانعزال وعدم التحدث مع أحد.

٥- زيادة تواجد الأطفال على أجهزتهم الإلكترونية وذلك بسبب تصفحهم للإنترنت لفترات طويلة.

ثالثا: علاج الإدمان الإلكتروني لدى الأطفال:

١- إيجاد موانع خارجية:

يجب ضبط وقت دخول الطفل إلى الإنترنت بحيث يستخدم الإنترنت ساعة واحدة فقط لا يندمج في الإنترنت بحيث يتناسى موعد مذاكرته وعمل واجباته.

٢- تحديد وقت الاستخدام:

تقليل وتنظيم ساعات استخدام الطفل للإنترنت بحيث إذا كان مثلا يستخدم الإنترنت لمدة ٤٠ ساعة أسبوعيا نقللها إلى ٢٠ ساعة أسبوعيا، وتنظيم تلك الساعات بتوزيعها على أيام الأسبوع في ساعات محددة من اليوم بحيث لا يتعدى الجدول المحدد.

٣- إعادة توزيع الوقت:

نجعل الطفل يفكر في الأنشطة التي كان يقوم بها قبل إدمانه للإنترنت؛ ليعرف ماذا خسر بإدمانه للإنترنت مثل: قراءة القرآن، والرياضة، وقضاء الوقت بالنادي مع الأسرة، والقيام بزيارات اجتماعية وهكذا، ونجعله يعاود ممارسة تلك الأنشطة لعله يتذكر طعم الحياة الحقيقية وحلاوتها.

٤- كن قدوة لأبنائك:

يجب أن يكون والدي الطفل هم قدوته في الحياة، وهذا هو المطلوب؛ فالابن عندما يفتقد القدوة في والديه يذهب لعالم الإنترنت؛ بحثا عما يشغله وهروبا مما يحزنه، لذلك فالقدوة في البيت مهمة جدا في تصحيح مسار الأبناء وأفكارهم وتطلعاتهم.

٥- الأسرة قبل الحاسوب:

إن فرار الأولاد للحاسوب بكل سعادة وفرح، والحزن إن غاب عنهم أو أصابه عطل يجعل الأمر به شيء محزن، وهو أن الحاسوب وفي زحمة الدنيا تحول للحضن الدافئ

والمكان الذي يجد فيه الأولاد راحة بالهم وسعادتهم، وهذا هو الدور المنشود للأسرة في الأصل، وعليه فإن الاحتماء والفرار إلى الأب والأم والأخوة هو المفروض حدوثه؛ فدور الآباء والأمهات في تعديل المسار من الحاسوب إليهم مهم جدا، ومرهون بمدى فهمهم وحبهم ورغبتهم الصادقة في غرس القيم وحماية الأولاد من كل داء مرضي أو إلكتروني.

٦- ثقف طفلك:

إن البيت المسلم اليوم وبفعل الهجمات الغربية عليه أصبح مشغولا بأمور كثيرة، جعلته أحيانا يستغني عن تثقيف أولاده وغرس المعاني البسيطة لهم -حياتيا على الأقل- لذلك يجب على الوالدين تثقيف وتعليم الأبناء بالقدر البسيط في أدوات الإنترنت، هذا طبعا بعد احتراف الآباء لذلك؛ لأن الواقع يقول غير ذلك والعاقبة تكون أيضا غير ذلك، وفي نفس الوقت مطلوب من الوالدين عمل وإنشاء حسابات متابعة لأبنائهم بشيء من الود لا المراقبة، والحب لا التخوين، والاهتمام لا السيطرة، والحرص لا تصيد الأخطاء؛ فتلك منظومة التربية الناجحة.

أثر الذكاء الاصطناعي على الطفل

يشير مصطلح الذكاء الاصطناعي إلى الأنظمة أو الأجهزة التي تحاكي الذكاء البشري لأداء المهام والتي يمكنها أن تحسن من نفسها استنادا إلى المعلومات التي تجمعها، فهو علم إنشاء أجهزة وبرامج كمبيوتر قادرة على التفكير بالطريقة نفسها التي يعمل بها الدماغ البشري، تتعلم مثلما نتعلم، وتقرر كما نقرر، وتتصرف كما نتصرف.

إيجابيات وسلبيات الذكاء الاصطناعي لدى الأطفال

أولا: الإيجابيات:

- دعم نماء الأطفال ورفاهيتهم.
- ضمان تحقيق شمول يضم جميع الأطفال ويحقق مصالحهم.
- إعطاء الأولوية للإنصاف وعدم التمييز بين الأطفال.
- حماية بيانات الأطفال وخصوصيتهم.
- ضمان سلامة الأطفال.
- توفير الشفافية، وإمكانية التفسير، والمساءلة للأطفال.
- تمكين الحكومات والشركات، وذلك من خلال تزويدها بالمعرفة في مجال الذكاء الاصطناعي وحقوق الأطفال.
- إعداد الأطفال للتطورات الحالية والمستقبلية في الذكاء الاصطناعي.

ثانياً السلبيات:

- من العيوب الكبيرة للذكاء الاصطناعي أنه لا يمكنه تعلم التفكير خارج الصندوق.
- التخوف مما قد يترتب على تطبيقات الذكاء الاصطناعي من سلوكيات وممارسات ترتبط بالأخلاقيات والقيم البشرية وأثرها على الطفل.

ختاماً، نحن نكتب محذرين الوالدين بأنه ليس كل تقدم في تعامل الأبناء مع الأجهزة هو تفوق وبراعة وشيء محل فخر لكن قد يكون هناك أمور ملغمة تعكر صفو حياة أبنائهم وتعزلهم في زحمة الحياة وربما يتطور الأمر فتحدث أمور نفسية أو علامات توحد فالحذر هنا مهم والأخذ بالأسباب والتوعية في التربية واجب لا مفر منه، وعلى الرغم من ما ذكر سابقا فإننا نؤكد أنه من المهم أن يتعلم الطفل لكن وفق مراقبة الوالدين.

المراجع

١- بحث بعنوان «استخدام الهواتف الذكية وتأثيرها السلبي على سلوك الطفل».

٢- بحث بعنوان «أثر استخدام الأجهزة الذكية على الصحة النفسية لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة».

٣- بحث بعنوان «المشكلات الاجتماعية المترتبة على إدمان الأطفال على الأجهزة الإلكترونية من وجهة نظر الأمهات».

٤- بحث بعنوان «إدمان استخدام الاجهزة الإلكترونية الحديثة وعلاقته بالتفاعل الاجتماعي والثقة بالنفس» دراسة مقارنة بين طلاب وطالبات المرحلة المتوسطة في مدينة الرياض.

٥- بحث بعنوان «إدمان أطفال الروضة على الأجهزة اللوحية وتأثيراته السلبية».

٦- الكشف عن مستوى إدمان أطفال الرياض على الألعاب الإلكترونية في محافظة ديالي.

٧- بحث بعنوان «إدمان الأطفال والمراهقين على الإنترنت وعلاقته بالانحراف».

٨- دراسة بعنوان «الآثار التربوية والنفسية والصحية لاستخدام الأجهزة الذكية على الأطفال في سن مبكرة».

أحمد عبدالمنعم عيد
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف



الإجازة الدراسية وقت غير مهمل

الوقت سواء أكان لحظة، أو ساعة، أو يوما، أو شهرا، أو عاما، هو عبارة عن ظرف زمني، يملأ هذا الظرف بعمل ما، يستوي في ذلك ما خصص منه لعمل رسمي أو دراسة ما، أو ما كان العمل فيه راجعا إلى حرية الشخص، يختار فيه العمل الذي يشاء، أو ينقطع فيه عن العمل إذا شاء. والله - سبحانه وتعالى - عظم الوقت ككل فلم يترك جزءا دون تعظيم سواء من الليل أو النهار فأقسم -سبحانه- في قرآنه بكل أجزاء الوقت لبيان قيمة الوقت وضرورة استغلاله فقال: ﴿وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④﴾ (الفجر:١-٤).

ففي هذه الآية أقسم الله -تعالى- بالفجر وهو أول اليوم، وأقسم بالليالي العشر والليل، فأقسم الله -تعالى- بأول اليوم وآخره، وأقسم كذلك بما بينهما، وأقسم بالضحى: ﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ②﴾ (الضحى:١-٢).

وأقسم -سبحانه- بالعصر فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾ (العصر:١-٣).

إلى غير ذلك من الآيات التي أقسم فيها رب العباد بأجزاء مختلفة من الوقت للفت انتباه الناس إلى أهمية الوقت وضرورة استغلاله، فما العمر إلا وقت طال أو قصر كما يقال: العمر أنفاس معدودة في أماكن محدودة.

والخلاصة أن الوقت لا يوجد منه ما هو مهمل وما هو محل



اعتبار فيستغل، ولكن يوجد وقت تم تخصيصه لعمل ما، ووقت تم تخصيصه لعمل آخر من ذلك أوقات الدراسة وأوقات الإجازة الدراسية فهي وقت، أحدها خصص للدراسة الإلزامية التي يفرض على الطالب فيها نوع معين من الدراسة، والإجازة المدرسية هي قطع للإلزام الدراسي وبداية لفعل ما يحب الإنسان بلا إلزام، وقت للهواية التي ليس محلها الدراسة، وقت للهو مباح لم يكن وقت الدراسة يسمح به.

وعلى هذا فإن الإجازة الدراسية محل اعتبار يجب استغلالها شأنها شأن أوقات الدراسة، وعلى ولي الأمر أن يساعد ابنه على ترتيب الإجازة وما يجب أن يفعله الطالب في هذه الإجازة بالمشاركة مع الطالب، لا يغفل الوالد فيها التحصيل العلمي فالعمل لا ينقطع بانقطاع الدراسة وإنما هو عمل مستمر نكتسبه من مدرسة ومن قراءة حرة، ومن مجلس علم، ومن خبرات تكتسب، فيحدد الوالد بالمشاركة مع ولده كتابا أو أكثر يقرأه، ثم تتم المناقشة فيه وبيان مدى استفادته من هذا الكتاب.

فتكون الإجازة وقتا لتنمية الملكات واكتشاف المواهب وصقلها كالإلقاء والخطابة وأنواع الرياضات التي قد يبرع فيها الولد، وهذا لا يعد لهوا بل هو دين فكل ما يساعد المسلم على تنمية عقله وبناء جسمه مأمور به في دين الله وشاهده النبي ﷺ وارتضاه، فقد رأى الأحابيش يلعبون بالعصي في المسجد، فوقف ينظر إليهم، وسمح لأمنا عائشة بمشاهدتهم، وسابق النبي ﷺ أمنا عائشة، فسبقها مرة، وسبقته أخرى.

كما يمكن استغلال الإجازة الدراسية بتعويد الابن على تحمل المسؤولية بأن توكل له بعض الأمور التي لم يكن يفعلها بسبب الانشغال بالدراسة وضيق الوقت كالتسوق والقيام ببعض الأمور كالواجبات الاجتماعية مثلا والأعمال المنزلية التي يستطيع القيام بها.

حفظ القرآن وتحديد قدر معين لحفظه وفهمه قدر المستطاع، والحمد لله معظم المساجد بها حلقات، إما تابعة لجمعيات خيرية أو تابعة لوزارة الأوقاف وجميعها متاحة للجميع.

المهم ألا يوضع في نفس الأبناء أن الإجازة عبارة عن وقت مهمل لا قيمة له، ولا يجب أن يستغل فيخرج من إجازته بلا فائدة، وإذا كانت الدولة رتبت وقت الدراسة وحددت المناهج والمقررات التي تدرس، فإن الإجازة الدراسية مسؤولية أولياء الأمور، فعليهم أن يساعدوا أبناءهم على وضع جدول نافع خلالها لتعظيم الاستفادة منها.



عبدالسلام الشبراوي
باحث دراسات إسلامية



أنشطة صيفية في الكويت

ما إن تنتهي فترة الدراسة وتبدأ العطلة الصيفية حتى يبدأ الآباء والمربون في إلحاق أبنائهم ببرامج الأنشطة الصيفية للاستفادة من أوقات فراغهم بما ينفعهم ويفيدهم ويحقق لهم إشباع رغباتهم وتنمية مواهبهم العلمية أو الرياضية أو غيرها.

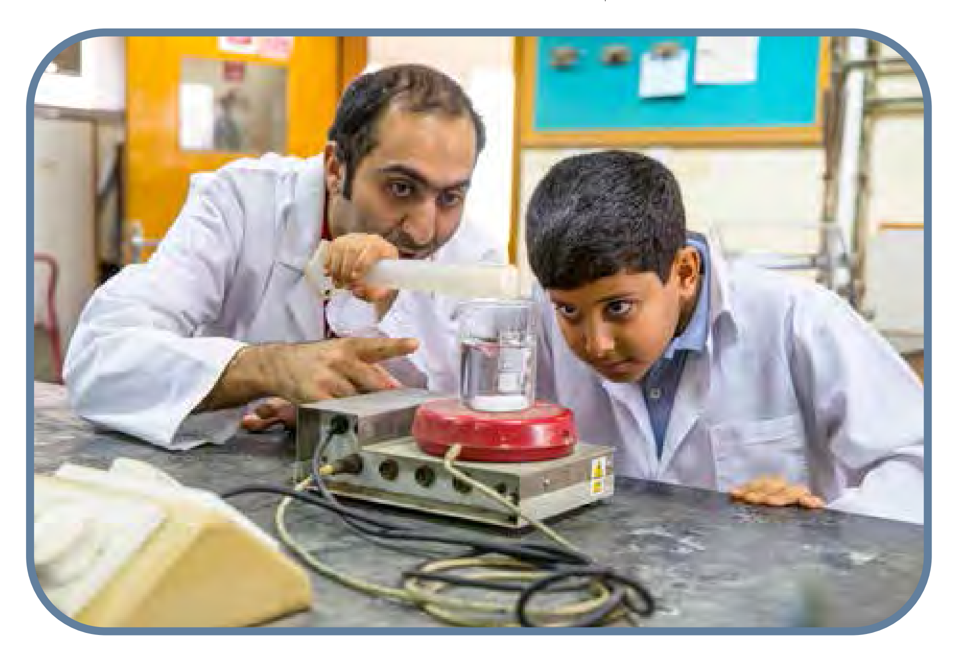
وفي الكويت تتنافس كثير من الجمعيات والهيئات والأندية على جذب الشباب إليها، ففي مجال حفظ القرآن الكريم تقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دوراتها الصيفية لحفظ القرآن الكريم ومراجعته من خلال إدارة الدراسات الإسلامية وشؤون القرآن الكريم في المساجد التي تضم عشرات الحلقات القرآنية ويستفيد منها آلاف الطلاب حفظا ومراجعة وتجويدا وإتقانا، وتغطي مشروعاتها الصغار والكبار بداية من حلقات التأسيس لتعليم القراءة والكتابة لسن ما قبل المدرسة، ومشروع القارئ الصغير لتقوية

الطلاب في القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وتمتد لتشمل الطلاب في مرحل الدراسة المختلفة، وتشمل أيضا الكبار من خلال حلقات خاصة بهم.

ومن بين الجمعيات التي تنشط في مجال حفظ القرآن جمعية «حفاظ» التي قدمت خلال العام الماضي أكثر من ٢٠ ألف مستفيد من مشاريع حفاظ داخل الكويت، منهم أكثر من ٤٠٠٠ طالب وطالبة أصبحوا يقرأون من المصحف لأول مرة، وأكثر من ٨٠ طالبا وطالبة ختموا القرآن الكريم، في حين بلغ عدد حلقات الجمعية ١١٠٣ حلقة قرآنية موزعة على مختلف مناطق الكويت.

وأطلقت «حفاظ» برنامج الحفظ الحر للقرآن الكريم، وذلك لخدمة الطلاب الجامعيين، والموظفين، وكبار السن، الراغبين في حفظ أو مراجعة القرآن الكريم، عن طريق التعليم عن بعد، على أيدي محفظين متقنين، مجازين بقراءة وإقراء القرآن الكريم بالسند المتصل إلى النبي ﷺ.

وفي المجال العلمي أسست الكويت النادي العلمي الكويتي في ١١ أغسطس ١٩٧٤ بهدف المساهمة في نشر الثقافة العلمية بين فئات المجتمع، والعمل على زيادة المستوى العلمي والكفاءة العلمية لدى المنتسبين في التخصصات المختلفة، وتهيئة ورعاية البيئة العلمية المناسبة، وتوثيق وتعزيز القيم الدينية والأخلاقية والتربوية والوطنية بين أعضاء النادي العلمي، والمساهمة في اكتشاف ميول المنتسبين وتوجيهها التوجيه السليم، إضافة إلى توثيق العلاقة بين النادي العلمي والأندية والمؤسسات العلمية الأخرى المحلية والعربية والعالمية، وتنمية الاتجاه العلمي بين أعضاء النادي، وملء وقت الفراغ عند أعضاء النادي بشيء مفيد.



وللنادي العلمي الكويتي دور بارز في تدريب الشباب على ممارسة الهوايات العلمية والتعلق بها، ويقدم النادي لمنتسبيه مجموعة من الأنشطة منها إقامة المعسكرات والملتقيات والندوات والمحاضرات والمسابقات والمعارض والرحلات العلمية، وتدريب الشباب على التعايش مع الوسائل والآلات والأدوات في ورش العمل على الأعمال والمهارات والفنون العلمية في الأقسام والفروع القائمة في النادي، كما يشرف على إعداد وتنفيذ الأنشطة العلمية المختلفة التي تساعد بالتدريب على البحث العلمي والتجارب والأبحاث والمشاريع العلمية عن طريق العمل الجماعي أو فريق العمل أو الأنشطة الفردية، بما يحقق التعاون والاتصال بالمؤسسات العلمية المختلفة التي تساعد في تنمية المواهب والمهارات العلمية.

علاء الدين حسن
باحث دراسات إسلامية





كيف يستفيد أبناؤنا من أوقات فراغهم؟

على سواعدهم تزدهر الحضارات، وبهم يتحقق الحق.. هم صانعو الأفكار، وعصب الحياة، ومعقد الآمال، وهم أصحاب همم عالية.. وقد تحدث القرآن الكريم عن أصحاب الكهف؛

فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ (الكهف:١٣).

ومرحلة الشباب هي أهم مراحل العمر؛ فيها يكتمل بناء الشخصية، وتوضع اللمسات النهائية؛ إنها مرحلة غالية غلاء الذهب والماس، والواجبات أكثر من الدقائق والساعات، وكل دقيقة تمر من حياة الإنسان لا تعود مرة ثانية؛ فإن استثمرت في خير عادت بالخير، وإن ضاعت هباء في عبث أو لهو فلا قيمة للحياة حينئذ؛ فإنما تكتسب الحياة قيمتها من عمل الإنسان وإيمانه.

الشباب نقطة تحول هامة؛ لأنه وسط العمر، ووسط كل شيء خياره؛ فعندما تكون الشمس في منتصف النهار، تكون أحر وأقوى.

الشباب قلب المجتمع النابض بالحياة، وروح العمل المتدفق بالهمة، من أعين الشباب ينبعث نور الرجاء، في صدورهم تجيش عواطف الكرامة، وعلى سواعدهم ترتفع بروج الفخر عالية.

الشباب يصنعون التاريخ بقلوبهم، والعلماء يصنعون التاريخ بعقولهم، والحكماء يصنعونه بأرواحهم؛ فإذا تعاون القلب والعقل والروح على صنع التاريخ، كان تاريخا لا ينطفئ.

على عواتق الشباب تلقى أعظم التبعات، وإليهم تسند أهم الواجبات، وبهم تناط أكمل المسؤوليات. الشباب مرحلة البذل والعطاء.. مرحلة الاعتماد على الذات.

وإذا أردنا أن نمضي مع تربية الشباب، لابد لنا أن نعرف معنى كلمة التربية، فالتربية تعني إصلاح النفس الإنسانية، وتعهدها بتنمية جوانبها الروحية والعقلية والجسمية، وبناؤها على أسس صحيحة إلى حد بعيد. وإهمال تربية الشباب تعود بالخسران على الآباء، وعلى المجتمع، وما أجمل قول الشاعر:

إهمال تربية الشباب جناية
عادت على الآباء بالويلات

وطاقة الشباب تتوسط بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة؛ ولذلك سيسأل كل إنسان عن شبابه فيما أبلاه.

الشباب الذي نعنيه

هو الشباب العامل الذي يسعى إلى العلا؛ باندفاع الصواعق، وسرعة العواصف، فلا يبقى إلا الصالح، ولا يصلح إلا القوي المقتدر.

وما الأمة في مجموعها إلا صغار يتهيئون لمرحلة الشباب، وشباب يأخذون من الحياة مطامحهم ويعطونها من نشاطهم، وشيوخ يهنؤون بأصداء شبابهم.

ولا ريب في أن الشاب يرى أبويه في صورة تنطبع في أعماقه، ويكون صوتاهما هما ألحانه الشجية؛ إنهما صديقاه، وقمراه، وقدوتاه، ومثلاه الأعليان، مدت بينهما وبينه مجموعة من روابط بالغة الإحساس، فهو يحاكيهما، ويقلدهما في أمورهما، وها هنا يستطيع الأبوان أن يزرعا في الأبناء خصال الخير؛ ليكون سلوكهم بين الناس محمودا، ويعلمونهم الاستفادة من أوقاتهم؛ ليكونوا غرسة طيبة في

المجتمع. وقد قال شوقي -رحمه الله:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أما تخلت أو أبا مشغولا

من هنا ينبغي على الآباء أن يوصوا الأبناء بالرزانة والتوقر، وأن يحققوا الوعد ويصدقوا في الحديث، وأن يتشبهوا بأهل العقل والشرف، وأن يتوقوا الفساد والإفساد، وأن يعلموا بأن المطالب المادية ليست وحدها هي المطلوب؛ بل قد يكون الخطر الجسيم في إعطاء الشباب كل ما يرغبون من مال ونفقات.

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

ويمكن أن نعرف وقت الفراغ بأنه: هو الوقت الذي لا يرتبط فيه الإنسان بأداء واجب معين.

وبقدر ما يحسن الإنسان استغلال الوقت؛ تكون نتائجه طيبة وفعالة تسهم في البناء الاجتماعي.

ويمكن القول: إن الفراغ له أثره السلبي في المجتمع؛ إذ إن كثيرا من المشكلات الاجتماعية، لها ارتباط وثيق بسوء استخدام وقت الفراغ، ولاسيما لدى الشباب.

ومن أضرار الفراغ

١- يجعل الإنسان يسير بلا هدف ولا معنى.
٢- يبعث في النفس الملل واليأس.
٣- يدل على ضعف الهمة، وقلة الوعي، وسوء التخطيط.

وتعامل الأسر مع أوقات الفراغ هو جزء من عملية التربية، ويجب على الأسرة استثمار أوقات الفراغ بالشكل الصحيح؛ الأمر الذي ينعكس إيجابيا على حياة الفرد ومستوياته المهنية والشخصية والاجتماعية.

وتتحمل الأسرة مسؤولية الاستفادة الصحيحة من التقنيات الحديثة في إثراء المعارف، لا في مضيعة الوقت، ومساعدة الأبناء على استغلال الوقت مع نهاية كل عام دراسي، وكلما نجحت في ذلك، كان دليلا على تقدمها. وقد ربط الفيلسوف الإنكليزي «برتراند راسل» بين التمدن وحسن استخدام وقت الفراغ، فقال: (إن القدرة على ملء وقت الفراغ بذكاء، هو أحسن إنتاج للمدنية).

وفي الحديث الذي رواه الحاكم: (اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك).

من المهم جدا أن يملأ الشباب أوقات فراغهم بالأنشطة الرياضية والثقافية والتربوية.. وأن نربي عقولهم على الحق، مع الإشارة إلى أن الآيباد والآيفون والشاشة قد تلعب دورا كبيرا في دفع الشباب إلى السلوك المنحرف، وخاصة في عطلة الصيف.

وتكمن الحلول في: الترفيه عن النفس في صورة مشروعة، والمتابعة من الوالدين بحكمة وتوجيه سليمين، وأخذ التدابير الوقائية، وتحميلهم جزءا من المسؤوليات، وتنمية مواهب وقدرات أطفالنا وحضورهم الاجتماعات الأسرية، فالاهتمام بمرحلة الطفولة أبلغ من الاهتمام بالشباب، خاصة وأن الآباء قد لا يستطيعون السيطرة عليهم في هذه المرحلة على وجه التحديد.

والثقافة تعمل على تماسك البناء الداخلي لكل مجتمع بشري؛ حيث يعرف كل فرد موقعه المناسب، وخاصة الشباب، والثقافة تعطي للشباب بعدا نفسيا ممتازا، وتدفعهم إلى إنجاز المفيد لحياتهم ومستقبلهم. ولا يمكن أن يتم عمل اجتماعي، أو فني، أو فكري، خارج دائرة الثقافة.

والدور الإيجابي المؤثر للشباب يتمثل برعاية أصحاب المواهب، وتوجيههم نحو العمل المبدع الذي يجعل من الشباب العقل الراجح. وإن مسألة الاهتمام بتنمية الطاقات البشرية وتوجيهها؛ من أشد المطالب الحيوية في هذا العصر.

ورعاية الموهوبين والاهتمام بهم ما هو إلا تجسيد حي لاعتبار الإنسان قيمة عليا في المجتمع. والموهوبون هم الطاقة الدافعة نحو التقدم والبناء، عن طريقهم يمكن أن تصل الإنسانية إلى أعلى ما تطمح فيه في حقل المخترعات التي تنقل الإنسان إلى الحالة المتقدمة. الموهوبون عدة الحاضر، وقادة المستقبل في مجمل الميادين، وبهم ازدهرت الحضارة، وتقدمت الإنسانية.

والموهوبون يحتاجون إلى رعاية تمكنهم من تنمية طاقاتهم إلى أقصى مستوى ممكن، وهذا يتطلب وجود خدمات متكاملة تتجه إلى تنمية شخصية الموهوب. ومن هذه الخدمات:

١ - إقامة مسابقات أو معارض علمية خاصة بالشباب.
٢ - تزويد المدارس والجامعات بأجهزة علمية يستطيع الشباب الموهوب من استغلالها في عملية الإبداع.
٣ - أن نعرف الشباب المبدع بكل ما يجري في العالم من تقدم في جميع النواحي، العلمية عن طريق الإذاعة والإعلام.
٤ - إقامة دورات صيفية خاصة بالطلاب الموهوبين تحت إشراف أساتذة جامعيين.
٥ - تنمية جميع جوانب شخصية المبدع من خلال رعايتهم والعناية بهم وتوفير، الخدمات النفسية والتربوية والصحية والاجتماعية.
٦ - توفير وتقديم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي.

ولن يبلغ الشباب آماله إلا إذا اتصف بالحكمة والصدق والنزاهة والمروءة والوفاء والإخلاص، ولن يحقق طموحه إلا إذا كان عمله مصحوبا بإرادة قوية واعية؛ وفق مكتسبات العلم والعقل، وشعور بالمسؤولية، وبناء المبادئ على أسس الفضيلة والأخلاق.



عبد الله العلوان
باحث في الفكر الإسلامي

فقه النوازل و تنظيم العمران

يكتسي موضوع القيم في تنظيم العمران، طبيعة نوعية متفردة بحكم الجدة التي يتسم بها المفهوم خاصة من حيث الدلالة ومن حيث ارتباطه بالمنظومة الأخلاقية المؤطرة للفعل والسلوك الإنساني، وهذا الأخير يعمق هذه الأهمية حينما تنسجم القيمة الأخلاقية بالنتاج السلوكي الإنساني في تحقيق العمران وعند اختلال هذا الانسجام تظهر الآثار «السلبية» الناتجة عن غياب هذا التأطير القيمي، فتتجلى الصورة الحقيقة لأهمية القيم في حياة الإنسان.

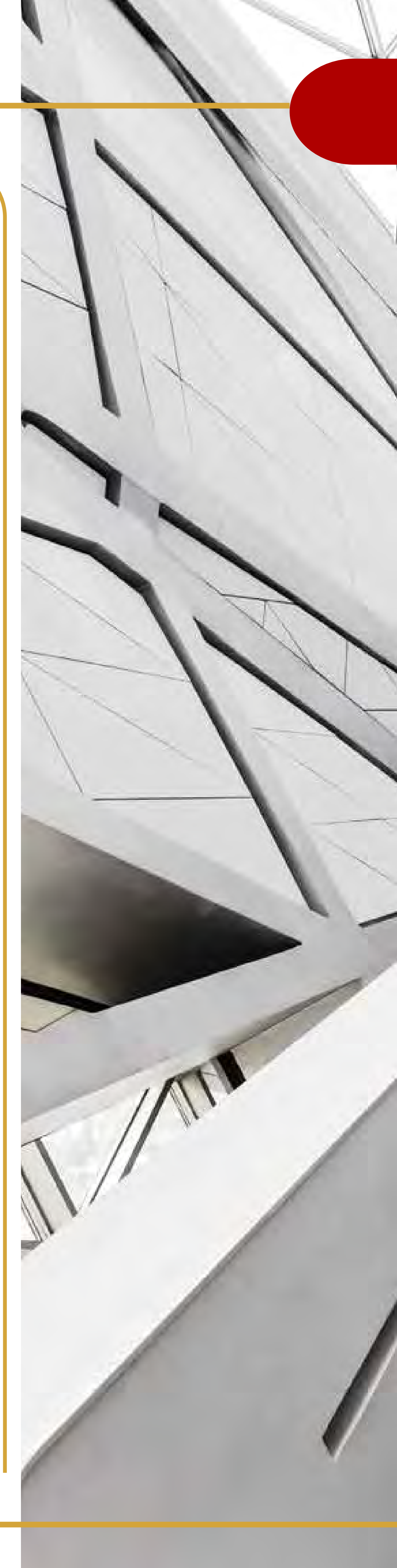
يحتاج الإنسان إلى التساكن والاجتماع مع بني عشيرته، فهو كائن اجتماعي لا يستطيع العيش لوحده ومن تم كان ولابد من الحديث عن العمران، حيث خضع هذا الأخير في تطوره إلى الأحكام الفقهية التي تستمد من قيم الدين الإسلامي وتعاليمه، واستمر هذا التطور مع النوازل الفقهية المستجدة في العصور، فكل عصر له نوازله وقضاياه التي أفتى فيها الفقهاء وبينوا القيم النبيلة فيها مع بيان حكم الشرع في هذه القضايا، لأن العمارة تتأسس على القيم.

إن كثرة النوازل الفقهية في هذا الباب جاءت نتيجة للنزاعات في مسائل البنيان وما رافقها من خصومات وحلول كثيرة، لذلك نجد تصنيفات كثيرة تحدثت عن نوازل الضرر والاستحقاق، ولعل أشهر ما نجده في هذا الباب نوازل الإمام الونشريسي (ت٩١٤هـ)- رحمه الله- في كتابه المعيار المعرب، ذكرت هذه النوازل في الجزء الثامن بنوازل الضرر والبنيان، بل تعدى ذلك إلى الجزء التاسع، وهذا الكم من النوازل ما هو إلا دليل على اهتمام الناس بالعمران وتحقيق الاستخلاف في الأرض.

تستند أسس القيم في الإسلام إلى مصدريه متواترة السند وهي القرآن الكريم والسنة والنبوية الشريفة، مما أضفى عليها الأصالة والمصداقية. بخلاف الأسس التي تقوم عليها القيم في الفكر الغربي المعاصر والتي تتمثل في آراء وأفكار متعارضة متباينة تصدر إما عن العقل القاصر، وإما عن المنفعة الذاتية الزائلة، أو المادة أو غيرها، مع اختلاف في نظرتهم لتلك الأسس وعدم اجتماعهم على أسس موحدة تجتمع الفكر الغربي في بوتقة فكرية واحدة متناسقة قادرة على مواجهة متطلبات الحياة البشرية المختلفة.

إن قيام المجتمعات والأمم على أسس قيمية مصدرها الدين الإسلامي الحنيف، لهو من أكبر العوامل التي تسهم في بناء مجتمع إسلامي متماسك ومترابط تسوده المحبة والإخاء، وتسيطر عليه المصلحة الجماعية مع عدم إغفال المصلحة الفردية الخاصة لكل فرد من أفراد المجتمع، تنطلق منه الأيدي بالإنفاق والعطاء، وتفيض فيه النفوس بالأريحية والأثرة والنخوة، وتوصل فيه الأرحام وتقوى من خلاله الروابط الأسرية والاجتماعية، يحترم فيه الإنسان لإنسانيته، بخلاف المجتمع الغربي الذي تسوده الفرقة والانشقاق وما تولد عن هذه الأسس من حضارة مبتورة ومزيفة حملت للإنسان بذور الانحطاط منذ نشأتها.

إن الحديث عن منزلة القيم في حياة البشر، يعطينا تصورا عاما غير قابل للتخصيص، فالبشر هم من يتواجدون فوق سطح الأرض ويعمرونها، إذن الحديث عن منزلة القيم في حياة البشر سيكون من منطلق تنظيم العمران، وبالرجوع لخلفية المنظومات الأخلاقية ومرجعياتها، يمكننا أن نصنف القيم وفق التعددية البشرية والتنوع المرجعي المؤثر في بنية القيم، فإذا انطلقنا من الرؤية الإسلامية، نجد أنه لا إشكالا قائم في بناء هذه القيم وتفعيلها داخل المجتمع الإنساني وذلك لطبيعة الرسالة الإسلامية ومميزاتها، المنبثقة أساسا من خصائصها الربانية في المصدر والعالمية في الرسالة والمبدأ والشمولية في التشريع والتنظيم لمختلف أوجه الحياة المتعددة، مما أكسب رسالة الإسلام خاصية الشهود



والتميز الحضاري.

أما التصنيف الثاني فيرجع بالأساس إلـى تعاقد مجتمعي حـول مجموعة من القيم التي يمكن تسميتها بالقيم الفطرية، وذلك لإقامة مجتمع متفق على قيم متبادلة... غير أنها قيم تغيب عنها الأبعاد التي تميز التصنيف الأول، فالإسلام دين الفطرة والسجية لكن تبقى النتائج النسبية المترتبة عن تفعيل هذه «القيم» في الإطارين معا مرتبطة في الأول بمراقبة ذاتية ربانية متصلة بمعاني التكليف وواجب الاستخلاف في حين تقتصر الثانية على البعد الظاهر في السلوك المرتبط بالتشريع الوضعي الإنساني.

وتنمو هذه القيم في سياق الاحتكاك العلمي والثقافي والاجتماعي بالأمم والشعوب الأخرى بصفة مباشرة أو غير مباشرة كما أن ترسيخ هذه القيم في بعدها الكوني ينعكس بالضرورة إيجابا على المستويات الأخرى الوطنية والاجتماعية والفردية وهذا مجال اشتغال المشاريع الدولية للتربية على حقوق الإنسان من مرجعيات مختلفة[١].

وفرق الشيخ ابن بيه بين القيمة والخلق قائلا: «الفرق بين الأخلاق والقيم أن الأخلاق تشمل الحسنة والسيئة أما القيم فتختص بالحسنة». وشدد العلامة ابن بيه في محاضرته على أهمية العناية بعلاج أمراض القلوب «المفسدة للأخلاق» معللا ذلك بأن منبت الأخلاق وحديقتها التي تزرع فيها هي القلوب[٢].

ويذكر المهدي المنجرة عالم المستقبليات في كتابه «قيمة القيم» بأن احترام قيم الآخرين شرط أساسي من أجل الوصول إلى فهم نسبية مفهوم القيم الكونية التي تمكن من تسهيل عملية التواصل الثقافي بين الشعوب بدل الإلحاح على التكيف بتقاليد كونية مفبركة ومختزلة على مستوى الزمان والمكان في التاريخ البشري[٣] وقال أيضا: «إني أؤمن بالكونية التي تكون نتاج تداخل وتفاعل للاختلافات، تلك التي ترتكز على العدالة والإنصاف المطبق بدون تمييز عرقي أو عقائدي أو جنسي أو اجتماعي[٤].

بينت دراسة[٥] أن منظومة القيم عند المسلمين في مجموعها قيم دينية، وقد وضعت في ترتيب ضمن قيم تربوية متجانسة:

القيم الإيمانية والقيم التعبدية الأدائية والقيم العلمية والقيم العملية وقيم الدعوة والقيم الأسرية والقيم الإيمانية والأخلاقية والقيم الاقتصادية والقيم القضائية والقيم وقيم الجهاد والقيم البيئية والقيم الجمالية.

فالقيم التي تتجاوز العلاقات الاجتماعية والخصوصيات الحضارية لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم، لتنفتح على البعد الكوني ولتصبح معايير التعامل مع الآخرين باعتباراتهم الإنسانية التي يشترك فيها كل الناس بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية والحضارية، كالعدل والحرية والمساواة في الكرامة الإنسانية، أو الإنصاف والتعارف والتسامح والتعايش والتساكن والسلم بما يعاكس ذلك من الظلم والاستبداد والاستعباد والقهر والميز العنصري.

الهوامش

١- القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، دراسة للقيم الإسلامية واليات تعزيزها ل خالد الصمدي: (ص: ٣٨ - ٣٩) بتصرف.

٢- مقال بعنوان الاخلاق والقيم من موقع لعلامة عبد الله بن بيه، بتصرف.

٣- قيمة القيم، المهدي المنجرة: (ص: ١٠).

٤- المرجع السابق بتصرف: (ص: ١١).

٥- دراسة بعنوان: «القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف، د. قاسم محمد محمود الخزعلي: (ص: ٥٦).

حسن عباس
محرر صحفي



بالشراكة مع جمعية الحكمة الكويتية الخيرية وفريق مبادرات الإيمان

«الأوقاف» تنظم «أسعد تسعد للأيتام»

في أجواء أسرية نظمت إدارة العلاقات العامة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حفل ومبادرة «أسعد تسعد للأيتام ٢١» بالشراكة مع جمعية الحكمة الكويتية الخيرية وفريق مبادرات الإيمان، والتي أقيمت تحت رعاية وحضور وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووزير الدولة لشؤون تعزيز النزاهة السابق عبدالعزيز الماجد، وذلك بمبنى وزارة الأوقاف بمنطقة الرقعي.

وقال الماجد في كلمة ألقاها خلال الحفل إن مبادرة وزارة الأوقاف جاءت بمشاركة مؤسسات المجتمع المدني لرعاية الأيتام، بهدف رسم البهجة والفرحة على وجوههم وإسعادهم، مضيفًا أن هذا الدور الإنساني الاجتماعي الذي تقوم به وزارة الأوقاف إنما يدل على رعاية الوزارة لهذه الفئة وهذه الشريحة من المجتمع.

وأضاف الماجد أن من القيم الجليلة التي دعا إليها ديننا هي رعاية اليتيم وجعل منه مشروع حسنات وباب



خيرات كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان:٨) وتأمل مرافقة الرسول لكافل اليتيم في الجنة في قوله: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار إلى الوسطى والسبابة».

وتابع الماجد أن مبادرة «أسعد تسعد للأيتام» جاءت لتكون رسالة حضارية شاملة تنهض بمستوى الأيتام من خلال الأفراد والمؤسسات الحكومية والمدنية لتقديم الخدمات المثالية الشاملة بهدف دعمه وتوعية المجتمع بدوره تجاه اليتيم والمحافظة عليه لكونه جزء لا يتجزأ من المجتمع، مشيرًا إلى إن معنى كفالة اليتيم في الإسلام تشمل الرعاية الكاملة له بداية من احتضانه وتعليمه، والاهتمام بصحته النفسية والبدنية، وإعداده من الناحية الإيمانية والتربوية وكذلك الاهتمام بالجانب الرياضي للأخذ بيده نحو الفضيلة، وتقويه روحه وعقله.

وفي ختام كلمته توجه الماجد بالشكر إلى كل من شارك في تنظيم هذه المبادرة الكريمة وخص جمعية الحكمة الكويتية وفريق مبادرات الإيمان وإدارة العلاقات العامة بالوزارة والجهات الأخرى المشاركة في نجاح هذه المبادرة التي تنم عن معدن الشعب الكويتي الأصيل، سائلا المولى عز وجل أن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وأن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى.

يذكر أن المبادرة تأتي بالشراكة مع جمعية الحكمة الكويتية الخيرية وفريق مبادرات الإيمان.

التحرير



انطلاق معرض الكتاب الإسلامي.. «القراءة حياة»

تحت شعار «القراءة حياة» انطلقت فعاليات النسخة الـ٤٥ من معرض الكتاب الإسلامي في الكويت الذي نظمته جمعية الإصلاح الاجتماعي بمشاركة ١٢ جهة حكومية و ٤٩ دار نشر من داخل دولة الكويت وخارجها، بالإضافة إلى عدد من الجهات الحكومية، والجمعيات الخيرية الكويتية.

واستمرت فعاليات المعرض لمدة ٧ أيام، بدءًا من ٣٠ من أبريل ٢٠٢٣م وحتى ٦ مايو ٢٠٢٣م في قاعة ٤ بأرض المعارض بمنطقة مشرف يوميا على فترتين صباحية ومسائية؛ من ٩ إلى ١ ظهرا ومن ٤:٣٠ إلى ١٠ مساء.

ويهدف المعرض الذي حظي بمتابعة حثيثة من قطاع الصحافة والمطبوعات والنشر إلى تطوير أساليب القراءة والعمل على تنوع مصادرها عبر دعوة العديد من الجهات من مختلف الأقطار وفي شتى المجالات، بهدف نشر الثقافة الإسلامية، حيث شاركت في المعرض ١٩ دار نشر من داخل الكويت و٣٠ من خارجها، وتم عرض ٧٣٠١ عنوان.

مدير العلاقات العامة والإعلام بجمعية الإصلاح الاجتماعي عبدالرحمن عبدالله الشطي أكد في تصريح له إن الجمعية تعد أول مؤسسة كويتية تقيم معرضا متخصصا للكتاب، وهو معرض



منذ تأسيسها على تطوير أساليب القراءة والعمل على تنوع مصادرها عبر دعوة العديد من الجهات من مختلف الأقطار وفي شتى المجالات بهدف نشر الثقافة الإسلامية، مبينة أنها تهتم بجوانب عدة أبرزها المرأة والطفل والقانون وغيرها من القضايا المهمة.

الكتاب الإسلامي الذي يقام سنويا منذ ٤٤ عاما ولم يتوقف إلا عام ٢٠٢٠ بسبب جائحة كورونا، وقد عاد هذا العام لأداء دوره في نشر الثقافة والفكر الإسلامي الوسطي.

وأوضح أن الجمعية ارتأت تفعيل أنشطة المعرض وزيادتها وإثراءها، خاصة الأنشطة الخاصة بالأطفال، بالإضافة إلى المسابقات والمحاضرات والندوات الجماهيرية، وذلك بمشاركة عدد من الفرق التطوعية والمتطوعين وقطاعات عمل الجمعية، ومنها القطاع التربوي وأمانة العمل النسائي ونماء الخيرية.

وأشار الشطي إلى أن معرض الكتاب الإسلامي لهذا العام اهتم بالتعريف بعدد من القامات العلمية الكويتية إيمانا من جمعية الإصلاح الاجتماعي بأهمية الاحتفاء بأبناء الكويت الذين كانت لهم إسهامات علمية.

من جهته، أكد رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي الدكتور خالد المذكور على هامش افتتاح المعرض على أهمية الثقافة لاسيما لفئة الشباب لإسهامها في تطوير الفكر وترسيخ القيم المتنوعة.

وأضاف المذكور أن الجمعية تسعى

فيما أعرب المذكور عن شكره لوزارة الإعلام على تسخيرها جميع كوادرها لخدمة ودعم معرض الكتاب الإسلامي والعمل المشترك للاهتمام بنشر الثقافة الإسلامية إضافة إلى وزارة الداخلية في تذليل الصعاب أمام المشاركات الخارجية بالمعرض ولجميع الجهات الأخرى المشاركة.

من جهته أكد الرئيس التنفيذي لمؤسسة نماء الخيرية سعد العتيبي أن المشاركة في المعرض تأتي إيمانا بأهمية الدور الثقافي في بناء وتطوير المجتمعات لاسيما أنها تستهدف الفكر والسلوك الإنساني.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

موسوعة تاريخ الحضارات العام



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويأتي كتاب: «موسوعة تاريخ الحضارات العام» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالموسوعة

تاريخ الحضارات العام هو موسوعة تاريخية نادرة، تحت إشراف موريس كروزيه مفتش المعارف العام في فرنسا، ونخبة من أساتذة التاريخ بجامعة السوربون، يتكون من (٧ مجلدات)، يتحدث فيها عن قصة جميع الحضارات البشرية منذ بدايتها وحتى العصر الحالي، يتسم بالمنهج العلمي. موسوعة تاريخ الحضارات العام في مجلداتها السبعة ظهرت باللغة الفرنسية عن مطبوعات الجامعة الفرنسية - باريس سنة: (١٩٥٥م). وهي تعتبر مرجعا هاما ونادرا من مراجع التاريخ العام، تعاضد فريق من الأخصائيين وأساتذة التاريخ في جامعات فرنسا وخصوصا جامعة السوربون العريقة على وضعه على مثل هذا النحو من العرض والتركيز، وهو أقرب لتحليل حوادث التاريخ من السرد المبسط.

المحتوى العام

تتكون هذه الموسوعة من سبعة مجلدات، كل مجلد يتناول من تأليف أستاذ متخصص في تاريخ الحضارات، وقد أفرد كل مجلد بحقبة تاريخية.

المجلد الأول: وهو من تأليف أندريه ايمار - جانين اوبوايه، وقد تناول موضوع الشرق واليونان القديمة.

المجلد الثاني: وهو من تأليف أندريه ايمار - جانين اوبوايه كذلك، وقد تناول موضوع روما وإمبراطوريتها.

المجلد الثالث: وهو من تأليف إدوار بروي، وقد تناول حقبة القرون الوسطى.

المجلد الرابع: وهو من تأليف رولان موسنيه، وقد تناول حقبة القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي.

المجلد الخامس: وهو من تأليف رولان موسنيه - أرنست لابروس، وقد تناول حقبة القرن الثامن عشر ميلادي.

المجلد السادس: وهو من تأليف روبير شنيرب، وقد تناول حقبة القرن التاسع عشر الميلادي.

المجلد السابع: وهو من تأليف موريس كروزيه، وقد تناول حقبة العهد المعاصر.

وقد شملت الموسوعة على أكثر من (٣٠٠) لوحة ومخطوطة نادرة مرفقة مع الموسوعة.

نسخة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة كاملة من هذه الموسوعة التاريخية القيمة، والتي تتكون من (٧) مجلدات، وهي في متناول قرائها الكرام المهتمين بتاريخ الحضارات.

المصادر

- موسوعة تاريخ الحضارات العام.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي

الشاعر والروائي والصحافي

تيسير علي الظبيان

■ عاش في سورية والأردن وزار مصر، وهو شخصية كثيرة المواهب والإبداعات، متعددة الاتجاهات، تجده: كاتبا، صحافيا، مبدعا، سياسيا محنكا، مناضلا، مفكرا، مكتشفا، شاعرا، أديبا مميزا، مربيا وتربويا.

■ من الرعيل الأول ومن أبرز رموز الحركة الثقافية والأدبية التي فاءت ظلالها على الأرض الأردنية الطيبة والدول العربية كافة.

■ على يديه نشأت ثلة من رجالات الأردن الأشاوس الذين تقلدوا مناصب قيادية مهمة في المملكة الأردنية، سواء في الدوائر العسكرية والأمنية والدبلوماسية والثقافية والتربوية والأدبية.

■ شعره في جملته شعر مناسبات؛ وطنية أو قومية أو دينية أو اجتماعية، غير أن الدافع الروحي لديه، الممتزج بالوعي التاريخي والمتعلق بالمثال، يضخ في هذه الأغراض التقليدية قدرا من الحرارة والجدة يتجاوز المعهود لدى شعراء التقليد.. إنه الأستاذ الشاعر الأديب المفكر المربي الفاضل تيسير محمد علي شريف ظبيان.

المولد والنشأة والتعليم

■ العلامة الظبيان من آل الكيلاني، ولد مع بداية القرن العشرين عام: (١٩٠١م الموافق ١٣١٩هـ)، في بلدة «مصياف» التي تقع في محافظة حماة في الجمهورية العربية السورية لأب من أصل دمشقي.

■ والده كان في طليعة رجال القضاء والعلم في الشام.. ونظرا لطبيعة عمله في القضاء وما تقتضيه لوائح النظام العثماني المطبقة في ذاك الوقت، كان دائم التنقل والترحال من منطقة لأخرى؛ فانتقل في بداية الأمر إلى «حاصبيا» ثم بعدها إلى «الزبداني» ثم إلى «النبك»، التي شهدت تعليم الظبيان الأولي، فتلقى في مدرستها، التي كان يرأسها آنذاك الشيخ كامل القصاب، علومه الابتدائية الأولى لمدة أربع سنوات.

■ تهيأت الظروف للظبيان بعدها وانتقل إلى مدينة القدس (الوجهة التي كانت مقصدا للطلبة من مختلف المناطق للالتحاق بمدارسها وكلياتها)، فتابع دراسته في الكلية الصلاحية التي أمضى فيها ثلاث سنوات تلقى فيها تعليمه على أيدي ثلة من أعمدة الفكر والأدب العربي أمثال: إسعاف النشاشيبي والشيخ عبدالقادر المغربي والشيخ أمين الغوري والشيخ حسام جار الله.

■ خلال فترة دراسته هذه تفتحت ميوله الأدبية فأقدم على حفظ الشعر ونظمه وكان يحرص على حضور ندوات الأدب والشعر التي يعقدها الأساتذة لتنمية ميول الطلاب الأدبية والفكرية والدينية.

■ بعدها عاد الظبيان إلى دمشق، وعزم على مواصلة الدراسة، فالتحق بالمدرسة السلطانية هناك وانتظم بالدراسة فيها ثم انتقل بعد ذلك إلى مكتب عنبر (مدرسة التجهيز).

■ في مكتب عنبر صُقلت شخصيته السياسية وتعمقت أفكاره ومبادئه وآراؤه ليقرر بعد ذلك إكمال مشوار دراسته في المدرسة الحربية التي تخرج فيها عام: (١٩١٩م) وقد نال رتبة ملازم ثان في الجيش العربي.

حياته العملية

■ بعد أن حصل الظبيان على رتبة ملازم ثان في الجيش العربي في دمشق عين مرافقا لرئيس أركان حرب الوزارة (الشهيد يوسف العظمة) ثم لياسين الهاشمي رئيس الأركان اللاحق.

■ بعد استشهاد البطل يوسف العظمة في معركة ميسلون واجتياح الجيوش الفرنسية سورية، حكم عليه الفرنسيون بالإعدام، فهرب إلى شرقي الأردن، وعمل بالتدريس، وتنقل معلما بين مدارس الأردن وفلسطين فعمل في إربد والقدس

وبئر السبع.

■ خلال تنقله وترحاله كان على الدوام يعمد إلى نشر أفكاره وشحذ الهمم وبث الروح العربية الأصيلة.. فما كان من السلطات البريطانية إلا أن اعتقلته لـ٣ سنوات ثم بعدها نفته إلى الطفيلة.

■ بعدها أسس أول مدرسة إسلامية أهلية في عمّان (مدرسة العلوم الإسلامية الدينية)، ثم أسس الكلية العلمية الإسلامية، وعاد لإصدار جريدة «الأقصى» التي توقفت عام: (١٩٤٥م).. بعدها عُين مديرا لمدرسة كلية الشريعة ثم قرر إصدار مجلة تحمل اسمها (الشريعة) وهي لا تزال تصدر حتى الآن.

■كان الظبيان قد عاد فترة إلى سورية ومارس فيها هوايته الصحفية، فقام بإصدار جريدة «الناشئة العربية»، ثم جريدة «الجزيرة».

إنتاجه الأدبي

■ برزت الميول الأدبية والثقافية عند الظبيان في وقت مبكر من عمره، وقد ارتبط بعلاقات صداقة مع العديد من المؤلفين والكتّاب في مختلف أنحاء الوطن العربي، وخلال فترة عمله وخلال حياته الحافلة بالعديد من النجاحات ترك مؤلفات مهمة أغنت المكتبة العربية، ومن أبرز مؤلفاته: «الفردوس في الأدب العربي»، «فيصل بن الحسين» (١٩٣٣م)، «الحبشة المسلمة» (١٩٣٧م)، «فلسطين الدامية» (١٩٣٧م)، «مقام المرأة في الإسلام»، «الملك عبد الله كما عرفته» (١٩٦٧م)، «الملك طلال» (١٩٧٢م)، «أسرار الحركة الماسونية» (١٩٦٤م)، «ثورة سورية الكبرى»، «موقع أهل الكهف» (١٩٧٨م) وغيرها الكثير من المؤلفات.

■ الظبيان كاتب روائي من الدرجة الأولى أول رواية ألفها كانت تحمل اسم «مذكرات طالب ثانوي» قام بنشرها في جريدة الجزيرة، بعدها أصدر رواية «مذكرات فتاة شاردة» أو «مذكرات الآنسة أ. ب. ج. د.»، وقد كانت أول رواية نشرت في الأردن ليتم إدراج اسم محمد تيسير ظبيان على رأس قائمة الروائيين الأردنيين.

إنتاجه الشعري

■ كان الظبيان شاعرا مرهفا له العديد من القصائد نشر بعضها في أعداد من جريدة «الجزيرة»، ومجلة «الشريعة»، وله قصائد مطبوعة في كتاب «ديوان الثورة السورية» (جمع: محمود عرفة، المطبعة العربية، القاهرة، ١٩٢٦م)، كما له أناشيد وطنية ودينية نشرت في كتيب بعنوان: «أناشيد الفتيان».

أعمال أخرى

■ كتب الظبيان الرواية الشعرية: «شهيد الغدر الصهيوني»، كما لم تفته الكتابة للمسرح فكانت له مسرحيتان هما: «خالد بن الوليد» و«الثورة العربية الكبرى»، وله تراجم ودراسات ذات طابع تاريخي قومي، وإسلامي، كما شارك الظبيان في أدب الرحلات وله فيه: «جولة في ربوع الباكستان» (١٩٧٣م) و«مشاهداتي في ديار الإسلام»، وكلها مخطوطة، فضلا عن مقالات وخطب كثيرة في مناسبات دينية وقومية واجتماعية.

أوسمة

■ نتيجة لجهوده وآثاره الطيبة فقد نال المرحوم الظبيان العديد من الأوسمة تقديرا له ولأعماله منها: «وسام الكوكب الأردني من الدرجة الثالثة» (١٩٥٨م)، و«وسام الاستقلال الأردني من الدرجة الثانية» (١٩٦٢م)، و«وسام التربية من الدرجة الثانية» (١٩٧١م)، و«درع كلية الشرطة الملكية».

مساهماته مع «الوعي»

■ للأستاذ الأديب الشاعر تيسير علي الظبيان مساهمة واحدة مع المجلة، جاءت تحت عنوان: «هل هذا هو الكهف الذي تحدث عنه القرآن»، (ع:٤٧).

وفاته

■ عاش العلاّمة محمد تيسير ظبيان حياة ممتلئة بالنضال والعطاء والجهاد وقد رحل عن دنيانا وانتقل إلى رحاب بارئه في عمان يوم الخميس (٧ سبتمبر ١٩٧٨م)، لتطوى صفحة في تاريخ الأدب العربي والثقافة العربية المشرفة لكن ذكراه باقية لا تطوى نظرا للآثار التي تركها في مكتبات الدول العربية فأحيت ذكراه إلى الأبد.

المصادر والمراجع

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي» (الجزء الأول).
- معجم البابطين.
- موقع «دار الوثائق الرقمية».
- موقع «جريدة الرأي» (الأردن).
- موقع «دليل الفتيان».
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٨٠)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الإصطخري):

١- أبو سعيد الإصطخري (ت: ٣٢٨هـ):

هو أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد الإصطخري، فقيه شافعي، كان من نظراء ابن سريج.

ولد سنة: (٢٤٤هـ)، ولي قضاء قم، ثم تولى حسبة بغداد، واستقضاه المقتدر على سجستان، من أبرز مصنفاته: (أدب القضاء) استحسنه الأئمة، و(الفرائض الكبير)، و(الشروط والوثائق والمحاضر والسجلات)،



توفي ببغداد[1].

٢- أبو إسحاق الإصطخري (ت: ٣٤٦هـ):

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، ويقال له: الكرخي، جغرافي، رحالة، من أهل إصطخر (بإيران).

طاف بلاد العرب سياحة وبعض بلاد الهند، فألف (صور الأقاليم)، و(مسالك الممالك)، ونقل ياقوت عنه في معجم البلدان[٢].

٣- أبو محمد الإصطخري (ت: ٣٨٤هـ):

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري الإصطخري، الشافعي فقيه.

ولد سنة: (٢٩١هـ)، سمع بفارس والعراق والحجاز والشام ومصر.

من مصنفاته: (شرح المستعمل) في الفروع[٣].

٤- أبو الحسن الإصطخري (ت: ٤٠٤هـ):

هو أبو الحسن علي بن سعيد الاصطخري، قاض، من شيوخ المعتزلة ومشهوريهم.

ولد سنة: (٣٢٢هـ)، له تصانيف، من أبرزها: (الرد على الباطنية) ألفه للقادر العباسي، توفي وقد زاد عمره على الثمانين[٤].

المتفق والمفترق في اسم (ابن أبي صفرة):

١- أبو سعيد بن أبي صفرة (ت: ٨٣هـ):

هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أمير، جواد، سيد أهل العراق.

ولد سنة: (٧هـ)، ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر، وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير.

وانتدب لقتال الأزارقة، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاما فقتل كثيرين وشرد بقيتهم في البلاد، ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، ومات فيها[٥].

٢- ابن أبي صفرة (ت قبل: ٤٢٠هـ):

هو محمد بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة، فاضل.

من آثاره: (شرح اختصار ملخص القابسي)[٦].

٣- أبو القاسم بن أبي صفرة (ت: ٤٣٥هـ):

هو أبو القاسم المهلب بن أبي صفرة أحمد بن أسيد الأسدي، التميمي، فقيه محدث، من أهل المرية.

سمع بقرطبة من أبي محمد الأصيلي، ورحل إلى الشرق، وروى عن أبي ذر الهروي وعلي بن فهد وعلي بن محمد القزويني وغيرهم، من أبرز مصنفاته: (شرح الجامع الصحيح للبخاري)[٧].

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (٢/١٧٩)، معجم المؤلفين (٣/٢٠٤).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (١/٦١)، ومعجم المؤلفين (١/١٠٤).

٣- انظر: هدية العارفين (١/ ٤٤٧)، الأعلام للزركلي (١/٣٣)، ومعجم المؤلفين (٦/١٢٠).

٤- انظر: الأعلام للزركلي (٤/٢٩١)، ومعجم المؤلفين (٧/٩٩).

٥- انظر: الأعلام للزركلي (٧/٣١٥).

٦- انظر: معجم المؤلفين (٨/٢٣٤).

٧- انظر: معجم المؤلفين (١٣/٣١).

إعداد / تركي محمد النصر

على من يتعين طلب العلم

قال الإمام القرافي رحمه الله: (العلم وضبط الشريعة وإن كان فرض كفاية غير أنه يتعين له طائفة من الناس، وهي: من جاد حفظهم، ورق فهمهم، وحسنت سيرتهم، وطابت سريرتهم؛ فهؤلاء هم الذين يتعين عليهم الاشتغال بالعلم، فإن عديم الحفظ أو قليله أو سيئ الفهم لا يصلح لضبط الشريعة المحمدية، وكذلك من ساءت سيرته لا يحصل به الوثوق للعامة؛ فلا تحصل به مصلحة التقليد، فتضيع أحوال الناس، وإذا كانت هذه الطائفة متعينة بهذه الصفات؛ تعينت بصفاتها، وصار طلب العلم عليها فرض عين).

(انظر: الفروق ١٤٦/١)

من فقه الدعاء

قال القرافي رحمه الله: (لا يجوز أن تقول لمصاب بمرض أو فقد محبوب أو غير ذلك: جعل الله لك هذه المصيبة كفارة؛ لأنها كفارة قطعا، والدعاء بتحصيل الحاصل حرام لا يجوز، لأنه قلة أدب مع الله تعالى... بل يقال: اللهم عظم له الكفارة، لأن تعظيمها لم يعلم ثبوته، بخلاف أصل التكفير فإنه معلوم لنا بالنصوص الواردة في الكتاب والسنة، فلا يجوز طلبه، فاعلم ذلك فيه وفي نظائره).

(الفروق ٣٩٤/٤)

الكلمة النافعة

قال الإمام الشعبي رحمه الله: (لو أن رجلا سافر من أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره؛ ما رأيت سفره ضائعا، ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد؛ لرأيت سفره عقوبة وضياعا).

(البداية والنهاية ٢٩٣/٩)

طبع جامع

قال ثابت البناني رحمه الله: (جالست الناس خمسين سنة، فما جالست أحدا إلا وهو يحب أن تنقاد الناس لهواه، وإن الرجل ليخطئ فيحب أن تخطئ الناس كلهم).

(انظر: الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي، ص/٢٥٠)

العلم أربعة أصناف

العلم أربعة أصناف: علم للمكسب فذلك مهنة وابتذال، وعلم للمفاخرة فذلك علم السفهاء، وعلم للآخرة وذلك علم الصالحين، ورابع يبعث عليه شرف النفس وذلك علم النبلاء.

(انظر: الفصول والغايات للمعري ١٢٤/١)

مشاركة: يعقوب الجناع

حال المرء مع أهله وجيرانه

قال العلامة ابن حزم رحمه الله: (من أساء إلى أهله وجيرانه؛ فهو أسقطهم، ومن كافأ من أساء إليه منهم؛ فهو مثلهم، ومن لم يكافئهم بإساءتهم، فهو سيدهم وخيرهم وأفضلهم).

(مداواة النفوس لابن حزم، ص/ ٢٠)

الرفق نصف العفو

وقف رجل بين يدي المأمون وقد جنى جناية، فقال له: والله لأقتلنك.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين تأن علي، فإن الرفق نصف العفو.

قال المأمون: وكيف وقد حلفت لأقتلنك؟

قال الرجل: يا أمير المؤمنين، لأن تلقى الله حانثا خير لك من أن تلقاه قاتلا...فخلى سبيله.

(انظر: رياض الهمم في النصائح والحكم، ص/٩١)

حرفة العارف

قال بعض الحكماء: (حرفة العارف ستة أشياء: إذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه احتقر، وإذا نظر في آيات الله اعتبر، وإذا هم بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكر عفو الله استبشر، وإذا ذكر ذنوبه استغفر).

(انظر: تنبيه الغافلين للسمرقندي، ص/ ١٠٦)

من لم يصن نفسه لم يصنه العلم

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: (من حفظ القرآن عظمت حرمته، ومن طلب الفقه نبل قدره، ومن وعى الحديث قويت حجته، ومن نظر في النحو رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم يصنه العلم).

(انظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص/٢٢١)

أفضل الزهد

أفضل الزهد: الزهد في الرياسة على الناس، وفي المنزلة والجاه عندهم، والزهد في حب الثناء والمدح منهم؛ لأن هذه المعاني هي أكبر أبواب الدنيا عند العلماء، فالزهد فيها هو زهد العلماء. وقيل: لا يثبت لأحد مقام في التوكل حتى يستوي عنده المدح والذم من الخلق فيسقطا.

(انظر: الوعظ المطلوب للقاسمي، ص/٥٧)



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

تربية الأبناء بعد انفصال الآباء

كان الله عز وجل قد شرع الطلاق إذا استحالت الحياة بين الزوجين ووصلت إلى طريق مسدود، فهذا لايعني أن يكون الأمر سهلا وكل من يصادف مشكلة يطلق، لأن الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات ينصح بالتروي وضرورة السعي للصلح بين الأزواج، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٢٨)، وقال أيضا ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء:٣٥). أما إذا وقع الطلاق وقضي الأمر فهنا لابد من مراعاة توابع هذا الطلاق وآثاره على الأبناء، وهذ الأمر في غاية الخطورة، فإن لم يتم تدارك هذه التوابع وآثارها فسوف يحدث ما لا تحمد عقباه، وفي هذا أيضا وضح لنا القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ﴾ (البقرة:٢٢٩). وعلى الوالدين أن يراعيا تبعات الطلاق ومحاولة تخفيف حدة أثره على الأبناء ومحاولة شرح الأمر لهم بصورة واضحة وبسيطة لأن الأبناء بعد الطلاق يحتاجون إلى معاملة خاصة وتربية مختلفة عن ذي قبل، كما أن احتياجاتهم بعد الطلاق تزيد عما كانت عليه قبله، فهم بحاجة أكثر إلى الإحساس بالأمان والإشباع العاطفي، كما أن أطفال الطلاق بحاجة إلى عناية خاصة من الأم إذا كانوا في حضانتها، وهذا يحدث في أغلب الأحيان، كونها هي من يخول لها القانون حضانة أطفالها الصغار فهي الآن تقوم بدور أكبر وأهم من دورها وهي زوجة في عصمة أبيهم، وعليها أن تدرك جيدا أن مشاكل الأطفال بعد الطلاق كثيرة ومعقدة ولابد من التعامل معهم بحرص شديد وعدم استمالة الأبناء ناحيتها وتصوير أنها الضحية المفترى عليها أما الطرف الآخر وهو الأب فهو المعتدي، ولابد للأم الحاضنة أن تعلم جيدا أنها إذا أرادت أن تتقمص دور الضحية أمام أبنائها وتصوير الأب أنه هو من تسبب في انهيار الأسرة وتقوم بتشويه صورته أمام أبنائه فهي بلا شك ترتكب جرما كبيرا معهم دون أن تدري، لأنه ليس في مصلحة الأبناء كراهية الأب وإفساد العلاقة بينه وبين أبنائه لتكسب هي مودتهم وعطفهم، كما أن عليها ألا تحاول أن تقطع علاقة الأبناء بأهل طليقها فهم أهله، ويجب أيضا عدم التحدث بسلبية عن الأب وتشويه صورته عند ابنائه فهو بالنسبة لهم القدوة والمثل الأعلى ولا يجب أن يحطم هذا المثل في أعينهم وألا يتم شحن الأبناء بكلام سيئ عن الأب وأهله.

على الجانب الآخر، على الأب هو أيضا أن يديم التواصل مع أبنائه بعد الطلاق حتى لايشعرهم بغيابه وأن يعطيهم ويلبي رغباتهم مادامت في استطاعته فهم في أمس الحاجة إلى عطفه ورعايته أكثر من ذي قبل.

● حسن علي حسن

الأثر الطيب للعلم الشرعي

من فضائل وحسنات العلم الشرعي أنه يسبق العمل الصالح ويدل عليه. وهذا ما ذكره الإمام البخاري، رحمه الله، في كتاب العلم في صحيحه واستدل عليه بالقرآن من مثله قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد:١٩).

فابتدأت الآية بالعلم بالتوحيد وانتهت بالاستغفار وهو عمل، وفي حديث معاذ المشهور في فضل العلم الذي ذكره ابن عبدالبر وغيره: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة.

وفيه قال: وهو إمام والعمل تابعه وأن العمل الصالح المقبول عند الله هو الذي يكون موافقا لشرع الله ولسنة الرسول ﷺ ومتقنا ومرادا به وجه الله ومخلصا له، ولا يتمكن العامل من الإتيان بعمل بهذه الشروط إلا بالعلم الشرعي، فالعلم هو الدليل على القبول والإتقان والإخلاص، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧).

والعلوم الشرعية المختلفة من عقيدة وشريعة وفقه وتفسير وفتوى وغيرها تؤثر بشكل إيجابي في حياة الإنسان المسلم فتدفعه إلى الإيمان والاستقامة والصلاح والعمل الصالح وفعل الخير وإسداء النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الآثار الطيبة، ولذلك أمر الله تعالى بطلب العلم الشرعي والتفقه في الدين لأنهما يؤديان إلى الإيمان والحق والرشاد والعمل الصالح والثبات على الدين والفلاح في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج:٥٤).

ومن فضائل وثمرات العلم الشرعي في حياة الإنسان المسلم الإيمان واليقين والرضا والطمأنينة والراحة النفسية، قال تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة:٤).

إن العلم الشرعي يدفع الإنسان المسلم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وإلى فعل الطاعات وأداء العبادات والقيام بالأعمال الصالحة، فالمسلم الذي يطلب العلم الشرعي من القرآن والسنة ويوقن بالله وبتوفيقه لا يلتبس عليه الحق من الباطل ولا تروج عنده الشاعات والشبهات ولا تغريه شهوات الدنيا وملذاتها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٢٤).

عمر الرماش تاونات

حدث في شوال ٣هـ «حمراء الأسد»

وقعت غزوة حمراء الأسد في السادس عشر من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة، وكانت الغزوة بسبب ما حل بالمسلمين في غزوة أحد قبلها بيوم، فذهبوا إلى منطقة حمراء الأسد التي تبعد عن المدينة المنورة ثمانية أميال لرد اعتبار قوة المسلمين ورفع روحهم المعنوية، وترهيب عدو الله ورسوله، وذلك لما سمع الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن أبا سفيان أمر جيش المشركين بالرجوع لمقاتلة المسلمين، فأمر النبي أصحابه الذين شهدوا غزوة أحد بالذهاب لحمراء الأسد لمقاتلة المشركين بعد ما حل بالمسلمين، ففي صبيحة اليوم الذي تلا أحد طلب الرسول من بلال أن ينادي في الناس للخروج إلى حمراء الأسد ومقاتلة المشركين، وأكد على كل من شهد أحدا الاستعداد والذهاب للقتال دون غيرهم؛ لكي لا يشارك المنافقون بهذه الغزوة، وكان من ضمن الصحابة الذين لم يشهدوا أحدا جابر بن عبدالله رضي الله عنه إذ تخلف عنها لأن أباه قد طلب منه البقاء مع أخواته في ذلك الوقت، فاستأذن رسول الله -عليه السلام- بالانضمام إلى المسلمين فأذن له هو وحده.

أقام النبي -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه -رضوان الله عليهم- في حمراء الأسد ثلاثة أيام، وكانوا يشعلون خمسمئة شعلة من النار حتى يبصرها المشركون خلال هذه الأيام، وقد بث ذلك الرعب في قلوب أعدائهم، وبعد ذلك رجع الرسول وأصحابه إلى المدينة يوم الجمعة منتصرين.

وكان من نتيجة غزوة حمراء الأسد أن عاد المسلمون إلى ديارهم منتصرين، لم يمسسهم سوء، بل زادهم الله -تعالى- إيمانا ويقينا، ونزل فيهم قوله: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران:١٧٤)، ولم يكن خلال الأيام أي لقاء بين المسلمين والمشركين، بل كانت حربا نفسية خالية من الخسائر أو الإصابات لكلا الطرفين

• المحرر



هنا.. تحاورنا الأمكنة ويشهد الثرى

حجاج بيت الله.. ها أنتم وقد نزلتم برحالكم في مكة المكرمة، أتيتم من كل فج عميق.. شعثا غبرا.. تعيشون أجواء غير الأجواء.. تشتمون عبق التاريخ ونسائم الأمكنة وأريج الذكريات.. تؤدون مناسككم.. صلاة وطوافا وسعيا ومبيتا ورميا ووقوفا بعرفة... لا تهدأ حناجركم ولا تخفت أصواتكم قرآنا وتحميدا وتسبيحا وتلبية ودعاء...

حجاج بيت الله.. أنتم الآن تعيشون شرف المقام في مهبط الوحى.. مبدأ النور والرسالة.. ميلاد النبوة.. عفوا: استسمحكم ألا تفوتكم الفرصة وألا تهملوها.. فرصة تذوق متعة التأمل في الأمكنة.. نظرة وتذكرا وهمسا وحديثا ومحاورة.. ولتدركوا أن كلا منها له خصوصيته قصة وأحداثا وتاريخا ومقصدا.. حكمة وعظة وعبرة.. يتفاعل معها الوجدان وتتوهج لها المشاعر..

حجاج بيت الله.. الأمكنة تحاوركم.. الأمكنة تفصح معلنة عن هويتها فجرا ومعجزة ودعوة ورسالة.. بيتا وكعبة وربا ورسولا ودينا جديدا.. بئرا وسعيا ومقاما.. غارا ووحيا وتزميلا وتبليغا.. إسراء وجبلا شامخا وخطبة وداع.. محنة وأمرا وصحبة وهجرة..... والثرى يشهد رماله وحصاه بخطوات من تشرفت قدماه طريقا وسيرا وآثار وأسرارا..

هنا مكة المكرمة... الأمكنة تنطق بحديث الروح والقلب المفعم بحلاوة الإيمان وشرف الإسلام، ما من خطوة على ثراك إلا ولها تاريخ وذكرى وحديث.. إلى وجهتك تتوهج حقيقة الخشوع والخضوع تأدبا للقاء الله تعالى.. وعلى أرضك وثراك يستعر لهيب الهوى والتعلق والانتماء.

حجاج بيت الله... ها أنتم تشدون رحالكم هذه المرة إلى المدينة المنورة.. ليكون ختام رحلتكم مسكا، ولتطفئوا ظمأ أفئدتكم بزيارة من أحبه الله واختاره واصطفاه رسولا لخير أمة أخرجت للناس.. هنا كانت الدعوة والبناء.. هنا الجهاد والغزوات هنا بدر وأحد وخيبر والخندق... هنا مؤتة.. هنا بيعة وعهد وصلح.. هنا البقيع يشهد ثراه بالشهداء والأطهار والأبرار والغر الميامين. هنا منازل رسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار وصحبه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين..

هنا المسجد النبوي.. هنا الروضة والمنبر.. هنا يرقد رسول الله ﷺ.. خير من خلق الله في كونه.. هنا يرقد أول من تنشق عنه الأرض يوم العرض.. هنا توجب التحية والصلاة والسلام على حبيب الله.. ﷺ على شفيع الأمة.. الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير.. القدوة والأسوة.. هنا يرقد بجانبه صاحباه الصديق والفاروق رضي الله عنهما.. فأي مكان هذا؟!! وأي مقام هذا؟!! حقيقة.. إنه مشهد ترتعد له الفرائس وتضطرب له القلوب وتتسمر أمامه الأقدام..

عفوا حجاج بيت الله.. رويدا في سيركم.. الهوينا في خطاكم.. التؤدة في أفعالكم... تفاعلوا مع الأمكنة التي لا تفتأ تفصح عن هويتها ومكنون أسرارها وأصداء حديثها والثرى الذي يشهد خطوات أقدام الصحابة.. المشهد أكبر مما نتخيل.. إنها الرحلة التي تحاوركم فيها الأمكنة مهابة وقداسة ويشهد لها الثرى تاريخا وتأريخا..

عثمان إسماعيل محمد حسين
كاتب وباحث



موسوعة شمائل المصطفى ﷺ

إصدار جديد ومميز من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العمري، أستاذ السيرة النبوية، وهذه الموسوعة القيمة تتناول علم الشمائل والصفات النبوية بطريقة علمية تدلُّ على غزارة علم مؤلفها وسعة معرفته، وتقع الموسوعة في سبعة أجزاء.

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

العدد (٦٩٩) ذو القعدة / ذو الحجة ١٤٤٤هـ - يونيو ٢٠٢٣م



مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

الحجّ مؤسّسة دعويّة

التّوبة الحضاريّة

الأدب الهادف والتّغيير

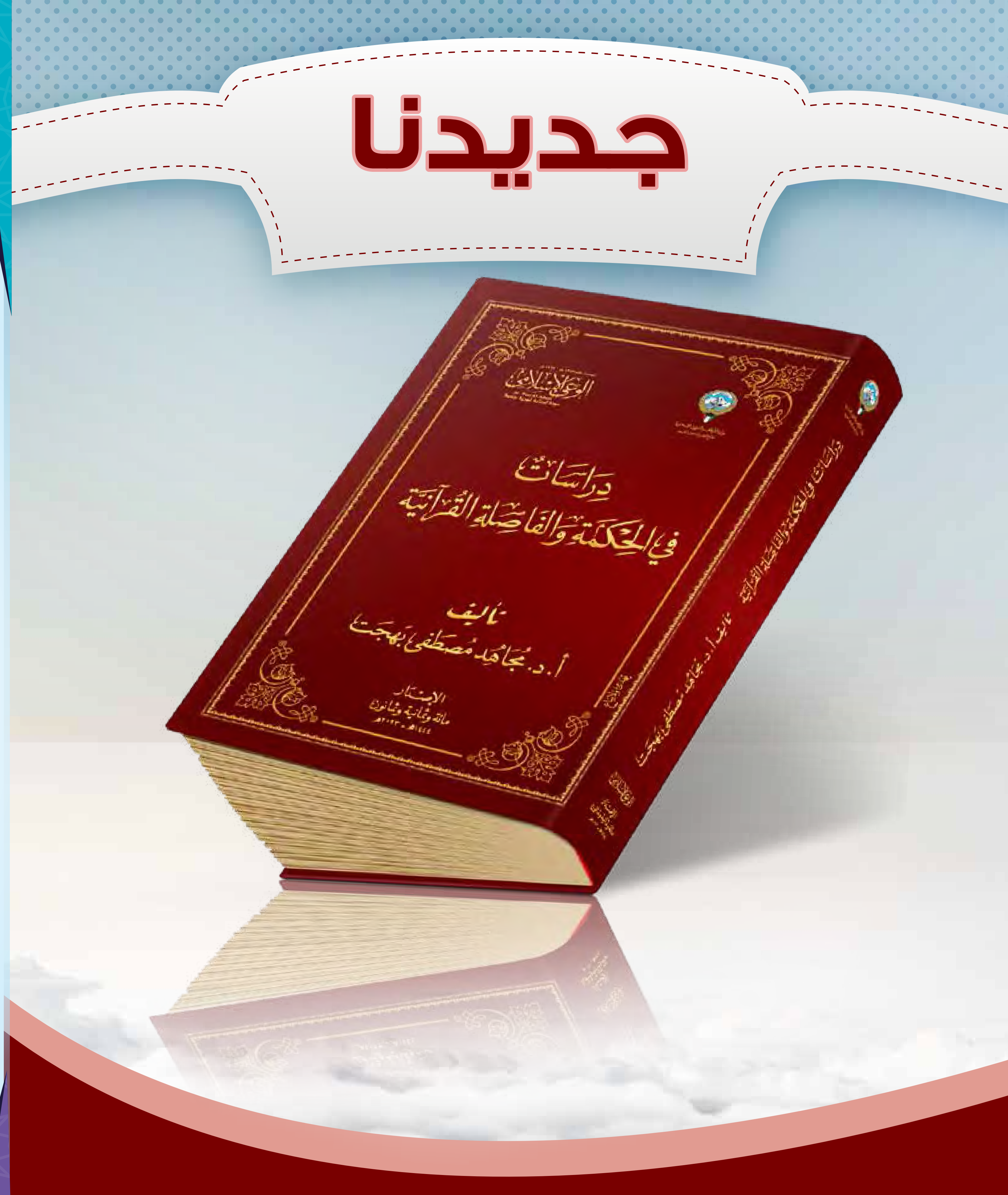
نادي المواهب الصّيفي


مجلة الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com


موقع مجلة الوعي الإسلامي



دراسات في الحكمة والفاصلة القرآنية

إصدار جديد من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور مجاهد مصطفى بهجت، ويتناول الكتاب معنى الحكمة ودلالاتها في أسماء الله تعالى وصفاته مع بيان معناها في السياق القرآني، بطريقة علمية إيمانية.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الحج وتجديد التوبة

يتجه حجاج بيت الله الحرام في شتى بقاع الأرض إلى بيت الله العتيق ليرتقوا بإيمانهم وأعمالهم، وليجددوا التوبة لخالقهم وبارئهم، ولينهلوا من الدروس العظام التي تستفاد من بين ثنايا هذا التجمع الإسلامي العظيم، فيزدادوا عظمة بوحدتهم وتضامنهم، وبعدهم عن الفرقة والتشاحن، وقد جمعهم دين واحد، ومنهج واحد، ومكان واحد، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦).

ينبغي للمسلمين وهم في رحاب القرية القديمة مكة أن يتحسسوا تاريخهم العريق، وبطولات أسلافهم الذين صدعوا بالحق؛ فانطلقوا من هذه البقاع الطاهرة بعد أن أخلصوا دينهم لله؛ لتصل دعوتهم إلى أرجاء المعمورة كافة.

إن الناظر في أركان هذا البيت، والمار بين جنباته يجد بوضوح المعاني السامية لعظمة هذا الدين، فالشرع عندما جعل الحج موسما سنويا، ومنع الحاج والمعتمر عما حرمه الله عليه حال النسك، إنما كان هذا الأمر ليرسخ في أفئدتهم مبدأ التوبة المتجددة بين يدي خالقهم، وليذكرهم بالوقوف عند حدود الله، ويأمرهم بالسمع والطاعة، فيدركوا أن الحكم لله وحده، والأمر لله وحده، وأنه لا معبود بحق إلا الله، وبمثل هذا تصقل النفوس المؤمنة، وتجدد الولاء لربها بالتوحيد الخالص.

في هذا الموسم الجليل المهيب من مواسم الطاعات تتجه قوافل الحجيج قاطعة الفيافي والقفار، يحدوها الشوق المتجدد، ويدفعها الإيمان، راغبة فيما عند مولاها من رحمة واسعة ومغفرة، ليحصلوا على المقصود بشهود يوم الغفران الأكبر، قال رسول الله ﷺ: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنوا، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ماذا أراد هؤلاء) (رواه مسلم). وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧)

ولا غرو! فمنافع هذه الشعيرة العظيمة متعددة وفوائدها متجددة على المجتمع عامة وعلى الفرد خاصة، ما أعظمها من شعيرة يكون التوحيد فيها هو الشعار والمقصد، وتعاهد الاستقامة على النهج القويم هو المنهج المتجدد؛ فهذا الدين القويم الذي امتدت فضائله في جميع بقاع الأرض ما كان له أن يسمو - بعد توفيق الله - إلا بما كان عليه الرعيل الأول من المسلمين من التوافق والتماسك، ففي هذه البقاع المقدسة أسست دولة الإسلام الأولى وقاعدته المتينة، وفي المدينة المنورة شع النور إلى العالم، لا غرو! فهنا يجتمع الإيمان إذا ضعف في نفوس أهله؛ قال ﷺ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» (رواه البخاري).

وختاما؛ ينبغي أن نخلي النفوس من أدرانها في هذا الموسم المبارك، ونجدد التوبة لله خالقنا وبارئنا، ونتذاكر سويا في هذه الأيام عبق الذكريات الخالدة، وشذا البطولات الماجدة، التي حققها أسلافنا - بعد توفيق الله - بعزمهم وقوة إيمانهم، سائلين الله أن يديم نعمة الإيمان والأمن على بلدنا الغالي الكويت، حيث حكومة رشيدة ومجلس أمة فاعل نتمنى لهما كل التوفيق كسلطتين تنفذية وتشريعية تعملان على خطة التنمية في ظل قيادة حكيمة لسمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه وسمو ولي عهده الأمين حفظه الله وأن يحفظ بلاد المسلمين من كل سوء.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٩٩/ ذوالقعدة / دوالحجة ١٤٤٤ هـ
العام الستون
يونيو ٢٠٢٣م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

المراقب المالي والإداري

طلال عثمان العثمان

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني

شركة الألفين لصناعة الورق

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

● المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	● السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
● مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ –فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	● لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
● قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	● المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
● الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	● تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
● سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	● فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ – فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
● الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	● لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ – فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
● مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٢٥٧٨٢٥٤٠	● كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ – فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

● الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٥ ريالات ● البحرين: ٥٠٠ فلس ● قطر: ٥ ريالات ● الإمارات: ٥ درهم
● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن: دينار واحد ● مصر: ٥ جنيه ● السودان: ٠,٥ جنيه ● لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
● المغرب: ١٠دراهم ● تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





الحج توبة

الحج فرصة فريدة للتوبة والتغيير. مناسبة عظيمة تجتمع فيها العبادة والتضحية والتوبة فنعترف بخطايانا ونعود إلى الله بقلب نقي وعزيمة صادقة على تغيير حياتنا. ومع ذلك، يجب أن نتذكر أن الحج ليس نهاية الرحلة، بل بداية لمرحلة جديدة في حياتنا الدينية. فقد يكون الحج تجربة محفزة لزيادة العبادة والقرب من الله. ينبغي علينا الاستمرار في أداء الصلوات وقراءة القرآن والذكر والأذكار، والاجتهاد في الأعمال الصالحة بعد الحج في الوقت نفسه ينبغي أن يؤدي الحج إلى تحول شخصي إيجابي. فنتأمل في سلوكنا السابق ونسعى جاهدين للتغيير ويساعد في ذلك المحافظة على الذكر والدعاء بعد الحج، فهما وسيلتان قويتان للتواصل مع الله وتجديد التوبة. كما يساعد على ذلك تقوية العلاقة بالقرآن الكريم فينبغي أن يكون الحج دافعا لنا للتعمق في دراسة القرآن وفهمه بشكل أعمق كل هذا مع الابتعاد عن المعاصي ومراجعة أنماط حياتنا والتخلص من العادات السيئة وأخيرا مشاركة تجربتنا في الحج مع الآخرين بل ومساعدتهم على فهم أهمية التوبة والتعاون معهم في العمل الخيري والمساهمة في المجتمع بشكل إيجابي. وفي النهاية، يجب أن نتذكر أن التوبة هي عملية مستمرة طوال الحياة، وليست مقتصرة على فترة الحج فقط. بل يجب أن نسعى للتحسين المستمر والاستمرار في العمل الصالح والاجتهاد في سبيل الله. بذلك، سنتمكن من استحضار الشعور الذي نشعر به أثناء أداء المناسك ونتجنب تكرار الأخطاء ونحافظ على روحانيتنا وقربنا من الله.

التحرير



محمد عبدالباقي
كاتب وباحث

أعظم أيام الدنيا

ما أعظم فضل الله على عباده! وما أوسع رحمته بهم إذ أكرمهم بمواسم الخير والطاعة؛ لعلمه بضعفهم وعجزهم، وقلة أعمارهم، فما يكاد ينتهي رمضان ببركته ورحمته وخيره حتى نستقبل ستا من شوال التي من صامها وحافظ على صيامها بعد رمضان كان كمن صام الدهر، وما نكاد نفرغ منها حتى يكرمنا الله بالأشهر الحرم ومنها ذو القعدة وبعده ذو الحجة والعشر الأول منه... وهكذا.

والعشر الأول من ذي الحجة أيام لها فضل عظيم عند الله، والعمل الصالح فيها له مكانة عن غيرها، فقد أقسم الله بها في كتابه لشرفها وعظم شأنها فقال سبحانه: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ (الفجر:١-٣)، قال بعض أهل العلم: إنها عشر ذي الحجة.

وأخبر النبي ﷺ بأنها أعظم أيام الدنيا، وأن العمل الصالح فيها أفضل منه في غيرها، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، حيث قال ﷺ: (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر، فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء) رواه الترمذي، وأصله في البخاري، وفي حديث ابن عمر: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه العشر، فأكثروا

فيهن من التهليل والتكبير والتحميد).
وإنما حظيت عشر ذي الحجة بهذه المكانة والمنزلة لاجتماع أمهات العبادة فيها وهي: الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها، وفيها يوم عرفة الذي قال فيه ﷺ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟) (رواه مسلم).
وهو يوم مغفرة الذنوب وصيامه يكفر سنتين فقد ثبت عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة فقال: (يكفر السنة الماضية والباقية) (رواه مسلم)، وفيها أيضا يوم النحر الذي هو أعظم الأيام عند الله قال ﷺ: (أعظم الأيام عند الله تعالى، يوم النحر، ثم يوم القر) (رواه أبو داود).
وقد يتساءل البعض ويقول: أيهما أفضل هذه العشر الأوائل من ذي الحجة أم العشر الأواخر من رمضان؟
والجواب: أن أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضان؛ لأن في الأولى يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر، ويوم عرفة ويوم التروية وهي أيام مباركة، وأن ليالي العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة لأن في الأولى ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر، أي أن التفضيل في عشر ذي الحجة باعتبار الأيام، وفي عشر رمضان باعتبار الليالي.
والأعمال الصالحة في أيام العشر وتشمل التوبة النصوح والرجوع إلى الله، والتزام طاعته والبعد عن كل ما يخالف أمره ونهيه بشروط التوبة المعروفة عند أهل العلم، فقد أمر الله بها عباده المؤمنين فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١)، ولا غناء للمؤمن عنها في جميع الأوقات والأزمان، وتشمل أيضا إتقان الفرائض والمحافظة على الواجبات، ثم الإكثار من النوافل والسنن، قال الله في حديثه القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...) (رواه البخاري).
ويستحب في الأيام العشر الإكثار من ذكر الله عموما ومن التكبير خصوصا لقول الله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ (الحج:٢٨)، وكما في حديث (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد).
ويسن التكبير المطلق وهو من السنن المهجورة التي ينبغي إحياؤها في هذه الأيام، وقد ثبت أن ابن عمر و أبا هريرة كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.
وأما التكبير الخاص المقيد بأدبار الصلوات المفروضة، فيبدأ من فجر يوم عرفة ويستمر حتى عصر آخر يوم من أيام التشريق لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ (البقرة:٢٠٣)، ولقوله عليه الصلاة والسلام: (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله) (رواه مسلم).
ويستحب كذلك الصيام، وهو بالإضافة إلى أنه من العمل الصالح إلا أنه قد ورد فيه عن حفصة رضي الله عنها قالت: أربع لم يكن يدعهن النبي ﷺ: (صيام عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتين قبل الغداة) (رواه أبو داود وغيره)، والمقصود صيام التسع، لأنه قد نهي عن صيام يوم العيد، قال الإمام النووي عن عشر ذي الحجة: «صيامها مستحب استحبابا شديدا»، وآكدها صوم يوم عرفة لغير الحاج.
ومن سنن الأيام العشر الأضحية وهي سنة مؤكدة في حق القادر عليها، بل إن من العلماء من قال بوجوبها وقد حافظ عليها النبي ﷺ.
فينبغي لمن وفقه الله، أن يعرف لهذه الأيام فضلها، ويقدر لها قدرها، فيحرص على الاجتهاد فيها، فهي أفضل أيام الدنيا اجتمع فيها من الفضل ما لم يجتمع لغيرها، فهذه الأيام من الأشهر الحرم التي عظمها الله تعالى وجعلها دينا قيما، وتلك الأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾(التوبة:٣٦)، ومن ما تميزت به هذه العشر الأوائل من ذي الحجة يوم عرفة، الذي يمثل الركن الأساسي في الحج، ويوم التروية.
وهذه أهم الأعمال الصالحة التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها، ويبقى باب العمل الصالح أوسع، فأبواب الخير كثيرة لا تتحصر، ومفهوم العمل الصالح واسع شامل ليشمل كل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، من الصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء والصدقة وبر الوالدين وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من طرق الخير وسبل الطاعة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج:٧٧).

سماح محمد
باحثة دراسات إسلامية



من خصائص الكعبة المشرفة

تمر بنا في هذه الأيام شعيرة عطرة، ألا وهي شعيرة الحج، الركن الخامس من أركان الإسلام، وفيه يتوجه المسلمون قلبا وقالبا نحو مكة المشرفة قاصدين الكعبة البيت الحرام، وللكعبة مكانتها في العقيدة الإسلامية، فهي قبلة المسلمين، إليها يتجهون في مشارق الأرض ومغاربها في صلاتهم، وبالطواف حولها يبدأون حجهم، وبها ينهونه، وهي عنوان التوحيد، ومنار الوحي الإلهي، ومهد النور المحمدي، ومنطلق الهداية الربانية للعالمين، والمحراب المشترك لأفئدة الموحدين عبر العصور، قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(الحج: ٢٦)، إنها بحق درة تاريخية في جبين الزمان؛ تزدان قيمتها وتتضاعف في قلوب المؤمنين وأفئدتهم، وقد اختصت الكعبة المشرفة بكثير من الخصائص والفضائل، منها: أن الله تعالى جعلها علما على البيت الحرام، قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٩٧)، قال ابن عاشور: «والكعبة علم على البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام بمكة بأمر الله تعالى ليكون آية للتوحيد... وقوله: «البيت الحرام»: بيان للكعبة، قصد من هذا البيان التنويه والتعظيم... ووجه دلالة هذا العلم على التعظيم هو ما فيه من لمح معنى الوصف

بالحرام قبل التغليب»أهـ[1]. فالكعبة علم على البيت الحرام، وفي هذا تعظيم لها، وتنويه بمكانتها، ويبين أن لها من الخصائص ما للبيت سواء بسواء.

وقد أخبر الله تعالى أنها أول بيت وضع للناس للعبادة والطواف والنسك، وفي الحديث عن أبي ذر، قال: قلت: «يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد»(البخاري ومسلم)، فهي أول بيت للعبادة على الأرض، لا يتقدم عليها مكان للعبادة مطلقات، وغيرها تبع لها، وقوله:«للناس» يشير إلى أن هذا البيت العتيق يتعلق بعموم الناس من لدن آدم إلى قيام الساعة، وليس حكرا لطائفة أو قبيلة أو شريحة من شرائح المجتمع أو ملك من الملوك.

كما جاء في القرآن الكريم نسبتها إليه سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(الحج:٢٦)، حيث أضافها الله إلى ذاته العلية، ونسبها إليه نسبة تشريف وتعظيم وتكريم، وما من شئ في الكون إلا وهو ملك لله كما قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ (المائدة:١٢٠)، إلا أنه خص البيت الحرام الذي يحتضن الكعبة المشرفة بالملكية اختصاص تشريف وتعظيم وتكريم، وكفى بذلك فضلا وقدرا.

ووصف الله البيت العتيق بأنه مبارك في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦)، و«مباركا»: هنا اسم مفعول من البركة، والبركة تعني فيما تعني: النماء والزيادة- حسية كانت أو معنوية-، وكثرة الخير ودوامه وبقاؤه، وكله حاصل لها وللبيت الحرام، قال ابن القيم: «.. وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيرا ولا أدوم ولا أنفع للخلائق»أهـ[2]، والكعبة محفوفة بالبركة والخير من كل وجه، ومن بركتها: تضاعف الحسنات والأجور فالعبادة في البيت الحرام خير من غيره، كما ثبت في الحديث: عن ابن عباس، أنه قال: «إن امرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس، فبرأت، ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ تسلم عليها، فأخبرتها ذلك، فقالت: اجلسي فكلي ما صنعت، وصلي في مسجد الرسول ﷺ. فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا مسجد الكعبة»(رواه مسلم)، وفي رواية لأحمد: «وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»(رواه أحمد)، وعن أبي هريرة ؓ، قال: قال النبي ﷺ: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(البخاري)، ومن بركتها: جبي ثمرات كل شيء كما قال تعالى ممتنا على أهل مكة: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص:٥٧)، ومن بركتها: ما يحصل من المكاسب المادية في موسم الحج والعمرة وغيرها، ومن بركتها ماء زمزم الذي لا يوجد له مثيل في أمواه الدنيا، ومن بركتها: ثبوت العبادة فيه واستمرارها ولزومها، وثبوت النفع؛ لأن أصل البركة مأخوذ من الثبوت والاستقرار، تقول: برك يبرك بروكا، إذا ثبت على حاله، ونحن نرى مشهد الطواف حول الكعبة في البيت الحرام لا ينقطع ليل نهار، وكذلك التوجه بالصلاة نحوها متصل لا ينقطع أبد الدهر، ومن أعظم بركاتها وأبقاها: بعثة أعظم الخلق على الإطلاق الرسول محمد ﷺ بأعظم دين، فقد كان من هناك المبعث النبوي، وبالجملة هو بيت مبارك، كثير المنافع الدينية والدنيوية.

قيام للناس

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾، تقوم به مصالحهم الدينية من صلاة حج وعمرة وغيرها، ومصالحهم الدنيوية بالأمن في الحرم وجباية ثمرات كل شيء كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:٩٧)، وفي معنى الجعل يذكر

صاحب المنار أنه إما تكويني وإما تكليفي، فيقول: «الجعل هنا إما خلقي تكويني، وهو التصيير، وإما أمري تكليفي وهوالتشريع...، والمعنى على الوجه الأول في الجعل: أن الله تعالى جعل الكعبة التي هي البيت الحرام قياما للناس الذين يقيمون بجوارها والذين يحجونها، أي: سببا لقيام مصالحهم ومنافعهم بإيداع تعظيمها في القلوب، وجذب الأفئدة إليها، وصرف الناس عن الاعتداء فيها وعلى مجاوريها وحجابها، وتسخيرهم لجلب الأرزاق إليها، فهذا هو الجعل الخلقي التكويني، ويؤيده دعاء إبراهيم.. الذي حكاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾(إبراهيم:٣٧)، وفي معناه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(القصص:٥٧)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡ﴾(العنكبوت:٦٧)....والمعنى على الوجه الثاني: أنه جعلها قياما للناس في أمر دينهم المهذب لأخلاقهم المزكي لأنفسهم، بما فرض عليهم من الحج الذي هو من أعظم أركان الدين؛ لأنه عبادة روحية بدنية مالية اجتماعية... وما شرع في مناسك الحج من الصدقات والذبائح التي تطهر فاعلها من رذيلة البخل وتحببه إلى الفقراء وتحبب إليه الفقراء والمساكين، ويتسع بها رزق أهل الحرم، وهذا هو الجعل الأمري التشريعي، دع ما تستلزمه كثرة الناس هناك من جلب الأرزاق وعروض التجارة التي تقوم به أمور المعيشة»أهـ[٣].

هداية للعالمين

كانت الكعبة منارا للتوحيد، ومبتدأ الوحي المبارك الذي انطلق منها إلى الآفاق، ومهد النور الإلهي الذي خرج منها يهدي الحيارى والتائهين، ومركز إشعاع روحي للعالمين، وهي منار لسلوك طريق الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦)، «وجعل هدى للعالمين كلهم؛ لأن شهرته وتسامع الناس به، يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه، وأنه لتوحيد الله، وتطهير النفوس من خبث الشرك فيهتدي بذلك المهتدي، ويرعوي المتشكك»أهـ[٤]، فرسالتها عالمية؛ لا تخص المسلمين وحدهم؛ بل عامة للعالمين- إن التمسوها في رحابها-، ولما كان هو أول بيت عبادة حق تعين أن يكون معلما للهدى ومنارا للتقى، «فكان كل هدى مقتبسا منه، فلا محيص لكل قوم كانوا على هدى من الاعتراف به وبفضله، وذلك يوجب اتباع الملة المبنية على أسس ملة بانيه»أهـ[٥]، ولا يخفى أن بيوت الله يتجلى فيها النور الذي يهدي الخلق إلى الحق كما قال تعالى حين تكلم عن نوره في سورة النور: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾(النور:٣٦)، فكيف بأول البيوت وأشرفها.

ساحة أمان

الأمن من أكبر شروط حسن المكان، ولا قيمة لمكان أو بقعة بلا أمن، وقد جعل الله الأمن من خصائص البيت الحرام وبلده الأمين، حيث تكرر ذكره في ثماني آيات من القرآن الكريم وبسياقات متنوعة، في سياق القسم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ (التين:١-٣)، وفي سياق الدعاء كما جاء على لسان إبراهيم الخليل في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (البقرة:١٢٦)، وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾(إبراهيم:٣٥)، وفي سياق الإخبار والامتنان الإلهي على عباده والبيان التفضيلي على سائر البقاع كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة:١٢٥)، وفي قوله: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن

دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٧)، وفي قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص:٥٧)، وفي قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت:٦٧)،

وفي قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ (قريش:٤-٥)، وتكرار أمر الأمن يشي إلى أهمية هذه القضية، وأنها لهذا المكان آكد، فقد جعله ساحة للسكينة والاطمئنان، يأوي إليه الناس فيحفهم بالأمن الوارف والاستقرار المكين، بل يمتد ذلك فيشمل الطير والنبات والحيوان وكل ما كان متصلا بالبيت الحرام، قال ابن كثير: «وحتى إنه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها وتنفيره عن أوكاره، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها، كما ثبتت الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا»أهـ[٦]، وفي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «حرم الله مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا لأحد بعدي، أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف»(البخاري)، فالكل آمن في ساحة الكعبة المشرفة، الإنسان آمن، والشجر آمن، والصيد آمن.

وهذا البيت محبته مغروسة في أفئدة المؤمنين، يستقبلونه في صلواتهم، ويثوبون إليه ويذهبون ويرجعون ولا يقضون منه وطرا، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا..﴾ (آل عمران:١٢٥)، وقد فسر ابن عباس الآية بنحو ذلك كما في تفسير ابن كثير، فقال: «لا يقضون منه وطرا، يأتونه، ثم يرجعون إلى أهليهم، ثم يعودون إليه»[٧]، وصاغ ابن كثير رحمه الله مجمل ما قاله الأئمة في تفسير الآية بقوله: «ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية: أن الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعا وقدرا من كونه مثابة للناس، أي: جعله محلا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، ولا تقضي منه وطرا، ولو ترددت إليه كل عام، استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ (إبراهيم: ٣٧-٤٠)»أهـ[٨]، ولا يخفى ما في ذلك من المنافع الدينية والدنيوية في كل مجالات الحياة، فسبحان من غرس حب الكعبة في أفئدة المؤمنين، فلا يقضون منها وطرا أبدا-ولو كثرت الزيارة-، بل كلما ازدادوا زيارة ازدادوا لها حبا واشتياقا.

قبلة الأمة الإسلامية

شاءت إرادة الله أن يختار للمسلمين الكعبة المشرفة قبلة لهم، فحيثما يوجد مسلم في أي بقعة من الأرض لا تصح صلاته إلا إليها، فمن كان في المسجد الحرام وجب عليه استقبال الكعبة، ومن كان في مكة وجب أن يستقبل البيت الحرام، ومن كان خارج مكة وجب عليه أن يستقبل مكة، ولا يوجد مكان يجب على المسلم أن يتوجه إليه في الصلاة غير الكعبة، كذا لا يوجد مكان يجب على المسلمين الإتيان إليه مرة واحدة في العمر سواها، ولا يوجد بناء في الكرة الأرضية يجوز الطواف حوله تعبدا لله غير الكعبة، واتجاهها سيد الاتجاهات وأفضلها وأشرفها؛ لذا ارتضاها الله للأمة قبلة، قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:١٤٤)، والمسلمون يتجهون إليها في أشرف المواطن في الصلاة، والحج، والدعاء، والنوم، والدفن، ونحوها، وهي محور أعمال الحج.

الهوامش

١- التحرير والتنوير (٧/ ٥٤-٥٥).
٢- بدائع الفوائد (٢/ ٢٨١).
٣- تفسير المنار (٧/ ٩٨- ٩٩).
٤- التحرير والتنوير (٤/ ١٦).
٥ - التحرير والتنوير (٤/ ١٤).
٦- تفسير ابن كثير (٢/ ٦٨).
٧- تفسير ابن كثير (١/ ٤١٢).
٨- تفسير ابن كثير (١/ ٤١٣).

د. محمد منصور الهدوي
جمهورية الهند

عبقري توسعة الحرمين الشريفين

محمد كمال إسماعيل..

محمد كمال إسماعيل، أحد أشهر المهندسين المعماريين المصريين، هذا الرجل العبقري العظيم الذي شرفت يداه بتصميم توسعة الحرمين الشريفين، شيخ المعماريين، وأستاذ الأجيال، وأبو العمارة الإسلامية، إن هذا الرجل عاش حياته كلها خادما لله ورسوله، فقد قضى ما يقرب من ثلاثين عاما في التصميم والتنفيذ لتوسعة الحرمين الشريفين التي أمر بها خادم الحرمين الملك فهد -طيب الله ثراه- وشهد عهده أكبر توسعة للحرمين في تاريخ الإسلام، وعلى امتداد ١٤ قرنا.

وأي شرف بعد هذا! فهذا الجمال والبهاء الذي تجده وتراه عندما تزور الحرمين الشريفين، من خلاصة إبداعه ونتاج عقله، هذا التصميم الرائع الفريد الذي أبهر عمالقة المعماريين في جميع أنحاء العالم حتى شهدوا له بالإبداع، هو من وحي فكر هذا العبقري، ليس التصميم فقط وإنما كل ما رأته عيناك داخل الحرمين حتى الإضاءة والتكييف والنقوشات والزخارف والمظلات والأرضيات، كلها من صميم الإبداع الخاص للدكتور محمد كمال إسماعيل.

وكان الملك فهد بن عبدالعزيز هو الذي اختار الدكتور المهندس محمد كمال إسماعيل لهذا العمل الجليل، بعد أن اطلع على مجموعة المجلدات النادرة التي أصدرها قبل ٦٠ عاما تحت عنوان «موسوعة مساجد مصر»، وهي المجلدات التي طبعت في أوروبا في الأربعينيات مرات عدة، ونفدت بعد ذلك فلم يعد لها وجود إلا في مكتبات الجامعات ومراكز الأبحاث، كان أصغر من حصل على الثانوية في تاريخ مصر، وأصغر من دخل مدرسة الهندسة الملكية الأولى، وأصغر من تخرج فيها، وأصغر من تم إبتعاثه إلى أوروبا للحصول على ثلاث شهادات للدكتوراه في العمارة الإسلامية، كما كان أول مهندس مصري يحل محل المهندسين الأجانب



في مصر، وكان أيضا أصغر من حصل على وشاح النيل ورتبة البكوية من الملك، وكان صاحب أفكار عدة جديدة أهمها المظلات التي تغطي المساحات الحالية (الصحن) في المسجد النبوي. لقد استطاع المعماري المبدع المجهول للكثير منا أن يحقق التمازج بين الجمال والروح وأن يظهر عزة الإسلام.

حتى ثلاثينيات القرن الماضي، كان المهندسون الأوروبيون يستحوذون على تصميم معظم المباني الحكومية في مصر، قبل تخرج عدد من المعماريين المصريين، ومنهم محمد كمال إسماعيل الذي نال درجة الدكتوراه في العمارة الإسلامية من مدرسة بوزرال في فرنسا.

السيرة والمسيرة

ولد المهندس محمد كمال إسماعيل في مدينة ميت غمر التابعة لمحافظة الدقهلية حاليا في يوم ١٥ من شهر سبتمبر عام ١٩٠٨م، والتحق بمدرسة المدينة الابتدائية، وبدت عليه أثناء دراسته بوادر التفوق والنبوغ بشكل لافت للأنظار، وبعد ذلك انتقلت أسرته إلى مدينة الإسكندرية للعيش والإقامة بها وليزداد إحساسه بالجمال والفن المعماري فيها عمقا كما كان يقول. وهناك في الإسكندرية وبجوار البحر المتوسط والثروة المعمارية ذات الملامح الأوروبية للمدينة، أنهى تعليمه الثانوي في مدرسة العباسية، وعلى الرغم من أنه تتلمذ على يد أساتذة من إنجلترا وسويسرا درسوا له فنون العمارة العالمية، فإنه تأثر بشدة بفن العمارة الإسلامية ليبدع فيه عقب التخرج ويكون ملهمه لعمل الدراسة الشاملة عن المساجد المصرية المشار إليها، وبعد تخرجه من مدرسة المهندسخانة في أوائل ثلاثينيات القرن الماضي، سافر المهندس محمد كمال إسماعيل إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه التي حصل عليها للمرة الأولى في العمارة من مدرسة الفنون الجميلة الفرنسية عام ١٩٣٣م.

بعد عودته إلى بلاده، التحق بالعمل في «مصلحة المباني الأميرية» التي شغل منصب مديرها في العام ١٩٤٨م، ليضع تصميمات لعدد من الهيئات مثل دار القضاء العالي، ومصلحة التلفونات، ومسجد صلاح الدين بالمنيل، ومجمع المصالح الحكومية الشهير في ميدان التحرير (مجمع التحرير)، الذي أنشئ عام ١٩٥١م، على مساحة ٢٨ ألف متر مربع، ويتكون من أربعة عشر طابقا بارتفاع خمسة وخمسين مترا بتكلفة مليوني جنيه (وقتذاك)، ويحتوي على ١٣٥٦ غرفة وبه صالات وممرات ومناور ونوافذ كثيرة، وقد بناه على شكل قوس وجعل له فناء داخليا كالقصور القديمة التي أقيمت في العديد من المدن الإسلامية. وأما دار القضاء العالي، فقد صممها على الطراز الإيطالي الكلاسيكي من حيث الشكل والارتفاع وحجم الغرف، وتتميز بأعمدتها وصالاتها الواسعة، وقاعاتها العالية والفخمة، ويحتوي المبنى على عدد قليل من قاعات المحاكم المطلة على البهو المركزي.

أعماله المعمارية الرائعة

وكان من أهم أعمال المهندس محمد كمال إسماعيل كما ذكرنا في السابق مبنى دار القضاء العالي، وهذا المبنى يضرب بجذوره في عمق تاريخ القضاء المصري الشامخ، فمنذ إلغاء القضاء المختلط بعد توقيع حكومة



الوفد لاتفاقية مونترو عام ١٩٣٧م، انتهى هذا النوع من القضاء الذي كان صاحب فكرته نوبار باشا أول ناظر للنظار أي رئيس الوزراء في عصر الخديوي إسماعيل، ولذا فقد أصبح مبنى دار القضاء العالي منذ ذلك التاريخ رمزا للقضاء المصري الشامخ بطراز مبناه الضخم بأعمدته وصالاته الواسعة وارتفاع مبانيه، ويلاصقه مبنى مصلحة الشهر العقاري الذي بني في الفترة ذاتها وهو يضم عددا من الهيئات القضائية منها مكتب النائب العام ومحكمتا الاستئناف والنقض ونقابة المحامين الفرعية بالإضافة إلى قاعات المحاكمات وأشهرها قاعة عبدالعزيز فهمي باشا.

وكان من أهم أعمال المهندس محمد كمال إسماعيل قيامه بتصميم أعمال توسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة والإشراف على تنفيذها، وفي المدينة المنورة وفي شهر المحرم من عام ١٤٠٦ هجرية الموافق لشهر سبتمبر عام ١٩٨٥م بدأ العمل بأكبر توسعة للمسجد النبوي الشريف، وقد تم الانتهاء منها عام ١٤١٤ هجرية الموافق لعام ١٩٩٤م، وشملت هذه التوسعة الجهات الشرقية والغربية والشمالية للمسجد وذلك بإضافة مساحة قدرها ٨٢ ألف متر مربع تستوعب حوالي ١٥٠ ألف مصل، وبذلك أصبحت المساحة الكلية للمسجد ٨٩٣٢٦ مترا مربعا تستوعب حوالي ١٧٨ ألف مصل بالإضافة إلى مساحة السطح وقدرها ٦٧ ألف متر مربع منها حوالي ٥٨٢٥٠ مترا مربعا مهيأة للصلاة فيها وتستوعب حوالي ٩٠ ألف مصل، فأصبح مجموع المساحة المهيأة للصلاة ١٥٦٥٧٦ مترا مربعا تستوعب حوالي ٢٦٨ ألف مصل، كما تمت إحاطة المسجد بساحات من الناحية الجنوبية والغربية والشمالية، وتم تبليط أجزاء منها بالرخام الأبيض العاكس للحرارة والباقي غطي بالجرانيت والحجر الصناعي، وتمت إضاءتها بوحدات إضاءة مثبتة على أعمدة مكسوة بالجرانيت وأصبح الآن تعلوها مظلات لتقي الناس حرارة الشمس وشدة البرد والمطر أثناء أداء الصلاة، وهذه المظلات عبارة عن شمسيات من القماش الأبيض السميك قابلة للفتح والإغلاق بشكل آلي وتظهر في حال فتحها بشكل النوافير المائية وفي حال إغلاقها تظهر كأنها منارات صغيرة ذات رؤوس مخروطية ولها نظام تحكم بواسطة جهاز كمبيوتر مركزي يعمل بالطاقة الكهربائية وتأخذ في فتحها أو غلقها وقتا يصل إلى حوالي ٣ دقائق، وقد استكملت هذه المظلات بعد ذلك وانتهى العمل بها خلال شهر أغسطس عام ٢٠١٠م بأمر من الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، وشمل المشروع تصنيع وتركيب ٢٥٠ مظلة على أعمدة ساحات المسجد النبوي، وبلغت تكلفة هذا المشروع ٤,٧ مليارات ريال سعودي، وقد صممت هذه المظلات خصيصا للمسجد النبوي وهي بارتفاعين مختلفين بحيث تعلو الواحدة الأخرى على شكل مجموعات لتكون متداخلة فيما بينها ويبلغ ارتفاع الأقصر منها ١٤,٤٠ مترا والأطول ١٥,٣٠ مترا فيما يتساوى ارتفاع جميع المظلات في حالة الإغلاق.

وتقع تحت هذه الساحات مواقف للسيارات تتكون من طابقين تحت سطح الأرض وتتصل بالطرق الرئيسية بواسطة ٦ مداخل ومخارج وتستوعب حوالي ٤٤٤٤ سيارة، وقد أحيطت هذه الساحات بسور طوله ٢٢٧٠ مترا وبه بوابات وتضم هذه الساحات مداخل لدورات المياه وأماكن الوضوء وأماكن لاستراحة الزوار وتتصل بمواقف السيارات التي توجد في طابقين تحت الأرض ويبلغ مجموع مساحات هذه الساحات ٢٣٥ ألف مترا مربعا مهيأة للصلاة وتستوعب حوالي ٤٣٠ ألف مصل وبذلك يرتفع مجموع المصلين الذين يستوعبهم المسجد وسطحه وساحاته إلى أكثر من ٦٩٨ ألف مصل، وقد صممت في هذه التوسعة الأعمدة والأروقة على نسق التوسعة السعودية الأولى وغطيت الجدران الخارجية بالجرانيت وتمت إضافة ٦ مآذن جديدة تتناسق مع المئذنتين اللتين تم إنشاؤهما أيضا في التوسعة السعودية

الأولى ٤ منها موجودة بالأركان الأربعة للتوسعة ومئذنتان في منتصف الجانب الشمالي وهي بارتفاع ١٠٣,٨٩ أمتار مع الهلال، وتتكون كل مئذنة من ٥ أجزاء الأول منها مربع الشكل وطول ضلعه ٥,٥ أمتار وبارتفاع ٢٧ مترا ومغطى بحجر الجرانيت يعلوه جزء مثمن الشكل قطره ٥,٥ أمتار وبارتفاع ٢١ مترا ومغطى بالحجر الصناعي الملون ويعلوه جزء أسطواني الشكل قطره ٥ أمتار وبارتفاع ١٨ مترا يعلوه جزء أسطواني الشكل قطره ٤,٥ أمتار وبارتفاع ١٥ مترا، وفي النهاية جزء مخروطي الشكل تعلوه قبة وينتهي بهلال برونزي طوله ٦,٧ أمتار بوزن ٤,٥ أطنان مطلي بالذهب عيار ١٤ قيراطا.

وكان للمسجد قبل هذه التوسعة ١١ بابا أصبح ٥ منها داخل مبنى التوسعة الجديدة وهي باب الملك سعود وباب عمر وباب عثمان وباب عبدالمجيد وباب الملك عبدالعزيز، وصار عدد المداخل الإجمالي ٤١ مدخلا بعضها يتكون من باب واحد وبعضها من بابين ملتصقين وبعضها من ٣ أبواب وبعضها من ٥ أبواب متلاصقة فيصير العدد الإجمالي ٨٥ بابا، وقد بنيت هذه المداخل من الخرسانة المسلحة وكسيت بالرخام من الداخل ومن الخارج كسيت بالجرانيت وزودت بأبواب خشبية ضخمة بعرض ٣ أمتار وارتفاع ٦ أمتار، واستخدم في تجهيز الأبواب الخشب العزيزي المستورد من السويد والمكسو بالبرونز، وكتب في وسط كل باب محمد، ويعلو كل باب لوحة من الحجر مكتوب عليها آية: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر:٤٦)، وأسفل الدور الأرضي يوجد دور سفلي بمساحة ٨٢ ألف متر مربع وبارتفاع ٤,١ أمتار كسيت كامل أرضيته بالسيراميك وصممت خصيصا لتستوعب التجهيزات المختلفة من أعمال التكييف والتهوية وشبكات المياه والصرف الصحي وشبكة الإنذار وإطفاء الحريق وشبكة مياه الشرب وأجهزة التحكم بالقباب والمظلات وأنظمة الصوت والكاميرات إلى غير ذلك من الأعمال ولهذا الدور ٨ مداخل.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد اشتمل التصميم على وجود عدة أفنية بهدف التهوية والإنارة الطبيعية عند الحاجة وعددها ٢٧ فناء بمساحة ٣٢٤ مترا مربعا لكل منها وغطيت بقباب متحركة بارتفاع ٣,٥٥ أمتار من منسوب سطح التوسعة وعلى ارتفاع ١٦,٦٥ مترا من منسوب الدور الأرضي وبنصف قطر داخلي بلغ ٧,٣٥ أمتار، وبلغ وزن الواحدة منها ٨٠ طنا، ويتكون الوجه الداخلي لها من طبقات الخشب بسمك ٢٠ مم مرصعا بالأحجار القيمة داخل إطارات مذهبة استخدم في كل منها ٦٧,٥ كيلوجراما من الذهب، وتتكون حوائط المسجد من حائطين بينهما فراغ وهي مرتبطة بأعمدة مسلحة وتبلغ سماكة الحائط الداخلي ٣٠ سم والخارجي ٣٠ سم وجميع الحوائط والعقود والأسقف مبنية من الخرسانة المسلحة وقد كسيت من الداخل ببلاطات من الحجر الصناعي وقد تمت زخرفتها بحيث تناسب نظيرتها في التوسعة السعودية الأولى. وتشمل أعمال الزخارف الكرانيش لتجميل الحوائط والمآذن وأعمال الحديد المشغول والأبواب الخشبية المطعمة بالنحاس وأعمال التكسية بالرخام المزخرف، وقد شملت هذه التوسعة أيضا إنشاء بعض مباني الخدمات العامة وعددها ١٥ وحدة كل منها يتكون من ٤ أدوار وهي تربط مواقف السيارات بالساحات الخارجية للمسجد والتي تعلوها بواسطة سلالم كهربائية كما تشمل هذه الوحدات ٦٩٠ نافورة لشرب المياه و١٨٩٠ دورة مياه و٥٦٠٠ وحدة للوضوء، كما يوجد في المسجد صحن مستطيل الشكل شمالي البناء المجيدي القديم تم نصب ١٢ مظلة فيه لتقي الناس حرارة الشمس وشدة البرد والمطر وهذه المظلات مثلها مثل مظلات الساحات لكن تحملها هنا أعمدة حديدية مكسوة بالرخام الأبيض الفاخر.



أ.د. أبو المعاطي الرمادي
جامعة الملك سعود

الحج عرفة

يوم عرفة يوم من أيام الله، ميزه رب العزة عن غيره من أيام العام بفضائل لم يميز بها غيره: فقد أقسم الله به، فهو اليوم المشهود في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (البروج:٣)، وهو الوتر في قسم رب العزة ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ (الفجر:٣)، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم.

وخصه ربنا بنزول قرآن يتلى إلى يوم الدين، ففيه نزل قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وهو يوم غفران الذنوب والعتق من النيران، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟» (صحيح مسلم).

وصيامه من غير الحاج يكفر ذنوب سنتين: سنة ماضية، وسنة قادمة، فعن رسول الله ﷺأنه قال: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده» (صحيح مسلم).

وفيه: يدحر الشيطان كما أخبرنا رسولنا الكريم ﷺ: «ما رئي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أري يوم بدر قيل وما رأى يوم بدر يا رسول الله قال أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة» (رواه مالك والبيهقي).

وهو يوم فيه يستجاب الدعاء، فلا ترد فيه يد مبسوطة، ولا يحرم لسان طالب، ولا يمنع قلب راج.

سنن يوم عرفة

يسن للحاج أن يقوم بما كان يقوم به النبي ﷺ يوم عرفة، فيغتسل ويتطهر، ويذهب من منى إلى نمرة، وبعد زوال الشمس؛ أي حين يحين وقت الظهر، يتجه إلى عرفات، ويجب عليه أن يكثر من الدعاء والتلبية في الطريق من منى إلى

عرفات، وعلى عرفات يجهر بالتوبة، ويكثر من الاستغفار، والصلاة على النبي، والدعاء، والتسبيح، والتهليل والتكبير؛ مقتنعا أن اليوم يوم غفران الذنوب والعتق من النيران.

وأفضل الدعاء في هذا اليوم ما أرشدنا إليه النبي ﷺ فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «أفضل الدعاء، دعاء يوم عرفة. وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، وحده، لا شريك له له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» (رواه الترمذي).

وعلى عرفات يجمع بين صلاتي الظهر والعصر جمع تقديم مع القصر، والوقوف عند الصخرات وجبل الرحمة، واستقبال القبلة، وعدم الصوم.

ويستحب من المسلم غير الحاج في هذا اليوم أن يصوم لقول النبي ﷺ: «صيام يوم عرفة؛ أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء؛ أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» (صحيح مسلم)، وأن يكثر من الدعاء والتضرع إلى الله تشبها بالحجيج، وطمعا في الفوز بما سيفوزون به.

مخالفات يوم عرفة

يقع بعض الحجيج في مخالفات شرعية يوم عرفة، بدون قصد، لجهل بالمناسك وما يجب فيها، لكنها مخالفات صريحة لهدي النبي ﷺ لا يجب الوقوع فيها، مثل: الوقوف خارج حدود جبل عرفات، واستقبال الحاج الجبل عند الدعاء ولو كانت القبلة خلفه، والإصرار على صعود الجبل، والانشغال بالطعام والشراب واللهو عن الذكر والدعاء، ومغادرة صعيد عرفات قبل غروب الشمس، وعدم الالتزام بآداب الدعاء، وصلاة المغرب والعشاء بعرفات، وقد صلاهما النبي ﷺ بالمزدلفة.

إن يوم عرفة ليس يوما يكتمل به ركن الحج الأعظم فقط؛ فهو يوم المغفرة والعتق من النيران، يوم العزة؛ فيه يعز الله الإسلام والمسلمين، بتجمع الملايين طائعين في وقت واحد وبمكان واحد، الخاسر فيه من يظن أن الله لن يغفر له. قال عبد الله بن المبارك لسفيان الثوري عشية عرفة، وهو يبكي بحرقة: «من أسوأ هذا الجمع حالا؟، فقال: الذي يظن أن الله لا يغفر له»، والرابح فيه من غادر مغفورا له.







عصام محمد فهيم جمعة
باحث في الشريعة والقانون

يوم الغنيمة الباردة

يوم عرفة من أفضل أيام السنة على الإطلاق، يوم تجاب فيه الدعوات، وتقال فيه العثرات، وتغفر فيه الزلات، يوم عمت بركته العصاة والمذنبين فكيف بالعابدين المخلصين، والحديث عن يوم عرفة، حديث عن أفضل الأيام وأبركها وأعظمها عند الحجاج وغيرهم، والوقوف بعرفة هو ركن الحج الأكبر فمن فاته فقد فاته الحج، يقول النبي ﷺ: «الحج عرفة»[1].

سبب التسمية

وقد اختلف العلماء في سبب تسمية يوم عرفة أو عرفات على أقوال منها: أن الناس يجتمعون فيه فيتعارفون فيه، وقيل: لأن العباد يتعرفون على ربهم بالطاعات والعبادات.

وقيل: لأن جبريل عليه السلام كان يطوف بإبراهيم عليه السلام ليريه المناسك والمشاهد، حتى إذا أتى عرفة، فقال له: هل عرفت ما أريتك؟ قال نعم فسمي عرفة لذلك.

وقيل: لأن آدم وحواء لما أهبطا إلى

الأرض تفرقا، فاجتمعا بعد طول البحث بعرفة وتعارفا هناك.
وقيل: هو اسم مأخوذ من العرف، بمعنى: الطيب والرائحة الزكية، ولأن الله طيب هذه البقعة، فهي واد مقدس معظم، لأنه من شعائر الله[٢].

من فضائل يوم عرفة

ثبت لهذا اليوم من الفضائل ما يشجع الحجاج وغيرهم على ضرورة اغتنامه فهو الغنيمة الباردة التي لا شوكة فيها، فتعال أخي المسلم لكي نتعرف سويا على فضائل هذا اليوم المبارك، وما ميزه الله به على غيره من الأيام.
ومن فضائل هذا اليوم أن الله سبحانه وتعالى أقسم به، عرفة، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم، فهو اليوم المشهود في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (البروج: ٣).
قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة)[٣].
ويوم عرفة هو الوتر الذي أقسم الله به في قوله: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ (الفجر:٣)، قال ابن عباس: (الشفع يوم الأضحى، والوتر يوم عرفة).
وفي يوم عرفة نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).
هذه الآية العظيمة قال أحد اليهود وقد فهموا معناها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنكم معشر المسلمين تقرؤون في كتابكم آية لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا.. فقال عمر: وما تلك؟ قالوا هي قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾؛ فقال عمر رضي الله عنه: والله إني لأعلم في أي يوم أنزلت وفي أي ساعة أنزلت وأين أنزلت وأين كان رسول الله ﷺ حين أنزلت: أنزلت ورسول الله فينا يخطب ونحن وقوف بعرفة[٤].
ومعني إكمال الدين في ذلك اليوم حصل لأن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام الفريضة من قبل فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها، ولأن الله أعاد الحج على قواعد إبراهيم - عليه السلام - ونفى الشرك وأهله فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد.
وأما إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة فلا تتم النعمة بدونها كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ٢)، وقيل لأن هذه الآية لم ينزل بعدها تحليل ولا تحريم.
كما أن يوم عرفة هو يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف، وهذا ما أخبر عنه رسول الله ﷺ؛ فعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة، قال: فقال رجل: يا رسول الله، هن أفضل أم عدتهن جهادا في سبيل الله، قال: هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي شعثا غبرا ضاحين جاؤوا من كل فج عميق يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم ير يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفة)[٥].
وعن ابن المسيب قال: قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء)[٦]. وفي رواية يقول ربنا عز وجل: «أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم».
ويوم عرفة يوم يغيظ الشيطان، يوم يعم الله عباده بالرحمات ويكفر عنهم السيئات، ويمحو عنهم الخطايا والزلات، مما يجعل إبليس يندحر صاغرا؛ يقول حبيبنا محمد ﷺ وهو يصف الشيطان وحاله في ذلك الموقف يقول: (ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أوري يوم بدر قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول الله قال: أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة)[٧].

من مستحبات يوم عرفة

يستحب فيه الإكثار من شهادة التوحيد، فإنها أصل دين الإسلام الذي أكمله الله - تعالى- في ذلك اليوم وأساسه، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)[٨]، وتحقيق التوحيد يوجب عتق الرقاب، وعتق الرقاب يوجب العتق من النار؛ كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له

الملك وله الحمد وهو على شيء قدير. في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)[٩].

وكذلك الإكثار من الدعاء، الإكثار من الدعاء بالمغفرة والعتق من النار: فقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن علي رضي الله عنه قال: ليس في الأرض يوم إلا لله فيه عتقاء من النار، وليس يوم أكثر فيه عتق للرقاب من يوم عرفة، فأكثر فيه أن تقول: اللهم اعتق رقبتي من النار، وأوسع لي من الرزق الحلال، واصرف عني فسقة الجن والإنس، فإنه عامة دعائي اليوم.

فهو يوم بث النجوى فعلى كل مسلم لأن يبث نجواه لملك الملوك ورب الأرباب ويتذلل لله في هذا اليوم، فيقول: يا رب أهلي عيالي، يا رب فقري وضعفي ومسكنتي، وينادي ربه نداء خفيا.

فعلى المسلم أن يتفرغ للذكر والدعاء والاستغفار في هذا اليوم العظيم، وليدع لنفسه ولوالديه ولأهله ولجميع المسلمين المستضعفين في كل مكان.

كما يستحب فيه الصيام، لأن صيامه يكفر ذنوب سنتين، يقول النبي ﷺ: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده)[١٠].

وإنما يستحب الصيام لغير الحاج، أما الحاج فيستحب له الإفطار ليتقوى على العبادة والذكر، وسئل ابن عيينة عن سر ذلك، فقال لأنهم زوار الله وأضيافه، ولا ينبغي للكريم أن يجوع أضيافه[١١]، ولأن النبي ﷺ ترك صومه، وروي عنه أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة؛ فليحرص المسلم غير الحاج على صيامه، وليأمر كل منا أهله بصيامه، من أجل أن ننال مغفرة الله تعالى.

ويجب في هذا اليوم وفي كل يوم حفظ الجوارح عن الذنوب والمعاصي والآثام، يقول النبي ﷺ: (هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له)[١٢].

فأين المسلم الذي يحفظ جوارحه من المعاصي في هذا اليوم المبارك كي يغيظ الشيطان؟

ومما يستحب في يوم عرفة الإكثار من فعل الخيرات، وبذل المعروف والإحسان إلى الناس، والإنفاق والصدقة، فإن العمل الصالح يضاعف أجره في الأوقات الفاضلة، وكذلك السيئات تتضاعف في الأيام الفاضلة.

من أحوال السلف يوم عرفة

لقد كان لسلفنا الصالح في موقف عرفة مآثر لا تنسى ومواقف خالدة:

- فقد وقف مطرف بن عبدالله وبكر المزني بعرفة فقال أحدهما: اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلي.

- وقال الآخر: ما أشرفه من موقف وأرجاه لأهله لولا أني فيهم وهذا من التواضع واتهام النفس بالتقصير في حق الجليل.

- وروي عن الفضيل بن عياض أنه نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقا. - يعني: سدس درهم - أكان يردهم؟ قالوا: لا، قال: والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق.

- وقال ابن المبارك جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تذرفان فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالا؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له.

- كان حكيم بن حزام يقف بعرفة ومعه مئة بدنة مقلدة، ومئة رقبة، فيعتق رقيقه، فيضج الناس بالبكاء والدعاء يقولون: ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيده، ونحن عبيدك فأعتقنا[١٣].

- وقف الفضيل بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة، قد حال البكاء بينه وبين الدعاء، فلما كادت الشمس أن تغرب رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوءتاه منك وإن عفوت[١٤].

- وكان أبو عبيدة الخواص قد غلب عليه الشوق والقلق ويقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه، وكان بعد ما كبر يأخذ بلحيته ويقول: يا رب! قد كبرت فأعتقني[١٥].

هكذا كان حال الصالحين في هذا اليوم المبارك؛ فكيف حالي وحالك ونحن المقصرون المذنبون، فاللهم بلغنا يوم عرفة ونحن في صحة وعافية وستر، وارزقنا فيه العتق من النيران والفوز بالجنان برحمتك يا أرحم الراحمين.

الهوامش

١- رواه أبو داود.
٢- راجع تفسير القرطبي، (ج ٢، ص ١٢٩)، وتفسير ابن كثير، (ج١، ص ٢٤١).
٣- رواه الترمذي وحسنه الألباني.
٤- رواه البخاري ومسلم.
٥- صحيح ابن حبان.
٦- رواه مسلم.
٧- رواه مالك والبيهقي وعبدالرزاق وابن عبدالبر.
٨- رواه الترمذي وحسنه الألباني.
٩- متفق عليه.
١٠- رواه مسلم.
١١- من أسرار الحج والعمرة، نبيل حامد المعاذ، (ص ٧٣).
١٢- أخرجه الطبراني في الكبير.
١٣- لطائف المعارف (١ /٢٩٩).
١٤- لطائف المعارف (١ /٣١٠).
١٥- صفة الصفوة (٤ /٢٧٦).



د. محمد حسن بدر الدين
دكتوراه في العلوم الإسلامية

موسم إعلان التوحيد

تمثل عبادة الحج أعظم مظهر لوحدة المادي والروحي في الإسلام؛ فهي تجمع في أيام معدودات، على امتداد الزمن، أجناسا عديدة من البشر، ومن ورائهم أفئدة ملايين المسلمين، ليشهدوا أكبر مهرجان إسلامي تتجمع فيه وحدة الصفوف والقلوب والأهداف، نحو غاية واحدة ورمز واحد. يتجردون فيها من قيود المكان واللباس والمأوى والطعام، في أبهى صور التعظيم لله والتقرب إليه، وتجسيد مبدأ شعائر الله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢).

ترشدنا الآية الكريمة إلى أن ما أمر الله به من توحيد وإخلاص في العبادة والعمل، وامتثال أمره وتعظيم معالم دينه، ومنها أعمال الحج وأماكنه، والذبائح التي تذبح فيه، إنما هي من أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته[1].

والشعائر هي المعالم الواضحة. وهي لقب لمناسك الحج. ولأن الإسلام دين التوحيد الخالص، لا وساطة فيه ولا كهنوت، ولأن الله تعالى لا تدركه الأبصار: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الأنعام:١٠٣)، فإنه سبحانه اختار أمورا ظاهرة محسوسة، اختصت به ونسبت إليه، وتجلت عليها رحمته، وحفتها عنايته، بحيث إذا رآها الناس ذكروه وعظموه. كما ارتبطت بهذه الأمور وقائع وحوادث وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه، ودينه وتوحيده، وحسن بلاء أنبيائه وجهادهم في سبيل الحق والخير. ولذلك سميت هذه الأمور والأحداث شعائر الله، لأنه جعل تعظيمها من تعظيمه، والتفريط في جنبها تفريطا في جنبه. وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن في نفوسهم، ورغبتهم الفطرية في الدنو والمشاهدة، بل حث على ذلك ودعا إليه فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ

عِندَ رَبِّهِۦ﴾ (الحج:٣٠)[٢].

تخليد مآثر إبراهيم الخليل وتعاليمه

من مظاهر منزع الشمول في عبادة الحج كونها جماعية، تربط جموع المؤمنين في عمل دائب لتحقيق إرادة الله، ضمن وحدة فكرية وعملية، زكاها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٣).

يتراءى هذا التأليف بين القلوب بوضوح في المشاركة الوجدانية العامة التي حكمت علاقات الأفراد في مجتمع الحج. وهي مشاركة فريدة تحطم الفوارق، وتزيل الكبرياء من النفوس، مهما كانت مكانتها، إلى مستوى التساوي بمجموع المسلمين.

يعتبر الحج أيضا أحد أبرز مقومات تزكية النفس، لأنه تعويد على التسليم لله وبذل الجهد والمال في سبيله. فضلا عما يزرعه في قلب الإنسان المسلم من قيم التعارف والتعاون والتنزه عن اللذات والاقتصار على الضروريات. والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات.

إن المسلمين حين يقومون بمناسك الحج، إنما هم يعيدون بطريقة عملية حية تاريخ الإيمان الإبراهيمي على أرض الواقع، المتجدد كل عام، فهم يفارقون بلدانهم وأوطانهم تلبية لأمر الله، ويأتون إلى الكعبة أسوة وتقليدا لمنهج الخليل عليه السلام، الذي فارق وطنه لتأسيس روابط الدين الخالد[٣].

يمر الحجيج بكل المراحل والتجارب التي مارسها إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، إلى أن ينتهوا إلى مرحلة التلبية (لبيك اللهم لبيك)، ذلك النداء الروحي الخالد، في اجتماع عرفات العظيم. فيرجمون الشيطان كما رجم إبراهيم وإسماعيل، لا تبديل ولا تعديل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٣٠).

فكأن جميع الحجيج يسرون ويعلنون في طوافهم وسعيهم وجميع شعائر الحج: اللهم إنا على منهج إبراهيم سائرون، ولله طائفون وعاكفون وراكعون وساجدون، تصديقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة:١٢٥).

وهم حين يأتون من كل فجاج الأرض إنما يحققون التلبية لدعوة الله التي أذن بها إبراهيم الخليل عليه السلام منذ آلاف الأعوام والسنين: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ (الحج:٢٨).

هذه المنافع التي يشهدها الحجيج كثيرة وعديدة، لأن الحج موسم عظيم ومؤتمر كبير واجتماع جليل تتحقق فيه مظاهر التعاون والتعارف، وتلتقي فيه الدنيا والآخرة كما تلتقي فيه ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة. فهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح وتستشعر قربها من الله في بيته الحرام. وهو سوق عالمية تقام في كل عام، تتبادل فيها المنافع والخبرات. وهو ملتقى جامع لكل المسلمين يجدون فيه أصلهم العريق الضارب في أعماق التاريخ والأزمنة منذ أسلم إبراهيم الخليل وقال لربه أسلمت لرب العالمين: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة:١٣١).

ومنذ ذلك التاريخ اقترن اسم المسلمين بالشهادة على الناس: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (الحج:٧٨).

تناغم الإيمان والتوحيد

يجسد الحج الأبعاد العالمية للأمة الإسلامية، فيكشف أنها أمة الوحدة والتوحيد والتعاون، وعدم التمييز بين الأجناس. كما يحيي الحج في نفوس جميع المسلمين ذكريات عميقة تحرك الشوق الباطني نحو الكعبة المشرفة، واستلهام تاريخ النبي محمد عليه الصلاة والسلام في كفاحه الطويل من أجل ترسيخ التوحيد، وكسر الأوثان والأصنام، وتحرير البشر من عبودية غير الله.

روت كتب السيرة أن الرسول ﷺ أمر بتحطيم الأصنام وتطهير البيت

الحرام منها، وشارك في ذلك بيده، فكان يهوي بقوسه إليها فتتساقط، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء:٨١)، وكانت ستين وثلاثمئة من الأنصاب، ولطخ بالزعفران صور إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهم يستقسمون بالأزلام، وكانت هذه الصور داخل الكعبة، وقال: قاتلهم الله ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام[٤].

لم يدخل الرسول ﷺ الكعبة إلا بعد أن محيت هذه الصور منها، ثم دخلها فصلى فيها ركعتين، وذلك بين العمودين المقدمين منها، وكانت مبنية على ستة أعمدة متوازية. وهكذا تم تطهير البيت المعمور من مظاهر الوثنية والجاهلية، ليعود كما أراد له الله تعالى، وكما قصد ببنائه إبراهيم وإسماعيل مكانا لعبادة الله وتوحيده[٥].

ويحقق الحج أيضا فكرة الإسلام المركزية في التوحيد بين قوى الجسد والروح، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة. وهي حركة مزدوجة يتجه بها الإنسان نحو خالقه تعالى، إذ لا ملجأ إلا إليه، ولا مقصد إلا وجهه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء:١٢٥). وهي حركة مد وكدح في الحياة الدنيا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الانشقاق:٦). وفي الوقت ذاته هي حركة جزر وبركة وعطاء يمن الله بها على الإنسان، تماما كانبساط القلب وانقباضه في حالتي اليسر والعسر: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة:١٥٦).

تزول في الحج الطبقات، وتغيب الشهوات والنزوات، فلا أحد يقول: أنا، أو يتباهى بمكانته الدنيوية، بل الجميع في خضوع لله تبارك وتعالى. وهذا درس عظيم في تهذيب النفوس وإصلاح العيوب، ودفع الاستعلاء والتفاخر والغرور. فإذا ما حصلت تلك التزكية، نزلت الرحمة والمغفرة، وخاصة يوم عرفة[٦]؛ لأنه موقف مصغر عن يوم الحشر، حيث نشاهد أفواجا متلاطمة من عباد الله جاءوا من كل حدب وصوب في يوم محدد، وقفوا في مكان واحد مجردين من كل شيء، لا يرجون إلا رحمة ربهم العزيز الغفار، تتجلى في ذلك الموقع عظمة الإسلام، وتبرز مظاهر الإنسانية والأخوة والمساواة، فلا رئيس ولا مرؤوس، ولا حاكم ولا محكوم، ولا غني ولا فقير، ولا أبيض ولا أسود ولا أصفر، الجميع عبيد لله، الكل يناجي ربه العظيم طمعا في مغفرته ورضوانه، استعدادا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر:٦٨).

يجسد الحج معاني كثيرة ونفيسة فهو تذكير عظيم بقصة التوحيد وكفاح الأنبياء والرسل من أجل نشر الحق والعدل. وهو طريق عظيم لتحقيق وحدة المسلمين، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم، أمام أنفسهم وأمام العالم، بعد أن من الله عليهم بالأمن والإيمان منذ أن بعث إليهم سيد الأنام، قال سبحانه مذكرا بتلك النعم: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (العنكبوت:٦٧).

الهوامش

١ - التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، المدينة المنورة، ج١، ص:٣٣٦.

٢ - أبو الحسن الندوي، الأركان الأربعة، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ص:٢٢٣.

٣ - وحيد الدين خان، حقيقة الحج، ترجمة: ظفر الإسلام خان، دار الصحوة للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م، ص:٨.

٤- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، ط٦، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٢، ص:٤٨٣.

٥- أحمد بن حنبل، أبو عبدالله بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ) المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط١، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٤، ص:٤٤٣.

٦- محمد متولي الشعراوي، الحج المبرور، مطبوعات أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٠م، ص:٥٤.

د. علي مدني رضوان الخطيب
دكتوراه في الشريعة الإسلامية



رسائل الحج الأكبر إلى مسلمي العالم

شعيرة وفريضة جامعة وشاملة جمعت فيها أركان الإسلام في زمان معلوم (الحج أشهر معلومات) ومكان معلوم (في مكة) مهبط الوحي وأرض الرسالات أشرف بقاع الدنيا «البلد الحرام»، ليظل عالقا في الأذهان كلما أهلت أيام الحج وهبت على القلوب نسائمه حملت معها جملة من الرسائل الفورية التي يتذكرها المسلمون قاطبة، فتحيا بها قلوبهم وتشرئب أعناقهم متجهة حيث الصورة التي لا تخطئ، لترى الحجيج في أبهى حلة يرددون ويلبون «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

تتمثل الرسالة الأولى للحج في استدعاء صورة اليوم الآخر وسوق الناس من لدن آدم في أرض المحشر من خلال هذه التجربة العملية في شعيرة الحج الأكبر وقد لبس الحجيج ملابس الإحرام البيضاء وتوشحوا بها بعدما تركوا أهلهم وأوطانهم ومتاعهم وكل ما يتعلق بصبغة الطين والأرض وتركوا الديرة والجيرة والمناصب والألقاب والرتب والنياشين تماما كما يترك الميت أهله وولده وبيته ومتاعه حتى يجردونه من خاتمه وساعة يده مسجى في حنوط وكفن أبيض، فيتذكر على الفور مشهد القيامة وهو يستدعي تلك الصورة الماثلة في الأذهان كلما احتاج إليها كي لا تتحرف به البوصلة عن مسارها الصحيح فيرجع إلى وطنه بنية جديدة يعزم فيها على الجد والعمل لمثل هذا اليوم الذي يتشابه معه كثيرا في الشكل والمضمون.

وتأتي الرسالة الثانية لتؤكد على المساواة بين بني البشر حيث تبرز الآدمية اليوم كما لم تبرز من قبل (كلكم لآدم) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب»(صحيح الترمذي)، (ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (البيهقي).

اللباس واحد والزمان واحد والمكان واحد والنسك واحد والنشيد واحد والمشاعر واحدة رغم اختلاف الأجناس واللهجات والمراكز والألقاب والعادات والأعراف، ترى ذلك واضحا وجليا وأنت ترقبهم عن كثب في صعيد عرفات في هذه البقعة المكانية الشريفة فلا تكاد تميز أحد عن أحد كأن الجميع صاروا بني آدم على الحقيقة المجردة

في المنبت والنشأة.

وتشير الرسالة الثالثة إلى أنه لا قيمة للعادات والتقاليد والأعـراف إذا ما تعارضت مع قيم الإسلام ومبادئه (ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم، أو مـال، تحت قدمي) (سنن أبي داود).

وتتمثل الرسالة الرابعة في إغاظة عدو الله في مثل هـذا اليـوم وذلـك بتمام الطاعة والامتثال والـولاء الكامل لله تعالى، وإعـلان التوحيد قـولا وعملا، ورجـم الشيطـان الـذي لطالما خـرب البيوت العامرة وفرق الأسر المترابطة وقطع الأرحام المتواصلة ودفع الناس لأكل الحرام والوقوع في الباطل ها هو اليوم يرجم ويدحر ويقصى.

مع الشعور بالعزة والفخر والانتماء لهذا الدين الإسلامي العظيم حيث اكتمال الدين وتمام النعمة وجمع أركان الإسلام كلها في نسك واحـد ليكون تعظيمها من دلائل التقوى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢)، ففي هذه الشعيرة وإحيائها في قلوب العالمين وصرف العبادة لخالق السموات والأرضـين ينبت في قلوب الخلائق هذا الاعتراف المدوي ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنـعـام:١٦٢)، ليكون ذلك ترجمة عملية من الاستعانة والاستغاثة والتوكل والخشية والخوف والرجاء والإنابة والدعاء والنذر والذبح والـطـواف والنسك لله رب العالمين، فيقوى القلب وتبتهج النفس وتنشط الجـوارح وتلقي بكلكلها لتركن إلى من أزمـة الأمـور كلها بيده والـذي يقول للشيء كن فيكون.

وتحمل الرسالة الخامسة معنى كمال الطاعة حيث تبرز الطاعة اليوم في أبهى معانيها وأرقـى مقاماتها بداية من الدخول في النسك بميقات زماني ومكاني لا يتعداه، حتى إذا وصل إلى البيت طـاف سبعا طاعـة لا اختيارا وصلى ركعتين في المقام وشرب وتضلع من ماء زمزم وسعى بين الصفا والمروة سبعا طاعة لا اختيارا، ثم الحلق أو التقصير طاعة لا اختياراً ثم التوجه إلـى عـرفـات ملبيا ومصليا للظهر والعصر جمعا وقصرا طاعة لا اختيارا، ثم النفرة إلى المزدلفة وصلاة المغرب والعشاء جمعا وقصرا طاعة لا اختيارا والمبيت في منى وذبـح الـهـدي ورمـي الجمرات بعدد معين وفي زمان محدد طاعة لا اختياراً.. ماذا يعني ذلك؟

يعني أن الحاج الذي يتدرب كل يوم –بل كل لحظة– للدخول في نسك مختلف لا يملك فيه سـوى الامتثال والطاعة المقيدة إنما يصبح هذا الشعور صفة راسـخـة عـنـدما يـرجـع إلـى مستقره فيستدعي هذه الصورة الجميلة كلما تذكر الزمان والمكان والحـدث فيعينه ذلك على مواصلة الطاعة في صغير الأمـر وكبيره لله رب العالمين فيعتق رقبته من النار في الآخـرة ومن مغبة الخذلان في الدنيا.

ويـتـدرب على تـرك المـألـوف إذ ربما يسكن الحاج في قصر منيف وخدم وحـشـم ومـال وولـد وزرع وضـرع وحاشية وضياع فإذا به يترك كل ذلك مختارا بإرادته ليختار ما عند الله حينها يسهل عليه تركه يوما ما بغير إرادته، يقول ابن عطاء الله: «الخذلان كل الخـذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه».. الله تعالى يريدك في الحـج لـه وحـده فينتزعك مـن واقـع حياتك برمتها ومـن مألوف عيشك إلى نمط جديد غير الذي تعرفه وما تألفه وأنت تدخل من نسك إلى نسك ومن هدي إلى هـدي آخر حتى تصفو نفسك وتخلص نيتك ويحيى ضميرك فتدرك أن وجـودك في الدنيا على سبيل الضيافة ومـا أنـت إلا عابر سبيل عما قليل تترك هذه الأوطان لترحل إلى وطنك الأول الـذي خرج منه أبوك آدم «عليه السلام».

والحـج ميلاد جديد للحجيج وبياض صفحتهم بعد مغفرة الـذنـوب وستر العيوب ومحو السيئات ومغفرة الزلات والـرجـوع كيوم ولدتهم أمهاتهم يقول عمرو بن العاص ﵁: (لما جعل الله الإسـلام فـي قلبي أتيـت النبي ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: ما لك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط ماذا؟ قلت: أن يغفر لي، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟) (مسلم).

وفي الحديث المتفق عليه «من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» (البخاري ومسلم).

وربما يتساءل البعض لماذا يرجع الحاج كيوم ولدته أمـه ولـم كل هـذا الفضل وتلك المزية في أداء فرض واحد من أركان الإسلام؟

أولا: بسبب الامتحان العسير الذي وضـع فيـه الحـاج مـن تـرك الألـقـاب والأحـسـاب والأنـسـاب بـعـدما صـار الـلـبـاس والـزمـان والمـكـان والـهـتـاف والنسك واحدا بلا تمييز وذلـك قمة التجرد لله تعالى واستعداد النفس للتخلي عن كل شيء في مقابلة شيء واحـد هو الحصول على مرضاة الله تعالى.

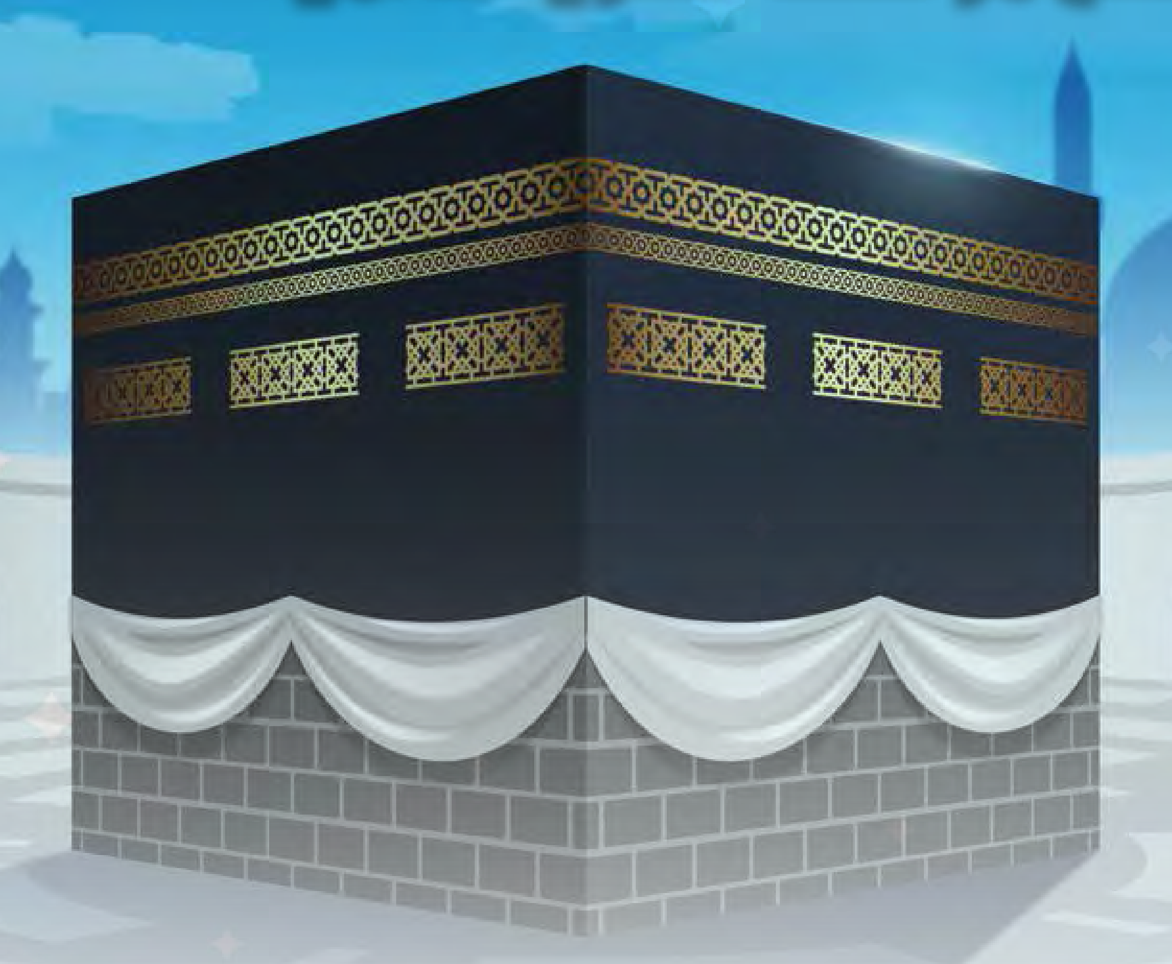
ثانيا: عناء السفر ووحشة الاغتراب وجفوة بعض الناس.

ثالـثـا: اعـتـراف داخـلـي أن الله أكبر من كل شيء من المال والزوجة والولد والـوطـن والمـنـصـب والجـاه والـزرع والضرع والضيعة ومن كل شيء، وهذا معنى غـايـة فـي السمو ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام:٩١) ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (طه:٨٤).



محمد عبدالشافي القوصي
باحث دراسات إسلامية

الحج مؤسسة دعوية عالمية



لا جرم أن أشهر الحج أروع شهور العام، وأن مشاعر الحج هي أجمل المشاعر، وأن الحج ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه، وشعائر تصل ما بين الخالق والمخلوق ورحلة إلى الله لاستئناف المسيرة على هدى وبصيرة، وهو عطاء بقدر عفو الله وكرمه، وهو تجديد للإيمان، وهو تحقيق للتقوى والعفة والأخلاق الفاضلة، وتدريب على تجنب الثرثرة والرفث والمراء والعنف، وتعويد على الانضباط وإنكار الذات، والاندماج في الجماعة المؤمنة.

إن الذين يتخذون من الكعبة قبلة ليسوا هم من يصلون في المسجد الحرام فقط، بل إن المسلمين جميعا في شتى أقطار الأرض يتخذون من الكعبة قبلة لهم أيضا.. وهم يتوجهون خمس مرات كل يوم حول الكعبة من جوانبها الأربعة، أي: إن المسلمين يقيمون حولها دائرة كاملة على وجه الأرض، فتكون الكعبة هي الوسط، بينما المسلمون يؤدون صلواتهم حولها في دائرة من كل ناحية على وجه البسيطة..

وهذه ناحية اجتماعية عظيمة لا مثيل لها في أي جماعة دينية في العالم. ولو كان في المسلمين شعور حقيقي فرعوا هذا الدرس لتمت النهضة الحقة وانخرطوا جميعا إلى هذه الهيئة الاجتماعية العالمية المقدسة.

إن الكعبة -بحق- هي رمز توحيد الله على الأرض، وهي رمز وحدة المسلمين وهيئتهم الاجتماعية.

وإلى جانب ذلك، هناك مقاصد عليا للحج، وغايات بعيدة؛ إذ يتجمع ملايين الحجاج من

جنسيات وأعراق ولغات وألوان مختلفة لأداء مناسك «الركن الخامس» الذي يعد فرصة عظيمة لنقل رسالة الإسلام للعالم أجمع، ففي الحج يتجرد الجميع من المآرب السياسية الخادعة، والشعارات الحزبية الكاذبة، ويصبح الهدف تلبية نداء واحد هو «لبيك اللهم لبيك»!

وقد وصف العلماء مشهد الحج الرهيب بأنه أكبر جهاز إعلامي؛ حيث تعود تلك الملايين إلى بلادها بعد أداء الفريضة لتنشر ما تعلمته من أخلاق ومبادئ الإسلام، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، عندما جعل من «عرفات» منبرا لإذاعة المنهج الذي يصون للبشرية حقوقها وكرامتها وسعادتها.

التاريخ الإيماني

المسلمون حين يقومون بأداء مناسك الحج إنما يعيدون -بطريقة عملية حية- التاريخ الإيماني الإبراهيمي على الأرض، إذ يفارقون أوطانهم كما فارق إبراهيم الخليل وطنه، ويمرون بكل ما مر به إبراهيم وولده إسماعيل-عليهما السلام- إلى أن ينتهوا إلى التلبية «لبيك اللهم لبيك» في اجتماع عرفات الأعظم، ثم يرجمون الشيطان كما فعل إبراهيم وإسماعيل... فكأن الحاج يقول لله تعالى من خلال هذه الشعائر (الأشياء الرمزية) أنه لو اقتضت الضرورة مرة أخرى، فإنه مستعد لكي يسير على نفس خطوات إبراهيم حتى لو ذبح ابنه! وإن تكبير الحاج «الله أكبر.. لا اله إلا الله.. الله أكبر» من شأنه خلق نفسية إيجابية فيه ليعي عظمة الله وكبرياءه، وكل جوانب العظمة الأخرى يجب أن تتنحى أمام عظمة الله الكبرى.

وطواف الحاج حول الكعبة إنما هو إقرار عملي بأنه سيجعل نقطة واحدة محور كل جهده وسيتحرك في دائرة الحنيفية السمحة، كما تطوف كل سيارات النظام الشمسي حول مركز واحد حول الشمس.

والسعي بين الصفا والمروة، يعلمنا أن يكون مسعانا في سبيل الخير وطريق الصلاح كي نصل إلى مرفأ الرحمن الرحيم وشاطئ السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر!

من تجليات الركن الخامس

في الحج تتجلى مظاهر الوحدة والتوحيد، وتسقط كل الشعارات الزائفة من وطنية وقومية ومذهبية، ويلتئم شمل المسلمين تحت راية الإسلام التي يتجمع حولها جماهير المسلمين حتى لو اختلفت لغاتهم وأوطانهم، وفي هذا دلالة على أننا إذا أردنا أن نجمع الأمة على شيء فلن نجد سوى «الدين»، وعندما تجتمع القلوب على هذا المبدأ يسهل اجتماعها في شتى الميادين بعد ذلك، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية.. إلخ.

وفي الحج فرصة عظيمة لنقل رسالة الإسلام للعالم كله، مفادها أنه دين الله من الأزل إلى الأبد، وأنه لن يزول، ولا يمكن لقوة أن تقهره أو تحبسه بين جدران أو تحاصره خلف حدود وأسوار.

فثقافة الحج تشد أواصر الوحدة المتراخية بين المسلمين وترفع معنوياتهم في أوقات تلوح فيها حواجز الخوف واليأس... ففي الحج يصبح الحجاج أكبر جيش سلمي، بل أقوى من كل الجيوش المدججة بالسلاح والمال والعتاد!

هذا، والحج يعطي دروسا غالية للأمة؛ أولها: درس التضحية والفداء، وأن آلام الأمة وهمومها لن تعالج بالخطب الرنانة، ولا بقرارات الشجب والاستنكار، وإنما تعالج بالتضحية والفداء. والتضحية قد تكون بالنفس أو المال أو الوقت، والترفع عن الترف وزخارف الدنيا من أجل إعلاء راية «لا إله إلا الله».

ثانيها: أن عزة هذه الأمة في اجتماعها وتضامنها، وأن نصر الله لها في اجتماعها بالقلوب قبل الأجساد، وبالأفعال قبل الأقوال.

ثالثها: غرس ثقافة الجهاد في النفوس من أجل تحقيق آمال الأمة ورسالتها المنوطة بها، فالخنوع والتخاذل لا يأتيان إلا بالهوان والمذلة والخسران.

من هنا نعلم أن «الحج» منهج ورسالة في آن واحد، بداية من خروج الحاج من بيته وحتى المرور بالميقات وانتهاء بطواف الإفاضة، إذ المقصد الأول من الحج هو الربط بين أبناء الأمة الإسلامية واجتماعهم في مؤتمر عالمي. فالحجاج يمثلون أمة مصغرة للأمة الأعظم أمة الإسلام. وفي الحج يتم بناء الفرد وترسيخ معنى الأخوة، وتعليم مبادئ التضحية والبذل

والعطاء، وفوق ذلك الاستعداد للقاء الله في أي وقت، فالمؤمن يدخل بنفسه في ثياب بيضاء غير مخيطة، وكأنه يدخل في كفنه بنفسه ويسعى ليقف ويلبي.

وحدة الأمة الدعوية والفكرية

من هنا ينبغي توظيف صحيح للركن الخامس في سبيل تحقيق الوحدة الدعوية والفكرية والشعورية للمسلمين، وذلك عن طريق تسخير الحج كمركز للتخطيط العالمي للدعوة الإسلامية، بحيث يعرض الناس من مختلف البلاد أحوال الدعوة في بلدانهم، فيطلع الحجاج على تجارب إخوانهم في المناطق الأخرى ويستفيدون منها، ومعرفة الإمكانات الجديدة للدعوة، إذ المعروف من دروس التاريخ أن القوة الإسلامية كانت مرتبطة بقوة الدعوة، والحج إلى بيت الله الحرام قائم على خطة دعوية عظيمة، فقد بنيت الكعبة في الصحراء لتكون مركزا دائما للهداية الإلهية ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦)، وذلك بعيدا عن شوائب الحضارات ونفايات المدنيات والفلسفات، وفي هذا العصر بالذات بعد أن فتحت الثورة العلمية إمكانات جديدة هائلة للدعوة يمكن أن تستخدم مؤتمر الحج العالمي للتخطيط للدعوة على مستوى العالم أعظم من أي وقت مضى، فنجعل منهج الفكر الإسلامي هو المنهج الفكري الغالب على العالم مرة أخرى كما كان في العصور الماضية... لكن ذلك رهن شرط ضروري، من أجل تحويل مؤسسة الحج إلى مؤسسة عالمية للدعوة الإسلامية؛ وهو كيفية الاستفادة المثلى من اجتماع ملايين المسلمين في تلك البقاع الطاهرة، وبعث فيهم روح الدعوة على بصيرة، كي يعودوا إلى بلدانهم دعاة إلى دين الله الحنيف، ونشر أخلاق الإسلام وقيمه السامية!

منافع الحج العديدة

ولما كان «الحج» فريضة من أهم الفرائض التي تعبر عن الوحدة والتضامن الإسلامي، وتتمثل فيها تحرير الشخصية المسلمة من التبعية والتقليد والمسخ والذوبان، وتطهير للنفس البشرية من مظاهر الكبر والرياء وسائر الأمراض النفسية والاجتماعية، وتعويد لها على الجهاد بكل ألوانه، إلى جانب أنها مدرسة تربي المسلم على حب الله ورسوله، والولاء للإسلام كدستور ومنهج حياة متكامل.

أقول: الحج -أيضا- يعتبر مؤتمرا إسلاميا عالميا لحل مشاكل المسلمين الاقتصادية، ويمكن أن يوضع من خلاله نظام اقتصادي متكامل لخدمة المسلمين، ذلك لأن موسم الحج يحدث فيه رواج اقتصادي كبير، لكن من أسف ما زالت هذه النشاطات التجارية يستفيد بها غير المسلمين سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، وهو ما يوقع مسؤولية كبرى على عاتق علماء وخبراء الاقتصاد الإسلامي لتخطيط مشروعات تتولى إنتاج وتسويق ما يتطلبه موسم الحج من بضائع وخدمات حتى تستفيد الأمة من ذلك الرواج، وهناك كثير من الحلول والمقترحات التي يمكن الاستفادة منها في حل مشكلة لحوم الهدي أيام النحر والتصرف فيها واستثمارها بطرق اقتصادية وعلمية مفيدة للمسلمين.

الحج هو رحلة العمر

الحق أقول: الحج هو رحلة العمر، ومن أفضل العبادات، وفيه تذكير عظيم بقصة التوحيد، وبرحلة الحنيفية السمحة على الأرض، وإنه سبيل عظيم لتحقيق وحدة المسلمين وازدهار الدعوة الإسلامية في العالم، ولتحقيق سبل التقدم الإسلامي الشامل ولإعادة المسلمين إلى مكانتهم الصحيحة في الحضارة.. مكانة الأمة الوسط... الأمة الظاهرة.. خير أمة أخرجت للناس.. أمة اقرأ.. أمة سمعنا وأطعنا.. أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. أمة الوحدة والتوحيد!

الحق أقول: إن الحج الذي يمثل «الركن الخامس»، هو «صانع التاريخ» وهو «مؤسسة دعوية» و«وسيلة للوحدة» و«رحلة غير عادية» قادرة على تجديد الإيمان، واستعادة مجد الأمة ونهضتها.

فـ«الحج» مرآة الإسلام، ومظهر قوة المسلمين، وصانع المعجزات، وهو المناسبة الخالدة التي أعلن فيها خاتم الأنبياء ﷺ مبادئ حقوق الإنسان وكرامته، وألقى فيها على مسامع الدنيا النبأ العظيم... فسلام عليه من رسول كريم، ونبي ناصح أمين!



أيمن عبد السميع حسن
عضو اتحاد كتاب مصر

خطبة الوداع.. وآثارها الجليلة



تعد (خطبة حجة الوداع) من أروع الخطب الدينية والتاريخية وأجلها وأعظمها شأنا ومقصدا وبيانا لأمة الإسلام من النبي الكريم ﷺ، كانت خطبة تلخص مسيرة رسالة النبي ﷺ في الناس، تتفوح بأريج المسك الأخير الذي ينثره حامل خاتم النبوة، ليبقى طيب ريحه أبد الدهر، إنه طيب ريح وداع هذا النبي الأمين للعالم، وهي بمنزلة تحية سلام إنسانية أبدية إلى الناس ما بقيت الحياة..

إنها خطبة غلبت عليها النزعة الإنسانية بامتياز، هي بمنزلة مرآة يرى الإنسان نفسه في ثنايا سطورها، إنها ملخص عمر بأكمله من حياة محمد بن عبد الله ﷺ.

هي عينها، كانت لقاء وداع الرسول لأمته، ولقاء توصية، لخص فيها أحكام الدين الحنيف ومقاصده الأساسية في كلمة جامعة مانعة، خاطب بها صحابته والأجيال من بعدهم والبشرية عامة..

ولقد بدأها ﷺ بكلمة موجزة، يفهم منها حرصه على بث قيم المودة والمحبة والرحمة التي بها استقرار المجتمع ورقيه، ومن ثم استهلها بقوله: (أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا .....).

في السنة العاشرة من الهجرة، وفي آخر ذي القعدة تهيأ النبي ﷺ للرحيل، وركب ناقته القصواء، وحوله جموع غفيرة من المسلمين يرومون تأدية فريضة الحج، ودخل مكة بعد أن قضى في الطريق ثماني ليال، فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، ولم يحل؛ لأنه كان قارنا قد ساق معه الهدي، ثم أقام في أعلى مكة عند الحجون (جبل مطل على المسجد بأعلى مكة)، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية) توجه إلى (منى) فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث حتى طلعت الشمس، فأجاز حتى أتى (عرفة) فنزل في (نمرة) حتى زوال الشمس، فأتى بطن الوادي وقد اجتمع حوله مئة وأربعة وأربعون ألفا من الناس، فوقف فيهم حاجا وخطيبا مؤثرا، يلقي على مسامعهم جل الحديث وأعظمه، وقف في مشهد عظيم، قال لهم بحديث المودع الناصح المشفق، يعلمهم مناسك الحج وآدابه، وداعيا البشرية جمعاء إلى إرساء قواعد السلم والسلام، تناول فيها حقوق الإنسان ومبادئ الرحمة والإنسانية في أروع صورها وأسمى معانيها، ذكر بحرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فقال: (أيها الناس.. إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا..)، وذكر بحقوق النساء ومراقبة الله فيهن، فقال: (فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله..)، وأمر بالاعتصام بكتاب الله وطاعة ولاة أمر المسلمين، فقال مؤكدا: (تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله)، قال أيضا، وقد تفصد العرق من جبهته: (أيها الناس. إنه لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم وأطيعوا ولاة أمركم تدخلوا جنة ربكم..).

كان صلوات الله عليه يتحدث بجواهر الكلم، يخاطب فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، لم يقصر خطابه للمسلمين فقط، إنه خطاب عام للناس كافة من بعده.

ولقد بلغت تلك الخطبة بالإنسان شأوا عظيما، جعلت منه إنسانا حرا لا تجره العواطف الكاذبة إلى مهاوي الردى، وإنما يميزه العقل..

د. محمد أحمد عبد الرحمن عنب
أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية



أحد شواهد السيرة النبوية الشريفة

مسجد الغمامة بالمدينة المنورة

تحتضن المدينة المنورة الكثير من المساجد والمواقع التاريخية الإسلامية التي تحمل قدسية ومكانة دينية كبيرة في نفوس المسلمين، ويقصدها الزوار ويقفون فيها على الذكريات العطرة والصور الرائعة للسيرة النبوية على هذه الأرض المباركة، وقد شهدت هذه المساجد العديد من الأحداث التاريخية المهمة، ويعتبر مسجد المصلى المعروف بمسجد الغمامة أحد هذه المساجد الشهيرة التي لها أهمية حضارية كبيرة، ويقع في محيطه عدة معالم نبوية ارتبطت ارتباطا مباشرا بالنبي ﷺ، ونقلت لنا قصصا مهمة من مراحل السيرة النبوية المشرفة، ويحرص زوار المدينة المنورة على زيارة مسجد الغمامة؛ لما له من مكانة خاصة ارتبطت بسيرة النبي ﷺ.

الموقع

يقع المسجد حاليا في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد النبوي بجانب سوره الخارجي[1]، ويذكر مؤرخ المدينة المنورة الإمام السمهودي أن مكانه يبعد عن باب السلام بألف ذراع، أي حوالي نصف كيلو متر، وتعرف المنطقة التي يقع بها قديما باسم المناخة أو ميدان المناخة[2]، وتشير الروايات المختلفة بأن الرسول ﷺ صلى العيد في أماكن متعددة بهذا الميدان؛ ولذا تغير اسمه بعد أن اتخذها ﷺ مصلى للعيد وعرف بميدان العيد أو ميدان المصلى[3]، وربما كان سبب اختيار ميدان المناخة موقعا لمصلى العيد؛ لما يتمتع به من موقع

متميز يسهل وصول أهل المدينة الذين يتوافدون إليها من جميع الجهات ليحظوا بشرف لقاء الرسول ﷺ والصلاة معه في المناسبات الدينية[٤]، ووصف مؤلف مرآة الحرمين المناخة بأنها براح متسع اشتراه فيما بعد بعض ملوك آل عثمان وأوقفوه ومنعوا البناء فيه وجعلوه محطا للحجاج والقوافل التجارية ومناخا لمطاياهم[٥].

سبب التسمية

يعرف المسجد بمسجد الغمامة، حيث يقال إن النبي ﷺ صلى ذات مرة صلاة الاستسقاء وبعد دعاء الاستسقاء ظللته الغمامة وحجبت الشمس عنه ﷺ أثناء الصلاة ونزل عليه المطر استجابة لدعائه، فلما ظللته الغمامة أطلق عليه الصحابة اسم مسجد الغمامة[٦].

تاريخ المسجد ونشأته

بني هذا المسجد في آخر المواضع التي ثبت أن الرسول ﷺ صلى بها العيد وداوم عليها حتى وفاته، ومن المرجح أن هذا المسجد قد أقيم زمن عمر بن عبد العزيز أثناء ولايته على المدينة المنورة حوالي (٩٢-٩٣هـ)، وكان هذا المسجد موضع اهتمام الحكام والأمراء، وأهمهم ما قام به عز الدين شيخ الحرم النبوي بأمر السلطان حسن ابن السلطان محمد بن قلاوون فيما بين عامي: (٧٤٨-٧٥٢هـ)، ثم رممه الأمير برديك المعماري عام: (٨٦١هـ) في عصر السلطان الأشرف إينال، وجدد المسجد بالكامل في عهد السلطان العثماني عبد المجيد الأول (١٢٥٥-١٢٧٧هـ/١٨٣٩-١٨٦١م)، ويرجح أن يكون قد جرت إصلاحات بالمسجد بعد ذلك في عهد الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م)، وأخيرا اعتنت به الحكومة السعودية وكان آخر تجديد له عام: (١٤١١هـ) كما هو مثبت بلوحة التجديد فوق مدخل المسجد[٧].

الوصف المعماري للمسجد

يتميز المسجد بتخطيطه المعماري المميز، واستخدمت في بناءه الحجارة البازلتية السوداء، ويتميز بسقفه الممتلئ بالقباب، وقد طليت جدرانه وتجويف قبابه باللون الأبيض، والمسجد مشيد على الطراز العثماني؛ على الطراز المعروف بطراز بورصة الأول، فهو عبارة عن مستطيل الشكل، يتكون من جزءين؛ المدخل، وبيت الصلاة، ويرتفع منسوب أرضيته سبع درجات عن منسوب أرضية الشارع، أما الحرم أو بيت الصلاة فيغطيه ست قباب في صفين متوازيين أكبرها القبة التي تعلو مربع المحراب، والمحراب عبارة عن حنية ذات سبعة أضلاع ويعلوه عقد مفصص، ويكتنفه عمودان ملتصقان، تيجانهما على شكل ناقوس، ويوجد إلى اليمين من المحراب المنبر الرخامي والذي يتكون من تسع درجات وينتهي من أعلى بقبة مخروطية على الطراز العثماني، ويتقدم بيت الصلاة سقيفة مستطيلة الشكل تتكون من رواق يغطيه خمس قباب كروية محمولة على عقود مدببة أكبرها القبة الوسطى التي تتقدم الباب الرئيسي لبيت الصلاة[٨]، وقد وضعت المئذنة في ركن البناء وتتكون من قاعدة مربعة الشكل وبدن مثمن الشكل يخترقه درابزين خشبي، ويعلو المثمن جسم اسطواني الشكل، وتنتهي المئذنة بقبة صغيرة مشكلة بهيئة فصوص يعلوها فانوس ويتوجها هلال.

الأهمية التاريخية والدينية للمسجد

تكمن أهمية هذا المسجد باعتباره النموذج الأول لفكرة مصليات العيد في العمارة الإسلامية، فقد كان لسنة الرسول ﷺ أثرها الواضح في اشتمال المدينة على ساحة فضاء تقام عليها صلاة العيد تلك التي عرفت بمصلى العيد، يخرج إليها أهل المدينة لصلاة العيد، وجاء المصلى كجزء أساسي ضمن التكوينات المعمارية الدينية بالمدينة ووضح توزيعه على مخطط المدينة[٩]، وكان ﷺ يصلي بالمسلمين في المصلى الذي يقع بباب المدينة الشرقي، ولم يصل ﷺ

العيد في المسجد إلا مرة واحدة لأجل مطر أصابهم، وأصبح ذلك أنموذجا متبعا في العصور الإسلامية المتلاحقة في كل البلاد الإسلامية اقتداء بسنة النبي ﷺ، وجاء هذا المصلى بسيطا يعبر عن بساطة الإسلام، فهو يشبه في شكله البسيط تخطيط المساجد الأولى في الإسلام ولكن اختلف عنه في أنه كان مخصصا لصلاة العيد[١٠].

وقد تعددت المواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ؛ فقد روى الزبير بن بكار عن شيخ من أهل المدينة أن أول صلاة عيد لرسول الله ﷺ كانت في حارة الدوس عند بيت ابن أبي الجنوب ثم صلى العيد الثاني بفناء دار الحكيم بن العلاء ثم صلى العيد الثالث عند دار عبد الله بن المزني وغيرها[١١]، إلا أن اتخذ هذا المصلى والذي يقع في الجانب الشرقي من المدينة المنورة في أرض فضاء خارج المنطقة العمرانية المحيطة بالمسجد النبوي ويذكر السمهودي أن أول عيد صلاه الرسول ﷺ بهذا المصلى في سنة: (٢هـ/٨م[١٢]، وقد كان لهذا المصلى قدسية كبيرة عند الرسول ﷺ حيث يروى عنه ﷺ أنه قال: (ما بين مسجدي إلى المصلى روضة من رياض الجن)، وقد ثبت أن الرسول ﷺ داوم على الصلاة فيه حتى توفاه الله تعالى، وكان إذا قدم من سفر ومر بالمصلى استقبل القبلة ودعا، ولم يصل العيد في المسجد إلا مرة واحدة لأجل مطر أصابهم؛ وقد أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال: أصاب الناس مطرا في يوم عيد على عهد رسول الله ﷺ فصل بهم ﷺ في المسجد)[١٣].

وأخيرا، هذه قصة واحدة من المساجد التذكارية المهمة التي تعتبر جزءا من السيرة العطرة للرسول ﷺ، ويحتل مكانة وقدسية كبيرة في نفوس المسلمين، وأصبح مزارا دينيا مهما لزوار المدينة المنورة يتلمسون فيه أثر الرسول الكريم ﷺ وسيرته العطرة فاللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المكرمين.

الهوامش

١- أحمد الخالدي، المدن والآثار الإسلامية في العالم، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م، (ص ٧٠).

٢- المناخة بضم الميم وفتح النون وتجمع مناخات وهو مبرك الإبل، هي شارع من أجمل وأكبر شوارع المدينة وقد شجر وأنشئت منه الحدائق وتتوسط اتجاهيه، وكان هذا الاسم يطلق على الفضاء الواسع، وكانت هذه الأرض مناخا للحجاج إلا أن صار الحج والزيارات بالسيارات. للمزيد، علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، (ط ٣، ١٩٩٦م، ص ١٤٦).

٣- يذكر الحسيني عن سبب تسمية الميدان بإسم مصلى الأعياد؛ فالمصلى في الأصل اسم لموضع الصلاة ثم صار بالغلبة علما على مصلى العيد ثم أطلق على سبيل التوسع على ما حوله؛ بإطلاق الجزء على الكل. محمد كبريت بن عبد الله الحسيني (ت ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م)، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، ج١، تحقيق عائض الردادي، مطبعة سفير، الرياض، ١٩٩٨م، (ص ٣٣٥).

٤- محمد محمود الديب، المساجد التذكارية في المدينة المنورة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة،١٩٨١م، (ص ٦٧).

٥- إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥م، (ص ٤١٣).

٦- السيد أحمد ياسين الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة، (ص ١٠٣).

٧- محمد إلياس عبد الغني، المساجد الأثرية في المدينة المنورة، (ص ٢٣٤-٢٣٥).

٨- للمزيد عن المسجد، سعاد ماهر، مساجد في السيرة النبوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، (ص ٥٣-٥٤، ص ١١٤-١١٦، ص ١٦٠-١٦١). صالح لمعي، المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، دار النهضة العربية، القاهرة، (ط ١)، ١٩٨١م.

٩- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، عدد رقم: (١٢٨)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨م، (ص ٥٦).

١٠- محمد عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، (ط ٤)، القاهرة، ١٩٩٦م، (ص ٣٨٥-٣٨٦).

١١- أحمد ابن عبد الحميد العباسي، عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق محمد الطيب الأنصاري، طبع على نفقة أسعد طرابزوتي الحسيني، السعودية،١٩٧٠م، (ص ١٥٧).

١٢- للمزيد، أبي الحسن علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي الشافعي الحسني (ت٩١١هـ)، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق أحمد المرتدي، كتاب ناشرون، بيروت، (ص ٣٠٩-٣١٠).

١٣- الزركشي، إعلام الساجد، (ص ٣٨٥-٣٨٦).





قائم الدين سعيد
باحث دراسات إسلامية

الحج وأثره في المجتمع

لم يشرع الشارع الحكيم لعباده أي تشريع إلا وفيه حكم وأسرار فلا يخلو أمر في الشريعة سواء من نواحي العبادات أو المعاملات من مصلحة أو حكمة ترجع للعبد في العاجل والآجل لأن الشرع لم يأمر بالعبث. فينبغي لكل مسلم أن يستحضر في قلبه معنى من معاني العبادة لأن معرفة حكمة التشريع باعث على الاستمرار في أداء العمل على وفقها برغبة وإقبال وتسليم.

والمشهور عند العلماء ان العبادات ثلاثة أنواع بدنية محضة كالصلاة ومالية محضة كالزكاة، ومركبة بينهما كالحج. إذن فالحج عبادة متميزة لأنه جمع بين خصائص ومقاصد العبادة البدنية والمالية. لذلك أود أن أعرض بعض اللمحات حول فلسفة الحج ومدى تأثيره في المجتمع الإسلامي.

ومن مقاصد الحج أنه يتضمن الدعوة إلى السلام الذي هو مقصد من مقاصد الشريعة ومن أوضح ما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨)، هذه الآية دعوة لإقرار السلام والأمن في المجتمع وظهر هذا المقصد في شعيرة الحج حيث حرم فيه القتال فقال تعالى ﴿وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(البقرة:١٩١)، والذين جاءوا من أقطار الأرض إلى تلك البقعة المباركة ليس في ضميرهم ولا وجدانهم إلا أن يقدموا للإنسانية أمنها وسلامها، وأن ينشروا قضية السلام على وجه الأرض.

وقد أعلن رسول الله ﷺ عن ضرورة الأمن في المجتمع فقال في خطبة الوداع: «إن دماءكم، وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت» (متفق عليه). وهذا يدل على أهمية الأمن في المجتمع ويتحقق بحفظ النفس والمال والعرض. والنبي ﷺ يريد السلام بين الدول ويحب التعاون على الخير. ولا شك أن مجتمع الإنسان يتقدم ويتطور إذا توافر له الأمن النفسي والاطمئنان الداخلي. فإذا فقد الأمن فقد سعادة الإنسان.

ومن الملامح المهمة أن الحج يؤدي إلى تحسين خلق الحاج وسلوكه لأن الحاج يؤمر بتجنب الرفث والفسوق والجدال في الحج يقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧) والمراد بالرفث عند بعض المفسرين الجماع، وقيل: الإفحاش للمرأة بالكلام، والفسوق جميع المعاصي كلها، والجدال أن يماري مسلما حتى تغضبه فينتهي إلى السباب.

ومن بر الحج: إطعام الطعام وإفشاء السلام ولين الكلام والعفو عمن ظلمك والإحسان إلى من أساء اليك. وهؤلاء الناس جاءوا من أقطار الأرض كل فرد يقدم ما عنده برضاء نفس وحسن قصد، ليس هناك غش ولا خداع ولا رفث ولا فسوق ولا جدال، وفيه التجرد عن كل ما يسيطر على النفس من فخر أو كبرياء أو عظمة، فكان الحج موسما لإصلاح السلوك وتحسين الخلق ليتحلى المسلم بأخلاق كريمة ويتخلى عن الأخلاق الذميمة، ورجوع كل واحد إلى بلاده يحمل محاسن الخلق والأدب.

هذه بعض الملامح المهمة في الحج، ولا شك أن في الحج فوائد جمة، ولكن وقفت على هذه المعاني والحكم المتعلقة بصلاح المجتمع وتطوره وتؤسس عليها الحضارة وتبنى بها كيان الأمة.

د. عمر محمد إبراهيم
باحث أكاديمي



الحج في مرآة الشعر العربي الحديث

عندما أذن الخليل إبراهيم، عليه السلام، في الناس بالحج، ضمن الله له استجابة ندائه، فبات الشوق إلى هذه الأماكن المقدسة راسخا في وجدان الموحدين، يقبلون بقلوبهم عليها، ويسعون إليها زرافات ووحدانا، وكان للشعراء تجاربهم مع تلك المشاعر والشعائر، فسطروها بمداد من وجد القلوب، وماء المقل؛ استحضارا لعظمتها، واعترافا بقيمتها ومكانتها، ورغبة فيها وشوقا إليها.

والشاعر صاحب شعور يقظ، وحس مرهف، فيسيطر على وجدانه هذا الشوق والحنين قبل الزيارة واللقاء، أما وإذ كتبت له الزيارة، ومشى على الثرى الطاهر، وكحل عينه برؤية الحجر والكعبة والمقام، سكبت عبراته، وهاجت خطراته، ونطق بالشعر لسانه؛ ملبيا وشاكرا، ومصورا تلك اللحظات النورانية وذلك الموقف المهيب الذي تشرئب إليه الأعناق وتهفو إليه النفوس؛ إذ إن فريضة الحج من أركان الإسلام، ومن أعظم شعائره، قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢).

ومن هذا المنطلق؛ باتت فريضة الحج أنسا للروح المضطربة، وسلوى للفؤاد المكلوم؛ ففي الحرم الكريم السلام والأمان، وعند البيت العتيق السكينة والاطمئنان، وليس أدل على ذلك من قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي، التي نظمها بمناسبة زيارة صديق له إلى البيت العتيق، يقول:

محجوب إن جئت الحجا
ز وفي جوانحك الهوى له
شوقا وحبا بالرسو
ل وآله أزكى سلاله
وعلى العتيق مشيت تن
ظر فيه دمعك وانهماله
ومضى السرى بك حيث كا
ن الروح يسري والرسالة

فعلى هذه الأنغام العذبة، التي تشبه عذوبة المناسبة، ونشوة روح مبدعها، يصف الشاعر الشوق الذي قاد صديقه إلى هذه الأماكن المقدسة، والتي تقطر حسنا ونضارة، وبعد أن عدد بعضا منها، ووصف الحالة التي عليها الزائر المشتاق، شرع في أثر هذه الشعيرة على النفس والروح، يقول:

وبلغت بيتا بالحجا
ز يبارك الباري حياله
الله فيه جلا الحرا
م لخلقه وجلا حلاله
فهناك طب الروح طب
ب العالمين من الجهاله

كيف ولا، وهم في الحرم الكريم، طائفون راكعون، وجوههم متوضئة وأكفهم مرفوعة، وجباههم لله ساجدة، والملائكة الكرام يزفون التحايا، ترحيبا بالكرام الزائرين ضيوف الرحمن الرحيم، يقول شوقي:

إلى عرفات الله يا خير زائر
عليك سلام الله في عرفات
ويوم تولى وجهة البيت ناضرا
وسيم مجالي البشر والقسمات
على كل أفق بالحجاز ملائك
تزف تحايا الله والبركات

وفي الحج تحلو المناجاة، ويحسن البوح، عفوا أو اختيارا؛ من جلال المكان،

وبركة الزمان، ومن ذلك ما نجده عند الشاعر المصري الدكتور حسن جاد (ت:١٩٩٥م)، في قصيدته: «في ظلال الحـرم»، يناجي فيها البيت العتيق، قائلا:

يا حمى الكعبة والبيت الحرام
لـك يـا أم الـقـرى مـنـا الـسـلام
قد دعانا الشوق يا مهد الهدى
فأجبنـاه ولبينا الهـيام[١]

يعترف الشاعر بأشواقه للكعبة المشرفة، وهيامه بتلك البقاع الطاهرة، هذا الشوق الذي أرغمه على القصد والزيارة، وتكبد مشقات السفر والترحل، وقد ذكر الكعبة والبيت في شطره الأول، ثم أجمل في الشطر الثاني «مكة المكرمة»، من باب ذكر العام بعد الخاص؛ لإفادة العموم والاهتمام بشأن ذلك الخاص، وهي الكعبة المشرفة، زادها الله بهاء ونورا.

وذكر البيت الحرام عتيق في الشعر العربي، إذ إن زهير بن أبي سلمى - وهو الشاعر الجاهلي - أقسم به في معلقته، فقال:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم

يأتي هذا القسم- في سياق معلقته، وموضوعها في إصلاح ذات البين- لقدسيتها وحرمتها ومكانتها في نفوسهم، إذ كان التنافس من قبل ظهور الإسلام على أشده، والتفاضل فيما بينهم على من يقوم بخدمتها وسدانتها وإكرام زوارها؛ حتى بات النظر إليها - عند شعراء العصر الحديث - من أسباب حب البقاء في الدنيا، ومن ذلك ما أبدعه الشاعر الدكتور أحمد عمر هاشم (١٩٤١م-....) في قصيدته « لبيك»:

ما كان لي أرب بدنياي سوى
أني أمتع ناظري بالكعبة
وأسير ما بين الحطيم وزمزم
وأجول ما بين الصفا والمروة
وأقبل الحجر الحبيب مناديا
يارب إني تبت فاقبل توبتي[٢]

يصف الشاعر بعض الأماكن التي تؤدى فيها المشاعر والنسك؛ تعظيما لها، واعترافا بمكانتها وفضلها، فلها شرف المكان وشرف التعبد، مؤثرا الفعل المضارع الذي يلقي بظلاله على الحدث، وغاية مطلبه: أن يغسل الله حوبته، ويتقبل منه حجته.

وعلى نهجه سار الشاعر الأزهري الدكتور صابر عبد الدايم (١٩٤٨م-....) في أشواقه الحجازية، وذلك في قصيدته التي تقطر حبا وشوقا إلى بيت الله العتيق، فيقول:

من النيل شرياني إلى البيت يمتد
وشوقي إلى أم القرى ما له حد
وإني إمام العاشقيـن ولا أرى
لمعشوقتي ندا وهل في الهوى ند؟!

يربط الشاعر بين وطنه «مصر» وبلاد الحرمين الكريمين، وهناك ما بين البلدين من وشائج وصلات عميقة ووثيقة، و«النيل» رمز النماء والعطاء والخير والبركة، يفيد منه الشاعر في استهلال قصيدته؛ دليلا على امتداد أشواقه، طولا وعمقا واستمرارا، وقد حرص على أن يجعل لعتبته الأولية/ المطلع، جوا موسيقيا له دلالة؛ عبر التصريع، والقافية المطلقة، وغيرها من موسيقى القصيدة الداخلية التي تعاضدت مع موسيقاها الخارجية في تناغم وتكامل.

بيد أن الحج موسم لتذكير الناس -كل الناس - بأنهم لآدم، وآدم، عليه السلام، من تراب، لا فرق بين عربي ولا أعجمي، ولا أبيض ولا أسود، إلا بالتقوى والعمل الصالح، يقول:

تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
ولا سيد فيهم يؤله عبدا!
هنا الركن والحجر الطهور وزمزم
هنا مشرق الرؤيا هنا الحب والمهد[٣]

وإذا لفت الشعراء الأنظار إلى بعض مقاصد الحج، كالتساوي بين الناس؛ فقبلتهم واحدة، ولباسهم واحد، ونداؤهم واحد، فضلا عن وحدة الزمان والمكان، وغيرها من مظاهر المساواة، فإن الشاعر بهاء الدين الأميري (ت:١٩٩٢م)، قد فطن إلى أن الكعبة سبيل لجمع شمل الأمة من كل أقطار الدنيا؛ لأنها منبع الأنوار، ومحور الكون، ونقطة اتصال الأرض بالسماء، يقول:

قدسية الكعبة في جمعها
أمتنا من كل أقطارها
وأنها محور أمجادها
وأنها مصدر أنوارها
وكعبة المؤمن في قلبه
يطوف أنى كان في دارها[٤]

يشير الأميري إلى بعض مقاصد الحج، ومنها الوحدة، مذكرا أهل الملة أنهم أمة واحدة، يجب أن تتعاون على البر والتقوى، وأن تعتصم بحبل الله المتين، فتتراحم فيما بينها، يطعمون الجائع، ويغيثون الملهوف، وتتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويد قوية على من سواهم، متمثلين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:٥٢).

وتبقى رحلة الحج والشوق إلى زيارة البيت العتيق نشيد الشعراء، وسلوى المحبين، ودليل المشتاقين إلى جوار رب كريم، في كنف البيت الآمن، والحرم الشريف.

الهوامش

١- الشاعر الدكتور حسن جاد، دراسات ومختارات شعرية، د. حسين علي محمد، د. صابر عبد الدايم، ص:٧٨، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

٢- نسمات إيمانية، د. أحمد عمر هاشم، ص:٢٤، دار الشعب، ١٩٩٠م.

٣- من قصديته «أشواق حجازية الإيقاع»، ديوان العمر والريح، ص:١٣٢.

٤- لقاءان في طنجة، عمر بهاء الدين الأميري، ص:٥٦.

د. عادل محمد أبو الهيثم
دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن



الحج في فكر د. محمد عبد الله دراز

يعد الدكتور محمد عبد الله دراز – يرحمه الله– من أعلام العلماء المجددين؛ الذين تركوا علما نافعا؛ ينفع من قصده؛ وأراد الانتفاع به؛ فقد قدم في كتبه نظرات عامة؛ شاملة للإسلام؛ عقيدة؛ وشريعة؛ وعبادة؛ وأبان عن قيمه وأخلاقياته؛ ونظمه الاجتماعية؛ وعلاقاته بالآخرين، وإن شئت – أخي القارىء الكريم– فقل: إنه مجدد للفهم؛ ومظهر للقصد؛ في كثير من شرائع الإسلام.

ومن تلك الرؤى التي وضعها وتناولها: فريضة الحج؛ تناول في حديثه عن الحج: مقاصد مهمة؛ وحكما وأسرارا؛ وأبان عن فهم عميق؛ لذلك النسك؛ من خلال هذه السطور؛ نعرض لفكره الثاقب؛ ونظرته الواعية؛ لمقاصد الحج وأسراره.

وقد استهل حديثه عن الحج؛ ببيان الموقع الوسط للأمة العربية؛ فقال: «في هذه الرقعة الوسط، وفي هذا الجو الوسط، تستوطن الشعوب الإسلامية التي جعلها الله أمة وسطا، وسطا في عقيدتها؛ متجافية عن طرفي الخرافة والجحود، وسطا في شريعتها؛ نائية عن طرفي الواقعية الجامدة القلب، والمثالية الذاهلة العقل، وسطا في مطامعها: بعيدة عن طرفي القناعة الذليلة؛ والحرص الجشع، وسطا فيم وقعها بين المعسكرات المتنافرة المتناحرة، وسيط سلام بينهما، وداعية أمن وطمأنينة للإنسانية كلها»[1].

ثم بين بعضا من ميزات ذلك الموقع؛ فقال: «ومن ميزات هذا الموقع: أن الله تعالى كما جعل الله

لها من وضعها الجغرافي؛ (الوحدة الجغرافية) وحدة طبيعية جامعة؛ جعل لها من عقيدتها وشريعتها (الوحدة الروحية الجامعة)؛ هاتان الوحدتان؛ لو أثمرت كل منهما ثمرتها في مجالها؛ لكان من شأنهما تحقيق السعادة الكاملة؛ ثم بين كيف تؤتي كل واحدة منهما أكلها؛ وتثمر ثمارها المباركة؛ فقال: «فكان من شأن الوحدة الجغرافية أن تمحو من بين أقطار الإسلام؛ تلك الحواجز الإقليمية؛ في شئون الاقتصاد والإنتاج، وأن تيسر توزيع ثورتها المادية بينها توزيعا ينشر فيها الرغد والرخاء، ويحقق لها الاكتفاء الذاتي والاستغناء عما سواها، وكان من شأن الوحدة الروحية: أن تتغلب على تلك الفوارق؛ بين شعوب الإسلام في ألسنتها وألوانها، ومذاهبها وعاداتها، وأن توجه رؤوسها المفكرة؛ إلى تبادل نتاجها العلمي والأدبي، ورؤوسها المدبرة؛ إلى تنسيق خططها السياسية والاجتماعية، وأن توجه جيوشها؛ إلى التكتل في الدفاع عن كل شبر من أراضيها، فكلما اشتكى من جسم الإسلام عضو؛ تداعت له سائر الأعضاء بالحماية والرعاية»[٢].

ثم أخذ يتألم من تخاذل الأمة عن موقع الصدارة؛ على الرغم من امتلاكها تلك المقومات؛ فقال: «لقد كان من شأن هذه الوحدة المزدوجة؛ أن تجعل الأمم الإسلامية من أرغد الأمم عيشا، وأعظمها قوة، وأتمها عزة – فيا ليت شعري– ما الذي قعد بها عن بلوغ هذه الغاية العليا؛ بعد أن وضعت المقادير في يدها مفاتيحها المادية، وبعد أن وضع الإسلام في يدها مفاتيحها الروحية؟

ثم يقول مبينا أهمية موقع مكة: يقول: «إن نظرة إلى خريطة العالم الإسلامي؛ ترينا كيف أنه يمتد في قلب العالم كتلة واحدة متصلة، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وأنه كله يدور على محور واحد، هو مكة المكرمة التي هي قلب الوطن الإسلامي؛ وقطب رحاه؛ إنها المحور الذي يلتف حوله أقطار الإسلام؛ على بعد متناسب من كل جانب، القطب المغناطيسي الروحي؛ الذي تنجذب إليه أفئدة المؤمنين من كل فج عميق، الكعبة: البيت الحرام، ومكة: البلد الحرام، ومنى: معسكر الحرام، وعرفة: عتبة باب الحرم، ذلكم هو مهد الإسلام في طفولته؛ ومبعث نشاطه في فتوته، جعل الله الورود إلى هذا المنهل الأول؛ فريضة حتما على كل مسلم يستطيع إليه سبيلا، ولو مرة في حياته، فليس لأحد منهم إذن أن ينطوي على نفسه؛ في قطره أو إقليمه، ولا يباح لجماعة المسلمين أن يقطعوا هذه الشعيرة الموسمية، ولا مناص من أن تتجمع الوفود الإسلامية هنالك؛ في كل عام في وقت واحد في صعيد واحد، بل في زي واحد، وأن ينشدوا جميعا نشيدا روحيا واحدا، تردد معهم الجبال والأكمات؛ فتتجاوب أصداؤه في قلوبهم، وتتصر نفوسهم؛ حتى تعود سبيكة واحدة؛ في بوتقة الشعور المشترك، والوجدان الموحد؛ تلك هي تجربة الوحدة الروحية، تكملها وتتوجها تجربة الوحدة الاجتماعية، ذلك أن الإسلام لم يجعل الحج عبادة وحسب، ولكنه جعل في الوقت نفسه قياما للناس؛ وموسما لتبادل مصالحهم؛ في مختلف وجوهها وأنواعها، قال الله تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ﴾ (الحج:٢٨)؛ : تحدث– رحمه الله– عن هذا الجزء من الآية؛ متدبرا له؛ مستخرجا من هداياته؛ ما فتح الله له فيه؛ فقال: ألا نسمع إلى قول الله –جلت حكمته–: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ﴾ تطبيقا لهذا المبدأ الحكيم؛ كان من واجبات الحج بعد أداء مراسمه أن يخلع الناس ثياب عبادتهم المتقشفة، وأن يمكثوا هنالك فترة؛ يعودون فيها إلى مجرى حياتهم العادية؛ متكشفا كل منهم عن زيه ومهنته، وجنسه ولهجته، ليتعاملوا ويتشاوروا ويتعاونوا، هل فقه الناس إذن مغزى هذه الشريعة؟ وهل أدركوا أن تكرار هذه التجربة كل عام؛ في شكل مصغر إنما هو دعوة إلى تجربة أمثالها؛ كل آن في نطاق أوسع، وعلى مقياس حقيقي مكبر على كل المستويات؟ ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ﴾ ألا ما أعجب هذه الكلمة! ما أوجزها! وما أجمعها! إنها لتتناول شؤون الاقتصاد والسياسة؛ والحرب والقانون؛ والعرف، واللغة، والآداب؛ والعلوم، وسائر مقومات الحياة الجماعية؛ التي تتأثر أعظم التأثر بهذا الاتصال والتلاقي؛ كما تتأثر السوائل بتلاقيها في الأواني المستطرقة، فتأخذ في التوازن والتعادل طلبا للوصول إلى مستوى واحد»؛ وما قاله الدكتور دراز– رحمه الله– قرره المصطفى ﷺ: قبل آلاف السنوات؛ قال ﷺ : «المؤمنون تكافأ دماؤهم، وهم يد على من

سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»[٣].

الإعجاز في أداء الحج

بين – رحمه الله– سعة فقه الإسلام؛ عندما شرع زمنا وهيئة وجمعا؛ لأداء هذه الفريضة؛ «إن عامة المسلمين يفهمون من شعائر الحج أنها مادية روحية؛ أعدها العباده عند أول بيت وضعه للناس، ليتزودوا فيها من أنواع القربات، ويتعرضوا فيها لفيض الرحمات؛ فكل واحد منهم حين يؤديها إنما يعنيه شأن نفسه وتزكيتها؛ وشأن واجباته وتأديتها؛ غير أن الإسلام أوسع أفقا، وأبعد نظرا من أن تحدده هذه الأهداف الفردية الضيقة، وإلا فلماذا لم يترك لنا الخيرة فى أن نؤدى هذه الشعائر فرادى أو مجتمعين فى صعيد واحد؛ في وقت واحد؛ في زي واحد؛ لا بد أن هناك من سر أو أسرار يهدف إليها التشريع الإسلامي من وراء هذا التجمع والتكتل؛ إنها الأواصر التي ربط الله بها بين المسلمين؛ آصرتان مشتهرتان عند الناس معنويتان؛ وهما: وحدة العقيدة؛ ووحدة الشريعة؛ والثالثة: تلك الآصرة الحسية الملموسة؛ وهي: أن الله بعث مناديا في الناس؛ أن يجتمع هاهنا وفود المسلمين من أقطار الأرض؛ كل عام ليعبدوا هذا الإله الواحد، بشريعة واحدة، على أرض واحدة، ليذكر المسلمون أنهم –وإن تفرقت أقطارهم واختلفت أنسابهم وألوانهم– تجمعهم جامعة الدين؛ وأنه إذا جد الجد؛ وجب أن يضحي كل فريق منهم؛ بمصالحه الخاصة في سبيل هذه المصلحة المشتركة العليا؛ ثم يتساءل: «فهل يعود الإخوة المؤمنون إلى هذا التقارب، والترابط، لتعود للوطن الإسلامي مناعته وحصانته، فلا يبقى فيه –بعدئذ– عيش لتلك الطفيليات؛ التي تمتص دماء أبنائه وتحني أعناقهم؟ وهل يكون لنا من موسم الحج هذه العبرة؟»[٤].

تجمع عالمي

أشار إلى أن هذا التجمع؛ فقال: «هذا العنصر الجمعي هو إذن ركن ركين، وعنصر أساسي أصيل، من دونه لا يكون الحج حجا، ولا يقع فرضا ولا نفلا، ولقد حرص الإسلام على هذا التجمع؛ في الحج حرصا يفوق كل حرص، وجعله هو الحلقة الختامية العليا كل عام؛ يتوج بها سلسلة التجمعات المحلية؛ التي دعا المسلمين إليها في مختلف المناسبات: دعا أهل المحلة؛ أو الحي الصغير؛ إلى التجمع في أقرب المساجد خمس مرات كل يوم، ثم دعا أهل القرية؛ أو الحي الكبير من المدينة؛ إلى التجمع في مسجدهم الجامع مرة؛ في كل جمعة؛ ثم دعا مرتين؛ لصلاة العيدين؛ مراحل متصاعدة، تنمو فيها روح الجماعة شيئا فشيئا؛ ويتضخم مظهرها رويدا رويدا، حتى تصل إلى هذه التجمع الإسلامي الكبير؛ مرة في كل عام، حول أول بيت وضع الناس»[٥].

وأشار –رحمه الله– إلى أن من مقاصد التجمع في الحج: التواصل والتلاقح الفكري؛ إذ: لولا الحج لانغلقت كل أمة على نفسها:

يقول –رحمه الله– مبينا ذلك: «فلو أن الإسلام رخص لكل أمة قبلت دعوته؛ أن تبقى حيث هي محصورة



في نطاق حدودها؛ لا تدري ما يجري وراء تلك الحدود، من أنظمة وآراء، فتسمع بها؛ ولا تراها؛ فتصدق ما يصل إليها من أخبارها –إن صدقا وإن كذبا– لو رخص الإسلام بذلك، لأفسح الطريق؛ أمام العقائد والعوائد المحلية القديمة؛ الخاصة بكل قطر، لتركها تربوا وتنمو، وتتبلور وتتجمد؛ حتى تكون عقيدة إلى جانب العقيدة، بل عقيدة في قلب العقيدة، وإذن لأصبحت الوحدة الإسلامية؛ وحدة اسمية نظرية، ولعادت شعوب الإسلام؛ جماعات متنافرة متناثرة، لا قدر الله؟

وأشاد د. دراز –رحمه الله– بنظام الحج ومنافعه؛ فالحج نظام من الاختلاط المنضبط؛ والامتزاج المثمر؛ والتزاور النافع: إذ يكون هذا الاختلاط فرصة ممهدة لاقتباس ما هو حسن جميل، وتهذيب ما هو شاذ متطرف، ويكون في الوقت نفسه تدريبا عمليا على التسامح والإغضاء عن الفوارق الشكلية التي لا يخشى أن تحدث



صنعا في كيان الجماعة العظمى.

تخفيف ورحمة

لو اقترحنا نظاما بشريا يلتقي من خلاله المسلمون جميعا؛ يقول رحمه الله: «ماذا عسى أن يكون هذا النظام؟ نفرض على كل قطر أن يوفد طائفة منه تجوب الأقطار -كلها- بين حين وآخر، للوقوف على سير عقائدها؛ وعوائدها؛ وعلومها وآدابها؛ وأسلوب عبادتها ومعاملاتها، وللسهر الدائب على التنسيق بينها؛ يا لها من ضريبة قاسية، ومهمة شاقة عسيرة!

الحكمة من اختيار مكة مكانا للحج

أليس من الخير واليسر أن تجيء الوفود كلها إلى بلد واحد؟. أو ليس من خير الخير وأيسر اليسر أن يكون هذا البلد في صرة الأرض على بعد متناسب من كل أقطارها، وأن يكون هذا البلد، هو البلد الآمن الذي يلجأ إليه المكروبون؛ ويأمن فيه الخائفون؟ منذ قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧)؛ أو ليس من تمام الحكمة: أن يكون هذا البلد هو المكان الذي نزل فيه القرآن، والذي يتخاطب فيه الناس بلغة القرآن، ليكون فيه لغير العرب ألفة ما بلغها العرب؛ التي ينبغي أن تكون من عناصر العالمية الإسلامية؟ وأخيرا، أليس الخير كله في أن يكون هذا البلد؛ هو البلد الذي فيه قبلة المسلمين ومشاعر عبادتهم؛ مطافهم ومسعاهم، وموقفهم ومرماهم؟ هكذا اختار الله للمسلمين أن يكون مجتمعهم السنوي في مكان يوفون فيه حق دينهم ودنياهم معا. كما قال جلت حكمته: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ﴾ (الحج: ٢٧-٢٨).

الجوانب الاجتماعية

بين فيها -رحمه الله- تلك الطبيعة الثنائية في العبادات؛ المادية الروحية؛ الإنسانية الربانية؛ الفردية الاجتماعية؛ التي تسري باطراد في شعائر الإسلام؛ حتى أن كل قاعدة من قواعدها الأربع؛ تمثل قطبا ذا طرفين: طرف يربط المؤمن بربه؛ وطرف يربط بإخوانه المؤمنين؛ ظاهرو مطردة؛ كلما ازددنا في دراستها إمعانا زادتنا إيمانا؛ بأن الذي فصل هذه الشريعة على مقياس الإنسان؛ هو الذي فطر روحا في مادة؛ وفردا في جماعة.

وبين - رحمه الله تعالى- أن تلك الطبيعة الثنائية قد تكون جلية واضحة في بعض الشعائر؛ دقيقة عميقة في البعض الآخر؛ ولكنها في شعيرة الحج أوضح وأجلى منها في سائر المواطن؛ ثم تساءل أخيرا: وهو ينعي على الأمة عدم اغتنامها فرصة هذا الجمع الحاشد والخلق المحشود.

ولكن هل يظل المسلمون في مواسم حجهم قانعين بهذا الموقف السلبي؛ الذي لا يعمل فيه إلا العقل الباطن البطيء الفاتر؟. أليس يجب أن يتقدموا خطوة إيجابية، توضع فيها الخطط المفصلة لهذه الوحدة الإسلامية الشاملة؟ بلى، لقد آن للأمم الإسلامية أن تخرج من سجن هذه الفرديات المنعزلة، والقوميات المنفصلة إلى محيط الجماعة الكبرى؛ التي يرون منها نموذجا مصغرا؛ في هذه الرحلة المقدسة.

وبعد: فهذه نظرة متفحص؛ ورؤية متدبر لمقاصد الحج؛ التي قد تخفى على بعضنا؛ نقلناها عنه؛ لنجدد فهم المناسك؛ ونؤصل لمقاصدها؛ فهي تنزيل من حكيم حميد؛ اللهم اجعلنا في عامنا هذا من حجاج بيتك الحرام؛ وتقبل من حجاج بيتك حجهم؛ وارزق الله كل مشتاق؛ زيارة مقبولة؛ وحجة مبرورة؛ وعمرة مباركة.

الهوامش

١- ينظر: نظرات في الإسلام؛ د. محمد عبد الله دراز؛ (ص: ٥٠).

٢- ينظر: نظرات في الإسلام؛ (ص: ٥٠).

٣- رواه الإمام أحمد في المسند، رقم الحديث: (٩٥٩)، وأبو داود في سننه، رقم الحديث: (٤٥١٩)، والنسائي في سننه، رقم الحديث: (٤٣٦٥).

٤- ينظر: نظرات في الإسلام؛ (ص: ٥٣).

٥- ينظر: نظرات في الإسلام؛ (ص: ٥٤).

محمد شباب السعيدي
مراقب شؤون اللجنة العليا للحج والعمرة
بوزارة الأوقاف



الأوقاف الكويتية: خفض تكلفة الحج إلى ٤٠ ٪ مقارنة بالمواسم السابقة

لا تألو وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت جهدا -بإشراف وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووكيل الوزارة وجميع المسؤولين في الوزارة- في توفير أفضل السبل وأيسرها لجعل مناسك الحج سهلة ميسرة، وفي سبيل ذلك فإن الوزارة ممثلة في إدارة شؤون الحج والعمرة تقوم طوال العام بالتجهيزات والالتزامات المطلوبة لنجاح موسم الحج، من خلال إصدار التعاميم المنظمة لحملات الحج واجتماعات اللجنة العليا للحج والعمرة لمناقشة الاستعدادات لموسم الحج، ومتابعة أداء الحملات وتقييم الموسم بعد عودة الحجاج للوقوف على ما حدث من خلل لتلافيه في المواسم القادمة.

وفي إطار الجهود التنظيمية لموسم الحج لهذا العام وقعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية اتفاقية الحج مع وزارة الحج في المملكة العربية السعودية والتي حددت حصة دولة الكويت بثمانية آلاف حاج، ويكون اختيار الحجاج وفقا لمعايير المفاضلة، فكانت الأولوية لكبار السن ولمن لم يسبق له الحج من الكويتيين.

وقررت اللجنة العليا للحج والعمرة في اجتماع لها اعتماد نظام التسجيل المركزي، حيث تم توزيع أعداد الحجاج وفقا لنظام التسجيل المركزي (أونلاين)، وتم ترشيح مقاعد الحجاج من خلال منصة التسجيل الإلكتروني، بحيث يكون الحد الأدنى لكل حملة (٥٠) حاجا، والحد الأعلى (٢٥٠) حاجا للحملة. وهذا النظام معمول به في كثير من الدول الإسلامية كالأردن وقطر والإمارات العربية المتحدة.

ويساهم هذا النظام في خفض تكلفة الحج والوصول بالأسعار لمستويات معقولة ومقبولة، حيث انخفضت أسعار الحج لنسبة تصل إلى (٤٠في المئة) مقارنة بالمواسم السابقة.

وشاركت إدارة شؤون الحج والعمرة في مهمة رسمية إلى المملكة



العربية السعودية لفحص مساكن الحجاج لحملات الحج الكويتية موسم: (١٤٤٤م)، للتأكد من كفاءة المساكن والخدمات حسب شروط الأمن والسلامة، مع وفد من وزارة الصحة وقوة الإطفاء العام.

وتشرف بعثة الحج الكويتية على حملات الحج الكويتية والتي توفر جميع الخدمات للحجاج وتقدم وسائل الراحة لأداء مناسكهم بكل سهولة ويسر، من خلال لجان الإشراف والمتابعة التي تتابع حملات الحج الكويتية للتأكد من سلامة الحجاج وتقديم ما يحتاجونه من خدمات.

وفي إطار الخدمات المقدمة للحجاج اتفقت إدارة شؤون الحج والعمرة مع المؤسسة الأهلية لمطوفي حجاج الدول العربية لتقديم الخدمات للحجاج وذلك في المشاعر (منى- عرفات- مزدلفة) وشركات التعاقد لكل الوجبات المقدمة للحجاج.

وختاماً نثمن دور حكومة خادم الحرمين الشريفين التي تبذل جهودا ضخمة في تقديم التسهيلات اللازمة وتذليل الصعاب من أجل نجاح موسم الحج، ونثمن أيضا دور حملات الحج الكويتية والتعاون المثمر مع بعثة الحج الكويتية.



ياسر محمد عبد السلام
باحث دراسات إسلامية

الأضحية.. أحكام شرعية ودلالات تربوية

منذ جد السعي بإبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وحيده في ذلك الوقت، فأفضى إليه بما أمره ربه عن طريق الرؤيا: ﴿أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (الصافات: ١٠٢) وأجاب صادق الوعد إسماعيل عليه السلام: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، وتم الابتلاء الحق وتأكدت نتيجته وتعانق صدق البلاء، ورجولة العطاء في شخصية الأب وابنه عليهما السلام وأستحق هذا الصنيع التخليد على مر الزمان وتداول الملوان، وكان (الفداء) الرباني العظيم المعنى الثري المغزى الدائم العطاء، هو ترجمة ذلك التخليد المراد: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٧).

أقول منذ ذلك الموقف تلح على التاريخ دروس لا نهاية لها أيسر ما يقال فيها وأوجزه وأدقه أيضا أن البشرية الضالة لم تعبأ بقليل منها، لأنها حتى يومنا هذا لم تصل إلى درجة النضج الروحي الذي يجعلها جديرة باستشفاف الدرس من بطون التاريخ، هذه البشرية التي اكتشفت النواة، وطافت بالكواكب والنجوم، وظنت أنها نفذت من أقطار السماوات والأرض، لم يزل موقفها عاجزا أمام وقائع التاريخ، وما يزال بصرها وبصيرتها أيضا يمثل أمام درسه دور الصبي التائه في سراديب السطحية ومتاهات القشور.

ولربما كان من أول ألاعيب هذه البشرية التائهة ما صنعه اليهود من عبث في أحداث هذه القصة، مثل تغييرهم اسم الذبيح ومجريات الذبح والفداء إن صلح هذا التعبير حتى فرغ مضمونها من كل المعاني الحية وليراجع من شاء سفر التكوين (الإصحاح الثاني والعشرين) ليرى القصة ساذجة عارية عن معاني العطاء، شبيهه بأفلام الكذب والخداع التي يراها جمهور السنيما هذه الأيام.

وأما اسم الذبيح فقد جعله اليهود (أسحاق) بدلا من (إسماعيل) فأفسدوا كتابهم نفسه بذلك لأنهم كتبوا فيه[1] (..... قال: (يعني الرب بزعمهم): خذ ابنك وحيدك الذي تحبه - إسحاق - وأذهب إلى أرض المريا...) إلخ قصة الأمر بالذبح وإقحام إسحاق

هنا ليس كذبا على الله فقط، وإنما طعن في كتابهم نفسه، لأن كتابهم يعلن أن إسحاق ولد بعد إسماعيل، فقد ولد إسماعيل وعمر أبيه ست وثمانون سنة[٢] وولد إسحاق وعمر أبيه مئة سنة[٣].

بل إن العهد القديم في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين يقرر أنه - بعد ولادة إسماعيل - وعد إبراهيم حين أخذه العهد بأنه ستلد سارة ابنا أيضا ويسميه إسحاق، ومن هذا السياق[٤] (.... وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك فقال الله: بل «سارة» امرأتك تلد لك ابنا وتدعوا اسمه «إسحاق» وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا...).

كل هذا الصنيع الذي صنعوه لكي يحجبوا شرف الفداء عن «إسماعيل» «وأبناء إسماعيل»، ولكنه ما زاد كتابهم الذي كتبوه بأيديهم إلا وهنا، قال ابن كثير[٥]: (فأقحموا هاهنا كذبا وبهتانا إسحاق).

المنسك الحنيفي

وإذا كانت أمة اليهود وأمة النصارى قد تواطأتا على الكذب على الله تعالى وإزهاق روح العبرة من قصة الفداء، فإن أمة محمد ﷺ قد ادخرت لتكون مناسكها (توقيعا) للإرادة الإلهية بتخليد صنيع إبراهيم وإسماعيل واستمرارية عطائه التربوي.

ولقد درج العرب من قبل الإسلام على أن يذبحوا عند البيت في أواخر حجهم، غير أنهم كانوا ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها ويخبر ابن جريج أن الصحابة قالوا لرسول الله ﷺ فنحن أحق أن ننضح فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ (الحج: ٣٧)[٦].

فالأضحية في الإسلام امتداد للنهج الحقيقي في البذل وتخليد لمعاني العطاء الرجولي المبارك، وتقويم للممارسات الخاطئة التي ورثها الجاهليون بغير هدى عن آبائهم، ثم هي تثبيت للمنهج التربوي الرباني الذي يربط بين (الشكل العبادي)، الذي يتمثل في إراقة الدم وبين (الحقيقة النفسية) التي تتمثل في الاستيقان بأن هذ الدم أو الجلد أو اللحم ليس هو الذي يصل إلى الله، وإنما الذي يصل إلى الله هو: (تقوى القلوب) التي هي الدافع الوحيد إلى تعظيم شعائر الله ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢).

مشروعية الأضحية

والأضحية في شرع الله تعالى شريعة محكمة في آيات الكتاب ونصوص السنة، وفعل الصحابة والسلف، ومذاهب العلماء يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج: ٣٦).

وهي سنة مؤكدة على الأشهر وهو قول مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة رضي الله عنهم، وقد واظب النبي ﷺ على الأضحية ولم يتركها قط، ولذلك ذهب أبو حنيفة إلى الوجوب[٧].

انتقاء القربان وقيمة التقوى

ويشرع أن تكون الأضحية من أجود النعم فعن رسول الله ﷺ: (نعمت الأضحية الجذع من الضأن)[٨]، فإن كانت مسنة فأحسن، لقوله ﷺ: (لا تذبحوا إلا مسنة فإن تعسر عليكم فأذبحوا جذعة من الضأن)[٩]، ويجب اجتناب العيوب الخلقية التي تعطل وصولها إلى الله فإن انتقاء القربان الصحيح الطيب هو وسيلة بلوغه وقبوله عند رب السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (فاطر:١٠).

لذلك نهى النبي ﷺ عن التضحية بذات العيوب القادحة حينما سئل ماذا يتقى من الضحايا؟ فقال: (العرجاء البين عرجها، والعوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها والعجفاء التي لا تنقي)[١٠]، والعجفاء الهزيلة التي ذهب مخ ساقها.

ولا تهمنا هنا التفاصيل في هذا الموضوع بقدر ما يهمنا تسجيل المفاد الواضح من هذه الشروط، وهو أن يرى المرء منا لمن يقدم هذا العطاء؟ فإن عرف أنه لله

فلينظر أي أنواع العطاء يليق بمقام الله، ثم من شاء رفع إلى الله أحسن ما عنده، ومن شاء رفع إليه أرذله.
وهذا القانون ليس خاصا بالأضحية، فهو درس تربوي في انتقاء ما يعطى وهو تطبيق عملي لمفهوم: (الإحسان) الذي معناه إتقان العبادة، وهو إذن استمرار للتأكيد على قيمة (المراقبة) التي سماها القرآن أحسن تسمية من أجود اشتقاق وهي (التقوى) ذلك الضابط الذي يعلن للمسلم أن شرائع الله ليست مجرد تكاليف ثقيلة تلقى من على العواتق بأي صورة كانت، وإنما هي أمانة تؤدى وحرمة تصان وعمل صالح يتقن لكي يكون ذخرا يوم الحسرة وملاذا يوم الفزع الأكبر.

وقت الذبح ودروسه

وقد شرع للذبح ميقات معلوم وهو بعد الصلاة (يعني صلاة العيد) فمن ذبح قبل الصلاة أعاد، وإلا فهي (شاة لحم)[11]، كما قال النبي ﷺ يعني أنها ليست نسكا.
وذهب مالك إلى اشتراط التأخر عن ذبح الإمام، لأنه ﷺ أمر من ذبح قبل ذبحه أن يعيد[12]، وفرق الجمهور بين أصحاب البوادي ومن لهم إمام فأجاز لأهل البوادي الذبح دون تقييد بذبيحة الإمام، لكن انظر إلى هذه القيمة الخطيرة في إيجاب الذبح بعد الصلاة أليس ترى فيها شحنة تربوية إيمانية ضخمة؟
فهي تعظيم الشعائر الله وضبط لحياة الفرد المسلم، وهذه للأسف قيمة غائبة في حياتنا العملية والثقافية والاجتماعية، فمواعيد الدروس والمحاضرات حتى في بعض الجامعات الدينية تتعارض مع أوقات الصلاة، وكذلك مواعيد حضور وانصراف العاملين في المصانع والمصالح العامة والخاصة، والوقت أظنه قدحان لينظر الدعاة والموجهون في هذا الأمر من منطلق تعظيم شعائر الله لكي يعيد الله البركة المنزوعة من حياتنا.
وهي كذلك تربية للمسلم على النظام واحترام المواعيد، والحرص على الترجمة العملية الدقيقة لقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ (الكوثر:٢)، ومن ثم يقول رسول الله ﷺ: (أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم ننحر)[13]، وهو تطبيق عام للمبدأ الإسلامي الذي ينص عليه حديث النبي: (ابدؤوا بما بدأ الله به)[14]، ثم هو بعد ذلك إلحاح على الترابط ومتابعة الإمام، لأن قطب الخلية النواة، وهذه هي سنة الله.

من الله وحده وإليه وحده

وفي الذبح وهو موضع جرح وإراقة دم، يظهر إلحاح الإسلام على قيمة الاتزان في نفسية المسلم (بسم الله اللهم هذا منك وإليك، اللهم هذا عن فلان وأهل بيته)[15]، (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)[16]، كل معاني التوجيه الصحيح والتوحيد الخالص والعرفان بالله والرحمة بالضعيف تزدحم أو ينبغي أن تزدحم في خاطر المسلم وهو يجري المدية على أوداج الأضحية.
إنها لحظة التوجه إلى الخالق، خالق المضحي والمضحى عنه، فلتكن هي خطة التوحيد والعبادة معا، فإذا ذبحت الأضحية فليس لأحد فيها شيء غير الله حتى الجزار قضى العلماء بأنه لا يأخذ منها شيئا على سبيل الأجرة حتى جلدها وشعرها يتصدق به[17]، فهي لله وحده خالصة فإن كان الجزار فقيرا مستحقا، أو جارا يندب إلى مجاملته فأعطى من هذا الباب -فوق أجره- فلا بأس إن شاء الله لأن صحة العمل شرعا تقترن بصحة النية فيه.

عمن؟ ولمن؟

ويضحي الرجل عن نفسه وأهل بيته أصلا[18]، فإذا كانت الأضحية من الإبل أو البقر جاز اشتراك الجماعة فيها، فقد نحر الصحابة عام - الحديبية - البدنة عن سبعة[19]، وروى أحمد وغيره (البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة[20]).
ومهما كان الأمر فإنه لا يخفى علينا ما فيها من التكافل والتعاون الذي يظهر بصورة أوضح في كيفية تفريق الأضحية، فالنص صريح في أنها يؤكل منها ويتصدق ويدخر، ونص الشافعي على أنه لا تحديد في ذلك فيطعم الرجل ما شاء ويتصدق بما شاء ويدخر ما شاء[21]، وإن كان بعض العلماء قد أحب ألا يطعم منها إلا يسيرا تبركا ويتصدق بالباقي[22]، ادخارا للأجر عند الله، وهذا له وجه جيد من التكافل الاجتماعي والمسارعة في الخيرات.

الهوامش

١- سفر التكوين: (٢/٢٢).
٢- سفر التكوين: (١٦، ١٥، ١٦).
٣- سفر التكوين: (٢١، ٢٥).
٤- سفر التكوين: (١٧، ١٨، ٢٠).
٥- تفسير ابن كثير: (٧/ ٢٣).
٦- المصدر السابق: (٥/ ٤٢٨).
٧- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ابن رشد، (٦/ ١٧١).
٨- رواه أحمد في المسند (٤٤٤/٢) والترمذي (٣٥٥/٢) والحاكم في المستدرك (٢٣/٤) وقد صححه الحاكم وضعفه الترمذي، لكن تعدد طرقه يدل على أن له أصلا موقوفا على أبي هريرة.
٩- رواه مسلم.
١٠- رواه مالك في الموطأ، (٤٨٢/٢).
١١- رواه البخاري.
١٢- أخرجه أحمد ومسلم.
١٣- رواه البخاري ومسلم.
١٤- رواه مسلم.
١٥- رواه الحاكم في المستدرك وصححه.
١٦- رواه مسلم.
١٧- فقه السنة: السيد سابق (٢٧٨/٢).
١٨- وهذا هو مذهب مالك رضي الله عنه وهو الصحيح لدلالة الآثار عليه.
١٩- رواه مالك في الموطأ (٤٨٦/٢).
٢٠- رواه أحمد وغيره.
٢١- الأم (٢/ ٢٤٦).
٢٢- هذا ما رجحه صاحب رحمة الأمة (ص١١٩) وعبارته «والمرجح أنه يصدق بكلها إلا لقما يترك بأكلها.

عبدالسلام الشبراوي
باحث دراسات إسلامية

استقلال الكويت وبناء الدولة الحديثة



كان عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح الحاكم الحادي عشر لدولة الكويت الانطلاقة الحقيقية على طريق الاستقلال، فقد اتخذ خطوات حثيثة باتجاه قيام الدولة الدستورية المستقلة منذ توليه الحكم عام: (١٩٥٠م)، فأبدى للحكومة البريطانية رغبة الكويت في إنهاء معاهدة الحماية البريطانية التي أبرمها الشيخ مبارك الصباح الحاكم العاشر لدولة الكويت مع الحكومة البريطانية في (٢٣/يناير/١٨٩٩م) لحماية الكويت من الأطماع الخارجية، واستبدالها باتفاقيات أخرى تناسب المستجدات السياسية في البلاد، تتوافق مع الواقع العربي والدولي، وشدد على ضرورة احترام رغبة الكويتيين بالاستقلال التام.

وتبادل الشيخ عبدالله السالم مذكرتين مهمتين مع المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي آنذاك السير ويليام لوس تضمنتا: «إلغاء معاهدة: (١٨٩٩م) كونها تتنافى مع سيادة الكويت واستقلالها»، وأن «تستمر العلاقات بين بريطانيا والكويت على أساس الصداقة الوثيقة».

وكان استقلال دولة الكويت الفعلي في (١٩/يونيو/١٩٦١م) حين وقع الشيخ عبدالله السالم مع السير جورج ميدلتن المندوب السامي البريطاني بالخليج العربي نيابة عن حكومة بلاده، لتعلن الكويت دولة مستقلة ذات سيادة.

وقد فرضت المرحلة الجديدة للاستقلال اتخاذ إجراءات قانونية ودستورية ودبلوماسية عديدة، أبرزها صدور مرسوم أميري يدعو إلى إجراء انتخابات عامة لمجلس تأسيسي، يتولى عند تأليفه إعداد دستور للبلاد، وخلال تسعة أشهر من تاريخ هذا المجلس، أنجز مشروع دستور دولة الكويت، الذي تكون من (١٨٣) مادة، وصدر في (١١/نوفمبر/ ١٩٦٢م).

وتغير علم البلاد والذي كان باللون الأحمر تتوسطه كلمة «كويت» إلى العلم بشكله الحالي، وأجريت تنفيذاً لأحكام الدستور أول انتخابات نيابية في تاريخ دولة الكويت الحديث لاختيار خمسين نائبًا يمثلون عشر دوائر انتخابية في (٢٣/يناير/١٩٦٢م).

وفي (٢٩/يناير/١٩٦٣م) افتتح الشيخ عبدالله السالم الصباح أول مجلس للأمة في تاريخ دولة الكويت.

وقد كان استقلال دولة الكويت بداية مرحلة جديدة لدخولها ضمن بلدان المجتمع الدولي، وفق سياسة كويتية خاصة أركانها السعي إلى السلام، و تحقيق التعاون مع مختلف دول العالم ضمن إطار علاقات الإخوة والصداقة بين الدول والشعوب، وقد كانت الخطوة الأولى على الصعيد الدبلوماسي والسياسي هي إنشاء وزارة الخارجية لتقوم بدورها المنوط بها، فصدر في (١٩/أغسطس/١٩٦١م) مرسوم أميري يقضي بإنشاء دائرة للخارجية تختص دون غيرها بالقيام بالشؤون الخارجية للدولة، ودمج سكرتارية حكومة الكويت بدائرة الخارجية والتي تحولت في أول تشكيل وزاري إلى وزارة الخارجية .

ثم قدمت دولة الكويت بعد استقلالها طلباً لعضوية جامعة الدول العربية، حيث عقد مجلس الجامعة اجتماعاً بتاريخ: (١٦/يوليو/١٩٦١م)، وأصدر قراراً بقبولها عضواً في جامعة الدول العربية.

وفي (٣٠/نوفمبر/١٩٦١م)، بدأ مجلس الأمن الدولي النظر في طلب دولة الكويت الانضمام إلى عضوية منظمة الأمم المتحدة.

وفي (١٤/مايو/١٩٦٣م) تمت الموافقة على انضمام دولة الكويت الى هذه المنظمة الدولية لتصبح العضو الـ: (١١١).

وشاركت دولة الكويت بعد ذلك في المنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة كمنظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة (الفاو) واليونسكو، والبنك الدولي، ومنظمة العمل الدولية، وعملت جاهدة من خلال نشاطها الدولي على نصرة القضايا العربية بعامة ومن بينها القضية الفلسطينية.



حسن عباس
محرر صحفي



مجلس الوزراء..
تشكيل جديد وبداية مبشرة

أبصرت الحكومة الكويتية الجديدة النور بعد ترقب الشارع الكويتي، في مرحلة جديدة وبداية مبشرة تحمل عنوان الاستقرار، وذلك بعد مرور ٥ أيام على تكليف رئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ أحمد نواف الأحمد الصباح رئاسة الحكومة الجديدة، وقبيل ٢٤ ساعة من افتتاح دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي الـ ١٧ لمجلس الأمة المنتخب ٢٠٢٣، وبنسبة تغيير بلغت ٤٠ في المئة مقارنة بسابقتها.

وصدر الأحد ١٨ يونيو ٢٠٢٣، مرسوماً بتشكيل الحكومة الجديدة.

التي ضمت ١٥ وزيراً، ٩ منهم كانوا ضمن الحكومة السابقة، هم الشيخ طلال الخالد وعبد الرحمن المطيري



سمو الشيخ / أحمد نواف الأحمد الصباح
رئيس مجلس الوزراء

وأحمد العوضي وأماني بوقماز وحمد العدواني وسالم عبدالله الجابر وفهد علي زايد الشعلة، ومحمد العيبان ومناف الهاجري ودخول ٦ وزراء جدد هم الشيخ أحمد فهد الأحمد الصباح نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع وعيسى أحمد محمد الكندري نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزير دولة لشئون مجلس الوزراء ووزير دولة لشئون مجلس الأمة ود. سعد حمد ناصر البراك نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للنفط ووزير دولة للشئون الاقتصادية والاستثمار



طلال خالد الأحمد الصباح
نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية



أحمد فهد الأحمد الصباح
نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع



عيسى أحمد محمد الكندري
نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزير دولة لشئون مجلس الوزراء ووزير دولة لشئون مجلس الأمة



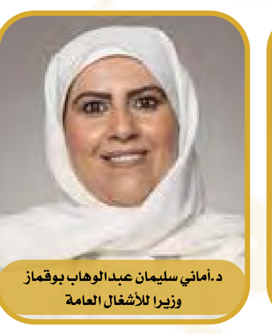
د. سعد حمد ناصر البراك
نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للنفط ووزير دولة للشئون الاقتصادية والاستثمار



فهد علي زايد الشعلة
وزير دولة لشئون البلدية ووزير دولة لشؤون الاتصالات


عبد الرحمن بداح عبد الرحمن المطيري
وزيرا للإعلام ووزيرا للأوقاف والشئون الإسلامية


د. أحمد عبدالوهاب أحمد العوضي
وزيرا للصحة


د.أماني سليمان عبدالوهاب بوقماز
وزيرا للأشغال العامة


د.حمد عبدالوهاب حمد العدواني
وزيرا للتعليم


سالم عبدالله الجابر الصباح
وزيرا للخارجية


محمد عثمان محمد العيبان
وزيرا للتجارة والصناعة ووزير دولة لشئون الشباب


مناف عبدالعزيز اسحق الهاجري
وزيرا للمالية


د.جاسم محمد عبدالله الاستاد
وزيرا للكهرباء والماء والطاقة المتجددة


فالح عبدالله عيد فالح الرقبة
وزيرا للعدل ووزير دولة لشئون الإسكان


فراس سعود المالك الصباح
وزيرا للشئون الاجتماعية وشئون الأسرة والطفولة

ود.جاسم محمد عبدالله الاستاد وزيرا للكهرباء والماء والطاقة المتجددة وفالح عبدالله عيد فالح الرقبة وزيرا للعدل ووزير دولة لشئون الإسكان وفراس سعود المالك الصباح وزيرا للشئون الاجتماعية وشئون الأسرة والطفولة.

كما شهد التشكيل الحكومي خروج ٥ وزراء هم خالد الفاضل وبدر الملا ومي البغلي وعامر الرطام ومطلق العتيبي، فيما ذهب منصب «النائب المحلل» إلى عيسى الكندري واقتصر التمثيل النسائي على الوزيرة أماني بوقماز بعد خروج مي البغلي.

وتضمنت الحكومة تعيين الشيخ طلال خالد الأحمد الصباح نائبا أول لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للداخلية والشيخ أحمد فهد الأحمد الصباح نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع وعيسى أحمد محمد الكندري نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزير دولة لشئون مجلس الوزراء ووزير دولة لشئون مجلس الأمة ود. سعد حمد ناصر البراك نائبا لرئيس مجلس الوزراء وزيرا للنفط ووزير دولة للشئون الاقتصادية والاستثمار وفهد علي زايد الشعلة وزير دولة لشئون البلدية ووزير دولة لشؤون الاتصالات وعبدالرحمن بداح عبدالرحمن المطيري وزيرا للإعلام ووزيرا للأوقاف والشئون الإسلامية ود. أحمد عبدالوهاب أحمد العوضي وزيرا للصحة ود.أماني سليمان عبدالوهاب بوقماز وزيرا للأشغال العامة ود.حمد عبدالوهاب حمد العدواني وزيرا للتعليم وسالم عبدالله الجابر الصباح وزيرا للخارجية ومحمد عثمان محمد العيبان وزيرا للتجارة والصناعة ووزير دولة لشئون الشباب ومناف عبدالعزيز اسحق الهاجري وزيرا للمالية ود.جاسم محمد عبدالله الاستاد وزيرا للكهرباء والماء والطاقة المتجددة وفالح عبدالله عيد فالح الرقبة وزيرا للعدل ووزير دولة لشئون الإسكان وفراس سعود المالك الصباح وزيرا للشئون الاجتماعية وشئون الأسرة والطفولة.

وشهد التشكيل الحكومي الجديد تغييرا وتدويرا في بعض الحقائب، حيث نص مرسوم تشكيل الحكومة على تغيير مسمى الوزير د. حمد العدواني الذي أصبح «وزيرا للتعليم»، كما شهد التشكيل تدوير بعض الحقائب بين الوزراء، حيث تولى عبدالرحمن المطيري وزارتي الإعلام والأوقاف، وذهبت منه حقيبة الشباب إلى وزير التجارة محمد العيبان، إضافة إلى تدوير حقيبة وزارة الإسكان التي حملها الوزير فالح الرقبة إلى جانب حقيبة وزارة العدل.. فيما احتفظ الوزير مناف الهاجري بوزارة المالية، كما حمل الوزير سعد البراك حقيبة وزير الدولة للشؤون الاقتصادية والاستثمار إضافة إلى النفط.

وأسرة «الوعي الإسلامي» تبارك للوزير الكفء عبدالرحمن المطيري توليه مسؤولية هو قادر على الوفاء بها متمنية له السداد والتوفيق بإذن الله.



ولاء أيمن كامل
كاتبة مصرية

والله يريد أن يتوب عليكم

سوَّفت وأجلت والتهيت.. فصحوت.. وإذا برمضان قد مضى مسرعا، وانفض سوق الطاعة الكبير.

الآن، تقف.. تنظر.. فترى متنافسين فيه والفرحة مشرقة في صفحات وجوههم وهم آيبون منه بربح عظيم، كل على قدر تجارته مع رب كريم..

حسنا، لا بأس أن تلوم نفسك.. تؤنبها.. تحاسبها.. تسألها: لماذا لم أعمل لأعيش حالة الفرحة والسعادة تلك؟ لم أشعر بضيق في صدري؟.. بألم؟.. لماذا حالة الاضطراب والقلق التي أعيشها؟ لم يعذبني الله هذا العذاب؟

لا تقلق.. ستصارحك نفسك اللوامة وتجيبك: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ (النساء:١٤٧)؟ وستشرح لك الأسباب: لقد استحققت هذا العذاب لأنك ملت ميلا عظيما.. أخطأت.. أذنبت.. عصيت.. انحرفت.. تكاسلت.. بضاعتك التي قدمتها في رمضان مزجاة.

التوبة دواؤك

وستصف لك الدواء الناجع: التوبة.. اندم على ما فاتك.. على ما فرطت في جنب ربك.. ارجع عما يكرهه؛ ظاهرا وباطنا.. استشعر قبح ذنبك وعظم من أذنبت بحقه.. اعزم على عدم العودة إلى اقتراف المعاصي والذنوب.. توجه إلى ربك فيما بقي من عمرك.

السهو والتقصير من طبعنا، كلنا مذنبون... مخطئون.. نُقبل على الله تارة وندبر أخرى، نراقب مرة، وتسيطر علينا الغفلة مرات، لا نخلو من المعصية، ولابد أن يقع منا الخطأ.. لكن لا تيأس، فهناك الرحيم يفتح لنا باب التوبة للعودة والإنابة والإقبال عليه، كلما غلبتنا الذنوب ولوثتنا المعاصي.. وقصرت همتنا عن طلب التقرب منه، ما علينا إلا أن نطرقه، وسنجد الجواب: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ (طه:٨٢).

الله يحملك على التوبة

يا من تشعر بالندم على التفريط، اعلم أن الله الذي ساق لك الشدائد وضيق عليك، يفتقدك.. يرغب في أن تلجأ إليه.. يحبك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢).. يريدك أن تتوب من: معاصيك.. ذنوبك.. سيئاتك.. انحرافاتك.. لكي تحقق أنت بنفسك مراده: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ (النساء:٢٧)، ينصحك بها ويحضك عليها: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾ (المائدة:٧٤)، يخبرك أنها مبعث الخير لك: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ (التوبة:٣)، ثم هو يدفعك إليها

دفعا: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ (التوبة:١١٨) (أي ساق لك من الأمور ما يحملك على التوبة)؛ لأنها سبيلك إلى التصالح معه «لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضال الواجد، ومن الظمآن الوارد»[١]، فإذا تبت وأنبت إليه نادى مناد في السماوات والأرض أن هنئوا فلانا فقد اصطلح مع الله، «فمن تاب إلى الله توبة نصوحا أنسى الله حافظيه بالتثنية وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه»[٢].

الزم عتبة التوبة

أمازلت قلقا مضطربا حيرانا؟!. ألا تعلم علة حالتك النفسية التي وضعك الله فيها؟!. ألم تدرك بعد حكمته من حمله إياك على التوبة؟!. سأخبرك (تخاطبك نفسك اللوامة): حبه لك.. رأفته بك.. رحمته إياك.. حرصه عليك.. هو خالقك، يعلم ضعفك، لذا لم يتركك هملا، فتح لك أبواب رحمته.. ناداك.. يرغبك في إقبالك عليه.. إنابتك له، ينبهك أن لا سبيل إلى الفوز والفلاح إلا بلزوم عتبة التوبة إليه، إذ هي باب الوصول إلى مرضاته، ومتى ما خرجت من قلب مخلص جبت ما قبلها من سيئات وذنوب: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١).

يطمئنك: التوبة لا أخاطب بها أصحاب الكبائر.. الموبقات.. تاركي الصلوات.. مقترفي الفواحش فقط، بل الصالحون أيضا، والمهتدون مطالبون دائما بتجديد التوبة إلي.. وهذا قدوتك إمام التائبين وسيد المستغفرين ﷺ، يقول: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مئة مرة»[٣]، وهذا ابن الفاروق رضي الله عنهما يقول لك: «إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»[٤].

توبة الثلاثة الذين خلفوا

انظر إلى الثلاثة نفر من أصحاب رسول الله (كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أبي أمية)، الذين تخلفوا عن الغزو معه بغير عذر (مثل تخلفك عن التربح من سوق الطاعة في رمضان) كيف ردهم الله إلى واسع رحمته بعد أن ضيق عليهم الأرض على وسعها، وضيق عليهم أنفسهم ضيقا ما بعده ضيق، وجعلهم يعيشون ألما ما بعده ألم، وعسرا ما بعده عسر، وأحاط بهم إحاطة ما بعدها إحاطة، وجعلهم يعيشون في عزلة حتى وهم بين أقرب أقربائهم؟!. فعلى الرغم من عظم ذنبهم، فإن الله تجاوز عنهم.. غفر لهم.. عفا عنهم.

أتعلم لم؟! (تسألك نفسك اللوامة.. ثم تجيب): لأنهم أدركوا فداحة جرمهم، ذاقوا مرارة تخلفهم، فصدقوا مع أنفسهم أولا، ثم صدقوا الرسول ﷺ اعترافهم.. لم يخادعوه.. لم يختلقوا أعذارا كاذبة.. ثم التجأوا إلى الله تائبين.. منيبين.. مستغفرين.. فتاب الكريم عليهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (التوبة:١١٨).

كعب يحكي

ويسرد لنا كعب رضي الله عنه تفاصيل تلك المحنة قائلا: «غزا النبي ﷺ تلك الغزوة، حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر، فتجهز رسول الله ﷺ، وتجهز المسلمون معه، وطفقت أغدو لكى أتجهز معه فأرجع ولم أقض شيئا، وأقول في نفسى: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد.. حتى إذا خرجوا ظننت أني مدركهم، وليتني فعلت فلما انفرط الأمر، أصبحت وحدي بالمدينة لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق (أي مشهورا به) أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، فلما بلغني أن رسول الله ﷺ عاد راجعا من تبوك حضرني الفزع، فجعلت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخط رسول الله؟ واستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة، زال عني الباطل، وعلمت أني لا أنجو منه إلا بالصدق، فأجمعت أن أصدقه.

فلما وصل رسول الله ﷺ للمدينة بدأ بالمسجد وجلس للناس، فجاء المخلفون وجعلوا يعتذرون له ويحلفون، فيقبل منهم ظواهرهم ويستغفر لهم، وكانوا بضعا وثمانين رجلا، فجئت فسلمت عليه، فتبسم تبسم المغضب، فقال لي: «ما خلفك؟». قلت: يا رسول الله، والله لو جلست إلى غيرك من أهل الدنيا، لخرجت من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا، والله ما كان لي عذر حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك».

فخرجت من عنده فلحقني بعض أهلي يلومونى على أني لم أعتذر، ويستغفر لي رسول الله ﷺ، حتى هممت أن أرجع عن صدقي، فسألت هل قال أحد بمثل ما قلت؟ فذكروا لي رجلين صالحين: مرارة بن الربيع وهلال بن أبي أمية وكان فيهما لي أسوة.

ثم إن رسول الله نهى عن محادثتنا نحن الثلاثة، فاجتبنا الناس، وتغيروا لنا، فتنكرت لي نفسي والأرض، أما صاحبي فاستكانا وقعدا في بيتيهما، أما أنا فأصلى مع المسلمين وأطوف الأسواق ولا يكلمني أحد حتى أقاربي.

بينما أنا في هذا الحال إذا جاءت رسالة من ملك غسان يقول لي: الحق بنا نواسيك بعد أن هجرك صاحبك. قلت: هذا من البلاء أيضا، فحرقت الرسالة، فلما مضت أربعون ليلة إذ رسول من النبي ﷺ يأمرني باعتزال امرأتي فقلت: الحقي بأهلك، وكان الأمر باعتزال النساء لصاحبي أيضا. فلما مضت خمسون ليلة أذن الله بالفرج وجاءت التوبة، قال كعب: فما أنعم الله علي بنعمة بعد الإسلام، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ، والله ما أعلم أحدا ابتلاه الله بصدق الحديث بمثل ما ابتلاني»(٥).

التوبة قبل أن تقسو القلوب

هل ترى؟! الأمر يسير.. تابوا سريعا قبل أن تجمد قلوبهم وتقسو ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ (النساء:١٧).. صغت قلوبهم ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم:٤).. عزموا على ألا يعودوا إلى ذنبهم.. حققوا شروط التوبة.. فتاب الله عليهم! ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ (طه:٨٢) ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾ (النساء:١٤٥-١٤٦).. فإن فاتك موسم الطاعة العظيم، واعتصرك الندم على التفريط، فعد إلى الله إذن، تب من غفلتك.. من تقصيرك.. من ذنوبك كبيرها وصغيرها.. ما يعلمه الله منها ونسيته أنت.. تب عن تقصيرك في شكر نعم الله عليك.

التوبة أوجبها خالقك على الناس جميعا؛ مؤمنهم وعاصيهم ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ (النور:٣١)، وعزك في توبتك وكمال ذلك لربك، وضيق نفسك وهوانك وصغارك في الاستكبار والتمرد على خالقك، والخروج على أمره ونهيه بإتيان ما يكره، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر:١٠).

بابها مفتوح على مدار الساعة

تب، فقد بشرنا النبي ﷺ بأن الحليم يبسط يديه أناء الليل وأطراف النهار لتوبة التائبين، وأوب الأوابين، وندم العاصين، وبكاء المفرطين.. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(٦).

تب لأن رحمة ربك تتجلى في توبته على العاصي بعد عصيانه، والمذنب بعد اقتراف ذنوبه، فرحمته وسعت البر والفاجر، بل وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ (الأعراف:١٥٦)، وفي الحديث: «لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»(٧).

تب لأنك في حاجة إلى التوبة في حال استقامتك وفي حال تقصيرك، تحتاج إليها بعد قرباتك وصالحاتك، أو بعد مقارفة بعض المحرمات..

تب، فلا خير فيمن يهلك مع التواب..

الرحمن.. الرحيم.. أسماء وصفات تقتضي ظهور آثارها في خلقه؛ فالرحمة تقتضي وجود من يرحم، وربك يرحم العصاة مع قدرته على عقابهم.. والتوبة تقتضي وجود مذنب، والعفو عنه وقبول توبته أثر من آثار صفة الله التواب قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى:٢٥).

تعبد بها الرسل والأنبياء

تب لأنها عبادة عالية المقام، تعبد بها الرسل والأنبياء والمقربون والصالحون، وتمسكوا بعروتها، واتصفوا بحقيقتها، قال الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١١٧)، وقال تعالى عن الخليل إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة:١٢٨)، وقال عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف:١٤٣).

تب فالتوبة نعمة عظيمة أنعم الله بها على عباده، إذ منحهم فرصة للمراجعة والإنابة والأوبة وتدارك ما فات.. وهي باب مفتوح لمحو ما اقترفت من الذنوب، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم»[٨].. تب، فإنك إن لم تتب، ذهب الله بك، وأتى بغيرك؛ ليذنب ويتوب فيغفر الله له.. وها هو نبيك ﷺ يبشرك فيقول: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم»[٩].

والعبرة في التوبة ليست السلامة من الذنب؛ لأن حياتك كلها تدور على مقاومة الوقوع في الذنوب ومدافعة الخطايا والآثام، بل في كيفية تعاملك معها بعد اقترافها: فلينتفض قلبك لخذلان الله لك، وتخليته إياك بينك وبين نفسك، ورفعه عصمته عنك..

إخلاص التوبة والصدق فيها

اعلم أن لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، وليكن باعثك على التوبة حب الله وتعظيمه ورجاؤه، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء:١٤٦).. واخلص في توبتك إلى الله واصدق في طلبها منه حتى يعينك بعونه ويمدك بقوته، ويصرف عنك ما يعترض طريق توبتك ويصدك عنها، وهذا عين ما فعله المولى مع يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف:٢٤).. يقول ابن تيمية: «فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له، لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ، ولا أمتع، ولا أطيب.. فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج»[١٠].

بادر.. وإياك والتسويف

وحين تقع في المعصية وتلم بها بادر إلى التوبة وسارع إليها، واحذر التسويف، فإنك إن كنت تملك الآن دوافع التوبة وتترس بالوازع عن المعصية، فما يدريك أن يباغتك وقت تبحث فيه عن هذا الدافع وتستحث هذا الوازع فلا يسعفانك؟! لقد كان العارفون بالله عزوجل يعدون تأخير التوبة ذنبا آخر تنبغي التوبة منه، يقول ابن القيم: «المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه التوبة من التأخير، وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر»[١١].

الهوامش

١- الجامع الصغير عن أبي هريرة.
٢- السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير.
٣- مسلم: ٢٧٠٢.
٤- أخرجه أبو داود: ١٥١٦، والترمذي: ٣٤٣٤ (باختلاف يسير)، وابن ماجه: ٣٨١٤، واللفظ له.
٥- النووي على شرح مسلم (بتصرف).
٦- رواه مسلم.
٧- البخاري: ٣١٩٤، واللفظ له.
٨- مسلم: ٢٥٧٧.
٩- مسلم: ٢٧٤٩.
١٠- العبودية، ابن تيمية، ص:٩٠، (بتصرف).
١١- مدارج السالكين، ابن القيم، ط: عطاءات العلم، ج١، ص:٤٢٢.



د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه وأصوله

الاستدامة على طريق الله



التوبة من مكارم الأخلاق في الإسلام، وهي من أعظم التشريعات التي منّ الله تعالى بها على عباده، وذلك مرتبط بطبيعة الإنسان الذي يخطئ ويقع في المعاصي والآثام ويحيد عن طريق الحق، فهو إما أن يستمر في ذلك الطريق الخطأ، أو أن يعود عنه، ويقلع عما كان يفعله من الإثم الذي يضره، إن كان الأمر يتعلق بعلاقته بينه وبين ربه، أو بما يرفع الضرر أو الظلم عن الآخرين، إن كان الأمر يتعلق بحق الآخرين، ولهذا كان الأمر بالتوبة عاما لجميع الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١)، فجعل الله تعالى التوبة مطلوبة من كل أحد؛ رجلا كان أو امرأة، مسؤولا أم شخصا عاديا، كما جعلها طريق الفلاح؛ لأن الاستمرار في المعصية طريق الهلاك.

وتظهر عظمة التوبة في الإسلام أن الأمر ليس بالحدية، فهناك دائما خط رجعة للإنسان، ذلك أن الإنسان بطبعه خطاء، كما ورد عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» (الترمذي وابن ماجه). وتلك من عظمة الإسلام، فالإنسان ليس آلة تعمل في الطاعة دوما دون أن تحيد عنها أحيانا، لكن عليه إن حاد عن الطريق أن يسارع إلى العودة والتوبة.

وتتجلى معاني التوبة في كونها تطهيرا للقلب مما ران عليه من المعاصي، فالقلب مثل البئر يتسخ بالمعاصي والآثام، والتوبة آلة تنظيفه وتطهيره وعودته إلى ما كان عليه، كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيه حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤) (الترمذي)».

على أن استمرار المعاصي والآثام

غزو للقلب يضعفه من كثرة الضربات والهجوم عليه، فهو وإن كان يصح بالتوبة إلا أن المعصية ترهقه، على أن الإرهاق مع التوبة خير من أن يصبح القلب ميتا بالدوام على المعاصي.

ولهذا كان الأيسر ترك المعصية، كما قال الحسن البصري- رحمه الله-: « يا بن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة»[1].

ومن تجليات التوبة في الإسلام استدامة التوبة لاستدامة المعصية، فإغواء الإنسان من نفسه أو من الشيطان أو قرناء السوء أو مغريات الحياة لا ينتهي، فلا ييأس المرء من نفسه من كثرة المعاصي، لكن عليه أن يداوم قرع الباب دوما بالعودة والتوبة، فإن كان الله سبحانه لا يمل من المغفرة؛ فمن الحكمة ألا يمل المرء من العودة إلى الله وطلب التوبة والمغفرة منه دوما مهما وقع منه، وقد كان النبي ﷺ يعلم الصحابة والأمة من بعده استدامة التوبة، كما ورد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: إن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أحدنا يذنب. قال: «يكتب عليه». قال: ثم يستغفر منه ويتوب. قال: «يغفر له ويتاب عليه». قال: فيعود فيذنب. قال: «فيكتب عليه». قال: ثم يستغفر منه ويتوب. قال: «يغفر له ويتاب عليه، ولا يمل الله حتى تملوا» (الطبراني).

معالم استدامة التوبة

والناظر في التشريع الإسلامي يلحظ أن وسائل استدامة التوبة ومعالمها كثيرة جدا، فمن مقاصد الشرع أن تكون التوبة دائمة مستديمة لا تنقطع عن حياة المسلم.

عدم الجزع من رحمة الله

فمن المعاني اللطيفة في استدامة التوبة أن الجزع من المعصية وتسلل اليأس من رحمة الله ومغفرته في النفس أشد سوءا عند الله من ارتكاب المعصية ذاتها، فلا يقول المرء في نفسه: «لن يغفر الله لي»، لأن هذا إساءة أدب مع الله، وهو أشد خطرا من المعصية ذاتها، ذلك أن الأول متعلق بالاعتقاد والإيمان، والثاني متعلق بالسلوك، والخطر في الاعتقاد والإيمان أشد منه في السلوك والفعل.

التوبة من مقاصد الشريعة

ومن معاني استدامة التوبة في الإسلام أن محمدا ﷺ سمى نفسه نبي التوبة ونبي الرحمة، كما ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»(مسلم). وإذا عرف المسلم أن محمدا ﷺ نبي التوبة ونبي الرحمة؛ أدرك أن التوبة من مقاصد الشريعة التي يحبها الله تعالى، فيحرص عليها، ويقبل عليها مهما بدر منه من المعاصي والآثام.

فرح الله بالتوبة

ومن معالم استدامة التوبة في الإسلام أن الله تعالى يفرح بتوبة عبده العاصي حين يتوب إليه ويرجع إلى الطاعة، وذلك أن الرجوع عن المعصية والدخول في الطاعة مرة أخرى دليل على إيمان العبد، ويقينه أن الطاعة هي الأصل، وأن المعصية عرض زائل لا قرار له في حياته، وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده» (البخاري ومسلم).

وإذا أدرك العبد فرح الله بتوته، كان واجبا عليه أن يفرح ربه بتوبته، وأن يكون ذلك حافزا له على استدامة التوبة إلى الله تعالى.

الطهارة والصلاة من وسائل استدامة التوبة

كما جعل الشرع الحنيف طهارة المرء الظاهرة للعبادة وقيامه بالصلوات الخمس وسيلة من وسائل التوبة إلى الله، ذلك أن طهارة المرء الظاهرة تعبير عن رغبته في الطهارة الباطنة، وأن وقوفه بين يدي الله تعالى في الصلاة وتكرارها في اليوم خمس مرات أمارة حقيقية على قصد التوبة والعودة إلى الله، وإرادة السير في طريق الصالحين وإن أخطأه بمعاصيه، وهو يقصد رب البيت في المسجد؛ فيزور بيته ويتوجه إليه بالطهارة والعبادة، فيكون ذلك من أمارات قصد التوبة إلى الله تعالى، كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، بضعا وعشرين درجة.

وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد، لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة. فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة. وحط عنه بها خطيئة، حتى يدخل المسجد. فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: «اللهم ارحمه. اللهم اغفر له. اللهم تب عليه. ما لم يؤذ فيه. مالم يحدث فيه» (البخاري ومسلم).

وفي الحديث إشارة إلى تيسير الله التوبة للعبد، فالوضوء الذي يفعله، والصلاة التي يقوم بها، والبقاء في المسجد، كلها دلائل على التوبة، فيجعل الله كل خطوة يخطوها كفارة له عن معصية، بل تتلقاه ملائكة الرحمن في بيت الرحمن وهو مرتكب للمعاصي فتدعو الله تعالى له بالتوبة والمغفرة، فكل هذه وسائل لاستدامة التوبة في طريق الله تعالى.

العهد مع الله على استدامة التوبة

ومن معالم استدامة قصد الشارع لتوبة عباده أن يعاهد العبد ربه أن يكون إليه توابا أوابا، فينبض قلبه، ويلهج لسانه بالتوبة كل صباح مساء أنه على العهد دوما، وإن أخطأ فإنه تائب إليه، وإلى هذا المعنى يشير الحديث الذي ورد عن شداد بن أوس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما



صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» (البخاري). فقول العبد: (وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)، يشير إلى معنى استدامة العبادة واستدامة التوبة إلى الله تعالى.

التوبة تمحو كل المعاصي

ومن وسائل استدامة التوبة أن الله تعالى جعل التوبة من كل المعاصي؛ من الصغائر والكبائر ومن كل شيء، وألا ييأس المرء من نفسه، بل عليه أن يسعى دوما إلى التغيير إلى الصلاح وعمل الصالحات؛ فإن ذلك كفارة لمعاصيه وصدق لتوبته إلى الله تعالى، بل يجعل الله سيئاته حسنات، فعن أبي طويل ﵁ أنه قال: أتيت النبي ﷺ، فقال أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئا، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال: «فهل أسلمت». قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: «تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن» قال: وغدراتي وفجراتي. قال: «نعم» قال: الله أكبر فما زال يكبر حتى توارى» (البزار والطبراني).

وفي الحديث عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أخطأتم حتى تبلغ خطايكم السماء، ثم تبتم لتاب عليكم» (ابن ماجه).

إن من الحكمة ألا يداوم المرء السير في طريق الخطأ، بل عليه دائما أن يصحح مساره، وأن يراجع نفسه، وأن ينظر مواطن الخلل والزلل فيها فيعالجها، وأن يعود على استقامة الطريق؛ فساعتها يغفر ذنبه، ويفتح له، كما قال أبو حازم- رحمه الله-: «عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، إذا عزم العبد على ترك الآثام أمه الفتوح»(٢).

الهوامش

١ – الزهد للإمام أحمد (٣٤٠).

٢ – حلية الأولياء، للأصبهاني (٢/ ٢٣٠).

عبدالله الظفيري
صحافي وباحث



باب مفتوح على مصراعيه

فتح الله تعالى باب التوبة على مصراعيه أمام كل تائب صادق النية يريد الكف عن الذنب والرجوع إلى الرب ليكفر عن سيئاته ويفوز بالجنة وينجو من النار.

فمهما كانت الذنوب كبيرة والمعاصي كثيرة فإن رحمة الله تعالى واسعة وكبيرة وباب مغفرته مفتوح أمام صاحب التوبة الصادقة النصوح التي يقبل فيها على الله تعالى وهو يشعر بالندم والرغبة في ترك الذنوب والمعاصي وكل فعل قبيح.

وكثير من الناس لا يعرف ما هي التوبة ولا كيف يبدأ فيها وما هي شروطها، فتجده يبادر إلى التوبة وترك الذنوب ثم لا يلبث أن يعود مرة أخرى إلى المعاصي والأفعال القبيحة وكأنه لا تاب ولا ندم على أفعاله السابقة.

التوبة الصادقة هي الرجوع إلى الله سبحانه بنية خالصة لوجهه تعالى وليست من أجل إرضاء الآخرين، واستشعار القلب للندم وترك الذنوب والمعاصي، فهذه هي البداية الصحيحة للتقرب من الخالق وتكفير الذنوب والنجاة من العذاب ونيل الراحة والطمأنينة لأن سعادة الإنسان بالقرب من الله تعالى.

وتتحقق التوبة عن طريق الإخلاص والصدق في طلبها وعدم العودة إلى فعل الذنوب، فإذا عزم الإنسان على السير في طريق التوبة أعانه الله على ذلك وسهل له الطريق ومده بالقوة.

ويجب الابتعاد عن مواطن المعصية ورفقاء السوء وتذكر عواقب المعاصي ومخاطرها والانشغال بما يفيد من ذكر وأعمال صالحات مع استمرار الاستغفار والدعاء والصبر فهذه من الأمور المعينة على التوبة.

ولاشك أن التوبة الصادقة فوائدها كثيرة في الدنيا والآخرة، فمن تاب نال رضا الله تعالى ومحبته واستجاب إلى أمر الله تعالى بالتوبة النصوح.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (التحريم:٨).

وكذلك من فوائد التوبة أنها تكفر السيئات وتزيد الحسنات وأحد أسباب دخول الجنة والنجاة من النار. لذلك يجب على الإنسان أن يبادر على الفور بالتوبة النصوح فلا يعرف متى يحين أجله وينقضي عمله، فالمماطلة والتسويف لا تصح في هذه الأمور، بل يجب المسارعة إلى فعل الخير والندم على فعل الذنوب والمعاصي.

ولا ينبغي للعبد مهما كانت ذنوبه كثيرة أن ينقطع رجاؤه من عفو الله تعالى ومغفرته. قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ (طه:٨٢).





السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

التوبة الحضارية

للمؤمنين أخلاق كثيرة، يعرفون بها، ويحافظون عليها؛ لأنهم بهذه الأخلاق قد اكتسبوا مرتبة الإيمان، واستحقوا أن ينالوا رضوان الله تعالى عليهم ومحبته لهم، وأن يفوزوا بالفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١). ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التغابن: ١١). ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ (طه: ٧٥).

وفي مقدمة الأخلاق التي يتحلى بها المؤمنون، والتي هي أيضا مطلوبة من المؤمنين؛ خلق التوبة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (التحريم: ٨).

ومادة التوبة في اللغة تدل على الرجوع. يقال تاب من ذنبه، أي رجع عنه، يتوب إلى الله توبة ومتابا، فهو تائب. والتوب التوبة. قال الله تعالى: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ (غافر: ٣)[1].

وقد تعددت تعريفات العلماء للتوبة، وهي تعريفات تتكامل، وكل واحد منها يسلط الضوء على جانب من

جوانب المفهوم. فذكر الكفوي أنها: الندم على الذنب، تقر بأن لا عذر لك في إتيانه[٢].

ونقل عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قوله: التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود[٣]. وهذا التعريف الجامع لابن عباس قد أجمل شروط التوبة.

وإذا كانت هذه هي أهمية التوبة وحقيقتها، فإن مما يحجب عن التوبة ويصد عنها، طول الأمل؛ لأن طول الأمل يجعل المرء يسوف ما لا ينبغي له أن يسوفه، ويهمل ما لا يجوز له الإهمال فيه.

كان يحيى بن معاذ يقول: الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل. وعلامة التائب؛ إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همة[٤].

شروط التوبة

والتوبة النصوح لها شروط ينبغي أن تستوفيها، ويتحقق بها التائب. فالتوبة، كما نقل ابن قدامة، عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا؛ وذلك الندم يورث العلم بأن تكون المعاصي حائلا بين الإنسان وبين محبوبه[٥].

وشروط التوبة ثلاثة شروط أو أربعة؛ فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط؛ أحدها: أن يقلع عن المعصية. والثاني: أن يندم على فعلها. والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها؛ فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها[٦].

فإذا تحلى التائب بهذه الشروط؛ دل ذلك على صدقه في التوبة، وعلى قبول التوبة منه بفضل الله تعالى.

الترغيب فيها

لقد رغب الإسلام في التوبة ترغيبا عظيما، يحمل النفوس على التحلي بها والمسارعة إليها. وقد تمثل هذا الترغيب بأن رصد الإسلام للتوبة الأجر الكبير والثواب الحسن، وبأن جعلها متاحة وبابها مفتوحا حتى تخرج الروح من البدن أو تطلع الشمس من مغربها.

ويكفي ترغيبا في التوبة أن الله تعالى يحب التوابين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢). وأنه سبحانه يريد التوبة لعباده: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٢٧). وأنه جل شأنه يتوب على من تاب إليه: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٩).

وقد عقد المنذري فصلا بعنوان: (كتاب التوبة والزهد الترغيب في التوبة والمبادرة بها وإتباع السيئة الحسنة)[٧]، أورد فيه عددا من الأحاديث الدالة على ترغيب الإسلام في التوبة، ووجوب المبادرة بها؛ ومن هذه الأحاديث:

- عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» (رواه مسلم).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه» (رواه مسلم).
- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه» (رواه أبو يعلى والطبراني بإسناد جيد).

المحن والتوبة

من ثمرات التوبة وفوائدها أنها طريق إلى النجاة في الدنيا والآخرة. وأن «الخلاص من المحن يكون بالتوبة والدعاء»؛ كما يقول ابن الجوزي في (صيد الخاطر).

ويوضح ابن الجوزي ذلك بالقول: إذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها؛ فليس لك إلا الدعاء، واللجأ إلى الله، بعد أن تقدم التوبة من الذنوب؛ فإن الزلل يوجب العقوبة، فإذا زال الزلل بالتوبة من الذنوب، ارتفع السبب. فإذا تبت ودعوت، ولم تر للإجابة أثرا، فتفقد أمرك، فربما كانت التوبة ما صحت، فصححها، ثم ادع. ولا تمل من الدعاء؛ فربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة، وربما لم تكن المصلحة في الإجابة؛

فأنت تثاب، وتجاب إلى منافعك، ومن منافعك ألا تعطى ما طلبت، بل تعوض غيره. فإذا جاء إبليس، فقال: كم تدعوه ولا ترى إجابة! فقل: أنا أتعبد بالدعاء، وأنا موقن أن الجواب حاصل، غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح على مناسب، ولو لم يحصل، حصل التعبد والذل[٨].

إذن، في المحن علينا أن نسلك سبيل التوبة والإقلاع عن المعصية، مع الدعاء وحسن اللجوء إلى الله تعالى، واتخاذ الأسباب الصحيحة التي نخرج بها مما وقع بنا من أزمات.

التوبة حاجة مستمرة

والتوبة ليست فحسب أمرا واجبا يمكن أن نؤديه على فترات، تقترب أو تبتعد؛ وإنما هي حاجة مستمرة علينا أن نتحلى بها دوما؛ لأن الإنسان إذا كان من طبعه النسيان والخطأ والغفلة، لا ينفك عن هذا، قل ذلك أم كثر؛ فإن التوبة لازمة للإنسان بقدر ما فيه من النسيان والخطأ والغفلة. بل هي، من وجه لآخر، لازمة للإنسان؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يوفي الله تعالى ما ينبغي له سبحانه من شكر وحمد وعبادة؛ وحينئذ تكون التوبة لازمة بسبب هذا التقصير الذي هو كائن في حق الإنسان، وإن تفاوتت درجته.

وإذا كان النبي ﷺ، يلازم التوبة ويكثر منها على مدار اليوم، وهو ﷺ من هو؛ تعبدا، وقياما بحق الله تعالى، وإخباتا، وإنابة، وتوكلا، وقل ما شئت من أخلاق وكمالات.. فكيف بنا نحن!

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب، في اليوم، إليه مائة مرة» (صحيح مسلم).

وقد أحسن الغزالي حين عقد في «إحيائه» فصلا بعنوان: (بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة)؛ وقال: اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا؛ إذ قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١)؛ فعمم الخطاب؛ ونور البصيرة أيضا يرشد إليه.

وفي بيان وجوب التوبة على الدوام وفي كل حال، قال الغزالي: وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال؛ فهو أن كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه إذ لم يخل عنه الأنبياء، كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم، فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب، فإن خلا في بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله، فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله؛ وكل ذلك نقص وله أسباب، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده، والمراد بالتوبة الرجوع. ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النقص، وإنما يتفاوتون في المقادير، فأما الأصل فلا بد منه، ولهذا قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة[٩]؛ الحديث ولذلك أكرمه الله تعالى

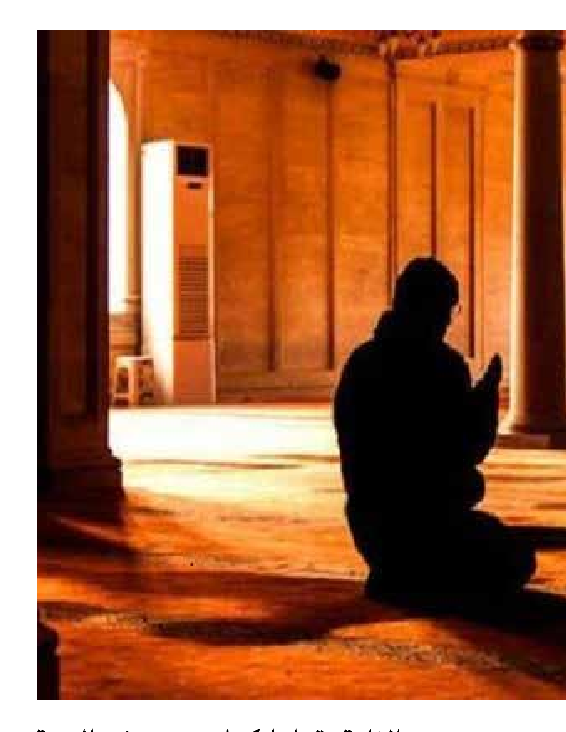


بأن قال: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢). وإذا كان هذا حاله، فكيف حال غيره[١٠].

التوبة الحضارية

والتوبة كما أنها شأن فردي، يخص كل فرد على حدة؛ فإنها أيضا شأن جماعي، يخص المجتمع بأسره، وتخاطب بها الأمة بمجموعها. ويمكن تسمية التوبة في هذه الحالة الثانية بالتوبة الحضارية؛ أي التي تتصل بموقف المسلمين عموما من حيث حالتهم الحضارية.

إن المسلمين طوال تاريخهم الممتد طولا وعمقا، قد نالتهم حظوظ متفاوتة من التقدم والتأخر، أو من النهوض والنكوص، أو من الغلبة والهزيمة. ولابد، والشأن هذا، أن يحدث تساؤل عريض عن أسباب التأخر والنكوص والهزيمة؛ ثم بعد معرفة هذه الأسباب، يحدث تراجع عنها إلى أضدادها، تلك الأضداد التي توجب التقدم والنهوض



والغلبة؛ تماما كما يحدث في التوبة على المستوى الفردي؛ من معرفة لأسباب العصيان والانحراف، ثم رجوع عن ذلك إلى ما يوجب الطاعة والاستقامة.. وهذا هو معنى التوبة، سواء في مستواها الفردي/ التعبدي، أو مستواها الجماعي/ الحضاري.

إن الفرد كما يصيبه النسيان والخطأ والغفلة، فإن الأمم أيضا يصيبها مثل ذلك. المهم أن نبادر إلى الاستفاقة، وإلى المراجعة والمحاسبة، وإلى الأخذ بسنن النهوض والنصر: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (آل عمران: ١٦٥). ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

وقد عاب القرآن الكريم على أناس لا يستفيدون من تجاربهم ولا يتوبون من أخطائهم؛ وليس هكذا المؤمن، فقال: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٦).

جاء في تفسير ابن كثير: أولا يرى هؤلاء المنافقون ﴿أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ﴾ أي: يختبرون ﴿كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: لا يتوبون من ذنوبهم السالفة، ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم[11].

وهنا لفتة مهمة، أن التوبة، الفردية والحضارية، ليست تتصل بالماضي فحسب، تبرؤا منه ورجوعا عنه؛ وإنما تتصل أيضا بالمستقبل، استعدادا له وقياما بما ينبغي تجاهه من عمل واجتهاد؛ سواء أكان هذا المستقبل هو الآتي في الحياة الدنيا، أم هو الدار الآخرة؛ فليس التفكير في شأن الآخرة وما فيها من جزاء وعقاب إلا تعويدا على التفكير في المستقبل، بما في ذلك مستقبل واقعنا في الحياة الدنيا.

شروط التوبة الحضارية

وكما أن التوبة الفردية لها شروط، فالتوبة الحضارية أيضا لها شروط؛ وأهم شروطها، وأن نحسن قراءة تاريخنا، ونتفحص مراحل صعوده وهبوطه، وأن ندرك مسئوليتنا عن أفعالنا ولا نتحجج بقدر أو بتآمر، وأن نعرف أننا أمة من الأمم، تجري علينا سنن الله تعالى كما تجري عليهم، وأن نتبصر بالسنن الإلهية التي ينتظم بها الكون؛ من سنن التدافع والتداول والتسخير وغيرها، وأن نعلم أن ديننا الخاتم ووحينا المحفوظ لا يمنحنا العصمة، وإنما يهدينا للتي هي أقوم؛ وأما النتائج فهي متعلقة بأفعالنا نحن، وليست تمس الإسلام في شيء إن جاءت على غير ما ينبغي، وعلينا أن نقلع عن أسباب الهزائم، ونشرع فورا في موجبات النصر؛ من حسن فهم الإسلام، ووحدة الكلمة والصف، والوعي بالإمكانات والفرص، وتوظيف الطاقات والموارد، وأن نستعد للمستقبل، ولا نقع أسرى للحظة الراهنة، وأن نتحلى بالأمل وحسن التخطيط، وأن ندرك يقينا أن الله تعالى مع المؤمنين؛ يصوب خطواتهم، ويوفق جهودهم، ويسد نقصهم؛ متى بذلوا وسعهم وطاقتهم، ولم يقصروا أو تصيبهم الغفلة.

نسأل الله تعالى أن يهبنا يقظة من عنده، وأن يرزقنا توبة نصوحا؛ يحيا بها الإيمان في قلوبنا، وتسعد بها مجتمعاتنا، وتعمر بها الحياة من حولنا.. اللهم آمين..

الهوامش

١- مقاييس اللغة، ابن فارس، (١/ ٣٥٧).
٢- الكليات، الكفوي، (ص: ٣٠٨).
٣- التعريفات، الجرجاني، (ص: ٧٠).
٤- صفة الصفوة، ابن الجوزي، (٢/ ٢٩٢).
٥- مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، (ص: ٢٥٩).
٦- رياض الصالحين، النووي، (ص: ٣٣، ٤٣).
٧- الترغيب والترهيب، المنذري، (٤/ ٤٥).
٨- صيد الخاطر، ابن الجوزي، (ص: ٣٥٢).
٩- عن الأغر المزني، وكانت له صحبة، أن رسول الله ﷺ، قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة»: صحيح مسلم، حديث رقم (٢٧٠٢).
١٠- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (٤/ ٩، ١٠).
١١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٢٤٠).

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي



التوبة من منظور نفسي واجتماعي

كثيرة هي الذنوب والأخطاء التي يقع فيها الإنسان، كبيرها وصغيرها، سرها وعلانيتها، وهذه الذنوب، لها آثارها المهلكة والمدمرة للإنسان العاصي والمذنب، والمجتمع الذي تشيع فيه الذنوب والمعاصي، ولكن من مظاهر رحمة الله بالإنسان أن شرع له التوبة من الذنوب والمعاصي وجعلها طريقة موصلة لرضا الله والرضا عن الله، قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (المائدة:١١٩).

أجمع علماء الأمة على أن التوبة فرض عين على كل مسلم ومسلمة، قال القرطبي في تفسيره: اتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١). وقال ابن قدامة المقدسي في مختصر منهاج القاصدين: التوبة واجبة على الدوام، فإن الإنسان لا يخلو عن معصية، لو خلا عن معصية بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبه، وإن خلا عن ذلك، لم يخل عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، لو خلا عنه لم يخل عن غفلة وقصور في العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص، ولا يسلم أحد من هذا النقص، وإنما الخلق يتفاوتون في المقادير، وأما أصل ذلك، فلا بد منه[1].

وفي الحديث عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (رواه مسلم).

واقعية التعامل مع النفس البشرية

النفس فطرت على حب الشهوات رغبة في تحيق ما يتحصل عنها من لذة ومتعة، بل وترغب في الاستزادة منها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ

﴿وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ (آل عمران:١٤)، ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ (الشمس:٧-٨)، ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (يوسف:٥٣)، وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره» (متفق عليه). والشهوات: هي ما تميل إليه النفس، من غير تعقل، ولا تبصر، ولا مراعاة لدين، ولا مراعاة لمروءة[٢].

وكل مسلم معرض للذنوب مهما كانت درجة إيمانه وتقواه ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا» (رواه مسلم)، فهذه الفتن تصيب من كل شهدها أو تعرض لها بغض النظر عن درجة إيمانه فقد يتعرض لفتن يفقد بها دينه شبهة تشرب بها قلبه، أو شهوة أحبتها نفسه.

فنظرة الإسلام هنا إلى طبيعة النفس البشرية هي نظرة واقعية نابعة من فهم طبيعتها وما يعتريها من دوافع ورغبات قد تسيطر على صاحبها فتوجهها بعيدا عن الالتزام بشرع الله، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ (القصص:٥٠)، فالإسلام لم ينكر أن يشبع الإنسان هذه الرغبات عن طريق ما أحله الله له كشهوة حب النساء شرع له الزواج لإشباعها، وشهوة حب المال شرع له ان يعمل ويتحرى الحلال، من جهة أخرى أنكر على من يكبت هذه الرغبات وينكرها، ففي الحديث: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (رواه البخاري).

الحالة النفسية للعصاة والمذنبين

إن طغيان شهوات النفس وقيادتها لصاحبها تدفعه دفعا إلى مخالفة شرع الله وتجاوزه عاصيا ومذنبا، ولا شك في أن الذنوب والمعاصي تترك آثار نفسية شديدة الخطورة في نفس صاحبها، تفقده سلامه النفسي مع نفسه، وقد يلجأ للتبرير كحيلة نفسية دفاعية لإقناع نفسه والآخرين بأنه محق فيما يفعل، قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ (البقرة:٩)، ولكنه يفشل في اقناع نفسه واقناع الآخرين فيزيد في غيه وعصيانه، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ (البقرة:١٠)، فهو في حالة صراع ذاتي مع نفسه ومع الآخرين، تعتريه مشاعر القلق والتوتر، اليأس والإحباط، التردد والحيرة، يبحث عن ذاته فلا يجدها، يفقد معنى الحياة، يشعر أنه يفتقد ذاته ويبحث عنها. قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ (طه:١٢٤)، ويؤكد بن كثير -رحمه الله- في تفسيره ما يمر به العصاة والمذنبين بقوله: أي في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة.

والمتأمل في قصص التائبين، والمهتدين إلى الإسلام عامة يجد أنهم جميعا مروا بهذه الحالة، وأنها غالبا ما تكون مقدمة للتوبة والرجوع إلى حظيرة الإيمان، قال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ (الأنعام:١٢٥).

والحالة النفسية للعصاة والمذنبين تدفعهم إلى البحث عن علاج لها وسبيل للخروج منها، وهو يبدأ بالبحث في ذاته يفكر ويتأمل في الحال التي وصل إليها، إنه بالفعل غير راض عن نفسه، محتقرا لها، فيظل على هذه الحالة متأملا، وناقدا لذاته وهو ما يطلق عليه «الاستبطان» في علم النفس، وخلال هذه العملية يستطيع الانسان العاصي والمذنب أن يضع تقييما ذاتيا لنفسه يصدق فيه مع نفسه، فتعتريه مشاعر الحسرة والندم على حالته التي وصل إليها، ففي الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: «إن التوبة من الذنب الندم» (رواه البخاري).

والندم حالة نفسية شعورية تتكون من:

المكون المعرفي: وهي الرأي الذي كونه تجاه نفسه وماهي عليه من

ذنوب واقراره بذلك.
المكون الوجداني: وهي حالة الحزن على حاله التي وصل إليها من ذنوب ومعاصي ورفضه لها، مع فرحه وسعادته بسعيه لتغيير هذه الحالة والبحث عن سبل الاقلاع عن الذنوب والمعاصي.
المكون السلوكي: يتمثل في بداية التغيير الظاهر والباطن ومجاهدة النفس في ترك الذنوب والمعاصي والشهوات، وحملها على فعل الطاعة والثبات عليها.
قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٥)
والتائب إلى الله والعائد إليه يحيطه الإسلام بجو نفسي ومشاعر من الود والحب وفي العديد من آيات القرآن و أحاديث الرسول ﷺ ما يمثل مقومات البيئة النفسية السليمة التي تحتضن العصاة والمذنبين بعد توبتهم وعودتهم إلى الاستقامة، كما تبين الأخلاق و الآداب التي يجب أن يتعامل بها معهم، فالله سبحانه وتعالى يحب التوابين قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾(البقرة: ٢٢٢)، والله ويفرح بتوبته ففي الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح» (متفق عليه، واللفظ لمسلم).
كما أنه لا يوجد إنسان بلا ذنوب، فكلنا لسنا بمنأى عن الذنوب وهي من طبيعة البشر، بل عندما يذنب الإنسان ويتوب ينال الخيرية، ففي الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»(الترمذي).
وينهي الإسلام عن تتبع سقطات التائب، والتائب لا يعير بذنبه في مجتمعه فهناك من الناس من ينشغلون عن عيوبهم بعيوب الآخرين يحصون عليهم دقائق الأمور ويغلظون لهم القول ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسى الجذل، أو الجذع، في عين نفسه» (رواه البخاري)، قال أبو عبيد: الجذل: الخشبة العالية الكبيرة.
التوبة من منظور اجتماعي المجتمع الذي يتصف أهله بالمعاصي والذنوب وتتفشي بينهم، مجتمع تمحق بركته ويضيق عليه في رزقه، تكثر فيه الابتلاءات والعقوبات، قال تعالى:﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ (الروم:٤١)، قال ابن كثير في تفسيره: إن النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي، وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض، وفي الحديث: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم». (رواه ابن ماجه)، وما يمر به العالم من أوبئة ومجاعات يشهد بما حذر منه الرسول ﷺ.
إن توبة أفراد المجتمع والتزام أهله بما شرع الله تكون سببا لسعة الأرزاق وتنزل البركات قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ﴾ (هود:٣)، والنصر على الأعداء والتمكين والسيادة في الأرض ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

الهوامش:

١- ابن قدامة المقدسي: مختصر منهاج القاصدين، (ص: ٢٩٦).
٢- محمد بن صالح العثيمين: شرح رياض الصالحين، (ص: ٨٧).

عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية



طريق الخلاص

لا تخلو حياتنا من ارتكاب الأخطاء وفعل الذنوب والمعاصي. فمهما كان الإنسان حريصا على دينه وملتزما في السلوك القويم وحذرا من الوقوع في الزلل، فإن السهو وارد وضعف الهمة كائن والتقصير في أداء الطاعات والعبادات حاصل.

وربما هذه طبيعة النفس البشرية التي تتأرجح بين إقبال على الله تعالى وعزم وقوة في فعل الخير وبين تقصير وضعف همة وتراجع في العزيمة والدافع.

لذلك يحتاج العبد بين فترة وأخرى إلى إجراء مراجعة شاملة لحساباته مع ربه ليقف على مواطن التقصير والخطأ ويبدأ في إصلاح ذاته والتوبة إلى ربه قبل انقضاء العمر فلا يعرف الإنسان متى يحين أجله وينقضي عمره.

أما ارتكاب الذنوب والأخطاء فكلنا خطاؤون، فلسنا معصومين من الخطأ، لكن الأهم هو الإسراع بالتوبة والشعور بالندم والعودة إلى الله تعالى بقلب صادق نادم على أفعال الماضي فهي البداية الصحيحة لعلاقة الإنسان في ربه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون». أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وأحمد (١٣٠٤٩) باختلاف يسير، وابن ماجه (٤٢٥١) واللفظ له.

ومهما أسرف الإنسان على نفسه بفعل الذنوب والمعاصي فإن عليه عدم اليأس من رحمة ربه والمبادرة إلى التوبة الصادقة والرجوع إلى الله تعالي لأن رحمته أوسع وأكبر.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر. ٥٣).

وعن أبو موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عزوجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها». صحيح مسلم (٢٧٥٩).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه». صحيح مسلم (٢٧٠٣).

ويجب أن تكون التوبة من الذنوب صادقة خالصة لوجه الله تعالى مع نية وعزم على ترك المعاصي وكل فعل قبيح واستشعار الندم والكف عن ارتكاب الذنوب، فالتوبة الصادقة الخالصة هي طريق النجاة والخلاص التي يجب على الإنسان التمسك بها والحرص عليها لأنه يعقبها تكفير الذنوب والدخول إلى الجنة بإذن الله تعالى. وقد أمرنا سبحانه وتعالى بالتوبة النصوح.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (التحريم:٨).

د. محمد صلاح زيد
ناقد وأكاديمي



قصيدة الحج في الشعر العربي: بنية الحكاية وجماليات النص

يحفل أدب كل أمة من الأمم الإنسانية عبر مسيرتها التاريخية والحضارية بما يسمى بـ«شعر المناسبات»، وهو ذلك اللون من الشعر الذي يقف الشعراء فيه أمام مناسبات بعينها (دينية - تاريخية - وطنية - اجتماعية - ثقافية - علمية، وغيرها) أيا كان نوعها، ليشدو الشاعر بألحان شعره فيها، متأملا تلك المناسبة، ومتعمقا في تفاصيلها بحكايات شعرية لا تنتهي.

وقد يتهم بعض دارسي الأدب شعر المناسبات بالرداءة الفنية، ويصفون تجاربه بالفاشلة، وذلك بزعم عدم صدق التجربة الشعرية له، فشعر المناسبات كما سلف

المقام في بيت الأمة، وعندما سئل عن ذلك، برر الأمر بحضور الصدق الفني في التجربة الشعرية، فقال: «لا عيب في المدح ما دام صادقا».

قصيدة الحج

انطلاقا من السالف ذكره، يمكننا القول إن ما نسميه بـ «قصيدة الحج»، وهي تلك النصوص الشعرية، التي تحدث فيها أصحابها عن شعيرة الحج، ووقفوا أمامها وتناولوها شعريا داخل نصوصهم، فمنهم من وصف الرحلة المقدسة عبر أبيات شعرية بديعة، ومنهم من تحدث عن المناسك، وذلك كله لم يخل بالتأكيد من التعبير عن تلك المشاعر الفياضة التي كانت تجيش في صدورهم، فرحا وتعبيرا عن شوقهم لأداء المناسك، والطواف ببيت الله الحرام، قبلة كل المشتاقين والمحبين، وكل هذا يدخل ضمن شعر المناسبات، سواء اعتمدنا ذلك التعريف الضيق والمحدود الذي يؤكد على أن كتابة الشعر وقوله في المناسبات العامة التي يشترك فيها الجميع، ومنها الدينية، هو المقصود بـ «شعر المناسبات»، أم اعتمدنا ذلك التعريف الأكثر رحابة، والأدق منهجيا الذي يقر بأن كل الأغراض الشعرية النابعة من تجارب شعرية ذاتية أو عامة، طالما أنها تجارب إنسانية، فإنها تدخل ضمن إطار شعر المناسبات. وبناء عليه في كلا الحالين تعد «قصيدة الحج» ضمن شعر المناسبات في الشعر العربي.

لقد كان للحج وما يتصل به من معان ومشاعر مكانة كبرى لدى العرب، منذ الجاهلية وحتى يومنا هذا.

ففي العصر الجاهلي نجد الشاعر الجاهلي «زهير بن أبي سلمى» الذي توفي قبل بعثة النبي ﷺ بسنة واحدة، يتحدث في أحد أبيات معلقته الشهيرة عن الكعبة المشرفة، ذلك البيت الذي يحج إليه الناس، ويطوفون حوله، فيقول:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم

فالشاعر هنا يقسم بمكانة هذا البيت المقدس في نفوس العرب، ذلك البيت الذي يطوف حوله من يأتون إليه، ومن يقومون على خدمته ورعايته وبنائه من أبناء قبيلتي قريش وجرهم، تلك القبيلة التي سبقت قريش في ولاية البيت، لكنهم بغوا وظلموا، فهلكوا ونزعت منهم السيادة والولاية على البيت، حتى وصلت قبيلة قريش.

إن الشاعر الجاهلي «زهير بن أبي سلمى» في هذا



تعريفه، هو ذلك اللون الشعري الذي يقال في مناسبات بعينها، وينتهي أثره بانتهائها، فلا يعتد به خارجها، ولا تبقى شعريته بدونها. ولقد عاب أصحاب الاتجاه الوجداني ومدرسة الديوان على أصحاب الاتجاه الكلاسيكي اعتدادهم بشعر المناسبات، فنجد الأديب «عباس العقاد» أحد رموز ومؤسسي مدرسة الديوان، يعيب على «أحمد شوقي» اعتداده بشعر المناسبات، بينما هو ذاته مارس هذا اللون الشعري وكتب فيه، فكتب في رثاء «مي زيادة»، وكتب في مناسبة نقل رفات جثمان «سعد زغلول» من صحراء الإمام، إلى ضريحه

البيت الشعري يؤكد على قدسية هذا البيت الذي يحج إليه الناس، ويتحدث عن أحد مناسك أو شعائر الحج في الجاهلية قبل الإسلام، وهو الطواف بالكعبة، وهذا ما جاء الإسلام وأقره بعد ذلك.

ومما ورد إلينا من شعر الجاهلية تلك الأبيات التي تنسب إلى «مضاض الجرهمي»، والتي يتحدث فيها عن مناسك الحج قبل الإسلام، وعن دور قبيلته «جرهم» في ولاية البيت العتيق، ثم مشاعر الشوق والحنين إلى مكة، والكعبة المشرفة، للدرجة التي يذرف فيها الحجاج الدموع شوقا وهياما، يقول:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
وسحت دموع العين تبكي لبلدة
بها حرم آمن وفيها المشاعر

فالشاعر الجاهلي هنا، يقف في البيت الأخير على أبواب الشوق والهيام الذي يدخل إلى نفوس حجاج البيت العتيق، ويعبر لنا عن لحظات استقبال مشارف مكة في نفوس الحجيج حينما يأتون إليها من كل مكان، فهم يستقبلونها بالدموع، لأنها البلد الحرام، التي بها الحرم الآمن، وفيها المشاعر المقدسة.

ومما ينسب إلى أبي طالب بن عبد المطلب عم النبي محمد ﷺ، من شعر حول شعيرة الحج المقدسة عند العرب قبل الإسلام، ما يقول فيه:

أرض بها البيت المحرم قبلة
للعالمين له المساجد تعدل
وبها المشاعر والمناسك كلها
وإلى فضيلتها البرية ترحل

إن المتأمل في البيتين السابقين، يجد أن الشاعر الجاهلي، قد أكد على أن بيت الله الحرام، هو القبلة والمقصد للعالمين، يأتي إليه الناس جميعا من كل حدب وصوب، إنها مكة المكرمة، الأرض المقدسة المباركة، التي توجد فيها المشاعر المقدسة، والمناسك المعظمة في نفوس العرب، حيث يرحلون جميعا للتبرك بها، والوقوف على أبوابها، والتماس بعض أفضالها.

وبعد الإسلام أنشد الشعراء المسلمون قديما وحديثا الشعر في فضل شعيرة الحج، ووقفوا أمام المكانة العظيمة للبلد الأمين، وبيت الله الحرام، فنجد الشاعر الأموي الكبير عمر بن أبي ربيعة، يقول في مقدمة إحدى قصائده:

إني ومن أحرم الحجيج له
وموقف الهدي بعد والبدن
والبيت ذي الأبطح العتيق وما
جلل من حر عصب ذي اليمن
والأشعث الطائف المهل وما
بين الصفا والمقام والركن
وزمزم والجمار إذ رميت
والجمرتين اللتين بالبطن

يبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة شعرية مغايرة للمألوف، فمن المألوف والمعهود لدى الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي أن تبدأ مقدمات قصائدهم بالغزل أو الوقوف على الأطلال أو وصف الخمر أو وصف الناقة، وغيرها من المقدمات الشعرية المألوفة، لكن الشاعر هنا افتتح قصيدته بمقدمة شعرية مغايرة واستثنائية، تحدث فيها بصيغة القسم عن فريضة الحج وشعائره، وبين مكانة البيت العتيق في نفوس المسلمين، كذلك وقف في خمسة أبيات متتالية أمام أركان الحج وشعائره، بداية من الإحرام إلى البيت العتيق، ثم الطواف حوله، والسعي بين الصفا والمروة، ثم الصلاة في مقام إبراهيم، واستلام الركن اليماني، والشرب من بئر زمزم، ورمي الجمار، وغيرها من هذه الأركان والشعائر الإيمانية لفريضة الحج. وإن المتأمل في هذه المقدمة الشعرية، يعي جيدا مقدار ومكانة هذه الفريضة الإيمانية بكل تفاصيلها في نفوس المسلمين؛ لذا كانت مقدمة مغايرة واستثنائية، قام فيها الشاعر «عمر بن أبي ربيعة» بالتجديد في النص الشعري الأموي، كذلك اكتسب من خلالها المصداقية الكافية في نفوس جميع المتلقين في عصره، ممن سيتلقفون قصيدته، ويستمعون إليها، ويقفون على أبواب معانيها.

أما الشاعر الأموي كثير عزة، ذلك الشاعر المجايل للشاعر السابق، فإنه يصف مشهد التأهب للانتهاء من فريضة الحج، ومن ثم العودة إلى الديار والأحبة، يقول:

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الأباطح

يقف الشاعر هنا أمام مشهد التأهب للانتهاء من فريضة الحج، حيث قضاء شعيرة الوقوف بمنى، والانتهاء من كافة شعائر الحج، ثم التأهب لرحلة العودة من الحج إلى ديار الأهل والأحبة، ثم وصف رحلة العودة، حيث الركوب على ظهور الإبل، وتبادل الأحاديث، حيث أخذ القافلون من الحج وهم على ظهور الإبل بأطراف الأحاديث بينهم، حتى استعذبوها، فانشغلوا عن إمساك أزمة الإبل، فاسترخت عن أيديهم، وهنا أسرعت المطايا في المسير، فشبه الشاعر أعناقها بمرور السيل على سطح الأرض في سرعته.

وبالانتقال إلى العصر العباسي، نتأمل أبياتا من قصيدة أبي نواس، التي يتحدث فيها عن فريضة الحج، ويفتتحها بالتلبية الشهيرة، ذلك النداء الإيماني الذي يردده الحجاج طوال أيام الحج «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك»، فيقول:

إلهنا ما أعدلك
مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك
لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك
ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك
لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك

يقف الشاعر في هذه القصيدة أمام نداء التلبية الإيماني، الذي يردده حجاج بيت الله الحرام طوال أيام الحج، وينسج أبيات قصيدته في الحج، ويتضح لنا في هذه القصيدة مدى انكسار وتذلل هذا الشاعر الذي اشتهر طوال حياته بالمجون، حتى جاءت هذه القصيدة؛ ليعلن بها عن توبته إلى الله، وخضوعه وانكساره إليه، فالقصيدة جاءت لتعبر عن توبة وندم ممزوج بتلبية النداء الإيماني لحجيج بيت الله الحرام في أيام الحج، حيث أدى أبو نواس مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، وأنشد قصيدته البديعة هذه؛ معلنا توبته إلى الله خالقه، بعد أن نقاه الحج من ذنوبه، وأعاده كيوم ولدته أمه، منقى من الذنوب والآثام.

وفي العصر الحديث، أنشد الشاعر المصري الكبير أحمد شوقي شعره في الحج، لكنه لم ينشده من وحي زيارته إلى مكة، وقيامه بأداء الفريضة، بل أنشده من وحي زيارة غيره ممن قام بوداعهم بشعره إلى بيت الله الحرام؛ لأداء فريضة الحج، فنجده حين هم الخديوي عباس حلمي الثاني حاكم مصر وقتها بالتجهز للخروج إلى مكة لأداء فريضة الحج، دعا شوقي لصحبته في رحلة الحج، لكنه اعتذر، وقام بتوديعه من خلال أبيات قصيدة بديعة وقف فيها على تفاصيل رحلة الحج المقدسة، يقول في مطلعها:

إلى عرفات الله يا خير زائر
عليك سلام الله في عرفات
ويوم تولي وجهة البيت ناضرا
وسيم مجالي البشر والقسمات
على كل أفق بالحجاز ملائك
تزف تحايا الله والبركات
لدى الباب جبريل الأمين براحه
رسائل رحمانية النفحات
وفي الكعبة الغراء ركن مرحب
بكعبة قصاد وركن عفاة

في الأبيات السابقة، يقف شوقي أمام رحلة الحج الإيمانية، تلك الرحلة التي يودع فيها الحجيج أهلهم قاصدين مكة لأداء فريضة الحج، وللوقوف بجبل عرفات، وذلك للتشبع من الأجواء الإيمانية العطرة التي تفوح من المشاعر المقدسة، تلك المشاعر التي تقف الملائكة على أبوابها، لتنثر شذى عطرها على رؤوس الحجيج، تزف إليهم سلام الله والتحايا والبركات، عبر رسائل رحمانية النفحات.

ختاما فقد حفل الشعر العربي في كل عصوره الأدبية بالشعراء والقصائد الشعرية التي يقف فيها الشعر متأهبا في وداع ركب وقوافل الحجيج، العازمين على أداء فريضتهم، ويوضح تنقلات الحجاج بين المشاعر، ودموع الشوق والهيام تنهمر من عيونهم، وأمنيات التوق إلى هذه المشاعر المقدسة تنطق من وجوههم، ثم تعلو نغمات الشعر مع نبضات القلوب وداعا وبكاء على انقضاء تلك الرحلة الإيمانية، وانتهاء بجمع الأمتعة والتجهز لرحلة العودة إلى ديار الأهل والأحبة.

أ.د. وليد قصاب
رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي



دور الأدب الهادف في التغيير

لعب الأدب - بأجناسه المختلفة - منذ نشأته عند جميع الأمم والشعوب دورا مؤثرا فعالا في غرس القيم والأفكار والمفاهيم التي تساهم في بناء النفوس وتغييرها، أو حفزها - على الأقل - لاتخاذ مواقف معينة تجاه كثير من القضايا الاجتماعية أو السياسية أو الدينية أو غير ذلك.

بدا الأدب دائما - وبصور مختلفة إيجابية أو سلبية - سلاحا من أسلحة التحفيز والتحريض اللذين ينتهيان بالنفوس إلى التغيير، واتخاذ مواقف مغايرة.

وما كانت هذه القوة للأدب إلا بسبب ما يمتلكه من التأثير والجاذبية؛ إذ ليس هو كلمة عادية، ولكنه كلمة منمقة جميلة، كلمة تشبه السحر. وهذا ما عبر عنه حديث رسول الله ﷺ بقوله: «إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرا»[1].

وفي تراثنا العربي الإسلامي كان الأدب - بشعره ونثره - دائما سلاحا في الدعوة، وخدمة الجماعة، والتعبير عن قضاياها وهمومها.

ومنذ نشأة الشعر عند العرب كان له الأثر الفعال في تحفيزهم وتحريضهم: على العفو، أو الثأر، على الحرب أو السلم، على الشجاعة أو الجبن. وكان صوت الشاعر مسموعا مدويا، يصوغ وجدان الناس ومشاعرهم على نسق ثقافي معين.

وما كان الحث الدائم على حفظه- من قبل الصحابة والخلفاء والعلماء- إلا من قبيل الإيمان بدوره التربوي والنفسي، وبقدرته على التغيير، ونقل النفوس من حال إلى حال.

هذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يشير إلى دور الشعر، عندما يكتب إلى واليه زياد معاتبا؛ لأنه لم يعلم ابنه الشعر، ولم يروه إياه. قال له: «ما منعك أن ترويه الشعر، فوالله إن كان العاق ليرويه فيبر، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل»[2].

ويتحدث معاوية كذلك عن تجربته الشخصية، وما أحدثه الشعر من تغيير في موقفه؛ حتى انقلب إلى النقيض؛ من الفرار إلى الثبات.

يقول معاوية: «اجعلوا الشعر أكبر همكم، وأكثر دأبكم؛ فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض، وأنا أريد الهرب من شدة البلوى، فما حملتني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة:

أبت لي همتي وأبى بلائي
وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت:
مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات
وأحمي بعد عن عرض صحيح

وفي الإسلام جندت الكلمة الأدبية

المؤثرة منذ انطلاق دعوته، في الدعوة والتغيير، وفي الإثارة والتحريض. كانت سلاحا جهاديا قويا.

كان - عليه الصلاة والسلام - يقول لشعرائه المنافحين عن الإسلام: «إن المؤمن ليجاهد بسيفه ولسانه».

وكان الشعراء والخطباء وأرباب الكلمة المعبرة ينطلقون مع الجند في ساحة المعارك، فيشجعون المجاهدين، ويبثون فيهم روح الحماسة والعزيمة والإيمان، فينطلقون غير هيابين ولا وجلين.

في معركة القادسية جمع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه طائفة من الشعراء والخطباء والحكماء والقراء، ثم خطبهم يحثهم على أداء وظيفتهم في هذا اليوم الحاسم.

قال لهم: «انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم، ويحق لهم، عند مواطن البأس. إنكم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس فذكروهم وحرضوهم على القتال..[٣]

وأشار صلاح الدين الأيوبي - بطل الحروب الصليبية- إلى دور الأدب في المعركة، فتحدث عن رسائل القاضي الفاضل والعماد الأصبهاني، التي وصفت للمسلمين الأخطار التي تتهدد الدين والبلاد على يدي الغزاة الصليبيين، وحثتهم على الجهاد، وبذل المال، والانضباط والطاعة للسلطان. وقد بلغ من تأثير هذه الرسائل في تغيير النفوس وحشدها أن يقول صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه إنه فتح البلاد برسائل القاضي الفاضل.

تجنيد الأدب

وبسبب قدرة الأدب على التغيير، ودوره المؤثر الفعال في حفز النفوس على الثورة والعمل، وتبني المواقف، اصطنعته الطوائف المختلفة في القديم والحديث سلاحا هاما من أسلحتها في الدعوة وصياغة الأحاسيس والعواطف، فكان واحد مثل ستالين يقول: «الأدباء مهندسو البشرية».

وأشار أحد النقاد الغربيين إلى اصطناع الطوائف المختلفة، من سياسية، وفكرية، وإيديولوجية للأدب في حمل رسالتها، وتغيير المجتمع والناس إلى الصورة التي يريدون. يقول ريا نوف: «إن التاريخ لم يعرف طبقة واحدة سيطرت في المجالات السياسية والاقتصادية وأهملت مسألة الفن، فإن كل واحدة من الطبقات التي سيطرت - اقتصاديا وسياسيا - سعت بالسبل كلها إلى الاستفادة القصوى من ثمار ونتائج الإبداع الفني، خدمة لمصالحها الطبقية.. إن الفن أصبح سلاحا للسياسة والإيديولوجيا، كما أن السياسة بدورها صارت مادة لكثير من الأعمال الأدبية والفنية..[٤]

دور القصة في التغيير

وإذا كان دور الشعر في التأثير والتغيير قد تراجع كثيرا في العصر الحديث عما كان عليه في القديم، لأسباب كثيرة لا مجال لتفصيل القول فيها؛ فإن الأدب ما يزال مؤثرا فعالا، ولكن دوره في التغيير قد انتقل الآن - بشكل خاص - إلى القصة.

إن القصة اليوم - بأشكالها المختلفة- هي سيدة الفنون الأدبية الحديثة، حتى حمل ذلك بعض النقاد على أن يسمي هذا العصر بـ «عصر الرواية».

إن القصة اليوم لم تعد مجرد كلام أدبي يقرأ بين دفتي كتاب، بل تحولت - بما هيأته لها التقانات الحديثة- إلى أشكال فنية مختلفة.

إن القصة تدخل اليوم إلى كل بيت؛ وذلك لأنها قد تحولت إلى فيلم ومسلسلة ومسرحية وتمثيلة، فصارت شديدة الإغواء والإغراء، ومضت- بسبب ما تملكه من التشويق والإمتاع، ومن الجاذبية والإثارة- ترسخ كثيرا من المبادئ والأفكار والقيم: عن الدين والأسرة والسياسة والعادات والتقاليد وما شاكل ذلك. وقد كان بعض تأثيرها إيجابيا قاد إلى تغيير حميد، فوعى الجماهير، وفتح عيونهم على كثير من سلبيات مجتمعهم، والخلل في حياتهم السياسية والاجتماعية.

ولكن القصة لم تكن دائما ذات دور في تغيير حميد، بل كثيرا- وكثيرا جدا- ما حملت القصة قيما سلبية، مست العقيدة والدين، ومست ثوابت فكرية تمثل هوية الأمة وشخصيتها، فصاغت وجدان كثير من طوائف المجتمع على نسق ثقافي معين.

إن الأدب فن غير محايد، ومهما حاول أن يتجرد من انتمائه السياسي أو العقدي أو الإيديولوجي؛ فإنه غير قادر على ذلك. إنه دائما تعبير عن رؤية فكرية، عن تصور للكون والإنسان والحياة، وهو دائما طماح إلى ترسيخ مفاهيم أو تغيير مفاهيم، مستغلا قدراته النفسية والجمالية لإحداث هذا التغيير.

ولكن التغيير نحو الأرقى والأسمى هو مطمح كل أدب عف نظيف، كالأدب الإسلامي، الذي هو نتاج الكلمة الطيبة التي ذكر الله تعالى أن أثرها لا ينتهي، ونفعها لا ينقضي، وهي خالدة ما بقي الزمان.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

الهوامش

١- رواه البخاري في الأدب المفرد: (ص ٣٧٥).

٢- العقد: (٥/ ٢٧٤).

٣- تاريخ الطبري (٣/ ٢٧٤).



جاسم الجاسم

قضاء حوائج الناس عبادة عظيمة

حض الإسلام على قضاء حوائج الناس لأنها من أعظم العبادات والأعمال الصالحات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه. وأمر الله سبحانه وتعالى بالتعاون على البر وعمل الخير، كما بين رسول الله ﷺ فضل قضاء حوائج الناس وثوابه العظيم.

وتنعكس فوائد مساعدة الآخرين على الإنسان نفسه قبل أن يستفيد منها غيره، فهي سبب للبركة وزيادة الرزق، فمن سار في قضاء حوائج الناس قضى الله حوائجه.

ولا تقتصر مساعدة الناس وقضاء حوائجهم على المنفعة المادية فقط إنما تشمل أيضا النفع بالجاه والمنصب والعلم، فكل هذه الأمور تدخل في جانب البر والخير وتؤدي إلى التراحم والترابط وتعكس الأخلاق الإسلامية العالية والرفيعة.

يقول ابن القيم رحمه الله: «إن في قضاء حوائج الناس لذَّة لا يعرفها إلا من جرَّبها، فافعل الخير مهما استصغرتَه، فإنك لا تدري أي حسنة تدخلك الجنة».

وجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من الآيات والأحاديث عن قضاء حوائج الناس وفضلها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧).

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).

وكان رسول الله ﷺ سباقا في عمل الخير وحريصا على مد يد العون ومساعدة الناس في قضاء حوائجهم.

جاء في الحديث الشريف عن حوائج الناس ما رواه عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة». صحيح البخاري (٢٤٤٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء». صحيح البخاري (١٤٣٢).

ويقول الشاعر أبو العتاهية:

اقضِ الحوائجَ ما استطعتَ
وكُنْ لهَمِّ أخيكَ فارِجْ
فَلَخيرُ أيَّام الفَتى
يَومٌ قَضَى فيهِ الحَوائجْ

ويقول الشاعر الحطيئة:

من يفعل الخيرَ لا يعدمْ جوازيه
لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والناس

عمرو طه
قاص مصري

المعنى قادر على الشفاء، لأنه يجعل عدداً هائلاً من الأشياء محتملاً وربما كل شيء.

كارل يونغ

انعزل قدر ما تشاء لتصبح أقوى، مهما رأيت من الوحدة جحيماً لا يُطاق، هي أفضل بكثير من الأقنعة المتعددة للبشر.

دوستويفسكي

لكل شيء في الدنيا ثمن.. ولكل خطأ عقابه الفوري، وأفعال الطيبين لا تذهب عبثاً، إنهم يكافئون عليها مكافأة فورية.. بسعادة القلب واطمئنان البال.

د. مصطفى محمود

إذا رأيت العالم بالنفس الواسعة، رأيت حقائق السرور تزيد وتتسع، وحقائق الهموم تصغر وتضيق، وأدركت أن دنياك إن ضاقت فأنت الضيق لا هي.

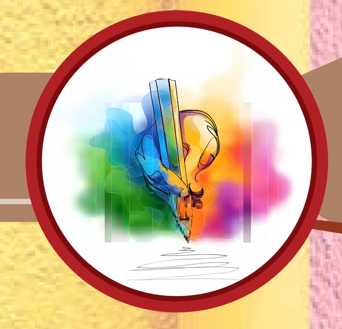
مصطفى صادق الرافعي

آمل فقط أن الانتظار لا يتلف أحلامي.

ماريو بنيديتي

لم أكتب شيئاً قط، وأنا أتلفت يميناً وشمالاً أراقب ما يعقبه على كلامي من رضى أو سخط، ولم أخط حرفاً إلا وأنا على ثقة ويقين من أن الناس مختلفون فيه لا محالة بين قادح ظالم، وبين مادحٍ ظالم يظلمني ويظلم نفسه بالغلو في الثناء.

أبو فهر محمود شاكر



علي بلجراف
كاتب وباحث

قراءة في كتاب «التنمر المدرسي»

«التنمر المدرسي» هو عنوان كتاب صدر حديثا ضمن سلسلة «أساطير وحقائق»، لصاحبه «بونوا غالاند». لعل ما يميز هذا المؤلف أنه يحلل ويناقش بعض الأفكار الجاهزة، التي تغذي جدالات واسعة بين مختلف الفاعلين والمتدخلين في الحقل التربوي حول ظاهرة التنمر بالوسط المدرسي. ذلك، لأن المؤلف دكتور في علم النفس، وأستاذ أكاديمي فضلا عن كونه باحثا متخصصا في التنمر المدرسي، وعضوا نشيطا في عدة فرق بحث أكاديمية حول التنشئة والأوساط المدرسية في بلجيكا وكندا، وفي مجالس تدبير مدرسية، كما أنه يتوج تجربته كمدرس ومكون في تدبير الفصول الدراسية ومشكلات السلوك في الوسط المدرسي بالإشراف على البحوث والدراسات وإصدار منشورات ومؤلفات أكاديمية ومنها كتابه موضوع هذه القراءة.

واقع التنمر بالوسط المدرسي اليوم

يولي المؤلف أهمية خاصة، تأليفا وإشرافا علميا، لظاهرة التنمر المدرسي، التي تعرف امتدادات في المجتمع بشكل عام، وفي الوسط المدرسي بشكل خاص، إن في شكلها الحضوري الواقعي أو في مظهرها الافتراضي الإلكتروني، في ظل التكنولوجيا الجديدة للاتصال (التنمر السيبرنيتيكي). وإذا كان التعامي عن حقيقة هذا الامتداد قد طال أمده نسبيا، فإن صدور هذا الكتاب، يدشن بداية مرحلة جديدة في التعامل مع هذه الظاهرة. لا شك أن الأرقام في المجتمع المدرسي تظل مع ذلك محبطة، حيث تتراوح نسب التلاميذ ضحايا التنمر المدرسي ما بين (١٠ و٢٠٪) من مجموع المتمدرسين، لكن كلام الضحايا والمحيط المرتبط بهم، بات يتحرر شيئا فشيئا من الطابوهات، لدرجة أن الضحايا والآباء صاروا يقدمون شهادات تصدم بقوة، ليس فقط المخيال الجماعي للبشر عموما، بل وتسائل أيضا الرؤية السائدة حول الطفل وحول المدرسة عموما في كل مكان.

وإذا كان من البديهي أن يتطلب الوقوف في وجه هذه الظاهرة، التعرف أولا على مداخلها ومخارجها في الوسط المدرسي، فإن مواجهة طابعها المتلون، حسب الأوساط والوسائل المستعملة بما في ذلك التكنولوجيا الجديدة للاتصال، تقتضي أيضا، حسب المؤلف، إعادة النظر فيما يحمله الناس من أفكار مسبقة حولها، سواء كانوا ضحايا أو متنمرين أو مسؤولين إداريين وتربويين وآباء، أي المعنيين المباشرين ومحيطهم الأسري والمدرسي. واستنادا إلى أعمال بحث كثيرة منجزة حول موضوع التنمر، يقوم «غالاند» باستعراض وفحص كثير من «الأساطير» ومن «الحقائق» حول الظاهرة من أجل اقتراح حلول للتوقع والتدخل بغاية الحد منها.

دور الفرق التربوية

لأن التنمر بالوسط المدرسي مصدر للمعاناة

داخل المدرسة، فقد أمسى مندرجا منذ سنوات في صميم اهتمامات الفرق التربوية. وقد أشرف المؤلف على دراسة أنجزت في جامعة «لوك لوفان» في بلجيكا ونشرت في مجلة «سيكولوجيا فرنسية» جمعت شهادات لضحايا التنمر المدرسي. إن ما وقفت عليه المعاينة في إطار هذه الدراسة لا يقبل التشكيك: من المؤكد أن الضحايا يتصرفون أحيانا بطريقة غير ملائمة في مواجهتهم للتنمر، لكنهم يشعرون مع ذلك بأنهم عزلا غير محميين. ما يدل على أنه لا ينبغي ترك الضحايا وحيدين، أو إدانتهم في هذه الوضعية. بالنسبة للباحثين المشاركين في الدراسة، فإن هذه النتائج ينبغي، أن تعمل على تعميق التفكير حول الموضوع، بهدف تطوير تقنيات متعددة، يمكن أن يعتمدها الفرد بشكل شخصي للتصرف إزاء الحالة التي تخصه. لا يمكن انتظار حدوث معجزات، لكن من الملائم تطوير تكوينات موجهة للكبار، داخل فرق تربوية وظيفية مع تحسيسها بصفة خاصة بأهمية توخي اليقظة والحذر من طرف كل الفاعلين المعنيين.

شهادات مختارة

الشهادة الأولى: «كان وجودي في أدنى مستواه» ...، لم أكن أرد على أي سؤال ... حاولت القيام بأقل الأشياء الممكنة التي من شأنها أن تثير الاهتمام بي وتجعلني أكثر إثارة لاهتمام الآخرين».

الشهادة الثانية: «الانتقال إلى مؤسسة تعليمية أخرى غير مجرى حياتي ... في مؤسستي الجديدة



اكتشفت أنني لم أكن أقل جمالا من أي فتاة أخرى ولا أكثر بلادة. هنا، انتهى ذلك كله».

الشهادة الثالثة: «لقد فكرت في الأمر مليا وقلبته على جميع جوانبه، لكن، بكل صدق وأمانة، الأستاذ لا يمكنه أن يفعل كل شيء ...كان من المفروض أن أكون أنا نفسي يقظة. أنا من كان يجب أن أفرض ذاتي وليس الأستاذ».

تم استثمار هذه الشهادات في مقال بعنوان: «استراتيجية وردود أفعال الضحايا ومحيطهم لمواجهة التنمر المدرسي: دراسة استرجاعية»، نشر في مجلة «سيكولوجيا فرنسية»، بعد سنوات من البحث الذي أطلقته الباحثات «كلووي تولماتشيف» Chloé Tolmatcheff و«إلودي كلي» Elodie Klée و«فلوري هينومون» Florie Hénoumont، تحت إشراف «غالاند».



نظريتان متكاملتان

يسجل «غالاند»، منذ البداية، ندرة الدراسات النوعية المهتمة بطبيعة معاناة ضحايا التنمر المدرسي. إن الأبحاث المنجزة حول الموضوع بصفة عامة تتوزع، بنظره، بين دراسة حالات، فيما يشبه العمل الكيفي الإكلينيكي، وأعمال كمية تأخذ شكل استمارات. أما في هذا المؤلف فإن «اختيار البحث هنا، يريد أن يتميز عن ثنائية المناهج والنظريات المعروفة في مجال الدراسات حول التنمر. وبالفعل، فالتعارض داخل هذا البحث واضح بين تصورين: الأول ممركز حول الضحية، يتجلى من خلال المقاربة النظرية، لاستراتيجيات التأقلم، استنادا إلى السؤال الرئيسي التالي: كيف يمكن أن يقوم الأفراد بتعبئة الموارد والفاعلين المتوفرين لمواجهة الوقائع والحالات في الواقع؟ أما التصور الثاني فيتجسد في «مقاربة

أدوار المشاركين أو الفاعلين». وقد بلورت هذا التصور الأخير الباحثة الفنلندية «كريستينا سالميفاللي» Christina Salmivalli في سنوات التسعينيات. فهي تنظر إلى التنمر من زاوية «الجماعة»، أي كظاهرة اجتماعية، يتداخل فيها فاعلون آخرون، إلى جانب المتنمر أو المتنمرة والضحية. ومن ثمة ينبغي أخذ كل المتدخلين بعين الاعتبار. إن أصالة العمل الذي يقوم به «غالاند» تكمن في إظهار التكامل بين ذينك التصورين وعدم الفصل بينهما. فهو يرى أننا حين نهتم بالضحية وبماضيها، إنما نرمي إلى اختبار فرضية أن الضحية ليست سلبية تماما في الظاهرة» كما يعتقد كثيرون.

الدراسة الاسترجاعية المتمركزة حول الضحايا

إذا كانت مواجهة ظاهرة التنمر المدرسي تقتضي الاشتغال على البعد الاستشرافي للمستقبل، فإنها تقتضي أيضا إنجاز دراسة استرجاعية متمركزة حول ذكريات المستجوبين وحول ماضيهم بهدف استكشاف ردود الأفعال والاستراتيجيات المعتمدة من طرف الضحايا، ومن طرف محيطهم (الأقران، المدرسون، الآباء). ولأجل ذلك أنجز فريق بحث تحت إشراف «غالاند» مقابلات استرجاعية، شملت رجالا تتراوح أعمارهم بين (١٩ و٣٧ سنة)، من ضمنهم (٦) كانوا ضحايا خلال المرحلة الابتدائية من تعليمهم، و(١٧) كانوا ضحايا التنمر في المرحلة الثانوية، و(٨) تعرضوا للتنمر في المرحلتين معا. لقد تم اختيار الضحايا على قاعدة التطوع وتم جمع الشهادات عن طريق مقابلات شبه موجهة لمدة زمنية تتراوح بين (٤٠ و١٢٠) دقيقة. «خصصت مرحلة أولى من المقابلة لتلقي أجوبة المبحوثين حول طبيعة الأذى أو المضايقة التي عاشوها، للتأكد من أن الأمر يتعلق فعلا بالتنمر المدرسي بينما خصصت سلسلة ثانية من الأسئلة لمسألة ردود أفعال المبحوثين وكذا محيطهم المتمثل في الأقران والمدرسين والآباء بهدف تحديد الاستراتيجيات الخاصة التي يعتمدها كل فرد، والوقوف على مدى التعقيد الذي يقتضيه التفاعل بين مختلف الفاعلين من أجل البحث عن المساندة الاجتماعية وتقديمها للضحية في الوقت المناسب.

يرى الأستاذ المشرف على الدراسة أن هذه الاختيارات الواعية والمعلنة إذ تمكن فريق البحث من التحرر من أثر ما يتذكره المستجوبون، فإن ميزتها الأساسية تكمن في أنها تمكن الضحايا من أخذ المسافة اللازمة تجاه ما وقع.

ضحايا ليسوا سلبيين

هذا الاختيار المنهجي مكن الباحثين من تأكيد فرضيتهم الأساسية التالية: بعيدا عن أن يكونوا سلبيين، فإن الضحايا يقدمون ردود أفعال مختلفة في مواجهة التنمر. يلاحظ «غالاند» أن المقابلات مع الضحايا تكشف خططا مختلفة سلكها المستجوبون



في محاولة منهم للنجاة. صحيح أن ذلك يتم أحيانا بكيفية غير سليمة وغير ملائمة، لكن الحقيقة هي أن الضحية (ذكرا كان أو أنثى) ليست سلبية تجاه التنمر، بدليل أنها تحاول الإفلات حتى وإن كانت تعتمد استراتيجيات غير ناجعة. يؤكد الباحث المشرف على الدراسة أيضا أن هناك محاولات من طرف الضحايا «تجمع بين عدة استراتيجيات ممكنة مثل: الانشغال بأنشطة مدرسية وأخرى موازية، تفادي وتجنب المتنمر، توطيد الروابط مع تلاميذ آخرين من نفس الفصل، الاستسلام والتنازل. تكشف هذه المحاولات إذن عن وجود ردود أفعال ضد التنمر من خلال سلوكات متنوعة. لكن، إذا كانت بعض الاستراتيجيات تمكن من تحسين الحالة الانفعالية للضحايا، فإن جلها ليس لها مع ذلك أي أثر على فعل التنمر ذاته. غير أن الخطط كلها تمكن الضحية من البقاء



في موقف الاستباق في مواجهة الوضعية، ومن البقاء أيضا داخل الفعل ومن تحمل الصدمة عموما».
إن المساندة التي تقدم داخل فرق ومجموعات، وفي الأنشطة الموازية خارج المدرسة، في نادي للرياضة، أو حركة شبابية، تمكن الضحايا من إحساس أفضل، ومن إدراك أن بإمكانهم أن يتوفروا على أصدقاء، وأن لا ذنب لهم في مواجهة وضعيات التنمر التي يعيشونها في الوسط المدرسي. لكن، مع ذلك توجد دائما ردود أفعال غير ملائمة، ليس من جانب الضحايا فقط، بل ومن جانب محيطهم أيضا.
يلاحظ الأستاذ المؤطر لعمل البحث أن ردود أفعال الراشدين هي في نظر الضحايا غير مناسبة في أغلب الأحيان. يقول: «أتحدث عن ردود أفعال الآباء والمدرسين والمربين أيضا، والتي هي الأكثر انتقادا من طرف الضحايا. «فيما يتعلق بالآباء مثلا، إذا كانت الأغلبية منهم يساندون أبناءهم، فإن البعض منهم عبروا عن رفض تام غافلين عن خطورة الموقف. في الحالات التي يحاول فيها هؤلاء اعتماد حلول ملموسة، فإن الضحايا الشباب يعتبرونها غير مفيدة إلا في حالات نادرة جدا. إن قدرات الآباء محدودة فيما يتعلق بحل مشكل التنمر وهذا يعتبر مشكلا في نظر مجموعة من التلاميذ. بالمقابل، يورد الأستاذ «غالاند» هذا النموذج لاستراتيجية غير مباشرة يعتبرها مفيدة. «فعوض أن تدخل إحدى الأمهات في مواجهة مباشرة مع المتنمرة ومع أبويها، بحثت عن كيفية أخرى تجعل ابنها الضحية يتفاهم بشكل جيد مع تلاميذ آخرين من فصله الدراسي، عن طريق دعوتهم للقيام بخرجات في إطار أنشطة مدرسية موازية. وشيئا فشيئا أدركت المتنمرة من تلقاء نفسها أن الضحية محاط بحماية معينة، لأن هناك تلاميذ آخرين في الوسط يحمون الضحية».
أما من جانب المدرسين والمربين والراشدين عموما، فإن سلسلة من الشهادات تدل على غياب شبه تام لردود الأفعال لديهم تجاه التنمر المدرسي. يؤكد «غالاند» أن الكثير من الضحايا يؤاخذون هيئة التدريس على ردود أفعالهم. «فهم يحكون أن كثيرا من الراشدين عاينوا حالات من التنمر لكنهم لم يفعلوا شيئا. شهادة واحدة فقط من ضمن (٣٢) تحكي عن متعهد(أستاذ) احتضن المشكل على نحو أسفر عن حصيلة بناءة.
لكن، لماذا يحجم بعض المدرسين عن التدخل وعن تعهد بعض حالات التنمر المدرسي؟ تدل بعض الدراسات على أن بعض المدرسين يرون أن تعهد حالات التنمر المدرسي ليس من اختصاصهم، أو أنهم لم يتلقوا تكوينا خاصا في الموضوع، فضلا عن عدم وجود حلول مثالية جاهزة قابلة للتطبيق في كل الحالات والوقائع.
ومن أجل سد هذا النقص/الخصاص، تواصل الباحثة «كلووي طولماتشيف» أبحاثها تحت إشراف «غالاند» من خلال الاشتغال على بناء وتطوير خريطة مختلف طرق التدخل، واقتراح خطاطة التكفلات الممكنة مع تحديد ما هو قابل للتوظيف، بصفة عامة، حتى يكون في متناول الفرق التربوية أكبر قدر من الحلول والاستراتيجيات المتاحة، للتصرف بكيفية تتلاءم مع الحالات المختلفة للتنمر بالوسط المدرسي.
لكن الباحث يلح في الأخير على مسألتين رئيسيتين لا تحتملان التأجيل: الأولى هي ضرورة عدم ترك الضحايا عالقين داخل حلقة من العجز تستنفد كل طاقاتهم والثانية هي أهمية اعتبار الضحية أحد الأطراف في الحل، إذ لا زالت توجد، للأسف، العديد من الحالات التي يترك فيها الطفل في وضعية سلبية، وهو ما يعمق شعور الضحية لديه.

الهوامش

(❖) Benoit Galand ,«Mythes et réalités ,Le harcèlement à l'école»- Editions Retz, 2021.

د. محمد أحمد عزب
باحث أكاديمي



الرباط العظيم في الإسلام

نظام الأسرة الذي رعته الشريعة وحفظته بالضوابط، هو أحد الحصون المنيعة التي تقي المجتمع من الانهيار والتلاشي، والأسرة تعد ركيزة بناء المجتمع، والأسرة المسلمة تقوم على مبادئ معينة، أهمها مراعاة القيم والأخلاق، وأساسها المودة والرحمة، وفي التنزيل الحكيم: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم:٢١).

تقوم العلاقة الأسرية على مبدأ العدل والمساواة، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (البقرة:٢٢٨)، كما تقوم على مبدأ المعاشرة بالمعروف: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء:١٩).

ومن أجل تحقيق مبدأ المودة والرحمة، والعدل والمساواة، جاءت السنة تمنع كل صور الزواج التي لا تحقق هذه المقاصد، فحرمت متعة النساء، وجعلت من شروط عقد النكاح ألا يكون مؤقتا، وهو إجماع الفقهاء[١].

وحين جاءت الشريعة أقرت أشياء توارثها الناس في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم، وصححت مسارات بعض الأشياء إما بالإطلاق، وإما بالتقييد، وإما بالتحريم القاطع، ومما حرمته الشريعة أنواع من أنكحة الجاهلية التي تهدم مقاصد إقامة الأسرة، وتتعارض مع مقاصد النكاح في الإسلام؛ لأنها لم تكن أنكحة، بل كانت نوعا من ممارسة البغاء، والفجور، تختلط مياه الرجال داخل أرحام البغايا، وربما أنتجت نسلا مجهول الأب، مشكوك الأصل؛ ولذا رفضها الإسلام وحرمها، لأنه أقام الأسرة على نظام لا عبث فيه، فالخالة والعمة والخال والعم كل معروف على وجه اليقين، لا وجود لإنسان بين رجل وامرأة له أب غير الأب، وفي الحديث قال ﷺ: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء، ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده، وهو ينظر إليه، احتجب الله منه، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين»[٢].

أصبح نظام الأسرة مهددا تحت وطء



أحكام فقه النوازل، ويتعرض لمشكلات جمة، تؤذن بانمحاء الغرض الأساسي له وهو المودة والرحمة، فقد تعرض نظام الأسرة الذي ينشأ من خلال الزواج لموجات عاتية من القصف الفكري، التي تريد حلحلته وتصفه بصفات مستهجنة، وترى أنه من موروثات المجتمعات البدائية.

وربما نظر بعضهم لنظام الأسرة على أنه رباط شرعي لممارسة الحلال، وعليه فقد بدأ الحديث الواسع عن نكاح المسيار، والنكاح بنية الطلاق، بل وإعادة النظر في حكم نكاح المتعة الذي تواطأت أقوال الفقهاء على حرمته (كما سبق).

ولا شك أن طرح ما سبق من صور الزواج، وإباحة بعض الصور التي لا تحقق الغاية الأسمى لنظام الأسرة في الإسلام، في داخل البلاد المسلمة وخارجها يقضي على الغرض الأعظم من وجود الكيان الأسري، فالشريعة تهدف لتحقيق عدد من الأهداف تحفظ من خلالها بنيان المجتمع وتضمن بقاءه، وهي تتحقق من خلال الأسرة منها:

إحصان النفس عن مواقعة الحرام، ففي الحديث من قوله ﷺ: «من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[٣].

ومنها طلب الولد، ففي حديث معقل بن يسار، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها، قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[٤].

ووجه دلالته على أن الولد مقصد من مقاصد الزواج، وغاية سامية من غاياته ومنها تحصيل السعادة التي هي غاية غايات الخلق، ففي حديث سعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقوة ابن آدم ثلاثة من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء»[٥]، ولا يخفى على اللبيب وجه دلالته، فإن المرأة الصالحة تدخل على بعلها وبيتها سعادة تعينهما على مشاق الحياة وعنتها.

الضرورات الكبرى للشريعة

إن للأسرة مكانة استأهلت أن تكون ضمن الضرورات الكبرى للشريعة، فقد ذكر الأصوليون أن هناك خمس ضرورات جاءت الشرائع جلها بالحفاظ عليها، فقد: «اتفق الحكماء، وكذلك الشرائع؛ على تحريم الدماء والأبضاع والأموال والأعراض»[٦]، ويفصلها الشاطبي فيقول: «مجموع الضروريات خمسة؛ وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل[٧]»، ونجد ابن النجار يضيف ضرورة سادسة هي: «حفظ العرض»[٨]، فتحصل أن النفس والنسل والعرض من ضرورات الشريعة، وهي أمور ترتبط ارتباطا وثيقا بالأسرة.

فالنفس عماد الأسرة، وهي عنصرها المكون لها، والعرض حفظه الإسلام بتحريم الزنى والقذف، وشدد الإسلام في صيانة الأعراض من التهجم عليها، حماية لأصحابها من الآلام النفسية والمجتمعية التي تلحق بهم، وشددت

الشريعة في عقوبة القذف، ووصفت القاذف بالفسق، فجمعت له بين عقوبة الجسد، وعقوبة النفس، وكل هذا حماية للأسرة من السقوط النفسي والمجتمعي.

وفي الحديث قال ﷺ: «إن الله حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[٩].

رباط الأسرة يسهم في نزع العداوات المجتمعية الناشئة أو المتأصلة فيه.

لما انتقلت الدعوة إلى دار الهجرة، كان لا بد من كسر عداوات أهل مكة، الذين بالغوا في تعذيب المسلمين، ومحاربتهم بعد انتقالهم بعيدا عنهم، وكان الرباط الأسري سبيلا مهما في نزع العداوة وتوطين السلم السياسي والمجتمعي، فالزواج والارتباط الذي ينتج ببناء الأسرة كان إحدى دعائم إذهاب العداوات، عند العرب، ولننظر لدلالة هذا القول حين احتجز المكيون المسلمين في شعب أبي طالب: «فقد ذهب هشام بن عمرو إلى زهير بن أبي أمية المخزومي، وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب، وقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت؟!»(١٠)، فقد استثار هشام في عمرو رباط الأسرة، التي أسست لرحم واجبة الوصل والحماية، وذكره لا بعصبته المكلومين، بل بأخواله لأمه.

وأكد الإسلام تشريعا وممارسة هذا الجانب، فقد تزوج النبي من رؤوس الأقوام الذين كان يعادونه، فنزع فتيل الشر من عند كثير منهم، وصار الفخار بنسبه ينسي كل عداوة.

تكشف هذه الواقعة البعيدة بعض الشيء عن أزمنة الدعوة الأولى، وما كان للزواج من تأثير في نزع الشرور، وإذابة العداوات؛ فقد دخل خالد بن يزيد، على عبدالملك بن مروان، وقال له: بلغني أن الحجاج تزوج إلى عبدالله بن جعفر بنته أم كلثوم. فغضب عبدالملك، وقال: كان ماذا، ولم لا يكون الحجاج كفؤا لها؟ فقال خالد: إني لم أر هذا، لكنك تعلم أنه لم يكن بين أهل بيتين من بيوت قريش ما كان بيننا وبين آل الزبير. فلما تزوجت إليهم انقلب البغض حبا، حتى ما أهل بيت أحب إلي منهم[١١]

لقد طال صراع الأمويين وآل الزبير، وكان منه ما كان مما هو مشهور معروف، فلما تزوج خالد بن يزيد رملة بنت الزبير رضي الله عنهما، أذهب حبه لها بغض آل الزبير، فقال فيها:

أحب بني العوام طرا لحبها
ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا
تجول خلا خيل النساء ولا أرى
لرملة خلخالا يجول ولا قلبا[١٢]

ومن هنا خشي خالد بن يزيد أن ينقلب بغض الحجاج لآل علي حبا، بسبب الزواج الحادث بينه وبين بنت عبدالله بن جعفر، لما يعلم من تأثير الزواج على نزع العداوات.

وسائل حماية الأسرة

أسست الشريعة لقيمة الحب بين ركني الأسرة، ليعطي ثمرته في نهاية الأمر، قيمة الحب تأكل كل خلاف، وتأتي على كل مشكلة، وتنهي كل خصام في وقته.

وقد كانت هناك سبل كثيرة أمرت بها السنة، أو أوجدتها لقيام الحب وحسن التعايش بين الزوجين، منها:

١- إعذار الآخر من طرفي الزوجية هو باب التغاضي عن الأخطاء، ففي الحديث قال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر» أو قال: «غيره»[١٣]).

قيل في شرحه: يستحب أن يكون لطيفا رفيقا بالنساء، فإن النبي ﷺ قال لفاطمة بنت قيس، لما استشارته في معاوية، وأبي الجهم: «أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه» إشارة إلى أنه يكثر ضرب النساء.

٢- جعل قبول المرأة على ما جبلت عليه بابا من أبواب العون على العشرة بالمعروف، ففي الحديث قال ﷺ: «إن المرأة كالضلع، إذا ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج»[١٤].

٣- أوجب النفقة على المرأة وأمر بكفايتها ففي الحديث: «لهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»[١٥].

٤- جعل إفساد امرأة على زوجها بابا عظيما من أبواب الإثم، ففي الحديث قال ﷺ: «ليس منا من خبب امرأة على زوجها، أو عبدا على سيده»[١٦].

٥- أوجب طاعة الزوج على المرأة، وجعل ذلك حقا له عليها، وجعل قيامها به مكرمة عظيمة لها، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»[١٧].

وبهذا وغيره استقامت الأسرة طول فترة علو الحضارة الإسلامية، وكانت مظاهر الانحراف نادرة الحدوث.

الهوامش

١- الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢/ ٣١.
٢- أخرجه أبو داود، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
٣- متفق عليه.
٤- أخرجه أبو داود، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.
٥- أخرجه أحمد، والحاكم، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
٦- قواعد الأحكام (٤/١).
٧- الموافقات (٩/٢)
٨- مختصر التحرير (١٥٩/٤).
٩- متفق عليه.
١٠- سبل الهدى والرشاد (٤١٣/٢).
١١- كنز الدرر وجامع الغرر (٢٢٤/٤).
١٢- المنتظم (٢٣٧/٦).
١٣- أخرجه مسلم.
١٤- أخرجه مسلم.
١٥- أخرجه مسلم.
١٦- أخرجه أبو داود، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي.
١٧- أخرجه ابن حبان ٤٧١/٩، وأشار الهيثمي لتحسينه.

متابعة: علاء عبد الفتاح


إبراهيم العتيبي وبعض قيادات شؤون القرآن في المؤتمر الصحفي

تحت رعاية الوزير

الأوقاف الكويتية تدشن نادي المواهب الصيفية

هي بشرى ليست لسبعة آلاف طالب وطالبة مسجلين في مراقبة شؤون القرآن الكريم وشؤون الدراسات الإسلامية ومراكز السراج المنير، التابعة لقطاع شؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية فقط، وإنما لكل الطلاب وكل القطاعات والوزارات التي قد تحذو نفس الحذو وتنتهج نفس النهج ليستفيد أبناؤنا من أوقاتهم في الإجازة الصيفية.

فهنا تنشئة اجتماعية سليمة وسط بيئة إسلامية خصبة وهنا تنمية مهارات وترفيه ورحلات مع محاضرات إيمانية تطور الشخصية الطلابية وتنمي فيها القدرة على القيادة وفي النهاية يتم شغل أوقات فراغ الطلبة وتحفيزهم.

وكيل وزارة الأوقاف المساعد لقطاع شؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية إبراهيم العتيبي يؤكد في مؤتمر صحفي حضرته «الوعي الإسلامي» أن لجانا متخصصة واحترافية وضعت الأنشطة والبرامج المناسبة لهذا النادي الصيفي المتميز الذي تهديه وزارة الأوقاف لأبنائها وتدشنه تحت رعاية وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عامر الرطام.

يعمل النادي على فترتين من التاسعة صباحا حتى الثانية عشرة والنصف ظهرا ومن الواحدة ظهرا حتى السابعة مساء من الأحد وحتى الخميس في الفترة من: (١٨ يونيو حتى ٢٧ يوليو ٢٠٢٣م).

وثمن العتيبي دعم وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووكيل الوزارة بدر المطيري المستمر في تطوير أنشطة القطاع موضحا أن النادي سينطلق من خلال ستين مركزا موزعة على المحافظات الكويتية واصفا النوادي الصيفية بالرئة التي يتنفس منها شباب الوطن، مؤكدا أن نادي المواهب الصيفي صار يتميز بتوحيد هوية الأنشطة والقيم التي تطرح من خلاله، وذلك بدلا من تفرق الأندية الصيفية التي تقيمها بعض المراكز خلال الفترة الصيفية.

كما أشار العتيبي إلى إنتاج برومو تعريفي متميز لنشاط النادي شاكرا مديري الإدارات الذين سيكون عليهم حمل العبء وتذليل الصعاب والملاحظات التي قد تظهر مستقبلا، لكن بلا شك بجهود الإخوة ستذلل. خاتما بأن الوزير الرطام أبدى اهتمامه بهذه الفعاليات التي تخدم شريحة الشباب وتعزز قيم الوطنية والأخلاق.



عبدالله العلوان
باحث في الفكر الإسلامي

من وسائل المستشرقين في محاربة الإسلام

استفاد المستشرقون في محاربتهم للإسلام والتشويه عليه من مختلف الأسلحة والوسائل التي تمكنهم من بلوغ أهدافهم، التي أهمها صرف المسلمين عن دينهم حتى لا تقوم لهم قائمة، ويستغل المستشرقون ما يجدونه في المسلمين من عوامل الضعف، فيستفيدون من هذه العوامل ويتخذون منها أسلحة يحاربون الإسلام بها، ويشنعون بها على دعوته، ومن أهم هذه العوامل التي ساعدت المستشرقين في محاربتهم للإسلام، عدد الفرق الإسلامية وكثرتها، إذ يستغل المستشرقون اختلاف هذه الفرق في بعض الأمور التي تصل إلى الاختلاف العقائدي الجذري، واختلافهم أيضا في مسألة الفتنة الكبرى ومواقفهم من الصحابة، فينشرون الفتنة بين هذه الفرق فتنشأ الحروب بينهم فتضعف وحدة الأمة الإسلامية التي ما فتئت تخيف الغرب ورجال الكنيسة وتلامذتهم المستشرقين.

واستغل كذلك المستشرقون كل ما يبدو من قول أو فعل من بعض الدعوات المضللة التي تنتسب إلى الإسلام، ومن هذه الدعوات المارقة المضللة التي قامت تحت راية الإسلام، وأساء أتباعها بمقولاتهم وسلوكهم إليه: البهائية، والقاديانية...

«البهائية: ظهرت في إيران في القرن الماضي نابعة من الفكر الشيعي؛ فقد بشر الشيرازي الملقب بالباب بقرب ظهور الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذي ينتظر الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ظهوره، ثم ظهر كذب الباب عند الشيعة حينما قال إن الإمام الغائب سيظهر في تبريز بآذربيجان، والشيعة يعتقدون أنه سيظهر في مشرق إيران عند جبل يسمى «كوه خدا» أي (جبل الله)؛ فقبضت السلطة على الباب وحوكم وأعدم، وأعلن قبل إعدامه أن الإمام الذي يقصده هو تلميذه (حسين صبح أزل) الملقب ببهاء الله؛ فسميت الدعوة البهائية نسبة إلى بهاء الله هذا الذي خرج هاربا من إيران، وزعم أنه نبي أرسل بدين جديد مجدد للإسلام، كما زعم أن كتابا نزل عليه، وأخذ يدعو لهذه الدعوة المارقة المضللة حتى مات ودفن في فلسطين وقبره في الجزء المحتل منها.

ودعوة البهائية شبيهة بالشيوعية؛ فهي تدعو إلى التحلل من الدين وترك الحرية للمرأة تفعل ما تشاء، وتقسم السنة إلى تسعة عشر

شهرا؛ فهي في الحقيقة انسلاخ عن الإسلام وطمس لمعالمه.
كما ظهرت أيضا القاديانية وهي دعوة مارقة مضللة ظهرت في بلاد الهند في أواخر القرن الماضي، وقد دعا إليها ميرزا غلام أحمد، وكان مركزها الهند، وأتباعها من مسلمي الهند، ثم امتدت إلى خارج الهند؛ فظهرت في بعض الدول الآسيوية والإفريقية، وساندها الاستعمار والاستشراق.
وقد ظهرت هذه الحركة في وسط جو فكري وسياسي عاصف اجتاح بلاد الهند في أعقاب ثورتها على الاستعمار الإنجليزي في سنة ١٨٥٧م، فقد أصابت المسلمين بعد إخفاق هذه الثورة وحشة الفتح ونكبة الهزيمة، وعانوا وطأة الاستعمار السياسي ووطأة الاستعمار الثقافي... وفي وسط هذا الجو الفكري العاصف دعا ميرزا غلام أحمد إلى القاديانية، وكان غلام أحمد هذا من إمارة البنجاب، وكان والده من أصحاب الإقطاعات، ومن ذوي النفوذ في قومه، كما كان من صنائع الإنجليز ومن أخلص الدعاة لهم... ولم يقف غلام أحمد عند هذا الحد بل ادعى أنه نبي يوحى إليه، وأخذ ينشر مفترياته، متخذا الدين مدخلا يدخل به إلى قلوب أتباعه؛ ليخدم بذلك أغراضا سياسية، وينفذ خططا رسمها له المستعمرون[١].
وإلى جانب ما تتركه هذه الدعوة المجرمة من إفساد للعقيدة الإسلامية في عقول من يصيبهم شررها فإنها كذلك حملت في ثناياها دعوة إلى إبطال الجهاد الذي هو فرض على المسلمين حين تدعو دواعيه وتقوم أسبابه، وبهذا مكن للاستعمار، ودفع عنه كل ما كان يتهدده من ثورة المسلمين في الهند على وجوده.
ويقول غلام أحمد في كتاب نشره على الناس تحت عنوان «ترياق القلوب»: لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، ولقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر (الإنجليز) من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة، وقد نشرت هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا، وكان هدفي دائما أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة الإنجليزية، وتمحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد، وتفسد قلوب الحمقى[٢].
وهذا يدل على أن غلام أحمد كان يتخذ دعوة القاديانية وسيلة لتثبيط عزائم المسلمين في الهند حتى لا يثوروا على المستعمرين، وحتى يرضوا بالذل والعبودية، أي إن القاديانية منذ نشأتها صنيعة للاستعمار وأعوانه.
إن القاديانية والبهائية تنتسبان زورا إلى الإسلام، وهما أخطر سلاحين يوجهان إلى صدر الإسلام، حيث يتخذ منهما أعداء الإسلام دعاة لهم، يضعون على أفواههم ما يريدون وما يدبرون من كيد للإسلام والمسلمين بالتشويش على دعوة الإسلام.
وإن من الأمور التي اعتبرها الاستشراق هدايا قدمها لهم المسلمون، مسألة ابتعاد العلماء المسلمين عن العلوم الحقة، كالفلك والرياضيات... في عصر الانحطاط، وغيرها من المحطات التاريخية التي رفض فيها علماؤنا هذه العلوم واعتبروها من البدع، وفي بعض الأحيان كفروا من أتى بها من المسلمين، معتبرين أن العلوم التي يجب أن تدرس: العلوم الشرعية من علم التفسير وأصول الفقه وعلوم القرآن...، أما العلوم الأخرى فهي كفر وبدع وضلال، فكانت هذه الفكرة هي الإصابة في مقتل للحضارة الإسلامية، فنكون قد قدمنا للعدو هدية ساعدته في محاربتنا والتفوق علينا في العلوم والتكنولوجيا، فصنع السيارات والطائرات، وشيد الأقمار الاصطناعية، والأمة الإسلامية هي أمة مستهلكة لا غير، تدفع ثمن أخطاء من رفض هذه العلوم من علمائها.

الهوامش

١- الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، عبدالمنعم محمد حسنين، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة، العدد الثاني، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص:٩٧.
٢- المصدر نفسه: ص:٩٨.

د علاء محمد حسن شعبان
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية



إقليم اسفيجاب الحصن الواقي للدولة الإسلامية

يعتبر إقليم اسفيجاب من الأقاليم المهمة في الدولة الإسلامية، لذا أفاض الرحالة والجغرافيون في وصفه، وكان وصفهم له وصفا دقيقا، فهو آخر بلاد الإسلام من جهة المشرق، والحصن الواقي ضد غير المسلمين، فقام على أهله عبء عظيم، فكانوا يصدون الهجمات ضد أعداء الإسلام من ناحية ونشر الإسلام من الناحية الأخرى، لذا قامت الدولة الإسلامية بمساعدتهم، فأعفوا إقليم اسفيجاب من الخراج، أما عن مساحته فكان مترامي الأطراف به الكثير من المدن والقرى، وتميز كذلك بكثرة الأربطة والتي بلغ عددها في القرن الخامس الهجري حوالي ألف وسبعمئة رباط، مما يوضح أن أهل الإقليم كانوا دائما في رباط، كما تدل كثرة الأربطة على أنهم دائما في حالة استعداد تام لمواجهة الأعداء، أما عن الجانب الحضاري، في الإقليم، فقد تعددت موارده بين الزراعة والصناعة والتجارة، فمن ناحية الزراعة تميز إقليم اسفيجاب بخصوبة أراضيه ووفرة محاصيله وكفايتها في الغالب لأهلها، وما يزيد عليهم كانوا يصدرونه، والصناعة التي كانت تعتمد في المقام الأول على المنتجات الزراعية ومن أشهر الصناعات الموجودة بها صناعة الثياب البيضاء وكذلك السيوف الحديدية، والكثير من الآلات التي تستخدم في الحرب[١]، بالإضافة إلى الدباغة القائمة على جلود الماعز[٢]، والتجارة كانت مزدهرة في الإقليم بكثافة.

أما عن الحياة الاجتماعية، فكانت هناك تآلف وتوافق بين عناصر الإقليم المتعددة، ولكن الأغلبية كانت للعنصر التركي والعربي والفارسي بالإضافة إلى باقي العناصر الأخرى، وصفات أهل اسفيجاب قد لاقت ثناء من الرحالة والجغرافيين، حيث وصفوهم بأنهم أصحاب دين وبعيدون عن البدعة، وبرهن على ذلك منهم ياقوت الحموي قائلا: «وقد كان أهل تلك البلاد أهل دين متين وصلاح مبين ونسك وعبادة، والإسلام فيهم غض المجنى حلو المعنى يحفظون حدوده ويلتزمون شروطه، لم تظهر فيهم بدعة استحقوا بها العذاب والجلاء، ولكن يفعل الله بعباده ما يشاء»[٣].

ويحكم ما يريد: رمت بهم الأيام عن قوس غدرها، كأن لم يكونوا زينة الدهر مرة وما زال جور الدهر يغشى ديارهم،... يكر عليهم كرة ثم كرة فأجلاهم عنها جميعا فأصبحت... منازلهم للناظر اليوم عبرة»[٤]، وبالرغم من تأهب أهل الإقليم الدائم لصد الهجمات العدوانية الشرسة، غير أنهم كانوا مهتمين بالعلم مقبلين على طلب العلوم وبخاصة الشرعية منها.

وتظهر أهمية هذا الإقليم في الدولة الإسلامية منذ الفتح الإسلامي، حيث فتحت على يد القائد قتيبة بن مسلم (٤٩/ ٩٦ هـ - ٦٦٩/ ٧١٥م) سنة ٩٥ هـ/ ٧٠٨ م)[٥]، فتعاملت الدولة الإسلامية في عهد الخليفة المأمون (١٧٠/ ٢١٨ هـ - ٧٨٦/ ٨٣٣م)، والخليفة المعتصم (٢١٨/ ٢٢٧ هـ - ٨٣٣/ ٨٤٢م) مع اسفيجاب معاملة خاصة تقوم على اللين في أغلب الأحيان، والشدة في بعض الأحيان[٦]، وفي عهد الدولة الطاهرية (٢٠٥/ ٢٥٩ هـ - ٨٢٠/ ٨٧٢م)[٧] صار الطاهريون على نفس المنهاج بل زاد الاهتمام بها، حيث كانوا يرسلون الجيوش لتهدئة الإقليم وحمايته[٨]، وصارت اسفيجاب على تلك السياسة إلى أن قام بفتحها نوح بن أحمد الساماني (٢٢٤هـ/ ٨٣٩م) زمن الخليفة المعتصم (٢١٨/ ٢٢٧ هـ - ٨٣٣/ ٨٤٢م)، ولكي يحميها من غارات الأعداء بنى حولها سورا يحيط بكروم أهله ومزارعه[٩]، وظلت تحت حكم السامانيين[١٠] إلى نهاية القرن الرابع الهجري، وقد أخذت الكثير من الامتيازات أهمها الاعفاء من الخراج، وليظهر والي اسفيجاب ولاءه للدولة السامانية، كان يرسل له أربعة دوانق وهو مبلغ ضئيل للغاية لكي يبرهن على ولائه للدولة السامانية، حيث كانت قبضة الدولة السامانية على اسفيجاب قوية لعلمها بمكانة اسفيجاب[١١]، بالإضافة للمكانة التي كان يتمتع بها حاكم اسفيجاب لدى الترك، وملك التركمان الذي كان يتودد دائما إليهم فيقوم بإرسال الهدايا له[١٢]، وقد صارت الدولة الغزنوية[١٣] والسلاجقة[١٤] على نفس ما كانت عليه الدولة السامانية تجاه اسفيجاب[١٥] .

الهوامش

١- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٢٥.
٢- ياقوت، معجم البدان (١/ ٣٥٣). العمري، مسالك الأبصار، (٣/ ١٤٩).
٣- ياقوت، معجم البدان (١/ ١٧٩).
٤- ياقوت، معجم البدان، (١/ ١٨٠).
٥- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨ م، (١/ ٤٠٧).
٦- بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، (ط١) الكويت (١٩٨١م، ص ٣٦٣).
٧- الدولة الطاهرية بخراسان (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ/ ٨٢٠ - ٨٧٢ م) بدأت هذه الدولة على يد مؤسسها طاهر بن الحسين الذي عينه الخليفة المأمون أميرا على خراسان سنة (٢٠٥ هـ/ ٢٥٩ هـ - ٨٢٠ - ٨٧٢ م)، مكافأة له على جهوده العسكرية الجبارة، فاستمرت الإمارة في ذريته إلى سنة (٢٥٩ هـ)، حيث استقلوا بإماراتهم دون أن يعلنوا انخلاعهم وخروجهم على الخليفة، حتى أزاحهم يعقوب الصفار، وقامت على أنقاضهم الدولة الصفارية. الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي، زين الخبار، ترجمة عن الفارسية عفاف السيد زيدان الطبعة الأولى، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٤٦).
٨- الكرديزي، زين الاخبار، (ص ١٤٦).
٩- البلاذري، فتوح البلدان، (١/ ٤٠٧).
١٠- الدولة السامانية: سلالة فارسية حكمت في بلاد ما ورا النهر وأجزاء من بلاد فارس وأفغانستان في الفترة (٢٠٤/ ٣٩٠ هـ - ٨١٩/ ١٠٠٥م) وكانت عاصمتها بخارى. الكرديزي، زين الأخبار، (١/ ٣٥).
١١- البلاذري، فتوح البلدان، (١/ ٤٠٧).
١٢- بارتولد، تركستان، (ص ٣٦٣).
١٣- الدولة الغزنوية: دولة تركية قامت في خراسان وبلاد ما وراء النهر في الفترة (٣٤٨/ ٥٧٥هـ - ٩٦١/ ١١٨٧ م) وكان عاصمتها غزنة أسسها سبكتكين وازدهرت في عهد السلطان محمود وقامت بنشر الإسلام في بلاد الهند وانتهت على يد السلاجقة. الكرديزي، زين الأخبار، (١/ ٣٩).
١٤- قامت الدولة السلجوقية في خراسان عام: (٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م)، واستمرت قوية إلى نهاية عصر السلطان سنجر، فقد اتسعت رقعة الدولة السلجوقية، ولكن كان الاهتمام الأكبر بخراسان، وباقي الأماكن تابعة لهم، غير أن بدأت في الضعف منذ وفاة السلطان ملكشاه عام: (٤٨٥ هـ/ ١١٥٣م)، ولكن تغير الحال مع تولي السلطان سنجر منذ عام: (٥١١هـ/ ١١٧٩م)، فقد أعاد للدولة هيبتها مرة أخرى حيث أعاد تنظيم الدولة وتوحيد كلمة السلاجقة من جديد، وقد استقرت الأمور في المدن الخراسانية، وعاشت في استقرار سياسي إلى آخر عهد السلطان سنجر وعلى وجه الخصوص عام: (٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م)، وأخذت الدولة في الانهيار بسبب مشكلة الغز. الاصفهاني، محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت (ط٢) (١٩٧٨م، ص ٢٥٢).
١٥- الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، (ص ٢٢٣).

سعيد حسن السعيد
كاتب وباحث



المسؤولية الجزائية عن العمليات التجميلية

إن جـراحـة الـتـجـمـيـل أحـد التخصصات الطبية التي نالت في الآونة الأخيرة إقبالا واسعا، كونها تهتم بتحسين المظهر، ثم إنها تحقق للشخص مصلحة ذات أهمية بإزالة زوائد أو وشم من الوجه بما يجعله طبيعيا، وقد يتحسن بها صاحبها حالته النفسية.

أما وإن كانت عملية التجميل تنال الشخص بضرر تشوه جسده أو تؤثر على حياته، فيمتنع إجرائها.

إن طبيب التجميل كغيره من الأطباء، لا يضمن نجاح العملية التي يجريها، إلا أن العناية المطلوبة منه أكثر منها في أحوال الجراحة الأخرى، اعتبارا بأن جراحة التجميل لا يقصد فيها شفاء المريض من علة في جسمه، وإنما إصلاح تشويه لا يعرض حياته لأي خطر.

ومن هنا تكمن المسئولية الطبية لطبيب التجميل.

ويشترط عليه قبل أي تدخل جراحي: الحصول على رضاء المريض، وإعلامه بالعلاج، وطبيعته ومخاطره -وهو ما يعرف في القانون بالموافقة المستنيرة- والحصول على جميع الفحوصات الطبية اللازمة، وكما يشترط أن يكون الطبيب متخصصا في الجراحة التي يقدم



عليها، وكفئا لهذا العمل.
وفي ذلك قضت محكمة التمييز الكويتية أن الطبيب يقع عليه المسئولية تجاه المريض إذا لم يبلغه ويخطره كتابة عن مخاطر وآثار العملية في الجراحات التجميلية، وأن عدم الإبلاغ وإخطار المريض بآثار العملية ونسبة نجاحها ومضاعفتها يعد ذلك خطأ يرتب مسؤولية الطبيب.
وإن كان ما تقدم نحو إبلاغ المريض بنسبة نجاح العملية لا يرقى إلى الخطأ المرتب للمسؤولية في حالات العمليات الجراحية الأخرى، إلا أنه في حالة العمليات التجميلية، والتي لا يلجأ إليها مجريها إلا رغبة في نتائج معينة لتحسين حالته من الناحية الشكلية.
ومن ثم ضرورة اخطار المريض والحصول منه على الموافقة المستنيرة ومخالفة ذلك خطأ يرتب المسؤولية.
إن المشرع الكويتي في القانون رقم: (٧٠) لسنة: (٢٠٢٠م) بشأن مزاولة مهنة الطب، أورد حكما خاصا في مادته الحادي عشر للمريض الذي لم يتم واحد وعشرين سنة، فيما يتعلق بإجراءات الجراحات والتدخلات التجميلية: بأن تصدر الموافقة المستنيرة من الأب أو الأم معا أو ممن كان حينها على قيد الحياة أو الممثل القانوني، ومخالفة ذلك يعد خطأ يوجب المسؤولية الطبية.
إن العبرة ليست بوصف الخطأ أنه يسير أو جسيم، ولكن ثبوته من وقائع واضحة تتنافى في ذاتها مع الأصول الطبية.

كما إن طبيب التجميل التزامه مثل أي طبيب آخر، نحو التزام ببذل عناية إلا أن العناية المطلوبة من طبيب التجميل بذل العناية الحريصة، وأن يكون أشد محافظة وعناية، مع أخذ الحيطة والحذر.
إن مسؤولية الطبيب في جراحات التجميل نال اهتمام المشرع الكويتي، فكان القانون رقم: (٧٠) لسنة: (٢٠٢٠م) بشأن مزاولة مهنة الطب والمهن المساندة لها وحقوق المرضى والمنشآت الطبية.
وأنشأ هذا القانون جهاز يسمى جهاز المسؤولية الطبية، ويختص دون غيره بإبداء الرأي الفني في كافة الموضوعات التي تعرض عليه من خلال الشكاوى والبلاغات والمخالفات المهنية لبيان تحقق الخطأ الطبي أو المخالفة من عدمه.
إن القانون المار بيانه وضع عقوبات جزائية بالحبس مدة لا تزيد على خمس سنوات، وبغرامه لا تزيد على عشرة آلاف دينار كويتي، في حالات حددها القانون في المادة: (٦٩- ٧٠). ومنها: إفشاء الأسرار الخاصة بالمريض أو نشر بأي وسيلة أو طريقة سراً من الأسرار الخاصة بالمريض.
وجاء القانون رقم: (٧٠) سنة: (٢٠٢٠م) بشأن مزاولة مهنة الطب في المادة: (٧٥) بعقوبات تأديبية عند ثبوت مخالفة أحكام هذا القانون، كالتنبيه والإنذار وفرض جزاءات مالية حسب جسامة المخالفة ووقف الترخيص وإلغاءه أو سحبه.
ولا يخل توقيع أي من الجزاءات التأديبية المنصوص عليها في هذا القانون بالمسؤولية الجزائية أو المدنية التي قد تنشأ عن ذات الواقعة محل المخالفة.



عايد العرفج
باحث وكاتب اقتصادي

الأسرة الحاكمة لإمبراطورية اليابان هي نفسها قبل التاريخ ومنذ ٢٦٠٠ عام!

لماذا لم يستمر حكم الإسلام للعالم؟

كتبنا مقالتنا الأولى في شهر مارس الماضي، والتي تعتبر شاملة وبإطار عام عن كيفية صعود نجم الدين الإسلامي والدول الإسلامية التي أصبحت إمبراطوريات حكمت العالم ثم أفول نجم هذه الدولة وتحولها إلى دويلات صغيرة لا تسمن ولا تغني من جوع، وهذا الوصف مع كل أسف ينطبق على دولنا في الوقت الراهن.

واستنادا لما سبق نجد أن الدين الإسلامي نجح في الوصول إلى أصقاع الأرض وتحقيقه النجاحات الواحد تلو الآخر، إلى أن آلت إليه الأوضاع في الوقت الراهن من الضعف والهوان اللذين صبغا كل الدول العربية والإسلامية، وتعمدنا أن نقفز على الكثير والكثير من الأحداث حتى نفصلها تفصيلا واضحا في المقالات المقبلة.

ما بعد وفاة الرسول

لذلك من الضروري أن نتطرق لما بعد وفاة الرسول محمد ﷺ، حيث اتفق المسلمون على اختيار خليفة للرسول لقيادة المسلمين وتنظيم شؤونهم بعد التشاور في الحادثة المشهورة التي جرت في سقيفة بني ساعدة في المدينة المنورة.

الفتوحات الإسلامية وتوسعة رقعة الدولة

كثرة الفتن واستمرارها في عهد الخلفاء الراشدين

سقيفة بني ساعدة

وفي هذا الاجتماع تم اختيار أبي بكر الصديق خليفة للرسول، وتم تلاوة البيعة له من قبل المسلمين الحاضرين في الاجتماع، وعلى الرغم من وجود بعض الخلافات والانقسامات بين بعض المسلمين فيما يتعلق بمن يجب أن يكون الخليفة، إلا أن اختيار أبي بكر الصديق قضى على هذه الخلافات وتمت المصادقة عليه رسميا.

حكم الخلفاء الراشدين.. وتحقيق النجاحات الواحد تلو الآخر

نجاحات حكم أبي بكر الصديق

تعتبر الفترة الأولى من تاريخ الإسلام هي فترة النجاحات والمساهمات الإسلامية الأولى، لاسيما أن أول عمل كبير قام به أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان إخماد الفتنة في مهدها وقتال المرتدين عن الإسلام. في عهد أبي بكر الصديق شهدت الدولة الإسلامية فتوحات كثيرة وواسعة النطاق أسفرت عن توسع الدولة الإسلامية وتوسيع نفوذها.

أبرز فتوحاته

كان من أبرز هذه الفتوحات فتح بلاد الشام بقيادة خالد بن الوليد، حيث تمكن الجيش الإسلامي من هزيمة الجيوش الرومانية في معارك مثل معركة اليرموك وفي الأرض الفلسطينية تم فتح مدينة القدس على يد الخليفة عمر بن الخطاب.

كما تم فتح العراق والجزيرة العربية والبحرين والأحساء وغيرها من البلاد، وتم توسيع نفوذ الدولة الإسلامية إلى أجزاء من إيران وأفغانستان وتركمانستان وبلاد الهند.

وتمت هذه الفتوحات بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها الجيش الإسلامي بقيادة الصحابة المؤمنين، وتمكن

الجيش الإسلامي من تحقيق النصر في ظل قيادة حكيمة ورشيدة من الخلفاء الراشدين، بدءا من أبي بكر الصديق وحتى عمر بن الخطاب.

أسس وأركان النهضة الإسلامية

إعلان الرسالة الإسلامية وانتشارها في مكة والمدينة المنورة وغيرهما من المناطق، وتشكيل المجتمع الإسلامي الأول وإنشاء دولة إسلامية في المدينة المنورة، والانتصار في أبرز المعارك مثل بدر وأحد وخيبر وغيرها.

وقد امتدت الدعوة إلى الإسلام وانتشاره في الجزيرة العربية وخارجها وانتشر العدل والمساواة بين الناس وتم الحفاظ على حقوق الفقراء والضعفاء، ليتم بعدها إنشاء دستور المدينة الذي يعد أول دستور في التاريخ يُحكم بموجبه المسلمون وغيرهم، وتبعه إرسال الرسل والمبشرين إلى الممالك والدول المجاورة للدعوة إلى الإسلام، وتعتبر هذه النجاحات والمساهمات الإسلامية الأولى بمنزلة بداية لتاريخ الإسلام أسهمت في انتشاره في العالم.

عهد الخلفاء الراشدين استثنائي ولكن

عهد الخلفاء الراشدين كان فترة استثنائية من الوحدة والاستقرار في الدولة الإسلامية، لكن بعض الفتن والصراعات الداخلية قد نجحت في إثارة بعض الاضطرابات وتسببت في بعض الضعف في الدولة الإسلامية.

الفتنة في عهد عثمان بن عفان تسببت في مقتله

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث حدثت فتنة الفتن الكبرى، حيث قامت بعض الجماعات بالتمرد على الحكومة الإسلامية، وهذا أدى في النهاية إلى اغتيال الخليفة عثمان.

توترات وانقسامات الحكم في بني أمية أدت إلى صراعات داخلية ساهمت في إضعاف الدولة

فتنة الجمل في عهد علي بن أبي طالب

وفي عهد علي بن أبي طالب، حدثت فتنة الجمل، وهي صراع داخلي تسبب في تقويض الوحدة الإسلامية وإضعاف الدولة الإسلامية.

وقد أدت هذه الفتن إلى بعض الضعف في الدولة الإسلامية، لكنها لم تؤثر على قوة الدولة بشكل كبير، واستمر توسع الدولة الإسلامية وازدهارها في العصور التالية.

تأسيس دولة بني أمية واستمرارها لتسعين عاما

نعم، بعد نجاحات الدولة الراشدة وخلفائها الأربعة، جاءت نجاحات دولة بني أمية التي استمرت لتسعين عاما (٦٦٢-٧٥٠م).

توسع رقعة الإسلام بحقبة بني أمية

وتميزت دولة بني أمية بتوسعها الهائل في الأراضي، حيث تمكنت من السيطرة على معظم بلاد الشام

تأسيس دولة بني أمية واستمرارها لتسعين عاما وتفعيل مؤسسات المجتمع الإسلامي والمدني

والعراق والجزيرة العربية ومصر وشمال إفريقيا وجنوب إسبانيا. وقد شهدت الدولة الأموية أيضا تطورا ملحوظا في العلوم والفنون والثقافة، وكانت دمشق عاصمة الدولة تزدهر بالحضارة والفنون والتجارة.

مؤسسات دولة بني أمية

وتميزت دولة بني أمية كذلك بالتوسع في الإسلام والدعوة إليه، حيث تم توسيع الإسلام إلى مناطق أخرى خارج المنطقة العربية، وتم تنظيم الأمور الحكومية والإدارية بطريقة مؤسسية وفعالة، وتم تطوير الجيش والحرب والأسلحة.

توترات وانقسامات بني أمية

ومع ذلك، فإن حكم بني أمية شهد أيضا بعض الاضطرابات والفتن الداخلية، وكان هناك توتر بين الحكومة والشعب في بعض الأحيان، وتزايدت الانقسامات والصراعات الداخلية في أواخر الفترة الأموية، وهو ما ساهم في تضعيف الدولة وتسهيل ظهور الدولة العباسية التي خلفتها في النهاية.

هل كل صعود يعقبه هبوط؟

لا يمكن القول إن المسلمين لم يحافظوا على تطورهم وقيادتهم للأمم كما كان سابقا، لأنهم قد قاموا بالكثير من الإنجازات عبر التاريخ. ومن أمثلة ذلك: نجاحهم في بناء الإمبراطوريات الإسلامية الضخمة، والمساهمة في العلوم والفنون والأدب والفلسفة، وإقامة العدل والإنصاف في حكمهم، لكن في نهاية المقال نقول لماذا لم يستمروا؟ وهل كل صعود لابد أن يعقبه هبوط؟ الأسرة الحاكمة لإمبراطورية اليابان نفسها قبل التاريخ ومنذ ٢٦٠٠ عام!

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٧٩)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

طبقات فحول الشعراء

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.



يأتي كتاب: «طبقات فحول الشعراء» ليشكل لبنة من مقتنيات (الوعي الإسلامي) النفيسة.

وهو كتاب من تأليف محمد بن سلام الجمحي (١٤٠هـ-٢٣١هـ)، ويعد من أهم مؤلفاته، ذكر فيه ابن سلام شعراء العرب في الجاهلية والإسلام، ورتبهم على عشرة طبقات، منها عشرة طبقات لشعراء الجاهلية، وعشرة طبقات لشعراء الإسلام، كما ذكر شعراء مكة والطائف والبحرين وشعراء اليهود أيضا، قال ابن سلام الجمحي في مقدمة كتابه: ذكرنا العرب وأشعارها والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم ولا يستغنى عن علمه ناظر في أمر العرب فبدأنا بالشعر.

التعريف بالكتاب

أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي (١٤٠هـ-٢٣١هـ/ ٧٥٧م- ٨٤٦م)، إخباري، وعالم، وأديب، ومؤرخ وكان مولى قدامة بن مظعون الجمحي، قال شمس الدين الذهبي: كان عالما، أخباريا، أديبا، بارعا. وكان من أهل الفضل والأدب، قدم بغداد سنة: (٢٢٢هـ)، ابيضت لحيته ورأسه وله سبع وعشرون سنة، أسند عن حماد

بن سلمة وغيره، وروى عنه عبد الله بن الإمام أحمد وغيره، وهو الذي روى أن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة، وعامة المحدثين على صدقه وثقته إلا أن أبا خيثمة قال: كان يرمي بالقدر.

مؤلفات

له مؤلفات جليلة القدر نذكر منها:

كتاب الفاضل في الأخبار ومحاسن الشعراء.

كتاب نسب قريش وبيوتات العرب.

كتاب طبقات شعراء الجاهلية.

كتاب طبقات شعراء الإسلام.

كتاب الجلايب وإجراء الخيل.

المحتوى العام

ذكر ابن سلام في هذا الكتاب شعراء العرب في الجاهلية والإسلام، ورتبهم على عشرة طبقات:

١- شعراء الجاهلية

وقسمهم على عشر طبقات وذكر في كل طبقة أربعة شعراء:

الطبقة الأولى وتضم: النابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وامرؤ القيس بن حجر، والأعشى ميمون بن جندل.

الطبقة الثانية وتضم: أوس بن حجر، وبشر بن أبي خازم، وكعب بن زهير بن أبي سلمى، والحطيئة.

الطبقة الثالثة وتضم: النابغة الجعدي، وأبو ذؤيب الهذلي، والشماخ بن ضرار، ولبيد بن ربيعة.

الطبقة الرابعة وتضم: طرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة الفحل، وعدي بن زيد.

الطبقة الخامسة وتضم: الأسود بن يعفر النهشلي، والمخبل القريعي، وخداش بن زهير، وتميم بن أبي مقبل.

الطبقة السادسة وتضم: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة اليشكري، وعنترة بن شداد، وسويد بن أبي كاهل.

الطبقة السابعة وتضم: سلامة بن جندل والحصين بن حمام والمتلمس الضبعي والمسيب بن علس.

الطبقة الثامنة وتضم: النمر بن تولب، وعمرو بن قميئة، وأوس بن غلفاء الهجيمي، وعوف بن عطية التيمي.

الطبقة التاسعة وتضم: ضابئ بن الحارث، وسويد بن كراع العكلي، وقطبة بن محصن الذبياني، وسحيم عبد بني الحسحاس.

الطبقة العاشرة وتضم: أمية بن حرثان الكناني، وحريث بن محفض المازني، والكميت بن معروف الأسدي، وعمرو بن شأس الأسدي.

٢- شعراء الإسلام

وقسمهم أيضا على عشر طبقات، وذكر في كل طبقة أربعة شعراء:

الطبقة الأولى وتضم: جرير بن عطية التميمي، والفرزدق بن غالب التميمي، والأخطل، والراعي النميري.

الطبقة الثانية وتضم: البعيث المجاشعي، وذو الرمة، وكثير عزة، والقطامي التغلبي.

الطبقة الثالثة وتضم: سحيم بن وثيل الرياحي، وأوس بن مغراء القريعي، وعمرو بن الأحمر الباهلي، وكعب بن جعيل التغلبي.

الطبقة الرابعة وتضم: نهشل بن حري التميمي، والأشهب بن رميلة التميمي، وعمرو بن لجأ التيمي، وحميد بن ثور الهلالي.

الطبقة الخامسة وتضم: العجير بن عبد الله السلولي، وعبد الله بن همام السلولي، ونفيع بن لقيط الأسدي، وأبو زبيد الطائي.

الطبقة السادسة وتضم: عبد الله بن قيس الرقيات، والأحوص الأنصاري، وجميل بن معمر العذري، ونصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي.

الطبقة السابعة وتضم: المتوكل الليثي، ويزيد بن ربيعة الحميري، وزياد الأعجم، وعدي بن الرقاع العاملي.

الطبقة الثامنة وتضم: عقيل بن علفة المري، وبشامة بن الغدير المري، وشبيب بن البرصاء، وقراد بن حنش المري.

الطبقة التاسعة وتضم: العجاج بن رؤبة التميمي، وابنه رؤبة بن العجاج، والأغلب العجلي، وأبو النجم العجلي.

الطبقة العاشرة وتضم: يزيد بن الطثارية القشيري، ومزاحم بن الحارث العقيلي، والقحيف بن سليم العقيلي.

٣- شعراء مكة

وذكر ابن سلام تسعة من شعراء مكة وهم:

أبو طالب بن عبد المطلب، الزبير بن عبد المطلب، عبد الله بن الزبعري، ضرار بن الخطاب، عبد الله بن حذافة السهمي، أبو سفيان بن الحارث، أبو عزة الجمحي، مسافر بن أبي عمرو الأموي، هبيرة بن أبي وهب المخزومي.

٤- شعراء الطائف

وقد ذكر ابن سلام منهم خمسة وهم:

أمية بن أبي الصلت، أبو محجن الثقفي، غيلان بن سلمة، كنانة بن عبد ياليل، أبو الصلت بن ربيعة.

٥- شعراء البحرين

وذكر منهم ثلاثة وهم:

المثقب العبدي، الممزق العبدي، والمفضل بن معشر.

٦- شعراء اليهود

ذكر ابن سلام عددا من شعراء اليهود الذين كانوا في المدينة المنورة وما جاورها من خيبر وفدك وتيماء وهم:

السموأل بن عدي، الربيع بن أبي حقيق، كعب بن الأشرف الطائي، شريح بن عمران، سعية بن العريض، أبو قيس بن رفاعة، أبو الذيال اليهودي، درهم بن زيد.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذا الكتاب العطر، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بكتب الطبقات وتراجم الرجال.

المصادر

- طبقات فحول الشعراء.
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
- الأعلام للزركلي.



هشام الصباغ
باحث لغوي

ذو العمادتين صاحب أيسر تفسيرين للقرآن

العلامة عبدالجليل عيسى أبو النصر

■ ظل طيلة حياته رمزا عاليا للإباء والكرامة والعزة، وأنموذجا عمليا للإيجابية والتقدم إضافة إلى العلم والمرجعية.

■ عرف على نطاق جماهيري واسع بسبب مشاركاته المبكرة في الأحاديث الدينية من خلال الإذاعة.. هو أحد علماء الأزهر المرموقين، الذين كانوا مرشحين في وقت لمنصب الإمام الأكبر لمشيخة الأزهر.

■ عاش حياته نضالا ورأيا وعملا من أجل أن يكون للعالم صوت في مجتمعه، وعمل دائب في خدمة وطنه، وجهاد متصل من أجل كلمة الحق، تقال في كل وقت وأي مكان.

■ رغم أنه من أعلام علماء المالكية في عصره، فإنه كان من كبار المجددين؛ خلع عن عنقه ربقة التقليد وتوسع في دراسة المذاهب.. وقد عزز انتماؤه العربي والإسلامي في نفسه الشعور بأصالة تراثنا، وبعظمة الماضي وجلاله، وبمجد الأزهر العلمي العريق وكانت هذه الانتماءات كلها هي مكونات شخصيته.

■ جلس تحت أقدام مشايخ كثر، أبرزهم الشيخ المراغي، ومنه تلقى حب مدرسة التجديد والإصلاح.. كما جلس تحت قدميه كثيرون، أبرزهم الإمام محمد متولي الشعراوي، وكان الشيخ هو الذي بصره بالتفسير وحببه اليه.

■ في منتصف أربعينيات القرن المنصرم تولى عمادة كلية أصول الدين، وفي نهاية أربعينيات القرن نفسه عين عميدا لكلية اللغة العربية وعلى مدى السنوات الأخيرة من خدمته.. ولذا لقب بـ «ذي العمادتين».. إنه الشيخ العلم العلامة عبدالجليل عيسى أبو النصر المالكي.

نشأته وتكوينه

■ ولد عبدالجليل عيسى في عزبة الرملة بمديرية البحيرة عام: (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) (بعض المصادر تذكر أنه ولد عام: ١٨٨٩م).. تلقى تعليما دينيا بدأه في الكتاب، فحفظ القرآن الكريم صبيا، ثم أخذ علومه الأولى في الجامع الأحمدي في طنطا، ثم انتقل إلى الأزهر وحصل على عالميته (أو العالمية القديمة) عام: (١٩١٤م)، وكانت سنه آنئذ الخامسة والعشرين، وفي العام نفسه عين مدرسا بمعهد طنطا الديني.

حياته العملية

■ عاش عيسى العصر الذهبي له في عهد الإمام المراغي فقد كان لأسباب كثيرة محل ثقته واعتماده، ففي منتصف ثلاثينيات القرن الماضي (١٩٣٧م) صدر أمر ملكي بتعيينه شيخا لمعهد دسوق الديني، ولما أسس الشيخ المراغي معهد شبين الكوم الأزهري في العام التالي (١٩٣٧/١٩٣٨م)، رشح عيسى ليكون أول عميد لهذا المعهد فصدر أمر ملكي ثان بذلك؛ وقد كان الشيخ على العهد من حسن الظن به، ففرض روح العلم والبحث والاجتهاد والالتزام الشديد والانضباط المتصل على هذا المعهد مما أهله لأن يحتل بسرعة مكانة متقدمة بين المعاهد الأزهرية على مستوى القطر المصري.

■ في عام: (١٩٤٦م)، صدر أمر ملكي ثالث بتعيينه عميدا لكلية أصول الدين، وفي العام التالي (١٩٤٧م) صدر أمر ملكي رابع بتعيينه عميدا لكلية اللغة العربية.

عمله الوطني

■ ظل عيسى معتزا بالحق والخلق القويم، ثائرا على الدوام للحق ضد الباطل، وكان واحدا من كبار العلماء الذين بدأوا ثورة الأزهر في الثلاثينيات؛ وهي ثورة متعددة التوجهات والأهداف، إذ كان من أهدافها: مجابهة الاحتلال البريطاني لمصر ومكافحته، والمطالبة بعودة الشيخ المراغي لمنصبه شيخا للأزهر، لكن أنبل أهدافها كان تأييد الزعيم الليبي الشيخ عمر المختار في ثورته ضد المحتل الإيطالي.

■ تولى عيسى أمر تجميع العلماء من أجل هذه الأهداف النبيلة، التي تحققت جميعها؛ إذ ائتلفت الأحزاب وتفاوضت مع المحتل البريطاني ووصلت إلى معاهدة: (١٩٣٦م)،

وعاد الشيخ المراغي إلى منصبه، وأزعج تأييد الليبيين المحتل الإيطالي؛ فكان اسم الشيخ في مقدمة أسماء قائمة شهيرة من (٢٠٠) عالم أزهري فصلتهم وزارة إسماعيل صدقي باشا بدعم من الملك فؤاد في مطلع الثلاثينيات.

■ لكن الشيخ عرف بتحديه للظلم والطغيان فرفع قضية ضد حكومة صدقي (في عهد الملك فؤاد)، وبعد ٤ سنوات كفاحا في أروقة المحاكم كسبها وأعيد إلى عمله وكان هذا إنجازا غير متصور في ذلك العهد.

■ ظل الشيخ جاهرا بالحق متحديا للقرارات والأحكام الجائرة حتى أصدر الملك فاروق مرسوما ملكيا بإحالته إلى المعاش قبل السن القانونية، لكن الشيخ عاد سيرته الأولى ولجأ إلى القضاء، الذي أعاده عميدا للكلية عام: (١٩٥٥م) مع تعويضه ماليا والثناء على علمه وفضله.

وكان له آراء لافتة للنظر أثارت انتقاد علماء عصره له رحمه الله.

آثاره العلمية

■ عرف عيسى بقدراته الفذة مفسرا للقرآن الكريم في الإذاعة وعلى صفحات أبرز المجلات الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي. وإلى جانب بحوثه في علوم الدين فقد قدم الشيخ للمكتبة الإسلامية العديد من المؤلفات القيمة؛ منها:

■ هو العالم الوحيد الذي له تفسيران للقرآن الكريم، هما: «تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم» و«المصحف الميسر»:

(الأول هو تفسير كامل نفيس، احتوى على نظرات الشيخ الفريدة في القرآن، وبدا تأثر الشيخ فيه جليا بمدرسة الإصلاح والتجديد، وسار فيه على منهج الإمام محمد عبده؛ من موضوعية ونفاذ بصيرة، وعقلية أصيلة تزن كل شيء وتحكم في عمق على الآثار والمرويات والمأثورات).

(والثاني هو مختصر على هامش المصحف، وهو أقرب إلى بيان مفردات القرآن) - و«ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين» (وهو كتاب شهير ظهر في ستينيات القرن الماضي، ويعد من الكتب الرائدة في علم الاختلاف الفقهي) - و«صفوة صحيح البخاري» (في ٤ أجزاء وهو عبارة عن ٧٠٠ حديث مختارة من صحيح البخاري مع الشرح اليسير الواضح، وعلى هذا الكتاب نشأت أجيال عدة من طلبة المرحلة الثانوية بالأزهر) - و«اجتهاد الرسول» (وهو يحمل فيه طابع الإمام محمد عبده العقلي في كتابه المشهور «رسالة التوحيد»؛ فهو قبس من جذوة الفكر العلمي التي أنار بها الإمام الطريق لجيله وللأجيال التي خلفته).

عضويات وجوائز

■ انتخب عيسى عضوا في مجمع البحوث الإسلامية في مطلع السبعينيات، وقبلها اختير عضوا في لجنة الفتوى بالأزهر، كما كان عضوا في لجان المجلس الأعلى للثقافة.

■ كان عيسى ثاني من نال جائزة الدولة التقديرية من العلماء المرتبطين بالأزهر لم يسبقه إليها إلا الشيخ علي الخفيف (١٩٧٦م) الذي لم يتخرج في الأزهر وإنما تخرج في مدرسة القضاء الشرعي وعمل أستاذا بكلية الحقوق، وقد نال عيسى هذه الجائزة عام: (١٩٨٠م)، في أول أعوام منحها لأكثر من فائز، واشترك معه في الفوز بها الدكاترة: عبدالعزيز القوصي ومحمد محمود الصياد ورفعت المحبوب.

■ كما منح وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، وتخليدا لذكره أطلقت كلية اللغة العربية اسمه الكريم على إحدى قاعاتها الكبرى.

مساهماته مع «الوعي»

■ للشيخ العلامة الفاضل عبدالجليل عيسى، رحمة الله عليه، عشرون مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «جرائم بني إسرائيل» (٤-٤)، ع:٤ و١٤ و٢٠ و٢٤ - و«تحويل القبلة»، ع:٨ - و«لماذا اختلف الأئمة؟» (٣-٣)، ع:٢٢ و٢٦ و٢٨ - و«متى يكون نصر الله؟»، ع:٣٥ - و«لمن يكون نصر الله؟» (٢-٢)، ع:٤٠ و٤٢ - و«متى نستحق النصر؟»، ع:٥١، و«مصايد الشيطان الثمانية»، ع:١٢٧، و«التمييز بين الأولاد في العطية»، ع:١٣٥، و«بين الذكر والرحمة»، ع:١٤٨، و«عدم انتفاع الإنسان بعمل غيره»، ع:١٦٣، و«مجالس الذكر (٢-٢)»، ع:١٧٠ و١٨٨، و«مع آية من كتاب الله»، ع:١٧٤، و«القضاء والقدر»، ع:١٨٥.

وفاته

■ عمر الشيخ عبدالجليل عيسى؛ فعاش ما يقرب من قرن من الزمان (اثنتين وتسعين سنة) باذلا وقته وجهده في خدمة الإسلام والمسلمين، وقد أصيب الشيخ بالشلل سنة: (١٩٧٩م)، وظل طريح الفراش إلى أن توفاه الله يوم الجمعة غرة رمضان: (١٤٠١هـ) الموافق: (٢) يوليو عام: (١٩٨١م).

المصادر

- كتاب «الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي».
- رابطة العلماء السوريين.
- الأزهر في ألف عام.
- جمهرة أعلام الأزهر الشريف.
- موقع «الجزيرة» (د. محمد الجوادي).
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٨١)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (ابن الجزري):

١- شهاب الدين بن الجزري (ت نحو: ٨٣٥هـ):

هو شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد ابن الجزري القرشي الشافعي، مقرئ.

ولد بدمشق سنة: (٧٨٠هـ)، أخذ عن أبيه وغيره، وسمع القراءات الاثنتي عشرة، وتصدر للتدريس، ومات بعد أبيه بقليل.

من أبرز مصنفاته: (الحواشي المفهمة في شرح المقدمة) وهي المقدمة الجزرية، و(شرح طيبة النشر في القراءات العشر) لأبيه، و(شرح مقدمة في الحديث) لوالده، توفي بدمشق[1].

٢- ابن الجزري الشاعر (ت: ١٠٣٣هـ):

هو حسين بن أحمد بن حسين الجزري،



شاعر، من أهل حلب، أصله من جزيرة ابن عمر، ونسبته إليها.

ولد سنة: (٩٩٧هـ)، تنقل بين الشام والعراق والروم، ومدح بني سيفا (أمراء طرابلس الشام)، واستقر في حلب، ثم رحل إلى حماة واستقر فيها.

من أبرز مصنفاته: (ديوان شعر)، توفي بحماة[٢].

٣- شمس الدين بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ):

هو شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه، ومن حفاظ الحديث.

ولد بدمشق سنة: (٧٥١هـ) ونشأ فيها، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن)، ورحل إلى مصر مرارًا، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر، ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها.

من أبرز مصنفاته: (النشر في القراءات العشر)، (غاية النهاية في طبقات القراء)، و(التمهيد في علم التجويد)، و(منجد المقرئين)، و(الحصن الحصين في الأدعية والأذكار المأثورة، و(مفتاح الحصن الحصين)، و(مختصر عدة الحصن الحصين)، و(تقريب النشر في القراءات العشر)، و(طيبة النشر في القراءات العشر) منظومة، و(المقدمة الجزرية) أرجوزة في التجويد، و(أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب)، و(الهداية في علم الرواية) منظومة في مصطلح الحديث، و(المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد) في الحديث، توفي بشيراز[٣].

المتفق والمفترق في اسم (ابن الصلاح):

١- تقي الدين بن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ):

هو تقي الدين أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري الشافعي، المعروف بابن الصلاح.

محدث، مفسر، فقيه، أصولي، نحوي، عارف بالرجال، مشارك في علوم عديدة.

ولد بشرخان -قرب شهرزور- سنة: (٥٧٧هـ)، وتفقه على والده، وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان، ثم بيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية، وانتقل إلى دمشق، فولاه الملك الاشرف تدريس دار الحديث.

من أبرز تصانيفه: (شرح مشكل الوسيط للغزالي في فروع الفقه الشافعي، و(الفتاوى)، و(علوم الحديث) ويعرف بمقدمة ابن الصلاح، و(معرفة المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال)، و(طبقات الشافعية)، توفي بدمشق[٤].

٤- نور الدين بن الصلاح (ت: ٨٢٤هـ):

هو نور الدين أبو البقاء محمد بن خليل بن هلال الحاضري الحلبي الحنفي المعروف بابن الصلاح، عالم مشارك في النحو والصرف والقراءات والفقه والحديث.

ولد سنة: (٧٤٧هـ)، وولي قضاء سرمين، ثم قضاء الحنفية بحلب.

من أبرز آثاره: (شرح التوضيح لابن هشام)، و(شرح الشذور لابن هشام)، و(شرح مغني اللبيب لابن هشام) وكلها في النحو، و(مكارم الأخلاق)، و(مختصر جلاء الأفهام لابن قيم الجوزية)، وتوفي بحلب[٥].

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٢٧) معجم المؤلفين (٢/ ١٤٨).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٣٢) ومعجم المؤلفين (٣/ ٣٠٩).

٣- انظر: هدية العارفين (١/ ٤٤٧) الأعلام للزركلي (٧/ ٤٥) ومعجم المؤلفين (١١/ ٢٩١).

٤- انظر: هدية العارفين (١/ ٦٥٤) الأعلام للزركلي (٤/ ٢٠٧) ومعجم المؤلفين (٦/ ٢٥٧).

٥- انظر: هدية العارفين (٢/ ١٨٤) والأعلام للزركلي (٦/ ١١٧) ومعجم المؤلفين (٩/ ٢٩٢).

إعداد / تركي محمد النصر

ترس المؤمن

نظر رجل إلى سفيان الثوري فقال: يا أبا عبدالله، تمسك هذه الدنانير؟!
قال: «أسكت، فلولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك».
وقال سفيان رحمه الله أيضا: «من كان في يده من هذه شيء فليصلحه، فإنه زمان إن احتاج كان أول ما يبذله دينه... كان المال فيما مضى يكره، فأما اليوم فهو ترس المؤمن... لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها؛ أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس».

(انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ١٦٨/١)

بئس التلميذ

قال العلامة الصنعاني رحمه الله: «لئيم الطلبة، متتبع العثرات، وكاشف العورات، ودافن الحسنات، وما أكثر هذا النوع -لا كثرهم الله- فإنهم الذين أفسدوا معالم العلم وملأوا المواقف على العلماء أحاديث كاذبة... وبئس الجزاء أن يجازي التلميذ شيوخه بإشاعة هفواتهم وزلاتهم، فإنه لا بد لكل جواد من كبوة، ولكل صارم من نبوة... ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها، وكفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه، فخير الناس من أشاع الخير عن العلماء وأذاعه، ودافع عنهم إن سمع قادحا فيهم».

(انظر: التنوير شرح الجامع الصغير، ٥٨٢/٩)

الخير الذي لا شر فيه

قال الحسن البصري رحمه الله: «الخير الذي لا شر فيه هو: الشكر مع العافية، والصبر عند المحنة، فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم من مبتلى بمحنة وهو غير صابر».

(انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي، ١٧١/١)

الخلوة

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم؛ فعليه بالخلوة، وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب».

(انظر: بستان العارفين، ٥٣/١)

من دار العقل إلى دار الجنون

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «واعلم أن الهوى يسري بصاحبه في فنون ويخرجه من دار العقل إلى دائرة الجنون، وقد يكون الهوى في العلم فيخرج بصاحبه إلى ضد ما يأمر به العلم، وقد يكون في الزهد فيخرج إلى الرياء».

(انظر: ذم الهوى، ص:١٦)

مشاركة: يعقوب الجناع

من أبواب الرياء

قال العلامة ابن رجب رحمه الله تعالى: «إن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يرى أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح؛ قال مطرف بن عبدالله بن الشخير: كفى بالنفس إطراء أن تذمها على الملأ، كأنك تريد بذمها زينتها، وذلك عند الله سفه».
(انظر: رسائل ابن رجب، ١/ ٨٨)

الإحاطة بالأصول والفروع

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: «كل من كان أغوص نظرا وأدق فكرا وأكثر إحاطة بالأصول والفروع، وأتم وقوفا على شرائط الأدلة؛ كانت الإشكالات عنده أكثر، أما المصر على الوجه الواحد طول عمره في المباحث الظنية بحيث لا يتردد فيه فذاك لا يكون إلا من جمود الطبع وقلة الفطنة وكلال القريحة وعدم الوقوف على شرائط الأدلة والاعتراضات».
(انظر: المحصول، ٥/ ٣٩٤)

تعظيم الفتيا

استفتي الحسن بن زياد اللؤلؤي في مسألة فأخطأ، فلم يعرف الذي أفتاه، فاكترى مناديا فنادى: إن الحسن بن زياد استفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه بشيء فليرجع إليه.. فمكث أياما لا يفتي حتى وجد صاحب الفتوى، فأعلمه أنه قد أخطأ، وأن الصواب كذا وكذا.
(انظر: تعظيم الفتيا، ص: ٩١)

الرفق بعباد الله

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «من رفق بعباد الله؛ رفق الله به، ومن رحمهم؛ رحمه، ومن أحسن إليهم؛ أحسن الله إليه، ومن جاد عليهم؛ جاد الله عليه، ومن نفعهم؛ نفعه، ومن سترهم؛ ستره، ومن منعهم خيره؛ منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفة؛ عامله الله بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة؛ فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه».
(انظر: الوابل الصيب، ١/ ٦١)

بين الحق والباطل

قيل لأبي عبدالله أحمد بن حنبل أيام المحنة: يا أبا عبدالله أولا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟! قال: «كلا، إن ظهور الباطل على الحق؛ أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق».
(انظر: سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٢١)



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

إمام الإنسانية الرفيع.. مصطفى عبدالرازق

حياته كلها علم ومواقف إنسانية رفيعة مع الصديق والعدو، القريب والغريب.. أجمع عليها البر والقاسي، وحكاها الثقات العدول، المصريون والعرب والمستشرقون..

فلم تكن حياته سوى حكايات كرام النفوس مع أصحاب النفوس المحتاجة، وقصص الوفاء النادر مع الحزانى والثكالى واليتامى والأيامى..

حكى صديقه ورصيفه الدكتور طه حسين كيف كان يستقبله ويستضيفه بالشهور في قصر والده في قريته «أبو جرج» بالمنيا بصعيد مصر الأوسط.. وهما طفلان في مراحل التعليم والطلب.. وكان يعامله كأنه أخوه وصاحب القصر لا الضيف: محبة وإجلالا واعتزازا!

وحكى العملاق عباس محمود العقاد كيف أنه لم يعرف الإساءة في حياته ولا في مقالاته ولا على لسانه.. بل كان سمحا متسامحا يتحلى بالسماحة ويتخذها شعارا ومنهج حياة في كل ما يعمل ويذر..

وقال عنه أبرز تلامذته الفيلسوف عبدالرحمن بدوي الذي لم ينصف أحدا إلا هو: إنه كان كامل العقل، كامل النفس والروح يتزيا بالإنسانية التامة؛ فلا يعرف إلا الصفح والعفو وكظم النفس والإحسان: لغة وطريقة وسلوكا ودينا أمر به اللّه شريعة للحب والمودة..

بلغ من كمال خلقه وعلو همته النورانية أنه كان يوزع راتبه أستاذا للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة عام ١٩٢٧م على طلابه الفقراء حتى آخر جنيه في جيبه كل شهر..

ويكفي أنه وهو وزير الأوقاف وقتها.. لم يستنكف أن يتقبل العزاء في وفاة أديبة الشرق مي زيادة بزيه الأزهري.. عندما تخلى عنها الأهل والأصدقاء والأدباء!

رثاه صاحبه الأديب الحجة أحمد حسن الزيات؛ فقال عنه: كان مدينة العلم والأخلاق، بستان التواضع، سفينة الكرم، قلعة النفس المطمئنة القانعة الراضية المنفتحة على البر والنجدة والمساعدة؛ لأنه فطر على خدمة الناس وهو سليل العز والجاه..

وأشادت بعلمه وسجاياه تلميذته د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) فقالت: كان في محاضراته بالجامعة يعاملنا كأب، ويناقشنا بحب، ويعلمنا بدأب رحمه اللّه..

هو فضيلة العلامة الإمام مصطفى عبدالرازق (١٨٨٥-١٩٤٧م) شيخ الأزهر الأسبق.. فيلسوف المحبة، وحكيم الشرق، وفقيه المقاصد والتسامح، وقاضي الحاجات، وسفير العفو والرحمة، والراعي الصالح للناس كل الناس..

• حسن علي حسن

التسول عند الأطفال

تعتبر ظاهرة تسول الأطفال من أكثر الظواهر الاجتماعية السلبية والخطيرة والتي شهدت انتشارا واسعا في السنوات الأخيرة. والتسول هو ظاهرة إنسانية قديمة ومستمرة حتى اليوم، ويعتبر من الظواهر التي تشكل خطرا على سلامة المجتمع وأمنه، وأصبح يمس الأطفال من شرائح عمرية مختلفة وذلك بسبب ظروف الفقر والعوز التي تدفعهم إلى التوجه إلى التسول.

وهناك العديد من الأطفال الذين يقعون ضحية شبكات نصب وتحايل تعمد إلى استغلالهم وتجنيدهم للعمل في التسول من أجل جمع المال وتكوين الثروة وكل هذه التصرفات تعد سلوكا غير أخلاقي وغير إنساني.

والتسول يعبر في ظاهره عن حالة من الحرمان والفقر وضيق سبل العيش لبعض فئات المجتمع وكذلك اليأس من الحصول على فرص أخرى من شأنها أن تضمن لهم حياة كريمة، كما تعكس ظاهرة التسول خللا سلوكيا جسيما يعتري بعض فئات من البشر فيجعلهم يتخذونه وسيلة تضمن لهم أسباب الكسب السريع من دون عناء أو مشقة.

إن دخول الأطفال الصغار في عالم التسول تنجم عنه مخاطر عديدة، حيث يتم استغلال مشاعر الناس المتعاطفة مع فئة الأطفال والتحايل عليهم وذلك من خلال شعورهم بالشفقة والإحسان تجاههم مما يزيد من انتشار هذه الظاهرة.

ويلجأ الطفل المتسول في الكثير من الأحيان إلى السرقة وما ينجم عن ذلك من عواقب وخيمة على نفسه وعلى مجتمعه وهذا قد يقود إلى ممارسة العنف والاعتداء على الآخرين وبذلك تكبر الهوة بين هذا الطفل وبقية أفراد المجتمع.

إن حرمان الأطفال من حقهم في حياة كريمة ودخولهم عالما مجهولا يفقدون فيه حسهم الطفولي وتسلب كرامتهم ويكتسبون عادات سيئة ينتج عنه نشأة جيل من الشباب الأمي غير المتعلم والمنحرف يكون عالة على مجتمعه ويتسبب في الكثير من المشاكل الاجتماعية حيث تكثر الجريمة وتعاطي المخدرات والانحراف.

• **حسن بن محمد**

غزوة العشيرة

العشيرة موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع على ساحل البحر الأحمر، وهي (بضم العين وفتح الشين وسكون الياء وفتح الراء) ويقال لها أيضا العسير والعسيراء (بضم العين وفتح السين وسكون الياء)، وفي صحيح البخاري أن قتادة سئل عنها، فقال: العشيرة.

وغزوة العشيرة هي ثالث غزوات الرسول ﷺ بعد غزوة بواط، وكان سبب هذه الغزوة اقتصاديا؛ لأن كفار قريش كانوا قد استولوا على أموال المهاجرين التي تركوها بمكة فكان لا بد من اعتراض قوافل قريش التي تمر بين مكة والشام.

ففي العام الثاني من الهجرة وفي جمادى الأولى خرجت قريش بأعظم عير لها فيها أموالهم جميعا، وكان يرأسها أبو سفيان بن حرب ومعه بضعة وعشرون رجلا، فخرج لها رسول الله ﷺ ومعه مئة وخمسون من المهاجرين، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبدالأسد، وحمل لواءه عمه حمزة بن عبدالمطلب، ولم يزل ﷺ سائرا حتى بلغ العشيرة فأقام بها جمادى الأولى وأياما من جمادى الآخرة، ووجد رسول الله ﷺ أن العير قد مضت ولم يحدث قتال، وحالف الرسول ﷺ في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع للمدينة منتظرا عودة العير من الشام، وحين رجعت من الشام خرج إليها رسول لله ﷺ وكانت سببا لغزوة بدر الكبرى.

• **حسن عثمان حسن**



هنيئاً لحجاج بيت الله الحرام

ما من شك أن القصد إلى بيت الله الحرام للحج من أكرم وأفضل ما عرف ويمكن أن يعرف من رحلات، فإذا خلصت النية، وصدق المسعى، وكانت الوجهة الحقيقية امتثال الأمر، واجتناب النهي، وتطبيق الشرع، نعم المؤمن عندها بسعادة الدنيا والآخرة، بما صدق من سعيه، وما وجه لله وجهه وأخلص إليه نيته.

فيا نعم من وقفوا في تلك المشاعر المقدسة واستذكروا تلك الذكريات وتلمسوا تلك المعاني والحكم.

ويا فلاح من جادوا بالدمع سخيا رافعين أيديهم ضارعين خاشعين سائلين الله أن يغفر زلاتهم، وأن يتجاوز عن سيئاتهم وخطيئاتهم، وأن يشملهم بواسع رحمته وعنايته، فإليه المشتكى وهو الملجأ والمستعان، وبه المستغاث.

ويا فوزهم بكلاءة الله وحفظه وهم يطوفون حول البيت العتيق، وهم يسعون بين الصفا والمروة بحثا عن غوث الله تعالى وفرجه.

ويا بشراهم بخيرات عطاء الله تعالى وبشهادة الحجر الأسعد إذ يقبلونه، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «ليأتينَّ هذا الحجرُ يوم القيامة له عينان يُبصِرُ بهما، ولسانٌ ينطقُ به، يشهدُ على من استلمهُ بحق»(صحيح الجامع: ٥٣٤٦).

فهنيئا لمن أسعدهم الله بالسير إلى بيته خالصين مخلصين، وتقبل الله طاعاتهم ورزقنا وإياهم حسن المثوبة وكرامة المغفرة وجعلنا من عباده الذين رضي عنهم ورضوا عنه.

فالعبودية الخالصة الصادقة لله عز وجل هي مفتاح كل الخير، وباب السعادة، وسبيل الوصول إلى الرضوان، وتحقق استجابة الحنان المنان لمن دعاه، ثم هي دليل وعنوان للرشاد ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

الدكتور بديع السيد اللحام
الأستاذ بكلية الشريعة
جامعة دمشق

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .











موسوعة شمائل المصطفى ﷺ

إصدار جديد ومميز من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العمري، أستاذ السيرة النبوية، وهذه الموسوعة القيمة تتناول علم الشمائل والصفات النبوية بطريقة علمية تدلُّ على غزارة علم مؤلفها وسعة معرفته، وتقع الموسوعة في سبعة أجزاء.

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م



AL-Waei AL-islami

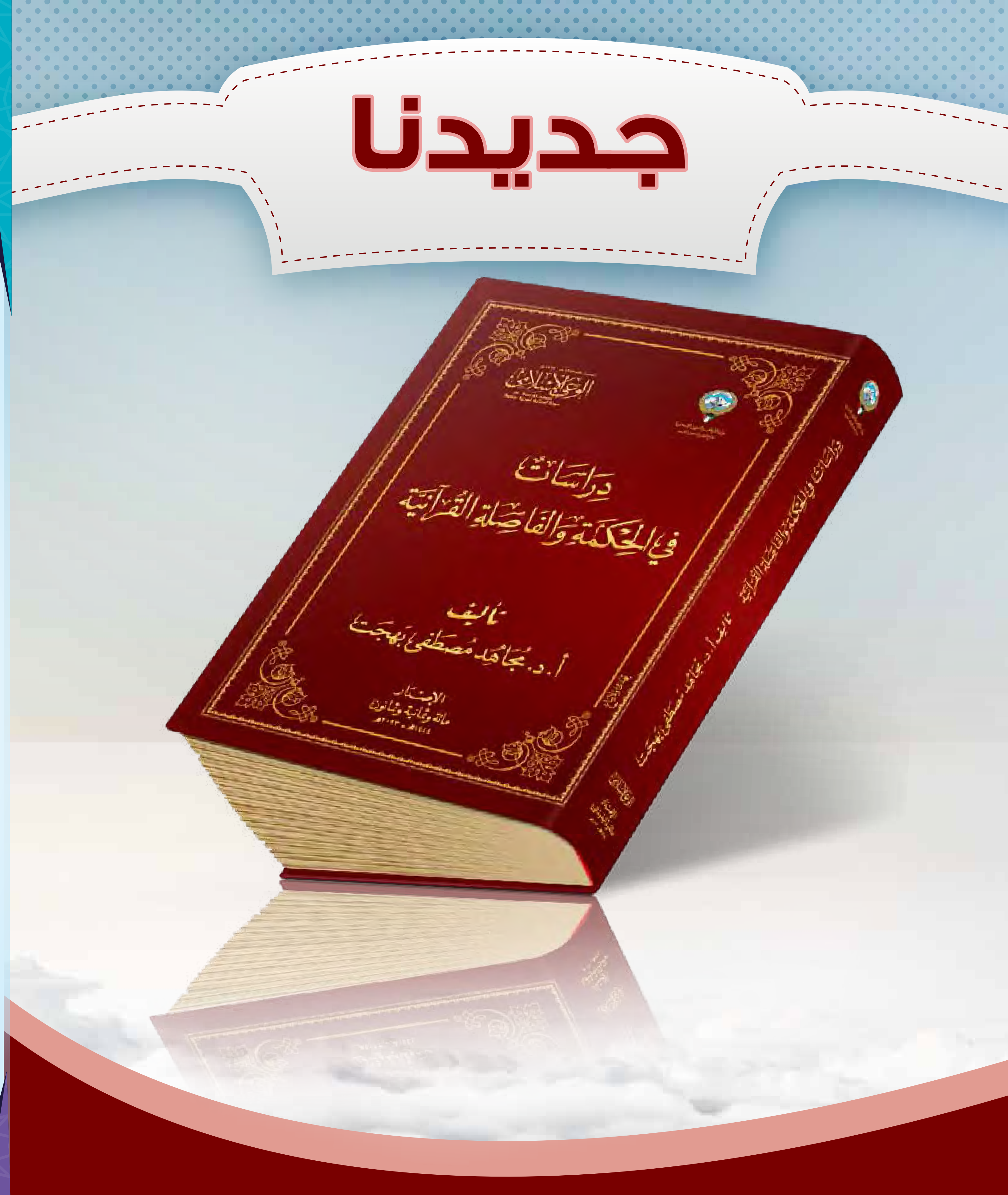
مجلة كويتية جامعة

العدد (٧٠٠) محرم ١٤٤٥ هـ - يوليو ٢٠٢٣م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

انتفاضة الأمة للقرآن

- الحياة.. تسامح
- التنمية المستدامة سياق وآفاق
- أكاديمية الأوقاف



دراسات في الحكمة والفاضلة القرآنية

إصدار جديد من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور مجاهد مصطفى بهجت، ويتناول الكتاب معنى الحكمة ودلالاتها في أسماء الله تعالى وصفاته مع بيان معناها في السياق القرآني، بطريقة علمية إيمانية.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

وليعفوا وليصفحوا

العفو والتسامح ينبعان من قلب سليم وخلق كريم وطبع حليم، فقد وصفت عائشة، رضي الله عنها، النبي ﷺ بقولها «كان خلقه القرآن»، فهو يأخذ بهديه، ويتبع منهجه من غير عوج، ولا التواء، فإن العفو والسماحة لا يسكنان إلا قلبا خاليا من الأحقاد والأضغان، وإن من يعمل ليقود الخلق إلى الحق لابد أن يكون نظره إلى الصفح والتسامح لا إلى الأحقاد والأضغان التي من شأنها أن تشد صاحبها إلى الوراء.

قال سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩)، وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (متفق عليه).

كما وصفت عائشة، رضي الله عنها، رسول الله ﷺ بقولها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما؛ إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما لعن رسول الله ﷺ من لعنة تُذكر، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتى إليه، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله عز وجل فينتقم لله، وما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه» (رواه البخاري)، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت:٣٤-٣٥).

فالعفو هو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه عن عموم الناس، خصوصا من لم يُعرفوا بالشر، فيزلُّ أحدهم الزلة فيُعفى عنه ويُتسامح معه، فالعفو أمر فوق كظم الغيظ، فهو المسامحة المطلقة؛ فأن تكون مسلما سمحا، هذا هو أقرب طريق إلى الجنة، وهو سبب في قضاء الله لحوائجك، فقد تكون سماحة العبد سببا لسماحة الله له ومغفرته له ذنوبه وفوزه بأعظم خير الدارين؛ وأصل ديننا السماحة، فالإسلام دين سماحة ويسر ورفع للحرج في تكاليفه وفرائضه وأوامره، لا يفرض على الناس شيئا فوق طاقتهم، ولا يكلفهم بما لا يستطاع.

هذا، ولا تنقطع مجالات التسامح في الإسلام، فتسامح مع المخطئين، وتسامح مع أسرى الحرب، وتسامح حتى مع الحيوانات... ويزداد الأمر حسنا عندما يكون هذا التسامح بين أبناء الوطن الواحد، والمدينة الواحدة، وتضيق الدائرة حتى تصل إلى الأسرة الواحدة؛ فالسماحة والمساهلة والتيسير على خلق الله -عز وجل- سبب في عفو الله عن العبد وتجاوزه عنه.



مجلة كويتية جامعة

الوعي الإسلامي

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٧٠٠/ محرم ١٤٤٥ هـ
العام الواحد والستون
يوليو ٢٠٢٣م

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٢٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٢٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي – ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ – ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)



• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ – فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ – ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ – فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ – فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ – فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND





تعبير وتسامح

حرية التعبير حق أساسي يضمن للأفراد القدرة على التعبير عن آرائهم وأفكارهم بحرية دون قيود. ومع ذلك، يجب أن يكون لهذا الحق حدود وضوابط، حيث لا ينبغي أن يؤدي إلى التحريض على العنف، الكراهية، أو الاعتداء على حقوق الآخرين.

وحرق مقدسات الآخرين، مثل حرق نسخة من القرآن الكريم أو أي نص ديني مقدس، يعتبر تصرفا مسيئا لا يحترم مشاعر المؤمنين بهذه الديانات. إنه ينتهك حقهم في العبادة ويسيء إلى قيمهم ومعتقداتهم. على الرغم من أن البعض قد يرون أن هذا يدخل ضمن حرية التعبير، فإنه من المهم أن نتذكر أن حرية التعبير ليست بمعزل عن المسؤولية الاجتماعية.

من جهة أخرى، التسامح قيمة مهمة يجب أن تكون جزءا من مجتمعاتنا. ومع ذلك، ليس من المعقول أن نطالب بالتسامح مع أفعال تنتهك كرامة الآخرين وتسبب لهم آلاما نفسية. إن الاعتذار والتعهد بعدم تكرار تلك الأفعال هو أقل ما يمكن القبول به.

كما إن الحوار المفتوح والاحترام المتبادل بين الأفراد من مختلف الثقافات والديانات هو الطريقة الأكثر بناء لتحقيق فهم متبادل وتعايش سلمي.

إن حرية التعبير تتضافر مع مسؤولية، ويجب أن تتم ممارستها بحذر مع احترام للآخرين وحقوقهم.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير . للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. أحمد راشد إبراهيم راشد
مدرس البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن



التوجيه البلاغي لاقتران الأسماء الحسنى

المتأمل في كتاب الله تعالى يعلم أن كثيرا من الآيات الكريمة مختومة باسم من أسمائه الحسنى سبحانه، وأحيانا تكون الآية مختومة باسمين من الأسماء الحسنى، وهذا الأمر كذلك موجود في الأحاديث النبوية، إلا أننا هنا سنقصر دراستنا على نماذج من الآيات القرآنية التي ختمت باقتران اسمين ببعضهما مثل: «العزيز الحكيم»، و«الغني الحميد»، و«العزيز الرحيم»، و«العزيز العليم»، و«السميع العليم»، و«التواب الرحيم»، و«الغفور الرحيم»، و«واسع عليم»، و«السميع البصير»، و«الغني الحميد»، و«الخبير البصير»، و«العفو الغفور»، و«الغني الكريم»، و«اللطيف الخبير»، و«الشكور الحليم»، و«الفتاح العليم»، ومن تأمل القرآن وجد أمثلة هذا الاقتران كثيرة جدا في الكتاب العزيز.

هذا، وقد صرف بعض العلماء جهدهم في دراسة أسماء الله تعالى وبيان معانيها، وهذا مبثوث في كتب التفاسير واللغة؛ إلا أنهم لم يفردوا دراسة اقتران الأسماء الحسنى بباب خاص، فنرى المفسرين[1] يقررون تفسير الآية مشيرين إلى معاني الكلمات الواردة فيها ومن بينها الأسماء الحسنى التي تختم بها الآيات، من غير تخصيص لبيان الفائدة البلاغية المرجوة من اقتران هذه الأسماء ببعضها.

وإذا كانت البلاغة العربية متمثلة في علومها الثلاث تبحث في الوجوه التي يصير بها الكلام بليغا بمفرداته وتراكيبه، فإن البحث في مناسبة اقتران الأسماء الحسنى ببعضها في فواصل الآيات ومناسبتها للآية المذكورة فيها يندرج في إطار عمل البلاغة العربية وعلومها من حيث إنها «مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال»[2]، فإذا ختمت الآية الكريمة باقتران اسمين من الأسماء الحسنى ففي هذا دليل على مناسبة اقترانهما ببعض للآية

التي ذكرا فيها وتعلقهما بالحكم الذي تشتمل عليه الآية، وسنرى هذا فيما يلي من النماذج القرآنية التي هي محل هذه الدراسة.

أولا: العليم الحكيم

اقترن الاسمان الكريمان في ختام قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة:٣٢)، والذي هو «خبر من الله جل ذكره عن ملائكته، بالأوبة إليه، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتبريهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئا إلا ما علمه تعالى ذكره»[٣]، فما دلالة كل من الاسمين؟ وما وجه بلاغة مناسبتهما للآية الكريمة؟ والجواب عن هذا على النحو التالي:

أما العليم: «فهو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، والآدميون –وإن كانوا يوصفون بالعلم– فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله –سبحانه– علم حقيقة»[٤].

وأما الحكيم: «فهو المحكم لخلق الأشياء. ومعنى الإحكام لخلق الأشياء، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها»[٥].

هذا عن دلالة الاسمين الكريمين، وأما عن وجه مناسبتهما للآية الكريمة وبلاغتهما؛ فالمتأمل في سياق الآيات يعلم أن الآية الكريمة محل الدراسة كانت قولا للملائكة عند مراجعتهم لربهم تبارك وتعالى عندما أخبرهم بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وكونه تعالى سيجعل في الأرض خليفة يلزم منه أن يكون سبحانه عليما بأحوال هذا المخلوق، واضعا إياه في موضعه المناسب، «فلما خلق آدم وعلمه أسماء كل شيء مما جعله الله له وبين يديه، وعجزت الملائكة عن معرفتها وأنبأهم آدم بها:﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فاعترفوا لله بسعة العلم، وكمال الحكمة، وأنهم مخطئون في مراجعتهم ربهم في استخلافه آدم في الأرض التي خلقت له وهيئت لنزوله»[٦].

وإذا كان الأمر كذلك فإن ختم الآية الكريمة بهذين الاسمين الكريمين فيه من تمام المناسبة والبلاغة ما يطابق حال الملائكة ومراجعتهم لربهم تبارك وتعالى، وما يستلزمه خلق الله لآدم وذريته من علم وحكمة.

ووجه آخر من وجوه بلاغة المناسبة وهو أن اقتران الاسمين فيه دلالة على كمال الرب تبارك وتعالى، وفيه تمجيد له سبحانه، وذلك باعتبار أن العليم يتضمن كمال العلم، والحكيم يتضمن كمال الحكمة.

والوجه الثالث من هذه الوجوه هو أن اجتماع الاسمين فيه دلالة على كمال آخر وهو أن علمه سبحانه وتعالى مقرون بالحكمة، وليس علما فحسب، فمن من البشر من قد يكون صاحب علم، لكنه لا يملك حكمة في بيان هذا العلم أو الانتفاع به على الوجه الصحيح.

ثانيا: العزيز الحكيم

يقترن هذان الاسمان في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(البقرة: ١٢٩)، وإذا كنا قد بينا دلالة اسم الله (الحكيم) فإننا هنا سنبين دلالة اسمه سبحانه العزيز؛ سعيا إلى معرفة الأوجه البلاغية في اقتران الاسمين الكريمين في ختام هذه الآية.

«والعزيز: هو المنيع الذي لا يغلب. والعز في كلام العرب على ثلاثة أوجه. أحدها: بمعنى الغلبة، والثاني: بمعنى الشدة والقوة. يقال منه: عز يعز –بفتح العين– من «يعز» والوجه الثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر. يقال منه: عز الشيء يعز –بكسر العين– من يعز، فيتأول معنى العزيز على هذا، أنه الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له، ولا نظير. والله أعلم»[٧]، وثلاثة المعاني هذه التي وردت في بيان معنى العزيز كلها حقيقة في ذات الله تعالى فهي عزة كاملة تامة لا نقص فيها.

والمتأمل في الآية الكريمة وفي دعاء الخليل وابنه عليهما السلام وختمهما الدعاء بالاسمين الكريمين يخلص إلى أنهما يقولان: «كما أن بعثك لهذا الرسول فيه الرحمة السابغة، ففيه تمام عزة الله وكمال حكمته، فإنه ليس من حكمة أحكم الحاكمين أن يترك الخلق سدى عبثا، لا يرسل إليهم رسولا، فحقق الله حكمته ببعثه، كما حقق حكمته لئلا يكون للناس على الله حجة، والأمور كلها: قدريها وشرعيها، لا تقوم إلا بعزة الله، ونفوذ حكمه»[٨]، فإذا كان قولهما عليهما السلام: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: العزيز الذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كل شيء،

الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ بحكمته وعدله»[٩] فهذا فيه تمام مناسبة الاسمين لما ورد في الآية الكريمة من إرسال رسول إليهم؛ لأن إرسال الرسول يتطلب المنعة والشدة والقوة وعلو قدر الرب تبارك وتعالى الذي يبعث هذا الرسول، كما أن إرسال هذا الرسول بحاجة إلى حكمة، فلا بد أن يكون الرسول من جنس من يرسل إليهم، ويتكلم بلسانهم؛ حتى يتمكن من إبلاغهم الرسالة التي يأتيهم بها، ولا يمكن لأحد أن يخلق لهذا الرسول هذه الصفات إلا ربه تبارك وتعالى العزيز بعزة كاملة يعز بها رسوله، الحكيم بحكمة تامة يضع بها الأشياء في مواضعها، ويرزق بها نبيه المرسل لهداية الناس.

وعليه، فإن ختم الآية الكريمة بهذين الاسمين فيه من تمام المناسبة والبلاغة ما يطابق حال دعاء الخليل وابنه عليهما السلام بقولهما: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ إذ إنه لا يملك بعث رسول من أنفس المبعوث فيهم، وتكليفه بتلاوة الآيات عليهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة، لا يملك هذه كله إلا الرب العزيز الحكيم سبحانه الذي له معاني العزة والحكمة.

ومن ناحية أخرى فإن اقتران الاسمين في ختام الآية فيه تنبيه إلى كمال عزة الله وحكمته، وكلاهما يدل على كمال الرب تبارك وتعالى.

ومن ناحية ثالثة فإن اقتران الاسمين فيه كمال آخر للرب تعالى، فعزته سبحانه مقرونة بالحكمة، «فعزته لا تقتضي ظلما وجورا وسوء فعل كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيئ التصرف، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل»[١٠].

وبمثل هذا التوجيه يمكن القول في اقتران الاسمين الكريمين في قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة: ٢٠٩) فالمعنى هنا «فإذا عرفتم عزته وهي قهره وغلبته وقوته وامتناعه، وعرفتم حكمته –وهي وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها محالها- أوجب لكم ذلك الخوف من البقاء على ذنوبكم وزللكم، لأن من حكمته معاقبة من يستحق العقوبة: وهو المصر على الذنب مع علمه، وأنه ليس لكم امتناع عليه، ولا خروج عن حكمه وجزائه، لكمال قهره وعزته»[١١].

وبالتوجيه نفسه يمكن القول في اقتران الاسمين في بيان عقوبة السارق في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (المائدة:٣٨) «فإنه سبحانه «عزيز حكيم» في انتقامه من هذا السارق والسارقة وغيرهما من أهل معاصيه، «حكيم» في حكمه فيهم وقضائه عليهم»[١٢]. فالعزة والقوة والمنعة مقرونة بالحكمة في هذا الحكم الذي به يرتدع كل من تسول له نفسه أن يسرق أو يفكر في السرقة.

ثالثا: العزيز العليم

وقد ورد اقتران هذين الاسمين في القرآن الكريم مرات عديدة في سياق الكلام عن خلق الليل والنهار والشمس والقمر، ومنها قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ (الأنعام:٩٦)، فقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ يعني أن «الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيء، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وكثيرا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر، يختم الكلام بالعزة والعلم، كما ذكر في هذه الآية»[١٣].

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ (يس: ٣٧)، وقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ (فصلت:١٢).

والناظر في الآيتين السابقتين يعلم أن الجمع بين الاسمين يفيد «أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزة الله وعلمه، وليس أمرا اتفاقيا لا يمدح به فاعله ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية»[١٤].

وأما عن وجوه البلاغة في اقتران الاسمين فأولها: مطابقة الاسمين لما دلت عليه الآية تمام المطابقة، فالذي يخلق هذه الأجرام العظيمة ويتحكم في أمرها ويدبر سيرها هو العزيز الذي لا يمانع في شيء أراده أو خلقه، العليم بما يقع في هذه الأجرام وغيرها من الأجرام الكونية العلوية والسفلية.

والثاني هو دلالة العزيز على تمام العزة وكمالها ودلالة العليم على تمام العلم وكماله، وكلاهما دال على كمال الرب تعالى في أسمائه وصفاته التي تتضمنها هذه الأسماء.

والوجه الثالث هو كمال آخر في حق

الله تعالى؛ لأن اقتران العزيز بالعليم فيه إشارة إلى أن عزته سبحانه مقرونة بالعلم، فقوته سبحانه ومنعته وغلبته صادرة عن علمه بأحوال خلقه وكونه وتسيير أمورها كما يقتضيه علمه سبحانه وتعالى.

رابعا: العزيز الرحيم

كثر اقتران هذين الاسمين في ختم قصص الأنبياء مع أممهم التي أرسلوا إليها، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء: ٩)، وقد وقعت بعد عدة آيات فيها تسلية للنبي ﷺ في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار وذلك في بداية سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ (الشعراء: ١ ـ ٨) فبعدما انتهت هذه التسلية بين الله تعالى أنه هو العزيز الرحيم فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: الذي عز كل شيء وقهره وغلبه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: بخلقه، فلا يعجل على من عصاه، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر».[15].

وأما اقتران الاسمين هنا ففيه من البلاغة وتمام المناسبة وجوه؛ أولها: مطابقة الاسمين لدلالات الآيات السابقة ومعناها، فإذا كانت هذه الأمم المعاندة لرسلهم قد كذبت بآيات الله فإن ما قدره سبحانه لهم من الخذلان والهلاك والعذاب من آثار عزته ومنعته عزوجل، وما قدره سبحانه لرسله من النصر والتأييد فمن آثار رحمته تبارك وتعالى.

وثانيها: أن كل اسم من الاسمين يتضمن كمالا تاما لصفته، فالعزة تامة، والرحمة تامة مثلها، غير أنها خاصة للمؤمنين.

وثالثها: أن اقتران الاسمين يفيد تمام الكمال في حقه تعالى، فالعزة هنا مقرونة بالرحمة؛ لبيان ما يستحقه كل طرف من الطرفين، فما أصاب المعاندين لرسلهم من الخذلان إنما هو بعزة الله تعالى، وما نزل على الأنبياء وأتباعهم المؤمنين بهم من رحمة ونصر وتأييد فمن آثار رحمة الله تعالى؛ لأن «الرحيم خاص للمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ (الأحزاب: ٤٣)،»[16]، وبهذا الاقتران يتضح أن عزة الله تعالى في عقوبته للمعاندين تقابلها رحمته تعالى بالأنبياء والمؤمنين.

ورابعها: أن المتأمل في اقتران الاسمين يرى تقديم العزيز على الرحيم، وهذا فيه بيان ظهور الحق وانتصاره دائما، فلا بد من بداية من انهزام الباطل وخذلانه؛ ليتبين الحق وأهله، ولتكون لهم الغلبة والنصرة أبدا.

وخامسها: أن اقتران الاسمين فيه بيان تمام عدل الله ورحمته كل فيما يخصه، وكل في أهله وفيمن يستحقه، وبيان أن الرحمة هي الغالبة دائما فقد انتهت الآية بالرحيم؛ حتى يبقى القلب متعلقا بها، ومؤملا في نيلها، وراغبا فيها، ولتفتح الباب واسعا أمام المعاندين للرجوع إلى الله وعدم التمادي في كفرهم وعنادهم لرسلهم.

الهوامش

١- ينظر في هذا: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، (ط١)، مؤسسة الرسالة (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م). والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٥٣٨هـ)، (ط٣)، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٧هـ). ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، (ط٣)، دار إحياء التراث العربي بيروت، (١٤٢٠هـ)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق احمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٣٨٤هـ. ١٩٦٤م). وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (ط٢)، دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م). والتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(١٣٩٣هـ)، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م).

٢- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٧٣٩هـ)، تحقي محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣)، دار الجيل، بيروت،(١/ ٤٤).

٣- تفسير الطبري، (٤٩٣/١).

٤- شأن الدعاء، أبو سليمان الخطابي(٣٨٨هـ)، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، (ط٣)، دار الثقافة العربية، (١٤١٢هـ، ١٤٩٢م)، (ص٥٧).

٥- شأن الدعاء، (ص٧٣).

٦- القواعد الحسان لتفسير القرآن، الشيخ/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (ت١٣٦٧هـ)، (ط١)، مكتبة الرشد الرياض، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، (ص٥٥).

٧- شأن الدعاء، (ص٤٨).

٨- القواعد الحسان، (ص٥٦).

٩- تفسير القرآن العظيم، (٤٤٥/١).

١٠- فقه الأسماء الحسنى، د.عبد الرزاق بن عبدالمحسن البدر، (ط١)، دار التوحيد للنشر، الرياض، (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، (ص٤١).

١١- القواعد الحسان، (ص٥٦).

١٢- تفسير الطبري، ٢٩٨/١٠.

١٣- تفسير القرآن العظيم، (٣ /٣٠٥).

١٤- فقه الأسماء الحسنى، (ص٤٢).

١٥- تفسير القرآن العظيم، (٦/ ١٣٦).

١٦- شأن الدعاء، (٣٨).

د. حمدي طنطاوي محمد
باحث أكاديمي



هدي النبي ﷺ في معاملة من آذاه

أذية النبي ﷺ ليست كأي أذية، بل أذية قد يراد بها دعوته ورسالته وإقامة دينه، والنبي ﷺ أوذي في أهله وفي نفسه وفي دينه، فكان ﷺ مرة يصبر، ومرة يدعو على من آذاه، ومرة يدعو الله لهم، لكنه ﷺ ما رمى الأذى بالأذى ولا خالط لسانه الفحش قط، بل كان غاية ما في نفسه ﷺ إسعاد من حوله بدين الله، وتربية أصحابه على الفضيلة، وإرساء قواعد الصبر والإحسان والتغافل بين الناس؛ لبناء دولة مسلمة تبلغ عنه دين الله، وتقيم فيما بينها شريعة الله، وتلقى الله على منهجه وطاعته وبره وإحسانه ﷺ، كان النبي ﷺ يرسي منهجا ويرسخ عقيدة، فكان يسامح مرة ويعفو مرة ويعاقب مرة، أما وإن مات النبي ﷺ فحقه محفوظ وكرامته مصونة وعرضه غال، فلا عفو إلا بعد توبة واستتابة، فإن تاب وإلا قتل[1].

عقوبة ولي الأمر لمن سب النبي ﷺ

عن ابن عباس: «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه،

فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فأخذ المعول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس فقال: «أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام». فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المعول فوضعته في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر»[٢]، ومعنى هدر، أي: باطل. ومن فوائد الحديث فقه الصحابة رضي الله عنهم وحبهم لرسول الله ﷺ وإخلاصهم له وتقديمه على خاصة أهلهم وأنفسهم، ومنه أن سب النبي ﷺ ردة وجب فيها إقامة الحد، وفيه علمه ﷺ بأحوال الرعية وحرصه على نشر الأمن ومنع الظلم بين الناس، وفيه حسن كلامه وتلطفه في مواقع الشدة والقسوة، وفيه صدق الصحابة وتحملهم المسؤولية وكثرة عملهم وقلة كلامهم وتقديمهم العذر وتعريفهم السبب؛ لأنه هو مقصد الكلام ومنتهى السؤال، وفيه أن ردة المرء وكراهيته لرسول الله ﷺ لا تمنع من رحمة المرأة بزوجها أو الزوج بزوجته، وأن الابن الحسن أو الأبناء الحسان لا يمنع أن يكونوا من أم أو أب عاق، وأن الرجل في بيته ولي أمر يجوز له إقامة الحد على من وليهم.

جواز انتداب ولي الأمر أحد الرعية لإقامة الحد

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟ فقام محمد ابن مسلمة فقال: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: نعم، قال: فأذن لي أن أقول شيئا، قال: نعم، فأتاه، فقال: إن هذا الرجل قد سألنا الصدقة، وقد عنانا[٣]، قال: وأيضا لتملنه، قال: اتبعناه، فنحن نكره أن ندعه، حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين، قال كعب: أي شيء ترهنوني؟ قال: وما تريد منا؟ قال: نساءكم، قالوا: سبحان الله! أنت أجمل العرب نرهنك نساءنا؟ فيكون ذلك عارا علينا، قال: فترهنوني أولادكم، قالوا: سبحان الله! يسب ابن أحدنا، فيقال: رهنت بوسق أو وسقين، قالوا: نرهنك اللأمة (يعني: السلاح)، قال: نعم. فلما أتاه ناداه، فخرج إليه وهو متطيب ينضح رأسه، فلما أن جلس إليه - وقد كان جاء معه بنفر ثلاثة أو أربعة - فذكروا له، قال: عندي فلانة، وهي أعطر نساء الناس، قال: تأذن لي فأشم؟ قال: نعم، فأدخل يده في رأسه فشمه، قال: أعود؟ قال: نعم، فأدخل يده في رأسه، فلما استمكن منه، قال: دونكم، فضربوه حتى قتلوه»[٤]. وكان كعب بن الأشرف يعادي النبي ﷺ ويحرض المشركين على قتله، ويشبب بنساء المسلمين[٥]. ومن فوائد الحديث جواز ندب ولي الأمر أحد الرعية لإقامة الحد عليه، وفيه فضيلة عدم تعيين المندوب ابتداء وجعل الأمر خيرة بين الناس، وفيه تثبت المندوب من نية ولي الأمر، وفقه الصحابي لتعيينه النية، وفيه حضور ذهنه واحتياجه لإذن ولي الأمر في سعة التصرف، وفيه جواز عدم تسمية المسألة المأذون فيها وعدم علم ولي الأمر عما أذن فيه إذا كان يعلم حال المأذون له وصلاح دينه، وفيه جواز الحيلة على العدو، وحب العربي للطيب واستخدامه له في غالب أوقاته وفخره بزوجته وتعيين ما تفضلت به على سائر الناس.

دعاء النبي ﷺ على من آذاه

وكان لهب بن أبي لهب يسب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: اللهم سلط عليه كلبك[٦]. فكان النبي ﷺ يدعو على من سبه متى رأى أنه مستحق للعقوبة.

تغافل النبي ﷺ عمن آذاه

كان كفار قريش من شدة كراهتهم للنبي يقلبون اسمه ويسمونه مذمما، وكانت العوراء زوجة أبي لهب تقول:

مذمما قلينا ودينه أبينا وأمره

عصينا[٧].

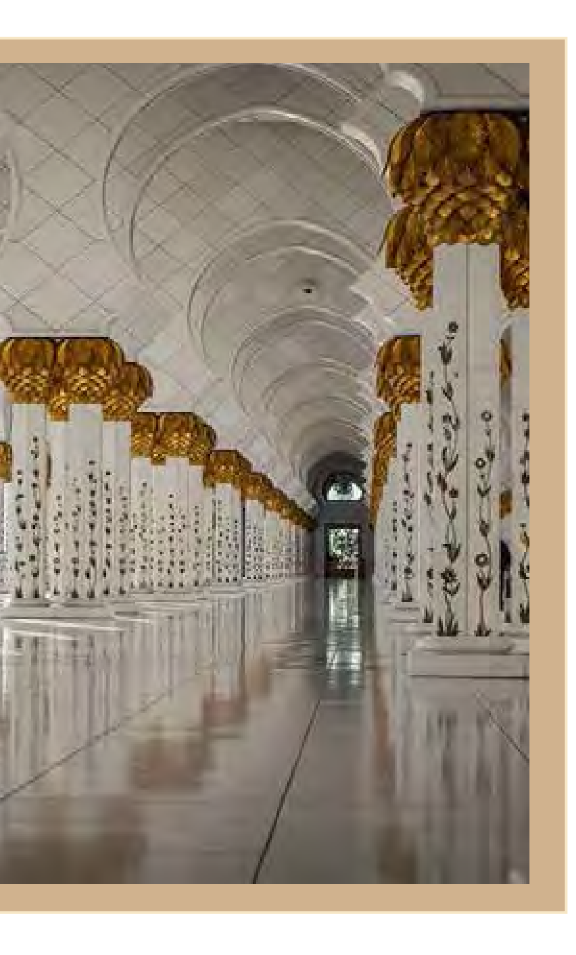
ومذمم اسم مفعول من التذميم بمعنى مذموم، والنبي ﷺ يعلم قصدهم وتعريضهم به لكنه ﷺ كان يتغافل عنهم ويعرض عن إساءتهم وكان يقول لأصحابه: «ألا تعجبون كيف يصرف اللّه عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد»[٨].

وكانوا بين الحين والآخر يرمون التهم على رسول اللّه ﷺ؛ للنيل منه، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ ﴾ (التوبة:٦١)، ويعنون بقولهم أذن: أنه ﷺ يسمع من كل أحد ويصدق كل ما يسمع، وأنهم إذا قالوا قولا وجاءوا له وحلفوا أنهم ما قالوا، صدقهم ﷺ، ولذلك لما قال لرجل منهم: «علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال: «ادعهم» فدعاهم فجعلوا يحلفون باللّه ما قالوا، وما فعلوا حتى تجاوز عنهم»[٩]، والنبي ﷺ كان يعلم قولهم ولا يخفى عليه حالهم وأنهم كانوا معروفين معينين، ليس للنبي ﷺ وحده، بل إن صحابة النبي ﷺ كانوا يعرفونهم ومع ذلك لم يعاقبهم ﷺ وإن كانت جريرتهم تستحق العقوبة بدليل قوله تعالى عقب هذه الآية: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (التوبة:٦٣)، لكنه ﷺ لم يعف عنهم عفوا مطلقا بل عفو مقيد بقوله: «معاذ اللّه أن تتسامع الأمم أن محمدا يقتل أصحابه» نصيحة نصحها النبي لعمر بن الخطاب يوم أن قال له رجل: «اعدل يا محمد» فذكر له علة ترك العقوبة وأنبأه بأن القادم أسوأ وهو مروقهم من دين اللّه تعالى فقال: «إن هذا وأصحابا له يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق المرماة من الرمية»[١٠]، فإذا أظهروا رأيهم ونصبوا للقتال فقتالهم حينئذ واجب، بل بشر النبي ﷺ من قتلهم أو قتلوه بالجنة فقال: «طوبى لمن قتلهم أو قتلوه»[١١].

أما وإن رأيهم لم يظهر بعد، وأنهم يعملون في الخفاء دون أن يطلع عليهم أحد فإن رسول اللّه ﷺ يرى أن بناء دولة وتأخر عقوبة خير من عقوبة عاجلة ودولة مفككة؛ «لأن قتل من يظهر عند الناس العبادة والصلاح قبل استحكام أمر الإسلام ورسوخه في قلوب الأبعدين منفر لهم عن الدخول في الإسلام»[١٢]. وقوله ﷺ: «إن هذا وأصحابا له» من قبيل الإخبار لا من قبيل تقرير العلة.

شغله ﷺ بالعبادة عن أذية الناس

ثم إنهم اتهموه بالجنون والسحر والكذب وكانوا لا يدعون فرصة يتهكمون بها عليه إلا تهكموا عليه ﷺ قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ (الحجر:٦)، وقال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ (ص:٤)، والنبي ﷺ سيد العقلاء يعرض عن أذيتهم ويترك



إساءتهم عاملا بوصية ربه سبحانه وتعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ (المزمل:١٠)، فكان يصبر على أذاهم وكان يدارهم فلا يتعرض لهم بأذية ولا عتاب، ولكنه ﷺ بشر وكان ربما اشتد عليه شتم المشركين وأذيتهم فكان مع الصبر يفزع إلى التسبيح والعبادة عاملا بكلام اللّه تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩ ﴾ (الحجر:٩٧-٩٩)

أي: إذا تأذيت بسماع السوء منهم، فافزع إلى اللّه فيما نابك وضاق منه صدرك بالتسبيح والتحميد. وكن من الساجدين المصلين، يكفك، ويكشف الغم عنك، فكان ﷺ إذا



حزبه أمر فزع إلى الصلاة[١٣].

رجحان عقله وفضله ﷺ وتلطفه بأصحاب المعاصي ومقابلته الإساءة بالإحسان

لما سألت عائشة، رضي الله عنها، النبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الاخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا[١٤].

من فوائد الحديث وقوف علم بعض الصحابة على أن أشد بلاء وقع فيه النبي ﷺ كان يوم أحد، وأن أمورا من البلاء والأذى وقع فيها النبي ﷺ خفيت عن خاصة أهله، ومنه جواز تعيين اسم من كان سببا في الهم والأوجاع والأذى إذا كان هذا على سبيل الإخبار، وكان النبي ﷺ عرض نفسه على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فرده أقبح رد، فطلب منه النبي ﷺ أن يكتم أمره فحرض عليه سفهاء قومه حتى رضخوه بالحجارة فأدموا رجليه ﷺ[١٥]. ومن فوائده أن الملك لله تعالى وأن لكل جزء منه ملكا يقوم به ولا يتصرف فيه إلا بإذنه سبحانه وتعالى، ومنه سعة رحمة النبي ﷺ بأصحاب المعاصي وتقديمه بقاء شرك متحقق لأجل توحيد متوقع.

الهوامش

١ـ انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ص:٥٤٧، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

٢ ـ سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ٤/ ١٢٩/ ٤٣٦١، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٣ ـ عنانا: من العناء وهو التعب، أي: أتعبنا، انظر: التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي، ٢٥٢٦/٦، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤ـ سنن النسائي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ٨٧/٣/ ٢٧٦٨ المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، والحديث عند البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ١٤٢/٣/ ٢٥١٠ دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥ ـ التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ١١٦/١٦/ ٢٥١٠، دار النوادر، دمشق - سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، شرح سنن أبي داود لشهاب الدين الرملي، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، ١٣/ ٢٢ ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٦ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ٢/٥٨٨/ ٣٩٨٤، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٧ ـ الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ٦/ ٣٦٧/ دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٨ ـ صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ١٨٥/٤/٣٥٢٣، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩ـ المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ١٢/ ١٢٣٠٧/ ١٢٣٠٧، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.

١٠ ـ مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١١ ـ سنن أبي داود، ٢٤٣/٤/ ٤٧٦٥.

١٢ ـ التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣١/ ٥٧٤.

١٣ ـ بذل المجهود في حل سنن أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، ٥/ ٣٢٩، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦م.

١٤ـ صحيح البخاري، ١١٥/٤/ ٣٢٣١.

١٥ ـ انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري، ٣٢٧/١٩، دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.



محمد ثابت توفيق
كاتب وأديب وناقد مصري



انتفاضة الأمة للقرآن

فوجئ المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها صبيحة عيد الأضحى المبارك الأخير (١٠ من ذي الحجة ١٤٤٤هـ ٢٨ من يونيو ٢٠٢٣م) بسماح السلطات السويدية لمجموعة من المتطرفين بمحاولة للإساءة لكتاب الله تعالى «القرآن الكريم»، وعلى إثر انتشار المقطع المصور للواقعة المؤسفة استنكرها كتاب، ونددت بعض الدول الإسلامية لأعلى مستوى وسحبت السفير أخرى، وزاد مسلمون بأن «الفعل القبيح» لم يكن متوقعا ببداية أحد أيام أعياد المسلمين ومرافقته لوقوف عشرات الآلاف منهم بمكة أداء لشعيرة الحج المقدسة، وأن الأمر إهانة قوية مباشرة لسويداء القلب من أكثر من ألفي مليون، أو ملياري مسلم يمثلون نحو ربع سكان هذا العالم، وفي المقابل صمتت السلطات تماما، وإن كان من المتوقع تقديمها اعتذارا «باردا» بعد فترة ما اضطرت للأمر للمحافظة على بعض مصالحها «الرسمية» مع الدول العربية والإسلامية.

هل هي إساءة؟

نعرف جيدا ونلمس عبر تعاملاتنا مع الغرب أنه يكيل بأكثر من مكيال، ويخصنا بأسوئها مع الأسف الشديد، وإلا فهل تستطيع دولة ذات أغلبية أو غيرها الإقدام على حرق كتاب يدين الغرب له بالفضل؟ أم إن الأخير سيقيم الدنيا ولن يقعدها حينها؟ أم إن المسلمين يترفعون عن مثل هذه الأفعال الدنئية مصداقا لتعاليم رب العزة؟ من مثل قوله عزوجل: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾(الأعراف:١٩٩)، لكن ماذا لما يقابل الغرب هذا الترفع الإسلامي بفعل كهذا وبإذن رسمي من دولة لها مصالح وتجارة وعلاقات مع المسلمين ودولهم؟
نجيب بإذن الله على هذه الأسئلة خاصة السؤال الأخير لكن بعد وقفة للإجابة عن سؤال بدهي يقودنا إليها: هل حرق نسخة من كتاب الله يسمى إساءة؟ خاصة وأن لدينا إطارا مقدسا مرجعيا تأسيسيا من قول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ

﴿لَحَٰفِظُونَ﴾(الحجر:٩)؟ وبدهي أن من حفظ الله لكتابه عدم تحريفه أو الإساءة إليه، وما فعله أولاء الجهلاء ما هو إلا محاولة من جانبهم لإغاظة المسلمين في يوم فرح لهم ينتظرونه من العام للآخر، وبالتالي فإن محاولات الإساءة المتكررة سواء للرسول العظيم ﷺ؛ أو للقرآن الكريم المنزل عليه لا تمسهما، وإن تعددت وتكررت، بل لا تتعرض لهما من الأساس، وإنما هي محاولات فاشلة خائبة بالأكثر تصب في منزلة المكايدة الحضارية والسياسية، ولعلنا نحن المسلمين لا نحسن التعبير في هذه المواجهة، فحتى توصيف مثل هذه الأفعال نلحقه مباشرة برسولنا العظيم أو «القرآن الكريم»، وكأن أولاء الموتورين نجحوا والعياذ بالله في مساعيهم التافهة الحقيرة.

سبب تكرار المحاولة

● إذن فلماذا يحاول الغرب تكرار محاولات الإساءة لديننا الحنيف ومقدساتنا المعظمة؟

- إننا نمعن في قراءة الأمر كلما حدث على وجهه الظاهري الذي يستوجب منا استنكارا وشجبا وتنديدا؛ ثم انصرافا من جانبنا ونسيانا وعودة لما اعتدناه من سابق حياة، ثم نفاجأ مجددا بتكرار مثل هذه الأفعال لا قدر الله فلا نملك إلا أن نعيد الكرة، وهلم جرا، ولو أننا أحسنَّا النظر وتروينا ودرينا لفهمنا السبب المباشر لهذه الأفعال وغيَّرنا ما بأنفسنا حتى لا يمكِّن الله الآخر من مثل هذه الأفعال والمحاولات التي لا تسر، وتدبرنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الرعد:١١).

إننا كثر كمسلمين في عالم اليوم ولكننا غير مؤثرين فيه للأسف الشديد، تلفنا الفرقة على المستوى العام مصداقا لقول رسولنا العظيم: عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال ﷺ: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدانيا، وكراهية الموت». رواه الترمذي.

إن كل مسلم غيور على دينه وكتاب ربه ورسوله ليستشعر الأسى الشديد من تكرار مثل هذه المحاولات العبثية، وتذرُّع الغرب الزائف بالحرية الكاذبة محاولا النيل من مقدساتنا التي حفظها الله وحماها، ولكن هذه الأفعال الخائبة الواهنة تشير إلى ضعفنا وتشرذمنا وتفرقنا، كمسلمين نملك مقومات وحدة كلمة وقوة عقائدية واقتصادية كبرى، ومع هذا نظل في منطقة بعيدة عن سيادة العالم وإعادة بث النور والعدالة والطمأنينة بين جنباته، كما فعلت حضارتنا العربية الإسلامية لقرون، بل لا نستطيع اليوم إصمات كل محاول التعرض إلينا، ولكن السؤال الأهم والأوجه والأكثر مباشرة ومرارة:

● وماذا فعلنا نحن المسلمون بأنفسنا ليحترمنا الآخرون ويقروا لنا مجهوداتنا، ويبتعدوا عن مثل هذه الأفعال القميئة التي تسيئ لحضارتهم لكنها تسيئ إلينا؟

- إننا إذا ما تلفتنا أولا لتخصص كل منا وجدنا أنفسنا مقصرين في حق قدراتنا وإمكانياتنا قبل أمتنا ومحاولة إعادة وجه حضارتنا المشرق في وجه حضارة استهلاكية لا تحترم إلا المادة والاستهلاكية وتنبذ الضعفاء، بل إننا إذا قارنَّا درجة قدرتنا على إجادة الفعل وفق قول الله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة:١٥)، وقول الرسول العظيم ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنا الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» حسنه الألباني في صحيح الجامع.

يستشعر المرء الأسى الشديد لما يجد المسلمين لا يؤدون أعمالهم كما أمرهم الله تعالى ورسوله العظيم، ولو أنهم فعلوا لتبوأت وتولت أمتهم أعلى مكانة في العالم ولما استطاع الآخرون أن يحاولوا الإساءة إليهم، ولو أننا للأسف قارنَّا مجهوداتنا وقدراتنا الكبرى التي لا نستغلها بقدرات شركة تضم عددا من مواقع التواصل الاجتماعي التي تنقل لنا حدثا لا يسرنا كمحاولة الإساءة لكتاب الله لأخذتنا قشعريرة من تطوير الشركة لقدراتها كل عدة أيام، بحيث تبدو متجددة في اختلاف لون، أو تجديد إمكانية، أو إضافة خاصية، وتسهيل أخرى.

إننا بحاجة كبرى لأن نعود لبارئنا على المستوى الفردي فنقرر التوبة عن التقصير في أعمالنا والمهام الموكلة إلينا، بحيث نحسن من أعمالنا، نتقبل النصيحة المناسبة، وننبذ حتى على مستوى المصلحين عادة أن نحتفي بالموافقين لنا في الرأي، ونترك الآخرين. ويوم يوفقنا الله تعالى لإحسان أعمالنا وتجويدها والسهر عليها -إذا لزم الأمر- نكون وضعنا أقدامنا على الخطوات الأولى اللازمة لغدنا ومنعتنا الحضارية الرادعة لكل من تسول له نفسه التعرض لمقدساتنا، نسأل الله تعالى أن يمن علينا برؤية هذا اليوم على مستوى وطننا العربي الإسلامي عاجلا غير آجل بإذن الله.



عبدالله الظفيري
فهد الشمري



«فزعة كويتية» لنصرة المصحف الشريف

شهدت الكويت انتفاضة حكومية شعبية غاضبة تجاه جريمة حرق المصحف الشريف من قبل أحد المتطرفين في مملكة السويد.

ولم تقتصر «الفزعة الكويتية» لنصرة المقدسات الإسلامية على التصريحات الإعلامية وبيانات الإدانة والاستنكار وردود الفعل الغاضبة إزاء هذه الحادثة المستفزة والاعتداء المشين على المصحف الشريف، إنما كانت ثمة خطوات عملية تجاه نصرة الدين الإسلامي وكتاب الله الكريم.

فعلى الصعيد الحكومي كانت دولة الكويت سباقة في إدانة واستنكار هذا الفعل الخطير الذي يؤجج ويؤذي مشاعر المسلمين حول العالم. وقال وزير الخارجية الشيخ سالم الصباح، إن الحكومة ممثلة بوزارة الخارجية، اتخذت كل الخطوات الضرورية تجاه حرق المصحف الشريف في السويد.

وأضاف: «أصدرنا بيان شجب واستنكار لهذا الفعل، وقمت بالاتصال



صورة من الزميلة الأنباء



■ فايز الجمهور: لابد من وقفات من الدول العربية والإسلامية.. وتواطؤ الحكومة السويدية مع المتعدي على القرآن الكريم هو دعوة صريحة للعداء

■ فلاح الهاجري: القرآن الكريم يفوق بقيمته دساتير العالم مجتمعة ويجب طرد السفير السويدي وقطع العلاقات التجارية مع السويد

■ بدر نشمي: القضية ليست فقط توصيات بل أدعو وزارة الخارجية إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة في هذا الموضوع بدون مجاملة

■ محمد الرقيب: يجب إضافة فقرة إلى القانون رقم 21 لسنة 1964 بشأن مقاطعة الكيان الصهيوني تنص على مقاطعة أي دولة تسيء للدين

■ فهد بن جامع: نشكر وزير الخارجية على استدعاء السفيرة السويدية ويجب سنّ قوانين تمنع التعرض للدين الإسلامي والقبض على المعتدي

■ محمد المطير: نشكر توجه الحكومة وعلى رأسها رئيس الوزراء ووزير الخارجية تجاه قضية التعدي على القرآن الكريم كما يجب أن نشكر سمو ولي العهد

بوزير الخارجية السويدي، واستدعينا سفيرة السويد المحالة إلى الكويت من أبو ظبي، لتسليمها مذكرة احتجاج شديدة اللهجة، والخطوة الأخرى الواجب اتخاذها كعالم إسلامي، هي السعي لسن قوانين دولية تجرم الإساءة إلى كل الأديان السماوية».

وعلى صعيد مجلس الأمة فإنه أصدر بيانا أعرب فيه عن إدانته واستنكاره الشديدين لحرق نسخة من المصحف الشريف، واصفا ما حدث بأنه خطوة استفزازية جديدة من شأنها تأجيج مشاعر المسلمين حول العالم.

وعبر المجلس عن أسفه الشديد لتكرار مثل هذه الانتهاكات المسيئة للمقدسات الإسلامية تحت غطاء حرية الرأي والتعبير الزائفة.

ودعا مجلس الأمة حكومات الدول وبرلماناتها إلى ضرورة اعتماد مواقف رسمية وقانونية حاسمة لرفض هذه الإساءات المشينة، وتغليظ العقوبات ضد مرتكبيها، وتبني إجراءات فورية صارمة لمنع مثل هذه الأعمال الهمجية، وضمان عدم تكرارها مستقبلا، حيث إن تركها والسماح بها على الصورة المشاهدة الآن لن يؤديا إلا إلى زيادة التعصب والكراهية، وخلق بيئة متطرفة يصعب السيطرة عليها والتحكم بمآلاتها.

وفي موازاة هذه التحركات الرسمية والشعبية، قامت الكويت بطباعة ١٠٠ ألف نسخة من المصحف الشريف مترجمة إلى اللغة السويدية بناء على توجيهات رئيس مجلس الوزراء سمو الشيخ أحمد نواف الأحمد الصباح.

وقال رئيس الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما د. فهد الديحاني، إن الهيئة تلقت التكليف بمتابعة وزير الإعلام ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عبدالرحمن المطيري لتنفيذ التوجيهات والتنسيق مع وزارة الخارجية تمهيدا لتوزيعها في مملكة السويد، لافتا إلى أن هذه المبادرة تهدف إلى التأكيد على سماحة الدين الإسلامي ونشر المبادئ والقيم الإسلامية والتعايش الإيجابي بين البشر جميعا في جو يسوده المحبة والتسامح والسلام.

وفي حين سارع الكثيرون إلى مقاطعة المنتجات السويدية للتعبير عن رفضهم الإساءة إلى كتاب الله الكريم وعدم مراعاة قدسية هذا الكتاب واحترام مشاعر المسلمين، بادرت الجمعيات التعاونية والأسواق المركزية إلى وقف بيع السلع والبضائع السويدية. وأعلن اتحاد الجمعيات التعاونية الاستهلاكية عن حصر جميع التعاميم التي صدرت للجمعيات بجميع المنتجات السويدية والبالغ عددها ٢٥٩ منتجا تابعة لـ ٢٣ شركة، إذ سيتم التعميم للجمعيات التعاونية بهذه المنتجات حتى تتخذ الإجراء اللازم من جهتها.

أحمد عبدالمنعم عيد
كاتب وباحث



وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا

القرآن الكريم كتاب اللّٰه تعالى أنزله على رسوله ﷺ ناسخا لكل ما سبق من الكتب ومهيمنا عليها، وجعله اللّٰه تعالى هاديا ومرشدا للبشرية إلى أن يرث اللّٰه الأرض ومن عليها، ففي كل باب ترتجي فيه البشرية الهداية يكون القرآن وحده هو الذي يهدي إلى التي هي أقوم ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ (الإسراء:٩).

وجعل اللّٰه تعالى ذكر الأمة وشرفها في هذا القرآن إن حافظت عليه ودافعت عنه وأقامته في واقعها قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الزخرف:٤٣-٤٤).

ووصف اللّٰه تعالى القرآن بالروح فهو حياة قلوب المؤمنين: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ (الشورى:٥٢-٥٣).



ووصف
الله تعالى الناس
قبله بالموات وأهله بأنهم لا يستوون مع غيرهم قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:١٢٢).

وهو سلاح المؤمنين الماضي على أعدائهم الموجع لهم، والذي أمر الله رسوله أن يجاهد الكافرين به، فهو أمضى من أي سلاح، قال عز من قائل: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٢).

وأعداء المسلمين يعلمون علم اليقين أن القرآن الكريم هو سلاح المسلمين الماضي، وأنه أقوى من أي قوة تزيت الباطل، واستساغت الكفر ورضيته منهجا وطريقا، ويفهمون تمام الفهم معنى ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾، وأن الأمة متى تمسكت بهذا الكتاب فستكون لها الغلبة، فكان همهم الأول محاولة تشويه القرآن الكريم والطعن فيه كما قال المبشر تاكلي: «يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماما، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا»[١]، وفي الجزائر كانت تعمل فرنسا على مسح هوية الجزائريين، واستخدموا كل الوسائل على رأسها المذابح، وكان الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول بمناسبة مرور مئة عام على احتلالها: «يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم... ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم»[٢].

لكن الحاكم هذا
خاب سعيه فقد علم أنه مهما فعل فلن يستطيع تغيير هوية أمة اعتصمت بكتاب الله، فقد قامت فرنسا بتجربة عملية قامت فيها بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماما.

وبعد أحد عشر عاما من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون... ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري.

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مئة وثمانية وعشرين عاما؟!»[٣].

أجاب لاكوست، وزير المستعمرات الفرنسي: «وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!»[٤].

القرآن أقوى من فرنسا، هذه هي الحقيقة التي يعترف بها كل من عادى الإسلام أن القرآن هو سر قوة المسلمين، وهو المحرك لهم، وما دام المسلمون متمسكين به فلن نستطيع أن نفرض الحضارة الغربية، بل لن تكون الحضارة الغربية نفسها في أمان في ظل وجود القرآن، وهذا التفكير ليس بتفكير العوام لنقلل من شأنه، بل تفكير الرؤوس فيهم وأصحاب القرار والأمر والنهي منهم مثل جلادستون رئيس وزراء بريطانيا لمدة ١٢عاما من (١٨٦٨م، إلى عام ١٨٩٤م)، فقد كان يحذر من القرآن وتأثيره فيقول: «ما دام هذا القرآن موجودا، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[٥].

وقد واجه القرآن الكريم منذ نزوله على رسول الله ﷺ الكثير من حملات التشويه، والعديد من محاولات صد الناس عنه، وباءت كلها بالفشل، وخابت مساعي أوغاد البشر، وبقي القرآن هو القرآن، يزداد تجذرا في قلوب المسلمين كلما ازدادوا في محاربته،

بل إن من أجمل ما قيل في القرآن الكريم في بداية نزوله ما جاء على لسان صنديد من صناديد الكفر أراد أن يساوم رسول الله ﷺ على دينه فلما استمع لرسول الله ﷺ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (النحل:٩٠)، قال: أعد. فأعاد ﷺ. فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر. ثم قال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى[٦].

وفي كل عصر من العصور يخرج من يطعن في القرآن ويقول فيه ما يمليه عليه هواه المريض، ويزينه عقله الضحل، ظنا منه أنه يستطيع أن يقضي عليه، وبالتالي يقضي على الإسلام، لكن الله تعالى في كل مرة يستنطقهم بالحق، ويستخرج منهم أعظم الأوصاف في القرآن الكريم والتي تصبح حجة عليهم وعلى أتباعهم، فهذا شبلي شميل (١٨٥٠-١٩١٧م) كبير الملاحدة في عصره، والذي كان حربا على الدين، رآه أحد تلامذته يقرأ الفرآن فتعجب منه وعاب عليه فقال عدة أبيات من أجمل ما قيل في القرآن:

دع من محمد في سدى قرآنه
ما قد نحاه للحمة الغايات
إني وإن أك قد كفرت بدينه
هل أكفرن بمحكم الآيات
ومواعظ لو أنهم عملوا بها
ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدير والحكيم وإنه
رب الفصاحة مصطفى الكلمات
من دونه الأبطال في كل الورى
من سابق أو لاحق أو آت[٧]

وفي هذا العصر قد شاهدنا الكثير من المحاولات التي يرى من ظاهرها أنها إهانة للقرآن الكريم ويفسح لها المجال ويعطى أصحابها التصاريح الرسمية التي تبيح لهم فعل ما يشاؤون بالقرآن كحرقه أو تمزيقه، وهذه المحاولات تهدف في حقيقتها إلى قياس مدى تعلق المسلمين بكتابهم، هل فتر حبهم له؟ هل ضعف تمسكهم به؟ هل قلت غيرتهم عليه؟ ومن خلال ردود الأفعال من المسلمين يستطيعون وضع البرامج وتطويرها لقطع صلة المسلمين بكتابهم شيئا فشيئا، لكن بفضل الله تعالى في كل مرة يرون أن الأمة ما زالت متمسكة بالقرآن الكريم متعلقة به غيورة عليه، لا يتأخر الواحد من أفراد هذه الأمة عن فداء القرآن بماله ونفسه.

والمحاولة الأخيرة التي قام بها أحد المجرمين في السويد واجه من سمحوا بذلك حملة من الغضب اضطرتهم بعد الدفاع عن الفاعل بدعوى حرية التعبير إلى الاعتذار للمسلمين وتبرؤهم من الفاعل.

وكانت الكويت في كل مرة صاحبة اليد البيضاء والموقف المشرف دفاعا عن القرآن الكريم، فردة الفعل في الكويت لا تقتصر على عموم الناس وإنما يمتد الموقف إلى المسؤولين في الحكومة أو في مجلس الأمة الذي دعا أعضاؤه إلى اتخاذ إجراءات تتعدى الشجب والتنديد، وإلى دعوة منظمة المؤتمر الإسلامي لاتخاذ موقف موحد تجاه الإساءة إلى مقدساتنا وعلى رأسها القرآن الكريم ورسولنا محمد ﷺ وإلى التعامل مع الغرب بالمنطق الذي يفهمونه، كما طالبوا بسن قانون يجرم الإساءة إلى المقدسات الإسلامية ومعاقبة من يفعل ذلك كما يجرم من ينكر الهلوكوست.

وهذه الفزعة التي قامت بها الحكومة ووزارة الخارجية الكويتية دفاعا عن القرآن الكريم ومعهم مجلس الأمة بكل أعضائه ترسل رسالة للعالم أن للإسلام أهلا يدافعون عنه، وأن أمة القرآن ما زالت متعلقة به، تغضب لأجله غضبة تقوم لها الدنيا، ويتناسى معها المسلمون كل الحسابات السياسية، ولا ننسى الشعب الكويتي الذي يؤكد مع كل موقف مدى ارتباطه بهويته والتصاقه بدينه وحبه للقرآن الكريم، وهذا أمر ليس بغريب على دولة أولت القرآن رعايتها، وجعلته من أولوياتها من خلال إنشاء دور القرآن الكريم المجانية في كل المناطق وحلقات القرآن المجانية التي توجد في المساجد تسهيلا وتيسيرا على كل من أراد حفظ القرآن الكريم بالإضافة إلى المراكز المتخصصة في القراءات والسند كالأترجة وابن الجزري.

فموقف الكويت، حكومة وشعبا، ليس مستغربا فهو موقف بلد عاش بالقرآن، وبذل الجهد والمال لخدمته ورعاية أهله وتكريمهم.

أدام الله تعالى علينا نعمة الإسلام والقرآن، ورد الله كيد الكائدين في نحورهم، وحفظ الله تعالى الكويت، أميرا وحكومة وشعبا، وأدام الله عليها نعمة خدمة الدين والقرآن والدفاع عنه وأكرمها الله كما أكرمت أهله.

الهوامش

١ – التبشير والاستعمار: ص٤٠.
٢ – المنار، العدد ٩-١١-١٩٦٢.
٣ – مدة الاستعمار الفرنسي للجزائر بلغت ١٣٢ سنة من ٥ يوليو ١٨٣٠م: ٥ يوليو ١٩٦٢م.
٤ – قادة الغرب يقولون، ص:٥١، نقلا عن جريدة الأيام، العدد ٧٧٨٠.
٥ – الإسلام على مفترق الطرق: ص:٣٩.
٦ – المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ٢/٢٤٣.
٧ – المعجزة والإعجاز، د. سعد الدين سيد صالح.

جاسم الجاسم
صحفي



الكويت .. رفض قاطع للمساس بالأديان والمقدسات

ليس جديدا موقف الكويت المساند للقضايا الإسلامية والدفاع عن المقدسات الدينية، بل إنها سباقة في هذا الجانب وتشهد لها الكثير من الحوادث على مر التاريخ إذ كانت حاضرة بالموقف والفعل في الدفاع عن الإسلام.

وعندما تبادر الكويت بالتحرك الفوري والحازم تجاه رفض وإدانة واستنكار جريمة حرق المصحف الشريف من قبل أحد المتطرفين في مملكة السويد، فإنها تنطلق من ثوابتها وقناعاتها باحترام الكتب السماوية والمقدسات الدينية وضرورة عدم الإساءة إليها والتعرض لها.

ولا يختلف الموقف الرسمي عن الشعبي في شأن الحرص على حماية المقدسات الإسلامية والتصدي لأية ممارسات أو تصرفات من شأنها الإساءة للدين وعدم احترام مشاعر المسلمين.

وعندما بادر مجموعة من أعضاء مجلس الأمة بتقديم طلب لمناقشة «التعرض لمقدسات ديننا الإسلامي والعداء السافر على حرق المصحف الشريف في السويد وتداعياته والوقوف وقفة جادة تجاه هذا التعرض»، سارعت الحكومة إلى الموافقة والترحيب بالطلب وتخصيص وقت من جلسة مجلس الأمة لمناقشة هذا الاعتداء المشين على المصحف الشريف.

وترجم هذا التوافق الحكومي النيابي في شأن الدفاع عن المقدسات الإسلامية بإقرار مجموعة من التوصيات التي لم يقتصر تأثيرها على الشأن المحلي إنما تعداه إلى الجانب الدولي من ناحية طلب تقديم قانون يجرم من يتعدى على الدين الإسلامي.

وتناولت التوصيات التي أقرتها السلطتين التشريعية والتنفيذية أعمال ثلاث وزارات هي الخارجية والإعلام والتجارة إذ ألزمتهم القيام بمجموعة من الخطوات في إطار الدفاع عن الدين الإسلامي ومقدسات المسلمين.

فعلى صعيد وزارة الخارجية تضمنت التوصيات بأن تقوم بدورها في المحافل الدولية من الاستنكار وطلب تقديم قانون يجرم من يتعدى على الدين الإسلامي وخاصة على (الرب – والرُسل والقرآن). وكذلك وضع قانون دولي يسمح برفع دعوى قضائية في المحاكم الدولية ضد كل من يسب الرب أو أحدا من الرُسل أو يتعدى على القرآن.

ونصت التوصيات على أن تطلب وزارة الخارجية من الدول عدم السماح قبول طلب اللجوء السياسي في دولها لمن يسب الدين والرب والرُسل والقرآن. وكذلك فإن على الدول التي ترعى من يسب الإسلام ويتعدى على القرآن يجب على الوزارة اتخاذ أقصى إجراءات الردع الدبلوماسي اتجاهه.

وعلى صعيد دور وزارة الإعلام في الدفاع عن المقدسات الاسلامية فإن عليها أخذ إجراءات ضد المواقع الإلكترونية في الإنترنت (كاليوتيوب – توك توك) وغيرها التي تنشر الإساءة ضد الدين الإسلامي. وحجب كل مقطع أو رسالة فيها إساءة إلى الدين الإسلامي.

كذلك فإنه عند عدم إجابة المواقع العالمية لطلب وزارة الإعلام في حذف المقطع الذي يسيء لدين الإسلام، يجب على الوزارة حجب الموقع عقابا لهم لمدة حتى تستجيب لطلب الوزارة.

كما نصت التوصيات على ان أي مغرد أو كاتب داخل الكويت يعتبر أن الإساءة لدين الإسلام بأي تصرف أو قول هو من ضمن التعبير عن رأيه وهو من حرية الشخصية يجب على الوزارة أخذ إجراء قانوني ضده.

وتناولت توصيات الدفاع عن المقدسات الإسلامية دور وزارة التجارة والتي عليها إصدار قرار يُعمم على الأسواق والمجمعات والمراكز التجارية بمنع بيع سلع الدول التي تسمح بسب الإسلام والتعدي على القرآن. ومنع التصدير إلى الدول التي تسمح بالتعدي على ثوابت الدين الإسلامي وتعتبر هذا من الحرية الشخصية وتحمي الأشخاص المعتدين. وكذلك على وزارة التجارة أخذ إجراءات صارمة ضد من يبيع سلع الدول التي تم حظر سلعها بسبب حمايتها وسماحها بسب الإسلام والتعدي على القرآن.

متابعة: علاء الدين عبد الفتاح



م. إبراهيم الخزّي

تجربة رائدة لتطوير أداء الأئمة والخطباء والمؤذنين والمحفظين والمحفظات

أكاديمية الأوقاف

هو جهد بلا شك استثنائي خرج من عباءة مشروع قديم لتدريب مهندسي وزارة الأوقاف قبل أعوام، وقد نجح حتى الآن في توفير المهندسين المحليين الذين عقدوا مشروعات مهمة للوزارة وكانوا أكفاء بمثابة خير خلف لخير سلف من زملائهم الذين عادوا إلى بلدانهم لسبب أو لآخر.

وهو جهد مستمر يشرح الصدر عندما نغمض العينين حالمين بثماره بعد فترة وجيزة (ربما عدة أشهر) حين يستطيع أمام المسجد أن يقوم بدوره كما كان يحدث في القرون الأولى للإسلام وفق توصيف وظيفي ناجع ودقيق وبعد ورش عمل مستفيضة على يد استشاري محترف.

إنها أكاديمية الأوقاف التي يدعمها ويقف وراءها بقوة صاحب الفكرة المهندس إبراهيم الخزي وكيل الوزارة للشؤون المالية والإدارية، ويشرف على إجراءاتها المهندس عبدالله المطيري ذلك الدينامو المحرك لماكينة العمل التنفيذي ثم مبرة المتميزين لحفظ القرآن الكريم برئاسة يوسف الصميعي هذه المبرة المتميزة التي دعمت المشروع وأنفقت ليتسنى وجود مكتب استشاري مشهود له بحسن التدريب وعقد الورش المتخصصة بإدارة الدكتور أحمد محمد بوزبر وفق أساليب علمية معروفة.

«الوعي الإسلامي» حاورت المهندس الخزي وحضرت ورشة تدريبية للأئمة التقت على هامشها بالاستشاري الدكتور بوزبر، ثم حاورت مبرة

المتميزين د. الصميعي لتنقل للقراء الصورة كاملة وتزف إليهم البشارة بخروج هذا الوليد المبارك للنور لعل التجربة تنتشر في سائر بلاد المسلمين فينفع الله بها الأمة.

في البداية يقول المهندس إبراهيم الخزي وكيل وزارة الأوقاف للشؤون المالية والإدارية ورئيس الأكاديمية لـ«الوعي الإسلامي»: كانت الأكاديمية تحمل اسم أكاديمية المساجد وجاءت الفكرة لتدارك إحلال المهندسين القدامى فقلنا نستفيد منهم كأصحاب خبرة قبل أن يمضوا بتدريب مجموعة جديدة من مهندسينا، وبالفعل تم إنجاز برامج تدريبية تقدر بنحو ٢٠ دورة في الهندسة استفاد منها أكثر من ٣٢٠ مهندسا صاروا جميعهم مؤهلين للدخول في الميدان وبعدها استلموا العقود في شتى المواقع، ثم اتجهنا لتطوير أداء الأئمة والخطباء والمؤذنين فتم إعداد المناهج وبدأنا الدورات، فالشق الديني هو الدور الرئيسي للوزارة.

والواقع أن متطلبات شغل وظيفة الإمام قد تكون شهادة شرعية فقط وتأدية الفريضة، بينما هو بمثابة قائد مجتمعي ينصح ويتواصل مع المجتمع المحيط، إذا الشهادة الشرعية فقط لا تكفي وهناك خلل ما في توصيف متطلبات الوظيفة وفقا للاحتياجات الفعلية.

● وماذا عن المعوقات التي تصادفكم؟

- أكبر المعوقات هي تغيير الثقافة الحالية.

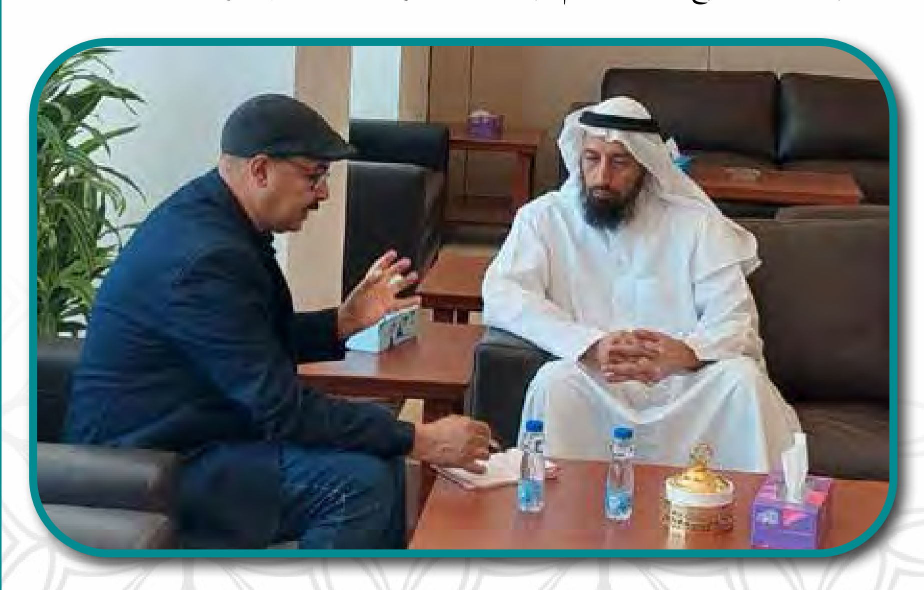
توصيف ديكم

ومن جهته يضيف عبدالله المطيري مراقب المساجد التراثية والخدمات الفنية المساندة: في عام ٢٠١٩م أنشئت أكاديمية الأوقاف للنهوض بكل الفئات العاملة بالوزارة مثل القانونيين والمحاسبين والمهندسين وذلك عن طريق إعداد برامج لهم يتم التدريب عليها لتطوير الأداء وقد اتبعنا منهجية (ديكم) لتوصيف الوظائف بعد تحليلها إلى مكوناتها الأساسية لأن لدينا أزمة أو لنقل فجوة مهارية ما بين متطلبات شغل الوظيفة والمهام الوظيفية لها، لأن طبيعة عمل الإمام تتجاوز تأدية الصلاة إلى فن القيادة، والأئمة الحاليون معذورون لأن أحدا لم يطلب منهم قبل التوظيف مهاماً محددة.

ويوضح المطيري: عن طريق استشاري عالمي بدأنا في ورش العمل وتوصيف وظائف الخطيب أولا عن طريق عصف ذهني مع الخطباء الذين تم اختيارهم بشكل يغطي جميع المناطق بالكويت وكذلك المساجد المختلفة من مساجد على الحدود أو داخل العاصمة لقراءة الواقع جيداً فاستخلصنا منهم طبيعة عملهم ثم عرضنا ذلك على مجموعة أخرى منتقاة كنوع من التحكيم، وبعد تحليل الورشة إلى المهارات الأساسية المطلوبة يتم صياغتها من خلال برنامج تدريبي، والآن من يريد أن يشغل وظيفة خطيب سيعرف ما الضروري الذي يجب أن يتوفر فيه وما المهام الضرورية التي ينبغي القيام بها. وكذلك الحال مع الأئمة والمؤذنين وغيرهم.

ويضيف: سيتم صياغة نتائج كل ذلك في دليل تدريبي باسم الوزارة، فنحن نعتبر المسجد ليس مرفقاً عادياً بل وحدة عمل ونرى أن يكون لدى كل إمام مسجد خطة يطلب من الإدارات المختلفة تيسير تنفيذها لأن دور الإدارات هنا تيسير عمل المسجد لا السيطرة عليه، وقد سبق أن دربنا عشرة مساجد على وضع خطة إستراتيجية لكل مسجد بحيث تضم مع تعليم وتحفيظ القرآن تيسير العلم الشرعي للجميع بل وعقد دورات مفيدة لجميع أفراد الأسرة لجذبهم إلى المسجد.

ويلفت المطيري إلى أن أكاديمية الأوقاف بهذا تكون قد قدمت التوصيف الأول في العالم الإسلامي لوظائف الخطباء والأئمة بهذه الدقة





قائلا: ستبدأ المنظومة الحديثة عمليا مع حديثي التعيين وفي الوقت نفسه سنعقد دورات تنشيطية للموظفين الموجودين حالياً.

ورشة الأئمة

«الوعي الإسلامي» حضرت في الأسبوع نفسه إجراء مقابلات ورشة عملية لتحديد أشمل للتوصيف الوظيفي للأئمة بدأها المراقب عبدالله المطيري بقوله إن في هذه الحرب القيمية التي نحن فيها يكون لزاما على إمام المسجد قيادة المجتمع، وللأسف إلى الآن ليس هناك توصيف منهجي أكاديمي علمي لهذه الوظيفة التي نحن بصدد تحليلها وتحديد المهارات المطلوبة لشغلها بخلاف إقامة الصلاة.

تحدث بعدها رئيس أكاديمية (ديكم) للتدريب والاستشارات ومدير الورشة د. أحمد محمد بوزبر الاستشاري المعروف فقال: نريد أن نرتقي بكل الوظائف ونحدد خريطة المهام وسنتبع منهج (ديكم) في ذلك بأن نسأل الأئمة أنفسهم عن مهامهم الواقعية التي يمارسونها بالفعل مهما كانت صغيرة أو كبيرة وذلك في مكان واحد مثل مكاننا هذا وأتصور أن هذه الورشة هي الأولى في الكويت بل في الخليج وستثمر كتيباً بمثابة دليل إرشادي يخرج من الوزارة إلى جميع المهتمين.

وهنا تحدث أحد الحاضرين فقال إن هناك ميثاقاً للمسجد بالفعل موجود بالوزارة وفيه توصيف وظيفي لمهمة الإمام فما الجديد هنا؟ رد عليه الاستشاري المحترف بأنه قد اطلع على ذلك الميثاق وهذا التوصيف ولكنه وجد أن ما يقوم به الأئمة أكثر بكثير والمأمول منهم أكثر أيضاً وقال: نريد من الأئمة أن يكتبوا هذا التوصيف بأنفسهم لنضيفه إلى ما سبق لأن (ديكم) لا يلغي ما قبله، وبدأ العصف الذهني بسؤال حول الواجبات الرئيسة التي يقوم بها كل شخص من الحضور وهم نحو ١٥ إماماً منهم –مع الاحتفاظ بالألقاب– محمد فضائل وأسامة البحوه وفؤاد الجرافي وخالد الجهيم ويوسف الضاوي وخالد الشطي ومؤيد حمدان وسعد الغبيشان ومحمد عبد الرحمن وعبدالحميد الشايجي وفهد الجنفاوي.

وقد توصلت الورشة إلى نحو ٣٨ مهمة يقوم بهم الأئمة تم توزيعها على أربع واجبات رئيسة هي: إمامة المصلين وإدارة المسجد ثم التواصل مع أهل المسجد وأخيراً تفقيه الجمهور، وفي الجزء الثاني من الورشة تم تحديد المؤهلات التي يجب أن تتوافر في الإمام وكذلك القيم السلوكية في شخصيته، وأخيرا الدور الفكري المنوط به، ثم ختم الاستشاري د.أحمد الورشة بتحديد المهام التي لا يستطيع الإمام الوافد القيام بها في مقابل الإمام المواطن مثل ارتياد الدواوين والتأثير في روادها، وكذلك الفرق بين الإمام المكلف والإمام المعين في الوزارة وكيف تؤثر بيئة المسجد في وظيفة الإمام.

«الوعي الإسلامي» انتقلت إلى رئيس مبرة المتميزين لحفظ القرآن الكريم يوسف الصميعي وسألناه عن فكرة دعم مشروع أكاديمية الأوقاف فقال: بموجب اتفاقية مع وزارة الأوقاف والسيد وكيل الوزارة للشؤون المالية




م. عبدالله المطيري متابعاً

والإدارية تحركنا لدعم ورعاية هذا المشروع الرائد، ولا تنس أن دورنا كمبرة للمتميزين العناية بكل ما يخدم القران الكريم وإحياء رسالة المسجد والأخوة لديهم هذا المشروع ومن هنا جاءت الشراكة.

فتعاقدنا مع أبرز المكاتب الاستشارية في هذا الأمر لعقد ورش تدريبية وطرح توصيف دقيق لهذه الوظائف، وعلى سبيل المثال هناك آلاف الخطباء بالكويت نريد منهم تعزيز الدور الذي يقومون به حتى يكون أثرهم بالمجتمع أكبر ويقدمون ما لم يقدمه غيرهم في الفترات السابقة القريبة.

ويوضح الصميعي: نحن مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني ونسعد بالشراكة مع الوزارات المعنية وفي الوقت نفسه نقوم بدور خاص مكمل لباقي المؤسسات والجمعيات التي تعنى بخدمة القرآن الكريم ومختلف عنهم بالتأكيد وعلى سبيل المثال المقرأة الإكترونية تستوعب نحو ٦٠٠ رجل وامرأة وهناك منصة عالمية للمتميزين تضم ١٠ آلاف فرد ونقوم فيها بالتحفيظ وعقد دورات شرعية وتعليم كيفية قراءة الفاتحة كما أنزلت على الرسول ﷺ لأن بدونها لا تصح الصلاة.

ثم هناك دورات خاصة للمجموعة المخملية المشغولة بالأعمال الاقتصادية فنوفر لهم وسيلة مناسبة لتحسين التلاوة كما نركز على المتخصصين في علم القراءات وغيرها باختصار نسعى إلى إيجاد وسائل حديثة دوما تخدم القرآن الكريم وتنتج متميزين في حفظه وتلاوته والعمل به.

خريطة طريق

على هامش الورشة سألنا د. أحمد بوزبر الذي تعاقد مع مبرة المتميزين لخدمة القرآن الكريم وقطاع المساجد بوزارة الأوقاف عن خصوصية هذا المشروع فقال: هو مشروع رائد في تطوير الخطباء والأئمة والمؤذنين والمحفظين والمحفظات والهدف الخروج بخريطة دقيقة لوظيفة وواجب وسلوك وقيم كل منهم، وذلك عن طريق اختيار عينة من هذه الفئات لاستنباط الاحتياجات التدريبية لتطوير الوظائف ومن هنا يخرج وصف وظيفي وقائمة بالبرامج التدريبية المطلوبة وستنتهي هذه الورشة بدليل تدريبي تصدره الوزارة سنذهب به إلى لجنة الخبراء التي ستأخذ منتج الورشة وتطور على المهام والواجبات، ثم نربط هذا بميثاق المسجد الموجود بالفعل ثم نقارن ذلك بما هو موجود خليجياً، وربما نبحث فيما هو موجود عربياً أو إقليمياً حتى يكون لدينا علامة مرجعية نقيس بها أداء العاملين.

وختم قائلا: هذه الورشة هي نقطة البداية، وسنحول قائمة البرامج إلى ورش تدريبية فإذا طبقت سيؤتي المنتج أكله، لكن إذا توقفنا عند إصدار الكتيب فلن يحدث تغيير يذكر.

تركنا الورشة مستبشرين والنفس يحدوها الأمل في تغيير الواقع إلى الأفضل بفضل همة رجال أكفاء بوزارة الأوقاف الكويتية وعاملين فيها يطورون أنفسهم لمواجهة ما يمكن تسميته حقا بالحرب القيمية المسلطة على أفراد الأسرة كافة.



د. مسعود صبري
خبير بالموسوعة الفقهية



العفو إكسير الأخلاق

العفو إكسير الأخلاق وروحها وأعلى مراتبها، وذلك أن الأخلاق في الإسلام لها مجالان كبيران: الأول: العدل، والثاني: الفضل، وبالعدل يقوم الميزان ويفصل بين الناس في الخصومة والمنازعات، وترد الحقوق إلى أصحابها، أما الفضل فهو مرتبة أعلى، ويعد العفو جوهر الفضل، فإن كان القصاص والعقوبة من العدل الذي لا ينكر، فإن أعلى منه درجة العفو عن الناس، والصفح عنهم، والتنازل عن الحقوق، وهو من شيم الكرام، ولا يقدر عليه كل أحد، فأصحاب العفو هم أصحاب النفوس السامية، والأخلاق العالية، والقلوب النقية، فالعفو يحبه كل أحد، ولا يقدر عليه كل أحد.

ويتميز العفو بأنه من أفعال الترك، فالذي يعفو لا يفعل شيئا، ولكنه يترك حقا من العقوبة له على غيره، وهذا مما يميز الإسلام أن المرء يثاب على الترك كما يثاب على الفعل، والعفو من الثواب على الترك.

ولهذا عرفه الكفوي بقوله: «العفو: كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو»[١].

وجوه العفو في القرآن

وقد جاء العفو في القرآن بمعان عظيمة ودلالات واسعة، تدل على عظم شأنه. وقد جعل أبو هلال العسكري العفو في القرآن على ثلاثة أوجه، هي:

الأول: الفضل من المال؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ (البقرة:٢١٩) يعني: الفضل والبر، وذلك أنهم حضوا على الإنفاق. في قوله: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة:٢٦٧) وقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ (البقرة:٥٧) فسألوا عن القدر الذي ينفقون، فقال: ما يفضل عنكم ويسهل عليكم إنفاقه تنفقونه؛ وهو قليل لتنالوا به الكثير من الثواب.

الثاني: الترك؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ (البقرة:٢٣٧) أي إلا أن «يتركن لكم ما يجب» لهن من «نصف» الصداق أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني: الزوج، وعفوه أن يعطي المهر كاملا وليس هو الولي؛ لأنه ليس للولي أن يترك من مهر المرأة شيئا، ومثله قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ (البقرة:١٨٧) وقوله: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ (البقرة:١٧٨).

الثالث: العفو عن الذنب؛ قال الله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ﴾ (التوبة:٤٣) وفي هذا دليل على أن الأنبياء يذنبون؛ لأنه إذا لم يكن ذنب لم يكن عفو ولكن ذنوبهم صغائر»[٢].

وجعل ابن الجوزي العفو في القرآن على أربعة أوجه، هي:

الأول: الصفح والمغفرة. ومنه قوله تعالى: ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ (آل عمران:١٥٥)، وقوله: ﴿عفا الله عنك﴾ (التوبة:٤٣).

والثاني: الترك. ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ (البقرة:٢٣٧)، أراد: ترك المهر. وهذا قريب من معنى الأول.

والثالث: الفاضل من المال. ومنه قوله تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾، وقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ (الأعراف:١٩٩).

والرابع: الكثرة. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ (الأعراف:٩٥)، أي: كثروا، قاله: أبو عبيدة»[٣].

العفو من أسماء الله وصفاته

قد حث الله تعالى على العفو والتحلي

به، ومن تحلى بالعفو عن العباد؛ فقد اتصف بما اتصف به الرحمن سبحانه، فإن من أسمائه الحسنى وصفاته العلا أنه «العفو»، ولهذا قرن الله تعالى عفو المؤمنين بعضهم عن بعض باسمه العفو، فقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء:١٤٩).

ومن اعتاد العفو عن الخلق؛ استحق عفو الخالق، ومن عفا عن إخوانه في الدنيا؛ عفا الله عنه في الآخرة.

وقد جعل الله تعالى الجنة عاقبة العفو، فالعافون عن الناس من أهل جنته ورضوانه، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ (آل عمران :١٣٣-١٣٤).

العفو صفة الرسول في الكتب السماوية

ولما كان العفو من صفات الصالحين وسمات المتقين، فقد جاء وصف رسولنا ﷺ في الكتب السابقة بأنه يعفو ويغفر، كما ورد في صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن عطاء بن يسار سأله أن يخبره عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل. والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعين عمي وآذان صم وقلوب غلف.

وقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى لأمته في العفو، فكان ﷺ كثير العفو عمن آذاه وظلمه، وها هو يسطر لنا عفوه حين جاءه ملك يعرض عليه أن يطبق على المشركين الجبلين، فقال كما جاء في الصحيحين: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا».

وفي موقف النصر على المشركين الذين آذوه وطردوه من بلده سنين، ولما عاد إلى مكة فاتحا، صك لنا ما سطره التاريخ بقوله: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

الحث على العفو

كما أمر الله تعالى نبيه ﷺ والأمة من بعده عامة وأولياء الأمور خاصة أن يتحلوا بالعفو؛ لان العفو من شيم الكبار، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ولهذا ذكر عمر بن عبدالعزيز أن العفو من أحب الأمور إلى الله يوم القيامة، فعن سفيان عن رجل قال سمعت عمر ابن عبدالعزيز يقول أحب الأمور إلى الله ثلاثة العفو في القدرة والقصد في الجدة والرفق في العبادة وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة[٤].

وقد حث الرسول ﷺ أمته على العفو حتى في كبائر الأمور قبل صغارها، وألا يكون كل هم المسلم رفع قضية إلى القاضي ليحكم له، ولكن إن استطاع أن يعفو ويغفر عن أخيه فليفعل، فإن ذلك من عزم الأمور، كما ورد في الصحيحين عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «تعافوا فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب».

وقال أبو حاتم رضي الله عنه: «الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالم بأسرهم رجاء عفو الله جل وعلا عن جناياته التي ارتكبها في سالف أيامه؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء، وصاحب العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب، فأما من له أخ يوده فإنه يحتمل عنه الدهر كله زلاته»[٥].

كراهة ترك العفو

وإن من الأمور التي يكرهها الله تعالى أن يطلب المسلم من أخيه العفو؛ فيأبى أن يعفو عنه، فإن ذلك من نواقض الأخوة في الله، وقد ورد في صحيح البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر»، فسلم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثا).

ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ

يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرتين). فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ (مرتين). فما أوذي بعدها».

بل إن العلماء جعلوا التشاغل في مقابلة الإساءة بمثلها من صفات البهائم، وأن أقل ما في العفو راحة النفس وطمأنينة القلب، كما قال أبو حاتم رضي الله عنه: «أغنى الناس عن الحقد من عظم عن المجازاة وأجل الناس مرتبة من صد الجهل بالحلم وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه فأما مجازاة الإحسان إحسانا فهو المساواة في الأخلاق فلربما استعملها البهائم في الأوقات ولو لم يكن في الصفح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل ألا يكدر وقته بالدخول في أخلاق البهائم بالمجازاة على الإساءة إساءة ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء وإن لم يكن بادئا»[٦].

ولأهل العفو فضائل عظيمة، من أهمها

تكريم أهل العفو يوم القيامة:

ولما كان العفو صعبا على النفس لا تتقبله، فإن الله تعالى يكافئ أهل العفو يوم القيامة، فيناديهم على رؤوس الخلائق، ويمنحهم عفوه ومرضاته، حتى يشهد الناس عطاء الله لهم؛ لما كان لهم من عفو، كما ورد عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: «بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس»[٧].

العفو سبيل مغفرة الله

كما جعل الله تعالى العفو وسيلة لمغفرته ومرضاته، فمن عفا عن الخلق؛ عفا الله عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢).

ولما كانت طبيعة الإنسان تميل إلى الانتقام من الظالم وأخذ الحق منه، وأن العفو لا يقدره عليه كل أحد، جعل الله تعالى العفو عن الناس من عزم الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣).

طلب العفو أعظم المطالب

ولما كان عفو الله هو القصد الأعلى، جعل النبي ﷺ إن وافق العبد دعاء مستجابا؛ فليطلب من الله عفوه، وفي صحيح مسلم عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قلت يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني».

العفو خلاص في الدنيا ونجاة في الآخرة

فإن كنت محبا لله حقا، فتمثل في نفسك وحياتك اسم الله العفو، فتجاهد نفسك في العفو عن الناس، راغبا بذلك وجه الله تعالى أن يعفو عنك في الميزان والحساب، تعلم العفو عمن ظلمك أو أخذ حقك، أو شتمك أو أهانك أو أساء إليك، وتصدق بعرضك عمن اغتابك، فإنها أعظم الصدقات، ومن أجل الطاعات.

وبالعفو يحصل الاتزان بين الناس في المجتمع، ويسود الود والمحبة بين الخلق، وتنتزع الضغائن، واعلم أنك بعفوك عن غيرك وإفصاحك له عن العفو تجنب نفسك ويلات كانت بك واقعة، ومصائب كانت بك نازلة، فأنت بالعفو تغير قدر الله إلى قدر لله أجمل، ولا تظنن أنك بالعفو عن غيرك تهدي له وحده نفعا، بل أنت منتفع بالعفو في الدنيا قبل الآخرة، ويكفي أن يطمئن قلبك وترتاح نفسك إن لزمت طريق العفو، وأن تنزل عليك السكينة، وأن تشعر بأنوار قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠)، وأي شيء غير أجر الله ترجو، فثق أن عفوك لا يضيع هباء، ولا يذهب سدى، فإنه محفوظ في صحائفك، مقدر عند من يفصل بين الناس يوم الحشر والنشور، فسر في قافلة العافين؛ عساه يكتب عنده من المحسنين الفائزين.

الهوامش

١- الكليات (٥٣).
٢- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، ص: ٣٤٨-٣٤٩.
٣- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص:٤٣٧.
٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، ص:١٦٧.
٥- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، ص:١٦٨.
٦- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، ص:١٦٩.
٧- إحياء علوم الدين للغزالي، (١٩٥/٣).

عايد الجاسم
كاتب وصحفي



التسامح يعزز العلاقات الاجتماعية

يخطئ من يظن أن التسامح والتجاوز عن الزلات والهفوات يمثل نوعا من أنواع الضعف وقلة الحيلة التي قد يرى البعض أنها لا تليق بهم، لذلك يتخذون موقفا متصلبا ضد أي خطأ مهما كان صغيرا لمحاولة إثبات قوتهم وعدم ضعفهم. بينما الأمر مختلف تماما إذ أن أهم مقومات التسامح أن يكون المتسامح بموقع القوة والقدرة على إلحاق الأذى بالآخرين لكنه اختار طريق العفو والصفح وكبح جماح النفس عن الانتقام والتجاوز عما أصابه من إساءة.

ولاشك أن هذه الصفات الأخلاقية الحميدة تؤدي إلى تعزيز الأمن والأمان في المجتمعات وتشيع الألفة بين القلوب وتمنع القطيعة بين الناس. وكلما ساهمنا في نشر هذه القيم الأخلاقية النبيلة فإننا نساهم في بناء علاقات قوية بين الأفراد والأسر والمجتمعات قائمة على المحبة ونبذ الخلافات والتجاوز عن الأخطاء.

وأبدى الدين الإسلامي حرصا كبيرا على تعزيز قيم العفو والتسامح ونشرها في أوساط المجتمع وحض الناس على الالتزام بها وتطبيقها في حياتهم اليومية باعتبارها من الفضائل النبيلة التي تساهم في معالجة الكثير من المشكلات على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع.

ولعل أول الآثار الإيجابية لصفة التسامح أنها تساهم في بناء العلاقات الأسرية والاجتماعية وتعزز الروابط العائلية لما لها من آثار في تخفيف حدة النفس والضغينة والحقد والرغبة في الانتقام.

ورغم أن الحديث عن التسامح وأهميته في تقوية العلاقات الأسرية ونجاح الحياة الزوجية وخلق الاستقرار والأمن ليس جديد ويكاد يكون مكررا ومعروفا إلا أن الكثيرين مازالوا مصرين على تجاهل أهمية هذه الفضيلة الإنسانية والقيمة الأخلاقية من خلال تعمدهم تصيد الأخطاء وتتبع الزلات والبحث عن الهفوات والتصلب في الموقف والرأي.

ويبدو أن إعادة تكرار الحديث عن قيمة التسامح أمر مهم وملح لنشر هذه الثقافة وتعزيزها كونها تساهم في تقوية العلاقات الاجتماعية وإزالة الحقد والكراهية وتقوية مشاعر الرحمة والحنان والعطف.

ويمثل التسامح أحد أهم سبل تعزيز العلاقات الاجتماعية وبناء العلاقات الأسرية، فعندما تعتمد أي أسرة مبدأ التسامح في حياتها وطريقة تعاملها مع أفرادها فإنها تكون آمنة وهادئة وناجحة وخالية من المشاكل التي حتى إن وجدت فإنه بالإمكان حلها بأسلوب صحيح طالما كان هناك اعتراف بوجودها، وهو ما يؤدي إلى تعزيز الثقة بين أفراد الأسرة الواحدة بعكس من يلجأ الى التشدد ضد الأخطاء ويرفض العفو والتسامح فإنه يزيد من مشاعر الكراهية والحقد، وتصبح الحياة مليئة بالمشاكل وعدم الاستقرار.

وكما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (التغابن:١٤).

د علاء محمد عبد الغني حسن شعبان
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية



التسامح بين أبناء الأسرة الغزنوية في بلاد الهند

العفو والتسامح من أهم سمات الدولة الإسلامية والذي وضع أساسه الرسول ﷺ، وقبل الحديث عن مدى هذا الخلق وتأثيره في الدولة الغزنوية لابد من تعريف موجز له

المعني اللغوي للتسامح

● سَمَح السماح والسماحة: الجود. سمح سماحة، وسموحة وسماحا: حاد، رجل سمح، وامرأة سمحة، وقوم سمحاء، ونساء سماح. يقال: سمح وأسمح إذا جاد وأعطى من كرم وسخاء. والمسامحة: المساهلة.

المعنى الاصطلاحي للتسامح

● التسامح: هو تعايش المختلفين بسلام إذا توافر بينهما حدّ أدنى من التكافؤ والمساواة، أو القبول بالآخر، فلا يوجد تسامح بين أناس مختلفين في الغرض بينهم. استطاع القائد البتكين[1] والذي كان نواة لتأسيس الدولة الغزنوية، حيث اعتمد في علاقاته مع مواليه على العفو والتسامح، حيث لم يفرق بين مواليه وإنما اتخذ معهم مبدأ التسامح، حيث أصبح سبكتكين[2] من أقرب المقربين له بالرغم من أنه كان من مواليه ومن الرقيق وبلغ منزلة كبيرة لديه فأصبح من كبار قواده فقد صار على هذا الخلق العظيم وجعله نمط حياته فربى أبناءه على هذا، فكان الاهتمام الأكبر بالنشء والذى وضعه سبكتكين نمطا أساسيا في تربية النشء في هذا الوقت المبكر والذ لم تظهر فيه أصول التربية،

حيث وقع هذا العبء بشكل مباشر على عاتق الآباء، والمربيين وأصبح مسئولية جسيمة تجاه صغارهم لبث هذه الروح فيهم، وهذا ما أكد عليه العلماء سلفا وخلفا، حيث ذكر نمير بن أوس (ت:١٢١هـ): «كانوا يقولون الصلاح من الله والأدب من الآباء»[٣]، لذا فإن خلق العفو والتسامح الذي تربى عليه محمود الغزنوي[٤] والذي كان يغزو في بلاد الهند فكان يأخذ من أهل الهند بتسامحه من يساعده في نشر الإسلام، فاستطاع قهر الكثير من الجيوش الهندية كما أنه حطم أكبر أصنام الهند وحصل على ثروات طائلة ساعدته في تقدم وازدهار الدولة الإسلامية(٥) وصار سلاطين الدولة الغزنوية على هذا النمط.

الهوامش

١- البتكين: كلمة مركبة من (الب) بمعنى البطل، و(تكين) بمعنى المسمى، والكلمة الأخير صحتها تكن، أو تكن، أو تين لا تزال تروج كاسم علم بين التركمان، وتلحق لفظ تكين بكثير من الأسماء التركية مثل قوة تكين، نوشتكين، انيالتكين، اسبلتكين. خواندمير، محمد بن جاوندشاه المعروف بخواندمير، ت٩٠٣، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة، السباعي محمد السباعي، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي الدار المصرية للكتاب، ص٩٥؛ فامبري، تاريخ بخارى، حاشيه، ص 117. azim' The life an the Time of sol .tam Mohamad of Gozna P 24.

كان البتكين مملوكا لأحمد بن إسماعيل الساماني، وكان يعمل في الجيش الساماني ومازال يرتقي في سلك الوظائف حق ولى منصب حاجب الحجاب للأمير عبد الملك بن نوح، (٣٤٣هـ -٣٥٠هـ/ ٩٥٤-٩٦١م)، ومن ثم ارتفع شانه، وازداد نفوذه في الدولة السامانية حتى أن الوزير كان يأتمر بأمره، ويلتزم بتنفيذ تعليماته، وتوجيهاته لم تصف الأمور للبتكين؛ إذ خشي الأمير عبد الملك بأسه، وعول على إبعاده من حاضرة دولته، فأسند إليه ولاته خراسان في عام ٣٤٩هـ/ ٩٦١م. كارل بروكلمان، تاريخ السقوب الإسلامية، ٢/ ١١٨؛ عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا، ص٣٧.

٢- كان سبكتكن ملكا ليمين رجل اشتراه من سوق النخاسة، وهو البتكين، وذلك في حدود عام ٣٤٨هـ/٩٥٩م، ولم يعرف مكان ولادته ولا منطقة ترعرعه وطفولته، ولا حتى الوقت الذي اعتقد فيه الإسلام، ولكن المؤرخين اختلفوا في نسب سبكتكين حيث نسبوه إلى مدينة غزنة أو غزنين، لكونها قصبة دولتهم، ومقرا لإدارة ملكتهم التي عرفت في التاريخ الإسلامي بالدولة الغزنوية أما الأسرة التي حكمت فيها، والتي أسسها سبكتكين فتنسب حسب رواية بعض المؤرخين إلى يزدجرد آخر أكاسرة الدولة الفارسية. أبو القاسم على بن محمد العماري، بند نامه سبكتكين، كتاب نصائح سبكتكين، ترجمة، وتحقيق، محمد ناظم، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ١٩٣٣م، ص٦٠٥-، ٦٢٨، وسبكتكين هو ابن جوق بن قرا - بحكم بن قرا - أرسلان بن قرا- ملأت بن قرا - نعمان بن فيروزبام بن سنجان ابن يزدجرد الجوزجاني. القاضى منهاج الدين سراج طبقات ناصري تحقيق عبد الحى حبيب كابل ١٣٤٣ هـ ج١ ص٧٠ (Bosworth"the titulatuze P. 15)

وهناك رواية أخرى تقول بأن أسرة سبكتكين ليست إلا أسرة عادية من الأسر التركية الى كانت تعيش فيما وراء النهر، وليس من المؤكد معرفة قبيلة سبكتكين هي القارلوق الوثنية، وليست له أي علاقة بـ «بزدجرد الثالث»، ظل سبكتكين عبدا مملوكا لسيده البتكين يذهب معه أينما اتجه، ويرتحل برفقته إلى أي وجهة يسلكها، ويقوم على خدمته، والأشراف على أمنه، وتأمين متطلباته، ويلبى احتياجاته، وينفذ أوامره، مثله مثل، أي واحد من مماليكه، وأتباعه الآخرين، ظل كذلك حتى توفى البتكين. سعد حذيفة الغامدي، الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند، وتاريخ الدول الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي، ٢٩ هـ/ ٦٢٥م، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م، مركز الدرامات والأعلام دار إشبليا، ص١٢٠.

٣- البخاري: الأدب المفرد ٩٢.

٤- ولد محمود الغزنوي في العاشر من المحرم ٣٦١هـ/ ٩٧١م أي أن عمره آنذاك حوالي الثلاثين سنة تقريبا، وقيل قبل ذلك بأربع سنوات. فريشنا، تاريخ المسلمين في الهند، دلهي ١٩٨١م، ١/ ٣٣.

٥- العتبي، التاريخ اليميني ١/ ٢٨١-٢٨٢.

القاهرة - الطيب حسين
دار الإعلام العربية



الحياة.. عفو وتسامح

للعفو والتسامح دور كبير في ديمومة الحياة الأسرية، وقدرة أطرافها على الحياة بهدوء وفي صحة نفسية وجسدية، لذا تبرز أهمية هاتين القيمتين باعتبارهما عاملين من عوامل رئيسة تعمل على تمتين الحياة الزوجية والأسرية في مناخ يسوده التفاهم والود والمحبة.. إلا أن البعض يرون في التسامح والعفو والتغاضي ضعفا يستنكفون عنه، ما يجعل حياتهم عرضة للتعاسة الدائمة أو الانهيار.. في التحقيق التالي نتعرف إلى أهمية العفو والتسامح باعتبارهما مرآة الحياة المستقرة.

نبدأ مع الدكتور أسامة أمين سيد بدوي، مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، عضو مركز الأزهر العالمي للرصد والفتوى الإلكترونية، والذي يؤكد أنه إذا كانت ثقافة العفو والتسامح كقيمتين تقوم عليهما أسس التعايش الآمن بين المجتمعات في الوقت المعاصر، فما بالنا لو كانتا في نطاق الأسرة الواحدة؟!

أساس الأمن الأسري

ويتابع د. أسامة: إذا نظرنا بعين فاحصة ورؤية ناقدة إلى كثير من

الأزمات الأسرية في وقتنا المعاصر، سنجد أن قليلا من العفو والتسامح كان كافيا جدا في وأد هذه الأزمات قبل افتعالها.. ولو سألنا أنفسنا: لماذا تدوم العلاقات السامية الآمنة القوية الناجحة؟ سنجد الجواب: لأنها استمدت قوتها من قيمة العفو والتسامح الذي يدعو للتراحم والتناصح الإيجابي باللين والرفق، ولأن أصحابها أدركوا أن العفو والتسامح ليسا ضعفا حتى يجعل كل طرف يعاند أو يجادل بغير حق، ظنا أنه لو سكت أو تنازل عن حقه بالعفو والتسامح لثبت اتهام الطرف الآخر له بأنه المخطئ!، ولأن أصحابها أدركوا أن الحياة الزوجية والأسرية ليست قاعة محاكمة، فالأخطاء واردة، والمشكلات متوقعة.

أضاف: من المهم أن نعي كيف نتعامل مع المشكلات ونعالجها بحكمة وعقلانية.

ومن يتأمل هدايات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجدها تحفز على هذا عندما تأوي الخائفين، وترشد السائرين إلى حقائق الإيمان الدامغة التي ترفع لواء التسامح واللين والعفو والإحسان في العلاقات الزوجية خاصة، واعتبارها ضمانا أكيدا لحياة هادئة هنيئة مستقرة، يقول الله تعالى في سياق الحديث عن مشكلة الطلاق: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ (البقرة:٢٣٧). كما يقدمه في صورة العفو والصفح الذي

د. أسامة: لا أحد معصوم من الخطأ فعلينا تفعيل قيم الاعتذار والعفو والتغاضي

يليق بأصحاب المبادئ والقامات، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت ٣٤:٣٥).

وتابع عضو مركز الأزهر العالمي للرصد والفتوى الإلكترونية، أنه في السنة المطهرة تتجلى مهارتي العفو والتسامح في أخلاقه ﷺ وفي أقواله، وفي أفعاله، وفي دعوة أمته وحثهم عليهما، كما في صحيح مسلم: «وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا»، أي أن العفو كرامة والتسامح عزة! وهذه شهادة من لازم النبي ﷺ عشر سنين، فاطلع على جوانب من حياته في بيته ربما لا تظهر لأحد، كأمنا عائشة رضي الله عنها التي أخبرت أنه صلى الله عليه لم يضرب مرة

د. نادية جمال: لا يستقيم التنازل والتسامح إلا من الطرفين وليس طرف دون آخر

خادما أو امرأة، ويشهد بذلك أنس ابن مالك رضي الله عنه كما في صحيح مسلم: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أف قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟. ومع أن الخادم لا يخلو من التقصير أو التفريط والنسيان، إلا أنه ﷺ لم يمل من العفو والتسامح والغفران!.

وصدق القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

وأكمل د. أسامة: ولعل أبرز ما ننصح به مما يقوي ويدعم خيار العفو والتسامح لدى الزوجين: أن يتذكرا أننا جميعا بشر نصيب ونخطئ فلا أحد معصوم من الخطأ، ولا أحد كامل في أخلاقه أو أوصافه، وعلى المخطئ أن يبادر بشجاعة الاعتذار. وأن لا يغفلا عن حقيقة الحياة وأنها متغيرة بين أفراح وأتراح، لا تدوم وتيرتها على حال، وأن ينظرا إلى المواقف الإيجابية والإنسانية التي جمعتهما في رحلة الحياة، ويتأملا في نعمة الله تعالى عليهما أن جمعها في حلال بعد فرقة وغربة، ونسأل الله أن يملأ بيوتنا رحمة وعفوا وتسامحا، وأن يعصمنا من الخطأ والزلل، وصل اللهم وزد وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عوامل مهمة

أما الدكتورة نادية جمال استشارية العلاقات الأسرية والإرشاد النفسي، فتقول: إن

الحب والمودة والرحمة والتسامح صفات مهمة جدا في أي علاقة، ونحن نتحدث الآن عن أكبر علاقة، وهي العلاقة داخل نطاق الأسرة، فالله تعالى أمرنا بالمودة والرحمة والتسامح، أمرنا بكل القيم الجميلة، التي لو أخذنا بها فلن نجد هذا الزحام في محاكم الأسرة إثر الخلافات الكثيرة، ولن نرى قضايا الطلاق التي ربما هي الأكثر في المجتمعات العربية، كما أن إغفال هذه القيم يقابله في الناحية الأخرى قيم سلبية عديدة، مثل الأنانية التي تفشت، بدأنا نبحث عن حقوقنا فقط وننسى واجباتنا، العلاقة بين الزوجين هي أقوى علاقة، لذا يجب أن نتعلم كيف أتغاضى وأتنازل وأفوت بعض المواقف كي تستمر الحياة، لكن هنا نقطة مهمة تجدر الإشارة إليها، وهو أنه إذا كان طرفا يتنازل في كل الأوقات، سيأتي عليه وقت ويتعب، وسيغادر، التنازل والتسامح لابد أن يكون من الطرفين ويكون بالتوازي.

أضافت: ومن أهم ما ينجح العلاقة الأسرية مراعاة عدد من الأمور، مثل الضغوط التي يواجهها كل طرف، سواء ضغوط اجتماعية أو اقتصادية أو مادية إلى آخر هذا، فعند مراعاة هذه الأمور سأعرف كيفية التعامل معه، متى أطلب منه شيئا، سأعرف الوقت المناسب كي أحكي له ما يشغلني، والوقت المناسب كي أتحدث معه في أمر معين وهكذا.

وتابعت استشارية العلاقات الأسرية والإرشاد النفسي، بشأن الحديث عن التراكمات بين الأزواج، محذرة من أن هذه التراكمات قد تنتج عنها ردود فعل عنيفة وكبيرة، بسبب عدم معالجتها أولا بأول، والسماح لها بأنها تزيد دون حل أو علاج أو فضفضة من أول الأمر، فيجب أن لا يحمل أحد الزوجين في نفسه أمرا، ويتركه دون فضفضة مع الطرف الآخر، وعدم النقاش حياله، أو حله، فحال بناء حاجز بين الزوجين بسبب هذه التراكمات، سينتج عنه بعد تتراكم لبنة فوق لبنة حتى تصبح جدارا فاصلا، ويسفر عن حالة من الكره، وعندها سينتهي كل شيء، لأن الأمر إذا وصل لهذه النقطة فإنه لن تشفع له كل الأسباب أو الضغوط للعلاج، سواء ضغوط عائلية أو بسبب الأبناء وما إلى ذلك، فالذي يغضب من شيء يجب عليه سرعة الفضفضة

د. جمال محمد: تراكم المشاعر السلبية يسمم الحياة ويجعلها مستحيلة

د. خالد حسب الله: التسامح والعفو يدلان على قوة الشخص.. لا ضعفه

وحلها، والحديث بشأنها مع بعضنا البعض، لأن التراكمات مدمرة لأي علاقة أسرية.

وأكدت استشارية العلاقات الأسرية والإرشاد النفسي، أنه يجب على كل طرف أن يتعلم أن يرحم الشخص الذي أمامه، يفوت بعض الأمور، يتغاضى عن أشياء، يعرف مفتاح شخصيته، ما الذي يغضبه، ما الذي يحبه، ما الوقت المناسب لنقاش أمر معه، ومتى أستطيع أن أطلب منه شيئا وهكذا، ولا شك أن بناء العلاقة الزوجية وفق هذه الأسس، سيكتب لها النجاح والسعادة.

مواجهة الأزمات والضغوط

بدوره قال د. جمال محمد سعيد، رئيس قسم العقيدة والفلسفة بأصول الدين جامعة الأزهر: إن من طبيعة الحياة وجود الأزمات والضغوط بها، ما يستلزم على الأزواج بذل كل جهد فيما بينهم ليتغلبوا عليها، فتستمر حياتهم في نجاح على مدى عمر هذا الزواج، فوجود المشكلات أو الأخطاء أمر طبيعي وملازم لوجود الإنسان في الحياة، إلا أن توفر عوامل مثل التفاهم والتراحم والمودة والتسامح بينهم يجعل هذه المشكلات عابرة، ويجعل من التماسك والاستقرار عنوانا لهذه العلاقة، يقول الله عز وجل ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، كما يقول جل شأنه: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا

﴿ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت: ٣٤).

أضاف أنه مما لا شك فيه أن التسامح والعفو، يأتي على رأس هذه الأخلاق التي على الزوجين التحلي بها، فمن من الزوجين معصوم عن الخطأ؟ أو يعيش حياته بلا ذلل؟ هذا لا وجود له، فالمهم إذن طبيعة التعامل بعد الخطأ، وهناك أمر أراه غير صحيح، وهو أن البعض يرى في الاعتذار أو التسامح أو العفو أو التغاضي عن المشكلة ضعف وقلة رجولة لو كان في حق الرجل، وهذا مما لا شك فيه غير صحيح، بل القادر على العفو والاعتذار هو القوي يقول الله تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠).

وذكر رئيس قسم العقيدة والفلسفة بأصول الدين جامعة الأزهر، أنه على النقيض، فإن عدم العفو أو التسامح بين الأزواج، سيترتب عليه آثار سلبية قد تصل إلى أنها تدمر العلاقة برمتها، لأن تراكم المشاعر السلبية يفجر الخلافات، ويسمم الحياة، وتصيد كل من الزوجين الخطأ للآخر، يجعل الحياة بينهما مستحيلة.

تحرر من أخطائك

وفي الإطار ذاته، قالت الدكتورة دعاء إبراهيم السيد، استشارية العلوم الإنسانية: إنه يجب عندما نتناقش أن نبتعد عن الجزء السيء، ونتناقش بصورة إيجابية، وألا نركز على الأخطاء، وأن نعمل بمقولة تقبل الآخرين كما هم وليس كما يجب أن يكونوا.

وتابعت: لذلك يجب على الإنسان أن يعرف متى يحتاج إلى مصالحه، لذلك عندما يشعر بالغضب دائما، ويصب غضبه على الآخرين ويلعب دور الضحية عليه أن يحرر نفسه من أخطاء الماضي، ويصالح ذاته، ويشير إلى كل مخاوفه بكل شفافية، وأن يحاول مجددا، وأن يعترف بالأخطاء، وبالنقص وأن يقوم بتعويض النقص، وأن يشعر بالامتنان نحو أخطاء الماضي، ويحلها ولا يعتبرها نهاية المطاف.

وأشارت إلى أن تبني هذه الأسس مجد في العلاقات بشكل عام، والتي منها الزوجية تحديدا، كونها تحتاج إلى المرونة والتغاضي والقفز فوق المشكلات كثيرا، والتعود على المصارحة والمكاشفة أيضا والفضفضة ومواجهة الخلافات بتعقل ومرونة.

د. دعاء إبراهيم: تعودوا على المصارحة ومواجهة الخلافات بتعقل ومرونة

صلاح للمجتمع

وأخيرا، يؤكد الدكتور خالد حسب الله أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف، أن صلاح الأسرة هدف رئيس ترمي إليه الشريعة الإسلامية، كونها نواة المجتمع والركيزة الأولى في بنيانه، ما يعني أن صلاحها صلاح للمجتمع ككل.. وللوصول إلى هذه النتيجة، لا شك أن كل أسرة بحاجة إلى تبني عدد من القيم والمبادئ، والتي يأتي على رأسها مبدأ التسامح والعفو، والصفح عن المخطئ، وترك الأنانية التي تتسم بها بعض العلاقات، فإن كره أحد الزوجين شيئا أحب آخر، وإن أساءه أمر ربما استحسن غيره، فهكذا تمضي الحياة بالتسامح لأن ما يكون عكس ذلك ستكون نتيجته التفكك الأسري وتشتت الأسر.

وذكر أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف، أن هذه المفاهيم هي التي حض الإسلام أتباعه على تبينها والتعامل وفقها، مشيرا إلى أن خلق التسامح والعفو يدلان على قوة الشخص لا ضعفه، حيث يقول رسول الله - ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)، كما حث نبينا ﷺ على العفو حتى في اشتداد الخلاف (يا عقبة! صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك).

وشدد الدكتور خالد حسب الله على أن العنف والشدة في علاقات الأزواج أمر مرفوض تماما، كما أنهما يخالفان تعاليم وتشريعات الإسلام الرامية إلى أن يسود الود والمحبة بين الزوجين، بل إن قوة المجتمع في الأسر السعيدة القوية القادرة على مواجهة العقبات دون أن يتأثر البناء الأسري أو يحدث شروخ في بنيانها.

تحقيق - نادر أبو الفتوح
صحافي مصري

علماء دين وخبراء علم اجتماع: تقوية العلاقات الأسرية ضمانة لبناء مجتمع مترابط

العفو أساس العلاقات الأسرية

حرصت الشريعة الإسلامية على بناء العلاقات الأسرية بشكل يضمن تحقيق المودة والرحمة، وذلك سواء داخل الأسرة الواحدة أو في إطار العلاقات بين الأسر والعائلات، ولكون الأسرة هي نواة المجتمع المسلم فإن صلاح الأسرة ضمانة لبناء مجتمع متماسك وقوي، وكل ذلك يتحقق من خلال أن يكون العفو والتسامح أساس التعامل بين الجميع، والمؤكد أن تطبيق ذلك في المعاملات يضمن الاستقرار والقوة والمتانة للعلاقات الأسرية.

علماء شريعة إسلامية وخبراء علم اجتماع أكدوا في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» على ضرورة ترسيخ التسامح والعفو لدى الأبناء والأجيال الجديدة، باعتبار أن ذلك أساس لبناء العلاقات الأسرية السوية، وطالبوا بضرورة تكثيف برامج التوعية الدينية والإعلامية، وكذلك توعية المقبلين على الزواج بأهمية أن تسود قيم التسامح داخل الأسرة، كما أكدوا أن نقطة الانطلاق لبناء علاقات أسرية قوية تبدأ من الأسرة، لأن كل طفل في الأسرة سوف تكون له أسرة مستقلة في المستقبل، كما حذروا من مخاطر غياب التسامح والعفو في العلاقات الأسرية.

ترسيخ التسامح والعفو لدى الأبناء

في البداية، يقول الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إنه ينبغي أن تقوم الأسرة بتوعية الأبناء وحثهم على تقوية العلاقات الأسرية، وبيان مخاطر ضعف هذه العلاقات عليهم وعلى أسرهم في المستقبل، وكذلك بيان أن قوة العلاقات الأسرية تأتي من التسامح والعفو والصفح والإيثار والمودة، بجانب البعد عن الطمع والأنانية باعتبار أن ذلك يضعف العلاقات الأسرية، مشيرا إلي ضرورة ترسيخ هذه المعاني لدى الأبناء منذ مرحلة الطفولة، لأن كل طفل في الأسرة سوف تكون لديه أسرة في المستقبل، وعندما تنتقل هذه المعاني والقيم النبيلة من جيل إلي جيل، فإن ذلك ضمانة لتكون العلاقات الأسرية قوية للغاية.

ويضيف الدكتور السمالوطي أن قيم التسامح والعفو يجب أن تظهر أولا في تعامل الزوجين معا، وفي تعامل الزوج

مع أسرة الزوجة وتعامل الزوجة مع أسرة الزوج، وتنطلق هذه القيم وتسود بين جميع أفراد الأسرة الواحدة، وكذلك بين الأسر والعائلات والأهل والأقارب، لأن غياب التسامح والصفح يهدد كيان العلاقات الأسرية، وكثير من الأزمات التي تحدث في إطار الأسر والعائلة تكون نتيجة الأنانية والطمع وغياب التسامح، ولذلك علينا أن نعلي من قيم العفو والصفح مع الناس جميعا، وتكون البداية من التحلي بهذه القيم والأخلاق في نطاق الأسرة والعائلة والأهل والأقارب، وكل ذلك في النهاية ينعكس بالإيجاب على الجميع داخل المجتمع الواحد.

ضرورة لبناء مجتمع مترابط

من جانبه، يقول الدكتور محمد نجيب عوضين، أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن العفو والتسامح منهج إسلامي، والشريعة الإسلامية تضمنت الكثير من النصوص التي تؤكد مكانة ودور الأسرة في المجتمع، كما حث الشريعة على أهمية العفو والتسامح والصفح في التعامل مع الناس، وينبغي أن نضع أمامنا قول الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ (الحجر:٨٥)، وبالتالي فهذا أوجب في إطار العلاقات الأسرية، لأن الأسرة الواحدة كالجسد الواحد والأسرة هي نواة المجتمع، وعندما تسود قيم التسامح داخل الأسرة وبين الأسر سواء في محيط العائلة والأهل والأقارب بل والمجتمع، فإن ذلك ضمانة ليكون لدينا مجتمع مترابط تسود فيه القيم والأخلاق.

التوعية الدينية والإعلامية

ويضيف الدكتور عوضين أن هناك دورا كبيرا يقع على عاتق وسائل الإعلام وبشكل أساسي فإن الإعلام الديني ينبغي أن يؤدي دوره في التوعية بهذه القضية، من خلال استضافة الخبراء المتخصصين، بجانب بيان التأثير السلبي لغياب التسامح والعفو على العلاقات الأسرية، وضرورة أن تكون هناك ندوات مستمرة في المدارس والجامعات والأندية الاجتماعية، بهدف ترسيخ قيم التسامح والعفو والصفح داخل الأسرة والمجتمع، وكذلك عقد دورات لتوعية المقبلين على الزواج بأهمية تقوية العلاقات الأسرية، انطلاقا من قول الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١)، والهدف من التوعية بيان أهمية أن تكون هناك علاقات طيبة وتسامح بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة، وبناء علاقات أسرية قوية قائمة على أسس راسخة، هدفها الأول هو تحقيق السعادة والاستقرار والثقة في النفس، لأن قوة العلاقات الأسرية تؤدي لمزيد من الاستقرار، كما تساعد على تجاوز الكثير من الأزمات.

القدوة الحسنة

من جانبه، يقول الدكتور أحمد كريمة أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن قوة العلاقات الأسرية تأتي من خلال التعامل بالقيم والأخلاق النبيلة، ويأتي في مقدمة هذه الأخلاق الإيثار والصفح والمودة والرحمة، والبعد عن الصفات السلبية التي تؤدي للقطيعة بين أفراد الأسرة الواحدة أو بين الأسر والعائلات، ولابد من التطبيق العملي على أرض الواقع لهذه الأخلاق، حتى نقدم النموذج والقدوة الحسنة للأبناء والأجيال الجديدة، لأن الأزمات في العلاقات الأسرية تكون نتيجة الطمع والجشع والأنانية، لكن عندما يسود الحب والتفاهم والتعاون في العلاقات الأسرية تزول أسباب الخلاف، وعندما ننصح الشباب والأطفال بالحرص على قوة العلاقات الأسرية، ينبغي أن يتجسد ذلك في تعاملات الأهل بعضهم مع بعض، وكذلك تعاملات الأب والأم أمام الأبناء، وأن تكون هناك مبادرة بالعفو بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأهل والأقارب، بهدف أن يتعلم الأبناء قيمة الصفح والعفو وإغلاق صفحة الخلافات وتجاوز الأزمات التي قد تحدث، لأن استمرار وتفاقم الخلافات يأتي نتيجة العناد وغياب التسامح، وكل ذلك يضعف العلاقات الأسرية، وربما تنتقل هذه الخلافات من جيل إلي جيل، فالأسرة الواحدة بعد سنوات تتحول إلى عدة أسر عندما يتزوج الأبناء، ولذلك ينبغي أن نحرص على تقديم القدوة الحسنة للأبناء والأجيال الجديدة في العفو والتسامح.

حسن عبدالعال محمود
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية



قيمة التسامح

يعد التسامح من أعظم القيم والأخلاق الإسلامية السامية، ولا شك أن المجتمع الذى نعيش فيه الآن يفرض علينا أن نتمسك بهذا الخلق الرفيع أضف إلى ذلك أن التسامح يحتاج منا إلى فن في الأداء والتعامل لأنه صفة جميلة، وخلة حميدة، وهو من أفضل الصفات، وأجمل السمات، رائد الأخلاق، وسيد الآداب؛ يعني الصفح عمن أخطأ عليك أو تجاوز حده معك، وهو - كذلك - يعني العفو عند المقدرة والتجاوز عن أخطاء الآخرين واحتمالها ووضع الأعذار لهم، والنظر إلى مزاياهم وحسناتهم بدلا من التركيز على عيوبهم وأخطائهم.

والتسامح قاعدة أخلاقية كريمة، تطهر المرء من حظوظ نفسه ورغبته الجامحة في الانتقام الشخصي، وتجعله قادرا على

قهر دوافع الثأر والانتصار للنفس.

والتسامح له مرادفات عدة منها:

أولا: العفو والصفح قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣).

﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن:١٤).

﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠).

ونلاحظ مدى عظيم الامتنان من الله عز وجل وعطائه جزيل الثواب لمن عفا وصفح فصاحب العفو والصفح من المحسنين وهو من أهل الرحمة والمغفرة وكذلك يقع أجره على الله تعالى.

ثانيا: الحلم والإغضاء قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ (آل عمران:١٣٣- ١٣٤).

فأحلم الناس من يكظم غيظه ويتغاضى عن أخطاء الآخرين.. وهذا ما نلحظه في تصرف رسول الله ﷺ فيما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء. (رواه البخاري، برقم ٣١٤٩).

وإن مجرد تصور الموقف في هذه الحادثة يبين كم كان تسامحه وحلمه ﷺ عظيمين.

ثالثا: الرفق ولين الجانب فعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: قال الحسين رضي الله عنه: سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه، فقال: «كان رسول الله ﷺ، دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عياب ولا مشاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام» (رواه الترمذي في الشمائل).

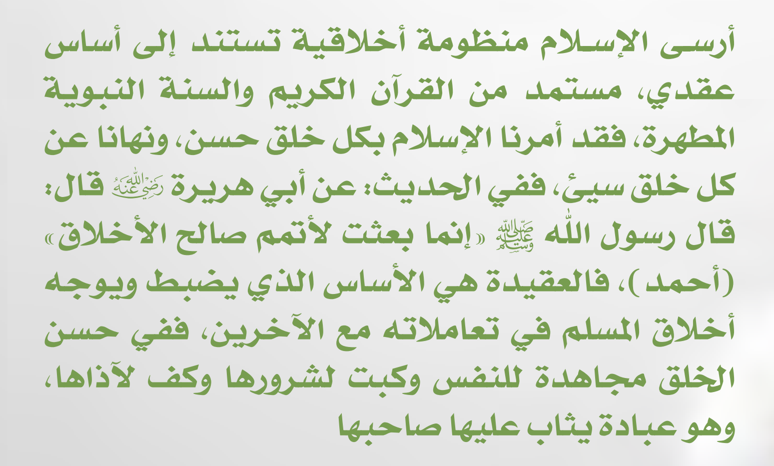
ولعلنا نلحظ فيما سبق من صفات بينها سيدنا علي رضي الله عنه قمة التسامح فى القول والفعل والعمل.

وأختم تلك المقالة بموقف يعد من أعظم صور التسامح.. التسامح مع من أساء ومن أبرز مواقف الرجال في ذلك موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين كان ينفق على ابن عمه مسطح بن أثاثة رضي الله عنه وكان من فقراء الصحابة، فلما أثار المنافقون على عائشة - رضي الله عنها - ما أثاروه من قضية الإفك، واتهموها بما هي منه بريئة؛ كان مسطح ممن تورط في حديث الإفك، فحلف أبو بكر رضي الله عنه ألا ينفق عليه بعد ذلك، فلما أمر الله تعالى بالعفو والصفح بادر أبو بكر رضي الله عنه وكفر عن يمينه، وعفا وصفح، وعاد ينفق على مسطح، فرضي الله عنه ما أسمحه وأنبله! فقد كان ممن قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ (الشورى:٣٧).

هذا، وصل الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي



أرسى الإسلام منظومة أخلاقية تستند إلى أساس عقدي، مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد أمرنا الإسلام بكل خلق حسن، ونهانا عن كل خلق سيئ، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (أحمد)، فالعقيدة هي الأساس الذي يضبط ويوجه أخلاق المسلم في تعاملاته مع الآخرين، ففي حسن الخلق مجاهدة للنفس وكبت لشرورها وكف لآذاها، وهو عبادة يثاب عليها صاحبها

العفو و استقرار العلاقات الاجتماعية

جعل الله سبحانه وتعالى العفو والتسامح من أسباب دخول الجنة والقرب من النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾(آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، ففي الحديث: عن أبي ثعلبة الخشني، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا «الثرثارون والمتشدقون»، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». رواه الترمذي.

تقوية العلاقات بين أفراد المجتمع

للأخلاق الحسنة دور مهم في تقوية الصلات والروابط بين الناس وتنمية مشاعر التواد والتراحم فيما بينهم، وجلب المحبة،

وتصفية النفوس ونقاء القلوب مما قد يشوبها من مشاعر الحسد والكراهية والبغضاء، مما يكون له أكبر الأثر في تقوية علاقات الرحم والقربى وتماسك المجتمع بصفة عامة، ففي الحديث: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ثم شبك بين أصابعه»(البخاري)، وهذا على عكس المجتمعات الغربية والتي تبدو في ظاهرها قوية إلا أنها مفككة ضعيفة هشة بسبب سيادة القيم المادية والنفعية وتوجيهها للعلاقات بين الناس في هذه المجتمعات.

منزلة خلق العفو

الأخلاق الحسنة مراتب ودرجات تتمايز فيما بينها في الفضل والثواب، والعفو هو أشرفها وأعلاها مرتبة وأسماها منزلة على الإطلاق، ولذلك أمر به الإسلام وحض على التمسك به لما له من أثر في إصلاح وتقوية العلاقات بين المسلمين أفرادا وأسرا وجماعات ومجتمعات، يقول بن القيم رحمه الله -: إن العفو إسقاط حقك جودا وكرما وإحسانا، مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق. بخلاف الذل، فإن صاحبه يترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانة نفس، فهذا مذموم غير محمود، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالا منه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ (الشورى:٣٩)، فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيهم منها ذلك، حتى إذا قدروا على من بغى عليهم، وتمكنوا من استيفاء ما لهم عليه، ندبهم إلى الخلق الشريف من العفو والصفح، فقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠)[1].

هذا ويعد «العفو» لونا من ألوان التعاون على البر والتقوى التي حض عليها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(المائدة:٢)، نقل القرطبي في تفسيره عن الماوردي قوله: ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له، لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته، وفي العفو جمع ما بين رضا الله سبحانه وتعالى ورضا الناس قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٧).

وفي أكثر من ثلاثة وثلاثين آية من آيات القرآن الكريم وردت كلمة العفو ومشتاقتها منها قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:١٠٩).

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣).

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩).

وفي السنة المطهرة، جاءت أحاديث عدة منها ترغب في العفو منها:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا»(مسلم).

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من رجل يصاب بشيء في جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة وحط به عنه خطيئة»(ابن ماجه والترمذي).

العفو واستقرار العلاقات الأسرية:

الأصل في الحياة أسرية أنها رابطة شرعية قائمة على الود والرحمة والمحبة بين أفرادها ولا سيما بين الزوجين وهما اللبنة الأولى في بناء الأسرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١)، وعلى أهمية الأسرة في المجتمع الإسلامي فإنها أكثر تأثرا بالمواقف والمشكلات التي لا شك أنها تحدث حتى وإن كانت بسيطة صغيرة قد يتم التجاوز عنها خارج الأسرة، إلا أنها وإن حدثت في محيط العلاقات الأسرية فإنها قد تتسع وتكبر وتتعقد بفعل حساسية العلاقات الأسرية، ومن هنا كان خلق العفو هو العلاج لما يقع من مشكلات

أسرية فالعفو يقطع كل قول وينهى كل حديث، ويقطع الطريق على أصحاب النفوس الضعيفة الذين يثيرون العدوات بين أفراد الأسرة ومن ثم تهدأ النفوس وتصفو وتأتلف القلوب، وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة نجد نماذج للعديد المشكلات والمواقف الكلية التي تتعرض لها الأسر المسلمة ويكون العفو هو العلاج لها مثل:

(أ) مشكلات المهر وتجهيزات الزواج:

دائما ما يكون المهر سببا للخلاف بين أهل الزوجيين وبالرغم من التوافق بينهم في كل شيء إلا أنه عند الحديث عن المهر وتكاليف الزواج عامة قد تتغير النفوس ويكون الخلاف على المهر سببا في نهاية الزواج قبل أن يبدأ، هذه حالة، وفي حالة أخرى قد يكون الرجل حريصا على إتمام الزواج ممن خطبها ويتحامل على نفسه في تلبية كل مطالب أهل الزوجة حتى في أبسط الأشياء، وهذا الموقف له آثاره السيئة بعد الزواج، ولا سيما إن أثقلته تكاليف الزواج بديون وأقساط يلتزم بسدادها لسنوات بعد زواجه، فهذه المواقف يكنها الزوج لزوجته في نفسه عداوة وكرها وبسبب ذلك قد تنتهي الحياة الزوجية بينهما بالطلاق في سنوات الزواج الأولى، وما أكثر هذه الحالات في عالمنا العربي، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه «وإن الرجل ليغلي بصدقة امرأته، حتى يكون لها عداوة في نفسه»(النسائي).

والعفو بين أهل الزوجين في تكاليف الزواج والتيسير فيما بينهم وعدم التكلف فيه الخير والبركة وضمان لاستمرار الحياة الزوجية في جو من الود والمحبة والرحمة ففي الحديث: عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «أعظم النساء بركة أيسرهن مئونة»(أحمد) .

(ب) مشكلة الطلاق قبل الدخول بالزوجة:

قد يحدث الطلاق قبل الدخول بالزوجة وللعفو هنا أيضا دور في التأليف بين القلوب وترك مساحة للعودة مرة أخرى ويكون العفو هو السبب في ذلك، فللمرأة الحق في نصف المهر ولها أن تعفوا أو يعفوا وليها وللزوج أن يعفوا فلا يأخذ من المرأة شيئا فالخطاب في الآية بالعفو موجه للرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة:٢٣٧).

(ج) مشكلات ما بعد الطلاق:

حال وقوع الطلاق بين الزوجين فإن الإسلام رتب للزوجة مجموعة من الحقوق يؤديها الزوج لزوجته بإحسان مشتملا بالعفو حتى لا تلجأ مضطرة للتنازل عن حقوقها قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ (الطلاق:٦).

استمرار العلاقات الأسرية

حري بنا كمسلمين أن نتخلق بخلق العفو داخل أسرنا وأن يكون هو موجها لخلافاتنا ومشاكلنا الأسرية، ففي هذا حفاظ على العلاقات الأسرية وتقوية لها حال كونها قائمة بترفعنا عن الصغائر والهفوات وتغافلنا عنها، حتى تستمر مشاعر الود والمحبة، كما أن العفو من أسباب استمرار العلاقات الأسرية حال وقوع الطلاق، فالطلاق ليس نهاية المطاف في علاقاتنا الأسرية فبالعفو تستمر العلاقات باحترام بين الطرفين لتأدية الحقوق ورعاية الأبناء بعد الطلاق وتوفير البيئة الصالحة لتربيتهم تربية سليمة مفعمة بمشاعر الحب والبر من جانب الأبناء للأب والأم، فلا يستميل أحدهما الأبناء لجانبه مشوها لصورة الطرف الآخر ومشجعا له على هجره وعدم بره، فما زالت ساحات المحاكم تشهد عشرات الآلاف من قضايا الأحوال الشخصية فيما يخص نفقة الزوجة والأبناء وحق الرؤية للأبناء والحق في الولاية،... والعفو هو الحل لكل هذه المشكلات وهو رسالة ود ومحبة قد ثمر عن عودة الحياة الزوجية بعد حين ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟

﴿ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة:٢٣٧).

العفو عن إساءة ذوي الرحم

تنتشر مشاعر الحقد والحسد والغيرة فيما بين الإخوة أبناء الأب الواحد والأقارب أبناء الرحم الواحد داخل الكثير من عائلاتنا وأسرنا، بسبب الجهل بالحقوق الشرعية لذوي القربى، وحب الدنيا والسعي إليها بكل السبل حلالا كانت أم حراما، ولكن الواجب ألا نقابل الإساءة بإساءة والضرر بالضرر، بل نعفوا رغم ما ألحقوه بنا من أذى وضرر، ففي الحديث: عن عقبة بن عامر ﵁ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»(البيهقي).

والعفو صفة من صفات النبي ﷺ، عن أبي إسحق قال: سمعت أبا عبدالله الجدلي يقول: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح» (الترمذي).

ولنا الأسوة الحسنة في النبي ﷺ في عفوه عمن أساء إليه، فعلى الرغم مما لاقاه من قومه من حسد على بعثته دون واحدا منهم ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف:٣١)، واتهموه بالكهانة والسحر والجنون، وحاصروه في شعب أبي طالب، وقتلوا أصحابه وعذبوهم وعندما تمكن منهم يوم فتح مكة عفا عنهم وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فكان هذا العفو سببا لتأليف القلوب وحقن الدماء والأهم فتح القلوب للإسلام، فدخل كثير من المشركين في دين الله أفواجا.

ومهما بلغت الإساءة من ذوي القربي فلا بد من العفو عنهم بل والإحسان إليهم، وموقف حادثة الأفك على شدته وقسوته إلا أنه موقف فيه تربية للنفس وحملها على أنبل الأخلاق وأسماها والبعد عن الانتقام، فالصديق أبو بكر ﵁ بعد أن مرت المحنة وبرأ الله سبحانه وتعالى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما رماها به المنافقون، وكان ممن تكلم وخاض معهم، مسطح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر الصديق ﵁ وكان فقيرا معدما ينفق عليه أبو بكر، فأقسم ألا ينفق عليه، كما جاء عند البخاري: «والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢)، قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبدا».

المواقف الحياتية العابرة

في مواقف الحياة العابرة، في أعمالنا، في شوارعنا مع جيراننا، أثناء قيادة السيارات، في الأسواق والأماكن العامة، نتعامل مع نوعيات وشخصيات عديدة من البشر قد نتعرض لبعض الإساءة منهم وهذه المواقف العابرة نقابلها بالعفو قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾(الفرقان:٦٣)، وفي الحديث: عن معاذ بن أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء»(الترمذي). فلك أن تتخيل حجم الضرر الذي يلحق بالمجتمع لو لم يكن هناك عفو عن هذه المواقف فقد تتوقف شوارعنا، أعمالنا، مصالحنا....

إن في خلق العفو تهذيب للنفوس وتأليف للقلوب وتهوين وتسرية على نفوس المبتلين وقوة وصبرا على تحمل ومواجهة مشكلات الحياة وضغوطاتها، وحفاظا على علاقات الرحم والقربى وصيانة لحياة الأسر من التصدع والانهيار، وإشاعة للأمن والأمان في مجتمعاتنا، ودعمة لجهود البناء والتنمية مما يعود بالخير والنفع على الجميع ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(النور:٢٢).

الهوامش

١- ابن قيم الجوزية: الروح، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، (ص ٦٧٨).

أحمد المنزلاوي
ماجستير الأدب والنقد
عضو اتحاد كتاب مصر





التسامح بين الزوجين نماء واستمرار

لا تكاد تخلو الحياة الزوجية من مشكلات وخلافات، سيقع البعض في أخطاء ويخفق في واجبات، كما الشأن في الحياة كلها، فنحن بشر، والبشر خطاؤون، ولن تستقيم الحياة إلا بشيء من العفو والتسامح والتجاوز عن الخطأ.

أسوأ ما ينغص الحياة الزوجية، أن تتحول ذاكرة الزوج (ذكرا كان أو أنثى) إلى سجل يحتفظ بالأخطاء ويضخمها، ذاكرة مقلقة، مغضبة، تأزم أي علاقة وتفضي بها إلى الفراق.

إن أغلب الاستشارات المتعلقة بمرحلة الطلاق، تجعلنا نقف على سبب رئيسي وهو التشبث بالخطأ والقوف عنده كثيرا وعدم تمريره والتغافل عنه.

وكان الصحابي الجليل أبو الدرداء ﵁ يعي هذا الأمر جيدا، فقال لزوجته أم الدرداء: «إذا غضبت فرضيني وإذا غضبت رضيتك، فإذا لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق»[1].

فالتسامح والتغاضي مفتاح أمان الحياة الزوجية، وسبيل الإبقاء عليها، فليس هناك الإنسان الكامل، بل إن فينا ما يستحسنه شريك الحياة وفينا ما يسوؤه، لذلك قال النبي ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[2].

أي: ينبغي أن لا يبغضها، لأنه إن وجد فيها خلقا يكره، فإنه سيجد فيها خلقا مرضيا.

وقد كان النبي ﷺ في تعامله مع زوجاته، لا يؤاخذهن بكل ما يقلن أو يفعلن، وسجل ذلك القرآن ليكون الخلق القويم في التعامل بين الأزواج، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ (التحريم: ٣).

قال كثير من المفسرين: هي حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، أسر لها النبي ﷺ حديثا، وأمر أن لا تخبر به أحدا، فحدثت به عائشة رضي الله عنهما، وأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرفها ﷺ، ببعض ما قالت، وأعرض عن بعضه، كرما منه ﷺ، وحلما[3].

فلم يعرف ويلوم على كل ما قالت به زوجته، بل أعرض عن بعضه.

وهكذا كان النبي ﷺ يتجاوز عن الخطأ ولا يعاتب عليه بل ربما أعذر فيه واعتذر عن المخطئ، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها أتت بطعام في صحفة (قصعة يقدم بها الطعام) لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة مؤتزرة

بكساء ومعها فهر (حجر صلب ملء الكف)، ففلقت به الصحفة، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة، ويقول: «كلوا غارت أمكم» مرتين، ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة، وأعطى صحفة أم سلمة عائشة[٤].

قال ابن حجر: وقوله: (غارت أمكم) اعتذار منه ﷺ؛ لئلا يحمل صنيعها على ما يذم، بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة، فإنها مركبة في النفس بحيث لا يقدر على دفعها[٥].

فالنبي ﷺ لم يعاقبها بادئ ذي بدء، ولم يعنفها بكلمة جارحة، بل ذهب ليعتذر عنها، ويبين أن الذي حملها على ما قامت به هو غيرتها.

وفي حادثة الإفك كادت تكون فتنة عمياء، فقد أصابت المسلمين بهزة عنيفة زلزلت كيانهم، ولم يكن الناس فيها سواسية، ولكنهم كانوا مختلفين في آرائهم تجاه حادثة الافتراء والظلم.

فقد سكت بعضهم، فلم يدر من شدة الدهش والذهول ما يقول، وأفصح بعضهم بعظيمة العظائم، وقبيحة القبائح، وامتنع أناس عن الإفصاح بالحق في تنزيه حليلة النبي ﷺ.

ولك أن تتخيل تلك اللحظات الحرجة، بل الساعات والأيام التي قضوها، وهم يعيشون مرارة المحنة.. وأي محنة تلك التي تتعرض لها الأنثى حين تتهم في عفتها، ويغمز على شرفها، وهي من تلك التهمة وذلك الغمز براء، ولكنها أعظم المحن وأشد الفتن أن يختار المرجفون صفوة الله من النساء، وحبة خاتم الرسل والأنبياء، فيوجهوا إليها أصابع الاتهام، دون أن يرقبوا فيها أي إل أو ذمام.

ومع ما يرجفه المرجفون ويتناول الناس من عرض النبي وحرمه، فمع ذلك لم يتهم النبي عائشة، بل لم يخبرها بشيء البتة، قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت، حين قدمنا المدينة شهرا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف، الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم؟» فذاك يريبني، ولا أشعر بالشر[٦].

لاحظ معي كيف فعلت الغيرة بالنبي ﷺ حينما أذيع الإفك واتهمت عائشة، بلغت الغيرة مبلغها حتى أثرت على معاملته لعائشة وأحست هي ذلك، لكنه لم يخونها أو يوجه لها أي اتهام، هكذا حتى كشف الله هذه الغمة ببراءة عائشة رضي الله عنها.

والنساء يحببن من أزواجهن المسامحة والتغافل، ففي حديث النسوة مع عائشة رضي الله عنها، نستلمح هذا، فقد قالت إحداهن: «زوجي أبو زرع، وما أبو زرع، أناس من حلي أذني، وملأ من شحم عضدي، وبجحني (عظمني) فبجحت إلي نفسي.... فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح»[٧].

فهو لا يرد قولها ولا يقبحه بل يقبله ويستظرفه، ويجعلها تنام حتى أول النهار فيكفيها مؤنتها بالخدم، وإذا شربت لا يقطعها عن شرابها بل يتركها جتى ترتوي، وهنا قال الرسول لعائشة بعد قصها عليه أخبار النسوة الإحدى عشر: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع». فقالت عائشة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، بل أنت خير إلي من أبي زرع.

البيت السعيد لا يقوم على المحبة المجردة، بل لا بد أن تتبعها روح التسامح بين الزوجين، لذلك قال الله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، فالرحمة هي الجناح الآخر الذي يحلق به الزوجان مع المودة، الرحمة التي تجعل كل منهما يرفق بالآخر ويعذره، ويغفر له الخطأ ولا يكثر في تأنيبه وتوبيخه، رحمة تجعله يتقبل الهفوة، ويتجاوز عن الذلة، ويتسامح في الأخطاء.

والتسامح بين الزوجين ناتج عن علاقة قوية قوامها حسن الظن والثقة بين طرفيها، والتعاون على تهيئة بيتهما إلى السكن والهناء، وذلك بالوصول إلى حلول للمشكلات واسترضاء كلا الطرافين للآخر في حالة غضبه، والاعتذار عن الخطأ وعدم تكراره،



واعتبار وجهة نظر الآخر في المشكلة، وتقدير شعوره ناحيتها، فمعظم الشقاق ينشأ عن عدم تقدير أحد الزوجين لمتاعب الآخر، أو عدم إنصاف حقوق شريكه.

وتعتبر استجابة كل من الزوجين للأحداث الضاغطة في الزواج المحك الفعلي لنضج شخصيتهما ومتانة العلاقة الزوجية، فالزوجان الناضجان المرتبطان معا بعلاقات قوية، يواجهان عوائق كثيرة ولا يتأزمان في زواجهما بسرعة ويتحمل كل منهما الآخر.

أما الزوجان غير الناضجين أو المرتبطان معا بعلاقات ضعيفة فيتأزمان بسرعة وتنفك علاقاتهما ويختل تفاعلهما معا، ويتنافران ولا يتألفان أمام الأحداث البسيطة.

فكلما قوي الزوجان على تمرير الخطأ تأصلت الروابط بينهما، حتى ليتفهم كل منهما ما يثير غضب الآخر، أو يعرف شعور الغضب وشعور الرضا فيه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ لعائشة: «إني لأعرفك إذا كنت غضبى، وإذا كنت راضية، إذا غضبت قلت: لا ورب إبراهيم، وإذا رضيت، قلت: لا ورب محمد»[8].

إذا غاب عن الحياة الزوجية قيم التسامح والتعاطف والعفو والتغافل، فهذا معناه تأزم الحياة وتوسع الخلافات وجرح النفوس والتوتر الدائم، أما إذا حضرت هذه القيم، فزيادة الحب، وتقوية العلاقة، وتفشي الاحترام، والتعايش في أمان.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾(البقرة: ٢٣٧)، نجده جزء من آية تتحدث عن التعامل بين الرجل وزوجته عند الطلاق قبل الدخول وبعد فرض المهر؛ فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

فالله يذكر الحقوق والواجبات، ومع ذلك يحض على العفو ، وحث في ثنايا الحديث عن الطلاق والفراق بين زوجين لم يلتقيا، ولم يكن بينهما طويل ود ولا عشرة عمر -كما يقال- فكيف بما هو فوق ذلك؟!

ليبقى قانون الزوجية هو (الفضل) لا (الحق).. ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾.

الهوامش

١- ابن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، دار الكتب العلمية - بيروت، (ص: ٧٢).

٢- رواه مسلم (١٤٦٩).

٣- السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م، ص: ٨٧٣).

٤- رواه البخاري وأحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي واللفظ له، وصححه الألباني.

٥- فتح الباري (٦/٦٠٤).

٦- رواه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

٧- رواه البخاري (٥١٨٩) ومسلم (٢٤٤٨).

٨- رواه أحمد في المسند (٢٥٧٧٩).





د. آندي حجازي/ كاتبة تربوية - تخصص علم النفس التربوي

العفو والتسامح بين الأقارب

التسامح مبدأ إنساني يتم فيه العفو عن أخطاء الآخرين وتجاوز الأفعال التي تصدر عن مواقف بعض البشر، فالتسامح والعفو يحثان الإنسان على نسيان الأحداث المؤلمة والأذى الناتج عن بعض المواقف المسيئة التي بدرت من الآخرين، مع الابتعاد عن فكرة الانتقام والحقد والكراهية، ومراعاة أن البشر خطاؤون بطبيعتهم والتماس الأعذار والتعاطف والتجاوز عن الأخطاء بمحض إرادتنا ورحمة بالغير. فالتسامح يتطلب التغاضي عن أخطاء الآخرين وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة، وخاصة بين الأهل والأقارب والأصدقاء، وهذا يتطلب تقوى كبيرة ودرجة راقية من الأخلاق الحميدة العظيمة التي حث عليها ديننا الإسلامي العظيم، ما يحفظ العلاقات الأسرية وعلاقات العائلة الممتدة والعلاقات بين الأصدقاء قوية مترابطة، ويقوي الترابط في المجتمع ويزيد التضامن والوحدة بين أفراد المجتمع المتسامح.

ويتضمن التسامح تقبل اختلافات الأفكار وطريقة التفكير والصفات الإنسانية والخلقية والعقلية بين البشر، واحترام آراء الآخرين والتعاطف مع ظروفهم ومشاعرهم، واختلاق الأعذار لهم خاصة بين أفراد الأسرة الواحدة والعائلة الممتدة لتستمر الحياة وصفوها والمودة.

أهمية التسامح للفرد والمجتمع

عندما ينتشر التسامح والعفو بين أفراد الأسرة الواحدة فإنه بالتأكيد ستقل المشكلات والكراهية والحقد التي تنتج عن سوء الظن وعدم التماس الأعذار، وبالتالي ستكون أسرة قوية مترابطة تسودها المحبة والحياة الاجتماعية، وبالأخص داخل الأسرة الواحدة فلابد من التسامح لأنه أساس العلاقات بين الإخوة والأخوات لأنه إن انتشر الحقد وعدم العفو عن الأخطاء ولم يتدربوا من الصغر على هذا التسامح بين بعضهم كإخوة في نفس الأسرة فإن هذا أمر خطير لأن الأبناء سيكبرون وينشأون على تلك الكراهية بل وستتفاقم بينهم الضغينة والأحقاد التي تؤدي لقطع العلاقات وقطع الأرحام، وهذا للأسف ما بدأ ينتشر في زماننا من قطع العلاقات والأرحام نتيجة مواقف بين الإخوة والأخوات قائمة على خلافات عقلية أو مالية أو عدم تربية على المحبة والأخوة والتسامح والعفو عند المقدرة منذ أن كانوا صغارا، ونتيجة لقلة التربية الدينية والتربية على التواصل الاجتماعي والزيارات وصلة الرحم فإن الخلافات وقطع الأرحام وقطع العلاقات هو السائد في الكثير من الأسر للأسف في زماننا.

وقد امتدح الله العافين عن الناس وجعل جزاءهم الجنة: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤).

وكم هو كبير ثواب العفو فالله يغفر لمن



يغفر للناس فقد قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢).

وقال تعالى مؤكدا أن ثواب العفو عن الناس ثواب كبير لا يعلمه إلا الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠)، وما أعظم من أن تجد أن الله تعالى يحب المحسنين الذين يعفون عن الآخرين لأن العفو ليس سهلا عمن أساء إليك فقد قال عز وجل: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣) فالشخص المتسامح يجني ثوابا عظيما من الله عز وجل، ويعفو عنه الله تعالى.

نماذج من تسامح رسول الله ﷺ

روي عن السيدة عائشة، رضي الله عنها، أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» (رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن عائشة أم المؤمنين، ح:٣٢٣١).

فانظر في الموقف أعلاه إلى روعة تسامح وعفو رسول الله ﷺ عند المقدرة على الانتقام مما فعله قومه به فقد كانت فرصة سانحة لأن ينتقم ممن آذاه، ولكن عظمة العفو عند رسولنا الكريم جعلته يتسامح معهم بل ويدعو لهم، ما يجعلنا نتعلم منه حسن التجاوز عن الأفعال المسيئة من الأهل والأقارب فهو أسوتنا العظيمة في أخلاقه وحسن تصرفه وكسب محبته من الآخرين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء (متفق عليه). فكم هي عظيمة أخلاق نبينا فقد ضرب أروع الأمثلة بالتسامح والعفو والتغاضي عن إساءات الآخرين.

لماذا لا نتسامح ولا نعفو؟

التسامح يجلب للإنسان السعادة وليس كما يتخيل البعض أنه يسبب الضعف والإهانة، بل قد يكسب محبة الناس وثقتهم، وقد يؤدي لأن يتعامل الناس مع المتسامح بلطف وإحسان نتيجة تجاوز أخطائهم ومراعاة مشاعرهم، فقد يمر الناس بظروف صعبة وضغوطات معيشية تجعلهم يعتدون لفظا أو قولا ويخطئون التصرف، ولو تمت معاقبتهم

على ذلك لأدى ذلك لتفاقم المشكلات وقطع العلاقات وللأبد أحيانا؛ ولكن إن تمت مراعاتهم والتسامح معهم فقد يأتي المخطئ ويعتذر وتستمر العلاقات والمودة بين الناس وخاصة بين أفراد الأسرة الواحدة والعائلة الكبيرة، وتبقى العلاقات قوية بين العائلة بدلا من قطع أواصر المحبة وانتشار الضغينة والتي تتمد مع الأبناء أحيانا!

فلو كان الأب نموذجا لأبنائه في التسامح مع من يسيء إليه وبالأخص مع إخوته وأقاربه فإن أولاده سيتعلمون منه ويحبون والدهم ويحترمونه ويحبون عائلتهم الممتدة، لأن والدهم سيكسب محبة جميع أقاربه بل وسيجدونه رجلا حكيما ناضجا وقد يستشيرونه في أموره، لأنه أصبح معروفا عنه أنه يستخدم الطرق السليمة والسلمية في التفاهم مع عائلته دون مشاكل ودون تعد على حقوق الآخرين أو التقليل من قدر نفسه.

فالعفو عن الآخرين رغم القدرة على الانتقام يجلب الاحترام والمودة ويعمل على تحقيق التعايش بين الأفراد في المجتمع؛ عن طريق تجاوز الخلافات والتقليل من شأنها مع الحفاظ على حقوق الآخرين واحترامهم، بعيدا عن الصراعات وانتشار الحقد والكراهية والفرقة، ما يعمل على تماسك المجتمع وتحقيق المصالح العامة في المجتمع والأسر.

ويحسن من ذلك التسامح بين الناس مستوى العلم الذي يتلقاه الفرد ومستوى التربية الدينية والأخلاقية التي تربى عليها الفرد، وطرق الحوار البناءة التي تدرب عليها ومارسها في واقع حياته. والتربية الدينية لها دور كبير في التقليل من الصراعات الناتجة عن الخلافات وكثيرا ما حث ديننا على التسامح فمثلا قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠-٤٣).

ثمار العفو والتسامح مع الآخرين

إن المتسامح يجني الكثير من الفوائد في الحياة ومنها:

شعور المتسامح بالسعادة والرضا من الله تعالى نتيجة العفو عن الناس والشعور بالصفاء القلبي.

كسب محبة الناس وثقتهم حيث يتعامل معهم برقي أخلاقي ومحبة ولا يقف موقف الحاقد الغاضب أمام تصرفات الآخرين.

اكتساب ثقة الأقارب له وقد يصبح مرجعا حكيما لهم يستشيرونه في أمورهم.

سبب لتنمية التقوى لدى الفرد، قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

التقليل من المشاكل بين أفراد الأسرة والتي قد تنتج عن سوء الفهم أو عن الجهل أو ضغوط الحياة.

اكتساب رضا الله تعالى لأن الله يحب المتسامحين ويشجع على ذلك كما ذكرنا بآيات كثيرة.

إزالة الضغينة والأحقاد وزيادة المحبة بين أفراد المجتمع وتقوية العلاقات بين الناس والأسر بدلا من تفككها وانتشار الكراهية بين أبنائها.

مساعدة الشخص المخطئ على مراجعة نفسه والتخلص من أخطائه والاعتذار عنها وتصحيح أخطائه بل ومواقفه تجاه الآخرين.

نصيحة ختامية

وفي ختام القول؛ فقد روى سيدنا أبوأيوي الأنصاري عن رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (صحيح مسلم، ح:٢٥٦٠). فالمشاكل التي قد تقع بين الإخوة أو في الأسرة الواحدة أو بين الجيران أو الأصدقاء يجب أن تحل بالطرق السلمية والتفاهمية وبطرق يرضاها الله عز وجل تؤدي لحل المشكلات لا تفاقمها، فمثلا إن كان سبب المشكلة كلمة أو جملة قيلت أو مسبة أو غيبة أو تشويه سمعة فممكن تشجيع قائلها على الاعتذار لمن قيل له ذلك وارتكب بحقه الخطأ، وتشجيعه على التسامح والتصالح والتراضي وقبول الاعتذار من الطرف المساء إليه.

وإن كان سبب الشحناء أمورا مالية في ذمة أحد الأشخاص للآخر فعليه العمل على إرجاع الحقوق لأصحابها والاتفاق على موعد لذلك، ولابد من تشجيعه على أداء المال الذي عليه للآخرين وقضاء دينه، أو مسامحته في بعضه إن أمكن، أو مساعدة الأهل والأقارب له في تحمل بعض ديونه إن لم يستطع هو وحده، وتقاسمه والأداء عنه لأن هذا من شيم الكرام وأخلاق ديننا ونبينا. فعلى أبناء الأسرة الواحدة والجيران ألا يطيعوا الشيطان في إثارة الشحناء والضغينة بينهم، بل يجب أن يكونوا محضر خير بينهم ومحاربة الفرقة والخلاف بكل ما استطاعوا من قوة حتى تعود الأمور إلى نصابها، وتصفو القلوب، وتتحسن العلاقات وتسود المودة بين الجميع في الأسرة والمجتمع، وتبقى العلاقات الاجتماعية قوية وسليمة وسلمية تميز مجتمعاتنا العربية بحمد الله وفضله.

د. ناجي عبد الله الخرس
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف



إياك والفجور في الخصومة

الحمد لله الداعي إلى بابه، الموفق من شاء لصوابه، أنعم بإنزال كتابه، يشتمل على محكم ومتشابه، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه، وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به، أحمده على الهدي وتيسير أسبابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من عقابه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أكمل الناس عملا في ذهابه وإيابه، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر أفضل أصحابه، وعلى عمر الذي أعز الله به الدين واستقامت الدنيا به، وعلى عثمان شهيد داره ومحرابه، وعلى علي المشهور بحل المشكل من العلوم وكشف نقابه، وعلى آله وأصحابه ومن كان أولى به، وسلم تسليما. إخواني: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة فاطر: ٢٩-٣٠).

نهى الإسلام عن الفجور في الخصومة، وجعلها علامة من علامات النفاق الخالص. عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[1].

قال الحافظ بن حجر: الفجور هو الميل عن الحق والاحتيال في رده. والمراد أنه إذا خاصم أحدا فعل كل السبل غير المشروعة، واحتال فيها حتى يأخذ الحق من خصمه، وهو مائل عن السراط المستقيم[2].

ولقد سمى الله في كتابه الكريم الفجور في الخصومة لددا، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ (البقرة:٢٠٤).

وهكذا المنافق في حال خصومته، فإنه يكذب ويزور عن الحق ويفجر ويفتري. والألد الشديد اللدد أي الجدال. والمعنى: أنه من أي جانب أخذ الخصومة قوي.
وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[٣]. لأن نفسه تزدحم باللدد والخصومة، فلا ظل فيها للود والسماحة ولا موضع فيها للحب والخير، ولا مكان فيها للتجمل والإيثار.
الفاجر في الخصومة يسبق لسانه عقله، وطيشه حلمه، وظلمه عدله. لسانه بذيء وقلبه دنيء. الفاجر في الخصومة يزيد على الحق مئة كذبة، وترونه كالذباب لا يقع إلا على المساوئ. ينظر بعين العداوة. ترونه آكلا للأعراض، همازا مشاء بنميم، معتديا أثيما. له طبع كطبع الدود، لا يقع على شيء إلا أفسده أو أقذره.
الفاجر في الخصومة لا أمان له ولا ستر لديه. فيه طبع اللئام، فإن اختلفت معه في شيء حقير، كشف أسرارك وهتك أستارك وأظهر الماضي والحاضر.
والعجب كل العجب، أن بعض الناس يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والزنى والظلم والسرقة وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من لسانه.
كم نرى من مترفع عن تلكم الفواحش والآثام، ولسانه يفري في الأعراض ولا يبالي ما يقول. فيبغي على خصمه، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة - علمائها وعبادها وأمرائها ورؤسائها - وجدت أكثره من هذا الضرب. الذي هو البغي بتأويل أو بغير تأويل، والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضه على بعض، لا تحل إلا بإذن الله ورسوله ﷺ).
والفجور في الخصومة يؤدي إلى:

أولا: التحاسد والتباغض

عن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء، هي الحالقة. لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)[٤]. أي تهلك وتستأصل الدين[٥].

ثانيا: التقاطع والتدابر

عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)[٦].
وقال ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار)[٧].

ثالثا: الكبر والعجب

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه ونعله حسنة. قال: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس).
روي أن مطرب بن عبد الله الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في طرف خز وجبة خز. فقال له: يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. فمضى المهلب وترك مشيته.

رابعا: البغي وقطيعة الرحم.

عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم)[٨].
كم رأينا بين الأزواج والإخوان والأقارب والجيران من المحن والفتن والدعاوى والخصومات والمحادة والغضاضة والنفرة والتدابر والتشاحن والتقاطع، حتى شاع الطلاق وكثرت المشاكل داخل وخارج البيوت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
فاتقوا الله يا عباد الله، وراعوا حق القرابة والرحم والجار والأخوة فيما بينكم، وكفوا عن المنازعة والقطيعة، وعالجوا الأمور بالحكمة والتنازل بدون شروط ولا قيود وبدون تحقيق ولا تدقيق فكلكم إخوة في الله.

علاج الفجور من الخصومة

١- سلامة الصدر من الشحناء.

٢- العفو والتسامح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[٩].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾(فصلت ٣٤).

وقفة مع آية

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾(سورة البقرة ٢٠٤ - ٢٠٦).

عن القرظي، عن نوف وهو البكالي، وكان ممن يقرأ الكتب، قال:

إني لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل: قوم يحتالون الدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر. يلبسون الناس مسوك الضأن، وقلوبهم قلوب الذئاب، فعلي يجترئون وبي يغترون. حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران. قال القرظي: تدبرتها في القرآن فإذا هم المنافقون، فوجدتها (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله........)[١٠].

هذا المخلوق الذي يتحدث، فيصور لك نفسه أنه خلاصة من الخير، ومن الإخلاص ومن التجرد، ومن الرغبة في إفاضة الخير والبر والطهارة على الناس. هذا الذي يعجبك حديثه، تعجبك ذلاقة لسانه، وتعجبك نبرة صوته، لسانه أحلى من العسل.

هذا النوع من الناس كما قال الله تعالى: (ويشهد الله على ما في قلبه)، أي أنه يظهر للناس الإسلام، ويبارز الله بما في قلبه من الكفر، أو أنه إذا أظهر الإسلام للناس، حلف أو أقسم الإيمان، وأشهد الله للمؤمنين أن ما في قلبه من الإيمان موافق لما ينطقه لهم بلسانه، وهو في الحقيقة (ألد الخصام).

وهكذا المنافق في حال خصومته، فإنه يكذب، ويعوج ويزور عن الحق ولا يستقيم معه، وإنما يفجر ويفتري. ولهذا جاء في صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ: (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[١١].

لأن نفسه تزدحم باللدد والخصومة، فلا ظل فيها للود والسماحة، ولا موضع فيها للحب والخير، ولا مكان للتجمل والإيثار.

هذا الذي يتناقض ظاهره وباطنه، ويتنافر مظهره ومخبره. هذا الذي يتقن الكذب والتمويه والدهان، حتى إذا جاء دور العمل ظهر المخبوء، وانكشف المستور، وفضح بما فيه من حقيقة الشر والبغي والحقد والفساد[١٢]: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد).

هذا المنافق أعوج المقال، سيء الفعال، ذكرت الآية السابقة قوله السيء، وذكرت هذه الآية فعله السيء. كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة. فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل.

والحرث هو: الأرض التي تنموا بها الزروع والثمار. والنسل هو: نتاج الحيوانات من الأنعام وغيرها.

ولا تقوم حياة الناس إلا بالزروع والثمار والأنعام.

(والله لا يحب الفساد)، ولهذا إذا وعظ المنافق الفاجر، كما قال تعالى: (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم).

أي أخذته الحمية وسيطر عليه الغضب بسبب ما اشتمل عليه من الإثم والذنب، لأنه ينكر أن يقال له هذا القول، ويستكبر أن يوجه إلى التقوى، ويتعاظم أن يؤخذ عليه خطأ وأن يوجه إلى صواب.

وأخذته العزة لا بالحق ولا بالعدل ولا بالخير، ولكن (بالإثم). (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) أي: هي كافيته عقوبة على ذلك.

وأما قوله (ويشهد الله على ما في قلبه)، ومعناه أنه يظهر للناس الإسلام ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق، كقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾(النساء ١٠٨). وقيل: معناه أنه إذا أظهر للناس الإسلام حلف وأشهد الله لهم أن الذي في قلبه موافق للسانه.

وأما قوله: (وهو ألد الخصام)، الألد في اللغة الأعوج ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾(سورة مريم ٩٧).



أي عوجا، وهكذا المنافق في حال خصومته، يكذب ويزور عن الحق ولا يستقيم معه، بل يفتري ويفجر. وقوله: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) أي: هو أعوج المقال سيء الفعال، فذلك قوله هذا فعله، كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة، والسعي - ههنا - هو القصد.

وقال مجاهد: إذا سعى في الأرض فسادا، منع الله القطر فهلك الحرث والنسل.

(وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ)، أي: لا يحب من هذه صفته، ولا من يصدر منه ذلك، وقوله (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة)، أي: إذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله، وقيل له: اتق الله وانزع عن قولك وفعلك وارجع إلى الحق، امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم، أي بسبب ما اشتمل عليه من الآثام. (فحسبه جهنم ولبئس المهاد)، أي: هي كافيته عقوبة في ذلك.

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: (من جعل دينه عرضة للخصومات، أسرع التنقل).

من صور العدل والإنصاف عند العلماء

أولا: في الاختلاف العلمي

نجد بعض شراح (صحيح البخاري) يعلق على مسألة قد وافق البخاري فيها رأي الحنفية، فيقول: (وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية، مع كثرة مخالفته لهم، لكن قاده إلى ذلك الدليل).

ثانيا: في الاختلاف العقدي

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مع الرازي - رحمه الله - الذي وقع في بعض الضلالات العقدية والمنكرات المنهجية، فخصه شيخ الإسلام بكتاب بلغ عشرة مجلدات يرد فيه على ضلالاته. ومع ذلك فقد قال عنه شيخ الإسلام: (ومن الناس من يسيء الظن به - أي الرازي - وهو أنه يتعمد الكلام بالباطل وليس كذلك، بل تكلم بحسب مبلغه من العلم والنظر، والبحث في كل مقام بما يظهر له).

وقد أحسن من قال:

وإن خيار الناس من كان منصفا
صدوقا لبيبا صانه الدين فانزجر
وإن شرار الناس من كان مائلا
عن الحق إن خاصمته مرة فجر

الهوامش

١- البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.
٢ - فتح الباري (٩٠ /١).
٣ - صحيح الجامع (٣٩).
٤ - رواه أحمد (١٤١٥، ١٤٣٣)، والترمذي (٢٥١٠).
٥ - تحفة الأحوذي (٧/ ١٥٩).
٦ - البخاري ومسلم.
٧ - أبو داود بإسناد صحيح.
٨ - الترمذي (٢٥١١)، قال هذا حديث حسن صحيح.
٩- مسلم.
١٠- أخرجه الطبري بسنده ومتنه، وسنده حسن.
١١- البخاري (٢٥٢٣).
١٢- في ظلال القرآن (١/ ٢٠٤ - ٢٠٥).



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد

د. محمد عوض محمد أنموذجا

الجمع بين الرؤية العلمية والبيان الأدبي

قيض الله سبحانه وتعالى للعربية من الكتاب من جمع بين العلم والأدب؛ فنبغ بعض العلماء الأدباء في تبسيط المعارف الطبيعية بشكل راق ونشرها بين طالبي الثقافة والعلم عبر الصحف والمجلات، بأسلوب يجمع في ملامحه وتكوينه بين سمات الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي، وما ذاك إلا لأن هذه الكوكبة من الكتاب حصدوا في العلوم التجريبية درجات علمية مرموقة، كما أنهم حازوا نصيبا وافيا من فنون الأدب وسليقة المبدعين، ولإيمانهم بضرورة تضييق المسافة بين الكتابة العلمية والكتابة الأدبية؛ فقد تبنوا المزاوجة بين الثقافتين، وجمعوا في مقالاتهم بين محاسن اللونين الكتابيين، وقاموا بصهرهما في بوتقة واحدة منتجين لونا ثالثا من الكتابة، يكون من أخص سماته أنه يمتع ويقنع، ويشبع رغبات العقل المتطلع إلى المعرفة، كما أنه يستثير العاطفة ويحرك الوجدان، وكان من رموز هذا اللون المقالي الدكتور محمد عوض محمد الذي مزج في مقالاته العلمية بين مخاطبة العقل وإقناعه، ومناشدة النفس وإمتاعها.

ومن القضايا التي طرقها د. عوض الموضوعات العلمية المتأدبة، حيث يرى أن هناك في مجال الكتابة موضوعات علمية خالصة يتحاماها الأديب ويفر منها، وهناك موضوعات خلصت للأدب لا يمكن أن يتدخل فيها العلماء بالبحث والتدقيق، وإلى جانب هذا وذاك توجد موضوعات «قد عالجها الأدب، وخلع عليها حلله؛ فكساها رواء وبهاء، وأفاض عليها العلم من ضيائه؛ فأنار من ظلمائها، وأظهر كامن أسرارها»[١].

وهو هنا يقصد الموضوعات التي تستدعي أفذاذا من كلا الفريقين؛ فلم ير الأديب مانعا يحول دون طرقها، وإعمال ريشته في تزيينها، وكذلك أحس العالم بدافع يدفعه إلى خوض غمارها، واستعذاب مائها «فأغار العالم منهم على حمى الأدب يعالجه بالوسائل العلمية؛ من بحث، وفحص، وتدقيق، وتحليل، وهجم الأديب على حمى العلم؛ فجعل من حقائقه ونظرياته شعرا رائعا، وخيالا شائقا»[٢].

وضرب مثلا على ذلك ببعض النماذج المحلقة في سماء العلم، وكذلك بعض الضاربين بحظ وافر في عالم الشعر؛ فأرسطو لم يكن أديبا ولا شاعرا ومع ذلك ألف في الشعر كتابا اتبع فيه الأسلوب العلمي الخالص. وفي المقابل، فإن من شعرائنا العظماء من كان يمزج العلم بالشعر في بعض قصائده، ولا يرى بأسا من التصريح ببعض الحقائق العلمية في أعطاف القصيدة، وعلى رأس هؤلاء المتنبي والمعري، وكذلك من الأدباء المحدثين من ذهب في مؤلفاته الأدبية الخالصة إلى معالجة موضوعات علمية بحتة، واستدل عوض باسمين بارزين من كتاب الغرب وهما ولز وبرنارد شو، اللذان قال فيهما: «ومن ذا الذي يجرؤ أن يقول لهذين العلمين أن يتركا العلم للعلماء، وأن يلزما حدود الأدب»[٣].

ويخلص عوض إلى أن هذا التزاوج بين العلم والأدب له ثمرات جنية، وقطوف دانية؛ ينبغي أن تأخذ حظها من البحث والتطبيق، مما سيكون له أثر في صلاح العلم والأدب معا «والحقيقة أن من حسن حظ العلم والأدب جميعا؛ أن يكون كل مشتغل بالأدب ضاربا في العلم بسهم، وكل مشتغل بالعلم قادرا على تذوق الأدب والاستمتاع به»[٤].

فالحق أن من الموضوعات ما قد يتناوله العلم والأدب معا، ويأتي كل منهما بالمبهر المطرب، المزكي للعاطفة، والمغذي للعقل.

مقال: «الرياح».. مثالا

وعلى سبيل الاستشهاد والتدليل على هذه الموضوعات ذات المضمون العلمي المصاغة بأسلوب أدبي؛ نعرض لأحد مقالات د. محمد عوض بعنوان: «الرياح»[٥] ليستبين أسلوب الرجل في كتاباته العلمية المتأدبة، والمنهج الذي ارتضاه لنفسه في هذا الميدان الدقيق.

المعالجة الموضوعية

يبدأ عوض مقاله بمقدمة قرر فيها أننا معشر المصريين أقل الأمم اكتراثا لأمر الرياح؛ فنعيش حياتنا كأننا لا يهب علينا إلا نسيم عليل، أو ريح رخاء، ونتناسى أن في العالم زوابع وأعاصير، مع أن هبوب الزوابع حتى في بلادنا ليس بالأمر النادر؛ فكثيرا ما نحس تلك الحركة العنيفة في طبقات الجو؛ فإذا أبوابنا تقرع بعنف، ونوافذنا تكسر، ولكنها لا تدوم طويلا؛ فلا يلبث الهواء أن يعود نسيما، ولا تلبث الرياح أن تعود رخاء.

ثم أشار إلى أن الاهتمام بأمر الرياح من الأمور التي تعنى بها طوائف عديدة من الناس؛ وعد منهم الشعراء، الذين طالما ذكروها ونعتوها وحملوها رسائل الغرام، ودلل على ذلك ببعض الشواهد الشعرية، وتناول نظرة الملاحين إلى الرياح؛ التي كانت هي الوسيلة الوحيدة إلى قطع البحار والتقريب بين البعداء، وعرج على علاقة الرياح بخطوط الطيران؛ فهي تخشى الرياح وتحسب لها ألف حساب، ثم ختم بعلماء الطبيعة الذين يدرسون ظاهرات الرياح، ويحاولون أن يطلعوا على أسرارها.

بعد هذه المقدمة الطويلة ولج إلى موضوعه متحدثا عن الرياح حديث العلم؛ فتعرض للغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض، وعمق الهواء المكون له، واختلاف العلماء في هذا العمق، وطريقة معرفتهم له، ثم أكد أن هذا الغلاف العظيم ليس هادئا ساكنا، بل فيه حركة دائمة نحسها حين تهب الرياح، ومن ثم عرض الإجابة العلمية لسبب هبوبها، وهنا تناول الضغط الجوي بنوعيه، وأوضح أسباب الاختلاف بينهما.

وأبدى الكاتب دهشته حينما قارن حال المصريين؛ الذين قلما يلاحظون الرياح وهبوبها واتجاهها، بما كان عليه العرب من دقة الملاحظة لهذه الظاهرة الطبيعية، وكيف استطاعوا أن يميزوا ضروبها، ويراقبوا اتجاهاتها المختلفة، ويطلقوا على كل ريح اسما يدل عليها، فمن حيث اتجاه الرياح؛ نراهم قد ميزوا بين التي تهب من الشرق والغرب والشمال والجنوب؛ فهناك الصبا، والدبور، والنكباء، كما استطاعوا التمييز بكل دقة بين الرياح الضعيفة والعنيفة؛ فأكثرها هدوءا النسيم، ثم الرخاء، فالبارح، ثم الهوجاء، فالعاصفة، ثم العاصف، وعرف كل منها بما يوضح كنهها للمتلقي.

وأوضح الكاتب أن ملاحظة العرب للريح الحارة والباردة لا تقل عن هذا دقة؛ فالريح الباردة منها: البلبل، ثم الصراد، ثم العرية، ثم الصرصر، أما الرياح الحارة فمن أسمائها: الحرور، والسموم، والسعار.

ثم ذهب إلى أن شعراء العرب قد أكثروا من ذكر الرياح، خصوصا الصبا، وبين سبب الإكثار من ذكرها دون غيرها، ثم دلل على ما ذهب إليه ببعض شعرهم.

ثم ختم الكاتب مقاله بغتة، بصورة لا تخلو من سخرية فكهة، وبأسلوب سلس رائق؛ على أنه في مقاله كله قد مزج الرؤية العلمية بالسليقة الأدبية من غير كلفة؛ فأبدع في تناول هذا الموضوع العلمي الدقيق، وقربه إلى الأفهام في وضوح عذب جياش، يجعل القارئ منتبها دائما، ومستمتعا بما يقرأ.

المعالجة التحليلية النقدية

فأول ما يلاقي القارئ، ويلفت نظره عنوان المقال الذي يدل دلالة مباشرة على موضوع المقال، وصيغ في كلمة واحدة معبرة عن مضمونه، وهذا مما يحبذه بعض الباحثين، إذ يرى أنه من الأفضل «ألا يكون العنوان طويلا؛ فالكثافة الدلالية مطلوبة»[٦]، وكذا فالعنوان الذي نحن بصدده لا يحتاج إلى كد الذهن من المتلقي؛ فقد اكتنز الفكرة التي يدور حولها المقال بأسره، وما على القارئ إلا مطالعة تناول الكاتب لمضمونها، وطريقة معالجته لها.

ومن الملاحظ أن الكاتب تحرى أن يتوافر في عنوان مقاله ما دعا إليه نظريا واستحسنه لغيره، بقوله: «وعنوان المقالة له خطره، ومن المستحسن أن يكون مما

يثير الانتباه ويوحي بالفكرة التي تبنى حولها المقالة»[٧]، فلا تخطئ العين أن عنوانه «الرياح» يدل على مضمون المقال، وذلك مما يدل على أن كاتبنا لم يكن يطلق العنوان حسب ما ورد له عفو الخاطر؛ وإنما كان يختار ويدقق؛ حتى يخرج على القراء بما يجذب ويشبع، ويسعد ويمتع؛ مما يجعلنا نقرر ما ذهب إليه أحد الباحثين عن عوض: «فالعنوان مدخله... يجذب إليه القارئ بطعمه، ونادرا ما تفلته صنارته»[٨].

ولأجل جذب انتباه المتلقي منذ الوهلة الأولى، أتت المقدمة بمنزلة تمهيد طويل ذي صلة بموضوع المقال، يستنفر بها د. عوض عقل القارئ، ويغريه بالإتيان على الحقائق العلمية المشتمل عليها المقال، فإذا تخلص من هذا الاستهلال لعرض القضية الرئيسية للمقال؛ لم يجد القارئ هوة بين المقدمة والعرض؛ لالتصاق كل منهما بصاحبه، وعدم التجافي بين ما احتويا عليه من معان، فكان مما جاء في المقدمة: «لعلنا معشر المصريين من أقل الأمم اكتراثا لأمر الرياح، نعيش حياتنا كأننا لا يهب علينا إلا نسيم عليل، أو ريح رخاء، لا نستثني من هذا غير شهر أمشير، الذي ننعته بالأرعن، ولا يلبث أن يمضي أمشير حتى نتناسى أن في العالم عواصف، وزوابع، وأعاصير، منها ما يثير التراب، وما يقتلع الشجر، ويهدم المنازل والدور».

بعد تلك المقدمة اللصيقة بفكرة المقال العامة، انطلق الكاتب في عرض تفاصيل موضوعه، في رحلة ماتعة ممتدة عبر طائفة من الأفكار الجزئية، التي تلبي متطلبات المضمون المقالي، وتمتزج فيها النظرة الموضوعية العلمية بالرؤية الذاتية الوجدانية، معتمدا على الأسلوب الوصفي المباشر بيد أنه أحيانا يقرن بين التعبير المباشر والتعبير الساخر الذي يتخلل المقال؛ فحين تحدث عن الغلاف الجوي الذي يحيط هذا الكوكب، ذهب إلى أن ذلك لحكم إلهية عظيمة؛ فهو يحول ذلك الغطاء الكثيف من الهواء دون أن تنفذ إلى الفضاء رائحة ما بالأرض من أدران وآثام «فلنحمد العناية التي عملت على وقايتنا شر الفضيحة، فلم تطلع سكان السماوات على ما انغمست فيه أرضنا من إثم ورجس، وفسوق وعدوان».

وكذلك تجد الحقيقة العلمية الناصعة الممزوجة بالمفاكهة اللطيفة في قوله: «إن الشاعر العربي يتساءل: أم هبت الريح من تلقاء كاظمة؟.. ويريد هو وأتباعه من الغاوين أن يوهموا العالم أن الريح ما هبت من تلقاء كاظمة إلا لكي يستطيع حضرته أن يمزج دمعا جرى من مقلة بدم! ونحن نؤكد للشاعر الفاضل أن الريح لا يهمها إذا كان يمزج دمعه بدم، أو يمزج الماء بالراح، أو الويسكي بالصودا.. وإذا كانت الريح قد هبت من تلقاء كاظمة؛ فما ذلك إلا لأن الضغط الجوي شديد (عال) في جهة كاظمة، وخفيف يسير (منخفض) في الناحية التي كان بها الشاعر».

وقد بدا في المقال التأثر بالقرآن الكريم، والاقتباس منه نصا أو ضمنيا، فمن الأخذ بنص الكتاب الكريم إبان حديث الكاتب عن أنواع الرياح الضعيفة والعنيفة ذكر منها الريح الحاصب الذي عرفه بقوله: «ثم الحاصب وهي التي تقشر الحصا من وجه الأرض ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ (القمر:٣٤)».

ومن الاقتباس الضمني جاء قوله: «فإن الرياح ما برحت قادرة على إثارة موج كالجبال» ولا يخفى أن هذا تأثر بقوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجۡرِى بِهِمۡ فِى مَوۡجٍ كَٱلۡجِبَالِ﴾ (هود:٤٢).

وكذلك تناول الكاتب أحد الشعراء بقوله: «ويريد هو وأتباعه من الغاوين» وهذا على سبيل الاقتباس الضمني الواضح من قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ (الشعراء:٢٢٤).

وكذلك تأثر د. عوض بالحديث الشريف بشكل ضمني حينما أخبر عن الغبار الناتج عن الزوابع بقوله: «وإذا سحب من العثير المطار تتخذ سبيلها إلى أعيننا وآذاننا وأنوفنا الراغمة» وهو هنا اقتبس المعنى من الحديث الشريف: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه. قيل:

من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما، أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»[٩].

ومن جملة النصوص البليغة التي غص بها المقال الشعر العربي؛ إذ إن الكاتب قد ضمنه في أكثر من موضع، بما يخدم فكرته، ويكسوها ثوبا من الجمال والمتعة الفنية؛ ومن ذلك قوله: «فالشعراء مثلا من أكثر الناس اهتماما بالرياح طالما ذكروها ونعتوها وحملوها رسائل الغرام:

وإنـــي لأســتــهــدي الــريــاح ســلامــكـم
إذا أقــبــلــت مـــن نــحــوكــم بــهــبــوب
فــأســألــهــا حــمــل الــســلام إلــيــكـم
فـــإن هـــي يـــومـــا بــلــغــت فــأجــيــبــي[١٠]

وكذلك بين كاتبنا أن شعراء العرب قد أكثروا من ذكر الرياح، وبوجه خاص الصبا، ثم أردف بقوله: «ولعل شعراء نجد هم الذين أكثروا من ذكرها؛ إذ كانوا يفدون إلى الحجاز؛ ليتاجروا ثم تهيج الصبا شوقهم إلى أوطانهم؛ فيصيح شاعرهم:

ألا يـــا صــبــا نــجــد مــتــى هــجــت مـــن نــجــد
لـقـد زادنـــي مـــســراك وجـــدا عـلـى وجـــد»[١١].

ولإضفاء لون من الإيقاع على المقال؛ تجده زخر بالألوان البديعية – التي تمتع السمع، وتسعد الوجدان – تلك التي أتت عفوا لا تصنع فيها، ومن ذلك استعمال الكاتب السجع بشكل دقيق؛ فعندما تحدث عن المصريين قال: «ونحن قوم سريعو النسيان ووطننا العزيز سريع الغفران»، وكذا حين أهاب بأحد زملائه العلماء أن يتوسع من توضيح بعض ما أجمله في مقاله هذا، فقال: «ثم يتوسع في الشرح والبيان، بما يشفي غلة الظمآن»، ومن ذلك حين عدد الطرق التي يستخدمها العلماء لقياس عمق هواء الغلاف الجوي، ذكر منها مراقبة سقوط الشهب المتجهة نحو كوكبنا؛ فإذا رأوها تأخذ في الاحتراق علموا أنها بدأت تحتك بهوائنا، وهنا «استطاعوا أن يعرفوا على وجه التقريب درجة ارتفاع الهواء عن أديم الغبراء».

وكذلك وظف د. محمد عوض الطباق والمقابلة بشكل لا تكلف فيه ولا تصنع حين قال: «انظر إلى البحار تجد منها العميق الذي لا يسبر له غور، والضحل القريب المآل، والأنهار منها الضعيف القليل الماء، ومنها المفعم السريع الجريان، ثم انظر إلى اليبس تر جبالا شاهقة قد رفعت رأسها فوق السحاب، وفي ناحية أخرى تر سهولا مبسوطة وأودية وطيئة».

ولأن الكاتب ملم بالثقافة الأجنبية؛ فقد ضمن مقاله ما ينم عن ذلك؛ فحين عرض بيتين من شعر بشار بن برد قال: «ويعجبني في هذين البيتين مطابقتهما في المعنى لبيتين قالهما بعد بشار بألف سنة الشاعر الأسكتلندي الرقيق روبرت برنز، وهما قوله (ذكرهما بالإنجليزية) وتعريب البيتين:

من بين الرياح التي تهب من مختلف الجهات
أحــب حــبـــا شــديــــدا ريـــــاح الــغـــرب
لأن هــنـــاك تــعــيــش الــغـــادة الحــســنـــاء
الــغــادة الــتــي أحــبــهــا أكــثــر مــن كــل شــيء»

هذا وقد جاءت ألفاظ المقال فصيحة، بعيدة عن العامية، تتميز بالسلاسة والرقة، والبعد عن الغريب المستهجن، الذي تتعذر معرفة معناه، فهي في عمومها متداولة شائعة بين أصحاب الثقافة، وظفها الكاتب بالشكل الذي يبلغ أفكاره ناصعة لا التباس فيها إلى قرائه، وتتميز التراكيب في هذا المقال بالرشاقة، والشاعرية الموحية، والفصاحة التي تجلي الفكرة المطروحة.

وأخيرا تهبط تلك الرحلة على مدرج الخاتمة؛ التي صدرها الكاتب بعبارة تشي بالوصول إلى مرفأ النهاية، في إشارة إلى القارئ بالتأهب إلى سماع الكلمة الأخيرة في المقال؛ فصاغها بأسلوب جذاب لا يخلو من السخرية والتفكه: «ولا بد أن نختم الآن هذا المقال لأن حديث الشعراء كحديث العفاريت إذا فتحته فمن الصعب أن تسده».

وهكذا فقد استعان د. محمد عوض بحشد هائل من السمات المميزة للمقال العلمي المتأدب، ونسجها ببراعة لا تصنع فيها؛ فأثمرت هذا النص الذي تمتزج فيه الرؤية العلمية الكاشفة بالبيان الأدبي الخلاب، وتنصهر فيه عصارة الفكر مع إشعاعات الوجدان، كما ظهرت القدرة الفائقة له في تيسير مادته العلمية المتعلقة بموضوعه؛ حتي بدا وكأنه يكتب عن ظاهرة اجتماعية عامة ميسورة المعالجة، قريبة المأخذ، وليس تناولا لحقيقة علمية يقوم عليها ناموس من أصدق وأحكم نواميس الحياة.

الهوامش

١- الهلال «على أطلال طروادة»، ص:٥٠٠، محمد عوض، ١٩٣٦/٣/١م.
٢- الهلال «على أطلال طروادة»، ص:٥٠٠، محمد عوض، ١٩٣٦/٣/١م.
٣- السابق. ص٥٠١.
٤- السابق.
٥- ينظر: مقال «الرياح»، د. محمد عوض محمد، مجلة الرسالة، ص:٣١-٣٣، السنة الأولى، عدد ١١، ١٥ يونيو ١٩٣٣م.
٦- المقال العرضي بين النظرية والتطبيق: د. منال غنيم وآخرون، ص:٢٢-٢٣.
٧- محاضرات عن فن المقالة الأدبية، ص:٥٦، محمد عوض.
٨- مجلة العربي، «محمد عوض محمد.. أديبا»، د. عمر الفاروق، أغسطس ١٩٩٦م.
٩- الحديث: رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
١٠- ديوان العباس بن الأحنف، ص:٦، مطبعة الجوائب.
١١- ورد هذا الشعر لعبدالله بن الدمينة، في ديوان الحماسة، الجزء الثاني، ص:١٠١.



د. أحمد تمام سليمان
مدرس بكلية الآداب- جامعة بني سويف

(في رثاء صديق)

رحلت بكيرا

ورحلت من تحت العباءة سالما
وتركتنا للحادثات تنوب
ما مسك الشيطان مسا أو أذى
لكنها الأقدار حين تؤوب
وظللت تمرح في الحياة بطولها
وبعرضها والنائبات قلوب
شرخ الشباب أراك قد هدمته
والموت من بعد الشباب يتوب
يا نفس إني قد زللت لمنية
لكن ميزان المنى مقلوب
فارقت أوطان الأحبة كلهم
واليوم قبرك موطن مطيوب
لما عرفتك في الطفولة صادقا
ذهب الزمان وصدقه المطلوب
رحل الصديق عن الحياة معقبا
ولعل من أعقبته مندوب
ما كنت أعلم أنني لك مخلص
حين انتقلت كأنني مجذوب
برحيل حب تبزغ الذكرى له
شوقا إليه والقلوب تذوب



محمد قنبر
شاعر وكاتب سوري

ما بينَ هَزْلٍ وجَدٍّ

ما بـيـنَ هَــزْلٍ وجَـدٍّ يـنـقـضـي الـعـامُ
تـنـعـاهُ فــي لُجَّــةِ الأيـــامِ أيـــامُ

كـأنَّـهُ بـعـضُ يــومٍ فـي تَـقـاطُـرِهِ
قـد قـيَّـدتْـهُ بـقـيـدِ الـعـمـرِ أحـلامُ

بـالـخيـرِ والـشـرِّ أثـقَـلْـنـا صـحـائِـفَـهُ
واللهُ يـعـلـمُ مـا خَـطَّـتْـهُ أقـلامُ

هـذي الـحـقـيـقـةُ لا تَـخـفـى مـعـالِمُها
لـنْ تـنـفـعَ الـعـبـدَ مـا تـمـلـيـهِ أوهـامُ

نـسـتـودعُ اللهُ عـامـاً فـي خـواتِـمـهِ
قـد لَـطَّـخـتْـهُ بِـكَـفِّ الـذنـبِ آثـامُ

كـمْ فـيـهِ مِـن عَـمَـلٍ نـرجـو الـقَـبـولَ لَـهُ
أو فـيـهِ مِـن زَلَـلٍ زلَّـتْـهُ أقـدامُ

يـا ربُّ فـاغـفـرْ لِـمَـن مـالـتْ سـفـيـنـتُـهُ
فـي بـحـرِ دنـيـاهُ مـنـكَ الـعـفـوُ إكـرامُ

إيــاكَ نـعـبـدُ لا نـرجـو رضـا أحـدٍ
إنَّـا عـلـى الـعـهـدِ إنَّ الـعـهـدَ إلـزامُ

الـقـربُ مـنـكَ أيـا ربَّـاهُ حـاجـتُـنـا
فـالـبـعـدُ عـنـكَ لـصـرحِ الـعـمـرِ هَـدَّامُ

فُـسـطـاطُ أعـمـارِنـا قُـضَّـتْ حـبـائـلُـهُ
فـهـلْ لـنـا بـعـدَ طـيِّ الـدَّهـرِ إبـرامُ؟



فاطمة طاهري
كاتبة وباحثة مغربية

شعر الهوية والثورة: عبدالحميد بن باديس نموذجا

إن المتصفح لشعر عبدالحميد بن باديس ليلحظ اندماج والتحام بعد الهوية والدفاع عنها مع بعد الثورية، وهذا ما جعل شعر الرجل قويا صادقا لا يملك قارئه والمتمعن فيه إلا استعذابه والإشادة به.

ولد الإمام عبدالحميد بن باديس يوم ٤ ديسمبر ١٨٨٩، وهو من رجال الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعد مسيرة حافلة بالعطاء سواء في مجال العمل الوطني أو العمل الدعوي أو الإنتاج الصحفي والشعري أو غير ذلك توفي يوم ١٦ أبريل ١٩٤٠، واعتبر هذا اليوم يوما للعلم بالجزائر[1].

١- روح التحدي والثورة في نشيد «اشهدي يا سما»

هذا النشيد ارتجله الشيخ عبدالحميد بن باديس في حفل أقامته مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة يوم ٢٧ رمضان ١٣٥٦هـ بمناسبة إحياء ليلة القدر:

اشهدي يا سما ... واكتبن يا وجود
أننا للحما ... سنكون الجنود
فنزيح البلا ... ونفك القيود
وننيل الرضا ... من وفى بالعهود
ونذيق الردى ... كل عات كنود
ويرى جيلنا ... خافقات البنود
ويرى نجمنا ... للعلا في صعود
هكذا هكذا ... هكذا سنعود
فاشهدي يا سما ... واكتبن يا وجود
أننا للعلا ... أننا للخلود

يضج هذا النشيد -في الحقيقة- بجملة من المعاني من أبرزها الدفاع عن الوطن والإصرار على التحرر ومواجهة العدو نيلا للمجد والعلا.

٢- قصيدة «تحية المولد الكريم» ومعانيها وأبعادها المتداخلة: العلم والآداب - الدين - الهوية العربية الإسلامية - العمل - الثورة وطلب المعالي...

ألقيت هذه القصيدة ليلة حفلة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، وجاء فيها:

حييت يا جمع الأدب ... ورقيت سامية الرتب
ووقيت شر الكائدين ... ذوي الدسائس والشغب
ومنحت في العلياء ما ... تسمو إليه من أرب
أحييت مولد من به ... حيي الأنام على الحقب
أحييت مولوده بما ... يبري النفوس من الوصب
بالعلم والآداب والأ ... خلاق في نشء عجب
نشء على الإسلام أس ... س بنائه السامي انتصب
نشء بحب محمد غ ... ذاه أشياخ نجب
فيه اقتدى في سيـ ... ـره وإليه بالحق انتسب
وعلى القلوب الخافقا ... ت إليه رايته نصب
بالروح يفديها وما ... يغرى النفوس من النشب
وبخلقه يحمي حما ... ها أو ببارقة القضب
حتى يعود لقومه ... من عزهم ما قد ذهب
ويرى الجزائر رجعت ... حق الحياة المستلب
يا نشء يا ذخر الجزا ... ئر في الشدائد والكرب
صدحت بلابلك الفصا ... ح فعم مجمعنا الطرب
وأذقتنا طعما من الـ ... فصحى ألذ من الضرب
وأريت للأبصار ما ... قد قررته لك الكتب

وفي الحقيقة لا نجد خيرا من نموذج عبدالحميد بن باديس على مستوى المفاصلة في الهوية مع المحتل الفرنسي وكذا الحس الديني الوطني والعروبي المتجاوز لفكر الأقليات، فرغم أمازيغية الرجل، نجده -في هذه القصيدة- يتغنى ويفتخر بالهوية العربية الإسلامية، وفي الوقت ذاته يدعو الأجيال الصاعدة إلى الأخذ بزمام الأمور وخوض غمار الملمات ورفع التحديات والتصدي للأعداء الذين يتربصون بالجزائر وشعبها وبهوية هذا الشعب وكرامته، ذلك ما يتضح من خلال الأبيات التالية:

شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصلـ ... ـه أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له ... رام المحال من الطلب
يا نشء أنت رجاؤنا ... وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحـ ... ـها وخض الخطوب ولا تهب
وارفع منار العدل والإ ... حسان واصدم من غصب
وأذق نفوس الظالمين ... السم يمزج بالرهب
واقلع جذور الخائنين ... فمنهم كل العطب
واهزز نفوس الجامديـ ... ـن فربما حيي الخشب
يا قوم هذا نشؤكم ... وإلى المعالي قد وثب

كونوا له يكن لكم وإلى الأمام ابنا وأب
نحن الأولى عرف الزمان قديمنا الجم الحسب
وقد انتبهنا للحياة آخذين لها الأهب
لنحل مركزنا الذي بين الأنام لنا وجب
فتزيد في هذا الورى عضوا شريفا منتخب
ندعو إلى الحسنى ونو لي أهلها منا الرغب
من كان يبغي ودنا فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغي ذلنا فله المهانة والحرب
هذا نظام حياتنا بالنور خط وباللهب
هذا لكم عهدي به حتى أوسد في الترب
فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب[2]

٣- التحام الفكرة القومية بالفكرة الإنسانية في شعر ابن باديس

ألقى ابن باديس ليلة احتفال جمعية التربية والتعليم الإسلامية بالمولد الشريف بقسنطينة، قصيدة تغنى فيها بالعروبة وبالعرب وبالإسلام ونبي الإسلام وأن حسه العروبي وانتماءه الديني لا يتعارضان مع انتمائه الإنساني، وهذا ما تؤكده الأبيات التالية:

الحمد لله ثم المجد للعرب
من أنجبوا لبني الإنسان خير نبي
ونشروا ملة في الناس عادلة
لا ظلم فيها على دين ولا نسب
وبذلوا العلم مجانا لطالبه
فنال رغباه ذو فقر وذو نشب
وحرروا العقل من جهل ومن وهم
وحرروا الدين من غش ومن كذب
وحرروا الناس من رق الملوك ومن
رق القداسة باسم الدين والكتب
قومي هم وبنو الإنسان كلهم
عشيرتي وهدى الإسلام مطلبي
أدعو إلى الله لا أدعو إلى أحد
وفي رضا الله ما نرجو من الرغب[3]

٤- الاعتزاز بالهوية العربية الإسلامية والدعوة إلى العمل والتضحية في شعر ابن باديس

بهذه الأبيات ختم الشيخ عبدالحميد بن باديس خطابه التاريخي في الجلسة الختامية للمؤتمر الثاني لجمعية العلماء في سنة ١٩٣٧م، وفيها يتحدث عن الهوية العربية الإسلامية التي خلدت ذكر الجزائر، كما يغتنمها فرصة لدعوة أبناء شعبه للعمل والتضحية:

أشعب الجزائر روحي الفدى
لما فيك من عزة عربيه
بنيت على الدين أركانها
فكانت سلاما على البشريه
خلدتم بها وبكم خلدت
بهذي الديار على الأبديه
فدوموا على العهد حتى الفنا
وحتى تنالوا الحقوق السنيه
تنالونها بسواعدكم
وإيمانكم والنفوس الأبيه
فضحوا وها أنا بينكم
بذاتي وروحي عليكم ضحيه

٥- معاني الخاتمة والتأمل والتسامح في شعر ابن باديس

نجد في كتاب «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» أبياتا تختلط فيها معاني النهاية بالتأمل الإنساني والتسامح والرحمة:

سينحل جثماني إلى الترب أصله
وتلتحق الورقا بعالمها الاسما
وذي صورتي تبقى دليلا عليهما
فإن شئت فهم الكنه فاستنطق الرسما
وعن صدق إحساس تأمل فإن في
ملامح وجه المرء ما يكسب العلما
سامح أخاك إن ظفرت بنقصه
وسل رحمة ترحم ولا تكتسب إثما[4]

في حوار مع أخي الشيخ عبدالحميد قال الأستاذ عبدالحق بن باديس إن الإمام الشيخ عبدالحميد قال هذه الأبيات وهو جالس فاتح بين يديه القرآن.

خاتمة

يعتبر شعر عبدالحميد بن باديس مثالا للشعر المرتبط بالدعوة والوطنية الجامعة بعيدا عن تجاذبات العمل السياسي، وتجدر الإشارة إلى أن التجربة الأدبية الجزائرية للعديد من الشعراء والأدباء وأصحاب القلم يميل أصحابها للاكتفاء بالعمل الدعوي والميداني والانخراط مع الجماهير في المقاومة المسلحة، مقابل الابتعاد عن العمل السياسي وشبهاته وبراغماتيته.

الهوامش

١- للتوسع أكثر في سيرة عبدالحميد بن باديس، ينظر: عبدالعزيز فيلالي، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبدالحميد بن باديس الدراسية، مؤسسة الإمام الشيخ عبدالحميد بن باديس، ٢٠١٢م.
٢- مجلة الشهاب الجزء ٤، المجلد ١٣، قسنطينة يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول ١٣٥٦هـ/١١ يونيو ١٩٣٧م.
٣- مجلة الشهاب الجزء ٣، المجلد ١٤، غرة ربيع الأول ١٣٥٧هـ/ فبراير ١٩٣٨م.
٤- ينظر: عبدالحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مجلدان، اعتنى به وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبدالرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

صبغة الله الهدوي
كاتب وباحث



فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ

عاشر بمعروف فإنك راحل
واترك قلوب الناس نحوك صافية
واذكر من الإحسان كل صغيرة
والله لا يخفى عليه الخافية

في حياتنا على متن الدنيا نمر بلحظات كثيرة، نلتقي بوجوه نيرة وأخرى نارية، ونعانق أرواحا صافية وأخرى أشباحا جافية، نواجه الموت، ونستلقي على الجمرات، وتكاد أحلامنا تتبخر وآمالنا تتكسر، بل نجرب أحداثا جسيمة وضئيلة لنصنع من أنفسنا إنسانا ذا أبعاد ثلاثة هي الصبر والذكر والتحدي، لكن في خضم هذه الحياة الممتلئة بالضجات والحبلى بالمظاهر الفاتنة الخداعة، ينبغي علينا أن نتذكر ونفكر فيمن كانوا سلالم نمونا ومعارج سمونا في حياتنا، فيمن وصلنا عنان السماء على أكتافهم ومن عبرنا البحر على شراعهم، والقرآن يذكر كليم الله موسى عليه السلام وقد بلغ أشده ونال من المكانة العلية عند الله ما نال لكن القرآن ذهب يقول: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ ﴾ (طه:٤٠)، وقد مرت عشرات السنين على تلك الخطوات لكن الله يذكر موسى عليه السلام بخطوات أخته التي حطمت أحلام المتآمرين وقدمت ميلادا جديدا رائعا لأخيها، لأن المعروف لا ينسى ولا ينكر وصانع المعروف يكرم بجدارة.

ونحن -بني الإنسان محبي النسيان والكفران دائما- نتهرب من المسؤولية، ونحاول وأد كل من أحسنوا إلينا، من أب وأم وأخ وأخت ومعلم وصديق لنكون مغرورين منفوخين، فعندما نحقق حلما أو نبلغ غاية ننسى أن نلتفت إلى تلك الخطوات التي مرت على الأشواك والجمر، فلولا تلك القلوب الصافية واللمسات اليانعة التي أهدت إلينا القوة والطاقة لبقينا على الجمر حفاة وفي النار عراة.

نعيش في عالم لا يكرم فيه صانع المعروف ولا يقيم الوزن للأخوة والصداقة، مصلحجيون أينما توجهنا، متربصون أنى حللنا، تقام علاقات وارتباطات على أساس المصالح والمطامع لا على أساس الإخلاص والوفاء، زمان قل فيه الأوفياء وكثر فيه المنكرون والمتنكرون، والمتنبي يقول:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

لكن الله يقول: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص:٧٧)، إنه لا ينسى المعروف وقد أحصاه ونسوه وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم كانوا يظلمون، والمسلم لا ينسى من أحسن إليه ولا يخذل من أسند ظهره ولا يأتي بطعنة غادرة، أبي بكرامته وشامخ بهامته، كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

وكن في الطريق عفيف الخطا
شريف السماع كريم النظر
وكن رجلا إن أتوا بعده
يقولون مر وهذا الأثر

وفي قصة موسى، عليه السلام، دروس وعبر كثيرة نستلهم منها، وربما أكثر الله ذكره في القرآن بغية أن يكون المثل الأعلى للحياة البشرية جميعا، لأنه مر بمراحل مريرة وصعبة، يقول الله: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (القصص:٢٣)، لم تطلب الأختان منه إحسانا ولم تعرضا له بذلك لكنهما بينتا له حاجتهما من دون أي مسألة حتى وهما في أمس الحاجة إليه، بل نلتفت إلى موسى عليه السلام إذ قال الله: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ (القصص:٢٤)، لم ينتظر المكافأة ولا أي مساعدة وهو يدعو الله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص:٢٤).





عمرو طه
قاص مصري

قليل من الحياء يصلح العقل

أبو فهر محمود شاكر

لكل عصر جاهليته، ونحن اليوم نجمع جاهلية كل العصور

نجيب محفوظ

الغباء أخطر بكثير من الشر، فالشر يأخذ إجازة من حين إلى آخر، أما الغباء فيستمر

أناتول فرانس

ما كان يجب أن أملك كل هذا الوعي، طالما أنني أعيش في عالم مبني على سلام مهترئ

كافكا

وحدها التفاهة تُجني أرباحًا كثيرة هذه الأيام

نيتشه

عندما أجلس بمفردي يظن الجميع أنه اكتئاب، ولكنها لحظة راحة بعيدًا عن تطفلات البشر

جورج برنارد شو

د. سامي العدواني
خبير تنمية مستدامة - الشبكة الإقليمية للمسؤولية المجتمعية CSR



التنمية المستدامة سياق وآفاق

«إذا كانت العبارة الشهيرة «نحن الشعوب» هي فاتحة ميثاق الأمم المتحدة، فإننا «نحن الشعوب» نبدأ اليوم مسيرنا في الطريق الذي يقودنا نحو ٢٠٣٠ وسيرافقنا في رحلتنا كل من الحكومات والبرلمانات ومنظومة الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية الأخرى والسلطات المحلية والشعوب الأصلية والمجتمع المدني والأعمال التجارية والقطاع الخاص والأوساط العلمية والأكاديمية والناس قاطبة، وقد تفاعل مع هذه الخطة ملايين الناس الذين سيجعلون منها خطة لهم، فهي خطة الناس وضعت على أيدي الناس لصالح الناس، وهذا في اعتقادنا ما سيكفل لها النجاح»

نسعى في سلسلة مقالات استدامة عبر منبر «الوعي الإسلامي» إلى المضي في بيان أهداف التنمية المستدامة بهدف تعزيز الوعي بالأمن والرفاه في الحاضر والمستقبل، حيث نشهد تطورات متسارعة للاتساق مع الخطة الإنمائية للأمم المتحدة وأهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠.

نحاول في سلسلة مقالات استدامة مراجعة حواراتنا ومشاوراتنا مع قادة أهداف التنمية المستدامة التي تعنى برفع مستوى الاستعداد وتبديد التردد وتبادل المعارف والمعلومات حول الحقائق أو التوجهات التي انتهت إليها التنمية المستدامة، لضمان التحفز نحو الامتثال لما تعهدت به الكويت مع بقية دول العالم للمضي في ركب التنمية المستدامة SDGs2030، والذي يتضمن تتويجا لجهود مخلصة تم بذلتها خلال السنوات الخمسين الماضية لرفد الخطط الإنمائية الوطنية للدولة وتحسين أدائها في مؤشرات التنافسية العالمية على ضوء أهداف التنمية المستدامة.

نتطلع اليوم عبر هذه النافذة لانتقال الوعي من خانة النخبة إلى ثقافة المجتمع ومن التواصل البعيد إلى الاقتراب نحو النافع والمفيد، ومن اللغة التي فيها قدر من الخصوصية والالتباس إلى الصياغات الأكثر تبسيطا وتناولا، نستفيد من تجربتنا طوال السنتين الماضيتين عبر ثماني دورات برامجية إذاعية لإثراء التنوع في عرض المحتوى عبر الكتابة التحريرية التي استخلصناها من حوار الخبراء والفاعلين في مجالات التنمية المستدامة واستنطاق الممارسات والتطبيقات العملية التي جسدتها المبادرات الريادية والتجارب المحلية والدولية.

ماهية التنمية المستدامة

اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٢ ذي الحجة ١٤٣٧هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠١٥م القرار ١/٧٠، الذي حمل العنوان: خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠، وهي خطة عمل للناس والكوكب والرخاء والسلام والشراكة، تسعى للتعاون في إنفاذها جميع البلدان والأطراف المعنية.

إن حرص إدارة المجلة بتوجيهات من قيادات الوزارة وعمل دائب من طاقم التحرير على استلهام هذه المنظومة ووضعها على خارطة أجندة تحريرها سعيا لمتابعة مستجدات التقدم والإنجاز من خلال الرصد واستضافة المارسين والمتخصصين، بما يعكس مستوى جدية الالتزام باستحقاقات التنمية المستدامة وفي اللحاق بالمؤشرات وجمع البيانات وإجراء التحليلات من مصادرها الأكيدة، وذلك وفقا للمعايير المعتمدة في اللجنة الإحصائية التابعة للأمم المتحدة.

لقد حفلت خطة «تحويل عالمنا» التي أبرمها ١٩٤ رئيس دولة بآفاق التكامل بين قطاعات الدول (العام، الخاص، المجتمع المدني) لإنفاذ أهداف خطة التنمية المستدامة ٢٠٣٠ شملت ٢١ محورا، مما يؤكد على الحيز المتاح للقادة والفاعلين في العمل الإنمائي لتحقيق التطلعات وبلوغ الغايات لذلك جاءت سلسلة هذه المقالات تتويجا لهذا الطموح.

مفاهيم ومعان

أولا: التنمية المستدامة هي تطلع عالمي يتطلب تعاونا وطنيا وإقليميا ودوليا لأنه مسؤولية مشتركة نحو تحقيق المزيد من المنفعة المتبادلة لجميع الأطراف المعنية بالاستقرار والرفاه.

ثانيا: لقد أكدت الإعلانات العالمية المتتالية ووثائق السياسات التي صدرت منذ مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية الذي عقد في ريو دي جانيرو، البرازيل، في عام ١٩٩٢م، أن التنمية المستدامة تمثل خطة عالمية.

ثالثا: في الفقرة ٢٤٧ من الوثيقة الختامية لمؤتمر الأمم المتحدة بشأن التنمية المستدامة، «المستقبل الذي نصبو إليه»، دعا رؤساء الدول والحكومات إلى أن تكون الأهداف ذات طابع عالمي وقابلة للتطبيق على نحو شامل في جميع البلدان مع مراعاة الظروف والقدرات ومستويات التنمية الوطنية المختلفة.

تعرف على التنمية المستدامة

بدأ تنفيذ خطة عام ٢٠٣٠ وأهداف التنمية المستدامة السبعة عشر الواردة فيها اعتبارا من ١ يناير ٢٠١٦م على أن توجه القرارات على مدى السنوات الخمس عشرة القادمة نحو الأهداف المتكاملة التي توازن بين الأبعاد الثلاثة الرئيسية للتنمية المستدامة إلى الأهداف الإنمائية للألفية.



تسعى الدول بقطاعاتها الفاعلة (العام والخاص والمدني) من خلال أهداف التنمية المستدامة حتى العام ٢٠٣٠ إلى وضع حد للفقر والجوع؛ ومكافحة عدم المساواة؛ وبناء مجتمعات مسالمة وعادلة وشاملة للجميع؛ وحماية حقوق الإنسان والعمل على تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين النساء والفتيات؛ وكفالة الحماية الدائمة للأرض ومواردها الطبيعية. وعقدت الدول الأعضاء العزم أيضا على تهيئة الظروف المناسبة للنمو الاقتصادي المستدام والمطرد الذي يشمل الجميع، وللازدهار العميم وتوافر فرص العمل الكريم لكافة الناس.

من أهم ما تم الاسترشاد به في مسودة إعداد خطة عام ٢٠٣٠ المبادئ المشتركة لميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وإعلان الألفية ونتائج مؤتمر القمة العالمي لعام ٢٠٠٥م، والالتزامات التي أعلن عنها في المؤتمرات ولقاءات القمة الرئيسية للأمم المتحدة التي وضعت أساسا لتحقيق التنمية المستدامة.

لماذا التنمية المستدامة؟

إن حجم التحديات التي تواجه المجتمع الدولي في ظل الأزمات والنزاعات ويزيد من وتيرة هذه التحديات ندرة الموارد، وتغير المناخ، والبطالة، وانعدام الأمن الغذائي وعدم المساواة، ضمن تحديات أخرى كثيرة. وهذا يستلزم في المقابل تغييرات جذرية يتعين على منظومة الأمم المتحدة بأسرها وشركائها المساعدة في تحقيقها.

ودور الأمم المتحدة في هذا التحول يتمثل في مساعدة البلدان على تنفيذ الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لخطة عام ٢٠٣٠ بطريقة متوازنة ومتكاملة، وهو ما انعكس على اهتمام الدولة وربط خطتها الإنمائية بأهداف التنمية المستدامة، وتوجيه قطاعاتها الرئيسية بالعمل وفق مؤشرات التنافسية العالمية بما في ذلك قطاع المجتمع المدني لتعزيز مكانة الكويت في المحافل الدولية.

غايات التنمية المستدامة

خطة التنمية المستدامة ٢٠١٥-٢٠٣٠ تم صياغتها من منظور مختلف عن خطة ٢٠٠٠-٢٠١٥، فهي أكثر اتساعا وشمولا في المضمون، وصممت لتشكل إطارا لأهداف تنموية ذات طابع عالمي تصلح لكل الدول وتجد كل دولة فيها ما يلائم خصائصها وبما يتيح استخدامها كإطار شامل للتخطيط التنموي، وتتمثل مكوناتها في:

١- الإعلان: الذي يتضمن الرؤية، المبادئ والالتزامات المشتركة، وكذلك نداء للعمل من أجل تغيير عالمنا.

٢- الأهداف: يستعرض أهداف التنمية المستدامة الـ ١٧ هدفا ومع كل هدف غاياته ومقاصده التي بلغ إجماليها ١٦٩ غاية بالإضافة إلى ٢٣٠ مؤشرا.

٣- التنفيذ: قدمت الوثيقة أهم وسائل التنفيذ والإنفاذ لأهداف التنمية المستدامة وأدوات وشراكات عالمية.

٤- الاستعراض: أوضحت الوثيقة آليات الاستعراض لجهود التنمية المستدامة ومدى الامتثال عبر لجان وطنية ومكاتب تنسيق إقليمية والمنصات المعنية عالميا.

٥- غايات التنمية المستدامة:

أ- إحداث تحول آمن لتعزيز القدرة على الصمود والاستدامة من خلال الـ SDGs2030.

ب- عالم يسوده الإنصاف والعدل والتسامح والانفتاح والإشراك الاجتماعي لأشد الفئات ضعفا.

ج- عالم تعيش فيه الإنسانية في وئام مع الطبيعة وتحمي فيه الحياة البحرية البرية والكائنات الحية.

أهداف التنمية المستدامة

الهدف الأول: القضاء على الفقر

إن الفقر أكثر من مجرد الافتقار إلى الدخل والموارد ضمانا لمصدر رزق مستدام، حيث إن مظاهره تشمل الجوع وسوء التغذية، وعدم قدرة الحصول على التعليم وغيره من الخدمات الأساسية، ويقاس بالجهود المبذولة في تحسين حياة الأفراد لمواجهة الاحتياجات.

الهدف الثاني: القضاء التام على الجوع

توفير الأمن الغذائي والعمل على تعزيز الوعي بالزراعة المستدامة والاستهلاك الرشيد ومساعدة الأشخاص الذين يعانون من نقص الغذاء أو سوء التغذية، وذلك في ضوء الإمكانات المتاحة والموارد المحدودة، وهي قادرة على توسيع مساحة هذه الجهود متى ما توفرت الشراكات اللازمة.

الهدف الثالث: الصحة الجيدة والرفاه

ضمان الحياة الصحية وتشجيع الرفاه للجميع ولكل الأعمار عنصر لابد منه في التنمية المستدامة، من خلال الوقاية والعلاج، وتعزيز الصحة والسلامة العقليتين من إساءة استعمال المواد الضارة، كتعاطي المخدرات وتناول الكحول ومكافحة التبغ وكل ما من شأنه التأثير على الصحة، عدا عن برامج التوعية بالصحة الإنجابية والإصابات الناجمة عن حوادث المرور تمثل ضمانات تمنح الجميع أنماط عيش صحية وتساعد على استدامة الرفاهية في مراحل الأعمار.

الهدف الرابع: التعليم الجيد

يشكل الحصول على تعليم جيد الأساس الذي يرتكز عليه تحسين حياة الناس وتحقيق التنمية المستدامة، سواء في إمكانية الحصول على التعليم بكل مراحله، فنسبة ٥٠٪ من مناطق النزاعات لا يلتحق فيها الأطفال في مراحل التعليم الابتدائي، لذلك لابد من التركيز على زيادة معدلات الالتحاق بالدراسة خاصة بالنسبة للنساء والفتيات، وتحسين مهارات القراءة والكتابة وتوفير فرص التعليم المهني العالي الجيد والميسور التكلفة وفي مباني تراعي الفروقات والخصوصيات، بالإضافة لبرامج التدريب والتطوير.

الهدف الخامس: المساواة بين الجنسين

تمكين المرأة وتوسيع أطر مشاركتها المجتمعية، من خلال تعزيز دورها في صنع القرار في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع، ومن أجل المزيد من تمكين المرأة واعتماد سياسات منهجية، واتخاذ تدابير تستنهض النساء والفتيات في جميع مستويات العمل ومجالات الأداء.

الهدف السادس: المياه النظيفة والنظافة الصحية

نتيجة البرامج الاقتصادية غير المنتجة والرشيدة أو لضعف البنية التحتية يتضرر ملايين من البشر، معظمهم أطفال، من جراء أمراض مرتبطة بقصور إمدادات المياه والصرف الصحي والنظافة العامة برغم توفر المياه العذبة بشكل كاف على ظهر الكوكب، مما ينعكس سلبا على الأمن الغذائي.

الهدف السابع: طاقة نظيفة وبأسعار معقولة

إن الحصول على الطاقة أساسي، سواء



كان ذلك من أجل التواصل الإنساني وفرص العمل وزيادة الدخل أو إنتاج الأغذية وقد يكون بسبب تقلب المناخ وتغير الطقس والحاجة لاستتباب الأمن، ولعل أبرز جهود جمعية الإصلاح على المستوى الوطني تمثلت في عدد من برامج التوعية في هذا المجال بلغت ٣ فعاليات في ترشيد استخدام الطاقة وتوسيع بدائلها النظيفة.

الهدف الثامن: العمل اللائق والنمو الاقتصادي

تعزيز النمو الاقتصادي الشامل والمستدام، يكون بتكريس قيم الإنتاج، والمساعدة في توفير العمل اللائق في ظروف مناسبة، بالإضافة إلى طرح مبادرات تدعم العمل الحر ومشاريع الريادة الاجتماعية سعيا في تحفيز الاقتصاد دون إضرارا بالبيئة والروابط العائلية.

الهدف التاسع: الصناعة والابتكار والهياكل الأساسية

إن الاستثمار في البنية الأساسية كالنقل، والري، والطاقة، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، عناصر حيوي في تحقيق التنمية المستدامة، الأمر الذي ينعكس حتما على تطوير الإنتاجية والدخل وتحسين النتائج الصحية والتعليمية في حياة الفئات التي نستهدفها، إن المحافظة على الرخاء والاستقرار يتطلب تمكين المجتمع، وإسناده بالإسهامات التنموية والابتكارية والتقنية حتى يحافظ على وتيرة النمو والتحضر.

الهدف العاشر: الحد من أوجه عدم المساواة

وهناك توافق متزايد في الآراء على أن النمو الاقتصادي ليس كافيا لخفض حدة الفقر إذا كان ذلك النمو غير شامل للجميع، ولا يتضمن الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة (الاقتصادية والاجتماعية والبيئية)، وسعيا إلى خفض التباين، تم التوصية باتباع سياسات شاملة تهدف إلى الاهتمام باحتياجات الفئات السكانية المستضعفة والمهمشة، من خلال قيم الإدماج ومبادرات الحماية الاجتماعية وتقديم الابتكارات التطوعية لسد فجوات العجز الإنمائية والتباين في إمكانية الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية وغير ذلك من متطلبات أساسية.

الهدف الحادي عشر: مدن ومجتمعات محلية مستدامة

إن المدن هي مراكز الأفكار والتجارة والثقافة والعلم والإنتاجية والتنمية الاجتماعية وما هو أكثر من ذلك بكثير. فالمدن ساعدت سكانها على التقدم اجتماعيا واقتصاديا، وهي تواجه تحديات كذلك في الاكتظاظ والاختناقات المرورية والضغط على البنى التحتية ومحدودية السكن اللائق في بعض المناطق، حتى يكون الانتعاش والنمو وتخفيض نسب التلوث والفقر تحتاج إلى جهود تساهم في رفد جهات

الدولة بالأفكار وتحسين الخدمات الأساسية والمجتمعية ودعم حلول الطاقة والإسكان والبيئة.

الهدف الثاني عشر: الاستهلاك والإنتاج المسؤولان

«زيادة الإنتاج بشكل أفضل وكلفة أقل» بالاستخدام الأمثل للموارد والطاقة عبر التقليل من النفايات واستخدام مواد صديقة للبيئة لا تسبب ضرر للهواء والماء والتربة، فأكثر من ١,٣ بليون طن مصيرها القمامة قيمتها تريليون دولار، وهذا يستدعي تقليل نصيب الفرد من النفايات الغذائية والحد من الفقد في سلاسل الأغذية وترشيد المشتريات، ودعم التقنية، ونشر الوعي لمواجهة الإسراف وحماية المتضررين، وتحسين جودة الحياة لصالح الجميع لذلك نحتاج أن نعكس أدوارنا في هذا المجال إذا ما كانت لنا جهود في هذا الإطار.

الهدف الثالث عشر: العمل المناخي

في ضوء ما يحدثه تغير المناخ من تأثيرات في التنمية الاقتصادية، والموارد الطبيعية، وحالة الفقر، أصبحت معالجته تشكل عنصرا معقدا في إطار إنجاز التنمية المستدامة، فزيادة درجة واحدة للحرارة تؤدي لخفض محصول القمح والذرة إلى ٥٪ في العالم، وكوننا في مجتمع نفطي ولدينا نشاط واسع في بلدان أخرى من المهم أن نستعرض مبادرات وحلول تضمن الحد من ظاهرة الاحتباس الحراري على سبيل المثال، وانعكاسها على الصحة العامة والبيئة.

الهدف الرابع عشر: الحياة تحت الماء

حفظ المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام لتحقيق التنمية المستدامة، إن محيطات العالم -درجة حرارتها والكيمياء الخاصة بها وتياراتها والحياة فيها- هي التي تقف وراء النظم العالمية التي تجعل كوكب الأرض صالحا للسكنى بالنسبة للبشرية، فمياه أمطارنا ومياه شربنا وطقسنا ومناخنا وسواحلنا وقدر كبير من غذائنا، بل وحتى الأكسجين الموجود في الهواء الذي نتنفسه، توفرها البحار وتنظمها جميعا في نهاية المطاف، وقد كانت المحيطات والبحار على مر التاريخ قنوات حيوية للتجارة والنقل، كما أن نسبة تصل إلى ٤٠٪ من محيطات العالم «متضررة بشدة» من الأنشطة البشرية، ومن بينها التلوث واستنفاد مصائد الأسماك، وهذه المحيطات هي مصدر رزق ٢٠٠ مليون شخص في العالم، وهذ ما يجعلنا نبحث عن مساهماتنا حيثما تواجدنا أو ساندنا آخرين.

الهدف الخامس عشر: الحياة في البر

حماية النظم الإيكولوجية البرية وترميمها وتعزيز استخدامها على نحو مستدام، ومكافحة التصحر والجفاف والفيضانات، ووقف فقدان التنوع البيولوجي، نتيجة الصيد الجائر، إن الغابات تغطي مساحة ٣٠٪ من مسطح الأرض ويعتمد ١,٦ بليون إنسان عليها مصدرا لأرزاقهم، وفيها ٨٠٪ من أنواع الحيوانات والحشرات والنباتات في الكوكب.

الهدف السادس عشر: السلام والعدل والمؤسسات القوية

إشاعة السلم والأمن ومواجهة التطرف والعنف من مقتضيات هذا الهدف الإنمائي، القائم على الحرية والسلام والأمن واحترام حقوق الإنسان، فهناك حاجة يسود فيها العدل والديمقراطية بغية إنجاز التنمية المستدامة.

الهدف السابع عشر: عقد الشراكات لتحقيق الأهداف

تعزيز وسائل التنفيذ وتنشيط الشراكة بين الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدني من أجل التنمية المستدامة، لذا فإن الدول قطعت على نفسها التزام تخصيص (٠,٧٪) من إجمالي الناتج القومي الذي يتوجه للمساعدات الإنمائية كما توافقت عليه المنظومة الدولية وهناك توجه لرفع هذا المخصص يقدم لأقل البلدان نموا وسعيا لمواجهة الأزمات الراهنة.

سنواصل في المقالات القادمة توضيح الكثير من مبادئ التنمية المستدامة ونشأتها ودور الأمم المتحدة وستكون لنا مساحة لمناقشة التنمية المستدامة من رؤية تأصيلية في ضوء الفكر الإسلامي وزوايا النظر المختلفة نأمل أن تحقق هذه السلسلة ما سعت إلى تعميمه وإثرائه.

د. محمد حسني عمران
رئيس البعثة الأزهرية بالسنغال



الحنان وأثره في تربية الطفل

الأطفال هم مستقبل الأمة الواعد، وهم العناصر الفاعلة في المجتمع، فالاهتمام بالطفل ينعكس إيجابا على مجتمع سوي منشود.

ومن الخطأ الذي يقع فيه كثير من الآباء والمربين إهمال مرحلة الطفولة، والتي تمثل المرحلة الأهم في تقويم السلوك.

ومن هذا المنطلق يأتي إلقاء الضوء على حق الطفل للعطف والحنان والرفق واللين حتى ينشأ سوي الشخصية لأن حرمان الطفل من الدفء الأسري يخلق شخصية غير سوية بينما حنان الأم في الصغر يضمن حياة مستقرة في الكبر.

وهذا هو الذي يحقق السلام المجتمعي الذي ننشده، وكما يقول علماء التربية: «يبدأ السلام العالمي بالسلام الأسري»[1]

فهذه المقولة تفسر لنا وجود العنف في المجتمع كأثر من آثار حرمان الطفل من الحنان ونتيجة طبيعية للقسوة كنموذج في التربية.

الأثر الطبي والنفسي للحنان على الطفل

أفضل ما تمنحه الأمم للطفل الحضن الدافئ اليومي الذي يوفي للطفل الشعور بالسكينة والأمان، وهذا لا يؤثر على روح الطفل فقط بل تظهر ثمرته على الجسد، ويمثل جانب مناعي له.

يقول د. رضا عبيد أخصائي الطب النفسي: (إن الحضن الدافئ اليومي يعتبر من أكبر وسائل العلاج الجسدي والنفسي بما يمثله من الشعور بالأمان، وبث الثقة الذاتية للطفل بطريقة تنعكس على نشاط جهازه المناعي، الذي بدوره يقي الطفل من الأمراض عموما)[2].

وأضاف إن حضن الأمم اليومي للطفل يساعد على بناء انسان سليم بدنيا ونفسيا، وخاليا من أي عقد نفسية تؤثر في حياته لاحقا، هذا بالإضافة إلى أن هذا يلبي حاجة الطفل الفطرية.

حاجة الطفل إلى اللمسة الحانية

إن اللمسة الحانية احتياج أساسي عميق، وهي تملك القدرة على بث روح الترابط والعناية، والأسرة هي المكان الأساسي والأكثر أهمية على الإطلاق الذي نتعلم فيه قيمة تقديم العاطفة

وتلقيها عن طريق اللمسة.
وإذا كانت تربية الطفل على الحنان والعطف الأسري هي محل إجماع بين علماء النفس والاجتماع والتربية - لتنشئة أطفال أسوياء صالحين يسعد المجتمع بهم، فإن النبي ﷺ أولى هذا الجانب اهتماما كبيرا قولا وفعلا أما فعله ﷺ فقد ثبت فيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم».
فوضع النبي ﷺ قاعدة رائدة في التربية والعناية والحنان والرفق بالناشئة.
ومن هذا القبيل ما يروى عنه ﷺ أنه كان يحمل حفيديه الحسن والحسين- رضي الله عنهما- على ظهره أثناء الصلاة.
وأنقل هنا تعليقا ماتعا للدكتور محمد مصطفى بسيوني يقول: ينبغي أن نستنبط ما وراء هذا السلوك التربوي المحمدي مثل إغراء الحسنين الناشئين المطهرين بالميل إلى الصلاة، ومعايشة الإقامة في المسجد، ولو أن النبي ﷺ نهاهما وألقاهما عن ظهره بحجة التفرغ للصلاة لأتى بنتيجة عكسية وهي ما يعرف بعلم النفس (بالارتباط الشرطي) فترتبط الصلاة عند الطفلين بالقسوة والزجر، بل إن السلوك المحمدي المعلم يعلمنا كيف نربي أبناءنا منذ الصغر على عشق السلوك الديني، بل إنه ﷺ يشهد الحق سبحانه وهو بين يديه بالصلاة كيف يربي الناشئة من أهل بيته بالملاينة وهو بين يديه سبحانه في الصلاة.
كما يعلمنا أن تربية الناشئة لا تحتاج إلى وقت معلوم أو موقف مرسوم، بل يمكن أن يتم هذا في أي وقت وأية ظروف، فكان يردف النبي ﷺ خلفه على ناقته الصبي الناشئ ابن عباس -رضي الله عنهما-، فكانت هذه فرصة مواتية لأن يعلمه الملامح الكبرى في الإيمان والاعتقاد، حيث يقول: «يا غلام إني أعلمك كلمات...»[٣]
واللمسات الحانية منه ﷺ كثيرة، حسبنا ما تم ذكره كمثال.

الآثار المترتبة على فقدان الحنان

غياب الحنان في تربية الطفل يكون سببا في شقاء المجتمع به، فإذا كان المجتمع يئن تحت وطأة التطرف والتشدد والإرهاب، فإن هذه السلوكيات الخاطئة وراءها دوافع دفعت أصحابها لذلك منها القسوة والغلظة والقهر التي تربى عليها هؤلاء فمن آثار فقدان الحنان ينتج الآتي:
١- طفل عدواني: يميل الطفل إلى العدوانية بسبب ما تراكم داخله من أفكار سيئة تتحول مع مرور الوقت إلى بركان من الغضب ينفجر فيمن حوله، فالعنف والعدوان لدي الطفل سيكون رد فعل طبيعي لعنف أهله معه.
٢- أطفال مبلدون في المشاعر: الطفل الذي لم يتربَّ على الحب والحنان ولم يغذَّ بتلك المشاعر، فلن يبديَ تلك المشاعر لأحد، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.
٣- فقدان الولاء للأسرة والمجتمع: القسوة والغلظة يشعران الطفل بالخوف من الجميع وعدم الثقة في أي أحد، وبالتالي لن يكون هناك ولاء إلا لما يجري بخاطره.
٤- يعمل على إيجاد شخصية مضطربة غير سوية.
٥- فقدان احترام الآخرين: وذلك بسبب إساءة التعامل معه.

أساليب التربية بالحنان

١- الرفق واللين في المعاملة.
٢- الكلمة الطيبة والابتسامة للطفل.
٣- التقبيل والعناق والحضن الدافئ.
٤- ضرب الأمثال وحكاية القصص، فمن شأنهما تهذيب السلوك عن طريق أخذ العبرة.

وأختم بهذه القصة المعبرة في طريقة التربية بالنصح والشفقة والحنو في معاملة الأم لابنها:
جاء طفل مغضبا يشكو لأمه سوء أخلاق ولد رآه خيالا في بئر من الآبار، يحمل في يده حجرا يريد أن يرمي به الطفل، فقالت له أمه: هل نظرت إليه وأنت تبتسم؟ فقال: لقد قطبت وجهي حين رأيته في الماء مقطب الوجه، فحملت حجرا لأقذفه به، ففعل مثل ما فعلت، فقالت أمه: اذهب إلي البئر مرة أخرى وابتسم، ثم احمل طاقة من الزهر وأشر بها إلى الطفل في البئر، وتعالى فاقصص علي ما رأيت.
وذهب الطفل إلى البئر مبتسما فارتاح لما رأى، وقدم طاقة الزهر للطفل فإذا به يقدم له كذلك طاقة الزهر، فارتاحت نفسه وانشرح صدره، وعاد يخبر خبره لأمه، فقالت له: هكذا يعاملنا الناس بمثل ما نعاملهم به، فعاشر زملاءك بإحسان تلق منهم الحب والإحسان[٤].
فهذه القصة تعكس جانبا في غاية الأهمية أن نموذج التربية ما هو إلا انعكاس من خلال السلوك القائم، فالحنان والعطف يثمر حنانا وعطفا والقسوة والغلظة ينتج عنهما بالضرورة قسوة وغلظة (ومن يزرع الشوك لا يحصد به الحنطة).

الهوامش

١- ٣٦٥ طريقة لتنشئة أطفال واثقين، شيلا إليسون وباربرا آن بارنيت، المملكة العربية السعودية، مكتبة جرير، (ص: ١١٠).
٢- مقال بعنوان: (احتضان الأطفال يمنحهم الكثير من الفوائد الصحية، د/ رضا عبيد).
٣- الحقائق النفسية في التنشئة الإسلامية، د/ محمد بسيوني، مجلة الأزهر.
٤- الأولاد ودائع الله عندنا، الشيخ معوض عوض إبراهيم، (ص: ١٢).

ياسر محمد عبدالسلام
كاتب وباحث



اضطرابات السلوك الاندفاعي

تعتبر اضطرابات السلوك الاندفاعي من أكثر الاضطرابات النفسية شيوعا لدى الشباب والمراهقين، وعلى الرغم من ذلك يتم تجاهل هذا الاضطراب، ولا تصل معظم هذه الحالات للطبيب للعلاج أو لطلب المشورة نتيجة لقلة الوعي بها أو لعدم وصول الأعراض لدرجة مؤثرة وملحوظة من المجتمع والمحيطين.

وقد أظهرت نتائج بعض الإحصاءات أن معدل تفشي هذه الاضطرابات بين الشباب يتجاوز العشرة في المئة، وهي نسبة لا يستهان بها إذا نظرنا للتأثيرات المحتملة على الفرد والمجتمع.

ولاضطرابات السلوك الاندفاعي عدة صور مختلفة تبدأ من السلوك المعاند في الطفولة مرورا بالسلوك الانفجاري وحتى هوس سرقة ما لا يمكن الاستفادة به وإشعال الحرائق والجنس القهري والقمار المرضي

وقضم الأظافر المرضي وهوس الشراء.
وعادة ما يتم اكتشاف هذه الحالات بالصدفة بعد تكرار توجيه الاتهام بنفس الجرم أو بواسطة الطبيب النفسي عند الشكوى من الأمراض النفسية المصاحبة لها كالاكتئاب أو فرط النشاط أو الإدمان.
كما تشترك هذه الاضطرابات في وجود أعراض مثل تكرار التصرفات غير المسؤولة وعدم السيطرة على السلوك المؤدي للمتاعب والشعور الملح للتلذذ بالانخراط فيها، وينبغي لتشخيص الإصابة باضطرابات السلوك الاندفاعي استمرار وتكرار الأعراض لفترات طويلة بشكل غير مرتبط بالملابسات والضغوط المحيطة بالشخص، ولعل من التفسيرات المحتملة لهذا الاضطراب وجود الاستعداد الوراثي لدى المريض، ولكن تعتبر العوامل البيئية مثل التربية والمستوى الاجتماعي والتعرض للإصابات أو بعض الأدوية والمواد المصنعة هي أهم العوامل المؤدية للإصابة وتفاقم هذه الحالات، وقد أثبتت الأبحاث أن نسبة كبيرة من الأطفال المصابين باضطراب السلوك المعاند يتطور المرض لديهم في المراحل التالية من النمو ويتم تشخيصهم باضطرابات السلوك الاندفاعي الأخرى.

سلوكيات مقلقة

إن اضطراب السلوك المعاند لدى الأطفال هو حالة من التوتر والتحدي المستمر والسلوك الانتقامي من الوالدين والكبار، حيث يولد بعض الأطفال بنزعات توترية ويعتبر الإهمال التربوي والتعرض للإيذاء بأنواعه أهم أسباب المرض.
وعادة ما يبدأ قبل مرحلة الالتحاق بالمدرسة ويصاحبه تأثير شديد في ترابط وتناغم الأسرة، ويفضل اللجوء للمختصين للمساعدة من خلال العلاج السلوكي والأسري، وقد يحتاج الطفل للعلاج الدوائي في بعض الحالات.
أما اضطراب المسلك لدى الأطفال فهو عبارة عن رغبة مستمرة في كسر قواعد المجتمع تتمثل في الاعتداء على الأقران وحتى الحيوان والرغبة في تدمير الممتلكات، وهم أكثر الطلبة هروبا من الدوام الدراسي، ولديهم سوابق السرقة والكذب بصفة عامة. وتشير الدراسات إلى تطور نسبة كبيرة من هذه الحالات ليتم تشخيصهم باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع فيما بعد.
ولكن يمكن تفادي تطور الحالات بالعلاج المبكر والمتابعة، أما اضطراب السلوك الانفجاري فهو عبارة عن نوبات غضب متكررة وقصيرة يصاحبها الاعتداء اللفظي أو الجسدي على الممتلكات أو الآخرين من دون مبرر خارجي حقيقي.
عادة ما يتم تشخيص هذا الاضطراب لدى المراهقين ممن تعرضوا للاعتداء الجسدي في فترات الطفولة ويمكن أن يستجيب للعلاج السلوكي المعرفي.

العلاج

لعلاج حالات الاضطراب السلوكي الاندفاعي يتم الفحص بمقابلة الطبيب النفسي وبالتنسيق مع التخصصات الأخرى، ودراسة الحالة الاجتماعية بواسطة الاختصاصي الاجتماعي وإجراء الاختبارات النفسية بواسطة الاختصاصي النفسي، ويتم وضع الخطة العلاجية حسب كل حالة، ويعتبر العلاج المعرفي السلوكي من أنجح الوسائل العلاجية في هذه الحالات، حيث يعاد تشكيل السلوك والتفكير والمشاعر من خلال تدريبات تتم في صورة جلسات مع المعالج النفسي، وقد يتم وصف بعض الأدوية الخاصة بعلاج الاكتئاب وأدوية علاج الإدمان لفترات محددة مع العلاج السلوكي المعرفي.
وللوقاية من اضطرابات السلوك الاندفاعي ولمنع تطور هذه الحالات لابد من تنمية الوعي بها من خلال المناهج الدراسية والمنصات الإعلامية، خاصة لدى المقبلين على الزواج وأولياء الأمور، ومن الأهمية بمكان العلاج والتأهيل النفسي للأطفال في حالة تعرضهم لأي نوع من الاعتداء ومتابعة السلوك لفترات ممتدة وبشكل ممنهج مع المختصين لمنع تطور هذه الحالات.
ويمكن أيضا بفحص النزلاء في المؤسسات العقابية الاكتشاف وإعادة التأهيل، وينبغي على كل أسرة تشجيع ومكافأة الأطفال على السلوك القويم وتنمية حس الالتزام بالأنماط والقواعد وتوضيح الحدود التي تتماشى مع القيم والأعراف بالمجتمع للطفل وتهيئته لمواجهة الضغوط والصدمات من دون الإخلال باستمرار إحساس الطفل بالأمان والدعم من الوالدين والأسرة والمجتمع.

أحمد نصيب علي حسين
كاتب وباحث



الاختصارات الخمسة المشوهة للزواج

هناك أشخاص يعانون من ضيق الأفق وسطحية شديدة في التعامل مع الأحداث والنظر للحياة، فلا يرون في الحياة إلا الشقاء، ولا يبصرون في الورد إلا الشوك، ولا يشاهدون في الماء إلا الكدر، ليست المشكلة في أن رؤيتهم لتلك الأمور ناقصة، بل في تصوير الواقع على أنه هذه الأمور فقط.

إن من أعظم الأشياء التي تشوه الرؤية وتشوش التصور وتفسد النظر للأمور اقتطاع جزء من الشيء وجعل هذا الجزء هو هذا الشيء كله، وهذا من أهم الأمور التي تفسد التصور نحو الزواج المعاصر، ليبدو الزواج أمرا يدعو للأحزان والهموم، مما ينفر الناس من الإقبال عليه وتشويه صورته.

وفي هذه السطور نلقي الضوء على بعض الاختصارات المشوهة لحقيقة الزواج، لنوضح الجزء المختفي من بقية الصورة، ونظهر الباقي من الحقيقة الغائبة؛ حتى نذوق لذته، ونتال سعادته.

الزواج لقضاء الشهوة فقط

هذا أول الاختصارات المشوهة لحقيقة الزواج، فقضاء الشهوة من أهم مقاصد الزواج، لكن ليس هو كل مقاصد الزواج ولا منافعه، ولا حقيقته فقط، فالزواج هو بناء بيت مسلم يقوم على الاستمتاع المتبادل والمعاشرة بالمعروف والمشاركة في الأمور، ومن يختصر الزواج في قضاء الشهوة فقط سيرى نفسه خاسرا، وفي سعيه لمطالب المنزل شقيا، وسيرى ما دفعه من ثمن مغبونا، إن سيطرت تلك النظرة الضيقة على الزواج يكدر حياة الزوجين، فيضخم جانب الشهوة ويضعف الجانب النفسي والروحي والاجتماعي بينهما.

الزواج متاعب وشقاء

وهؤلاء الذين ينظرون للزواج بهذا المنظور يغفلون عن جانب الاحتساب في البلاء، ويريدون حياة وردية لا تعب فيها ولا عطاء، يبتغون حصادا بدون زرع، أو ثمارا من غير سقي ولا غرس، هؤلاء لديهم ضعف في جانب الغيبيات، فاحتساب الأجر في العطاء والتعب والبلاء يقوم على الإيمان بالغيب، هؤلاء يظلون في شقاء ما دام أنهم ينظرون للزواج بتلك النظرة



المادية البحتة، إن المحنة تنقلب في حال المبتلى لمنحة إذا احتسب الأجر وصبر ابتغاء وجه الله، وعند ذلك يمتلأ القلب رضا وسلاما، فتحلو الحياة، ويزداد العطاء، ويتسع القلب للبذل والإحسان.

الزواج صراع بين رجل وامرأة

وهذه من إفرازات الصراع بين الفكر النسوي المتعصب والفكر الذكوري المتشدد، من يرى تلك النظرة المشوهة رجلا أو امرأة يعيش في قلق وترقب كأنه ينتظر عدوا لا يدري من أين يأتيه، ويظل هذا الصراع المتبادل يتغذى على منشورات منصات التواصل التي تحرض الطرفين على أخذ العدة للمواجهة وتجهيز الأسلحة، الزواج يقوم على الود والسكينة والتقارب والتضامن والاتحاد، والتغافل عن الهفوات، والتنازل عن بعض الرغبات، ودفن العيوب في بحار المميزات، وفكرة الصراع بين الزوجين فكرة شاذة عن الزواج الإسلامي، وإذا وصلت تلك الفكرة للزوجين ستفسد بنيانه وتدمره تدميرا.

الزواج امرأة تخدم رجلا

وهذه من أغبى الأفكار التي استطاع الفكر النسوي وضعها في عقول بعض النساء، مع أن اختزال الزواج في ذلك الأمر مفسد للزواج، ومكدر صفو حياة الزوجات، فلو نظر الزوج بهذا المقياس للزواج لانقلب الآخر ساخطا على الحياة، ولشاهد ما يقدمه عظيما وكدره بمنه وتعداده، إن ما تقوم به المرأة في بيتها من خدمة لزوجها وأولادها جزء من دورها مثل الزوج الذي يخدم أهله خارج البيت بالسعي في طلب المال وتوفير ما يريدون، إن الذي يصحح ذلك التصور في التعامل مع خدمة الزوج بالمنهج الإسلامي القائم على العبودية لله واحتساب الأجر.

الزواج تضييع للأموال

وهذه نظرة ضيقة تقوم على الشح وتقديس المال والتعامل معه على أنه غاية وليس وسيلة، وهذه النظرة تضيع على الزوج احتساب الأجر في النفقات، مما يبغض فيه زوجته وأولاده، وقد يتعجلون فراقه، ويتمنون موته، إن الإسلام يرغب في النفقة على الأهل وتقديمه على سائر أبواب البر والإحسان، وجعله من أهم الأعمال الصالحة ؛ لذلك يقول النبي ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك»[1].

إذا أردنا أن نختصر الزواج اختصارا صحيحا، فليكن الزواج سبيلا لبناء بيت صالح يسعى لسعادة الدنيا والآخرة، فيكون إشباع الشهوة وسيلة، فما يلقاه المسلم فيه من بلاء اختبار يكفر السيئات ويرفع الدرجات، يتعاون فيه الزوجان لا يتصارعان، وما تقدمه الزوجة من خدمات وما ينفقه الزوج من سائر النفقات هو سبيل لرضا رب العالمين هذا هو الاختصار الصحيح للزواج.

الهوامش

١- صحيح مسلم، (٩٩٥)، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم.



عايد العرفج
باحث وكاتب اقتصادي

صعود وسقوط الدولة العباسية

استكمالا لحلقاتنا السابقة من تقييم للمنظومة الإسلامية اقتصاديا واجتماعياً وذلك بعد دور رسولنا الكريم المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين وما صاحب هذه الحقبة من فتن وصراعات أتت الخلافة الأموية التي استمرت لمدة تسعين عاما ثم سقوطها على يد الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح.

لذلك نريد اليوم أن نعرج على الخلافة العباسية وصعودها المدوي ومعانقة نجاحاتها للسماء واستمرار نهضتها لخمسة قرون متتالية أثرت البشرية وأثرت فيها تأثيرات إيجابية طالت كل مناحي الحياة من تقدم وحضارة ورقي.

وبناءً على ذلك نجد أن هناك أسباباً عديدة ومتعددة، منها الفكر الفلسفي الذي انتشر في العصر العباسي، والذي دعم العلم والفكر والفلسفة والفن، وساعد على ازدهار الحضارة الإسلامية، والاهتمام بالثقافة والعلم والتعليم، حيث تم إنشاء العديد من المدارس والجامعات والمكتبات والمراكز العلمية في جميع أنحاء الخلافة العباسية، مما أسهم في تعزيز المعرفة والتثقيف لدى الناس.

واستناداً لما سبق اتسع نطاق الخلافة العباسية وتوسعها في الأراضي الإسلامية، والتي أدت إلى زيادة الثروة والتجارة والازدهار الاقتصادي، الاستقرار السياسي الذي حكمالخلافة العباسية، والذي أدى إلى توفير الأمن والاستقرار للمواطنين، وجعل الخلافة مركزاً للحكم والقوة في العالم الإسلامي، والاهتمام بالعدل والمساواة بين الناس، وتوفير الرعاية والدعم للفقراء والمحتاجين، وهو ما أسهم في جعل الناس يشعرون بالأمان والثقة في الخلافة العباسية.

إضافة على ذلك نجد الدعم الكبير الذي قدمه الخلفاء العباسيون للفن والأدب والعلم، والذي أسهم في تطوير الفنون والأدب والعلوم في العالم الإسلامي وجعلها مركزاً للتقدم والابتكار، وتبني الخلافة العباسية للعديد من التقاليد والثقافات الأخرى، مما أسهم في إثراء الحضارة الإسلامية وتوسيع آفاقها.

وكانت الخلافة العباسية منارة للعلم ودعم العلماء ومشهورة بإنشائها للعديد من المدارس والجامعات والمراكز العلمية في جميع أنحاء الخلافة، وكانت بعض هذه المؤسسات التعليمية مشهورة بشكل خاص، ومن بينها:

جامعة القرويين: وهي أول جامعة إسلامية في العالم، وتأسست في مدينة فاس بالمغرب في القرن الثالث الهجري، وكانت تعتبر مركزاً للتعليم والفكر والثقافة.

مدرسة النظامية ومدرسة البيت المقدس أما جامعة الزيتونة تميزت في الدراسات الإسلامية والعلوم الطبيعية والفلسفة والتاريخ.

تميزت الخلافة العباسية بتطوير العلوم والفنون والاختراعات في العديد من المجالات، ومن أهم هذه المجالات، الرياضيات والجبر ومن أشهر علماء الجبر في هذا العصر كان المتنبي والخوارزمي والإسماعيلي، والهندسة كان العالم المسلم الأندلسي الزهراوي، أما في مجالات الطب قد ساهم العلماء المسلمون في تطوير الطب ومن أشهر الأطباء في هذا العصر كان ابن سينا.

وفي نفس الصدد نجد الفلك والفيزياء ومن أشهر العلماء في هذا المجال كان العالم المسلم الفارابي، أما الفنون فقد تميزت الخلافة بتطوير الفنون والأدب،

ومن العلماء جابر بن حيان الذي وضع نظرية الكيمياء الحديثة، والمسعودي وهو عالم مسلم ومؤرخ.

أبرز سلبيات الخلافة العباسية وبداية انهيارها

كأي نظام حكم آخر فإن الخلافة العباسية كانت تحمل بعض السلبيات والعيوب ومن أبرزها الفساد الإداري حيث كانت هناك مشاكل في الإدارة الحكومية وفساد، وقد حدثت صراعات داخلية شديدة بين الخلفاء والأمراء والعلماء والجماعات المختلفة، مما تسبب في عدم

الاستقرار السياسي والاجتماعي في الخلافة.

بدأت الحضارة العربية في التراجع بسبب الصراعات الداخلية والتحفظ على العلماء والاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية.

بدأت بعض القيم والأخلاق الإسلامية في الانحدار والتلاشي، وظهور بعض الظواهر السلبية في المجتمع.

ومن ثم حدوث الاضطرابات السياسية التي كانت سبباً رئيسياً في انتشار الانحلال الثقافي والأخلاقي.

تراجع التعليم والعلوم: بدأت المدارس والجامعات في التراجع والتلاشي، وانخفض مستوى التعليم والعلم في المجتمع.

بدأت القيم والأخلاق الإسلامية في التغيير والتلاشي، وظهرت بعض الظواهر السلبية في المجتمع.

وكان الفساد والفوضى الاجتماعية سبباً في انتشار الانحلال الثقافي والأخلاقي، وقد زادت الأمور سوءاً بسبب انتشار الفقر والبطالة والجريمة.

وقد شهدت بعض التدخلات من قبل بعض السيدات في القصر في الحكم والتخطيط للمؤامرات والمكائد، وكان هناك بعض النساء في القصر يمارسن بعض النفوذ السياسي.

إحدى العيوب الرئيسية للدولة العباسية كما ذكرت هي توريث الحكم للأبناء الفاسدين وغير الصالحين للأسف، حيث كانت الحكمة والكفاءة ليست العوامل الحاسمة في تعيين الخلفاء الجدد، بل كان الأمر يعتمد بشكل رئيسي على الولاء والانتماء العائلي.

ومن بين الأسباب أيضاً إضعاف للجيش في الخلافة العباسية، وتسريح عشرات الآلاف من الجنود، مما أدى إلى تراجع القدرة العسكرية

بعض أبرز إيجابيات ومميزات الخلافة العباسية:

- **تربعها على قيادة الأمم أكثر من خمسة قرون وأخذ زمام المبادرة**
- **أسباب النهضة العباسية ونجاحاتها كثيرة ولا حصر لها**
- **الوفرة المالية والثروات الإسلامية وارتفاع الخراج ورفاهية الشعب**
- **تأثيراتها الإيجابية الواضحة على الدول والشعوب في كافة المجالات**
- **انتشار وتمدد الثقافة الإسلامية العربية في أصقاع المعمورة**
- **تطوير العلوم والاختراعات والجبر والهندسة وسائر الفنون**

للدولة وتدهور الأمن الداخلي والخارجي بحجة تخفيض النفقات العسكرية.

وهذا الأمر الذي أدى لتعجيل نهاية الخلافة العباسية عن طريق القضاء عليهم من المغول الذين أثخنوا في جسد الخلافة الإسلامية وقطعوها إرباً وتسببوا في إنهائها وقتل عشرات الآلاف من المسلمين والعلماء وحرق مكتبة بغداد العظيمة وإغراق كتبها في نهري دجلة والفرات.

بعض أبرز سلبيات وعيوب الخلافة العباسية:

- **اعتماد الحكم الوراثي حتى لغير الصالحين من أبناء الخلفاء**
- **تدخل سيدات القصر بالحكم والتخطيط للمكائد والمؤامرات حتى على بعض أبنائهن**
- **إسناد الأمر لغير أهله من البطانة الفاسدة مثل الفرس والبرامكة والمنافقين**
- **عدم وجود دستور والاعتماد على منهاج ثابت وترك الأمر للمزاجية والفردانية**
- **إضعاف الجند وتسريح عشرات الآلاف منهم وقصر نظر بعض خلفائهم والتسبب في الغزو المغولي وانهيار الدولة**
- **ظلم الضعفاء وجباية أموالهم وغض الطرف عن أقويائهم**



د. مرزوق العمري
أستاذ جامعي

من أعلام الدعوة الإسلامية الشيخ عمر العرباوي

قيض الله عز وجل لخدمة دينه والدعوة إليه رجالا تميزوا بما آتاهم الله من علم ومن قدرة على العمل أن يكونوا دعاة يدعون الناس في كل جيل من أجيال الإنسانية إلى دين الله سبحانه، لعل الله قيضهم ليحفظ بهم دينه وتتحقق على أيديهم عالمية الرسالة الإسلامية. هذا ما تثبته لنا السنة النبوية من التبشير بظهور من يجدد للأمة أمر دينها، وهؤلاء المجددون هم العلماء والدعاة، وقد شهد التاريخ الإسلامي المعاصر الكثير من الدعاة من هذا الفصيل، لكن الشهرة لم تكن متكافئة؛ فبعضهم لقي من العناية والتعريف به بما يكفي، وبعضهم الآخر لم يكن له ذلك. والتعريف بهؤلاء الأعلام هو بكيفية أو بأخرى خدمة للدعوة الإسلامية لأنه تعريف برجالها الذين قاموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من فرائض الإسلام الباقية. ومن هؤلاء الدعاة الذين كان لهم الأثر في تاريخ الدعوة الإسلامية في تاريخها المعاصر الشيخ عمر العرباوي، فمن هو الشيخ عمر العرباوي؟ وما هي إسهاماته الدعوية؟



هو الشيخ الحملاوي بن الشيخ صالح بن عبدالكريم العرباوي؛ هذا هو اسمه المثبت في وثائقه الرسمية، ويدعى عمر وهو تقليد سائد في الأسماء لدى الجزائريين، خصوصا الذين عاشوا العهد الاستعماري، وقد ساد الاسم الذي يدعى به على الاسم الرسمي فكانت مقالاته يوقعها باسم عمر العرباوي وحتى كتبه نشرت باسمه هذا «عمر العرباوي» حتى اشتهر لدى الجزائريين بعمر العرباوي ولا يكاد يعرفه باسم الحملاوي إلا المقربون منه أو الذين اهتموا بترجمته وبحياته الشخصية. أما أمه فهي فاطمة بنت بلقاسم.

ولد الشيخ عمر العرباوي سنة ١٩٠٧م في قرية «سيدي عيسى»، وهي إحدى الدوائر التابعة لولاية المسيلة في التقسيم الإداري الحالي للجزائر. كان ذلك في فترة تاريخية عصيبة تمر بها الجزائر جراء الاستعمار الذي تعرضت له قبل ميلاد الشيخ بما يقارب القرن من الزمان.

ولد الابن عمر ونشأ، رحمه الله، في بيت بسيط بساطة الحياة الجزائرية

يومها، لكنه من بيوت القرآن الكريم؛ فوالده الشيخ صالح كان أحد معلمي القرآن الكريم في بلدته، ومن الذين تتلمذوا على يده ابنه عمر الذي بدأ حفظه للقرآن على يد والده ولكنه لم يكمل حفظه كله على يديه، إذ انتقل إلى إحدى الزوايا القريبة من تلك الناحية لإتمام الحفظ ولتعلم ما يمكن تعلمه من علوم الشريعة. كانت رحلته العلمية الأولى إلى زاوية الشيخ سعد بوطوبلي بشلالة العذاورة وهي إحدى الدوائر التابعة لولاية المدية في التقسيم الإداري الحالي للجزائر، وتبعد حوالي ١٤٠ كلم جنوب العاصمة الجزائرية، بهذه الزاوية أتم الشيخ عمر العرباوي حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من العمر، ولطبيعة الظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت تمر بها الأسرة الجزائرية ومنها اسرة الشيخ العرباوي لم تتمكن هذه الأسرة من تسديد ما يحتاجه الابن عمر الناشئ المتعلم، فاضطر إلى الإقامة عند عمته التي كانت تسكن في بئر خادم بالعاصمة الجزائرية.

ودفعته أوضاعه الاجتماعية الصعبة إلى البحث عن مهنة مناسبة يستعين بها على حاجاته فزاول هناك مهنة جني المحاصيل في المزارع، وفي هذه الفترة انتقل إلى زاوية سيدي المهدي بالبليدة فتعلم بها علوم الشريعة من: فقه وحديث وتفسير... وغيرها من العلوم الشرعية. وخلال هذا المسار التكويني عرف عنه رحمه الله حبه الشديد للعلم والسعي في طلبه، ويذكر من عرفه ومن بعض مترجميه أنه من صور هذا التفاني في طلب العلم أنه كان يملك شياها (جمع شاة) وكان يومها في حاجة إلى كتاب مختصر خليل في الفقه المالكي فباع من شياهه لشراء هذا الكتاب الذي كان معتمدا عند مالكية المغرب الإسلامي وعند الجزائريين خاصة بشكل كبير. وهذا أحد مظاهر شغفه بالعلم واهتمامه بالكتاب.

لما كبر الشيخ عمر العرباوي وبلوغه الثلاثين من العمر ابتلي العالم بالحرب العالمية الثانية وكان ذلك سنة ١٩٣٩م. أرغم من طرف الجيش الفرنسي على المشاركة في هذه الحرب، فأخذ إلى بلجيكا لكنه سرعان ما فر منها ليتجه إلى تونس ومنها كانت عودته إلى الجزائر، لكنه لم يعد إلى سيدي عيسى مسقطه رأسه بل إلى الحلوية تحديدا. والحلوية هي إحدى مراكز بلدية الصومعة التابعة لولاية البليدة.

ملامح شخصيته

إن الروح الدينية والوطنية التي تسكن الشيخ العرباوي وانشغاله بقضايا الأمة جعلاه يتميز في مواقفه إزاء التحولات التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية عموما والجزائر خصوصا غداة الاستقلال وحتى ثمانينيات القرن العشرين، فقد تميز مساره التكويني والدعوي بمحطات مهمة في تعاطيه مع قضايا الأمة يومها، وهذه المحطات شكلت مساره الدعوي وهي تستدعي منا الوقوف عندها وأخذ العبرة والدروس منها:

- **الحرص على العلم**: وهي خصلة تميز بها منذ صباه، وتمثل هذا في بيعه وهو صغير لغنمه ليتسنى له شراء الكتاب الفقهي (مختصر خليل)، وكما قيل البداية تدل على النهاية، فإن الذي يضحي ولو بالشيء القليل من أجل العلم ومن أجل فهم الإسلام سيتعود على التضحية في الأمور العظيمة بالشيء العظيم، فمن باع غنمه من أجل اقتناء كتاب، حتما سيبيع نفسه لله ويضحي بكل شيء من أجل دينه وعقيدته، وهذا ما تجلى في حياته في مرحلة لاحقة في شبابه وحتى في شيخوخته رحمه الله.

- **التقوى والعبادة**: لا شك أن العلم يورث التقوى الباعثة على العبادة وقد جاء في الأثر: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»، والذي لا يزيده العلم خشية بالله فليس بعالم وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر:٢٨)، فالعلم يدفع بصاحبه إلى رياض الخشية من الله والحب فيه، ويتجلى ذلك في عبادته والتزام طاعته، ولشيخنا العرباوي نصيب وافر من ذلك، فقد ذكر عنه أنه صلى لله ركعتين بالقرآن كاملا ولم يتعد سن الخامسة عشرة، فياله من اصطفاء واختيار!

نشاطه الدعوي

توزع النشاط الدعوي للشيخ عمر العرباوي على: التعليم والخطابة، والوعظ والإرشاد في المساجد والكتابة في الصحف وهو الفضاء الإعلامي المتاح في ذلك الوقت، شأنه في ذلك شأن رجال جمعية العلماء عموما.

ففي مجال التعليم وبعد عودته من بلجيكا وفراره من الجيش الفرنسي وقرار التجنيد الإجباري ولشغفه بالعلم انطلق في عمله الدعوي متخذا من فضاء التعليم الفضاء الرئيسي لهذا العمل، فقام بتأسيس مدرسة يعلم فيها الناس أمور دينهم، ويؤمهم في الصلاة فيها، وبعدها رجع إلى مسقط رأسه بمدينة المسيلة واشتغل بالتعليم الديني والإمامة والعمل الدعوي؛ فكان يؤم الناس في الصلاة ويعلمهم ويقدم لهم دروسا في الوعظ في مساجد مدينة المسيلة.

وحينما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي أسسها الشيخ عبدالحميد بن باديس وكتب لها الرواج، صار الشيخ عمر العرباوي من منتسبيها، وكان على صلة برجالها البارزين، مثل: الشيخ البشير

الإبراهيمي والعربي التبسي والطيب العقبي وأحمد سحنون، وكان انضمامه إلى الجمعية أواخر الأربعينيات وهي السنة التي تزوج فيها. وشغل منصب رئيس شعبة جمعية العلماء بالعاصمة الجزائرية، وفي هذه المرحلة ركز نشاطه الدعوي في العاصمة الجزائرية وفي أحيائها العديدة مثل: السحاولة التي أنشأ بها مدرسة قرآنية. وبعدها درس بالتهذيبية ببولوغين، وبمسجد بلوزداد وهذا إلى غاية سنة ١٩٥٦م، وفي هذه السنة من سنوات الثورة الجزائرية الكبرى اعتقل الشيخ العرباوي.

واندلعت الثورة الكبرى كان الشيخ العرباوي مثل أحرار الجزائر الذين يتوقون إلى الحرية، فكان ممن لبوا النداء حينما نادى المنادي، ولارتباطه بجمعية العلماء التي كانت مسكونة بهذا الشعور وهذا الأمل، فلبت النداء من أول يوم بدأت فيه الثورة التحريرية، وقسم الشيخ العربي التبسي المهام على أعضاء الجمعية، فكان نصيب الشيخ العرباوي ثقيلا، إذ كان مكلفا بالخطابة والتحريض على الجهاد ضد فرنسا، وكلف كذلك بتوجيه الراغبين في الالتحاق بميادين القتال، وبجمع المال والسلاح وإرساله إلى الثوار.

لما علم العدو الفرنسي بذلك، قام باعتقاله بعدما اعتلى منبر الجمعة في يوم من أيام رمضان سنة ١٩٥٦م، فعذب وسجن، ومر بعدة سجون بدءا بالبرواقية فبوسوي ثم آركول، وقد التقى في البرواقية برفقاء دربه الشيخين: أحمد سحنون ومصباح الحويذق، وهما من أئمة الجزائر أيام الثورة التحريرية وبعدها. ومكث في السجن حوالي خمس سنوات ونصف السنة، وفي ١٩٦١م أفرج عنه ليبقى تحت الإقامة الجبرية حتى خروج فرنسا سنة ١٩٦٢م. وبعدها عاد ليؤم المصلين ببلكور في العاصمة الجزائرية كمتطوع ثم إلى الحراش فسكن بها ودرس بها حتى وفاته رحمه الله، وفي ١٩٧٥م أحيل إلى التقاعد، لكنه لم يترك الدعوة والإرشاد، فدرس بمسجد باب الوادي بالعاصمة خمس سنوات متتابعة.

مواقفه الدعوية

انشغل الشيخ العرباوي بالقضايا التي كانت تجابه الإسلام وشهدها العالم الإسلامي في زمانه وتصدى للقضايا المؤثرة على الرؤية الإسلامية يومها على مستوى السياسة أو الاجتماع أو غير ذلك، وبذلك كان متفاعلا مع قضايا عصره، ومن هذه القضايا:

١- القضايا السياسية: وتأتي في صدارتها قضية الاشتراكية التي اتخذت كأيديولوجيا سياسية في الكثير من بلاد الإسلام، وبحكم محلية خطابه الدعوي كان يناقش النموذج الاشتراكي في صورته الجزائرية بحكم معايشته لهذه المرجعية السياسية الجديدة وكان ذلك خلال عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي أي بعد الاستقلال وتصفية الاستعمار. فقد آلمه حال الجزائر آنذاك، يقول رحمه الله: لما طرد الاستعمار من البلاد أخذ الجزائريون زمام الحكم بأيديهم، ولكن سرعان ما تنكر بعض الشباب للدين ولعوائده وأخلاقه وقطعوا صلتهم به، لعبت المادة والشهوات بعقولهم فراجت موجة ناتجة من الإلحاد كادت أن تعم طبقات الشعب، وأصبح الإسلام يتهم بالرجعية والتأخر.. وقد كان من الأوائل الذين عارضوا اختيار النظام الجزائري لمنهج الاشتراكية بعد خروج فرنسا، ورفض لقاء المسؤول الأول آنذاك، وشن حملته على الاشتراكية وأهلها، بخطبه التي كان يلقيها بمساجد العاصمة ودروسه التي يقدمه التلاميذه، وكذا بكتاباته فألف في ذلك كتابه «الاعتصام بالإسلام»، مبرزا فيه محاسن الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، وفاضحا الاشتراكية مبينا مثالبها وقبائحها.

لقد قام الشيخ رحمه الله بما يجب أن يقوم به العالم الرباني الذي عاهد الله على أن يصدع بالحق والتبليغ التام والكامل، فلاقى جراء كلمة الحق ما يلاقيه كل مصلح، فضيق عليه وهمش وأصبح مراقبا، ولازمه هذا التضييق إلى وفاته رحمة الله عليه.

٢- القضايا الدينية: وقد تمثلت في واقع التدين في زمانه، وتعاليم الإسلام وكيف يجب تقديمها، وتشخيص أسباب تدهور المسلمين، وغير ذلك وهي كما يلي:

أ - أثر الإيمان في صناعة الجيل الأول: وفيه عرج الشيخ العرباوي على تاريخ العرب قبل الإسلام مشخصا استصغار الواحد منهم لنفسه كونه يسجد لحجر معظما له، انتقل من هذا الوضع إلى وضع آخر تحققت فيه إنسانية الإنسان واهتدى فيه إلى خالقه وكان أول من فتح عليه بذلك الجنس العربي الذي كان يعيش الجاهلية فـ: «انتقل العرب والذين أسلموا عن معرفة بالجاهلية العليلة الغامضة الميتة إلى معرفة عميقة واضحة روحية ذات سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح، ذات تأثير في الأخلاق والاجتماع، ذات سيطرة على الحياة وما يتصل بها». والذي فعل بهم ذلك هو الإيمان بالله فهو الذي صنع الجيل الأول ويبقى أثره مستمرا ما استمر الإنسان في الالتزام بالدين وبتعاليم الإيمان كما أمره الدين بها.

ب - تعاليم الإسلام وحاجة الإنسان إليها. وهو جانب نجده حاضرا في الخطاب الدعوي بشكل عام وعند الدعاة من كل جيل من أجيال المسلمين ومنهم الشيخ العرباوي الذي كان يرى أن تعاليم الإسلام قوة روحية ومادية معا وأنها عدالة اجتماعية ورحمة لجميع الناس، مبينا من خلال ذلك

حقيقة الإيمان على أنه القوة الباعثة على العمل الصالح والموجه إلى الله عز وجل. وأن الإسلام هداية إلهية إلى الناس جميعا من خلال دعوته إلى السلام والتعاون وحمايته لحقوق الإنسان واستخلافه في الأرض وأمره بعمارتها، وبيان الأسس التي ينطلق منها الإسلام وأولها توحيد الله عز وجل، والالتزام بالدين منهجا حتى يعيشوا طائعين لا عصاة، وعليه فأساس التفاضل في الإسلام هو العمل الصالح، وبناء على ذلك رد الشيخ العرباوي على بعض المفاهيم الخاطئة التي سادت في جيله مثل المفاهيم الغربية القائمة على العنصرية والقومية القائمة على الجنس... وغيرها.

وفي ضوء هذه الشمولية الإسلامية عالج الكثير من المسائل التي كانت مطروحة في زمنه وبعضها لا يزال محل نقاش مثل: حرية المعتقد، وعلاقة المسلم بالآخر، والمساواة في الإسلام، وإحياء الشعائر الإسلامية، والعدل في الإسلام، وعالمية الإسلام، والتعليم الديني وطبيعة الحكم... وغيرها، وكل ذلك، ويشير الشيخ العرباوي إلى أن هذه المسائل الجليلة في الدين قد يتوقف أمر تبليغها على الداعية وكفاءته وأخلاقه حتى يكون ناجحا مؤثرا فيقول: «طلب الإسلام من كل داعية أن يكون هادئ الطبع لين العريكة، فيقول الله لنبيه الكريم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩)».

٣- القضايا الاقتصادية: من الجوانب التي ناقشها الشيخ عمر العرباوي من منظور إسلامي قضايا الاقتصاد فذكر بأن الإسلام: قرر أن يمنع الاحتكار وكنز الأموال وقرر أن يمنع الاستغلال بغير عمل، وقرر أن يتداول الجميع الثروة ولا تكون دولة بين الأغنياء، وقرر أن تكون للضعفاء والمحرومين حصة سنوية، وقد يزاد عليها بأمر الإمام وإحسان المحسنين وإذا تقرر هذا في مجتمع إنساني فلا حرج عليه أن يتخذ له نظاما من نظم المعيشة الاقتصادية كيفما كان، والتطرق إلى الجانب الاقتصادي من الإسلام يأتي في إطار الحديث عن شمولية الإسلام لجوانب الحياة المختلفة وفي إطار السجال الذي عرفه زمن الشيخ العرباوي الذي تضمن صلاحية وعدم صلاحية الإسلام كمرجعية شاملة للمسلم المعاصر.

٤- القضايا الحضارية: من المسائل التي كانت مطروحة في زمن الشيخ العرباوي وقبله وما زالت حتى في زماننا هذا مسألة تأخر المسلمين حضاريا، وهي تهمة اتهم بها الإسلام من قبل خصومه، وقد وقف عندها الشيخ العرباوي مشخصا للمشكلة ليعطي لها الحل، فعن أسباب تدهور المسلمين حضاريا يقول: «سبب هذا التدهور هو الخلافات السياسية والدينية وتنازع الرئاسة والانصراف عن العقيدة إلى ألفاظ ميتة لا روح فيها، والانغماس في أنواع الترف والنعيم، والإقبال على لذائذ الحياة الماجنة، والغرور بسلطانهم والانخداع بقوتهم، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم». هذه أهم الأسباب التي ورثت التخلف الحضاري لدى المسلمين، فمنها الديني ومنها الدنيوي، وقد وقف الشيخ العرباوي عند ظاهرة التخلف هذه بعد تتبعه لمحطات النهضة والسقوط من فجر الإسلام الأول حتى عصرنا الحديث فتاريخنا المعاصر.

وفاته

بعد حياة ملؤها الصدق والثبات على الحق توفي الشيخ عمر، رحمه الله، يوم الأحد ٩ ربيع الأول ١٤٠٥هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٨٤م، ودفن بمقبرة سيدي رزين على الطريق الرابط بين الحراش وبراقي في العاصمة الجزائرية، رحمه الله برحمته الواسعة. وتخليدا لذكراه واعترافا بفضله قامت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بتسمية أحد مساجد العاصمة الجزائرية باسمه.

آثاره

ترك الشيخ عمر العرباوي مجموعة مقالات نشرت في صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثل جريدة البصائر، وفي الاستقلال كان يكتب في مجلة التهذيب الإسلامي التي كانت تصدر عن جمعية القيم كما ترك كتابين اثنين هما:

١- الاعتصام بالإسلام: وألفه في فترة حكم الاشتراكية بالجزائر. وهو كتاب طرق الشيخ العرباوي فيه أهم المسائل الدعوية التي عاصرها ورأى أنها تضر بالإسلام بكيفية أو بأخرى، كما أنه ناقش فيه بعض القضايا التي فهمت فهما خاطئا وعمل على تصحيح التصورات التي سادت إزاء هذه القضايا فعالجها معالجة الداعية الرسالي مؤصلا لها بكيفية تلائم الذوق والفهم في زمنه ولذا يمكن القول إنه كان متفاعلا مع واقعه الدعوي.

٢- كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، وهو كتاب في العقيدة، قدم فيه مسائل العقيدة بطريقة دعوية يشبه في ذلك ابن باديس ومبارك الميلي من شيوخ جمعية العلماء في عرضهم لقضايا العقيدة.

نتمنى أن يعتنى بهذا العلم من أعلام الدعوة الإسلامية في تاريخنا المعاصر ليتم التعريف به وبإسهاماته في خدمة الدعوة الإسلامية، فهذا من حقه علينا حق المعلم على التلاميذ على كل حال. وبعد وفاته وتخليدا لذكراه سمي أحد المساجد في العاصمة الجزائرية باسمه رحمة الله تعالى عليه.

د. نادية هشام عدلي محمود
باحثة أكاديمية



إسلام البلغار

البلغار قديما كانت تقع على ساحل بحر «مانيطس» وهو الآن بحر «آزوف» المتفرع من البحر الأسود، كانت مدينة عظيمة مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط وحولها أمم كثيرة للغاية من الترك، يبلغ النهار عندهم عشرين ساعة وليلهم يبقى أربع ساعات وإذا قصر نهارهم يعكس ذلك، أما الجو فهو شديد البرودة لا يكاد الثلج ينقطع عن أرضهم صيفا أو شتاء، أما بالنسبة لبداية ظهور الإسلام بها حكى أن رجلا صالحا دخل البلغار وكان ملكها وزوجته مريضين فاقدي الأمل في الشفاء، فقال لهما: إن عالجتكما تدخلا في ديني؟ قالا: نعم! فعالجهما فدخلا في دين الإسلام، وأسلم أهل تلك البلاد معهما، فسمع بذلك ملك الخزر -وهي المملكة المجاورة لهم- فغزاهم بجنود عظيمة، فقال ذلك الرجل الصالح: «لا تخافوا واحملوا عليهم وقولوا اللّٰه أكبر اللّٰه أكبر»، ففعلوا ذلك وهزموا ملك الخزر، ثم بعد ذلك تصالحوا مع ملك الخزر وقال: «إني رأيت في عسكركم رجالا كبارا على خيل شهب يقتلون أصحابي! فقال الرجل الصالح: أولئك جند اللّٰه! وكان اسم ذلك الرجل «بلار»، فعربوه فقالوا «بلغار» هكذا ذكر القاضي البلغاري في تاريخ بلغار.

اتسم أهل البلغار بالصبر الشديد وهذا ما فرضته عليهم طبيعة الحياة الثلجية، فظهر ذلك في تحملهم البرد وساعدهم على ذلك أن أكثر طعامهم كان يتكون من العسل ولحم القندر والسنجاب، ونادرا ما يرى أهلها أرضا ناشفة، ويقول «ياقوت الحموي» إنه رأى الحيات عندهم كثيرة حتى إن

الغصن من الشجر ليتلف عليه عشر منها وأكثر، ولا يقتلونها ولا تؤذيهم، ولهم تفاح أخضر شديد الحموضة تأكله الجواري، وليس في بلدهم أكثر من شجر البندق، قال: ورأيت لهم شجرا لا أدري ما هو، مفرط الطول وساقه أجرد من الورق ورؤوسه كرؤوس النخل، وليس عندهم شيء من الأدهان سوى دهن السمك، فإنهم يقيمونه مقام الزيت والشيرج؛ لذا فهم كانوا زفرين، وملبسهم جميعا القلانس. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٨٥– ٤٨٨؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٦١٢–٦١٤).

دور البلغار في نشر الإسلام

لم يكن واضحا على وجه التحديد متى اعتنق البلغار الإسلام، لكن ما ذكره المؤرخون العرب أنه كانت هناك صلات تربط بين بلاد البلغار وبلاد العرب المسلمين منذ ظهور الإسلام، وأيضا قبل الإسلام عن طريق طرق التجارة الواقعة شمال بحر الخزر والتي ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد وكانت تتمثل في: الأنسجة والنبيذ وغير ذلك من سلع الأمم المتحضرة لمقايضتها بسلع الرعاة مثل: الجلود والرقيق، ولقد دخلت آسيا الوسطى منذ ذلك العهد في علاقات تجارية لا مع الهند وحدها بل ومع الصين أيضا لذا كان من الطبيعي وجود سلع الشرق الأقصى طريقها إلى جنوبي روسيا[١]. فالتجار العرب صعدوا لنهر الفولجا حتى بلاد البلغار، وكانت البلغار حينها نقطة تجمع منتجات الشمال[٢]، فالصلات بين البلغار والعرب بعضها كان لأسباب عسكرية تتعلق بوصول العرب إلى مناطق قريبة من منطقة الأتراك والبلغار والخزر والصقالبة وغيرهم، وبعضها تعود إلى أسباب اقتصادية متمثلة في التجارة والتبادل التجاري التي كانت عاملا مهما من عوامل انتشار الإسلام في تلك البلاد الشمالية[٣]، ثم جمعت بينهم الصلات الدينية بعد ذلك واعتناقهم للدين الإسلامي.

مما لاشك فيه أن قصة الرجل الصالح والمعاملات التجارية كانوا النواة لمعرفة تلك البلاد الشمالية عامة وجنوبي روسيا خاصة أي البلغار والصقالبة في معرفة الدين الإسلامي، حيث أرسل ملك البلغار رسالة إلى الخليفة العباسي يطلب منه أن يرسل له من يفقهه في الدين الإسلامي، أي كان بالفعل تم اعتناقه للإسلام وكان بحاجة لمعرفة تفاصيل هذا الدين الجديد، وهنا سأعرض خلاصة تلك الرسالة من خلال كتاب «رحالة ابن فضلان» الذي كان على رأس هذا الوفد الذي ذهب لبلاد البلغار والصقالبة.

رسالة ملك الصقالبة

وفد رسول ملك الصقالبة الذي يدعى «عبدالله بن باشتو الخزري»، وعجيب أن يرسل الصقالبة رجلا خزري الأصل؛ لعلهم اختاروه لمعرفته باللغة العربية، أو لثقتهم به، يطلب من أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه من يفقهه في الدين، ويعرفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجدا، وينصب له منبرا، ولاقت هذه الدعوة الترحاب من الخليفة المقتدر ووزيره «حامد بن العباس»؛ سعيا إلى حلف ثقافي ديني عسكري[٤]، وقررا أن يكون الوفد الرسمي من أربعة أشخاص هم: «سوسن الرسي» مولى نذير الخرمي، و«تكين التركي»، و«بارس الصقلابي»، يرأسهم «أحمد بن فضلان»، برفقة رسول الصقالبة، ويخيل إلينا أن اثنين من أعضاء الوفد البغدادي يعرفان الروسية، الأول «سوسن» يبدو في نسبته من بلاد الروس، استجلب كرقيق ثم تعلم العربية وحسن إسلامه وترقى في المناصب حيث وصل لحاجب المكتفي فيما يبدو، والثاني «بارس الصقلابي» واسمه ونسبته دليلان على أصله، وأما الثالث «تكين التركي» فهو تركي الأصل، يجيد لغات الترك التي يمر ببلادها الوفد في طريقه إلى الفولجا، وكان يعمل حدادا في خوارزم، وقف على بيع الحديد في بلد الكفار، وهو الذي أقنع «نذير الخرمي» بإيصال كتاب ملك الروس إلى الخليفة المقتدر فيما تقوله الرسالة، أما الرابع «أحمد بن فضلان» كان يجهل اللغات الأجنبية، لكنه ملم باللغة العربية وبالشريعة الإسلامية، وهو رئيس الوفد وقائده، ويقول: «فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه، وتسليم الهدايا، والإشراف على الفقهاء والمعلمين»، وقد أرفق الوفد بأشخاص ثانوية وهم الفقيه والمعلم والغلمان، وهم في مرتبة الملحقين المعاونين، وحمل الوفد

معه أدوية طلبها ملك الصقالبة من «نذير الخرمي»، هذا يدل على تقدم المملكة العباسية، وغنى حضارتها، وفقدان بلاد البلغار للأدوية والعلاجات آنذاك[٥].

إذا أسباب رحلة ابن فضلان لملك الصقالبة تتلخص في الآتي:

١- إرسال جماعة من المسلمين من علماء الدين ليفقهوا الملك وقومه في الدين ويعلمونهم أحكام الشريعة الإسلامية.

٢- بناء حصن من مال الخليفة يتحصن فيه من الملوك المخالفين له.

٣- بناء مسجد للملك، وينصب فيه منبرا ليقيم عليه الدعوة للخليفة في بلده وجميع مملكته.

٤- إرسال بعض العقاقير والأدوية؛ ليستعينوا بها في معالجة مرضاهم[٦].

يتضح من خلال هذه المطالب أن ملك البلغار أراد توثيق علاقاته مع الدولة العباسية في عهد الخليفة المقتدر بالله، ونستدل أن الملك كان مسلما قبل هذا الوفد، وأراد الاستفادة من إمكانيات الدولة العباسية وقدراتها وحضارتها؛ ليكسب قوة بانتسابه إلى خليفة المسلمين؛ لمواجهة أعدائه وأعداء الإسلام المجاورين له[٧].

الرحلة وسيرها

رحل الوفد من بغداد يوم الخميس الموافق ١١ من صفر ٣٠٩هـ/ ٢١ يونيو ٩٢١م، وظل يصعد شرقا وشمالا مارا بإقليم الجبال[٨]، فهمذان[٩] فالري[١٠] قرب طهران اليوم وعبر جيحون، فبلغ بخارى، ثم أوغل في البراري والبوادي



حتى وصل إلى الفولجا، عند ملك الصقالبة يوم الأحد الموافق ١٢ من محرم ٣١٠هـ/ ١١ مايو ٩٢٢م، استغرقت الرحلة أحد عشر شهرا[١١]، وحينا يذكر ملك الصقالبة باسم «الحسن» وحينا «ألمش بن يلطور أو بلطور أو فلاديمير أي أمير فولاذ[١٢]، وذكر ابن فضلان[١٣] إنه كان معهم واحد من الباشغرد دخل في الإسلام، وكان يخدمهم في طريقهم إلى ملك الصقالبة[١٤].

كان استقبال وفد ابن فضلان استقبالا يملؤه الإجلال والإكرام، استقبله أربعة ملوك من الصقالبة، متمثلين في أمير الصقالبة وإخوته وأولاده ومعهم الخبز واللحم والجاروس وساروا معهم مقدار فرسخين (٩ كيلو متر ونصف[١٥] واستقبلهم «ألمش بن يلطور» بنفسه، وعند رؤيتهم خر ساجدا شكرا لله ونثر عليهم دراهم، وأنزلهم في قباب، وعقب انتهائه من قراءة كتاب الخليفة المقتدر بالله كبروا تكبيرا ارتجت لها الأرض.

نتيجة رحلة هذا الوفد

بعد انتهاء مهمة السفارة التي شارك فيها ابن فضلان وعودته إلى بغداد لم تنقطع علاقة البلغار بالخلافة العباسية، ومن خلال وصفه أن ملابسهم ومقابرهم تشبه المسلمين، لذا هذا يؤكد أن الإسلام لم يكن جديد العهد بل له وجود في تلك البلاد من قبل هذا الوفد، وبعد ذلك أصبح عندهم مساجد ومدارس ومؤذنون وأئمة، وتصحيح ما كان سائدا بينهم من قيم تتعلق بألقابهم، وأسمائهم، وأسلوب الخطبة بأسمائهم، وأداء الصلاة، والأذان وغيرها من أمور، إذن نجحت بعثة ابن فضلان في تأسيس أول قاعدة إسلامية صحيحة وتعاليم إسلامية سليمة في تلك الأصقاع.

ويرجع الفضل في إسلام البلغار ومعرفتهم به قبل ذلك الوفد إلى التجار المسلمين، الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية[١٦]، وكان الروس أيضا يتاجرون في البلغار على نهر إتل حينها، ومما لا شك فيه أن الصلات التجارية للبلغار مع الخزر كانت تنمو وتتسع، وعن طريقها ساعدت الدين الإسلامي



على الانتشار بين البلغار ومما حولها، وكان إسلام البلغار حدثا عظيما في حوض الفولجا؛ لأنه تحول إلى قطر إسلامي[17]، فقد وجدت نقود عربية محفوظة في متحف «لننغراد» ضربت في عهد المقتدر بالله، لعلها جاءت مع بعثة ابن فضلان إلى البلغار[18].

ولم يقف الأمر عند التجارة فحسب، أو إرسال وفد ابن فضلان إلى ملك البلغار بل كان هناك احتكاكات من قبل ذلك بين المسلمين والبلاد الشمالية، ومن مظاهر هذه الاحتكاكات بين المسلمين والبلاد الشمالية عامة وبلاد الروس والصقالبة خاصة، أنه في سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م سار «يزيد بن عبد الملك» إلى القسطنطينية في البر برفقة «عمر بن هبيرة» في البحر مجتازين الخليج وفتحا مدينة الصقالبة[19]، فكانت تحوى البلغار جالية إسلامية لها مسجدها، ودار سكة نقود على طراز وأسماء الخلفاء العباسيين في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، وكان بها حي خاص بالمسلمين ويؤلفون ثلث سكان المدينة حينها[20]، وملابسهم أيضا شبيهة بملابس المسلمين ولهم مقابر مثل مقابر المسلمين، وهذا ما ذكره ابن فضلان من وصف لملابسهم ومقابرهم، وكان يحمل إليهم من المسلمين الدراهم البيض المدورة[21]، وفي خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦: ١٥٨هـ/ ٧٥٤: ٧٧٥م) أرسل الداعية أبا مسلم إلى شمال القوقاز على رأس هيئة من العلماء ليواصل الدعوة للإسلام في تلك البلاد، وأقام فيها سنتين تقريبا ثم رجع إلى بغداد سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م بعد أن أقر كل أمير على إمارته وأخذ الإسلام يتغلغل في تلك القبائل الجبلية[22].

الهوامش

١- بارتولد: معرفة العرب بالروس، ص١٢.
٢- هايد: تاريخ التجارة، ص٧٧.
٣- محمد كريم الشمري: التأثير العربي، ص١٣؛ حسين على الداقوقي: دولة البلغار، ص٢٠٦- ٢٠٧.
٤- ابن فضلانن: رحلة، ص٢٣.
٥- ابن فضلان: رحلة، ص٢٣- ٢٥.
٦- ابن فضلان: رحلة ابن فضلان، ص٢٢- ٢٥.
٧- محمد كريم الشمري: التأثير العربي الإسلامي، ص١٨.
٨- إقليم الجبال: هو منطقة جبلية غليظة يزيد طولها عن ١٠٠٠ كيلو متر وعلى ٢٠٠ كيلو متر عرضا، وهو نوع من سلسلة كثيفة مؤلفة من التواءات ضخمة متوازية، عرفت باسم إقليم الجبال في أيام الخلافة العباسية، وبها نهر واحد هو نهر ديالي، وهذا النهر لعب دورا مهما كطريق مواصلات بين الهضبة الإيرانية وبين سهل ما بين النهرين (موريس لومبارد: الجغرافية التاريخية، ص٦٣).
٩- همذان: كانت أكبر مدينة بالجبال، وكان بها الكثير من التجار (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠- ٤١٧).
١٠- الري: هي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١١٦).
١١- ابن فضلان: رحلة ابن فضلان، ص٢٥.
١٢- ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص١٤١؛ ابن فضلان: رحلة، ص٥٧؛ يوسف مرتضى: المسلمون في روسيا، ص٦٩.
١٣- رحلة ابن فضلان، ص١٠٨.
١٤- ابن فضلان: رحلة ابن فضلان، ص١١٣؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص٨٢- ٨٣.
١٥- الفرسخ: هو وحدة قياس للأطوال (المسافات) ويساوي ٣ ميل، أي بحدود أربعة أذرع (٤ كيلو متر ونصف) أي طول الفرسخ كان حوالي ٦ كم (فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٤).
١٦- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٧٣.
١٧- حسين على الداقوقي: دولة البلغار المسلمين، ص٢٠٦- ٢٠٧.
١٨- ابن فضلان: رحلة ابن فضلان، ص٤٠، ٤٦، ٥٣.
١٩- الحميري: الروض المعطار، ص٣٦٨.
٢٠- ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص١٤٠- ١٤١؛ موريس لومبارد: الجغرافية، ص٣٠١- ٣٠٢.
٢١- ابن رستة: الأعلاق النفيسة، ص١٣١- ١٤٢.
٢٢- منير أرسلان: علاقات، ص١٢٢٢.



حسن عباس
محرر صحفي

انضمام الكويت إلى جامعة الدول.. تعزيز للهوية العربية

حلت علينا الذكرى الـ ٦٢ لانضمام الكويت إلى جامعة الدول العربية في خطوة رائدة في تاريخ المسيرة العربية والعمل العربي المشترك وتعزيز العلاقات العربية – العربية ورفع مكانة الجامعة في المحافل الدولية.

ففي ٢٠ يوليو من عام ١٩٦١م جاء انضمام الكويت إلى جامعة الدول العربية بعد أن تم إعلان استقلالها رسميًا عن الاحتلال البريطاني في العام نفسه، وبعد ٣١ يوماً فقط من الاستقلال، وعلى الرغم من ترحيب الدول الأعضاء والأمين العام بطلب الأمير الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح بالانضمام إلى صفوف أعضاء الجامعة؛ تم قبول عضوية الكويت بالجامعة في ٢٠ يوليو من عام ١٩٦١م كدولة.

ومع قبول طلب انضمام الكويت، قال الأمين العام للجامعة العربية للشؤون السياسية حينذاك د.سيد نوفل «إن الجامعة يسعدها أعظم السعادة انضمام الكويت إلى الأسرة

العربية»، مضيفا «أن الكويت في الواقع تمارس مظاهر العضوية الكاملة في الجامعة العربية منذ وقت بعيد سواء في الميادين السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية».

كما أصدر مجلس الجامعة قرارا ينص على «مساعدة الكويت على الانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة»، وجاء هذا القرار ترجمة لما جاء في المادة الثانية من ميثاقها والذي ينص على «توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها».

وحرصت الكويت منذ انضمامها إلى جامعة الدول العربية على أن يكون لها دور مؤثر في العمل العربي ومناصرة القضايا العربية والإسلامية لاسيما القضية الفلسطينية وحل النزاعات القائمة بين البلدان العربية وتوطيد العلاقات فيما بينهم من خلال قيامها ممثلة بصاحب السمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية آنذاك بجهود ديبلوماسية في رأب الصدع العربي علاوة على انتهاج سياسة التوازن وتأكيد أواصر التعاون، ولعبت الحنكة السياسية لسموه دورا فاعلا في تسوية الخلافات الخليجية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي.

وللكويت بصمات رائدة في إبعاد الأزمات عن دول العالم العربي من خلال مشاركتها بالوساطة بين الأحزاب اليمنية منتصف ستينيات القرن الماضي وتحركها الديبلوماسي في سبتمبر ١٩٧٢م لإيقاف الاشتباكات المسلحة بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، واستمرت وساطة الكويت من خلال اللجنة التي شكلتها جامعة الدول العربية لتحقيق المصالحة اليمنية حتى تم التوقيع على اتفاقية سلام واتفاقية خاصة بالتبادل التجاري بين الدولتين في أكتوبر عام ١٩٧٢م.

في موازاة ذلك كان للكويت دور فعال في تسوية الأزمة اللبنانية منذ اندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٧٥م حتى أخمدت نارها عام ١٩٨٩م حيث عكفت الكويت على تقديم الدعم المادي والمعنوي للشعب اللبناني الشقيق.

وشهد عام ١٩٨٠م توسط الكويت بين جمهورية اليمن الديموقراطية وسلطنة عمان لتخفيف التوتر القائم بين البلدين وذلك بالتنسيق مع دولة الإمارات العربية المتحدة.

وبالنسبة لدور الكويت في دعم القضايا العربية فقد حرصت دائما على دعم القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى في المحافل الدولية ومطالبتها بوقف العدوان الإسرائيلي ورفع الظلم عن الشعب الفلسطيني والاعتراف بحقوقه المشروعة، وهو ما دعا إليه البيان الرسمي الأول للأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي ألقاه في الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الـ١٨ في مايو ١٩٦٣م إثر قبول الكويت عضوا في المنظمة.كما كانت الكويت حريصة على أن تقوم بتدشين وتنفيذ العديد من المشروعات والسياسات والبرامج المختلفة بهدف دعم مختلف القضايا العربية في كل المجالات دون استثناء، على سبيل المثال في القضايا المتعلقة بالمجال السياسي، المجال الاجتماعي، المجال الاقتصادي، والأمني والتنموي وغيرهم.

وحول موقف جامعة الدول العربية من الاحتلال العراقي للكويت فقد أصدرت الجامعة في ١٠ أغسطس عام ١٩٩٠م القرار رقم ١٩٥ الذي أدانت من خلاله الغزو العراقي للكويت ودعت خلال مؤتمر القمة العربي غير العادي العراق إلى الالتزام بقرارات مجلس الأمن الدولي، وأكدت الجامعة خلال القمة على سيادة الكويت واستقلالها وشجبت التهديدات العراقية قبل أن تتوالى بعدها القرارات الخاصة بالأسرى الكويتيين وتعويض الكويت عن الأضرار الناجمة عن الغزو العراقي.

وفي إطار حرص الكويت على أن يكون لها دور مؤثر وإيجابي في منظمة جامعة الدول؛ قامت الدولة باستضافة القمة العربية في النسخة رَقْم ٢٥ على أراضيها، حيث تم عقد هذه القمة في عام ٢٠١٤م، ومن قبل ذلك قامت أيضًا باستضافة مؤتمر القمة العربية الاقتصادي التنموي والذي قد انعقد في شهر يناير من عام ٢٠٠٩م، ولا تزال الكويت حتى الآن تسير في طريقها من أجل تفعيل مشاركتها في جامعة الدول العربية ودورها في هذه الجامعة دون تخلُّف أو تخاذل.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٨٢)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

ونبدأ هذه الحلقة بتناول اسم الذهبي، فهناك الذهبي أحمد بن عتيق (٦٠١هـ)، والذهبي (الحافظ) وهو محمد بن أحمد (٧٤٨هـ)، والذهبي (السجلماسي) وهو أحمد بن إسماعيل (١١٤١هـ) والذهبي مصطفى بن حنفي (١٢٨٠هـ).

١- أبو جعفر الذهبي (ت نحو: ٦٠١هـ):

هو أبو جعفر أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرج الأندلسي، المعروف بالذهبي: فاضل من أهل بلنسية.

ولد سنة: (٥٥٤هـ)، أصله من المرية.

من أبرز مصنفاته: (الإعلام بفوائد مسلم)، و(حسن العبارة في فضل الخلافة والإمارة)، وله فتاوى ونظم، توفي بتلمسان في طريقه إلى إفريقية[1].

٢- شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ):

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي



الشافعي، حافظ، مؤرخ، علامة محقق.
ولد بدمشق سنة: (٦٧٣هـ)، رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكف بصره سنة: (٧٤١هـ).
تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، من أبرزها: (دول الإسلام)، و(سير أعلام النبلاء)، و(الكبائر)، و(ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، و(تجريد أسماء الصحابة)، و(المغني في الضعفاء)، و(الطب النبوي)، و(زغل العلم)، و(معرفة القراء الكبار).
توفي بدمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير[٢].

٣- أبو العباس الذهبي (ت: ١١٤١هـ):

هو أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن الشريف محمد الحسني المولى السجلماسي، المعروف بالذهبي، من سلاطين دولة الاشراف العلويين في إفريقية.
بويع بعد وفاة أبيه سنة: (١١٣٩هـ) فبسط يده في العطاء حتى عرف بالذهبي، وكانت عاصمته مكناسة (غربي فاس)، وقتل كثيراً من عمال أبيه وأركان دولته. وكان ضعيفاً في إدارته، يستشير عبيده في أكثر شؤونه، فتسلطوا على الناس، فثار أهل فاس سنة: (١١٤٠هـ) ونقضوا بيعته وبايعوا لأخيه عبد الملك بن إسماعيل، فنفاه عبد الملك إلى سجلماسة.
ثم انتقض العبيد على أخيه عبد الملك ففر إلى فاس، وأعيد أبو العباس الذهبي، فجددت له البيعة في العام نفسه، فجهز جيشا حاصر به مدينة فاس خمسة أشهر، وكان قد استولى عليها أخوه عبدالملك، فدخلها وقبض على أخيه وعاد به إلى مكناسة، فمرض مرض الموت فأمر بخنق أخيه فخنق.
ومات أبو العباس بعده بثلاثة أيام مسلولاً[٣].

٤- مصطفى الذهبي (ت: ١٢٨٠هـ):

هو مصطفى بن حنفي بن حسن الذهبي الشافعي المصري، فقيه مفسر مشارك في بعض العلوم.
ولد بمصر، وأخذ عن الدمنهوري والفضل الفضالي والقويسني وغيرهم، تصدر للتدريس والإقراء، وصنف رسائل، من أبرزها: (تحرير الدرهم والمثقال والرطل)، و(رسالة في المناسخة)، و(تفسير غريب القرآن)، و(الرسالة الذهبية في المسائل الدقيقة المنهجية)[٤].

المتفق والمفترق في اسم (الفضالي):

١- أبو الفتوح الفضالي (ت: ١٠٢٠هـ):

هو أبو الفتوح سيف الدين بن عطاء الله الوفائي الفضالي الشافعي البصير، كان شيخ القراء بمصر.
له كتب، منها: (الحواشي المحكمة على ألفاظ المقدمة) يعني الآجرومية، و(الجواهر المضيئة على المقدمة الجزرية) في التجويد، و(اللؤلؤ المكنون في جمع الأوجه من سورة الكوثر إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، ورسائل كثيرة في القراءات، توفي بمصر[٥].

٢- محمد الفضالي (ت: ١٢٣٦هـ):

هو محمد بن شافع الفضالي المصري الشافعي، متكلم، من كبار فقهاء الشافعية.
أخذ عنه إبراهيم الباجوري.
من أبرز كتبه: (كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام)، وللباجوري حاشية عليه، وتوفي بمصر[٦].

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (١/١٦٧) معجم المؤلفين (٢/٩٠) وفيه: أحمد بن محمد بن الحسن بن عتيق: .
٢- انظر: هدية العارفين (٢/١٥٤)، الأعلام للزركلي (٥/٣٢٦)، ومعجم المؤلفين (٨/٢٨٩).
٣- انظر: الأعلام للزركلي (١/٩٨).
٤- انظر: هدية العارفين (١/٤٤٧)، الأعلام للزركلي (٧/٢٣٢)، ومعجم المؤلفين (١٢/٢٤٩).
٥- انظر: هدية العارفين (١/٤١٣)، الأعلام للزركلي (٣/١٤٩)، ومعجم المؤلفين (٤/٢٨٨) (٨/٥٤).
٦- انظر: هدية العارفين (٢/٣٦٠)، والأعلام للزركلي (٦/١٥٥)، ومعجم المؤلفين (١٠/٦٠) (١١/١٢٧).

هشام الصباغ
باحث لغوي



المؤرخ الأديب

حسين مؤنس

■ حين يتحدث تدفعه نفس سمحة وعقل راجح؛ وكلمات تغوص إلى بواطن الأمور؛ محللة ومنقبة، فتلقى حديثه نافذا القلوب والعقول بالرأي السديد والحجة البينة، والحقيقة الساطعة.

■ كتب في عصور مختلفة وحقب متنوعة امتدت لتشمل أربعة عشر قرنا من الزمان، وتحيط بأرض الإسلام من الصين حتى المغرب، ومن جنوبي أوروبا حتى وسط إفريقيا.

■ تجده في كل ما يكتب غزير المادة، عميق النظر والتأمل، موضوعي القلم، لا يشتط فيغرق في المدح والثناء، أو يسرف في النقد والذم، هو وسط بين ذلك.

■ هو مؤرخ سار على خطى الطبري والمسعودي وابن الأثير والمقريزي، وعلى دربهم نهج وكتب.. لذا تجده يقف أمة وحده بين مؤرخي العرب المحدثين.

■ لم يترك كتابا أو اثنين، بل ترك تراثا ضخما، وإنتاجا ثرا، يكفي بضعة منه ليجعل صاحبه يتبوأ مكانة عالية بين كبار المؤرخين.. إنه الأستاذ والمؤرخ العظيم حسين مؤنس.

المولد والنشأة

■ ولد حسين مؤنس في مدينة السويس في (٤) رمضان (١٣٢٩هـ)، الموافق (٢٨) أغسطس (١٩١١م)، ونشأ في أسرة كريمة، وتعهده أبوه بالتربية والتعليم، فشب محبا للعلم، مفطورا على التفوق والصدارة.

■ في التاسعة عشرة من عمره نال الشهادة الثانوية، ثم جذبته إليها كلية الآداب بمن كان فيها من أعلام النهضة الأدبية والفكرية، فالتحق بقسم التاريخ، ولفت بجده ودأبه في البحث أساتذته.

■ في عام: (١٩٣٤م)، تخرج مؤنس متفوقا على أقرانه وزملائه، لكنه لم يعين بعد تخرجه في الكلية؛ لأنها لم تكن قد أخذت بعد بنظام المعيدين، فعمل مترجما عن الفرنسية ببنك التسليف.

«الجامعيين لنشر العلم»

■ أثناء عمله مترجما في «التسليف»، اشترك مؤنس مع جماعة من زملائه في تأليف لجنة أطلقوا عليها «لجنة الجامعيين لنشر العلم»، بهدف نشر بعض ذخائر الفكر الإنساني، فترجمت كتاب «تراث الإسلام» الذي وضعه مجموعة من المستشرقين، وكان نصيب مؤنس ترجمة الفصل الخاص بإسبانيا والبرتغال.

■ في تلك الفترة أيضا، نشر مؤنس كتاب «الشرق الإسلامي في العصر الحديث» (أول مؤلفاته التاريخية)، عرض فيه لتاريخ العالم الإسلامي من القرن السابع عشر الميلادي إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، ثم حصل على درجة الماجستير برسالة عنوانها «فتح العرب للمغرب» عام: (١٩٣٧م).

في الجامعة

■ بعد حصوله على الماجستير عين في الجامعة، ثم لم يلبث أن ابتعث إلى فرنسا لاستكمال دراسته العليا، فالتحق بجامعة باريس، وحصل منها عام: (١٩٣٨م) على دبلوم دراسات العصور الوسطى، وفي السنة التالية حصل على دبلوم في الدراسات التاريخية من مدرسة الدراسات العليا.

■ حالت الحرب العالمية الثانية بينه وبين إكمال دراسته في فرنسا، فغادرها متجها إلى سويسرا، وأكمل دراسته في جامعة زيورخ، ونجح في الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ سنة: (١٩٤٣م)، وعين مدرسا بها في معهد الأبحاث الخارجية الذي كان يتبع الجامعة.

■ لما انتهت الحرب العالمية الثانية ووضعت أوزارها عاد إلى مصر عام: (١٩٤٥م)، وعين مدرسا بقسم التاريخ بكلية الآداب، وأخذ يرقى في وظائفه العلمية حتى عين أستاذا للتاريخ الإسلامي عام: (١٩٥٤م).

«الألف كتاب»

■ إلى جانب عمله بالجامعة انتدبته وزارة التربية والتعليم عام: (١٩٥٥م)، ليتولى إدارة الثقافة بها، وكانت إدارة كبيرة تتبعها إدارات مختلفة للنشر والترجمة والتعاون العربي، والعلاقات الثقافية الخارجية، فنهض بها، وبث فيها حركة ونشاطا، وشرع في إنشاء مشروع ثقافي، عرف بمشروع «الألف كتاب»، ليزود طلاب المعرفة بما ينفعهم ويجعلهم يواكبون الحضارة، وكانت الكتب التي تنشر بعضها مترجم والآخر مؤلف وتباع بأسعار زهيدة.

«الدراسات الإسلامية» بمدريد

■ في عام: (١٩٥٤م)، تولى مؤنس إدارة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد لمدة عام، نهض به، واستكمل مكتبته حتى أصبحت من أغنى المكتبات العربية في إسبانيا، وأشرف على مجلته، وأرسى قواعد النشر بها في

قسميها العربي والأوربي، ثم عاد إلى القاهرة.

■ عام: (١٩٥٧م)، وأثناء وجود مؤنس بالقاهرة كلفته مصلحة الاستعلامات القيام برحلة طويلة إلى دول أميركا اللاتينية، الناطقة بالإسبانية، لتوثيق الروابط بينها وبين مصر، والعمل على إنشاء عدد من المراكز الثقافية بها، فنجح في مهمته وأصبحت تلك المراكز تاليا على صلة بالمعهد المصري في مدريد.

■ في عام: (١٩٥٨م)، عاد مؤنس مرة أخرى إلى إسبانيا لتولي إدارة المعهد، وظل هناك حتى بلوغه سن التقاعد (١٩٦٩م)، وتعد هذه الفترة من أزهى عصور المعهد، إذ أصبح ملتقى للمستشرقين وأساتذة الجامعة المهتمين بتاريخ المسلمين في الأندلس، وأقبل عدد كبير من الطلاب على دروس اللغة العربية التي ينظمها المعهد، وتردد الجمهور على المحاضرات والندوات التي تعقد به، وصارت مجلته معرضا لما حفلت به من أبحاث عميقة، ونشطت مطبوعاته، سواء العربية أو الإسبانية.

■ كما أن تلك الفترة تعد أخصب فترات حياة مؤنس العلمية إنتاجا، إذ أخرج عددا كبيرا من مؤلفاته ومترجماته، وحقق بعض النصوص العربية.

في الكويت

■ بعد بلوغ مؤنس سن التقاعد عاد إلى مصر، لكنه لم يستقر فيها طويلا، إذ دعته جامعة الكويت ليعمل بها أستاذا للتاريخ، فمكث هناك ثماني سنوات حفلت بمختلف النشاط العلمي، ونشر فيها بعض مؤلفاته، وأعاد نشر ما سبق له من إنتاج، ولم يكف عن إمداد الصحف بمقالاته المتنوعة في التاريخ والأدب والاجتماع، وكان له عمود يومي في صحيفة القبس الكويتية بعنوان «كلمة طيبة»، يسجل فيه ما يعن له من خواطر وأفكار.

العودة إلى الوطن

■ بعد أن قضى مؤنس بالكويت ثماني سنوات عاد إلى أرض الوطن عام: (١٩٧٧م)، واشتغل أستاذا غير متفرغ بجامعة القاهرة في قسم التاريخ، وفي الوقت نفسه دعته مؤسسة الهلال الصحيفة، ليتولى رئاسة تحرير مجلة الهلال (أقدم المجلات الأدبية في العالم العربي).

■ نهض مؤنس بالمجلة في الفترة التي تولى فيها رئاسة تحرير «الهلال»، وطور في شكلها ونظام إخراجها وجدد في تبويبها، وكانت افتتاحياته لها قطعا أدبية رائعة، ثم انتقل بعد ذلك إلى مجلة أكتوبر الأسبوعية، وظل يكتب بها حتى وفاته، وكانت مقالاته بالمجلة من أروع وأجمل ما ازدانت به هذه الصحيفة.

إنتاج غزير ومتنوع

■ تقلب مؤنس في وظائف مختلفة، وشد رحاله إلى بلاد متعددة، ولكن ذلك كله لم يشغله عن التأليف والتصنيف الكثير في عدده، الغزير في مادته، العميق في تناوله، المتنوع في موضوعاته، فألف في ميدان الكتابة التاريخية، وله كتب متنوعة في الحضارة الإسلامية وفلسفة التاريخ، وكتب في ميدان تحقيق التراث وفي مجال الترجمة عن اللغات، إذ كان يجيد الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية.

■ لم يكن مؤنس مؤرخا فذا فحسب، بل كان أديبا موهوبا، صاحب بيان وأسلوب، ولو تفرغ للأدب لكان له شأن كبير، وما تركه من إبداع في ميدان الكتابة الأدبية شاهد على ملكاته الأدبية في الرواية والقصة القصيرة والأدب المسرحي، فمن أعماله القصصية «إدارة عموم الزير» تدور حول البيروقراطية المصرية، وبلغ من شهرة هذا القصة، أن سارت مثلا سائرا بين الناس، و«أهلا وسهلا» و«الجارية والشاعر» وحكايات «خيرستان»، و«قصة أبو عوف» و«غدا تولد شمس أخرى».

تقديرات وأوسمة

■ لقي مؤنس تقدير الهيئات العلمية، فدعي أستاذا زائرا في كثير من جامعات العالم، فحاضر في جامعة الرباط ولندن، ودرهام، وأندرو، وكمبردج، وأدنبره، وهامبورج، وبون.

■ اختير عضوا في كثير من المجامع العلمية، مثل الجمعية المصرية التاريخية، والمجمع العلمي المصري، والمجلس الأعلى للفنون والآداب، والمجالس القومية المتخصصة، وانتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام: (١٩٨٥م).

■ في عام: (١٩٦٥م)، نال جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.. كما حصل على وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى عام: (١٩٦٦م).. ونال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة، عام: (١٩٨٦م).. كما نال عدة أوسمة من دول مختلفة.

وفاته

■ ظل مؤنس وافر النشاط متوقد الذهن على الرغم من كبر سنه، وضعف قدرته على الحركة، وملازمته للمنزل حتى لقي الله في (١٧) مارس (١٩٩٦م).

إسهاماته مع «الوعي»

■ كانت للأستاذ الأديب المؤرخ حسين مؤنس مشاركة واحدة مع مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت تحت عنوان: «دور المساجد في بناء الجماعة الإسلامية» (ع:١٠٣).

المصادر

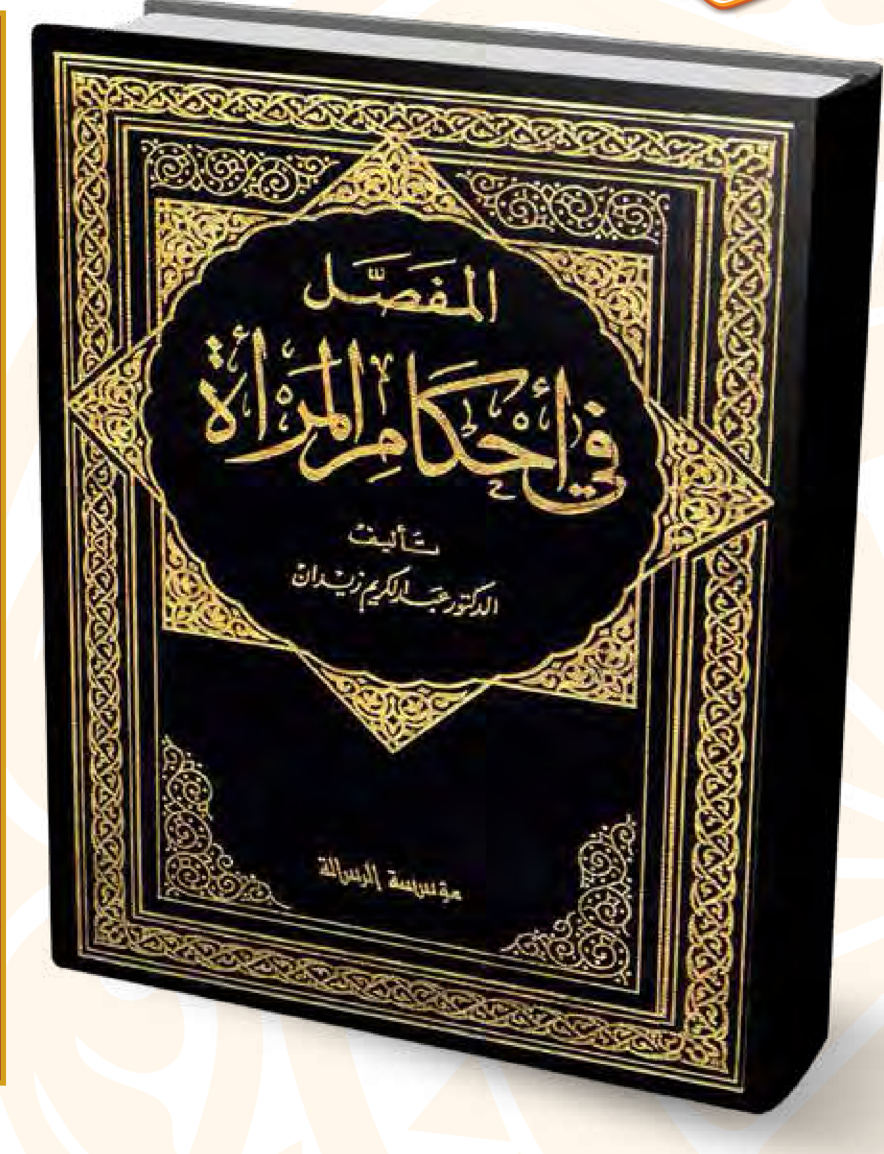
- كتاب «الكشاف» (ج١)، مجلة «الوعي الإسلامي».
- موقع إسلام أونلاين.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
- موقع «رشف».

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٧٩)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

المفصل في أحكام المرأة

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.



ويأتي كتاب: «المفصل في أحكام المرأة» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

المفصل في أحكام المرأة هو كتاب موسوعي في ذكر أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، يتألف من (١١) مجلدًا، مُنح مؤلفه عبد الكريم زيدان جائزة الملك فيصل العالمية سنة: (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م) في الدراسات الإسلامية، التي تناولت مكانة المرأة في الإسلام بسبب تأليفه لهذا الكتاب.

التعريف بالكاتب

عبد الكريم زيدان العاني، فقيه عراقي وأحد أبرز علمائها في العصر الحديث، وقد برز في علم الفقه وأصوله، ولد عبد الكريم زيدان بهيج العاني في بغداد بجانب الكرخ في منطقة سوق حمادة وذلك في عام: (١٩١٧م) - كما هو مدون في الوثائق الرسمية - لكنّ ولادته الحقيقية كانت عام: (١٣٣٩هـ/١٩٢١م)، ونشأ فيها، وتدرج في مراتب العلم بداية بتعلم قراءة القرآن الكريم في مكاتب تعليم القرآن الأهلية. وتلقى العلم بطريقيه الأكاديمي والتقليدي مستفيدا من المشايخ والأساتذة العراقيين والمصريين، من أمثال الشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ عبد القادر الخطيب، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ محمد محمود الصواف، والشيخ علي الخفيف، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ حسن مأمون، والشيخ عبد الكريم الصاعقة.

بعدها التحق بمدرسة الكرخ الابتدائية وأتمها، ثم درس في (متوسطة الكرخ)، وبعد أن أنهى هذه المرحلة الدراسية التحق بـ(المدرسة الثانوية) وهي الوحيدة في بغداد آنذاك، وقضى فيها مدة سنتين، وهي مدة الدراسة الثانوية آنذاك، وبعد تخرجه فيها التحق بمهنة التعليم الابتدائي؛ فَعُيِّن في منتصف الثلاثينيات معلماً خارج بغداد في محافظة ديالى ثم في المقدادية، ثم نقل بعدها إلى أحد مدارس بغداد الابتدائية للتدريس فيها. وفي سنة: (١٩٤٦م) التحق بالدراسة المسائية في كلية الحقوق لأنه كان موظفاً بالتعليم، وقد تخرج في كلية الحقوق في سنة: (١٩٥٠م)، وكان من الأوائل بين الناجحين في السنوات الأربعة في الدراسة في كلية الحقوق وقد حصل على درجة (ليسانس) في الحقوق، ثم عُيِّن بعدها مديرا لثانوية النجيبية الدينية، ثم التحق بمعهد الشريعة الإسلامية في جامعة القاهرة ونال شهادة الماجستير. ثم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة: (١٩٦٢م).

تقلد د. عبد الكريم زيدان عدة مناصب من أستاذ بالتعليم في مختلف مراحله إلى أن عين وزيرا للأوقاف العراقية سنة: (١٩٨٦م)، ثم بعدها عضوا في مجالس المجامع الفقهية المختلفة.

توفي د. عبد الكريم يوم الإثنين (٢٦ ربيع الأول١٤٣٥ هـ/ ٢٧يناير ٢٠١٤م)، في العاصمة اليمنية صنعاء عن عمر ناهز (٩٧) عاما، نقل جثمانه إلى بغداد حيث دفن فيها بمقبرة الكرخ.

مؤلفاته

للدكتور عبد الكريم زيدان مؤلفات علمية كثيرة في مختلف الاختصاصات الشرعية والقانونية والفكرية والدعوية التي تم اعتماد بعضها كمواد دراسية في العديد من المدارس والجامعات العربية والإسلامية، نذكر منها:

أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، أصول الدعوة، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، القصاص والديات في الشريعة الإسلامية، القيود الواردة على الملكية الفردية للمصلحة العامة في الشريعة الإسلامية، الكفالة والحوالة في الفقه المقارن مع مقدمة في الخلاف وأسبابه، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، الوجيز في أصول الفقه، الوجيز في شرح القواعد الفقهية، علوم الحديث، مجموعة بحوث فقهية معاصرة، مجموعة بحوث فقهية، موجز الأديان في القرآن، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، نظرات في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، مختصر شرح العقيدة الطحاوية. بالإضافة إلى عدة بحوث ومقالات علمية.

المحتوى العام للكتاب

يعنى هذا الكتاب ببيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة والبيت المسلم في مقارنة فقهية للمذاهب الفقهية الإسلامية مع ترجيح المؤلف لما يراه راجحًا من أقوال الفقهاء لديه. فقد اشتمل الكتاب على ما يلي:

أولًا: المواضيع الخاصة بالمرأة مثل لباسها وزينتها...

ثانيًا: المواضيع التي تشترك في أحكامها العامة المرأة مع الرجل ولكن تختص المرأة بأحكام في بعض جزئياتها...

ثالثا: فصل القول بالنسبة للبيت المسلم منذ تكوينه عن طريق الزواج الشرعي وبين أحكامه وأحكام أفراد هذا البيت.

رابعًا: ذكر أقوال الفقهاء ورجح من أقوالهم ما ظهر له أنه هو الراجح، وما لم يظهر له رجحانه سكت وذكر الأقوال وحكى الخلاف.

خامسًا: ذكر المسائل الجديدة التي لم يقف على قول صريح بشأنها عن الفقهاء القدامى مثل حق المرأة في الانتخابات واختيارها لعضوية مجلس الأمة وقد حاول استخلاص الحكم الشرعي لهذه المسائل من قواعد الشريعة ومبادئها العامة ومن السوابق الفقهية وعمل الصحابة الكرام وتابعيهم بإحسان.

وقد جاء كتابه هذا في أحد عشر مجلدًا، وقد جعل أبحاث الكتاب ومواضيعه في كُتب، وقسم الكتاب إلى أبواب، والباب إلى فصول، والفصل إلى مباحث، والمبحث إلى مطالب، والمطلب إلى فروع. وقد جاء الأجزاء معنونة كالآتي:

الجزء الأول: العبادات. الجزء الثاني: تابع العبادات - الأيمان والنذور - الأضاحي. الجزء الثالث: الحظر والإباحة. الجزء الرابع: تابع الحظر والإباحة - الحقوق والواجبات. الجزء الخامس: الجرائم والعقوبات. الجزء السادس: البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب. الجزء السابع: تابع البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب. الجزء الثامن: تابع البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب. الجزء التاسع: تابع البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب. الجزء العاشر: تابع البيت المسلم: أحكام العائلة وسائر الأقارب - التصرفات المالية - المرضى والموتى. الجزء الحادي عشر: تابع المرضى والموتى - زواج النبي ﷺ وأولاده وأهل بيته.

نسخة «الوعي الإسلامي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذا الكتاب الموسوعي القيم، وهو في متناول قراءها الكرام المهتمين بكتب الفقه.

المصادر

المفصل في أحكام المرأة.
الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد / تركي محمد النصر

من عجائب الناس

قال العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله تعالى: «من عجيب ما رأيت ونقدت من أحوال الناس: كثرة ما ناحوا على خراب الديار وموت الأقارب والأسلاف، والتحسر على قلة الأرزاق، وذم الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، والحديث عن غلاء الأسعار، وجور الحكام، وقد رأوا انهدام الإسلام، والبعد عن المساجد، وموت السنن، وتفشي البدع، وارتكاب المعاصي، فلا أحد منهم ناح على دينه، ولا بكى على تقصيره، ولا آسى على فائت دهره، وما أرى لذلك سببا إلا قلة مبالاتهم بدين الإسلام، وعظم الدنيا في عيونهم».

(انظر: الآداب الشرعية ٣/٢٤٠).

فتنة كثرة الكلام

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض، وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كانوا، كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم، وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين والتابعون أعلم منهم؛ فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد».

(انظر: بيان فضل علم السلف على الخلف ص/٥).

عقوق الأيام وظلم النفس

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: «من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه؛ فقد عق يومه وظلم نفسه»

(انظر: فيض القدير ص/٢٨٨).

المنهج القويم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أهل السنة لا يبتدعون قولا، ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفا لهم، مكفرا لهم، مستحلا لدمائهم، كما لم يكفر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم».

(انظر: منهاج السنة النبوية ٥/٩٥).

استعمل الصمت

قال العلامة شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي رحمه الله: «روي عن يحيى بن يحيى الليثي قال: آخر ما اجتمعت بمالك قال: أذكر لك شيئا تبلغ به حكمة الحكماء؛ إذا حضرت مجلسا فاستعمل الصمت، فإن أصابوا استفدت، وإن أخطأوا سلمت. وشيئا تبلغ به طب الأطباء؛ لا تأكل حتى تجوع، وارفع يدك وأنت تشتهي».

(انظر: انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك ص/٣١٤).

مشاركة: يعقوب الجناع

الحكمة في التعامل مع المذنبين

«ينبغي أن تحب المسلم لإسلامه، وتبغضه لمعصيته، فتكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال، فأما ما يجري منه مجرى الهفوة التي يعلم أنه نادم عليها، فالأولى حينئذ الإغماض والستر، فإذا أصر على المعصية، فلا بد من إظهار أثر البغض بالإعراض عنه والتباعد، وتغليظ القول له على حسب غلظ المعصية وخفتها»

(انظر: مختصر منهاج القاصدين ص/٤٢).

عيوب ابن آدم وسترها

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «بلغنا أن قس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟

فقال: هي أكثر من أن تحصى...فوجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها.

قال: ما هي؟ قال: حفظ اللسان».

(انظر: الأذكار ١/ ٤٢٣).

العلم لا ينال بالحسب

قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله: «العلم مواهب يؤتيه الله من أحب من خلقه، وليس يناله أحد بالحسب، ولو كان لعلة الحسب؛ لكان أولى الناس به أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم».

(انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٧٥).

صلاح الدين والدنيا

قال صالح بن كيسان: خرج علينا الزهري من عند هشام بن عبد الملك فقال: لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ما سمعت كلاما أحلى منه! قال له: يا أمير المؤمنين اسمع مني: أربع فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك، قال: ما هي؟ قال: «لا تعدن أحدا عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر وعرا، واعلم أن الأعمال آخر فاحذر العواقب، وأن الدهر تارات فكن على حذر».

(انظر: التماس السعد في الوفاء بالوعد لأبي الخير السخاوي ١/ ٤٥).

العلم النافع

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها...: أنه إذا ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله؛ أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذكرت سيرة مفرط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول».

(انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١/ ١١٧).



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إعداد: التحرير

وقفة للتأمل

كثير من الناس يسألون أنفسهم ويتحاورون معها: ما لنا نبحث عن السعادة ولمّا ندركها بعد؟ هل وقف بنا قدرنا عند هذا الحد؟ وهل ثمة قوانين يمكن السير عليها للوصول إلى تلك الغاية البعيدة؟ وهل أن المال له علاقة مباشرة بالسعادة؟ -كما يعتقد البعض- حيث إن الغالبية من الناس يلهثون للحصول على الأموال، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في معرض الذم بقوله: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر:٢٠)، لكن في معرض آخر سمى المال خيرا: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ (البقرة: ١٨٠).

هذا المعنى الذي ارتبط في أذهان الناس من كون السعادة رافدها الأول هو المال الوفير مع كثرة الأولاد والزوجات الحسناوات وحصول الجاه، حتى رأينا من تحقق لهم ذلك يصارح نفسه أو يصارعها أنه لم يسعد قط، ونسي هؤلاء وأولئك ما يعرف بنظرية الثابت والمتغير، فتركوا الثابت وانشغلوا بالمتغير، فلم يستطيعوا أن يغيروا مسار هذه الأغيار، فوقع الألم واتسعت الجراح وزادت البلية، لأنهم جعلوا من الوسائل غايات فتاهوا وتحيروا وانكسروا.

وهؤلاء الذين يعتقدون ذلك فاتهم أن المال الوفير، قد يوجد وتغيب الصحة والسلامة البدنية، فنكتشف أن السعادة ليست في المال وحده، وقد نحصل على المال والصحة معا ولا نجد وقتا حقيقيا للتمتع بهما، بسبب كثرة الشواغل التي انغمسنا فيها، ومن هنا نؤكد: أن السعادة الكاملة ليست فيما اعتقد البعض مما ذكرناه، بل تتوقف على الرضاء النفسي والراحة القلبية والأنس بعطاء الملك سبحانه، فليست الحياة صفو مشارب، بل صفو قلوب وصفاء نفوس، فيها من الرضا والقناعة والعفاف ما يسعد الكون كله، ربما توجد السعادة في كسرة يابسة وإدام يسير وشربة ماء بارد واستراحة في الشمس مع كوب الشاي الساخن، فالسعادة معنى يحتاج إلى يد ماهرة تفتش عنه وتستخرجه من مظانه.

وما زلنا نؤكد على أن السعادة جميلة عندما تشرق في نفوس أصحابها، وسر المسالة أن السعادة تنبع من داخل النفس البشرية، وأجمل ما فيها أنها لا تخطىء الضعفاء والفقراء لتستقر في بيوت الأغنياء والوجهاء والأقوياء، بل غالبا ما يشعر بها الفقير والضعيف أكثر من غيره من أثرياء الأرض وأقويائهم، لأنها لمسات رقيقة حانية تنبعث من صفاء النفوس ورقتها وقدرتها على الرضا وحبها لمن حولها ممن يفهمون معاني الأشياء على حقيقتها، على الرغم من بساطة عيشهم، لأنهم يضعون الفكرة في موضعها، ويردون الكلمة إلى صوابها، ويعيشون اليوم بامتداد ساعاته غير كارهين أو متسخطين لما يجري فيه من لمّات عارضة، وفوق ذلك فهم لا يحملون حقدا لأحد.

● د. على مدني رضوان الخطيب

بأقلام القراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد الأستاذ المحترم/ فهد الخزي رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي. أسرة المجلة الكرام، يسألني الأبناء دوما عن عدد المجلة بداية كل شهر هجري.. وقد وصلنا عدد رمضان في ثوبه الجديد اشتريته من البائع.. وقد لاحظني أمسك بالعدد أحد زملائي فأعجب بالمجلة من الناحية الفنية والإخراج والمادة العلمية، حتى سألني عن مكان بيعا وثمنا، كما أعجب أيضا بهدية العدد، وقد نشرته بين أصدقائي أدام الله عطاءكم وحفظ الله الكويت من كل مكروه وسوء.

● د. صابر علي عبدالحليم

تقوى الآباء تأمين على الأبناء

ضمانات المتقين في كتاب الله المبين تفوق الوصف كما وكيفا، ومنها -تمثيلا لا حصرا-: اليسر/المفاز/الكرامة/سعة الرزق/الولاية/ البشرى/تكفير السيئات/عظم الأجر/الرحمة/إصلاح الأحوال/ النجاة في الدنيا من المضايق، وفي الآخرة من النيران/ دخول أعلى درجات الجنان عند الملك الواحد الديان.

ولأن كرم الله الوهاب ليس له حدود، فقد تجاوز إكرام المتقين أنفسهم، إلى أبنائهم وذويهم.

إذ من الفطر التي جبل عليها الإنسان: خوفه على مستقبل فلذات كبده، خصوصا الصغار منهم والمرضى، ولأننا لا تخفى منا خافية أمام علام الغيوب، وهو سبحانه مطلع على نقطة ضعفنا تجاه أحبابنا، فقد أرشدنا بما علينا فعله إذا خفنا على أبنائنا وبناتنا ومن له الحق علينا من الذرية الضعفاء، وأردنا حمايتهم وحفظهم بعد موتنا، قال سبحانه: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء:٩). نعم إنها التقوى خير زاد يتسلح به الأكياس.

ومن أجل أن ننتبه إلى هذا الأمر أكثر، رغَبنا سبحانه وتعالى على لسان رسوله الكريم ﷺ أن نقرأ سورة الكهف كل أسبوع، ورتب على ذلك عدة أسرار وأنوار، لا يفقهها إلا من ذاق شهدها، والعسل لا يمكن وصف حلاوته لمن لم يذقه. ومن أنواع العسل القرآني المبثوث بين ثنايا خلية سورة الكهف النورانية، عسل الجدار وكنز الأسرار، فبصلاح الأب حفظ الله القدير الكنز للغلامين، وبطريقة غريبة تكسر أفق المتلقي، إذ إن السيناريو المنتظر بعد أن رفض أهل القرية إطعام سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح، هو هدم الجدار وليس إصلاحه. ولكنه سحر التقوى، يعكس الضعف قوة، والهدم بناء، ويحيل الظلام نورا، والحزن سرورا، ويُصَير ذل اليتم عزا، وبرده دفئا، وفقره غنى...قال سبحانه وهو يربط بين السبب والنتيجة بالفاء: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾(الكهف:٨٢)، فكان من شكر الله تعالى لهذا الرجل الصالح، أن يكون رؤوفا بأبنائه، وهذا من بركة الصلاح في الآباء، أن يحفظ الله الأبناء.

● د. حسن بن أحمد بلحبيب

بناء الإنسان

كثيراً ما نهتم ببناء البيت والحديقة، ونحافظ على رونق الأثاث والملبس، وننسق ألوان المجالس والملابس، ونصلح كل خراب قد يظهر في مركباتنا وسيارتنا ومنازلنا، ثم نتناسى أنفسنا ومن نعول من الأولاد والزوجات والأصدقاء ومن لهم حق علينا، نهتم ببناء البيت ونهدم بناء الأسرة.

نهتم بجوده المنتجات والخدمات والسلع، ونحرص عليها إنتاجاً وبيعاً وشراءاً وتسويقاً، ولا نتهم برقي العامل المنتج لتلك السلعة أو الخدمة.

ننسق ألوان المجالس والملابس، ونمزق أواصر الرحم والمحبة، نصلح ما يخرب من سياراتنا ومراكبنا، ونخرب علاقتنا مع كل قريب وحبيب، أليس الإنسان هو محور ارتكاز البشرية جمعاء؟ أليس من أجله كانت هذه الأرض ولبلايين السنين سخرها الله عز وجل، وقدر فيها أقواتها، ووضع فيها سنناً وقوانين؟

الإنسان هو الاستثمار الأمثل للأمم والشعوب والدول والأسر والجماعات، الإنسان هو صانع الحضارات وسر قوتها وعظمة ابتكاراتها، تنهضُ دول من لا شي بقائد عظيم، ويستنير العالم بفكرة إنسان طموح، ويسعد المليارات من البشر بجهد إنسان مثابر.

إذا فلنعود إلى أنفسنا، فإن فيها ما يسعد العالم أجمع، لنعود إلى الإنسان فنبنيه حق البناء، وننميه حق التنمية، وننهض به حق النهوض، لنعود إلى الإنسان نتلمس نواقصه ونسعى في ترقيته وتعليمه وتثقيفه، فهو عمود كل حضارة، لا قيمة لحضارة البنيان إن هي أضاعت الإنسان، لا قيمة لبناء المدن وتوسيع الممتلكات إن فقدنا الإنسان ولم نوسع مداركه، إنها رسالة أولاً إلى الآباء والأمهات، قد تعانون من الفقر وضيق الحال، وعندكم الكنوز المليئة في أحضانكم، وعندكم الثروة الكامنة في أولادكم، أحسنوا التربية والتعليم، أحسنوا التنمية والتدريب، أحسنوا البناء لا الهدم.

ورسالة ثانية إلى المعلمين والمربيين، أمانة الأجيال القادمة في أيديكم، فأحسنوا تحمل الأمانة كما هي رسالة للنظم الحاكمة، من أراد الاستقرار لوطنه وشعبه والنهوض لأمته ومجتمعه، فعليه بالإنسان وفقط.

كما هي رسالة لنا جميعاً، فنحن من نملك مفاتيح السعادة والشقاء، ونحمل معاول الهدم والبناء، ونحوى كنوز الدنيا، وفينا سر العالم الأكبر.

● علاء منصور المخلافي

مسك الختام

حقيقة الحياة

من أشد ما يجعل الناس حيارى في حياتهم، ومن أكثر ما زلقت فيه أفكارهم وأقلامهم: مسألة الخير والشر، والسراء والضراء، فنرى الكثير منهم متعجبين متسائلين: لماذا قسم لفلان من البلواء ما يرق له الفؤاد مع تقواه وطاعته، بينما فلان الآخر يتقلب في النعم دونما منغص مع فسقه ومخالفاته الشرعية، وما السبب في أن فلانا من الناس قد أصيب بالنقص في الأهل والمال وهو من المتقين، بينما غيره من أهل الغفلة ينعم بالسلامة في أهله وماله؟

ألا يثير العجب رؤية بعض المتقين يعانون في بعض محطات حياتهم من الأكدار، في حين أن بعض الفجار يرتعون فيما يشتهون ويحبون؟!

أسئلة نجدها على ألسنة الكثيرين وفي قلوبهم، يجهر بها البعض ويسر بها آخرون، بل قد صار هذا إشكالا يشكل شبهة في فكر فئة كبيرة ممن ليس لديهم كبير صلة بالعلم الديني وأهله!

ولكن: هل جاء في القرآن الكريم ما يخبرنا أننا إن اتقينا سوف ننعم بالطيبات وإن لم نتق فسوف نعاني الشدائد؟! هل هناك آية تنبئ بنعيم في هذه الحياة الدنيا للصالحين وبشقاء فيها للفاسقين؟!

يقول الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧)، ويقول جل شأنه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

الآيتان السابقتان تنبئان بأمر جليل: وهو أن خلق هذا الكون البديع الخلقة العظيم إنما هو لابتلاء الناس، أي اختبارهم وامتحانهم.

إذن: فالدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء، ومحل امتحان وليست محل الثواب أو العقاب، وموضع التكليف والاختبار وما كانت يوما ولن تكون موضع مكافأة المحسن ومجازاة المسيء.

بل إن هنالك آيات من القرآن الكريم تستنكر صراحة على من يظن العطاء تكريما والمنع عقابا، يقول الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾(الفجر ١٥-١٦).

إن في الآيات التي ذكرتها موجزة كفاية للمسترشد ودليلا للمحتار، وفيها عنوان فلسفة حياة الإنسان المبنية على ما أراده الخالق منه، لا على ما يتوهمه هو، وفيها أعظم ترغيب على موافقة أمره سبحانه، وشدة الإخلاص له، ودوام مراقبته سبحانه، ليتزود بذلك لما بعد الموت؛ كما يتزود في حال السعة والرخاء لحال الضيق والشدة.

د. راوية نور الدين عتر
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة
في جامعة دمشق

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .











موسوعة شمائل المصطفى ﷺ

إصدار جديد ومميز من إصدارات مجلة (الوعي الإسلامي) بوزارة الأوقاف في دولة الكويت، للأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العمري، أستاذ السيرة النبوية، وهذه الموسوعة القيمة تتناول علم الشمائل والصفات النبوية بطريقة علمية تدلُّ على غزارة علم مؤلفها وسعة معرفته، وتقع الموسوعة في سبعة أجزاء.

العدد ٧٠٠ - السنة ٦١ - محرم /١٤٤٥ هـ - يوليو ٢٠٢٣م